السيد التفاسير القرآن الكريم

الأنوار المتقين

تأليف

الإمام المتكلم النظار الأصولي الفقيه

فخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر الرازي البكري الشافعي الأشعري

المتوفى سنة ٦٠٦هـ

شهاب الدين بن خليل بن علي الخويي الدمشقي الشافعي

أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي المالكي

(ت ٦٧١ هـ)

ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي الشيرازي الشافعي

المتوفى سنة ٦٩١هـ

أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي

(٧٠٠ - ٧٧٤هـ)

نجم الدين القمولي، أبو العباس، أحمد بن محمد بن مكي بن ياسين بن أحمد بن مكي بن يطوب الشافعي

جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد الأنصاري المحلي الشافعي (٨٦٤هـ) ومن الكهف إلى الناس

عبد الرحمن جلال الدين بن أبي بكر محمد كمال الدين سيوطي الشافعي (٩١١هـ) من البقرة إلى آخر الإسراء

القاضي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي

المتوفى ٩٨٢هـ سنة

أبو الحسن نور الدين الملا علي بن سلطان محمد القاري الهروي المكي الحنفي المتوفى بسنة ١٠١٤م

شهاب الدين أبي الثناء

محمود بن عبد الله الألوسي البغدادي الحنفي

(١٢١٧ - ١٢٧٠هـ)

محمد علي الصابوني

(١٣٤٩-١٤٤٢)

مع المقدمه

مُحمَّد بن مُحمَّد بن مُحمَّد بن علي بن يُوسُف ابن الجزري رحمه الله تعالى (٧٥١-٨٣٣هـ)

أشرف علي التهانوي رحمه الله تعالى

ألمقرئ عبد الرشيد رحمه الله تعالى

شعيب الأرنؤوط

قسمت الله

مقدمة المؤلف

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قال الشيخ الإمام العالم العلامة، الحَبر البحر الفهَّامة، المحقق المدقّقُ الحجة، الحافظ المجتهد شيخ الإسلام والمسلمين، وارث علوم سيد المرسلين، جلال الدين، أوحدُ المجتهدين، أبو الفضل عبد الرحمن ابن سيدنا الشيخ المرحوم كمال الدين، عالم المسلمين أبو المناقب أبو بكر السيوطي الشافعي:

الحمدُ للهِ الذي أَنزل على عبده الكتاب؛ تبصرةً لأُولي الألباب، وأَودعه من فنون العلوم والحِكم العَجَبَ العُجاب، وجعله أَجلَّ الكتب قدراً، وأغزرَها علماً، وأعذَبها نظماً، وأبلَغها في الخطاب: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨] ولا مخلوقٍ، ولا شبهة فيه ولا ارتياب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ربّ الأرباب، الذي عَنَت لقيّوميّته الوجوهُ، وخضعت لعظمته الرِّقابُ.

وأشهد أنَّ سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث من أكرم الشعوب وأشرف الشِّعاب، إلى خير أُمَّة بأفضل كتاب، وصلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الأنجاب، صلاة وسلاماً دائمَيْنِ إلى يوم المآب.

وبعد، فإنَّ العلم بحر زخَّار، لا يُدرَك له من قرار، وطودٌ شامخ لا يُسلكُ إلى قُنَّته[1] ولا يُصار، مَنْ أراد السبيل إلى استقصائه لم يبلغ إلى ذلك وصولاً، ومَنْ رام الوصول إلى إحصائه لم يَجد إلى ذلك سبيلاً، كيف وقد قال تعالى مخاطباً لخلقه: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾؟ [الإسراء: ٨٥].

وإنَّ كتابنا القرآن لهو مفجَر العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطلعها، أودَعَ فيه سبحانه وتعالى علمَ كلّ شيء، وأبان فيه كلَّ هدْيٍ وغيّ، فترى كلّ ذي فنٍّ منه يستمدّ، وعليه يعتمد؛ فالفقيه يَستنبط منه الأحكامَ، ويَستخرجُ حكمَ الحلال والحرام، والنَّحويُّ يبني منه قواعد إعرابه، ويرجع إليه في معرفة خطإِ القول من صوابه، والبيانيُّ يهتدي به إلى حُسن النظام، ويعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام.

وفيه من القصص والأخبار ما يذكِّر أُولي الأبصار، ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولو الفكر والاعتبار، إلى غير ذلك من علوم لا يقدِر قدرَها إلَّا مَنْ علم حصرها.

هذا مع فصاحة لفظ، وبلاغة أُسلوب، تبهَر العقول وتسلُب القلوب، وإعجازِ نظم لا يَقْدِر عليه إلا علَّام الغيوب.

ولقد كنتُ في زمان الطلب أتعجَّب من المتقدّمين؛ إذْ لم يدوّنوا كتاباً في أنواع علوم القرآن، كما وضعوا ذلك بالنِّسبة إلى علم الحديث، فسمعت شيخنا أستاذ الأستاذين، وإنسان عين الناظرين،

---

(١) قنته: قنة كل شيء: أعلاه. «مختار الصحاح»: قنن.

خلاصة الوجود علامة الزمان، فخر العصر وعين الأوان: أبا عبد الله محيي الدين الكافِيَجيّ[١] ـ مدَّ الله في أجله، وأسبغ عليه ظِلَّه ـ يقول: قد دونتُ في علوم التفسير كتاباً لم أُسْبَق إليه، فكتبته عنه فإذا هو صغير الحجم جدًّا، وحاصل ما فيه بابان:

الأول: في ذكر معنى التفسير والتأويل والقرآن والسُّورة والآية.

والثاني: في شروط القول فيه بالرأي.

وبعدهما خاتمة في آداب العالم والمتعلّم.

فلم يَشْفِ لي ذلك غليلاً، ولم يهدِني إلى المقصود سبيلاً.

ثم أوقفني شيخنا شيخُ مشايخ الإسلام قاضي القضاة وخلاصة الأنام حامل لواء المَذهب المُطلبيّ علَمُ الدِّين البُلْقيني[٢] رحمه الله تعالى على كتاب في ذلك لأخيه قاضي القضاة جلال الدين. سمَّاه: «**مواقع العلوم من مواقع النجوم**» فرأيته تأْليفاً لطيفاً، ومجموعاً ظريفاً، ذا ترتيبٍ وتقرير، وتنويع وتحبير. قال في خُطبته:

قد اشتهرت عن الإمام الشافعيِّ رضي الله عنه مخاطبةٌ لبعض خلفاء بني العبَّاس، فيها ذِكْر بعض أنواع القرآن، يحصُل منها لمقصدنا الاقتباس. وقد صنَّف في علوم الحديث جماعةٌ في القديم والحديث، وتلك الأنواع في سنده دون متنه، وفي مُسنديه وأهل فَنّه، وأنواعُ القرآن شاملة وعلومه كاملة. فأردتُ أن أَذكُرَ في هذا التصنيف ما وصل إلى علمي، ممّا حواه القرآن الشريف من أنواع علمه المنيف [العالي]، وينحصر في أمور:

الأول: مواطن النزول وأوقاته ووقائعه، وفي ذلك اثنا عشر نوعاً: المكيّ، المدنيّ، السفريّ، الحضريّ، الليليّ، النهاريّ، الصيفي، الشتائي، الفراشي، النَّومي، أَسباب النزول، أَوَّل ما نزل، آخر ما نزل.

الأمر الثاني: السَّند، وهو ستة أنواع: المتواتر، الآحاد، الشاذ، قراءات النبيّ ﷺ، الرُّواة، الحُفَّاظ.

الأمر الثالث: الأداء، وهو ستة أنواع: الوقف، الابتداء، الإمالة، المدّ، تخفيف الهمزة، الإدغام.

الأمر الرابع: الألفاظ، وهو سبعة أنواع: الغريب، المعرَّب، المجاز، المشترك، المترادف، الاستعارة، التشبيه.

---

(١) الكافيجي: محمد بن سليمان، من كبار العلماء بالمعقولات، لازمَهُ السيوطيُّ أكثر من (١٤) عاماً (ت: ٨٧٩ هـ). «شذرات الذهب» ٧/ ٣٢٦.

(٢) البُلْقيني: عبد الرحمن بن عمر، من علماء الحديث بمصر، وإليه انتهت رياسة الفتوى (ت: ٨٢٤ هـ). «شذرات الذهب» ٧/ ١٦٦.

الأمر الخامس: المعاني المتعلقة بالأحكام، وهو أربعة عشر نوعاً: العامّ الباقي على عمومه، العامّ المخصوص، العام الذي أُريد به الخصوص، ما خصَّ فيه الكتابُ السّنةَ، ما خصَّصت فيه السنَّةُ الكتابَ، المجمَل، المبيّن، المؤوّل، المفهوم، المطلق، المقيّد، الناسخ والمنسوخ، نوع من الناسخ والمنسوخ، وهو ما عُمل به من الأحكام مدّة معيَّنة والعاملُ به واحدٌ من المكلفين.

الأمر السادس: المعاني المتعلّقة بالألفاظ، وهو خمسة أنواع: الفصل، الوصل، الإيجاز، الإطناب، القصر.

وبذلك تكمَّلت الأنواعُ خمسين. ومن الأنواع ما لا يدخُل تحت الحصر: الأسماء، الكنى، الألقاب، المبهمات.

فهذا نهاية ما حصِر من الأنواع.

هذا آخر ما ذكره القاضي جلال الدين في الخُطبة، ثم تكلَّم في كل نوع منها بكلام مختصَر يحتاج إلى تحرير وتتمّات وزوائد مهمات. فصنفت في ذلك كتاباً سمّيته: «**التحبير في علوم التفسير**» ضمَّنْتُه ما ذكر البُلقيني من الأنواع مع زيادة مثلها، وأضفت إليه فوائدَ سمحت القريحة بنقلها، وقلت في خُطبته:

أما بعد: فإنَّ العلوم وإن كثُر عددها، وانتشر في الخافقين [شرق الأرض وغربها] مَدَدُها، فغايتها بحرٌ قعره لا يُدرَك، ونهايتُها طَوْدٌ شامخ لا يستطاع إلى ذِرْوته أن يُسلك، ولهذا يفتَح لعالِم بعد آخر من الأبواب ما لم يتطرّق إليه من المتقدمين الأسباب.

وإن مما أهمل المتقدمون تدوينَه حتى تحلى في آخر الزمان بأحسن زينة: **علمَ التفسير** الذي هو كمصطلح الحديث، فلم يدوّنْه أَحدٌ لا في القديم ولا في الحديث، حتى جاء شيخ الإسلام وعمدةُ الأنام، علّامة العصر، قاضي القضاة جلال الدين البُلقِينيّ رحمه الله تعالى، فعمل فيه كتابَه: «**مواقع العلوم من مواقع النجوم**». فنقَّحه وهذَّبه، وقسَّم أنواعه ورَتَّبه، ولم يُسبَق إلى هذه المرتبة، فإنَّه جعله نيّفاً وخمسين نوعاً، منقسمة إلى ستة أقسام، وتكلَّم في كلِّ نوع منها بالمتين من الكلام، فكان كما قال الإمام أبو السعادات ابن الأثير في مقدِّمة «**نهايته**»[(١)]: كلّ مبتدئ لشيءٍ لم يُسبَق إليه، ومبتدع لأمر لم يتقدَّم فيه عليه، فإنَّه يكون قليلاً ثم يكثر، وصغيراً ثم يكبُر.

فظهر لي استخراجُ أنواع لم يسبِق إليها، وزيادة مهمات لم يستوفِ الكلام عليها، فجرَّدت الهمة إلى وضع كتاب في هذا العلم، وأجمع به إن شاء الله تعالى شواردَه، وأضمّ إليه فوائده، وأنظُم في سلكه فرائدَه؛ لأكون في إيجاد هذا العلم ثاني اثنين، وواحداً في جمع الشتيت منه كألف أو كألفين، ومصيِّراً فنَّي التفسيرِ والحديثِ في استكمال التقاسيم إلْفَيْن. وإذْ برز نَوْر كِمَامه[(٢)] وفاح، وطَلع بدر كماله ولاحَ، وأَذِن فجره بالصَّباح، ونادى داعيه بالفلاح، سميته بـ«**التحبير في علوم التفسير**». وهذه فِهرِست الأنواع بعد المقدِّمة:

---

(١) «النهاية في غريب الحديث» ١/ ٥، وابن الأثير: المبارك بن أبي الكرم (ت: ٦٠٦ هـ). «وفيات الأعيان» ٤/ ١٤١.

(٢) الكِمَامة: غطاء زهر النخيل ونحوه من الأشجار. والنَّور: هو الزهر. «مختار الصحاح»: كَمَمَ، نَوَرَ.

النوع الأول والثاني: المكيّ والمدنيّ.
الثالث والرابع: الحضَريُّ والسَّفَرِيّ.
الخامس والسادس: النهاريّ والليليّ.
السابع والثامن: الصَّيْفيّ والشتائيّ.
التاسع والعاشر: الفِراشيّ والنَّوميّ.
الحادِي عشر: أَسباب النّزول.
الثاني عشر: أوّل ما نزل.
الثالث عشر: آخر ما نزل.
الرابع عشر: ما عُرف وقت نزوله.
الخامس عشر: ما أُنزلَ فيه ولم ينزل على أحد من الأنبياء.
السادس عشر: ما أُنزل منه على الأنبياء.
السَّابع عشر: ما تكرَّر نزوله.
الثامن عشر: ما نَزَلَ مفرّقاً.
التاسع عشر: ما نزل جَمْعاً.
العشرون: كيفية إنزاله.

وهذه كلها متعلِّقة بالنزول.

الحادي والعشرون: المتواتر.
الثاني والعشرون: الآحاد.
الثالث والعشرون: الشاذّ.
الرابع والعشرون: قراءات النبي ﷺ.
الخامس والسادس والعشرون: الرواة والحفاظ.
السابع والعشرون: كيفيّة التَّحمّل.
الثامن والعشرون: العالي والنَّازل.
التاسع والعشرون: المسلسل.

وهذه متعلِّقة بالسَّند.

الثلاثون: الابتداء.
الحادي والثلاثون: الوقف.
الثاني والثلاثون: الإمالة.

الثالث والثلاثون: المد.

الرابع والثلاثون: تخفيف الهمزة.

الخامس والثلاثون: الإدغام.

السادس والثلاثون: الإخفاء.

السابع والثلاثون: الإقلاب.

الثامن والثلاثون: مخارج الحروف.

وهذه متعلقة بالأداء.

التاسع والثلاثون: الغريب.

الأربعون: المعرَّب.

الحادي والأربعون: المجاز.

الثاني والأربعون: المشترك.

الثالث والأربعون: المترادف.

الرابع والخامس والأربعون: المحكَم والمتشابه.

السادس والأربعون: المشكل.

السابع والثامن والأربعون: المجمَل والمبيّن.

التاسع والأربعون: الاستعارة.

الخمسون: التشبيه.

الحادي والثاني والخمسون: الكناية والتعريض.

الثالث والخمسون: العام الباقي على عمومه.

الرابع والخمسون: العامّ المخصوص.

الخامس والخمسون: العامّ الذي أُريدَ به الخصوصُ.

السادس والخمسون: ما خصّ فيه الكتابُ السنَّةَ.

السابع والخمسون: ما خصت فيه السُّنةُ الكتابَ.

الثامن والخمسون: المؤوَّل.

التاسع والخمسون: المفهوم.

الستون والحادي والستون: المطلق والمقيَّد.

الثاني والثالث والستون: الناسخ والمنسوخ.

الرابع والستون: ما عمل به واحد ثم نسخ.

الخامس والستون : ما كان واجباً على واحد.
السادس والسابع والثامن والستون : الإيجاز والإطناب والمساواة.
التاسع والستون : الأشباه.
السبعون والحادي والسبعون : الفصل والوصل.
الثاني والسبعون : القصر.
الثالث والسبعون : الاحتباك.
الرابع والسبعون : القول بالموجب.
الخامس والسادس والسابع والسبعون : المطابقة والمناسبة والمجانسة.
الثامن والتاسع والسبعون : التورية والاستخدام.
الثمانون : اللَّف والنَّشر.
الحادي والثمانون : الالتفات.
الثاني والثمانون : الفواصل والغايات.
الثالث والرابع والخامس والثمانون : أفضل القرآن وفاضله ومفضولُه.
السادس والثمانون : مفردات القرآن.
السابع والثمانون : الأمثال.
الثامن والتاسع والثمانون : آداب القارئ والمقرئ.
التسعون : آداب المفسِّر.
الحادي والتسعون : من يُقبل تفسيرُهُ ومن يُردّ.
الثاني والتسعون : غرائب التفسير.
الثالث والتسعون : معرفة المفسرين.
الرابع والتسعون : كتابة القرآن.
الخامس والتسعون : تسمية السور.
السادس والتسعون : تَرتيب الآي والسُّور.
السابع والثامن والتاسع والتسعون : الأَسماء والكُنى والأَلقاب.
المئة : المبهمات.
الأول بعد المئة : أسماء من نزل فيهم القرآن.
الثاني بعد المئة : التاريخ.

وهذا آخر ما ذكرته في خطبة «**التحبير**». وقد تمَّ هذا الكتاب ولله الحمد من سنة اثنتين وسبعين، وكتبه مَن هو في طبقة أشياخي من أُولي التحقيق.

ثم خطَر لي بعد ذلك أن أُؤلِّف كتاباً مبسوطاً، ومجموعاً مضبوطاً، أسلُكُ فيه طريق الإحصاء، وأمشي فيه على منهاج الاستقصاء. هذا كله وأنا أظن أني متفرِّد بذلك، غيرُ مسبوق بالخوض في هذه المسالك، فبينا أنا أُجيل في ذلك فكراً، أُقدِّم رجلاً وأُؤخِّر أخرى، إذ بلغني أن الشيخ الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، أحد متأخِّري أصحابنا الشافعيين، أَلَّف كتاباً في ذلك حافلاً، يسمى «**البرهان في علوم القرآن**»، فتطلَّبته حتى وقفتُ عليه، فوجدته قال في خُطبته[١]:

لمَّا كانت علوم القرآن لا تُحصى، ومعانيه لا تُستقصى، وجبت العناية بالقدْر الممكن. ومما فات المتقدمين وضعُ كتاب يشتمل على أنواع علومه، كما وضع النَّاسُ ذلك بالنسبة إلى علم الحديث؛ فاستخرت الله تعالى ـ وله الحمد ـ في وضع كتاب في ذلك، جامع لما تكلم الناس في فنونه، وخاضوا في نُكته وعيونه، وضمّنتهُ من المعاني الأنيقة، والحِكَم الرشيقة، ما بهرَ القلوب عجباً[٢]، ليكونَ مفتاحاً لأبوابه، عنواناً على كتابه، معيناً للمفسر على حقائقه، مطلعاً على بعض أسراره ودقائقه، وسمّيتُهُ: «**البرهان في علوم القرآن**» وهذه فِهرِست أنواعه:

النوع الأوّل: معرفة سبب النزول.

الثاني: معرفة المناسبة[٣] بين الآيات.

الثالث: معرفة الفواصل.

الرابع: معرفة الوجوه والنظائر.

الخامس: علم المتشابه.

السادس: علم المبهمات.

السابع: في أسرار الفواتح.

الثامن: في خواتم السور.

التاسع: في معرفة المكيّ والمدني.

العاشر: في معرفة أوّل ما نزل.

الحادي عشر: معرفة على كمْ لغةٍ نزل.

الثاني عشر: في كيفية إنزاله.

---

(١) «البرهان» ١/ ١٠٢، والزركشي: محمد بن بهادُر، أبو عبد الله، عالم شافعي أصولي (ت: ٧٩٤ هـ). «الدرر الكامنة» ٤/ ١٦.

(٢) في «البرهان»: ما يهز القلوب طرباً، ويبهر العقول عجباً.

(٣) في «البرهان»: معرفة المناسبات..

الثالث عشر: في بيان جمعه ومَنْ حفِظه من الصحابة.

الرابع عشر: معرفة تقسيمه.

الخامس عشر: معرفة أسمائه.

السادس عشر: معرفة ما وقع فيه من غير لغة الحجاز.

السابع عشر: معرفة ما فيه من غير لغة العرب.

الثامن عشر: معرفة غريبه.

التاسع عشر: معرفة التصريف.

العشرون: معرفة الأحكام.

الحادي والعشرون: معرفة كون اللفظ أو التركيب أحسن وأفصح.

الثاني والعشرون: معرفة اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص.

الثالث والعشرون: معرفة توجيه القرآن.

الرابع والعشرون: معرفة الوقف.

الخامس والعشرون: علم مرسوم الخط.

السادس والعشرون: معرفة فضائله.

السابع والعشرون: معرفة خواصّه.

الثامن والعشرون: هل في القرآن شيء أفضل من شيء؟

التاسع والعشرون: في آداب تلاوته.

الثلاثون: في أنه هل يجوز في التصانيف والرسائل والخطب استعمالُ بعض آيات القرآن؟

الحادي والثلاثون: معرفة الأمثال الكامنة فيه.

الثاني والثلاثون: معرفة أحكامه.

الثالث والثلاثون: معرفة جدله.

الرابع والثلاثون: معرفة ناسخه ومنسوخه.

الخامس والثلاثون: معرفة مُوهم[١] المختلف.

السادس والثلاثون: معرفة المحكم من المتشابه.

السابع والثلاثون: في حُكم الآيات المتشابهات الواردة في الصفات.

الثامن والثلاثون: معرفة إعجازه.

---

(١) في «البرهان»: توهّم.

التاسع والثلاثون: معرفة وجوب متواتِره.
الأربعون: في بيان معاضدة السنَّةِ الكتابَ.
الحادي والأربعون: معرفة تفسيره.
الثاني والأربعون: معرفة وجوه المخاطبات.
الثالث والأربعون: بيان حقيقته ومجازه.
الرابع والأربعون: في الكنايات والتعريض.
الخامس والأربعون: في أقسام معنى الكلام.
السادس والأربعون: في ذكر ما تيسر من أساليب القرآن.
السابع والأربعون: في معرفة الأدوات.

* * *

واعلم أنه ما مِن نوع من هذه الأنواع إلّا ولو أراد الإنسان استقصاءه، لاستفرغ عمره ثم لم يُحكِم أمرَه، ولكن اقتصرنا من كلِّ نوع على أصوله، والرَّمز إلى بعض فصوله؛ فإن الصناعةَ طويلةٌ، والعمرَ قصيرٌ، وماذا عسى أن يبلغ لسان التقصير؟[١].

هذا آخر كلام الزركشي في خطبته.

ولما وقفتُ على هذا الكتاب ازددت به سروراً، وحَمِدْتُ الله كثيراً، وقويَ العزم على إبراز ما أضمرتُهُ. وشَدَدْتُ الحزم في إنشاء التَّصنيف الذي قصدتُهُ، فوضعت هذا الكتاب العليّ الشانِ، الجليَّ البرهان، الكثير الفوائد والإتقانِ، ورتبت أنواعَهُ ترتيباً أنسب من ترتيب «**البرهان**»، وأدمَجْت بعضَ الأنواع في بعض، وفصّلت ما حقُّه أن يُبان، وزدته على ما فيه من الفوائد والفرائد، والقواعد والشوارد ما يشنّف الآذان، وسميته: بـ«**الإتقان في علوم القرآن**». وسترى في كلِّ نوع منه إن شاء الله تعالى ما يصلح أن يكون بالتصنيف مفرداً، وستروَى من مناهله العذبة ريًّا لا ظمأ بعده أبداً. وقد جعلته مقدِّمة للتفسير الكبير الذي شرعت فيه، وسميته بـ«**مجمع البحرين، ومطلع البدرين، الجامع لتحرير الرواية، وتقرير الدراية**».

ومن الله أستمد التوفيق والهداية، والمعونة والرعاية، إنَّه قريب مجيب، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أُنيب. وهذه فِهرِست أنواعه:

النوع الأول: معرفة المكي والمدني.
الثاني: معرفة الحضريّ والسفريّ.

---

(١) بعدها في «البرهان» هذا البيت:

قالوا خذ العينَ من كُلٍّ فقلت لهم ... في العين فضلٌ ولكن ناظر العَيْن

الثالث: النهاريّ والليليّ.

الرابع: الصيفيّ والشّتائيّ.

الخامس: الفراشيّ والنوميّ.

السادس: الأرضيّ والسمائي.

السابع: أوّل ما نزل.

الثامن: آخر ما نزل.

التاسع: أسباب النزول.

العاشر: ما نزل على لسان بعض الصحابة.

الحادي عشر: ما تكرر نزوله.

الثاني عشر: ما تأخّر حكمه عن نزوله وما تأخر نزوله عن حكمه.

الثالث عشر: معرفة ما نزل مفرّقاً وما نزل جمعاً.

الرابع عشر: ما نزل مشيّعاً وما نزل مفرداً.

الخامس عشر: ما أُنزل منه على بعض الأنبياء وما لم ينزل منه على أحد قبل النبي ﷺ.

السادس عشر: في كيفية إنزاله.

السابع عشر: في معرفة أسمائه وأسماء سُوره.

الثامن عشر: في جمعه وترتيبه.

التاسع عشر: في عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه.

العشرون: في حُفَّاظه ورواته.

الحادي والعشرون: في العالي والنازل.

الثاني والعشرون: معرفة المتواتر.

الثالث والعشرون: في المشهور.

الرابع والعشرون: في الآحاد.

الخامس والعشرون: في الشاذّ.

السادس والعشرون: الموضوع.

السابع والعشرون: المدرَج.

الثامن والعشرون: في معرفة الوقف والابتداء.

التاسع والعشرون: في بيان الموصول لفظاً المفصول معنًى.

الثلاثون: في الإمالة والفتح وما بينهما.

الحادي والثلاثون: في الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب.
الثاني والثلاثون: في المدِّ والقصر.
الثالث والثلاثون: في تخفيف الهمزة.
الرابع والثلاثون: في كيفية تحمُّله.
الخامس والثلاثون: في آداب تلاوته.
السادس والثلاثون: في معرفة غريبه.
السابع والثلاثون: فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز.
الثامن والثلاثون: فيما وقع فيه بغير لغة العرب.
التاسع والثلاثون: في معرفة الوجوه والنظائر.
الأربعون: في معرفة معاني الأدوات التي يحتاج إليها المفسِّر.
الحادي والأربعون: في معرفة إعرابه.
الثاني والأربعون: في قواعد مهمَّة يحتاج المفسر إلى معرفتها.
الثالث والأربعون: في المحكَم والمتشابه.
الرابع والأربعون: في مقدَّمه ومؤخَّره.
الخامس والأربعون: في خاصّه وعامّه.
السادس والأربعون: في مجمَله ومبيّنه.
السابع والأربعون: في ناسخه ومنسوخه.
الثامن والأربعون: في مشكِله وموهم الاختلاف والتناقض.
التاسع والأربعون: في مطلقه ومقيّده.
الخمسون: في منطوقه ومفهومه.
الحادي والخمسون: في وجوه مخاطباته.
الثاني والخمسون: في حقيقته ومجازه.
الثالث والخمسون: في تشبيهه واستعاراته.
الرابع والخمسون: في كناياته وتعريضه.
الخامس والخمسون: في الحصر والاختصاص.
السادس والخمسون: في الإيجاز والإطناب.
السابع والخمسون: في الخبر والإنشاء.
الثامن والخمسون: في بدائع القرآن.

التاسع والخمسون: في فواصل الآي.
الستون: في فواتح السور.
الحادي والستون: في خواتم السور.
الثاني والستون: في مناسبة الآيات والسور.
الثالث والستون: في الآيات المشتبهات.
الرابع والستون: في إعجاز القرآن.
الخامس والستون: في العلوم المستنبطة من القرآن.
السادس والستون: في أمثاله.
السابع والستون: في أقسامه.
الثامن والستون: في جدله.
التاسع والستون: في الأسماء والكُنى والألقاب.
السبعون: في مبهماته.
الحادي والسّبعون: في أسماء مَن نزل فيهم القرآن.
الثاني والسبعون: في فضائل القرآن.
الثالث والسبعون: في أفضل القرآن وفاضله.
الرابع والسبعون: في مفردات القرآن.
الخامس والسبعون: في خواصِّه.
السادس والسبعون: في رسوم الخطِّ وآداب كتابته.
السابع والسبعون: في معرفة تأويله وتفسيره وبيان شرفه والحاجة إليه.
الثامن والسبعون: في شروط المفسِّر وآدابه.
التاسع والسبعون: في غرائب التفسير.
الثمانون: في طبقات المفسرين.

* * *

فهذه ثمانون نوعاً على سبيل الإدماج، ولو نوّعت باعتبار ما أدمجته في ضمنها لزادت على الثلاثمئة، وغالب هذه الأنواع فيها تصانيفُ مفردةٌ، وقفتُ على كثير منها.

ومن المصنفات في مثل هذا النمط، وليست في الحقيقة مثله ولا قريباً منه، وإنما هي طائفة يسيرة ونبذة قصيرة:

«**فنون الأفنان في علوم القرآن**» لابن الجوزيّ.

و«**جمال القرّاء**» للشيخ علم الدِّين السخاويّ.

و«**المرشد الوجيز في علوم تتعلق بالقرآن العزيز**» لأبي شامة.

و«**البرهان في مشكلات القرآن**» لأبي المعالي عزيزي بن عبد الملك المعروف بشَيْذَلة.

وكلّها بالنسبة إلى نوع من هذا الكتاب كحبّة رمل في جنب رَمْل عالج[١]، ونقطة قطر في حيال بحرٍ زاخر.

وهذه أسماء الكتب التي نظرتها على هذا الكتاب، ولخصتُه منها.

فمن الكتب النقلية:

تفسير ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبي الشيخ، وابن حَيَّان، والفريابيّ، وعبد الرزَّاق، وابن المنذر، وسعيد بن منصور ـ وهو جزء من «سننه» ـ، والحاكم ـ وهو جزء من «مستدركه» ـ و«تفسير الحافظ عماد الدين ابن كثير»، و«فضائل القرآن» لأبي عُبيد، و«فضائل القرآن» لابن الضُّرَيس، و«فضائل القرآن» لابن أبي شَيبة، و«المصاحف» لابن أبي داود، و«المصاحف» لابن أشته، «الردّ على من خالف مصحف عثمان» لأبي بكر بن الأنباري، و«أخلاق حَمَلَة القرآن» للآجُرّيّ، و«التبيان في آداب حَمَلة القرآن» للنَّوويّ، و«شرح البخاريّ» لابن حجر.

ومن جوامع الحديث والمسانيد ما لا يحصى.

ومن كتب القراءات وتعلّقات الأداء:

«جمال القرّاء» للسَّخاويّ، «النشر» و«التقريب» لابن الجزريّ، «الكامل» للهُذليّ، «الإرشاد في القراءات العشر» للواسطيّ، «الشواذّ لابن غلبون»، «الوقف والابتداء» لابن الأنباري وللسجاونديّ وللنحاس، وللدَّاني وللعمانيّ ولابن النَّكزاويّ، «قرَّة العين في الفتح والإمالة بين اللَّفظين» لابن القاصح.

ومن كتب اللغات والغريب والعربيَّة والإعراب:

«مفردات القرآن» للراغب، «غريب القرآن» لابن قُتيبة، وللعزيزي، «الوجوه والنظائر» للنيسابوريّ، ولابن عبد الصمد، «الواحد والجمع في القرآن» لأبي الحسن الأخفش الأوسط، «الزَّاهر» لابن الأنباريّ، «شرح التسهيل والارتشاف» لأبي حيّان، «المغني» لابن هشام، «الجَنَى الداني في حروف المعاني» لابن أمّ قاسم، «إعراب القرآن» لأبي البقاء وللسمين وللسَّفاقُسي ولمنتجب الدين، «المحتسَب في توجيه الشواذّ» لابن جنّي، «الخصائص» له، «الخاطريات» له، «ذو القدّ» له، «أمالي ابن الحاجب»، «المعرب» للجواليقيّ، «مشكل القرآن» لابن قتيبة، «اللغات التي نزل بها القرآن» لأبي القاسم محمد بن عبد الله[٢]، «الغرائب والعجائب» للكرماني، «قواعد في التفسير» لابن تيمية.

---

(١) عالج: موضع بالبادية فيه رَمْلٌ. «مختار الصحاح»: علج.

(٢) كذا في النسخ. وهو خطأ. والصواب: للقاسم بن سلام.

ومن كتب الأحكام وتعلقاتها:

«أحكام القرآن» لإسماعيل القاضي، ولبكر بن العلاء، ولأبي بكر الرازي، وللكيا الهراسيّ، ولابنِ العربيّ، ولابن الفَرَس، ولابن خُوَيز منداد. «الناسخ والمنسوخ» لمكي، ولابن الحصار، وللسَّعيديّ، ولأبي جعفر النَّحَّاس، ولابن العربي، ولأبي داود السِّجِسْتَاني، ولأبي عُبيد القاسم بن سلَّام، ولأَبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميميّ، «الإمام في أدلة الأحكام» للشيخ عز الدين بن عبد السلام.

ومن الكتب المتعلقة بالإعجاز وفنون البلاغة:

«إعجاز القرآن» للخطابيّ، وللرمّاني، ولابن سُراقة، وللقاضي أبي بكر الباقلانيّ، ولعبد القاهر الجرجانيّ، وللإمام فخر الدين، ولابن أبي الإصبع ـ واسمه «البرهان» ـ وللزَّملكانيّ ـ واسمه «البرهان» أيضاً ـ ومختصره له ـ واسمه «المجيد» ـ، «مجاز القرآن» لابن عبد السلام، «الإيجاز في المجاز» لابن القيم، «نهاية التأميل في أسرار التنزيل» للزَّملكانيّ، «التبيان في البيان» له، «المنهج المفيد في أحكام التوكيد» له، «بدائع القرآن» لابن أبي الإصبع، «التحبير» له، «الخواطر السوانح في أسرار الفواتح» له، «أسرار التنزيل» للشرف البارزيّ، «الأقصى القريب» للتنوخيّ، «منهاج البلغاء» لحازم، «العمدة» لابن رُشَيق، «الصناعتين» للعسكريّ، «المصباح» لبدر الدين بن مالك، «التبيان» للطِّيْبيّ، «الكنايات» للجرجاني، «الإغريض في الفرق بين الكناية والتعريض» للشيخ تقي الدين السبكي، «الاقتناص في الفرق بين الحصر والاختصاص» له، «عروس الأفراح» لولده بهاء الدين، «روض الأفهام في أقسام الاستفهام» للشيخ شمس الدين بن الصائغ، «نشر العبير في إقامة الظاهر مقام الضمير» له، «المقدِّمة في سر الألفاظ المقدَّمة» له، «إحكام الراي في أحكام الآي» له، «مناسبات ترتيب السور» لأبي جعفر بن الزّبير، «فواصل الآيات» للطّوفيّ، «المثل السائر» لابن الأثير، «الفلك الدائر على المثل السائر» [لابن أبي الحديد]، «كنز البراعة» لابن الأثير، «شرح بديع قدامة» للموفَّق عبد اللطيف.

ومن الكُتب فيما سوى ذلك من الأنواع:

«البرهان في متشابه القرآن» للكَرْمَاني، «درَّة التنزيل وغُرَّة التأويل في المتشابه» لأبي عبد الله الرازي، «كشف المعاني عن متشابه المثاني» للقاضي بدر الدين بن جماعة، «أمثال القرآن» للماورديّ، «أقسام القرآن» لابن القيِّم، «جواهر القرآن» للغزاليّ، «التعريف والإعلام فيما وقع في القرآن من الأسماء والأعلام» للسُّهيليّ، «الذَّيل عليه» لابن عساكر، «التِّبيان في مبهمات القرآن» للقاضي بدر الدين بن جماعة، «أسماء مَنْ نزل فيهم القرآن» لإسماعيل الضرير، «ذات الرَّشد في عدد الآي وشرحها» للموصليّ، «شرح آيات الصفات لابن اللَّبَّان»، «الدرّ النظيم في منافع القرآن العظيم» لليافعيّ.

ومن كتب الرسم:

«المقنع» للدَّانيّ، «شرح الرَّائية» للسخاويّ، شرحُها لابن جُبارة.

ومن الكتب الجامعة:

«بدائع الفوائد» لابن القيم، «كنز الفوائد» للشيخ عزّ الدين بن عبد السلام، «الغُرَر والدُّرَر» للشريف المرتضى، «تذكرة البدر بن الصاحب»، «جامع الفنون» لابن شبيب الحنبليّ، «النَّفيس» لابن الجوزيّ، «البستان» لأبي الليث السمرقنديّ.

ومن تفاسير غير المحدّثين:

«الكشَّاف» وحاشيته للطيبيّ، «تفسير الإمام فخر الدين»، «تفسير الأصبهاني» والحوْفيّ، وأبي حيَّان، وابن عَطِية، والقُشَيريّ، والمرسي، وابن الجوزي، وابن عَقيل، وابن رَزِين، والوَاحِديّ، والكَواشيّ، والماوردي، وسُليم الرازيّ، وإمام الحرمين، وابن بُرّجان، وابن بَزيزة، وابن المنيِّر، «أمالي الرافعيّ» على الفاتحة، «مقدِّمة تفسير ابن النقيب».

وهذا أوانُ الشروع في المقصود بعون الملك المعبود.

النوع الأول

في مَعْرِفة المكيِّ والمَدَنيِّ

أفرده بالتصنيف جماعة؛ منهم: مكيّ، والعزّ الدَّيرِينيّ.

ومن فوائد معرفة ذلك: العلم بالمتأخِّر، فيكون ناسخاً أو مخصِّصاً، على رأي مَنْ يرى تأخيرَ المُخَصِّص.

قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري(١) في كتاب «**التنبيه على فضل علوم القرآن**»: من أشرف علوم القرآن علمُ نزوله وجِهاته، وترتيب ما نزل بمكة والمدينة، وما نزل بمكة وحكمُه مدنيّ، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وما نزل بمكّة في أهل المدينة، وما نزل بالمدينة في أهل مكة، وما يشبهُ نزولَ المكيّ في المدنيّ، وما يشبه نزول المدنيّ في المكيّ، وما نزل بالجُحفة، وما نزل ببيت المقدس، وما نزل بالطائف، وما نزل بالحُدَيبية، وما نزل ليلاً، وما نزل نهاراً، وما نزل مشيَّعاً(٢)، وما نزل مفرداً، والآيات المدنيات في السُّوَر المكيَّة، والآيات المكيّات في السور المدنية، وما حُمِلَ من مكة إلى المدينة، وما حُمِل من المدينة إلى مكة، وما حُمِل من المدينة إلى أرض الحبشة، وما نزل مُجمَلاً، وما نزل مفسَّراً، وما اختلفوا فيه، فقال بعضهم: مدني، وبعضهم: مكيّ. فهذه خمسة وعشرون وجْهاً، مَنْ لم يعرفها ويميّز بينها لم يحلّ له أن يتكلّم في كتاب الله تعالى. انتهى.

قلت: وقد أشبعتُ الكلام على هذه الأوجه، فمنها ما أفردته بنوع، ومنها ما تكلّمت عليه في ضمنِ بعض الأنواع.

وقال ابنُ العربيّ في كتابه «**الناسخ والمنسوخ**»(٣): الذي علمناه على الجُملة من القرآن أنَّ منه مكيًّا ومدنيًّا، وسفريًّا وحضريًّا، وليليًّا ونهاريًّا، وسمائيًّا وأرضيًّا، وما نزل بين السماء والأرض، وما نزل تحت الأرض في الغار.

وقال ابن النَّقيب في مقدِّمة «**تفسيره**»: المنزَّل من القرآن على أربعة أقسام: مكِّيّ، ومدنيّ، وما بعضُه مكيّ وبعضه مدنيّ، وما ليس بمكيّ ولا مدنيّ.

اعلم أنَّ للنَّاس في المكيّ والمَدني اصطلاحاتٍ ثلاثةً:

---

(١) النيسابوري: الحسن بن محمد بن حبيب، المفسر، الواعظ، إمام عصره في علوم القرآن ومعانيه (ت: ٤٠٦ هـ). «طبقات المفسرين» للسيوطي ص ٣٥، وانظر «البرهان» ١/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

(٢) المشيَّع: ما نزل وقد شيعتْهُ الملائكة، كما سيأتي في النوع الرابع عشر.

(٣) ص ١٩، وابن العربي: محمد بن عبد الله: أبو بكر، الحافظ المشهور، أندلسي إشبيلي (ت: ٥٤٣ هـ). «وفيات الأعيان» ٤/ ٢٩٦.

أشهرُها: أنّ المكيّ ما نزل قبل الهجرة، والمدنيّ ما نزل بعدها، سواء نزَل بمكة أم بالمدينة، عامَ الفتح أو عام حجّة الوداع، أم بسفر من الأسفار.

أخرج عثمان بن سعد الرازيّ بسنده إلى يحيى بن سلّام قال: ما نزل بمكة وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلُغ النبيُّ ﷺ المدينة، فهو من المكيّ، وما نزل على النبيّ ﷺ في أسفاره بعدما قدِم المدينة فهو من المدنيّ.

وهذا أثرٌ لطيف يُؤخَذ منه: أن ما نزل في سفر الهجرة مكيٌّ اصطلاحاً.

الثاني: أن المكيّ ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدنيَّ ما نزل بالمدينة. وعلى هذا تثبت الواسطة، فما نزل بالأسفار لا يُطلق عليه مكيٌّ ولا مدنيّ.

وقد أخرج الطبراني في «**الكبير**» [٧٧١٧ وإسناده ضعيف] من طريق الوليد بن مسلم، عن عُفير بن مَعْدَان، عن ابن عامر عن أبي أُمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُنزِل القرآن في ثلاثة أمكنة: مكّة، والمدينة، والشام**».

قال الوليد: يعني: بيت المقدِس.

وقال الشيخ عماد الدين ابن كثير: بل تفسيره بتَبُوك أحسن.

قلت: ويدخل في مكّة ضواحيها، كالمنزَّل بمنًى وعرفات والحُديبية، وفي المدينة ضواحيها، كالمنزَّل ببدر وأُحُد وسَلْع.

الثالث: أنَّ المكيَّ ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمَدَنيّ ما وقع خطاباً لأهل المدينة، وحُمِل على هذا قولُ ابن مسعود الآتي.

قال القاضي أبو بكر في «**الانتصار**»[١]: إنَّما يُرْجَع في معرفة المكيّ والمدنيّ إلى حفظ الصحابة والتابعين، ولم يَرِدْ عن النبي ﷺ في ذلك قولٌ، لأنه لم يؤمر به، ولم يجعل الله علمَ ذلك من فرائض الأُمَّة، وإن وجب في بعضه على أهل العلم معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ، فقد يُعرف ذلك بغير نصّ الرسول. انتهى.

وقد أَخرجَ البخاريّ [٥٠٠٢، ومسلم: ٦٣٣٣]: عن ابن مسعود أنّه قال: والذي لا إله غيره ما نزلتْ آية من كتاب الله تعالى إلّا وأنا أعلم فيمَنْ نزلَت، وأين نَزلَت.

وقال أَيُّوب: سأل رجل عِكْرمة عن آية من القرآن، فقال: نزلت في سَفْحِ ذلك الجبل، وأشار إلى سَلْع[٢]. أخرجه أبو نُعيم في «**الحلية**»[٣].

وقد ورد عن ابن عباس وغيرِه عدُّ المكيّ والمدني. وأنا أسوق ما وقع لي من ذلك، ثم أُعقبه بتحرير ما اختُلف فيه.

---

(١) «الانتصار» ١/ ٢٤٧.

(٢) سَلْع: جبل في المدينة. «القاموس المحيط»: سلع.

(٣) ٣/ ٣٢٧، وأخرجه أيضاً أحمد في «العلل» ٢/ ٣٨٧ (٢٧٢٤).

قال ابنُ سعد في «**الطبقات**»[١]: أنبأنا الواقديّ، حدَّثني قُدامة بن موسى، عن أبي سلَمة الحضرميّ، سمعت ابنَ عباس قال: سألت أُبيّ بن كعب عمّا نزل من القرآن بالمدينة؟ فقال: نزل بها سبعٌ وعشرون سورةً، وسائرها بمكة.

وقال أبو جعفر النحاس في كتابه «**الناسخ والمنسوخ**»: حدَّثني يموت بن المزرِّع[٢]: حدَّثنا أبو حاتم سهل بن محمد السّجستاني، أنبأنا أبو عُبيدة مَعْمَر بن المُثنّى، حدَّثنا يونس بن حبيب، سمعت أبا عَمْرو بن العلاء يقول: سألت مجاهداً عن تلخيص آي القرآن؛ المدنيّ من المكيّ، فقال: سألت ابنَ عباس عن ذلك فقال:

سورةُ الأنعام نزلت بمكَّة جملةً واحدة، فهي مكيَّة إلَّا ثلاث آيات منها نزلْنَ بالمدينة: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ﴾ [١٥١ ـ ١٥٣]. إلى تمام الآيات الثلاث، وما تقدَّم من السّوَر مدنيات.

ونزلت بمكّة سورة الأعراف ويونس وهود ويوسف والرَّعد وإبراهيم والحِجْر والنحل ـ سوى ثلاث آيات من آخرها، فإنَّهن نزلْن بين مكة والمدينة، في منصرفِه من أُحُد ـ وسورة بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء والحج، سوى ثلاث آيات: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ [١٩ ـ ٢١] إلى تمام الآيات الثلاث، فإنَّهنَّ نزلنَ بالمدينة[٣].

وسورة المؤمنون والفرقان وسورة الشعراء، سوى خمس آيات من أُخْرَاها نزلن بالمدينة: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [٢٢٤] إلى آخرها[٤].

وسورة النمل والقَصص والعنكبوت والرُّوم ولقمان، سوى ثلاث آيات منها نزلن بالمدينة: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ [٢٧ ـ ٢٩] إلى تمام الآيات.

وسورة السجدة، سوى ثلاث آيات: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ [١٨ ـ ٢٠] إلى تمام الآيات الثلاث.

وسورة سبأ وفاطر ويس والصافات وص والزمر، سوى ثلاث آيات نزلنَ بالمدينة في وحشيٍّ قاتلِ حمزة: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ﴾ [٥٣ ـ ٥٥] إلى تمام الثلاث آيات.

والحواميم السبع وق والذاريات والطور والنجم والقمر والرحمن والواقعة والصف والتغابن إلّا آيات من آخرها نزلن بالمدينة.

والمُلْك و﴿نٓ﴾ والحاقة وسأَل وسورة نوح والجنّ والمزَّمل إلّا آيتين: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ [٢٠][٥].

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٢/ ٣٧١.

(٢) «الناسخ والمنسوخ» ص ١٣١ وفيه: يموت بن المزارع. وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه.

(٣) «الناسخ والمنسوخ» ص ١٤١ و١٧٠ ـ ١٧٥.

(٤) «الناسخ والمنسوخ» ص ١٩٠ و٢٠٠ ـ ٢٠١. هذا، وإن سورة الشعراء كلها (٢٢٧) آية، وعليه يكون من: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ . . .﴾ أربع آيات لا خمس.

(٥) سورة المزمل (٢٠) عشرون آية، والآية التي أشار إليها المصنف هي الآية العشرون، وهي آية واحدة، وليست آيتين كما ذكر.

والمدَّثر إلى آخر القرآن إلّا ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ و﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ فإنّهنَّ مدنيّات.

ونزل بالمدينة سورةُ الأنفال وبراءة والنور والأحزاب وسورة محمد والفتح والحُجُرات والحديد وما بعدها إلى التحريم.

هكذا أخرجه بطوله، وإسناده جيِّد، رجاله كلُّهم ثقات من علماء العربيَّة المشهورين.

وقال البيهقي في «**دلائل النبوة**» [(١٤٢/٧)]: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو محمد بن زيادٍ العَدْل، حدَّثنا محمد بن إسحاق، حدَّثنا يعقوب بن إبراهيم الدَّورَقيّ، حدَّثنا أحمد بن نصر بن مالك الخُزَاعيّ، حدَّثنا عليُّ بن الحسين بن واقد، عن أبيه، حدَّثني يزيد النحويّ، عن عكرمة والحسنِ بن أبي الحسن قالا: أنزل اللهُ من القرآن بمكة: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ و﴿نٓ﴾، والمزمل، والمدَّثر، و﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ و﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، و﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ و﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾، والفجر، والضحى، و﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾، والعصر، والعاديات، والكوثر، و﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، و﴿أَرَءَيْتَ﴾، و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ وأصحاب الفيل، والفلق، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، والنَّجم، و﴿عَبَسَ﴾، و﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾، و﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾، و﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾، و﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾، و﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ و﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾، و﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ والهُمَزة، والمرسلات و﴿قٓ﴾، و﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾، و﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾، و﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ و﴿صٓ﴾ والجنّ، و﴿يسٓ﴾، والفُرقان والملائكة[(١)]، و﴿طه﴾، والواقعة، و﴿طسٓمٓ﴾ و﴿طسٓ﴾، و﴿طسٓمٓ﴾[(٢)]، وبني إسرائيل، والتاسعة[(٣)]، وهود، ويوسف، وأصحاب الحِجْر، والأنعام، والصَّافَّات، ولقمان، وسبأ، والزُّمر، وحم المؤمن، وحم الدخان، وحم السجدة، وحم عسق [الشورى]، وحم الزخرف، والجاثية، والأحقاف، والذَّاريات، والغاشية، وأصحاب الكهف، والنَّحل، ونوح، وإبراهيم، والأنبياء، والمؤمنون، وألم السجدة، والطُّور، وتبارك، والحاقة، وسأل، و﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾، والنازعات و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾، والرُّوم، والعنكبوت.

وما نزل بالمدينة: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾، والبقرةُ، وآل عمران، والأنفال، والأحزاب، والمائدة، والممتَحنة، والنساء، و﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾، والحديد، ومحمَّد، والرعد، والرحمن، و﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾، والطلاق، و﴿لَمْ يَكُنِ﴾ والحشر، و﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾، والنور، والحجّ، والمنافقون، والمجادلة، والحُجُرات، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾، والصفّ، والجمعة، والتغابن، والفتح، وبراءة.

قال البيهقي: والتاسعة يريد بها سورة يونس. قال: وقد سقط من هذه الرواية: الفاتحة والأعراف، وكهيعص، فيما نزل بمكة.

---

(١) هي سورة فاطر.

(٢) طسم: الأولى: سورة الشعراء، والثانية: سورة القصص، وطس: سورة النمل.

(٣) هي سورة يونس كما سيذكره المصنف قريباً.

قال(١): وقد أخبرنا عليّ بن أحمد بن عَبْدَان، أخبرنا أحمد بن عُبيد الصفّار، حدَّثنا محمد بن الفضل، حدَّثنا إسماعيل بن عبد الله بن زُرارة الرّقِّي، حدَّثنا عبد العزيز بن عبد الرحمن القرشيّ، حدَّثنا خَصيف، عن مجاهد، عن ابن عباس أنه قال:

إنَّ أوَّلَ ما أنزل الله على نبيّه ﷺ من القرآن: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ فذكر معنى هذا الحديث، وذكَر السُّورَ التي سقطت من الرواية الأولى في ذكر ما نزل بمكة، وقال: وللحديث شاهدٌ في تفسير مقاتلٍ وغيره، مع المرسَل الصحيح الذي تقدَّم.

وقال ابن الضُّرَيس(٢) في «**فضائل القرآن**»(٣): حَدَّثنا محمد بن عبد الله بن أبي جعفر الرازي، أنبأنا عَمرو بن هارون، حدَّثنا عثمان بن عطاء الخُراساني، عن أبيه، عن ابن عباس قال: كانت إذا أُنزلت فاتحة سورة بمكة كُتبت بمكة، ثم يزيد الله فيها ما شاء، وكان أوَّل ما أُنزل من القرآن: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾، ثم ﴿نٓ﴾، ثم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾، ثم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾، ثم ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾، ثم ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، ثم ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، ثم ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾، ثم ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾، ثم ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾، ثم ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾، ثم ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾، ثم ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾، ثم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ﴾، ثم ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، ثم ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ﴾، ثم ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، ثم ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾، ثم ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، ثم ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ثم ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ثم والنجم، ثم عبس، ثم ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾، ثم ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾، ثم ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾، ثم ﴿وَٱلتِّينِ﴾، ثم ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾، ثم ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾، ثم ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، ثم ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾، ثم ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾، ثم ﴿قٓ﴾، ثم ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾، ثمَّ ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾، ثم ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾، ثم ﴿صٓ﴾، ثم ﴿ٱلْأَعْرَافِ﴾، ثم ﴿قُلْ أُوحِىَ﴾، ثم ﴿يسٓ﴾، ثم ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾، ثم الملائكة، ثم ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، ثم طه، ثم ﴿ٱلْوَاقِعَةُ﴾، ثم ﴿طسٓمٓ﴾ الشعراء، ثم ﴿طسٓ﴾، ثم ﴿ٱلْقَصَصُ﴾، ثم بني إسرائيل، ثم ﴿يُونُسَ﴾، ثم هود، ثم يوسف، ثم الحِجْر، ثم الأنعام، ثم ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾، ثم لقمان، ثم سبأ، ثم الزمر، ثم ﴿حمٓ﴾ المؤمن، ثم حم ﴿السجدة﴾، ثم حم عسق، ثم حم ﴿الزخرف﴾، ثم ﴿الدخان﴾، ثم ﴿الجاثية﴾، ثم الأحقاف، ثم الذاريات، ثم الغاشية، ثمَّ الكهف، ثم النحل، ثم ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾، ثم سورة إبراهيم، ثم الأنبياء، ثم المؤمنون، ثم تنزيل السجدة، ثم الطور، ثم تبارك الملك، ثم ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾، ثم سأل، ثم ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾، ثم ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾، ثم ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾، ثم ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾، ثم الروم، ثم العنكبوت، ثم ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فهذا ما أنزل الله بمكة.

وأما ما أُنزل بالمدينة: سورة البقرة، ثم الأنفال، ثم آل عمران، ثم الأحزاب، ثم الممتحنة، ثم النساء، ثم ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾، ثم الحديد، ثم القِتال، ثم الرَّعد، ثمَّ الرحمن، ثم الإنسان، ثم الطلاق، ثم

(١) البيهقي في «دلائل النبوة» ٧/ ١٤٣.

(٢) ابن الضُّرَيس: محمد بن أيوب، من حفاظ الحديث (ت: ٢٩٤ هـ). «تذكرة الحفاظ» ٢/ ١٩٥.

(٣) «فضائل القرآن» ص ٣٣ باب فيما نزل من القرآن بمكة، وما نزل بالمدينة.

﴿لَمْ يَكُنْ﴾، ثم الحشر، ثم ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾، ثم النور، ثمَّ الحج، ثمَّ المنافقون، ثم المجادلة، ثم الحجرات، ثم التحريم، ثم الجمعة، ثم التغابن، ثم الصف، ثم الفتح، ثم المائدة، ثم براءة.

وقال أبو عُبيد في «**فضائل القرآن**»(١): حدَّثنا عبد الله بن صالح، ومعاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، قال: نزلت بالمدينة سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، والتوبة، والحجّ، والنور، والأحزاب، و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [محمد ﷺ]، والفتح، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والحواريّين - يريد الصفّ - والتغابن، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾، والفجر، والليل، و﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾، و﴿لَمْ يَكُنْ﴾، و﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾، و﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾، وسائر ذلك بمكة.

وقال أبو بكر بن الأنباري: حدَّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدثنا حجَّاج بن مِنْهال، نبأنا هشام عن قتادة، قال: نزل في المدينة من القرآن: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، وبراءة، والرَّعد، والنَّحل، والحجّ، والنور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحجرات، والحديد، والرحمن، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ إلى رأس العشر، و﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ و﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ وسائر القرآن نزل بمكة.

وقال أبو الحسن بن الحصَّار في كتابه «**الناسخ والمنسوخ**»: المدنيّ باتفاقٍ عشرون سورةً، والمختلف فيه اثنتا عشرة سورة، وما عدا ذلك مكيّ باتفاق. ثم نظم في ذلك أبياتاً فقال:

يا سائِلي عن كتاب الله مجتهداً ... وعن ترتّب ما يُتْلَى من السُّوَرِ
وكيفَ جاء بها المُختارُ من مُضَرٍ ... صلَّى الإله على المختارِ من مُضَرِ
وما تقدّم منها قبل هجرته ... وما تأخّر في بَدْوٍ وفي حَضَرِ
ليَعلم النَّسخَ والتخصيص مجتهدٌ ... يؤيد الحُكْم بالتاريخ والنَّظَرِ
تعارضَ النَّقل في أُمّ الكتاب وقدْ ... تُؤوِّلَتِ الحِجْر تنبيهاً لمعتَبِرِ
أُمّ القرآن وفي أُم القرى نَزَلَتْ ... ما كان للخمس قبل الحمد من أثَرِ
لو كان ذاك لكان النَّسخُ أولها ... ولم يقل بصريحِ النسخِ من بَشَرِ(٢)
وبعد هِجْرَةِ خيرِ النَّاسِ قَدْ نَزَلَتْ ... عشرون من سُوَر القرآن في عَشَرِ
فأَرْبَعٌ من طوال السَّبْع أَوَّلُها ... وخامس الخمس في الأنفال ذي العِبَرِ
وتوبة الله إن عُدّتْ فسادسةٌ ... وسورة النور والأحزاب ذي الذكر
وسورة لنبيّ الله محكمةٌ ... والفتحُ والحُجرات الغرُّ في غُرَرِ

---

(١) «فضائل القرآن» ص ٣٦٥.

(٢) نبّه على سقوط هذا البيت محققُ «الإتقان» الأستاذ أبو الفضل إبراهيم.

ثم الحديدُ ويتلوها مُجادلةٌ / والحشر ثم امتحان الله للبَشَرِ
وسورةٌ فضحَ الله النِّفاقَ بها / وسورة الجُمع تذكارٌ لمُدَّكِرِ
وللطَّلاقِ وللتَّحريم حكمُهُما / والنَّصر والفتح تنبيهاً على العُمُرِ
هذا الذي اتَّفقتْ فيه الرُّواة لَهُ / وقد تعارضَتِ الأخبار في أُخَرِ
فالرَّعد مختَلفٌ فيها متى نزلتْ / وأكثر الناس قالوا: الرَّعد كالقَمَرِ
ومثلُها سورة الرَّحْمَنِ شاهدُها / ممَّا تضمن قول الجنّ في الخَبرِ
وسورةٌ للحواريّين قد عُلِمتْ / ثمَّ التَّغابُن والتَّطفيف ذو النُّذُرِ
وليلةَ القَدْرِ قد خُصَّتْ بملَّتِنا / ولم يكن بعدها الزّلزال فاعتَبرِ
وقل هو الله من أوصاف خالِقنا / وعُوذتان تردّ البأسَ بالقدرِ
وذا الذي اختلفتْ فيه الرُّواة له / وربما استُثنيتْ آيٌ من السُّوَرِ
وما سوى ذاكَ مَكِّيٌّ تَنَزُّلُهُ / فلا تكن من خلافِ النَّاس في حَصَرِ
فليسَ كلُّ خلافٍ جاء معتَبراً / إلاَّ خلافٌ له حَظٌّ من النَّظَرِ

فصل: في تحرير السور المختلَف فيها

○ (**سورة الفاتحة**): الأكثرون على أنَّها مكيَّة، بل ورد أنَّها أولُ ما نزل كما سيأتي في النوع الثامن، واستدلَّ لذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ [الحجر: ٨٧]. وقد فَسَّرها ﷺ بالفاتحة كما في الصحيح [البخاري: ٤٤٧٤، وأحمد: ١٥٧٣٠]. وسورة الحجر مكيَّة باتفاق، وقد امتنَّ على رسوله فيها بها، فدلَّ على تقدُّم نزول الفاتحة عليها، إذْ يبعُد أنْ يمتَنَّ عليه بما لم ينزل بعد، وبأنَّه لا خلاف أنَّ فرض الصلاة كان بمكة، ولم يحفظ أنه كان في الإسلام صلاة بغير الفاتحة، ذكره ابن عطيّة وغيرُهُ.

وقد روَى الواحدي[(١)] والثعلبي من طريق العَلاء بن المسيَّب، عن الفضل بن عَمرو، عن عليّ بن أبي طالب قال: نزلت فاتحة الكتاب بمكّة من كنزٍ تحت العرش.

واشتهر عن مجاهد القول بأنَّها مدنيَّة. أخرجه الفِرْيابي في «**تفسيره**»، وأبو عُبيد في «**الفضائل**»[(٢)] بسند صحيح عنه.

قال الحسين بن الفضل: هذه هَفْوةٌ من مجاهد؛ لأن العلماء على خلاف قوله، وقد نقل ابنُ عطيّة القولَ بذلك عن الزُّهريّ وعطاء وَسَوادةَ بنِ زياد وعبد الله بن عُبيد بن عُمير.

ووَرَدَ عن أبي هريرة بإسناد جيد، قال الطَّبراني في «الأوسط» [٤٧٨٥، ورجاله رجال الصحيح]: حدَّثنا عبيد بن

(١) في «أسباب النزول» ص ١٧.
(٢) «فضائل القرآن» ص ٣٦٧.

غنَّام، نبأنا أبو بكر بن أبي شيبة، نبأنا أبو الأحْوَصِ، عن منصور، عن مجاهد، عن أبي هريرة: «**أنَّ إبليس رنَّ**[١]، **حين أُنزِلت فاتحة الكتاب، وأُنزلت بالمدينة**» ويحتمل أن الجملة الأخيرة مدرجة من قول مجاهد.

وذهب بعضهم إلى أنَّها نزلت مرَّتين: مرَّة بمكة ومرةً بالمدينة؛ مبالغةً في تشريفها.

وفيها قول رابع: أنها نزلت نصفين؛ نصفها بمكة ونصفها بالمدينة، حكاه أبو الليث السَّمَرْقَنْدي[٢].

☾ **(سورة النساء)**: زعم النحَّاس أنها مكية، مستنداً إلى أن قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ﴾ الآية [٥٨] نزلت بمكَّة اتفاقاً في شأن مفتاح الكعبة، وذلك مستَنَدٌ واهٍ؛ لأنَّه لا يلزم من نزول آية أو آياتٍ من سورة طويلة نزل معظمها بالمدينة أنْ تكون مكيَّة، خصوصاً أنَّ الأرجح أنَّ ما نزل بعد الهجرة مدنيّ، ومن راجعَ أسباب نزول آياتها عَرف الردّ عليه. ومما يرد عليه أيضاً ما أخرجه البخاريّ عن عائشة [٤٩٩٣ في سياق حديث] قالت: ما نزلتْ سورة البقرة والنساء إلَّا وأنا عنده. ودخولُها عليه كان بعد الهجرة اتفاقاً. وقيل: نزلت عند الهجرة.

☾ **(سورة يونس)**: المشهور أنَّها مكيّة، وعن ابن عباس روايتان، فتقدَّم في الآثار السابقة عنه أنَّها مكيَّة. وأخرجه ابن مردويه من طريق العَوْفيّ عنه، ومن طريق ابن جُريج عن عطاء عنه، ومن طريق خَصيف، عن مجاهد، عن ابن الزبير.

وأخرج من طريق عثمانَ بنِ عطاء، عن أَبيه، عن ابن عبَّاس أنَّها مدنيَّة، ويؤيد المشهور ما أخرجه ابن أبي حاتم[٣] من طريق الضّحاك عن ابن عباس قال: لما بعثَ الله محمداً رسولاً أنكرت العربُ ذلك ـ أو من أنكر ذلك منهم ـ فقالوا: الله أعظم من أنْ يكون رسوله بشَراً، فأنزل الله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ الآية [٢].

☾ **(سورة الرعد)**: تقدَّم من طريق مجاهد عن ابن عباس، وعن عليّ بن أبي طلحة: أنَّها مكية، وفي بقية الآثار أنَّها مدنيَّة.

وأخرج أبو الشيخ مثله عن قتادة، وأخرج الأول عن سعيد بن جبير.

وقال سعيد بن منصور في «سننه»: حدَّثنا أبو عَوانة، عن أبي بِشر قال: سألتُ سعيد بن جُبير عن قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣] أهو عبد الله بن سَلَام؟ فقال: كيف وهذه السورة مكيَّة!؟

ويؤيد القولَ بأنَّها مدنيَّة: ما أخرجه الطبراني [في «الكبير»: ١٠٧٦٠ وإسناده ضعيف] وغيرُه عن أنس: أن قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾ [الرعد: ٨ ـ ١٣] نزل في قصة أربد بن قَيْس وعامر بن الطُّفيل حين قدما المدينة على رسول الله ﷺ. والذي يجمع به بين الاختلاف: أنَّها مكيَّة إلَّا آياتٍ منها.

---

(١) قال ابن الأثير: الرنين: الصوت، وقد رَنَّ يَرِنُّ رنيناً. «النهاية»٢/ ٢٧١.

(٢) السمرقندي: نصر بن محمد، علامة من أئمة الحنفية (ت: ٣٧٣ هـ). «الفوائد البهية» ٢٢٠.

(٣) في «تفسيره» ٦/ ١٩٢٢ (١٠١٩٣) يونس: ٢.

(سورة الحج): تقدّم من طريق مجاهد، عن ابن عبّاس: أَنَّها مكيَّة إِلَّا الآيات التي استثناها، وفي الآثار الباقية: أَنَّها مدنية.

وأخرج ابن مردويه من طريق العَوْفي، عن ابن عباس. ومن طريق ابن جُرَيج وعثمان، عن عطاء عن ابن عباس، ومن طريق مجاهد عن ابن الزبير: أَنَّها مدنية.

قال ابن الفَرَس في «**أحكام القرآن**»[1]: وقيل: إِنَّها مكيَّة إِلَّا: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ الآيات. وقيل: إِلَّا عشر آيات. وقيل: مدنيَّة إِلَّا أربع آيات: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ إلى ﴿عَقِيمٍ﴾ [٥٢ ـ ٥٥]. قاله قتادة وغيره. وقيل: كلّها مدنية، قاله الضحاك وغيره، وقيل: هي مختلطة؛ فيها مدنيّ ومكيّ، وهو قول الجمهور. انتهى.

ويؤيد ما نسبه إلى الجمهور: أنَّه ورد في آياتٍ كثيرة منها أنَّه نزل بالمدينة، كما حررناه في «**أسباب النزول**»[2].

(**سورة الفرقان**): قال ابن الفَرَس: الجمهور على أَنَّها مكيَّة، وقال الضحاك: مَدنيَّة.

(**سورة يس**): حكى أبو سليمان الدِّمشقيّ[3] له قولاً: أنها مدنيَّة، قال: وليس بالمشهور.

(**سورة ص**): حكى الجَعْبَري قولاً أَنَّها مدنية، خلافَ حكايةِ جماعة الإجماع على أَنَّها مكية.

(**سورة محمد**): حكى النَّسفي[4] قولاً غريباً: أَنَّها مكية.

(**سورة الحُجُرات**): حُكِي قولٌ شاذ أَنَّها مكية.

(**سورة الرحمن**): الجمهور على أَنَّها مكيّة، وهو الصواب، ويدلُّ له ما رواه الترمذيّ [٣٢٩١] والحاكم [(٢/ ٤٧٣) وهو حسن] عن جابر قال: لَمَّا قرأ رسولُ الله ﷺ على أصحابه سورة الرحمن حتى فرَغ. قال: «**مالي أراكم سكوتاً؟ لَلْجِنُّ كانوا أحسنَ منكم ردًا، ما قرأتُ عليهم من مرَّة: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إِلَّا قالوا: ولا بشيء من نِعَمِك ربَّنا نُكَذِّب، فلك الحمد**». قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. وقصَّة الجن كانت بمكة.

وأَصرَحُ منه في الدلالة ما أخرجه أحمد في «**مسنده**» [٢٦٩٥٥] بسند جيِّد: عن أسماء بنت أبي بكر قالت: سمعت رسول الله ﷺ وهو يصلِّي نحو الركن قبل أن يَصْدَعَ بما يُؤْمَرُ، والمشركون يسمعون: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. وفي هذا دليل على تقدُّم نزولها على سورة الحِجْر.

(**سورة الحديد**): قال ابن الفَرَس: الجمهور على أَنَّها مدنيَّة، وقال قوم: إنها مكيّة، ولا خلاف أنَّ فيها قرآناً مدنيًّا؛ لكن يشبه صدرُها أن يكون مَكيًّا.

---

(١) ابن الفرس: عبد المنعم بن الفَرَس، قاض أندلسي، من فقهاء الحنفية (ت: ٥٩٩ هـ). «قضاة الأندلس» ١١٠، و«سير أعلام النبلاء» ٢١/ ٣٦٤.

(٢) «أسباب النزول» ص ٢١١ سورة الحج.

(٣) هو أيوب بن تميم التميمي المقرئ (ت: ١٩٨ هـ). «معرفة القراء الكبار» ١/ ١٤٨.

(٤) هو عبد الله بن أحمد، أبو البركات، فقيه حنفي، مفسر (ت: ٧١٠هـ). «الفوائد البهية» ١٠١، و«الدرر الكامنة» ٢/ ٢٤٧.

قلت: الأمر كما قال، ففي «**مسند البزَّار**» وغيره عن عمر: أنَّه دخل على أخته قبل أن يُسلم، فإذا صحيفة فيها أول سورة الحديد، فقرأها، وكان سببَ إسلامه.

وأخرج الحاكم [(٢/ ٤٧٩) وهو صحيح] وغيره عن ابن مسعود، قال: لم يكن شيءٌ بين إسلامه وبين أن نزلت هذه الآيةُ يعاتبهم الله بها إلَّا أربعَ سنين: ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ الآية [١٦].

◌ (**سورة الصف**): المختار أنَّها مدنيَّة، ونسبَه ابن الفَرس إلى الجمهور ورجَّحه، ويدل له ما أخرجه الحاكم [(٢/ ٤٨٧)] وغيره عن عبد الله بن سَلَام قال: قعدْنا نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ، فتذاكرنا، فقلنا: لو نعلم أيُّ الأعمال أحبّ إلى الله لعملناه، فأنزل الله سبحانه: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [١، ٢]، حتى خَتمها، قال عبد الله: فقرأها علينا رسول الله ﷺ حتى ختمها.

◌ (**سورة الجمعة**): الصحيح أنَّها مدنيَّة، لِما روى البخاريُّ [٤٨٩٧] عن أبي هُريرة قال: كنَّا جلوساً عند النبيِّ ﷺ، فأنزل عليه سورة الجمعَة: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ [٣].

قلتُ: من هم يا رسول الله؟... الحديث(١). [ومسلم: ٦٤٩٨، وأحمد: ٩٤٠٦].

ومعلوم أنَّ إسلام أبي هريرة بعد الهجرة بمدة. وقولُه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟﴾ [٦]: خطاب لليهود، وكانوا بالمدينة. وآخر السورة نزل في انفضاضهم حالَ الخُطبة لمّا قَدِمَت العِير، كما في الأحاديث الصحيحة [البخاري: ٤٨٩٩، ومسلم: ١٩٩٧، وأحمد: ١٤٣٥٦]، فثبت أنَّها مدنية كلُّها.

◌ (**سورة التغابن**): قيل: مدنية، وقيل: مكية إلَّا آخرها.

◌ (**سورة الملك**): فيها قول غريب: إنَّها مدنيَّة.

◌ (**سورة الإنسان**): قيل: مدنية، وقيل: مكية إلَّا آية واحدة: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [٢٤].

◌ (**سورة المطففين**): قال ابن الفَرَس: قيل: إنها مكية، لذكر الأساطير فيها، وقيل: مدنية؛ لأنَّ أهلَ المدينة كانوا أشدَّ الناس فساداً في الكَيْل.

وقيل: نزلت بمكَّة إلَّا قصة التطفيف. وقال قوم: نزلتْ بين مكَّة والمدينة. انتهى.

قلت: أخرج النسائيّ وغيرُه بسند صحيح عن ابن عباس قال: لما قَدِم النبيّ ﷺ المدينة كانوا من أخبث النَّاس كيلاً، فأنزل الله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فأحسَنُوا الكيل. [حسن: ابن ماجه: ٢٢٢٣، وابن حبان: ٤٩١٩، والطبراني في «الكبير»: ١٢٠٤١].

◌ (**سورة الأعلى**): الجمهور على أنها مكيَّة، قال ابن الفَرَس: وقيل: إنَّها مدنيَّة، لذكر صلاة العيد وزكاة الفطر فيها.

قلت: ويردُّه ما أخرجه البخاريّ [٤٩٤١] عن البَرَاء بن عازب قال: أَوَّل من قَدِم علينا من أَصحاب النبيّ ﷺ مُصعَب بنُ عُمير وابنُ أُمِّ مكتومٍ، فجعلا يُقرئاننا القرآنَ، ثم جاء عمَّارٌ وبلالٌ وسعدٌ، ثم جاء

---

(١) وتمامه: فلم يُرَاجعه حتى سأل ثلاثاً وفينا سلمانُ الفارسيُّ، وَضع رسول الله ﷺ يَدَهُ على سَلْمان، ثم قال: «لو كان الإيمانُ عند الثُّريَّا لَنالَهُ رجالٌ أو رجلٌ من هؤلاء».

عمرُ بنُ الخطاب في عشرين، ثم جاء النبيّ ﷺ، فما رأيتُ أهل المدينة فرِحُوا بشيءٍ فَرَحَهُم به، فما جاء حتى قرأتُ: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ في سُورٍ مثلِها [وأحمد: ١٨٥١٢].

(سورة الفجر): فيها قولان، حكاهما ابن الفَرَس. قال أبو حيان: والجمهور على أنَّها مكية.

(سورة البلد): حكى ابن الفَرس فيها ـ أيضاً ـ قولين، وقولُه: ﴿بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ يرُدُّ القول بأنها مدنية.

(سورة الليل): الأشهر أنَّها مكية، وقيل: مدنية؛ لِما ورد في سبب نزولها من قصة النخلة ـ كما أخرجناه في «أسباب النزول»[1] ـ وقيل: فيها مكيٌّ ومدنيّ.

(سورة القَدْر): فيها قولان، والأكثر أنَّها مكيَّة. ويستدل لكونها مدنية بما أخرجه الترمذيّ [٣٣٥٠] والحاكم [(٣/ ١٧٠)] عن الحسن بن عليّ: أنَّ النبيَّ ﷺ أُريَ بني أمية على منبره، فساءهُ ذلك، فنزلت: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾، ونزلت: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ الحديث. قال المِزيّ: وهو حديث منكر.

(سورة لم يكن): قال ابن الفَرَس: الأشهر أنَّها مكية.

قلت: ويدل لمقابله ما أخرجه أحمد [١٦٠٠٠ وهو صحيح لغيره] عن أبي حَبَّة البدريّ قال: لما نزلتْ: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ إلى آخرها، قال جبريل: يا رسول الله، إنَّ ربك يأمرُك أن تُقرِئها أُبيًّا.. الحديثَ، وقد جزم ابن كثير بأنَّها مدنيّة، واستدلَّ به.

(سورة الزلزلة): فيها قولان، ويستدلُّ لكونها مدنية بما أخرجه ابن أبي حاتم[2]، عن أبي سعيد الخُدريّ قال: لمَّا نزلتْ: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾ الآية، قلت: يا رسول الله، إني لراءٍ عملي..؟ الحديثَ. وأبو سعيد لم يكن إلَّا بالمدينة، ولم يبلغ إلَّا بعد أُحُد.

(سورة العاديات): فيها قولان، ويستدل لكونها مدنية بما أخرجه الحاكم وغيره عن ابن عباس: قال: بعث رسول الله ﷺ خيلاً، فلبثتْ شهراً لا يأتيه منها خبرٌ، فنزلت: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ﴾.. الحديث.

(سورة ألهاكم): الأشهر أنها مكية، ويدل لكونها مدنية ـ وهو المختار ـ ما أخرجه ابن أبي حاتم[3] عن ابن بُريدة: أنها نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار تفاخروا.. الحديثَ.

وأخرج[4] عن قتادة أنَّها نزلتْ في اليهود.

وأخرج البخاري [٦٤٣٩] عن أُبيّ بن كعب قال: كنا نُرَى هذا من القرآن ـ يعني «لو كان لابن آدم وادٍ من ذهبٍ» ـ حتى نزلت: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [ومسلم: ٢٤١٥، وأحمد: ١٢٢٢٨].

وأخرج الترمذيّ [٣٣٥٥] عن عليّ قال: ما زلنا نشُكُّ في عذاب القبر حتى نزلت. وعذاب القبر لم يذكر إلَّا بالمدينة كما في الصحيح في قصة اليهوديّة [البخاري: ١٣٧٢، ومسلم: ١٣٢١، وأحمد: ٢٥٤١٩].

---

(١) «أسباب النزول» ص ٣٥٩ سورة الليل.

(٢) في «تفسيره» ١٠/ ٣٤٥٦ (١٩٤٣٩) الزلزلة: آخر آية.

(٣) في «تفسيره» ١٠/ ٣٤٥٩ (١٩٤٥٣).

(٤) ابنُ أبي حاتم ١٠/ ٣٤٦٠ (١٩٤٥٧).

(سورة أرأيت): فيها قولان، حكاهما ابن الفَرَس.

(سورة الكوثر): الصواب أنَّها مدنية، ورجَّحه النوويّ في «شرح مسلم» لما أخرجه مسلم [٨٩٤] عن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ بين أظهُرنا، إذ أَغْفَى إغفاءةً، فرفع رأسه مُتبسِّماً، فقال: «أُنزلت عليَّ آنفاً سورة» فقرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ الْكَوْثَرَ﴾ حتى ختمها.. الحديثَ.

(سورة الإخلاص): فيها قولان، لحديثين في سبب نزولها متعارضين. وجمع بعضهم بينهما بتكرُّر نزولها، ثم ظَهَر لي بعدُ ترجيحُ أنها مدنيَّة، كما بينته في «أسباب النزول».

(المعوّذتان): المختار أنَّهما مدنيَّتان، لأنَّهما نزلتا في قصة سِحر لَبيد بن الأعصم، كما أخرجه البيهقي في «الدلائل». [(٧/ ٩٤)].

فصل: قال البيهقي في «الدلائل» [(٧/ ١٤٤)]: في بعض السُّور التي نزلت بمكة آياتٌ نزلت بالمدينة، فأُلحقت بها.

وكذا قال ابن الحَصَّار: وكلّ نوع من المكيّ والمدنيّ منه آيات مستثناة، قال: إلَّا أنَّ من الناس مَن اعتمد في الاستثناء على الاجتهاد دون النقل.

فصل: في ذكر ما استثني من المكيّ والمدنيّ

وقال ابن حجر في «شرح البخاري»(١): قد اعتنى بعضُ الأئمة ببيان ما نزل من الآيات بالمدينة في السور المكية. قال: وأما عكس ذلك، وهو نزول شيء من سورةٍ بمكة، تأخر نزول تلك السورة إلى المدينة، فلم أره إلَّا نادراً.

قلت: وها أنا أذكر ما وقفتُ على استثنائه من النوعين، مستوعباً ما رأيته من ذلك على الاصطلاح الأوَّل دون الثاني، وأُشير إلى أدلَّة الاستثناء لأجل قول ابن الحصَّار السابق، ولا أذكر الأدلَّة بلفظها؛ اختصاراً، وإحالة على كتابنا «أسباب النزول».

(الفاتحة): تقدّم قولٌ أن نصفها نزل بالمدينة، والظَّاهر أنَّه النصف الثاني، ولا دليل لهذا القول.

(البقرة): استُثْنِيَ منها آيتان: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ [١٠٩]، و﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ [٢٧٢].

(الأنعام): قال ابنُ الحَصَّار: استُثني منها تسعُ آيات، ولا يصحّ به نقل، خصوصاً قد ورد أنَّها نزلت جملة.

قلت: قد صحَّ النقل عن ابن عباس باستثناء: ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ الآيات الثلاث [١٥١ ـ ١٥٣]. كما تقدم، والبواقي: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [٩١]، لما أخرجه ابن أبي حاتم(٢) أنها نزلت في مالك بن الصّيف، وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ الآيتين [٩٣، ٩٤]، نَزَلَتا في مُسَيْلمة. وقوله: ﴿الَّذِينَ

---

(١) «فتح الباري» كتاب «فضائل القرآن» ١٠/ ٣٤ (٤٩٩٣). (٢) في «تفسيره» ٤/ ١٣٤٢ (٧٥٩٧) الأنعام: ٩١.

ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾ [٢٠]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [١١٤].

وأخرج أبو الشيخ عن الكلبيّ قال: نزلت الأنعام كلُّها بمكة إلَّا آيتين نزلتا بالمدينة في رجل من اليهود، وهو الذي قال: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ [٩١].

وقال الفِرْيابيّ: حدَّثنا سُفيان، عن ليث عن بِشْر قال: الأنعام مكية إلَّا: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ﴾ [١٥١] والآية التي بعدها.

◌ **(الأعراف)**: أخرج أبو الشيخ بن حَيَّان عن قَتادة قال: الأعراف مكيّة إلّا آية: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [١٦٣]. وقال غيره: من هنا إلى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [١٧٢] مدنيّ.

◌ **(الأنفال)**: استثني منها: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآية [٣٠]. قال مقاتل: نزلت بمكة.

قلت: يردّه ما صحَّ عن ابن عباس: أنَّ هذه الآية بعينها نزلت بالمدينة، كما أخرجناه في «**أسباب النزول**»(١)، واستثنى بعضُهم قولَه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ الآية [٦٤] وصحَّحه ابن العربيّ وغيره(٢).

قلت: يؤيده ما أخرجه البزار عن ابن عباس: أنها نزلت لمَّا أسلم عُمر.

◌ **(براءة)**: قال ابن الفَرس: مدنيَّة إلَّا آيتين: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ إلى آخرها [١٢٨ ـ ١٢٩].

قلت: غريب، كيف وقد ورد أنها آخر ما نزل!؟.. واستثنى بعضهم: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ﴾ الآية [١١٣]، لِمَا وَرد أنها نزلت في قوله عليه الصلاة والسلام لأبي طالب: «**لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك**». [البخاري: ١٣٦٠، ومسلم: ١٣٢، وأحمد: ٢٣٦٧٤].

◌ **(يونس)**: استُثني منها: ﴿فإن كنت في شك..﴾ الآيتين [٩٤ و٩٥]، وقولُه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ . . .﴾ الآية [٤٠] قيل: نزلت في اليهود. وقيل: من أوّلها إلى رأس أربعين مكيٌّ، والباقي مدنيّ. حكاه ابن الفرس، والسخاويّ في «**جمال القرّاء**»(٣).

◌ **(هود)**: استُثني منها ثلاث آيات: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ﴾ [١٢]، ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [١٧]، ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ﴾ [١١٤].

قلت: دليل الثالثة ما صحَّ من عدة طرق: أنَّها نزلت بالمدينة في حق أبي اليَسَر [البخاري: ٥٢٦، ومسلم: ٧٠٠١، وأحمد: ٣٦٥٣].

◌ **(يوسف)**: استُثني منها ثلاثُ آياتٍ من أوّلها، حكاه أبو حيان، وهو واهٍ جدًّا لا يُلتفت إليه.

◌ **(الرعد)**: أخرج أبو الشيخ عن قتادة قال: سورة الرعد مدنية إلَّا آية، قوله: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ﴾ [٣١]. وعلى القول بأنَّها مكية، يستثنى قوله: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ إلى قوله: ﴿شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [٨ ـ ١٣] كما تقدم، والآية آخرها. فقد أخرج ابن مَردُويه عن جُنْدب قال: جاء عبد الله

---

(١) ص ١٧٧ رقم (٥٢٤) الأنفال: ٣٠.
(٢) انظر «الناسخ والمنسوخ» لهبة بن سلامة ص ٧١.
(٣) ١/١٢٢.

ابن سَلَام حتى أخذ بعضَادَتي باب المسجد، قال: أنشدكم بالله أيْ قوم، أتعلمون أني الذي أُنزلت فيه: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾؟ [٤٣]. قالوا: اللهمَّ نعم.

(إبراهيم): أخرج أبو الشيخ عن قتادة قال: سورة إبراهيم مكيَّة غير آيتين مدنيتين: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ إلى ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ [٢٨ ـ ٢٩].

(الحجر): استثنى بعضهم منها: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا﴾ الآية [٨٧].

قلت: وينبغي استثناء قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ﴾ الآية [٢٤]، لِمَا أخرجه الترمذي [٣١٢٢] وغيره في سبب نزولها، وأنها في صفوف الصلاة [قال الألباني: صحيح].

(النحل): تقدَّم عن ابن عباس أنَّه استثني آخرها. وسيأتي في السَّفريّ ما يؤيده. وأخرج أبو الشَّيخ عن الشعبيّ، قال: نزلت النحل كُلُّها بمكَّة إلَّا هؤلاء الآيات: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ [١٢٦] إلى آخرها.

وأخرج عن قتادة قال: سورة النحل من قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾ [٤١] إلى آخرها مدني، وما قبلها إلى آخر السورة مكي، وسيأتي في أوَّل ما نزَل: عن جابر بن زيد: أنَّ النحل نزل منها بمكة أربعون، وباقيها بالمدينة. ويردّ ذلك: ما أخرجه أحمد [١٧٩١٨ وإسناده ضعيف]عن عثمان بن أبي العاص في نزول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [٩٠] وسيأتي في نوع الترتيب.

(الإسراء): استثني منها: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ الآية [٨٥]، لِما أخرج البخاريّ [١٢٥] عن ابن مسعود: أنها نزلت بالمدينة في جواب سؤال اليهود عن الرُّوح. [ومسلم: ٧٠٥٩، وأحمد: ٣٦٨٨].

واستثني منها أيضاً: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [٧٣ ـ ٨١]، وقوله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾ الآية [٨٨]، وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا﴾ الآية [٦٠]، و﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ [١٠٧]، لما أخرجناه في «أسباب النزول»(١).

(الكهف): استثني من أولها إلى ﴿جُرُزًا﴾ [١ ـ ٨]، وقوله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ الآية [٢٨]، و﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [١٠٧] إلى آخر السورة.

(مريم): استثني منها آية السجدة، وقوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [٧١].

(طه): استثني منها: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ الآية [١٣٠].

قلت: ينبغي أن يستثنى آيةٌ أخرى، فقد أخرج البزار وأبو يعلى عن أبي رافع قال: أضاف النبي ﷺ ضيفاً، فأرسلني إلى رجل من اليهود: أنْ أسلفني دقيقاً إلى هلالِ رجب، فقال: لا، إلَّا برهنٍ، فأتيت النبيَّ ﷺ فأخبرته، فقال: «**أمَا والله إنِّي لأمينٌ في السماء أمينٌ في الأرض**». فلم أخرُج من عنده حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [١٣١].

(الأنبياء): استثني منها: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ﴾ [٤٤].

(١) في سورة الإسراء رقم (٦٨٤) و(٧٠٢).

(الحج): تقدم ما يُستثنى منها.

(المؤمنون): استثني منها: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم﴾، إلى قوله: ﴿مُبۡلِسُونَ﴾ [٦٤ ـ ٧٧].

(الفرقان): استثني منها: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ﴾ إلى: ﴿رَّحِيمٗا﴾ [٦٨ ـ ٧٠].

(الشعراء): استثنى ابن عباس منها: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ﴾ [٢٢٤ ـ ٢٢٧] إلى آخرها، كما تقدم. زاد غيره قوله: ﴿أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [١٩٧]. حكاه ابن الفَرَس.

(القصص): استثني منها: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [٥٢ ـ ٥٥]، فقد أخرج الطبراني [«الأوسط»: ٧٦٥٨]، عن ابن عباس: أنَّها نزلت هي وآخر الحديد في أصحاب النجاشيّ الذين قَدِموا وشهدوا وقعة أُحُد، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ . . .﴾ الآية [٨٥] لما سيأتي.

(العنكبوت): استثني من أوّلها إلى: ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ [١١] لما أخرجه ابن جرير في سبب نزولها(١).

قلت: ويضمّ إليه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ﴾ الآية [٦٠]، لما أخرجه ابن أبي حاتم في سبب نزولها.

(لقمان): استثنى منها ابنُ عباس: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [٢٧ ـ ٢٩] الآيات الثلاث كما تقدم.

(السجدة): استثنى منها ابنُ عباس: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا . . .﴾ [١٨ ـ ٢٠] الآيات الثلاث كما تقدم. وزاد غيره: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ﴾ [١٦]. ويدلّ له ما أخرجه البزار [«مسنده»: ١٣٦٤] عن بلال قال: كنّا نجلس في المسجد، وناسٌ من الصحابة يصلُّون بعد المغرب إلى العشاء، فنزلت.

(سبأ): استثني منها: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ . . .﴾ الآية [٦]. وروى الترمذي [٣٢٢٢] عن فَرْوة بن مُسيك المُراديّ قال: أتيتُ النبيّ ﷺ فقلت: يا رسول الله، ألا أقاتلُ مَنْ أدبرَ مِنْ قومي..؟ الحديثَ، وفيه: وأُنزِلَ في سبأٍ ما أُنزِلَ، فقال رجل: يا رسول الله، وما سبأ؟... الحديث. [وأبو داود: ٣٩٨٨ قال الألباني: حسن صحيح].

قال ابنُ الحَصَّار: هذا يدلُّ على أنَّ هذه القصة مدنيّة؛ لأنَّ مهاجَرة فروة بعد إسلام ثَقيف سنة تسعٍ.

قال: ويحتمل أن يكون قوله: (وأنزل) حكايةً عمَّا تقدَّم نزوله قبل هجرته.

(يس): استثني منها: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ الآية [١٢]. لِمَا أخرجه الترمذيّ [٣٢٢٦] والحاكم [(٢/٤٢٨) وهو صحيح] عن أبي سعيد، قال: كانت بنو سَلِمَةَ في ناحيةِ المدينة، فأرادوا النُّقْلَة إلى قُرْبِ المسجد، فنزلت هذه الآيةُ. قال النبيّ ﷺ: «**إن آثاركم تُكْتَبُ**». فلم ينتقلوا.

واستثنى بعضهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ أَنفِقُواْ﴾ الآية [٤٧]، قيل: نزلت في المنافقين.

(الزمر): استُثني منها: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ . . .﴾ [٥٣ ـ ٥٥] الآيات الثلاث، كما تقدم عن ابن عباس.

---

(١) «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٣٣ العنكبوت: ١١.

وأخرج الطبراني [في «الكبير»: ١١٤٨٠] من وجه آخر عنه: أنها نزلت في وحشيٍّ قاتلِ حمزة، وزاد بعضهم: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ﴾ [١٠] الآية، ذكره السخاوي في «**جمال القرّاء**»[(١)]. وزاد غيره: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ الآية [٢٣]، وحكاه ابن الجزريّ.

(**غافر**): استثني منها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾ إلى قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٥٦ ـ ٥٧]. فقد أخرج ابن أبي حاتم[(٢)] عن أبي العالية وغيره: أنها نزلت في اليهود لَمَّا ذكروا الدجال، وأوضحتُه في «**أسباب النزول**».

(**الشورى**): استُثني منها: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿بَصِيرٌ﴾ [٢٤ ـ ٢٧].

قلت: بدلالة ما أخرجه الطَّبراني [في «الكبير»: ١٢٣٨٤] والحاكم [(٢/ ٤٤٢)] في سبب نزولها، فإنَّها نزلت في الأنصار. وقولُه: ﴿وَلَوْ بَسَطَ﴾ الآية [٢٧] نزلت في أصحاب الصُّفَّة.

واستثنى بعضهم: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ﴾ إلى قوله: ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾ [٣٩ ـ ٤١] حكاه ابن الفَرَس.

(**الزخرف**): استثني منها: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾ الآية [٤٥]. قيل: نزلت بالمدينة، وقيل: في السماء.

(**الجاثية**): استُثني منها: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية [١٤]. حكاه في «**جمال القرّاء**»[(٣)] عن قتادة.

(**الأحقاف**): استثني منها: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [١٠] الآية، قد أخرج الطَّبراني [في «الكبير»: (١٨/ ٨٣)] **بسندٍ صحيح**، عن عَوْف بن مالك الأشْجعيّ: أنَّها نزلت بالمدينة في قصَّة إسلام عبد الله بن سَلَام. وله طرق أُخرى، لكن أخرج ابن أبي حاتم عن مسروق قال: أنزلت هذه الآية بمكة، إنما كان إسلامُ ابن سلَام بالمدينة، وإنما كانت خصومةً خاصم بها محمَّداً ﷺ. وأخرج عن الشعبيّ قال: ليس بعبد الله بن سلَام، وهذه الآية مكية.

واستثنى بعضهم: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [١٥] الآيات الأربع. وقولَه: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ﴾ الآية [٣٥]. حكاه في «**جمال القرّاء**»[(٤)].

(**ق**): استثني منها: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ إلى ﴿لُّغُوبٍ﴾ [٣٨]، فقد أخرج الحاكم [(٢/ ٤٦٥)] وغيره أنَّها نزلت في اليهود.

(**النجم**): استثني منها: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ﴾ [٣٢] إلى ﴿ٱتَّقَىٰٓ﴾، وقيل: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾ [٣٣] الآيات التسع.

(**القمر**): استثني منها: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾ [٤٥]. هو مردود لما سيأتي في النوع الثاني عشر. وقيل: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الآيتين [٥٤ ـ ٥٥].

(**الرحمن**): استثني منها: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ﴾ الآية [٢٩]. حكاه في «**جمال القُرَّاء**»[(٥)].

---

(١) ١/ ١٣٦.

(٢) في «تفسيره»١٠/ ٣٢٦٨ (١٨٤٤١) غافر: ٥٦.

(٣) ١/ ١٣٨ سورة الجاثية.

(٤) ١/ ١٣٩ سورة الأحقاف.

(٥) ١/ ١٤٢.

◌ (الواقعة): استثني منها: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ [٣٩ ـ ٤٠].

وقوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾، إلى ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ [٧٥ ـ ٨٢]، لما أخرجه مسلم [٢٣٤] في سبب نزولها. [والبخاري: ٨٤٦، وأحمد: ١٧٠٦١].

◌ (الحديد): يستثنى منها على القول بأنها مكية آخرها.

◌ (المجادلة): استثني منها: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ الآية [٧]، حكاه ابن الفَرَس وغيره.

◌ (التغابن): يستثنى منها على أنها مَكيّة آخرُها، لما أخرجه الترمذي [٣٣١٧] والحاكم [(٢/ ٤٩٠) وهو صحيح] في سبب نزولها.

◌ (التحريم): تقدَّم عن قتادة أنَّ المدنيّ منها إلى رأس العشر، والباقي مكيّ.

◌ (تبارك): أخرجَ جُوَيْبِر في «تفسيره» عن الضَّحاك، عن ابن عباس قال: أنزلت ﴿تَبَارَكَ﴾ الملك في أهل مكة إلَّا ثلاث آيات.

◌ (ن): استثني منها: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾، إلى ﴿يَعْلَمُونَ﴾ [١٧ ـ ٣٣]، ومن ﴿فَٱصْبِرْ﴾ إلى ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [٤٨ ـ ٥٠]. فإنه مدنيّ، حكاه السخاوي في «جمال القراء»(١).

◌ (المزّمّل): استثني منها: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ الآيتين [١٠ ـ ١١]، حكاه الأصبهاني، وقولُه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ﴾ [٢٠] إلى آخر السورة، حكاه ابن الفرس، ويردُّه ما أخرجه الحاكم [(٢/ ٥٠٤) وهو ضعيف] عن عائشة: أنه نزل بعد نزول صدر السورة بسنة، وذلك حين فرض قيام الليل في أوّل الإسلام، قبل فرض الصلوات الخمس.

◌ (الإنسان): استثني منها: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [٢٤].

◌ (المرسلات): استثني منها: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾ [٤٨] حكاه ابن الفَرَس، وغيره.

◌ (المطففين): قيل: مكية إلّا ست آيات من أولها.

◌ (البلد): قيل: مدنية إلّا أربعَ آيات من أولها.

◌ (الليل): قيل: مكية إلّا أولها.

◌ (أرأيت): نزل ثلاث آيات من أولها بمكة، والباقي بالمدينة.

ضوابط في المكي والمدنيّ

أخرج الحاكم في «مستدركه» [(٣/ ٢٠)] والبيهقي في «الدلائل»، والبزّار في «مسنده»: من طريق الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال: ما كان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أُنزلَ بالمدينة، وما كان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فبمكة.

وأخرجه أبو عُبيد في «الفضائل»(٢) عن علقمة مرسلاً.

---

(١) ١/ ١٤٥ سورة القلم.

(٢) «فضائل القرآن» ص ٣٦٧.

وأخرج عن ميمون بن مهران قال: ما كان في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أو: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ فإنّه مكيّ، وما كان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فإنّه مدنيّ.

قال ابن عطية وابن الفرس وغيرهما: هو في ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ صحيح، وأمّا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فقد يأتي في المدنيّ.

وقال ابنُ الحَصَّار: قد اعتنى المتشاغلون بالنسخ بهذا الحديث، واعتمدوه على ضعفه، وقد اتفق الناس على أنَّ (**النساء**) مدنيَّة، وأولها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ وعلى أنَّ (**الحج**) مكية؛ وفيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ﴾ [٧٧].

وقال غيره: هذا القول إن أُخِذَ على إطلاقه فيه نظر، فإنَّ سورة البقرة مدنية، وفيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [٢١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [١٦٨]. وسورة النساء مدنية، وأولها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾.

وقال مكيّ: هذا إنّما هو في الأكثر، وليس بعامّ، وفي كثير من السور المكيَّة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾.

وقال غيرُهُ: الأقرب حملُه على أنَّه خطاب، المقصود به أو جلُّ المقصود به أهل مكة أو المدينة.

وقال القاضي: إن كان الرجوع في هذا إلى النقل فمُسلَّمٌ، وإن كان السبب فيه حصولَ المؤمنين بالمدينة على الكثرة دون مكة فضعيفٌ؛ إذ يجوز خطاب المؤمنين بصفتهم وباسمهم وجنسهم. ويؤمر غير المؤمنين بالعادة كما يؤمر المؤمنون بالاستمرار عليها والازدياد منها. نقله الإمام فخر الدين في «**تفسيره**».

وأخرج البيهقي في «**الدلائل**» [(٧/ ١٤٤)] من طريق يونُس بن بُكَير، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: كل شيء نزل من القرآن فيه ذكرُ الأُمم والقُرون فإنما نزل بمكة، وما كان من الفرائض والسنن فإنما نزل بالمدينة.

وقال الجعبريّ: لمعرفة المكي والمدني طريقان: سماعيٌّ وقياسيٌّ:

فالسماعيّ: ما وصل إلينا نزولُه بأحدهما.

والقياسيّ: كل سورة فيها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فقط، أو: ﴿كَلَّآ﴾، أو: أوَّلها حرفُ تهجّ سوى الزَّهْرَاوَيْن والرعد، أو فيها قصة آدم وإبليس سوى البقرة فهي مكيَّة. وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأُمم الخالية مكيّة، وكل سورة فيها فريضة أو حدٌّ فهي مدنيَّة. انتهى.

وقال مكيّ: كلّ سورة فيها ذكر المنافقين فمدنيّة؛ زاد غيره: سوى العنكبوت.

وفي «**كامل الهذليّ**»: كلّ سورة فيها سَجْدة فهي مكيّة.

وقال الدَّيْرِينيّ رحمه الله(١).

وما نزلتْ «كلاّ» بيثرب فاعلَمَنْ ... ولم تأتِ في القرآن في نصفه الأعْلَى

وحكمة ذلك: أنَّ نصفَه الأخير نزل أكثرُه بمكَّة، وأكثرها جبَابرة، فتكرَّرت فيه على وجه التهديد والتعنيف لهم، والإنكار عليهم، بخلاف النصف الأول. وما نزل منه في اليهود لم يحتج إلى إيرادها فيه لذلتهم وضعفِهم، ذكره العُمانيّ.

---

(١) الديريني: عبد العزيز بن أحمد، فقيه شافعي مصري (ت: ٦٩٤هـ). «طبقات الشافعية» ٥/ ٧٥.

فائدة: أخرج الطبراني [في «الأوسط»: ٦٣٤٠ وفي سنده ضعيف] عن ابن مسعود: نزل المفصَّلُ بمكة، فمكثنا حِجَجاً نقرؤه، لا ينزلُ غيرُه.

تنبيه: قد تبين بما ذكرناه من الأوجه التي ذكرها ابن حبيب: المكيّ والمدنيّ، وما اختُلف فيه، وترتيب نزول ذلك، والآيات المدنيَّات في السور المكية، والآيات المكيَّات في السور المدنية، وبقي أوجهٌ تتعلَّق بهذا النوع ذكَر هو أمثلتَها، فنذكرُها وأمثلتَها:

* مثالُ ما نزل بمكَّة وحكمُه مدنيّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾ الآية [الحجرات: ١٣] نزل بمكة يوم الفتح، وهي مدنيَّة؛ لأنها نزلت بعد الهجرة، وقوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: ٢] كذلك.

قلت: وكذا قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]. في آيات أُخَر.

* ومثال ما نزل بالمدينة وحكمه مكيّ: سورة الممتحنة؛ فإنَّها نزلتْ بالمدينة مخاطِبةً لأهل مكة.

وقوله في النحل: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ [٤١] إلى آخرها، نزل بالمدينة مخاطِباً به أهلَ مكة.

وصدْر براءة، نزل بالمدينة خطاباً لمشركي أهل مكة.

* ومثال ما يشبه تنزيل المدني في السور المكية: قوله في النجم: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ [٣٢]، فإنَّ الفواحش كلُّ ذنب فيه حَدٌّ، والكبائر كلّ ذنب عاقبتُه النارُ، واللَّمَمُ ما بين الحدّين من الذنوب. ولم يكن بمكة حدٌّ، ولا نحوه.

* ومثال ما يشبه تنزيل مكة في السور المدنية: قوله: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا﴾، وقوله في الأنفال: ﴿وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ﴾ الآية [٣٢].

* ومثال ما حُمِل من مكة إلى المدينة سورة يوسف والإخلاص.

قلت: وسبّح، كما تقدم في حديث البخاري.

* ومثال ما حُملَ من المدينة إلى مكة: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وآية الربا، وصدر براءة، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ الآيات [النساء: ٩٧].

* ومثال ما حُمِلَ إلى الحبشة: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ﴾ الآيات [آل عمران: ٦٤].

قلت: صحّ حملُها إلى الرُّوم [البخاري: ٧، ومسلم: ٤٦٠٧، وأحمد: ٢٣٧٠][(١)].

وينبغي أن يمثَّل لِمَا حُمِل إلى الحبشة بسورة مريم، فقد صحَّ أن جعفر بن أبي طالب قرأها على النَّجاشيّ، وأخرجه أحمد في «**مسنده**». [٢٢٤٩٨ وإسناده حسن].

وأمَّا ما نزل بالجُحْفَة والطائف وبيت المقدس والحُديبية؛ فسيأتي في النوع الذي يلي هذا، ويُضَمّ إليه ما نزل بمنى وعرفات وعُسْفان وتَبُوك وبَدْر وأُحُد وحِرَاء وحمراءِ الأسد.

---

(١) والشاهد في الحديث قوله ﷺ في نَصِّ كتابه إلى هرقل: من محمدٍ عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم. سلامٌ على من اتبع الهدى. أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤتِكَ اللهُ أجرك مرتين، فإن تولَّيْتَ فإن عليك إثْمَ الأرِيسِيِّينَ، و﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]

النوع الثاني

في معرفة الحضري والسفري

أمثلة الحضري كثيرة.

وأما السَّفري: فله أمثلة تتبَّعتُها.

منها: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]. نزلت بمكة عام حجة الوداع، فأخرج ابن أبي حاتم[(١)]، وابن مردويه عن جابر قال: لمّا طاف النبيُّ ﷺ قال له عمر: هذا مقام أبينا إبراهيم؟ قال: قال: «نعم» قال: أفلا نتّخذه مصلًّى؟ فنزلَتْ.

وأخرج ابن مَرْدُويه من طريق عَمرو بن مَيْمون، عن عمر بن الخطاب: أنَّه مرَّ بمقام إبراهيم، فقال: يا رسول الله، أليس نَقوم مقام خليل ربنا؟ قال: «بلى». قال: أفلا نتَّخذه مصلًّى؟ فلم يلبث إلا يسيراً حتى نزلت.

وقال ابن الحَصَّار: نزلت إمَّا في عُمرة القضاء، أو: في غزوة الفتح، أو: في حجة الوداع.

ومنها: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ الآية [البقرة: ١٨٩]، روى ابنُ جرير[(٢)] عن الزُّهريّ أنها نزلت في عُمْرة الحديبية. وعن السُّدي أنَّها نزلت في حجَّة الوداع.

ومنها: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦] فأخرج ابنُ أبي حاتم[(٣)] عن صفوان بن أُميّة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ مُتَضَمِّخٌ بالزعفران، عليه جُبَّة، فقال: كيف تأمرني في عمرتي؟ فنزلتْ، فقال: «أين السائل عن العمرة؟ أَلْقِ عنك ثيابَك ثم اغتسِلْ...» الحديثَ. [البخاري: ١٥٣٦، ومسلم: ٢٨٠٠، وأحمد: ١٧٩٤٨].

ومنها: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ الآية [البقرة: ١٩٦]، نزلت بالحديبية، كما أخرجه أحمد [١٨١٠١] عن كعب بن عُجْرَة الذي نزلت فيه، والواحديُّ عن ابن عباس [والبخاري: ٤١٩١، ومسلم: ٢٨٧٧].

ومنها: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ الآية [البقرة: ٢٨٥]. قيل: نزلت يوم فتح مكة، ولم أَقِف له على دليل.

ومنها: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ﴾ الآية [البقرة: ٢٨١]، نزلت بمنًى عام حجَّة الوداع، فيما أخرجه البيهقيّ في «الدلائل» [(٧/ ١٣٧)].

ومنها: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ الآية [آل عمران: ١٧٢]، أخرج الطبراني [في «الكبير»: ١١٦٣٢] بسند صحيح عن ابن عباس، أنها نزلتْ بحمراء الأسد.

---

(١) في «تفسيره» ١/ ٢٢٦ (١١٩٦) البقرة: ١٢٥.

(٢) في «تفسيره» ٢/ ١٨٨ البقرة: ١٨٩.

(٣) في «تفسيره» ١/ ٣٣٤ (١٧٦١) البقرة: ١٩٦.

ومنها: آية التيمم في النساء [٤٣]، أخرج ابن مَرْدويه عن الأسلع بن شَريك: أنّها نزلتْ في بعض أسفار النبي ﷺ.

ومنها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] نزلت يوم الفتح في جَوْف الكعبة، كما أخرجه سُنيد في «**تفسيره**» عن ابن جُريج، وأخرجه ابن مردويه عن ابن عبَّاس.

ومنها: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الآية [النساء: ١٠٢]، نزلت بعُسفان بين الظهر والعصر، كما أخرجه أحمد [١٦٥٨٠ وإسناده صحيح] عن أبي عَيَّاش الزُّرَقيّ.

ومنها: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَـٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦]. أخرج البزّار وغيره عن حُذيفة أنها نزلت على النبي ﷺ في مسير له.

ومنها: أوَّل المائدة، أخرج البيهقيّ في «**شُعب الإيمان**» عن أسماء بنت يزيد: أنّهانزلت بمنًى. وأخرج في «**الدلائل**» [٧/ ١٤٥] عن أمّ عمرو، عن عمّها: أنَّها نزلت في مسير له.

وأخرج أبو عُبيد[١] عن محمد بن كعب قال: نزلت سورة المائدة في حجّة الوداع فيما بين مكة والمدينة.

ومنها: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]. في الصحيح عن عُمر: أنها نزلت عشيَّة عرفة يوم الجمعة عام حجّة الوداع، وله طرق كثيرة [البخاري: ٤٥، ومسلم: ٧٥٢٥، وأحمد: ١٨٨]، لكن أخرج ابن مَرْدويه عن أبي سعيد الخُدريّ: أنها نزلت يوم غدير خُمّ[٢].

وأخرج مثله من حديث أبي هريرة، وفيه: إنَّه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، مَرجِعَه من حجة الوداع، وكلاهما لا يصح.

ومنها: آية التيمم فيها، في الصحيح عن عائشة أنّها نزلت بالبيداء، وهم داخلون المدينة. وفي لفظ: «بالبيداء أو بذات الجيش». [البخاري: ٣٣٤ و٣٣٦، ومسلم: ٨١٦، وأحمد: ٢٥٤٥٥].

قال ابن عبد البر في «**التمهيد**»: يقال: إنه كان في غزوة بني المصطلق، وجزَم به في «**الاستذكار**»، وسبقه إلى ذلك ابن سعد وابن حبّان، وغزوة بني المصطلق هي غزوة المُرَيْسِيع. واستبعد ذلك بعضُ المتأخِّرين، قال: لأنَّ المريْسِيع من ناحية مكة بين قُديد والساحل، وهذه القصَّة من ناحية خَيْبر؛ لقول عائشة: إنّها نزلت بالبيداء أو بذات الجيش. وهما بين المدينة وخيبر، كما جزم به النَّوَويّ، لكن جزم ابن التِّين بأن البَيْداء هو ذو الحُلَيفة.

وقال أبو عُبيد البَكْري[٣]: البيداء هو الشَّرف الذي قدَّام ذي الحُليفة من طريق مكة، قال: وذات الجيش من المدينة على بَريد.

---

(١) «فضائل القرآن» ص ٢٣٩.
(٢) غَدِير: وادٍ بديار مضر. «القاموس».
(٣) البكري: عبد الله بن عبد العزيز، أبو عُبيد، الأندلسي، مؤرخ، جغرافي، ثقة، علامة بالأدب (ت: ٤٨٧ هـ). «بغية الوعاة» ٢٨٥.

ومنها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ﴾ الآية [المائدة: ١١]. أخرج ابن جرير(١) عن قتادة قال: ذُكِر لنا أنّها نزلت على رسول الله ﷺ وهو ببطن نخل، في الغزوة السابعة، حين أراد بنو ثعلبة وبنو محارب أن يفتكوا به، فأطلعه الله على ذلك.

ومنها: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧]، في «**صحيح ابن حبان**» [١٧٣٩ موارد وهو حسن] عن أبي هريرة: أنها نزلت في السفر.

وأخرج ابن أبي حاتم(٢) وابن مردويه عن جابر: أنّها نزلت في ذات الرقاع بأعلى نخل في غزوة بني أنمار.

ومنها: أول الأنفال، نزلت ببدر عقب الوقعة، كما أخرجه أحمد عن سعد بن أبي وقاص. [١٥٥٦ وهو حسن لغيره].

ومنها: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ﴾ الآية [الأنفال: ٩]. نزلت ببدر أيضاً كما أخرجه الترمذي عن عُمر. [٣٠٨١ وقال: حسن صحيح].

ومنها: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ﴾ الآية [التوبة: ٣٤]. نزلت في بعض أسفاره، كما أخرجه أحمد عن ثوبان [٢٢٣٩٢، وهو حسن لغيره].

ومنها: قوله: ﴿لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا﴾ الآيات [التوبة: ٤٢] نزلت في غزوة تبوك، كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس.

ومنها: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ﴾ [التوبة: ٦٥]، نزلت في غزوة تبوك، كما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عمر(٣).

ومنها: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ الآية [التوبة: ١١٣]. أخرج الطّبراني [في «الكبير»: ١٢٠٤٩ وإسناده ضعيف] وابن مردويه، عن ابن عباس: أنّها نزلت لمّا خرج النبي ﷺ معتمِراً وهَبَط من ثَنيّة عُسْفَان، فزار قبرَ أمه، واستأذن في الاستغفار لها.

ومنها: خاتمة النّحل، أخرج البيهقي في «**الدلائل**» [(٧/ ١٤٤)] والبزار: عن أبي هريرة: أنّها نزلت بأُحد، والنبيُّ ﷺ واقفٌ على حمزةَ حين استُشهد. وأخرج الترمذيّ [٣١٢٩] والحاكم [(٢/ ٣٥٩) وهو صحيح] عن أُبيّ بن كعب: أنّها نزلت يوم فتح مكة.

ومنها: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ﴾ [الإسراء: ٧٦]. أخرج أبو الشيخ، والبيهقيّ في «**الدلائل**» من طريق شَهْرِ بن حَوْشَب، عن عبد الرحمن بن غَنْم: أنّها نزلت في تبوك.

ومنها: أوّل الحجِّ، أخرج التِّرمذي [٣١٦٨] والحاكم [(٢/ ٣٨٥) وهو حسن صحيح]: عن عِمران بن حُصَين، قال: لما نزلتْ على النبيّ ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾ [الحج: ١ ـ ٢]، نزلت عليه هذه وهو في سفر... الحديثَ.

---

(١) في «تفسيره» ٤/ ١٤٦ المائدة: ١١.
(٢) في «تفسيره» ٤/ ١١٧٣ (٦٦١٤) المائدة: ٦٧.
(٣) في «تفسيره» ٦/ ١٨٢٩ (١٠٠٤٧) التوبة: ٦٥.

وعند ابن مردويه من طريق الكلبيّ عن أبي صالح، عن ابن عباس: أنَّها نزلت في مسيره في غزوة بني المصطلق.

ومنها: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ الآيات [الحج: ١٩]. قال القاضي جلال الدين البُلقينيّ: الظاهر أنَّها نزلت يوم بدر وقتَ المبارزة لِمَا فيه من الإشارة بـ﴿هَٰذَانِ﴾ [البخاري: ٣٩٦٦ ومسلم: ٧٥٦٢].

ومنها: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ . . .﴾ الآية [الحج: ٣٩]. أخرج الترمذي [٣١٧٢] عن ابن عباس قال: لما أُخرِجَ النبيُّ ﷺ من مكة، قال أبو بكر: أَخرَجُوا نبيَّهم، لَيَهْلِكُنَّ، فنزلت.

قال ابن الحصَّار: استنبط بعضُهم من هذا الحديث أنَّها نزلت في سفر الهجرة.

ومنها: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ الآية [الفرقان: ٤٥]، قال ابنُ حَبيب: نزلت بالطائف. ولم أقف له على مستنَد.

ومنها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [القصص: ٨٥]، نزلت بالجُحْفة في سفر الهجرة، كما أخرجه ابن أبي حاتم عن الضحَّاك.

ومنها: أوّلُ الروم، روى الترمذي [٣١٩٢ وحسّنه] عن أبي سعيد قال: لمّا كان يوم بدْرٍ ظهرت الرومُ على فارِسَ، فأعجَبَ ذلك المؤمنين، فنزلت: ﴿الٓمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ إلى قوله: ﴿بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ١ ـ ٥]. قال الترمذيّ: غَلبت الرومُ، يعني بالفتح[1].

ومنها: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ الآية [الزخرف: ٤٥]، قال ابن حبيب: نزلَتْ في بيت المقدس ليلة الإسراء.

ومنها: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً﴾ الآية [محمد: ١٣]. قال السخاويّ في «**جمال القرّاء**»[2]: قيل: إنَّ النبي ﷺ لما تَوَجَّهَ مهاجراً إلى المدينة، وقف ونظر إلى مكة وبكى، فنزلت.

ومنها: سورة الفتح، أخرج الحاكم [(٢/ ٤٥٩)] عن المِسْوَر بن مَخْرَمة ومَرْوان بن الحَكَم، قالا: نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية، من أوّلها إلى آخرها. وفي «**المستدرك**» [(٢/ ٤٥٩)] أيضاً من حديث مُجَمِّع بن جارية: أنَّ أوّلها نزل بكُراع الغَمِيم.

ومنها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣]. أخرج الواحديّ عن ابن أبي مُلَيْكة: أنَّها نزلت بمكة يوم الفتح، لما رَقِيَ بلالٌ على ظهر الكعبة وأذَّن، فقال بعض الناس: أهذا العبد الأسود يؤذِّن على ظهر الكعبة؟!

ومنها: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾ الآية [القمر: ٤٥]. قيل: نزلت يوم بدر، حكاه ابن الفَرَس، وهو مردود، لِمَا سيأتي في النوع الثاني عشر، ثم رأيت عن ابن عباس ما يؤيده.

ومنها: قال النَّسفي: قوله: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الواقعة: ١٣]، وقوله: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ [الواقعة: ٨١] نزلتا في سفره ﷺ إلى المدينة. ولم أقف له على مستند.

(١) بل قال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، كذا قرأ نصرُ بن علي: غَلَبت الرومُ. قال الألباني: صحيح لغيره.
(٢) ١/ ١٤٠.

ومنها: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢]. أخرج ابن أبي حاتم[١] من طريق يعقوب بن مجاهد أبي حَزْرَة، قالَ: نزلت في رجل من الأنصار في غزوة تبوك، لما نزلوا الحِجْر، فأمرهم رسولُ الله ﷺ ألَّا يحملوا من مائها شيئاً، ثم ارتحل، ثم نَزَل منزلاً آخر وليس معهم ماءٌ، فشكوا ذلك، فدعا، فأرسل الله سحابةً، فأمطرت عليهم حتى استقَوا منها، فقال رجل من المنافقين: إنَّما مُطِرْنا بنوْء كذا، فنزلت.

ومنها: آية الامتحان: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ الآية [الممتحنة: ١٠]. أخرج ابن جرير[٢] عن الزهري: أنها نزلت بأسفل الحديبية.

ومنها: سورة ﴿ٱلْمُنَـٰفِقُونَ﴾، أخرج الترمذي [٣٣١٣ وهو حسن صحيح] عن زيد بن أرقم: أنها نزلت ليلاً في غزوة تبوك. وأخرج عن سفيان أنَّها في غزوة بني المصطلق [الترمذي: ٣٣١٥، وهو حسن صحيح]. وبه جزم ابنُ إسحاق وغيره.

ومنها: سورة المرسلات، أخرج الشيخان عن ابن مسعود قال: بينما نحنُ مع النبي ﷺ في غار بمنًى إذ نزلت عليه: والمرسلات... الحديثَ [البخاري: ٤٩٣٠، ومسلم: ٥٨٣٥، وأحمد: ٣٥٧٤].

ومنها: سورة المطفِّفين أو بعضها، حكى النَّسفي وغيرُهُ: أنَّها نزلت في سفر الهجرة قبل دخوله ﷺ المدينة.

ومنها: أول سورة ﴿ٱقْرَأْ﴾ نزل بغار حراء، كما في الصحيحين [البخاري: ٣، ومسلم: ٤٠٣، وأحمد: ٢٥٩٥٩].

ومنها: سورة الكوثر. أخرج ابن جرير عن سعيد بن جُبير: أنَّها نزلت يوم الحُديبية. وفيه نظر.

ومنها: سورة النَّصر، أخرج البزار، والبيهقي في «**الدلائل**» [(٥/٤٤٧)]: عن ابن عمر قال: أُنزلت هذه السورة: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ على رسول الله ﷺ أوسط أيام التشريق، فعرف أنَّه الوداع، فأمر بناقته القَصْواء، فرُحِلت، ثم قام فخطَب الناسَ، فذكر خُطبته المشهورة.

(١) في «تفسيره» ١٠/ ٣٣٣٥ (١٨٨٠٧) الواقعة: ٨١.

(٢) في «تفسيره» ١٤/ ٧١ الممتحنة: ١٠.

النوع الثالث

معرفة النهاري والليلي

أمثلة النهاري كثيرة. قال ابن حبيب: نزل أكثر القرآن نهاراً؛ وأما الليل فتتبعتُ له أمثلة:

منها: آية تحويل القبلة، ففي الصحيحين [البخاري: ٤٠٣، ومسلم: ١١٧٨، وأحمد: ٥٩٣٤] من حديث ابن عُمر: بينما النَّاس بقُبَاء في صلاة الصبح، إذ أتاهم آتٍ فقال: إنَّ النبي ﷺ قد أُنزِلَ عليه الليلة قرآنٌ، وقد أُمر أن يَستقبل القبلة.

وروى مسلم [١١٨٠] عن أنس: أن النبي ﷺ كان يصلي نحوَ بيت المقدس، فنزلت: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية [البقرة: ١٤٤]. فمرَّ رجلٌ من بني سلِمة، وهم ركوعٌ في صلاة الفجر، وقد صلَّوا ركعةً، فنادى: ألا إنَّ القبلة قد حُوِّلَتْ، فمالوا كلُّهم نحوَ القِبْلة.

لكن في الصحيحين عن البَراء: أنَّ النبي ﷺ صلَّى قِبل بيت المقدس ستَّة عشَر ـ أو سبعة عشر ـ شهراً، وكان يعجبه أن تكون قِبلته قِبَل البيت، وأنَّه أول صلاة صلَّاها العصرُ وصلَّى معه قومٌ، فخرَجَ رجل ممن صلَّى معه، فمرَّ على أهلِ مسجدٍ وهم راكعون، فقال: أشهد بالله، لقد صلَّيتُ مع رسول الله ﷺ قِبَل الكعبة، فداروا كما هم قِبل البيت [البخاري: ٤٠، ومسلم: ١١٧٦ و١١٧٧، وأحمد: ١١٤٩٦]. فهذا يقتضي أنَّها نزلتْ نهاراً بين الظهر والعصر.

قال القاضي جلال الدين: والأرجح بمقتضى الاستدلال نزولُها بالليل؛ لأنَّ قضية أهل قُباء كانت في الصبح، وقُباء قريبةٌ من المدينة، فيبعُد أن يكون رسول الله ﷺ أخَّر البيانَ لهم من العصر إلى الصبح.

وقال ابن حجر: الأقوى أنَّ نزولها كان نهاراً، والجواب عن حديث ابن عمر: أنَّ الخبر وصَل وقتَ العصر إلى من هو داخل المدينة وهم بنو حارثة، ووصل وقت الصبح إلى مَنْ هو خارج المدينة، وهم بنو عَمرو بن عوف أهل قباء. وقوله: «**قد أنزل عليه الليلة**» مجازٌ، من إطلاق الليلة على بعض اليوم الماضي والذي يليه.

قلت: ويؤيد هذا ما أخرجه النَّسائي [في «الكبرى»: ١١٠٠٤] عن أبي سعيد بن المعلَّى قال: مررنا يوماً ورسول الله ﷺ قاعد على المنبر، فقلت: لقد حدث أمر، فجلستُ، فقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ حتى فرغ منها، ثم نزل فصلَّى الظهر.

ومنها: أواخر آل عمران، أخرج ابن حبَّان في «**صحيحه**» [٦٢٠ وإسناده صحيح]، وابن المنذر وابن مَرْدُويه وابنُ أبي الدنيا في «**كتاب التفكر**» عن عائشة: أن بلالاً أتى النبي ﷺ يُؤذنه لصلاة الصبح، فوجَده يبكي، فقال: يا رسول الله، ما يبكيك؟ قال: «**وما يمنعني أن أبكي وقد أُنزل عليَّ هذه الليلة**:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]» ثم قال: «**ويل لمن قرأها ولم يتفكَّر**».

ومنها: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧]. أخرج الترمذي [٣٠٤٦] والحاكم [(٢/٣١٣) وهو صحيح] عن عائشة قالت: كان النبيُّ ﷺ يُحْرَسُ، حتى نزلَتْ، فأخرج رأْسَه من القُبّة، فقال: «**أيُّها النَّاس، انصَرِفُوا فقد عصمني الله**».

وأخرج **الطَّبراني** [في «الكبير»: ١١٦٦٣] عن **عِصْمة بن مالك الخُطَمي** قال: كنَّا نحرُس رسول الله ﷺ بالليل حتى نزلت، فترك الحَرَس.

ومنها: سورة الأنعام، أخرج **الطَّبراني** [في «الكبير»: ٢٤/(٤٤٩)]، وأبو **عُبيدٍ** في «**فضائله**» [ص ٢٤٠] عن ابن عباس قال: نزلت سورة الأنعام بمكَّة ليلاً جُملة، حولها سبعون ألفَ ملَك يجأرون بالتسبيح[(١)].

ومنها: آية الثلاثة الذين خُلِّفوا، ففي الصحيحين من حديث كعب: فأنزَلَ الله توبتنا حين بقي **الثلث الأخير من الليل** [البخاري: ٤٦٧٧، ومسلم: ٧٠١٦، وأحمد: ١٥٧٨٩].

ومنها: سورة مريم، روى **الطَّبراني** [في «الكبير»: ١٢٩٣٠]، وأبو عبيد في «**فضائله**» عن ابن عباس قال: أتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلت: وُلدتْ لي الليلةَ جاريةٌ، فقال: «**والليلة أُنْزِلت عليَّ سورة مريم، سمِّها مريم**».

ومنها: أول الحج، ذكره ابنُ حبيب ومحمد بن بركات[(٢)] السعيديّ في كتابه «**الناسخ والمنسوخ**»، وجزم به السخاوي في «**جمال القراء**»[(٣)]. وقد يستدل له بما أخرجه ابن مردويه عن عِمْران بن حُصَين: أنها نزلت والنبي ﷺ في سفر، وقد نَعَسَ بعضُ القوم وتفرَّق بعضُهم، فرفَعَ بها صوتَهُ... الحديثَ.

ومنها: آية الإذن في خروج النِّسوة في الأحزاب، قال القاضي جلال الدين: والظاهر أنها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾ الآية [الأحزاب: ٥٩]. ففي البخاري [٤٧٩٥] عن عائشة: خرجت سَوْدة بعدما ضُرب الحجابُ لحاجتها ـ وكانت امرأةً جسيمةً لا تخفى على مَن يَعرفها ـ فرآها عمر، فقال: يا سَوْدة، أمَا والله ما تَخْفَينَ علينا، فانظري كيف تخرجين. قالت: فانكفأتُ راجعةً إلى رسول الله ﷺ، وإنَّه ليتعشَّى وفي يده عَرْق، فقلت: يا رسول الله، خرجت لبعض حاجتي، فقال لي عمر كذا؛ فأوحى الله إليه وإن العَرْق في يده ما وَضَعَه، فقال: «**إنَّه قد أُذِن لَكُنَّ أن تَخرجْنَ لحاجتِكُنّ**» [ومسلم: ٥٦٦٨، وأحمد: ٢٤٢٩٠].

قال القاضي جلال الدين: وإنما قلنا: إنَّ ذلك كان ليلاً؛ لأنَّهن إنما كُنَّ يخرجنَ للحاجة ليلاً، كما في الصحيح عن عائشة في **حديث الإفك** [البخاري: ٤٧٥٠، ومسلم: ٧٠٢٠، وأحمد: ٢٥٦٢٣].

---

(١) جأر إلى الله: تَضَرَّع بالدعاء. «المختار»: جَأَرَ.

(٢) محمد بن بركات: المصري أبو عبد الله، شيخ مصر في اللغة، له: «الإيجاز في الناسخ والمنسوخ» (ت: ٥٢٠ هـ). «حسن المحاضرة» ١/٣٠٧، و«شذرات الذهب» ٤/٦٢.

(٣) «جمال القراء» ١/١٢٨.

ومنها: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ [الزخرف: ٤٥] على قول ابن حبيب: إنها نزلت ليلة الإسراء.

ومنها: أول الفتح، ففي البخاري [٤١٧٧] من حديث عُمر: «لقد أُنزلت عليَّ الليلة سورةٌ هي أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس، فقرأ: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾..» الحديث. [وأحمد: ٢٠٩].

ومنها: سورة المنافقين، كما أخرجه الترمذي عن زيد بن أرقم. [٣٣١٣ وهو حسن صحيح].

ومنها: سورة (والمرسلات)، قال السخاوي في «**جمال القرّاء**»(١): روي عن ابن مسعود: أنها نزلت ليلة الجنّ بحراء.

قلت: هذا أثر لا يُعرف، ثم رأيت في «صحيح الإسماعيلي» ـ وهو مستخرَجُه على البخاري ـ: أنَّها نزلت ليلة عرفة بغار منًى، وهو في الصحيحين بدون قوله: ليلة عرفة [البخاري: ١٨٣٠، ومسلم: ٥٨٣٥، وأحمد: ٣٥٧٤]. والمراد بها ليلة التاسع من ذي الحجة، فإنَّها التي كان النبيُّ ﷺ يبيتها بمنًى.

ومنها: المعوّذتان، فقد قال ابن أَشْتَهْ في «**المصاحف**»: نبأنا محمد بن يعقوب، نَبأنا أبو داود، نبأنا عثمان بن أبي شيبة، نبأنا جرير، عن بيان، عن قيس، عن عُقْبة بن عامر الجُهَني قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُنْزِلت عليَّ الليلة آياتٌ لم يُرَ مثلُهنَّ**: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾».

فرع: ومنه: ما نزل بين الليل والنهار في وقت الصبح، وذلك آياتٌ:

منها: آية التيمم في المائدة، ففي الصحيح عن عائشة: وحضرت الصبحُ فالتُمس الماءُ فلم يوجد، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦]. [البخاري: ٤٦٠٨، ومسلم: ٨١٦، وأحمد: ٢٦٣٤١].

ومنها: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]. ففي الصحيح: أنَّها نزلت وهو في الركعة الأخيرة من صلاة الصبح، حين أراد أن يقنُت يدعو على أبي سفيان ومن ذكر معه. [البخاري: ٤٠٧٠، وأحمد: ٥٦٧٤].

تنبيه: فإن قلتَ: فما تصنع بحديث جابر مرفوعاً: «**أَصدقُ الرؤيا ما كان نهاراً، لأن الله خصَّني بالوحي نهاراً**»؟ أخرجه الحاكم في «تاريخه».

قلت: هذا الحديث منكَر لا يحتج به(٢).

---

(١) «جمال القراء» ١/ ١٤٥ ـ ١٤٦.

(٢) قال المناوي في «فيض القدير» بعد أن حكم على الحديث بالضعف: قد يقال: الرؤيا النهارية أصدق من الرؤيا الليلية ما عدا السحر جمعاً بين الحديثين. [وقد] قال الحاكم: صحيح. وأقرّه الذهبي في «التلخيص». «فيض القدير» ١/ ٥٣٠.

قلتُ: والحديث الذي أشار إليه المناوي هو: «أصدق الرؤيا بالأسحار» قد رواه أحمد في «مسنده» (١١٢٤٠)، والترمذي (٢٢٧٤) عن أبي سعيد. وإسناده ضعيف.

النوع الرابع

الصيفيّ والشتائيّ

قال الواحدي: أنزل الله في الكلالة آيتين: إحداهما في الشتاء، وهي التي في أول النساء، والأخرى في الصيف، وهي التي في آخرها.

وفي «**صحيح مسلم**» [٤١٥٠] عن عمر: ما راجعتُ رسولَ الله ﷺ في شيء ما راجعتُه في الكَلالة، وما أَغلَظَ في شيء ما أغلَظَ لي فيه، حتى طَعَنَ بإصبعهِ في صدري، وقال: «**يا عمر، ألا تكفيكَ آيةُ الصيف التي في آخر سورة النساء**».

وفي «**المستدرك**» [(٤/ ٣٣٦)] عن أبي هريرة: أن رجلاً قال: يا رسول الله، ما الكلالة؟ قال: «**أمَا سمعتَ الآيةَ التي نزلتْ في الصيف**: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: **١٧٦**]». [ضعفه الذهبي].

وقد تقدم أن ذلك في سفر حجة الوداع، فيُعَدُّ من الصيفي ما نزل فيها كأول المائدة، وقولُه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: **٣**]، ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: **٢٨١**]. وآية الدَّيْن، وسورة النصر.

ومنه: الآيات النازلة في غزوة تبوك، فقد كانت في شدة الحر، أخرجه البيهقي في «**الدلائل**» [(٥/ ٢١٤)] من طريق ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر بن حَزْم: أنَّ رسول الله ﷺ ما كان يخرج في وجه من مغازيه إلَّا أظهر أنَّه يريد غيره، غير أَنَّه في غزوة تبوك، قال: «**يا أيها النَّاس إنِّي أريد الرومَ**»، فأعلمَهم، وذلك في زمان البأْس وشدة الحر وجَدْب البلاد، فبينما رسول الله ﷺ ذاتَ يوم في جهازه إذ قال للجَدّ بن قيس: «**هل لك في بنات بني الأصفر؟**». قال: يا رسول الله، لقد عَلم قومي أنه ليس أَحَدٌ أشدَّ عُجْباً بالنساء منِّي، وإني أخاف إنْ رأيتُ نساءَ بني الأصفر أن يفتنّني، فائذن لي. فأنزل الله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى﴾ الآية [التوبة: **٤٩**].

وقال رجل من المنافقين: لا تنفروا في الحرِّ، فأنزل الله: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ [التوبة: **٨١**].

ومن أمثلة الشتائي: قوله: ﴿إن الذين جاؤوا بالإفك...﴾ إلى قوله: ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: **١١ ـ ٢٦**]. ففي الصحيح: عن عائشة: **أنَّها نزلت في يومٍ شاتٍ**[1]. [البخاري: ٢٦٦١، ومسلم: ٧٠٢٠].

والآيات التي في غزوة الخندق من سورة الأحزاب، فقد كانت في البرد، ففي حديث حُذيفة: تفرّق النَّاس عن رسول الله ﷺ ليلةَ الأحزاب إلَّا اثني عشر رجلاً، فأتاني رسولُ الله ﷺ فقال: «**قم فانطلق إلى عسكر الأحزاب**» قلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق ما قمتُ لك إلَّا حياءً، من البرد... الحديثَ، وفيه: فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ [الأحزاب: **٩**] إلى آخرها. أخرجه البيهقي في «**الدلائل**». [(٣/ ٤٣٦) و(٤/ ٣٢)].

---

(١) قال الدكتور مصطفى البغا: والذي يبدو لي أن الآيات لم تنزل في يوم شاتٍ، وأن ما جاء.. وصفٌ لحاله ﷺ وهو يوحى إليه عامةً، وأن المصنف توهَّم أنها وصفٌ له ﷺ حين نزلت عليه تلك الآيات خاصة، فقال ما قال. «الإتقان» بتحقيقه ١/ ٧٠ ـ ٧١.

النوع الخامس

الفراشي والنومي

من أمثلة **الفراشيّ** قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧] كما تقدم، وآية الثلاثة الذين خُلِّفوا، ففي الصحيح: أنَّها نزلتْ وقد بقي من الليل ثُلُثُهُ، وهو ﷺ عند أم سلمة.

واستشكل الجمعُ بين هذا وقوله ﷺ في حقّ عائشة: «**ما نزل عليَّ الوحيُ في فراش امرأةٍ غيرِها**» [البخاري: ٣٧٧٥]. قال القاضي جلال الدين: ولعلَّ هذا كان قبل القصَّة التي نزل الوحي فيها في فراش أُمّ سلمة.

قلت: ظفرتُ بما يُؤخذ منه الجواب الذي أحسنُ من هذا، فروى أبو يعلَى في «**مسنده**» [٤٦٢٦ (٢٧٠)]: عن عائشة قالت: أُعطِيتُ تسعاً... الحديثَ، وفيه: وإن كانَ الوحيُ لَينزلُ عليه وهو في أهله فينصرفون عنه، وإن كان لَينزِل عليه وأنا معه في لحافه. وعلى هذا لا معارضة بين الحديثين كما لا يخفى.

وأما **النَّوميّ**: فمن أمثلته سورة الكوثر، لِمَا روَى مسلم [٨٩٤] عن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا إذ أغْفى إغفاءَةً، ثم رفع رأسه متبسِّماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ فقال: «**أُنزل عليَّ آنفاً سورةٌ**، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾».

وقال الإمام الرافعيّ[1] في «**أماليه**»: فهِم فاهمون من الحديث أنَّ السورة نزلتْ في تلك الإغفاءة، وقالوا: منَ الوحي ما كان يأتيه في النوم؛ لأنَّ رؤيا الأنبياء وحيٌ. قال: وهذا صحيح، لكن الأشبهَ أن يقالَ: إنَّ القرآن كلَّه نزل في اليَقظة، وكأنه خطَرَ له في النوم سورة الكوثر المنزَّلة في اليقظة، أو عُرِض عليه الكوثر الذي وردت فيه السورة، فقرأها عليهم، وفسَّرها لهم. ثم قال: وورد في بعض الروايات أنَّه أُغْمِيَ عليه، وقد يُحمَل ذلك على الحالة التي كانت تعتريه عند نزول الوحي، ويقال لها: بُرحاء[2] الوحي. انتهى.

قلت: الذي قاله الرافعيّ في غاية الاتجاه، وهو الذي كنت أميل إليه قبل الوقوف عليه، والتأويل الأخير أصحّ من الأوَّل؛ لأن قوله: «**أنزل عليَّ آنفاً**» يدفع كونَها نزلت قبل ذلك، بل نقول: نزلت في تلك الحالة، وليس الإغفاءة إغفاءة النوم، بل الحالة التي كانت تعتريه عندَ الوحي، فقد ذكر العلماء أنَّه كان يؤخذ عن الدنيا.

---

(١) الرافعي: عبد الكريم بن محمد القزويني، من كبار الفقهاء الشافعية. له: الأمالي الشارحة لمفردات الفاتحة ـ خ. (ت: ٦٢٣ هـ). «طبقات الشافعية» ٥/ ١١٩، «الأعلام» ٤/ ٥٥.

(٢) بُرَحَاء: شدة، يقال: بُرَحاء الحُمَّى وغيرها: شدة الأذى. «القاموس».

النوع السادس

الأرضي والسمائي

تقدم قول ابن العربيّ: إنَّ من القرآن سمائيًّا وأرضيًّا، وما نزل بين السماء والأرض، وما نزل تحت الأرض في الغار.

قال: وأخبرنا أبو بكر الفِهْريّ قال: أنبأنا التميميُّ، أنبأنا هبة الله المفسِّر، قال: نزل القرآن بين مكة والمدينة إلَّا ستَّ آيات، نزلت لا في الأرض ولا في السماء؛ ثلاث في سورة الصافات: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [١٦٤ ـ ١٦٦] الآيات الثلاث، وواحدة في الزخرف: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ الآية [٤٥]، والآيتان من آخر سورة البقرة نزلت ليلة المعراج.

قال ابن العربيّ: ولعله أراد في الفضاء بين السماء والأرض. قال: وأمَّا ما نزل تحت الأرض في الغار فسورةُ المرسلات، كما في الصحيح عن ابن مسعود. [البخاري: ٤٩٣٠، ومسلم: ٥٨٣٥، وأحمد: ٣٥٧٤].

قلت: أمَّا الآيات المتقدِّمة فلم أقفْ على مستَند لما ذكره فيها، إلَّا آخر البقرة، فيمكن أن يستدلّ بما أخرجه مسلم [٤٣١] عن ابن مسعود: لما أُسْرِيَ برسول الله ﷺ انتهى إلى سدرة المنتهى... الحديثَ، وفيه: فأُعطِيَ رسولُ الله ﷺ منها ثلاثاً: أُعْطِيَ الصلوات الخمس، وأُعطِيَ خواتيمَ سورة البقرة، وغُفِر لمن لا يشرك من أُمته بالله شيئاً المُقْحِماتُ[١].

وفي «**الكامل**» للهُذَلي[٢]: نزلت ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ . . .﴾ [البقرة: ٢٨٥ ـ ٢٨٦] إلى آخرها بقاب قوسين.

---

(١) المُقْحِمات: هي الذنوب العظام التي تُقْحِم أصحابها في النار؛ أي: تلقيهم فيها. «النهاية».

(٢) الهذلي: يوسف بن علي بن جُبارة، أبو القاسم، عالم بالقراءات وله فيها كتاب «الكامل» (ت: ٤٦٥ هـ). «معرفة القراء الكبار» ١/ ٣٦٧.

النوع السابع

معرفة أول ما نزل

اختُلف في أول ما نزل من القرآن على أقوال:

أحدُها ـ وهو الصحيح ـ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾، روى الشيخان وغيرهما عن عائشة قالت: أوّل ما بُدِئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقةُ في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلّا جاءت مثلَ فَلَق الصبح، ثم حُبِّب إليه الخلاءُ، فكان يأتي حِراء، فيتحنَّث فيه الليالِيَ ذواتِ العدد، ويتزوَّد لذلك، ثم يرجع إلى خديجة ﵂، فيتزوَّدُ لمثلها، حتى فجأه الحقُّ وهو في غار حراءٍ، فجاءه المَلَكُ فيه، فقال: اقرأْ، قال رسول الله ﷺ: «**فقلت: ما أنا بقارئٍ، فأخذني فغطَّني حتى بَلَغَ مني الجَهْدَ، ثم أرسلني، فقال: اقرأْ، فقلت: ما أنا بقارئ، فغطَّني الثانية، حتى بَلَغَ مني الجَهْدَ، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ. فغطَّني الثالثة حتى بلغ مني الجَهْدَ، ثمَّ أرسلني، فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾، حتى بلغ: ﴿مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾**». فرجع بها رسول الله ﷺ ترجُفُ بوادِرُه... الحديث[1]. [البخاري: ٣، ومسلم: ٤٠٣، وأحمد: ٢٥٩٥٩].

وأخرج الحاكم في «**المستدرك**» [(٢/ ٢٢٠) و(٢/ ٥٢٩)]، والبيهقي في «**الدلائل**» [(٧/ ١٤٤)] وصححاه عن عائشة، قالت: أول سورة نزلت من القرآن: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾.

وأخرج الطَّبَراني في «**الكبير**» بسندٍ على شرط الصحيح: عن أبي رجاء العُطارديّ قال: كان أبو موسى يُقرئنا فيُجلسنا حِلَقاً، عليه ثوبان أبيضان، فإذا تلا هذه السورةَ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾. قال: هذه أوّلُ سورة أُنزلت على محمد ﷺ.

وقال سعيد بن منصور في «**سننه**»: حدَّثنا سفيان، عن عَمْرو بن دِينار، عن عُبَيد بن عُمَير، قال: جاء جبريلُ إلى النبيِّ ﷺ، فقال له: اقرأ، قال: «وما أقرأ؟ فواللهِ ما أنا بقارئٍ». فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾: فكان يقولُ: هو أَوَّل ما أُنزل.

وقال أبو عُبيد في «**فضائله**»[2]: حدَّثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن ابن أبي نَجِيح، عن مجاهدٍ قال: إنَّ أوَّل ما أُنزل من القرآن: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾، و﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ﴾.

وأخرج ابن أَشْتَهْ في كتاب «**المصاحف**» عن عُبيد بن عُمير قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ بنَمط، فقال: اقرأْ. قال: «**ما أنا بقارئ**»، قال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾. فيَرَوْنَ أنها أوَّلُ سورة أُنزلت من السماء.

وأخرجَ عن الزُّهريّ: أنَّ النبيَّ ﷺ كان بحراء، إذ أتى مَلَك بنمط من ديباج، فيه مكتوب: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ إلى: ﴿مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾.

---

(١) البوادر: جمع بادرة وهي لحمة بين المنكب والعُنُق. «النهاية».

(٢) «فضائل القرآن» ص ٣٦٤.

القول الثاني: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾. روى الشيخان عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت جابر بن عبد الله: أيُّ القرآن أُنزل قَبْلُ؟ قال: يا أيها المدثر، قلت: أو ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾؟ قال: أُحَدِّثكم ما حدَّثنا به رسول الله ﷺ. قال رسول الله ﷺ: «**إنِّي جاورتُ بحراء، فلمَّا قضيت جواري، نزلتُ فاستَبطنتُ الوادي، فنظرتُ أمامي وخَلْفي، وعن يميني وشمالي، ثم نظرتُ إلى السماء فإذا هو** ـ يعني جبريل ـ **فأخذتْني رَجْفَة، فأتيتُ خديجة، فأمرتْهم فدثروني، فأنزل الله**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ① قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾» [البخاري: ٤٩٢٤، ومسلم: ٤٠٩، وأحمد: ١٤٢٨٧].

وأجاب الأولُ عن هذا الحديث بأجوبة:

أحدها: أنَّ السؤال كان عن نزول سورة كاملة، فبيَّن أن سورة المدثر نزلتْ بكمالها قبل نزول تمام سورة اقرأ، فإنَّها أوَّل ما نزل منها صدرها.

ويؤيد هذا ما في الصحيحين أيضاً عن أبي سلمة، عن جابر: سمعت رسولَ الله ﷺ وهو يحدِّث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: «**بينا أنا أمشي سمعتُ صوتاً من السماء، فرفعت رأسي، فإذا المَلَك الذي جاءني بحراء جالسٌ على كرسي بين السماء والأرض، فرجعتُ فقلت: زَمِّلُوني، زَمِّلُوني، فدَثِّروني**، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾». [البخاري: ٤، ومسلم: ٤٠٧، وأحمد: ١٤٤٨٣].

فقوله: «**الملك الذي جاءني بحراء**»: يدل على أن هذه القصة متأخرة عن قصة حراء التي نزل فيها: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾.

ثانيها: أن مراد جابر بالأولية أولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي، لا أولية مطلقة.

ثالثها: أن المراد أولية مخصوصة بالأمر بالإنذار، وعبّر بعضُهم عن هذا بقوله: أول ما نزل للنبوة: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾، وأول ما نزل للرسالة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾.

رابعها: أن المراد أول ما نزل بسبب متقدم، وهو ما وقع من التدثُّر الناشئ عن الرعب، وأما ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ فنزلت ابتداءً بغير سبب متقدم. ذكره ابن حجر[1].

خامسها: أن جابراً استخرج ذلك باجتهاده، وليس هو من روايته، فيقدَّم عليه ما روته عائشة. قاله الكَرْمَاني.

وأحسن هذه الأجوبة الأولُ والأخيرُ.

القول الثالث: سورة الفاتحة، قال في «**الكشاف**»[2]: ذهب ابن عباس ومجاهد إلى أن أول سورة نزلت: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾. وأكثر المفسرين إلى أن أول سورة نزلت: فاتحة الكتاب.

قال ابن حجر[3]: والذي ذهب إليه أكثر الأئمة هو الأوَّلُ. وأما الذي نسبه إلى الأكثر فلم يقل به

---

(١) «فتح الباري» كتاب التفسير ٩/ ٥٨٦ (٤٩٢٤).
(٢) «الكشّاف» ٤/ ٢٧٠ العلق: ١.
(٣) «فتح الباري» كتاب التفسير ٩/ ٦٢٦ (٤٩٥٤).

إلَّا عددٌ أقلُّ من القليل بالنسبة إلى مَنْ قال بالأول. وحجته: ما أخرجه البيهقي في **«الدلائل»** [(٢/١٥٨)] والواحدي[(١)] من طريق يونس بن بُكير، عن يونس بن عَمرو، عن أبيه، عن أبي ميسرة عَمْرو بن شُرَحْبيل: أن رسول الله ﷺ قال لخديجة: «**إنِّي إذا خلوتُ وحدي سمعت نداءً، فقد واللهِ خشيتُ أن يكون هذا أمراً**». فقالت: معاذ الله، ما كان اللهُ ليفعل بك، فوالله إنك لتؤدي الأمانة، وتصِلُ الرَّحم، وتصدُق الحديثَ. فلما دخل أبو بكر ذكرتْ خديجةُ حديثَه لها، وقالت: اذهب مع محمد إلى وَرَقة. فانطلقا فقصَّا عليه، فقال: «**إذا خلوتُ وحدي سمعتُ نداء خَلْفي: يا محمد يا محمد! فأنطلق هارباً في الأُفق**»، فقال: لا تفعل، إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول، ثم ائتني فأخبرني. فلما خلا ناداه: يا محمد، قل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حتى بلغ ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾.. الحديث. هذا مرسل رجاله ثقات.

وقال البيهقي: إن كان محفوظاً فيحتمل أن يكون خبراً عن نزولها بعدما نزلت عليه: ﴿اقْرَأْ﴾ و﴿الْمُدَّثِّرُ﴾.

القول الرابع: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾. حكاه ابن النَّقيب[(٢)] في مقدمة «**تفسيره**» قولاً زائداً.

وأخرج الواحدي[(٣)] بإسناده عن عِكْرمة والحسن قالا: أوَّل ما نزل من القرآن: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، وأوَّل سورة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾.

وأخرج ابن جرير[(٤)] وغيره من طريق الضحاك، عن ابن عباس قال: أول ما نزل جبريل على النبيّ ﷺ قال: يا محمَّد، اِستعِذْ، ثم قل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

وعندي: أنَّ هذا لا يُعدّ قولاً برأسه؛ فإنَّه من ضرورة نزول السورة نزولُ البسملة معها، فهي أوَّل آية نزلت على الإطلاق.

وورد في أوَّل ما نزل حديث آخر: روى الشيخان عن عائشة قالت: إنَّ أوَّل ما نزل سورةٌ من المفصَّل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نَزَل الحلال والحرام. [البخاري: ٤٩٩٣ ضمن سياق حديث].

وقد استشكل هذا بأنَّ أوَّل ما نزل: ﴿اقْرَأْ﴾، وليس فيها ذكر الجنة والنار. وأجيب بأنَّ (مِنْ) مقدّرة، أيْ: من أول ما نزل. والمراد سورة المدَّثر، فإنَّها أوَّل ما نزل بعد فترة الوحي، وفي آخرها ذكرُ الجنة والنار، فلعلَّ آخرها نَزَل قبل نزول بقية ﴿اقْرَأْ﴾.

---

(١) في «أسباب النزول» ص ١٧: القول في سورة الفاتحة.

(٢) ابن النقيب: محمد بن سليمان البلخي، المقدسي، صَرَف همته إلى التفسير، وصنف تفسيراً سماه: التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير في معاني السميع البصير. قال الشعراني: ما طالعتُ أوسع منه (ت: ٦٩٨ هـ). «فوات الوفيات» ٣/ ٣٨٢.

(٣) في «أسباب النزول» ص ٨.

(٤) في «تفسيره» ١٥/ ٢٥٣ سورة العلق؛ أولها.

فرع: أخرج الواحدي[١] من طريق الحسين بن واقد، قال: سمعتُ عليَّ بنَ الحسين يقول: أَوَّل سورة نزلت بمكة: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾، وآخر سورة نزلت بها: (المؤمنون)، ويقال: (العنكبوت). وأَوَّل سورة نزلت بالمدينة: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾، وآخر سورة نزلت بها: ﴿بَرَآءَةٞ﴾. وأَوَّل سورة أعلنها رسولُ الله ﷺ بمكّة (النَّجم).

وفي «شرح البخاري» لابن حجر[٢]: اتَّفقوا على أَنَّ سورة البقرة أَوَّل سورة أُنزلت بالمدينة.

وفي دعوى الاتفاق نظرٌ، لقول عليّ بن الحسين المذكور.

وفي «تفسير النَّسفي» عن الواقديّ: إنَّ أَوَّل سورة نزلتْ بالمدينة سورة (القَدْر).

وقال أبو بكر محمد بن الحارث بن أبيض في جزئه المشهور: حدَّثنا أبو العباس عبيد الله بن محمد بن أعين البغدادي، حدَّثنا حسان بن إبراهيم الكَرْماني، حدثنا أُمية الأزدي، عن جابر بن زيد قال:

أَوَّل ما أنزل الله من القرآن بمكة: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾، ثم ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ﴾، ثم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾، ثم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾، ثم الفاتحة، ثم ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ﴾، ثم ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾، ثم ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾، ثم ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾، ثم ﴿وَٱلۡفَجۡرِ﴾، ثم ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾، ثم ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ﴾، ثم ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾، ثم ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ﴾، ثم الكوثر، ثم ﴿أَلۡهَىٰكُمُ﴾، ثم ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ﴾، ثم الكافرون، ثم ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ﴾، ثم ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾، ثم ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ثم ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ثم ﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾، ثم ﴿عَبَسَ﴾، ثم ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾، ثم ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾، ثم البروج، ثم ﴿وَٱلتِّينِ﴾، ثم ﴿لِإِيلَٰفِ﴾، ثم ﴿ٱلۡقَارِعَةُ﴾، ثم القيامة، ثم ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ﴾، ثم ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ﴾، ثم ﴿قٓۚ﴾، ثم البلد، ثم ﴿ٱلطَّارِقُ﴾، ثم﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾، ثم ﴿صٓۚ﴾، ثم الأعراف، ثم الجن، ثم ﴿يسٓ﴾، ثم الفرقان، ثم الملائكة [فاطر]، ثم ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، ثم ﴿طه﴾، ثم الواقعة، ثم الشعراء، ثم طس سليمان، ثم طسم القصص، ثم بني إسرائيل [الإسراء]، ثم التاسعة ـ يعني يونس ـ ثم هود، ثم يوسف، ثم الحِجر، ثم الأنعام، ثم الصَّافَّات، ثم لقمان، ثم سبأ، ثم الزُّمر، ثم حم المؤمن، ثم حم السجدة، ثم حم الزخرف، ثم حم الدخان، ثم حم الجاثية، ثم حم الأحقاف، ثم الذاريات، ثم الغاشية، ثم الكهف، ثم حم عسق، ثم تنزيل السجدة، ثم الأنبياء، ثم النحل أربعين وبقيتها بالمدينة، ثم ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا﴾ ثم الطور، ثم المؤمنون، ثم تبارك، ثم الحاقة، ثم سأل، ثم ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾، ثم ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾، ثم ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾، ثم ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾، ثم الروم، ثم العنكبوت، ثم ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾. فذاك ما أنزل بمكة.

وأنزل بالمدينة: سورة البقرة، ثم آل عمران، ثم الأنفال، ثم الأحزاب، ثم المائدة، ثم الممتحنة، ثم ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾، ثم النور، ثم الحجّ، ثم المنافقون، ثم المجادلة، ثم

---

(١) في «أسباب النزول» ص ١٠ ـ ١١.

(٢) «فتح الباري» كتاب التفسير ٩/ ١٣٧ (٤٤٧٦).

الحجرات، ثم التَّحريم، ثم الجمعة، ثم التغابن، ثم سبَّح؛ الحواريّين [الصف]، ثم الفتح، ثم التوبة، وخاتمة القرآن [المعوذتان].

قلت: هذا سياق غريب، وفي هذا الترتيب نظر، وجابر بن زيد من علماء التابعين بالقرآن، وقد اعتمد البرهان الجعبريُّ على هذا الأثر في قصيدته التي سمَّاها: تقريب المأمول في ترتيب النزول، فقال:

مكيُّها ستٌّ ثمانون اعتلت ... نُظِمَتْ على وَفْق النُّزول لمنْ تلاَ
اقرأْ ونون مُزَّمِّلٌ مدَّثرٌ ... والحمد تَبَّتْ كُوِّرت الأعْلَى علاَ
ليلٌ وفجر والضُّحى شرحٌ وعصـ ... ـر العاديات وكوثر الْهَاكُمْ تَلاَ
أرأيت قلْ بالفيل مع فَلَق كذا ... ناسٌ وقلْ هو نجمُها عَبَسٌ جلاَ
قَدْرٌ وشمْسٌ والبروجُ وتينُها ... لإيلاف قارعة قيامة أقبلاَ
ويل لكلِّ المرسلات وقافُ معْ ... بلد وطَارقُها مَعَ اقتربت كلا
صادٌ وأعراف وجنٌّ ثم يا ... سينٌ وفُرْقان وفاطرٌ اعْتَلَى
كافٌ وطه ثلَّة الشُّعرا ونمـ ... ـل قصّ الاسرا يونسٌ هودٌ ولا[1]
قل يُوسفٌ حِجْرٌ وأنعام وذِبْـ ... ـحٌ ثم لقمان سبا زُمرٌ جلاَ
مع غافرٍ مع فُصِّلت مَعْ زُخْرُفٍ ... ودخان جاثيةٌ وأحقافٌ تَلا
ذَرْوٌ وغاشيةٌ وكهفٌ ثم شو ... رَى والخليلُ والانبيا نحْلٌ حَلاَ
ومضاجع نوحٌ وطُور والفلا ... ح الملك واعيةٌ وسال وعمّ لا
غَرْقٌ مع انفطرتْ وكدح ثم رو ... مُ العنكبوت وطفِّفت فتكمَّلا
وبطيبةٍ عشرون ثم ثمان الطُّو ... لى وعمرانٌ وأنفالٌ جلاَ
لاحزاب مائدة امتحانٌ والنِّسا ... مَعْ زُلْزِلتْ ثم الحديد تأمَّلاَ
ومحمَّد والرَّعد والرَّحمن الانسـ ... ـان الطَّلاق ولم يكن حشرٌ ملا
نَصْرٌ ونورٌ ثم حَجٌّ والمنا ... فق مَعْ مجادلة وحُجرات ولا
تحريمها مَعْ جُمعةٍ وتَغابُنٍ ... صفٌ وفتح توبةٌ ختِمت أُولى
أمَّا الذي قد جاءنا سَفرِيَّه ... عَرَفيُّ أكْمَلْتُ لكم قَدْ كَمَّلا
لكن إذا قمتم فجيشيٌّ بَدَا ... واسأل مَن أرسلْنَا الشآمي اقبلا
إن الذي فرَضَ انتمى جُحْفِيُّها ... وهو الذي كفَّ الحُديبيّ انْجَلى

---

(١) كاف: هي سورة مريم، وثلة: هي سورة الواقعة.

فرع: في أوائل مخصوصة

أول ما نزل في القتال: روى الحاكم في «**المستدرك**» [(٢/ ٣٩٠)] عن ابن عباس قال: أَوَّل آية نزلت في القتال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾ [الحج: ٣٩].

وأخرج ابنُ جرير[1] عَن أبي العالية قال: أول آية نزلت في القتال بالمدينة: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٠].

وفي «**الإكليل**» للحاكم: إنَّ أَوَّل ما نَزَل في القتال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ [التوبة: ١١١].

أول ما نزل في شأن القتل: آية الإسراء: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ [٣٣]. أخرجه ابنُ جرير عن الضَّحَّاك[2].

أوّل ما نزل في الخمر: روى الطيالسيّ في «مسنده» [١٩٥٧] عن ابن عُمر قال: نزل في الخمر ثلاث آيات؛ فأوّل شيء: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩]. فقيل: حُرِّمت الخمر، فقالوا: يا رسول الله، دعنا ننتفع بها كما قال الله؛ فسكت عنهم، ثم نزلت هذه الآية: ﴿لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣] فقيل: حُرِّمت الخمر، فقالوا: يا رسول الله، لا نشربها قربَ الصلاة، فسكت عنهم، ثم نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ [المائدة: ٩٠]. فقال رسول الله ﷺ: «**حُرِّمت الخمرُ**».

أَوّل آية نزلت في الأطعمة بمكة آية الأنعام: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ [١٤٥]، ثم آية النحل: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [١١٤] إلى آخرها. **وبالمدينة**: آيةُ البقرة: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾ الآية [١٧٣]، ثم آية المائدة: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ الآية [٣] قاله ابن الحصَّار.

وروى البخاريّ [٤٨٦٣]: عن ابن مسعود قال: أَوّل سورة أُنزلت فيها سجدةٌ: النجمُ [ومسلم: ١٢٩٧، وأحمد: ٣٦٨٢].

وقال الفريابيّ: حدَّثنا وَرْقاء، عن ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد في قوله: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ [التوبة: ٢٥] قال: هي أَوَّل ما أنزل الله من سورة براءة.

وقال أيضاً: حدَّثنا إسرائيل، نبأنا سعيد، عن مسروق، عن أبي الضُّحى قال: أَوّل ما نزل من براءة: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١]، ثم نزل أوّلُها، ثم نزل آخرها.

وأخرج ابن أَشْتَهْ في كتاب «**المصاحف**»، عن أبي مالك قال: كان أَوّل براءة: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ سنوات، ثم أنزلت: ﴿بَرَآءَةٌ﴾ أَوّل السورة فأُلِّفتْ بها أربعون آية.

وأخرج أيضاً من طريق داود، عن عامر في قوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ قال: هي أَوَّل آية نزلت في براءة في غزوة تبوك، فلمَّا رجع من تبوك نزلت براءة، إلَّا ثمان وثلاثين آية من أَوَّلها.

وأخرج من طريق سفيان وغيره، عن حبيب بن أبي عَمْرة، عن سعيد بن جُبير قال: أَوّل ما نزل من آل عمران: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [١٣٨]، ثم أُنزلَتْ بقيتُها يوم أُحُد.

---

(١) في «تفسيره» ٢/ ١٨٩ البقرة: ١٩٠.

(٢) ابن جرير في «تفسيره» الإسراء: ٣٣.

النوع الثامن

معرفة آخر ما نزل

فيه اختلاف، فروى الشيخان: عن البراء بن عازب قال: آخر آية نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦]، وآخر سورة نزلت: براءة[البخاري: ٤٦٠٥، ومسلم: ٤١٥٢ و٤١٥٣، وأحمد: ١٨٦٣٨].

وأخرج البخاريّ[٤٥٤٤] عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت آية الرِّبا.

وروى البيهقي[في «دلائل النبوة» (٧/١٣٨)] عن عمر مثلَه، والمراد بها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

وعند أحمد[٢٤٦] وابن ماجه[٢٢٧٦ وهو حسن] عن عمر: من آخر ما نزل: آية الربا.

وعند ابن مَرْدُويه عن أبي سعيد الخدري قال: خطَبَنا عمرُ فقال: إن مِن آخرِ القرآن نزولاً آيةَ الربا.

وأخرج النسائي من طريق عِكْرمة، عن ابن عباس قال: آخر شيء نَزَل من القرآن: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ﴾ الآية [البقرة: ٢٨١].

وأخرج ابن مردُويه نحوه، من طريق سعيد بن جُبير، عن ابن عباس بلفظ: آخر آية: نزلت.

وأخرجه ابن جرير من طريق العَوْفيّ والضحَّاك عن ابن عباس.

وقال الفِريابيّ في «تفسيره»: حدَّثنا سفيان، عن الكلبيّ، عن ابن صالح، عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الآية، وكان بين نزولها وبين موت النبي ﷺ أحدٌ وثمانون يوماً.

وأخرج ابن أبي حاتم(١) عن سعيد بن جُبير قال: آخر ما نزل من القرآن كلِّه: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾، وعاش النبيّ ﷺ بعد نزول هذه الآية تسعَ ليال، ثم مات ليلة الإثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول.

وأخرج ابن جرير مثله عن ابن جُريج.

وأخرج من طريق عطية عن أبي سعيد قال: آخر آية نزلت: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ﴾ الآية.

وأخرج أبو عُبيد في «**الفضائل**»(٢) عن ابن شهاب قال: آخر القرآن عهداً بالعرش آيةُ الربا وآيةُ الدَّيْن.

---

(١) في «تفسيره» ٢/ ٥٥٤ (٢٩٤٤) البقرة: ٢٨١.

(٢) «فضائل القرآن» ص ٣٦٩.

وأخرج ابن جرير من طريق ابن شهاب عن سعيد بن المسيَّب: أنَّه بلغه أنَّ أحدثَ القرآن عهداً بالعرش آيةُ الدَّين. مرسل صحيح الإسناد.

قلت: ولا منافاةَ عندي بين هذه الرّوايات في آية الربا: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ وآية الدَّيْن؛ لأنَّ الظاهر أنها نزلت دَفعة واحدة كترتيبها في المصحف، ولأنها في قصة واحدة. فأخبر كلٌّ عن بعض ما نزل بأنه آخر، وذلك صحيح، وقول البراء: آخر ما نزل: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾؛ أي: في شأن الفرائض.

وقال ابن حجر في «**شرح البخاري**»(1): طريق الجمع بين القولين في آية الربا: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ أنَّ هذه الآية هي ختام الآيات المنزَّلة في الربا، إذ هي معطوفة عليهنّ، ويجمع بين ذلك وبين قول البراء بأنَّ الآيتين نزلتا جميعاً، فيصدق أن كلًّا منهما آخرٌ بالنسبة لما عداهما. ويحتمل أن تكون الآخرية في آية النساء مقيدة بما يتعلّق بالمواريث بخلاف آية البقرة. ويحتمل عكسه، والأوّل أرجح لِمَا في آية البقرة من الإشارة إلى معنى الوفاة المستلزمة لخاتمة النزول. انتهى.

وفي «**المستدرك**» [(٢/٣٣٨)]: عن أُبيّ بن كعب قال: آخر آية نزلت: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: **١٢٨ ـ ١٢٩**] إلى آخر السورة.

وروى عبد الله بن أحمد في «**زوائد المسند**»(2) وابن مردويه، عن أُبيّ: أنَّهم جمعوا القرآن في خلافة أبي بكر، وكان رجالٌ يكتبون، فلما انتهوا إلى هذه الآية من سورة براءة: ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [**١٢٧**] ظنّوا أن هذا آخرُ ما نزل من القرآن، فقال لهم أُبيّ بن كعب: إنَّ رسول الله ﷺ أقرأني بعدها آيتين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، وقال: هذا آخرُ ما نزَل من القرآن، قال: فختَم بما فَتح به؛ بالله الذي لا إله إلا هو، وهو قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: **٢٥**].

وأخرج ابن مردُويه عن أُبيّ أيضاً قال: آخر القرآن عهداً بالله هاتان الآيتان: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾، وأخرجه ابن الأنباري بلفظ: أقرب القرآن بالسماء عهداً.

وأخرج أبو الشيخ في «**تفسيره**» من طريق عليّ بن زيد، عن يوسف المكيّ، عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾.

وأخرج مسلم [٧٥٤٦] عن ابن عباس، وقال: آخر سورة نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾.

وأخرج الترمذيّ [٣٠٦٣] والحاكم [(٢/٣١١)] عن عائشة قالت: آخر سُورة نزلت: المائدة، فما وجدتم فيها من حلالٍ فاستحلُّوه.. الحديثَ.

وأخرجا أيضاً عن عبد الله بن عمرو قال: آخر سورة نزلتْ سورة المائدة والفتح(3).

قلت: يعني: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾.

---

(١) «فتح الباري» كتاب التفسير ٩/ ١٧٤ (**٤٥٤٤**). (٢) «زوائد عبد الله بن أحمد» رقم (**١٤٣**).

(٣) الترمذي (**٣٠٦٣**)، وقال أبو عيسى: وهذا حديث حسنٌ غريب. وقد رُوي عن ابن عباس أنه قال: آخر سورة أُنزلتْ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١].

وفي حديث عثمان المشهور: براءةٌ من آخر القرآن نزولاً.

قال البيهقي: يجمع بين هذه الاختلافات ـ إن صحت ـ بأنَّ كلّ واحد أجاب بما عنده.

وقال القاضي أبو بكر في «**الانتصار**»(١): هذه الأقوال ليس فيها شيء مرفوعٌ إلى النبيّ ﷺ، وكلٌّ قاله بضَرْبٍ من الاجتهاد وغلبةِ الظنّ، ويحتمل أن كلًّا منهم أخبر عن آخر ما سمعه من النبيّ ﷺ في اليوم الذي مات فيه أو قبل مرضه بقليل، وغيرُه سَمِع منه بعد ذلك، وإن لم يسمعه هو. ويحتمل أيضاً أن تنزل هذه الآية التي هي آخرُ آيةٍ تلاها الرسول ﷺ مع آيات نزلت معها، فيؤمر برسمِ ما نزل معها بعد رسم تلك، فيظنُّ أنه آخر ما نزل في الترتيب. انتهى.

ومن غريب ما ورد في ذلك: ما أخرجه ابنُ جريرٍ عن معاوية بن أبي سفيان أنَّه تلا هذه الآية: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ الآية [الكهف: ١١٠]، وقال: إنها آخر آية نزلت من القرآن. قال ابن كثير(٢): هذا أثر مشكِلٌ...، ولعله أراد أنه لم ينزل بعدها آيةٌ تنسَخُها، ولا تُغيِّر حُكْمها، بل هي مُثْبَتةٌ محكَمة.

قلت: ومثله ما أخرجه البخاريّ [٤٥٩٠، ومسلم: ٧٥٤١] وغيره عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣] هي آخر ما نزل، وما نسخها شيءٌ.

وعند أحمد[٢١٤٢] والنسائيّ [(٧/ ٨٥) و(٨/ ٦٣) وهو صحيح] عنه: لقد نزلت في آخر ما نزل، ما نسخها شيء.

وأخرج ابن مردويه من طريق مجاهد، عن أُم سلمة قالت: آخر آية نزلت هذه الآية: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥] إلى آخرها.

قلت: وذلك أنها قالت: يا رسول الله، أرى الله يذكُر الرجالَ ولا يذكر النساء، فنزلت: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢]، ونزلت: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، ونزلت هذه الآية، فهي آخر الثلاثة نزولاً، أو آخر ما نزل بعدما كان ينزل في الرجال خاصَّة.

وأخرج ابن جرير عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحدَه وعبادتِه لا شريك له، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، فارَقَها والله عنه راضٍ**». قال أنس: وتصديق ذلك في كتاب الله في آخر ما نزل: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الآية [التوبة: ٥].

قلت: يعني في آخر سورةٍ نزلت.

وفي «**البرهان**» لإمام الحرمين: إنَّ قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا﴾ الآية [الأنعام: ١٤٥]: من آخر ما نزل.

وتعقَّبه ابن الحصَّار بأن السورة مكية باتِّفاق، ولم يَرِدْ نقلٌ بتأَخُّر هذه الآية عن نزول السورة، بل هي في مُحَاجَّة المشركين ومخاصمتهم وهم بمكَّة. انتهى.

---

(١) «الانتصار للقرآن» أبو بكر محمد ابن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ)١/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦، وانظر «البرهان» ١/ ٣٠٠.

(٢) «تفسير ابن كثير» سورة الكهف؛ آخرها.

تنبيه: من المشكل على ما تقدّم قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فإنَّها نزلت بعرفة عام حَجَّة الوداع، وظاهرها إكمال جميع الفرائض والأحكام قبلها، وقد صرَّح بذلك جماعة؛ منهم: السُّدِّي، فقال: لم ينزل بعدها حلالٌ ولا حرامٌ، مع أنه وارد في آية الربا والدَّيْن والكلالة أنَّها نزلت بعد ذلك.

وقد استشكل ذلك ابنُ جرير وقال: الأَوْلى أن يُتأَوَّل على أنه أكمل لهم دينَهم بإقرارهم[1] بالبلد الحرام وإجلاء المشركين عنه، حتى حجَّهُ المسلمون لا يخالطهم المشركون. ثم أيَّده بما أخرجه من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: كان المشركون والمسلمون يَحُجُّون جميعاً، فلما نزلت براءةُ نُفِيَ المشركون عن البيت، وحجَّ المسلمون لا يشاركهم في البيت الحرام أحدٌ من المشركين؛ فكان ذلك من تمام النعمة: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣].

❁ ❁ ❁

(١) في نسخة: بإفرادهم وهو صحيح أيضاً.

النوع التاسع

معرفة سبب النزول

أفرده بالتَّصنيف جماعة أقدمُهم علي بنُ المدينيّ شيخُ البخاريّ، ومن أشهرِها كتابُ الواحديّ على ما فيه من إعواز، وقد اختصره الجَعْبَري[1]، فحذفَ أسانيدَه، ولم يزد عليه شيئاً.

وألَّف فيه شيخ الإسلام أبو الفضل ابنُ حجر كتاباً مات عنه مسوّدة، فلم نقف عليه كاملاً.

وقد أَلَّفتُ فيه كتاباً حافلاً موجَزاً محرَّراً لم يؤلف مثلُه في هذا النَّوع، سميتُه: «**لباب النُّقول في أسباب النزول**».

قال الجَعْبَري: نزول القرآن على قسمين: قسم نَزَل ابتداءً، وقسم نزل عقِب واقعةٍ أو سؤالٍ، وفي هذا النوع مسائل:

المسألة الأولى:

زعم زاعم أنَّه لا طائل تحت هذا الفن؛ لجريانه مجرى التاريخ، وأخطأ في ذلك، بل له فوائد:

منها: معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحُكْم.

ومنها: تخصيص الحكم به عند من يرى أن العِبْرة بخصوص السبب.

ومنها: أن اللفظ قد يكون عامًّا، ويقوم الدليل على تخصيصه، فإذا عُرِف السبب قصر التخصيصُ على ما عدا صورته، فإنَّ دخول صورة السبب قطعيّ وإخراجها بالاجتهاد ممنوعٌ، كما حكى الإجماعَ عليه القاضي أبو بكر في «**التقريب**»، ولا التفاتَ إلى من شذَّ فجوَّز ذلك.

ومنها: الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال. قال الواحديّ: لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصَّتها وبيان نزولها.

وقال ابن دقيق العيد: بيان سبب النزول طريقٌ قويٌّ في فهمِ معاني القرآن.

وقال ابن تيمية[2]: معرفة سبب النزول يُعين على فهم الآية؛ فإنَّ العلم بالسبب يُورِثُ العلم بالمُسبّب.

وقد أشكل على مروانَ بنِ الحَكَم معنى قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾ الآية [آل عمران: ١٨٨]. وقال: لئن كان كلُّ امرئ فَرِح بما أُوتيَ، وأَحَبَّ أن يُحْمَدَ بما لم يفعل مُعَذَّباً،

---

(١) الجعبري: إبراهيم بن عمر، عالم بالقراءات، من فقهاء الشافعية (ت: ٧٣٢ هـ). «معرفة القراء الكبار» للذهبي ٢/ ٧٤٣، و«الدرر الكامنة» ١/ ٥٠.

(٢) في «مقدمة في أصول التفسير» ص ٣٨.

لنُعذَّبنَّ أجمعون! حتى بيَّن له ابنُ عباس أن الآية نزلتْ في أهل الكتاب حين سألهم النبيُّ ﷺ عن شيء، فكتموه إيّاه، وأخبروه بغيره، وأَرَوه أنَّهم أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه. أخرجه الشيخان. [البخاري: ٤٥٦٨، ومسلم: ٧٠٣٤، وأحمد: ٢٧١٢].

وحُكِي عن عثمان بن مَظْعون وعمرو بن معدي كرب: أنَّهما كانا يقولان: الخمر مباحة، ويحتجان بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ الآية [المائدة: ٩٣]. ولو علما سببَ نزولها لم يقولا ذلك، وهو: أنَّ ناساً قالوا لمَّا حُرِّمت الخمر: كيف بمَنْ قُتلوا في سبيل الله وماتوا وكانوا يشربون الخمر وهي رجس؟ فنزلت. أخرجه أحمد [٢٦٩١] والنسائي وغيرهما. [والترمذي: ٣٠٥٢ وهو صحيح لغيره].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾ [الطلاق: ٤]، فقد أشكل معنى هذا الشرط على بعض الأئمة، حتى قال الظاهرية بأن الآيسة لا عِدَّة عليها إذا لم تَرْتَبْ[1]. وقد بين ذلك سببُ النزول، وهو أنَّه لما نزلت الآية التي في سورة البقرة في عِدَد النساء. قالوا: قد بقيَ عَددٌ من عِدَد النساء لم يذكرْنَ: الصغار والكبار، فنزلت. أخرجه الحاكم [(٢/ ٤٩٢) وهو صحيح] عن أُبي. فعُلم بذلك أنَّ الآية خطاب لمن لم يعلم ما حكمهنَّ في العدَّة، وارتاب: هل عليهنَّ عِدَّة أوْ لا؟ وهل عِدَّتهنَّ كاللاتي في سورة البقرة أو لا؟ فمعنى ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ إن أشكل عليكم حكمهن، وجهلتم كيف يعتَدِدْن؛ فهذا حكمهنّ.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]. فإنَّا لو تُركنا ومدلولَ اللفظ لاقتضى أن المصلِّيَ لا يجب عليه استقبال القبلة سَفَراً ولا حضراً، وهو خلاف الإجماع، فلما عُرف سبب نزولها عُلم أنها في نافلة السفر، أو فيمن صلَّى بالاجتهاد وبان له الخطأ، على اختلاف الروايات في ذلك.

ومن ذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]؛ فإن ظاهر لفظها لا يقتضي أنَّ السَّعي فرضٌ. وقد ذهب بعضهم إلى عدم فرضيَّته تمسُّكاً بذلك، وقد ردَّت عائشة على عروة في فهمه ذلك بسبب نزولها، وهو أنَّ الصحابة تأثَّموا من السَّعْي بينهما؛ لأنَّه من عمل الجاهليَّة، فنزلت. [البخاري: ١٦٤٣، ومسلم: ٣٠٨١، وأحمد: ٢٥١١٢].

ومنها: دفع توهُّم الحَصْر، قال الشافعيّ ما معناه في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا﴾ الآية [الأنعام: ١٤٥]: إنَّ الكفار لما حَرَّموا ما أَحلَّ الله وأَحلُّوا ما حرَّم الله، وكانوا على المضادَّة والمحادَّة، فجاءت الآية مناقضةً لغرضهم، فكأنَّه قال: لا حلالَ إلَّا ما حرَّمتموه، ولا حرامَ إلَّا ما أَحللتموه، نازلاً منزلةَ من يقول: لا تأكل اليوم حلاوةً، فتقول: لا آكل اليوم إلَّا الحلاوة، والغرض المضادَّةُ لا النفي والإثبات على الحقيقة، فكأنه تعالى قال: لا حَرَامَ إلَّا ما أَحللتموه من الميتة

---

(١) تَرْتَب: ماضيه: ارتاب، يَرْتاب.

والدم ولحم الخنزير وما أُهلَّ لغير الله به، ولم يقصد حلَّ ما وراءه؛ إذ القصد إثبات التحريم لا إثبات الحلّ.

قال إمام الحرمين[1]: وهذا في غاية الحُسْن، ولولا سبق الشافعي إلى ذلك لَمَا كنَّا نستجيزُ مخالفةَ مالكٍ في حَصْر المحرَّمات فيما ذكرتْه الآية.

ومنها: معرفة اسم النازل فيه الآيةُ وتعيين المبهَم فيها، ولقد قال مروان في عبد الرحمن بن أبي بَكْر: إنَّه الذي أُنزل فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ [الأحقاف: ١٧] حتى ردَّت عليه عائشةُ وبيَّنت له سببَ نزولها. [البخاري: ٤٨٢٧].

المسألة الثانية:

اختلفَ أهل الأصول: **هل العِبْرة بعموم اللفظ أو بخصوص السَّبب؟**

والأصحّ عندنا: الأوَّل، وقد نزلت آيات في أسباب، واتفقوا على تعديتها إلى غير أسبابها، كنزول آية الظِّهار في سَلَمة بن صَخْر، وآية اللّعان في شأن هلال بن أُمية، وحدِّ القذف في رُماة عائشة، ثم تعدَّى إلى غيرهم.

ومن لم يَعتبرْ عموم اللفظ قال: خرجتْ هذه الآيات ونحوُها لدليل آخر، كما قُصرت آيات على أسبابها اتفاقاً لدليل قام على ذلك.

قال الزمخشري في سورة الهُمَزة[2]: يجوز أن يكون السَّبب خاصًّا والوعيدُ عامًّا؛ ليتناول كلَّ من باشر ذلك القبيحَ؛ وليكون ذلك جارياً مجرى التعريض.

قلت: ومن الأدلَّة على اعتبار عموم اللفظ: احتجاجُ الصحابة وغيرُهم في وقائعَ بعموم آيات نزلت على أسباب خاصة، شائعاً ذائعاً بينهم.

قال ابن جرير: حدَّثني محمد بن أبي مَعْشَر، أخبرنا أبي أبو معشر نَجِيح، سمعت سعيداً المقبُريَّ يذاكر محمدَ بن كعب القُرَظيّ، فقال سعيد: إنَّ في بعض كتب الله: إنَّ لله عباداً ألسنتُهم أَحْلَى من العسل، وقلوبُهم أمرُّ من الصبر، لبسوا لباس مُسُوك الضأْن، من اللِّين، يجترُّون الدنيا بالدين. فقال محمد بنُ كعب: هذا في كتاب الله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الآية [البقرة: ٢٠٤]. فقال سعيد: قد عرفتُ فيمن أُنزلت؟ فقال محمد بنُ كعب: إنَّ الآية تنزل في الرجل ثم تكون عامةً بعدُ.

فإن قلت: فهذا ابن عباس لم يعتبر عمومَ قوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ الآية [آل عمران: ١٨٨] بل قَصَرها على ما أُنزلت عليه من قصَّة أهل الكتاب؟

قلت: أُجيب عن ذلك بأنه لا يخفى عليه أنَّ اللفظ أعمُّ من السبب، لكنه بيّن أنَّ المراد باللفظ

---

(١) هو الجويني، وانظر قوله في «البرهان» ١/ ١١٨.

(٢) في «الكشاف» في شرح الآية الأولى من سورة الهمزة ٦/ ٤٢٩.

خاصّ، ونظيره: تفسير النبي ﷺ الظُّلم في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] بالشرك من قوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] مع فهم الصحابة العمومَ في كلِّ ظلم. [البخاري: ٣٢، ومسلم: ٣٢٧، وأحمد: ٣٥٨٩].

وقد ورَد عن ابن عباس ما يدُلُّ على اعتبار العموم، فإنَّه قال به في آية السرقة، مع أنها نزلت في امرأةٍ سرقت. قال ابن أبي حاتم(١): حدَّثنا عليّ بن الحسين، حدثنا محمد بن أبي حمَّاد، حدثنا أبو ثميلة بن عبد المؤمن، عن نجْدَة الحنفي قال: سألتُ ابن عباس عن قوله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]. أخاصٌّ أم عام؟ قال: بل عامٌّ.

وقال ابن تيمية(٢): قد يجيء كثيراً من هذا الباب قولُهم: هذه الآية نزلت في كذا، لا سيّما إنْ كان المذكور شخصاً، كقولهم: إنَّ آية الظِّهار نزلت في امرأة ثابت بن قيس، وإن آية الكلالة نزلتْ في جابر بن عبد الله [البخاري: ١٩٤، ومسلم: ٤١٤٥، وأحمد: ١٤١٨٦]، وإن قوله: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم﴾ [المائدة: ٤٩] نزلت في بني قريظة والنَّضير، ونظائر ذلك مما يذكرون أنه نزل في قوم من المشركين بمكة، أو في قوم من اليهود والنصارى، أو في قوم من المؤمنين. فالذين قالوا ذلك لم يقصدوا أنَّ حكم الآية يختص بأولئك الأعيان دون غيرهم، فإن هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل على الإطلاق، والناس وإن تنازعوا في اللفظ العامّ الوارد على سبب: هل يختصّ بسببه؟ فلم يقل أحد: إن عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعيَّن، وإنما غاية ما يقال: إنها تختص بنوع ذلك الشخص فتعمُّ ما يشبهه، ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ، والآيةُ التي لها سبب معيّن: إن كانت أمراً أو نهياً فهي متناولةٌ لذلك الشخص ولغيره ممن كان بمنزلته، وإن كانت خبراً بمدح أو ذمّ، فهي متناولة لذلك الشخص ولمن كان بمنزلته. انتهى.

تنبيه: قد علمتَ مما ذكر: أن فرض المسألة في لفظ له عموم، أمَّا آية نزلت في معيّن ولا عموم للفظها، فإنَّها تقصر عليه قطعاً، كقوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ [الليل: ١٧ ـ ١٨] فإنَّها نزلت في أبي بكر الصديق بالإجماع، وقد استدل بها الإمام فخر الدين الرازي مع قوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] على أنه أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ.

ووَهِمَ مَنْ ظنَّ أن الآية عامَّة في كلِّ مَنْ عمِل عَمَلَهُ، إجراءً له على القاعدة، وهذا غلط؛ فإنَّ هذه الآيةَ ليس فيها صيغة عموم، إذ الألف واللام إنما تفيد العموم إذا كانت موصولة أو معرَّفةً في جمع ـ زاد قوم: أو مفرد ـ بشرط ألَّا يكون هناك عهد. واللام في ﴿ٱلْأَتْقَى﴾ ليست موصولة، لأنها لا توصل بأفعل التفضيل إجماعاً، و﴿ٱلْأَتْقَى﴾ ليس جمعاً، بل هو مفرد، والعهد موجود، خصوصاً مع ما يفيده صيغة (أفعل) من التمييز وقطع المشاركة، فبطل القول بالعموم، وتعيَّن القطع بالخصوص والقصر على من نزلت فيه رضي الله عنه.

---

(١) بدأ ابن أبي حاتم تفسير سورة المائدة بالآية (٤٠)، وآية السرقة هي (٣٨).

(٢) في «مقدمة في أصول التفسير» ص ٣٤.

المسألة الثالثة:

تقدَّم أن صورة السبب قطعية الدخول في العامّ، وقد تنزل الآيات على الأسباب الخاصة وتوضع مع ما يناسبها من الآي العامّةِ؛ رعايةً لنظم القرآن وحسن السِّياق، فيكون ذلك الخاصّ قريباً من صورة السبب في كونه قطعيّ الدخول في العامّ، كما اختار السبكي أَنَّه رتبةٌ متوسطة دون السبب وفوق المجرد، مثاله قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١] إلى آخره، فإنَّها إشارة إلى كَعب بن الأشرف ونحوه من علماء اليهود، لمَّا قدموا مكة وشاهدوا قَتْلَى بدْرٍ، حرَّضوا المشركين على الأخذ بثأرهم ومحاربة النبي ﷺ فسألوهم: مَنْ أهدى سبيلاً، محمدٌ وأصحابه أم نحن؟ فقالوا: أنتم، مع علمهم بما في كتابهم من نعت النبي ﷺ المنطبق عليه، وأخذِ المواثيق عليهم أنْ لا يكتموه، فكان ذلك أمانةً لازمةً لهم، ولم يؤدُّوها حيث قالوا للكفار: أنتم أهدى سبيلاً؛ حسداً للنبي ﷺ فقد تضمَّنت هذه الآيةُ ـ مع هذا القول ـ التوعُّدَ عليه المفيد للأمر بمقابله، المشتمل على أداء الأمانة التي هي بيان صفة النبي ﷺ بإفادة أنَّه الموصوفُ في كتابهم، وذلك مناسب لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]. فهذا عامّ في كلّ أمانة، وذلك خاص بأمانةٍ؛ هي صفة النبي ﷺ بالطريق السابق، والعامّ تالٍ للخاصّ في الرسم، متراخٍ عنه في النزول، والمناسبة تقتضي دخول ما دلَّ عليه الخاصّ في العام، ولذا قال ابن العربي في «تفسيره»: وجه النظم أنَّه أخبر عن كتمان أهل الكتاب صفةَ محمد ﷺ، وقولَهم: إنَّ المشركين أهدى سبيلاً؛ فكان ذلك خيانةً منهم، فانجرَّ الكلام إلى ذكر جميع الأمانات. انتهى.

قال بعضهم: ولا يَرِدُ تأخُّر نزول آية الأمانات عن التي قبلها بنحو ستّ سنين؛ لأن الزمان إنما يشترط في سبب النزول لا في المناسبة؛ لأنَّ المقصود منها وضع آية في موضع يناسبها، والآيات كانت تنزل على أسبابها، ويأمر النبي ﷺ بوضعها في المواضع التي علم من الله أنَّها مواضعُها.

المسألة الرابعة:

قال الواحدي(١): لا يحلُّ القول في أسباب نزول الكتاب إلَّا بالرواية والسماع ممَّن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها... وقد قال محمد بن سيرين: سألت عَبيدةَ عن آية من القرآن، فقال: اتقِ الله وقل سَداداً، ذهب الذين يعلمون فيمَ أنزل الله القرآن.

وقال غيره: معرفة سبب النزول أمر يحصُل للصحابة بقرائنَ تحتفّ بالقضايا، وربما لم يجزِم بعضهم، فقال: أحسِب هذه الآية نزلت في كذا، كما أخرج الأئمة الستة عن عبد الله بن الزبير قال: خاصمَ الزبيرُ رجلاً من الأنصار في شِرَاجِ الحَرَّة، فقال النبيُّ ﷺ: **«اسْقِ يا زبير، ثم أرسِلِ الماء إلى جارك»**. فقال الأنصاريّ: يا رسول الله، أنْ كان ابنَ عمتك! فتلوّن وجهه... الحديثَ. قال الزبير: فما

---

(١) في «أسباب النزول» ص ٥.

أحسب هذه الآيات إلّا نزلت في ذلك: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[١] [النساء: ٦٥] [البخاري: ٤٥٨٥، ومسلم: ٦١١٢، وأحمد: ١٤١٩].

قال الحاكم في «علوم الحديث»[٢]: إذا أخبر الصحابيّ الذي شهد الوحيَ والتنزيل عن آيةٍ من القرآن: أنَّها نزلت في كذا، فإنَّه حديث مسنَد. ومشى على هذا ابنُ الصلاح وغيره، ومثَّلوه بما أخرجه مسلم [٣٥٣٥] عن جابر، قال: كانت اليهود تقول: مَن أتى امرأته من دُبُرها في قُبُلها، جاء الولد أحولَ، فأنزل الله: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وقال ابن تيمية[٣]: قولهم: نزلت هذه الآية في كذا، يراد به تارةً سببُ النزول، ويراد به تارة أنَّ ذلك داخلٌ في الآية وإنْ لم يكن السبب، كما تقول: عُني بهذه الآية كذا. وقد تنازع العلماء في قول الصحابيّ: نزلت هذه الآية في كذا، هل يجري مجرى المسند، كما لو ذكر السبب الذي أنزلت لأجله، أو يجري مجرى التفسير منه الذي ليس بمسند؟ فالبخاري يُدخِله في المسند، وغيرُهُ لا يدخله فيه، وأكثر المسانيد على هذا الاصطلاح كمسند أحمد وغيرِه، بخلاف ما إذا ذكر سبباً نزلت عَقِبه، فإنَّهم كلَّهم يُدْخلون مثل هذا في المسند. انتهى.

وقال الزركشيّ في «البرهان»[٤]: قد عرف من عادة الصحابة والتابعين أنَّ أحدهم إذا قال: نزلت هذه الآية في كذا، فإنَّه يريد بذلك أنَّها تتضمن هذا الحُكْمَ، لا أنَّ هذا كان السببَ في نزولها، فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية، لا من جنس النقل لما وقع.

قلت: والذي يتحرَّر في سبب النزول أنَّه: ما نزلت الآية أيَّام وقوعه، ليخرج ما ذكره الواحديّ في سورة الفيل من أن سببَها قصَّة قدوم الحبشة به؛ فإنَّ ذلك ليس من أسباب النزول في شيء، بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية، كذكر قصة قوم نوح وعاد وثمود وبناء البيت، ونحو ذلك. وكذلك ذكرُه في قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥] سببُ اتخاذه خليلاً ليس ذلك من أسباب نزول القرآن، كما لا يخفى.

تنبيه: ما تقدم أنَّه من قبيل المسنَد من الصحابيّ: إذا وقع من تابعي فهو مرفوع أيضاً، لكنه مرسل، فقد يُقْبَل إذا صح السَّند إليه، وكان من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة؛ كمجاهدٍ وعِكْرمةَ وسعيدِ بن جُبير، أو اعتضد بمرسلٍ آخرَ ونحو ذلك.

المسألة الخامسة:

كثيراً ما يذكر المفسرون لنزول الآية أسباباً متعدّدة، وطريقُ الاعتماد في ذلك أن يُنظر إلى العبارة الواقعة:

---

(١) الشِّراج جمع شَرْج، وهو: مسيلُ ماءٍ من الحرَّة إلى السَّهْلِ. «القاموس المحيط»: شرج.
(٢) «معرفة علوم الحديث» ص ٢٠.
(٣) في «مقدمته» ص ٣٨.
(٤) «البرهان في علوم القرآن» ١/ ١٢٦.

* فإن عبَّر أحدهم بقوله: نزلت في كذا، والآخر: نزلت في كذا، وذكر أمراً آخر، فقد تقدم أن هذا يراد به التفسيرُ لا ذكرُ سبب النزول، فلا منافاة بين قولهما إذا كان اللفظ يتناولهما، كما سيأتي تحقيقه في النوع الثامن والسبعين.

* وإن عبَّر واحد بقوله: نزلت في كذا، وصرَّح الآخر بذكر سبب خلافه فهو المعتمَد، وذاك استنباط. ومثاله ما أخرجه البخاري [٤٥٢٨، ومسلم: ٣٥٣٥] عن ابن عمر، قال: أنزلت: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] في إتيان النساء في أدبارهنّ. وتقدَّم عن جابر التصريحُ بذكر سبب خلافه، فالمعتمَد حديث جابر؛ لأنه نقلٌ، وقول ابن عمر استنباط منه، وقد وهَّمه فيه ابن عباس، وذَكر مثل حديث جابر، كما أخرجه أبو داود [٢١٦٤] والحاكم [(٢/ ١٩٥)].

* وإن ذكر واحدٌ سبباً وآخرُ سبباً غيرَهُ، فإن كان إسنادُ أحدهما صحيحاً دون الآخر فالصحيحُ المعتمَدُ، مثاله ما أخرجه الشيخان وغيرهما عن جُنْدَب: اشتكى النبيّ ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين، فأتته امرأة، فقالت: يا محمد، ما أرى شيطانَك إلّا قد تركَك، فأنزل الله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ١ ـ ٣] [البخاري: ٤٩٥٠، ومسلم: ٤٦٥٧، وأحمد: ٨٧٩٦].

وأخرج الطَّبراني [في «الكبير» ٢٤/ (٦٣٦)] وابن أبي شيبة عن حفص بن مَيْسرة، عن أمه، عن أمها ـ وكانت خادمَ رسول الله ﷺ ـ أن جَرْواً دخل بيت النبي ﷺ، فدخل تحت السرير فمات، فمكَث النبيُّ ﷺ أربعة أيام لا يَنزِلُ عليه الوحي، فقال: «**يا خولة، ما حَدَث في بيت رسول الله؟ جبريل لا يأتيني**». فقلت في نفسي: لو هيّأتِ البيت وكَنسْتِه، فأهْوَيْتُ بالمِكْنَسَةِ تحت السرير، فأخرجتُ الجَرْوَ، فجاء النبي ﷺ تُرعَدُ لحيته ـ وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته الرِّعْدَة ـ فأنزل الله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿فَتَرۡضَىٰٓ﴾.

وقال ابن حجر في «**شرح البخاري**»: قصة إبطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة، لكن كونها سببَ نزول الآية غريب، وفي إسناده من لا يُعرف، فالمعتمَد ما في الصحيح[1].

ومن أمثلته أيضاً ما أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم[2] من طريق عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: أنَّ رسول الله ﷺ لمَّا هاجر إلى المدينة، أمره الله أن يستقبل بيت المقدس، ففرِحَتِ اليهودُ، فاستقبله بضعة عشر شهراً ـ وكان يحبّ قِبلة إبراهيم ـ فكان يدعو الله وينظُر إلى السماء، فأنزل الله: ﴿فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٥٠]. فارتاب من ذلك اليهودُ، وقالوا: ما ولَّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها! فأنزل الله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُ﴾ [البقرة: ١٤٢] وقال: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥][3].

---

(١) «فتح الباري» كتاب التفسير ٩/ ٦١٥ (٤٩٥٠)، وقوله: لكن كونها سببَ نزولِ هذه الآية غريب، بل شاذ مردودٌ بما في الصحيح..

(٢) في «تفسيره» ١/ ٢٤٨ (١٣٢٩) البقرة: ١٤٢.

(٣) انظر «مسند أحمد» (٢٢٥٢) وله شاهد من حديث البراء عند البخاري (٤٠)، ومسلم (١١٧٦) وانظر «مسند أحمد» (١٨٤٩٦) وفي هذه المصادر: ستة عشر ـ أو سبعة عشر ـ شهراً.

(١) وأخرج الحاكم [(٢/٢٦٦)] وغيره عن ابن عمر قال: نزلت ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ أنْ تُصلِّيَ حيثما تَوَجَّهتْ بك راحلتُك في التطوُّع.

(٢) وأخرج الترمذيّ [٢٩٥٧] ـ وضعَّفه ـ من حديث عامر بن رَبيعة، قال: كنَّا في سفر في ليلةٍ مظلمة، فلم ندرِ أين القِبلة، فصلى كلُّ رجل منَّا على حِياله، فلمَّا أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ، فنزلت. [قال الألباني: حسن].

(٣) وأخرج الدَّارقطني [في «السنن»: ١٠٥٠] نحوَهُ من حديث جابر، بسند ضعيف أيضاً.

(٤) وأخرج ابن جرير: عن مجاهد قال: لمّا نزلت: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] قالوا: إلى أين؟ فنزلت. مرسل.

(٥) وأخرج عن قتادة: أنَّ النبي ﷺ قال: «**إنَّ أخاً لكم قد مات فصلُّوا عليه**». فقالوا: إنه كان لا يصلِّي إلى القِبلة، فنزلت. معضَلٌ غريبٌ جدًّا.

فهذه خمسةُ أسباب مختلفة، وأضعفُها الأخيرُ لإعضاله، ثم ما قبله لإرساله، ثم ما قبله لضعف رواته، والثاني صحيحٌ، لكنه قال: قد أُنزلت في كذا، ولم يُصرِّح بالسبب، والأوّل صحيحُ الإسناد، وصرَّح فيه بذكر السبب، فهو المعتمَدُ.

ومن أمثلته أيضاً: ما أخرجه ابنُ مَرْدُويه، وابن أبي حاتم[١] من طريق ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة ـ أو سعيد ـ عن ابن عباس قال: خرج أمية بن خَلف وأبو جهل بن هشام ورجالٌ من قريش، فأتَوا رسولَ الله ﷺ، فقالوا: يا محمد، تعال فتمسَّحْ بآلهتنا، وندخل معك في دينك ـ وكان يُحِبُّ إسلامَ قومه ـ فرقَّ لهم، فأنزل الله: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ الآيات [الإسراء: ٧٣ ـ ٧٧].

وأخرج ابن مردويه من طريق العَوْفيّ، عن ابن عباس: أن ثَقيفاً قالوا للنبي ﷺ: أجِّلْنا سنةً حتى يُهدى لآلهتنا، فإذا قبضْنا الذي يُهدَى لها أحرزناه، ثم أسلمنا. فهَمَّ أن يؤجِّلهم، فنزلت.

هذا يقتضي نزولَها بالمدينة. وإسناده ضعيف، والأوَّل يقتضي نزولها بمكة وإسناده حسن، وله شاهد عند أبي الشيخ عن سعيد بن جبير، يرتقي إلى درجة الصحيح، فهو المعتمَدُ.

الحال الرابع:[٢] أن يستوي الإسنادان في الصحَّة، فيرجَّح أحدُهما بكون راويه حاضرَ القصة، أو نحو ذلك من وجوه الترجيحات. مثاله ما أخرجه البخاريّ [١٢٥] عن ابن مسعود قال: كنت أمشي مع النبيّ ﷺ بالمدينة، وهو يتوكأ على عَسيب، فمرَّ بنفرٍ من اليهود، فقال بعضهم: لو سألتموه! فقالوا: حَدِّثْنا عن الرُّوح، فقام ساعة ورفع رأسه، فعرفتُ أنه يوحى إليه، حتى صعد الوحي، ثم قال: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] [ومسلم: ٧٠٥٩، وأحمد: ٣٦٨٨].

---

(١) في «تفسيره» ٧/ ٢٣٤٠ (١٣٣٥١) الإسراء: ٧٣.

(٢) تضمنت المسألة الخامسةُ الأحوالَ الثلاثة.

وأخرج الترمذي [٣١٤٠] ـ وصححه ـ عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود: أعطُونا شيئاً نسألْ هذا الرجل، فقالوا: اسألوه عن الرُّوح، فسألوه، فأنزل الله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ الآية. فهذا يقتضي أنها نزلت بمكة. والأوَّل خلافه، وقد رُجِّح بأنَّ ما رواه البخاري أصحُّ من غيره، وبأنَّ ابن مسعود كان حاضرَ القصة.

الحال الخامس: أن يمكن نزولها عقيب السببين والأسباب المذكورة، بألَّا تكون معلومةَ التباعد، كما في الآيات السابقة، فيُحمل على ذلك. ومثاله: ما أخرجه البخاريّ [٤٧٤٧] من طريق عِكْرِمة عن ابن عبَّاس: أنَّ هلال بن أُميَّة قَذَف امرأتَه عند النبي ﷺ بشَريك بن سَحْماء، فقال النبيّ ﷺ: «**البينةَ أو حدٌّ في ظهرك**». فقال: **يا رسول الله، إذا رأى أحدُنا مع امرأته رجلاً؛ ينطَلِق يَلتمِسُ البيِّنة! فأنزل عليه**: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾.. حتى بلغ: ﴿إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [النور: ٦ ـ ٩] [ومسلم: ٣٧٥٨، وأحمد: ٢١٣١].

وأخرج الشيخان عن سهل بن سعد قال: جاء عُوَيمر إلى عاصم بن عديّ فقال: اسأل رسول الله ﷺ: أرأيت رجلاً وَجَدَ معَ امرأته رجلاً، فقتله، أيُقتلُ به، أم كيف يصنع؟ فسأل عاصم رسولَ الله ﷺ: فعاب المسائلَ، فأخبر عاصمٌ عويمراً، فقال: والله لآتينَّ رسول الله ﷺ، فلأسألنَّه، فأتاه، فقال: «**إنَّه قد أُنزل فيك وفي صاحبتك قرآنٌ..**» الحديثَ. [البخاري: ٥٢٥٩، ومسلم: ٣٧٤٣، وأحمد: ٢٢٨٥١].

جُمع بينهما بأنَّ أوَّل ما وقع له ذلك هلال، وصادف مجيء عويمر أيضاً، فنزلت في شأنهما معاً. وإلى هذا جَنَحَ النَّووي[1]، وسبقه الخطيب، فقال: لعلَّهما اتفق لهما ذلك في وقت واحد.

وأخرج البزار [«مسنده»: ٢٩٤٠]: عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «**لو رأيتَ مع أمِّ رُومان رجلاً ما كنتَ فاعلاً به؟**» قال: شرًّا، قال: «**فأنت يا عمر؟**» قال: كنت أقول: لعن الله الأعجز، فإنَّه لَخبيثٌ. فنزلت.

قال ابن حجر: لا مانع من تعدُّد الأسباب.

الحال السادس: ألَّا يمكن ذلك، فيُحمل على تعدُّد النزول وتكرره. مثاله: ما أخرجه الشيخان عن المسيّب قال: لما حضرت أبا طالب الوفاةُ، دخل عليه رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أُميَّة، فقال: «**أيْ عمِّ، قل: لا إله إلا الله، أُحاجُّ لك بها عند الله**». فقال أبو جهل وعبد الله: يا أبا طالب، أترغب عن ملَّة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلِّمانه حتى قال: هو على ملَّة عبد المطلب، فقال النبي ﷺ: «**لأستغفرنَّ لك ما لم أُنهَ عنه**»، فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ﴾ الآية [التوبة: ١١٣] [البخاري: ٣٨٨٤، ومسلم: ١٣٢، وأحمد: ٢٣٦٧٤].

وأخرج الترمذي [٣١٠١] ـ وحسَّنه ـ عن علي قال: سمعتُ رجلاً يستغفرُ لأبويه وهما مشركان، فقلت: تستغفر لأبويك وهما مشركان؟ فقال: استغفر إبراهيمُ لأبيه وهو مشرك، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فنزلت.

---

(١) شرح النووي على مسلم ٣/ ١٥٤٤ عند حديث (١٤٩١).

وأخرج الحاكم [(٢/ ٣٣٦)] وغيره: عن ابن مسعود قال: خرج النبي ﷺ يوماً إلى المقابر، فجلس إلى قبر منها، فناجاه طويلاً، ثم بكى، فقال: «**إن القبر الذي جلستُ عنده قبر أُمِّي، وإنِّي استأْذنتُ ربِّي في الدعاء لها فلم يأذن لي، فأنزل عليَّ**: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾» .

فنجمع بين هذه الأحاديث بتعدد النزول.

ومن أمثلته أيضاً: ما أخرجه البيهقي والبزار عن أبي هريرة: أنَّ النبيّ ﷺ وقف على حمزة حين استُشْهِدَ، وقد مُثِّل به، فقال: «**لأُمثلنَّ بسبعين منهم مكانك**». فنزل جبريل ـ والنبي ﷺ واقف ـ بخواتيم سورة النحل: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [النحل: ١٢٦] إلى آخر السورة.

وأخرج الترمذيّ [٣١٢٩ وحسنه] والحاكم [(٢/ ٣٥٩) وصححه وأقره الذهبي] عن أُبيّ بن كعب قال: لـمّا كان يومُ أُحُدٍ أُصِيب من الأنصار أربعةٌ وستون، ومن المهاجرين ستَّة، منهم حمزةُ، فمثَّلوا بهم، فقالت الأنصارُ: لئن أَصَبْنا منهم يوماً مثلَ هذا لَنُرْبِيَنَّ عليهم. فلمَّا كان يومُ فتح مكة أنزل الله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ الآيةَ. فظاهره تأخير نزولها إلى الفتح، وفي الحديث الذي قبله نزولها بأُحُد.

قال ابنُ الحصَّار: ويُجمع بأنها نزلت أوّلاً بمكة قبل الهجرة مع السورة؛ لأنَّها مكية، ثم ثانياً بأُحُد، ثم ثالثاً يوم الفتح؛ تذكيراً من الله لعباده. وجعل ابن كثير من هذا القسم آيةَ الروح.

تنبيه: قد يكون في إحدى القصتين: (فتلا) فيَهِمُ الراوي فيقول: (فنزل).

مثاله: ما أخرجه الترمذي [٣٢٤٠] ـ وصححه ـ عن ابن عباس قال: مرَّ يهوديّ بالنَّبي ﷺ، فقال: كيف تقول يا أبا القاسم، إذا وضَع اللهُ السمواتِ على ذِهْ، والأرضينَ على ذِهْ، والماءَ على ذِهْ، والجبالَ على ذِهْ، وسائر الخلق على ذِهْ؟ فأنزل الله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ الآية [الأنعام: ٩١] و[الزمر: ٦٧]. والحديث في الصحيح [البخاري: ٤٨١١، ومسلم: ٧٠٤٦ و٧٠٤٧، وأحمد: ٣٥٩٠] بلفظ: فتلا رسول الله ﷺ.. وهو الصواب؛ فإنَّ الآية مكية.

ومن أمثلته أيضاً: ما أخرجه البخاريّ [٤٤٨٠] عن أنس قال: سمع عبد الله بن سلام بمَقْدَمِ رسول الله ﷺ، فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يَعلمهنَّ إلّا نبيّ: ما أَوّل أشراط الساعة؟ وما أَوّل طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولدُ إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: «**أخبرَني بهنَّ جبريلُ آنفاً**»، قال: جبريل؟ قال: «**نعم**». قال: ذاك عدوّ اليهود من الملائكة. فقرأ هذه الآية: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [البقرة: ٩٧] [وأحمد: ١٢٩٧٠].

قال ابن حجر في «**شرح البخاري**»[1]: ظاهر السياق أن النبيَّ ﷺ قرأ الآية ردًّا على قول اليهود، ولا يستلزم ذلك نزولَها حينئذ. قال: وهذا هو المعتمَد، فقد صحَّ في سبب نزول الآية قصة غير قصة ابن سلام.

تنبيه: عكسُ ما تقدم: أن يُذكر سبب واحد في نزول الآيات المتفرقة، ولا إشكال في ذلك، فقد ينزل في الواقعة الواحدة آيات عديدة في سور شتى.

---

(١) «فتح الباري» كتاب التفسير ٩/ ١٤١ (٤٤٨٠).

مثاله: ما أخرجه الترمذي [٣٠٢٣] والحاكم [(٢/ ٣٠٠)] عن أم سلمة أنها قالت: يا رسول الله، لا أسمعُ اللهَ ذَكَرَ النساء في الهجرة بشيء! فأنزل الله: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ﴾ إلى آخر الآية [آل عمران: ١٩٥](١).

وأخرج الحاكم [(٢/ ٤١٦)]عنها أيضاً، قالت: قلت: يا رسول الله، تذكر الرجال ولا تذكر النساء! فأُنزلت: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وأُنزِلت: ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾.

وأخرج [«المستدرك» (٢/ ٣٠٦)] أيضاً عنها أنَّها قالت: يَغْزُو الرجال ولا تَغْزو النساء، وإنما لنا نصفُ الميراث، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢]، وأنزل: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾.

ومن أمثلته أيضاً: ما أخرجه البخاريّ [٤٥٩٢] من حديث زيد بن ثابت: أن رسول الله ﷺ أملى عليه: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٩٥]. فجاء ابن أم مكتوم، وقال: يا رسولَ الله، لو أستطيع الجهاد لجاهدت ـ وكان أعمى ـ فأنزل الله: ﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ [ومسلم: ٤٩١١، وأحمد: ٢١٦٠٢].

وأخرج ابن أبي حاتم(٢) عن زيد بن ثابت أيضاً قال: كنت أكتب لرسول الله ﷺ، فإني لواضعٌ القَلَمَ على أذني، إذ أُمِرَ بالقتال، فجعل رسول الله ﷺ ينظُر ما ينزل عليه إذ جاء أعمى، فقال: كيف لي يا رسول الله وأنا أعمى؟ فأُنزلت: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ [التوبة: ٩١].

ومن أمثلته: ما أخرجه ابن جرير(٣) عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ جالساً في ظلِّ حُجرة، فقال: «**إنه سيأتيكم إنسان ينظر بعيني شيطان**». فطلع رجل أزرق [العينين]، فدعاه رسول الله ﷺ، فقال: «عَلامَ تشتُمُني أنت وأصحابك»؟ فانطلق الرَّجلُ، فجاء بأصحابه، فحلفوا بالله ما قالوا، حتى تجاوز عنهم، فأنزل الله: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟﴾ الآية [التوبة: ٧٤].

وأخرجه الحاكم [(٢/ ٤٨٢)] وأحمد [٢٤٠٧ وإسناده حسن] بهذا اللفظ، وآخره: فأنزل الله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ الآية [المجادلة: ١٨].

تنبيه: تأمَّل ما ذكرته لك في هذه المسألة، واشدُد به يَدَيك، فإني حرَّرتُه واستخرجتُه بفكري من استقراء صَنيع الأئمة ومتفرّقات كلامهم، ولم أُسْبَق إليه!!

---

(١) قال الألباني: صحيح لغيره.

(٢) في «تفسيره» ٦/ ١٨٦١ (١٠٢٠٥) التوبة: ٩١.

(٣) في «تفسيره» ٦/ ١٨٥ سورة التوبة: ٧٤.

النوع العاشر

فيما أُنزل من القرآن على لسان بعض الصحابة

هو في الحقيقة نوع من أسباب النزول، والأصل فيه مُوافقات عمر، وقد أفردها بالتصنيف جماعةٌ.

وأخرج التِّرمذي [٣٦٨٢ وقال: حسن صحيح] عن ابن عمر: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله جعلَ الحقَّ على لسان عمر وقلبِهِ**». قال ابنُ عمر: وما نَزَل بالنَّاس أَمرٌ قطّ فقالوا [فيه] وقال، إلَّا نزل القرآنُ على نحو ما قال عمر.

وأَخرج ابنُ مَرْدويه عن مجاهد قال: كان عمر يرى الرأي، فينزل به القرآن.

وأخرج البخاريُّ [٤٤٨٣] وغيره عن أَنَس قال: قال عمر: وافقتُ ربِّي في ثلاث، قلتُ: يا رسولَ الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مُصلًّى؟ فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]. وقلت: يا رسول الله، إنَّ نساءكَ يدخل عليهنَّ البرُّ والفاجر، فلو أَمرتَهنَّ أن يحتجبْنَ، فنزلت آية الحجاب. واجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه في الغَيرة، فقلت لهنَّ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم: ٥]، فنزلت كذلك. [ومسلم مختصراً: ٦٢٠٦، وأحمد: ١٥٧].

وأخرج مسلم [٦٢٠٦] عن ابن عمر، عن عمر قال: وافقت ربي في ثلاث: في الحجاب، وفي أسرى بدر، وفي مقام إبراهيم.

وأخرج ابن أبي حاتم[١] عن أنس قال: قال عمر: وافقتُ ربِّي - أو وافقني ربِّي - في أربع: نزلت هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ الآية [المؤمنون: ١٢]. فلما نزلت قلت أنا: فتبارك اللهُ أحْسَنُ الخالقين، فنزلت: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

وأخرج[٢] عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: أَنَّ يهوديًّا لقي عمر بن الخطاب، فقال: إنَّ جبريل الذي يذكُر صاحبَكم عدوٌّ لنا، فقال عمر: ﴿من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فإن الله عدو للكافرين﴾[٣]. فنزلت على لسان عمر.

وأخرج سُنَيْد في «**تفسيره**» عن سعيد بن جبير: أنَّ سعد بن مُعاذ لـمَّا سمع ما قيل في أمر عائشة قال: ﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾[٤]. فنزلت كذلك.

وأخرج ابن أخي ميمي[٥] في «**فوائده**»: عن سعيد بن المسيِّب قال: كان رجلان من أصحاب النبيّ ﷺ إذا سمعا شيئاً من ذلك، قالا: ﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾: زيد بن حارثة وأبو أيوب، فنزلت كذلك.

---

(١) لم أجده في «تفسير ابن أبي حاتم». والله أعلم.

(٢) ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٨٢ (٩٦١) البقرة: ٩٨.

(٣) من سورة البقرة: ٩٨.

(٤) من سورة النور: ١٦.

(٥) هو: محمد بن عبد الله الدقاق، محدث ثقة بغدادي (ت: ٣٩٠ هـ). «العبر» ٣/ ٤٧.

وأخرج ابن أبي حاتم[(١)] عن عكرمة قال: لمَّا أبطأ على النساء الخبرُ في أُحُد خرجْنَ يستخبرن، فإذا رجلان مقبلان على بَعيرٍ، فقالت امرأة: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قال: حيٌّ، قالت: فلا أُبالي، يَتَّخذ الله من عباده الشهداء، فنزل القرآن على ما قالت: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

وقال ابن سعد في «**الطبقات**» [(٣/ ١٢١)]: أخبرنا الواقديّ، حدَّثني إبراهيم بن محمد بن شُرحبيل العبدريّ، عن أبيه، قال: حمَل مُصعب بن عُمير اللواء يومَ أُحُد، فقُطِعت يدُه اليمنى، فأخذ اللواء بيده اليسرى، وهو يقول: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإين مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾[(٢)]، ثم قطعت يده اليسرى، فحنا على اللواء وضَمَّهُ بعَضُديه إلى صدره، وهو يقول: ﴿وما محمد إلا رسول﴾، ثم قُتل، فسقط اللواء. قال محمد بن شرحبيل: وما نزلت هذه الآية: ﴿وما محمد إلا رسول﴾ يومئذ، حتى نزلت بعد ذلك.

تذنيب: يقرُب من هذا ما ورد في القرآن على لسان غير الله، كالنبيّ عليه السلام وجبريل والملائكة غير مصرَّح بإضافته إليهم ولا محكيّ بالقول، كقوله: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ الآية، فإنَّ هذا ورد على لسانه ﷺ؛ لقوله آخرها: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام: ١٠٤].

وقوله: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ الآية [الأنعام: ١١٤]. فإنَّه أوردها أيضاً على لسانه.

وقوله: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ الآية [مريم: ٦٤] وارد على لسان جبريل.

وقوله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٤ - ١٦٦] وارد على لسان الملائكة.

وكذا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وارد على ألسنة العباد، إلَّا أنه يمكن هنا تقدير القول، أي: قولوا:...، وكذا الآيتان الأُوليان يصحُّ أن يقدّر فيهما: (أقل)، بخلاف الثالثة والرابعة.

---

(١) في «تفسيره» ٣/ ٧٧٤ (٤٢٣٩) آل عمران: ١٤٠.

(٢) من سورة آل عمران: ١٤٤.

النوع الحادي عشر

ما تكرّر نزوله

صرّح جماعة من المُتقدمين والمتأخرين بأنّ من القرآن ما تكرّر نزوله.

قال ابنُ الحصَّار: قد يتكرر نزولُ الآية تذكيراً وموعظة، وذَكر من ذلك خواتيم سورة النحل، وأوّل سورة الروم[١].

وذَكر ابنُ كثير منه آية الروح. وذَكر قوم منه الفاتحة، وذَكر بعضهم منه قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ الآية [التوبة: ١١٣].

وقال الزركشي في «**البرهان**»[٢]. قد يُنزَّلُ الشيءُ مرتين تعظيماً لشأنه، وتذكيراً عند حدوث سببه؛ خوفَ نسيانه. ثم ذَكر منه آية الروح، وقولَه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ الآية [هود: ١١٤].

قال: فإنَّ سورة الإسراء وهود مكّيتان، وسبب نزولهما يدلُّ على أنَّهما نزلتا بالمدينة [البخاري: ٥٢٦، ومسلم: ٧٠٠١، وأحمد: ٣٦٥٣ من حديث ابن مسعود]؛ ولهذا أشكل ذلك على بعضهم. ولا إشكال؛ لأنها نزلت مرّة بعد مرّة.

قال[٣]: وكذلك ما ورد في سورة الإخلاص من أنّها جوابٌ للمشركين بمكة، وجواب لأهل الكتاب بالمدينة. وكذلك قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ الآية [التوبة: ١١٣].

قال[٤]: والحكمة في هذا كله: أنَّه قد يحدُث سبب من سؤال أو حادثةٍ تقتضي نزول آية، وقد نزل قبل ذلك ما يتضمنها، فيوحَى إلى النَّبي ﷺ تلك الآية بعينها[٥]؛ تذكيراً لهم بها، وبأنها تتضمن هذه.

تنبيه: قد يُجعل من ذلك الأحرفُ التي تُقرأ على وجهين فأكثر. ويدلّ له: ما أخرجه مسلم [١٩٠٤] من حديث أُبيّ: «**إنَّ ربي أرسل إليَّ: أنِ اقرأ القرآنَ على حَرْف، فرددتُ إليه: أن هَوّنْ على أمتي، فأرسل إليَّ: أنِ اقْرأْهُ على حرفين، فرددت إليه: أن هوّنْ على أمتي، فأرسل إليّ: أنِ اقرأْ على سبعة أحرف**». فهذا الحديث يدلّ على أن القرآن لم ينزل من أَوّل وَهْلة، بل مرّة بعد أُخرى.

وفي «**جمال القرّاء**»[٦] للسخاويّ بعد أن حكى القول بنزول الفاتحة مرتين: إن قيل: فما فائدة نزولها مرة ثانية؟ قلت: يجوز أن يكون نزلت أوّل مرّة على حرف واحد، ونزلت في الثانية ببقيَّة وجوهها، نحو مَلِك ومَالِك، والسِّراط والصِّراط، ونحو ذلك. انتهى.

---

(١) خواتيم النحل: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ . . .﴾ [النحل: ١٢٦ ـ ١٢٨]. كما تقدمت الإشارة، وأول سورة الروم: ﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ إلى قوله: ﴿بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ كما ذكره المصنف في «أسباب النزول».

(٢) «البرهان» ١/ ١٢٣.

(٣) الزركشي في «البرهان» ١/ ١٢٤.

(٤) الزركشي في «البرهان» ١/ ١٢٥.

(٥) في «البرهان»: فتؤدّى إلى النبي ﷺ تلك الآية بعينها.

(٦) ١/ ١٨٤.

تنبيه: أنكر بعضهم كونَ شيء من القرآن يتكرَّر نزوله، كذا رأيته في كتاب «**الكفيل بمعاني التنزيل**» وعلَّله بأَنَّ تحصيل ما هو حاصل لا فائدة فيه. وهو مردود بما تقدَّم من فوائده.

وبأنه يلزم منه أن يكون كلُّ ما نزل بمكة نزل بالمدينة مرة أخرى، فإن جبريل كان يعارضه القرآن كل سنة، ورُدَّ بمنع الملازمة.

وبأنَّه لا معنى للإنزال إلَّا أن جبريل كان ينزل على رسول الله ﷺ بقرآن لم يكن نزل به من قبل، فيُقرئه إياه، ورُدّ بمنع اشتراط قوله: لم يكن نزل به من قبل.

ثم قال: ولعلَّهم يعنُون بنزولها مرَّتين: أنَّ جبريل نزل حين حُوّلت القِبلة، فأخبرَ الرسول ﷺ أن الفاتحة ركن في الصلاة كما كانت بمكة، فظُنَّ ذلك نزولاً لها مرَّة أخرى، أو أَقرَأه فيها قراءة أخرى لم يُقرئها له بمكة، فظنَّ ذلك إنزالاً. انتهى.

النوع الثاني عشر

ما تأخر حكمه عن نزوله وما تأخر نزوله عن حكمه

قال الزركشيّ في «البرهان»[(١)]: قد يكون النزول سابقاً على الحكم، كقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤ ـ ١٥]. فقد روى البيهقي [في «السنن» (٤/ ١٥٩)] وغيرُه عن ابن عمر: أنها نزلت في زكاة الفطر. وأخرج البزار [٣٣٨٣] نحوه مرفوعاً.

وقال بعضهم: لا أدري ما وجهُ هذا التأويل؟ لأن السورة مكيَّة، ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة ولا صوم.

وأجاب البغويّ: بأنه يجوز أن يكون النزول سابقاً على الحكم، كما قال: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾، فالسورة مكية، وقد ظهرَ أثرُ الحلّ يوم فتح مكة، حتى قال عليه الصلاة والسلام: «**أُحلَّت لي ساعة من نهار**» [البخاري: ١٣٤٩، وأحمد: ٧٢٤٢]. وكذلك نزل بمكة: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]. قال عمر بن الخطاب: فقلت: أيُّ جمع؟ فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش، نظرت إلى رسول الله ﷺ في آثارهم مصلِتاً بالسيف، ويقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾، فكانت ليوم بدر. أخرجه الطبراني في «**الأوسط**»[(٢)] [٩١١٧ وإسناده ضعيف].

وكذلك قوله: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾ [ص: ١١]. قال قتادة: وعده الله ـ وهو يومئذ بمكة ـ أنه سيَهزِمُ جنداً من المشركين، فجاء تأويلُها يوم بدر. أخرجه ابن أبي حاتم[(٣)].

أخرج ابن أبي حاتم[(٤)] عن ابن مسعود في قوله: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾، قال: السيف، والآية مكية متقدِّمة على فرض القتال، ويؤيد تفسير ابن مسعود: ما أخرجه الشيخان من حديثه أيضاً، قال: دخل النبيّ ﷺ مكة يوم الفتح وحولَ الكعبة ثلاثمئة وستون نُصُباً، فجعل يطعنها بعودٍ كان في يده، ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩] [البخاري: ٤٧٢٠، ومسلم: ٤٦٢٥، وأحمد: ٣٥٨٤].

وقال ابن الحصَّار: ذكر الله الزكاة في السور المكيات كثيراً، تصريحاً وتعريضاً: بأن الله سيُنجز وعدَه لرسوله، ويقيم دينه ويظهره؛ حتى تفرض الصلاة والزكاة وسائر الشرائع، ولم تؤخذ الزكاة إلَّا بالمدينة بلا خلاف، وأورد من ذلك قوله تعالى: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١]، وقولَه في سورة المزمل: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [٢٠]. ومن ذلك قولُه فيها: ﴿وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [٢٠].

---

(١) «البرهان» ١/ ٣٢ .

(٢) مُصْلِتاً، أي: مُجرِّداً سيفَه من غِمْده. «النهاية» ٣/ ٤٥.

(٣) في «تفسيره» ١٠/ ٣٢٣٦ (١٨٣٣٥) ص: ١١.

(٤) في «تفسيره» ٧/ ٢٣٤٠ (١٣٣٥٠) الإسراء: ٨١.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [فصلت: ٣٣]. فقد قالت عائشة وابن عُمر وعكرمة وجماعة: إنها نزلت في المؤذّنين، والآية مكية، ولم يُشرع الأذان إلّا بالمدينة.

ومن أمثلة ما تأخر نزوله عن حكمه: آية الوضوء، ففي «صحيح البخاريّ» [٤٦٠٨]: عن عائشة قالت: سقطت قلادة لي بالبَيداء، ونحن داخلون المدينة، فأناخ رسول الله ﷺ ونزل فَثَنى رأسَه في حَجْري راقداً، وأقبل أبو بكر، فلَكَزني لَكْزَةً شديدةً وقال: حَبَسْتِ الناسَ في قلادةٍ؟ ثم إنَّ النبي ﷺ استيقَظَ، وحضرتِ الصبحُ، فالتُمِسَ الماءُ فلم يُوجَدْ، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦] [ومسلم: ٨١٦، وأحمد: ٢٦٣٤١]. فالآية مدنية إجماعاً، وفرض الوضوء كان بمكة مع فرض الصلاة.

قال ابن عبد البرّ: معلوم عند جميع أهل المغازي أنه ﷺ لم يصلِّ منذ فرضت عليه الصلاة إلّا بوضوء، ولا يدفع ذلك إلّا جاهل أو معاند. قال: والحكمة في نزول آية الوضوء مع تقدُّم العمل به، ليكون فرضه متلوًّا بالتنزيل.

وقال غيره: يحتمل أن يكون أوّل الآية نزل مقدَّماً مع فرض الوضوء، ثم نزل بقيتها ـ وهو ذكر التيمم ـ في هذه القصة.

قلت: يردُّه الإجماع على أن الآية مدنيَّة.

ومن أمثلته أيضاً: آية الجمعة، فإنَّها مدنية، والجمعة فرضت بمكة، وقول ابن الفَرس: إن إقامة الجمعة لم تكن بمكة قطّ، يردُّه ما أخرجه ابن ماجه عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال: كنتُ قائدَ أبي حين ذهَب بصرُه، فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة، فسمع الأذان، يستغفر لأبي أمامة أسعدَ بنِ زُرارةَ، فقلت: يا أبتاه، أرأيت صلاتَك على أسعد بن زرارة كُلَّما سمعتَ النداء بالجمعة، لِمَ هذا؟ قال: أيْ بنيّ، كان أَوّلَ مَنْ صلّى بنا الجمعة قبْل مَقْدَم رسول الله ﷺ من مكة. [حسن: ابن ماجه: ١٠٨٢].

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ . . .﴾ الآية [التوبة: ٦٠]، فإنَّها نزلت سنة تسع، وقد فرضت الزكاة قبلها في أوائل الهجرة.

قال ابنُ الحَصَّار: فقد يكون مصرفُها قبل ذلك معلوماً، ولم يكن فيه قرآن متلوٌّ، كما كان الوضوء معلوماً قبل نزول الآية، ثم نزلت تلاوة القرآن تأكيداً به.

النوع الثالث عشر

ما نزل مفرقاً وما نزل جمعاً

الأول غالب القرآن، ومن أمثلته في السور القصار: ﴿ٱقْرَأْ﴾ أوّل ما نزل منها، إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾. والضحى: أوّل ما نزل منها إلى قوله: ﴿فَتَرْضَىٰٓ﴾ كما في حديث الطّبرانيّ.

ومن أمثلة الثاني سورة الفاتحة، والإخلاص، والكوثر، وتبّت، ولم يكن، والنصر، والمعوذتان نزلتا معاً.

ومنه في السّور الطوال (المرسلات)، ففي «**المستدرك**» [(٢/ ٢٥١) وهو صحيح] عن ابن مسعود قال: كنّا مع النبيّ ﷺ في غارٍ، فنزلت عليه: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾، فأخذتُها من فيه، وإنّ فاه رطبٌ بها، فلا أدري بأيّها خَتَمَ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٥٠]، أو: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨].

ومنه سورة الصف، لحديثها السابق في النوع الأوّل.

ومنه سورة الأنعام: فقد أخرج أبو عُبيد، والطّبراني [في «الكبير»: ١٢٩٣٠، وفي «الأوسط»: ٦٤٤٣] عن ابن عباس قال: نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملةً، حولَها سبعون ألف مَلَكٍ.

وأخرج الطبرانيُّ [في «الصغير»: ٢٢٠] من طريق يوسف بن عطيّة الصَّفّار ـ وهو متروك ـ عن ابن عون، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**نزلت عليّ سورةُ الأنعام جملة واحدة يشيِّعها سبعون ألف ملك**».

وأخرج البيهقي في «**الشّعب**» [٢٤٣٥] بسندٍ فيه مَن لا يُعرف: عن عليّ قال: أُنزل القرآن خمساً خمساً إلّا سورة الأنعام، فإنّها نزلت جملة في ألفٍ، يشيّعها من كلّ سماءٍ سبعون مَلَكاً حتى أدّوها إلى النبي ﷺ.

وأخرج أبو الشيخ عن أُبيّ بن كعب مرفوعاً: «**أُنزلت عليّ سورةُ الأنعام جملةً واحدةً، يُشَيِّعها سبعون ألف مَلَكٍ**».

وأخرج عن مجاهد قال: نزلت الأنعام كلُّها جملةً واحدة، معها خمسمئة ملك.

وأخرج عن عطاء: أُنزِلت الأنعام جميعاً ومعها سبعون ألف ملك.

فهذه شواهد يُقَوِّي بعضها بعضاً.

وقال ابن الصلاح في «**فتاويه**»(١): الحديث الوارد في أنها نزلت جملةً رويناه من طريق أُبيّ بن كعب. وفي إسناده ضَعْف، ولم نَرَ له إسناداً صحيحاً، وقد رُوي ما يُخالفه، فرُوِيَ أنها لم تنزل جملةً واحدةً، بل نزلت آياتٌ منها بالمدينة، اختلفوا في عددها، فقيل: ثلاث، وقيل: ست، وقيل: غير ذلك. انتهى، والله أعلم.

---

(١) «فتاوى ابن الصلاح» ١/ ٢٤٩ مسألة (٩٣).

النوع الرابع عشر

ما نزل مشيعاً وما نزل مفرداً

قال ابن حبيب، وتبعه ابن النَّقيب: من القرآن ما نزل مُشيَّعاً، وهو سورة الأنعام شيَّعها سبعون ألف مَلَك، وفاتحةُ الكتاب نزلت ومعها ثمانون ألف ملك، وآيةُ الكرسيّ نزلت ومعها ثلاثون ألف ملك. وسورةُ يس نزلت ومعها ثلاثون ألف ملك [و] ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ [الزخرف: ٤٥] نزلت ومعها عشرون ألف ملك، وسائر القرآن نزل به جبريل مفرداً بلا تشييع.

قلت: أمَّا سورة الأنعام فقد تقدَّم حديثها بطرقه. ومن طرقه أيضاً ما أخرجه البيهقي في «**الشعب**» [٢٤٣٣]، والطبراني [في «الأوسط»: ٦٤٤٣] بسند ضعيف عن أنس مرفوعاً: «**نزلت سورة الأنعام ومعها مَوْكِبٌ من الملائكة يَسُدُّ ما بين الخافقين، لهم زَجَل بالتقديس والتسبيح، والأرضُ تَرْتَجُّ**».

وأخرج الحاكم [(٢/ ٣١٥)]، والبيهقي [في «الشعب»: ٢٤٣١] من حديث جابر قال: لَمَّا نزلت سورة الأنعام سبَّح رسول الله ﷺ ثم قال: «**شيَّع هذه السورةَ من الملائكة ما سدَّ الأُفُق**». وقال الحاكم: صحيحٌ على شرط مسلم، لكن قال الذهبيّ: فيه انقطاع، وأَظنُّه موضوعاً.

وأما الفاتحة، وسورة يس، و﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾: فلم أقف على حديث فيها بذلك ولا أثر.

وأما آية الكرسيّ: فقد ورد فيها وفي جميع آيات البقرة حديث: أخرج أحمد في «**مسنده**» [٢٠٣٠٠ وإسناده ضعيف] عن مَعقل بن يسار: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**البقرة سَنام القرآن وذِرْوته، نزل مع كل آية منها ثمانون ملَكاً، واستُخرِجت** ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾» [البقرة: ٢٥٥] **من تحت العرش فوُصِلَتْ بها**.

وأخرج سعيد بن منصور في «سننه»، عن الضحَّاك بن مُزاحِم قال: خواتيم سورة البقرة جاء بها جبريل، ومعه من الملائكة ما شاء الله.

وبقي سُوَر أخرى؛ منها: سورة الكهف، قال ابنُ الضُّرَيس في «**فضائله**»[1]: أخبرنا يزيد بن عبد العزيز الطيالسيّ: حدثنا إسماعيل بن عيَّاش، عن إسماعيل بن رافع، قال: بلغنا أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ألا أُخبركم بسورةٍ ملء عظمتها ما بين السماء والأرض، شيَّعها سبعون ألف ملَك؟ سورة الكهف**».

تنبيه: ليُنظر في التوفيق بين ما مضى وبين ما أخرجه ابنُ أبي حاتم[2] بسند صحيح، عن سعيد بن جُبير قال: ما جاء جبريل بالقرآن إلى النبي ﷺ إلَّا ومعه أربعة من الملائكة حَفَظَة.

---

(١) «فضائل القرآن» ص ٩٦ رقم (٢٠٣).

(٢) في «تفسيره» ٢/ ٥٧٨.

وأخرج ابن جرير عن الضحاك قال: كان النبيّ ﷺ إذا بُعِث إليه المَلَكُ، بُعث ملائكةٌ يحرُسونه من بين يديه ومِن خلفه؛ مخافةَ أن يتشبه الشيطان على صورة المَلَك.

فائدة: قال ابنُ الضُّرَيس[1]: أخبرنا محمود بن غيلان، عن يزيد بن هارون، أخبرني الوليد ـ يعني ابن جميل ـ عن القاسم، عن أبي أُمامة قال: أربع آيات نزلت من كنز العرش، لم يَنزِل منه شيء غيرهنَّ: أُمُّ الكتاب، وآية الكرسيّ، وخاتمة سورة البقرة، والكوثر.

قلت: أما الفاتحة، فأخرج البيهقي في «الشُّعب» [٢٣٦٣] من حديث أنس مرفوعاً: «**إنَّ الله أعطاني فيما مَنَّ به عليَّ: إنِّي أعطيتك فاتحة الكتاب، وهي من كنوز عرشي**».

وأخرج الحاكم [(١/ ٥٥٩)] عن معقِل بن يسار مرفوعاً: «**أُعطيتُ فاتحةَ الكتاب وخواتيمَ سورةِ البقرة من تحت العرش**».

وأخرج ابن راهويه في «مسنده» عن عليّ أنّه سُئل عن فاتحة الكتاب، فقال: حدَّثنا نبيّ الله ﷺ أنها نزلت من كنز تحت العرش.

وأمّا آخر البقرة: فأخرج الدارمي في «مسنده» عن أيفع الكَلاعيّ قال: قال رجل: يا رسول الله، أيُّ آيةٍ تحبُّ أن تصيبَك وأُمتَكَ؟ قال: «**آخرُ سورة البقرة، فإنَّها من كنز الرحمة من تحت عرش الله**».

وأخرج أحمد [١٧٣٢٤] وغيره من حديث عُقْبة بن عامر مرفوعاً: «**اقرؤوا هاتين الآيتين، فإن ربي أعطانيهما من تحت العرش**» [والطبراني في «الكبير»: ٧٨١ وهو صحيح لغيره].

وأخرج من حديث حذيفة: «**أُعطيتُ هذه الآياتِ من آخر سورة البقرة، من كنز تحتَ العرشِ، لم يُعطَها نبيٌّ قبلي**» [إسناده صحيح: أحمد: ٢٣٢٥١].

وأخرج من حديث أبي ذرٍّ: «**أُعطيتُ خواتيمَ سورة البقرة من كنزٍ تحت العرش، لم يُعطَهُنّ نبي قبلي**» [صحيح لغيره: أحمد: ٢١٣٤٣].

وله طرق كثيرة عن عُمر وعليّ وابن مسعود وغيرهم.

وأما آية الكرسي: فتقدمت في حديث مَعْقِل بن يَسَار السابق.

وأخرج ابن مَردُويه عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا قرأ آية الكرسي ضحك، وقال: «**إنَّها من كنز الرَّحمن تحت العرش**».

وأخرج أبو عُبيد[2] عن عليّ قال: آية الكرسي أُعطيَها نبيُّكم من كنز تحت العرش، ولم يُعطَها أحدٌ قبل نبيّكم.

وأما سورة الكوثر: فلم أقف فيها على حديث، وقولُ أبي أُمامة في ذلك يجري مَجرى المرفوع، وقد أخرجه أبو الشيخ بن حَيَّان والديلميّ وغيرهما من طريق محمد بن عبد الملك الدقيقيّ عن يزيد بن هارون بإسناده السابق عن أبي أُمامة مرفوعاً.

---

(١) في «فضائل القرآن» ص ٨٠ رقم (١٤٨).

(٢) في «فضائل القرآن» ص ٢٣١.

النوع الخامس عشر

ما أُنزل منه على بعض الأنبياء
وما لم يَنزل منه على أحد قبل النبي ﷺ

من الثاني: الفاتحة وآية الكرسيّ وخاتمة البقرة، كما تقدَّم في الأحاديث قريباً.

وروى مسلم[١٨٧٧] عن ابن عباس: أتى النبيَّ ﷺ مَلَكٌ، فقال: أَبْشِرْ بنورَيْنِ قد أُوتيتَهما لم يؤتَهما نبيٌّ قَبْلَك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة.

وأخرج الطَّبرانيّ[في «الكبير» ١٧/(٧٨١)] عن عُقْبة بن عامر قال: ترددوا في الآيتين من آخر سورة البقرة: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ . . .﴾ [٢٨٥] إلى خاتمتها؛ فإنَّ الله اصطفى بها محمداً.

وأخرج أبو عُبيد في «**فضائله**»(١) عن كعب قال: إنَّ محمداً ﷺ أُعْطِيَ أربعَ آيات لم يُعطَهُنَّ موسى، وإنّ موسى أُعطِي آيةً لم يعطَها محمدٌ. قال: والآيات التي أُعطيهنَّ محمد: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ﴾ [البقرة: ٢٨٤]. حتى ختم البقرة؛ فتلك ثلاث آيات، وآية الكرسي. والآية التي أعطيَهَا موسى: (اللهم لا تولج الشيطان في قلوبنا وخلِّصنا منه، من أجل أن لك الملكوتَ والأَيْدَ والسلطانَ والملكَ، والحمدَ والأرضَ والسماء، والدّهرَ الدّاهر، أبداً أبداً آمين آمين).

وأخرج البيهقي في «**الشُّعَب**»[١٥١٤ عن أبي هريرة] عن ابن عباس قال: السبع الطِّوال لم يعطَهنَّ أحد إلَّا النبيُّ ﷺ، وأُعْطِيَ موسى منها اثنتين.

وأخرج الطَّبراني[في «الكبير»: ١٢٤١١] عن ابن عباس مرفوعاً: «**أُعطيتْ أُمَّتي شيئاً لم يعطه أحدٌ من الأمم عند المصيبة: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]**».

ومن أمثلة الأول: ما أخرجه الحاكم[(٢/ ٤٧٠)] عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قال ﷺ: «**كلُّها في صحف إبراهيم وموسى**». فلما نزلت: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ فبلغ ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ قال: «وفَّى ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٨ ـ ٥٦]».

وقال سعيد بن منصور: حدَّثنا خالد بن عبد الله، عن عطاء بن السائب، عن عِكْرمة، عن ابن عباس قال: هذه السورة في صحف إبراهيم وموسى.

وأخرجه ابن أبي حاتم بلفظ: «نسخ من صحف إبراهيم وموسى»، وأخرج عن السُّدِّي قال: إن هذه السورة في صحف إبراهيم وموسى مثل ما نزلت على النبي ﷺ.

وقال الفريابي: نبأنا سفيان، عن أبيه، عن عكرمة: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨]. قال: هؤلاء الآيات.

---

(١) «فضائل القرآن» ص ٢٣٢.

وأخرج الحاكم [(٢/ ٥٥٠)] من طريق القاسم، عن أبي أُمامة قال: أنزل الله على إبراهيم مما أنزل على محمد: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢]، و﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١١]، و﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ الآية [الأحزاب: ٣٥]. والتي في سأل: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ إلى قوله: ﴿قَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣ ـ ٣٣]، فلم يَفِ بهذه السهامِ إلّا إبراهيمُ ومحمدٌ ﷺ.

وأخرج البخاري [٢١٢٥] عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: إنَّه ـ يعني النبيَّ ﷺ ـ لَموصوفٌ في التَّوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥] وحِرْزاً للأُميّين.. الحديثَ [وأحمد: ٦٦٢٢].

وأخرج ابن الضُّرَيس(١) وغيرُهُ عن كعب قال: فُتحت التوراة بـ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۖ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، وختمت بـ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ إلى قوله: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

وأخرج(٢) أيضاً عنه، قال: فاتحة التوراة فاتحة الأنعام: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۖ﴾. وخاتمة التوراة خاتمة هود: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣].

وأخرج(٣) من وجه آخر عنه قال: أوَّل ما أُنزل في التوراة عشرُ آياتٍ من سورة الأنعام: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ﴾ [الأنعام: ١٥١] إلى آخرها.

وأخرج أبو عُبيد(٤) عنه قال: أوَّل ما أنزل الله في التوراة عشر آيات من سورة الأنعام: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ﴾ الآيات. قال بعضهم: يعني أنَّ هذه الآياتِ اشتملتْ على الآيات العشر التي كتبها الله لموسى في التوراة أوَّل ما كتب، وهي: توحيد الله، والنهي عن الشرك، واليمين الكاذبة، والعقوق، والقتل، والزنا، والسرقة، والزور، ومدّ العين إلى ما في يد الغير، والأمر بتعظيم السبت.

وأخرج الدارقطني [كتاب الصلاة ٢٩] من حديث بُريدة: أنَّ النبي ﷺ قال: «**لأُعلِّمنَّك آيةً لم تنزل على نبيٍّ بعد سليمان غيري**: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾».

وروى البيهقي عن ابن عباس قال: أَغْفل الناسُ آيةً من كتاب الله، لم تنزل على أحد قبل النبي ﷺ إلا أن يكونَ سليمان بن داود: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

وأخرج الحاكم [(٢/ ٤٨٧)] عن ميسرة: أنَّ هذه الآية مكتوبة في التوراة بسبعمئة آية: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ أوَّل سورة الجمعة.

---

(١) «فضائل القرآن» ص ٩٤ رقم (١٩٧).
(٢) المرجع السابق ص ٩٦ رقم (٢٠٢).
(٣) المرجع السابق ص ٩٥ رقم (١٩٨).
(٤) في «فضائل القرآن» ص ٢١٧.

فائدة: يدخل في هذا النوع ما أخرجه ابن أبي حاتم[١] عن محمد بن كعب القُرظيّ قال: البرهان الذي أُرِيَ يوسف: ثلاث آيات من كتاب الله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢]، وقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾ الآية [يونس: ٦١]، وقوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]، زاد غيره آية أُخرى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٣٢].

وأخرج ابن أبي حاتم[٢] أيضاً عن ابن عباس في قوله: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَانَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤]. قال: رأى آيةً من كتاب الله نَهَتْهُ، مُثِّلَتْ له في جدارِ الحائط.

(١) في «تفسيره» ٧/ ٢١٢٦ (١١٤٨٩) يوسف: ٢٤.

(٢) في «تفسيره» ٧/ ٢١٢٤ (١١٤٨١) يوسف: ٢٤.

النوع السادس عشر

في كيفية إنزاله

فيه مسائل:

المسألة الأولى: [كيفية إنزال القرآن من اللوح المحفوظ]:

قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

اختلف في كيفية إنزاله من اللوح المحفوظ على ثلاثة أقوال:

أحدُها: وهو الأصح الأشهر: أنَّه نزل إلى سماء الدنيا ليلةَ القدْر جملةً واحدةً، ثم نَزَلَ بعد ذلك مُنَجَّماً في عشرين سنةً، أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين؛ على حَسَب الخلاف في مدَّة إقامته ﷺ بمكة بعد البعثة.

وأخرج الحاكم[(٢/ ٢٢٢)] والبيهقي[في «سننه» (٢/ ٣١٠)] وغيرُهما من طريقِ منصور عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس قال: أُنزِل القرآن في ليلةِ القدْرِ جملةً واحدة إلى سماء الدنيا، وكان بمواقع النجوم، وكان الله يُنزلهُ على رسوله ﷺ بعضه في أثر بعض.

وأخرج الحاكم[(٢/ ٢٤٢)] والبيهقيّ ـ أيضاً ـ والنَّسائيّ من طريق داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: أُنزل القرآنُ جملةً واحدةً إلى السماء الدنيا ليلة القدر، ثم أُنزل بعد ذلك بعشرين سنةً، ثم قرأ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]، ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

وأخرجه ابن أبي حاتم(١) من هذا الوجه، وفي آخره: فكان المشركون إذا أحدثوا شيئاً أحدث الله لهم جواباً.

وأخرج الحاكم[(٢/ ٢٢٣)] وابن أبي شيبة من طريق حسَّان بن حُريث، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس قال: فُصِل القرآنُ من الذِّكْر، فوضع في بيت العِزَّة من السماء الدنيا، فجعَل جبريلُ ينزلُ به على النبيّ ﷺ.

أسانيدها كلّها صحيحة.

وأخرج الطبراني[في «الكبير»: ١١٨٣٩] من وجه آخر عن ابن عباس قال: أُنزِل القرآنُ في ليلة القدر في شهر رمضان إلى سماء الدنيا جملةً واحدة، ثم أُنزِل نجوماً. **إسناده لا بأس به.**

---

(١) في «تفسيره» ٨/ ٢٦٩٠ رقم (١٥١٣٤) سورة الفرقان: ٣٢.

وأخرج الطَّبرانيّ [في «الكبير»: ١٢٣٨٢] والبزَّار من وجه آخر عنه قال: أُنزِل القرآن جملةً واحدةً حتى وضع في بيت العزَّة في السماء الدنيا، ونزَّله جبريل على محمد ﷺ بجواب كلام العباد وأعمالهم.

وأخرج ابن أبي شيبة في «**فضائل القرآن**»(١) من وجه آخر عنه: دُفع إلى جبريلَ في ليلة القدر جملة واحدة، فوضعه في بيت العزَّة، ثم جعل ينزِّله تنزيلاً.

وأخرج ابن مردويه والبيهقيّ في «**الأسماء والصفات**» [(١/٣٦٩)] من طريق السُّدي عن محمد، عن ابن أبي المجالد، عن مِقْسَم، عن ابن عباس أنَّه سأله عطية بن الأسود فقال: أَوْقَع في قلبي الشكَّ قوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾. وهذا نزل في شوال وفي ذي القعدة وفي ذي الحجة وفي المحرَّم وصفر وشهر ربيع، فقال ابن عباس: إنَّه أُنزل في رمضان ليلة القَدْر جملةً واحدة، ثم أُنْزِل على مواقعِ النجوم رَسَلاً في الشهور والأيام.

قال أبو شامة(٢): قوله: (رَسَلاً) أي: رِفقاً، و(على مواقع النجوم) أي: على مثل مساقطها، يريد: أنزل في رمضان في ليلة القدر جملة واحدة، ثم أُنزل على ما وقع متفرِّقاً يتلُو بعضه بعضاً، على تُؤَدَة ورِفْقٍ.

القول الثاني: أنَّه نزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلَةَ قَدْرٍ، أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين، في كل ليلة ما يقدِّر الله إنزاله في كلِّ السنة، ثم نزل بعد ذلك منجَّماً في جميع السنة.

وهذا القول ذكره الإمام فخر الدين الرازي بحثاً، فقال: يحتمل أنَّه كان ينزل في كلِّ ليلة قدْر ما يحتاج النَّاس إلى إنزاله إلى مثلها، من اللوح إلى السماء الدنيا. ثم توقَّف، هل هذا أولى أو الأول؟

قال ابنُ كثير: وهذا الذي جعله احتمالاً نقله القرطبيّ عن مقاتل بن حَيَّان، وحكى الإجماعَ على أنَّه نزل جملة واحدة من اللّوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا.

قلت: وممَّن قال بقول مقاتل: الحَليميُّ والماورديّ، ويوافقه قول ابن شهاب: آخِرُ القرآن عهداً بالعرش آية الدَّيْن.

القول الثالث: أنَّه ابتُدئ إنزاله في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك منجَّماً في أوقات مختلفة من سائر الأوقات. وبه قال الشَّعبيّ.

قال ابنُ حجر في «**شرح البخاري**»(٣): والأول هو الصحيح المعتمَد، قال: وقد حكى الماورديُّ قولاً رابعاً: أنه نزل من اللوح المحفوظ جملةً واحدةً، وأن الحَفَظَة نجّمته على جبريل في عشرين ليلة، وأن جبريل نجّمه على النبي ﷺ في عشرين سنة. وهذا أيضاً غريب، والمعتمَد أن جبريل كان يعارضه في رمضان بما ينزل به عليه في طول السنة.

(١) مصنف ابن أبي شيبة، كتاب فضائل القرآن رقم (١٠٢٣٩) وفيه: رفع إلى جبريل...
(٢) في «المرشد الوجيز» ص ١٠.
(٣) «فتح الباري» كتاب فضائل القرآن ١٠/ ٤ (٤٩٨٣).

وقال أبو شامةَ[١]: كأن صاحب هذا القول أراد الجمعَ بين القولين: الأول والثاني.

قلت: هذا الذي حكاه الماورديّ أخرجه ابن أبي حاتم[٢] من طريق الضَّحَّاك عن ابن عباس قال: نزل القرآن جملةً واحدة من عند الله من اللَّوح المحفوظ إلى السَّفَرَة الكرام الكاتبين في السَّماء الدنيا، فنجَّمتْه السَّفَرة على جبريل عشرين ليلةً، ونجَّمه جبريل على النبي ﷺ عشرين سنة.

تنبيهات

الأول: قيل: السرُّ في إنزاله جملةً إلى السماء تفخيمُ أمره وأمرِ مَن نزل عليه، وذلك بإعلام سُكَّان السماوات السبع: أن هذا آخرُ الكتب المنزلة على خاتَم الرسل لأشرف الأمم، قد قرَّبناه إليهم لننزله عليهم، ولولا أنَّ الحكمة الإلهية اقتضت وصولَه إليهم مُنجَّماً بحسب الوقائع لهبَطَ به إلى الأرض جملةً، كسائر الكتب المنزَّلة قبله، ولكن الله بايَنَ بينه وبينها، فجعل له الأمرين: إنزاله جملة، ثم إنزاله مفرَّقاً؛ تشريفاً للمنزَّل عليه، ذكر ذلك أبو شامة في «**المرشد الوجيز**»[٣].

وقال الحكيم الترمذي[٤]: أُنزِلَ القرآنُ جملة واحدة إلى سماء الدنيا، تسليماً منه للأُمَّة ما كان أبرز لهم من الحظِّ بمبعث محمَّد ﷺ، وذلك أنَّ بعثة محمد ﷺ كانت رحمةً، فلمَّا خرجت الرحمة بفتح الباب جاءت بمحمد ﷺ وبالقرآن، فوضع القرآن ببيت العزَّة في السماء الدنيا ليدخلَ في حدِّ الدنيا، ووضعت النبوَّة في قلب محمد، وجاء جبريل بالرسالة ثم الوحي، كأنَّه أراد تعالى أن يُسلِّم هذه الرحمة التي كانت حظَّ هذه الأمة من الله إلى الأمة.

وقال السَّخاوي في «**جمال القرَّاء**»[٥]: في نزوله إلى السماء جملةً تكريمُ بني آدم وتعظيمُ شأنهم عند الملائكة، وتعريفهم عنايةَ الله بهم ورحمته لهم؛ ولهذا المعنى أمر سبعين ألفاً من الملائكة أن تشيِّع سورةَ الأنعام، وزاد سبحانه في هذا المعنى بأَنْ أَمَرَ جبريل بإملائه على السَّفَرة الكرام وإنساخِهم إياه وتلاوتهم له.

قال: وفيه أيضاً التَّسوية بين نبينا ﷺ وبين موسى عليه السلام في إنزاله كتابَهُ جملةً، والتفضيل لمحمد في إنزاله عليه منجَّماً ليحفظه.

قال أبو شامة[٦]: فإن قلت: فقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ من جملة القرآن الذي نَزَلَ جملةً أم لا؟ فإن لم يكن منه، فما نَزَل جملةً؟ وإن كان منه فما وجْهُ صحةِ هذه العبارة؟

قلت: له وجهان: أحدهما: أن يكون معنى الكلام: إنَّا حكمنا بإنزاله في ليلة القدْر، وقضيناه

---

(١) في «المرشد الوجيز» ص ٢٣.
(٢) في «تفسيره» ٨/ ٢٦٨٩ (١٥١٢٧) الفرقان: ٣٢.
(٣) ص ٢٤.
(٤) الحكيم الترمذي: محمد بن علي (ت: ٣٢٠ هـ) صاحب: «نوادر الأصول». «لسان الميزان» ٥/ ٣٠٨ هذا، وليس هو صاحب السنن الشهير.
(٥) ١/ ١٥٣ _ ١٥٤.
(٦) في «المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز» ص ١٩ _ ٢٠.

وقدرناه في الأزل. والثاني: أنَّ لفظه لفظ الماضي ومعناه الاستقبال؛ أي: ننزله جملة في ليلة القدر. انتهى.

الثاني: قال أبو شامة أيضاً[١]: الظاهر أن نزوله جملةً إلى السماء الدُّنيا قبل ظهور نبوّته ﷺ، قال: ويحتمل أن يكون بعدها.

قلت: الظاهر هو الثاني، وسياق الآثار السابقة عن ابن عباس صريحٌ فيه.

وقال ابن حجر في «**شرح البخاري**»[٢]: قد أخرج أحمد [١٦٩٨٢] والبيهقيّ في «**الشُّعب**» [٢٤٨٥ وإسناده حسن] عن واثلة بن الأسقع، أنَّ النبيّ ﷺ قال: «**أُنزلت التوراة لستٍّ مضَيْن من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلتْ منه، والزَّبور لثمان عشرة خلتْ منه، والقرآن لأربع وعشرين خلتْ منه**». وفي رواية: «**وصحف إبراهيم لأول ليلة**»، قال: وهذا الحديث مطابِقٌ لقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ولقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾. فيحتمل أن يكون ليلة القدر في تلك السنة كانت تلك الليلة، فأُنزِل فيها جملةً إلى السماء الدنيا، ثم أُنزِل في اليوم الرابعِ والعشرين إلى الأرض أوَّل ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾.

قلت: لكن يُشكِل على هذا: ما اشتهر من أنه ﷺ بُعث في شهر ربيع. ويجاب عن هذا بما ذكروه أنه نُبِّئ أَوَّلاً بالرُّؤيا في شهر مولده، ثم كانت مدَّتها ستة أشهر، ثم أُوحي إليه في اليقظة. ذكره البيهقي وغيره.

نعم يُشكل على الحديث السابق: ما أخرجه ابن أبي شيبة في «**فضائل القرآن**»[٣] عن أبي قِلابة قال: أُنزِلت الكتب كاملةً ليلةَ أربعٍ وعشرين من رمضان.

الثالث: قال أبو شامة أيضاً[٤]: فإن قيل: ما السر في نزوله منجَّماً؟ وهلَّا نزل كسائر الكتب جملة؟

قلنا: هذا سؤال قد تولَّى الله جوابه، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾، يعنون: كما أُنزل على من قبله من الرسل، فأجابهم تعالى بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ ـ أي: أنزلناه كذلك مفرَّقاً ـ ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: ٣٢]، أي: لنقوّي به قلبك؛ فإنَّ الوحي إذا كان يتجدَّد في كلِّ حادثة كان أقوى بالقلب، وأشدَّ عنايةً بالمرسَل إليه، ويستلزم ذلك كثرةَ نزول الملَك إليه، وتجدّدَ العهد به وبما معه من الرِّسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز، فيحدُث له من السرور ما تقصر عنه العبارة، ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان؛ لكثرة لقائه جبريل[٥].

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢.

(٢) «فتح الباري» كتاب فضائل القرآن ١٠/ ٤ (٤٩٨٣).

(٣) فضائل القرآن كتابٌ ضمن مصنف ابن أبي شيبة، وليس كتاباً مستقلًا كما تُوهِم العبارة، والحديث هنا: «أنزلت الكتب...» فيه برقم (١٠٢٣٨).

(٤) في «المرشد الوجيز» ص ٢٤.

(٥) يشير المصنف إلى الحديث الذي أخرجه البخاري (٦)، ومسلم (٦٠٠٩) من حديث ابن عباس قال: كان رسول الله =

وقيل: معنى ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾، أي: لتحفظه؛ فإنه عليه الصلاة والسلام كان أُمِّيّاً لا يقرأُ ولا يكتب، فَفُرِّق عليه لِيَثْبُت عنده حفظه، بخلاف غيره من الأنبياء، فإنَّه كان كاتباً قارئاً، فيمكنه حفظ الجميع.

وقال ابنُ فُورك[١]: قيل: أُنزلت التوراة جملةً؛ لأنَّها نزلت على نبيٍّ يكتب ويقرأُ، وهو موسى. وأنزل الله القرآنَ مفرّقاً؛ لأنَّه أُنزل غيرَ مكتوب على نبي أُمِّي.

وقال غيره: إنما لم ينزل جملة واحدة؛ لأنَّ منه الناسخَ والمنسوخ، ولا يتأتَّى ذلك إلَّا فيما أُنزل مفرّقاً، ومنه ما هو جواب لسؤالٍ وما هو إنكار على قولٍ قيلَ، أو فعلٍ فُعِل، وقد تَقَدَّم ذلك في قول ابن عباس: ونزّله جبريل بجواب كلام العباد وأعمالهم، وفسَّر به قوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٣٣]. أخرجه عنه ابن أبي حاتم[٢].

فالحاصل أن الآية تضمنت حِكمتين لإنزاله مفرَّقاً.

تذنيب: ما تقدم في كلام هؤلاء ـ من أن سائر الكتب أُنزلت جملةً ـ هو مشهور في كلام العلماء وعلى ألسنتهم، حتى كاد يكون إجماعاً، وقد رأيت بعض فضلاء العصر أنكر ذلك، وقال: إنَّه لا دليلَ عليه، بل الصواب: أنَّها نزلت مفرقة كالقرآن.

وأقول: الصواب الأوَّل، ومن الأدلة على ذلك آية الفرقان السابقة.

أخرج ابن أبي حاتم[٣] من طريق سعيد بن جُبير، عن ابن عباس قال: قالت اليهود: يا أبا القاسم، لولا أُنزل هذا القرآن جملة واحدة كما أُنزلت التوراة على موسى، فنزلت. وأخرجه من وجه آخر عنه بلفظ: «قال المشركون». وأخرج نحوه عن قتادة والسدِّيّ.

فإن قلت: ليس في القرآن التصريح بذلك، وإنما هو ـ على تقدير ثبوته ـ قولُ الكفار.

قلت: سكوتُه تعالى عن الردّ عليهم في ذلك، وعدولُه إلى بيان حكمته دليلٌ على صحَّته، ولو كانت الكتب كلُّها نزلت مفرَّقة لكان يكفي في الردِّ عليهم أن يقول: إن ذلك سنة الله في الكتب التي أنزلها على الرسل السابقة، كما أجاب بمثل ذلك قولهم: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧] فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠]. وقولهم: ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤]، فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم﴾ [يوسف: ١٠٩]. وقولهم: كيف يكون رسولاً ولا هَمَّ له إلا النساءُ؟ فقالَ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨]. إلى غير ذلك.

= ﷺ أجودَ الناس، وكان أجودُ ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريلُ، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسُهُ القرآن، فَلَرسُولُ الله أجودُ بالخير من الريح المرسلة.

(١) ابن فورك: محمد بن الحسن، الأصبهاني، أبو بكر، متكلم، أصولي، نحوي، واعظ، أحيا الله به أنواعاً من العلوم في نيسابور. مات مسموماً (سنة: ٤٠٦ هـ). «وفيات الأعيان» ٤/ ٢٧٢.

(٢) في «تفسيره» ٨/ ٢٦٨٩ (١٥١٢٦) الفرقان: ٣٢.

(٣) في «تفسيره» ٨/ ٢٦٨٩ (١٥١٢٨) الفرقان: ٣٢.

ومن الأدلة على ذلك ـ أيضاً ـ: قوله تعالى في إنزال التوراة على موسى يوم الصَّعْقَة: ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ [الأعراف: ١٤٤ ـ ١٤٥]، ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ [الأعراف: ١٥٠]، ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [الأعراف: ١٧١]. فهذه الآيات كلُّها دالَّةٌ على إتيانه التوراةَ جملةً.

وأخرج ابن أبي حاتم(١) من طريق سعيد بن جُبير، عن ابن عباس قال: أُعطيَ موسى التَّوراة في سبعةِ ألواح من زَبَرْجد، فيها تبيانٌ لكلِّ شيء وموعظة، فلمَّا جاء بها فرأى بني إسرائيل عُكوفاً على عبادة العِجْلِ رمى بالتوراة من يده فتحطَّمَتْ، فرفعَ الله منها ستةَ أسباعٍ وبقي منها سُبْعٌ.

وأخرج(٢) من طريق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدِّه، رفعه، قال: «الألواح التي أُنزِلت على موسى كانت من سِدْرِ الجنَّة، كان طولُ اللوح اثني عشر ذراعاً».

وأخرج النسائي وغيره عن ابن عباس في حديث الفُتون قال: أخذ موسى الألواح بعدما سكتَ عنه الغضبُ، فأمرهم بالذي أمر الله أن يبلغهم من الوظائف، فثقُلَت عليهم، وأبوا أن يُقرُّوا بها حتى نَتقَ الله عليهم الجبل كأَنَّه ظُلَّة، ودنا منهم حتى خافوا أن يقع عليهم، فأقرُّوا بها.

وأخرج ابن أبي حاتم(٣) عن ثابت بن الحجاج قال: جاءتهم التوراة جملةً واحدةً، فكبُر عليهم، فأَبَوا أن يأخذوها حتى ظَلَّل الله عليهم الجَبَل فأخذوها عند ذلك.

فهذه آثار صحيحة صريحة في إنزال التوراة جملةً.

ويؤخذ من الأثر الأخير منها حكمة أخرى لإنزال القرآن مفرّقاً، فإنّه أَدْعى إلى قَبوله إذا نزل على التدريج، بخلاف ما لو نَزَلَ جملةً واحدة، فإنه كان ينفرُ من قَبوله كثيرٌ من النَّاس، لكثرة ما فيه من الفرائض والمناهي.

ويوضح ذلك: ما أخرجه البخاريّ [٤٩٩٣] عن عائشة قالت: إنَّما نزل أَوَّلَ ما نزل منه سورةٌ من المفصَّل فيها ذكرُ الجنة والنّار، حتى إذا ثاب النَّاسُ إلى الإسلام نزل الحلالُ والحرام، ولو نزل أَوَّلَ شيء: (لا تشربوا الخمر)، لقالوا: لا نَدعُ الخمر أبداً، ولو نزل: (لا تَزْنُوا) لقالوا: لا نَدع الزِّنا أبداً.

ثم رأيت هذه الحكمة مصرَّحاً بها في «**الناسخ والمنسوخ**»(٤) لمكيّ.

فرع: الذي استُقْرِئ من الأحاديث الصحيحة وغيرها: أنَّ القرآن كان ينزل بحسب الحاجة: خمس آياتٍ وعشراً وأكثر وأقلّ؛ وقد صحَّ نزولُ العشرِ آياتٍ في قصَّة الإفك جملةً [البخاري: ٤٧٥٠، ومسلم:

---

(١) في «تفسيره» ٥/ ١٥٧٢ (٩٠١٦) الأعراف: ١٥٤.

(٢) المرجع السابق ٥/ ١٥٦٣ (٨٩٥٨) الأعراف: ١٤٥.

(٣) في «تفسيره» ٥/ ١٦١٠ (١٥١٩) الأعراف: ١٧١.

(٤) «الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» مكي بن أبي طالب القيسي (ت: ٤٣٧ هـ) ص ٥٩.

٧٠٢٠، وأحمد: ٢٥٦٢٣]، وصحَّ نزول عشر آيات من أوّل (المؤمنون) جملة، وصحَّ نزول: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥] وحدها؛ وهي بعض آية، وكذا قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ [التوبة: ٢٨] إلى آخر الآية، نزلت بعد نزول أوّل الآية كما حرَّرناه في «**أسباب النزول**»(١)، وذلك بعضُ آية.

وأخرج ابن أَشْتَهْ في كتاب «**المصاحف**» عن عِكْرِمة في قوله: ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥]، قال: أنزل الله القرآن نجوماً ثلاثَ آياتٍ، وأربعَ آيات، وخمس آيات.

وقال النكزاويّ(٢) في كتاب «**الوقف**»: كان القرآن يَنزِل مفرَّقاً؛ الآية والآيتين والثلاث والأربع، وأكثر من ذلك.

وما أخرجه ابن عساكر [في «تاريخه» (٢٠/ ٣٩١)] من طريق أبي نُضْرة قال: كان أبو سعيد الخُدريّ يعلمنا القرآن، خمسَ آيات بالغداة، وخمسَ آيات بالعشيّ، ويخبر أنَّ جبريل نزل بالقرآن خمس آيات، خمس آيات.

وأما ما أخرجه البيهقي في «**الشعب**» [١٩٥٩] من طريق أبي خَلْدة، عن عُمر قال: تعلَّموا القرآن خمسَ آياتٍ خمسَ آياتٍ؛ فإنَّ جبريل كان ينزل بالقرآن على النبيّ ﷺ خمساً خمساً.

ومن طريق ضعيفٍ عن عليّ قال: أُنزِل القرآنُ خمساً خمساً إلَّا سورة الأنعام، ومَن حَفِظ خمساً خمساً لم يَنْسَهُ.

فالجواب: أنَّ معناه ـ إن صح ـ إلقاؤه إلى النَّبي ﷺ بهذا القَدْر حتى يحفظَه، ثم يلقي إليه الباقي، لا إنزالُهُ بهذا القدر خاصَّة. ويوضح ذلك: ما أخرجه البيهقي ـ أيضاً ـ [في «الشعب»: ١٩٥٨] عن خالد بن دينار قال: قال لنا أبو العالية: تعلَّموا القرآن خمس آيات، خمس آيات؛ فإنَّ النبيَّ ﷺ كان يأخذه من جبريل خمساً خمساً.

المسألة الثانية: في كيفية الإنزال والوحي:

قال الأصفهاني في أوائل «**تفسيره**»: اتَّفق أهلُ السُّنَّة والجماعة على أن كلام الله منزَّل. واختلفوا في معنى الإنزال:

فمنهم من قال: إظهار القراءة. ومنهم من قال: إن الله تعالى أَلْهَمَ كلامَهُ جبريلَ وهو في السَّماء، وهو عالٍ من المكان، وعلَّمه قراءته، ثم جبريل أدَّاه في الأرض وهو يَهبِط في المكان. وفي التنزيل طريقان: **أحدهما**: أنَّ النبيَّ ﷺ انخلع من صورة البشرية إلى صورة الملَكِيَّة، وأخذه من جبريل. **والثاني**: أنَّ الملَكَ انخلَع إلى البشرية حتى يأخذه الرسول منه، والأوّل أصعب الحالين. انتهى.

وقال الطِّيبيّ: لعلَّ نزولَ القرآن على النبي ﷺ أن يتلقَّفه المَلَكُ من الله تعالى تلقُّفاً روحانيًّا، أو يحفظه من اللَّوحِ المحفوظ، فينزل به إلى الرَّسول ويلقيه عليه.

وقال القطب الرازي في حواشي «**الكشاف**»: الإنزال لغةً بمعنى الإيواء، وبمعنى: تحريك الشيء

---

(١) «أسباب النزول» ص ١٨٩ التوبة: ٢٨.

(٢) النَّكْزَاوي: عبد الله بن محمد الإسكندراني، المقرئ النحوي، صنف كتاباً في القراءات (ت: ٦٨٣ هـ). «معرفة القراء الكبار» ٢/ ٦٥٠.

من عُلو إلى أسفل، وكلاهما لا يتحقَّقان في الكلام، فهو مستعمَلٌ فيه في معنًى مجازيٍّ؛ فمن قال: القرآن معنى قائمٌ بذات الله تعالى، فإنزاله أن يوجِد الكلماتِ والحروفَ الدالَّة على ذلك المعنى، ويُثْبِتَها في اللوح المحفوظ، ومن قال: القرآن هو الألفاظ، فإنزاله مجرَّد إثباته في اللوح المحفوظ. وهذا المعنى مناسب لكونه منقولاً عن المعنيين اللُّغويَّيْن. ويمكن أن يكون المراد بإنزاله إثباتَه في السماء الدنيا بعد الإثبات في اللَّوح المحفوظ، وهذا مناسب للمعنى الثاني، والمراد بإنزال الكتب على الرّسل: أن يتلقفها الملَك من الله تلقفاً روحيًّا، أو يحفظها من اللوح المحفوظ، وينزل بها فيلقيها عليهم. انتهى.

وقال غيره: في المنزل على النبيِّ ﷺ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه اللفظ والمعنى، وأن جبريل حَفِظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزَل به. وذكر بعضهم أنَّ أحرف القرآن في اللوح المحفوظ، كلُّ حرف منها بقدر جبلِ قاف، وأنَّ تحت كل حرف منها معانٍ لا يحيط بها إلَّا الله.

والثاني: أن جبريل إنما نزل بالمعاني خاصة، وأنه ﷺ علم تلك المعاني وعبَّر عنها بلغة العرب. وتمسَّك قائل هذا بظاهر قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٤].

والثالث: أنَّ جبريل أُلْقِيَ إليه المعنى، وأنَّه عَبَّر بهذه الألفاظ بلغة العرب، وأن أهل السماء يقرؤونه بالعربيَّة، ثم إنّه نزل به كذلك بعد ذلك.

وقال البيهقي [في «الشعب» (١/ ١٨٥)] في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾: يريد ـ والله أعلم ـ: إنَّا أسمعنا الملَك وأفهمناه إيَّاه وأنزلناه بما سمع، فيكون الملَك منتقِلاً به من عُلْوٍ إلى أسفل.

قال أبو شامة[1]: هذا المعنى مطَّرد في جميع ألفاظ الإنزال المضافة إلى القرآن، أو إلى شيء منه، يحتاج إليه أهل السنَّة المعتقدون قِدَم القرآن، وأنه صفة قائمة بذات الله تعالى.

قلت: ويؤيد أنَّ جبريل تلقَّفه سماعاً من الله تعالى: ما أخرجه الطبراني من حديث النَّواس بن سَمْعَان مرفوعاً: «**إذا تكلّم الله بالوحي أخذت السماءَ رَجْفَةٌ شديدة من خوف الله، فإذا سمع بذلك أهلُ السماء صُعِقوا وخرُّوا سجَّداً، فيكون أَوَّلَهُمْ يرفع رأسَه جبريلُ، فيكلِّمه الله من وَحْيِهِ بما أراد، فينتهي به على الملائكة، فكلَّما مرَّ بسماءٍ سأله أهلُها: ماذا قال ربُّنا؟ قال: الحقَّ. فينتهي به حيث أمر**».

وأخرج ابن مَرْدُويه من حديث ابن مسعود رفعه: «**إذا تكلَّم الله بالوحي سمع أَهلُ السموات صَلصَلةً كصلصلةِ السلسلة على الصَّفوان، فيَفْزَعون ويَرَوْن أنه من أمر الساعة**». وأصل الحديث في الصحيح [البخاري: ٤٧٠١].

وفي تفسير عليّ بن سهل النيسابوري: قال جماعة من العلماء: نزل القرآن جملةً في ليلة القَدْر من اللوح المحفوظ إلى بيتٍ يقال له: بيت العزة، فحفظه جبريل، وغُشي على أهلِ السموات من هيبة

---

(١) في «المرشد الوجيز» ص ١٤.

كلام الله، فمرَّ بهم جبريلُ، وقد أفاقوا، فقالوا: ماذا قال ربُّكم؟ قالوا: الحقَّ - يعني القرآن - وهو معنى قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ [سبأ: ٢٣]. فأتى به جبريل إلى بيت العزَّة، فأملاه على السَّفرةِ الكَتَبة - يعني الملائكة - وهو معنى قوله تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٥-١٦].

وقال الجُوينيّ: كلام الله المنزَّل قسمان:

قسم: قال الله لجبريل: قل للنبيّ الذي أنت مرسل إليه: إنَّ الله يقول: افعل كذا وكذا، وأمر بكذا وكذا، ففهم جبريل ما قاله ربُّه، ثم نزل على ذلك النبي وقال له ما قاله ربُّه، ولم تكن العبارة تلك العبارة، كما يقول الملِك لمن يثق به: قل لفلان: يقول لك المَلِكُ: اجتهد في الخِدْمة، واجمَعْ جندَكَ للقتال. فإن قال الرسول: يقول المَلِكُ: لا تتهاوَنْ في خدمتي ولا تترك الجند تتفرَّق، وحُثَّهم على المقاتلة. لا يُنسَب إلى كذبٍ ولا تقصير في أداء الرسالة.

وقسم آخر: قال الله لجبريل: اقرأْ على النبيّ هذا الكتابَ، فنزل جبريل بكلمةٍ من الله من غير تغيير، كما يَكتب المَلِك كتاباً ويسلمه إلى أمين، ويقول: اقرأه على فلان، فهو لا يغيِّر منه كلمة ولا حرفاً، انتهى.

قلت: القرآن هو القسم الثاني، والقسم الأول هو السنَّة، كما ورد أن جبريل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن(١). ومن هنا جاز رواية السنة بالمعنى؛ لأن جبريل أداه بالمعنى، ولم تَجُزْ القراءةُ بالمعنى؛ لأنَّ جبريل أَدَّاه باللفظ، ولم يُبَحْ له إيحاؤه بالمعنى.

والسرُّ في ذلك: أن المقصود منه التعبُّد بلفظه والإعجاز به، فلا يقدر أحد أَنْ يأْتيَ بلفظٍ يقوم مقامه، وأنَّ تحت كل حرف منه معانيَ لا يُحاط بها كثرةً، فلا يقدر أحدٌ أن يأتيَ بدلَه بما يشتمل عليه. والتخفيف على الأُمَّة حيث جُعل المنزَل إليهم على قسمين: قسم يروُونه بلفظه الموحَى به، وقسم يروونه بالمعنى؛ ولو جعل كله مما يروَى باللفظ لشقَّ، أو بالمعنى لم يؤمَن التبديل والتحريف، فتأمَّل.

وقد رأيتُ عن السلف ما يعضد كلام الجُوينيّ.

وأخرج ابن أبي حاتم(٢) من طريق عُقَيل، عن الزّهري: أنه سُئل عن الوحي فقال: الوحي ما يوحي الله إلى نبي من الأنبياء، فيُثْبِتُهُ في قلبه، فيتكلَّم به ويكتبُهُ، وهو كلام الله، ومنه ما لا يتكلَّم به ولا يكتبه لأحد، ولا يأمر بكتابته، ولكنه يحدِّث به الناسَ حديثاً، ويبيِّن لهم أنَّ الله أمره أَنْ يبيِّنَه للناس ويبلِّغهم إياه.

---

(١) ورد ذلك عن حسان بن عطية حيث قال: «كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله ﷺ بالسنة، كما ينزل عليه بالقرآن، ويعلمه إياها كما يعلمه القرآن». أخرجه أبو داود في «مراسيله» ص ٣٥٩ رقم (٥٣٤ - ٥٣٦) وانظر «قواعد التحديث» للشيخ القاسمي بتحقيقنا ص ٨٢.

(٢) في «تفسيره» ١٠/ ٣٤٥٢ (١٩٤٢٨).

فصل: وقد ذكر العلماء للوحي كيفيات:

إحداها: أن يأتيَه المَلَك في مثل صلصلة الجرس كما في الصحيح [البخاري: ٢، ومسلم: ٦٠٥٩، وأحمد: ٢٦١٩٨].

وفي «**مسند أحمد**» [٧٠٧١ وإسناده ضعيف]عن عبد الله بن عمر: سألت النبيَّ ﷺ: هل تحسّ بالوحي؟ فقال: «**أسمَعُ صلاصلَ، ثم أَسكتُ عند ذلك، فما من مرَّة يوحَى إليَّ إلا ظننتُ أنَّ نفسي تُقْبَضُ**»[1].

قال الخطابيّ: والمراد أنه صوت متدارك يسمعه ولا يبيّن له أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد. وقيل: هو صوتُ خَفْق أجنحة الملَك، والحكمة في تقدمه أن يُفْرِغَ سمعَه للوحي، فلا يُبقي فيه مكاناً لغيره. وفي الصحيح أن هذه الحالة أشدُّ حالات الوحي عليه. وقيل: إنّه إنما كان ينزل هكذا إذا نزلت آيةُ وعيدٍ وتهديد.

الثانية: أن يَنفُثَ في رُوعه الكلامَ نفثاً، كما قال ﷺ: «**إنَّ رُوح القدس نَفَثَ في رُوعي**». أخرجه الحاكم [في «المستدرك» (٢/ ٥)] وهذا قد يرجع إلى الحالة الأولى أو التي بعدها، بأن يأْتيَه في إحدى الكيفيتين، وينفث في رُوعه.

الثالثة: أن يأْتيَه في صورة الرَّجل فيكلِّمه، كما في الصحيح: «**وأحياناً يتمثل لي المَلك رجلاً، فيكلِّمني فأَعِي ما يقول**» [البخاري: ٢، ومسلم: ٦٠٥٩، وأحمد: ٢٦١٩٨]. زاد أبو عوانة في «**صحيحه**»: «**وهو أهونه عليّ**».

الرابعة: أن يأتيَه المَلك في النَّوم، وعَدَّ من هذا قومٌ سورةَ الكوثر، وقد تقدَّم ما فيه.

الخامسة: أنْ يكلِّمه الله إمَّا في اليقظة كما في ليلة الإسراء، أو في النوم، كما في حديث مُعاذ: «**أتاني ربّي فقال: فيمَ يختصم الملأ الأعلى...**» الحديث. وليس في القرآن من هذا النوع شيء فيما أعلم. نعم يمكن أن يُعدَّ منه آخر سورة البقرة لما تقدَّم، وبعض سورة الضحى، وألم نشرح؛ فقد أخرج ابنُ أبي حاتم[2] من حديث عديّ بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: «**سألت ربي مسألةً؛ وددت أنّي لم أكن سألتهُ، قلت: أيْ ربّ، اتَّخذتَ إبراهيمَ خليلاً، وكلَّمتَ موسى تكليماً، فقال: يا محمد، ألم أجدك يتيماً فآويتُ، وضالًّا فهديتُ، وعائلاً فأغنيتُ، وشرحتُ لك صدْرَكَ، وحَطَطْتُ عنك وِزْرَك، ورفعتُ لك ذِكرَك، فلا أُذكَرُ إلَّا ذُكرتَ معي!**».

فائدة: أخرج الإمام أحمد في «**تاريخه**» من طريق داود بن أبي هند، عن الشعبيّ قال: أُنزل على النبي ﷺ النبوَّةُ وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين، فكان يعلِّمه الكلمةَ والشيء، ولم ينزل عليه القرآنُ على لسانه، فلما مَضَت ثلاثُ سنين قُرن بنبوّته جبريلُ، فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة[3].

قال ابن عساكر: والحكمةُ في توكيل إسرافيل أنّه الموكَّل بالصُّور الذي فيه هلاكُ الخلق وقيام

---

(١) وفي «المسند»: «تفيضُ» بدل: «تقبض». (٢) «في تفسيره» ١٠/ ٣٤٤٣ (١٩٣٧٨) سورة الضحى.

(٣) ذكره ابن عبد البر في «الاستيعاب» ١/ ٣٦، والحافظ في «الفتح» ١/ ٢٧.

الساعة، ونبوَّتُه ﷺ مؤذِنة بقرب الساعة وانقطاع الوحي، كما وكِّل بذي القرنين رَيافيلُ الذي يطوي الأرض، وبخالد بن سنان[١] مالكٌ خازن النار.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن سابط قال: «في أم الكتاب كلّ شيء هو كائن إلى يوم القيامة، فوكّل ثلاثة بحفظه إلى يوم القيامة من الملائكة، فوكّل جبريل: بالكتب والوحي إلى الأنبياء، وبالنَّصر عند الحروب، وبالمهلكات إذا أراد الله أن يهلك قوماً، ووكّل ميكائيل: بالقَطْر والنَّبات، ووكّل مَلَكَ الموت: بقبض الأنفس؛ فإذا كان يومُ القيامة عارضوا بين حِفظهم وبين ما كان في أُمِّ الكتاب فيجدونه سواءً»[٢].

وأخرج أيضاً عن عطاء بن السائب قال: أوّل ما يحاسَب جبريلُ؛ لأنه كان أمينَ الله على رسله.

فائدة ثانية: أخرج الحاكم [(٢/ ٢٤٢)] والبيهقي [في «الشعب»: ٢٢٩٠] عن زيد بن ثابت: أنَّ النبي ﷺ قال: «**أُنزل القرآن بالتفخيم كهيئته**: ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ [المرسلات: ٦]، و﴿ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ [الكهف: ٩٦]، و﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] **وأشباه هذا**».

قلت: أخرجه ابنُ الأنباري في كتاب «**الوقف والابتداء**»[٣]، فَبَيَّن أن المرفوع منه: «**أُنزل القرآنُ بالتفخيم**» فقط، وأن الباقي مُدْرَجٌ من كلام عَمَّار بن عبد الملك؛ أحدِ رواة الحديث.

فائدة أخرى: أخرج ابن أبي حاتم، عن سفيان الثوريّ قال: لم ينزل وحيٌ إلا بالعربية، ثم تَرْجَمَ كلُّ نبيّ لقومه.

فائدة أخرى: أخرج ابن سعد [في «طبقاته» (٨/ ٣٧٩)] عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا نَزَل عليه الوحيُ يغُطُّ في رأسه، ويتربَّد وجهُهُ؛ أي: يتغير لونُه بالجَرِيدة، ويجد بَرْدًا في ثناياه، ويَعْرَقُ حتى يَتحدَّر منه مِثلُ الجُمَان.

المسألة الثالثة: في الأحرف السبعة التي نزل القرآن عليها.

قلت: ورد حديث: «**نزل القرآن على سبعة أحرف**» من رواية جَمْع من الصحابة: أُبَيّ بن كعب، وأنس، وحُذيفة بن اليمان، وزيد بن أرقم، وسَمُرة بن جُندَب، وسليمان بن صُرَد، وابن عباس، وابن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وعمر بن الخطاب، وعَمْرو بن أبي سلمة، وعَمْرو بن العاص، ومُعاذ بن جبل، وهشام بن حكيم، وأبي بَكْرة، وأبي جَهْم، وأبي سَعِيد الخُدْريّ، وأبي طلحة الأنصاري، وأبي هريرة، وأبي أيوب. فهؤلاء أحدٌ وعشرون صحابيًّا، وقد نص أبو عُبَيد على تواتره.

وأخرج أبو يعلى في «مسنده» [٥١٤٩]: أن عثمان قال على المنبر: أُذكّر الله رجلاً سمع النبيَّ ﷺ قال: «**إن القرآن أُنزل على سبعة أحرف، كلّها شافٍ كافٍ**» لَمَا قام، فقاموا حتى لم يُحْصَوْا، فشَهِدوا بذلك، فقال: وأنا أشهد معهم.

---

(١) هو: خالد بن سنان العبسي، حكيم، من أنبياء العرب في الجاهلية. انظر ص١١٣ الآتية في الهامش لزاماً.

(٢) هذا النقل ـ فيما يبدو ـ أنه في شرح الآية (٣٩) من سورة الرعد ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾، وقد قال محقق تفسير ابن أبي حاتم: لم أعثر على بقية تفسير سورة الرعد.

(٣) «الوقف والابتداء» ١/ ١٤ (٧).

اختلاف الأقوال في نزول القرآن على سبعة أحرف

وسأسوق من رواتهم ما يحتاج إليه، فأقول: اختُلف في معنى هذا الحديث على نحو أربعين قولاً:

أحدها: أنّه من المشكل الذي لا يُدرَى معناه؛ لأنَّ الحرف يَصْدُق لغةً على حرف الهجاء، وعلى الكلمة، وعلى المعنى، وعلى الجهة. قاله ابن سَعْدَان النحوي(١).

الثاني: أنَّه ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد، بل المراد التيسير والتسهيل والسَّعة، ولفظ (السبعة) يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد، كما يطلق السبعون في العشرات، والسبعمئة في المئين، ولا يراد العدد المُعيَّن. وإلى هذا جَنَح عياضٌ ومَن تبعه.

ويردُّه ما في حديث ابن عباس في الصحيحين: أنّ رسول الله ﷺ قال: «**أقرأني جبريلُ على حرف، فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعةِ أحرف**» [البخاري: ٣٢١٩، ومسلم: ١٩٠٢، وأحمد: ٢٧١٧].

وفي حديث أُبيّ عند مسلم [١٩٠٤]: «**إنَّ ربي أرسل إليَّ: أنِ اقرأ القرآن على حرف، فرددتُ إليه: أَنْ هوِّن على أمتي، فأرسل إليَّ: أن اِقرأ على حرفين: فرددت إليه: أن هوِّن على أمتي، فأرسل إليَّ: أن اِقرأه على سبعة أحرف**».

وفي لفظ عنه عند النسائي [«المجتبى»: ٩٣٥]: «**إن جبريل وميكائيل أتياني، فقعد جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري، فقال جبريل: اقرأ القرآن على حرف، فقال ميكائيل: استزده.. حتى بلغ سبعة أحرف**».

وفي حديث أبي بَكْرة عنده: «**فنظرت إلى ميكائيل، فسكتَ. فعلمتُ أنه قد انتهتِ العدَّة**».

فهذا يدلُّ على إرادة حقيقة العَدَد وانحصاره.

الثالث: أن المراد بها سبعُ قراءات، وتُعُقِّب: بأنه لا يوجد في القرآن كلمة تقرأ على سبعة أوجه إلّا القليل، مثل: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠]، ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣].

الرابع: وأُجيب بأنَّ المراد أن كلّ كلمة تقرأ بوجه أو وجهين أو ثلاثة أو أكثر إلى سبعة، ويشكل على هذا أن في الكلمات ما قُرئ على أكثرَ، وهذا يصلح أن يكون قولاً رابعاً.

الخامس: أن المراد بها الأوجهُ التي يقع فيها التغاير، ذكره ابن قُتيبة قال: **فأوّلُها**: ما يتغير حركته ولا يزول معناه وصورته، مثل: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢] بالفتح والرفع. **وثانيها**: ما يتغيَّر بالفعل مثل: ﴿بَٰعِدْ﴾ و﴿بَٰعَدَ﴾ [سبأ: ١٩] بلفظ الماضي والطلب. **وثالثها**: ما يتغير بالنقط مثل: ﴿نُنشِزُهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] و(ننشرها). **ورابعها**: ما يتغير بإبدال حرفٍ قريبِ المَخرَج، مثل: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٩] و(طلْع). **وخامسها**: ما يتغيَّر بالتقديم والتأخير، مثل: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق: ١٩] و(سكرة الحقِّ بالموت). **وسادسها**: ما يتغيَّر بزيادة أو نقصان، مثل: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ

(١) محمد بن سعدان الكوفي، أبو جعفر، نحوي مقرئ ضرير. (ت: ٢٣١ هـ). «تاريخ بغداد» ٥/ ٣٢٤، «بغية الوعاة» ٤٥.

﴿وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [الليل: ٣] (والذَّكر والأنثى). **وسابعها**: ما يتغير بإبدال كلمة بأخرى، مثل: ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥] و(كالصوف المنفوش).

وتعقّب هذا قاسم بن ثابت[1] بأنّ الرُّخصةَ وقعتْ، وأكثرهم يومئذ لا يكتب ولا يعرف الرَّسم، وإنما كانوا يعرفون الحروف ومخارجها.

وأجيب: بأنه لا يلزم من ذلك توهين ما قاله ابن قتيبة؛ لاحتمال أن يكون الانحصار المذكور في ذلك وقع اتِّفاقاً، وإنما اطُّلع عليه بالاستقراء.

[**السادس**:] وقال أبو الفضل الرازيّ[2] في «**اللوائح**»: الكلام لا يخرج عن سبعة أوجه في الاختلاف: الأوّل: اختلاف الأسماء من إفراد وتثنية وجمع، وتذكير وتأنيث. الثاني: اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر. الثالث: وجوه الإعراب. الرابع: النقص والزيادة. الخامس: التقديم والتأخير. السادس: الإبدال. السابع: اختلاف اللغات كالفتح والإمالة، والترقيق والتفخيم، والإدغام والإظهار، ونحو ذلك.

وهذا هو القول **السادس**.

[**السابع**:] وقال بعضهم: المراد بها كيفيَّة النطق بالتلاوة من إدغام وإظهار، وتفخيم وترقيق، وإمالةٍ وإشباع، ومدٍّ وقصر، وتشديد وتخفيف، وتليين وتحقيق، وهذا هو القول **السابع**.

[**الثامن**:] وقال ابن الجزريّ: قد تتبعتُ صحيح القراءة وشاذَّها وضعيفَها ومنكَرَها، فإذا هي يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه، لا يخرج عنها، وذلك:

إما في الحركات بلا تغيُّر في المعنى والصورة، نحو: ﴿بِٱلْبُخْلِ﴾ [النساء: ٣٧]؛ بأربعة، ويحسب بوجهين.

أو متغيِّر في المعنى فقط، نحو: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧].

وإمَّا في الحروف بتغيُّر المعنى لا الصورة، نحو: ﴿تَبْلُوا۟﴾ [يونس: ٣٠]، و﴿تَتْلُوا۟﴾ [البقرة: ١٠٢].

أو عكس ذلك، نحو: ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ [الفاتحة: ٦]، و(السراط).

أو بتغيّرهما، نحو: ﴿وَٱمْضُوا۟﴾ [الحجر: ٦٥]، (واسْعوا).

وإمَّا في التقديم والتأخير، نحو: ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: ١١١].

أو في الزيادة والنقصان، نحو: ﴿وَوَصَّىٰ﴾ [البقرة: ١٣٢]، و(أوصى).

فهذه سبعة لا يَخرُجُ الاختلافُ عنها.

---

(١) هو أبو محمد السَّرَقُسْطي، أبو محمد، عالم بالحديث واللغة (ت: ٣٠٢ هـ). «نفح الطيب» ١/ ٣٤٦.

(٢) أبو الفضل: محمد بن عمر (ت: ٦٠٦ هـ) له: «درة التنزيل وغرة التأويل في المتشابه». وليس هو الإمام فخر الدين الرازي المشهور صاحب التفسير، وإن كان يوافقه في الاسم والنسبة وسنة الوفاة! أفاده محقق «البرهان» ٢/ ١٩٨ وكتابه: «الدرة» مخطوط بمصر.

قال: وأمَّا نحو اختلاف الإظهار والإدغام والرَّوم والإشمام والتَّحقيق والتسهيل والنَّقل والإبدال، فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوَّع فيه اللفظ أو المعنى؛ لأن هذه الصفاتِ المتنوعة في أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظاً واحداً. انتهى. وهذا هو القول **الثامن**.

ومن أمثلة التقديم والتأخير قراءة الجمهور: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]. وقرأ ابن مسعود: (على قلب كل متكبر)[١].

التاسع: أنَّ المراد سبعة أوجه من المعاني المتفقة بألفاظ مختلفة، نحو: أقبلْ وتعالَ، وهلمّ وعجِّل، وأسرع، وإلى هذا ذهب سفيان بن عُيينة وابن جَرير وابن وهب وخلائقُ. ونسبه ابن عبد البر لأكثر العلماء. ويدلُّ له: ما أخرجه أحمد والطَّبراني من حديث أبي بكرة: «**أن جبريل قال: يا محمدُ، اقرأ القرآنَ على حرف، قال ميكائيل: اِستَزِدْهُ.. حتى بلغ سبعة أحرف، قال: كلٌّ شافٍ كافٍ، ما لم تَختِمْ آيةَ عذابٍ برحمةٍ، أو رحمةٍ بعذابٍ، نحو قولك: تعالَ، وأَقبل وهلمّ واذْهب وأسرع وعجِّل**». هذا اللفظ رواية أحمد [٢٠٤٢٥]، وإسناده جيد. وأخرج أحمد [٢٠٥١٤] والطَّبراني [في «الكبير»: ٨٦٨٠ وإسناده صحيح] أيضاً عن ابن مسعود نحوَه.

وعند أبي داود [١٤٧٧ وهو صحيح] عن أُبَيّ: «قلت: سميعاً عليماً عزيزاً حكيماً، ما لم تخلط آيةَ عذابٍ برحمة، أو آيةَ رحمةٍ بعذابٍ».

وعند أحمد [٨٣٩٠ وإسناده حسن] من حديث أبي هريرة: «**أُنزل القرآن على سبعة أحرف؛ عليماً حكيماً غفوراً رحيماً**». وعنده [أحمد: ١٦٣٦٦ وإسناده حسن] أيضاً من حديث عُمر: «**إنَّ القرآن كلَّه صوابٌ، ما لم تَجعَلْ مغفرةً عذاباً، أو عذاباً مغفرةً**» أسانيدها جياد.

قال ابن عبد البر: إنَّما أراد بهذا ضَرْبَ المثل للحروف التي نزل القرآن عليها: أنها معانٍ متَّفق مفهومُها، مختلف مسموعها، لا يكون في شيء منها معنى وضدّه، ولا وجه يخالف معنى وجه خلافاً ينفيه ويضاده، كالرحمة التي هي خلاف العذاب وضدّه. ثم أسند عن أُبيّ بن كعب أنّه كان يقرأ: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٠]: (مرّوا فيه)، (سعوا فيه)، وكان ابن مسعود يقرأ: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا﴾ [الحديد: ١٣]: (أمهلونا، أَخِّرونا).

قال الطحاوي[٢]: وإنَّما كان ذلك رُخصة، لمَّا كان يتعسر على كثير منهم التلاوة بلفظ واحد، لعدم علمهم بالكتابة والضبطِ وإتقانِ الحفظ، ثم نُسِخ بزوال العُذْرِ وتيسّر الكتابة والحفظ. وكذا قال ابن عبد البرّ والباقلاني وآخرون.

وفي «**فضائل أبي عُبيد**»[٣] من طريق عَوْن بن عبد الله: أنَّ ابن مسعود أقرأ رجلاً: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ

---

(١) «النشر» ١/ ٢٦.

(٢) الطحاوي: أحمد بن محمد، انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر (ت: ٣٢١ هـ). «لسان الميزان» ١/ ٢٧٤، «الجواهر المضية» ١/ ١٠٢.

(٣) ص ٣١٢.

ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣ ـ ٤٤] فقال الرجل: طَعَامُ اليَتِيم، فردَّدها عليه فلم يَستقِم بها لسانُه، فقال: أتستطيع أن تقول: طعام الفاجر؟ قال: نعم، قال: فافعل.

العاشر: إنَّ المراد سبعُ لغات، وإلى هذا ذهب أبو عُبيد وثعلب والأزهري وآخرون، واختاره ابن عطيَّة، وصححه البيهقيّ في «الشُّعب»، وتُعُقِّبَ بأن لغات العرب أكثرُ من سَبْعة، وأُجيب: بأنَّ المراد أفصحُها، فجاء عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: نزل القرآن على سبع لغات؛ منها خمس بلغة العجُز من هوازن. قال: والعجُز: سعد بن بكر وجُشَم بن بكر ونصر بن معاوية وثَقيف؛ وهؤلاء كلُّهم من هوازن. ويقال لهم: عُلْيا هوازن؛ ولهذا قال أبو عمرو بن العلاء: أفصح العرب عُلْيا هَوازن وسُفْلى تميم، يعني بني دارم.

وأخرج أبو عُبيد[١] من وجه آخر عن ابن عباس قال: نزل القرآن بلغة الكعبَيْنِ: كعب قريش وكعب خُزاعة. قيل: وكيف ذاك؟ قال: لأن الدار واحدة. يعني أنَّ خزاعة كانوا جيرانَ قريش، فسهُلت عليهم لغتُهم.

وقال أبو حاتم السجستاني[٢]: نزل بلغة قريش وهُذيل وتميم والأزد ورَبيعة وهوازن وسعد بن بكر، واستنكر ذلك ابنُ قتيبة وقال: لم ينزل القرآن إلَّا بلغة قريش، واحتج بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤]. فعلى هذا تكون اللغات السبع في بطون قريش. وبذلك جزم أبو عليّ الأهوازيّ.

وقال أبو عبيد[٣]: ليس المراد أن كلّ كلمة تقرأُ على سبع لغات، بل اللغات السبع مفرَّقةٌ فيه، فبعضُه بلغة قريش، وبعضه بلغة هُذيل، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة اليمن وغيرهم. قال: وبعض اللغات أسعدُ بها من بعض، وأكثر نصيباً.

وقيل: نزل بلغة مضر خاصَّة، لقول عمر: نزل القرآن بلغة مُضر. وعيّن بعضُهم ـ فيما حكاه ابن عبد البر ـ السبع من مُضر أَنَّهم: هُذيل وكنانة وقيس وضبَّة وتيم الرباب وأسد بن خزيمة وقريش؛ فهذه قبائل مُضر تستوعب سبع لغات.

ونقل أبو شامة[٤] عن بعض الشيوخ أنه قال: أُنزِل القرآن أولاً بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء، ثم أبيح للعرب أن يقرؤوه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم في الألفاظ والإعراب. ولم يكلَّف أحدٌ منهم الانتقال عن لغَتِه إلى لغة أخرى للمشقَّة، ولِما كان فيهم من الحميّة، ولطلب تسهيل فهم المراد.

وزاد غيره: أن الإباحة المذكورة لم تقع بالتشهّي؛ بأَنْ يغيِّر كلُّ أحدٍ الكلمة بمرادفها في لغته، بل المَرعيُّ في ذلك السماعُ من النبي ﷺ.

---

(١) في «فضائل القرآن» ص ٣٤٠.

(٢) أبو حاتم: سهل بن محمد، من كبار العلماء باللغة والشعر (ت: ٢٤٨ هـ). «إنباه الرواة» ٢/ ٥٨.

(٣) في «فضائل القرآن» ص ٣٣٩.

(٤) في «المرشد الوجيز» ص ٩٥.

واستشكل بعضهم هذا: بأنه يلزم عليه أن جبريل كان يلفظ باللفظ الواحد سبعَ مرات.

وأجيب: بأنَّه إنَّما يلزم هذا لو اجتمعت الأحرف السبعة في لفظ واحد، ونحن قلنا: كان جبريلُ يأتي في كل عَرْضةٍ بحرف، إلى أن تمت سبعة. وبعد هذا كله رُدّ هذا القول بأنَّ عمر بن الخطاب وهشامَ بنَ حكيم، كلاهما قرشيّ من لغة واحدة وقبيلةٍ واحدة، وقد اختلفت قراءتهما، ومحال أن ينكر عليه عمرُ لغتَه، فدلَّ على أن المراد بالأحرف السبعة غيرُ اللغات.

القول الحادي عشر: أن المراد سبعة أصناف، والأحاديثُ السابقة تردُّه، والقائلون به اختلفوا في تعيين السَّبعة، فقيل: أمر ونهي، وحلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وأمثال.

واحتجُّوا بما أخرجه الحاكم [(٢/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠)] والبيهقي عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «**كان الكتاب الأول ينزل من باب واحدٍ على حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف: زاجر وآمر، وحلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وأمثال...**» الحديثَ.

وقد أجاب عنه قوم بأنه ليس المراد بالأحرف السبعة التي تقدم ذكرها في الأحاديث الأخرى؛ لأنَّ سياق تلك الأحاديث يأبَى حملها على هذا، بل هي ظاهرة في أنّ المراد أنّ الكلمة تُقرَأُ على وجهين وثلاثة إلى سبعة؛ تيسيراً وتهويناً، والشيء الواحد لا يكون حلالاً وحراماً في آية واحدة.

قال البيهقيّ: المراد بالسبعة الأحرفِ هنا الأنواعُ التي نَزَلَ عليها، والمراد بها في تلك الأحاديث اللغاتُ التي يُقرأُ بها.

وقال غيره: مَنْ أَوَّلَ الأحرفَ السبعة بهذا، فهو فاسدٌ؛ لأنَّه محال أن يكون الحرف منها حراماً لا ما سواه، أو حلالاً لا ما سواه، ولأنه لا يجوز أن يكون القرآن يُقرأ على أنه حلال كله أو حرام كله، أو أمثالٌ كلُّه.

وقال ابن عطية: هذا القول ضعيف؛ لأن الإجماع على أنَّ التوسعة لم تقع في تحريمِ حلالٍ ولا تحليل حرام، ولا في تغييرِ شيءٍ من المعاني المذكورة.

وقال الماورديّ: هذا القول خطأ، لأنَّه ﷺ أشار إلى جواز القراءة بكلِّ واحد من الحروف وإبدال حرف بحرف، وقد أجمع المسلمون على تحريم إبدالِ آيةِ أمثالٍ بآيةِ أحكام.

وقال أبو عليّ الأهوازيّ وأبو العلاء الهمدانيّ: قوله في الحديث: «زاجر وآمر» ...إلخ استئناف كلام آخر؛ أي: هو زاجر؛ أي: القرآن، ولم يُرِدْ به تفسير الأحرف السبعة، وإنما تُوُهِّم ذلك من جهة الاتفاق في العدد، ويؤيده: أن في بعض طرقه: «زجراً وأمْراً..» بالنصب؛ أي: نزل على هذه الصفة في الأبواب السبعة.

وقال أبو شامة[(١)]: يحتمل أن يكون التفسير المذكور للأبواب لا للأحرف؛ أي: هي سبعة أبواب من أبواب الكلام وأقسامه، أي: أنزله الله على هذه الأصناف، لم يقتصر منها على صنف واحد كغيره من الكتب.

---

(١) في «المرشد الوجيز» ص ١٠٩.

[الثاني عشر:] وقيل: المراد بها المطلَق والمقيَّد، والعامّ والخاصُّ، والنَّصّ والمؤوَّل، والناسخ والمنسوخ، والمجمَل والمفسَّر، والاستثناء وأقسامه. حكاهُ شَيْذَلة عنِ الفقهاء. وهذا هو القول **الثاني عشر**.

[الثالث عشر:] وقيل: المرادُ بها الحذف والصِّلة، والتقديم والتأخير، والاستعارة، والتكرار، والكناية والحقيقة والمجاز، والمجمَل والمفسَّر، والظاهر والغريب. حكاه عن أهل اللغة. وهذا هو القول **الثالث عشر**.

[الرابع عشر:] وقيل: المراد بها التذكير والتأنيث، والشَّرط والجزاء، والتصريف والإعراب، والأقسام وجوابها، والجمع والإفراد، والتصغير والتعظيم، واختلاف الأدوات. حكاه عن النحاة. وهذا هو **الرابع عشر**.

[الخامس عشر:] وقيل: المراد بها سبعة أنواع من المعاملات: الزهد والقناعة مع اليقين والجزم، والخدمة مع الحياء والكرم، والفتوَّة مع الفقر والمجاهدة، والمراقبة مع الخوف والرجاء، والتَّضرُّع والاستغفار مع الرضا والشكر، والصبر مع المحاسبة والمحبَّة، والشوق مع المشاهدة. حكاه عن الصوفية.

وهذا هو **الخامس عشر**.

القول السادس عشر: إنَّ المراد بها سبعةُ علوم: علم الإنشاء والإيجاد، وعلم التوحيد والتنزيه، وعلم صفات الذَّات، وعلم صفات الفعل، وعلم العفو والعذاب، وعلم الحشر والحساب، وعلم النبوّات[١].

وقال ابن حجر[٢]: ذكر القُرطبي عن ابن حبَّان: أنه بلغ الاختلاف في الأحرف السبعة إلى خمسة وثلاثين قولاً، ولم يذكر القرطبي منها سوى خمسة، ولم أقف على كلام ابن حبَّان في هذا بعد تتبُّعي مظانِّه.

قلت: قد حكاه ابنُ النَّقيب في مقدِّمة «تفسيره» عنه بواسطة الشرف المُزَنيّ المرسيّ، فقال: قال ابن حبَّان: اختلف أهل العلم في معنى الأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولاً.

فمنهم من قال: **[الأول:]** هي زجر وأمر، وحلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وأمثال.

الثاني: حلال وحرام، وأمر ونهي وزجر، وخبرُ ما هو كائن بَعْدُ، وأمثال.

الثالث: وعد ووعيد، وحلال وحرام، ومواعظُ وأمثال، واحتجاج.

الرابع: أمر ونهي، وبشارة ونذارة، وأخبار، وأمثال.

الخامس: محكَم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وخصوص وعموم، وقصص.

---

(١) اكتفى المصنف رحمه الله تعالى بذكر ستة عشر قولاً من أصل أربعين قولاً!

(٢) في «فتح الباري» كتاب فضائل القرآن ١٠/ ٢٠ (٤٩٩٢).

السادس: أمر وزجر، وترغيب وترهيب، وجَدَل وقَصَص، ومَثَل.

السابع: أمر ونهي، وحدٌّ وعلم، وسرٌّ، وظهر وبطن.

الثامن: ناسخ ومنسوخ، ووعد ووعيد، ورُغم وتأديب، وإنذار.

التاسع: حلال وحرام، وافتتاح وأخبار، وفضائل، وعقوبات.

العاشر: أوامر وزواجر، وأمثال وأنباء، وعتب ووعظ، وقصص.

الحادي عشر: حلال وحرام، وأمثال، ومنصوص، وقصص، وإباحات.

الثاني عشر: ظهر وبطن، وفرض وندب، وخصوص وعموم، وأمثال.

الثالث عشر: أمر ونهي، ووعد ووعيد، وإباحة، وإرشاد، واعتبار.

الرابع عشر: مقدَّم ومؤخَّر، وفرائض وحدود، ومواعظ، ومتشابه، وأمثال.

الخامس عشر: مفسَّر ومجمَل، ومقضيٌّ ونَدْب وحتم، وأمثال.

السادس عشر: أمر حتم وأمر ندب، ونهي حتم، ونهي ندب، وأخبار وإباحات.

السابع عشر: أمر فرض ونهي حتم، وأمر ندب ونهي مرشد، ووعد ووعيد، وقصص.

الثامن عشر: سبع جهات لا يتعدَّاها الكلام: لفظ خاصٌّ أريد به الخاصُّ، ولفظ عام أريد به العامُّ، ولفظ عامٌّ أريد به الخاص، ولفظ خاص أريد به العامّ، ولفظ يُستغنى بتنزيله عن تأويله، ولفظ لا يَعلم فقهَهُ إلّا العلماءُ، ولفظ لا يعلم معناه إلّا الراسخون.

التاسع عشر: إظهار الرُّبوبيَّة، وإثبات الوحدانية، وتعظيم الألوهية، والتعبُّد لله، ومجانبة الإشراك، والترغيب في الثواب، والترهيب من العقاب.

العشرون: سبع لغات، منها خمس من هوازن، واثنتان لسائر العرب.

الحادي والعشرون: سبع لغات متفرِّقة لجميع العرب، كلّ حرفٍ منها لقبيلة مشهورة.

الثاني والعشرون: سبع لغات، أربع لعجُز هوازن: سعد بن بكر وجُشم بن بكر ونصْر بن معاوية، وثلاث لقريش.

الثالث والعشرون: سبع لغات: لغة قريش، ولغة لليمن، ولغةٌ لجُرهم، ولغة لهوازن، ولغة لقُضاعة، ولغة لتميم، ولغة لطيِّئ.

الرابع والعشرون: لغة الكعبينِ؛ كعب بن عمرو، وكعب بن لؤيّ، ولهما سبع لغات.

الخامس والعشرون: اللغات المختلفة لأحياء العرب في معنًى واحد، مثل: هلمّ وهات وتعال وأقبل.

السادس والعشرون: سبع قراءات لسبعة من الصحابة: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، وابن مسعود، وابن عباس، وأُبي بن كعب ﷺ.

السابع والعشرون: همز، وإمالة، وفتح، وكسر، وتفخيم، ومدّ، وقصر.

الثامن والعشرون: تصريف، ومصادر، وعَروض، وغريب، وسجْع، ولغات مختلفة كلُّها في شيء واحد.

التاسع والعشرون: كلمة واحدة تُعْرَب بسبعة أوجه، حتى يكون المعنى واحداً، وإن اختلف اللفظ فيه.

الثلاثون: أُمَّهات الهجاء: الألف، والباء، والجيم، والدال، والراء، والسين، والعين؛ لأن عليها تدور جوامع كلامِ العرب.

الحادي والثلاثون: أنَّها في أسماء الربّ، مثل: الغفور الرحيم، السميع البصير، العليم الحكيم.

الثاني والثلاثون: هي آية في صفات الذات، وآيةٌ تفسيرُها في آية أُخرى، وآيةٌ بيانُها في السنَّة الصحيحة، وآية في قصَّة الأنبياء والرُّسل، وآية في خَلْق الأشياء، وآية في وصف الجنَّة، وآية في وصف النار.

الثالث والثلاثون: آية في وصف الصانع، وآية في إثبات الوحدانيَّة له، وآية في إثبات صفاته، وآية في إثبات رسله، وآية في إثبات كتبه، وآية في إثبات الإسلام، وآية في نفي الكفر.

الرابع والثلاثون: سبع جهات من صفات الذات لله التي لا يقع عليها التكييف.

الخامس والثلاثون: الإيمان بالله، ومباينة الشِّرك، وإثبات الأوامر، ومجانبة الزَّواجر، والثبات على الإيمان، وتحريم ما حرم الله، وطاعة رسوله.

قال ابن حِبَّان: فهذه خمسة وثلاثون قولاً لأهل العلم واللغة في معنى إنزال القرآن على سبعةِ أحرف، وهي أقاويل يشبه بعضُها بعضاً، وكلُّها محتملة، وتحتمل غيرَها.

وقال المرسي: هذه الوجوه أكثرُها متداخلة، ولا أدري مستَنَدَها ولا عمَّن نُقِلت، ولا أدري لم خَصَّ كلُّ واحد منهم هذه الأحرف السبعة بما ذكر، مع أن كلها موجودة في القرآن، فلا أدري معنى التخصيص، وفيها أشياء لا أفهم معناها على الحقيقة، وأكثرها يعارضُه حديث عُمر مع هشام بن حكيم الذي في الصحيح [البخاري: ٢٤١٩، ومسلم: ١٨٩٩، وأحمد: ١٥٨]، فإنَّهما لم يختلفا في تفسيره ولا أحكامه، إنما اختلفا في قراءة حروفه، وقد ظنَّ كثير من العوام أن المراد بها القراءات السبعة، وهو جهلٌ قبيحٌ.

تنبيه: اختُلف: هل المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة؟

فذهب جماعات من الفقهاء والقراء والمتكلمين إلى ذلك، وبنَوا عليه أنَّه لا يجوز على الأُمَّة أن تُهمِل نقلَ شيء منها، وقد أجمع الصحابة على نقل المصاحف العثمانية من الصحف التي كتبها أبو بكر، وأجمعوا على ترك ما سوى ذلك.

وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أنها مشتملة على ما يحتمل رسمها من الأحرف السبعة فقط، جامعة للعرْضة الأخيرة التي عَرَضَها النبي ﷺ على جبريل، متضمِّنة لها، لم تترك حرفاً منها.

قال ابن الجزريّ: وهذا هو الذي يظهر صوابه.

ويجاب عن الأول بما ذكره ابن جرير: أن القراءة على الأحرف السبعة لم تكن واجبة على الأُمَّة، وإنما كان جائزاً لهم ومرخَّصاً لهم فيه، فلما رأى الصحابة أنَّ الأُمَّة تفترق وتختلف إذا لم يجتمعوا على حرف واحد، اجتمعوا على ذلك اجتماعاً شائعاً، وهم معصومون من الضلالة، ولم يكن في ذلك تركُ واجب ولا فعلُ حرام، ولا شك أنَّ القرآن نُسخ منه في العَرْضة الأخيرة وغُيِّر، فاتفق الصحابة على أنْ كتبوا ما تحقَّقوا أنه قرآن مستقرٌّ في العَرضة الأخيرة، وتركوا ما سوى ذلك.

أخرج ابن أَشته في «**المصاحف**»، وابن أبي شيبة في «**فضائله**»[(1)] من طريق ابن سيرين عن عَبيدة السَّلْمَانيّ قال: القراءة التي عُرضت على النبي ﷺ في العام الذي قُبِض فيه هي القراءةُ التي يقرؤُها النَّاسُ اليوم.

وأخرج ابن أشته عن ابن سيرين قال: كان جبريل يعارِض النبيَّ ﷺ كلَّ سنة في شهر رمضان مرةً، فلمَّا كان العام الذي قُبِضَ فيه عارضه مرَّتين. فيَرْوْنَ أن تكون قراءتنا هذه على العَرْضة الأخيرة.

وقال البغوي في «**شرح السنة**»: يقال: إن زيد بن ثابت شهد العَرْضةَ الأخيرة التي بيَّن فيها ما نُسِخَ وما بَقِيَ، وكتبها لرسول الله ﷺ، وقرأها عليه، وكان يُقرِئ الناسَ بها حتى مات؛ ولذلك اعتمده أبو بكر وعمرُ في جَمْعه، وولَّاه عثمان كَتْبَ المصاحف [انظر البخاري: ٤٩٨٦ و٤٩٨٧، وأحمد: ٥٧ و٢١٦٤٠][(2)].

(١) «مصنف ابن أبي شيبة»، كتاب فضائل القرآن رقم (١٠٣٤٠).

(٢) سبقت الإشارة ص ١٠٤ أن هاهنا ترجمةً لخالد بن سنان، والسبب في هذا النقل الإخراجُ الفني للكتاب. أقول: أخرج الطبراني في «الكبير»: ١٢٢٥٠ من حديث ابن عباس قال: جاءت بنتُ خالد بن سنان إلى النبي ﷺ، فبَسَطَ لها ثوبَهُ، وقال: «**بنتُ نبيٍّ ضيَّعه قومُه**» وإسناده ضعيف. قال الشيخ الألباني: لا يصح. «الضعيفة»: ٢٨١.
كان خالد بن سنان في أرض بني عبس، يدعو الناس إلى دين عيسى. قال ابن الأثير: من معجزاته أن ناراً ظهرت بأرض العرب، فافتتنوا بها وكادوا يدينون بالمجوسية، فأخذ خالد عَصَاهُ ودخلها ففرقها، وهو يقول: بَدَا بَدَا، كلُّ هُدى مؤدى، زعم ابنُ راعية المِعْزى أنّي لا أخرج فها وثيابي تندى!! وطُفئتْ النار وهو في وسطها.
قال العلامة الزركلي: هي النفط لا ريب.
وقالوا: لم يكن في بني إسماعيل نبيٌّ غيره قبل محمد ﷺ.
قال الحافظ ابن كثير: الأشبه أنه كان رجلاً صالحاً، له أحوال وكرامات، فإنه إن كان في زمن الفترة، فقد ثبت في «صحيح البخاري» عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، إنه ليس بيني وبينه نبي**»، وإن كان قبلها، فلا يمكن أن يكون نبيًّا، لأن الله تعالى قال: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [السجدة: ٣]. انظر «البداية والنهاية» (٣/ ٢٥٠ ـ ٢٥١)، و«الأعلام» (٢/ ٢٩٦).

النوع السابع عشر

في معرفة أسمائه وأسماء سوره

قال الجاحظ[1]: سمَّى الله كتابه اسماً مخالفاً لِما سمَّى العربُ كلامَهم على الجُمَل والتفصيل. سمَّى جملته قرآناً، كما سمَّوْا ديواناً، وبعضَه سورةً كقصيدة، وبعضَها آيةً كالبيت، وآخرَها فاصلةً كقافية.

وقال أبو المعالي عُزيزي بن عبد الملك المعروف بشَيْذَلة[2] ـ بضم عين عُزيزي ـ في كتاب «البُرْهان»: اعلم أنَّ الله سمى القرآن بخمسةٍ وخمسين اسماً:

سماه كتاباً ومُبيناً في قوله: ﴿حمٓ ۝ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [الدخان: ١ ـ ٢].

وقرآناً وكريماً: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٧].

وكلاماً: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

ونوراً: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤].

وهدى ورحمةً: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

وفرقاناً: ﴿نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ١].

وشفاء: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وموعظة: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧].

وذكراً ومباركاً: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

وعليّاً: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ﴾ [الزخرف: ٤].

وحكمة: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ [القمر: ٥].

وحكيماً: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يونس: ٢].

ومهيمناً: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

وحبلاً: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وصراطاً مستقيماً: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقيِّماً: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ [الكهف: ٢].

وقولاً وفصلاً: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ [الطارق: ١٣].

---

(١) الجاحظ: عمرو بن بحر، كبير أئمة الأدب (ت: ٢٥٥ هـ). «تاريخ بغداد» ٢١/ ٢١٢.

(٢) عُزيزي . . . واعظ من فقهاء الشافعية (ت: ٤٩٤ هـ). «شذرات الذهب» ٣/ ٤٠١، «وفيات» ١/ ٣١٨.

ونبأً عظيماً: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ١ ـ ٢].

وأحسنَ الحديث، ومتشابهاً، ومثانيَ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣].

وتنزيلاً: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢].

وروحاً: ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

ووحياً: ﴿إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾ [الأنبياء: ٤٥].

وعربياً: ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢].

وبصائر: ﴿هَـٰذَا بَصَآئِرُ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

وبياناً: ﴿هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

وعلماً: ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٤٥].

وحقًّا: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦٢].

وهدياً: ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى﴾ [الإسراء: ٩].

وعجباً: ﴿قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١].

وتذكرة: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ﴾ [الحاقة: ٤٨].

والعُرْوة الوثقى: ﴿ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وصدقاً: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ [الزمر: ٣٣].

وعدلاً: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

وأمراً: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ [الطلاق: ٥].

ومنادياً: ﴿سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

وبشرى: ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ﴾ [النمل: ٢].

ومجيداً: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ [البروج: ٢١].

وزبوراً: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

وبشيراً ونذيراً: ﴿كِتَـٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [فصلت: ٣ ـ ٤].

وعزيزاً: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: ٤١].

وبلاغاً: ﴿هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

وقَصصاً: ﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣].

وسماه أربعة أسماء في آية واحدة: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ﴾ [عبس: ١٣ ـ ١٤] انتهى.

فأما تسميته كتاباً: فلجمعه أنواعَ العلوم والقَصص والأخبار على أبلغِ وجه، والكتاب ـ لُغةً ـ: الجمعُ.

والمبين: لأنه أبان؛ أي: أظهرَ الحقَّ من الباطل.

وأما القرآن: فاختُلف فيه، فقال جماعةٌ: هو اسمٌ عَلمٌ غيرُ مشتقٍّ، خاصٌّ بكلام الله. فهو غير مهموز، وبه قرأ ابن كثير، وهو مرويٌّ عن الشافعيّ، أخرج البيهقي والخطيب وغيرُهما عنه: أنه كان يهمز قرأت، ولا يهمز القران، ويقول: القُران اسم، وليس بمهموز، ولم يُؤخذ من قرأت، ولكنه اسم لكتاب الله، مثل التوراة والإنجيل.

وقال قوم، منهم الأشعريّ: هو مشتقّ من قرنت الشيء بالشيء، إذا ضممْت أحدَهما إلى الآخر، وسمِّي به، لقِرَان السُّوَر والآياتِ والحروفِ فيه.

وقال الفرَّاء: هو مشتقّ من القرائن؛ لأن الآيات منه يصدِّق بعضُها بعضاً، ويشابه بعضُها بعضاً، وهي قرائن.

وعلى القولين هو بلا همز أيضاً، ونونه أصلية.

وقال الزجَّاج: هذا القول سهو، والصحيح: أنَّ ترك الهمزة فيه من باب التخفيف، ونقْلِ حركة الهمزة إلى الساكن قبلها.

واختلف القائلون بأنه مهموز: فقال قوم ـ منهم اللِّحْيانيّ ـ: هو مصدر لقرأْت، كالرُّجحان والغُفران، سُمِّي به الكتاب المقروء، من باب تسمية المفعول بالمصدر.

وقال آخرون منهم الزَّجاج: هو وصْفٌ على فُعْلان، مشتقٌّ من القَرْء بمعنى الجمع، ومنه: قرأتُ الماءَ في الحَوْضِ؛ أي: جمعتُهُ.

قال أبو عُبيدة[1]: وسمّي بذلك، لأنه جمعَ السورَ بعضَها إلى بعض.

وقال الراغب[2]: لا يقال لكلّ جمعٍ: قرآنٌ، ولا لجمع كلِّ كلام قرآن. قال: وإنَّما سمي قرآناً؛ لكونه جمَعَ ثمراتِ الكتب السالفة المنزَّلة. وقيل: لأنه جمَعَ أنواع العلوم كلِّها.

وحكى قُطْرُب قولاً: إنَّه إنَّما سُمِّي قرآناً؛ لأن القارئ يُظهره ويُبيِّنه من فيه، أخذاً من قول العرب: ما قرأَتِ الناقة سلاً قطّ؛ أي: ما رمت بولدٍ؛ أي: ما أسقطَتْ ولداً، أي: ما حملتْ قط، والقرآن يَلْفِظُه القارئُ مِن فيهِ ويلقيه، فسُمِّيَ قرآناً.

قلت: والمختار عندي في هذه المسألة ما نصَّ عليه الشافعي.

وأما **الكلام**: فمشتق من الكَلْم بمعنى التأثير؛ لأنه يؤثر في ذهن السامع فائدةً لم تكن عنده.

وأمَّا **النور**: فلأنَّه يُدرَك به غوامضُ الحلال والحرام.

وأما **الهدى**: فلأنَّ فيه الدلالة على الحقّ، وهو من باب إطلاق المصدر على الفاعل مبالغةً.

---

(١) أبو عبيدة: مَعْمَر بن المثنى، من أئمة العلم بالأدب واللغة (ت: ٢٠٩ هـ). «الميزان» ٣/ ١٨٩، «طبقات المفسرين» للداودي ٢/ ٣١٦.

(٢) في «مفردات ألفاظ القرآن» مادة: قرأ.

وأمَّا **الفرقان**: فلأنه فرَّق بين الحق والباطل، وجّهه بذلك مجاهدٌ، كما أخرجه ابنُ أبي حاتم.

وأما **الشفاء**: فلأنه يَشفي من الأمراض القلبية؛ كالكفر والجهل والغِلّ، والبدنيةِ أيضاً.

وأمَّا **الذِّكر**: فلِمَا فيه من المواعظ وأخبار الأمم الماضية، والذِّكر أيضاً الشرفُ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، أي: شرفٌ؛ لأنه بلُغتهم.

وأمَّا **الحكمة**: فلأنه نزل على القانون المعتبر من وضع كلّ شيء في محله، أو لأنّه مشتملٌ على الحكمة.

وأما **الحكيم**: فلأنَّه أُحكِمت آياته بعجيب النظم وبديع المعاني، وأُحْكِمت عن تطرُّق التبديل والتحريف والاختلاف والتباين.

وأمَّا **المهيمن**: فلأنَّه شاهدٌ على جميع الكتب والأمم السالفة.

وأمَّا **الحَبْل**: فلأنَّه مَن تَمسَّكَ به وصَل إلى الجنَّة أو الهُدى. والحَبْل: السبب.

وأما **الصراط المستقيم**: فلأنَّه طريق إلى الجنَّة، قويم لا عِوَج فيه.

وأما **المثاني**: فلأنَّ فيه بيانَ قصصِ الأمم الماضية، فهوَ ثانٍ لما تقدمه. وقيل: لتكرر القصص والمواعظ فيه. وقيل: لأنه نزل مرَّةً بالمعنى ومرَّةً باللفظ والمعنى، كقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨]، حكاه الكَرْمانيّ في «**عجائبه**»(١).

وأما **المتشابه**: فلأنَّه يشبه بعضُهُ بعضاً في الحُسْن والصِّدْق.

وأمَّا **الرُّوح**: فلأنَّه تحيا به القلوبُ والأنفس.

وأمَّا **المجيد**: فلشرفِهِ.

وأما **العزيز**: فلأنه يعُزّ على من يروم معارضتَه.

وأما **البلاغ**: فلأنَّه أبلغ به الناس ما أُمِرُوا به ونُهوا عنه، أو: لأنَّ فيه بلاغةً وكفاية عن غيره.

قال السِّلَفِيُّ(٢) في بعض أجزائه: سمعت أبا الكَرَم النحويّ يقول: سمعت أبا القاسم التَّنوخيّ يقول: سمعت أبا الحسن الرُّمانيّ سئل: كلُّ كتاب له ترجمة [عنوان]، فما ترجمة كتاب الله؟ فقال: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

وذكر أبو شامة(٣) وغيرُه في قوله تعالى: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١]: إنه القرآن.

فائدة: حكى المظفَّريّ في «**تاريخه**» قال: لمَّا جمع أبو بكر القرآن قال: سَمُّوه. فقال بعضهم: سمّوه إنجيلاً، فكرهوه، وقال بعضهم: سمُّوهُ سِفْراً، فكرهوه من يهود. فقال ابن مسعود: رأيتُ بالحبشة كتاباً يدعونَه المُصْحف. فسَمَّوه به.

---

(١) ٢/ ١٠١٢، سورة الزمر: ٢٣، وانظر ١/ ٥٩٣، سورة الحجر: ٨٧.

(٢) السِّلَفي: أحمد بن محمد، حافظ مكثر (ت: ٥٧٦ هـ). «وفيات الأعيان» ١/ ٣١.

(٣) في «المرشد الوجيز..» ص ٢٠٢.

قلت: أخرج ابنُ أَشْتَه[(١)] في كتاب «**المصاحف**» من طريق موسى بن عُقْبة، عن ابن شهاب قال: لمَّا جمعوا القرآنَ فكتبوه في الوَرَق، قال أبو بكر: التمِسوا له اسماً، فقال بعضهم: السِّفْر، وقال بعضهم: المصحف؛ فإن الحَبشة يسمّونه المصحفَ. وكان أبو بكر أوّلَ مَن جمع كتاب الله، وسمَّاه المصحفَ.

ثمَّ أورده من طريق آخر عن ابن بُريدة، وسيأتي في النوع الذي يلي هذا.

فائدة ثانية: أخرج ابنُ الضُّرَيس وغيره عن كعب قال: في التوراة: «يا محمد، إني منزِّل عليك توراةً حديثةً تفتح أعيناً عُمْياً، وآذاناً صُمّاً، وقلوباً غُلْفاً».

وأخرج ابنُ أبي حاتم[(٢)] عن قَتادة قال: لـمَّا أخذ موسى الألواحَ قال: يا ربّ، إني أجد في الألواح أُمَّةً، أناجيلُهم في قلوبهم، فاجعَلْهم أُمّتي. قال: تلك أمَّة أحمد.

ففي هذين الأثرين تسمية القرآن توراة وإنجيلاً، ومع هذا لا يجوز الآن أن يطلق عليه ذلك، وهذا كما سمِّيت التوراة فرقاناً في قوله: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ [البقرة: ٥٣]. وسمَّى ﷺ الزَّبور قرآناً في قوله: «**خُفِّفَ على داودَ القرآنُ...**»[(٣)].

فصل: في أسماء السور

قال العُتبِيّ[(٤)]: السورة تهمز ولا تهمز، فمن همزها جعلها من أسأرت، أي: أفضلت، من السؤر، وهو: ما بقي من الشراب في الإناء؛ كأنَّها قطعة من القرآن. ومَن لم يهمزها جعَلها من المعنى المتقدِّم وسهَّل همزها.

ومنهم من يشبِّهها بسُوْر البناء، أي: القطعة منه؛ أي: منزلة بعد منزلة.

وقيل: من سُور المدينة، لإحاطتها بآياتها واجتماعها، كاجتماع البيوت بالسور، ومنه السِّوار لإحاطته بالساعد.

وقيل: لارتفاعها؛ لأنَّها كلام الله، والسورة: المنزلة الرفيعة، قال النابغة[(٥)]:

أَلَـم تَـرَ أَنَّ الـلـه أعـطـاك سُـورةً ... تَـرَى كُـلَّ مَـلْـكٍ حَـوْلَـهَـا يـتـذبـذبُ

وقيل: لتركيب بعضها على بعض، من التسوّر، بمعنى التصاعد والتركب، ومنه: ﴿إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [ص: ٢١].

وقال الجَعْبريّ: حدُّ السّورة: قرآن يشتمل على آيٍ؛ ذي فاتحة وخاتمة، وأقلُّها ثلاث آيات.

---

(١) ابن أَشْته: محمد بن عبد الله، أحد العلماء بالعربية والقراءات (ت: ٣٠٦ هـ). «طبقات القراء» ١٨٤٢.

(٢) في «تفسيره» ٥/ ١٥٨٧ (٨٣٦٨) الأعراف: ١٥٩.

(٣) فيما رواه البخاري (٣٤١٧) من حديث أبي هريرة. وتمامه: «فكان يأمُرُ بدَوابِّهِ فتُسْرَجُ، فيَقْرأُ القرآنَ قبلَ أن تُسْرَجَ دوابُّه، ولا يأكل إلا من عَمَل يدِهِ».

(٤) العُتْبي: محمد بن عُبيد الله، أديب حسن الشِّعر، من أهل البصرة (ت: ٢٢٨ هـ). «شذرات الذهب» ٢/ ٦٥.

(٥) في «ديوانه» ص ١٩، والنابغة هو: زياد بن معاوية الذُّبْياني، شاعر جاهلي (ت: ١٨ ق هـ). وفيه: دونها يتذبذبُ.

وقال غيره: السُّورة الطائفة المترجمة توقيفاً؛ أي: المسمَّاة باسم خاصٍّ بتوقيف من النبي ﷺ. وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار، ولولا خشية الإطالة لبيّنتُ ذلك.

ومما يدلّ لذلك: ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عِكْرمة قال: كان المشركون يقولون: سورة البقرة وسورة العنكبوت، يستهزئون بها، فنزل: ﴿إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٥].

وقد كره بعضُهم أن يقال: سورة كذا، لما رواه الطَّبراني [في «الأوسط»: ٥٧٥١] والبيهقيّ [في «الشعب»: ٩٣٣٠] عن أَنَس مرفوعاً: «**لا تقولوا: سورة البقرة، ولا سورة آل عمران، ولا سورة النساء، وكذا القرآن كلُّه، ولكن قولوا: السُّورة التي تُذكرُ فيها البقرة، والتي يذكر فيها آل عمران، وكذا القرآن كله**». وإسناده ضعيف، بل ادَّعى ابنُ الجوزيّ أنَّه موضوع(١).

وقال البيهقي: إنما يعرف موقوفاً على ابن عمر، ثم أخرجه عنه بسند صحيح، وقد صحَّ إطلاق سورة البقرة وغيرها عنه ﷺ. وفي الصحيح [البخاري: ١٧٤٧، ومسلم: ٣١٣١، وأحمد: ٤٣٥٩] عن ابن مسعود أنه قال: هذا مقامُ الذي أُنزلتْ عليه سورةُ البقرة. ومِنْ ثَمَّ لم يكرهه الجمهور.

فصل: قد يكون للسورة اسم واحد، وهو كثير. وقد يكون لها اسمان فأكثر، من ذلك:

(الفاتحة): وقد وقفت لها على نيف وعشرين اسماً، وذلك يدلّ على شرفها؛ فإنَّ كثرة الأسماء دالَّةٌ على شرف المسمَّى.

أحدها: فاتحة الكتاب، أخرج ابن جرير من طريق ابن أبي ذئب عن المقبُريّ، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «**هي أُمّ القرآن، وهي فاتحة الكتاب، وهي السبع المثاني**»، وسمِّيت بذلك؛ لأنَّه يفتتح بها في المصاحف، وفي التعليم، وفي القراءة في الصلاة. وقيل: لأنَّها أوَّل سورة نزلت، وقيل: لأنها أوَّل سورة كتبت في اللوح المحفوظ. حكاه المرسي، وقال: إنَّه يحتاج إلى نقل. وقيل: لأن الحمد فاتحة كلِّ كلام، وقيل: لأنَّها فاتحة كل كتاب. حكاه المرسيّ. وردَّه بأن الذي افتتح به كل كتاب هو الحمد فقط لا جميع السورة، وبأنَّ الظاهر: أنَّ المراد بالكتاب القرآنُ، لا جنس الكتاب. قال: لأنَّه قد رُويَ من أسمائها فاتحة القرآن، فيكون المراد بالكتاب والقرآن واحداً.

ثانيها: فاتحة القرآن، كما أشار إليه المرسيّ.

وثالثها، ورابعها: أُمّ الكتاب وأُمّ القرآن، وقد كره ابن سيرين أن تسمَّى أُمَّ الكتاب، وكره الحسن أن تسمَّى أُمّ القرآن، ووافقهما بقيّ بن مخلد(٢)؛ لأنَّ أمَّ الكتاب هو اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩]، ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [الزخرف: ٤]، وآيات الحلال والحرام، قال تعالى: ﴿ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]. قال المرسيّ: وقد روي حديث لا يصح: «**لا يقولَنَّ أحدُكم: أُمّ الكتاب، وليقل: فاتحة الكتاب**».

---

(١) في «موضوعاته» ١/ ٢٥٠، باب لا يقال: سورة كذا.

(٢) هو: أبو عبد الرحمن، الأندلسي، حافظ مفسر، قدوة إمام (ت: ٢٧٦ هـ). «تذكرة الحفاظ» ٢/ ١٨٤.

قلت: هذا لا أصل له في شيء من كتب الحديث، وإنما أخرجه ابنُ الضُّريس بهذا اللفظ عن ابن سيرين، فالتبس على المرسي، وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة تسميتُها بذلك، فأخرج الدارقطني وصححه من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «**إذا قرأتم الحمدَ، فاقرؤوا بسم الله الرحمن الرحيم؛ إنها أُمُّ القرآن وأمّ الكتاب والسبعُ المثاني**»(١).

واختلف: لِمَ سُمِّيتْ بذلك؟ فقيل: لأنها يُبدأُ بكتابتها في المصاحف وبقراءتها في الصلاة قبل السورة، قاله أبو عُبيدة في «**مجازه**»(٢)، وجزم به البخاريّ في «**صحيحه**»(٣).

واستشكل بأنَّ ذلك يناسب تسميتها فاتحة الكتاب، لا أُمَّ الكتاب. وأُجيب: بأنَّ ذلك بالنظر إلى أن الأمّ مبتدأ الولد.

قال الماوردي: سُمِّيت بذلك لتقدمها وتأخّر ما سواها تبعاً لها؛ لأنَّها أَمَّتْهُ؛ أي: تقدَّمته؛ ولهذا يقال لراية الحرب: أُمٌّ؛ لتقدمها واتِّباع الجيش لها. ويقال لما مضى من سِنيِّ الإنسان: أُمّ؛ لتقدُّمها، ولمكة: أم القرى؛ لتقدُّمها على سائر القرى.

وقيل: أُمُّ الشيء أصلُه، وهي أصل القرآن، لانطوائها على جميع أغراض القرآن وما فيه من العلوم والحكم، كما سيأتي تقريره في النوع الثالث والسبعين.

وقيل: سُمِّيت بذلك؛ لأنها أفضل السور، كما يقال لرئيس القوم: أُمُّ القوم.

وقيل: لأن حرمتَها كحرمة القرآن كلِّه.

وقيل: لأنَّ مفزع أهل الإيمان إليها. كما يقال للراية: أُمّ؛ لأنَّ مفزع العسكر إليها.

وقيل: لأنَّها مُحكَمة، والمحكَمات أُمُّ الكتاب.

خامسها: القرآن العظيم، روى أحمد [٩٧٨٨ وإسناده صحيح] عن أبي هريرة: أنَّ النبيّ ﷺ قال لأُمّ القرآن: «**هي أُمُّ القرآن، وهي السَّبْعُ المثاني، وهي القرآنُ العظيم**»، وسُمِّيت بذلك لاشتمالها على المعاني التي في القرآن.

سادسها: السبع المثاني، وردَ تسميتها بذلك في الحديث المذكور(٤)، وأحاديث كثيرة.

أما تسميتها سبعاً؛ فلأنها سبع آيات. أخرج الدارقطني ذلك عن عليّ(٥).

وقيل: فيها سبعة آداب، في كل آية أدب، وفيه بُعْد. وقيل: لأنها خلتْ من سبعة أحرف، الثاء، والجيم، والخاء، والزاي، والشِّين، والظاء، والفاء. قال المرسيّ: وهذا أضعف مما قبله؛ لأن الشيء إنما يسمَّى بشيء وُجد فيه لا بشيء فُقِد منه.

---

(١) سنن الدارقطني كتاب الصلاة ١/ ٣١٢ (٣٦).

(٢) ١/ ٢٠ أول سورة الفاتحة. اعتناء د. محمد فؤاد سزكين.

(٣) أول كتاب التفسير، قبل حديث (٤٤٧٤).

(٤) وهو في البخاري قبل حديث (٤٤٧٤).

(٥) الدارقطني في «السنن» كتاب الصلاة ١/ ٣١٣ (٤٠).

وأمَّا **المثاني**: فَيُحتَمَل أن يكون مشتقًّا من الثناء، لما فيها من الثناء على الله تعالى، ويحتمل أن يكون من الثُّنيا؛ لأنَّ الله استثناها لهذه الأُمَّة، ويحتمل أن يكون من التثنية، قيل: لأنها تثنَّى في كلِّ ركعة. ويقوِّيه ما أخرجه ابنُ جرير بسند حسن عن عمر قال: السبع المثاني فاتحة الكتاب، تثنَّى في كل ركعة. وقيل: لأنها تثنَّى بسورة أُخرى، وقيل: لأنها نزلت مرتين، وقيل: لأنها على قسمين ثناء ودعاء، وقيل: لأنها كلَّمَا قرأَ العبد منه آية ثَنَاه اللهُ بالإخبار عن فعله، كما في الحديث[١]. وقيل: لأنها اجتمع فيها فصاحةُ المباني وبلاغةُ المعاني. وقيل غير ذلك.

سابعها: الوافية، كان سفيان بن عُيينة يسمِّيها به؛ لأنها وافية بما في القرآن من المعاني، قاله في «**الكشَّاف**»[٢]. وقال الثَّعلبيّ: لأنها لا تقبل التَّنصيف، فإنَّ كلّ سورة من القرآن لو قرئ نصفُها في ركعة والنصف الثاني في أُخرى لجاز، بخلافها. وقال المرسيّ: لأنها جمعت بين ما لله وبين ما للعبد.

ثامنها: الكنز، لما تقدَّم في أُمِّ القرآن. قاله في «**الكشَّاف**»[٣]، وورد تسميتها بذلك في حديث أنس السابق في النوع الرابع عشر.

تاسعها: الكافية؛ لأنها تكفي في الصلاة عن غيرها، ولا يكفي عنها غيرُها.

عاشرها: الأساس، لأنها أصل القرآن وأول سورة فيه.

حادي عشرها: النور.

ثاني عشرها، وثالث عشرها: سورة الحمد، وسورة الشكر.

رابع عشرها، وخامس عشرها: سورة الحمد الأولى، وسورة الحمد القصرى.

سادس عشرها، وسابع عشرها، وثامن عشرها: الرُّقية والشِّفَاء والشافية، للأحاديث الآتية في نوع الخواصّ.

تاسع عشرها: سورة الصلاة، لتوقّف الصلاة عليها.

[**العشرون**:] وقيل: إنَّ من أسمائها الصلاة أيضاً، لحديث: «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفَيْن...**» [مسلم: ٨٧٨] أي: السورة. قال المرسيّ: لأنها من لوازمها؛ فهو من باب تسمية الشيء باسم لازمه، وهذا الاسم: **العشرون**.

الحادي والعشرون: سورة الدعاء؛ لاشتمالها عليه في قوله: ﴿ٱهۡدِنَا﴾.

الثاني والعشرون: سورة السؤال؛ لذلك ذكره الإمام فخر الدين.

الثالث والعشرون: سورة تعليم المسألة، قال المرسيّ: لأنَّ فيها آداب السؤال، لأنها بدئت بالثناء قبله.

---

(١) الذي رواه مسلم (٨٧٨) من حديث أبي هريرة: «قال الله تعالى: قسمتُ الصلاةَ بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، قال الله تعالى: حَمِدَني عبدي، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قال الله تعالى: أثنى عليّ عبدي . . .».

(٢) «الكشَّاف» ١/ ٢٤ الفاتحة؛ أولها.

(٣) المرجع السابق نفسه.

الرابع والعشرون: سورة المناجاة؛ لأنَّ العبد يناجي فيها ربَّه بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

الخامس والعشرون: سورة التفويض؛ لاشتمالها عليه في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

فهذا ما وقفت عليه من أسمائها، ولم تجتمع في كتاب قبل هذا.

ومن ذلك:

(سورة البقرة): كان خالد بن مَعْدان يُسمِّيها: فُسْطَاطَ القرآن، وورد في حديثٍ مرفوع في «مسند الفردوس» [٣٥٥٩، والدارمي: ٣٣٧٦]. وذلك لِعِظَمِها، ولما جُمع فيها من الأحكام التي لم تُذكر في غيرها، وفي حديث «**المستدرك**» [٢/ ٢٥٩ وهو صحيح] تسميتها: «سَنامُ القرآن»، وسَنَامُ كلّ شيء: أعلاه.

و(آل عمران): روى سعيد بن منصور في «سننه» عن أبي عطَّاف قال: اسم آل عمران في التوراة طيبة. وفي «**صحيح مسلم**» [١٨٧٤]: تسميتها والبقرة: الزَّهراوين.

و(المائدة): تسمى أيضاً العقود والمنقِذة، قال ابن الفَرس: لأنها تنقذ صاحبها من ملائكة العذاب.

و(الأنفال): أخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جُبير قال: قلت لابن عباس: سورة الأنفال؟ قال: تلك سورة بدر.

و(براءة): تسمى أيضاً التوبة، لقوله فيها: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ الآية [التوبة: ١١٧]، والفاضحة. أخرج البخاري [٤٨٨٢، ومسلم: ٧٥٥٨] عن سعيد بن جُبير قال: قلت لابن عباس: سورة التوبة؟ قال: التوبة، بل هي الفاضحة، ما زالت تنزل: «ومنهم، ومنهم...»، حتى ظننا ألّا يبقى أحدٌ منا إلّا ذُكر فيها.

وأخرج أبو الشيخ عن عكرمة قال: قال عمر: ما فرغ من تنزيل براءة، حتى ظنَّنا أنه لا يبقى منا أحدٌ إلّا سينزل فيه.

وكانت تسمى **الفاضحة وسورة العذاب**. أخرج الحاكم في «**المستدرك**» [(٢/ ٣٣١)] عن حُذيفة قال: التي تُسَمُّونها سورة التوبة، هي سورة العذاب.

وأخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جُبير قال: كان عمر بن الخطاب إذا ذُكر له سورة براءة فقيل: سورة التوبة، قال: هي إلى العذاب أقربُ، ما كادت تقلع عن الناس، حتى ما كادت تُبْقي منهم أحداً.

والمقشقِشة: أخرج أبو الشيخ عن زيد بن أسلم: أنَّ رجلاً قال لابن عُمر: سورة التوبة؟ فقال: وأيَّتُهُنَّ سورة التوبة؟ فقال: براءة، فقال: وهل فعل بالنَّاس الأفاعيل إلّا هي! ما كنَّا ندعوها إلّا المقشقِشة؛ أي: المبرئة من النفاق.

والمنقِّرة: أخرج أبو الشيخ عن عُبيد بن عُمير قال: كانت تسمى براءة: المنقِّرة؛ نقَّرت عما في قلوب المشركين.

والبَحوث: بفتح الباء، أخرج الحاكم [(٢/ ٣٣٣)] عن المقداد أنَّه قيل له: لو قعدت العام عن الغزو! قال: أتت علينا البَحوث، يعني: براءة.. الحديث.

والحافرة: ذكره ابن الفَرس، لأنها حفرت عن قلوب المنافقين.

والمثيرة: أخرج ابنُ أبي حاتم[(١)] عن قتادة قال: كانت هذه السورة تسمَّى الفاضحة، فاضحة المنافقين، وكان يقال لها: المثيرة، أنبأت بمثالبهم وعوراتهم.

وحكى ابن الفَرس من أسمائها: المبعثِرة، وأظنُّه تصحيف المنقِّرة، فإن صحَّ كملت الأسماء عشرةً. ثم رأيته كذلك ـ أعني المبعثِرة ـ بخطّ السخاوي في «**جمال القرّاء**»[(٢)]، وقال: لأنها بعثرت عن أسرار المنافقين.

وذكر فيه أيضاً من أسمائها المخزية، والمنكِّلة، والمشرِّدة، والمدمدمة.

◌ **(النحل)**: قال قتادة: تسمَّى سورة النِّعم، أخرجه ابن أبي حاتم[(٣)]. قال ابن الفَرس: لِمَا عدّد الله فيها من النِّعم على عباده.

◌ **(الإسراء)**: تسمى أيضاً سورة (سبحان)، وسورة بني إسرائيل.

◌ **(الكهف)**: ويقال لها سورة أصحاب الكهف، كذا في حديث أخرجه ابن مَرْدويه. وروى البيهقيّ [في «الشعب»: ٢٤٤٨] من حديث ابن عباس مرفوعاً: إنها تدعَى في التوراة الحائلة؛ تَحُولُ بين قارئها وبين النار، وقال: إنه منكر.

◌ **(طه)**: تسمَّى أيضاً سورة الكليم، ذكره السَّخاوي في «**جمال القراء**»[(٤)].

◌ **(الشعراء)**: وقع في تفسير الإمام مالك تسميتُها بسورة الجامعة.

◌ **(النمل)**: تسمى أيضاً سورة سليمان.

◌ **(السجدة)**: تسمى أيضاً المَضَاجع.

◌ **(فاطر)** تسمَّى سورة الملائكة.

◌ **(يس)**: سمَّاها ﷺ قلبَ القرآن. أخرجه الترمذي [٢٨٨٧ وحسّنه] من حديث أنس.

وأخرج البيهقي [في «الشعب»: ٢٤٦٥] من حديث أبي بكر مرفوعاً: «**سورة يس تدعى في التوراة المُعِمّة؛ تَعُمُّ بخَيْري الدنيا والآخرة، وتدعى الدافعة والقاضية، تدفع عن صاحبها كلَّ سوءٍ، وتقضي له كلَّ حاجة**». وقال: إنَّه حديث منكر.

◌ **(الزمر)**: تسمَّى سورة الغُرَف.

◌ **(غافر)**: تسمَّى سورة الطَّوْل، والمؤمن، لقوله تعالى فيها: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ﴾ [غافر: ٢٨].

◌ **(فصلت)**: تسمَّى السجدة، وسورة المصابيح.

---

(١) في «تفسيره» ٦/ ١٧٥٢.

(٢) «جمال القراء» ١/ ١٩٨.

(٣) في «تفسيره» ٧/ ٢٢٩٢ (١٢٥٨٤).

(٤) «جمال القراء» ١/ ١٩٩.

(**الجاثية**): تسمَّى الشريعة، وسورة الدهر، حكاه الكَرْماني في «**العجائب**»[١].

(**سورة محمد**) ﷺ: تسمَّى القتال.

(**ق**): تسمَّى سورة الباسقات.

(**اقتربت**): تسمى القمر، وأخرج البيهقيّ عن ابن عباس: أنها تدعى في التوراة المبَيّضة؛ تُبيِّض وجهَ صاحِبِها يومَ تسودّ الوجوهُ. وقال: إنه منكر.

(**الرحمن**): سُمِّيتْ في حديثٍ: عروس القرآن، أخرجه البيهقي عن علي مرفوعاً.

(**المجادلة**): سمّيت في مصحف أُبيّ: الظهار.

(**الحشر**): أخرج البخاري [٤٠٢٩] عن سعيد بن جُبير قال: قلت لابن عباس: سورة الحشر، قال: قل: سورة بني النَّضير. قال ابن حجر[٢]: كأنَّه كره تسميتها بالحشر؛ لئلا يظنَّ أنَّ المراد يوم القيامة، وإنما المراد به هنا إخراجُ بني النَّضِير.

(**الممتحَنة**): قال ابن حَجر في هذه التسمية: إنها بفتح الحاء، وقد تكسر، فعلى الأول: هو صفة المرأة التي نزلت السورة بسببها، وعلى الثاني: هي صفة السُّورة، كما قيل لبراءة: الفاضحة[٣].

وفي «**جمال القرَّاء**»[٤]: تسمَّى أيضاً سورة الامتحان وسورة المودَّة.

(**الصفّ**): تسمَّى أيضاً: سورة الحَوَاريّين.

(**الطلاق**): تسمَّى سورة النساء القُصْرى، كذا سماها ابن مسعود، أخرجه البخاري [٤٩١٠] وغيره. وقد أنكره الداوديّ[٥]، فقال: لا أرى قوله: (القصرى) محفوظاً، ولا يقال في سورة من القرآن: قصرى ولا صغرى. قال ابن حجر[٦]: وهو ردّ للأخبار الثابتة بلا مُستَند، والقِصر والطُّول أمرٌ نسبي. وقد أخرج البخاري [٧٦٤، وأحمد: ٢١٦٤١] عن زيد بن ثابت أنه قال: (طولى الطوليَيْن)، وأراد بذلك سورة الأعراف.

(**التحريم**): يقال لها سورة: المتحرّم، وسورة: (لم تحرّم).

(**تبارك**): تسمَّى سورة المُلْك. وأخرج الحاكم [(٢/ ٤٩٨)] وغيره عن ابن مسعود قال: هي في التوراة سورة المُلْك، وهي المانعة تمنع من عذاب القبر.

وأخرج الترمذي [٢٨٩٠ وحسّنه] من حديث ابن عباس مرفوعاً: «هي المانعة، هي المنجية: تُنجِيه من عذاب القبر».

---

(١) اسمه: «غرائب التفسير وعجائب التأويل» ٢/ ١٠٨٣ للكرماني تح: د. شمران سركال يونس العلي.

(٢) في «فتح الباري» عند حديث (٤٨٨٢).

(٣) «فتح الباري» كتاب التفسير، قبل حديث (٤٨٩٠).

(٤) للسخاوي ١/ ٢٠٠ و٢/ ٨٦٧.

(٥) الداودي: محمد بن علي، صاحب «طبقات المفسرين» (ت: ٩٤٥هـ).

(٦) في «الفتح» عند حديث (٤٩١٠).

وفي «**مسند عُبيد**» من حديثٍ: «إنَّها المنجية والمجادلة، تُجادِلُ يوم القيمة عند ربِّها لقارئها».

وفي «**تاريخ ابن عساكر**» من حديث أنس: أنَّ رسول الله ﷺ سمَّاها المنجيَة.

وأخرج الطبراني [في «الكبير»: ١٠٢٥٤] عن ابن مسعود قال: كنَّا نسميها في عهد رسول الله ﷺ المانعة.

وفي «**جمال القراء**»[١]: تسمَّى أيضاً الواقعة والمنَّاعة.

◌ **(سأل)**: تسمَّى المعارج والواقع.

◌ **(عمّ)**: يقال لها: النَّبأ، والتساؤل، والمعصرات.

◌ **(لم يكن)**: تسمَّى سورة أهل الكتاب، وكذلك سُمِّيت في مصحف أُبَيّ، وسورة البيِّنة، وسورة القيامة، وسورة البريّة، وسورة الانفكاك، وذُكر ذلك في «**جمال القراء**»[٢].

◌ **(أرأيت)**: تُسمّى سورة الدِّين، وسورة الماعُون.

◌ **(الكافرون)** تسمى المقشقشة، أخرجه ابن أبي حاتم[٣] عن زُرارة بن أوفى، قال في «**جمال القراء**»[٤]: وتسمَّى أيضاً سورة العبادة.

قال: و**(سورة النصر)**: تسمى سورة التوديع، لِما فيها من الإيماء إلى وفاته ﷺ.

قال: و**(سورة تبَّت)**: تسمى سورة المَسَد.

و**(سورة الإخلاص)**: تسمَّى الأساس، لاشتمالها على توحيد الله وهو أساس الدِّين.

قال: و**(الفلق، والناس)**: يقال لهما المعوِّذتان، بكسر الواو، والمشقشقتان، من قولهم: خطيب مشقشق.

◌ **تنبيه**: قال الزركشيّ في «**البرهان**»[٥]: ينبغي البحث عن تعداد الأسامي، هل هو توقيفيّ، أو بما يظهر من المناسبات؟ فإن كان الثانيَ: فلن يعدم الفَطِن أن يستخرج من كلِّ سورة معانِيَ كثيرة، تقتضي اشتقاق أسماء لها، وهو بعيد.

قال: وينبغي النظر في اختصاص كلّ سورة بما سميت به، ولا شك أن العرب تراعي في كثير من المسمّيات أخْذَ أسمائها من نادرٍ أو مستغربٍ يكون في الشيء، من خُلُقٍ أو صفةٍ تخصُّه، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق، لإدراك الرائي للمسمَّى. ويسمُّون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور القرآن، كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقرينة قصَّة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها. وسمِّيت سورة النِّساء بهذا الاسم لما تردّد فيها شيء كثير من أحكام النساء. وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها، وإن كان قد ورد لفظ (الأنعام)

(١) للسخاوي ١/ ٢٠١.
(٢) «جمال القراء» ١/ ٢٠١.
(٣) في «تفسيره» ١٠/ ٣٤٧١ (١٩٥٢٠).
(٤) «جمال القراء» ١/ ٢٠٢.
(٥) «البرهان» ١/ ٣٦٧.

في غيرها، إلَّا أنَّ التفصيل الوارد في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ إلى قوله: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ [الأنعام: ١٤٢ ـ ١٤٤] لم يرد في غيرها. كما ورد ذكر النساء في سُور، إلَّا أن ما تكرَّر وبُسِط من أحكامهنّ لم يرد في غير سورة النساء، وكذا سورة المائدة لم يرد ذكر المائدة في غيرها، فسمِّيت بما يخصُّها.

قال: فإن قيل: قد ورد في سورة (هود) ذكر نُوح وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى، فلِمَ خُصَّتْ باسم هود وحدَه مع أنَّ قصة نوح فيها أَوعب وأطول؟ قيل: تكرَّرت هذه القصص في سورة الأعراف وسورة هود والشعراء بأَوعبَ ممَّا وردت في غيرها، ولم يتكرّر في واحدة من هذه السور الثلاث اسم هود كتكرّره في سورته، فإنَّه تكرّر فيها في أربعة مواضع، والتَّكرار من أقوى الأسباب التي ذكرنا.

قال: فإن قيل: فقد تكرّر اسم نوح فيها في ستة مواضع؟ قيل: لمَّا أُفرِدت لذكر نوح وقصته مع قومه سورةٌ برأْسها، فلم يقع فيها غير ذلك، كانت أَوْلى بأن تسمَّى باسمه من سورة تضمَّنت قصته وقصة غيره. انتهى.

قلت: ولك أن تسأل فتقول: قد سمِّيت سورٌ جرتْ فيها قصصُ أنبياء بأسمائهم؛ كسورة نوح، وسورة هود، وسورة إبراهيم، وسورة يونس، وسورة آل عمران، وسورة طس سليمان، وسورة يوسف، وسورة محمد، وسورة مريم، وسورة لقمان، وسورة المؤمن. وقصة أقوام كذلك، كسورة بني إسرائيل، وسورة أصحاب الكهف، وسورة الحِجْر، وسورة سبأ، وسورة الملائكة، وسورة الجن، وسورة المنافقين، وسورة المطفِّفين، ومع هذا كلِّه لم يُفرَدْ لموسى سورة تسمّى به مع كثرة ذكره في القرآن، حتى قال بعضهم: كاد القرآن أن يكون كلُّه موسى، وكان أَوْلَى سورةٍ أن تسمى به سورة طه أو القصص أو الأعراف، لبسط قصته في الثلاثة ما لم يبسط في غيرها.

وكذلك قصة آدم، ذُكرت في عدّة سور، ولم تسمَّ به سورة، كأَنَّهُ اكتفاء بسورة الإنسان.

وكذلك قصة الذَّبيح من بدائع القصص، ولم تُسَمَّ به سورة الصافات، وقصة داود ذكرت في [سورة] (ص)، ولم تُسمَّ به، فانظر في حكمة ذلك.

على أنِّي رأيت بعد ذلك في «**جمال القراء**»(١) للسخاويّ: أنَّ سورة (طه) تسمى سورة الكليم، وسمَّاها الهُذَليّ في «**كامله**» سورة موسى، وأنَّ سورة (ص) تسمى سورة داود. ورأيت في كلام الجَعْبَريّ أنَّ سورة (الصافَّات) تسمَّى سورة الذَّبيح، وذلك يحتاج إلى مستَند من الأثر.

فصل: وكما سُمِّيت السورة الواحدة بأسماء، سميت سورٌ باسم واحد، كالسور المسمَّاة بـ(ألم) أو (ألر)، على القول بأنَّ فواتح السور أسماء لها.

---

(١) «جمال القراء» ١/ ١٩٩.

فائدة في إعراب أسماء السور

قال أبو حيان(١) في «شرح التسهيل»:

ما سُمِّيَ منها بجملة تحكَى نحو: ﴿قُلْ أُوحِىَ﴾ [الجن: ١]، و﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١]، أو بفعل لا ضمير فيه أُعرب إعرابَ ما لا ينصرف، إلَّا ما في أوله همزة وصْل، فَتُقْطع ألفه وتقلب تاؤُه هاء في الوقف، ويُكتب بهاء على صورة الوقف، فتقول: قرأْتُ (اقتربت) وفي الوقف (إقتربه).

أما الإعراب: فلأنها صارت أسماء، والأسماء معربة إلَّا لموجب بناء.

وأمَّا قطع همزة الوصل: فلأنَّها لا تكون في الأسماء إلَّا في ألفاظ محفوظة لا يقاس عليها.

وأمَّا قلب تائها هاء؛ فلأنَّ ذلك حكم تاء التأنيث التي في الأسماء.

وأمَّا كتبها هاء: فلأن الخط تابعٌ للوقف غالباً.

وما سُمِّيَ منها باسم:

فإن كان من حروف الهجاء ـ وهو حرف واحد ـ وأضيفت إليه سورة، فعند ابن عُصفور(٢) أنه موقوف لا إعراب فيه، وعند الشَّلَوبين(٣) يجوز فيه وجهان: الوقف والإعراب، أما الأوَّل ـ ويعبّر عنه بالحكاية ـ فلأنها حروف مقطعة تُحكَى كما هي. وأما الثاني فعلى جعله اسماً لحروف الهجاء، وعلى هذا يجوز صرفُه بناءً على تذكير الحرف، ومنعُهُ بناءً على تأنيثه. وإن لم تضف إليه سورة لا لفظاً ولا تقديراً فلك الوقف والإعراب مصروفاً وممنوعاً.

وإن كان أكثرَ من حرف، فإن وازن الأسماء الأعجمية ـ كـ(طس) (حم) ـ وأضفت إليه سورة أم لا، فلك الحكاية والإعراب ممنوعاً، لموازنة قابيل وهابيل، وإنْ لم يوازن فإن أمكن فيه التركيب كطاسين ميم، وأضفت إليه سورة، فلك الحكاية والإعراب، إمَّا مركَّباً مفتوح النون كحضرموت، أو معرب النون مضافاً لما بعده مصروفاً وممنوعاً على اعتقاد التذكير والتأنيث. وإن لم تضَف إليه سورة، فالوقف على الحكاية. والبناء كخمسة عشر، والإعراب ممنوعاً. وإن لم يمكن التركيب فالوقف ليس إلَّا، أضفت إليه سورة أم لا، نحو كهيعص وحم عسق، ولا يجوز إعرابه، لأنه لا نظير له في الأسماء المعربة. ولا تركيبُه مزْجاً؛ لأنه لا يركب، كذلك أسماء كثيرة، وجوّز يونس(٤) إعرابه ممنوعاً.

وما سمِّي منها باسم غير حرف هجاء: فإن كان فيه اللام انجرّ، نحو: الأنفال والأعراف والأنعام، وإلَّا مُنِعَ الصرف إن لم يُضف إليه سورة، نحو: هذه هودُ ونوحُ، وقرأْت هودَ ونوحَ، وإن

---

(١) أبو حَيَّان: محمد بن يوسف، أثير الدين، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث (ت: ٧٤٥ هـ). «الدرر الكامنة» ٤/ ٣٠٢، و«شذرات الذهب» ٨/ ٢٤٧.

(٢) ابن عصفور: علي بن مؤمن، نحوي أندلسي (ت: ٦٦٩ هـ). «شذرات الذهب» ٥/ ٣٣٠.

(٣) الشَّلَوْبِين: عمر بن محمد، من أئمة النحو واللغة في الأندلس (ت: ٤٦٥ هـ). «وفيات الأعيان» ١/ ٣٨٢.

(٤) يونس بن حبيب، البصري، إمام عصره في النحو واللغة والأدب، وشيخ سيبويه والكسائي والفراء (ت: ١٨٢ هـ). «المزهر» ٢/ ٢٣١، «وفيات الأعيان» ٢/ ٤١٦.

أضفتَ بقيَ على ما كان عليه قبلُ، فإن كان فيه ما يوجب المنع مُنع، نحو: قرأت سورة يونس، وإلّا صُرف نحو سورة نوحٍ وسورة هودٍ. انتهى ملخصاً.

خاتمة

قُسِّم القرآن إلى أربعة أقسام، وجُعِل لكل قسم منه اسم.

أخرج أحمد [١٦٩٨٢] وغيره من حديث واثلة بن الأسقع: أنّ رسول الله ﷺ قال: «**أعطيتُ مكان التوراة السَّبع الطوال، وأُعطِيت مكان الزبور المئين، وأُعطِيت مكان الإنجيل المثاني، وفُضِّلْت بالمفصَّل**» [والطيالسي: ١٠١٢ وإسناده حسن].

وسيأتي مزيد كلام في النوع الذي يلي هذا إن شاء الله تعالى.

وفي «**جمال القرَّاء**»(١): قال بعض السلف: في القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس ودبابيج ورياض، فميادينه: ما افتتح بـ(ألم)، وبساتينه: ما افتتح بـ(آلر)، ومقاصيره: الحامدات، وعرائسه: المسبّحات، ودبابيجه: آل حم، ورياضه: المفصَّل. وقالوا: الطواسيم، والطواسين، وآل حم، والحواميم.

قلت: وأخرج الحاكم [(٢/ ٤٣٧)]عن ابن مسعود قال: الحواميمُ ديباجُ القرآن. قال السخاوي: وقوارعُ القرآن الآياتُ التي يتعوّذ بها ويتحصَّن، سميت بذلك؛ لأنها تقرع الشيطان وتدفعه وتقمعه، كآية الكرسي والمعوِّذتين ونحوها.

قلت: وفي «**مسند أحمد**» [١٥٦٣٤ وإسناده ضعيف] من حديث مُعاذ بن أنس مرفوعاً: «آية العز: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا . . .﴾ الآية [الإسراء: ١١١]».

---

(١) للسخاوي ١/ ١٨٩.

النوع الثامن عشر

في جمعه وترتيبه

قال الدَّيْر عاقوليّ في «**فوائده**»: حدَّثنا إبراهيم بن بشار، حدَّثنا سفيان بن عُيَيْنة، عن الزهريّ، عن عُبيد، عن زيد بن ثابت، قال: قُبض النبيُّ ﷺ ولم يكن القرآن جُمِع في شيء.

قال الخطابيّ: إنما لم يَجمع ﷺ القرآنَ في المصحف؛ لِما كان يترقبه من وُرود ناسخٍ لبعض أحكامه أو تلاوته، فلمَّا انقضى نزولُه بوفاتِه ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك، وفاءً بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة، فكان ابتداءُ ذلك على يد الصدِّيق بمشورة عمرَ. وأمَّا ما أخرجه مسلم [٧٥١٠] من حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تكتبوا عنِّي شيئاً غيرَ القرآن...**» الحديثَ، فلا يُنافي ذلك؛ لأن الكلام في كتابةٍ مخصوصة على صفةٍ مخصوصة، وقد كان القرآن كُتِبَ كلُّه في عهد رسول الله ﷺ، لكن غير مجموع في موضع واحدٍ، ولا مرتَّب السُّوَر.

[القول في جمع القرآن ثلاث مرات]

وقال الحاكم في «**المستدرك**» [(٢/٢٩٩)]: جُمع القرآن ثلاثَ مرات:

إحداها: بحضرة النبيّ ﷺ. ثم أخرج بسندٍ على شرط الشيخين عن زيدِ بن ثابت قال: كنّا عند رسول الله ﷺ نؤلِّف القرآن من الرِّقاع . . . الحديثَ.

قال البيهقي: يشبه أن يكون أن المراد به تأليف ما نزل من الآيات المتفرِّقة في سورها، وجمعها فيها بإشارة النبيّ ﷺ.

الثانية: بحضرة أبي بكر، روى البخاريّ في «**صحيحه**» [٤٩٨٦ و٤٦٧٩، وأحمد: ٥٧ و٢١٦٤٠] عن زيد بن ثابت قال: أرسل إليَّ أبو بكر، مَقْتَلَ أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبو بكر: إن عُمَر أتاني، فقال: إن القتلَ قد استحرَّ بقرَّاء القرآن، وإني أخشى أن يستحرّ القتلُ بالقرَّاء في المواطِنِ، فيذهبَ كثيرٌ من القرآن، وإني أرى أن تأمُر بجَمْعِ القرآن، فقلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هو والله خيرٌ، فلم يزلْ يراجعني حتى شرح اللهُ صَدْرِي لذلك، ورأيتُ في ذلك الذي رأى عمر.

قال زيد: قال أبو بكر: إنّك شابٌّ عاقل، لا نتّهمك، وقد كنتَ تكتُبُ الوحيَ لرسول الله ﷺ، فتتبَّع القرآن فاجمَعْه ـ فوالله لو كلَّفوني نَقْلَ جبل من الجبال ما كان أثقلَ عليَّ ممَّا أمرني به من جمْع القرآن ـ قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟! قال: هو والله خيرٌ، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح به صَدْرَ أبي بكر وعمر. فتتبعتُ القرآن أجمعه من العُسُب واللِّخاف وصُدور الرجال، ووجدتُ آخرَ سورة التوبة مع أبي خُزَيمة الأنصاري، لم أجدْها مع غيره:

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ . . .﴾ [التوبة: ١٢٨ ـ ١٢٩] حتى خاتمة براءة، فكانت الصحفُ عند أبي بكرٍ حتى توفَّاه الله، ثم عند عمر حياتَهُ، ثم عند حفصةَ بنتِ عُمَر.

وأخرج ابن أبي داود في «**المصاحف**»(١) بسند حسن عن عبدِ خيرٍ قال: سمعتُ عليًّا يقول: أعظمُ النَّاس في المصاحف أجراً أبو بكر، رحمةُ الله على أبي بكر، هو أوَّل مَن جمع كتاب الله. لكن أخرج أيضاً من طريق ابن سيرين قال: قال عليّ: لما مات رسول الله ﷺ آليتُ أَلَّا آخذَ عليّ ردائي إلَّا لصلاة جمعة حتى أَجمع القرآن. فجمعه.

قال ابن حجر(٢): هذا الأثر ضعيف لانقطاعه، وبتقدير صحته، فمراده بجمعِهِ حفظُه في صدره، وما تقدَّم من رواية عبد خير عنه أصحّ، فهو المعتمَد.

قلت: قد ورد من طريق آخر أخرجه ابنُ الضُّرَيس في «**فضائله**»(٣): حدَّثنا بشر بن موسى، حدَّثنا هَوْذَة بن خليفة، حدَّثنا عَوْن، عن محمد بن سيرين، عن عِكْرمة قال: لـمَّا كان بعد بيعة أبي بكر، قعد عليّ بن أبي طالب في بيته، فقيل لأبي بكر: قد كره بيعتك، فأرسلَ إليه، فقال: أكرهتَ بيعتي؟ قال: لا والله، قال: ما أقعدَك عني؟ قال: رأيتُ كتاب الله يُزاد فيه، فحدَّثتُ نفسي أَلَّا أَلبَسَ رِدَائي إلَّا لصلاةٍ حتى أجمعه. قال له أبو بكر: فإنَّك نِعمَ ما رأيت.

قال محمد: فقلت لعكرمة: أَلَّفوه كما أُنزِل، الأوَّل فالأوَّل؟ قال: لو اجتمعتِ الإنس والجنّ على أن يؤلِّفوه ذلك التأليف ما استطاعوا. اهـ.

وأخرجه ابن أَشتَه في «**المصاحف**» من وجه آخر عن ابن سيرين، وفيه: أنه كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ، وأن ابن سيرين قال: فطلبتُ ذلك الكتاب، وكتبت فيه إلى المدينة، فلم أقدر عليه.

وأخرج ابن أبي داود(٤) من طريق الحسن: أن عمر سأل عن آية من كتاب الله فقيل: كانت مع فلان، قُتل يوم اليمامة. فقال: إنا لله. وأمر بجمع القرآن، فكان أوَّل مَنْ جمعه في المصحف. إسناده منقطع، والمراد بقوله: فكان أَوَّل من جمعه، أي: أشار بجمعه.

قلت: ومن غريب ما ورد في أوَّل مَنْ جمعه ما أخرجه ابن أشته في كتاب «**المصاحف**» من طريق كَهْمَسٍ، عن ابن بُريدة قال: أوَّل مَن جمع القرآن في مصحفٍ سالمٌ مولى أبي حُذيفة، أقسَمَ لا يرتدي برداء حتى يَجمعَه، فجمعه، ثم ائتمروا: ما يسمّونه؟ فقال بعضهم: سمّوه السِّفْر، قال: ذلك اسم تسميه اليهود، فكرهوه، فقال: رأيت مثله بالحبشة يُسمَّى المصحف، فاجتمع رأيهم على أن يسمُّوه المصحف. إسناده منقطع أيضاً، وهو محمول على أنه كان أحد الجامعين بأمر أبي بكر.

وأخرج ابن أبي داود(٥) من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال: قدم عمر، فقال: مَن كان

(١) «المصاحف» ص ١١ ـ ١٢.
(٢) في «فتح الباري» في شرح حديث (٤٩٨٨).
(٣) «فضائل القرآن» رقم (٢٢).
(٤) في «المصاحف» ص ١٢.
(٥) في «المصاحف» ص ١٣.

تلقّى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فلْيأْت به. وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعُسُب، وكان لا يقبل من أحدٍ شيئاً حتى يشهد شهيدان، وهذا يدلُّ على أن زيداً كان لا يكتفي بمجرَّد وجدانه مكتوباً حتى يَشهَد به مَن تَلَقَّاه سمَاعاً، مع كون زيدٍ كان يحفظ، فكان يفعل ذلك مبالغةً في الاحتياط.

وأخرج ابن أبي داود[1] أيضاً من طريق هشام بن عُرْوة، عن أبيه: أنَّ أبا بكر قال لعمر ولزيدٍ: اقعُدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهِدَيْنِ على شيءٍ من كتاب الله فاكتباه. رجاله ثقات مع انقطاعه.

قال ابنُ حجر[2]: وكأنَّ المراد بالشاهدين: الحفظ والكتاب.

وقال السخاويُّ في «**جمال القراء**»[3]: المراد أنَّهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله ﷺ، أو المراد أنَّهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التي نزل بها القرآن.

قال أبو شامة[4]: وكان غرضُهم ألَّا يكتب إلّا مِن عين ما كُتب بين يدي النبيّ ﷺ، لا من مجرد الحفظ. قال: ولذلك قال في آخر سورة التوبة: لم أجدها مع غيره. أي: لم أجدها مكتوبةً مع غيره؛ لأنه كان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة.

قلت: أو المراد أنهما يشهدان على أنَّ ذلك ممّا عُرض على النبي ﷺ عام وفاته، كما يؤخذ مما تقدَّم آخر النوع السادس عشر.

وقد أخرج ابن أشته في «**المصاحف**» عن اللَّيث بن سعد قال: أوَّل مَن جمع القرآن أبو بكر، وكتبه زيد، وكان الناس يأتون زيد بنَ ثابت، فكان لا يكتب آية إلّا بشاهدَيْ عَدْل، وأنَّ آخر سورة براءة لم تُوجد إلَّا مع خزيمة بن ثابت، فقال: اكتبوها فإنَّ رسول الله ﷺ جعل شهادته بشهادة رجلين، فكتب. وإنَّ عمر أتى بآية الرَّجْم، فلم يكتبها، لأنه كان وحده.

وقال الحارث المحاسبيّ في كتاب «**فهم السنن**»[5]: كتابة القرآن ليست بمُحْدَثة، فإنَّه ﷺ كان يأمر بكتابته، ولكنه كان مفرَّقاً في الرقاع والأكتاف والعُسُب، فإنَّما أمر الصِّدِّيق بنسخها من مكانٍ إلى مكان مجتمعاً، وكان ذلك بمنزلة أوراقٍ وُجِدت في بيت رسول الله ﷺ، فيها القرآن منتشرٌ، فجمعها جامع، وربطها بخيط، حتى لا يضيع منها شيء.

قال: فإن قيل: كيف وقعت الثقة بأصحاب الرقاع وصدور الرجال؟ قيل: لأنهم كانوا يُبدون عن تأليف معجزٍ، ونظم معروف، قد شاهدوا تلاوته من النبيّ ﷺ عشرين سنة، فكان تَزويرُ ما ليس منه مأموناً، وإنما كان الخوف من ذهاب شيء من صحفِهِ.

---

(١) في «المصاحف» ص ١٢.

(٢) في «فتح الباري» في شرح حديث (٤٩٨٨).

(٣) «جمال القراء» ١/ ٣٠٢ ذكر تأليف القرآن.

(٤) في «المرشد الوجيز..» ص ٥٧.

(٥) قال محقق «البرهان»: لم نجد في كتب الحارث كتاب: «فهم السنن»، ولعله تصحف من «فهم القرآن» إذ سياق النقل عنه في القرآن، وهو مطبوع بعنوان: «رسالتا العقل وفهم القرآن» بتحقيق حسين القوتلي ١٩٧١م «البرهان» ١/ ٣٣٢.

وقد تقدّم في حديث زيد أنه جَمع القرآن من العُسُب واللِّخاف، وفي روايةٍ: الرقاع، وفي أخرى: وقِطَع الأديم، وفي أُخرى: والأكتاف، وفي أخرى: والأضلاع، وفي أُخرى: والأقتاب.

فالعُسب: جمع عسيب وهو جريد النخل، كانوا يكْشطون الخُوص [ورق النخل]، ويكتبون في الطرف العريض.

واللِّخاف: بكسر اللام وبخاء معجمة خفيفة، آخره فاء: جمع لَخْفة ـ بفتح اللام وسكون الخاء ـ وهي الحجارة الدقاق، وقال الخطابي: صفائح الحجارة.

والرِّقاع: جمعُ رقعة، وقد تكون من جلْد أو رَق أو كاغَد.

والأكتاف: جمع كَتِف، وهو العظم الذي للبعير أو الشاة، كانوا إذا جَفَّ كتبوا عليه.

والأقتاب: جمع قَتب، وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليُركَب عليه.

وفي «موطَّأ ابن وهب»: عن مالك، عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله بن عمر قال: جمع أبو بكر القرآن في قراطيس، وكان سأل زيد بن ثابت في ذلك فأبَى، حتى استعان بعمر، ففعل.

وفي مغازي موسى بن عُقبة: عن ابن شهاب قال: لمَّا أُصيب المسلمون باليمامة، فزع أبو بكر، وخاف أن يذهب من القرآن طائفة، فأقبل الناس بما كان معهم وعندهم، حتى جُمِع على عهد أبي بكر في الورَق، فكان أبو بكر أوَّل من جمع القرآن في المصحف.

قال ابن حجر[1]: ووقع في رواية عمارة بن غزيّة: أنَّ زيد بن ثابت قال: فأمرني أبو بكر فكتبتُه في قِطَع الأديم والعُسب، فلما هلك أبو بكر وكان عمر، كتبتُ ذلك في صحيفة واحدة، فكانت عنده.

قال: والأوَّل أصحّ، إنما كان في الأديم والعُسب أولاً قبل أنْ يُجمع في عهد أبي بكر، ثم جمع في الصحف في عهد أبي بكر، كما دلت عليه الأخبار الصحيحة المترادفة.

قال الحاكم: والجمع الثالث هو ترتيب السور في زمن عثمان.

روى البخاري [٤٩٨٧] عن أنس: أَنَّ حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهلَ الشام في فتح فرْج أرمينية وأَذْربيجَان مع أهل العراق، فأفزع حذيفةَ اختلافُهم في القراءة، فقال لعثمان: أدرِك الأمَّةَ قبل أن يختلفوا اختلافَ اليهود والنصارى. فأرسل إلى حفْصَة: أَن أرسلي إلينا الصُّحفَ ننسَخُها في المصاحف، ثم نردُّها إليكِ. فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبدَ الله بن الزبير وسعيدَ بن العاص وعبدَ الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخُوها في المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتُم أنتم وزيدُ بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنَّه إنَّما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، ردَّ عثمان الصحفَ إلى حفصةَ، وأرسل إلى كلِّ أُفق بمصحف ممَّا نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كلِّ صحيفة ومصحف أن يُحْرَقَ. قال زيد [البخاري: ٤٩٨٨]: فقدْت آيةً من الأحزاب حين نسخنا المُصْحَفَ، قد كنت أسمع

(١) في «فتح الباري» في شرح حديث (٤٩٨٨).

رسولَ الله ﷺ يقرأُ بها. فالتمسناها فوجدناها مع خزيمةَ بنِ ثابت الأنصاري: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]. فألحقناها في سورتها في المصحف. [وأحمد: ٢١٦٤٠].

قال ابن حجر(١): وكان ذلك في سنة خمس وعشرين. قال: وغفل بعض من أدركناه فزعم أنه كان في حدود سنة ثلاثين، ولم يذكر له مستَنداً، انتهى.

وأخرج ابن أشته من طريق أيوب عن أبي قلابة قال: حدَّثني رجل من بني عامر، يقال له: أنس بن مالك، قال: اختلفوا في القراءة على عهد عثمان حتى اقتتل الغلمان والمعلِّمون، فبلغ ذلك عثمانَ بن عفان، فقال: عندي تَكْذِبون به وتلحنون فيه! فَمَنْ نَأى عني كان أشدَّ تكذيباً، وأكثرَ لحناً. يا أصحاب محمد، اجتمعوا فاكتبوا للنَّاس إماماً. فاجتمَعوا فكتبوا، فكانوا إذا اختلفوا وتدارؤوا في آية قالوا: هذه أقرَأها رسولُ الله ﷺ فلاناً، فيرسل إليه وهو على رأس ثلاثٍ من المدينة، فيقال له: كيف أقرأَك رسول الله ﷺ آية كذا وكذا؟ فيقول: كذا وكذا، فيكتبونها، وقد تركوا لذلك مكاناً.

وأخرج ابنُ أبي داود(٢) من طريق محمد بن سيرين، عن كثير بن أفلح، قال: لما أراد عثمان أن يكتُبَ المصاحفَ، جَمَعَ له اثنَيْ عشر رجلاً من قريش والأنصار، فبعثوا إلى الرَّبْعة التي في بيت عمر، فجيء بها، وكان عثمان يتعاهدُهم، فكانوا إذا تدارؤوا في شيءٍ أخَّروه. قال محمد: فظننتُ أنما كانوا يؤخرونه لينظروا أحدثَهم عهداً بالعَرْضَة الأخيرة، فيكتبوه على قوله.

وأخرج ابن أبي داود(٣) بسند صحيح عن سُوَيد بن غَفَلة قال: قال عليّ: لا تقولوا في عثمان إلَّا خيراً، فوالله ما فعَل في المصاحف إلَّا عن ملأٍ منَّا، قال: ما تقُولون في هذه القراءة؟ فقد بلغني أنَّ بعضهم يقول: إن قراءتي خيرٌ من قراءتك، وهذا يكاد يكون كفراً؟ قلنا: فما ترى؟ قال: أرى أن يُجمعَ الناس على مصحفٍ واحد، فلا تكون فرقة ولا اختلاف. قلنا: نِعْم ما رأيتَ.

قال ابن التين وغيرُه: الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان: أن جمع أبي بكر: كان لخشيةِ أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حَمَلَتِه؛ لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد، فجمعه في صحائف مرتباً لآيات سُورِه على ما وقَفهم عليه النبيّ ﷺ.

وجَمْعَ عثمان: كانَ لمَّا كثر الاختلاف في وجوه القراءة، حتى قرؤوه بلغاتهم على اتِّساع اللغات، فأدَّى ذلك بعضَهم إلى تخطئة بعض، فخشي من تفاقم الأمر في ذلك، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتَّباً لسُوره، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش، محتجّاً بأنَّه نزل بلغتهم، وإن كان قد وسَّع قراءته بلغة غيرهم، رفعاً للحرج والمشقة في ابتداء الأمر، فرأى أنَّ الحاجة إلى ذلك قد انتهت، فاقتصر على لغة واحدة.

وقال القاضي أبو بكر في «**الانتصار**»(٤): لم يقصد عثمان قَصْدَ أبي بكر في جمع نفس القرآن بين

---

(١) في «فتح الباري» كتاب فضائل القرآن ١٠/ ١٥ (٤٩٨٨). (٢) في «المصاحف» ص ٣٠.
(٣) «المصاحف» ص ٣٣. (٤) «الانتصار» ١/ ٦٥.

لوحين، وإنَّما قَصَد جَمْعَهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبيّ ﷺ، وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف لا تقديمَ فيه ولا تأخير، ولا تأويل أُثبت مع تنزيل، ولا منسوخ تلاوته كتِب مع مثبَت رسمه ومفروض قراءته وحفظه؛ خشية دخول الفساد والشبهة على مَن يأتي بعد.

وقال الحارث المحاسبي: المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان، وليس كذلك، إنَّما حمل عثمانُ الناسَ على القراءة بوجهٍ واحد على اختيارٍ وقع بينه وبين مَنْ شهده من المهاجرين والأنصار، لمَّا خشي الفتنةَ عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات، فأما قبل ذلك فقد كانت المصاحفُ بوجوهٍ من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التي نزل بها القرآنُ، فأمَّا السابق إلى الجمع من الحملة فهو الصدِّيق، وقد قال عليٌّ: لو وُلِّيتُ لعملتُ بالمصاحف عَمَلَ عثمان بها. انتهى.

فائدة: اختُلف في عدَّة المصاحف التي أرسل بها عثمان إلى الآفاق، فالمشهور أنَّها خمسة.

وأخرج ابنُ أبي داود(١) من طريق حمزة الزَّيّات قال: أرسل عثمانُ أربعةَ مصاحفَ. قال ابن أبي داود: وسمعت أبا حاتم السِّجستاني يقول: كتب عثمان سبعةَ مصاحف، فأرسل إلى مكة، وإلى الشام، وإلى اليمن، وإلى البحرين، وإلى البصرة، وإلى الكوفة، وحَبَسَ بالمدينة واحداً.

فصل

الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفيّ، لا شبهة في ذلك.

أما الإجماع: فنقله غير واحد، منهم الزركشي في «**البرهان**»(٢) وأبو جعفر بنُ الزبير في «**مناسباته**» وعبارته: ترتيب الآيات في سورها واقعٌ بتوقيفه ﷺ وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين. انتهى.

وسيأتي من نصوص العلماء ما يدل عليه.

وأمَّا النصوص: **فمنها** حديث زيد السابق: كنا عند النبي ﷺ نؤلف القرآن من الرِّقاع.

ومنها: ما أخرجه أحمد [٤٩٩] وأبو داود [٧٨٦] والترمذي [٣٠٨٦] والنسائي [في «الكبرى»: ٨٠٠٧] وابن حبان [٤٣] والحاكم [(٢/ ٢٢١) وإسناده صحيح] عن ابن عباس قال: قلت لعثمان: ما حملَكم على أن عَمَدْتُم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين، فقرنتُم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، ووضعتُموها في السَّبع الطِّوَال؟ فقال عثمان: كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السُّورُ ذواتُ العَدَدِ، فكان إذا نزل عليه الشيءُ دعا بعضَ من كان يكتُب، فيقول: «**ضَعُوا هؤلاء الآياتِ في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا**» وكانت الأنفال من أوائل ما نزل في المدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً، وكانت قصَّتها شبيهةً بقصتها، فظننت أنها منها، فقُبض رسول الله ﷺ ولم يبيِّن لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنتُ بينهما، ولم أكتب بينهما سطر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، ووضعتُها في السبع الطُّوَل.

---

(١) «المصاحف» ص ٤٣.
(٢) «البرهان» ١/ ٣٤١ النوع ١٤.

ومنها: ما أخرجه أحمد [١٧٩١٨] بإسناد حسن، عن عثمان بن أبي العاص قال: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ، إذ شخص ببصره ثم صوَّبه، ثم قال: «**أتاني جبريل، فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضِعَ من هذه السورة**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠] إلى آخرها».

ومنها: ما أخرجه البخاريّ عن ابن الزُّبير قال: قلتُ لعثمان: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجًا﴾ [البقرة: ٢٤٠] قد نسختها الآية الأخرى، فلِمَ تكتبُها ولَمْ تدعها؟ قال: يابن أخي، لا أغيِّرُ شيئاً منه من مكانه.

ومنها: ما رواه مسلم [٤١٥٠] عن عمرَ قال: ما سألت النبيَّ ﷺ عن شيء أكثر مما سألته عن الكَلالة، حتى طَعنَ بإصبعِه في صَدْري، وقال: «**تكفيك آيةُ الصَّيف التي في آخر سورة النساء**».

ومنها: الأحاديث في خواتيم سورة البقرة [البخاري: ٥٠٠٩، ومسلم: ١٨٧٨، وأحمد: ١٧٠٩٦].

ومنها: ما رواه مسلم [١٨٨٣] عن أبي الدرداء مرفوعاً: «**من حفظ عشر آيات من أوَّل سورة الكهف عُصِم من الدَّجال...**»، وفي لفظ عنده: «**مَنْ قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف**».

ومن النصوص الدَّالة على ذلك إجمالاً: ما ثبت من قراءته ﷺ لسورٍ عديدة:

كسورة البقرة وآل عمران والنِّساء في حديث حُذيفة.

والأعراف ـ في صحيح البخاري ـ أنه قرأها في المغرب. [البخاري: ٧٦٤، وأحمد: ٢١٦٤١].

و﴿قَدۡ أَفۡلَحَ﴾؛ روى النسائيّ [في «المجتبى»: ٩٧٢] أنه قرأها في الصبح، حتى إذا جاء ذكر موسى وهارون أخذته سَعْلةٌ فركع.

والرُّوم: رَوَى الطَّبراني أنَّه قرأها في الصبح.

و﴿ألم تنزيل﴾ و﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾، روى الشيخان: أنّه كان يقرؤهما في صبح الجمعة. [البخاري: ٨٩١، ومسلم: ٢٠٣٥، وأحمد: ١٠١٠٢].

و﴿قٓ﴾ في «**صحيح مسلم**» [٢٠١٤]: أنه كان يقرؤها في الخُطبة.

و﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ في «**المستدرك**» [(٢/ ٤٧٣)] وغيره: أنه قرأها على الجن.

﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾ في الصحيح: قرأها بمكة على الكفار وسَجَد في آخرها [البخاري: ١٠٦٧، ومسلم: ١٢٩٧، وأحمد: ٣٨٠٥].

و﴿ٱقۡتَرَبَتِ﴾ عند مسلم [٢٠٦٠]: أنّه كان يقرؤها مع ﴿قٓ﴾ في العيد.

و(الجمعة) و(المنافقون) في مسلم [٢٠٢٦]: أنه كان يقرأ بهما في صلاة الجمعة.

و(الصفّ) في «**المستدرك**» [(٢/ ٤٨٦)] عن عبد الله بن سَلام أنَّه ﷺ قرأها عليهم حين أنزلتْ حتى ختمها.

وفي سُور شتى من المفصَّل تدلُّ قراءته ﷺ لها بمَشْهَدٍ من الصحابة: أن ترتيب آياتها توقيفيّ، وما كان الصحابة ليرتِّبوا ترتيباً سمعوا النبيَّ ﷺ يقرأ على خلافه، فبلغ ذلك مبلغَ المتواتر.

نعم يُشكل على ذلك: ما أخرجه ابن أبي داود في «**المصاحف**»[(١)] من طريق محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه قال: أتى الحارثُ بنُ خزيمة بهاتين الآيتين من آخر سورة براءة، فقال: أشهد أني سمعتهما من رسول الله ﷺ ووعيتُهما. فقال عمر: وأنا أشهد، لقد سمعتُهما. ثم قال: لو كانت ثلاثَ آياتٍ لجعلتُها سورةً على حدة، فانظروا آخر سورة من القرآن، فألحقوها في آخرها.

قال ابن حجر: ظاهر هذا أنهم كانوا يؤلِّفون آيات السُّوَر باجتهادهم، وسائر الأخبار تدل على أنَّهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك إلَّا بتوقيف.

قلت: يعارضه ما أخرجه ابن أبي داود[(٢)] أيضاً من طريق أبي العالية، عن أُبيّ بن كعب، أنهم جمعوا القرآن، فلمَّا انتهوا إلى الآية التي في سورة براءة: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧]. ظنوا أن هذا آخر ما أُنزِل، فقال أُبيّ: إن رسول الله ﷺ أقرأني بعد هذا آيتين: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ . . .﴾ [التوبة: ١٢٨ ـ ١٢٩] إلى آخر السورة.

وقال مكّي وغيره: ترتيب الآيات في السور بأمرٍ من النبي ﷺ، ولمَّا لم يأمر بذلك في أوَّل براءة تُركتْ بلا بسملة.

وقال القاضي أبو بكر في «**الانتصار**»[(٣)]: ترتيب الآيات أمرٌ واجب، وحُكْمٌ لازمٌ، فقد كان جبريل يقول: ضعوا آيةَ كذا في موضع كذا.

وقال أيضاً: الذي نذهب إليه أن جميع القرآن الذي أنزله الله، وأمر بإثبات رسمه، ولم ينسخه، ولا رفع تلاوته بعد نزوله هو هذا الذي بين الدُّفَّتين الذي حواه مصحف عثمان، وأنه لم ينقصْ منه شيء، ولا زيد فيه. وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمه الله تعالى، ورتَّبه عليه رسولُه من آي السور، لم يقدَّم من ذلك مؤخَّر ولا أُخِّر مقدَّم. وأن الأُمَّة ضبطت عن النبيّ ﷺ ترتيب آي كلِّ سورة ومواضعها، وعرفت مواقعها، كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة. وأنه يمكن أن يكون الرسول ﷺ قد رتَّب سوره، وأن يكون قد وكَّل ذلك إلى الأُمَّة بعده، ولم يتولَّ ذلك بنفسه. قال: وهذا الثاني أقرب.

وأخرج عن ابن وهب قال: سمعتُ مالكاً يقول: إنَّما أُلِّف القرآن على ما كانوا يسمعون من النبيّ ﷺ.

وقال البغويّ في «**شرح السُّنَّة**»: الصحابة ﷺ جمعوا بين الدَّفتين القرآن الذي أنزله الله على رسوله، من غير أن زادوا أو نقصوا منه شيئاً، خوفَ ذهاب بعضه بذهاب حَفَظَتِه، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله ﷺ من غير أن قدَّموا شيئاً أو أخَّروا، أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذوه من رسول الله ﷺ، وكان رسولُ الله ﷺ يلقِّن أصحابَه ويعلِّمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا، بتوقيف جبريل إيَّاه على ذلك، وإعلامِه عند نزول كل آية: أن هذه الآية تكتب عَقِب آية كذا

---

(١) «المصاحف» ص ٣٨.
(٢) في «المصاحف» ص ١٥.
(٣) «الانتصار» ١/ ٢٧٨.

في سورة كذا، فثبت أن سعيَ الصحابة كان في جمعه في موضع واحدٍ لا في ترتيبه، فإن القرآن مكتوبٌ في اللَّوح المحفوظ على هذا الترتيب، أنزله الله جملةً إلى السماء الدنيا، ثم كان ينزله مفرَّقاً عند الحاجة، وترتيب النزول غير ترتيب التلاوة.

وقال ابن الحَصَّار: ترتيب السُّور ووضع الآيات مواضعَها إنَّما كان بالوحي، كان رسول الله ﷺ يقول: «**ضعوا آية كذا في موضع كذا**»، وقد حصل اليقين من النَّقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله ﷺ، وممّا أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف.

فصل

وأمَّا ترتيب السُّور: فهل هو توقيفي أيضاً، أو هو باجتهادٍ من الصحابة؟ خلافٌ.

فجمهور العلماء على الثاني؛ منهم مالك والقاضي أبو بكر في أحد قولَيْه.

قال ابن فارس: جمعُ القرآن على ضَرْبَيْنِ:

أحدهما: تأليف السُّور، كتقديم السَّبْع الطِّوَال وتعقيبها بالمئين، فهذا هو الذي تولَّته الصحابة.

وأما **الجمع الآخر**: وهو جمع الآيات في السور، فهو توقيفي تولَّاه النبيُّ ﷺ، كما أخبر به جبريلُ عن أمر ربه.

ومما استُدلَّ به لذلك اختلاف مصاحف السلف في ترتيب السور: فمنهم مَن رتَّبها على النزول، وهو مصحف عليّ، كان أوَّله: اقرأ، ثمَّ المدثر، ثم ن، ثمَّ المزمِّل، ثم تبّت، ثم التكوير، وهكذا إلى آخر المكي والمدنيّ. وكان أَوَّل مصحف ابن مسعود البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران، على اختلاف شديد. وكذا مصحف أُبي وغيره.

وأخرج ابن أشته في «**المصاحف**» من طريق إسماعيل بن عياش، عن حبَّان بن يحيى، عن أبي محمد القرشيّ قال: أمرهم عثمان أن يتابعوا الطِّوَال، فجعلت سورة الأنفال وسورة التوبة في السّبع، ولم يفصل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم.

وذهب إلى الأوَّل جماعةٌ، منهم القاضي في أحدِ قولَيْهِ.

قال أبو بكر الأنباريّ: أنزل الله القرآن كلَّه إلى سماء الدنيا، ثمَّ فرَّقه في بضع وعشرين، فكانت السورة تنزل لأمرٍ يحدُثُ، والآية جواباً لمستخبر، ويوقِف جبريلُ النبيَّ ﷺ على موضع الآية والسورة، فاتِّساقُ السُّور كاتِّساق الآيات والحروف، كلُّه عن النبي ﷺ، فمن قدّم سورةً أو أخَّرها فقد أفسد نظم القرآن.

وقال الكَرْمانيّ في «**البرهان**»[1]: ترتيب السُّور هكذا هو عند الله في اللَّوح المحفوظ على هذا الترتيب، وعليه كان ﷺ يعرض على جبريل كلَّ سنة ما كان يجتمع عنده منه، وعرضه عليه في السَّنة

---

(١) «البرهان في متشابه القرآن» محمود بن حمزة الكرماني ص ١١٤ ـ ١١٥.

التي تُوفِّي فيها مرتين، وكان آخر الآيات نزولاً: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]. فأمره جبريل أن يضعها بين آيتي الرِّبا والدَّيْن.

وقال الطِّيبيّ: أُنزلَ القرآنُ أوّلاً جملةً واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفرّقاً على حَسَب المصالح، ثم أثبت في المصاحف على التأليف والنظم المثبَت في اللوح المحفوظ.

قال الزركشيّ في «**البرهان**»(١): والخلاف بين الفريقين لفظي، لأن القائل بالثاني يقول: إنَّه رَمَزَ إليهم بذلك، ليعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته، ولهذا قال مالك: إنما أَلَّفُوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبيّ ﷺ. مع قوله بأنَّ ترتيب السُّور باجتهاد منهم، فآلَ الخلافُ إلى أنه: هل هو بتوقيف قوليّ أو بمجرد استنادٍ فعليّ، بحيث بَقِيَ لهم فيه مجال للنظر؟

وسبقه إلى ذلك أبو جعفر بن الزبير.

وقال البيهقيّ في «**المدخل**»: كان القرآن على عهد النبيّ ﷺ مرتَّباً سوره وآياته على هذا الترتيب، إلَّا الأنفال وبراءة، لحديث عثمان السابق. ومال ابن عطية إلى: أنَّ كثيراً من السور كان قد عُلِم ترتيبها في حياته ﷺ، كالسَّبع الطِّوَال والحواميم والمفصَّل، وأن ما سوى ذلك يمكن أن يكون قد فُوِّض الأمر فيه إلى الأمة بعده.

وقال أبو جعفر بن الزبير: الآثار تشهد بأكثر مما نصَّ عليه ابن عطيَّة، ويبقى منها قليل يمكن أن يجري فيه الخلافُ، كقوله ﷺ: «**اقرؤوا الزَّهراوين: البقرة وآل عمران**» رواه مسلم [١٨٧٤]. وكحديث سعيد بن خالد: قرأ ﷺ بالسَّبْع الطِّوَال في ركعة. رواه ابن أبي شيبة في «**مصنفه**»، وفيه: أنه عليه الصلاة والسلام كان يجمع المفصَّل في ركعة.

وروى البخاريّ [٤٧٠٨]: عن ابن مسعود أنه قال في بني إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: «إنَّهنّ من العِتاق الأُوَل، وهنَّ من تلادي». فذكرها نَسقاً كما استقرَّ ترتيبها.

وفي البخاريّ [٥٠١٧]: أنه ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كلَّ ليلةٍ، جَمَعَ كفَّيه، ثم نفث فيهما، فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوّذتين [وأحمد: ٢٤٨٥٣].

وقال أبو جعفر النحاس: المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله ﷺ، لحديث واثلة: «**أُعْطِيت مكان التوراة السبع الطِّوَال...**» الحديثَ [إسناده حسن: أحمد: ١٦٩٨٢].

قال: فهذا الحديث يدلّ على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبيّ ﷺ، وأنه من ذلك الوقت، وإنما جمع في المصحف على شيء واحد، لأنه قد جاء هذا الحديث بلفظ رسول الله ﷺ على تأليف القرآن.

وقال ابنُ الحصَّار: ترتيب السور ووضْعُ الآيات مواضعَها إنما كان بالوحي.

وقال ابنُ حجر: ترتيب بعض السور على بعضها، أو معظمها، لا يمتنع أن يكون توقيفيًّا.

قال: وممَّا يدل على أنَّ ترتيبها توقيفي: ما أخرجه أحمد [١٦١٦٦] وأبو داود [١٣٩٣ وإسناده ضعيف]

---

(١) انظر في «البرهان» ١/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠.

عن أوْس بن أبي أوس حذيفة الثقفيّ قال: كنتُ في الوفد الذين أسلموا من ثَقيف... الحديثَ، وفيه: فقال لنا رسولُ الله ﷺ: «طرأ عليّ حِزبي من القرآن فأردتُ أَلّا أخرج حتى أَقضيَه»، فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ، قلنا: كيف تحزِّبون القرآن؟ قالوا: نحزِّبه ثلاث سور، وخمسَ سور، وسبعَ سور، وتسع سور، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصَّل من ﴿قٓ﴾ حتى نختم.

قال: فهذا يدلُّ على أن ترتيب السُّور ـ على ما هو في المصحف الآن ـ كان على عهد رسول الله ﷺ.

قال: ويحتمل أَنَّ الذي كان مرتَّباً حينئذ حزبُ المفصَّل خاصةً، بخلاف ما عداه.

قلت: ومما يدلُّ على أنه توقيفيّ: كون الحواميم رتِّبت وِلاءً وكذا الطواسين، ولم ترتَّب المسبِّحات ولاءً، بل فُصِل بين سورها، وفُصِل بين طسم الشعراء، وطسم القصص بطس، مع أنه أقصر منهما، ولو كان هذا الترتيب اجتهاديًا لذكرت المسبِّحات وِلاءً، وأُخِّرت طس عن القصص.

والذي ينشرح له الصدر ما ذهب إليه البيهقي، وهو: أن جميع السور ترتيبها توقيفيّ إلاَّ براءة والأنفال. ولا ينبغي أن يُسْتَدَلَّ بقراءته ﷺ سوَراً وِلاءً على أن ترتيبها كذلك، وحينئذ فلا يَرِدُ حديثُ قراءته النِّساءَ قبل آل عمران[1]، لأن ترتيب السور في القراءة ليس بواجب، فلعلَّه فعل ذلك لبيان الجواز.

وأخرج ابنُ أشته في كتاب «**المصاحف**» من طريق ابن وهب، عن سليمان بن بلال قال: سمعتُ ربيعة يسأل: لِمَ قُدِّمت البقرة وآل عمران، وقد نزل قبلهما بضعٌ وثمانون سورةً بمكة، وإنَّما أُنزلتا بالمدينة؟ فقال: قُدِّمتا، وأُلِّف القرآن على علمٍ ممَّن أَلَّفه به ومَن كان معه فيه، واجتماعهم على علمهم بذلك، فهذا ممَّا يُنتهى إليه، ولا يُسْأَل عنه.

خاتمة

السَّبع الطِّوَال: أولها البقرة وآخرها براءة. كذا قال جماعة، لكن أخرج الحاكم [(٢/ ٣٥٥)] والنَّسائيّ وغيرُهما عن ابن عباس قال: السّبع الطِّوَال: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف. **قال الراوي**: وذَكَرَ السابعة فنسيتُها. وفي رواية صحيحة عن ابن أبي حاتم وغيره عن سعيد بن جبير: أنَّها يونس. وتقدم عن ابن عباس مثلُه في النوع الأوَّل. وفي رواية عند الحاكم: أنَّها الكهف.

والمئون: ما وَلِيَها، سميت بذلك؛ لأن كل سورة منها تزيد على مئة آية أو تقاربها.

والمثاني: ما وَلِي المئين، لأنَّها ثَنَتْها، أي: كانت بعدها، فهي لها ثوانٍ والمئون لها أوائل.

وقال الفرَّاء: هي السورة التي آيُها أقلّ من مئة، لأنها تُثَنَّى أكثر ممَّا يثنَّى الطِّوَال والمئون. وقيل: لتثنية الأمثال فيها بالعِبَر والخبر. حكاه النَّكزاويّ.

وقال في «**جمال القرَّاء**»[2]: هي السور التي ثُنيتْ فيها القصصُ، وقد تُطلق على القرآن كلِّه، وعلى الفاتحة كما تقدَّم.

---

(١) الذي رواه أحمد (٢٣٢٦١)، ومسلم (١٨١٤).
(٢) «جمال القراء» ١/ ١٨٦.

والمفصَّل: ما وَلِيَ المثاني من قصار السور، سمِّي بذلك لكثرة الفصول التي بين السور بالبسملة. وقيل: لقلَّة المنسوخ منه، ولهذا يسمَّى بالمحكَم أيضاً، كما روى البخاريّ [٥٠٣٥] عن سعيد بن جبير قال: إنَّ الذي تدعونه المفصَّل هو المحكَم [وأحمد: ٣١٢٥]. وآخره سورة الناس بلا نزاع.

واختلف في أوَّله على اثني عشر قولاً:

أحدها: ق، لحديث أوس السابق قريباً.

الثاني: الحُجُرات، وصحَّحه النَّوويّ.

الثالث: القتال، عَزاه الماورديّ للأكثرين.

الرابع: الجاثية، حكاه القاضي عياض.

الخامس: الصافَّات.

السادس: الصَّف.

السابع: تبارك، حكى الثلاثةَ ابنُ أبي الصَّيف اليمنيّ(١) في نكته على «**التنبيه**».

الثامن: الفتح، حكاه الكمال الذِّماري في شرح «**التنبيه**».

التاسع: الرحمن، حكاه ابن السِّيد في أماليه على «**الموطأ**».

العاشر: الإنسان.

الحادي عشر: سبِّح، حكاه ابن الفِرْكاح(٢) في تعليقه عن المرزوقي.

الثاني عشر: الضحى، حكاه الخطَّابي ووجهُه: بأن القارئ يفصل بين هذه السور بالتكبير.

وعبارة الراغب في «**مفرداته**»(٣): المفصَّلُ من القرآن: السُّبُع الأخير.

فائدة:

للمفصل: طِوالٌ وأوساط وقصارٌ، قال ابن معن: فطِواله إلى عَمَّ، وأوساطه منها إلى الضحى، ومنها إلى آخر القرآن قِصاره. هذا أقرب ما قيل فيه.

تنبيه:

أخرج ابن أبي داود في كتاب «**المصاحف**»(٤) عن نافع، عن ابن عمر، أنه ذُكِر عنده المفصَّل، فقال: وأيُّ القرآن ليس بمفصَّل؟ ولكن قولوا: قصار السُّور وصغار السُّور.

وقد استُدلَّ بهذا على جواز أن يقال: سورة قصيرة أو صغيرة. وقد كره ذلك جماعة، منهم أبو العالية، ورخّص فيه آخرون. ذكره ابن أبي داود.

---

(١) اليَمَني: محمد بن إسماعيل، فقيه شافعي يمني، له علم بالحديث (ت: ٦٠٩ هـ). «طبقات الشافعية» ٥/ ١٩.

(٢) ابن الفِرْكاح: عبد الرحمن بن إبراهيم، فقيه أهل الشام، إمامٌ مدقق نظار، تفقه على شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام (ت: ٦٩٠ هـ). «طبقات الشافعية» ٥/ ٦٠.

(٣) «مفردات ألفاظ القرآن» مادة: فصل.

(٤) «المصاحف» ص ١٧٣.

وأخرج عن ابن سيرين وأبي العالية قالا: لا تقلْ: سورة خفيفة؛ فإنَّه تعالى يقول: ﴿سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]، ولكن: سورة يسيرة.

فائدة: في ترتيب مصحفَي أُبيّ وابن مسعود

قال ابن أشته في كتاب «**المصاحف**»: أنبأنا محمد بن يعقوب، حدثنا أبو داود، حدثنا أبو جعفر الكوفيّ قال:

هذا تأليف مصحف أُبيّ: الحمد، ثمّ البقرة، ثمَّ النِّساء، ثم آل عمران، ثمَّ الأنعام، ثمَّ الأعراف، ثمَّ المائدة، ثمَّ يونس، ثمّ الأنفال، ثمَّ براءة، ثمَّ هود، ثمّ مريم، ثمّ الشعراء، ثمَّ الحج، ثم يوسف، ثمَّ الكهف، ثمَّ النحل، ثمَّ الأحزاب، ثمَّ بني إسرائيل، ثمَّ الزمر أوّلها حم، ثم طه، ثم الأنبياء، ثم النور، ثم المؤمنون، ثم سبأ، ثم العنكبوت، ثم المؤمن، ثم الرعد، ثمَّ القصص، ثم النمل، ثمَّ الصافات، ثمّ ص، ثمَّ يس، ثمَّ الحِجر، ثمَّ حم عسق، ثمَّ الروم، ثمَّ الحديد، ثمَّ الفتح، ثمَّ القتال، ثمَّ الظِّهار، ثمَّ ﴿تَبَارَكَ﴾ الملك، ثمَّ السجدة، ثمَّ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾، ثمَّ الأحقاف، ثمَّ ق، ثمَّ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، ثمَّ الواقعة، ثمَّ الجنّ، ثمَّ النجم، ثمَّ ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾، ثمَّ المزمّل، ثمَّ المدَّثر، ثمَّ ﴿ٱقْتَرَبَتِ﴾، ثمَّ حم الدخان، ثمَّ لقمان، ثمَّ حم الجاثية، ثمَّ الطور، ثمَّ الذاريات، ثمَّ ن، ثمَّ الحاقة، ثمَّ الحشر، ثمَّ الممتَحنة، ثمَّ المرسلات، ثمَّ ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾، ثمَّ ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، ثمَّ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، ثمَّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾، ثمَّ النازعات، ثمَّ التغابن، ثمَّ عبس، ثمَّ المطففين، ثمَّ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾، ثمَّ ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾، ثمّ ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾، ثمَّ الحجرات، ثمَّ المنافقون، ثمّ الجمعة، ثمَّ ﴿لِمَ تُحَرِّمُ﴾، ثمَّ الفجر، ثمَّ ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾، ثمّ ﴿وَٱلَّيْلِ﴾، ثمَّ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾، ثمَّ ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾، ثمّ ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾، ثمَّ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾، ثمَّ الغاشية، ثمَّ الصَّف، ثمَّ سورة أهل الكتاب وهي ﴿لَمْ يَكُنِ﴾، ثم الضُّحى، ثمَّ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾، ثمَّ القارعة، ثمّ التكاثر، ثمَّ العصر، ثمَّ سورة الخلع، ثمَّ سورة الحفْد، ثمَّ ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾، ثمَّ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾، ثمَّ العاديات، ثمّ الفيل، ثمَّ ﴿لِإِيلَٰفِ﴾، ثمَّ ﴿أَرَءَيْتَ﴾، ثمَّ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ﴾، ثمَّ القَدْر، ثمَّ الكافرون، ثمَّ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾، ثمَّ ﴿تَبَّتْ﴾، ثمَّ الصَّمد، ثمَّ الفلق، ثمَّ النَّاس.

قال ابنُ أشته أيضاً: وأخبرنا أبو الحسن ابن نافع، أنَّ أبا جعفر محمد بن عمرو بن موسى حدَّثهم قال: حدَّثنا محمد بن إسماعيل بن سالم، حدَّثنا عليّ بن مِهْران الطائيّ، حدَّثنا جرير بن عبد الحميد، قال: تأليف مصحف عبد الله بن مسعود.

الطِّوال: البقرة، والنساء، وآل عمران، والأعراف، والأنعام، والمائدة، ويونس.

والمئين: براءة، والنحل، وهود، ويوسف، والكهف، وبني إسرائيل، والأنبياء، وطه، والمؤمنون، والشعراء، والصافات.

والمثاني: الأحزاب، والحجّ، والقصص، وطس النَّمل، والنُّور، والأنفال، ومريم،

والعنكبوت، والرُّوم، ويس، والفرقان، والحجر، والرعد، وسبأ، والملائكة، وإبراهيم، وص، و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، ولقمان، والزُّمر، والحواميم: حم المؤمن، والزخرف، والسجدة، وحم عسق، والأحقاف، والجاثية، والدخان، و﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾، والحشر، وتنزيل السجدة، والطلاق، ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾، والحجرات، وتبارك، والتغابن، و﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾، والجمعة، والصف، و﴿قُلْ أُوحِىَ﴾، و﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا﴾، والمجادلة، والممتحنة، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾.

والمفصَّل: الرحمن، والنجم، والطور، والذاريات، و﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾، والواقعة، والنازعات، و﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾، والمدَّثر، والمزمل، والمطففين، وعبس، و﴿هَلْ أَتَىٰ﴾، والمرسلات، والقيامة، و﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾، و﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾، والغاشية، و﴿سَبِّحِ﴾، والليل، والفجر، والبروج، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾، و﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾، والبلد، والضُّحى، والطارق، والعاديات، وأرأيت، والقارعة، و﴿لَمْ يَكُنِ﴾، ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾، والتِّين، و﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾، و﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ﴾، و﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾، و﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، و﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾، و﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾، والعصر، و﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾، والكوثر، و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وتبّت، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾. وليس فيه الحمد، ولا المعوّذتان.

النوع التاسع عشر

في عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه

أمَّا سُوَره: فمئة وأربعَ عَشرةَ سورةً بإجماع مَنْ يُعتدُّ به، وقيل: وثلاثَ عَشرةَ، بجعل الأنفال وبراءة سورةً واحدة.

أخرج أبو الشيخ عن أبي رَوْق قال: الأنفال وبراءة سورة واحدة.

وأخرج عن أبي رَجَاء قال: سألت الحسن عن الأنفال وبراءة: سورتان أم سورة؟ قال: سورتان. ونُقِل مثل قول أبي رَوْق عن مجاهد، وأخرجه ابنُ أبي حاتم عن سفيان.

وأخرج ابن أشته عن ابن لَهِيعة، قال: يقولون: إنَّ براءة مِن ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾، وإنَّما لم تكتب في براءة ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؛ لأنها من ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾. وشُبهتهُم اشتباهُ الطرفين وعدم البسملة. ويردُّه تسميةُ النبيِّ ﷺ كلًّا منهما.

ونقل صاحب «**الإقناع**»: أنَّ البسملة ثابتة لبراءة في مصحف ابن مسعود، قال: ولا يؤخذ بهذا.

قال القشيريُّ: الصحيح أنَّ التسمية لم تكن فيها، لأنَّ جبريل عليه السلام لم ينزل بها فيها.

وفي «**المستدرك**» [(٢/ ٣٣٠)]: عن ابن عباس قال: سألت عليّ بن أبي طالب: لِمَ لَمْ تكتب في براءة: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؟ قال: لأنَّها أمان، وبراءة نزلتْ بالسيف.

وعن مالك: أنَّ أَوَّلها لما سقط سقط معه البسملة؛ فقد ثبت أَنَّها كانت تعدل البقرة لِطُولها.

وفي مصحف ابن مسعود: مئة واثنتا عشرة سورة ـ لأنه لم يكتب المعَوّذتيْن. وفي مصحف أُبَيّ ست عشرة ـ لأنه كتب في آخره سورتي الحَفْد والخلْع.

أَخرج أبو عُبيد عن ابن سيرين قال: كتب أُبي بن كعب في مصحفه فاتحة الكتاب والمعوّذتين، و: اللهم إنَّا نستعينك..، و: اللَّهم إياك نعبد..، وتركَهُنَّ ابن مسعود، وكتب عثمان منهنَّ فاتحة الكتاب والمعوّذتين.

وأخرج الطبراني في «**الدعاء**» [٧٥٠] من طريق عبّاد بن يعقوب الأسديّ، عن يحيى بن يعلى الأسلميّ، عن ابن لَهيعة، عن ابن هُبيرة، عن عبد الله بن زُرير الغافقيّ قال: قال لي عبد الملك بن مروان: لقد علمتُ ما حَمَلك على حبّ أبي تراب [هو كنية علي بن أبي طالب، انظر البخاري: ٤٤١، ومسلم: ٦٢٢٩] إلَّا أنَّك أعرابيّ جافٍ، فقلت: والله لقد جمعتُ القرآن من قبل أن يجتمع أبواك، ولقد علَّمني منه عليّ ابن أبي طالب سورتيْنِ علَّمهما إياه رسولُ الله ﷺ، ما علمتَهما أنت ولا أبوك: اللهمَّ إنا نستعينك ونستغفرك، ونُثني عليك ولا نكفرك، ونخلع ونتركُ منْ يفجُرك. اللهمَّ إيَّاك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفِد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك، إنَّ عذابك بالكفار ملحق.

وأخرج البيهقي [في «السنن» (٢/ ٢١٠)]: من طريق سفيان الثوريّ، عن ابن جُرَيج، عن عطاء، عن عُبيد بن عُمير: أنَّ عمر بن الخطاب قَنَتَ بعد الركوع، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهمَّ إنا نستعينُك ونستغفرُك، ونُثني عليك ولا نكفرُك، ونخلع ونترُك من يفجُرك. بسم الله الرحمن الرحيم، اللهمَّ إيَّاك نعبد، ولك نصلِّي ونسجد، وإليك نسعى ونحفِد، نرجو رحمتك، ونخشى نِقْمتَك، إن عذابك بالكافرين ملحِق.

قال ابن جُريج: حكمة البسملة أنَّهما سورتان في مصحف بعض الصحابة.

وأخرج محمد بن نصر المروزيّ في كتاب «**الصلاة**» عن أُبيّ بن كعب أنه كان يقنتُ بالسورتين، فذكرهما، وأنَّه كان يكتبهما في مصحفه.

وقال ابن الضُّرَيس[(١)]: أنبأنا أحمد بن جميل المروزيّ، عن عبد الله بن المبارك، أنبأنا الأَجْلَح، عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن أبيه قال: في مصحف ابن عباس قراءة أُبيٍّ وأبي موسى: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، ونُثني عليك الخَيْرَ ولا نكفرك، ونخلع ونترك مَن يفجرك. وفيه: اللهم إيَّاك نعبدُ، ولك نصلي ونسجد، وإليكَ نسعَى ونحفِد، نخشى عذابَكَ، ونرجو رحمتَك، إنَّ عذابك بالكفار ملحِق.

وأخرج الطبراني [في «الكبير»: ٨٦٠] بسند صحيح عن أبي إسحاق قال: أَمَّنا أُميَّة بنُ عبد الله بن خالد بن أَسِيد بخراسان، فقرأ بهاتين السورتين: إنا نستعينك ونستغفرك.

وأ حرج البيهقي [في «السنن» (٢/ ٢١٠)]، وأبو داود في «**المراسيل**» [٨٩]: عن خالد بن أبي عِمْران: أنَّ جبريل نزل بذلك على النبي ﷺ وهو في الصَّلاة مع قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ . . .﴾ الآية [آل عمران: ١٢٨] لمَّا قَنَت يدعو على مُضر.

تنبيه: كذا نقل جماعة عن مصحف أُبَيّ أنه ستَّ عشرة سورة، والصواب أنه خمسَ عشرة، فإنَّ سورة الفيل وسورة لإيلاف قريش فيه سورة واحدة، ونقل ذلك السخاويّ في «**جمال القراء**»[(٢)] عن جعفر الصادق وأبي نَهيك أيضاً.

قلت: ويردّه ما أخرجه الحاكم [(٢/ ٥٣٦)] والطَّبراني [في «الكبير» ٢٤/ (٩٩٤)] من حديث أُمِّ هانئ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**فضَّل الله قريشاً بسبع..**» الحديثَ، وفيه: «**وإن الله أنزل فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها معهم غيرَهم: لإيلاف قريش**».

وفي «**كامل**» الهذليّ عن بعضهم أنه قال: الضحى وألم نشرح سورة واحدة، نقله الإمام الرازيّ في «**تفسيره**» عن طاوس وعُمر بن عبد العزيز وغيره من المفسرين.

فائدة: قيل: الحكمة في تسوير القرآن سُوَراً تحقيقُ كون السورة بمجرَّدها معجزة وآية من آيات الله، والإشارة إلى أن كلَّ سورةٍ نَمَطٌ مستقلٌّ: فسورة يوسف تترجم عن قصته، وسورة براءة تترجم

(١) في «فضائل القرآن» ص ١٥٨ رقم (٣٣٦). (٢) «جمال القراء» ١/ ٢٠٢.

عن أحوال المنافقين وأسرارهم، إلى غير ذلك. وسُوِّرت السّور طِوالاً وأوساطاً وقِصَاراً؛ تنبيهاً على أن الطُّوَل ليس من شرط الإعجاز، فهذه سورة الكوثر، ثلاث آيات، وهي معجزة إعجازَ سورة البقرة، ثم ظَهَرت لذلك حكمة في التعليم وتدريج الأطفال من السُّور القِصَار إلى ما فوقها؛ تيسيراً من الله على عباده لحفظ كتابه.

قال الزركشيّ في «**البرهان**»[1]: فإن قلتَ: فهلَّا كانت الكتب السالفة كذلك؟

قلت: لوجهين، أحدهما: أنَّها لم تكن معجزات من جهة النظم والتَّرتيب. والآخر: أنَّها لم تُيَسَّر للحفظ. لكن ذكر الزمخشريّ ما يخالفه، فقال في «**الكشاف**»:

الفائدة في تفصيل القرآن وتقطيعه سوراً كثيرة، وكذلك أنزل الله التوراة والإنجيل والزَّبور، وما أوحاه إلى أنبيائه مسوَّرة، وبوَّب المصنِّفون في كتبهم أبواباً موشَّحة الصدورِ بالتراجم:

منها: أَنَّ الجنس إذا انطوت تحته أنواع وأصناف كان أحسن وأفخمَ من أن يكون باباً واحداً.

ومنها: أنَّ القارئ إذا ختم سورة أو باباً من الكتاب ثم أخذ في آخر، كان أنشَط له وأَبعثَ على التحصيل منه لو استمرَّ على الكتاب بطوله، ومثله المسافر إذا قطع ميلاً أو فرسخاً نفَّس ذلك منه، ونشط للسير، ومن ثَمَّ جُزِّئ القرآن أجزاءً وأخماساً.

ومنها: أن الحافظ إذا حذق السُّورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفةً مستقلة بنفسها، فيعظُم عنده ما حَفِظه. ومنه حديث أنس: كان الرَّجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جدَّ فينا. [إسناده صحيح: أحمد: ١٢٢١٥].

ومن ثَمَّ كانت القراءة في الصلاة بسورةٍ أفضلَ.

ومنها: أن التفصيل بسبب تلاحُق الأشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض، وبذلك تتلاحظ المعاني والنظم. إلى غير ذلك من الفوائد. انتهى.

وما ذكره الزَّمخشريُّ من تسوير سائر الكتب هو الصحيح أو الصواب، فقد أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: كنَّا نتحدَّث أن الزَّبور مئة وخمسون سورةً، كلها مواعظ وثناء، ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائضُ، ولا حدودٌ، وذكروا: أن في الإنجيل سورة تسمى سورة الأمثال.

فصل في عدّ الآي

أفرده جماعة من القرَّاء بالتصنيف.

قال الجَعْبَريّ: حدّ الآية قرآن مركَّب من جُمَل ولو تقديراً، ذُو مبدأ أو مقطع، مندرج في سورة، وأصلها العلامة، ومنه: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٤٨]؛ لأنها علامة للفضل والصدق أو الجماعة؛ لأنها جماعةُ كلمةٍ.

وقال غيره: الآية طائفة من القرآن، منقطعة عمَّا قبلها وما بعدَها.

---

(١) «البرهان» ١/ ٣٦٢.

وقيل: هي الواحدة من المعدودات في السُّور، سميت به؛ لأنها علامة على صدق مَنْ أتى بها، وعلى عجز المتحدَّى بها.

وقيل: لأنها علامة على انقطاع ما قبلها من الكلام وانقطاعه ممَّا بعدها.

قال الواحديّ: وبعض أصحابنا يجوِّز على هذا القول تسمية أقلَّ من الآية آيةً، لولا أن التوقيف ورد بما هي عليه الآن.

وقال أبو عَمرو الدانيّ: لا أعلم كلمةً هي وحدَها آية إلَّا قوله: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٤].

وقال غيره: بل فيه غيرها، مثل: ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾، ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾، و﴿وَٱلْعَصْرِ﴾، وكذا فَواتح السور عند مَن عدَّها.

قال بعضهم: الصحيح أنَّ الآية إنما تُعلم بتوقيف من الشارع كمعرفة السورة. قال: فالآية طائفة من حروف القرآن عُلِم بالتوقيف انقطاعها؛ يعني: عن الكلام الذي بعدها في أوّل القرآن، وعن الكلام الذي قبلها في آخر القرآن، وعمّا قبلها وما بعدها في غيرهما، غير مشتمل على مثل ذلك. قال: وبهذا القيد خرجت السورة.

وقال الزمخشريّ: الآيات عِلْمٌ توقيفيّ لا مجال للقياس فيه، ولذلك عدُّوا ﴿الٓمٓ﴾ آيةً حيث وقعتْ، و﴿الٓمٓصٓ﴾، ولم يعدُّوا ﴿الٓمٓرٓ﴾ و﴿الٓرٓ﴾، وعدُّوا ﴿حمٓ﴾ آيةً في سورها، و﴿طه﴾ و﴿يسٓ﴾، ولم يعدُّوا ﴿طسٓ﴾.

قلت: ومما يدلُّ على أنه توقيفيّ: ما أخرجه أحمد في «مسنده» من طريق عاصم بن أبي النَّجُود، عن زِرّ، عن ابن مسعود قال: أقرأني رسولُ الله ﷺ سورةً من الثلاثين، من آل حم، قال: يعني الأحقاف. وقال: كانت السورة إذا كانت أكثرَ من ثلاثين آيةً سُمِّيت الثلاثين... الحديثَ [إسناده حسن: أحمد: ٣٩٨١].

وقال ابن العربي[1]: ذكر النبيُّ ﷺ أنَّ الفاتحة سبع آيات، وسورةَ الملك ثلاثون آية. وصحّ أنَّه قرأ العشرَ الآياتِ الخواتيمَ من سورة آل عمران.

قال: وتعديد الآي من معضلات القرآن، ومن آياته طويلٌ وقصير، ومنه ما ينقطع، ومنه ما ينتهي إلى تمام الكلام، ومنه ما يكون في أثنائه.

وقال غيره: سبب اختلاف السلف في عدد الآي: أنَّ النبيّ ﷺ كان يقف على رؤوس الآي للتوقيف، فإذا عُلم محلُّها وصل للتمام، فيحسب السامع حينئذ أنَّها ليست فاصلة.

وقد أخرج ابن الضُّرَيس[2] من طريق عثمان بن عطاء، عن أبيه، عن ابن عباس قال: جميع آي القرآن ستة آلاف وستمئة وست عشرة آية، وجميع حروف القرآن: ثلاثمئة ألف حرف، وثلاثة وعشرون ألف حرف، وستمئة حرف، وواحد وسبعون حرفاً.

---

(١) انظر «أحكام القرآن» ١/ ١٠ سورة الفاتحة: ٤ ـ ٥. (٢) في «فضائل القرآن» ص ٣٥ رقم (١٧).

قال الدَّاني[1]: أجمعوا على أنَّ عدد آيات القرآن ستة آلاف آية، ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك، فمنهم مَن لم يزدْ، ومنهم مَن قال: ومئتا آية وأربع آيات، وقيل: وأربع عشرة، وقيل: وتسع عشرة، وقيل: وخمس وعشرون، وقيل: وست وثلاثون.

قلت: أخرج الديلميّ في «**مسند الفردوس**» [٢٨٨٧] من طريق الفيض بن وثيق، عن فرات بن سليمان، عن ميمون بن مهْران، عن ابن عباس مرفوعاً: «**دَرَجُ الجنة على قدر آيِ القرآن، بكلِّ آية درجة، فتلك ستة آلاف آية ومئتا آية وست عشرة آية، بين كلِّ درجتين مقدار ما بين السماء والأرض**».

الفيض: قال فيه ابن معين: كذاب خبيث!

وفي «**الشُّعب**» للبيهقي [١٩٩٨] من حديث عائشة مرفوعاً: «**عدد دَرج الجنة عدد آي القرآن، فَمَنْ دخل الجنة من أهل القرآن فليس فوقه درجة**». قال الحاكم: إسناده صحيح، لكنه شاذ، وأخرجه الآجريّ في «**حملة القرآن**»[2] من وجه آخر عنها موقوفاً.

قال أبو عبد الله الموصلّي في شرح قصيدته «ذات الرَّشد في العدد»: اختَلف في عدّ الآي أَهْلُ المدينة ومكَّة والشام والبصرة والكوفة.

ولأهل المدينة عددان: عدد أوَّل، وهو عدد أبي جعفر يزيد بن القعْقاع وشيبة بن نَصاح. وعدد آخر، وهو عدد إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاريّ.

وأمَّا عدد أهل مكة فهو مرويّ عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن أُبي بن كعب.

وأمَّا عدد أهل الشام: فرواه هارون بن موسى الأخفش وغيره، عن عبد الله بن ذكْوان وأحمد بن يزيد الحُلوانيّ وغيره، عن هشام بن عمَّار. ورواه ابنُ ذكوان وهشام، عن أَيّوب بن تميم القارئ، عن يحيى بن الحارث الذّماريّ. قال: هذا العدد الذي نَعُدُّه عدد أهل الشام ممَّا رواه المشيخة لنا عن الصحابة، ورواه عبد الله بن عامر اليَحصبيّ لنا وغيره، عن أبي الدرداء.

وأمَّا عدد أهل البصرة: فمداره على عاصم بن العجاج الجحدريّ.

وأما عدد أهل الكوفة: فهو المضاف إلى حمزة بن حبيب الزيات، وأبي الحسن الكسائي، وخلف بن هشام، قال حمزة: أخبرنا بهذا العدد ابنُ أبي ليلَى، عن أبي عبد الرحمن السُّلَمِيّ، عن عليّ بن أبي طالب.

قال الموصلّي: ثم سُور القرآن على ثلاثة أقسام: قسم لم يُختلف فيه، لا في إجمال ولا في تفصيل، وقسم اختُلف فيه تفصيلاً لا إجمالاً، وقسم اختُلف فيه إجمالاً وتفصيلاً.

فالأوَّل: أربعون سورة: (يوسف) مئة وإحدى عشرة، (الحجر) تسع وتسعون، (النحل) مئة وثمانية

---

(١) الداني: عثمان بن سعيد القرطبي، الإمام العلَمُ في القراءات (ت: ٤٤٤ هـ). «معرفة القراء الكبار» ١/ ٣٤٥.

(٢) «أخلاق حملة القرآن» ص ١٦ رقم (١٠).

وعشرون، (الفرقان) سبع وسبعون، (الأحزاب) ثلاث وسبعون، (الفتح) تسع وعشرون، (الحجرات) و(التغابن) ثمان عشرة. (ق) خمس وأربعون، (الذاريات) ستون، (القمر) خمس وخمسون، (الحشر) أربع وعشرون، (الممتحنة) ثلاث عشرة، (الصف) أربع عشرة، (الجمعة) و(المنافقون) و(الضحى) و(العاديات) إحدى عشرة، (التحريم) اثنتا عشرة، (ن) اثنتان وخمسون، (الإنسان) إحدى وثلاثون، (المرسلات) خمسون، (التكوير) تسع وعشرون، (الانفطار) و(سبح) تسع عشرة، (التطفيف) ست وثلاثون، (البروج) اثنتان وعشرون، (الغاشية) ست وعشرون، (البلد) عشرون، (الليل) إحدى وعشرون، (ألم نشرح) و(التين) و(ألهاكم) ثمان، (الهمزة) تسع، (الفيل) و(الفلق) و(تبت) خمس، (الكافرون) ستّ، (الكوثر) و(النصر) ثلاث.

والقسم الثاني: أربع سور: (القصص) ثمان وثمانون، عدَّ أهل الكوفة: ﴿طسٓمٓ﴾، والباقون بدلها: ﴿أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ﴾ [القصص: ٢٣].

(العنكبوت) تسع وستون، عدَّ أهل الكوفة: ﴿الٓمٓ﴾، والبصرة بدلها: ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ﴾ [٦٥]، والشام: ﴿وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ [٢٩].

(الجن) ثمان وعشرون، عدَّ المكي: ﴿لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ﴾ [٢٢]، والباقون بدلها: ﴿وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا﴾ [٢٢].

(العصر) ثلاث، عدّ المدني الأخير: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾ [٣] دون ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ وعكس الباقون.

والقسم الثالث: سبعون سورة:

(الفاتحة) الجمهور سبع، فعدَّ الكوفيّ والمكيّ البسملة دون ﴿أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ وعكس الباقون. وقال الحسن: ثمان، فعدَّهما، وبعضهم ست فلم يعدّهما، وآخر تسع فعدّهما و﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾.

ويقوّي الأولَ: ما أخرجه أحمد [٢٦٥٨٣] وأبو داود [٤٠٠١] والترمذي [٢٩٢٧] وابن خُزيمة، والحاكم [(٢/ ٢٣١)] والدَّارقطني [في «السنن» (١/ ٣١٢) وهو صحيح لغيره] وغيرهم: عن أُمّ سلمَة: أنَّ النبيّ ﷺ كان يقرأُ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، قطَّعها آيةً آيةً، وعدَّها عدَّ الأعراب، وعدّ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ آيةً، ولم يعدّ ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾.

وأخرج الدارقطني [في «السنن» (١/ ٣١٣)] بسند صحيح عن عبدِ خيرٍ، قال: سئل عليٌّ عن السَّبْع المثاني، فقال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، فقيل له: إنَّما هي ستّ آيات، فقال: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ آية.

(البقرة): مئتان وثمانون وخمس، وقيل: ستّ، وقيل: سبع.

(آل عمران): مئتان، وقيل: إلَّا آية.

(النساء): مئة وسبعون وخمس، وقيل: ستّ، وقيل: سبع.

(المائدة): مئة وعشرون، وقيل: واثنتان، وقيل: وثلاث.

(الأنعام): مئة وستون وخمس، وقيل: ست، وقيل: سبع.

(الأعراف): مئتان وخمس، وقيل: ستّ.

(الأنفال): سبعون وخمس، وقيل: ست، وقيل: سبع.

(براءة): مئة وثلاثون، وقيل: إلَّا آية.

(يونس): مئة وعشر، وقيل: إلَّا آية.

(هود): مئة وإحدى وعشرون، وقيل: اثنتان، وقيل: ثلاث.

(الرعد): أربعون وثلاث، وقيل: أربع، وقيل: سبع.

(إبراهيم): إحدى وخمسون، وقيل: اثنتان، وقيل: أربع، وقيل: خمس.

(الإسراء): مئة وعشر، وقيل: وإحدى عشرة.

(الكهف): مئة وخمس، وقيل: وست، وقيل: وعشر، وقيل: وإحدى عشرة.

(مريم): تسعون وتسع، وقيل: ثمان.

(طه): مئة وثلاثون واثنتان، وقيل: أربع، وقيل: خمس، وقيل: وأربعون.

(الأنبياء): مئة وإحدى عشرة، وقيل: واثنتا عشرة.

(الحجّ): سبعون وأربع، وقيل: خمس، وقيل: ست، وقيل: ثمان.

﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾: مئة وثمان عشرة، وقيل: تسع عشرة.

(النور): ستون واثنتان، وقيل: أربع.

(الشعراء): مئتان وعشرون وستّ، وقيل: سبع.

(النمل): تسعون واثنتان، وقيل: أربع، وقيل: خمس.

(الروم): ستُّون، وقيل: إلَّا آية.

(لقمان): ثلاثون وثلاث، وقيل: أربع.

(السجدة): ثلاثون، وقيل: إلَّا آية.

(سبأ): خمسون وأربع، وقيل: خمس.

(فاطر): أربعون وستّ، وقيل: خمس.

(يس): ثمانون وثلاث، وقيل: اثنتان.

(الصافات): مئة وثمانون وآية، وقيل: آيتان.

(ص) : ثمانون وخمس، وقيل: ستّ، وقيل: ثمان.

(الزمر): سبعون وآيتان، وقيل: ثلاث، وقيل: خمس.

(غافر): ثمانون وآيتان، وقيل: أربع، وقيل: خمس، وقيل: ستّ.

(فُصِّلت): خمسون واثنتان، وقيل: ثلاث، وقيل: أربع.

(الشُّورى): خمسون، وقيل: وثلاث.

(الزُّخرف): ثمانون وتسع، وقيل: ثمان.

(الدخان): خمسون وستّ، وقيل: سبع، وقيل: تسع.

(الجاثية): ثلاثون وستّ، وقيل: سبع.

(الأحقاف): ثلاثون وأربع، وقيل: خمس.

(القتال): أربعون، وقيل: إلَّا آية، وقيل: إلَّا آيتين.

(الطور): أربعون وسبع، وقيل: ثمان، وقيل: تسع.

(النجم): إحدى وستّون، وقيل: اثنتان.

(الرحمن): سبعون وسبع، وقيل: ستّ، وقيل: ثمان.

(الواقعة): تسعون وتسع، وقيل: سبع، وقيل: ستّ.

(الحديد): ثلاثون وثمان، وقيل: تسع.

(قد سمع): اثنتان ـ وقيل: إحدى ـ وعشرون.

(الطَّلاق): إحدى ـ وقيل: اثنتا ـ عشرة

(تبارك): ثلاثون، وقيل: إحدى وثلاثون، بعدِّ ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ﴾ [٩].

قال الموصلي: والصحيحُ الأولُ.

قال ابنُ شَنبوذ: ولا يسوغُ لأحدٍ خلافُه للأخبار الواردة في ذلك. أخرج أحمد [٧٩٧٥] وأصحاب السنن وحسّنه الترمذي عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: **«إنَّ سورةً في القرآن ثلاثين آيةً شَفعَتْ لصاحبها، حتى غُفر له: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾** [أبو داود: ١٤٠٠، والترمذي: ٢٨٩١، والنسائي في «الكبرى»: ١١٦١٢، وابن ماجه: ٣٧٨٦ وهو حسن لغيره].

وأخرج الطبراني [في «الأوسط»: ٣٦٦٧، وفي «الصغير»: ٤٩١ ورجاله رجال الصحيح] **بسندٍ صحيح**: عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **«سورة في القرآن ما هي إلَّا ثلاثون آيةً، خاصَمت عن صاحبها حتى أدخلَتْهُ الجنةَ، وهي سورة تبارك»**.

(الحاقّة): إحدى ـ وقيل: اثنتان ـ وخمسون.

(المعارج): أربعون وأربع، وقيل: ثلاث.

(نـــــوح): ثلاثون، وقيل: إلَّا آية، وقيل: إلَّا آيتين.

(الـمـزمِّـل): عشرون، وقيل: إلَّا آية، وقيل: إلَّا آيتين.

(الـمـدَّثـر): خمسون وخمس، وقيل: ستّ.

(الـقـيـامـة): أربعون، وقيل: إلَّا آية.

(عـــــمّ): أربعون، وقيل: وآية.

(الـنـازعـات): أربعون وخمس، وقيل: ستّ.

(عـــبـــس): أربعون، وقيل: وآية، وقيل: وآيتان.

(الانـشـقـاق): عشرون وثلاث، وقيل: أربع، وقيل: خمس.

(الـطـارق): سبع عشرة، وقيل: ستّ عشرة.

(الـفـجـر): ثلاثون، وقيل: إلَّا آية، وقيل: اثنتان وثلاثون.

(الـشـمـس): خمس عشرة، وقيل: ستّ عشرة.

(اقـــــرأْ): عشرون، وقيل: إلَّا آية.

(الـــقَـــدْر): خمس، وقيل: ستّ.

(لـم يـكـن): ثمان، وقيل: تسع.

(الـزلـزلـة): تسع، وقيل: ثمان.

(الـقـارعـة): ثمان، وقيل: عشر، وقيل: إحدى عشرة.

(قـــريـــش): أربع، وقيل: خمس.

(أرأيـــــت): سبع، وقيل: ستّ.

(الإخـلاص): أربع، وقيل: خمس.

(الـنـــاس): سبع، وقيل: ستّ.

ضوابط

البسملة: نزلت مع السورة في بعض الأحرف السبعة، من قرأ بحرف نزلت فيه عدَّها، ومن قرأ بغير ذلك لم يعُدَّها.

وعدّ أهل الكوفة ﴿الٓمٓ﴾ حيث وقع آيةً، وكذا ﴿الٓمٓصٓ﴾، و﴿طه﴾، و﴿كٓهيعٓصٓ﴾، و﴿طسٓمٓ﴾، و﴿يسٓ﴾، و﴿حمٓ﴾، وعدُّوا: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ آيتين، ومنْ عَداهم لم يَعُدّ شيئاً من ذلك.

وأجمع أهل العدد على أنه لا يُعدّ (الر) حيث وقع آية، وكذا (المر)، و(طس)، و(ص)، و(ق)، و(ن).

ثم منهم مَنْ عَلل بالأثر واتباع المنقول وأنه أمرٌ لا قياس فيه، ومنهم مَنْ قال: لم يعدّوا (ص)،

و(ن)، و(ق)؛ لأنها على حرف واحد، ولا (طس)، لأنها خالفت أَخَوَيها بحذف الميم، ولأنها تشبه المفرد كقابيل، و(يس) وإن كانت بهذا الوزن، لكن أَوَّلها ياء فأَشبهت الجمع، إذ ليس لنا مفرد أَوَّله ياء.

ولم يعدوا (الر) بخلاف (ألم)؛ لأَنَّها أشبه بالفواصل من (الر)، وكذلك أجمعوا على عَدِّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ آيةً لمشاكلته الفواصلَ بعده، واختلفوا في ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾.

قال الموصلي: وعدّوا قوله: ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ [المدثر: ٢١] آيةً، وليس في القرآن أقصر منها، أما مثلها فـ﴿عَمَّ﴾، ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾، و﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾.

تذنيب: نظم عليّ بن محمد الغالي أرجوزةً في القرائن والأخوات، ضمَّنها السّور التي اتفقت في عدّة الآي كالفاتحة والماعون، وكالرحمن والأنفال، وكيوسف والكهف والأنبياء، وذلك معروف مما تقدم.

فائدة:

يترتب على معرفة الآي وعدِّها وفواصلها أحكامٌ فقهيّة:

منها: اعتبارها فيمن جهل الفاتحة، فإنَّه يجب عليه بدلها سبعُ آيات.

ومنها: اعتبارها في الخُطبة، فإنَّه يجب فيها قراءة آيةٍ كاملة، ولا يكفي شطرها إن لم تكن طويلة، وكذا الطويلة على ما أطلقه الجمهور، وها هنا بحث، وهو: أن ما اختلف في كونه آخر آية، هل تكفي القراءة به في الخطبة؟ محل نظر، ولم أر مَنْ ذكره.

ومنها: اعتبارُها في السُّورة التي تقرأ في الصلاة، أو ما يقوم مقامها، ففي الصحيح: أنَّه ﷺ كان يقرأ في الصُّبح بالسِّتين إلى المئة [البخاري: ٧٧١، ومسلم: ١٤٦٢، وأحمد: ١٩٨١١].

ومنها: اعتبارها في قراءة قيام الليل؛ ففي أحاديث: «مَن قرأ بعشر آيات لم يُكتب من الغافلين»، و: «من قرأ بخمسين آية في ليلة كُتب من الحافظين»، و: «من قرأ بمئة آية كتب من القانتين»، و: «من قرأ بمئتي آية كتب من الفائزين»، و: «من قرأ بثلاثمئة آية كتب له قنطار من الأجر»، و: «من قرأ بخمسمئة وسبعمئة وألف آية...»، أخرجها الدارمي في «مسنده» مفرَّقة(١).

ومنها: اعتبارها في الوقف عليها، كما سيأتي.

وقال الهُذلي في «**كامله**»: اعلم أنَّ قوماً جهلوا العدد وما فيه من الفوائد، حتى قال الزعفرانيّ: العدد ليس بعلم، وإنما اشتغل به بعضُهم ليروِّج به سوقه. قال: وليس كذلك، ففيه من الفوائد: معرفة الوقف، ولأن الإجماع انعقَد على أن الصلاة لا تصحّ بنصف آية. وقال جَمْعٌ من العلماء: تجزئ بآية، وآخرون بثلاث آيات، وآخرون لا بدّ من سبع، والإعجاز لا يقع بدون آية، فللعدد فائدة عظيمة في ذلك. انتهى.

---

(١) يراجع مسند الدارمي (المعروف بسنن الدارمي) كتاب فضائل القرآن، باب: فضل من قرأ عشر آيات، وباب: من قرأ خمسين آية، وباب: من قرأ بمئة آية.. تباعاً (٣٤٨٥) إلى (٣٥٠٦). تحقيق الأستاذ حسين أسد.

فائدة ثانية:

ذكر الآيات في الأحاديث والآثار أكثر من أن يُحصى، كالأحاديث في الفاتحة، وأربع آيات من أوّل البقرة، وآية الكرسي، والآيتين خاتمة البقرة، وكحديث اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [آل عمران: ١ ـ ٢]. وفي البخاري [٣٥٢٤] عن ابن عباس: إذا سرَّك أن تعلم جهلَ العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومئة من سورة الأنعام: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿مُهْتَدِينَ﴾ [١٤٠].

وفي «**مسند أبي يعلى**» [٨٣٦] عن المِسْوَر بن مَخْرَمة قال: قلتُ لعبد الرحمن بن عوف: يا خال، أخبرنا عن قصتكم يوم أحد، قال: اقرأ بعد العشرين ومئة من آل عمران تَجِدْ قِصَّتنا: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١].

فصل

وَعَدَّ قومٌ كلماتِ القرآن سبعةً وسبعين ألف كلمة، وتسعمئة وأربعاً وثلاثين كلمة. وقيل: وأربعمئة وسبع وثلاثون، ومئتان وسبع وسبعون، وقيل: غير ذلك.

قيل: وسبب الاختلاف في عَدِّ الكلمات: أنَّ الكلمة لها حقيقةٌ ومجاز ولفظٌ ورسمٌ، واعتبارُ كلٍّ منها جائز، وكلٌّ من العلماء اعتبر أحد الجوائز.

فصل

وتقدّم عن ابن عباس عدُّ حروفه، وفيه أقوال أُخَر، والاشتغال باستيعاب ذلك مما لا طائل تحته، وقد استوعبه ابن الجوزي في «**فنون الأفنان**»، وعدّ الأنصاف والأثلاث إلى الأعشار، وأوْسعَ القول في ذلك، فراجِعْهُ منه، فإن كتابنا موضوع للمهمات، لا لمثل هذه البطالات!!

وقد قال السخاوي: لا أعلَمُ لعدد الكلمات والحروف من فائدة، لأن ذلك إن أفاد فإنما يفيد في كتابٍ يمكن فيه الزيادة والنقصان، والقرآن لا يمكن فيه ذلك.

ومن الأحاديث في اعتبار الحروف: ما أخرجه الترمذي [٢٩١٠ وحسّنه] عن ابن مسعود مرفوعاً: «**مَن قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنةٌ، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**».

وأخرج الطبراني [في «الأوسط»: ٦٦١٢]: عن عمر بن الخطاب مرفوعاً: «**القرآن ألفُ ألف حرفٍ، فمن قرأه صابراً محتسِباً كان له بكل حرف زوجةٌ من الحُور العين**». رجاله ثقات إلّا شيخ الطبراني محمد بن عُبيد بن آدم بن أبي إياس، تكلّم فيه الذّهبي لهذا الحديث. وقد حُمل ذلك على ما نُسِخ رسمه من القرآن أيضاً، إذ الموجود الآن لا يبلغ هذا العدد.

فائدة: قال بعض القراء: القرآن العظيم له أنصاف باعتبارات، فنصفه بالحروف (النون) من ﴿نُكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤] في الكهف، و(الكاف) من النصف الثاني.

ونصفه بالكلمات (الدَّال) من قوله: ﴿وَالْجُلُودُ﴾ في الحج [٢٠]، وقوله: ﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ﴾ من النصف الثاني [الحج: ٢١].

ونصفه بالآيات ﴿يَأْفِكُونَ﴾ من سورة الشعراء، وقوله: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ﴾ [الشعراء: ٤٥ ـ ٤٦] من النصف الثاني.

ونصفه على عدد السور آخر الحديد، والمجادلة من النصف الثاني.

وهو عشرة بالأحزاب.

وقيل: إنَّ النِّصف بالحروف (الكاف) من ﴿نُّكْرًا﴾. وقيل: (الفاء) من قوله: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ [الكهف: ١٩].

النوع العشرون

في معرفة حُفَّاظه ورِوَاياته

روى البخاريّ [٤٩٩٩] عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعتُ النبيّ ﷺ يقول: «**خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأُبيّ بن كعب**» [ومسلم: ٦٣٣٤، وأحمد: ٦٥٢٣]، أي: تعلَّموا منهم.

والأربعة المذكورون: اثنان من المهاجرين وهما المبتدأ بهما، واثنان من الأنصار.

وسالم، هو: ابن معقل مولَى أبي حذيفة، ومُعاذ، هو: ابن جَبَل.

قال الكَرْمَاني: يحتمل أنه ﷺ أراد الإعلام بما يكون بعده؛ أي: إنَّ هؤلاء الأربعة يَبْقَوْن حتى ينفردوا بذلك.

وتُعُقِّب بأنَّهم لم ينفردوا، بل الذين مَهَرُوا في تجويد القرآن بعد العصر النبويّ أضعافُ المذكورين، وقد قُتل سالم مولى أبي حُذيفة في وقعة اليمامة، ومات مُعاذ في خلافة عمر، ومات أُبيّ وابن مسعود في خلافة عثمان، وقد تأخَّر زيدُ بن ثابت، وانتهت إليه الرياسةُ في القراءة، وعاش بعدهم زمناً طويلاً، **فالظاهر**: أنه أمَر بالأخذ عنهم في الوقت الذي صدَر فيه ذلك القولُ، ولا يلزم من ذلك ألَّا يكون أحد في ذلك الوقت شاركهم في حفظ القرآن، بل كان الذين يحفظون مثل الذي حفظوه وأزيد جماعة من الصحابة. وفي الصحيح في غزوة بئر معونة: أنَّ الذين قُتلوا بها من الصحابة كان يقال لهم: القرَّاء، وكانوا سبعين رجلاً [البخاري: ٤٠٨٩، ومسلم: ٤٩١٧، وأحمد: ١٢٠٦٤].

وروى البخاري [٣٨١٠] أيضاً عن قتادة قال: سألتُ أنس بنَ مالك: مَن جمع القرآنَ على عهد رسول الله ﷺ؟ فقال: أربعة كلُّهم من الأنصار: أُبيّ بنُ كعب، ومُعاذ بنُ جبل، وزيد بنُ ثابت، وأبو زيد، قلت: مَنْ أبو زيد؟ قال: أحدُ عُمُومتي [ومسلم: ٦٣٤٠، وأحمد: ١٣٤٤١].

وروى أيضاً من طريقِ ثابتٍ، عن أنس قال: مات النبي ﷺ، ولم يَجمعِ القرآنَ غيرُ أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بنُ جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد [البخاري: ٥٠٠٣، ومسلم: ٦٣٤١، وأحمد: ١٣٩٤٢].

وفيه مخالفة لحديث قتادة من وجهين: أحدهما: التصريح بصيغة الحصر في الأربعة، والآخر: ذِكر أبي الدرداء بدل أُبيّ بن كعب، وقد استنكر جماعةٌ من الأئمّة الحصرَ في الأربعة.

وقال المازريّ[1]: لا يلزم من قول أنس: (لم يجمعه غيرهم) أن يكون الواقع في نفس الأمر كذلك؛ لأنَّ التقدير أنه لا يعلم أنَّ سواهم جَمَعَه، وإلَّا فكيف الإحاطة بذلك مع كثرة الصحابة،

---

(١) المازري: محمد بن علي، محدث، من فقهاء المالكية، له: المعلم بفوائد مسلم (ت: ٥٣٦ هـ). «تاريخ حكماء الإسلام» ١٦٩.

وتفرُّقهم في البلاد؟ وهذا لا يتم إلا إن كان لقي كلَّ واحد منهم على انفراده، وأخبره عن نفسه أنَّه لم يكمُل له جمعٌ في عهدِ النبي ﷺ، وهذا في غاية البعد في العادة، وإذا كان المرجعُ إلى ما في علمه لم يلزم أن يكون الواقع كذلك.

قال: وقد تمسّك بقول أنس هذا جماعةٌ من الملاحدة، ولا متمسَّك لهم فيه؛ فإنّا لا نسلم حملَه على ظاهره، سلمناه، ولكن من أين لهم أن الواقع في نفس الأمر كذلك سلمناه، لكن لا يلزم من كون كلٍّ من الجمّ الغفير لم يحفظه كلَّه ألا يكون حفظ مجموعَهُ الجمُّ الغفير، وليس من شرط التواتر أن يحفظ كلُّ فرد جميعَه، بل إذا حفظ الكلّ ولو على التوزيع كفى.

وقال القرطبي: قد قتِل يوم اليمامة سبعون من القراء، وقتِل في عهد النبي ﷺ ببئر معونة مثل هذا العدد. قال: وإنَّما خَصَّ أنس الأربعة بالذكر لشدَّة تعلقه بهم دون غيرهم، أو: لكونهم كانوا في ذهنه دون غيرهم.

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: الجواب عن حديث أنس من أوجه:

أحدها: أنَّه لا مفهوم له، فلا يلزم ألَّا يكون غيرهم جَمَعه.

الثاني: المراد لم يجمعه على جميع الوجوه والقراءات التي نزل بها إلَّا أولئك.

الثالث: لم يجمع ما نُسِخ منه بعد تلاوته وما لم يُنسَخ إلَّا أولئك.

الرابع: أن المراد بجمعه تلقِّيه مِن في رسول الله ﷺ لا بواسطة، بخلاف غيرهم، فيحتمل أن يكون تلقَّى بعضَه بالواسطة.

الخامس: أنهم تَصَدوا لإلقائه وتعليمه، فاشتهروا به، وخفيَ حالُ غيرهم عمن عرف حالَهم، فحصر ذلك فيهم بحسب علمه، وليس بالأمر في نفس الأمر كذلك.

السادس: المراد بالجمع الكتابةُ، فلا ينفي أنْ يكون غيرهم جمعه حفظاً عن ظهر قلبه، وأما هؤلاء فجمعوه كتابةً، وحفِظوه عن ظهر قلب.

السابع: المراد أن أحداً لم يُفْصِح بأنه جمعه ـ بمعنى أكمَل حفظَه ـ في عهد رسول الله ﷺ إلَّا أولئك، بخلاف غيرهم، فلم يُفصح بذلك؛ لأنَّ أحداً منهم لم يكمِله إلَّا عند وفاة رسول الله ﷺ حين نزلت آخر آية؛ فلعلَّ هذه الآية الأخيرة وما أشبهها ما حضرها إلَّا أولئك الأربعة ممَّن جمع جميع القرآن قبلها، وإن كان قد حضرها مَنْ لم يجمع غيرها الجمعَ الكثير.

الثامن: أن المراد بجمعه السمع والطاعة له، والعمل بموجبه، وقد أخرج أحمد في «**الزهد**»[1] من طريق أبي الزاهريّة، أنَّ رجلاً أتى أبا الدرداء، فقال: إن ابني جمع القرآن، فقال: اللهمَّ غَفْراً، إنما جمعَ القرآنَ مَنْ سمع له وأطاعَ.

قال ابن حجر[2]: وفي غالب هذه الاحتمالات تكلُّفٌ، لا سيما الأخير. قال: وقد ظهر لي

---

(١) «الزهد» ص ٢١٩ في زهد علي بن الحسين.
(٢) «فتح الباري» كتاب فضائل القرآن ١٠/ ٤٤ ـ ٤٥ (٥٠٠٥).

احتمال آخر، وهو أنَّ المراد إثبات ذلك للخزرج دون الأوس فقط، فلا ينفي ذلك عن غير القبيلتين من المهاجرين؛ لأنه قال ذلك في معرِض المفاخرة بين الأوس والخزرج، كما أخرجه ابن جرير من طريق سعيد بن أبي عَرُوبة، عن قتادة، عن أنس قال: افتخر الحيَّان: الأوس والخزرجُ، فقال الأوس: منَّا أربعة: من اهتزَّ له العرشُ سعدُ بن معاذ، ومن عَدلت شهادتُه شهادةَ رجلين خزيمة بن ثابت، ومَن غسَّلته الملائكة حنظلةُ بن أبي عامر، ومَنْ حَمَتْه الدَّبْرُ عاصمُ بن أبي ثابت. فقال الخزرج: منَّا أربعة جَمعوا القرآن لم يجمعه غيرُهم...، فذكرهم.

قال: والذي يظهر من كثير من الأحاديث أنَّ أبا بكر كان يحفظ القرآن في حياة رسول الله ﷺ، ففي الصَّحيح: أنَّه بنى مسجداً بفِناء داره، فكان يقرأُ فيه القرآن [البخاري: ٣٩٠٥]. وهو محمولٌ على ما كان نزل منه إذ ذاك.

قال: وهذا ممَّا لا يُرتاب فيه مع شدَّة حرص أبي بكر على تلقِّي القرآن من النبيّ ﷺ وفراغ بالهِ لهُ وهما بمكة، وكثرة ملازمة كلٍّ منهما للآخر، حتى قالت عائشة: إنَّه ﷺ كان يأْتيهم بُكرة وعشيًّا. وقد صح حديث: «**يؤمُّ القومَ أقرؤُهم لكتاب الله**» [مسلم: ١٥٣٢]. وقد قدَّمه ﷺ في مرضه إماماً للمهاجرين والأنصار [البخاري: ٦٨٧، ومسلم: ٩٣٦، وأحمد: ٢٦١٣٧]. فدلَّ على أنَّه كان أقرأهم. انتهى.

وسبقه إلى نحو ذلك ابنُ كثير.

قلت: لكن أخرج ابن أشته في «**المصاحف**» وبسند صحيح عن محمد بن سيرين قال: مات أبو بكر ولم يَجمع القرآن، وقُتِل عمر ولم يَجمع القرآن. قال ابن أَشته: قال بعضهم: يعني لم يقرأْ جميع القرآن حفظاً، وقال بعضهم: هو جمع المصاحف.

قال ابن حجر: وقد ورد عن عليّ أنه جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبيّ ﷺ. أخرجه ابن أبي داود[1].

وأخرجه النَّسائي [في «الكبرى»: ٢٧١١] بسند صحيح عن عبد الله بن عَمرٍو، قال: وجمعتُ القرآن، فقرأت به كلّ ليلة، فبلغ النبيَّ ﷺ فقال: «**اقرأْه في شهر...**» الحديثَ.

وأخرج ابن أبي داود[2] بسندٍ حسن عن محمد بن كعب القُرظيّ قال: جَمعَ القرآنَ على عهد رسول الله ﷺ خمسةٌ من الأنصار: معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأُبيّ بن كعب، وأبو الدرداء، وأبو أَيُّوب الأنصاريّ.

وأخرج البيهقيّ في «**المدخل**» عن ابن سيرين قال: جَمع القرآنَ على عهد رسول الله ﷺ أربعةٌ، لا يُختلف فيهم: مُعاذ بن جَبَل، وأُبيّ بن كعب، وزيد، وأبو زيد، واختلفوا في رجلين من ثلاثة: أبي الدرداء وعثمان. وقيل: عثمان، وتميم الدَّاريّ.

---

(١) في «المصاحف» ص ١٦.

(٢) في «المصاحف» ص ٢٨.

وأخرج هو وابن أبي داود[١] عن الشعبيّ قال: جَمع القرآنَ في عهد النبيّ ﷺ ستةٌ: أُبي، وزيد، ومُعاذ، وأبو الدرداء، وسعد بن عُبيد، وأبو زيد، ومجمّع بن جارية، قد أخذه إلّا سورتين أو ثلاثة.

وقد ذكر أبو عُبيد في «**القراءات**» القرّاءَ من أصحاب النبيّ ﷺ، فعدَّ من المهاجرين: الخلفاء الأربعة، وطلحةَ وسعداً، وابنَ مسعود وحذيفة وسالماً وأبا هريرة، وعبد الله بن السائب، والعبادلة وعائشة وحفصة وأُمَّ سلمة. ومن الأنصار: عبادة بن الصامت ومُعاذاً الذي يكنى أبا حليمة، ومجمّع بن جارية، وفَضَالة بن عُبيد، ومَسْلَمة بن مَخْلَد. وصرَّح بأن بعضهم إنَّما أكمله بعد النبيّ ﷺ، فلا يرد على الحَصْرِ المذكور في حديث أنس، وعدَّ ابنُ أبي داود منهم تميماً الداري وعُقبة بنَ عامر.

وممَّن جمعه أيضاً أبو موسى الأشعريّ، ذكره أبو عمرو الدانيّ.

تنبيه: أبو زيد المذكور في حديث أنس، اختُلف في اسمه، فقيل: سعد بن عُبيد بن النعمان، أحد بني عمرو بن عوف، ورُدّ بأنّه أوسيّ وأنس خزرجيّ. وقد قال: إنَّه أحد عمومته، وبأن الشعبيّ عدَّه هو وأبو زيد جميعاً فيمن جَمَع القرآن كما تقدم، فدلَّ على أنه غيره.

وقال أبو أحمد العسكريّ: لم يجمَع القرآن من الأوس غيرُ سعد بن عُبيد. وقال ابن حبيب في «**المحبر**»[٢]: سعد بن عُبيد أحدُ مَنْ جمع القرآن على عهد النبي ﷺ.

وقال ابن حجر[٣]: قد ذكر ابن أبي داود ـ فيمن جمع القرآن ـ قيسَ بن أبي صَعْصَعَة، وهو خزرجيّ يكنى أبا زيد فلعلَّه هو. وذكر أيضاً سعد بن المنذر بن أوس بن زهير، وهو خزرجيّ، لكن لم أرَ التَّصريح بأنه يكنى أبا زيد.

قال: ثم وجدتُ عن ابن أبي داود ما رفع الإشكال، فإنَّه روى بإسناد على شرط البخاريّ إلى ثمامة، عن أَنس: أَنَّ أبا زيد الذي جمع القرآن اسمُهُ قيسُ بنُ السَّكَن. قال: وكان رجلاً منَّا من بني عديّ بن النجار أحد عمومتي، وماتَ ولم يَدَعْ عَقِباً، ونحن ورثناه.

قال ابنُ أبي داود: حدَّثنا أنس بن خالد الأنصاريّ قال: هو قيس بن السَّكَن بن زعوراء من بني عديّ بن النجار. قال ابن أبي داود: مات قريباً من وفاة الرسول ﷺ فذهب عِلمه، ولم يؤخَذ عنه، وكان عَقَبيّاً بدريّاً. ومن الأقوال في اسمه: ثابت وأَوْس ومُعاذ.

فائدة: ظفرتُ بامرأة من الصحابيَّات جمعت القرآن، لم يَعُدَّها أَحدٌ ممَّن تكلَّم في ذلك، فأخرج ابن سعد في «**الطبقات**»[٤]: أنبأنا الفضل بن دُكين قال: حدَّثنا الوليد بن عبد الله بن جَميع قال: حدَّثتني جدَّتي، عن أُمّ ورقة بنت عبد الله بن الحارث ـ وكان رسول الله ﷺ يزورها، ويسمِّيها الشهيدةَ، وكانت قد جمعتِ القرآنَ ـ أَنَّ رسول الله ﷺ حين غزا بدراً قالت له: أَتأْذن لي فأخرجَ معك أداوي جَرْحَاكم وأمرِّضُ مرضاكم، لعلّ الله يهدي لي شهادةً؟ قال: «**إن الله مُهْدٍ لكِ شهادةً**».

---

(١) في «المصاحف» ص ٣٠.

(٢) «المحبّر» لأبي جعفر محمد بن حبيب الإخباري ص ٢٨٦.

(٣) في «فتح الباري» كتاب فضائل القرآن ١٠/ ٤٦ (٥٠٠٥).

(٤) «طبقات ابن سعد» ٨/ ٤٥٧، أم ورقة بنت عبد الله.

وكان ﷺ قد أمَرَها أن تؤمَّ أهلَ دارها، وكان لها مؤذِّن، فغمَّها غلامٌ لها وجاريةٌ كانت دبَّرتهما، فقتلاها في إمارة عمر، فقال عمر: صَدَق رسولُ الله ﷺ، كان يقول: «**انطلقوا بنا نزورُ الشهيدة**».

فصل: المشتهرون بإقراء القرآن من الصحابة سبعة: عثمان، وعليّ، وأُبيّ، وزيد بن ثابت، وابن مسعود، وأبو الدَّرداء، وأبو موسى الأشعريّ. كذا ذكرهم الذهبيّ في «**طبقات القراء**»[1]. قال: وقد قرأ على أبيّ جماعةٌ من الصَّحابة، منهم أبو هريرة وابنُ عباس وعبد الله بن السائب، وأخذ ابنُ عباس عن زيدٍ أيضاً، وأخذ عنهم خَلْق من التابعين.

فممّن كان **بالمدينة**: ابن المسيَّب، وعروة، وسالم، وعمر بن عبد العزيز، وسليمان وعطاء ابنا يسار، ومُعاذ بن الحارث المعروف بمعاذ القارئ، وعبد الرحمن بن هُرمز الأعرج، وابن شهاب الزهريّ، ومسلم بن جُندَب، وزيد بن أسلم.

وبمكة: عُبيد بن عُمير، وعطاء بن أبي رباح، وطاوس، ومجاهد، وعِكْرمة، وابن أبي مُلَيكة.

وبالكوفة: علقمة، والأسود، ومسروق، وعَبيدة، وعمرو بن شرحبيل، والحارث بن قيس، والرَّبيع بن خُثَيْم، وعمرو بن ميمون، وأبو عبد الرحمن السُّلَمِيّ، وزرّ بن حُبَيش، وعُبيد بن نُضَيلة، وسعيد بن جُبير، والنَّخعيّ، والشَّعبيّ.

وبالبصرة: أبو العالية، وأبو رجاء، ونصر بن عاصم، ويحيى بن يَعمُر، والحسن، وابن سيرين، وقتادة.

وبالشام: المغيرة بن أبي شهاب المخزوميّ صاحب عثمان، وخليفة بن سعد صاحب أبي الدرداء.

ثم تجرَّد قوم، واعتنوا بضبط القراءة أتمَّ عنايةٍ، حتى صاروا أئِمَّةً يُقتَدى بهم ويُرحَل إليهم.

فكان **بالمدينة**: أبو جعفر يزيد بن القعقاع، ثم شيبة بن نَصَاح، ثم نافع بن أبي نُعيم.

وبمكة: عبد الله بن كَثير، وحميد بن قيس الأعرج، ومحمد بن مُحيصِن.

وبالكوفة: يحيى بن وثَّاب، وعاصم بن أبي النَّجُود، وسليمان الأعمش، ثم حمزة، ثم الكسائي.

وبالبصرة: عبد الله بن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر، وأبو عمرو بن العلاء، وعاصم الجَحْدَريّ، ثم يعقوب الحضْرَميّ.

وبالشام: عبد الله بن عامر، وعطيّة بن قيس الكُلابيّ، وإسماعيل بن عبد الله بن المهاجر، ثمَّ يحيى بن الحارث الذماريّ، ثمَّ شُريح بن يزيد الحضرميّ.

واشتهر من هؤلاء في الآفاق الأئمةُ السبعة:

نافع، وقد أخذ عن سبعين من التابعين، منهم أبو جعفر.

وابن كثير، وأخذ عن عبد الله بن السائب الصحابيّ.

---

(١) «معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار» تح: شعيب الأرناؤوط، وبشار عوَّاد معروف ١/ ٢٤ و٤٤ و٤٥ ط مؤسسة الرسالة.

وأبو عمرو، وأخذ عن التابعين.

وابن عامر، وأخذ عن أبي الدَّرداء، وأصحابِ عثمان.

وعاصم، وأخذ عن التابعين.

وحمزة، وأخذ عن عاصم والأعمش والسَّبيعيّ ومنصور بن المعتمِر وغيره.

والكِسَائي، وأخذ عن حمزة وأبي بكر بن عيَّاش.

ثم انتشرت القراءات في الأقطار، وتفرَّقوا أُمماً بعد أُمم، واشتهر من رواة كلّ طريق من طرق السبعة راويان.

فعن نافع: قالون وورش، عنه.

وعن ابن كثير: قُنْبل والبزّي، عن أصحابه، عنه.

وعن أبي عَمْرو: الدوري والسّوسيّ، عن اليزيديّ، عنه.

وعن ابن عامر: هشام وابن ذَكْوان عن أصحابه، عنه.

وعن عاصم: أبو بكر بن عيَّاش، وحفص، عنه.

وعن حمزة: خَلَف وخلَّاد، عن سليم، عنه.

وعن الكسائي: الدُّوري، وأبو الحارث.

ثم لمَّا اتَّسع الخَرْق وكاد الباطل يلتبس بالحق، قام جهابذة الأمة، وبالغوا في الاجتهاد، وجمعوا الحروف والقراءات، وعزَوا الوجوه والروايات، وميَّزوا الصحيح والمشهور والشاذّ بأُصولٍ أصَّلوها، وأركان فصَّلوها.

فأوَّل مَن صَنَّف في القراءات: أبو عُبيد القاسم بن سلَّام، ثم أحمد بن جُبَير الكوفيّ، ثم إسماعيل بن إسحاق المالكيّ صاحب قالون، ثم أبو جعفر بن جرير الطبري، ثم أبو بكر محمد بن أحمد بن عمر الداجوني، ثم أبو بكر بن مجاهد، ثم قام الناس في عصره وبعده بالتأليف في أنواعها، جامعاً ومفرداً، وموجزاً ومسهباً، وأئمة القراءات لا تحصى.

وقد صنف طبقاتهم حافظُ الإسلام أبو عبد الله الذهبي، ثم حافظُ القراءات أبو الخير ابن الجزري.

النوع الحادي والعشرون

في معرفة العالي والنازل من أسانيده

اعلم أن طلب علوّ الإسناد سنَّة؛ فإنّه قربٌ إلى الله تعالى[(١)]؛ وقد قسَّمه أهل الحديث إلى خمسة أقسام ورأيتها تأتي هنا:

الأول: القرب من رسول الله ﷺ من حيث العَددُ بإسناد نظيف غيرِ ضعيف، وهو أفضل أنواع العلوّ وأجلُّها.

وأعلى ما يقع للشيوخ في هذا الزمان إسنادٌ رجالُهُ أربعةَ عشرَ رجلاً، وإنما يقع ذلك من قراءة ابن عامر من رواية ابن ذَكْوان.

ثم خمسة عشر، وإنما يقع ذلك من قراءة عاصم من رواية حَفْص، وقراءة يعقوب من رواية رُوَيْس.

الثاني: من أقسام العلوّ عند المحدِّثين: القرب إلى إمام من أئمة الحديث، كالأعمش وهُشيم وابن جُريج والأوزاعيّ ومالك. ونظيره هنا القرب إلى إمام من الأئمة السبعة. فأعلى ما يقع اليوم للشيوخ بالإسناد المتَّصل بالتلاوة إلى نافع: اثنا عشر، وإلى ابن عامر: اثنا عشر.

الثالث: عند المحدِّثين: العلوّ بالنسبة إلى رواية أحد الكتب السِتَّة؛ بأن يروي حديثاً لو رواه من طريق كتاب من السِّتة وقع أنزلَ ممَّا لو رواه من غير طريقها، ونظيره هنا العلوُّ بالنسبة إلى بعض الكتب المشهورة في القراءات، كـ«**التيسير**» و«**الشاطبية**». ويقع في هذا النوع الموافقاتُ، والإبدال، والمساواة، والمصافحات.

فالموافقة: أن تجتمع طريقه مع أحد أصحاب الكتب في شيخه، وقد يكون مع علوٍّ على ما لو رواه من طريقه، وقد لا يكون.

مثاله في هذا الفنّ: قراءة ابن كثير رواية البزِّيّ، طريق ابن بنانٍ عن أبي ربيعة عنه، يرويها ابن الجزريّ من كتاب «**المفتاح**» لأبي منصور محمد بن عبد الملك بن خَيْرون، ومن كتاب «**المصباح**» لأبي الكرم الشهرزوريّ، وقرأ بها كلٌّ من المذكورين على عبد السيد بن عتاب. فروايته لها من أحد الطريقين، تسمَّى موافقة للآخر، باصطلاح أهل الحديث.

والبدل: أن يجتمع معه في شيخ شيخه فصاعداً، وقد يكون أيضاً بعلوّ وقد لا يكون.

مثاله هنا: قراءة أبي عمرو، رواية الدُّوريّ، طريق ابن مجاهد، عن أبي الزَّعراء عنه. رواه ابن الجَزرِيّ من كتاب «**التيسير**»، قرأ بها الدَّاني على أبي القاسم عبد العزيز بن جعفر البغداديّ، وقرأ

---

(١) قال المحدث محمد بن أسلم الطوسي شيخ العراق (ت: ٢٤٢ هـ): قربُ الإسناد قربٌ أو قُرْبَةٌ إلى الله تعالى. انظر «قواعد التحديث» للشيخ القاسمي رحمه الله تعالى ص ٣٤١ بتحقيقنا.

أبو القاسم بها على أبي طاهر عن ابن مجاهد. ومن «**المصباح**» قرأ بها أبو الكرم على أبي القاسم يحيى بن أحمد السَّبتي، وقرأ بها يحيى على أبي الحسن الحمّاميّ، وقرأ أبو الحسن على أبي طاهر، فروايته لها من طريق «**المصباح**» تسمَّى بدلاً للدَّاني في شيخ شيخه.

والمساواة: أن يكون بين الراوي والنبي ﷺ أو الصَّحابي أو مَنْ دُونه، إلى شيخ أحد أصحاب الكتب، كما بين أحد أصحاب الكتب والنبي ﷺ أو الصّحابي أو مَنْ دونه، على ما ذكر من العدد.

والمصافحة: أن يكون أكثر عدداً منه بواحد؛ فكأنه لَقِيَ صاحبَ ذلك الكتاب، وصافَحَهُ، وأخذ عنه.

مثاله قراءة نافع؛ رواها الشاطبيُّ عن أبي عبد الله محمد بن عليّ النّفريّ، عن أبي عبد الله بن غلام الفرس، عن سليمان بن نجاح وغيره، عن أبي عمرو الداني، عن أبي الفتح فارس بن أحمد، عن عبد الباقي بن الحسن، عن إبراهيم، عن عمر المقرئ، عن أبي الحسن بن بويان، عن أبي بكر بن الأشعث، عن أبي جعفر الرَّبَعِيّ المعروف بأبي نشيط، عن قالون، عن نافع.

ورواها ابن الجزريّ: عن أبي بكر الخياط عن أبي محمد البغداديّ وغيره، عن الصائغ، عن الكمال بن فارس، عن أبي اليُمْنِ الكندي، عن أبي القاسم هبة الله بن أحمد الحريري، عن الفَرَضيّ، عن ابن بُويان.

فهذه مساواة لابن الجزريّ؛ لأن بينه وبين ابن بويان سبعة، وهو العدد الذي بين الشاطبيّ وبينه، وهي لمن أخذ عن ابن الجزري مصافحة للشاطبيّ.

ومما يشبه هذا التقسيم الذي لأهل الحديث؛ تقسيم القرّاء أحوال الإسناد إلى قراءة ورواية وطريق ووجهٍ. فالخلاف: إن كان لأحد الأئمة السبعة أو العشرة أو نحوهم، واتفقت عليه الروايات والطرق عنه، فهو قراءة. وإن كان للراوي عنه فرواية. أو لمن بعده فنازلاً فطريق. أَوْ لا على هذه الصفة مما هو راجع إلى تخيير القارئ فيه، فوجه.

الرابع: من أقسام العلوّ: تقدُّم وفاة الشيخ عن قرينه الذي أخذ عن شيخه، فالآخذ مثلاً عن التاج بن مكتوم أعلَى من الآخذ عن أبي المعالي بن اللَّبّان، وعن ابن اللَّبّان أعلَى من البرهان الشاميّ، وإن اشتركوا في الأخذ عن أبي حيّان، لتقدم وفاة الأوَّل على الثاني، والثاني على الثالث.

الخامس: العلوّ بموت الشيخ لا مع التفاتٍ لأمرٍ آخر، أو شيخٍ آخرَ متى يكون.

قال بعض المحدِّثين: يوصف الإسناد بالعلوّ إذا مضى عليه من موت الشيخ خمسون سنة. وقال ابن منده: ثلاثون.

فعلى هذا، الأخذ عن أصحاب ابن الجزريّ عالٍ من سنة ثلاث وستين وثمانمئة؛ لأنَّ ابنَ الجزري آخرُ مَنْ كان سندُهُ عالياً، ومضَى عليه حينئذ من موته ثلاثون سنة.

فهذا ما حرَّرته من قواعد الحديث، وخرَّجت عليه قواعد القراءات، **ولم أُسبَق إليه ولله الحمد والمنة.**

وإذا عرفت العلوّ بأقسامه، عرفت النزول، فإنه ضدُّه، وحيث ذم النزول فهو ما لم ينجبر بكون رجاله أعلمَ وأحفظَ، وأتقنَ أَو أجلَّ أَو أشهرَ أو أورع، أما إذا كان كذلك فليس بمذموم ولا مفضول.

النوع الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والعشرون

معرفة المتواتر والمشهور والآحاد والشاذ والموضوع والمُدْرَج

اعلم أن القاضي جلال الدين البُلقينيّ قال: القراءة تنقسم إلى متواتر وآحاد وشاذّ.

فالمتواتر: القراءات السبعة المشهورة.

والآحاد: قراءات الثلاثة التي هي تَمام العشر، ويلحق بها قراءة الصحابة.

والشاذّ: قراءات التابعين، كالأعمش ويحيى بن وثّاب، وابن جُبير، ونحوهم.

وهذا الكلام فيه نظرٌ يُعرَف ممّا سنذكره.

وأحسنُ مَنْ تكلَّم في هذا النوع إمام القراء في زمانه شيخ شيوخنا أبو الخير ابن الجزريّ، قال في أوَّل كتابه «**النشر**»[١]: كلُّ قراءةٍ وافقت العربيَّةَ ولو بوجه، ووافقتْ أحدَ المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصحَّ سندُها، فهي القراءةُ الصحيحةُ التي لا يجوز ردُّها، ولا يَحِلُّ إنكارُها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآنُ، ووجَبَ على الناس قبولها؛ سواء كانت عن الأئمة السبعة، أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختلَّ ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلِق عليها ضعيفة أو شاذّة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أو عمَّن هو أكبرُ منهم.

هذا هو الصَّحيح عند أئمة التحقيق من السَّلف والخلف، صرَّح بذلك الدانيّ ومكيّ والمهدويّ، وأبو شامة، وهو مذهب السَّلف الذي لا يعرف عن أحدٍ منهم خلافُه.

قال أبو شامة في «**المرشد الوجيز**»[٢]: لا ينبغي أن يُغترّ بكل قراءة تُعْزَى إلى أحد السبعة ويطلق عليها لفظ الصحة، وأنها أنزلت هكذا، إلَّا إذا دخلت في ذلك الضابط. وحينئذ لا ينفرد بنقلها مصنِّف عن غيره، ولا يختصُّ ذلك بنقلها عنهم، بل إن نقلت عن غيرهم من القرَّاء، فذلك لا يخرجها عن الصحَّة، فإن الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف، لا على مَن تنسب إليه؛ فإنَّ القراءة المنسوبة إلى كل قارئٍ من السبعة وغيرهم منقسمة إلى المجمَع عليه والشاذّ، غير أنَّ هؤلاء السبعةَ لشهرتهم وكثرة الصحيح المجمَع عليه في قراءتهم تركَنُ النفسُ إلى ما نقل عنهم فوق ما ينقل عن غيرهم.

ثم قال ابنُ الجزريّ[٣]: فقولنا في الضَّابط: (ولو بوجه)، نريد به وجهاً من وجوه النحو، سواء

(١) «النشر في القراءات العشر» ١/ ٩.
(٢) «المرشد الوجيز» ص ١٥٨ و ١٦٣.
(٣) في «النشر» ١/ ١٠.

كان أفصحَ أم فصيحاً، مُجمَعاً عليه أم مختلَفاً فيه اختلافاً لا يَضُرُّ مثله، إذا كانت القراءات مما شاع وذاع، وتلقّاه الأئمة بالإسناد الصحيح؛ إذ هو الأصلُ الأعظم، والركنُ الأقوم. وكم من قراءةٍ أنكرها بعضُ أهل النَّحو أو كثيرٌ منهم؛ ولم يُعتبر إنكارهم، كإسكان: ﴿بَارِيِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]، و﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ [البقرة: ٦٧]، وخفض: ﴿وَالْأَرْحَامِ﴾ [النساء: ١]، ونصب: ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا﴾ [الجاثية: ١٤]، والفصل بين المضافين في: ﴿قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٧]. وغير ذلك.

قال الدّانيّ: وأئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصحّ في النقل، وإذا ثبتت الرواية لم يردّها قياس عربية ولا فشوّ لغة؛ لأنَّ القراءة سنة متَّبعة، يلزم قبولها والمصيرُ إليها.

قلت: أخرج سعيد بن منصور في «سننه»، عن زيد بن ثابت قال: القراءة سنّة متّبعة.

قال البيهقي: أراد أنَّ اتِّباع مَن قبلنا في الحروف سنَّة متَّبعة، لا يجوز مخالفة المصحف الذي هو إمام، ولا مخالفة القراءات التي هي مشهورة، وإن كان غير ذلك سائغاً في اللغة أو أظهرَ منها.

ثم قال ابن الجزري[1]: ونعني بموافقة أحد المصاحف ما كان ثابتاً في بعضها دون بعض؛ كقراءة ابن عامر: (قالوا اتخذ الله ولداً) في البقرة [١٦٦]. بغير واو، و(بالزبر وبالكتاب) [آل عمران: ١٨٤]. بإثبات الباء فيهما؛ فإنَّ ذلك ثابت في المصحف الشاميّ، وكقراءة ابن كثير: (تجري من تحتها الأنهار) [التوبة: ١٠٠] في آخر براءة بزيادة (من) فإنّه ثابت في المصحف المكيّ، ونحو ذلك، فإن لم تكن في شيء من المصاحف العثمانية فشاذّ، لمخالفتها الرسم المجمَع عليه.

وقولنا: (ولو احتمالاً) نعني به ما وافقه ولو تقديراً كـ(ملك يوم الدين)، فإنه كُتِب في الجميع بلا ألف، فقراءة الحذف توافقه تحقيقاً، وقراءة الألف توافقه تقديراً، لحذفها في الخطّ اختصاراً كما كُتِب: (ملك الملك) [آل عمران: ٢٦].

وقد يوافق اختلاف القراءات الرسم تحقيقاً، نحو ﴿تَعْلَمُونَ﴾ بالتاء والياء و﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ بالياء والنون، ونحو ذلك مما يدلُّ تجرُّده عن النقط والشكل في حذفه وإثباته على فضلٍ عظيمٍ للصحابة رضي الله عنهم في علم الهجاء خاصّة، وفهم ثاقب في تحقيق كل علم. وانظر كيف كتبوا (الصراط) بالصاد المبدلة من السين، وعدلوا عن السين التي هي الأصل لتكون قراءة السّين ـ وإن خالفت الرسم من وجه ـ قد أتت على الأصل، فيعتدلان، وتكون قراءة الإشمام محتملة، ولو كتب ذلك بالسين على الأصل لفات ذلك. وعُدّت قراءة غير السين مخالفة للرسم والأصل؛ ولذلك اختلف في: ﴿بَصْطَةً﴾ الأعراف [٦٩]، دون: ﴿بَسْطَةً﴾ البقرة [٢٤٧]؛ لكون حرف البقرة كتب بالسين والأعراف بالصاد، على أن مخالِفَ صريحِ الرسم في حرف مدغم أو مبدل أو ثابت أو محذوف أو نحو ذلك لا يعدُّ مخالفاً إذا ثبتت القراءة به، ووردت مشهورة مستفاضة؛ ولذا لم يعدُّوا إثبات ياء الزوائد، وحذف ياء: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي﴾ في الكهف

(١) في «النشر» ١/ ١١.

[٧٠] وواو: ﴿وأكون من الصالحين﴾ والظاء من ﴿بضنين﴾ [التكوير: ٢٤]. ونحوه من مخالفة الرسم المردودة، فإن الخلاف في ذلك مُغتَفَر، إذ هو قريب يرجع إلى معنى واحد، وتُمشِّيه صِحَّة القراءة وشهرتها وتلقيها بالقبول، بخلاف زيادة كلمة ونقصانها، وتقديمها وتأخيرها، حتى ولو كانت حرفاً واحداً من حروف المعاني، فإنَّ حكمه في حكم الكلمة، لا تسوغ مخالفة الرَّسم فيه. وهذا هو الحدُّ الفاصل في حقيقة اتباع الرَّسم ومخالفته.

قال: وقولنا: (وصحَّ إسنادها) نعني به أن يروي تلك القراءة العدلُ الضابط عن مثله، وهكذا حتى ينتهيَ، وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن، غيرَ معدودة عندهم من الغَلط، أو مما شذَّ بها بعضُهم.

قال: وقد شرَط بعضُ المتأخِّرين التَّواترَ في هذا الرُّكن، ولم يكتف بصحَّة السند، وزعم أنَّ القرآن لا يثبت إلَّا بالتواتر، وأن ما جاء مجيء الآحاد لا يثبت به قرآن.

قال: وهذا ممّا لا يخفَى ما فيه؛ فإنَّ التواتر إذا ثبت لا يحتاج فيه إلى الركنَيْن الأخيرَيْن من الرسم وغيره؛ إذ ما ثبت من أحرف الخلاف متواتراً عن النبيّ ﷺ وجب قبوله، وقُطِع بكونه قرآناً، سواء وافق الرسم أم لا. وإذا شرطنا التواتر في كلِّ حرف من حروف الخلاف انتفى كثيرٌ من أحرف الخلاف الثابت عن السبعة. وقد قال أبو شامة: شاع على ألسنة جماعة من المقرئين المتأخرين وغيرهم من المقلِّدين: أنَّ السبع كلَّها متواترة، أي: كلّ فردٍ فردٍ فيما روي عنهم.

قالوا: والقطع بأنها منزَّلة من عند الله واجب، ونحن بهذا نقول، ولكن فيما اجتمعت على نقله عنهم الطُّرق، واتَّفقت عليه الفِرَق من غير نكير له، فلا أقلّ من اشتراط ذلك إذا لم يتَّفق التواتر في بعضها.

وقال الجعبريّ: الشرط واحد، وهو صحَّة النقل، ويلزم الآخران، فمن أحكم معرفة حال النقلة وأمعن في العربية، وأتقن الرسم، انحلَّت له هذه الشبهة.

وقال مكيّ: ما روي في القرآن على ثلاثة أقسام:

قسم يُقرأُ به ويكفر جاحِدُه، وهو ما نقله الثِّقات، ووافق العربيةَ وخطَّ المصحف.

وقسم صحَّ نقله عن الآحاد، وصحَّ في العربية، وخالفَ لفظه الخطَّ فيُقبَل، ولا يُقرأ به لأمرين: مخالفته لما أُجْمِع عليه، وأنه لم يؤخذ بإجماع، بل بخبر الآحاد ولا يثبتُ به قرآن، ولا يكفر جاحِدُه، ولبئس ما صنع إذ جحده.

وقسم نقله ثقة، ولا وجْهَ له في العربية، أو نقله غير ثقة، فلا يُقبل وإن وافق الخطَّ.

وقال ابن الجزري[1]: مثال الأوّل كثير كـ﴿مَلِكِ﴾ و(ملك)، و﴿يَخْدَعُونَ﴾ و﴿يُخَادِعُونَ﴾. ومثال

---

(١) في «النشر» ١/ ١١ و١٤.

الثاني: قراءة ابن مسعود وغيره (والذَّكرِ والأنثى)[١] [البخاري: ٤٩٤٤، ومسلم نحوه: ١٩١٧، وأحمد: ٥٧٥٥٤]، وقراءة ابن عباس: (وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة) [إسناده ضعيف جدًا: الحاكم (٢/ ٢٤٤)]، ونحو ذلك.

قال: واختلف العلماء في القراءة بذلك، والأكثر على المنع؛ لأنها لم تَتواتر، وإن ثبتت بالنقل؛ فهي منسوخة بالعرْضة الأخيرة، أو بإجماع الصحابة على المصحف العثماني.

ومثال ما نقله غير ثقة كثيرٌ ممَّا في كتب الشواذِّ، ممَّا غالب إسناده ضعيف؛ وكالقراءة المنسوبة إلى الإمام أبي حنيفة التي جمعها أبو الفضل محمد بن جعفر الخُزاعيّ، ونقلها عنه أبو القاسم الهذليّ، ومنها: (إنما يخْشى اللهُ من عباده العلماءَ) برفع (اللهُ) ونصب (العلماء)، وقد كتب الدَّارقطني وجماعة بأنَّ هذا الكتاب موضوع، لا أصل له.

ومثال ما نقله ثقة ولا وَجهَ له في العربية قليل لا يكاد يوجد، وجعل بعضهم منه رواية خارجة عن نافع: (معائش) بالهمزة.

قال: وبقيَ **قسم رابع** مردود أيضاً، وهو ما وافق العربية والرسم، ولم ينقل البتَّة، فهذا ردُّه أحقُّ، ومنعُهُ أشدُّ، ومرتكِبه مرتكبٌ لعظيم من الكبائر، وقد ذُكر جواز ذلك عن أبي بكر بن مِقسَم، وعُقد له بسبب ذلك مجلسٌ وأجمعوا على منعه، ومن ثَمَّ امتنعت القراءةُ بالقياس المطلق الذي لا أصل له يُرجَع إليه، ولا ركن يُعتمد في الأداء عليه.

قال: أمَّا ما له أصل كذلك، فإنّه مما يصار إلى قبول القياس عليه كقياس إدغام: ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ [المائدة: ٢٣]. على: ﴿قَالَ رَبِّ﴾ [الشعراء: ٢٤]. ونحوه مما لا يخالف نصًّا ولا أصلاً، ولا يردّ إجماعاً، مع أنه قليل جدًّا.

قلت: أتقن الإمام ابن الجزريّ هذا الفصل جدًّا، وقد تحرّر لي منه أن القراءات أنواع:

الأول: المتواتر، وهو ما نقله جمْعٌ لا يمكن تواطؤهم على الكذب، عن مثلهم إلى منتهاه، وغالب القراءات كذلك.

الثاني: المشهور، وهو ما صَحَّ سَندُهُ ولم يبلُغْ درجة التَّواتر، ووافق العربيَّة والرسم، واشتهر عند القراء، فلم يَعُدُّوه من الغلط ولا من الشذوذ، ويُقرأ به، على ما ذكر ابن الجزريّ ويُفهمه كلام أبي شامة السابق.

ومثاله: ما اختلفت الطرق في نقله عن السبعة، فرواه بعضُ الرواة عنهم دون بعضٍ، وأمثلة ذلك

---

(١) والحديث: عن إبراهيم قال: قَدِمَ أصحابُ عبد الله على أبي الدرداء فطَلَبَهم فوَجَدَهم فقال: أيُّكم يقرأ: على قراءة عبد الله؟ قال: كلُّنا، قال: فأيُّكم يحفظ؟ وأشاروا إلى عَلْقمة، قال: كيف سمعتَهُ يقرأ: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١﴾؟ قال عَلْقمةُ: (والذكرِ والأنثى) قال: أشهدُ أني سمعتُ النبيَّ ﷺ يقرأ هكذا، وهؤلاء يُريدونني على أن أقرأ: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ واللهِ لا أتابعُهم.

كثيرة في فرش الحروف من كتب القراءات كالذي قبله، ومن أشهر ما صُنِّف في ذلك «**التيسير**» للداني، وقصيدة الشاطبيّ، و«**أوعية النشر في القراءات العشر**»، و«**تقريب النَّشر**»، كلاهما لابن الجزريّ.

الثالث: الآحاد، وهو ما صحَّ سنده وخالف الرَّسم أو العربية، أو لم يشتهر الاشتهار المذكور، ولا يُقرأ به، وقد عقد الترمذيُّ في «**جامعه**»(١)، والحاكم في «**مستدركه**» [(٢/ ٢٣٠)] لذلك باباً أخرجا فيه شيئاً كثيراً صحيح الإسناد؛ من ذلك ما أخرجه الحاكم من طريق عاصم الجحدريّ، عن أبي بكرة: أن النبيّ ﷺ قرأ: «متكئين على رفارف خُضْرٍ وعَبَاقِرِيٍّ حسان».

وأخرج من حديث أبي هريرة: أنه ﷺ قرأ: «فلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّاتِ أَعْيُنٍ».

وأخرج عن ابن عباس أنه ﷺ قرأ: «لقد جاءَكُم رَسُولٌ من أَنْفَسِكُم»؛ بفتح الفاء.

وأخرج عن عائشة: أنّه ﷺ قرأ: «فرُوحٌ ورَيْحانٌ» يعني بضم الراء.

الرابع: الشاذّ، وهو ما لم يصحّ سنده، وفيه كتبٌ مؤلفة، من ذلك قراءة: (مَلَكَ يومَ الدين) بصيغة الماضي، ونصب (يوم)، و: (إياك يُعبد) ببنائه للمفعول.

الخامس: الموضوع، كقراءات الخُزاعيّ.

وظهر لي **سادس** يشبهه من أنواع الحديث المدرَج؛ وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير، كقراءة سعد بن أبي وقاص: (وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ مِنْ أُمّ) أخرجها سعيد بن منصور.

وقراءة ابن عباس: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً من ربكمْ في مواسم الحج) أخرجها البخاري [٤٥١٩].

وقراءة ابن الزبير: (وَلْتَكُنْ منكم أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلى الخَيْرِ ويأْمُرُونَ بالمَعْرُوفِ ويَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ ويَسْتَعِينُونَ بالله على ما أصابهم) قال عمرو: فما أدري: أكانت قراءتَه أم فسَّر؟ أخرجه سعيد بن منصور، وأخرجه ابن الأنباري وجزم بأنه تفسير.

وأخرج عن الحسن أنه كان يقرأ: (وإنْ مِنْكُمْ إِلّا واردُها، الوُرُود الدُّخول). قال ابن الأنباريّ: قوله: (الورود الدخول) تفسير من الحسن لمعنى الورود. وغلط فيه بعض الرواة فألحقه بالقرآن.

قال ابن الجزريّ في آخر كلامه(٢): وربما كانوا يُدخلون التفسير في القراءة إيضاحاً وبياناً، لأنهم محقّقون لما تلقّوه عن النبي ﷺ قرآناً، فهم آمنون من الالتباس، وربَّما كان بعضُهم يكتبه معه.

وأما مَنْ يقول: إن بعضَ الصحابة كان يُجيز القراءة بالمعنى، فقد كذب. انتهى.

وسأُفرد في هذا النوع ـ أعني المدرج ـ تأليفاً مستقلّاً.

تنبيهات:

الأول: لا خلاف أنَّ كلّ ما هو من القرآن يجب أن يكون متواتراً في أصله وأجزائه، وأمَّا في

---

(١) كتاب القراءات، انظر الحديث (٢٩٢٩) و(٢٩٣٠) و(٢٩٣٨).

(٢) «النشر» ١/ ١٩.

محله ووضعه وترتيبه فكذلك عند محققي أهل السنَّة، للقطع بأنَّ العادة تقتضي بالتواتر في تفاصيل مثله؛ لأنَّ هذا المعجز العظيم الذي هو أصل الدين القويم والصراط المستقيم ممَّا تتوفَّر الدواعي على نقل جُمَله وتفاصيله، فما نُقِل آحاداً ولم يتواتر، يُقطع بأنه ليس من القرآن قطعاً.

وذهب كثير من الأُصوليين: إلى أنَّ التواتر شرط في ثبوت ما هو من القرآن بحسب أصله، وليس بشرط في محلِّه ووضعه وترتيبه، بل يكثر فيها نقل الآحاد.

قيل: وهو الذي يقتضيه صنع الشافعيّ في إثبات البسملة من كل سورة.

ورُدَّ هذا المذهب بأَنَّ الدليل السابق يقتضي التواترَ في الجميع، ولأنَّه لو لم يشترط لجاز سقوط كثير من القرآن المكرّر وثبوت كثير مما ليس بقرآن، أمَّا الأوَّل فلأنَّا لو لم نشترط التواتر في المحل جاز ألَّا يتواتر كثير من المتكرِّرات الواقعة في القرآن، مثل: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣]. وأما الثاني: فلأنه إذا لم يتواتر بعض القرآن بحسب المحل، جاز إثبات ذلك البعض في الموضع بنقل الآحاد.

وقال القاضي أبو بكر في «**الانتصار**»[(١)]: ذهب قوم من الفقهاء والمتكلِّمين إلى إثبات قرآن حكماً لا علماً بخبر الواحد دون الاستفاضة، وكره ذلك أَهلُ الحقّ وامتنعوا منه.

وقال قوم من المتكلمين: إنَّه يسوغ إعمال الرَّأي والاجتهادُ في إثبات قراءةٍ وأَوجُهٍ وأحرف، إذا كانت تلك الأوجهُ صواباً في العربية، وإن لم يثبت أَنَّ النبيَّ ﷺ قرأ بها. وأبى ذلك أَهلُ الحقِّ، وأنكروه وخَطَّؤوا من قال به. انتهى.

وقد بَنى المالكيَّة وغيرُهم ممّن قال بإنكار البسملة قولَهم على هذا الأصل، وقرّروه بأنها لم تتواتر في أوائل السُّور، وما لم يتواتر فليس بقرآن.

وأجيب من قِبَلنا بمنع كونها لم تتواتَر، فربَّ متواترٍ عند قوم دون آخرين، وفي وقت دون آخر، ويكفي في تواترها إثباتُها في مصاحف الصَّحابة فمن بعدهم بخطّ المصحف، مع منعهم أن يُكتَب في المصحف ما ليس منه، كأسماء السور، وآمين، والأعشار، فلو لم تكن قرآناً لَمَا استجازوا إثباتَها بخطِّه من غير تمييز؛ لأنَّ ذلك يحْمل على اعتقادها، فيكونون مُغرِّرين بالمسلمين، حاملين لهم على اعتقاد ما ليس بقرآن قرآناً، وهذا ممّا لا يجوز اعتقاده في الصحابة.

فإن قيل: لعلَّها أُثبِتت للفصل بين السور؟ أجيب: بأنَّ هذا فيه تغرير، ولا يجوز ارتكابُه لمجرَّد الفصل، ولو كانت له لكتِبت بين براءة والأنفال.

ويدلُّ لكونها قرآناً منزلاً: ما أخرجه أحمد [٢٦٥٨٣] وأبو داود [٤٠٠١] والحاكم [(٢/ ٢٣١)] وغيرهم عن أُم سَلَمة، أنَّ النبيَّ ﷺ كان يقرأُ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.. الحديثَ، وفيه: وعدّ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ آية، ولم يعدّ: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ [صحيح لغيره].

(١) «الانتصار» ١/ ٦٩.

وأخرج ابنُ خزيمة، والبيهقيّ في «**المعرفة**» [(٢/ ٣٦٣)] بسند صحيح من طريق سعيد بن جُبير عن ابن عباس قال: استرق الشيطان من النَّاس أعظمَ آيةٍ من القرآن: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

وأخرج البيهقيّ في «**الشعب**»، وابن مردُويه بسندٍ حسن من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: أغفلِ النَّاس آيةً من كتاب الله، لم تنزل على أحدٍ سوى النبيّ ﷺ، إلَّا أن يكون سليمان بن داود: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

وأخرج الدارقطنيّ [في «السنن» (١/ ٣١٠)]، والطبرانيّ في «**الأوسط**» [٦٢٩] بسند ضعيف عن بُريدة قال: قال النبي ﷺ: «**لا أخرج من المسجد حتى أخبرَك بآيةٍ لم تنزل على نبيٍّ بعد سليمان غيري**». ثم قال: «**بأيِّ شيء تفتتح القرآن إذا افتتحت الصلاة؟**»، قلت: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، قال: «**هي هي**».

وأخرج أبو داود [٧٨٨] والحاكم [(١/ ٢٣٢)] والبيهقي [في «السنن» (٢/ ٤٢)] والبزّار: من طريق سعيد بن جُبير، عن ابن عباس قال: كان النبيّ ﷺ لا يعرف فصل السورة حتى تنزل عليه: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾. زاد البزّار: فإذا نزلت عرف أنَّ السورة قد ختمت واستقبلت، أو ابتُدئت سورة أُخرى.

وأخرج الحاكم [(١/ ٢٣١)] من وجهٍ آخر، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس قال: كان المسلمون لا يعلمون انقضاءَ السورة حتى تنزل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، فإذا نزلتْ علموا أنَّ السورة قد انقضت. إسناده على شرط الشَّيْخين.

وأخرج الحاكم أيضاً من وجه آخر عن سعيد عن ابن عبَّاس: أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا جاءه جبريل فقرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ علم أنَّها سورة. إسناده صحيح.

وأخرج البيهقيّ في «**الشُّعب**» [٢٣٣٣] وغيره: عن ابن مسعود قال: كنَّا لا نعلم فصلاً بين السورتين، حتى تنزل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

قال أبو شامة[(١)]: يحتمل أن يكون ذلك وقت عرضه ﷺ على جبريل، كان لا يزال يقرأ في السورة إلى أن يأمره جبريل بالتسمية، فيعلمَ أنَّ السورة قد انقضت. وعبَّر ﷺ بلفظ النزول إشعاراً بأنها قرآن في جميع أوائل السور. ويحتمل أن يكون المراد أنَّ جميع آيات كلِّ سورة كانت تنزل قبل نزول البسملة، فإذا كملت آياتها نزل جبريلُ بالبسملة واستعرض السُّورة، فيَعلم النبيّ ﷺ أنَّها قد ختمت، ولا يلحق بها شيء.

وأخرج ابنُ خُزيمة والبيهقيّ [«المعرفة»: ٣٠٤٥، وفي «السنن» (٢/ ٤٥)] بسند صحيح عن ابن عباس قال: السبع المثاني فاتحة الكتاب، قيل: فأين السابعة؟ قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

وأخرج الدارقطني [في «السنن» (١/ ٣١٣)] بسند صحيح عن عليّ: أنَّه سئل عن السبع المثاني، فقال:

---

(١) في «المرشد الوجيز» ص ٦٩.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فقيل له: إنَّما هي ستُّ آيات، فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ آيةٌ.

وأخرج الدارقطني [«السنن» (١/ ٣٠٥)]، وأبو نُعَيم، والحاكم في «**تاريخه**» **بسند ضعيف** عن نافع، عن ابن عمر: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**كان جبريل إذا جاءني بالوحي أوّل ما يلقي عليّ**: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾».

وأخرج الواحديّ من وجهٍ آخر عن نافع عن ابن عمر، قال: نزلت ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في كلِّ سورة.

وأخرج البيهقي من وجه ثالث عن نافع عن ابن عمر: أنَّهُ كان يقرأُ في الصلاة: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وإذا ختم السورة قرأها، ويقول: ما كُتبت في المصحف إلَّا لتُقرأ.

وأخرج الدارقطني [«السنن» (١/ ٣١٢)] **بسند صحيح** عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأتم الحمد، فاقرؤوا: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، **إنَّها أم القرآن، وأُمّ الكتاب والسبع المثاني، وبسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها**».

وأخرج مسلم [٨٩٤] عن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغْفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسِّماً، فقال: «**أُنزلت عليّ آنفاً سورة**، فقرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾...» الحديثَ.

فهذه الأحاديث تعطي التواتر المعنويّ بكونها قرآناً منزَّلاً في أوائل السُّور.

ومن المشكل على هذا الأصل ما ذكره الإمام فخر الدين الرازي قال: نُقِل في بعض الكتب القديمة أن ابنَ مسعود كان ينكر كون سورة الفاتحة والمعوّذتين من القرآن، وهو في غاية الصعوبة، لأنَّا إن قلنا: إن النَّقل المتواتر كان حاصلاً في عصر الصحابة بكون ذلك من القرآن، فإنكاره يوجب الكُفْر، وإن قلنا: لم يكن حاصلاً في ذلك الزمان، فيلزم أنَّ القرآن ليس بمتواتر في الأصل. قال: والأغلب على الظنِّ أنَّ نقل هذا المذهب عن ابن مسعود نقل باطلٌ، وبه يحصل الخلاص عن هذه العقدة.

وكذا قال القاضي أبو بكر: لم يصحّ عنه أنها ليست من القرآن ولا حُفظ عنه. إنَّما حَكَّهَا وأسقطها من مصحفه إنكاراً لكتابتها، لا جَحْداً لكونها قرآناً؛ لأنَّه كانت السنّة عنده ألَّا يُكتب في المصحف إلَّا ما أَمر النبيُّ ﷺ بإثباته فيه، ولم يجده كَتَب ذلك ولا سمعه أَمَرَ به.

وقال النوويُّ في «**شرح المهذّب**»: أجمع المسلمون على أنَّ المعوذتين والفاتحة من القرآن، وأنَّ مَنْ جَحَدَ منها شيئاً كفر، وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح.

وقال ابن حزم في كتاب «**القدح المعلَّى بتتميم المحلَّى**»: هذا كذب على ابن مسعود وموضوع، وإنما صحَّ عنه: قراءة عاصم، عن زِرّ، عنه، وفيها المعوّذتان والفاتحة.

وقال ابن حجر في «**شرح البخاريّ**»[1]: قد صحَّ عن ابن مسعود إنكار ذلك، فأخرج أحمد وابن حبَّان عنه أنَّه كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه.

---

(١) «فتح الباري» ٩/ ٦٤٤ (٤٩٧٧).

وأخرج عبد الله بن أحمد في زيادات «**المسند**»، والطبراني [في «الكبير»: ٩١٥٠] وابن مردويه من طريق الأعمش عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن يزيد النَّخَعيّ قال: كان عبد الله بن مسعود يحُكّ المعوّذتين من مصاحفه، ويقول: إنَّهما ليستا من كتاب الله.

وأخرج البزار [١٥٨٦]، والطبراني [في «الكبير»: ٩١٥٢] من وجه آخر عنه: أنَّه كان يحُكُّ المعوّذتين من المصحف ويقول: إنَّما أمر النبيّ ﷺ أن يُتعوَّذ بهما، وكان لا يقرأ بهما. أسانيده صحيحة.

قال البزار [١٥٨٦]: لم يتابع ابنَ مسعود على ذلك أحَدٌ من الصحابة، وقد صحَّ أنه ﷺ قرأ بهما في الصلاة.

قال ابنُ حجر: فقول من قال: إنه كذب عليه مردود، والطعن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يُقبل، بل الروايات صحيحة، والتأويل محتَمل.

قال: وقد أوَّله القاضي وغيره على إنكار الكتابة كما سبق.

قال: وهو تأويل حسن؛ إلّا أنَّ الرواية الصريحة التي ذكرتها تدفع ذلك حيث جاء فيها: (ويقول: إنهما ليستا من كتاب الله).

قال: ويمكن حمل لفظ (كتاب الله) على المصحف فيتم التأويل المذكور.

قال: لكن من تأمَّل سياق الطرق المذكورة، استبعد هذا الجمع.

قال: وقد أجاب ابن الصَّبَّاغ(١) بأنه لم يستقرَّ عنده القطع بذلك، ثم حصل الاتفاق بعد ذلك، وحاصله أنَّهما كانتا متواترتين في عصره؛ لكنهما لم تتواترا عنده. انتهى.

وقال ابن قتيبة في «**مشكل القرآن**»(٢): ظنَّ ابن مسعود أنَّ المعوّذتين ليستا من القرآن، لأنه رأى النبيّ ﷺ يعوِّذ بهما الحَسنَ والحسينَ، فأقام على ظنِّه، ولا نقول: إنَّه أصاب في ذلك، وأخطأ المهاجرون والأنصار.

قال: وأما إسقاطه الفاتحة من مصحفه، فليس لظنه أنَّها ليست من القرآن، معاذ الله! ولكنَّه ذهب إلى أنَّ القرآن إنَّما كُتب وجمع بين اللوحين مخافةَ الشكِّ والنسيان والزيادة والنقصان، ورأى أنَّ ذلك مأمون في سورة الحمد، لقصرها ووجوب تعلُّمها على كل واحد.

قلت: وإسقاطه الفاتحةَ من مصحفه، أخرجه أبو عبيد بسند صحيح، كما تقدم في أوائل النوع التاسع عشر.

التنبيه الثاني: قال الزركشي في «**البرهان**»(٣): القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في

---

(١) ابن الصَّبَّاغ: عبد السيد بن محمد، من أهل بغداد ولادةً ووفاةً، فقيه شافعي (ت: ٤٧٧ هـ). «طبقات الشافعية» ٣/ ٢٣٠.

(٢) «تأويل مشكل القرآن» ص ٤٢ ـ ٤٣.

(٣) «البرهان» ١/ ٤٦٥.

الحروف أو كيفيتها؛ من تخفيفٍ وتشديد وغيرهما، والقراءات السبع متواترة عند الجمهور. وقيل: بل مشهورة.

قال الزركشيّ[١]: والتحقيق أنَّها متواترة عن الأئمة السبعة، أمَّا تواترها عن النبيّ ﷺ ففيه نظر، فإنَّ إسنادهم بهذه القراءات السبع موجود في كتب القراءات، وهي نقل الواحد عن الواحد.

قلت: في ذلك نظر لما سيأتي، واستثنى أبو شامة ـ كما تقدم ـ الألفاظَ المختلف فيها عن القرّاء.

واستثنى ابنُ الحاجب: ما كان من قبيل الأداء، كالمدِّ والإمالة وتحقيق الهمزة.

وقال غيره: الحقُّ أَنَّ أصلَ المدِّ والإمالة متواتر، ولكن التقدير غير متواتر للاختلاف في كيفيته. كذا قال الزركشيّ، قال: وأمَّا أنواع تحقيق الهمزة فكلُّها متواترة.

وقال ابن الجزريّ: لا نعلم أحداً تقدم ابنَ الحاجب إلى ذلك، وقد نصَّ على تواتر ذلك كله أئمة الأصول كالقاضي أبي بكر وغيره، وهو الصواب؛ لأنه إذا ثبت تواتر اللفظ ثبت تواتر هيئة أدائه؛ لأنَّ اللفظ لا يقوم إلَّا به ولا يصحُّ إلَّا بوجوده.

التنبيه الثالث: قال أبو شامة[٢]: ظنّ قوم أنَّ القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أُريدت في الحديث، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبةً، وإنَّما يَظنُّ ذلك بعضُ أهل الجهل.

وقال أبو العباس بن عمار: لقد نقل مسبِّع هذه السبعة ما لا ينبغي له، وأشكل الأمرُ على العامة بإيهامه كلَّ من قلّ نظره: أن هذه القراءات هي المذكورة في الخبر؛ وليته إذا اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل الشبهة. ووقع له أيضاً في اقتصاره عن كلّ إمام على راويين أَنَّه صار من سمع قراءة راوٍ ثالث غيرهما أبطلها، وقد تكون هي أشهر وأصحّ وأظهر، وربَّما بالغ من لا يفهم فخطَّأ أو كَفَّر.

وقال أبو بكر ابن العربي: ليست هذه السبعة متعيِّنة للجواز حتى لا يجوز غيرها، كقراءة أبي جعفر وشيبة والأعمش ونحوهم؛ فإن هؤلاء مثلهم أو فوقهم. وكذا قال غير واحد؛ منهم مكي وأبو العلاء الهَمَذَانيّ وآخرون من أئمة القراء.

وقال أبو حيَّان: ليس في كتاب ابن مجاهد ومَنْ تبعه من القراءات المشهورة إلا النَّزر اليسير، فهذا أبو عمرو بن العلاء اشتُهرَ عنه سبعة عشر راوياً، ثم ساق أسماءهم، واقتصر في كتاب ابن مجاهد على اليزيديّ، واشتُهر عن اليزيديّ عشرة أنفس، فكيف يقتصر على السُّوسيّ والدُّوريّ، وليس لهما مزية على غيرهما، لأنَّ الجميع يشتركون في الضبط والإتقان والاشتراك في الأخذ؟ قال: ولا أعرف لهذا سبباً إلّا ما قُضِيَ من نقص العلم.

وقال مكيّ: من ظنَّ أن قراءة هؤلاء القراء ـ كنافع وعاصم ـ هي الأحرف السَّبعة التي في الحديث فقد غَلِطَ غلطاً عظيماً.

قال: ويلزم من هذا أنَّ ما خرج عن قراءة هؤلاء السبعة ممَّا ثبت عن الأئمة وغيرهم، ووافق خط

---

(١) في «البرهان» ١/ ٤٦٦.

(٢) في «المرشد الوجيز» ص ١٠٢ ـ ١٠٣ و١٠٥.

المصحف، ألَّا يكون قرآناً، وهذا غلط عظيم؛ فإن الذين صنَّفوا القراءات من الأئمّة المتقدّمين كأبي عُبيد القاسم بن سلام وأبي حاتم السجستاني وأبي جعفر الطبريّ وإسماعيل القاضي قد ذكروا أضعاف هؤلاء، وكان الناس على رأس المئتين بالبصرة على قراءة أبي عَمرو ويعقوب، وبالكوفة على قراءة حمزة وعاصم، وبالشام على قراءة ابن عامر، وبمكّة على قراءة ابن كثير، وبالمدينة على قراءة نافع، واستمرُّوا على ذلك، فلمَّا كان على رأس الثلاثمئة أثبت ابنُ مجاهد اسمَ الكسائي وحذف يعقوب.

قال: والسبب في الاقتصار على السبعة ـ مع أنَّ في أئمة القراء مَنْ هو أَجلُّ منهم قدراً ومثلهم أكثر من عددهم ـ أنَّ الرواة عن الأئمة كانوا كثيراً جدًّا، فلمَّا تقاصرت الهِمَم، اقتصروا ممَّا يوافق خَطَّ المصحف على ما يسهُل حفظه وتنضبط القراءة به، فنظروا إلى من اشتهر بالثِّقة والأمانة وطول العمر في ملازمة القراءة والاتفاق على الأخذ عنه، فأفردوا من كلِّ مصر إماماً واحداً، ولم يتركوا مع ذلك نقل ما كان عليه الأئمة غير هؤلاء من القراءات ولا القراءة به، كقراءة يعقوب وأبي جعفر وشيبة وغيرهم.

قال: وقد صنف ابن جُبير المكي قبل ابن مجاهد كتاباً في القراءات، فاقتصر على خمسة، اختار من كلِّ مصر إماماً؛ وإنما اقتصر على ذلك؛ لأنّ المصاحف التي أرسلها عثمان كانت خمسة إلى هذه الأمصار؛ ويقال: إنَّه وجَّه بسبعة: هذه الخمسة، ومصحفاً إلى اليمن، ومصحفاً إلى البحرين، لكن لما لم يُسمع لهذين المصحفين خبر، وأراد ابن مجاهد وغيره مراعاة عدد المصاحف، استبدلوا من مصحف البحرين واليمن قارئَيْن كَمُل بهما العدد، فصادف ذلك موافقة العدد الذي ورد الخبرُ به، فوقع ذلك لمن لم يعرف أصل المسألة، ولم تكن له فِطْنة، فظنَّ أَنَّ المراد بالأحرف السبعة القراءات السبع.

والأصل المعتمَد عليه صحّة السند في السماع، واستقامة الوجه في العربيَّة وموافقة الرسم.

وأَصَحّ القراءات سنداً نافع وعاصم، وأفصحها أبو عمرو والكسائي.

وقال القرَّاب في «**الشافي**»: التمسك بقراءة سبعة من القرَّاء دون غيرهم ليس فيه أثر ولا سنَّة، وإنما هو من جمع بعض المتأخرين، فانتشر، وأَوْهم أنه لا تجوز الزيادة على ذلك، وذلك لم يقل به أحد.

وقال الكوَاشيّ[1]: كلّ ما صحَّ سنده واستقام وجهه في العربية، ووافق خطَّ المصحف الإمام، فهو من السبعة المنصوصة، ومتى فُقِد شرط من الثلاثة فهو من الشاذّ.

وقد اشتدّ إنكار أئمة هذا الشأن على مَنْ ظنَّ انحصار القراءات المشهورة في مثل ما في «**التيسير**» و«**الشاطبية**»، وآخرُ من صَرَّح بذلك الشيخ تقيُّ الدين السبكيّ، فقال في شرح «**المنهاج**»: قال الأصحاب: تجوز القراءة في الصَّلاة وغيرها بالقراءات السبع؛ ولا تجوز بالشَّاذّة، وظاهر هذا يُوهم أن غير السبع المشهورة من الشواذّ، وقد نَقَل البغويّ الاتفاقَ على القراءة بقراءة يعقوب وأبي جعفر مع السبع المشهورة؛ وهذا القول هو الصواب.

---

(١) الكَوَاشِي: أحمد بن يوسف، موصلي، عالم من فقهاء الشافعية (ت: ٦٨٠ هـ). «النجوم الزاهرة» ٧/ ٣٤٨.

وقال: واعلم أَنَّ الخارج عن السبع المشهورة على قسمين؛ منه: ما يخالف رسم المصحف، فهذا لا شك في أنه لا تجوز قراءته لا في الصلاة ولا في غيرها. ومنه: ما لا يخالف رسم المصحف، ولم تَشتهِر القراءة به، وإنَّما ورد من طريق غريب لا يعوَّل عليها، وهذا يظهر المنع من القراءة به أيضاً. ومنه: ما اشتُهر عن أئمة هذا الشأن القراءة به قديماً وحديثاً، فهذا لا وجه للمنع منه، ومن ذلك قراءة يعقوب وغيره.

قال: والبغويّ أَوْلَى مَنْ يُعتَمد عليه في ذلك؛ فإنَّه مقرئ فقيهٌ جامع للعلوم. قال: وهكذا التفصيل في شواذ السبعة، فإنَّ عنهم شيئاً كثيراً شاذًّا. انتهى.

وقال ولده في «**منع الموانع**»: إنما قلنا في «**جمع الجوامع**»: والسبع متواترة، ثم قلنا في الشاذ والصحيح: إنه ما وراء العشرة، ولم نقل: والعشر متواترة؛ لأنَّ السبع لم يُختلف في تواترها، فذكرنا أوّلاً موضعَ الإجماع، ثم عطفنا عليه موضع الخلاف.

قال: على أنَّ القول بأنَّ القراءات الثلاث غير متواترة في غاية السقوط، ولا يصحُّ القول به عمَّن يُعتَبَر قوله في الدّين، وهي لا تخالف رسم المصحف.

قال: وقد سمعتُ أبي يشدِّد النكير على بعض القضاة، وقد بلغه أنَّه منع من القراءة بها، واستأْذنه بعض أصحابنا مرّة في إقراء السبع، فقال: أذِنت لك أن تُقرِئ العشر. انتهى.

وقال في جواب سؤال سأله ابن الجزريّ: القراءات السبع التي اقتصر عليها الشاطبي، والثلاث التي هي: قراءة أبي جعفر ويعقوب وخلَف متواترة معلومة من الدين بالضرورة، وكلُّ حرف انفرد به واحد من العشرة معلومٌ من الدين بالضرورة: أنَّه منزّل على رسول الله ﷺ، لا يكابر في شيء من ذلك إلا جاهلٌ.

التنبيه الرابع: باختلاف القراءات يظهر الاختلاف في الأحكام.

ولهذا بنى الفقهاء نقض وضوء الملموس وعدمه على اختلاف القراءة في: ﴿لمستم﴾ و﴿لَـٰمَسۡتُمُ﴾ [النساء: ٤٣].

وجواز وطء الحائض عند الانقطاع قبل الغسل وعدمه، على الاختلاف في: ﴿يَطۡهُرۡنَۖ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وقد حكوا خلافاً غريباً في الآية إذا قرئت بقراءتين، فحكى أبو الليث السمرقندي في كتاب «**البستان**» قولين: **أحدهما**: أَنَّ الله قال بهما جميعاً، **والثاني**: أنَّ الله قال بقراءة واحدة، إلّا أَنَّه أَذِن أن تقرأ بقراءتين. ثم اختار توسطاً، وهو أنَّه: إن كان لكلّ قراءة تفسير يغاير الآخر فقد قال بهما جميعاً، وتصير القراءتان بمنزلة آيتين، مثل: ﴿حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ﴾، وإن كان تفسيرهما واحداً كـ﴿ٱلۡبُيُوتَ﴾ و﴿ٱلۡبِيُوتَ﴾ [البقرة: ١٨٩] فإنَّما قال بإحداهما، وأجاز القراءة بهما لكل قبيلة على ما تعوّد لسانهم.

قال: فإن قيل: إذا قلتم: إنَّه قال بإحداهما، فأَيّ القراءتين هي؟ قلنا: التي بلغة قريش. انتهى.

وقال بعض المتأخرين: لاختلاف القراءات وتنوعها فوائد:

منها: التهوين والتَّسهيل والتَّخفيف على الأُمَّة.

ومنها: إظهار فضلها وشرفها على سائر الأمم، إذ لم ينزل كتابُ غيرهم إلَّا على وجه واحد.

ومنها: إعظام أجرها، من حيث إنَّهم يُفرغون جهدهم في تحقيق ذلك وضبطه لفظةً لفظة، حتى مقادير المَدَّات وتفاوت الإمالات، ثم في تتبّع معاني ذلك واستنباط الحِكم والأحكام من دلالة كلّ لفظ، وإمعانهم الكشف عن التوجيه والتعليل والترجيح.

ومنها: إظهار سرّ الله في كتابه، وصيانته له عن التبديل والاختلاف، مع كونه على هذه الأوجه الكثيرة.

ومنها: المبالغة في إعجازه بإيجازه؛ إذ تنوّع القراءات بمنزلة الآيات، ولو جعلت دلالة كل لفظ آيةً على حِدَة لم يخْفَ ما كان فيه من التطويل، ولهذا كان قوله: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] منزَّلاً لغسل الرجل، والمسح على الخفّ، واللفظ واحد، لكن باختلاف إعرابه.

ومنها: أن بعض القراءات يبيِّن ما لعلَّه يُجْهَل في القراءة الأخرى، فقراءة ﴿يَطَّهَّرْنَ﴾ بالتشديد مبيِّنةٌ لمعنى قراءة التخفيف، وقراءة: (فامضوا إلى ذكر الله) تبين أن المراد بقراءة: ﴿فَٱسْعَوْاْ﴾ [الجمعة: ٩] الذهابُ، لا المشي السريع.

وقال أبو عُبيد في «**فضائل القرآن**»(١): المقصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة المشهورة وتبيين معانيها؛ كقراءة عائشة وحفصة: (والوسْطَى صلاة العصر). وقراءة ابن مسعود: (فاقطعوا أيمانهما) وقراءة جابر: (فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم). قال: فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسِّرة للقرآن، وقد كان يُروى مثل هذا عن التابعين في التفسير فيُستحسن، فكيف إذا رُوي عن كبار الصحابة، ثم صار في نفس القراءة فهو أكثر من التفسير وأقوى؛ فأدنى ما يُستنبط من هذه الحروف معرفةُ صحَّة التأويل. انتهى.

وقد اعتنيت في كتابي: «**أسرار التنزيل**» ببيان كل قراءة أفادت معنًى زائداً على القراءة المشهورة.

التنبيه الخامس: اختُلف في العمل بالقراءة الشاذّة، فنقل إمام الحرمين في «**البرهان**»(٢) عن ظاهر مذهب الشافعيّ: أنَّه لا يجوز، وتبعه أبو نصر القشيري، وجزم به ابنُ الحاجب؛ لأنَّه نقله على أنه قرآن، ولم يثبت.

وذكر القاضيان: أبو الطيب والحسين، والرّويانيّ والرَّافعي العمل بها، تنزيلاً لها منزلة خبر الآحاد. وصحَّحه ابن السبكيّ في «**جمع الجوامع**» وشرح «**المختصر**».

وقد احتج الأصحاب على قطع يمين السارق بقراءة ابن مسعود، وعليه أبو حنيفة أيضاً.

---

(١) «فضائل القرآن» ص ٣٢٦.

(٢) «البرهان في أصول الفقه» لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله، الشافعي، الفقيه الأصولي، المتكلم المفسِّر (ت ٤٧٨هـ). «طبقات الشافعية» ٣/ ٢٤٩.

واحتجَّ على وجوب التتابع في صوم كفارة اليمين بقراءة: «متتابعات»[١]، ولم يحتجّ بها أصحابنا لثبوت نسخها، كما سيأتي.

التنبيه السادس: من المهمّ معرفة توجيه القراءات؛ وقد اعتنى به الأئمة، وأفردوا فيه كتباً؛ منها: «**الحجة**» لأبي عليّ الفارسيّ، و«**الكشف**» لمكيّ، «**والهداية**» للمهدوي، و«**المحتسَب في توجيه الشواذّ**» لابن جني.

قال الكواشيّ: فائدته أن يكون دليلاً على حسب المدلول عليه، أو مرجِّحاً؛ إلَّا أنه ينبغي التنبيه على شيء: وهو أنه قد تُرجحُ إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحاً يكاد يُسقطها، وهذا غير مرضي؛ لأنَّ كلًّا منهما متواتر.

وقد حكى أبو عُمر الزاهد[٢] في كتابه «**اليواقيت**» عن ثعلب أنه قال: إذا اختلف الإعرابان في القرآن لم أُفضِّل إعراباً على إعراب، فإذا خرجت إلى كلام الناس فضَّلتُ الأقوى.

وقال أبو جعفر النحاس: السَّلامة عند أهل الدين إذا صحت القراءتان أَلَّا يقال: إحداهما أجود؛ لأنهما جميعاً عن النبي ﷺ، فيأْثَم مَن قال ذلك، وكان رؤساء الصحابة ينكرون مثل هذا.

وقال أبو شامة: أكثَرَ المصنِّفون من التَّرجيح بين قراءة ﴿مَـٰلِكِ﴾ و﴿مَلِكِ﴾ حتى إن بعضهم يبالغ إلى حدٍّ يكاد يسقط وجه القراءة الأخرى؛ وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءتين. انتهى.

وقال بعضهم: توجيه القراءات الشاذّة أقوى في الصناعة من توجيه المشهورة.

خاتمة: قال النخعي: كانوا يكرهون أن يقولوا: قراءة عبد الله، وقراءة سالم، وقراءة أُبيّ، وقراءة زيد. بل يقال: فلان كان يقرأ بوجهِ كذا، وفلان كان يقرأُ بوجه كذا. قال النوويّ: والصحيح أن ذلك لا يُكرَه.

---

(١) والقراءة المتواترة: ﴿فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍۚ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ . . .﴾ [المائدة: ٨٩].

(٢) هو: محمد بن عبد الواحد، أبو عمر الزاهد، غلام ثعلب، من أئمة اللغة وأكابر أهلها وأحفظها. قال الخطيب: رأيت شيوخنا يوثِّقونه ويصدِّقونه. له: «ياقوتة الصراط». ذكره ابن خير في «فهرسته» ص ٦٠، وانظر «البرهان» للزركشي ١/ ٣٩٣.

النوع الثامن والعشرون

في معرفة الوقف والابتداء

أفرده بالتصنيف خلائق؛ منهم: أبو جعفر النَّحاس، وابن الأنباري، والزجَّاج، والدانيّ، والعُمَاني، والسَّجاونديّ، وغيرهم.

وهو فنٌّ جليل، به يُعرف كيف أداء القراءة.

والأصلُ فيه: ما أخرجه النحاس قال: حدَّثنا محمد بن جعفر الأنباريّ، حدَّثنا هلال بن العلاء، عن أُبيّ وعبد الله بن جعفر قالا: حدثنا عبد الله بن عمر الزُّرَقيّ، عن زيد بن أبي أُنَيسة، عن القاسم بن عَوْف البكريّ قال: سمعت عبد الله بن عمر يقول: لقد عِشْنا بُرهة من دهرنا وإنَّ أحدنا ليؤتَى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ فنتعلم حلالَها وحرامَها، وما ينبغي أن يوقَف عنده منها كما تتعلَّمون أنتم القرآن اليوم، ولقد رأينا اليوم رجالاً يؤتَى أحدُهم القرآنَ قبل الإيمان، فيقرأُ ما بين فاتحته إلى خاتمته، ما يدري ما آمِرُه ولا زاجِره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه!

قال النحاس: فهذا الحديث يدلُّ على أنهم كانوا يتعلمون الأوقاف، كما يتعلمون القرآن.

وقول ابن عمر: لقد عشنا برهةً من دهرنا، يدلُّ على أنَّ ذلك إجماع من الصحابة ثابتٌ. أخرج هذا الأثر البيهقي في «سننه» [(٣/ ١٢٠)].

وعن عليّ في قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]. قال: الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف.

قال ابنُ الأنباريّ: من تمام معرفة القرآن معرفةُ الوقف والابتداء فيه.

وقال النَّكزاويّ: باب الوقف عظيمُ القَدْر، جليل الخَطر؛ لأنه لا يتأتَّى لأحدٍ معرفةُ معاني القرآن ولا استنباط الأدلَّة الشرعية منه إلَّا بمعرفة الفواصل.

وفي «النشر»[1] لابن الجَزري: لمَّا لم يمكن القارئ أن يقرأ السورة أو القصة في نَفَس واحد، ولم يجُز التنفُّس بين كلمتين حالة الوصْل، بل ذلك كالتنفس في أثناء الكلمة، وجب حينئذ اختيارُ وقفٍ للتنفُّس والاستراحة، وتعيّن ارتضاء ابتداء بعده، ويتحتَّم ألَّا يكون ذلك ممَّا يحيل المعنى ولا يخلّ بالفهم، إذ بذلك يظهر الإعجاز، ويحصل القصد؛ ولذلك حضَّ الأئمة على تعلُّمه ومعرفته.

وفي كلام عليّ دليل على وجوب ذلك، وفي كلام ابن عمر برهانٌ على أنَّ تعلُّمه إجماعٌ من الصحابة.

---

(١) «النشر» ١/ ٢٢٤.

وصحَّ ـ بل تواتر ـ عندنا تعلُّمه والاعتناء به من السَّلف الصالح كأبي جعفر يزيد بن القعقاع أحدِ أعيان التابعين، وصاحبه الإمام نافع، وأبي عمرو، ويعقوب، وعاصم، وغيرهم من الأئمة، وكلامهم في ذلك معروف، ونصوصهم عليه مشهورة في الكتب. ومن ثَمَّ اشترط كثير من الخَلَف على المجيز ألَّا يجيز أحداً إلَّا بعد معرفته الوقف والابتداء.

وصحَّ عن الشعبيّ أنَّه قال: إذا قرأت: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾، فلا تسْكتْ حتى تقرأ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧].

قلت: أخرجه ابن أبي حاتم.

فصل: في أنواع الوقف

اصطلح الأئمة على أَنَّ لأنواع الوقف والابتداء أسماءً، واختلفوا في ذلك.

فقال ابن الأنباريّ: الوقف على ثلاثة أوجه: تامّ، وحَسَن، وقبيح.

فالتامُّ: الذي يحسُن الوقف عليه والابتداء بما بعده، ولا يكون بعده ما يتعلق به، كقوله: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]، وقوله: ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦].

والحسن: هو الذي يحسُن الوقف عليه، ولا يحسُن الابتداء بما بعده، كقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ لأن الابتداء بـ: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا يحسُن؛ لكونه صفةً لِمَا قبله.

والقبيح: هو الذي ليس بتامّ ولا حَسَنٍ، كالوقف على ﴿بِسْمِ﴾ من قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾.

قال: ولا يتمّ الوقف على المضاف دون المضاف إليه، ولا المنعوت دون نعته، ولا الرافع دون مرفوعه وعكسه، ولا الناصب دون منصوبه وعكسه، ولا المؤكد دون توكيده، ولا المعطوف دون المعطوف عليه، ولا البدل دون مبدَله، ولا إنَّ أو كان أو ظنَّ وأخواتها دون اسمها، ولا اسمها دون خبرها، ولا المستثنى منه دون الاستثناء، ولا الموصول دون صلته: اسميًّا أو حرفيًّا، ولا الفعل دون مصدره، ولا الحرف دون متعلّقه، ولا شرط دون جزائه.

وقال غيره: الوقف منقسم إلى أربعة أقسام: تامّ مختار، وكافٍ جائز، وحسن مفهوم، وقبيح متروك.

فالتَّامُّ: هو الذي لا يتعلَّق بشيء ممّا بعده، فيحسن الوقفُ عليه والابتداء بما بعده؛ وأكثر ما يوجد عند رؤوس الآيِ غالباً، كقوله: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥].

وقد يوجد في أثنائها كقوله: ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ هنا التمام؛ لأنه انقضى كلام بلقيس، ثم قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤].

وكذلك: ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ [الفرقان: ٢٩] هنا التمام؛ لأنَّه انقضى كلام الظالم أُبيّ بن خلف، ثم قال تعالى: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾.

وقد يوجد بعدها، كقوله: ﴿مُّصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ﴾ [الصافات: ١٣٧ ـ ١٣٨] هنا التَّمام؛ لأنَّه معطوف على المعنى، أي: بالصبح وبالليل.

ومثله: ﴿يَتَّكِـُٔونَ وَزُخْرُفًا﴾ [الزخرف: ٣٤ ـ ٣٥]. رأس الآية: ﴿يَتَّكِـُٔونَ﴾، و﴿وَزُخْرُفًا﴾ هو التمام؛ لأنه معطوفٌ على ما قبله.

وآخر كلّ قصة وما قبل أولها، وآخر كل سورة، وقبل ياء النداء، وفعل الأمر، والقَسَم ولامه، دون القول والشرط ما لم يتقدَّمْ جوابه، و﴿كَانَ ٱللَّهُ﴾، و﴿مَا كَانَ﴾، و﴿ذَٰلِكَ﴾، و﴿لَوْلَآ﴾ غالبهنَّ تامّ، ما لم يتقدمهنّ قَسَمٌ أو قول أو ما في معناه.

والكافي: منقطع في اللفظ متعلِّق في المعنى، فيحسُن الوقف عليه والابتداء بما بَعده أيضاً، نحو: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]. هنا الوقف، ويبتدأ بما بعد ذلك، وهكذا كل رأس آية بعدها (لام كي) و(إلا) بمعنى (لكن)، و(إنَّ) الشديدة المكسورة، والاستفهام، و(بل) و(ألاَ) المخففة، و(السين) و(سوف) للتهديد، و(نعم) و(بئس) و(كيلا) ما لم يتقدمهن قول أو قسم.

والحسن: هو الذي يحسن الوقف عليه، ولا يحسُن الابتداء بما بعده، نحو: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

والقبيح: هو الذي لا يفهم منه المراد، كـ﴿ٱلْحَمْدُ﴾. وأقبح منه الوقف على ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟﴾ ويبتدئ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ﴾ [المائدة: ١٧]؛ لأنَّ المعنى مستحيل بهذا الابتداء، ومَنْ تعمَّده وقصد معناه فقد كفر.

ومثله في الوقف: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. ﴿فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ﴾ [النساء: ١١].

وأقبح من هذا الوقفُ على المنفيّ دون حرف الإيجاب، نحو: ﴿لَآ إِلَٰهَ﴾ ..﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ﴾ ..﴿إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء: ١٠٥]. فإن اضطر لأجل التنفس جاز، ثم يرجع إلى ما قبله حتى يَصِلَهُ بما بعده، ولا حَرَجَ. انتهى.

وقال السَّجاونديّ: الوقف على خمس مراتب: لازم، ومطلَق، وجائز، ومجوَّز لوجه، ومرخَّص ضرورةً.

١ ـ **فاللازم**: ما لو وُصل طرفاه غيَّر المرادَ، نحو قوله: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، يلزم الوقف هنا؛ إذ لو وصل بقوله: ﴿يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٩]. تُوُهِّم أن الجملة صفة لقوله: ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾، فانتفى الخِداع عنهم، وتقرر الإيمانُ خالصاً عن الخِداع، كما تقول: ما هو بمؤمن مخادع. والقصدُ في الآية إثباتُ الخِدَاع بعد نفي الإيمان.

وكما في قوله: ﴿لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٧١]؛ فإن جملة ﴿تُثِيرُ﴾ صفة لـ﴿ذَلُولٌ﴾ داخلة في حيِّز النفي، أي: ليست ذلولاً مثيرةً للأرض.

ونحو: ﴿سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ [النساء: ١٧١]، فلو وصلها بقوله: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لأَوْهَم أنه صفة لولد، وأن المنفيّ ولد موصوف بأن له ما في السموات؛ والمراد نفي الولد مطلقاً.

٢ ـ **والمطلق**: ما يحسُن الابتداء بما بعده:

كالاسم المبتدأ به، نحو: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ﴾ [الشورى: ١٣].

والفعل المُستأنف، نحو: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥]، و﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة: ١٤٢]، و﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧].

ومفعول المحذوف، نحو: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٣٨].

والشَّرط، نحو: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾ [الأنعام: ٣٩].

والاستفهام ولو مقدّراً، نحو: ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟﴾ [النساء: ٨٨]، ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنفال: ٦٧].

والنفي: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨]، ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٣]، حيث لم يكن كل ذلك مقولاً لقول سابق.

والجائز: ما يجوز فيه الوصل والفصل، لتجاذب الموجبين من الطرفين، نحو ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [البقرة: ٤]. فإن واو العطف تقتضي الوصلَ، وتقديم المفعول على الفعل يقطع النظم؛ فإن التقدير: (ويوقنون بالآخرة).

٤ ـ **والمجوَّز لوجه**: نحو: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [البقرة: ٨٦]؛ لأنَّ الفاء في قوله: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ﴾ [البقرة: ٨٦]. تقتضي التسبُّب والجزاء، وذلك يُوجب الوصلَ، وكون نظم الفعل على الاستئناف يجعل للفصل وجهاً.

٥ ـ **والمرخَّص ضرورة**: ما لا يستغني ما بعده عمَّا قبله؛ لكنه يرخَّص لانقطاع النفَس وطول الكلام، ولا يلزمه الوصلُ بالعَوْد؛ لأنَّ ما بعده جملة مفهومة، كقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [البقرة: ٢٢]؛ لأن قوله: ﴿وَأَنزَلَ﴾ [البقرة: ٢٢] لا يستغني عن سياق الكلام؛ فإنَّ فاعله ضمير يعود إلى ما قبله، غير أنَّ الجملة مفهومة.

وأمَّا ما لا يجوز الوقفُ عليه: فكالشرط دون جزائه، والمبتدأ دون خبره، ونحو ذلك.

وقال غيره: الوقف في التنزيل على ثمانية أضرب: تامّ، وشبيه به، وناقص، وشبيه به، وحسن، وشبيه به، وقبيح، وشبيه به.

وقال ابن الجزري[1]: أكثر ما ذكر الناس في أقسام الوقف غير منضبط، ولا منحصر، وأقرب ما قلته في ضبطه: إنَّ الوقف ينقسم إلى اختياريّ واضطراريّ؛ لأن الكلام إمَّا أن يتمَّ أوْ لا، فإن تَمَّ كان اختياريًّا، وكونه تامًّا لا يخلو: إما ألا يكون له تعلُّق بما بعده البتة ـ أي: لا من جهة اللفظ، ولا من جهة المعنى ـ فهو الوقف المسمى بالتام لتمامه المطلق، يُوقَف عليه ويبتدأ بما بعده، ثم مثَّله بما تقدم في التامّ.

قال: وقد يكون الوقف تامًّا في تفسير وإعراب وقراءة، غير تامّ على آخر.

---

(١) في «النشر» ١/ ٢٢٥.

نحو: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، تامّ: إن كان ما بعده مستأنفاً، غير تام: إن كان معطوفاً.

ونحو فواتح السور: الوقف عليها تامّ إن أُعربت مبتدأ والخبر محذوف أو عكسه؛ أي: «ألم» هذه، أو هذه «ألم»، أو: مفعولاً بـ(قُل) مقدراً. غير تام إن كان ما بعدها هو الخبر.

ونحو: ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥] تام على قراءة: ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾ بكسر الخاءِ، كاف على قراءة الفتح.

ونحو: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١] تام على قراءة مَنْ رفع الاسم الكريم بعدَها، حسنٌ على قراءة مَن خَفَض.

وقد يتفاضل التامّ، نحو: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٤ ـ ٥]. كلاهما تامٌّ؛ إلّا أن الأوّل أتمّ من الثاني، لاشتراك الثاني فيما بعده في معنى الخطاب، بخلاف الأول.

وهذا هو الذي سمَّاه بعضُهم: شبيهاً بالتامّ.

ومنه ما يتأكد استحسانه لبيان المعنى المقصود به، وهو الذي سماه السَّجاونديّ باللازم. وإن كان له تعلق، فلا يخلو إما أن يكون من جهة المعنى فقط، وهو المسمَّى بالكافي للاكتفاء به واستغنائه عمّا بعده، واستغناء ما بعده عنه؛ كقوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]، وقوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [البقرة: ٤]، وقوله: ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٥].

ويتفاضل في الكفاية كتفاضل التام، نحو: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ كافٍ، ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ أكفى منه، ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠] أكفى منهما.

وقد يكون الوقف كافياً على تفسير وإعراب وقراءة، غير كافٍ على آخر، نحو قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، كافٍ إن جعلت (ما) بعده نافية، حسن إن فُسّرت موصولة.

﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤] كافٍ إن أعرب ما بعده مبتدأ، خبره: ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾ [البقرة: ٥]. حسن إن جعل خبر: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]. أو خبر: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ﴾ [البقرة: ٤].

﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾ [البقرة: ١٣٩] كافٍ على قراءة: ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ [البقرة: ١٤٠]؛ بالخطاب. حسن على قراءة الغيب.

﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ كافٍ على قراءة مَنْ رفع: ﴿فَيَغْفِرُ﴾ و﴿يُعَذِّبُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]. حسن على قراءة مَنْ جزم(١).

وإن كان التعلُّق من جهة اللفظ: فهو المسمى بالحسن؛ لأنه في نفسه حسن مفيد، يجوز الوقف عليه دون الابتداء بما بعده، للتعلّق اللفظيّ إلّا أن يكون رأس آية، فإنّه يجوز في اختيار أكثرِ أهل الأداء؛ لمجيئه عن النبي ﷺ في حديث أُمّ سلمة الآتي.

وقد يكون الوقفُ حَسَناً على تقدير، وكافياً أو تامًّا على آخر، نحو: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحمزة والكسائيّ: جزماً. وقرأ عاصم وابن عامر: رفعاً. «السَّبعة» ص ١٩٥.

حسن إن جعل ما بعده نعتاً، كافٍ إن جعل خبر مقدَّر، أو مفعول مقدَّر، على القطع. تامّ إن جعل مبتدأ خبره: ﴿أُولَٰٓئِكَ﴾ [البقرة: ٥].

وإن لم يتمّ الكلام: كان الوقف عليه اضطراريًّا، وهو المسمَّى بالقبيح، لا يجوز تعمُّد الوقف عليه إلَّا لضرورة، من انقطاع نَفَس ونحوه، لعدم الفائدة أو لفساد المعنى، نحو: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ﴾ [الفاتحة: ٧].

وقد يكون بعضُه أقبح من بعض، نحو: ﴿فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ﴾ [النساء: ١١]؛ لإيهامه أنهما مع البنت شركاء في النِّصف.

وأقبح منه نحو: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٦]، ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ﴾ [الماعون: ٤]، ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ٤٣].

فهذا حكم الوقف اختياريًّا واضطراريًّا.

وأما الابتداء فلا يكون إلَّا اختياريًّا؛ لأنه ليس كالوقف تدعو إليه ضرورة، فلا يجوز إلَّا بمستقلٍّ بالمعنى موفٍ بالمقصود، وهو في أقسامه كأقسام الوقف الأربعة، وتتفاوت تماماً وكفايةً وحُسْناً وقُبْحاً، بحسب التمام وعدمه، وفساد المعنى وإحالته، نحو الوقف على: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٨]. فإنَّ الابتداء بـ(الناس) قبيح، وبـ﴿مَّن﴾ تامٌّ، فلو وقف على: ﴿مَن يَقُولُ﴾ كان الابتداء بـ﴿يَقُولُ﴾ أحسن من الابتداء بـ﴿مَّن﴾.

وكذا الوقف على: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٧] قبيح، والابتداء بـ﴿ٱللَّهُ﴾ أقبح وبـ﴿خَتَمَ﴾ كافٍ.

والوقف على ﴿عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ﴾ و﴿ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ﴾ [التوبة: ٣٠] قبيح، والابتداء بابنٍ أقبحُ، وبعزير والمسيح أشدُّ قُبحاً.

ولو وقف على ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ﴾ [الأحزاب: ١٢] ضرورة، كان الابتداء بالجلالة قبيحاً، وبـ﴿وَعَدَنَا﴾ أقبح منه وبـ﴿مَّا﴾ أقبح منهما.

وقد يكون الوقف حسناً والابتداء به قبيحاً، نحو: ﴿يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ﴾ [الممتحنة: ١]. الوقف عليه حَسَنٌ، والابتداء به قبيح؛ لفساد المعنى، إذْ يصير تحذيراً من الإيمان بالله.

وقد يكون الوقفُ قبيحاً والابتداء جيِّداً، نحو: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ هَٰذَا﴾ [يس: ٥٢]، الوقف على ﴿هَٰذَا﴾ قبيح لفصله بين المبتدأ وخبره؛ ولأنه يوهم أن الإشارة إلى المرقد، والابتداء بهذا كافٍ أو تامٌّ لاستئنافه.

تنبيهات:

الأول: قولهم: لا يجوز الوقف على المضاف دون المضاف إليه، ولا...، كذا.

قال ابن الجزريّ(١) : إنَّما يريدون به الجواز الأدائي؛ وهو الذي يحسن في القراءة ويَروقُ في التلاوة، ولا يريدون بذلك أنَّه حرام ولا مكروه؛ اللهمَّ إلَّا أن يُقصَد بذلك تحريفُ القرآن وخلاف المعنى الذي أراده الله، فإنه يكفر فضلاً عن أن يأثم.

الثاني: قال ابن الجزريّ(٢) أيضاً: ليس كل ما يتعسَّفه بعض المعربين أو يتكلَّفه بعض القراء، أو يتأوله بعض أهل الأهواء ممَّا يقتضي وقفاً أو ابتداءً ينبغي أنْ يُتعمَّد الوقفُ عليه، بل ينبغي تحرِّي المعنى الأتمّ، والوقف الأوجه؛ وذلك نحو الوقف على: ﴿وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ﴾ والابتداء ﴿مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]؛ على معنى النِّداء.

ونحو: ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ﴾، ويبتدئ ﴿بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ﴾ [النساء: ٦٢].

ونحو: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ﴾ [لقمان: ١٣]، ويبتدئ ﴿بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ﴾ على معنى القسم.

ونحو: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ﴾، ويبتدئ ﴿ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

ونحو: ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾، ويبتدئ: ﴿عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾ [البقرة: ١٥٨].

فكلُّه تعسُّفٌ وتَمَحُّلٌ وتحريفٌ للكَلِم عن مواضعه.

الثالث: يُغتفر في طول الفواصل والقَصص والجُمَل المعترضة ونحو ذلك، وفي حالةِ جَمْع القراءات، وقراءةِ التحقيق والترتيل ما لا يُغْتَفرُ في غيرها، فربَّما أُجيزَ الوقفُ والابتداء لبعض ما ذكر، ولو كان لغير ذلك لم يُبَحْ، وهذا الذي سماه السَّجاونديّ: المرخَّص ضرورةً، ومثله بقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [البقرة: ٢٢].

قال ابن الجزريّ: والأحسن تمثيله بنحو: ﴿قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وبنحو: ﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وبنحو: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وبنحو: ﴿عَٰهَدُوا۟﴾ [البقرة: ١٧٧]، وبنحو كلّ من فواصل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ . إلى آخر القصة.

وقال صاحب «**المستوفي**»: النحويون يكرهون الوقف الناقص في التنزيل مع إمكان التامّ، فإن طال الكلام ولم يوجد فيه وقفٌ تامٌّ حَسُن الأخذ بالناقص، كقوله: ﴿قُلْ أُوحِىَ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ إن كسرت بعده إنْ، وإنْ فتحتها فإلى قوله: ﴿كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١ ـ ١٩].

قال: ويُحسِّن الوقف الناقصَ أمورٌ:

منها: أن يكون لضرب من البيان، كقوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾؛ فإنَّ الوقف هنا يبين أن ﴿قَيِّمًا﴾ [الكهف: ١ ـ ٢] منفصل عنه، وأنه حال في نيّة التقديم، وكقوله: ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ [النساء: ٢٣]؛ ليفصل به بين التحريم النَّسبي والسَّببي.

ومنها: أن يكون الكلام مبنيًا على الوقف، نحو: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥ ـ ٢٦].

---

(١) في «النشر» ١/ ٢٣٠ ـ ٢٣١.

(٢) في «النشر»١/ ٢٣١.

قال ابن الجزري: وكما اغتُفر الوقف لما ذكر، قد لا يُغتفر ولا يحسن فيما قَصُر من الجُمل، وإن لم يكن التعلُّق لفظيًّا، نحو: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾، ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [البقرة: ٨٧]؛ لقرب الوقف على ﴿بِٱلرُّسُلِ﴾ [البقرة: ٨٧]، وعلى ﴿ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧].

وكذا يراعى في الوقف الازدواجُ، فيوصل ما يوقف على نظيره مما يوجد التَّمام عليه وانقطع تعلُّقه بما بعده لفظاً، وذلك من أجل ازدواجه، نحو: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ مع ﴿وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ١٣٤]، ونحو: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، مع ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾. ونحو: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ مع ﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾ [فاطر: ١٣]، ونحو: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ مع ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦].

الرابع: قد يجيزون الوقف على حرف وعلى آخر، ويكون بين الوقفين مراقبةٌ على التضادّ؛ فإذا وقف على أحدهما امتنع الوقف على الآخر، كمن أجاز الوقف على: ﴿لَا رَيْبَ﴾، فإنَّه لا يجيزه على ﴿فِيهِ﴾، والذي يُجيزه على ﴿فِيهِ﴾ لا يجيزه على ﴿لَا رَيْبَ﴾ [البقرة: ٢].

وكالوقف على: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ﴾ فإن بينه وبين ﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]: مراقبةً. والوقف على: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فإن بينه وبين ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧]: مراقبةً.

قال ابن الجزري[1]: وأوّل مَنْ نبّه على المراقبة في الوقف أبو الفضل الرازيّ، أخذه من المراقبة في العروض.

الخامس: قال ابن مجاهد: لا يقوم بالتَّمام في الوقف إلّا نحويّ عالم بالقراءات، عالم بالتفسير والقصص وتخليص بعضِها من بعض، عالم باللُّغة التي نزل بها القرآن.

وقال غيره: وكذا علم الفقه، ولهذا مَنْ لم يقبل شهادة القاذف وإن تاب يقف عند قوله: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا﴾ [النور: ٤]. وممن صرَّح بذلك النّكزاويّ، فقال في كتاب «**الوقف**»: لا بدَّ للقارئ من معرفة بعض مذاهب الأئمة المشهورين في الفقه، لأنَّ ذلك يُعينُ على معرفة الوقف والابتداء؛ لأن في القرآن مواضعَ ينبغي الوقفُ على مذهب بعضهم، ويمتنع على مذهب آخرين.

فأما احتياجه إلى علم النحو وتقديراته: فلأنَّ مَنْ جعل: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨]. منصوباً على الإغراء وقف على ما قبله، أما إذا أعمل فيه ما قبله فلا.

وأما احتياجه إلى القراءات: فلما تقدَّم مِنْ أنَّ الوقف قد يكون تامًّا على قراءة، غير تامّ على أخرى.

وأما احتياجُه إلى التفسير: فلأنه إذا وقف على: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [المائدة: ٢٦]. كان المعنى: إنَّها محرَّمة عليهم هذه المدة، وإذا وقف على ﴿عَلَيْهِمْ﴾ كان المعنى: إنَّها محرَّمة عليهم

(١) في «النشر» ١/ ٢٣٨.

أبداً، وأنَّ التيه «أربعين»؛ فرجع في هذا إلى التفسير. وقد تقدَّم أيضاً أنَّ الوقف يكون تامًّا على تفسير وإعراب، غير تامٍّ على تفسير وإعراب آخر.

وأمَّا احتياجه إلى المعنى: فضرورة؛ لأنَّ معرفة مقاطع الكلام إنَّما تكون بعد معرفة معناه، كقوله: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾ [يونس: ٦٥]، فقوله: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ﴾ استئناف، لا مقولُهُم! وقوله: ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ﴾، ويبتدئ ﴿أَنتُمَا﴾ [القصص: ٣٥]. قال الشيخ عز الدين: الأحسن الوقف على ﴿إِلَيْكُمَا﴾؛ لأنَّ إضافة الغلبة إلى الآيات أَوْلى من إضافة عدم الوصول إليها؛ لأنَّ المراد بالآيات: العصا وصفاتُها، وقد غلبوا بها السحرة، ولم تمنع عنهم فرعون.

وكذا الوقف على قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾، ويبتدئ ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف: ٢٤]. على أن المعنى: لولا أن رأى برهان ربه لَهَمَّ بها؛ فقدَّم جواب ﴿لَوْلَآ﴾، ويكون همُّه منتفياً، فعلم بذلك أن معرفة المعنى أصل في ذلك كبير.

السَّادس: حكى ابنُ برهان النحويّ[1] عن أبي يوسف[2] القاضي صاحب أبي حنيفة: أنه ذهب إلى أنَّ تقدير الموقوف عليه من القرآن بالتامّ والناقص والحسن والقبيح وتسميته بذلك بدعة، ومُتعمِّدُ الوقوفِ على نحوه مُبْتَدِعٌ، قال: لأنَّ القرآن معجزٌ، وهو كالقِطعة الواحدةِ، فكلُّه قرآن وبعضُه قرآن، وكلُّه تام حَسَنٌ، وبعضُه تامّ حَسَنٌ.

السابع: لأئمة القرَّاء مذاهبُ في الوقف والابتداء:

فنافع: كان يراعي تجانُسَهما بحسَب المعنى.

وابن كثير وحمزة: حيث ينقطع النَّفَس، واستثنى ابن كثير: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٩]، ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]. فتعمَّد الوقف عليها.

وعاصم والكسائي: حيث تمَّ الكلام.

وأبو عمرو: يتعمَّد رؤوسَ الآي، ويقول: هو أحبُّ إليَّ، فقد قال بعضهم: إنَّ الوقفَ عليه سنة.

وقال البيهقي في «**الشعب**» وآخرون: الأفضل الوقف على رؤوس الآيات، وإن تعلَّقت بما بعدها، اتباعاً لهدي رسول الله ﷺ وسنَّته.

روى أبو داود [٤٠٠١] وغيرُه: عن أم سلمة: أَنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا قرأ قطَّع قراءته آية آية، يقول: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ثم يقف، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ثم يقف، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ثم يقف [والترمذي: ٢٩٢٧ وهو صحيح].

---

(١) ابن بَرْهان: عبد الواحد بن علي العُكْبري، عالم بغدادي، برع في العربية والأدب (ت: ٤٥٦ هـ). «شذرات الذهب» ٣/ ٢٩٧.

(٢) يعقوب بن إبراهيم الكوفي، أول من نشر مذهب أبي حنيفة، مات في خلافة الرشيد ببغداد (ت: ١٨٢ هـ). «النجوم الزاهرة» ٢/ ١٣٧، و«تاريخ بغداد» ١٤/ ٢٤٢.

الثامن: الوقْف والقطع والسَّكت، عبارات يُطلقها المتقدِّمون غالباً، مراداً بها الوقفُ. والمتأخِّرون فرَّقوا فقالوا:

القطع: عبارة عن قطع القراءة رأساً، فهو كالانتهاء، فالقارئ به كالمعرض عن القراءة، والمنتقل إلى حالة أخرى غيرها، وهو الذي يُستعاذ بعده للقراءة المستأنفة، ولا يكون إلَّا على رأس آية، لأنَّ رؤوس الآي في نفسها مقاطع.

أخرج سعيد بن منصور في «سننه»: حدَّثنا أبو الأحوص، عن أبي سنان، عن ابن أبي الهُذَيل أنه قال: كانوا يكرهون أن يقرؤوا بعض الآية ويدعوا بعضَها .**إسناده صحيح**. وعبد الله بن أبي الهُذيل تابعيّ كبير، وقوله: (كانوا) يدلُّ على أنَّ الصحابة كانوا يكرهون ذلك.

والوقف: عبارة عن قطع الصَّوْت عن الكلمة زمناً يتنفَّس فيه عادةً، بنيَّة استئناف القراءة لا بنيّة الإعراض، ويكون في رؤوس الآي وأوساطها، ولا يأتي في وسط الكلمة، ولا فيما اتصل رسماً.

والسكت: عبارة عن قَطْع الصوت زمناً، وهو دون زمن الوقف عادة، من غير تنفس. واختلاف ألفاظ الأئمة في التأدية عنه مما يدلُّ على طوله وقِصَره: فعن حمزة في السكت على الساكن قبل الهمزة سكتة يسيرة. وقال الأشناني: قصيرة، وعن الكسائيّ: سكتة مختلسة من غير إشباع. وقال ابن غلبون: وقفة يسيرة، وقال مكيّ: وقفة خفيفة. وقال ابن شُريح: وُقَيْفة. وعن قتيبة: من غير قطْع نَفَس. وقال الدَّانيّ: سكتة لطيفة من غير قطع. وقال الجعبريّ: قطْع الصوت زمناً قليلاً أقصر من زمن إخراج النَّفَس؛ لأنه إن طال صار وقفاً. في عبارات أُخَر.

قال ابن الجزريّ[1]: والصحيح أنَّه مقيَّد بالسَّماع والنقل، ولا يجوز إلَّا فيما صحت الرواية به، لمعنى مقصودٍ بذاته. وقيل: يجوز في رؤوس الآي مطلقاً حالة الوصل، لقصد البيان. وحمل بعضهم الحديث الوارد على ذلك.

ضوابط:

١ ـ كل ما في القرآن من (الذي) و(الذين): يجوز فيه الوصل بما قبله نعتاً، والقطعُ على أنه خبر، إلَّا في سبعة مواضع، فإنَّه يتعين الابتداء بها:

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ﴾ في البقرة [١٢١]، ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾ فيها [١٤٦]. وفي الأنعام أيضاً [٢٠] .﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ في البقرة [٢٧٥]، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ﴾ في براءة [٢٠]، ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ﴾ في الفرقان [٣٤]، ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ﴾ في غافر [٧].

وفي «**الكشاف**»[2] في قوله: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ﴾: يجوز أن يقف القارئ على الموصوف ويبتدئ بـ﴿ٱلَّذِى﴾ إنْ حملتَه على القَطع، بخلاف ما إذا جعلتَه صفة.

---

(١) في «النشر» ١/ ٢٤٣.

(٢) «الكشاف» ٤/ ٣٠٢ سورة الناس: ٥.

وقال الرُّمَّانيّ[1]: الصِّفة إن كانت للاختصاص امتنع الوقف على موصوفها دونها، وإن كانت للمدح جاز، لأنَّ عاملها في المدح غير عامل الموصوف.

٢ ـ الوقف على المستثنى منه دون المستثنى، إن كان منقطعاً، فيه مذاهب: الجواز مطلقاً، لأنه في معنى مبتدأ حذف خبرهُ للدَّلالة عليه.

والمنع مطلقاً، لاحتياجه إلى ما قبله لفظاً؛ لأنه لم يعهد استعمال (إلَّا) وما في معناها إلَّا متصلة بما قبلها، ومعنًى؛ لأن ما قبلها مُشْعِرٌ بتمام الكلام في المعنى، إذ قولك: (ما في الدار أحدٌ) هو الذي صحَّح (إلَّا الحمارَ)، ولو قلت: (إلا الحمار) على انفراده كان خطأً.

والثالث: التفصيل؛ فإن صُرِّح بالخبر جاز؛ لاستقلال الجملة واستغنائها عمَّا قبلها، وإن لم يصرَّح به فلا؛ لافتقارِها. قاله ابن الحاجب في «**أماليه**»[2].

٣ ـ الوقف على الجملة الندائية جائز، كما نقله ابن الحاجب عن المحقِّقين؛ لأنها مستقلة وما بعدها جملة أُخرى، وإن كانت الأولى تتعلَّق بها.

٤ ـ كلّ ما في القرآن من القول لا يجوز الوقف عليه؛ لأن ما بعده حكايته. قاله الجويني في «**تفسيره**».

٥ ـ (**كلاَّ**) في القرآن في ثلاثة وثلاثين موضعاً:

منها سبعة للردع اتفاقاً، فيوقف عليها، وذلك: ﴿عَهْدًا كَلَّا﴾ في مريم [٧٨ ـ ٧٩]، ﴿عِزًّا كَلَّا﴾ في مريم [٨١ ـ ٨٢]، ﴿أَن يَقْتُلُونِ قَالَ كَلَّا﴾ في الشعراء [١٤ ـ ٢٥]، ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلَّا﴾ في الشعراء [٦١ ـ ٦٢]، ﴿شُرَكَآءَ كَلَّا﴾ في سبأ [٢٧]، ﴿أَنْ أَزِيدَ كَلَّا﴾ في المدّثر [١٥ ـ ١٦]، ﴿أَيْنَ الْمَفَرُّ كَلَّا﴾ في القيامة [١٠ ـ ١١].

والباقي: منها ما هو بمعنى: حقًّا قطعاً، فلا يوقف عليه. ومنها ما احتمل الأمرين، ففيه الوجهان.

وقال مكيّ: هي أربعة أقسام:

الأوَّل: ما يحسُن الوقفُ فيه عليها على معنى الرَّدع وهو الاختيار، ويجوز الابتداء بها على معنى: حقًّا. وذلك أحدَ عشرَ موضعاً:

اثنان في مريم، وفي ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾، وسبأ، واثنان في المعارج، واثنان في المدَّثر: ﴿أَنْ أَزِيدَ كَلَّا﴾ [١٥ ـ ١٦]، ﴿مُّنَشَّرَةً ۝ كَلَّا﴾ [٥٢ ـ ٥٣]، وفي المطففين: ﴿أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝ كَلَّا﴾ [١٣ ـ ١٤]، وفي الفَجر: ﴿أَهَٰنَنِ ۝ كَلَّا﴾ [١٦ ـ ١٧]، وفي الهُمزة ﴿أَخْلَدَهُۥ ۝ كَلَّا﴾ [٣ ـ ٤].

الثَّاني: ما يحسن الوقف عليها ولا يجوز الابتداء بها، وهو موضعان: في الشعراء: ﴿أَن يَقْتُلُونِ قَالَ كَلَّا﴾ [١٤ ـ ١٥]، ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلَّا﴾ [٦١ ـ ٦٢].

---

(١) الرُّمَّاني: علي بن عيسى، عالم في اللغة والنحو والبلاغة (ت: ٣٨٤ هـ). «تاريخ بغداد» ١٢/ ١٦.

(٢) «أمالي ابن الحاجب» ١/ ٣٨٠ مسائل في الاستثناء.

الثَّالث: ما لا يحسن الوقف عليها ولا الابتداء بها، بل توصل بما قبلها، وبما بعدها وهو موضعان: في عَمَّ والتَّكاثر: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ: ٥]، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٤].

الرابع: ما لا يحسُن الوقفُ عليها، ولكن يُبتدأ بها، وهي الثمانية عشر الباقية.

٦ ـ (**بلى**) في القرآن في اثنين وعِشْرين مَوْضِعاً، وهي ثلاثة أقسام:

الأوّل: ما لا يجوز الوقف عليها إجماعاً؛ لتعلق ما بعدها بما قبلها، وهو سبعة مواضع:

في الأنعام: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ [٣٠].

في النحل: ﴿بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ [٣٨].

في سبأ: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [٣].

في الزمر: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ﴾ [٥٩].

في الأحقاف: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ [٣٤].

في التغابن: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي﴾ [٧].

في القيامة: ﴿بَلَىٰ قَادِرِينَ﴾ [٤].

الثاني: ما فيه خلاف، والاختيار المنع، وذلك خمسة مواضع:

في البقرة: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [٢٦٠].

في الزمر: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ﴾ [٧١].

في الزخرف: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا﴾ [٨٠].

في الحديد: ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ [١٤].

في تبارك: ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا﴾ [٩].

الثالث: ما الاختيار جواز الوقف عليها، وهو العشرة الباقية.

٧ ـ (**نعم**) في القرآن في أربعة مواضع:

في الأعراف: ﴿قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ﴾ [٤٤]، والمختار الوقف عليها؛ لأن ما بعدها غير متعلِّق بما قبلها؛ إذ ليس من قول أهل النار. والبواقي فيها، وفي الشُّعراء: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [٤٢].

وفي الصافات: ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ﴾ [١٨]، والمختار لا يوقف عليها؛ لتعلّق ما بعدَها بما قبلها؛ لاتِّصاله بالقول.

ضابط: قال ابن الجزريّ في «النَّشر»[1]: كلّ ما أجازوا الوقف عليه أجازوا الابتداء بما بعده.

---

(١) ١/ ٢٣٤.

فصل: في كيفية الوقف على أواخر الكلم

للوقف في كلام العرب أَوجهٌ متعددة، والمستعمَل منها عند أئمة القراءة تسعة: السّكون، والرَّوْم، والإشمام، والإبدال، والنقل، والإدغام، والحذف، والإثبات، والإلحاق.

فأما السكون: فهو الأصل في الوقف على الكلمة المحرّكة وصلاً؛ لأن معنى الوقف التَّرك والقطع؛ ولأنه ضدّ الابتداء، فكما لا يُبتدأُ بساكن لا يُوقف على متحرّك. وهو اختيارُ كثيرٍ من القراء.

وأما الرَّوْم: فهو عند القرّاء عبارة عن النطق ببعض الحركة، وقال بعضهم: تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظَمُها. قال ابن الجزريّ: وكلا القولين واحد. ويختصُّ بالمرفوع والمجزوم والمضموم والمكسور. بخلاف المفتوح؛ لأنّ الفتحة خفيفة، إذا خرج بعضها خَرَج سائِرُها، فلا تَقبَلُ التبعيض.

وأمَّا الإشمام: فهو عبارة عن الإشارة إلى الحركة من غير تصويت. وقيل: أنْ تجعل شَفَتيْك على صورتها. وكلاهما واحد.

ويختصُّ بالضمَّة، سواء كانت حركةَ إعرابٍ أم بناءٍ إذا كانت لازمة، أمَّا العارضة، وميم الجمع عند من ضمَّ، وهاء التأنيث: فلا رَوْمَ في ذلك ولا إشمامَ.

وقيَّد ابن الجزري هاءَ التأنيث بما يوقف عليها بالهاء، بخلاف ما يوقف عليها بالتاء للرسم.

ثم إنَّ الوقف بالرَّوْم والإشمام وَرَدَ عن أبي عَمْرٍو والكوفيين نصّاً، ولم يأْتِ عن الباقين فيه شيء، واستحبه أهل الأداء في قراءتهم أيضاً.

وفائدته: بيان الحركة التي تثبت في الوصل للحرف الموقوف عليه؛ ليظهر للسامع أو الناظر كيف تلك الحركة الموقوف عليها.

وأما الإبدال: ففي الاسم المنصوب المنوّن، يوقف عليه بالألف بدلاً من التنوين. ومثله (إذن). وفي الاسم المفرد المؤنث بالتاء، يوقف عليه الهاء **بدلاً** منها. وفيما آخره همزة متطرِّفة بعد حركة أو ألف، فإنَّه يوقف عليه عند حمزة بإبدالها حرفَ مدٍّ من جنس ما قبلها، ثم إن كان ألفاً جاز حذفُها نحو: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ [العلق: ١]، و﴿نَبِّئۡ﴾ [الحجر: ٤٩]، و﴿يَبۡدَؤُاْ﴾ [الروم: ١١]، و﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ﴾ [النساء: ١٧٦]، و﴿مِن شَٰطِيِٕ﴾ [القصص: ٣٠]، و﴿يَشَآءُ﴾ [التكوير: ٢٩]، و﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٢]، و﴿مِن مَّآءٍ﴾ [النور: ٤٥].

وأمَّا النقل: ففيما آخره همزة بعد ساكن، فإنَّه يوقف عليه عند حمزة بنقل حركتها إليه، فتحرّك بها، ثم تحذف هي، سواء أكان الساكن صحيحاً، نحو: ﴿دِفۡءٞ﴾ [النحل: ٥]، ﴿مِّلۡءُ﴾ [آل عمران: ٩١]. ﴿يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ﴾ [عم: ٤٠]، ﴿لِكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ﴾ [الحجر: ٤٤]، ﴿بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ﴿بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢]، ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ﴾ [النمل: ٢٥]، ولا ثامن لها.

أم ياءً أو واواً أصليَّتين، سواء كانتا حرفَ مدّ، نحو: ﴿ٱلۡمُسِيٓءُ﴾ [غافر: ٥٨]، ﴿وَجِاْيٓءَ﴾ [الزمر: ٦٩]، و﴿يُضِيٓءُ﴾ [النور: ٣٥]، ﴿أَن تَبُوٓأَ﴾ [المائدة: ٢٩]، ﴿لَتَنُوٓأُ﴾ [القصص: ٧٦]، ﴿وَمَا عَمِلَتۡ

مِن سُوٓءٍ﴾ [آل عمران: ٣٠]، أم لين، نحو: ﴿شَيْءٍ﴾، ﴿قَوْمَ سَوْءٍ﴾ [الأنبياء: ٧٧]، ﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾ [النحل: ٦٠].

وأما الإدغام: ففيما آخره همز بعد ياء أو واو زائدتين، فإنَّه يوقف عليه ـ عند حمزة أيضاً ـ بالإدغام، بعد إبدال الهمز من جنسِ ما قَبْلَه، نحو: ﴿ٱلنَّسِيٓءُ﴾ [التوبة: ٣٧]، و﴿بَرِيٓءٌ﴾ [التوبة: ٣]، و﴿قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وأما الحذف: ففي الياءات الزوائد عند مَنْ يثبتها وصْلاً، ويحذفها وقفاً. وياءات الزوائد ـ وهي التي لم ترسم ـ مئة وإحدى وعشرون، منها: خمس وثلاثون في حشو الآي، والباقي في رؤوس الآي.

فنافع وأبو عمرٍو وحمزةُ والكسائي وأبو جعفر: يثبتونها في الوصل دون الوقف.

وابنُ كثير ويعقوبُ: يثبتان في الحالَيْن.

وابنُ عامر وعاصم وخلفٌ: يَحْذِفون في الحالَيْنِ.

وربَّما خرج بعضهم عن أصله في بعضها.

وأما الإثبات: ففي الياءات المحذوفات وصلاً عند من يثبتها وقفاً، نحو: ﴿هادٍ﴾ و﴿وَالٍ﴾ و﴿واقٍ﴾ و﴿بَاقٍ﴾.

وأما الإلحاق: فما يلحق آخر الكَلِم من هاءات السكت عند مَنْ يلحقها في:

﴿عَمَّ﴾ و﴿فِيمَ﴾، و﴿بِمَ﴾، و﴿لِمَ﴾، و﴿مِمَّ﴾.

والنون المشدَّدة من جمع الإناث: نحو: ﴿هُنَّ﴾ و﴿مِثْلَهُنَّ﴾.

والنون المفتوحة، نحو: ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ و﴿ٱلَّذِينَ﴾ و﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

والمشدَّد المبنيّ، نحو: ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَيَّ﴾ [النمل: ٣١]، و﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، و﴿بِمُصْرِخِيَّ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، و﴿لَدَيَّ﴾ [النمل: ١٠].

قاعدة: أجمعوا على لزوم اتِّباع رسم المصاحف العثمانية في الوقف إبدالاً وإثباتاً، وحذفاً ووصلاً وقطعاً. إلَّا أنَّه ورد عنهم اختلاف في أشياء بأعيانها، كالوقف بالهاء على ما كتب بالتاء، وبإلحاق الهاء فيما تقدَّم وغيره، وبإثبات الياء في مواضع لم تُرْسَمْ بها، والواو في: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الإسراء: ١١] ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٦]، ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٨]، ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ [الشورى: ٢٤]، والألف في: ﴿أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ [الزخرف: ٤٩]، ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١].

وتحذف النون في: ﴿وَكَأَيِّن﴾ حيث وقع، فإن أبا عَمْرو يقف عليه بالياء ويوصل ﴿أَيًّا مَّا﴾ في الإسراء [١١٠]، و﴿فَمَالِ﴾ في النساء [٧٨]، والكهف [٤٩]، والفرقان [٧]، وسأل [٣٦]. وقطع ﴿وَيْكَأَنَّ . . . وَيْكَأَنَّهُ﴾ [القصص: ٨٢]، ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟﴾ [النمل: ٢٥]. ومن القرَّاء من يتَّبع الرسمَ في الجميع.

النوع التاسع والعشرون

في بيان المَوْصول لفظاً المفصول معنىً

هو نوعٌ مهمّ جديرٌ أن يفرد بالتصنيف؛ وهو أصلٌ كبير في الوقف؛ ولهذا جعلته عَقِبه. وبه يحصُل حَلُّ إشكالات وكشفُ معضِلات كثيرة:

من ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ إلى قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٩ ـ ١٩٠]. فإنَّ الآية في قصة آدم وحواء كما يُفهمه السياق؛ وصُرِّح به في حديثٍ أخرجه أحمد [٢٠١١٧]، والترمذي ـ وحسّنه ـ [٣٠٧٧] والحاكم ـ وصححه ـ [(٢/ ٥٤٥)] من طريق الحسن عن سَمُرَة مرفوعاً.

وأخرجه ابن أبي حاتم[١] وغيره بسندٍ صحيح عن ابن عباس.

لكن آخر الآية مُشكِلٌ، حيث نسب الإشراك إلى آدم وحواء، وآدم نبيٌّ مكلَّم، والأنبياء معصومون من الشرك قبل النبوَّة وبعدها إجماعاً، وقد جرَّ ذلك بعضَهم إلى حمل الآية على غير آدم وحواء، وأنّها في رجل وزوجته كانا من أهل المُلْكِ، وتعدَّى إلى تعليل الحديث والحُكْم بنكارته.

وما زِلْتُ في وقفةٍ من ذلك حتى رأيت ابنَ أبي حاتم[٢] قال: أخبرنا أحمد بن عثمان بن حكيم: حدَّثنا أحمد بن مفضَّل: حدَّثنا أسباط، عن السُّديّ في قوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠] قال: هذه فصْل من آية آدم، خاصة في آلهة العرب.

وقال عبد الرزَّاق: أخبرنا ابن عُيينة، سمعت صَدَقة بن عبد الله بن كثير المكيّ يحدِّث عن السُّديّ قال: هذا من الموصول المفصول.

وقال ابنُ أبي حاتم[٣]: حدَّثنا عليّ بن الحسين، حدَّثنا محمد بن أبي حمَّاد، حدَّثنا مِهْرَان، عن سُفيان، عن السُّديّ، عن أبي مالك قال: هذه مفصولة، إطاعة في الولد ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ هذه لقوم محمد.

فانحلَّتْ عني هذه العقدةُ، وانجَلَتْ لي هذه المُعْضِلَةُ، واتَّضح بذلك أن آخر قصة آدم وحواء: ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾، وأن ما بعده تخلّص إلى قصة العرب، وإشراكهم الأصنام. ويوضِّح ذلك تغيير الضمير إلى الجمع بعد التثنية، ولو كانت القصّة واحدة لقال: (عمَّا يشركان)، كقوله: ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا ... فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف: ١٨٩ ـ ١٩٠]. وكذلك الضمائر في قوله بعده:

---

(١) في «تفسيره» ٥/ ١٦٣٠ (٨٦٣١) الأعراف: ١٨٩.

(٢) في «تفسيره» ٥/ ١٦٣٥ (٨٦٦١) الأعراف: ١٩٠.

(٣) في «تفسيره» ٥/ ١٦٣٥ (٨٦٦٣) الأعراف: ١٩٠.

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾ [الأعراف: ١٩١]، وما بعده إلى آخر الآيات. وحُسْنُ التخلُّص والاستطراد من أساليب القرآن.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ [آل عمران: ٧] الآية، فإنه على تقدير الوصل يكون: (الراسخون يعلمون تأويله). وعلى تقدير الفصل بخلافه.

وقد أخرج ابنُ أبي حاتم(١)، عن أبي الشعثاء وأبي نَهِيك، قالا: إنكم تصِلون هذه الآية وهي مقطوعة.

ويؤيد ذلك كونُ الآية دلَّت على ذمِّ متَّبعي المتشابه ووصْفِهم بالزَّيْغ.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [النساء: ١٠١]. فإنَّ ظاهر الآية يقتضي أنَّ القصر مشروط بالخوف، وأنَّه لا قَصْرَ مع الأمْن، وقد قال به لظاهر الآية جماعةٌ؛ منهم عائشة، لكن بيّن سببُ النزول أنَّ هذا من الموصول المفصول. فأخرج ابنُ جرير(٢) من حديث عليّ: سأل قوم من بني النَّجار رسولَ الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إنا نضرب في الأرض، فكيف نصلِّي؟ فأنزل الله: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾، ثم انقطع الوحيُ، فلمَّا كان بعد ذلك بحوْلٍ، غزا النبيُّ ﷺ، فصلَّى الظهر، فقال المشركون: لقد أمكنكم محمَّد وأصحابُه من ظهورهم، هلاَّ شدَدْتُم عليهم. فقال قائل منهم: إن لهم أُخرى مثلها في أثرها. فأنزل الله بين الصلاتين: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ إلى قوله: ﴿عَذَابًا مُّهِينًا﴾، فنزلت صلاة الخوف.

فتبيَّن بهذا الحديث أَنَّ قوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ شرط فيما بعده، وهو صلاة الخوف لا في صلاة القصر، وقد قال ابن جرير: هذا تأْويلٌ في الآية حَسَنٌ، لو لم تكن في الآية ﴿وَإِذَا﴾(٣).

قال ابن الفَرس: ويصحُّ مع ﴿وَإِذَا﴾ على جعل الواو زائدة.

قلت: يعني ويكون من اعتراض الشرط على الشرط، وأحسن منه أن تجعل ﴿وَإِذَا﴾ زائدةً، بناءً على قول مَنْ يجيز زيادَتَها.

وقال ابن الجوزيّ في كتابه «**التفسير**»(٤): قد تأْتي العرب بكلمة إلى جانب كلمة أُخرى كأنَّها معها، وهي غير متصلة بها، وفي القرآن: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ [الأعراف: ١١٠]. هذا قول الملأ، فقال فرعون: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الأعراف: ١١٠].

ومثله: ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ انتهى كلامها، فقال يوسف: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يوسف: ٥١ ـ ٥٢].

---

(١) في «تفسيره» ٢/ ٥٩٩ (٣٢٠٦) آل عمران: ٧.

(٢) في «تفسيره» ٤/ ٢٤٣ النساء: ١٠١.

(٣) وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ...﴾.

(٤) «زاد المسير في علم التفسير» ٤/ ١٨١ يوسف: ٥٢.

ومثله: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ هذا منتهى قولها، فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤].

ومثله: ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ انتهى قول الكفار، فقالت الملائكة: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ﴾. وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في هذه الآية قال: آيةٌ من كتاب الله أولها أهل الضلالة وآخرها أهل الهدى، قالوا: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢]، هذا قول أهل النفاق، وقال أهل الهدى حين بُعثوا من قبورهم: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾.

وأخرج[١] عن مجاهد في قوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩]. قال: وما يدريكم أنهم يؤمنون إذا جاءت؟ ثم استقبل يُخبِرُ فقال: ﴿أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

---

(١) ابنُ أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١٣٦٨ (٧٧٧٠) الأنعام: ١٠٩.

النوع الثلاثون

في الإمالة والفتح وما بينهما

أفرده بالتَّصنيف جماعةٌ مِن القرَّاء منهم: ابن القاصح[1]، عمل كتابه: «**قرَّة العين في الفتح والإمالة وبين اللّفظين**».

قال الدانيّ: الفتح والإمالة لغتان مشهورتان، فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم: فالفتح لغة أهل الحجاز، والإمالة لغة عامَّة أهل نجد من تميم وأسد وقيْس.

قال: والأصل فيها حديث حُذيفة مرفوعاً: «**اقرؤوا القرآن بلُحُون العرب وأصوَاتِها، وإياكم وأصواتِ أهل الفسْق وأهلِ الكِتابين**». [الطبراني في «الأوسط»: ٧٢١٩].

قال: فالإمالة لا شكَّ من الأحرف السبعة، ومن لحون العرب وأصواتها.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدَّثنا وكيع، حدَّثنا الأعمش، عن إبراهيم، قال: كانوا يَروْن أن الألف والياءَ في القراءة سواء، قال: يعني بالألف والياء التفخيمَ والإمالةَ.

وأخرج في «**تاريخ القرَّاء**»[2] من طريق أبي عاصم الضرير الكوفيّ، عن محمد بن عبيد الله، عن عاصم، عن زرّ بن حُبيش قال: قرأ رجل على عبد الله بن مسعود ﴿طه﴾ ولم يكسر، فقال عبد الله: (طِهِ) وكسَر الطاء والهاء، فقال الرجل: (طه) ولم يكسر، فقال عبد الله: (طِهِ) وكسر الطاء والهاء، فقال الرجل: ﴿طه﴾ ولم يكسر، فقال عبد الله: (طِهِ) وكسر، ثم قال: هكذا علَّمني رسول الله ﷺ. قال ابن الجزريّ: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه، ورجالُهُ ثقاتٌ إلَّا محمد بن عبيد الله، وهو العَرْزَميّ، فإنَّه ضعيف عند أهل الحديث، وكان رجلاً صالحاً، لكن ذهبتْ كُتبُهُ، فكان يحدِّث من حِفظه، فأُتِيَ عليه من ذلك.

قلت: وحديثه هذا أخرجه ابن مَرْدويه في «**تفسيره**»، وزاد في آخره: وكذا نزل بها جبريل.

وفي «**جمال القراء**»: عن صفوان بن عسَّال: أنه سمع رسول الله ﷺ يقرأ: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ﴾ [مريم: ١٢]. فقيل له: يا رسول الله، تمِيلُ! وليس هي لغة قريش؟ فقال: «**هي لغة الأخوال بني سعد**».

وأخرج ابن أشته عن أبي حاتم قال: احتجَّ الكوفيُّون في الإمالة بأنَّهم وجدوا في المصحف الياءاتِ في موضعِ الألِفَات، فاتَّبعوا الخطَّ وأمالوا، ليقربوا من الياءات.

الإمالة: أن ينحُوَ بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء كثيراً، وهو المحض. ويقال له أيضاً: الإضجاع والبطح، والكسر قليلاً، وهو بين اللفظين. ويقال له أيضاً: التقليل والتلطيف، وبين بين.

---

(١) ابن القاصح: علي بن عثمان، شارح الشّاطبيّة، إمام جليل (ت: ٨٠١ هـ). «الجواهر المضية» ١/ ٢٦٦.

(٢) انظر «النشر» ٢/ ٣١.

فهي قسمان: شديدة ومتوسطة، وكلاهما جائز في القراءة، والشديدة يجتنب معها القلْب الخالص، والإشباع المبالَغ فيه، والمتوسطة بين الفتح المتوسط والإمالة الشديدة.

قال الدَّاني[1]: وعلماؤنا مختلفون أيُّهما أَوْجه وأَولى؟ وأنا أختار الإمالة الوسطى التي هي بين بين؛ لأنَّ الغرض من الإمالة حاصلٌ بها، وهو الإعلام بأن أصلَ الألف الياء، والتنبيهُ على انقلابها إلى الياء في موضع، أو مشاكلتها للكسر المجاور لها أو الياء.

وأما الفتح: فهو فتح القارئ فاهُ بلفظ الحرف، ويقال له: التفخيم، وهو شديدٌ ومتوسط.

فالشديد: هو نهاية فتح الشخص فاه بذلك الحرف، ولا يجوز في القرآن، بل هو معدوم في لغة العرب.

والمتوسط: ما بين الفتح الشديد والإمالة المتوسطة. قال الدَّاني: وهذا هو الذي يستعمله أصحاب الفتح من القرَّاء.

واختلفوا: هل الإمالة فَرْع عن الفتح، أو كلٌّ منهما أصل برأسه؟ ووجه الأَوَّل: أنَّ الإمالة لا تكون إلا لسبَب، فإن فُقد لزم الفتح، وإن وُجد جاز الفتحُ والإمالة؛ فما من كلمةٍ تُمال إلَّا في العرب مَنْ يفتحها، فدلَّ اطِّراد الفتح على أصالته وفرعيَّتها.

والكلام في الإمالة من خمسة أوجه: أسبابها، ووجوهها، وفائدتها، ومَنْ يُميل، وما يُمَال.

وأمَّا أسبابها: فذكرها القراء عشرة، قال ابن الجزريّ: وهي ترجع إلى شيئين: أحدهما الكسرة، والثاني الياء؛ وكلٌّ منهما يكون متقدِّماً على محلّ الإمالة من الكلمةِ أَوْ متأخراً عنه، ويكون أيضاً مقدّراً في محلّ الإمالة.

وقد تكون الكسرة والياء غيرَ موجودَتَيْن في اللفظ ولا مقدَّرتين في محل الإمالة، ولكنَّهما مما يعرض في بعض تصاريف الكلمة.

وقد تُمال الألف أو الفتحة لأجل ألف أُخرى أو فتحة أخرى ممالة، وتسمَّى هذه: إمالة لأجل إمالة، وقد تُمال الألف تشبيهاً بالألف الممالة.

قال ابنُ الجزريّ: وتمال أيضاً بسبب كثرة الاستعمال، وللفرق بين الاسم والحرف، فتبلغ الأسباب اثني عشر سبباً.

فأَمَّا الإمالة لأجل الكسرة السابقة: فشرطها أن يكون الفاصل بينها وبين الألف حرفاً واحداً، نحو كتاب وحساب ـ وهذا الفاصل إنَّما حصل باعتبار الألف، وأما الفتحة الممالة فلا فاصل بينها وبين الكسرة ـ أو حرفين أَوَّلهما ساكن نحو إنسان، أو مفتوحيْن والثاني هاء، لخفائها.

وأما الياء السابقة: فإمَّا ملاصقة للألف كالحياة، والأيامى، أو مفصولة بحرفين أحدهما الهاء كـ: يَدها.

---

(١) انظر «النشر» ٢/ ٣٢.

وأمَّا الكسرة المتأخِّرة: فسواء كانت لازمة نحو عابد، أم عارضة نحو: من الناس، وفي النار. وأمَّا الياء المتأخرة فنحو: مبايع. وأمَّا الكسرة المقدرة فنحو: خاف؛ إذ الأصل: خَوِف.

وأما الياء المقدرة: فنحو: يخشى، والهدى، وأبى، والثَّرى، فإنَّ الألف في كلِّ ذلك منقلبة عن ياء، تحركتْ وانفتح ما قبلها.

وأما الكسرة العارضة في بعض أحوال الكلمة: فنحو: طاب، وجاء، وشاء، وزاد، لأن الفاء تُكسَر من ذلك مع ضمير الرفع المتحرك.

وأما الياء العارضة كذلك، نحو: تلا، وغزا، فإن أَلِفَهما عن واو، وإنَّما أُمِيلت لانقلابها ياءً في: تُلِيَ وغُزِي.

وأمَّا الإمالة لأجل الإمالة، فكإمالة الكسائي الألفَ بعد النون من: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ١٥٦] لإمالة الألف من ﴿لِلَّهِ﴾. ولم يُمل: ﴿وَإِنَّآ إِلَيۡهِ﴾ لعدم ذلك بعده. وجعل من ذلك إمالة: الضحى، والقرى، وضحاها، وتلاها.

وأمَّا الإمالة لأجل الشبه: فإمالة ألف التأنيث في نحو: الحسنى، وألف: موسى، وعيسى، لشبهها بألف الهدى.

وأمَّا الإمالة لكثرة الاستعمال: فكإمالة ﴿ٱلنَّاسِ﴾ في الأحوال الثلاث، على ما رواه صاحب «**المبْهِج**».

وأما الإمالة للفرق بين الاسم والحرف؛ فكإمالة الفواتح. كما قال سيبويه[(١)] : إنَّ إمالة باء وتاء في حروف المعجم؛ لأنها أسماء ما يلفظ به، فليست مثل: ما، ولا، وغيرهما من الحروف.

وأما وجوهها فأربعة، ترجع إلى الأسباب المذكورة. أصلها اثنان: المناسبة والإشعار.

فأمَّا المناسبة: فقسم واحد، وهو فيما أُمِيل لسبب موجود في اللَّفظ، وفيما أُميل لإمالة غيره، فإنَّهُم أرادوا أن يكون عمل اللسان ومجاورة النطق بالحرف الممال لسبب الإمالة من وجه واحدٍ، وعلى نَمط واحد.

وأما الإشعار: فثلاثة أقسام: إشعار بالأصل، وإشعار بما يعرض في الكلمة في بعض المواضع، وإشعار بالشَّبَه المشعر بالأصل.

وأمَّا فائدتها: فسهولة اللفظ، وذلك: أنَّ اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة، والانحدارُ أخفُّ على اللسان من الارتفاع، فلهذا أمال مَنْ أمال. وأَمَّا مَن فتح فإنه راعَى كونَ الفتح أمتنَ، أو الأصل.

أمَّا مَن أمال: فكُلُّ القراء العشرة إلَّا ابن كثير، فإنَّه لم يُمِلْ شيئاً في جميع القرآن.

وأمَّا ما يُمال: فموضع استيعابه كتب القراءات، والكتب المؤلَّفة في الإمالة.

ونذكر هنا ما يدخل تحت ضابط:

---

(١) في «كتابه» ٤/ ١٢٨ هذا باب من إمالة الألف يميلها فيه ناسٌ من العرب كثير.

فحمزة والكسائي وخلَف أمالوا كلَّ ألفٍ منقلبة عن ياء، حيث وقعت في القرآن، في اسم أو فعل: كالهدى، والهوى، والفتى، والعمى، والزنا، وأتى، وأبى، وسعى، ويخشى، ويرضى، واجتبى، واشترى، ومثوى، ومأوى، وأدنى، وأزكى.

وكلَّ ألف تأنيث على (فُعْلى) بضم الفاء أو كسرها أو فتحها، كطُوبَى، وبُشرى، وقُصْوَى، والقُرْبَى، والأُنثى، والدنيا، وإحدَى، وذِكْرى، وسيما، وضِيزى، وموتى، ومرضى، والسلوى، والتقوى. وألحقوا بذلك: موسى، وعيسى، ويحيى.

وكلَّ ما كان على وزن (فُعالى) بالضم أو الفتح: كسُكارى، وكُسالى، وأُسارى، ويَتامى، ونصارى، وأَيامى.

وكلَّ ما رسم في المصاحف بالياء، نحو: بلى، ومتى، ويا أسفى، ويا ويلتى، ويا حسرتى، وأنّى للاستفهام. واستثني من ذلك: حتى، وإلى، وعلى، ولدى، وما زكَى؛ فلم تُمَلْ بحالٍ.

وكذلك: أمالوا من الواوي ما كُسر أَوَّله أو ضُمَّ، وهو الرِّبا كيف وقع، والضحى كيف جاء، والقُوى والعُلَى.

وأمالوا رؤوس الآي من إحدى عشرة سورة جاءت على نسق، وهي: طه، والنجم، وسأل، والقيامة، والنازعات، وعبس، والأعلى، والشمس، والليل، والضحى، والعلق. ووافق على هذه السُّور أبو عَمرٍو وورش.

وأمال أبو عمرو كُلَّ ما كان فيه راء بعدها ألف بأيِّ وزن كان: كذكرى، وبشرى، وأسرى، وأراه، واشترى، ويرى، والقرى، والنصارى، وأسارى، وسُكارى، ووافق على ألفات (فُعلى) كيف أتتْ.

وأمال أبو عمرو والكسائي كلَّ ألف بعدها راء متطرفة، مجرورة، نحو: الدار، والنار، والقهار، والغفار، والنهار، والديار، والكفار، والأبكار، وبقنطار، وأبصارهم، وأوبارها، وأشعارها، وحمارك، سواء كانت الألف أصلية أم زائدة.

وأمال حمزة الألفَ من عين الفعل الماضي من عشرة أفعال، وهي: زاد، وشاء، وجاء، وخاب، وران، وخاف، وزاغ، وطاب، وضاق، وحاق حيث وقعت، وكيف جاءت.

وأمال الكسائي هاء التأنيث وما قبلها وقفاً مطلقاً بعد خمسة عشرة حرفاً، يجمعها قولك: (فجثت زينب لذود شمس). فالفاء كخليفة ورأفة، والجيم كوليجة ولجَّة، والثاء كثلاثة وخبيثة، والتاء كبغتة والميتة، والزاي كبارزة وأعزة، والياء كخشية وشية، والنون كسنَّة وجنَّة، والباء كحبة والتوبة، واللام كليلة وثلَّة، والذال كلذَّة والموقوذة، والواو كقسوة والمروة، والدال كبلدة وعدَّة، والشين كالفاحشة وعيشة، والميم كرحمة ونعمة، والسين كالخامسة وخمسة.

ويفتح مطلقاً بعد عشرة أحرف، وهي: جاع، وحروف الاستعلاء (قظ خص ضغط). والأربعة الباقية وهي (أكهر) إن كان قبل كلٍّ منها ياء ساكنة، أو كسرة متصلة أو منفصلة بساكن يميل، وإلَّا يفتح.

وبقي أحرف فيها خُلْف وتفصيل، ولا ضابط يجمعها؛ فلتُنظر من كتب الفن.

* **وأما فواتح السور:**

فأمال ﴿الر﴾ في السور الخمسة[١]: حمزةُ والكسائيُّ وخلف وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر، وبين بيْن: ورش.

وأمال الهاء من فاتحة (مريم) و(طه): أبو عمرو والكسائيّ وأبو بكر.

وأمال حمزة وخَلف وورش (طه) دون (مريم).

وأمال الياء من أول (مريم) مَنْ أمال ﴿الر﴾ إلَّا أبا عمرو على المشهور عنه. ومِن أَوَّل ﴿يسٓ﴾: الثلاثة الأَوَّلون وأبو بكر.

وأمال هؤلاء الأربعة الطاء من ﴿طه﴾ و﴿طسٓمٓ﴾ و﴿طسٓ﴾، والحاء من ﴿حمٓ﴾ في السور السَّبْع[٢]، ووافقهم في الحاء ابن ذَكْوان.

* **خاتمة**: كره قوم الإمالة لحديث: «**نزل القرآن بالتفخيم**» [«المستدرك» (٢/ ٢٣١)]. وأُجيب عنه بأوجه:

أحدها: أنه نزل بذلك، ثم رخَّص في الإمالة.

ثانيها: أن معناه أنه يقرأُ على قراءة الرجال، ولا يُخضَعُ الصوتُ فيه ككلام النساء.

ثالثها: أن معناه أُنزل بالشدة والغلظة على المشركين، قال في «**جمال القراء**»[٣]: وهو بعيدٌ في تفسير الخبر؛ لأنه نزل أيضاً بالرحمة والرأفة.

رابعها: أن معناه بالتعظيم والتبجيل؛ أي: عَظِّمُوه، وبجِّلوه، فحضَّ بذلك على تعظيم القرآن وتبجيله.

خامسها: أن المراد بالتفخيم تحريك أوساط الكلم بالضمِّ والكسر في المواضع المختلف فيها دون إسكانها، لأنه أشبع لها وأفخم.

قال الدانيّ: وكذا جاء مفسراً عن ابن عباس. ثم قال: حدَّثنا ابن خاقان، حدثنا أحمد بن محمد، حدثنا علي بن عبد العزيز، حدَّثنا القاسم، سمعت الكسائي يخبر عن سلمان، عن الزهريّ قال: قال ابن عباس: نزل القرآن بالتثقيل والتفخيم، نحو قوله: (الجُمعة) وأشابه ذلك من التثقيل، ثم أورد حديث الحاكم [(٢/ ٢٣١)] عن زيد بن ثابت مرفوعاً: «**نزَل القرآنُ بالتفخيم**».

وقال محمد بن مقاتل أحدُ رواته: سمعت عمَّاراً يقول: ﴿عُذْرًا أَوْ نُذُرًا﴾ [المرسلات: ٦]، ﴿ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ [الكهف: ٩٦]. يعني بتحريك الأوسط في ذلك.

قال: ويؤيده قول أبي عُبيدة: أهل الحجاز يفخِّمون الكلام كلَّه إلَّا حرفاً واحداً: (عشْرة) فإنَّهم يجزمونه، وأهلُ نجد يتركون التفخيم في الكلام؛ إلا هذا الحرف، فإنَّهم يقولون: (عَشِرة) بالكسر.

قال الدَّاني: فهذا الوجه أولى في تفسير الخبر.

---

(١) هي: يونس، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر.

(٢) هي: غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف.

(٣) السخاوي في «جمال القراء» ١/ ١٥٢.

النوع الحادي والثلاثون

في الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب

أفرد ذلك بالتصنيف جماعةٌ من القراء.

الإدغام: هو اللَّفظ بحرفين حَرْفاً كالثاني، مشدَّداً. وينقسم إلى كبير وصغير:

فالكبير: ما كان أولُ الحرفين فيه متحركاً؛ سواء كانا مِثْلين أم جنسين أم متقاربين. وسُمِّيَ كبيراً لكثرة وقوعه؛ إذ الحركة أكثر من السكون، وقيل: لتأثيره في إسكان المتحرِّك قبل إدغامه، وقيل: لِما فيه من الصعوبة، وقيل: لشموله نوعَي المثلين والجنسين والمتقاربين.

والمشهور بنسبته إليه من الأئمة العشرة هو: أبو عمرو بن العلاء، وورد عن جماعة خارجَ العشرة: كالحسن البصريّ، والأعمش، وابن مُحَيصِن، وغيرهم.

ووجهه: طلب التخفيف.

وكثير من المصنِّفين في القراءات لم يذكروه البتَّةَ كأبي عُبيد في كتابه[1]، وابن مجاهد في «**مسبّعته**»[2]، ومكيّ في «**تبصرته**»، والطَّلَمنكيّ في «**روضته**»[3]، وابن سفيان في «**هاديه**»، وابن شُريح في «**كافيه**»، والمهدوي في «**هدايته**» وغيرهم.

قال في «**تقريب النشر**»: ونعني بالمتماثلَيْن: ما اتَّفقا مخرجاً وصفة، والمتجانِسيْن: ما اتَّفقا مخرجاً واختلفا صفة، والمتقارِبين: ما تقاربا مَخْرَجاً أو صفةً.

فأمَّا المدغم من المتماثلين فوقع في سبعة عشر حرفاً: وهي الباء، والتاء، والثاء، والحاء، والراء، والسين، والعين، والغين، والفاء، والقاف، والكاف، واللام، والميم، والنون، والواو، والهاء، والياء. نحو: ﴿ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النساء: ١٠٥]، ﴿ٱلْمَوْتُ تَحْبِسُونَهُمَا﴾ [المائدة: ١٠٦]، ﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٩١]، ﴿ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ [الحج: ٢]، ﴿يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ﴿ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]، ﴿أَفَاقَ قَالَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ﴿إِنَّكِ كُنتِ﴾ [يوسف: ٢٩]، ﴿لَا قِبَلَ لَهُم﴾ [النمل: ٣٧]، ﴿ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ﴾ [الفاتحة: ٢ ـ ٣]، ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ [البقرة: ٣٠]، ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ﴾ [النحل: ٦٣]، ﴿فِيهِ هُدًى﴾ [البقرة: ٢]، ﴿يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وشرطه: أن يلتقيَ المثلان خطًّا، فلا يدغم في نحو: ﴿أَنَا۠ نَذِيرٌ﴾ [العنكبوت: ٥٠]، من أجل وجود الألف خَطًّا. وأن يكونا من كلمتين، فإن التقيا من كلمة فلا يدغم، إلَّا في حرفين نحو: ﴿مَّنَاسِكَكُمْ﴾ في البقرة [٢٠٠]. و﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ في المدثر [٤٢].

---

(١) انظر «النشر» ١/ ٣٣ ـ ٣٤.
(٢) انظر «النشر» ١/ ٨١.
(٣) انظر «النشر» ١/ ٧١.

وألَّا يكون الأول تاءً ضميراً لمتكلِّم أو خطاباً، فلا يدغم، نحو: ﴿كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ: ٤٠]، ﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ﴾ [يونس: ٤٢].

ولا مشدّداً، فلا يدْغم نحو: ﴿مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٨]، ﴿رُّبَّ بِمَآ﴾ [الحجر: ٣٩].

ولا منوّناً، فلا يُدْغم نحو: ﴿غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾، ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وأما المدغم من المتجانسين والمتقاربين فهو ستة عشر حرفاً، يجمعها: (رض سنشدُّ حجتك بذلّ قثم).

وشرطه: ألَّا يكون الأول مشدّداً، نحو: ﴿أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ﴾ [البقرة: ٢٠٠]، ولا منوّناً نحو: ﴿فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ﴾ [الزمر: ٦].

ولا تاء ضمير، نحو: ﴿خَلَقۡتَ طِينٗا﴾ [الإسراء: ٦١].

فالباء تدغم في الميم في: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ فقط.

والتاء في عشرة أحرف: الثّاء: ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ﴾ [البقرة: ٩٢]، والجيم: ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ﴾ [إبراهيم: ٢٣]، والذال: ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ﴾ [هود: ١١٤]، والزاي: ﴿ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ﴾ [الزمر: ٧٣]، والسين: ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ﴾ [النساء: ٥٧]، ولم يدْغم: ﴿وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ﴾ [البقرة: ٢٤٧]/ للجزم مع خفة الفتحة، والشين: ﴿بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ [النور: ٤]، والصاد: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ﴾ [النبأ: ٣٨]، والضاد: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا﴾ [العاديات: ١]، والطاء: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ [هود: ١١٤]، والظاء: ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ﴾ [النساء: ٩٧].

والثاء في خمسة أحرف: التاء: ﴿حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ﴾ [الحجر: ٦٥]. والذال: ﴿وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ﴾ [آل عمران: ١٤]، والسين: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ﴾ [النمل: ١٦]، والشين: ﴿حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾ [البقرة: ٣٥]، والضاد: ﴿حَدِيثُ ضَيۡفِ﴾ [الذاريات: ٢٤].

والجيم في حرفين: الشين: ﴿أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ﴾ [الفتح: ٢٩]، والتاء: ﴿ذِي ٱلۡمَعَارِجِ تَعۡرُجُ﴾ [المعارج: ٣].

والحاء في العين في: ﴿زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] فقط.

والدال في عشرة أحرف: التاء: ﴿ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ﴿بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١]، والثاء: ﴿يُرِيدُ ثَوَابَ﴾ [النساء: ١٣٤]، والجيم: ﴿دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، والذال: ﴿وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ﴾ [المائدة: ٩٧]، والزاي: ﴿يَكَادُ زَيۡتُهَا﴾ [النور: ٣٥]، والسين: ﴿ٱلۡأَصۡفَادِ ٤٩ سَرَابِيلُهُم﴾ [إبراهيم: ٤٩ ـ ٥٠]، والشين: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ﴾ [يوسف: ٢٦]، والصاد: ﴿نَفۡقِدُ صُوَاعَ﴾ [يوسف: ٧٢]، والضاد: ﴿مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ﴾ [يونس: ٢١]، والظاء: ﴿يُرِيدُ ظُلۡمٗا﴾ [غافر: ٣١].

ولا تدغم مفتوحة بعد ساكن إلَّا في التاء لقوّة التجانس.

والذال في السين في قوله: ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ﴾ [الكهف: ٦١]، والصاد في قوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ﴾

[الجن: ٣]، والراء في اللام، نحو: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨]، ﴿ٱلْمَصِيرُ ۝٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ﴾ [البقرة: ٢٨٥ ـ ٢٨٦]، ﴿وَٱلنَّهَارِ لَآيَٰتٍ﴾ [آل عمران: ١٩٠]. فإن فتحت وسكن ما قبلها لم تدغم، نحو: ﴿وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾ [النحل: ٨].

والسين في الزاي في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧]، والشين في قوله: ﴿ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤].

والشين في السين في: ﴿ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢] فقط.

والضاد في: ﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ [النور: ٦٢] فقط.

والقاف في الكاف إذا تحرك ما قبلها، نحو: ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، وكذا إذا كانت معها في كلمة واحدة وبعدها ميم، نحو: ﴿خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١].

والكاف في القاف إذا تحرك ما قبلها، نحو: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ﴾ [البقرة: ٣٠]، لا إن سكن نحو: ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ [الجمعة: ١١].

واللام في الراء إذا تحرك ما قبلها، نحو: ﴿رُسُلُ رَبِّكَ﴾ [هود: ٨١]، أو سكن وهي مضمومة أو مكسورة نحو: ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ﴾ [التكوير: ١٩]، ﴿إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥]، لا إن فتحت نحو: ﴿فَيَقُولَ رَبِّ﴾ [المنافقون: ١٠]، إلّا لام (قال) فإنها تدغم حيث وقعت، نحو: ﴿قَالَ رَبِّ﴾ [آل عمران: ٣٨]، ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ [المائدة: ٢٣].

والميم تسكن عند الباء إذا تحرَّك ما قبلها فتخفى بغُنة، نحو: ﴿بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣]، ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ١١٣]، ﴿مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا﴾ [النساء: ١٥٦].

وهذا نوع من الإخفاء المذكور في الترجمة. وذكر ابن الجزريّ له في أنواع الإدغام تَبِع فيه بعضَ المتقدمين، وقد قال هو في «النشر»[1]: إنه غير صواب.

فإن سكن ما قبلها أُظهرت، نحو: ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ﴾ [البقرة: ١٣٢].

والنون تدغم إذا تحرك ما قبلها في الراء وفي اللام، نحو: ﴿تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ [الأعراف: ١٦٧]، ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ [البقرة: ٥٥]، فإن سكن أُظهرت عندهما، نحو: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم﴾ [النحل: ٥٠]، ﴿أَن تَكُونَ لَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٦٦]، إلّا نون نحن، فإنها تدغم نحو: ﴿نَحْنُ لَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٨]، ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ﴾ [هود: ٥٣]، لكثرة دورها وتكرار النون فيها، ولزوم حركاتها وثِقَلها.

* **تنبيهان:**

الأول: وافق أبا عمرو حمزةُ ويعقوبُ في أحرفٍ مخصوصةٍ استوعَبَها ابنُ الجزريّ في كتابيه: «**النشر**»، و«**التقريب**».

الثاني: أجمع الأئمة العشرة على إدغام: ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ١١]. واختلفوا في اللفظ به: فقرأ أبو جعفر بإدغامه مَحْضاً بلا إشارة، وقرأ الباقون بالإشارة رَوْماً وإشماماً.

---

(١) «النشر» ١/ ٢٢٢ ـ ٢٨٤.

ضابط: قال ابن الجزريّ: جميع ما أدغمه أبو عمرو من المِثليْن والمتقاربين إذا وصل السورة بالسورة: ألفُ حرف وثلاثمئة وأربعة أحرف، لدخول آخر (القَدْر) بـ﴿لَمْ يَكُنْ﴾. وإذا بَسْمَلَ ووصل آخرَ السورة بالبسملة، ألف وثلاثمئة وخمسة، لدخول آخر (الرَّعد) بأول (إبراهيم)، وآخر (إبراهيم) بأَوَّل (الحجر)، وإذا فصل بالسكت ولم يبسمل، ألف وثلاثمئة وثلاثة.

وأمَّا الإدغام الصغير: فهو ما كان الحرف الأوَّل فيه ساكناً.

وهو واجب وممتنع وجائز، والذي جرتْ عادة القرَّاء بذكره في كتب الخلاف هو الجائز؛ لأنَّه الذي اختلف القرَّاء فيه، وهو قسمان:

الأوّل: إدغام حرف من كلمة في حروف متعددة من كلمات متفرقة، وتنحصر في: إذ، وقد، وتاء التأنيث، وهل، وبلْ.

فـ(إذ): اختلف في إدغامها وإظهارها عند ستة أحرف: التاء: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾ [البقرة: ١٦٦]، والجيم: ﴿إِذْ جَعَلَ﴾ [الفتح: ٢٦]، والدال: ﴿إِذْ دَخَلْتَ﴾ [الكهف: ٣٩]، والزاي: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ﴾ [الأحزاب: ١٠]، والسين: ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ [النور: ١٢]، والصاد: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

و(قد): اختلف فيها عند ثمانية أحرف: الجيم: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم﴾ [البقرة: ٩٢]، والذال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٩]، والزاي: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا﴾ [الملك: ٥]، والسين: ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ [المائدة: ١٠٢]، والشين: ﴿قَدْ شَغَفَهَا﴾ [يوسف: ٣٠]، والصاد: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ [الإسراء: ٤١]، والضاد: ﴿قَدْ ضَلُّواْ﴾ [النساء: ١٦٧]، والظاء: ﴿فَقَدْ ظَلَمَ﴾ [البقرة: ٢٣١].

وتاء التأنيث: اختلف فيها عند ستة أحرف: الثاء: ﴿بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود: ٩٥]، والجيم: ﴿نَضِجَتْ جُلُودُهُم﴾ [النساء: ٥٦]، والزاي: ﴿خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ﴾ [الإسراء: ٩٧]، والسين: ﴿أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ [البقرة: ٢٦١]، والصاد: ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ﴾ [الحج: ٤٠]، والظاء: ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ [الأنبياء: ١١].

ولام (هل) و(بل): اختُلف فيها عند ثمانية أحرف، تختصّ (بل) منها بخمسة: الزاي: ﴿بَلْ زُيِّنَ﴾ [الرعد: ٣٣]، والسين: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ [يوسف: ١٨]، والضاد: ﴿بَلْ ضَلُّواْ﴾ [الأحقاف: ٢٨]، والطاء: ﴿بَلْ طَبَعَ﴾ [النساء: ١٥٥]، والظاء: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ﴾ [الفتح: ١٢].

وتختص (هل) بالثاء: ﴿هَلْ ثُوِّبَ﴾ [المطففين: ٣٦]، ويشتركان في التاء والنون: ﴿هَلْ تَنقِمُونَ﴾ [المائدة: ٥٩]، ﴿بَلْ تَأْتِيهِم﴾ [الأنبياء: ٤٠]، ﴿هَلْ نَحْنُ﴾ [الشعراء: ٢٠٣]، ﴿بَلْ نَتَّبِعُ﴾ [البقرة: ١٧٠].

القسم الثاني: إدغام حروف قَرُبت مخارجُها، وهي سبعة عشر حرفاً، اختلف فيها:

أحدها: الباء عند الفاء في: ﴿أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ﴾ [النساء: ٧٤]، ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ﴾ [الرعد: ٥]، ﴿اذْهَبْ فَمَن﴾ [الإسراء: ٦٣]، ﴿فَاذْهَبْ فَإِنَّ﴾ [طه: ٩٧]، ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ [الحجرات: ١١].

الثاني: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ في البقرة [٢٨٤].

الثالث: ﴿ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾ في هود [٤٢].

الرابع: ﴿نَّخۡسِفۡ بِهِمُ﴾ في سبأ [٩].

الخامس: الراء الساكنة عند اللام نحو: ﴿يَغۡفِرۡ لَكُم﴾ [آل عمران: ٣١]، ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ [الطور: ٤٨].

السادس: اللام الساكنة في الذال: ﴿مَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٢٣١]، حيث وقع.

السابع: الثاء في الذال في: ﴿يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

الثامن: الدال في الثاء: ﴿وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، حيث وقع.

التاسع: الذال في التاء من: ﴿ٱتَّخَذۡتُمُ﴾ [البقرة: ٥١]، وما جاء من لفظه.

العاشر: الذال فيها من: ﴿فَنَبَذۡتُهَا﴾ في طه [٩٦].

الحادي عشر: الذال فيها أيضاً في: ﴿عُذۡتُ بِرَبِّي﴾ في غافر [٢٧]، والدخان [٢٠].

الثاني عشر: الثاء من: ﴿لَّبِثۡتُمۡ﴾ [الإسراء: ٥٢]، و﴿لَبِثۡتَ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، كيف جاءا.

والثالث عشر: الثاء فيها في: ﴿أُورِثۡتُمُوهَا﴾ في الأعراف [٤٣]، والزخرف [٧٢].

الرابع عشر: الدال في الذال في: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ﴾ [مريم: ١ ـ ٢].

الخامس عشر: النون في الواو، من ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾.

السادس عشر: النون فيها، من ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ﴾.

السابع عشر: النون عند الميم من: ﴿طسٓمٓ﴾ أول الشعراء والقصص.

* **قاعدة**: كلّ حرفين التقيا، أولُهما ساكن ـ وكانا مثلين، أو جنسين ـ وجب إدغام الأوَّل منهما، لغةً وقراءةً.

فالمِثْلان نحو: ﴿ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ﴾ [البقرة: ٦٠]، ﴿رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ [البقرة: ١٦]، ﴿وَقَد دَّخَلُواْ﴾ [المائدة: ٦١]، ﴿ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي﴾ [النمل: ٢٨]، ﴿وَقُل لَّهُمۡ﴾ [النساء: ٦٣]، ﴿وَهُم مِّنۡ﴾ [النمل: ٨٩]، ﴿عَن نَّفۡسٍ﴾ [البقرة: ٤٨]، ﴿يُدۡرِككُّمُ﴾ [النساء: ٧٨]، ﴿يُوَجِّههُّ﴾ [النحل: ٧٦].

والجنسان، نحو: ﴿قَالَت طَّآئِفَةٌ﴾ [آل عمران: ٧٢]، ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ﴾ [العنكبوت: ٣٨]، ﴿إِذ ظَّلَمۡتُمۡ﴾ [الزخرف: ٣٩]، ﴿بَلۡ رَانَ﴾ [المطففين: ١٤]، (هل رَأَيْتُمْ)، ﴿قُل رَّبِّ﴾ [الإسراء: ٢٤].

ما لم يكن أوّل المثلين حرف مدّ نحو: ﴿قَالُواْ وَهُمۡ﴾ [الشعراء: ٩٦]، ﴿ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ﴾ [الناس: ٥]. أو أوّل الجنسين حرف حلْق نحو: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ﴾ [الزخرف: ٨٩].

* **فائدة**: كره قوم الإدغام في القرآن، وعن حمزة أنه كرهه في الصلاة، فتحصلنا على ثلاثة أقوال[1].

* **تذنيب**: يلحق بالقسمين السابقين قسمٌ آخرُ اختلف في بعضه، وهو: أحكام النون الساكنة والتنوين. ولهما أحكام أربعة: إظهار، وإدغام، وإقلاب، وإخفاء.

فالإظهار: لجميع القراء عند ستة أحرف، وهي حروف الحلق: الهمزة، والهاء، والعين، والحاء والغين، والخاء، نحو: ﴿وَيَنۡـَٔوۡنَ﴾ [الأنعام: ٢٦]، ﴿مَنۡ ءَامَنَ﴾ [البقرة: ٦٢]، ﴿فَأَنۡهَٰرَ﴾ [التوبة:

---

(١) والأقوال هي: الإدغام مطلقاً في الصلاة وخارجها، الكراهة مطلقاً، الكراهة في الصلاة فقط.

١٠٩]، ﴿مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣]، ﴿جُرُفٍ هَارٍ﴾ [التوبة: ١٠٩]، ﴿أَنْعَمْتَ﴾ [الفاتحة: ٧]، ﴿مِنْ عَمَلٍ﴾ [يونس: ٦١]، ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧]، ﴿وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، ﴿مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]. ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾ [الإسراء: ٥١]، ﴿مِنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ﴿إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]. ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ [المائدة: ٣]، ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ [البقرة: ١٩٧]، ﴿قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨].

وبعضهم يخفي عند الخاء والغين.

والإدغام: في ستَّة:

حرفان بلا غنَّة؛ وهما اللام والراء، نحو: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: ٢٤]، ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٥]، ﴿ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾ [البقرة: ٢٥].

وأربعة بغنَّة، وهي: النون، والميم، والياء، والواو، ونحو: ﴿عَن نَّفْسٍ﴾ [البقرة: ٤٨]، ﴿حِطَّةٌ نَّغْفِرْ﴾ [البقرة: ٥٨]، ﴿مِن مَّالٍ﴾ [المؤمنون: ٥٥]، ﴿مَثَلًا مَّا﴾ [البقرة: ٢٦]، ﴿مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١]، ﴿وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ [البقرة: ١٩]، ﴿مَن يَقُولُ﴾ [البقرة: ٨]، ﴿وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ﴾ [البقرة: ١٩]. وبعضهم يدغم في الواو والياء بلا غنة.

والإقلاب: عند حرف واحد، وهو الباء: ﴿أَنبِئْهُم﴾ [البقرة: ٣٣]، ﴿مِنۢ بَعْدِهِم﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ﴿صُمٌّ بُكْمٌ﴾ [البقرة: ١٨]؛ بقلب النون والتنوين عند الباء ميماً خاصة، فتخفى بغنَّة.

والإخفاء: عند باقي الحروف، وهي خمسة عشر: التاء، والثاء، والجيم، والدال، والذال، والزاي، والسين، والشين، والصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والفاء، والقاف، والكاف، نحو: ﴿كُنتُمْ﴾ [البقرة: ٢٣]، ﴿مَن تَابَ﴾ [هود: ١١٢]، ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى﴾ [البقرة: ٢٥]، ﴿وَالْأُنثَىٰ﴾ [البقرة: ١٧٨]، ﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٥]، ﴿قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]، ﴿أَنجَيْتَنَا﴾ [يونس: ٢٢]، ﴿إِن جَعَلَ﴾ [القصص: ٧١]، ﴿خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٤٩]، ﴿أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]، ﴿أَن دَعَوْا﴾ [مريم: ٩١]، ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النبأ: ٣٤]، ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة: ٦]، ﴿مِن ذَهَبٍ﴾ [الكهف: ٣١]، ﴿وَكِيلًا ذُرِّيَّةَ﴾ [الإسراء: ٢ ـ ٣]، ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ﴾ [فصلت: ٢]، ﴿مِّن زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤]، ﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾ [الكهف: ٤٠]، ﴿الْإِنسَٰنُ﴾ [النساء: ٢٨]، ﴿مِن سُوٓءٍ﴾ [يوسف: ٥١]، ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾ [الزمر: ٢٩]، ﴿أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢٢]، ﴿إِن شَآءَ﴾ [البقرة: ٧٠]، ﴿غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٠]، ﴿وَالْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠]، ﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾ [المائدة: ٢]، ﴿جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: ٣٣]، ﴿مَّنضُودٍ﴾ [هود: ٨٢]، ﴿مَّن ضَلَّ﴾ [المائدة: ١٠٥]، ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا﴾ [الفرقان: ٣٩]، ﴿الْمُقَنطَرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤]، ﴿مِّن طِينٍ﴾ [الأنعام: ٢]، ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣]، ﴿يَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٠]، ﴿مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢]، ﴿ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧]، ﴿فَانفَلَقَ﴾ [الشعراء: ٦٣]، ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٩٠]، ﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ١٤]، ﴿انقَلَبُوٓا﴾ [يوسف: ٦٢]، ﴿مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦]، ﴿سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٥٠]، ﴿الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ﴿مِّن كِتَٰبٍ﴾ [آل عمران: ٨١]، ﴿كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٢٩]،

والإخفاء حالة بين الإدغام والإظهار، ولا بدَّ من الغنَّة معه.

النوع الثاني والثلاثون

في المد والقصر

أفرده جماعة من القراء بالتصنيف.

والأصل في المدّ: ما أخرجه سعيد بن منصور في «سننه»: حدثنا شهاب بن خراش، حدثني مسعود بن يزيد الكنديّ قال: كان ابن مسعود يُقرِئ رجلاً، فقرأ الرجل: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠] مرسلةً، فقال ابنُ مسعود: ما هكذا أقرأنيها رسولُ الله ﷺ، فقال: كيف أقرأكها يا أبا عبدِ الرحمن؟ فقال: أقرأنيها: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ فمدَّ. وهذا حديث حَسَنٌ جليل حُجَّة، ونصٌّ في الباب، رجال إسناده ثقات، أخرَجه الطَّبَرانيُّ في «الكبير» [٨٦٧٧].

المدّ: عبارة عن زيادة مطٍّ في حرف المدّ على المدّ الطبيعي؛ وهو الذي لا تقوم ذات حرف المدّ دونه.

والقصر: ترك تلك الزيادة، وإبقاء المدّ الطبيعيّ على حاله.

وحرف المدِّ (الألف) مطلقاً، و(الواو) الساكنة المضموم ما قبلها، و(الياء) الساكنة المكسور ما قبلها.

وسببه: لفظيّ ومعنويّ، فاللفظيّ: إما همز أو سكون، فالهمز: يكون بعد حرف المدِّ وقبله، والثاني: نحو آدم، ورأى، وإيمان، وخاطئين، وأُوتوا، والموؤدة.

والأول إن كان معه في كلمة واحدة، فهو: المتَّصل، نحو: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ ﴿شَآءَ ٱللَّهُ﴾ و﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ [الروم: ١٠]. و﴿مِن سُوٓءٍ﴾ [آل عمران: ٣٠]. و﴿يُضِيٓءُ﴾ [النور: ٣٥].

وإن كان حرفُ المدّ آخر كلمة والهمز أول أخرى فهو: المنفصل، نحو: ﴿بِمَآ أُنزِلَ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾ ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾، ﴿وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، ﴿فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾، ﴿بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.

ووجه المدِّ لأجل الهمز: أنَّ حرف المدِّ خفيّ، والهمز صعب، فزيد في الخفيّ ليُتمكن من النطق بالصعب.

والسكون: إمَّا لازم: هو الذي لا يتغيَّر في حاليه، نحو: ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ و﴿دَآبَّةٍ﴾ [البقرة: ١٦٤]. و﴿الٓمٓ﴾ و﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي﴾ [الأنعام: ٨٠]. أو **عارض**: وهو الذي يعرض للوقف ونحوه، نحو: ﴿ٱلۡعِبَادِ﴾ [يس: ٣٠]. و﴿ٱلۡحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٢]. و﴿نَسۡتَعِينُ﴾ و﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ و﴿يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤] حالة الوقف و﴿فِيهِ هُدٗى﴾ [البقرة: ٢]. و﴿قَالَ لَهُمۡ﴾ [البقرة: ٢٤٧]. و﴿يَقُولُ رَبَّنَآ﴾ [البقرة: ٢٠٠] حالة الإدغام.

ووجه المدِّ للسكون: التمكُّن من الجمع بين الساكنين، فكأنَّه قام مقامَ حركة.

وقد أجمع القراءُ على مدّ نوعَي المتَّصل وذي الساكن اللّازم، وإن اختلفوا في مقداره. واختلفوا في مدِّ النوعين الآخرين: وهما المنفصل، وذو الساكن العارض، وفي قصْرِهما.

فأمّا المتصل: فاتّفق الجمهور على مدِّه قدراً واحداً مشبعاً من غير إفحاش. وذهب آخرون إلى تفاضله كتفاضل المنفصل، فالطولى لحمزة وورش، ودونها لعاصم، ودونها لابن عامر والكسائي وخلف، ودونها لأبي عمرو والباقين.

وذهب بعضهم إلى أنه مرتبتان فقط: الطولى لمن ذكر، والوسطى لمن بقي.

وأما ذو الساكن: ويقال له: مدّ العدل، لأنه يعدل حركة، فالجمهور أيضاً على مدِّه مشبعاً قدراً واحداً من غير إفراط. وذهب بعضهم إلى تفاوته.

وأما المنفصل: ويقال له: مدّ الفصل؛ لأنه يفصل بين الكلمتين، ومدّ البسط؛ لأنه يُبسط بين الكلمتين، ومدّ الاعتبار؛ لاعتبار الكلمتين من كلمة، ومدّ حرف بحرف؛ أيْ: مدّ كلمة بكلمة، والمدّ الجائز، من أجل الخلاف في مدِّه وقصره، فقد اختلفت العبارات في مقدار مدِّه اختلافاً لا يمكن ضبطه.

والحاصل أن له سبع مراتب:

الأولى: القصر، وهو حذف المد العَرَضيّ، وإبقاء ذات حرف المدِّ على ما فيها من غير زيادة، وهي في المنفصل خاصَّة لأبي جعفر وابن كثير، ولأبي عمرو عند الجمهور.

الثانية: فُويق القصر قليلاً، وقُدِّرت بِأَلِفين، وبعضهم بألفٍ ونصف. وهي لأبي عمرو في المتصل والمنفصل عند صاحب «**التيسير**»[(١)].

الثالثة: فويقها قليلاً، وهي التوسُّط عند الجميع، وقدِّرت بثلاث ألفات، وقيل: بألِفين ونصف، وقيل: بألفين، على أنَّ ما قبلها بأَلِف ونصف، وهي لابن عامر والكسائي في الضربين، عند صاحب «**التيسير**».

الرابعة: فويقها قليلاً، وقُدِّرت بأربع أَلِفات، وقيل: بثلاث ونصف، وقيل: بثلاث، على الخلاف فيما قبلها؛ وهي لعاصم في الضربين عند صاحب «**التيسير**».

الخامسة: فويقها قليلاً، وقُدِّرت بخمس ألفات، وبأربع ونصف، وبأربع على الخلاف، وهي فيها لحمزة وورش عنده.

السادسة: فوق ذلك، وقدَّرها الهُذليّ بخمس ألفات على تقدير الخامسة بأربع، وذكر أنها لحمزة.

السابعة: الإفراط، قدَّرها الهُذليّ بستّ، وذكره لورش.

قال ابن الجزريّ: وهذا الاختلاف في تقدير المراتب بالألفات لا تحقيق وراءه، بل هو لفظيّ؛

---

(١) «التيسير في القراءات السبع» لأبي عمرو الداني ط ٢ دار الكتاب العربي ١٩٨٤م.

لأن المرتبة الدنيا ـ وهي القصر ـ إذا زيد عليها أدنى زيادة صارت ثانية، ثم كذلك حتى تنتهي إلى القصوى.

وأما العارض: فيجوز فيه ـ لكلٍّ من القراء ـ كلٌّ من الأوجه الثلاثة: المدِّ، والتوسط، والقصر، وهي أوجه تخيير.

وأما السبب المعنوي: فهو قصد المبالغة في النفي، وهو سبب قويٌّ مقصود عند العرب، وإن كان أضعفَ من اللفظيّ عند القرّاء.

ومنه مدُّ التعظيم في نحو: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ١٦٣]. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الصافات: ٣٥]. ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. وقد ورد عن أصحاب القصر في المنفصل لهذا المعنى، ويسمَّى مدّ المبالغة.

قال ابن مهران[١] في كتاب «**المدّات**»: إنما سُمِّي مدَّ المبالغة؛ لأنه طلب للمبالغة في نفي إلهيّة سوى الله تعالى. قال: وهذا مذهب معروف عند العرب، لأنها تمدّ عند الدعاء وعند الاستغاثة، وعند المبالغة في نفي شيء، ويمدُّون ما لا أصل له بهذه العلّة.

قال ابن الجزريّ: وقد وَرَدَ عن حمزةَ مدُّ المبالغة للنفي في (لا) التي للتبرئة، نحو: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢] .﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧١] .﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ [الروم: ٤٣] .﴿لَا جَرَمَ﴾ [هود: ٢٢]. وقدره في ذلك وسط، لا يبلغ الإشباع لضعف سببه. نصّ عليه ابن القَصَّاع[٢].

وقد يجتمع السببان: اللفظيّ والمعنويّ، في نحو: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الصافات: ٣٥]. و﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. و﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]. فيُمَدّ لحمزة مدًّا مشبعاً على أصله في المدِّ لأجل الهمز، ويُلغى المعنوي، إعمالاً للأقوى وإلغاءً للأضعف.

قاعدة: إذا تغير سبب المدِّ جاز المدُّ مراعاةً للأصل، والقصر نظراً للفظ، سواء كان السبب همزاً أو سكوناً، سواء تغيَّر الهمز بـ: بيْن بين، أو بإبدال، أو حذف؛ والمدُّ أولى فيما بقي لتغيُّر أثره، نحو: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ﴾ [البقرة: ٣١]. في قراءة قالون والبزيّ، والقصر فيما ذهب أثره نحوها في قراءة أبي عَمْرٍو.

قاعدة: متى اجتمع سببان قويٌّ وضعيف عُمل بالقويّ، وأُلْغِيَ الضعيفُ إجماعاً، ويتخرَّج عليها فروع:

منها: الفرع السابق في اجتماع اللفظيّ والمعنويّ.

ومنها: نحو: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ﴾ [يوسف: ١٦]. و﴿رَءَآ أَيْدِيَهُمْ﴾ [هود: ٧٠]. إذا قُرئَ لورش لا يجوز فيه القصرُ ولا التوسط بل الإشباع؛ عملاً بأقوى السببين، وهو المدّ لأجل الهمز بعده، فإن وقف على

---

(١) ابن مِهْران: أحمد بن الحسين النيسابوري، إمام عصره في القراءات (ت: ٣٨١ هـ). «العبر» للذهبي ٣/١٦.

(٢) ابن القَصَّاع: محمد بن إسرائيل الدمشقي، الإمام المقرئ (ت: ٦٧١ هـ). «معرفة القراء الكبار» ٢/٦٦٨.

﴿وَجَآءُوٓ﴾ أو ﴿رَءَا﴾ جازت الأوجهُ الثلاثةُ، بسبب تقدُّم الهمزِ على حرف المدِّ وذهاب سببيّة الهمز بعده.

فائدة: قال أبو بكر أحمد بن الحسين بن مِهران النيسابوري: مدَّات القرآن على عشرة أوجه:

مدّ الحَجْز: في نحو: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة: ٦]. ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦]. ﴿أَءِذَا مِتْنَا﴾ [المؤمنون: ٨٢]. ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ﴾ [القمر: ٢٥]؛ لأنه أدخل بين الهمزتين حاجزاً خففهما، لاستثقال العرب جَمْعَهما، وقدره ألف تامَّة بالإجماع، فحصولُ الحجز بذلك.

ومدّ العدل: في كلّ حرف مشدّد وقبله حرف مدّ ولين، نحو: ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾؛ لأنه يعدل حركة؛ أي: يقوم مقامَها في الحجز بين الساكنين.

ومدُّ التمكين: في نحو: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، و﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾، وسائر المدَّات التي تليها همزة، لأنه جُلِب ليتمكن به من تحقيقها وإخراجها من مخرجها.

ومدّ البسط: ويسمَّى أيضاً مدَّ الفصل: في نحو: ﴿بِمَآ أُنزِلَ﴾؛ لأنه يبسط بين كلمتين، ويفصل به بين كلمتين متصلتين.

ومدّ الرَّوْم: في نحو: ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾؛ لأنهم يرومون الهمزة من ﴿أَنتُمْ﴾؛ ولا يحققونها ولا يتركونها أصلاً، ولكن يليّنونها؛ ويشيرون إليها. وهذا على مذهب من لا يهمز ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾. وقدره ألِف ونصف.

ومدّ الفرق: في نحو: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾؛ لأنه يفرق به بين الاستفهام والخبر، وقدره ألف تامة بالإجماع. فإن كان بين ألف المدِّ حرف مشدَّد زِيدَ ألف أخرى ليتمكن به من تحقيق الهمزة، نحو: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

ومد البنية: في نحو: ﴿مَآءٍ﴾ و﴿دُعَآءً﴾ و﴿وَنِدَآءً﴾ و﴿زكرياء﴾؛ لأن الاسم بني على المدِّ، فرقاً بينه وبين المقصور.

ومدّ المبالغة: في نحو: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

ومدّ البدل من الهمزة: في نحو: ﴿ءَادَمَ﴾ و﴿ءَاخَرُ﴾ و﴿ءَامَنَ﴾. وقدره ألِف تامّة بالإجماع.

ومدّ الأصل: في الأفعال الممدودة، نحو: ﴿جَآءَ﴾ و﴿شَآءَ﴾، والفرق بينه وبين مدّ البنية أنَّ تلك الأسماء بُنيت على المدِّ، فرقاً بينها وبين المقصور، وهذه مدَّات في أصول أفعال أُحدِثت لمعانٍ. انتهى.

النوع الثالث والثلاثون

فـي تخفيف الهمز

فيه تصانيف مفردة.

اعلم أنَّ الهمْز لمّا كان أثقلَ الحروف نُطقاً، وأبعدَها مخرَجاً، تنوّع العربُ في تخفيفه بأنواع التخفيف، وكانت قريش وأهل الحجاز أكثرَهم له تخفيفاً؛ ولذلك أكثر ما يرد تخفيفه من طرقهم؛ كابن كثير من رواية ابن فُليح، وكنافع من رواية وَرْش، وكأبي عمرو؛ فإن مادة قراءته عن أهل الحجاز.

وقد أخرج ابن عديّ من طريق موسى بن عُبيدة، عن نافع، عن ابن عمر قال: ما هَمَز رسولُ الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمرُ، ولا الخلفاء، وإنّما الهمزُ بدعةٌ ابتدعوها مِن بعدِهم.

قال أبو شامة: هذا حديثٌ لا يحتجّ به، وموسى بن عُبيدة الرَّبَذيّ ضعيفٌ عند أئمة الحديث.

قلت: وكذا الحديث الذي أخرجه الحاكم في «**المستدرك**» [(٢/ ٢٣١)] من طريق حُمْران بن أَعيَن، عن أبي الأسود الدُّؤليّ، عن أبي ذرّ قال: جاء أعرابيٌّ إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا نبيء الله، فقال: «**لستُ بنبيء الله، ولكني نبيّ الله**». قال الذهبيّ: حديث منكر، وحُمْران رافضيّ ليس بثقة.

وأحكام الهمز كثيرة لا يُحصِيها أقلّ من مجلَّد، والذي نورده هنا: أن تخفيفَهُ أربعةُ أنواعٍ:

أحدها: النقل لحركته إلى الساكن قبله، فيسقط، نحو: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ [المؤمنون: ١]، بفتح الدال، وبه قرأ نافع من طريق ورش، وذلك حيث كان الساكن صحيحاً آخراً والهمزة أولاً. واستثنى أصحاب يعقوب عن ورش: ﴿كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ﴾ [الحاقة: ١٩ ـ ٢٠]. فسكّنوا الهاء وحققوا الهمزة، وأما الباقون فحققوا وسَكّنُوا في جميعِ القرآن.

وثانيها: الإبدال، بأن تُبدَل الهمزة الساكنة حرفَ مدٍّ من جنس حركة ما قبلها. فتبدل ألفاً بعد الفتح، نحو: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾ [طه: ١٣٢]، وواواً بعد الضمّ، نحو: (يومنون)، وياءً بعد الكسر، نحو (جيت) [البقرة: ٧١]. وبه يقرأ أبو عَمْرو، وسواء كانت الهمزة فاءً أم عيناً أم لاماً، إلّا أن يكون سكونُها جَزْماً، نحو: ﴿ننسأها﴾ [البقرة: ١٠٦]. أو بناءً، نحو: ﴿أرجئه﴾، أو يكون ترك الهمز فيه أثقلَ، وهو: ﴿وَتُـْٔوِيٓ إِلَيۡكَ﴾ في الأحزاب [٥١]. أو يوقع في الالتباس، وهو: ﴿وَرِءۡيٗا﴾ في مريم [٧٤]، فإنْ تحرَّكت فلا خلاف عنه في التحقيق نحو: ﴿يَـُٔودُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ثالثها: التسهيل بينها وبين حركتها:

فإن اتفق الهمزتان في الفتح: سهَّل الثانية الحرميّان وأبو عَمرو وهشام، وأبدلَها ورشٌ ألفاً. وابن كثير لا يُدخل قبلها ألفاً، وقالون وهشام وأبو عمرو يدخلونها، والباقون من السبعة يحقّقون.

وإن اختلفا بالفتح والكسر: سهَّل الحَرَميَّان وأبو عمرو الثانية، وأدخل قالون وأبو عمرو قبلها ألفاً، والباقون يحققون.

أو بالفتح والضم، وذلك في: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم﴾ [آل عمران: ١٥] .﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ [ص: ٨]. ﴿أَءُلْقِيَ﴾ [القمر: ٢٥]. فقط. فالثلاثة يسهّلون، وقالون يدخل ألفاً، والباقون يحققون.

قال الدانيّ: وقد أشار الصَّحابة إلى التسهيل بكتابة الثانية واواً.

رابعها: الإسقاط بلا نقل، وبه قرأ أبو عَمْرو، إذا اتفقا في الحركة وكانا في كلمتين، فإن اتفقا كسراً نحو: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ﴾ [البقرة: ٣١]. جعل ورش وقنبل: الثانية كياءٍ ساكنة. وقالون والبزيّ: الأولى كياء مكسورة، وأسقطها أبو عمرو، والباقون يحققون. وإن اتفقا فتحاً، نحو: ﴿جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ [الأعراف: ٣٤]. جعل ورش وقنبل الثانيةَ كمدَّة، وأسقط الثلاثةَ الأولى، والباقون يحققون. أو ضماً، وهو ﴿أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [الأحقاف: ٣٢]. فقط أسقطها أبو عَمْرٍو، وجعلها قالون والبزيّ كواو مضمومة، والآخران يجعلان الثانية كواو ساكنةٍ، والباقون يُحقِّقون.

ثم اختلفوا في الساقط: هل هو الأولى أو الثانية؟ الأول عن أبي عَمْرو، والثاني عن الخليل من النحاة.

وتظهر فائدة الخلاف في المدّ، فإنْ كان الساقط الأولى فهو منفصل، أو الثانية فهو متّصل.

النوع الرابع والثلاثون

في كيفية تحمُّله

اعلم أن حفظ القرآن فرضُ كفاية على الأُمَّة؛ صرَّح به الجُرْجَانيّ في «**الشافي**»[(١)] ، والعبَّاديّ وغيرهما. قال الجُويني: والمعنى فيه ألاَّ ينقطع عدد التواتر فيه، فلا يتطرَّق إليه التبديلُ والتحريفُ، فإن قام بذلك قومٌ يبلغون هذا العددَ سَقَطَ عن الباقين، وإلَّا أَثِمَ الكلّ.

وتعليمه أيضاً فرضُ كفايةٍ، وهو أفضل القُرَب؛ ففي الصحيح: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّم القرآن وعلَّمه**» . [البخاري: ٥٠٢٧، وأحمد: ٤١٢].

وأوجهُ التحمُّل عند أهل الحديث: السماعُ من لفظ الشيخ والقراءة عليه، والسماعُ عليه بقراءة غيره، والمناولة، والإجازة، والمكاتبة، والوصية، والإعلام، والوِجادة. فأمَّا غير الأوَّلين فلا يأتي هنا، لما يعلم ممَّا سنذكره.

وأما القراءة على الشيخ: فهي المستعملة سَلفاً وخَلفاً.

وأما السماع من لفظ الشيخ: فَيُحتمل أن يقال به هنا؛ لأنَّ الصحابة رضي الله عنهم إنَّما أَخذوا القرآن من النبي ﷺ، لكن لم يأخذ به أحدٌ من القراء، والمنعُ فيه ظاهرٌ؛ لأنَّ المقصود هنا كيفيَّة الأداء، وليس كلّ مَن سمع مِن لفظ الشيخ يقدر على الأداء كهيئته، بخلاف الحديث، فإنَّ المقصود فيه المعنى أو اللفظ لا بالهيئات المعتَبرة في أداء القرآن. وأمَّا الصَّحابة فكانت فصاحتهم وطِباعهم السليمة تقتضي قدرتَهم على الأداء، كما سمعوه من النبيّ ﷺ؛ لأنَّه نزل بلغتهم.

وممَّا يدل للقراءة على الشيخ عَرْض النبي ﷺ القرآن على جبريل في رمضان كل عام[(٢)] .

ويحكى: أن الشيخ شمس الدين بن الجزريّ لَمَّا قَدِم القاهرةَ وازدحمَتْ عليه الخَلْقُ، لم يتسعْ وقتُهُ لقراءة الجميع، فكان يقرأ عليهم الآية، ثم يُعيدونها عليه دفعةً واحدةً، فلم يكتف بقراءته.

وتجوز القراءة على الشيخ، ولو كان غيرُهُ يقرأُ عليه في تلك الحالة، إذا كان بحيث لا يخفى عليه حالهم. وقد كان الشيخ علم الدين السخاوي يقرأُ عليه اثنان وثلاثة في أماكنَ مختلفة، ويردُّ على كل منهم، وكذا لو كان الشيخ مشتغلاً بشغلٍ آخر كنسخ ومطالعة.

وأما القراءة من الحفظ: فالظاهر أنها ليست بشرط، بل يكفي ولو من المصحف.

---

(١) الجرجاني: أحمد بن محمد، إمام في الفقه والأدب (ت: ٤٨٢ هـ). «طبقات الشافعية» ٣/ ٣١، وكتابه «الشافي في الفقه» مخطوط في أيا صوفيا بإستانبول. بروكلمان ٢/ ٢٨١. وانظر قوله في: «البرهان في علوم القرآن» للزركشي ٢/ ٨٨.

(٢) إشارة للحديث الذي أخرجه البخاري (٤٩٩٧)، ومسلم (٦٠٠٩)، وأحمد (٢٦١٦) عن ابن عباس.

فصل: كيفيات القراءة ثلاث

أحدها: التحقيق، وهو إعطاءُ كلِّ حرف حقَّه من إشباع المدِّ، وتحقيق الهمزة، وإتمام الحركات، واعتماد الإظهار، والتشديدات، وبيان الحروف، وتفكيكها، وإخراج بعضها من بعض: بالسكت، والترتيل، والتُّؤدة، وملاحظة الجائز من الوقوف: بلا قصْر ولا اختلاسٍ، ولا إسكان محرَّك ولا إدغامه، وهو يكون لرياضة الألسن وتقويم الألفاظ.

ويستحبُّ الأخذُ به على المتعلِّمين من غير أن يتجاوز فيه إلى حدّ الإفراط بتوليد الحروف من الحركات، وتكرير الرَّاءات، وتحريك السَّواكن، وتطنين النُّونات بالمبالغة في الغنَّات، كما قال حمزة لبعض مَنْ سمعه يبالغ في ذلك: أَمَا علمتَ أنَّ ما فوق البياض بَرَص، وما فوق الجُعودة قَطَط، وما فوق القراءة ليس بقراءة؟

وكذا يحترز من الفصْل بين حروف الكلمة، كمن يقف على التاء من ﴿نَسْتَعِينُ﴾ وقفة لطيفة، مدَّعياً أنه يرتّل. وهذا النوع من القراءة مذهب حمزة وورش، وقد أخرج فيه الدانيّ حديثاً في كتاب التجويد مسلسلاً إلى أُبيّ بن كعب: أنه قرأ على رسول الله ﷺ التحقيق. وقال: إنَّه غريب مستقيم الإسناد.

الثانية: الحَدْر، بفتح الحاء وسكون الدال المهملتين، وهو إدراج القراءة وسرعتها وتخفيفُها بالقصْر والتسكين، والاختلاس والبدل والإدغام الكبير، وتخفيف الهمزة، ونحو ذلك ممَّا صَحَّت به الروايةُ، مع مراعاة إقامة الإعراب وتقويم اللفظ، وتمكُّن الحروف بدون بتْر حروفِ المدِّ، واختلاس أكثر الحركات، وذهاب صوت الغنة، والتفريط إلى غايةٍ لا تصحُّ بها القراءة، ولا توصف بها التلاوة. وهذا النوعُ مذهبُ ابنِ كثير وأبي جعفر، ومن قَصَر المنفصل كأبي عمرو ويعقوب.

الثالثة: التدوير، وهو التوسط بين المقامين من التحقيق والحَدْر. وهو الذي ورد عن أكثرِ الأئمة ممن مدَّ المنفصل، ولم يبلغ فيه الإشباع، وهو مذهبُ سائر القراء، وهو المختار عند أكثر أهل الأداء.

تنبيه: سيأتي في النوع الذي يَلي هذا استحباب الترتيل في القراءة، والفرق بينه وبين التحقيق ـ فيما ذكره بعضهم ـ أن التحقيقَ يكون للرياضة والتعليم والتمرين، والترتيلَ يكون للتدبُّر والتفكر والاستنباط، فكلّ تحقيق ترتيلٌ، وليس كل ترتيل تحقيقاً.

فصل [تجويد القرآن]

من المهمَّات تجويد القرآن، وقد أفرده جماعة كثيرون بالتصنيف؛ ومنهم الدَّانيّ وغيره، أَخرَج عن ابن مسعود أنَّه قال: جوِّدُوا القرآن(١).

قال القرَّاء: التجويد حِلْية القراءة، وهو إعطاءُ الحروف حقوقَها وترتيبَها، وردُّ الحرْف إلى مخرجه

(١) أخرج الداني في «المحكم في نقط المصاحف» قولَ ابن مسعود بلفظ: جَرِّدوا القرآن، ولا تخلطوا به ما ليس منه، ص ١٠ ـ ١١.

وأصله، وتلطيف النُّطق به على كمال هيئته، من غير إسرافٍ ولا تعسُّف ولا إفراط ولا تكلُّف. وإلى ذلك أشار ﷺ بقوله: «**مَنْ أَحبَّ أَن يقرأ القرآن غَضًّا كما أُنزل فليقرأه عَلى قراءة ابن أُمِّ عَبْد**» [إسناده حسن: أحمد: ٣٥، وابن حبان: ٧٠٦٦، وابن ماجه: ١٣٨] . يعني: ابن مسعود، وكان ﷺ قد أُعْطِيَ حظًّا عظيماً في تجويد القرآن.

ولا شك أن الأُمة ـ كما هُمْ متعبَّدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده ـ هم متعبَّدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصِّفة المتلقاة من أئمة القراء، المتصلة بالحضرة النبويّة. وقد عدَّ العلماء القراءةَ بغيرِ تجويد لحناً، فقسموا اللحن إلى جليّ وخفيّ، فاللحن خَلَلٌ يطرأُ على الألفاظ فيخلّ، إلّا أنَّ الجليَ يُخِلّ إخلالاً ظاهراً، يشترك في معرفته علماءُ القراءة وغيرهم. وهو الخطأُ في الإعراب، والخفيّ يخلُّ إخلالاً يختصّ بمعرفته علماء القراءة وأئمة الأداء، الذين تلقَّوه من أفواه العلماء، وضَبَطُوه من ألفاظ أهل الأداء.

قال ابن الجزريّ(١) : ولا أعلم لبُلُوغ النهاية في التجويد مثلَ رياضة الألْسُنِ والتكرار على اللَّفظ المُتَلَقَّى من فم المحسن.

وقاعدته: ترجع إلى معرفة كيفيَّة الوقف والإمالة والإدغام وأحكام الهمز والترقيقِ والتفخيمِ ومخارجِ الحروف؛ وقد تقدمت الأربعةُ الأُوَل. وأمَّا الترقيق: فالحروف المستقبلة كلها مرقَّقة، لا يجوز تفخيمُها، إلَّا اللَّام من اسم الله بعد فتحة أو ضمة إجماعاً، أو بعد حروف الإطباق في رواية، إلّا الرَّاء المضمومة أو المفتوحة مطلقاً، أو الساكنة في بعض الأحوال. والحروف المستعلية كلّها مفخمة لا يستثنى منها شيء في حال من الأحوال.

وأمَّا **مخارج الحروف**: فالصحيح عند القرَّاء ومتقدِّمي النحاة كالخليل أنَّها سبعة عشر.

وقال كثيرٌ من الفريقين: ستَّةَ عشر، فأسقطوا مخرَجَ الحروف الجوفيَّة، وهي حروف المدّ واللين، وجعلوا مخرج الألف من أقصى الحلْق، والواو من مخرج المتحركة، وكذا الياء.

وقال قوم: أربعة عشر، فأسقطوا مَخْرَجَ النُّون واللَّام والرَّاء، وجعلوها من مخرج واحد.

قال ابنُ الحاجب(٢) : وكلّ ذلك تقريب، وإلَّا فلكلّ حرف مخرج على حدة.

قال القراء: واختبار مخرج الحرف محققاً: أن تلفظ بهمزة الوصل وتأتي بالحرف بعده ساكناً أو مشدداً، وهو أبين، ملاحظاً فيه صفات ذلك الحرف:

المخرج الأول: الجوف للألف، والواو والياء الساكنتين بعد حركة تجانسهما.

الثاني: أقصى الحلق، للهمزة والهاء.

الثالث: وسطه، للعين والحاء المهملتين.

---

(١) في «النشر» ١/ ٢١٠ ـ ٢١٣.

(٢) ابن الحاجب: عثمان بن عمر، فقيه مالكي، من كبار العلماء بالعربية (ت: ٦٤٦ هـ). «وفيات الأعيان» ١/ ٣١٤.

الرابع: أدناه للفم، للغين والخاء.

الخامس: أقصى اللسان ممَّا يلي الحلق، وما فوقه من الحنك للقاف.

السادس: أقصاه من أسفل مخرج القاف قليلاً، وما يليه من الحنك للكاف.

السابع: وسطه، بينه وبين وسط الحنك، الجيم والشين والياء.

الثامن: للضاد المعجمة، من أَوَّل حافَّة اللسان وما يليه من الأضراس من الجانب الأيسر، وقيل: الأيمن.

التاسع: اللام من حافَّة اللسان من أدناها إلى منتهى طرفه، وما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى.

العاشر: للنون من طرفه، أسفل اللام قليلاً.

الحادي عشر: للراء من مخرج النون، لكنها أدخل في ظهر اللسان.

الثاني عشر: للطاء والدال والتاء من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مصعداً إلى جهة الحَنك.

الثالث عشر: الحرف الصفير: الصاد والسين والزَّاي، من بين طرف اللسان وفُويق الثنايا السفلى.

الرابع عشر: للظاء والثاء والذال، من بين طرفه، وأطراف الثنايا العليا.

الخامس عشر: للفاء، من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا.

السادس عشر: للباء والميم والواو غير المدّية بين الشفتين.

السابع عشر: الخيشوم للغنَّة في الإدغام والنون والميم الساكنة.

قال في «**النشر**»[(١)]: فالهمزة والهاء اشتركا مخرجاً وانفتاحاً واستفالاً، وانفردت الهمزة بالجهر والشدَّة، والعين والحاء اشتركا كذلك، وانفردت الحاء بالهمس والرخاوة الخالصة. والغين والخاء اشتركا مخرجاً ورخاوة واستعلاءً وانفتاحاً، وانفردت الغين بالجهر. والجيم والشين والياء اشتركت مخرجاً وانفتاحاً واستفالاً، وانفردت الجيم بالشدَّة، واشتركت مع الياء في الجهر، وانفردت الشين بالهمس والتَّفشي، واشتركت مع الياء في الرَّخاوة. والضاد والظاء اشتركا صفة جَهراً ورخاوة واستعلاء وإطباقاً، وافترقا مخرجاً، وانفردت الضَّاد بالاستطالة. والطاء والدال والتاء اشتركت مخرجاً وشدَّة، وانفردت الطاء بالإطباق والاستعلاء، واشتركت مع الدال في الجهر، وانفردت التاء بالهمس، واشتركت مع الدال في الانفتاح والاستفال. والظاء والذال والثاء اشتركت مخرجاً ورخاوة، وانفردت الظَّاء بالاستعلاء والإطباق، واشتركت مع الذال في الجهر، وانفردت الثاء بالهمس، واشتركت مع الذال انفتاحاً واستفالاً. والصاد والزاي والسين اشتركت مَخْرَجاً ورخاوةً وصَفِيراً، وانفردت الصاد بالإطباق والاستعلاء واشتركت مع السين في الهمس، وانفردت الزَّايُ بالجهر، واشتركت مع السين في الانفتاح والاستفال.

---

(١) «النشر» ١/ ٢١٤.

فإذا أحكم القارئ النُّطق بكلِّ حرف على حدته مُوفَّى حقَّه، فليعمل نفسه بإحكامه حالةَ التركيب، لأنه ينشأُ عن التركيب ما لم يكن حالة الإفراد، بحسب ما يجاورها من مجانس ومقارب، وقويّ وضعيف، ومفخَّم، ومرقَّق، فيجذب القويُّ الضعيف، ويغلب المفخَّمُ المرقَّق، ويصعب على اللسان النطق بذلك على حقِّه إلا بالرياضة الشديدة، فمن أحكم صحَّة التلفُّظ حالة التركيب، حصل حقيقة التجويد.

ومن قصيدة الشيخ علَم الدين في التجويد، ومن خطه نقلت:

لا تحسب التَّجويد مدًّا مفرِطاً ... أو مدّ مالا مدّ فيه لوانِ
أو أن تشدّد بعد مدٍّ همزةً ... أو أنْ تلوكَ الحرفَ كالسَّكرانِ
أو أن تَفوه بهمزةٍ متهوِّعاً ... فيفرَّ سامعُها من الغَثيان
للحرف ميزانٌ فلا تكُ طاغياً ... فيه ولا تكُ مخسِر الميزانِ
فإذا همزت فجئ به متلَطفاً ... من غير ما بُهْر وغير توانِ
وامْدُدْ حروفَ المدِّ عند مسكنٍ ... أو همزة حسناً أخا إحسان

فائدة: قال في «**جمال القرَّاء**»[(١)] : قد ابتدع النَّاس في قراءة القرآن أصواتَ الغناء، ويقال: إن أَوَّل ما غُنِّيَ به من القرآن قولُه تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ [الكهف: ٧٩].

نقلوا ذلك من تغنّيهم بقول الشاعر:

أمَّا القطاة فإني سوف أنعتُها ... نعتاً يوافق عندي بعض ما فيها

وقد قال ﷺ في هؤلاء: «**مفتونةٌ قلوبُهم وقلوبُ مَنْ يعجبهم شأنهم**» [ضعيف: الطبراني في «الأوسط»: ٧٢٢٣].

وممَّا ابتدعوه شيءٌ سمّوهُ: **الترعيد**، وهو: أن يرعد صوته كالذي يرعد من برد أو ألم.

وآخر سموه: **الترقيص**؛ وهو: أن يروم السُّكوت على الساكن، ثم ينفر مع الحركة كأنه في عَدْوٍ أو هَرْولة.

وآخر يسمَّى: **التطريب**، وهو: أن يترنَّم بالقرآن ويتنغَّم به، فيمدَّ في غير مواضع المدِّ، ويزيد في المدِّ على ما لا ينبغي.

وآخر يسمى: **التَّحزين**؛ وهو أن يأتي على وجهٍ حزين يبكي، مع خشوع وخضوع.

ومن ذلك نوع أحدثه هؤلاء الذين يجتمعون فيقرؤون كلهم بصوت واحد، فيقولون في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ : (أفل تعقلون) بحذف الألف، و(قالُ آمنا): بحذف الواو، ويمدُّون مالا يمدّ، ليستقيم لهم الطريق التي سلكوها، وينبغي أن يسمَّى: **التحريف**. انتهى.

---

(١) السخاوي: ١/ ٣٢٥.

فصل

في كيفية الأخذ بإفراد القراءات وجمعها

الذي كان عليه السلف أخْذ كل ختمة برواية، لا يجمعون رواية إلى غيرها إلى أثناء المئة الخامسة، فظهر جمع القراءات في الختمة الواحدة، واستقرَّ عليه العمل، ولم يكونوا يسمحون به إلّا لمن أفرد القراءات، وأتقن طرقها، وقرأ لكل قارئ بختمة على حدة؛ بل إذا كان للشيخ راويانِ قرؤوا لكلِّ راوٍ بختمة، ثم يجمعون له، وهكذا.

وتساهل قوم، فسمحوا أن يقرأ لكل قارئ من السبعة بختمة، سوى نافع وحمزة، فإنَّهم كانوا يأخذون بختمةٍ لقالون، ثم ختمةٍ لورش، ثم ختمةٍ لخلف، ثم ختمة لخلّاد، ولا يسمح أحد بالجمع إلّا بعد ذلك، نعم إذا رأَوْا شخصاً أفرد وجمع على شيخ معتَبر، وأُجيز وتأهَّل، وأراد أن يجمع القراءات في ختمة، لا يكلفونه الإفراد؛ لعلمهم بوصوله إلى حدِّ المعرفة والإتقان.

ثم لهم في الجمع مذهبان:

أحدهما: الجمع بالحرف، بأن يشرع في القراءة، فإذا مرَّ بكلمة فيها خُلْفٌ أعادها بمفردها، حتى يستوفيَ ما فيها، ثم يقف عليها إن صلحت للوقف، وإلّا وصلها بآخرِ وجهٍ حتى ينتهي إلى الوقف. وإن كان الخُلْف يتعلَّق بكلمتين كالمدِّ المنفصل وقف على الثانية، واستوعب الخلاف، وانتقل إلى ما بعدها. وهذا مذهب المصريين، وهو أوثق في الاستيفاء وأخفّ على الآخذ، لكنه يخرج عن رَوْنق القراءة وحُسْن التلاوة.

الثاني: الجمع بالوقف، بأن يشرع بقراءة مَن قدَّمه حتى ينتهي إلى وقفٍ، ثم يعود إلى القارئ الذي بعده إلى ذلك الوقف، ثم يعود، وهكذا حتى يفرغ، وهذا مذهب الشاميّين، وهو أَشدُّ استحضاراً، وأَشدُّ استظهاراً، وأطولُ زمناً، وأَجود مكاناً.

وكان بعضهم يجمع بالآية على هذا الرسم.

وذكر أبو الحسن القَيْجَاطِيّ(١) في قصيدته وشرحها لجامع: لجامع القراءات شروطاً سبعة، حاصلها خمسة:

أحدها: حسن الوقف.

ثانيها: حسن الابتداء.

ثالثها: حسن الأداء.

رابعها: عدم التركيب؛ فإذا قرأ لقارئ لا ينتقل إلى قراءة غيره حتى يتمّ ما فيها، فإن فعل لم يدَعه الشيخ بل يشير إليه بيده؛ فإن لم يتفطّن، قال: لم تصل، فإن لم يتفطّن مكث حتى يتذكّر، فإن عجز ذكر له.

---

(١) القَيْجَاطِي: علي بن عمر الكناني، الأندلسي، من العلماء بالعربية (ت: ٧٣٠ هـ). «بغية الوعاة» ٣٤٤، و«النشر» ١/ ٩٧.

الخامس: رعاية الترتيب في القراءة والابتداء بما بدأ به المؤلفون في كتبهم، فيبدأ بنافع قبل ابن كثير، وبقالون قبل ورش.

قال ابن الجزري(١) : والصواب أنَّ هذا ليس بشرط بل مستحب، بل الذين أدركناهم من الأُستاذين لا يعدُّون الماهر إلَّا مَنْ يلتزم تقديمَ شخص بعينه.

وبعضهم كان يراعي في الجمع التَّنَاسبَ: فيبدأُ بالقصر، ثم بالرتبة التي فوقه، وهكذا إلى آخر مراتب المدِّ، ويبدأ بالمشبَع، ثم بما دونه إلى القصر. وإنَّما يُسْلَك ذلك مع شيخ بارع عظيم الاستحضار، أمَّا غيره فيُسلك معه ترتيب واحد.

قال: وعلى الجامع أن ينظر ما في الأحرف من الخلاف أُصولاً وفَرْشاً، فما أمكن فيه التداخل اكتفى منه بوجه، وما لم يمكن فيه نظر: فإن أمكن عطفه على ما قبله بكلمة أو كلمتين أو بأكثر من غير تَخليط ولا تركيب اعتمده، وإن لم يحسن عطفه رجع إلى موضع ابتدائه حتى يستوعب الأوجه كلها، من غير إهمال ولا تركيب ولا إعادة ما دخل، فإن الأَوَّل ممنوع، والثاني مكروه، والثالث معيب.

وأمَّا القراءة بالتلفيق، وخلط قراءة بأُخرى، فسيأتي بسطه في النوع الذي يلي هذا.

وأما القراءات والروايات والطرق والأوجه: فليس للقارئ أن يَدع منها شيئاً أو يخلّ به؛ فإنَّه خللٌ في إكمال الرواية، إلَّا الأوجه، فإنَّها على سبيل التخيير، فأيّ وجه أتى به أجزأه في تلك الرواية.

وأما قدر ما يقرأ حال الأخذ: فقد كان الصدر الأوَّل لا يزيدون على عشر آيات لكائنٍ من كان، وأمَّا مَن بعدهم فرأوه بحسب قوَّة الآخذ.

قال ابن الجزري: والذي استقرّ عليه العمل الأخذُ في الإفراد بجزء من أجزاء مئة وعشرين، وفي الجمع بجزء من أجزاء مئتين وأربعين، ولم يحدّ له آخرون حدًّا، وهو **اختيار السخاويّ**.

وقد لخَّصت هذا النوع، ورتَّبت فيه متفرقات كلام أئمة القراءات، وهو نوع مهمّ يحتاج إليه القارئ، كاحتياج المحدِّث إلى مثله من علم الحديث.

فائدة: ادَّعى ابن خير(٢) الإجماعَ على أنه ليس لأحدٍ أن ينقل حديثاً عن النبيّ ﷺ، ما لم يكن له به رواية، ولو بالإجازة، فهل يكون حكم القرآن كذلك؛ فليس لأحد أن ينقل آية أو يقرأها ما لم يقرأها على شيخ؟ لم أر في ذلك نَقْلاً، ولذلك وجهٌ من حيث إنَّ الاحتياط في أداء ألفاظ القرآن أشدّ منه في ألفاظ الحديث. ولعدم اشتراطه فيه وجه؛ من حيث إن اشتراطه ذلك في الحديث إنما هو لخوف أن يدخل في الحديث ما ليس منه، أو يُتقوَّل على النبي ﷺ ما لم يقله، والقرآن محفوظ متلقًّى متداوَل ميسّر، وهذا هو الظاهر.

فائدة ثانية: الإجازة من الشيخ غير شرط في جواز التصدي للإقراء والإفادة، فمن علم من نفسه

(١) في «النشر» ٢/ ٢٠٤.

(٢) محمد بن خير اللَّمتوني، الإشبيلي. المقرئ الحافظ (ت: ٥٧٥ هـ). «معرفة القراء الكبار» ٢/ ٥١٢.

الأهليَّة جاز له ذلك وإن لم يُجزْهُ أحد، وعلى ذلك السلف الأوَّلون والصدْر الصالح، وكذلك في كلِّ علم، وفي الإقراء والإفتاء؛ خلافاً لما يتوهمه الأغبياء من اعتقاد كونها شرطاً. وإنما اصطلح الناس على الإجازة؛ لأنَّ أهلية الشخص لا يعلمها غالباً من يريد الأخذَ عنه من المبتدئين ونحوهم؛ لقصور مقامهم عن ذلك، والبحثُ عن الأهليَّة قبل الأخذ شرط، فجُعلت الإجازة كالشهادة من الشيخ للمُجَاز بالأهلية.

فائدة ثالثة: ما اعتاده كثيرٌ من مشايخ القرَّاء من امتناعهم من الإجازة إلَّا بأَخْذ مالٍ في مقابلها لا يجوز إجماعاً، بل إن عَلم أهليّته وجب عليه الإجازةُ، أو عدمَها حَرُم عليه، وليست الإجازة ممَّا يقابَلُ بالمال، فلا يجوز أخذه عنها، ولا الأجرةُ عليها.

وفي «**فتاوى الصدر موهوب الجزريّ**» من أصحابنا: أنَّه سُئِل عن شيخ طَلبَ من الطالب شيئاً على إجازته، فهل للطالب رفعُه إلى الحاكم وإجباره على الإجازة؟ فأجاب: لا تجب الإجازةُ على الشيخ، ولا يجوز أخذُ الأجرة عليها.

وسُئل أيضاً: عن رجل أجازه الشيخ بالإقراء، ثم بان أنَّه لا دِين له، وخافَ الشيخُ من تفريطه، فهل له النزولُ عن الإجازة؟ فأجاب: لا تَبطُلُ الإجازةُ بكونه غير ديِّن.

وأما أخذ الأجرة على التعليم فجائز؛ ففي البخاريّ [٥٧٣٧]: «**إنَّ أحقَّ ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله**».

وقيل: إن تعيّن عليه لم يَجُز، واختاره الحليميّ.

وقيل: لا يجوز مطلقاً، وعليه أبو حنيفة؛ لحديث أبي داود [٣٤١٦] عن عُبادة بن الصامت: أنه علّم رجلاً من أهل الصُّفَّة القرآنَ، فأهدى له قوساً، فقال له النبي ﷺ: «**إن سَرَّكَ أَنْ تُطَوَّق بها طوقاً من نار فاقبَلْها**» [وأحمد: ٢٢٦٨٨ وهو حسن].

وأجاب من جوّزه بأنَّ في إسناده مقالاً، ولأنه تبرَّع بتعليمه، فلم يستحقّ شيئاً، ثم أهدى إليه على سبيل العِوَض، فلم يَجُزْ له الأخذُ، بخلاف من يعقد معه إجارة قبل التعليم.

وفي «**البستان**»(١) لأبي الليث: التعليم على ثلاثة أوجه:

أحدها: للحِسْبة، ولا يأخذ به عوَضاً.

والثاني: أن يعلّم بالأجرة.

والثالث: أن يعلّم بغير شرط، فإذا أُهدي إليه قَبِل.

فالأوّل مأجور وعليه عمل الأنبياء، والثاني مختلف فيه، والأرجح الجوازُ، والثالث يجوز إجماعاً؛ لأنَّ النبيّ ﷺ كان معلّماً للخلق، وكان يقبل الهديَّة.

---

(١) «بستان العارفين» لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي الحنفي ص ٢٠ الباب السابع عشر: في فضل تعلّم القرآن وتعليمه.

فائدة رابعة: كان ابن بَصْحان إذا ردَّ على القارئ شيئاً فاته فلم يعرفه، كتبه عليه عنده، فإذا أكمل الختمةَ وطَلَبَ الإجازةَ، سأله عن تلك المواضع، فإن عرفها أجازه، وإلَّا تركه يَجمَع ختمةً أُخرى.

فائدة أخرى: على مريد تحقيق القراءات وإحكام تلاوة الحروف، أن يحفظ كتاباً كاملاً يستحضر به اختلافَ القراءة، وتمييز الخلاف الواجب من الخلاف الجائز.

فائدة أخرى: قال ابن الصلاح في «**فتاويه**»[1]: قراءة القرآن كرامةٌ أكرم الله به البشَرَ، فقد ورد أَنَّ الملائكة لم يعطَوْا ذلك، وأنها حريصة لذلك على استماعه من الإنس.

---

(١) «فتاوى ابن الصلاح» انظر ١/ ١٥٠.

النوع الخامس والثلاثون

في آداب تلاوته وتاليه

أفرده بالتَّصنيف جماعةٌ، منهم النوويّ في «التبيان». وقد ذكر فيه وفي «شرح المهذَّب»، وفي «الأذكار» جملةً من الآداب، وأنا ألخِّصها هنا، وأزيدُ عليها أضعافَها، وأفصِّلها مسألةً مسألةً ليسهُل تناوُلُها.

مسألة: يُستحب الإكثار من قراءة القرآن وتلاوته، قال تعالى مثنياً على من كان ذلك دأبه: ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ [آل عمران: ١١٣].

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر: «**لا حسدَ إلَّا في اثنتيْن: رجل آتاه اللهُ القرآنَ، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار...**»(١) [البخاري: ٧٣، ومسلم: ١٨٩٤، وأحمد: ٤١٠٩].

وروى التِّرمذي [٢٩١٠ وهو حسن صحيح] من حديث ابن مسعود: «**مَن قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنةٌ، والحسنة بعشر أمثالها**».

وأخرج من حديث أبي سعيد، عن النبيّ ﷺ: «**يقول الرَّبُّ سبحانه وتعالى: مَنْ شَغَله القرآنُ وذِكْري عن مَسْألتي أعطيتُهُ أفضلَ ما أعطي السائلين، وفضلُ كلامِ الله على سائرِ الكَلامِ كفضلِ الله على سائر خلقه**» [ضعيف: الترمذي: ٢٩٢٦].

وأخرج مسلم [١٨٧٤] من حديث أبي أمامة: «**اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**».

وأخرج البيهقي [في «الشعب»: ١٩٨٢] من حديث عائشة: «البيتُ الذي يُقرأُ فيه القرآنُ يتراءى لأهل السماء كما تتراءى النجومُ لأهل الأرض».

وأخرج من حديث أنس: «نَوِّرُوا منازلَكم بالصلاة وقراءةِ القرآن».

وأخرج من حديث النعمان بن بشير: «أفضل عبادةِ أمتي قراءة القرآن».

وأخرج من حديث سَمُرة بن جُنْدب: «كلّ مؤدِّب يُحبُّ أن تؤتَى مأدبتُه، ومأدبة الله القرآنُ فلا تهجروه».

وأخرج من حديث عبيدة المكيّ مرفوعاً وموقوفاً: «يا أهل القرآن، لا تَتوسَّدوا القرآن، واتْلُوه حقَّ تلاوته آناء **الليل** والنهار، وأفشوه، وتدبَّروا ما فيه لعلكم تفلحون».

وقد كان للسلف في قَدْر القراءات عادات. فأكثر ما ورد في كثرة القراءة: من كان يختم في اليوم

---

(١) وتمامه: «ورجلٌ آتاه الله مالاً، فهو يُنفقه آناءَ الليل وآناء النهار».

والليلة ثماني ختمات: أربعاً في الليل، وأربعاً في النهار. ويليه: من كان يختم في اليوم والليلة أربعاً، ويليه ثلاثاً، ويليه ختمتين، ويليه ختمة.

وقد ذمَّت عائشة ذلك، فأخرج ابنُ أبي داود: عن مسلم بن مخراق قال: قلت لعائشة: إن رجالاً يقرأ أحدهم القرآنَ في ليلة مرتين أو ثلاثاً؟ فقالت: قرؤوا ولم يقرؤوا، كنت أقوم مع رسول الله ﷺ ليلة التمام[1]، فيقرأُ بالبقرة وآل عمران والنساء. فلا يمرُّ بآية فيها استبشار إلَّا دعا ورَغِب، ولا بآية فيها تخويف إلَّا دعا واستعاذ.

ويلي ذلك مَن كان يختم في ليلتين، ويليه من كان يختم في كلِّ ثلاث، وهو حسنٌ.

وكره جماعاتٌ الختمَ في أقلّ من ذلك، لما روى أبو داود [١٣٩٤] والتِّرمذيّ ـ **وصحَّحه** ـ [٢٩٤٦] من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً: «لا يَفْقَهُ مَنْ قرأ القرآنَ في أَقلَّ من ثلاثٍ» [وأحمد: ٦٥٤٦].

وأخرج ابن أبي داود وسعيد بن منصور عن ابن مسعود موقوفاً قال: «لا تقرؤوا القرآن في أقلّ من ثلاث».

وأخرج أبو عُبيد[2] عن مُعاذ بن جبل: أنه كان يكره أن يُقرأ القرآن في أقلَّ من ثلاث.

وأخرج أحمد [٦٨٧٦] وأبو عبيد[3] عن سعيد بن المنذر ـ وليس له غيره ـ قال: قلت: يا رسول الله، أقرأُ القرآن في ثلاث؟ قال: «**نعم، إن استطعت**» [وهو صحيح لغيره].

ويليه: مَن ختم في أربع، ثم في خمس، ثم في ست، ثم في سبع، وهذا أوسط الأمور وأحسنُها، وهو فعل الأكثرين من الصحابة وغيرهم.

أخرج الشيخان عن عبد الله بن عمرو قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**اقرأ القرآن في شهرٍ**». قلت: إني أجد قوَّة، قال: «**اقرأه في عَشْرٍ**»، قلت: إني أجد قوَّة، قال: «**اقرأه في سَبْعٍ، ولا تَزِدْ على ذلك**». [البخاري: ٥٠٥٤، ومسلم: ٢٧٣٢، وأحمد: ٦٨٧٦].

وأخرج أبو عبيد[4] وغيره من طريق واسع بن حبّان، عن قيس بن أبي صَعْصَعَة ـ وليس له غيرُه ـ أنه قال: يا رسولَ الله، في كم أقرأ القرآن؟ قال: «**في خمسة عَشَرَ**»، قلتُ: إنِّي أجدني أقوى من ذلك، قال: «**اقرأه في جمعة**».

ويلي ذلك: مَن ختم في ثمان، ثم في عشر، ثم في شهر، ثم في شهرين.

أخرج ابن أبي داود، عن مكحول قال: كان أقوياءُ أصحابِ رسول الله ﷺ يقرؤون القرآنَ في سبع، وبعضهم في شهر، وبعضُهم في شهرين، وبعضهم في أكثر من ذلك.

وقال أبو الليث في «**البستان**»[5]: ينبغي للقارئ أن يختم في السنة مرَّتين، إن لم يقدر على الزيادة.

---

(١) ليلة التَّمام: هي ليلة أربع عشرة من الشهر؛ لأن القمر يتمُّ فيها نورُهُ، وقيل: ليل التِّمام ـ بالكسر ـ أطول ليلةٍ في السَّنةِ.
(٢) في «فضائل القرآن» ص ١٧٩.
(٣) في «فضائل القرآن» ص ١٧٩.
(٤) في «فضائل القرآن» ص ١٧٧.
(٥) «بستان العارفين» ص ٢٠ الباب (١٧).

وقد روى الحسن بنُ زياد عن أبي حنيفة أنه قال: مَنْ قرأ القرآن في كلّ سنة مرتين، فقد أدّى حقَّه؛ لأنَّ النبيّ ﷺ عرض على جبريل في السَّنة التي قُبض فيها مرتين[(١)].

وقال غيره: يُكره تأخير ختمه أكثر من أربعين يوماً بلا عذْر، نص عليه أحمد، لأنَّ عبد الله بن عَمر [وٍ] سأل النبيَّ ﷺ: في كَم نخْتم القرآن؟ قال: «**في أربعين يوماً**». رواه أبو داود [١٣٩٥ قال الألباني: صحيح].

وقال النووي في «**الأذكار**»[(٢)]: المختار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف، فليقتصر على قَدْرٍ يحصل له معه كمال فهم ما يقرأ، وكذلك مَنْ كان مشغولاً بنشر العلم، أو فصل الحكومات، أو غير ذلك من مهمَّات الدّين والمصالح العامة، فلْيقتصر على قَدْرٍ لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له، ولا فوات كماله؛ وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فَليستكثِر ما أمكنه، من غير خروج إلى حدّ الملل أو الهَذْرمة في القراءة.

مسألة: نسيانه كبيرةٌ، صرَّح به النووي في «**الروضة**» وغيرها[(٣)]، لحديث أبي داود [٤٦١] وغيره: «**عُرِضتْ عليَّ ذنوبُ أُمَّتي، فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن ـ أو آية ـ أُوتِيها رجلٌ، ثم نَسِيَها**». [والترمذي: ٢٩١٦ وهو ضعيف].

وروى أيضاً حديث: «**مَنْ قرأ القرآن ثم نسيَه لقي الله يوم القيامة أجذم**» [أحمد: ٢٢٤٥٦، وأبو داود: ١٤٧٤ وهو ضعيف][(٤)].

وفي الصحيحين: «**تعاهدوا القرآن، فوالذي نفس محمد بيده، لهو أشدُّ تَفَلُّتاً من الإبل في عُقُلِها**». [البخاري: ٥٠٣٣، ومسلم: ١٨٤٤].

مسألة: يستَحَبُّ الوضوء لقراءة القرآن؛ لأنه أفضل الأذكار، وقد كان ﷺ يكره أن يذكر الله إلَّا على طُهْرٍ، كما ثبت في الحديث[(٥)].

قال إمام الحرمين: ولا تُكرَه القراءة للمحدِث، لأنه صحَّ أنَّ النبيَّ ﷺ **كان يقرأ مع الحدث**. [إسناده حسن: أحمد: ٦٣٩، وأبو داود: ٢٢٩، والترمذي: ١٤٦].

قال في «**شرح المهذَّب**»[(٦)]: وإذا كان يقرأُ فعرضت له ريح أمسك عن القراءة حتى يستقيم خروجُها. وأما الجنب، والحائض فتحْرُم عليهما القراءة، نعم يجوز لهما النظر في المصحف وإمراره على القلب، وأمَّا متنجِّس الفم فتكره له القراءةُ.

وقيل: تحرُم، كمسّ المصحف باليد النَّجسة.

---

(١) إشارة للحديث الذي أخرجه أحمد (٢٦٤١٣)، والبخاري (٣٦٢٤)، ومسلم (٦٣١٤) من حديث عائشة.

(٢) ص ١٢٤ كتاب تلاوة القرآن.

(٣) انظر «التبيان» ص ٧٥، و«الأذكار» ص ١٢٧.

(٤) قوله: أجذم، قيل: مقطوع اليد، وقيل: مقطوع الحجة، وقيل: مقطوع السبب من الخير، وقيل: خالي اليد من الخير.

(٥) أخرج أبو داود (١٧) من حديث المهاجر بن قُنْفُذ: أنه أتى النبيَّ ﷺ وهو يبول فسلّم عليه، فلم يَرُدَّ عليه حتى توضأ، ثم اعتذر إليه فقال: «إني كرهتُ أن أذكُرَ اللهَ، تعالى ذِكْرُهُ، إلَّا على طُهْر». وقال الشيخ الألباني: صحيح.

(٦) انظر «التبيان» ص ٨٠ و١١٦.

مسألة: وتسنّ القراءة في مكان نظيف، وأفضله المسجد، وكره قومٌ القراءةَ في الحمام والطريق. قال النووي[١]: ومذهبنا لا تكره فيهما. قال: وكرّهها الشّعبيّ في الحُشّ، وبيت الرَّحا وهي تدور، قال: وهو مقتضى مذهبنا.

مسألة: ويستحب أن يجلس مستقبلاً متخشعاً بسكينة ووقار، مطرِقاً رأسه.

مسألة: ويُسَنُّ أن يستاك تعظيماً وتطهيراً، وقد روى ابن ماجه [٢٩١ وهو صحيح] عن عليّ موقوفاً، والبزار [٦٠٣] **بسند جيِّد** عنه مرفوعاً: «**إنَّ أفواهكم طُرُقٌ للقرآن، فطيِّبُوها بالسِّواكِ**».

قلت: ولو قطع القراءة وعاد عن قرب، فمقتضَى استحباب التعوُّذ إعادة **السواك** أيضاً.

مسألة: ويسنّ التعوُّذ قبل القراءة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]. أي: أردتَ قراءته.

وذهب قوم إلى أنَّه يتعوذ بعدها، لظاهر الآية، وقومٌ إلى وجوبها لظاهر الأمر.

قال النووي[٢]: فلو مرَّ على قوم سلَّم عليهم وعاد إلى القراءة، فإن أعاد التعوُّذَ كان حسناً. قال: وصفتُه المختارة: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)، وكان جماعة من السلف يزيدون: (السميع العليم). انتهى.

وعن حمزة: أستعيذ ونستعيذ واستعذتُ، واختاره صاحب «**الهداية**» من الحنفيَّة، لمطابقة لفظ القرآن.

وعن حميد بن قيس: (أعوذ بالله القادر من الشيطان الغادر).

وعن أبي السّمال: (أعوذ بالله القويّ من الشيطان الغويّ).

وعن قوم: (أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم).

وعن آخرين: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. إنَّ الله هو السميع العليم).

وفيها ألفاظ أُخَر.

قال الحُلْوَانيّ[٣] في «جامعه»: ليس للاستعاذة حدٌّ يُنتهى إليه، من شاء زاد، ومن شاء نَقَص.

وفي «**النشر**»[٤] لابن الجزريّ: المختار عند أئمَّة القراءة الجهر بها، وقيل: يُسِرّ مطلقاً، وقيل: فيما عدا الفاتحة.

قال: وقد أطلقوا اختيارَ الجهر، وقيَّده أبو شامةَ بقيد لا بد منه، وهو: أن يكون بحضرة من يسمعه.

قال: لأن الجهر بالتعوُّذ إظهارُ شعار القراءة، كالجهر بالتلبية وتكبيرات العيد. ومن فوائده: أنَّ

---

(١) في «التبيان» ص ٨٣.
(٢) في «التبيان» ص ٨٦.
(٣) الحُلْواني: أحمد بن علي أبو بكر البغدادي، صالح، مقرئ عالي الإسناد (ت: ٥٠٧ هـ). «معرفة القراء الكبار» ١/ ٤٠٦.
(٤) «النشر» ١/ ٢٥٢.

السامع يُنصِت للقراءة من أوَّلها، لا يفوته منها شيءٌ، وإذا أخْفَى التعوُّذ لم يَعلم السامعُ بها إلَّا بعد أن فاته من المقروء شيء؛ وهذا المعنى هو الفارق بين القراءة في الصلاة وخارجها.

قال: واختلَف المتأخرون في المراد بإخفائها، فالجمهور: على أنَّ المرَادَ به الإسرارُ، فلا بدَّ من التلفظ وإسماع نفسه، وقيل: الكتمان، بأن يذكرها بقلبه بلا تلفّظ.

قال: وإذا قطع القراءة إعراضاً أو بكلام أجنبي - ولو ردّ السلام - استأنفها، أو يتعلّق بالقراءة فلا.

قال: وهل هي سنةُ كفايةٍ أو عين، حتى لو قرأ جماعةٌ جملةً، فهل يكفي استعاذةُ واحد منهم كالتسمية على الأكل أو لا؟ لم أر فيه نصًّا، والظاهر الثاني، لأنَّ المقصودَ اعتصامُ القارئ والتجاؤُه بالله من شرِّ الشيطان، فلا يكون تعوّذ واحدٍ كافياً عن آخر. انتهى كلام ابن الجزري.

مسألة: وليحافظْ على قراءة البسملة أول كل سورة غير براءة؛ لأنَّ أكثر العلماء على أنها آيةٌ، فإذا أَخلَّ بها كان تاركاً لبعض الختمة عند الأكثرين، فإن قرأ من أثناء سورة استُحِبّت له أيضاً، نصّ عليه الشافعيُّ فيما نقله العباديّ.

قال القُرَّاء[1]: ويتأكد عند قراءة نحو: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [فصلت: ٤٧]، و﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١]؛ لما في ذكر ذلك بعد الاستعاذة من البشاعة، وإيهام رجوع الضمير إلى الشيطان.

قال ابن الجزريّ: الابتداء بالآي وسْط براءة، قلَّ مَنْ تعرَّض له، وقد صَرَّح بالبسملة فيه أبو الحسن السخاوي، وردّ عليه الجَعْبَري.

مسألة: لا تحتاج قراءة القرآن إلى نيَّة كسائر الأذكار، إلَّا إذا نذرها خارجَ الصلاة، فلا بدَّ من نية النَّذْر أو الفرْض ولو عين الزمانَ، فلو تركها لم تجز. نقله القمولي في «**الجواهر**».

مسألة: يسنّ الترتيل في قراءة القرآن، قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

وروى أبو داود [١٤٦٦] وغيرُه عن أُم سلمة: أَنَّها نَعَتَتْ قراءة النبيّ ﷺ قراءةً مفسَّرةً، حرفاً حرفاً. [والترمذي: ٢٩٣٣ وإسناده ضعيف. وانظر أحمد: ٢٦٥٢٦].

وفي البخاريّ [٥٠٤٦] عن أنس: أنه سُئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: كانت مدًّا، ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، يمدُّ ﴿الله﴾، ويمدُّ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾، ويمدُّ ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾.

وفي الصحيحين عن ابن مسعود: أنَّ رجلاً قال له: إني أقرأ المفصَّلَ في ركعةٍ واحدة، فقال: هذًّا كهَذِّ الشِّعر، إنَّ قوماً يقرؤُون القرآن لا يجاوز تراقيَهم، ولكن إذا وقع في القلْب فرَسَخ فيه نفع. [البخاري: ٧٧٥، ومسلم: ١٩٠٨، وأحمد: ٣٦٠٧].

وأخرج الآجُرِّي في «**حملة القرآن**»[2] عن ابن مسعود قال: لا تَنثُروه نَثْرَ الدَّقَل، ولا تَهُذُّوه هذَّ الشِّعْرِ، قِفُوا عند عجائبه، وحَرِّكُوا به القلوبَ، ولا يكونُ هَمَّ أحدِكم آخرُ السورة.

---

(١) انظر «التبيان» ص ١١٣.

(٢) «أخلاق حملة القرآن» رقم (١).

وأخرج من حديث ابن عمر مرفوعاً: «**يقال لصاحب القرآن: اقرأْ وارْقَ في الدرجات، ورتِّل كما كنت ترتِّل في الدنيا، فإن منزلَتك عند آخرِ آيةٍ كنتَ تقرؤُها**»(١).

قال في «**شرح المهذب**»(٢): واتَّفقوا على كراهة الإفراط في الإسراع.

قالوا: وقراءة جزءٍ بترتيلٍ أفضلُ من قراءة جزئين في قَدْرِ ذلك الزمان بلا ترتيلٍ.

قالوا: واستحبابُ الترتيل للتدبُّر، ولأنَّه أقربُ إلى الإجلال والتوقير، وأشدُّ تأثيراً في القلب، ولهذا يُستحبُّ للأعجميّ الذي لا يفهم معناه. انتهى.

وفي «**النشر**»(٣): اختلف؛ هل الأفضل الترتيلُ وقلَّة القراءة أو السُّرعة مع كثرتها؟ وأَحْسَنَ بعض أئمتنا فقال: إنَّ ثواب قراءة الترتيل أَجَلُّ قدراً، وثواب الكثرة أكثر عدداً، لأنَّ بكل حرف عشرَ حسنات.

وفي «**البرهان**» للزركشي(٤): كمال الترتيل تفخيم ألفاظه والإبانة عن حروفه، وألَّا يُدْغَم حرفٌ في حرف. وقيل: هذا أقلُّه، وأكمله أن يقرأه على منازله؛ فإن قرأ تهديداً لَفَظَ به لفْظَ المتهدِّد، أو تعظيماً لَفَظَ به على التعظيم.

مسألة: وتسنّ القراءة بالتدبر والتفهُّم، فهو المقصود الأعظم والمطلوب الأهمّ، وبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩]، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢].

وصفة ذلك: أن يشغل قلبه بالتفكر في معنى ما يَلفظ به، فيعرفَ معنى كلّ آية، ويتأمل الأوامرَ والنواهي، ويعتقد قبولَ ذلك؛ فإن كان ممَّا قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مرَّ بآية رحمةٍ استبشر وسأل، أو عذابٍ أشفق وتعوَّذ، أو تنزيه نزَّه وعظَّم، أو دعاءٍ تضرَّع وطلب.

أخرج مسلم [١٨١٤] عن حُذيفة قال: صليتُ مع النبي ﷺ ذاتَ ليلة، فافتتح البقرة فقرأها، ثم النساء فقرأها، ثم آل عمران فقرأها؛ يقرأ مترسِّلاً، إذا مرَّ بآية فيها تسبيحٌ سبَّح، وإذا مرَّ بسؤالٍ سألَ، وإذا مرَّ بتعوُّذ تعوَّذ.

وروى أبو داود [٨٧٣] والنَّسائي وغيرهما: عن عوف بن مالك قال: قمت مع النبيّ ﷺ ليلةً، فقام فقرأ سورة البقرة، لا يمرُّ بآيةِ رحمة إلَّا وقف وسأل، ولا يمرّ بآية عذابٍ إلاَّ وقف وتعوّذ [صححه الألباني].

وأخرج أبو داود [٨٨٣] والترمذي [٣٣٤٧] حديث: «من قرأ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ فانتهى إلى آخرها، فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين، ومَنْ قرأ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، فانتهى إلى آخرها: ﴿أَلَيْسَ

---

(١) الآجري في «أخلاق حملة القرآن» رقم (٩)، وأبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤)، وانظر تمام تخريجه في «مسند أحمد» (٦٧٩٩).

(٢) «شرح المهذب» ١/ ٢٩ ـ ٣٠.

(٣) «النشر» ١/ ٢٠٩.

(٤) «البرهان في علوم القرآن» ٢/ ٨٢ النوع ٢٩.

﴿ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فليقل: بلى، ومَن قرأ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾ فبلغ: ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ فليقل: آمنا بالله».

وأخرج أحمد [٢٠٦٦] وأبو داود [٨٨٣] عن ابن عباس: أنَّ النبي ﷺ كان إذا قرأ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قال: «**سبحان ربِّي الأعلى**» [وهو صحيح موقوفاً].

وأخرج التِّرمذيّ [٣٢٩١] والحاكم [(٢/٤٧٣)] عن جابر قال: خرجَ رسول الله ﷺ على أصحابه، فقرأ عليهم سورةَ الرحمن من أوّلها إلى آخرها، فسكتوا، فقال: «لقد قرأتُها على الجنّ، فكانوا أحسنَ مردوداً منكم، كنتُ كلما أتيتُ على قوله: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قالوا: ولا بشيءٍ مِنْ نِعَمِكَ ربَّنا نُكَذِّبُ، فلَكَ الحمدُ» [قال الألباني: حسن].

وأخرج ابنُ مردُويه والديلميّ وابن أبي الدنيا في «**الدعاء**» وغيرهم ـ **بسند ضعيف جدًّا** ـ عن جابر: أنَّ النبيّ ﷺ قرأ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ الآية، فقال: «اللهم أمرتَ بالدعاء، وتكفَّلت بالإجابة، لبيك اللهم لبيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك، إن الحمدَ والنعمةَ لك، والملك لا شريك لك، أشهد أنَّك فرد أحدٌ صمَدٌ، لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفؤاً أحدٌ، وأشهد أنَّ وعدَك حقّ، ولقاءك حقّ، والجنَّةَ حقّ، والنارَ حقّ، والساعة آتية لا ريب فيها، وأنَّك تبعثُ من في القبور».

وأخرج أبو داود [٩٣٢] وغيرُه عن وائل بن حُجْر: سمعت النبيّ ﷺ قرأ: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، فقال: «آمين»؛ يمُدُّ بها صوتَه [والترمذي: ٢٤٨ وقال الألباني: صحيح].

وأخرجه الطبراني بلفظ: قال: «آمين» ثلاث مرات، وأخرجه البيهقي بلفظ: قال: «رب اغفر لي آمين».

وأخرج أبو عُبيد[١] عن أبي مَيْسَرة: أنَّ جبريل لقَّنَ رسول الله ﷺ عند خاتمة البقرة «آمين».

وأخرج عن مُعاذ بن جبل: أنَّه كان إذا ختَم سورة البقرة قال: آمين.

قال النووي[٢]: ومن الآداب إذا قرأ نحو: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]: أن يخفض بها صوته؛ كذا كان النَّخعيُّ يفعل.

مسألة: لا بأس بتكرير الآية وترديدها، روى النسائي[٣] وغيره عن أبي ذرّ: أنَّ النبيّ ﷺ قام بآية يردِّدها حتى أصبح: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ الآية.

مسألة: يستحبُّ البكاء عند قراءة القرآن، والتَّباكي لمن لا يقدر عليه، والحزنُ والخشوع، قال تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ [الإسراء: ١٠٩][٤].

وفي الصحيحين: حديث قراءة ابن مسعود، عن النبي ﷺ، وفيه: «فإذا عيناه تَذْرِفَان» [البخاري: ٤٥٨٢، ومسلم: ١٨٦٧، وأحمد: ٣٦٠٦].

---

(١) في «فضائل القرآن» ص ٢٣٤. (٢) في «التبيان» ص ١١٦.

(٣) في «المجتبى» (١٠١١)، وابن ماجه (١٣٥٠) وهو حديث حسن.

(٤) انظر «التبيان» ص ٩٠.

وفي «الشُّعب» للبيهقي [٢٠٥١] عن سعد بن مالك مرفوعاً: «**إنَّ هذا القرآن نزل بحُزْن وكآبةٍ، فإذا قرأتموه فابكوا، فإنْ لم تبكوا فتباكَوْا**».

وفيه من مرسل عبد الملك بن عمير: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إنِّي قارئ عليكم سورة، فمن بكى فله الجنَّةُ، فإن لم تبكوا فتباكوا**».

وفي «**مسند أبي يعلى**» [٦٨٩] حديث: «**اقرؤوا القرآن بالحُزْن، فإنَّه نزل بالحزن**».

وعند الطبراني: «**أحسن الناس قراءة من إذا قرأ القرآن يتحزَّن به**». [«فيض القدير» (١/ ٢٤٧)].

قال في «**شرح المهذب**»[1]: وطريقه في تحصيل البكاء أن يتأمَّل ما يقرأُ من التهديد والوعيد الشديد، والمواثيق والعهود، ثم يفكِّر في تقصيره فيها، فإن لم يحضره عند ذلك حزنٌ وبكاء فليَبْكِ على فَقْدِ ذلك، فإنَّه من المصائب!!

مسألة: يسنُّ تحسين الصوت بالقرآن وتزيينها، لحديث ابن حبَّان [٧٤٩] وغيره: «**زيِّنُوا القرآنَ بأصواتكم**» [وأحمد: ١٨٤٩٤ وإسناده صحيح]. وفي لفظ عند الدارمي[2] [٣٥٤٤]: «**حسِّنوا القرآنَ بأصواتكم، فإنَّ الصوتَ الحسنَ يزيد القرآن حُسناً**».

وأخرج البزّار [٢٣٢٤] وغيره حديث: «**حُسْنُ الصوت زينةُ القرآن**».

وفيه أحاديث صحيحةٌ كثيرةٌ.

فإن لم يكن حَسَنَ الصوت حسَّنه ما استطاع، بحيث لا يخرج إلى حدّ التمطيط.

وأما القراءة بالألحان: فنصَّ الشافعيّ في «**المختصر**» أنَّه لا بأس بها، وعن رواية الربيع الجيزيّ[3]: أنَّها مكروهة.

قال الرافعيّ: قال الجمهور: ليست على قولين، بل المكروه أن يُفْرِط في المدِّ، وفي إشباع الحركات، حتى يتولّد من الفتحة ألف، ومن الضمة واو، ومن الكسرة ياء، أو يدغم في غير موضع الإدغام، فإن لم ينتهِ إلى هذا الحدّ فلا كراهة.

قال في «**زوائد الروضة**»: والصحيح أنَّ الإفراط على الوجه المذكور حرامٌ يفسُق به القارئ ويأثم المستمع؛ لأنه عَدَلَ به عن نهجه القويم. قال: وهذا مراد الشافعيّ بالكراهة.

---

(١) «شرح المهذب» ١/ ٢٩ ـ ٣٠.

(٢) قال السندي في حاشيته: «زينوا...» أي: بتحسين أصواتكم عند القراءة، فإن الكلام الحسن يزداد حسناً وزينةً بالصوت الحسن، وهذا مشاهَدٌ، ولمَّا رأى بعضُهم أن القرآن أعظمُ من أن يُحسَّن بالصوت، بل الصوتُ أحقُّ بأن يُحسَّن بالقرآن قال: معناه: زينوا أصواتكم بالقرآن.

(٣) الربيع الجِيزي: الربيع بن سليمان الجيزي المصري، صاحب الإمام الشافعي، كان قليل الرواية عنه، ثقة (ت: ٢٥٦هـ) وقبره بالجيزة بمصر. «وفيات الأعيان» ٢/ ٢٩٢، هذا، وثمة ربيع آخر هو الربيع بن سليمان المرادي المصري أبو محمد، صاحب الإمام الشافعي، وهو الذي روى أكثر كتبه، قال الشافعي: الربيع راويتي (ت: ٢٧٠هـ). «وفيات الأعيان» ٢/ ٢٩١.

قلت: وفيه حديث: «**اقرؤوا القرآن بلُحُون العرب وأصواتها، وإياكم ولُحونَ أهل الكتابَيْنِ وأهل الفسق، فإنَّه سيجيء أقوامٌ يرجِّعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية، لا يجاوز حناجرَهم، مفتونة قلوبهم وقلوبُ من يعجبهم شأنُهم**». أخرجه الطبرانيّ [في «الأوسط»: ٧٢٢٣] والبيهقيّ [في «الشعب»: ٢٦٤٩ وهو ضعيف].

قال النووي[١]: ويستحبُّ طلب القراءة من حَسَن الصوت والإصغاء إليها، للحديث الصحيح[٢]، ولا بأس باجتماع الجماعة في القراءة ولا بإدارتها، وهي: أن يقرأ بعض الجماعة قطعةً، ثم البعضُ قطعةً بعدها.

مسألة: يستحبُّ قراءته بالتفخيم، لحديث الحاكم: «**نزل القرآن بالتفخيم**». قال الحَلِيمي: ومعناه أن يقرأه على قراءة الرجال، ولا يخضِّع الصوتَ فيه ككلام النساء.

قال: ولا يدخل في هذا كراهة الإمالة التي هي اختيار بعض القراء. وقد يجوز أن يكون القرآن نزل بالتفخيم، فرُخِّص مع ذلك في إمالة ما يحسُن إمالته.

مسألة: وردت أحاديث تقتضي استحباب رفع الصوت بالقراءة، وأحاديث تقتضي الإسرار وخفض الصوت.

فمن الأوَّل: حديث الصحيحين: «**ما أَذِن اللهُ لشيءٍ ما أَذِنَ لنبيٍّ حَسَنِ الصوتِ، يتغنَّى بالقرآنِ، يَجْهَرُ به**» [البخاري: ٧٥٤٤، ومسلم: ١٨٤٧، وأحمد: ٩٨٠٥].

ومن الثاني: حديث أبي داود [١٣٣٣] والترمذي [٢٩١٩] والنسائي [في «المجتبى»: ٢٥٦٢]: «**الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة، والمُسِرُّ بالقرآن كالمُسِرِّ بالصدقة**» [وأحمد: ١٧٣٦ وصححه الألباني].

قال النوويّ[٣]: والجمع بينهما: أنَّ الإخفاء أفضل، حيث خاف الرياء، أو تأذَّى مصلّون أو نيام بجهره، والجهر أفضل في غير ذلك، لأن العمل فيه أكثر، ولأنَّ فائدته تتعدَّى إلى السامعين، ولأنَّه يوقظ قلبَ القارئ، ويجمع همَّه إلى الفكر، ويصرف سمعه إليه. ويطرد النوم، ويزيد في النَّشاط. اهـ.

ويدلُّ لهذا الجمع حديثُ أبي داود [١٣٣٢] **بسندٍ صحيح**، عن أبي سعيد: اعتكف رسولُ الله ﷺ في المسجد، فسمعهم يجهرون بالقراءة، فكشف السِّتر، وقال: «**ألا إنَّ كُلَّكُم مناجٍ لربِّه، فلا يُؤْذِيَنَّ بعضُكم بعضاً، ولا يرفعْ بعضُكم على بعضكم في القراءة**».

وقال بعضهم: يستحب الجهر ببعض القراءة والإسرار ببعضها، لأن المسرَّ قد يمل فيأنس بالجهر، والجاهر قد يَكِلُّ فيستريح بالإسرار.

مسألة: القراءة في المصحف أفضل من القراءة من حفظه، لأنَّ النَّظر فيه عبادة مطلوبة.

---

(١) في «الأذكار» ص ١٢٩، و«التبيان» ١٠٥ ـ ١٠٦.

(٢) أخرجه البخاري: ٥٠٤٩، ومسلم: ١٨٦٧، وأحمد: ٣٦٠٦، من حديث ابن مسعود قال: قال لي النبيُّ ﷺ: «اقرأ عليَّ القرآنَ»، قلتُ: أقرأُ عليك وعليك أُنزِل؟ قال: «إني أحبُّ أن أسمعَهُ من غيري».

(٣) في «الأذكار» ص ١٢٩.

قال النووي[١] : هكذا قاله أصحابُنا والسلف أيضاً، ولم أرَ فيه خلافاً. قال: ولو قيل: إنه يختلف باختلاف الأشخاص، فيُختار القراءة فيه لمن استوى خشوعه وتدبره في حالَتي القراءة فيه ومن الحفظ. ويُختار القراءة من الحفْظ لمن يكمل بذلك خشوعُهُ، ويزيد على خشوعه وتدبُّره لو قرأ من المصحف؛ لكان هذا قولاً حسناً.

قلت: ومن أدلَّة القراءة في المصحف ما أخرجه الطَّبرانيّ [في «الكبير»: ٦٠١] والبيهقي في «**الشعب**» [٢٢١٨] من حديث أَوس الثقفيّ مرفوعاً: «**قراءة الرجل في غير المصحف ألفُ درجة، وقراءتُه في المصحف تُضاعِفُ ألفي درجة**».

وأخرج أبو عُبيد[٢] **بسندٍ ضعيفٍ**: «فضل القرآن نظراً على مَن يقرؤه ظاهراً كفضل الفريضةِ على النافلةِ».

وأخرج البيهقي عن ابن مسعود مرفوعاً: «**منْ سَرَّهُ أن يُحبَّ الله ورسوله فليقرأ في المصحف**»، وقال: **إنَّه منكر**.

وأخرج[٣] **بسندٍ حسن** عنه موقوفاً: «أديموا النَّظرَ في المصحف».

وحكى الزركشي في «**البُرهان**»[٤] ما بحثه النووي قولاً، وحكى معه قولاً ثالثاً: إنَّ القراءة من الحفظ أفضل مطلقاً، وإن ابنَ عبد السلام اختاره؛ لأنَّ فيه من التدبر ما لا يحصل بالقراءة في المصحف.

مسألة: قال في «**التبيان**»[٥] : إذا أُرْتج على القارئ فلم يدر ما بعد الموضع الذي انتهى إليه، فسأل عنه غيره، فينبغي أن يتأدَّب بما جاء عن ابن مسعود والنَّخعي وبشير بن أبي مسعود، قالوا: إذا سأل أحدُكم أخاه عن آية، فليقرأ ما قبلها ثم يسكت، ولا يقول: كيف كذا وكذا، فإنَّه يلبّس عليه[٦]. انتهى.

وقال ابن مجاهد[٧] : إذا شك القارئ في حرف: هل هو بالتاء أو بالياء؟ فليقرأه بالياء فإن القرآن مذكَّر، وإن شك في حرف: هل هو مهموز أَوْ غير مهموز؟ فليترك الهمز، وإن شكَّ في حرف: هل يكون موصولاً أو مقطوعاً؟ فليقرأ بالوصل، وإن شكَّ في حرف: هل هو ممدود أو مقصور؟ فليقرأ بالقصر، وإن شكَّ في حرفٍ: هل هو مفتوح أو مكسور؟ فليقرأ بالفتح؛ لأنَّ الأوَّل غيرُ لحنٍ في موضع، والثاني لحنٌ في بعض المواضع.

---

(١) في «الأذكار» ص ١٢٩، و«التبيان» ص ١٠٠.
(٢) في «فضائل القرآن» ص ١٠٤.
(٣) أبو عُبيد في «فضائل القرآن» ص ١٠٤.
(٤) «البرهان» ٢/ ٩٣ النوع ٢٩.
(٥) «التبيان» ص ١٤٣.
(٦) أخرج عبد الرزاق (٥٩٨٨) عن ابن مسعود قال: إذا سأل أحدكم صاحبه؛ كيف يقرأ آية كذا وكذا، فليسأله عما قبلها. وإسناده صحيح إليه.
(٧) ابن مجاهد: أحمد بن مجاهد أبو بكر البغدادي، المقرئ الأستاذ (ت: ٣٢٤ هـ). «معرفة القراء» ١/ ١٨٦.

قلت: أخرج عبدُ الرزاق [«المصنف»: ٥٩٧٩] عن ابن مسعود، قال: إذا اختلفتم في ياء وتاء فاجعلوها ياءً، ذكّروا القرآنَ. ففهم منه ثعلبُ أن ما احتمل تذكيره وتأنيثه كان تذكيرُه أجودَ.

ورُدَّ: بأنه يمتنع إرادة تذكير غير الحقيقي التأنيث لكثرة ما في القرآن منه بالتأنيث، نحو ﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٧٢]. ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ [القيامة: ٢٩]. ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ﴾ [إبراهيم: ١١]. وإذا امتنع إرادة غير الحقيقي فالحقيقي أولى.

قالوا: ولا يستقيم إرادة أن ما احتمل التذكيرَ والتأنيث غلب فيه التذكير، كقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ﴾ [ق: ١٠]. ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧]. فأنث مع جواز التذكير، قال تعالى: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠]. ﴿مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ﴾ [يس: ٨٠].

قالوا: فليس المراد ما فهم، بل المراد بـ(ذكِّروا): الموعظةُ والدعاء، كما قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ [ق: ٤٥]. إلّا أنه حذف الجار، والمقصود: ذكِّروا الناسَ بالقرآن؛ أي: ابعثوهم على حفظه كيلا ينسوه.

قلت: أوّل الأثر يأبى هذا الحَمْلَ.

وقال الواحديّ: الأمر ما ذهب إليه ثعلب، والمراد أنَّه إذا احتمل اللفظُ التذكيرَ والتأنيث ولم يحتجْ في التذكير إلى مخالفة المصحف ذكّر، نحو: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨]. قال: ويدلُّ على إرادة هذا أن أصحاب عبد الله - من قُرَّاءِ الكوفةِ كحمزةَ والكسائيّ - ذهبوا إلى هذا، فقرؤوا ما كان من هذا القبيل بالتذكير، نحو: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾ [النور: ٢٤]. وهذا في غير الحقيقيّ.

مسألة: يكره قطعُ القراءةِ لمكالمة أحدٍ، قال الحليميّ: لأن كلام الله لا ينبغي أن يُؤْثر عليه كلامُ غيره.

وأيّده البيهقيّ بما في الصحيح: كان ابن عمر إذا قرأ القرآن لم يتكلَّم حتى يفرغ منه [البخاري: ٤٥٢٦].

ويكره أيضاً الضحك والعبث والنظر إلى ما يلهي.

مسألة(١): لا يجوز قراءة القرآن بالعجميّة مطلقاً، سواءٌ أحْسنَ العربيةَ أم لا، في الصلاة أم خارجها. وعن أبي حنيفة أنَّه يجوز مطلقاً، وعن أبي يوسف ومحمد: لِمَنْ لا يُحسِن العربيةَ، لكن في شارح البزدويّ: أنَّ أبا حنيفة رجع عن ذلك.

ووجه المنع: أنه يُذهبُ إعجازَه المقصودَ منه.

وعن القفَّال(٢) من أصحابنا: إنَّ القراءة بالفارسية لا تتصوَّر، قيل له: فإذَنْ لا يقدر أحدٌ أن يفسر القرآن؟ قال: ليس كذلك، لأن هناك يجوز أن يأتيَ ببعض مراد الله ويعجز عن البعض، أما إذا أراد أن

(١) «التبيان» ص ٩٧.
(٢) القفَّال: حسين بن محمد، أبو علي المرُّوذي، شيخ الشافعية (ت: ٤٦٢ هـ). «سير أعلام النبلاء» ١٨/ ٢٦٠.

يقرأه بالفارسية فلا يمكن أن يأتي بجميع مراد الله تعالى، لأنَّ الترجمة إبدال لفظة بلفظة تقوم مقامها، وذلك غير ممكن، بخلاف التفسير.

مسألة[١]: لا تجوز القراءة بالشَّاذ، نقل ابنُ عبد البر الإجماع على ذلك، لكن ذكر موهوب الجزريّ جوازها في غير الصلاة، قياساً على رواية الحديث بالمعنى.

مسألة[٢]: الأَوْلى أن يقرأ على ترتيب المصحف، قال في «**شرح المهذب**»: لأن ترتيبه لحكمة، فلا يتركها إلَّا فيما ورد فيه الشرع، كصلاة صبح يوم الجمعة بـ﴿الٓمٓ ۞ تَنزِيلُ﴾ و﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ ونظائره، فلو فرق السُّور أو عكَسَها جاز وترك الأفضل.

قال: وأمَّا قراءة السورة من آخرها إلى أوَّلها فمتَّفق على منعه، لأنه يذهب بعض نوع الإعجاز، ويزيل حكمة الترتيب.

قلت: وفيه أثر، أخرج الطبراني [في «الكبير»: ٨٨٤٦] **بسندٍ جيِّد** عن ابن مسعود: أنَّه سئل عن رجل يقرأ القرآن منكوساً، قال: ذاك منكوس القلْب.

وأما خلط سورة بسورة: فعدَّ الحليميّ تركَه من الآداب، لما أخرجه أبو عُبيد[٣] عن سعيد بن المسيب: أن رسول الله ﷺ مرَّ ببلال وهو يقرأُ مِنْ هذه السورة ومن هذه السورة، فقال: «**يا بلال، مررتُ بكَ وأنت تقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة**». قال: خلطت الطيِّبَ بالطيِّب، فقال: «**اقرأ السورة على وجهها ـ** أو قال: **ـ على نحوها**» .**مرسل صحيحٌ**، وهو عند أبي داود [١٣٣٠] موصول عن أبي هريرة بدون آخره.

وأخرجه أبو عبيد[٤] من وجه آخر عن عمر مولى غُفْرة، أنَّ النبي ﷺ قال لبلال: «**إذا قرأت السورة فأنْفِذْها**».

وقال: حدثنا معاذ عن ابن عَوْنٍ قال: سألت ابن سيرين عن الرَّجل يقرأُ من السورة آيتين، ثم يدعها ويأخذ في غيرها؟ قال: ليتق أحدُكم أن يأثم إثماً كبيراً وهو لا يشعر.

وأخرج عن ابن مسعود قال: إذا ابتدأت في سورة، فأَردت أن تتحوَّل منها إلى غيرها فتحوَّل إلى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. فإذا ابتدأت فيها فلا تتحوَّل منها حتى تختمها.

وأخرج[٥] عن ابن أبي الهُذَيل قال: كانوا يكرهون أن يقرؤوا بعضَ الآية ويدَعُوا بعضَها.

قال أبو عُبيد[٦]: الأمر عندنا على كراهة قراءة الآيات المختلفة، كما أنكر رسول الله ﷺ على بلال، وكما كرهه ابن سيرين.

وأما حديث عبد الله: فوجهه **عندي** أن يبتدئ الرجل في السورة يريد إتمامَها، ثم يبدو له في

---

(١) انظر «التبيان» ص ٩٨.

(٢) انظر «التبيان» ص ٩٩.

(٣) في «فضائل القرآن» ص ١٨٨.

(٤) «فضائل القرآن» ص ١٨٨.

(٥) أبو عبيد «فضائل القرآن» ص ٩٦.

(٦) «فضائل القرآن» ص ١٩٠.

أخرى، فأما من ابتدأ القراءة وهو يريد التنقُّل من آية إلى آية، وترك التأليف لآي القرآن، فإنما يفعله من لا علم له؛ لأن الله لو شاء لأنزله على ذلك. انتهى.

وقد نقل القاضي أبو بكر الإجماع على عدم جواز قراءة آية آية من كل سورة.

قال البيهقي: وأحسن ما يحتجّ به أن يقال: إن هذا التأليف لكتاب الله مأخوذٌ من جهة النبي ﷺ، وأخذه عن جبريل، فالأَوْلَى للقارئ أن يقرأه على التأليف المنقول، وقد قال ابن سيرين: تأليف الله خيرٌ من تأليفكم.

مسألة: قال الحليميّ: يسن استيفاء كلّ حرف أثبته قارئ، ليكون قد أَتَى على جميع ما هو قرآن.

وقال ابن الصلاح، والنووي[(١)]: إذا ابتدأ بقراءة أحد من القُرّاء فينبغي ألا يزاد على تلك القراءة ما دام الكلام مرتبطاً، فإذا انقضى ارتباطه، فله أن يقرأ بقراءة أخرى. والأَوْلى دوامُهُ على الأُولى في هذا المجلس.

وقال غيرهما: بالمنع مطلقاً.

قال ابن الجزريّ: والصواب أن يقال:

إن كانت إحدى القراءتين مرتبطة على الأُخرى مُنِع ذلك مَنْعَ تحريم، كمن يقرأ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧]. برفعهما أو نصبهما، أَخَذَ رَفْعَ ﴿ءَادَمُ﴾ من قراءة غير ابن كثير، ورفْعَ ﴿كَلِمَٰتٍ﴾ من قراءته، ونحو ذلك مما لا يجوز في العربية واللغة.

وما لم يكن كذلك فرَّق فيه بين مقام الرِّواية وغيرها: فإن كان على سبيل الرّواية حرُم أيضاً، لأنه كذبٌ في الرواية وتخليطٌ، وإن كان على سبيل التلاوة جاز.

مسألة[(٢)]: يسنُّ الاستماع لقراءة القرآن وتركُ اللغط والحديث بحضور القراءة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

مسألة[(٣)]: يسنّ السجودُ عند قراءةِ آيةِ السجدة، وهي أربع عشْرةَ: في الأعراف، والرعد، والنحل، والإسراء، ومريم، وفي الحجّ سجدتان، والفرقان، والنّمل، و﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾، وفُصِّلت، والنجم، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾، و﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾، وأما ﴿صٓ﴾ فمستحبة، وليست من عزائم السجود؛ أي: متأكداته. وزاد بعضهم آخر الحجر. نقله ابن الفرس في «**أحكامه**».

مسألة: قال النووي[(٤)]: الأوقات المختارة للقراءة أفضلُها ما كان في الصلاة، ثم الليل، ثم نصفه الأخير، وهي بين المغرب والعشاء محبوبة، وأفضل النّهار بعد الصبح. ولا تُكره في شيء من الأوقات لمعنًى فيه. وأما ما رواه ابن أبي داود عن مُعاذ بن رفاعة عن مشايخه: أنهم كرهوا القراءة بعد العصر، وقالوا: هو دراسة يهود. فغير مقبول، ولا أصل له.

---

(١) في «التبيان» ص ٩٨.
(٢) انظر «التبيان» ص ٩٥.
(٣) انظر «التبيان» ص ١٢٧.
(٤) «التبيان» ص ٦٥ وما بعد.

ويُختار من الأيام يوم عرفة، ثم الجمعة، ثم الإثنين، والخميس. ومن الأعشار العشر الأخير من رمضان، والأوَّل من ذي الحجة، ومن الشهور رمضان.

ويُختار لابتدائه ليلة الجمعة، ولختمه ليلة الخميس، فقد روى ابنُ أبي داود، عن عثمان بن عفان: أنَّه كان يفعل ذلك.

والأفضل الختم أَوَّل النهار أو أَوَّل الليل؛ لما رواه الدارمي[١] بسند حسن عن سعد بن أبي وقاص قال: إذا وافق ختمُ القرآن أَوَّلَ الليل صلَّت عليه الملائكةُ حتى يصبح، وإن وافق ختمُه أَوَّل النهار صلَّتْ عليه الملائكة حتى يُمسِي.

قال في «**الإحياء**»[٢]: ويكون الختم أول النهار في ركعتي الفجر، وأوَّل الليل في ركعتي سنة المغرب.

مسألة: وعن ابن المبارك: يستحبُّ الختم في الشتاء أول الليل، وفي الصيف أول النهار.

مسألة: يسنُّ صوم يوم الختم، أخرجه ابن أبي داود[٣] عن جماعة من التابعين، وأن يُحْضِرَ أهلَه وأصدقاءَه. أخرج الطَّبراني [في «الكبير»: ٦٧٤]: عن أنس: أنه كان إذا ختم القرآن جمع أهلَه ودعا.

وأخرج ابنُ أبي داود[٤] عن الحَكم بن عُتَيبة قال: أرسل إليَّ مجاهد وعنده ابن أبي أمامة، وقالا: إنا أرسلنا إليك؛ لأَنَّا أردنا أن نختم القرآن، والدعاءُ يُستجاب عند ختم القرآن.

وأخرج[٥] عن مجاهد قال: كانوا يجتمعون عند ختم القرآن، ويقول: عنده تنزل الرحمة.

مسألة: يستحبُّ التكبير من الضحى إلى آخر القرآن، وهي قراءة المكّيّين.

أخرج البيهقي في «**الشعب**» [٢٠٧٧] وابنُ خزيمة من طريق ابن أبي بَزَّةَ، سمعت عِكرمة بن سليمان قال: قرأتُ على إسماعيل بن عبد الله المكيّ، فلما بلغتُ الضحى، قال: كبِّر حتى تختم، فإنِّي قرأت على عبد الله بن كثير، فأمرني بذلك، وقال: قرأت على مجاهد فأمرني بذلك، وأخبر مجاهد أنه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك. وأخبر ابن عباس أنه قرأ على أُبيّ بن كعب، فأمره بذلك. كذا أخرجاه موقوفاً.

ثم أخرجه البيهقيّ من وجه آخر عن ابن بَزَّة مرفوعاً.

وأخرجه من هذا الوجه ـ أعني المرفوع ـ الحاكمُ في «**مستدركه**» وصحَّحه. وله طرق كثيرة عن البزِّي.

وعن موسى بن هارون قال: قال لي البزِّيّ: قال لي محمد بن إدريس الشافعيّ: إن تركت التكبير فقدْتَ سنةً من سنن نبيكَ. قال الحافظ عماد الدين ابن كثير: وهذا يقتضي تصحيحَهُ للحديث.

---

(١) الدارمي فضائل القرآن (٣٥٢٦)، وانظر «التبيان» للنووي ص ٧٠.

(٢) «إحياء علوم الدين» ١/ ٢٧٦ ختمة بالنهار.

(٣) «فضائل القرآن» ص ٤٨ وانظر «فضائل القرآن» لابن الضُّرَيس (٧٨) و(٨١).

(٤) انظر: أبو عبيد ص ٤٧ ـ ٤٨.

(٥) ابن الضريس في «فضائل القرآن» (٨٦)، والفريابي (٨٧)، وابن أبي شيبة ١٠/ ٤٩١.

وروى أبو العلاء الهمْدانيّ عن البزّي: أنَّ الأصل في ذلك: أنَّ النبي ﷺ انقطع عنه الوحي، فقال المشركون: قلى محمَّداً ربُّه، فنزلت سورة الضحى، فكبَّر النبيُّ ﷺ. قال ابنُ كثير: ولم يروَ ذلك بإسناد يُحكَم عليه بصحةٍ ولا ضعفٍ.

وقال الحليميّ: نكتة التكبير التشبيهُ للقراءة بصوم رمضان: إذا أكمل عِدَّته يكبّر، فكذا هنا يكبّر إذا أكمل عِدَّة السورة. قال: وصفته أنْ يَقِف بعد كلّ سورة وقفةً، ويقول: الله أكبر.

وكذا قال سُلَيم الرازي من أصحابنا في «تفسيره»: يُكبّر بين كلّ سورتين تكبيرةً، ولا يَصِلُ آخرَ السورة بالتكبير، بل يفصل بينهما بسكتة. قال: ومَنْ لا يكبّر من القراء، حجَّتهم أن في ذلك ذريعةً إلى الزيادة في القرآن، بأن يداوَمَ عليه فَيُتوهَّم أنه منه.

وفي «النشر»(١) : اختلف القراء في ابتدائه، هل هو من أوَّل الضحى أو من آخرها؟ وفي انتهائه: هل هو أوَّل سورة الناس أو آخرها؟ وفي وصله بأوّلها أو آخرها وقطعه، والخلاف في الكلّ مبنيٌّ على أصل، وهو أنه: هل هو لأوَّل السورة أو لآخرها. وفي لفظه: فقيل: الله أكبر، وقيل: لا إله إلا الله والله أكبر. وسواء في التكبير في الصلاة وخارجها. صرح به السَّخاويّ وأبو شامة.

مسألة: يسنّ الدعاء عقب الختم.ت لحديث الطَّبراني [في «الكبير»: ٦٤٧] وغيره عن العِرْباض بن سارية مرفوعاً: «**مَنْ ختم القرآن فله دعوةٌ مستجابة**».

وفي «**الشُّعب**» [٢٠٨٤] من حديث أنس مرفوعاً: «مَنْ قرأ القرآن وحَمِدَ الربّ وصلَّى على النبي ﷺ واستغفر ربَّه، فقد طَلَبَ الخيرَ مكانه».

مسألة: يسن إذا فرغ من الختمة أن يشرع في أُخرى عقب الختم، لحديث الترمذيّ [٢٩٤٨] وغيره: «**أحبُّ الأعمال إلى الله الحَالُّ المُرْتَحِلُ، الذي يَضْرِبُ من أوَّل القرآن إلى آخره، كلَّما حلَّ ارتحل**» .

وأخرج الدارمي(٢) **بسند حسن** عن ابن عباس، عن أُبي بن كعب: أنَّ النبيّ ﷺ كان إذا قرأ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ افتتح من الحمد، ثم قرأ من البقرة إلى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، ثم دعا بدعاء الختمة، ثم قام.

مسألة: عن الإمام أحمد أنه منع من تكرير سورة الإخلاص عند الختم، لكن عمل الناس على خلافه. قال بعضهم: والحكمة فيه ما ورد أنَّها تَعْدِل ثلثَ القرآن [البخاري: ٥٠١٣، وأحمد: ١١٣٠٦] ، فيحصل بذلك ختمة.

فإن قيل: فكان ينبغي أن تقرأ أربعاً ليحصل له ختمتان!

قلنا: المقصود أن يكون على يقين من حصول ختمة، إمَّا التي قرأها وإمَّا التي حصل ثوابها بتكرير السورة. انتهى.

قلت: وحاصل ذلك يرجع إلى جبر ما لعله حصل في القراءة من خلل. وكما قاس الحليمي التكبيرَ

---

(١) «النشر» ٢/ ٤٢٣.

(٢) الدارمي، فضائل القرآن، أحاديث من (٣٥١٤) إلى (٣٥٣٠).

عند الختم على التكبير عند إكمال رمضان، فينبغي أن يقاس تكرير سورة الإخلاص على إتْباع رمضان بستٍّ من شوال.

مسألة: يُكْرَه اتِّخاذ القرآن معيشة يتكسَّب بها. وأخرج الآجري[1] من حديث عمران بن الحُصَين مرفوعاً: «**من قرأ القرآن فليسأل الله به، فإنَّه سيأتي قوم يقرؤون القرآن يسألون الناس به**».

وروى البخاري في «**تاريخه الكبير**» **بسند صالح** حديث: «**من قرأ القرآن عند ظالم ليرفع منه، لُعِن بكل حرفٍ عشرَ لَعَناتٍ**».

مسألة: يكره أن يقول: نَسِيْت آية كذا، بل أُنسيتها، لحديث الصحيحين في النهي عن ذلك. [البخاري: ٥٠٣٢، ومسلم: ١٨٤١، وأحمد: ٣٩٦٠].

مسألة: الأئمة الثلاثة على وصول ثواب القراءة للميِّت، ومذهبنا خلافه، لقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩].

فصل
في الاقتباس وما جرى مجراه

الاقتباس: تضمين الشعر أو النثر بعض القرآن، لا على أنه منه؛ بألاَّ يقال فيه: قال الله تعالى ونحوه، فإن ذلك حينئذ لا يكون اقتباساً.

وقد اشتهر عن المالكية تحريمُه وتشديدُ النكير على فاعله.

وأما أهلُ مذهبنا: فلم يتعرَّض له المتقدمون ولا أكثر المتأخرين، مع شيوعِ الاقتباس في أعصارهم واستعمال الشعراء له قديماً وحديثاً.

وقد تعرَّض له جماعة من المتأخرين؛ فسئل عنه الشيخ عز الدين بن عبد السلام فأجازه. واستدلَّ له بما ورد عنه ﷺ من قوله في الصلاة وغيرها: «**وجهت وجهي**» إلى آخره [مسلم: ١٨١٢]، وقوله: «**اللهمَّ فالق الإصباح وجاعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً، اقضِ عني الدَّين، وأغنِني من الفقر**».

وفي سياق كلام لأبي بكر: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [مالك (١/ ١٦١)].

وفي آخرِ حديثٍ لابن عمر: «قد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة» [البخاري: ١٦٣٩، ومسلم: ٢٩٩٠، وأحمد: ٤٤٨٠].

وهذا كلّه إنَّما يدلُّ على جوازه في مقام المواعظ والثناء والدعاء وفي النثر، لا دلالة فيه على جوازه في الشعر، وبينهما فرق، فإنَّ القاضي أبا بكر من المالكيّة صرح بأن تضمينه في الشعر مكروه وفي النثر جائز.

واستعمله أيضاً في النثر القاضي عياض في مواضع من خطبة «**الشفا**»[2].

---

(١) في «أخلاق حملة القرآن» (٤١).

(٢) من ذلك قوله في خطبة «الشفا»: وسع كل شيءٍ رحمةً وعلماً، وأسبغ على أوليائه نِعماً جَمًّا ١/ ٤ «الشفا» بشرح القاري.

وقال الشرف إسماعيل بن المقرئ اليمنيّ صاحب **مختصر الروضة** في شرح بديعيَّته: ما كان منه في الخطب والمواعظ ومدحه ﷺ وآله وصحبه ولو في النظم فهو مقبول، وغيره مردود.

وفي شرح بديعية ابن حجّة: الاقتباس ثلاثة أقسام: مقبول، ومباح، ومردود:

فالأول: ما كان في الخطب والمواعظ والعهود.

والثاني: ما كان في القول والرسائل والقصص.

والثالث: على ضربين.

أحدهما: ما نسبه الله إلى نفسه، ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه، كما قيل عن أحد بني مروان أنه وقَّع على مطالعة فيها شكاية عمَّاله: إن إلينا إيابهم، ثم إن علينا حسابهم.

والآخر: تضمين آية في معنى هزل، ونَعوذ بالله من ذلك، كقوله:

أَوْحَى إلى عشاقه طَرْفُهُ ... (هيهات هيهات لما توعدون)

ورِدْفُه ينطقُ من خلفِه ... (لمثل ذا فليعمل العاملون)

قلت: وهذا التقسيم حسنٌ جدًّا، وبه أقول.

وذكر الشيخ تاج الدين بن السُّبكيّ في «**طبقاته**»[1] في ترجمة الإمام أبي منصور عبد القاهر بن الطاهر التميميّ البغداديّ من كبار الشافعية وأجِلَّائهم: أن من شعره قوله:

يا من عَدَا ثم اعتدى ثم اقترفْ ... ثم انتهى ثمَّ ارعوى ثم اعترفْ

أَبشِرْ بقولِ الله في آياته: ... (إن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلف)

وقال: استعمال مثل الأستاذ أبي منصور مثل هذا الاقتباس في شعره، له فائدةٌ، فإنه جليل القدر، والناس ينهوْن عن هذا، وربما أَدَّى بحث بعضهم إلى أنه لا يجوز.

وقيل: إنَّ ذلك إنَّما يفعله من الشعراء الذين هم في كلِّ واد يهيمون، ويَثِبُون على الألفاظِ وَثْبَةَ مَنْ لا يُبالي. وهذا الأستاذ أبو منصور من أئمة الدِّين، وقد فعل هذا وأسند عنه هذين البيتين الأستاذ أبو القاسم ابن عساكر.

قلت: ليس هذان البيتان من الاقتباس لتصريحه بقول الله، وقد قدَّمنا أن ذلك خارج عنه.

وأما أخوه الشيخ بهاء الدين، فقال في «**عروس الأفراح**»[2]: الورع اجتناب ذلك كله، وأن ينزَّه عن مثله كلام الله ورسوله.

قلت: رأيتُ استعمالَ الاقتباس لأئمةٍ أجلاّء، منهم الإمام أبو القاسم الرافعيّ، وأنشده في «**أماليه**»، ورواه عنه أئمة كبار، قال:

---

(١) «طبقات الشافعية الكبرى» الإمام السبكي ٣/ ١٤٢ (٤٦٨).

(٢) «عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح» للشيخ بهاء الدين السبكي (ت: ٧٧٣ هـ)، والكلام المنقول هنا في ٢/ ٣٣٤ في بحث الاقتباس.

الملكُ للهِ الذي عَنتِ الوجوهُ له وذلَّتْ عنده الأربابُ
متفرّدٌ بالملك والسلطان قدْ خَسِر الذين تجاذبوه وخابُوا
دعْهم وزعم الملك يوم غرورِهم فسيعلمون غداً من الكذابُ

وروى البيهقيّ في «شعب الإيمان» [١٢٢٩] عن شيخه أبي عبد الرحمن السُّلَمي، قال: أنشدنا أحمد بن يزيد لنفسه:

سَلِ اللهَ مِنْ فضلِهِ واتّقِهْ فإنَّ التُّقَى خيرُ ما تكْتَسِبْ
ومَنْ يتَّقِ اللهَ يَصنَعْ لَهُ ويرزُقْه مِن حيثُ لا يَحْتَسِبْ

ويقرب من الاقتباس شيئان:

أحدهما: قراءة القرآن يراد بها الكلام. قال النوويّ في «التبيان»[١]: ذكر ابن أبي داود في هذا اختلافاً، فروى عن النَّخَعي: أنه كان يكره أن يتأوّل القرآن لشيء يعرض من أمر الدنيا.

وأخرج عن عمر بن الخطاب: أنه قرأ في صلاة المغرب بمكة: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ﴾، ثم رفع صوته، فقال: ﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾[٢].

وأخرج عن حُكَيم بن سعيد[٣]: أن رجلاً من المُحَكِّمة أتى عليًّا وهو في صلاة الصبح. فقال: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]. فأجابه في الصلاة: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠]. انتهى.

وقال غيره: يكره ضرب الأمثال من القرآن، صرح به من أصحابنا العمادُ البيهقيّ تلميذ البغويّ، كما نقله ابن الصلاح في فوائد رحلته.

الثاني: التوجيه بالألفاظ القرآنية في الشعر وغيره، وهو جائزٌ بلا شك، وروينا عن الشريف تقيّ الدين الحسينيّ أنه لمّا نظم قوله:

مجازٌ حقيقتُها فاعبُروا ولا تَعْمُروا هوِّنوها تهُنْ
وما حُسْنُ بَيتٍ لَهُ زخرفٌ تراهُ إذا زلزلت لم يكُنْ

خَشيَ أن يكون ارتكب حراماً، لاستعماله هذه الألفاظ القرآنيَّة في الشِّعر، فجاء إلى شيخ الإسلام تقيّ الدين ابن دقيق العيد يسأله عن ذلك، فأنشده إياهما، فقال له: قل: (وما حسن كهف)، فقال: يا سيِّدي أفدتني وأفتيتني.

خاتمة: قال الزركشي في «البرهان»[٤]: لا يجوز تعدِّي أمثلة القرآن، ولذلك أُنكِر على

---

(١) «التبيان» ص ١١٨.
(٢) أورده القرطبي في «تفسيره» ٢٠/ ١١٢ ـ ١١٣.
(٣) في «التبيان»: حُكيم بن سعد. وهو الصواب. وحُكيم حنفي كوفي، من رجال «التهذيب»، روى عن علي، وأبي هريرة، وأبي موسى. روى له البخاري في «الأدب»، والنسائي. انظر «تهذيب الكمال» (١٤٦٧).
(٤) «البرهان» ٢/ ١١٤.

الحريري[١] قوله: (فأدخلني بيتاً أَحْرَجَ من التابوت، وأَوْهى من بيت العنكبوت)[٢].

وأيّ معنًى أبلغُ من معنًى أَكَّدَهُ الله من ستَّة أوجه؛ حيث قال: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾؟ [العنكبوت: ٤١]. فأدخل ﴿إِنَّ﴾، وبنى أفعل التفضيل، وبناه من الوهَن، وأضافه إلى الجمع، وعرَّف الجمع باللام، وأتى في خبر ﴿إِنَّ﴾ باللام.

لكن استشكل هذا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦]. وقد ضرب النبي ﷺ المثلَ بما دون البعوضة، فقال: «**لو كانتِ الدنيا تَزِن عند الله جناح بعوضة...**»[٣] [صحيح غريب: الترمذي: ٢٣٢٠، وابن ماجه: ٤١١٠].

قلت: قد قال قوم في الآية: إن معنى قوله: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ في الخِسّة، وعبّر بعضهم عن هذا بقوله: معناه: (فما دونها) فزال الإشكال.

❁ ❁ ❁

---

(١) الحريري: القاسم بن علي البصري الأديب الكبير صاحب المقامات (ت: ٥١٦ هـ). «خزانة البغدادي» ٣/ ١١٧، «وفيات الأعيان» ١/ ٤١٩.

(٢) في مقامته الفرضية، وهي الخامسة عشرة ١/ ٢٣٠.

(٣) وتمامه: «ما سقى كافراً منها شَرْبة ماءٍ».

النوع السادس والثلاثون

في مَعرفة غرِيبه

أفرده بالتصنيف خلائق لا يُحْصَون، منهم أبو عُبيدة، وأبو عُمَر الزاهد، وابن دُرَيد، ومن أشهرها كتاب العُزَيزيّ؛ فقد أقام في تأليفه خمس عشرة سنة يحرِّره، هو وشيخه أبو بكر بن الأنباريّ.

ومن أحسنها «**المفردات**» للرَّاغب. ولأبي حيان في ذلك تأليف مختصرٌ في كرّاسين.

قال ابن الصلاح: وحيث رأيْتَ في كتب التفسير: (قال أهل المعاني) فالمراد به مصنِّفو الكتب في معاني القرآن، كالزّجّاج، والفرّاء، والأخفش، وابن الأنباري. انتهى.

وينبغي الاعتناء به، فقد أخرج البيهقي [في «الشعب»: ٢٦٥٢] من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «**أعربوا القرآن، والتمِسُوا غرائِبَهُ**».

وأخرج مثله عن عمر وابن عمر، وابن مسعود موقوفاً.

وأخرج من حديث ابن عمر مرفوعاً: «**من قرأ القرآن فأعرَبَهُ، كان له بكلِّ حرفٍ عشرون حسنةً، ومَنْ قرأه بغير إعرابٍ كان له بكلِّ حرفٍ عشرُ حسنات**».

المراد بإعرابه معرفةُ معاني ألفاظه، وليس المرادُ به الإعرابَ المصطَلح عليه عند النُّحاة؛ وهو ما يقابل اللَّحن؛ لأنَّ القراءة مع فقدِه ليست قراءةً، ولا ثوابَ فيها.

وعلى الخائض في ذلك التَّثبّت والرُّجوع إلى كتب أهل الفنّ، وعدمُ الخوض بالظنِّ؛ فهذه الصحابة ـ وهم العرب العَرْباء، وأصحاب اللغة الفصحَى، ومَنْ نزل القرآن عليهم، وبلغتِهم ـ توقَّفوا في ألفاظٍ لم يعرفوا معناها، فلم يقولوا فيها شيئاً.

فأخرج أبو عُبيد في «**الفضائل**»[1] عن إبراهيم التَّيْميّ: أنَّ أبا بكر الصديق سئل عن قوله: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١]، فقال: أيُّ سماء تُظلُّني، أو أيُّ أرض تُقِلُّني، إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟

وأخرج[2] عن أنسٍ: أنَّ عمر بن الخطاب قرأ على المنبر: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾. فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبّ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو الكلَف يا عمر.

وأخرج[3] من طريق مجاهدٍ عن ابن عباس قال: كنتُ لا أدري ما فاطر السموات، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بِئْر، فقال أحدهما: أنا فَطَرْتُها، يقول: أنا ابتدأتُها.

وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جُبير: أنَّه سئل عن قوله: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [مريم: ١٣]، فقال: سألتُ عنها ابن عبَّاسٍ، فلم يُجِبْ فيها شيئاً.

---

(١) «فضائل القرآن» ص ٣٧٥.
(٢) «فضائل القرآن» ص ٣٧٥.
(٣) «فضائل القرآن» ص ٣٤٥.

وأخرج من طريق عِكْرمة عن ابن عباس قال: لا والله، ما أدري ما ﴿وَحَنَانًا﴾.

وأخرج الفِريابي: حدَّثنا إسرائيل، حدثنا سِماك بن حَرْب، عن عِكْرمة، عن ابن عباس قال: كلُّ القرآن أَعلَمُه إلَّا أربعاً: ﴿غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: ٣٦] ﴿وَحَنَانًا﴾ [مريم: ١٣]، و﴿أَوَّٰهٌ﴾ [هود: ٧٥]، و﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾ [الكهف: ٩].

وأخرج ابن أبي حاتم[(١)] عن قتادة قال: قال ابن عباس: ما كنت أدري ما قوله: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩] حتى سمعت قول بنت ذي يزن: (تعال أُفاتحك). تقول: تعال أُخاصِمْك.

وأخرج من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: ما أدري ما الغِسْلينُ! ولكنِّي أظنُّه الزَّقُّوم.

فصل

معرفة هذا الفن للمفسِّر ضرورية، كما سيأتي في شروط المفسِّر.

قال في «البرهان»[(٢)]: ويحتاج الكاشف عن ذلك إلى معرفة علم اللغة: أسماءً وأفعالاً وحروفاً؛ فالحروف لقلَّتها تكلَّم النحاة على معانيها، فيؤخذ ذلك من كتبهم، وأمَّا الأسماء والأفعال فتؤخذ من كتب علم اللغة، وأكبرها كتاب ابن السِّيد.

ومنها: «التهذيب» للأزهريّ، و«المحكم» لابن سِيدَهْ، و«الجامع» للقزَّاز[(٣)]، و«الصحاح» للجوهريّ، و«البارع» للفارابي[(٤)]، و«مجمع البحرين» للصاغاني.

ومن الموضوعات في الأفعال كتاب ابن القُوْطِيَّة[(٥)]، وابن طَرِيف[(٦)]، والسَّرَقُسْطيّ. ومن أجمعها كتاب ابن القطَّاع.

قلت: وأَوْلَى ما يُرْجَعُ إليه في ذلك ما ثبتَ عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه؛ فإنَّه ورد عنهم ما يستوعبُ تفسيرَ غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة.

وها أنا أسوق هنا ما ورَد من ذلك عن ابن عباس من طريق ابن أبي طَلْحة خاصة؛ فإنَّها من أَصَحّ الطُّرق عنه، وعليها اعتمد البخاريّ في «صحيحه» مرتباً على السُّور.

---

(١) في «تفسيره» ٥/ ١٥٢٣ (٨٧٣٣) الأعراف: ٨٩. (٢) الزركشي ١/ ٣٩٤ النوع ١٨.

(٣) القَزّاز: محمد بن جعفر القيرواني، وكتابه «الجامع في اللغة» حسنٌ متقن كبير. (ت: ٤١٢ هـ).

(٤) في «البرهان»: أن «البارع» للقالي، وهو إسماعيل بن القاسم أبو علي القالي، صاحب «الأمالي» و«البارع في اللغة» (ت: ٣٥٦ هـ).

(٥) ابن القوطية: محمد بن عمر الأندلسي، من أعلم زمانه باللغة والأدب (ت: ٣٦٧ هـ). «مرآة الجنان» ٢/ ٣٨٩، «لسان الميزان» ٥/ ٣٢٤.

(٦) ابن طريف: عبد الملك بن طريف، من علماء العربية واللغة (ت: ٤٠٠ هـ). «إنباه الرواة» للقفطي ٢/ ٢٠٨.

[سورة البقرة]

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي (ح) وقال ابن جرير: حدثنا المثنّى قالا: حدثنا أبو صالح عبد الله ابن صالح: حدَّثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى:

﴿يُؤْمِنُونَ﴾ [٣] قال: يصدّقون. ﴿يَعْمَهُونَ﴾ [١٥] يتمادَوْن. ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ [٢٥] من القذر والأذى. ﴿ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [٤٥] المصدِّقين بما أنزل الله. ﴿وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ﴾ [٤٩] نعمةٌ. ﴿وَفُومِهَا﴾ [٦١] الحِنْطة. ﴿إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾ [٧٨] أحاديث. ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ [٨٨] في غطاء. ﴿مَا نَنسَخْ﴾ [١٠٦] نبدّل. ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ [١٠٦] نتركها فلا نبدّلها. ﴿مَثَابَةً﴾ [١٢٥] يثوبون إليه، ثمّ يرجعون. ﴿حَنِيفًا﴾ [١٣٥] حاجًا. ﴿شَطْرَهُۥ﴾ [١٤٤] نحوه. ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ [١٥٨] فلا حرجَ. ﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [١٦٨] عمله. ﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [١٧٣] ذُبح للطواغيت. ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [١٧٧] الضيف الذي ينزل بالمسلمين. ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [١٨٠] مالاً. ﴿جَنَفًا﴾ [١٨٢] إثماً. ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ [٢٢٩] طاعة الله. ﴿لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [١٩٣] شِرْك. ﴿فَمَن فَرَضَ﴾ [١٩٧] أحرم. ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [١٨٧] ما لا يتبيَّن في أموالكم. ﴿لَأَعْنَتَكُمْ﴾ [٢٢٠] لأحرجكم وضيّق عليكم. ﴿مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟﴾ [٢٣٦] المسّ: الجماع، والفريضة: الصَّداق. ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ [٢٤٨] رحمة. ﴿سِنَةٌ﴾ [٢٥٥] نعاس. ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾ [٢٥٥] يَثْقُل عليه. ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ [٢٦٤] حَجَرٌ صَلْدٌ ليس عليه شيءٌ.

[سورة آل عمران](1)

﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ [٥٥] مميتُك. ﴿رِبِّيُّونَ﴾ [١٤٦] جُموعٌ.

[سورة النساء]

﴿حُوبًا كَبِيرًا﴾ [٢] إثماً عظيماً. ﴿نِحْلَةً﴾ [٤] مهراً. ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [٦] اختبروا. ﴿ءَانَسْتُم﴾ [٦] عرفتم. ﴿رُشْدًا﴾ [٦] صلاحاً. ﴿كَلَٰلَةً﴾ [١٢] من لم يترك والداً ولا ولداً. ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [١٩] تقْهَرُوهُنَّ. ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾ [٢٤] كلّ ذات زوج. ﴿طَوْلًا﴾ [٢٥] سعةً. ﴿مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ [٢٥] عفائف غير زوانٍ في السر والعلانية. ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ [٢٥] أخِلّاء. ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ [٢٥] تزوَّجنَ. ﴿ٱلْعَنَتَ﴾ [٢٥] الزّنا. ﴿مَوَٰلِىَ﴾ [٣٣] عصبة. ﴿قَوَّٰمُونَ﴾ [٣٤] أمراء. ﴿قَٰنِتَٰتٌ﴾ [٣٤] مطيعات. ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [٣٦] الذي بينك وبينه قرابة. ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ [٣٦] الذي ليس بينك وبينه قرابة. ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [٣٦] الرفيق. ﴿فَتِيلًا﴾ [٤٩] الشّقُّ الذي في بطن النواة. ﴿بِٱلْجِبْتِ﴾ [٥١] الشّرك. ﴿نَقِيرًا﴾ [٥٣] النقطة التي في ظهر النواة. ﴿وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ﴾ [٥٩] أهل الفقه والدين. ﴿ثُبَاتٍ﴾ [٧١] عُصَباً سُرَباً متفرِّقين. ﴿مُّقِيتًا﴾ [٨٥] حفيظاً. ﴿أَرْكَسَهُم﴾ [٨٨] أوقعهم. ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [٩٠] ضاقت. ﴿أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ [٩٥] العُذْر. ﴿مُرَٰغَمًا﴾ [١٠٠] التحوُّل من الأرض إلى الأرض. ﴿وَسَعَةً﴾ [١٠٠] الرزق. ﴿مَّوْقُوتًا﴾ [١٠٣] مفروضاً. ﴿تَأْلَمُونَ﴾ [١٠٤] توجَعُون.

(١) لم يذكر المصنف رحمه الله من هذه السورة على طولها إلا موضعين.

﴿خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ﴾ [١١٩] دين الله. ﴿نُشُوزًا﴾ [١٢٨] بغضاً. ﴿كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ [١٢٩] لا هي أَيِّمٌ ولا هِيَ ذات زوج. ﴿وَإِن تَلْوُۥٓا۟﴾ [١٣٥] ألسنتكم بالشهادة ﴿أَوْ تُعْرِضُوا۟﴾ عنها. ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا﴾ [١٥٦] يعني رَمَوْها بالزنا.

[سورة المائدة]

﴿أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾ [١] ما أَحلَّ وما حرَّم وما فرض وما حدَّ في القرآن كله. ﴿يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ [٢] يَحْمِلَنَّكُمْ. ﴿شَنَـَٔانُ﴾ [٢] عداوة. ﴿عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [٢] البر: ما أُمِرْتَ به، والتقوى: ما نُهيتَ عنه. ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾ [٣] التي تُخنَق فتموت. ﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾ التي تضرب بالخشب فتموت. ﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾ [٣] التي تتردى من الجبل. ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ [٣] الشاة التي تنطح الشاة. ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ [٣] ما أخذ. ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [٣] ذبحْتُمْ، وبه روح. ﴿بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ [٣] القِداح. ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ﴾ [٣] متعدٍّ لإثم. ﴿مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ [٤] الكِلاب والفُهود والصُّقور وأشباهها. ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ [٤] ضواري. ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [٥] ذبائحهم. ﴿فَٱفْرُقْ﴾ [٢٥] فافصِل. ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ﴾ [٤١] ضلالته. ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [٤٨] أميناً؛ القرآن أمين على كلِّ كتاب قبله. ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [٤٨] سبيلاً وسنة. ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٥٤] رحماء. ﴿مَغْلُولَةٌ﴾ [٦٤] يعنون: **بخيلٌ أمسك ما عنده، تعالى الله عن ذلك**. ﴿بَحِيرَةٍ﴾ [١٠٣] هي الناقة إذا أنتجتْ خمسةَ أَبطُنٍ نظروا إلى الخامس، فإن كان ذكراً ذبحوه فأكله الرِّجال دون النساء، وإن كان أنثى جدَعوا أُذنَيها. **وأمَّا السَّائبَةُ** فكانوا يسيبون من أنْعامهم لآلهتهم لا يركبون لها ظهراً، ولا يَحْلِبُون لها لبناً، ولا يجزُّون لها وَبَراً، ولا يحمِلُون عليها شيئاً. وأمَّا الوَصِيلَةُ فالشاة إذا نُتِجَتْ سَبْعَةَ أبطن، نظروا السَّابعَ، فإن كان ذكراً أو أنثى وهو ميّت اشترك فيه الرِّجال والنِّساء، وإن كانت أنثى وذكراً في بطن استحيَوْهَا وقالوا: وصَلَتْه أختُه، فحرَّمَتْه علينا. وأمَّا الحام فالفحْلُ من الإبل إذا وُلِد لولده قالوا: حَمَى هذا ظهره، فلا يَحملون عليه شيئاً، ولا يجزُّون له وَبَراً، ولا يمنعونه من حِمى رعْي، ولا من حَوْضٍ يشرب منه، وإن كان الحوض لغير صاحبه.

[سورة الأنعام]

﴿مِّدْرَارًا﴾ [٦] يتبع بعضها بعضاً. ﴿وَيَنْـَٔوْنَ﴾ [٢٦] يتباعدون. ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟﴾ [٤٤] تركوا. ﴿مُّبْلِسُونَ﴾ [٤٤] آيسون. ﴿يَصْدِفُونَ﴾ [٤٦] يعدلون. ﴿يَدْعُونَ﴾ [٥٢] يعبدون. ﴿جَرَحْتُم﴾ [٦٠] كسبتم من الإثم. ﴿يُفَرِّطُونَ﴾ [٦١] يضيِّعون. ﴿شِيَعًا﴾ [٦٥] أهواء مختلفة. ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ [٦٧] حقيقة. ﴿أَن تُبْسَلَ﴾ [٧٠] تُفْضَح. ﴿بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ [٩٣] البسط: الضرب. ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [٩٦] ضوء الشمس بالنهار وضوء القمر بالليل. ﴿حُسْبَانًا﴾ [٩٦] عدد الأيام والشهور والسِّنين. ﴿قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ [٩٩] قصار النخل اللاصقة عروقها بالأرض. ﴿وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ﴾ [١٠٠] تخرَّصوا. ﴿قُبُلًا﴾ [١١١] معاينةً. ﴿مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [١٢٢] ضالّاً فهديناه. ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ [١٣٥] ناحيتكم. ﴿وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ [١٣٨] حرام. ﴿حَمُولَةً﴾ [١٤٢] الإبل والخيل والبغال والحمير، وكل شيء يُحمَل عليه. ﴿وَفَرْشًا﴾

[١٤٢] الغنم. ﴿مَّسۡفُوحًا﴾ [١٤٥] مُهراقاً. ﴿مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ﴾ [١٤٦] ما علق بها من الشحم. ﴿ٱلۡحَوَايَآ﴾ [١٤٦] المبْعَر. ﴿مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ﴾ [١٥١] الفقر. ﴿عَن دِرَاسَتِهِمۡ﴾ [١٥٦] تلاوتهم. ﴿وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ﴾ [١٥٧] أعرض.

[سورة الأعراف]

﴿مَذۡءُومٗا﴾ [١٨] مَلُوماً. ﴿وَرِيشٗاۖ﴾ [٢٦] مالاً. ﴿حَثِيثٗا﴾ [٥٤] سريعاً. ﴿رِجۡسٞ﴾ [٧١] سخط. ﴿بِكُلِّ صِرَٰطٖ﴾ [٨٦] الطريق. ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ﴾ [٨٩] اقْض. ﴿ءَاسَىٰ﴾ [٩٣] أحزن. ﴿حَتَّىٰ عَفَواْ﴾ [٩٥] كثروا. ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ﴾ [١٢٧] يترك عبادتك. ﴿ٱلطُّوفَانَ﴾ [١٣٣] المطر. ﴿مُتَبَّرٞ﴾ [١٣٩] خسران. ﴿أَسِفٗا﴾ [١٥٠] الحزين. ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ﴾ [١٥٥] إن هو إلا عذابُك. ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ [١٥٧] حموه ووقّروه. ﴿ذَرَأۡنَا﴾ [١٧٩] خلقنا. ﴿فَٱنۢبَجَسَتۡ﴾ [١٦٠] انفجرتْ. ﴿وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ﴾ [١٧١] رفعناه. ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ﴾ [١٨٧] لطيف بها. ﴿مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ﴾ الطائف اللمَّة[1]. ﴿لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ﴾ [٢٠٣] لولا أحدثتها، لولا تلقّنْتها فأنشأْتها.

[سورة الأنفال]

﴿كُلَّ بَنَانٖ﴾ [١٢] الأطراف. ﴿جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ﴾ [١٩] المدد. ﴿فُرۡقَانٗا﴾ [٢٩] مخرجاً. ﴿لِيُثۡبِتُوكَ﴾ [٣٠] ليوثقوك. ﴿يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ﴾ [٤١] يوم بدر، فرق الله فيه بين الحق والباطل. ﴿فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ﴾ [٥٧] نكّلْ بهم من بعدهم. ﴿مِّن وَلَٰيَتِهِم﴾ [٧٢] ميراثهم.

[سورة التوبة]

﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾ [٣٠] يشبهون. ﴿كَآفَّةٗ﴾ [٣٦] جميعاً. ﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ﴾ [٣٧] يشبِّهوا. ﴿وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ﴾ [٤٩] ولا تخرجني. ﴿إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ﴾ [٥٢] فتح أو شهادة. ﴿أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ﴾ [٥٧] الغِيران في الجبل. ﴿مُدَّخَلٗا﴾ [٥٧] السَّرب. ﴿هُوَ أُذُنٞۚ﴾ [٦١] يسمع من كلِّ أحدٍ. ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [٧٣] أذهبِ الرّفق عنهم. ﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ﴾ [٩٩] استغفاره. ﴿سَكَنٞ لَّهُمۡۗ﴾ [١٠٣] رحمة. ﴿رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ [١١٠] شكٌّ. ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ [١١٠] يعني الموت. ﴿لَأَوَّٰهٌ﴾ [١١٤] الأوّاه: المؤمن التوّاب. ﴿مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ﴾ [١٢٢] عصبة.

[سورة يونس]

﴿أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ﴾ [٢] سبق لهم السعادة في الذِّكرِ الأول. ﴿وَلَآ أَدۡرَىٰكُم﴾ [١٦] أعلمكم. ﴿تَرۡهَقُهُمۡ﴾ [٢٧] تغشاهم. ﴿مِنۡ عَاصِمٖۖ﴾ [٢٧] مانع. ﴿إِذۡ تُفِيضُونَ﴾ [٦١] تفعلون. ﴿وَمَا يَعۡزُبُ﴾ [٦١] يغيب.

[سورة هود]

﴿يَثۡنُونَ﴾ [٥] يكنُون. ﴿حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ﴾ [٥] يُغطُّون رؤوسهم. ﴿لَا جَرَمَ﴾ [٢٢] بَلَى.

---

(١) اللَّمَّة: الشيءُ القليل من مَسِّ الجنّ. «مختار الصحاح»: لَمَم.

﴿وَأَخْبَتُوٓاْ﴾ [٢٣] خافوا. ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [٤٠] نبع. ﴿أَقْلِعِي﴾ [٤٤] اسكني. ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ﴾ [٦٨] يعيشوا. ﴿حَنِيذٍ﴾ [٦٩] نضيج. ﴿سِيٓءَ بِهِمْ﴾ [٧٧] ساء ظنًّا بقومه. ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ [٧٧] بأضيافه. ﴿عَصِيبٌ﴾ [٧٧] شديد. ﴿يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ [٧٨] يُسْرِعُونَ ﴿بِقِطْعٍ﴾ [٨١] سواد. ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ [٨٣] مُعْلَمة. ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ [٩٣] ناحيتكم. ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ﴾ [١٠٢] موجع. ﴿زَفِيرٌ﴾ [١٠٦] صوت شديد. ﴿وَشَهِيقٌ﴾ [١٠٦] صوت ضعيف. ﴿غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [١٠٨] غير منقطع. ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ﴾ [١١٣] تذهبوا.

[سورة يوسف]

﴿شَغَفَهَا﴾ [٣٠] غلبها. ﴿مُتَّكَـًٔا﴾ [٣١] مجلساً. ﴿أَكْبَرْنَهُۥ﴾ [٣١] أعظمْنَهُ. ﴿فَٱسْتَعْصَمَ﴾ [٣٢] امتنع. ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [٤٥] حين. ﴿مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ [٤٨] تخزنون. ﴿يَعْصِرُونَ﴾ [٤٩] الأعناب والدهن. ﴿حَصْحَصَ﴾ [٥١] تبيَّن. ﴿زَعِيمٌ﴾ [٧٢] كفيل. ﴿لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ [٩٥] خطئك.

[سورة الرعد]

﴿صِنْوَانٌ﴾ [٤] مجتمع. ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [٧] داعٍ. ﴿مُعَقِّبَٰتٌ﴾ [١١] الملائكة. ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ بإذنه. ﴿بِقَدَرِهَا﴾ [١٧] على قَدْرِ طاقتها. ﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [٢٥] سوء العاقبة. ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ [٢٩] فرح وقرَّة عين. ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ﴾ [٣١] يعلم.

[سورة إبراهيم]

﴿مُهْطِعِينَ﴾ [٤٣] ناظرين. ﴿فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ [٤٩] في وِثاق. ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ [٥٠] النحاس المُذاب.

[سورة الحجر]

﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [٢] يتمنى. ﴿مُسْلِمِينَ﴾ [٢] موحِّدين. ﴿فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [١٠] أمم. ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [١٩] معلوم. ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [٢٦] طين رطب. ﴿أَغْوَيْتَنِى﴾ [٣٩] أضْلَلْتني. ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [٩٤] فأمضه.

[سورة النحل]

﴿بِٱلرُّوحِ﴾ [٢] بالوحي. ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾ [٥] الثياب. ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ [٩] الأهواء المختلفة. ﴿تُسِيمُونَ﴾ [١٠] ترعون. ﴿مَوَاخِرَ﴾ [١٤] جواري. ﴿تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ﴾ [٢٧] تخالفون. ﴿يَتَفَيَّؤُاْ﴾ [٤٨] يتميل. ﴿وَحَفَدَةً﴾ [٧٢] الأصهار. ﴿عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾ [٩٠] الزِّنا. ﴿يَعِظُكُمْ﴾ [٩٠] يوصيكم. ﴿هِىَ أَرْبَىٰ﴾ [٩٢] أكثر.

[سورة الإسراء]

﴿وَقَضَيْنَآ﴾ [٤] أعلمنا. ﴿فَجَاسُواْ﴾ [٥] فمشوا. ﴿حَصِيرًا﴾ [٨] سجناً. ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾ [١٢] بيّناه.

﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [١٦] سلَّطنا شِرارها. ﴿فَدَمَّرْنَاهَا﴾ [١٦] أهلكناها. ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ [٢٣] أمر. ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ [٣٦] ولا تقل. ﴿وَرُفَاتًا﴾ [٤٩] غباراً. ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾ [٥١] يهزُّون. ﴿بِحَمْدِهِ﴾ [٥٢] بأمره. ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾ [٦٢] لأستولين. ﴿يُزْجِي﴾ [٦٦] يجري. ﴿قَاصِفًا﴾ [٦٩] عاصفاً. ﴿تَبِيعًا﴾ [٦٩] نظيراً. ﴿زَهُوقًا﴾ [٨١] ذاهباً. ﴿يَئُوسًا﴾ [٨٣] قنوطاً. ﴿شَاكِلَتِهِ﴾ [٨٤] ناحيته. ﴿كِسَفًا﴾ [٩٢] قطعاً. ﴿مَثْبُورًا﴾ [١٠٢] ملعوناً. ﴿فَرَقْنَاهُ﴾ [١٠٦] فصّلناه.

[سورة الكهف]

﴿عِوَجَا﴾ [١] ملتبساً. ﴿قَيِّمًا﴾ [٢] عدلاً. ﴿وَالرَّقِيمِ﴾ [٩] الكتاب. ﴿تَّزَاوَرُ﴾ [١٧] تميل. ﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾ [١٧] تذرهم. ﴿بِالْوَصِيدِ﴾ [١٨] بالفناء. ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [٢٨] لا تتعدَّهم إلى غيرهم. ﴿كَالْمُهْلِ﴾ [٢٩] عكر الزيت. ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ [٤٦] ذكر الله. ﴿مَّوْبِقًا﴾ [٥٢] مهلكاً. ﴿مَوْئِلًا﴾ [٥٨] ملجأ. ﴿حُقُبًا﴾ [٦٠] دهراً. ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [٨٤] علماً. ﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [٨٦] حارّة. ﴿زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ [٩٦] قطع الحديد. ﴿بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ [٩٦] الجبلين.

[سورة مريم]

﴿سَوِيًّا﴾ [١٠] من غير خَرَسٍ. ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [١٣] رحمة من عندنا. ﴿سَرِيًّا﴾ [٢٤] هو عيسى. ﴿جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [٣٢] عصيًّا. ﴿وَاهْجُرْنِي﴾ [٤٦] اجتنبني. ﴿بِي حَفِيًّا﴾ [٤٧] لطيفاً. ﴿لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [٥٠] الثناء الحسن. ﴿غَيًّا﴾ [٥٩] خسراناً. ﴿لَغْوًا﴾ [٦٢] باطلاً. ﴿أَثَاثًا﴾ [٧٤] مالاً. ﴿ضِدًّا﴾ [٨٢] أعواناً. ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [٨٣] تغويهم إغواء. ﴿نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ [٨٤] أنفاسهم التي يتنفَّسون في الدُّنيا. ﴿وِرْدًا﴾ [٨٦] عِطاشاً. ﴿عَهْدًا﴾ [٨٧] شهادة أن لا إله إلا الله. ﴿إِدًّا﴾ [٨٩] عظيماً. ﴿هَدًّا﴾ [٩٠] هَدْماً. ﴿رِكْزًا﴾ [٩٨] صوتاً.

[سورة طه]

﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ [١٢] المبارك، واسمه طُوى. ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [١٥] لا أظهرُ عليها أحداً غيري. ﴿سِيرَتَهَا﴾ [٢١] حالتها. ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠] اختبرناك اختباراً. ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ [٤٢] لا تبطئا. ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [٥٠] خلق لكل شيء روحَهُ، ثم هداه لمنكحه ومَطْعَمه ومشربه ومسكنه. ﴿لَّا يَضِلُّ﴾ [٥٢] لا يخطِئ. ﴿تَارَةً﴾ [٥٥] مرَّةً. ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ [٦١] فيهلككم. ﴿وَالسَّلْوَىٰ﴾ [٨٠] طائر شبيه بالسُّمانى. ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾ [٨١] تظلموا. ﴿فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [٨١] شقي. ﴿بِمَلْكِنَا﴾ [٨٧] بأمْرِنا. ﴿ظَلْتَ عَلَيْهِ﴾ [٩٧] أقمت. ﴿لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ﴾ [٩٧] لنذرينَّه في البحر. ﴿سَاءَ﴾ [١٠١] بئس. ﴿يَتَخَافَتُونَ﴾ [١٠٣] يتساررون. ﴿قَاعًا﴾ [١٠٦] مستوياً. ﴿صَفْصَفًا﴾ [١٠٦] لا نبات فيه. ﴿عِوَجًا﴾ [١٠٧] وادياً. ﴿أَمْتًا﴾ [١٠٧] رابية. ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ﴾ [١٠٨] سكتت. ﴿هَمْسًا﴾ [١٠٨] الصوت الخفي. ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ﴾ [١١١] ذلَّتْ. ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ [١١٢] أن يُظلم فيزداد في سيئاته.

[سورة الأنبياء]

﴿فَلَكٍ﴾ [٣٣] دوران. ﴿يَسْبَحُونَ﴾ [٣٣] يجرون. ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [٤٤] تنقص أهلها وبركتها. ﴿جُذَاذًا﴾ [٥٨] حطاماً. ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [٨٧] أن لن يأخذه العذاب الذي أصابه. ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾ [٩٦] شرف. ﴿يَنسِلُونَ﴾ [٩٦] يقبلون. ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [٩٨] شجر. ﴿كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [١٠٤] كطيّ الصحيفة على الكتاب.

[سورة الحج]

﴿بَهِيجٍ﴾ [٥] حسن. ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾ [٩] مستكبراً في نفسه. ﴿وَهُدُوا﴾ [٢٤] ألهموا. ﴿تَفَثَهُمْ﴾ [٢٩] وضع إحرامهم من حلْق الرأس ولبس الثياب وقصّ الأظفار ونحو ذلك. ﴿مَنسَكًا﴾ [٣٤] عيداً. ﴿الْقَانِعَ﴾ [٣٦] المتعفّف. ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾ [٣٦] السائل. ﴿إِذَا تَمَنَّى﴾ [٥٢] حدّث. ﴿فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [٥٢] حديثه. ﴿يَسْطُونَ﴾ [٧٢] يبطشون.

[سورة المؤمنون]

﴿خَاشِعُونَ﴾ [٢] خائفون ساكنون. ﴿تَنبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ [٢٠] هو الزيت. ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ [٣٦] بعيد بعيد. ﴿تَتْرَا﴾ [٤٤] يتبع بعضها بعضاً. ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [٦٠] خائفين. ﴿يَجْأَرُونَ﴾ [٦٤] يستغيثون. ﴿تَنكِصُونَ﴾ [٦٦] تُدْبِرون. ﴿سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾ [٦٧] تسمرون حول البيت وتقولون هُجراً. ﴿عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾ [٧٤] عن الحق عادلون. ﴿تُسْحَرُونَ﴾ [٨٩] تكذبون. ﴿كَالِحُونَ﴾ [١٠٤] عابسون.

[سورة النور]

﴿يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ [٤] الحرائر. ﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم﴾ [٢١] ما اهتدى. ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ [٢٢] لا يقسم. ﴿دِينَهُمُ﴾ [٢٥] حسابهم. ﴿تَسْتَأْنِسُوا﴾ [٢٧] تستأذنوا. ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [٣١] لا تبْدِي خلاخيلها ومعضديها ونحرها وشعرَها إلا لزوجها. ﴿غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ﴾ [٣١] المغفل الذي لا يشتهي النساء. ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [٣٣] إن علمتم لهم حيلة[1]. ﴿وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ﴾ [٣٣] ضعوا عنهم من مكاتبتهم. ﴿فَتَيَاتِكُمْ﴾ [٣٣] إمائكم. ﴿الْبِغَاءِ﴾ [٣٣] الزّنا. ﴿نُورُ السَّمَاوَاتِ﴾ [٣٥] هادي أهل السموات. ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ [٣٥] هُداه في قلب المؤمن. ﴿كَمِشْكَاةٍ﴾ [٣٥] موضع الفتيلة. ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ [٣٦] المساجد. ﴿أَن تُرْفَعَ﴾ [٣٦] تُكرَّم. ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [٣٦] يتلَى فيها كتابه. ﴿يُسَبِّحُ﴾ [٣٦] يُصلّى. ﴿بِالْغُدُوِّ﴾ [٣٦] صلاة الغداة. ﴿وَالْآصَالِ﴾ [٣٦] صلاة العصر. ﴿بِقِيعَةٍ﴾ [٣٩] أرض مستوية. ﴿تَحِيَّةً﴾ [٦١] السلام.

[سورة الفرقان]

﴿ثُبُورًا﴾ [١٣] وَيْلاً. ﴿بُورًا﴾ [١٨] هَلْكى. ﴿هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [٢٣] الماء المُهْراق. ﴿سَاكِنًا﴾ [٤٥]

---

(١) حيلةً: قدرةً على التكسب.

دائماً. ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [٤٦] سريعاً. ﴿جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ [٦٢] مَنْ فاته شيء من الليل أن يعمله أدركه بالنهار، أو من النهار أدركه بالليل. ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [٦٣] المؤمنون. ﴿هَوْنًا﴾ [٦٣] بالطاعة والعفاف والتواضع. ﴿لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ [٧٧] إيمانكم.

[سورة الشعراء]

﴿كَٱلطَّوْدِ﴾ [٦٣] كالجبل. ﴿فَكُبْكِبُوا۟﴾ [٩٤] جُمعوا. ﴿رِيعٍ﴾ [١٢٨] شرف. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ [١٢٩] كأنّكم. ﴿خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [١٣٧] دين الأولين. ﴿هَضِيمٌ﴾ [١٤٨] معشبة. ﴿فَرِهِينَ﴾ [١٤٩] حاذقين. ﴿ٱلْأَيْكَةِ﴾ [١٧٦] الغيضة. ﴿وَٱلْجِبِلَّةَ﴾ [١٨٤] الخَلْق. ﴿فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ [٢٢٥] في كل لغوٍ يخوضُون.

[سورة النمل]

﴿بُورِكَ﴾ [٨] قُدِّس. ﴿أَوْزِعْنِىٓ﴾ [١٩] اجعلني. ﴿يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ﴾ [٢٥] يعلم كلَّ خفيّة في السماء والأرض. ﴿طَٰٓئِرُكُمْ﴾ [٤٧] مصائبكم. ﴿ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ﴾ [٦٦] غاب علمهم. ﴿رَدِفَ﴾ [٧٢] قَرُبَ. ﴿يُوزَعُونَ﴾ [٨٣] يُدفعون. ﴿دَٰخِرِينَ﴾ [٨٧] صاغرين. ﴿جَامِدَةً﴾ [٨٨] قائمة. ﴿أَتْقَنَ﴾ [٨٨] أحكَمَ.

[سورة القصص]

﴿جَذْوَةٍ﴾ [٢٩] شهاب. ﴿سَرْمَدًا﴾ [٧١] دائماً. ﴿لَتَنُوٓأُ﴾ [٧٦] تثْقُل.

[سورة العنكبوت]

﴿وَتَخْلُقُونَ﴾ [١٧] تصنعون. ﴿إِفْكًا﴾ [١٧] كذباً.

[سورة الروم]

﴿أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ [٣] طرف الشام. ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [٢٧] أيسر. ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾ [٤٣] يتفرقون.

[سورة لقمان]

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [١٨] لا تتكبَّر فتَحْقِر عباد الله، وتُعرِضَ عنهم بوجهك إذا كلموك. ﴿ٱلْغَرُورُ﴾ [٣٣] الشيطان.

[سورة السجدة]

﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ [١٤] تركناكم. ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ [٢١] مصائب الدنيا وأسقامها وبلاؤها.

[سورة الأحزاب]

﴿سَلَقُوكُم﴾ [١٩] استقبلوكم. ﴿تُرْجِى﴾ [٥١] تؤخر. ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ [٦٠] لنسلطَنَّك عليهم. ﴿ٱلْأَمَانَةَ﴾ [٧٢] الفرائض. ﴿جَهُولًا﴾ [٧٢] غِرًّا بأمْرِ الله.

[سورة سبأ]

﴿إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ [١٤] الأرضة. ﴿مِنسَأَتَهُۥ﴾ [١٤] عصاه. ﴿سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ [١٦] الشديد.

﴿خَمْطٍ﴾ [١٦] الأراك. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ﴾ [٢٣] جُلِّيَ. ﴿ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [٢٦] القاضي. ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ [٥١] فلا نجاة. ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ [٥٢] فكيف لهم بالرَّدِّ.

[سورة فاطر]

﴿ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [١٠] ذكر الله. ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ﴾ [١٠] أداء الفرائض. ﴿مِن قِطْمِيرٍ﴾ [١٣] الجلد الذي يكون على ظهر النواة. ﴿فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [٣٥] إعياء.

[سورة يس]

﴿يَٰحَسْرَةً﴾ [٣٠] ويل. ﴿كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [٣٩] أصل العِذْق العتيق. ﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾ [٤١] الممتلئ. ﴿مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ [٥١] القُبور. ﴿فَٰكِهُونَ﴾ [٥٥] فرحون.

[سورة الصافات]

﴿فَٱهْدُوهُمْ﴾ [٢٣] وجّهوهم. ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [٤٧] صداعٌ. ﴿بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [٤٩] اللؤلؤ المكنون. ﴿سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [٥٥] وسط الجحيم. ﴿أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ﴾ [٦٩] وجدوا. ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [٧٨] لسان صدق للأنبياء كلهم. ﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾ [٨٣] أهل دينه. ﴿بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ [١٠٢] العمل. ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ [١٠٣] صرعه. ﴿فَنَبَذْنَٰهُ﴾ [١٤٥] ألقيناه. ﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾ [١٤٥] بالساحل. ﴿بِفَٰتِنِينَ﴾ [١٦٢] مُضلِّين.

[سورة ص]

﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [٣] ليس حين فرار. ﴿ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [٧] تخريص. ﴿فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ [١٠] السماء. ﴿مِن فَوَاقٍ﴾ [١٥] تَرْداد. ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [١٦] العذاب. ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا﴾ [٣٣] جعل يمسح. ﴿جَسَدًا﴾ [٣٤] شيطاناً. ﴿رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [٣٦] مطيعة له حيث أراد. ﴿ضِغْثًا﴾ [٤٤] حُزمة. ﴿أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى﴾ [٤٥] القوّة. ﴿وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [٤٥] الفقه في الدِّين. ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ [٥٢] عن غير أزواجهن. ﴿أَتْرَابٌ﴾ [٥٢] مستويات. ﴿وَغَسَّاقٌ﴾ [٥٧] الزمهرير. ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ [٥٨] ألوان من العذاب.

[سورة الزمر]

﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ﴾ [٥] يحمل. ﴿لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ [٥٦] المخرّفين. ﴿مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [٥٨] المهتدين.

[سورة غافر]

﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ [٣] السعة والغنى. ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [٣١] حال. ﴿فِى تَبَابٍ﴾ [٣٧] خسران. ﴿ٱدْعُونِىٓ﴾ [٦٠] وحِّدوني.

[سورة فصلت]

﴿فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ [١٧] بيّنا لهم.

[سورة الشورى]

﴿رَوَاكِدَ﴾ [٣٣] وقوفاً. ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ [٣٤] يهلكهنّ.

[سورة الزخرف]

﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ [١٣] مطيقين. ﴿وَمَعَارِجَ﴾ [٣٣] الدَّرج. ﴿وَزُخْرُفًا﴾ [٣٥] الذهب. ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ﴾ [٤٤] شرف. ﴿تُحْبَرُونَ﴾ [٧٠] تكرمون.

[سورة الدخان]

﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ [٢٤] سمتاً.

[سورة الجاثية]

﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [٢٣] في سابق علمه.

[سورة الأحقاف]

﴿فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ [٢٦] لم نمكنكم فيه.

[سورة محمد]

﴿مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [١٥] متغيِّر.

[سورة الحجرات]

﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [١] لا تقولوا خلاف الكتاب والسُّنَّة. ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [١٢] هو أن تتبّعَ عوراتِ المؤمن.

[سورة ق]

﴿الْمَجِيدِ﴾ [١] الكريم. ﴿مَّرِيجٍ﴾ [٥] مختلف. ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ [١٠] طوالاً. ﴿فِي لَبْسٍ﴾ [١٥] شك. ﴿مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [١٦] عِرْق العنق.

[سورة الذاريات]

﴿قُتِلَ الْخَرَّٰصُونَ﴾ [١٠] يعني المرتابون. ﴿فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ [١١] في ضلالتهم يتمادَوْن. ﴿يُفْتَنُونَ﴾ [١٣] يعذَّبون. ﴿مَا يَهْجَعُونَ﴾ [١٧] ينامون. ﴿فِي صَرَّةٍ﴾ [٢٩] صيْحةٍ. ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ [٢٩] لطمت. ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾ [٣٩] بقوته. ﴿بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ [٤٧] بقوةٍ. ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [٥٨] الشديد. ﴿ذَنُوبًا﴾ [٥٩] دلْواً.

[سورة الطور]

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [٦] المحبوس[1]. ﴿يَوْمَ تَمُورُ﴾ [٩] تحرّك. ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ﴾ [١٣] يُدفعون.

---

(١) في نسخة: الموقد.

﴿فَٰكِهِينَ﴾ [١٨] معجبين. ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾ [٢١] ما نَقَصْناهُم. ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [٢٣] كذب. ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [٣٠] الموت. ﴿ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [٣٧] المسلَّطون الجبارون.

[سورة النجم]

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ [٦] منظر حسن. ﴿أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ [٤٨] أعطى وأرضى. ﴿ٱلْآزِفَةُ﴾ [٥٧] من أسماء يوم القيامة. ﴿سَٰمِدُونَ﴾ [٦١] لاهون.

[سورة الرحمن]

﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ﴾ [٦] النجم: ما ينبسط على الأرض، والشجر: ما ينبت على ساق. ﴿لِلْأَنَامِ﴾ [١٠] الخلْق. ﴿ذُو ٱلْعَصْفِ﴾ [١٢] التِّبْن. ﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾ [١٢] خُضرة الزرع. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾ [١٣] بأيّ نعمة الله. ﴿مِن مَّارِجٍ﴾ [١٥] خالص النار. ﴿مَرَجَ﴾ [١٩] أرْسَلَ. ﴿بَرْزَخٌ﴾ [٢٠] حاجز. ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ﴾ [٢٧] ذو العظمة والكبرياء. ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ [٣١] هذا وعيد من الله لعباده، وليس بالله شغل. ﴿لَا تَنفُذُونَ﴾ [٣٣] لا تخرجون من سلطاني. ﴿شُوَاظٌ﴾ [٣٥] لهب النار. ﴿وَنُحَاسٌ﴾ [٣٥] دخان النار. ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾ [٥٤] ثمار. ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ [٥٦] يَدْنُ مِنهنَّ. ﴿نَضَّاخَتَانِ﴾ [٦٦] فائضتان. ﴿رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ [٧٦] المجالس.

[سورة الواقعة]

﴿مُتْرَفِينَ﴾ [٤٥] منعَّمين. ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ [٧٣] المسافرين. ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ [٨٦] محاسبين. ﴿فَرَوْحٌ﴾ [٨٩] راحةٌ.

[سورة الحديد]

﴿أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [٢٢] نخلقها.

[سورة الممتحنة]

﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [٥] لا تسلطهم علينا فيفتنونا. ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ﴾ [١٢] لا يُلحقن بأزواجهنَّ غير أولادهم.

[سورة المنافقون]

﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [٤] لعنهم؛ وكل شيء في القرآن قَتْل فهو لَعْن. ﴿وَأَنفِقُوا۟﴾ [١٠] تَصَدَّقوا.

[سورة الطلاق]

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [٢] ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة. ﴿عَتَتْ﴾ [٨] عصت؛ يعني أهلها.

[سورة الملك]

﴿تَمَيَّزُ﴾ [٨] تتفرَّق. ﴿فَسُحْقًا﴾ [١١] بُعداً.

[سورة القلم]

﴿لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [٩] لو ترخص لهم فيرخّصون. ﴿زَنِيمٍ﴾ [١٣] ظلوم. ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [٢٨] أعدلهم. ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [٤٢] هو الأمر الشديد المفظع من الهول يوم القيامة. ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [٤٨] مغموم. ﴿مَذْمُومٌ﴾ [٤٩] ملوم. ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾ [٥١] ينفذونك.

[سورة الحاقة]

﴿لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ [١١] كثر. ﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [١٢] حافظة. ﴿إِنِّى ظَنَنتُ﴾ [٢٠] أيقنت. ﴿مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [٣٦] صديد. ﴿ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ ٣٧] أهل النار.

[سورة المعارج]

﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ [٣] العلوّ والفواضل.

[سورة نوح]

﴿سُبُلًا﴾ [٢٠] طُرُقاً. ﴿فِجَاجًا﴾ [٢٠] مختلفة.

[سورة الجن]

﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ [٣] فعله وأمره وقدرته. ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا﴾ [١٣] نقصاً من حسناته. ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ [١٣] زيادة في سيئاته.

[سورة المزمل]

﴿كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [١٤] الرمل السائل. ﴿وَبِيلًا﴾ [١٦] شديداً.

[سورة المدثر]

﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [٩] شديد. ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ [٢٩] معرضة[١].

[سورة القيامة]

﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ [١٨] بيّناه. ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [١٨] اعمل به. ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ [٢٩] آخر يومٍ من أيام الدنيا وأول يومٍ من أيام الآخرة، فتلتقي الشِّدَّة بالشدَّة. ﴿سُدًى﴾ [٣٦] همَلاً.

[سورة الإنسان]

﴿أَمْشَاجٍ﴾ [٢] مختلفة الألوان. ﴿مُسْتَطِيرًا﴾ [٧] فاشياً. ﴿عَبُوسًا﴾ [١٠] ضيقاً. ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ [١٠] طويلاً.

(١) في نسخة: مُغَيِّرة.

[سورة المرسلات]

﴿كِفَاتًا﴾ [٢٥] كنّاً. ﴿رَوَٰسِىَ﴾ [٢٧] جبالاً. ﴿شَـٰمِخَـٰتٍ﴾ [٢٧] مشرفات. ﴿مَّآءً فُرَاتًا﴾ [٢٧] عذباً.

[سورة النبأ]

﴿سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [١٣] مضيئاً. ﴿مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ [١٤] السحاب. ﴿ثَجَّاجًا﴾ [١٤] منصبًّا. ﴿أَلْفَافًا﴾ [١٦] مجتمعة. ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [٢٦] وفق أعمالهم. ﴿مَفَازًا﴾ [٣١] متنزهاً. ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ [٣٣] نَواهد. ﴿يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾ [٣٨] ملك من أعظم الملائكة خلقاً. ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ [٣٨] لا إله إلا الله.

[سورة النازعات]

﴿ٱلرَّادِفَةُ﴾ [٧] النفخة الثانية. ﴿وَاجِفَةٌ﴾ [٨] خائفة. ﴿فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ [١٠] الحياة. ﴿سَمْكَهَا﴾ [٢٨] بناءها. ﴿وَأَغْطَشَ﴾ [٢٩] أظلَم.

[سورة عبس]

﴿سَفَرَةٍ﴾ [١٥] كتبة. ﴿وَقَضْبًا﴾ [٢٨] القتّ. ﴿وَفَـٰكِهَةً﴾ [٣١] الثمار الرطبة. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ [٣٨] مشرقة.

[سورة التكوير]

﴿كُوِّرَتْ﴾ [١] أظلمت. ﴿ٱنكَدَرَتْ﴾ [٢] تغيَّرتْ. ﴿إِذَا عَسْعَسَ﴾ [١٧] أدبر.

[سورة الانفطار]

﴿فُجِّرَتْ﴾ [٣] بعضها في بعض. ﴿بُعْثِرَتْ﴾ [٤] بُحثت.

[سورة المطففين]

﴿لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ [١٨] الجنة.

[سورة الانشقاق]

﴿لَّن يَحُورَ﴾ [١٤] لن يبعث. ﴿بِمَا يُوعُونَ﴾ [٢٣] يُسِرّون.

[سورة البروج]

﴿ٱلْوَدُودُ﴾ [١٤] الحبيب.

[سورة الطارق]

﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ [١٣] حقٌّ. ﴿بِٱلْهَزْلِ﴾ [١٤] بالباطل.

[سورة الأعلى]

﴿غُثَآءً﴾ [٥] هَشِيماً. ﴿أَحْوَىٰ﴾ [٥] أسود متغيراً. ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾ [١٤] من الشرك. ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾ [١٥] وحّد الله. ﴿فَصَلَّىٰ﴾ [١٥] الصلوات الخمس.

[سورة الغاشية]

﴿ٱلۡغَـٰشِيَةِ﴾ و﴿ٱلطَّآمَّةُ﴾ و﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾ و﴿ٱلۡحَآقَّةُ﴾ و﴿ٱلۡقَارِعَةُ﴾ من أسماء يوم القيامة.

﴿مِن ضَرِيعٍ﴾ [٦] شجر ذو شوك. ﴿وَنَمَارِقُ﴾ [١٥] المرافق. ﴿بِمُصَيۡطِرٍ﴾ [٢٢] بجبَّار.

[سورة الفجر]

﴿لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ [١٤] يسمع ويرى. ﴿جَمّٗا﴾ [٢٠] شديداً. ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ [٢٣] كيف له؟

[سورة البلد]

﴿ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾ [١٠] الضلالة والهدى.

[سورة الشمس]

﴿طَحَىٰهَا﴾ [٦] قسمها. ﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾ [٨] بيَّن الخيرَ والشرَّ. ﴿وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا﴾ [١٥] لا يخاف من أحدٍ تابعة.

[سورة الضحى]

﴿سَجَىٰ﴾ [٢] ذهب. ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [٣] ما تركك وما أبغضك.

[سورة الشرح]

﴿فَٱنصَبۡ﴾ [٧] في الدعاء.

[سورة قريش]

﴿إِۦلَٰفِهِمۡ﴾ [٢] لزومهم.

[سورة الكوثر]

﴿شَانِئَكَ﴾ [٣] عدوَّك.

[سورة الإخلاص]

﴿ٱلصَّمَدُ﴾ [٢] السيد الذي كمل في سُؤْدُدِه.

[سورة الفلق]

﴿ٱلۡفَلَقِ﴾ [١] الخلْق.

هذا لفظ ابن عباس أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيرهما مفرَّقاً، فجمعتُه، وهو وإن لم يستوعب غريبَ القرآن فقد أتى على جملة صالحة منه.

وهذه ألفاظ لم تذكر في هذه الرواية سُقْتُها من نسخةِ الضَّحَّاك عنه. قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو زُرْعة، حدثنا منجاب بن الحارث ـ (ح). وقال ابن جرير: حُدِّثْتُ عن المنجاب ـ حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي روْق، عن الضَّحاك، عن ابن عباس في قوله تعالى:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [٢] قال: الشكر لله. ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: له الخلق كلُّه.

[سورة البقرة]

﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [٢] المؤمنين الذين يتقون الشرك ويعملون بطاعتي. ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [٣] إتمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والإقبال عليها. ﴿مَّرَضٌ﴾ [١٠] نفاق. ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌۢ﴾ [١٠] نكال موجع. ﴿يَكْذِبُونَ﴾ [١٠] يبدِّلون ويحرِّفون. ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [١٣] الجُهّال. ﴿طُغْيَٰنِهِمْ﴾ [١٥] كفرهم. ﴿كَصَيِّبٍ﴾ [١٩] المطر. ﴿أَندَادًا﴾ [٢٢] أشباهاً. (التقديس) التطهير(١). ﴿رَغَدًا﴾ [٣٥] سعة المعيشة. ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟﴾ [٤٢] تخلطوا. ﴿أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [٥٧] يضرّون. ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ [٥٨] قولوا: هذا الأمر حقٌّ كما قيل لكم. ﴿ٱلطُّورَ﴾ [٦٣] ما أنبت من الجبال، وما لم ينبت فليس بطور. ﴿خَٰسِـِٔينَ﴾ [٦٥] ذليلين. ﴿نَكَٰلًا﴾ [٦٦] عقوبةً. ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ [٦٦] من بعدهم. ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ [٦٦] الذين بقوا معهم. ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ [٦٦] تذكرة. ﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [٧٦] بما أكرمكم به. ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [٨٧] الاسم الذي كان عيسى يُحيي به الموتى. ﴿قَٰنِتُونَ﴾ [١١٦] مطيعون. ﴿ٱلْقَوَاعِدَ﴾ [١٢٧] أساس البيت. ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ [١٣٨] دين الله. ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾ [١٣٩] أتخاصموننا. ﴿يُنظَرُونَ﴾ [١٦٢] يؤخرون. ﴿أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ [٢٠٤] شديد الخصومة. ﴿فِى ٱلسِّلْمِ﴾ [٢٠٨] في الطاعة. ﴿كَآفَّةً﴾ [٢٠٨] جميعاً.

[سورة آل عمران]

﴿كَدَأْبِ﴾ [١١] كصُنْع. ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ [١٨] بالعدل. ﴿ٱلْأَكْمَهَ﴾ [٤٩] الذي يولَد وهو أعمى. ﴿رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ [٧٩] علماء فقهاء. ﴿وَلَا تَهِنُوا۟﴾ [١٣٩] ولا تَضْعُفوا.

[سورة النساء]

﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ [٤٦] يقولون: اسمع لا سمعت. ﴿لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ [٤٦] تحريفاً بالكذب. ﴿إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ [١١٧] موتى.

[المائدة]

﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ [١٢] أعنتموهم. ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [٨٠] قال: أمرتهم.

[الأنعام]

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ [٢٣] حُجَّتهم. ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ [١٣٤] السابقين.

[الأعراف]

﴿قَوْمًا عَمِينَ﴾ [٦٤] كفّاراً. ﴿بَسْطَةً﴾ [٦٩] شدّةً. ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟﴾ [٨٥] لا تنقصوا(٢).

---

(١) في قوله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [٣٠].

(٢) في نسخة: لا تظلموا.

﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾ [١٣٣] الجراد الذي ليس له أجنحة. ﴿يَعْرِشُونَ﴾ [١٣٧] يبنون. ﴿مُتَبَّرٌ﴾ [١٣٩] هالك. ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ [١٤٥] بجدٍّ وحزم. ﴿إِصْرَهُمْ﴾ [١٥٧] عهدهم ومواثيقهم. ﴿مُرْسَىٰهَا﴾ [١٨٧] منتهاها. ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ [١٩٩] أنفق الفضل. ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ [١٩٩] بالمعروف.

[الأنفال]

﴿وَجِلَتْ﴾ [٢] فَرِقت. ﴿ٱلْبُكْمُ﴾ [٢٢] الخرس. ﴿فُرْقَانًا﴾ [٢٩] نصراً. ﴿بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [٤٢] شاطئ الوادي.

[التوبة]

﴿إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [٨] الإلّ: القرابة، والذمّة: العهد. ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [٣٠] كيف يكذبون؟ ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ﴾ [٣٦] القضاء. ﴿عَرَضًا﴾ [٤٢] غنيمة. ﴿ٱلشُّقَّةُ﴾ [٤٢] المسير. ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ [٤٦] حبسهم. ﴿مَلْجَـًٔا﴾ [٥٧] الحرز في الجبل. ﴿أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ﴾ [٥٧] الأسراب في الأرض المخيفة. ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾ [٥٧] المأوى. ﴿وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ [٦٠] السُّعاة. ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [٦٧] تركوا طاعة الله. ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ [٦٧] تركهم من ثوابه وكرامته. ﴿بِخَلَـٰقِهِمْ﴾ [٦٩] بدينهم. ﴿ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ [٩٠] أهل العذر. ﴿مَخْمَصَةٌ﴾ [١٢٠] مجاعة. ﴿غِلْظَةً﴾ [١٢٣] شدَّة. ﴿يُفْتَنُونَ﴾ [١٢٦] يُبتلوْن. ﴿عَزِيزٌ﴾ [١٢٨] شديد. ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ [١٢٨] ما شقَّ عليكم.

[يونس]

﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ﴾ [٧١] انهضوا إليّ. ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [٧١] تؤخِّرون. ﴿حَقَّتْ﴾ [٩٦] سبقت.

[هود]

﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ [٦] يأتيها رزقها حيث كانت ﴿مُّنِيبٌ﴾ [٧٥] المقبل إلى طاعة الله. ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ﴾ [٨١] يتخلّف. ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟﴾ [٨٥] تسعوْا.

[يوسف]

﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [٢٣] تَهيَّأت لك، وكان يقرؤها مهموزة. ﴿وَأَعْتَدَتْ﴾ [٣١] هيَّأت. ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [١٠٠] السرير. ﴿هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ [١٠٨] دعوتي.

[الرعد]

﴿ٱلْمَثُلَـٰتُ﴾ [٦] ما أصاب القرونَ الماضية من العذاب. ﴿ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ [٩] السرّ والعلانية. ﴿شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [١٣] شديد المكر والعداوة.

[النحل]

﴿عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [٤٧] نقص من أعمالهم ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [٦٨] ألهمها.

[الإسراء]

﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [٧٢] أبعد حجّة. ﴿قَبِيلًا﴾ [٩٢] عياناً. ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [١١٠] اطلب بين الإعلان والجهر، وبين التخافت والخفض، طريقاً لا جهراً شديداً ولا خفضاً لا يُسمع أُذنيك.

[مريم]

﴿رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [٢٥] طريّاً.

[طه]

﴿أَن يَفْرُطَ﴾ [٤٥] يعجل. ﴿يَطْغَىٰ﴾ [٤٥] يعتدي. ﴿لَا تَظْمَؤُا﴾ [١١٩] لا تعطش. ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [١١٩] لا يصيبك حرّ.

[المؤمنون]

﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ [٥٠] المكان المرتفع. ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ [٥٠] خصب. ﴿وَمَعِينٍ﴾ [٥٠] ماء طاهر. ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ [٥٢] دينكم.

[الفرقان]

﴿تَبَارَكَ﴾ [١] تفاعل من البركة.

[الشعراء]

﴿كَرَّةً﴾ [١٠٢] رجعةً.

[النمل]

﴿خَاوِيَةً﴾ [٥٢] سقط أعلاها على أسفلها. ﴿فَلَهُ خَيْرٌ﴾ [٨٩] ثواب.

[الروم]

﴿يُبْلِسُ﴾ [١٢] ييأس.

[فاطر]

﴿جُدَدٌ﴾ [٢٧] طرائق.

[الصافات]

﴿إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [٢٣] طريق النار. ﴿وَقِفُوهُمْ﴾ [٢٤] احبسوهم. ﴿إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [٢٤] محاسبون. ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ [٢٥] تمانعون. ﴿مُسْتَسْلِمُونَ﴾ [٢٦] مستنجدون. ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [١٤٢] مسيء مذنب.

[فصلت]

﴿فُصِّلَتْ﴾ [٣] بُيّنت. ﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾ [٢٦] عيبوه.

[القمر]

﴿مُّهْطِعِينَ﴾ [٨] مقبلين.

[الواقعة]

﴿وَبُسَّتِ﴾ [٥] فتّتْ. ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [١٩] لا يقيئون كما يقيء صاحب خمر الدنيا. ﴿ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [٤٦] الشِّرْك.

[الحشر]

﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ [٢٣] الشاهد. ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ [٢٣] المقتدر على ما يشاء. ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [٢٤] المحكِم لما أراد.

[المنافقون]

﴿خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [٤] نخل قيام.

[الملك]

﴿مِن فُطُورٍ﴾ [٣] تشقّق. ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [٤] كليل ضعيف.

[نوح]

﴿لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [١٣] لا تخافون له عظمةً.

[الجن]

﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ [٣] عظمَتُه.

[المدثر]

﴿أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾ [٤٧] الموت.

[القيامة]

﴿يَتَمَطَّىٰ﴾ [٣٣] يختال.

[النبأ]

﴿أَتْرَابًا﴾ [٣٣] في سِنٍّ واحد، ثلاثٍ وثلاثين سنة.

[النازعات]

﴿مُرْسَىٰهَا﴾ [٤٢] منتهاها.

[عبس]

﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ﴾ [٣٢] منفعة.

[الانشقاق]

﴿مَمْنُونٍ﴾ [٢٥] منقوص.

فصل: قال أبو بكر ابن الأنباري: قد جاء عن الصحابة والتَّابعين ـ كثيراً ـ الاحتجاجُ على غريب القرآن ومشكله بالشِّعر. وأنكر جماعةٌ ـ لا علم لهم ـ على النحويِّين ذلك، وقالوا: إذا فعلتم ذلك جعلتم الشِّعر أصلاً للقرآن. وقالوا: وكيف يجوز أن يُحْتَجَّ بالشِّعر على القرآن، وهو مذموم في القرآن والحديث[1]!؟

قال: وليس الأمرُ كما زعموه من أنَّا جعلنا الشِّعر أصلاً للقرآن، بل أردنا تبيين الحرف الغريب من القرآن بالشِّعر؛ لأنَّ الله تعالى قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]، وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥].

وقال ابنُ عباس: الشِّعر ديوان العرب؛ فإذا خفي علينا الحرفُ من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعْنا إلى ديوانها، فالتمسنا معرفةَ ذلك منه.

ثم أخرج من طريق عِكْرمة عن ابن عباس قال: إذا سألتموني عن غَريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإنَّ الشِّعر ديوان العرب.

وقال أبو عُبيد في «**فضائله**»[2]: حدَّثنا هُشيم، عن حُصين بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن عبد الله بن عُتْبة، عن ابن عباس: أنَّه كان يُسْأَلُ عن القرآن فيُنْشِد فيه الشعرَ.

قال أبو عُبيد[3]: يعني كان يَستشهدُ به على التفسير.

قلت: قد روينا عن ابن عباس كثيراً من ذلك؛ وأوْعبُ ما رويناه عنه مسائل **نافع بن الأزرق**؛ وقد أخرج بعضَها ابنُ الأنباريّ في كتاب «**الوقف**»[4]، والطَّبراني في «**معجمه الكبير**» [١٠٥٩٧]، وقد رأيتُ أن أسوقَها هنا بتمامها لتستفاد:

[مسائل نافع بن الأزرق][5]

أخبرني أبو عبد الله محمد بن علي الصالحي بقراءتي عليه، عن أبي إسحاق التنوخي، عن القاسم بن عساكر: أنبأنا أبو نصر محمد بن عبد الله الشيرازي: أنبأنا أبو المظفّر محمد بن أسعد العراقي: أنبأنا أبو علي محمد بن سعيد بن نبهان الكاتب: أنبأنا أبو علي بن شاذان: حدثنا أبو الحسين عبد الصمد بن علي بن محمد بن مكرم المعروف بابن الطسّيّ: حدثنا أبو سهل السريّ بن سهل الجنديسابوري: حدثنا يحيى بن أبي عبيدة بحر بن فرّوخ المكي: أنبأنا سعيد بن أبي سعيد: أنبأنا عيسى بن دأب، عن حُميد الأعرج وعبد الله بن أبي بكر بن محمد، عن أبيه قال:

---

(١) في الحديث: «لأن يمتلئ جوفُ رجلٍ قيحاً يَرِيهِ خيرٌ من أن يمتلئ شعراً» أحمد (٨٣٧٥)، والبخاري (٦١٥٥)، ومسلم (٥٨٩٣) من حديث أبي هريرة.

(٢) «فضائل القرآن» ص ٣٤٣.

(٣) ص ٣٤٣.

(٤) ١/ ٧٦.

(٥) نافع بن الأزْرق البكري الوائلي، من أهل البصرة، والى علياً إلى أن كانت قضية التحكيم، فنادى هو وجماعتُه بالخروج على علي في حروراء (ت: ٦٥ هـ) انظر ترجمته مفصلةً في «لسان الميزان» ٦/ ١٤٤، و«الكامل» للمبرد ص٥٦٨.

بينا عبد الله بن عباس جالسٌ بفناء الكعبة، قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن، فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عُويمر: قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا عِلم له به، فقاما إليه فقالا: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا، وتأتينا بمصادقه من كلام العرب، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربيّ مبين. فقال ابن عباس: سَلاَني عما بدا لكما. فقال نافع:

١ ـ أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [المعارج: ٣٧] قال: العِزُون: حَلَق الرفاق. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عَبيد بن الأَبْرَص وهو يقول:

فـجـاؤوا يُـهْـرَعـون إلـيـه حـتـى ... يـكـونـوا حَـوْلَ مِـنـبـره عِـزِيـنـا

٢ ـ قال: أخبرني عن قوله: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] قال: الوسيلة: الحاجة. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ عنترة[1] وهو يقول:

إنَّ الـرجـالَ لـهـم إلـيـكِ وسـيـلـةٌ ... إن يـأخـذوكِ تـكـحَّـلـي وتَـخَـضَّـبـي

٣ ـ قال: أخبرني عن قوله: ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] قال: الشِّرعة: الدينُ، والمنهاجُ: الطريق. قال: وهل تعرفُ العربُ ذلك؟ قال: نعم، أَمَا سمعتَ أبا سفيان بنَ الحارث بن عبد المطلب وهو يقول:

لـقـد نَـطَـقَ الـمـأمـونُ بـالـصِّـدقِ والـهُـدَى ... وبَـيَّـنَ لـلإسـلام دِيـنـاً ومـنـهـجـاً

٤ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩٩]، قال: نُضْجه وبلاغه. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قولَ الشاعر:

إذا مـا مَـشَـتْ وسْـطَ الـنـسـاء تَـأَوَّدَتْ ... كـمـا اهـتـزّ غُـصْـنٌ نـاعـمُ الـنَّـبْـتِ يـانـعُ

٥ ـ قال أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَرِيشًا﴾ [الأعراف: ٢٦]، قال: الريشُ: المالُ. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت الشاعر[2] يقول:

فَـرِشْـنـي بـخـيـرٍ طـالـمـا قـد بَـرَيْـتَـنـي ... وخـيـرُ الـمَـوَالـي مَـنْ لا يَـرِيـشُ ولا يَـبْـرِي

٦ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]، قال: في اعتدال واستقامة. قال: وهل تعرفُ العربُ ذلك؟ قال: نعم، أمَا سمعتَ لَبيدَ بنَ رَبيعة[3] وهو يقول:

يـا عـيـنُ هـلَّا بَـكَـيْـتِ أربَـدَ إذ ... قُـمـنـا وقـامَ الـخُـصُـومُ فـي كَـبَـدِ

٧ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ﴾ [النور: ٤٣]، قال: السَّنا: الضوء. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ أبا سفيانَ بنَ الحارث[4] يقول:

يَـدْعُـو إلـى الـحـقِّ لا يـبـغـي بـه بَـدَلاً ... يـجـلـو بِـضَـوْءِ سَـنـاهُ داجـيَ الـظُّـلَـمِ

---

(١) «ديوانه» ٢٧٣.
(٢) هو سويد بن الصامت الخزرجي. «تاريخ الطبري» ٢/ ٣٥١.
(٣) «ديوانه» ١٦٠.
(٤) ابن عبد المطلب.

٨ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢]، قال: ولد الولد، وهم الأعوان. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ الشاعر يقول:

حفد الولائِدُ حَولَهُنَّ وأَسلَمَتْ ... بأكفهن أزِمَّةُ الأَحْمَالِ

٩ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [مريم: ١٣]، قال: رحمة من عندنا، قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ طَرَفة بن العَبْد(١) يقول:

أبا مُنْذرٍ أفْنَيْتَ فَاسْتَبْقِ بَعْضَنَا ... حَنَانَيْكَ بعضُ الشَّرِّ أَهونُ مِنْ بَعْض

١٠ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الرعد: ٣١]، قال: أفلم يعلم؟ بلغة بني مالك. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ مالك بن عوف يقول:

لَقَدْ يَئِسَ الأَقْوامُ أَنِّي أنا ابنُهُ ... وإنْ كنتُ عن أَرْضِ العشيرةِ نائيا

١١ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢]، قال: ملعوناً محبوساً من الخير. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ عبد الله بن الزِّبعرى يقول:

إذْ أَتَانِي الشَّيْطانُ في سِنَةِ النَّوْ ... مِ وَمَنْ مَالَ مَيْلَه مَثْبُورا(٢)

١٢ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ﴾ [مريم: ٢٣]. قال: ألجأها. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ حسَّان بن ثابت(٣) يقول:

إذْ شَدَدْنَا شَدَّةً صَادِقَةً ... فَأَجَأْنَاكُم إلى سَفْحِ الجَبَلْ

١٣ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣]، قال: النَّادي: المجلسُ. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ الشاعر(٤) يقول:

يَوْمَانِ يومُ مَقاماتٍ وأَنْدِيَة ... ويومُ سَيْرٍ إلى الأعداءِ تَأْوِيبِ

١٤ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ [مريم: ٧٤]، قال: الأثاث: المتاع، والرئي من الشراب. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ الشاعر يقول:

كَأَنَّ على الحُمُولِ غَدَاةَ وَلَّوا ... مِنَ الرِّئْيِ الكريم من الأثاث(٥)

١٥ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ [طه: ١٠٦]، قال: القاع: الأملس، والصفصف: المستوي. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أمَا سمعتَ الشاعر يقول:

بمَلْمُومةٍ شَهْبَاءَ لو قَذَفُوا بها ... شَمَارِيخَ مِنْ رَضْوَى إذَنْ عادَ صَفْصَفَا

---

(١) «ديوانه» ١٧٢.
(٢) لعل الصواب: مثبور.
(٣) «ديوانه» ٩٣.
(٤) هو سلامة بن الجندل، «ديوانه» ٩٤، وانظر «مجاز القرآن» ٢/ ١٠، و«المحتسب» ٢/ ٤٤.
(٥) انظر «المحتسب» ٢/ ٤٤.

١٦ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٩]. قال: لا تعْرقُ فيها من شدَّة حرّ الشمس. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أَمَا سمعت الشاعر[١] يقول:

رأتْ رجـلاً أَمَّـا إذا الـشَّـمْـسُ عَـارَضَـتْ   فـيَـضْـحَـى وأَمَّـا بـالـعَـشِـيِّ فـيـخْـصَـرُ

١٧ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ [الأعراف: ١٤٨]، قال: له صياح. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول الشاعر:

كـأَنَّ بَـنِـي مُـعَـاوِيَـةَ بـنِ بـكْـرٍ   إلـى الإسـلام صـائـحـةٌ تَـخُـورُ

١٨ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى﴾ [طه: ٤٢]. قال: لا تَضْعُفا عن أمري. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول الشاعر:

إِنِّـي وَجَـدِّكَ مَـا وَنَـيْـتُ ولَـمْ أَزَلْ   أبـغـي الـفَـكَـاكَ لَـهُ بـكـلِّ سـبـيـلِ

١٩ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: ٣٦]. قال: القانع: الذي يَقْنَع بما أُعطِيَ، والمعترّ: الذي يعترض الأبواب. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول الشاعر[٢]:

عَـلَـى مُـكْـثِـرِيـهِـمْ حَـقُّ مُـعْـتَـرٍ بـابـهـم   وَعِـنْـدَ الـمُـقـلِّـيـنَ الـسَّـمَـاحَـةُ والـبَـذْلُ

٢٠ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥]. قال: مشيد بالجِصّ والآجُرّ. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ عديّ بن زيد[٣] يقول:

شَـادَه مَـرْمَـراً وَجَـلَّـلَـهُ كِـلْـ   ـسـاً فـلـلـطَّـيْـرِ فـي ذراهُ وُكُـورُ

٢١ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿شُوَاظٌ﴾ [الرحمن: ٣٥]. قال: الشُّواظ: اللهب الذي لا دخان له. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول أُميَّة بن أبي الصلت:

يـظـلّ يَـشـبّ كِـيـراً بـعـد كـيـرٍ   ويـنـفـخ دائـبـاً لـهـب الـشُّـواظِ

٢٢ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]، قال: فازوا وسعدوا. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول لَبيد بن رَبيعة[٤]:

فـاعـقِـلـي إن كـنـتِ لَـمّـا تـعْـقِـلـي   وَلَـقَـدْ أَفْـلَـحَ مَـنْ كَـانَ عَـقَـلْ

٢٣ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ١٣]، قال: يقوّي. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول حسان بن ثابت[٥]:

بـرجـالٍ لَـسْـتُـمـوا أَمـثـالَـهُـمْ   أُيِّـدُوا جـبـريـلَ نَـصْـراً فَـنَـزَلْ

---

(١) قائله عمر بن أبي ربيعة «ديوانه» ٩٤.
(٢) «ديوان زهير» ١١٤ وفيه: على مكثريهم رزق من يعتريهم.
(٣) «ديوانه» ٨٨، وانظر «مجاز القرآن» ٢/٥٣.
(٤) «ديوانه» ١٧٧.
(٥) «ديوانه» ٩٤.

٢٤ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَنُحَاسٌ﴾ [الرحمن: ٣٥]. قال: هو الدخان الذي لا لَهَبَ فيه. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول الشاعر[١]:

يُضيءُ كضوْءِ سِراجِ السَّليـ ... ـطِ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فيهِ نُحَاسَا

٢٥ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان: ٢]. قال: اختلاط ماء الرجل وماء المرأة إذا وقع في الرَّحم. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول أبي ذُؤيب[٢]:

كَأَنَّ الرِّيشَ والفُوقَ مِنْهُ ... خِلالَ النَّصْلِ خَالَطَهُ مَشِيجُ

٢٦ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَفُومِهَا﴾ [البقرة: ٦١]. قال: الحنطة. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول أبي مِحْجَن الثَّقفي[٣]:

قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُنِي كأغنى واحدٍ ... قَدِمَ المدينةَ عَنْ زِرَاعَةِ فُومِ

٢٧ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ [النجم: ٦١]. قال: السُّمود: اللهو والباطل. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول هُزَيلةَ بنتِ بكرٍ، وهي تبكي قومَ عادٍ[٤]:

ليتَ عَاداً قَبِلُوا الحق ... ولَمْ يُبْدُوا جُحُودا

قيل فقُمْ فانظر إليهم ... ثم دَعْ عنك السُّمُودَا

٢٨ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [الصافات: ٤٧]. قال: ليس فيها نَتَن ولا كراهية كخمر الدنيا، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول امرئ القيس[٥]:

رُبَّ كأسٍ شَرِبتُ لا غَوْلَ فيها ... وَسَقَيْتُ النَّديمَ مِنْها مِزَاجَا

٢٩ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ [الانشقاق: ١٨]. قال: اتِّساقه: اجتماعُهُ. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول طَرَفة بن العَبْد[٦]:

إنَّ لنا قلائصاً نَقَانِقَا ... مُسْتَوْسِقاتٍ لَوْ تَجِدْنَ سَائِقَا

٣٠ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥]. قال: باقون، لا يخرجون منها أبداً. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول عَديّ بن زيد[٧]:

فَهَلْ مِنْ خَالِدٍ إمَّا هَلَكْنَا ... وَهَلْ بالموتِ ـ يا لَلنَّاس ـ عارُ

---

(١) «ديوان النابغة الجعدي» ٨١، و«مجاز القرآن» ٢/ ٣٤٥.

(٢) «ديوان الهذليين» ٣/ ١٠٣ ـ ١٠٤. وانظر «مسائل نافع بن الأزرق» ٣٨ لزاماً.

(٣) «ديوانه» ٥٢ و«الأغاني» ١٩/ ٢.

(٤) في «تاريخ الطبري»: هي أخت معاوية بن بكر وكان بمكة، وعليه نزل وفد عاد لمَّا قحطوا، فقدموا مكة ليستقوا قومهم، وهي زوج لقيم بن هزال الذي كان في وفد عاد ١/ ٢١٩ ـ ٢٢٦. والبيتان في «الجمهرة» ٢/ ٢٦٥.

(٥) ملحق «ديوانه» ٤٥٨.

(٦) «ديوانه» ١٨.

(٧) ذيل «ديوانه» ١٣٢، و«الأغاني» ٢/ ١٥١.

٣١ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾ [سبأ: ١٣]. قال: كالحِياض، قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول طَرَفة بن العَبْد[١]:

كـالـجـوابـي لا تَـنِـي مُـتْـرَعَـةً لِـقِـرَى الأضْـيـافِ أو لِـلْـمُـحْـتَـضِـرْ

٣٢ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]. قال: الفُجور والزنا. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول الأعشى:

حـافِـظٌ لِـلْـفَـرْجِ راضٍ بـالـتُّـقَـى لـيـس مـمـن قـلـبُـهُ فـيـه مَـرَضْ

٣٣ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات: ١١]. قال: الملتزق. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قولَ النابغة[٢]:

فـلا يَـحْـسَـبُـونَ الـخَـيْـرَ لا شَـرَّ بَـعْـدَهُ ولا يَـحْـسَـبُـونَ الـشَّـرَّ ضَـرْبَـةَ لازِبِ

٣٤ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]. قال: الأشباه والأمثال. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول لَبيد بن رَبيعة[٣]:

أحـمـدُ الـلـهَ فـلا نِـدَّ لـهُ بـيـديْـهِ الـخـيـرُ مَـا شـاءَ فَـعَـلْ

٣٥ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الصافات: ٦٧]. قال: الخلط بماء الحميم والغَسَّاق. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول الشاعر[٤]:

تِـلْـكَ الـمـكـارِمُ لا قَـعْـبَـان مِـنْ لـبـنٍ شِـيـبَـا بـمـاءٍ فَـعَـادَا بَـعْـدُ أَبْـوالاَ

٣٦ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [ص: ١٦]، قال: القِطُّ: الجزاءُ. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أمَا سمعتَ قول الأعشى[٥]:

وَلاَ الـمَـلِـكُ الـنُّـعـمـانُ يَـوْمَ لَـقِـيـتُـهُ بـنـعـمـتـه يُـعْـطـي الـقُـطُـوطَ ويُـطـلِـقُ

٣٧ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]، قال: الحمأ: السوادُ، والمسنون: المصوَّر. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول حمزة بن عبد المطلب:

أغـرُّ كـأنَّ الـبـدرَ شُـقَّـةُ وَجْـهِـهِ جـلا الـغَـيْـمَ عـنـه ضـوؤُهُ فـتـبـدَّدا

٣٨ ـ قال: فأخبرني عن قوله تعالى: ﴿ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨]، قال: البائس الذي لا يجدُ شيئاً من شدَّة الحال. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول طَرَفة[٦]:

يـغـشـاهُـم الـبـائـسُ الـمُـدْقـعُ والـضَّـ ـيـفُ وجـارٌ مُـجـاوِرٌ جُـنُـبُ[٧]

---

(١) «ديوانه» ٦٦.
(٢) النابغة الذبياني ٦٤.
(٣) «ديوانه» ١٧٤.
(٤) مختلفٌ في قائله، انظر ديوان أمية ٤٥٩، وديوان النابغة الجعدي ١١٢.
(٥) «ديوانه» ٢٥٥.
(٦) «ديوانه» ١٤٠.
(٧) في مسائل نافع: المدقَّع.. وقال الدكتور دالي: المدقَّع: المحقور الذي لا يُضيف إن استضاف ولا يُجدَى إن استجدى، وفي الإتقان «المدقع»، وهو تصحيف يكسر البيت، وهو من في مسائل نافع ص١٠٠.

٣٩ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦]، قال: كثيراً جارياً. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول الشاعر:

تُدْني كَرَاديسَ مُلْتَفّاً حَدَائِقُهَا كالنَّبْتِ جَادَتْ بِهَا أنهارُها غَدَقَا

٤٠ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ [النمل: ٧]، قال: شُعْلَة من نار يقتبسون منه. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أمَا سمعتَ قول طَرَفة بن العبد[١]:

هَمٌّ عَرَانِي فَبِتُّ أَدْمَعُهُ دُونَ سُهَادي كَشُعْلَةِ القَبَسِ

٤١ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠]. قال: الأليم: الوجيع. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول الشاعر:

نَامَ مَنْ كَانَ خَلِيًّا مِنْ أَلَمْ وَبَقِيتُ اللَّيلَ طُوْلاً لَمْ أَنَمْ

٤٢ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ [المائدة: ٤٦]. قال: أَتبَعْنا على آثار الأنبياء، أي بَعَثْنا. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ عَدِيّ بن زيد[٢]:

يَوْمَ قَفَّتْ عِيرُهُمْ مِنْ عِيرِنَا واحتمالُ الحيّ في الصُّبحِ فَلَقْ

٤٣ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ [الليل: ١١]. قال: إذا مات وتردَّى في النار. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول عَدِيّ بن زيد[٣]:

خَطَفَتْهُ مَنِيَّةٌ فَتَرَدَّى وَهْوَ فِي المُلْكِ يَأْمُلُ التَّعْمِيرَا

٤٤ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ [القمر: ٥٤]. قال: النَّهْر: السعة. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول لَبيد بن ربيعة[٤]:

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتْقَهَا يَرى قَائِمٌ مِن دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا

٤٥ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [الرحمن: ١٠]، قال: الخلق. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول لَبيد بن ربيعة:

فإنْ تسألينا مِمّ نحنُ فإنَّنا عَصَافيرُ من هذي الأنامِ المسحَّرِ

٤٦ ـ قال: فأخبرني عن قوله تعالى: ﴿أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١٤]، قال: أن لن يرجع، بلغة الحَبَشة. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول الشاعر[٥]:

وَمَا المَرْءُ إِلَّا كَالشِّهَابِ وضوئِهِ يَحُورُ رَمَاداً بعد إذْ هُوَ سَاطِعُ

٤٧ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ [النساء: ٣]، قال: أَجْدَر ألا تميلوا. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول الشاعر[٦]:

---

(١) «ديوان طرفة» ١٦٥.
(٢) ذيل «ديوانه» ١٤٨.
(٣) «ديوانه» ٦٤.
(٤) الصواب أن البيت لقيس بن الخطيم «ديوانه» ٨.
(٥) لبيد بن ربيعة «ديوانه» ١٦٩.
(٦) هو عبد الله بن الحارث السهمي.

إنَّـا تـبـعـنـا رَسُـولَ الـلـه واطَّـرحُـوا ... قـولَ الـنَّـبـيِّ وعَـالُـوا فـي الـمَـوازيـنِ

٤٨ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٢]، قال: المسيء، المذنب. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول أُميَّة بن أبي الصلت(١) :

مِـنَ الآفـات لَـيْـسَ لـهـا بـأَهْـلٍ ... ولـكـنَّ الـمُـسِـيءَ هـو الـمـلِـيـمُ

٤٩ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، قال: تقتلونهم. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول الشاعر:

ومِـنَّـا الـذي لاَقـى بـسـيـف مـحـمَّـدٍ ... فَـحَـسَّ بـه الأعـداءَ عَـرْضَ الـعـسـاكـر

٥٠ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿مَآ أَلْفَيْنَا﴾ [البقرة: ١٧٠]، قال: يعني وَجَدْنا. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول نابغة بني ذُبيان(٢) :

فـحـسَّـبُـوه فَـأَلْـفـوه كـمـا زعـمـتْ ... تِـسْـعـاً وتـسـعـيـنَ لَـمْ تَـنْـقُـصْ وَلَـمْ تَـزِدِ

٥١ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿جَنَفًا﴾ [البقرة: ١٨٢]، قال: الجَوْر والميل في الوصيّة. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول عَديّ بن زيد:

وأُمُّـكَ يـا نُـعـمـانُ فـي أخـواتـهـا ... تـأتـيـنَ مـا يـأتـيـنَـهُ جَـنَـفَـا

٥٢ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [الأنعام: ٤٢]، قال: البأساء: الخِصب، والضرَّاء: الجَدْب. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول زيد بن عمرو:

إن الإلـه عـزيـزٌ واسـعٌ حَـكَـمٌ ... بـكـفِّـهِ الـضُّـرُّ والـبـأسـاءُ والـنِّـعـمُ

٥٣ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عمران: ٤١]، قال: الإشارة باليد والإيماء بالرأس. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول الشاعر:

مَـا فـي الـسَّـمـاء مِـنَ الـرَّحـمـنِ مُـرْتَـمَـزٌ ... إلَّا إلـيـه ومـا فـي الأرض مِـنْ وَزَرِ

٥٤ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، قال: سعِد ونجا. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول عبد الله بن رَواحة:

وَعَـسَـى أَنْ أَفُـوزَ ثُـمَّـتَ أَلـقـى ... حُـجَّـةً أَتَّـقـي بـهـا الـفـتَّـانَـا

٥٥ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾[آل عمران: ٦٤]، قال: عَدْل. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:

تَـلاَقَـيْـنَـا فـقَـاضَـيْـنـا سـواءً ... وَلَـكِـنْ جُـرَّ عَـنْ حـالٍ بـحـالِ

٥٦ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الشعراء: ١١٩]، قال: السفينةُ المُوْقَرة. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول عَبيد بن الأَبرص:

---

(١) «ديوانه» ٤٨٠.

(٢) «ديوانه» ١٦.

شَحَنَّا أَرْضَهُمْ بالْخَيْلِ حَتَّى ... تَركْنَاهُمْ أَذَلَّ مِنَ الصِّرَاطِ

٥٧ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣]، قال: ولد الزنا. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول الشاعر(١):

زَنِيمٌ تَدَاعَتْهُ الرِّجَالُ زِيَادَةً ... كَمَا زِيدَ في عَرْضِ الأَدِيمِ الأَكَارِعُ

٥٨ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ [الجن: ١١]. قال: المنقطعة في كلّ وجه. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول الشاعر:

وَلَقَدْ قُلْتُ وَزَيْدٌ حَاسِرٌ ... يَوْمَ وَلَّتْ خَيْلُ زَيْدٍ قِدَدَا

٥٩ ـ قال أخبرني عن قوله تعالى: ﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]. قال: الصبح إذا انفلق من ظلمة الليل. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول زُهير بن أبي سُلْمَى(٢):

الفارجُ الهمَّ مسدُولاً عساكِرُهُ ... كما يُفرِّجُ غَمَّ الظُّلْمةِ الفَلَقُ

٦٠ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]. قال: نصيب. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول أُميَّة بن أبي الصلت(٣):

يَدْعُونَ بالوَيْلِ فيها لا خَلاقَ لهمْ ... إلَّا سَرَابيلُ من قِطْرٍ وأغْلالِ

٦١ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [البقرة: ١١٦]. قال: مقِرُّون. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول عديّ بن زيد(٤):

قانتاً لله يرجُو عفْوَهُ ... يَوْمَ لا يُكْفَرُ عَبْدٌ ما ادَّخَرْ

٦٢ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ [الجن: ٣]. قال: عَظَمة رَبِّنا. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول أُميَّة بن أبي الصلت(٥):

لَكَ الحَمْدُ والنَّعْماء والمُلْكُ رَبَّنَا ... فلا شيء أعلى مِنْكَ جَدًّا وأَمْجَدُ

٦٣ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٤]. قال: الآن: الذي انتهى طبْخه وحرُّه. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول نابغة بني ذبيان(٦):

ويخضب لحية غَدَرَتْ وخَانَتْ ... بأَحْمَى من نَجيعِ الجَوْفِ آنِ

٦٤ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [الأحزاب: ١٩]، قال: الطَّعْن باللسان. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول الأعشى(٧):

---

(١) هو الخطيم التميمي، وقد نُسب في «الكامل» ص٥٦٩ لحسان وهماً.

(٢) وعزي في «مسائل نافع» إلى لبيد بن ربيعة، وليس في ديوانهما.

(٣) «ديوانه» ٤٣٨.

(٤) «ديوانه» ٦١.

(٥) «ديوانه» ٣٦٧.

(٦) «ديوانه» ١٤٩.

(٧) «ديوانه» ٢٥١.

فيهمُ الخِصْبُ والسَّمَاحَةُ والنَّجْدَةُ ... فِيهِمْ والخاطِبُ المِسْلاَقُ

٦٥ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٤]، قال: كدَّره بمَنِّه. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول الشاعر:

وأعطى قليلاً ثُمَّ أَكْدَى بمنِّه ... وَمَنْ يَنشُرِ المعروفَ في النَّاسِ يُحْمَدِ

٦٦ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿لَا وَزَرَ﴾ [القيامة: ١١]، قال: الوزر: الملجأ. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول عمرو بن كلثوم:

لَعَمْرُك ما إنْ لَهُ صُخْرَةٌ ... لَعَمْرُكَ ما إنْ لَهُ مِن وَزَرْ

٦٧ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، قال: أجَله الذي قُدِّرَ له. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول لَبيد بن رَبيعة[1]:

ألا تَسْألانِ المرْءَ ماذا يحاوِلُ ... أنَحْبٌ فيقضَى أم ضلاَلٌ وباطلُ

٦٨ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ [النجم: ٦]، قال: ذو شِدَّة في أمر الله. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول نابغة بني ذُبْيان:

وهنا قِرَى ذي مِرَّةٍ حَازِمِ[2]

٦٩ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ [النبأ: ١٤]، قال: السَّحاب يعصر بعضُها بعضاً، فيخرج الماء من بين السَّحابتين. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول النابغة:

تُجَرُّ بها الأرواحُ من بين شَمْألٍ ... وبَيْنَ صَباها المعصِرَاتُ الدَّوَامِسُ

٧٠ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ [القصص: ٣٥]، قال: العضُد: المعين الناصر. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول النابغة:

في ذِمَّةٍ من أبي قَابُوسَ مُنقِذةٍ ... للخائفين ومَنْ ليسَت له عضُدُ

٧١ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٧١]، قال: في الباقين. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول عَبيد بن الأبرص:

ذهَبُوا وخلَّفَني المخلَّفُ فِيهِمُ ... فكأنني في الغابِرِينَ غَرِيبُ

٧٢ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ [المائدة: ٢٦]، قال: لا تحزن. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول امرئ القيس:

وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ ... يَقُولونَ لا تَهْلِك أسًى وتجمَّلِ

---

(١) «ديوانه» ٢٥٤.

(٢) وصدره: قَدْ كنتُ أَقْرِيهِ إذا ضافني...

٧٣ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿يَصۡدِفُونَ﴾ [الأنعام: ٤٦]، قال: يعرضون عن الحقِّ. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول أبي سفيان[1]:

عَجِبْتُ لِحِلْمِ اللهِ عنَّا وقد بَدَا ... له صَدْفُنا عَنْ كُلِّ حقٍّ مُنَزَّلِ

٧٤ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿أَن تُبۡسَلَ﴾ [الأنعام: ٧٠]، قال: تُحْبَس. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول زهير[2]:

وفَارَقْتُك بِرَهْنٍ لا فَكَاكَ لَهُ ... يَوْمَ الوداعِ فَقَلْبِي مُبْسَلٌ غَلِقَا

٧٥ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتۡ﴾ [الأنعام: ٧٨]، قال: زالت الشمس عن كَبِد السماء. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول كعب بن مالك[3]:

فتغيَّر القمرُ المُنِيرُ لفقدِه ... والشمْسُ قد كُسِفَتْ وكادت تأفُلُ

٧٦ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿كَٱلصَّرِيمِ﴾ [القلم: ٢٠]، قال: الذَّاهب. أما سمعت قول الشاعر:

غدوتُ عليه غَدْوَةً فوجدْتُهُ ... قعوداً لَدَيْهِ بالصريم عواذله

٧٧ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿تَفۡتَؤُاْ﴾ [يوسف: ٨٥]، قال: لا تزال، أما سمعت قول الشاعر:

لَعَمْرُكَ ما تفتأ تذكُر خالداً ... وقد غالَهُ ما غال تُبَّعَ مِنْ قَبْلُ[4]

٧٨ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖ﴾ [الإسراء: ٣١]، قال: مخافة الفقر، أما سمعت قول الشاعر:

وإنِّي عَلَى الإمْلاَقِ يا قَوْمُ مَاجِدٌ ... أُعِدُّ لأضيافي الشِّواءَ المُضَهَّبَا

٧٩ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿حَدَآئِقَ﴾ [النمل: ٦٠]، قال: البساتين، أما سمعت قول الشاعر:

بلادٌ سَقَاهَا اللهُ أَمَّا سهولُها ... فَقَضْبٌ ودُرٌّ مُغْدِقٌ وَحَدائِقُ

٨٠ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿مُّقِيتٗا﴾ [النساء: ٨٥]، قال: قادراً مقتدراً، أما سمعتَ قول أُحيحة الأنصاريّ:

وذي ضِغْنٍ كففتُ النفْس عَنْهُ ... وكنْتُ عَلَى مساءته مُقِيتَا

٨١ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قال: لا يثقله، أما سمعت قول الشاعر:

---

(١) هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب.
(٢) «ديوانه» ٣٣.
(٣) «ديوانه» ٢٦١.
(٤) قال الدكتور الدالي: الصواب: ما غال من قبلُ تُبَّعا.

يـغـطـي الـمِـئـيـنَ ولا يـؤوده حَـمْـلُـهـا ... مَـحْـضُ الـضَّـرائِـبِ مـاجـدُ الأخـلاقِ

٨٢ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤]، قال: النَّهر الصغير، أما سمعت قول الشاعر:

سَـهْـل الـخـلـيـقـةِ مـاجـدٌ ذو نـائـلٍ ... مـثـل الـسـريِّ تـمـدّه الأنـهـارُ

٨٣ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النبأ: ٣٤]، قال: ملأى، أما سمعت قول الشاعر:

أتـانـا عـامـرٌ يـرجـو قِـرَانـا ... فـأتْـرَعْـنـا لـه كـأسـاً دِهَـاقـا

٨٤ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦]، قال: كفورٌ للنِّعم، وهو الذي يأكل وحده، ويمنع رِفْدَه، ويُجيع عبده. أما سمعت قول الشاعر:

شَـكَـرْتُ لَـهُ يَـوْمَ الـعُـكَـاظ نَـوَالَـهُ ... وَلَـمْ أكُ لـلـمـعـروفِ ثـمَّ كَـنُـودَا

٨٥ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥١]، قال: يحرِّكون رؤوسهم استهزاءً، أما سمعت قول الشاعر:

أتُـنْـغِـضُ لـي يَـوْمَ الـفَـخَـارِ(١) وَقَـدْ تَـرَى ... خُـيُـولاً عَـلَـيْـهَـا كـالأُسـودِ ضَـوارِيَـا

٨٦ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿يُهْرَعُونَ﴾ [هود: ٧٨]، قال: يُقبِلُون إليه بالغَضَب، أمَا سمعت قول الشاعر:

أتـونـا يُـهْـرَعـونَ وهُـم أسَـارى ... نَـسُـوقُـهُـمُ عَـلـى رَغْـمِ الأُنـوفِ

٨٧ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ [هود: ٩٩]، قال: بئس اللعنة بعد اللَّعنة، أما سمعت قول الشاعر(٢):

لا تَـقْـذِفَـنّـي بـرُكْـنٍ لا كَـفَـاءَ لَـهُ ... وإن تـأثَّـفَـكَ الأعْـدَاء بـالـرِّفْـدِ

٨٨ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ [هود: ١٠١]، قال: تخسير، أما سمعتَ قول بِشْر بن أَبي خَازِم(٣):

هُـمُ جـدَعـوا الأُنـوف فـأوعَـبُـوهـا ... وهـم تـركـوا بـنـي سَـعْـدٍ تَـبَـابـا

٨٩ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ [هود: ٨١]، ما القِطْع؟ قال: آخر الليل سَحَراً، قال مالك بن كنانة(٤):

ونـائـحـةٍ تـقـومُ بـقِـطْـعِ لـيـلٍ ... عـلـى رَجُـلٍ أصـابـتْـهُ شَـعُـوبُ

أي: داهية.

(١) الصواب: الفِجار. وقائله زهير.
(٢) «ديوان النابغة الذبياني» ٢١.
(٣) «ديوانه» ٣٠.
(٤) انظر «إيضاح الوقف» ٨٥.

٩٠ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣]. قال: تهيَّأتُ لك، أما سمعت قول أُحيحة الأنصاري(١):

بِـهِ أَحْـمِـي الـمُـضَـافَ إذا دعَـانـي ... إذا مـا قـيـل لـلأبـطـالِ هَـيْـتـا

٩١ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود: ٧٧]. قال: شديد، أما سمعتَ قول الشاعر(٢):

هـمُ ضَـرَبُـوا قَـوَانِـسَ خـيـلِ حُـجْـرٍ ... بـجـنـب الـرَّدْهِ فـي يَـوْمٍ عَـصِـيـبِ

٩٢ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨]. قال: مطبقة، أما سمعت قول الشاعر:

تَـحِـنُّ إلـى أَجْـبَـالِ مـكَّـة نـاقَـتِـي ... ومِـنْ دُونـنـا أبـوابُ صـنـعـاءَ مُـؤْصَـدَهْ

٩٣ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨]. قال: لا يَفْتُرُون ولا يَمَلُّون، أمَا سمعتَ قول الشاعر:

مـن الـخـوفِ لا ذُو سَـأْمَـةٍ مِـنْ عـبـادةٍ ... وَلاَ هُـوَ مـن طُـولِ الـتـعـبُّـدِ يَـجْـهَـدُ

٩٤ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ [الفيل: ٣]، قال: ذاهبة وجائية، تنقل الحجارة بمناقيرها وأرجلها، فتبلبل عليهم فوق رؤوسهم، أما سمعت قول الشاعر:

وبـالـفـوارِس مِـنْ وَرْقَـاءَ قـد عَـلِـمـوا ... أَحْـلاسُ خَـيْـلٍ عـلـى جُـرْدٍ أبـابـيـلِ

٩٥ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٩١]، قال: وجدتموهم، أما سمعت قول حسان(٣):

فـإمَّـا تَـثْـقَـفَـنَّ بـنـي لُـؤَيّ ... جُـذِيـمَـةَ إنَّ قَـتْـلَـهُـمُ دَواءُ

٩٦ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ [العاديات: ٤]، قال: النَّقعُ: ما يسطع من حوافر الخيل، أما سمعت قول حسان(٤):

عَـدِمْـنَـا خَـيْـلَـنَـا إنْ لَـمْ تَـرَوْهـا ... تُـثِـيـرُ الـنَّـقْـعَ مَـوْعِـدُهـا كَـدَاءُ

٩٧ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥]، قال: وسط الجحيم، أما سمعت قول الشاعر:

رَمَـاهـا بـسَـهْـمٍ فـاسْـتَـوَى فـي سَـوائِـهـا ... وكـان قـبـولاً لـلـهـوى ذي الـطَّـوارِقِ(٥).

٩٨ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٨]، قال: الذي ليس له شوك، أما سمعت قول أُميَّة بن أبي الصلت(٦):

---

(١) هو أحيحة بن الجُلاح الأنصاري.

(٢) هو بشر بن أبي خازم، «ديوانه» ٢٢.

(٣) «ديوانه» ٧٦.

(٤) «ديوانه» ٧٣.

(٥) لعل الصواب: وكان قتولاً للهوادي الطوارق.

(٦) «ديوانه» ٣٧٧.

إنَّ الحَدَائِقَ في الجِنانِ ظَلِيلَةٌ فيها الكَوَاعِبُ سِدْرُها مَخْضُودُ

٩٩ - قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ [الشعراء: ١٤٨]، قال: منضم بعضه إلى بعض، أما سمعت قول امرئ القيس[١]:

دارٌ لبيضاءِ العَوَارِضِ طفلَةٍ مهضُومَةِ الكَشْحَينِ رَيّا المِعْصَمِ

١٠٠ - قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠]، قال: قولاً عَدْلاً حقًّا، أما سمعت قول حمزة [بن عبد المطلب]:

أَمِينٌ على ما استودَعَ اللهُ قَلْبَهُ فإنْ قالَ قَوْلاً كان فيه مُسَدّداً

١٠١ - قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ٨]، قال: الإلُّ: القرابة، والذِّمَّة العهد، أما سمعت قول الشاعر:

جَزَى اللهُ إلاًّ كانَ بيني وبينَهُمْ جَزاءَ ظَلُومٍ لا يُؤَخِّرُ عاجِلاَ

١٠٢ - قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿خَٰمِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٥]، قال: ميّتين، أما سمعت قول لَبيد[٢]:

خلُّوا ثيابَهُم عَلَى عوراتِهِمْ فهُمُ بأفنِيَةِ البُيوتِ خُمُودُ

١٠٣ - قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ [الكهف: ٩٦]، قال: قطع الحديد. أما سمعت قول كعب بن مالك[٣]:

تلظّى عليهِمْ حِينَ أنْ شَدَّ حمْيها بِزُبْرِ الحديدِ والحِجارة ساجِرُ

١٠٤ - قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فَسُحْقًا﴾ [الملك: ١١]، قال: بعداً، أما سمعت قول حسان[٤]:

أَلاَ مَنْ مبلغٌ عَنِّي أبيّا فقد أُلقِيتُ في سُحْقِ السَّعِيرِ

١٠٥ - قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ [الملك: ٢٠]، قال: في باطل، أَمَا سمعت قولَ حَسَّان:

تَمَنَّتْكَ[٥] الأماني من بعيدٍ وقولُ الكُفْرِ يَرْجِعُ في غُرُورِ

١٠٦ - قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَحَصُورًا﴾ [آل عمران: ٣٩]، قال: الذي لا يأتي النساء، أما سمعت قول الشاعر:

وَحَصُورٍ عن الخَنَا يأمُرُ النَّا سَ بفعلِ الخيراتِ والتَّشْمِيرِ

---

(١) ملحق «ديوانه» ٤٧٧.
(٢) «ديوانه» ٣٤.
(٣) «ديوانه» ٢٠١.
(٤) ذيل ديوانه ٣٨٩.
(٥) الصواب: تَمَنّيك.

١٠٧ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٠]، قال: الذي ينقبض وجهه من شدة الوجع، أما سمعت قول الشاعر[١]:

وَلاَ يَوْمِ الحِسَابِ وكان يوماً عَبُوساً في الشَّدائدِ قَمْطَرِيرا

١٠٨ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢]، قال: عن شدَّة الآخرة، أما سمعت قول الشاعر:

قَدْ قامت بنا الحربُ عَلَى ساقِ

١٠٩ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿إِيَابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٥]، قال: الإياب: المرجع، أما سمعتَ قول عَبِيد بن الأبرص[٢]:

وكلُّ ذي غَيْبَةٍ يؤوبُ وَغائِبُ المَوْتِ لا يؤوبُ

١١٠ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿حُوبًا﴾ [النساء: ٢]، قال: إثماً، بلغة الحبشة. قال: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول الأعشى[٣]:

فَإنِّي وما كَلَّفْتُموني مِن امْرِكُمْ لِيُعلَمَ مَنْ أَمْسَى أَعَقَّ وأَحْوَبَا

١١١ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ٱلْعَنَتَ﴾ [النساء: ٢٥]، قال: الإثم، أما سمعت قول الشاعر:

رأيتُك تَبْتَغي عَنَتِي وَتَسْعى معَ السَّاعِي عليَّ بِغَيْرِ ذَحْلِ

١١٢ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩]، قال: التي تكون في شَقِّ النَّواة، أمَا سمعتَ قول النابغة[٤]:

يَجْمَعُ الجَيْشَ ذا الألوفِ ويَغْزو ثُمَّ لا يَرْزَأُ الأعادي فَتِيلا

١١٣ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣]، قال: الجلدة البيضاء التي على النواة، أما سمعت قول أُمية بن أبي الصلت[٥]:

لم أَنَلْ منهم فسيطاً ولا زُبْداً ولا فُوفَةً وَلاَ قِطْمِيرا

١١٤ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿أَرْكَسَهُم﴾ [النساء: ٨٨]، قال: حَبَسَهم، أما سمعتَ قول أمية[٦]:

أُرْكِسُوا في جهنَّم إنهم كا نُوا عُتاةً يقولون كِذْباً وزُورَا

١١٥ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦]. قال: سلَّطنا، أما سمعتَ قول لَبيد[٧]:

---

(١) «ديوان أمية بن أبي الصلت» ٤١٠.
(٢) «ديوانه» ٢٦.
(٣) «ديوانه» ١٥١.
(٤) الذبياني «ديوانه» ١٤٢.
(٥) «ديوانه» ٤٠٨.
(٦) أمية بن أبي الصلت «ديوانه» ٤٠٨.
(٧) «ديوانه» ١٦٠.

إنْ يُغْبَطُوا يَيْسَرُوا وإن أُمِرُوا ... يوماً يصيروا للهُلْكِ والفَقَدِ

١١٦ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوٓا﴾ [النساء: ١٠١]. قال: يُضِلّكم بالعذاب والجهد، بلغة هوازن، أما سمعتَ قول الشاعر:

كلُّ امرئٍ من عباد الله مُضطهدٌ ... ببطنِ مكةَ مقهورٌ ومفتونُ

١١٧ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا﴾ [الأعراف: ٩٢]. قال: كأنْ لم يكونوا، أما سمعتَ قول لَبيد[1]:

وغَنِيتُ سَبْتاً قَبْلَ مَجْرَى دَاحِسٍ ... لَو كَانَ لِلنَّفْسِ اللَّجُوجِ خُلُودُ

١١٨ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿عَذَابَ الْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣]. قال: الهَوَان، أما سمعتَ قول الشاعر:

إنَّا وجدنا بلادَ الله واسِعَةً ... تُنجي من الذُّلِّ والمَخْزَاةِ والهُون

١١٩ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤]. قال: النقير: ما في ظهر النواة، ومنه تنبت النخلة، أما سمعت قول الشاعر[2]:

وَلَيْسَ النَاسُ بَعْدَكَ في نَقِيرٍ ... وليسُوا غيرَ أَصداءٍ وَهَامِ

١٢٠ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿لَّا فَارِضٌ﴾ [البقرة: ٦٨]. قال: الهرمة، أما سمعتَ قول الشاعر[3]:

لَعَمْري لَقَدْ أَعْطَيْتَ ضَيْفَكَ فارِضاً ... تُساقُ إليه ما تَقُوم على رِجْلِ

١٢١ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. قال: بياض النهار من سواد الليل؛ وهو الصبح إذا انفلق، أما سمعت قول أُميّة[4]:

الخيطُ الأبْيَضُ ضَوْءُ الصُّبْحِ مُنْفَلِقٌ ... والخيطُ الأسودُ لونُ الليل مَكْمُومُ

١٢٢ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ [البقرة: ٩٠]. قال: باعوا نصيبهم من الآخرة بطمع يسيرٍ من الدنيا، أما سمعت قولَ الشاعر[5]:

يُعْطَى بها ثمناً فيَمْنَعُهَا ... ويقولُ صاحِبُها: ألا تَشْرِي

١٢٣ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَآءِ﴾ [الكهف: ٤٠]. قال: نار من السماء، أما سمعت قولَ حسّان:

بَقِيَّةُ معشرٍ صُبَّتْ عَلَيْهِمْ ... شآبيب من الحُسْبَانِ شُهْبُ

---

(١) «ديوانه» ٣٥.

(٢) هو لبيد «ديوانه» ٢٠٩.

(٣) هو خُفاف بن نُدبة السلمي، شعره ١٣٣.

(٤) أمية بن أبي الصلت «ديوانه» ٤٨٣.

(٥) البيت للمسيب بن علس كما في «تفسير الطبري»، والآية المستشهد بها هي: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

١٢٤ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾ [طه: ١١١]. قال: استسلمت وخضعَتْ، أما سمعتَ قول الشاعر:

لِيَبْكِ عَلَيْكَ كُلُّ عَانٍ بِكُرْبَةٍ ... وَآلُ قُصَيٍّ مِنْ مُقِلٍّ وَذِي وَفْرِ

١٢٥ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]. قال: الضَّنْكُ: الضيق الشديد، أما سمعتَ قول الشاعر:

والخيلُ قَدْ لَحِقَتْ بها في مأزِقٍ ... ضَنْكٍ نواحيهِ شديدِ المَقْدَمِ

١٢٦ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ﴾ [الحج: ٢٧]، قال: طريق، أمَا سمعتَ قول الشاعر:

وحازُوا العِيالَ وسدُّوا الفِجَاجَ ... بأجسادِ عادٍ لها آيدان[1].

١٢٧ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ [الذاريات: ٧]، قال: ذات طرائق، والخلق الحسن، أما سمعت قول زُهير بن أبي سُلْمَى:

هُمْ يضربونَ حبيك البيض إذ لَحِقوا ... لا ينكِصُون إذا ما اسْتُلْحِمُوا وحَمُوا

١٢٨ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿حَرَضًا﴾ [يوسف: ٨٥]، قال: الدنف الهالك من شدَّة الوجع، أما سمعتَ قول الشاعر:

أَمِنْ ذِكْرِ لَيْلَى أَنْ نأَتْ غُرْبَةٌ بها ... كأَنَّكَ جَمٌّ للأَطِبّاء محرَضُ

١٢٩ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ٢]، قال: يدفعه عن حقه، أما سمعتَ قول أبي طالب:

يُقَسِّمُ حَقًّا لليتيم، وَلَمْ يكن ... يَدُعُّ لَدى أيسارهِنَّ الأصاغرا

١٣٠ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌ بِهِۦ﴾ [المزمل: ١٨]، قال: منْصدع من خوف يوم القيامة، أمَا سمعتَ قول الشاعر:

طَباهنَّ حَتَّى أعوَض اللَّيلُ دُونَها ... أفاطيرَ وَسْمِيٍّ رواه جدورُها

١٣١ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧]، قال: يحبس أَوَّلُهم على آخرهم، حتى تنام الطير، أما سمعتَ قول الشاعر:

وَزَعْتُ رَعِيلَها بأقبَّ نَهْدٍ ... إذا ما القومُ شدُّوا بَعْدَ خَمْسِ

١٣٢ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ [الإسراء: ٩٧]، قال: الخَبْوُ الذي يطْفَأُ مرَّة ويسعَّر أُخرى، أما سمعت قول الشاعر:

والنارُ تَخْبو عن آذانهم ... وأَضرمها إذا ابتدروا سعيراً

(١) الصواب: آبداتُ وهي: الباقيات على الأبد.

١٣٣ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ [الكهف: ٢٩]، قال: كَدُرديّ الزيت، أما سمعت قول الشاعر:

تُباري بها العِيسُ السَّمومَ كأنَّها تبطَّنتِ الأقرابَ من عَرَقٍ مُهْلاً

١٣٤ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٦]، قال: شديداً ليس له ملجأ، أمَا سمعتَ قول الشاعر:

وخِزْيُ الحياة وخِزْيُ المماتِ وكُلاًّ أَرَاهُ طعاماً وَبِيلا

١٣٥ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾ [ق: ٣٦]، قال: هربوا، بلغة اليمن، أما سمعتَ قول عَدِيّ بن زيد:

نَقَّبُوا في البلادِ مِنْ حَذَرِ المَوْ تِ وجالُوا في الأرضِ أيَّ مجَالِ

١٣٦ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]، قال: الوطء الخفيّ والكلام الخفيّ، أما سمعتَ قول الشاعر:

فباتُوا يُدْلِجُونَ وباتَ يَسْرِي بصيرٌ بالدُّجا هَادٍ هَمُوسِ

١٣٧ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿مُّقْمَحُونَ﴾ [يس: ٨]، قال: المقمَح: الشامخ بأنفه، المنكِّس رأسَه، أمَا سمعتَ قول الشاعر[(١)]:

وَنَحْنُ عَلَى جوانِبِهَا قُعُودٌ نَغُضُّ الطَّرْفَ كالإبلِ القِمَاحِ

١٣٨ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥]، قال: المَرِيج: الباطل، أمَا سمعتَ قول الشاعر[(٢)]:

فراعت فابْتَدرتُ بها حَشَاهَا فخرَّ كأنَّهُ خُوطٌ مَرِيجُ

١٣٩ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]، قال: الحَتْم: الواجبُ، أما سمعت قول أُميّة:

عبادك يُخطِئون وأنتَ ربٌّ بكَفَّيكَ المَنَايا والحُتومُ

١٤٠ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَأَكْوَابٌ﴾ [الزخرف: ٧١]، قال: القِلال التي لا عُرَى لها، أمَا سمعت قول الهُذَليّ[(٣)]:

فلم يَنْطِقِ الدِّيكُ حتى مَلأ تُ كُوُوبَ الدِّنان لَهُ فاسْتَدَارَا

١٤١ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات: ٤٧]، قال: لا يسكرون، أما سمعت قول عبد الله بن رواحة:

---

(١) هو بشر بن أبي خازم «ديوانه» ٤٨.

(٢) هو عمرو بن الداخل الهذلي، «شرح أشعار الهذليين» ٦١١، والصواب: فراغت، فانتقدتُ.

(٣) البيت للأعشى «ديوانه» ٨٣، والصواب: كُوبَ الرَّبَابِ.

ثُــم لا يُــنْــزَفُــون عَــنْــهَــا ولَــكِــنْ يَــذهَــبُ الــهــمُّ عــنــهــمُ والــغَــلِــيــلُ

١٤٢ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥]، قال: ملازماً شديداً كلزوم الغريم الغريم، أما سمعتَ قول بشر بن أبي حازم:

وَيَــومَ الــنِّــسَــارِ ويَــوْمَ الــجِــفَــا رِ كَــابــاً عَــذَابــاً وَكَــانَــا غَــرَامَــا

١٤٣ ـ قال أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَالتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق: ٧]، قال: هو موضع القلادة من المرأة، أما سمعت قول الشاعر(١):

والــزَّعْــفَــرانُ عَــلَــى تَــرَائِــبِــهَــا شَــرِقــاً بــه الــلَّــبَّــاتُ والــنَّــحْــرُ

١٤٤ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الفتح: ١٢]، قال: هَلْكَى، بلغة عُمان، وهم من اليمن، أما سمعت قول الشاعر:

فــلا تــكــفــروا مــا قَــدْ صــنــعــنــا إلــيــكــمــو وكــافُــوا بــه فــالــكُــفْــرُ بُــورٌ لِــصَــانِــعِــهْ

١٤٥ ـ قال: فأخبرني عن قوله تعالى: ﴿نَفَشَتْ﴾ [الأنبياء: ٧٨]. قال: النَّفْشُ: الرَّعي بالليل، أمَا سمعت قول لبيد(٢):

بُــدِّلْــنَ بَــعْــدَ الــنَّــفَــشِ الــوَجِــيــفَــا وَبَــعْــدَ طُــولِ الــجِــرَّةِ الــصَّــرِيــفَــا

١٤٦ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤]. قال: الجَدِل المُخَاصِمُ في الباطل، أما سمعت قول مُهَلْهِل(٣):

إنَّ تَــحْــتَ الأحْــجَــارِ حَــزْمــاً وَجُــوداً وخَــصِــيــمــاً أَلَــدَّ ذا مِــعْــلاقِ

١٤٧ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: ٦٩]. قال: النَّضِيج ممَّا يشوى بالحجارة، أما سمعت قول الشاعر:

لــهــم رَاحٌ وفــارُ الــمِــسْــكِ فِــيــهِــمْ وشــاويــهــم إذا شــاؤوا حَــنِــيــذا

١٤٨ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿مِّنَ الْأَجْدَاثِ﴾ [يس: ٥١]. قال: القبور، أما سمعتَ قول ابن رَوَاحة:

حِــيــنــاً يــقــولــون إذا مَــرُّوا عــلــى جَــدَثــي أَرْشِــدْهُ يــا رَبِّ مِــنْ عــانٍ وَقَــدْ رَشَــدَا(٤)

١٤٩ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿هَلُوعًا﴾ [المعارج: ١٩]. قال: ضَجِراً جَزُوعاً، أما سمعتَ قول بشر بن أبي خازم:

لا مــانــعــاً لــلــيــتــيــم نِــحْــلَــتَــهُ و مُــكِــبَّــا لــخــلــقِــه هَــلِــعَــا

١٥٠ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص: ٣]. قال: ليس بحين فرار، أما سمعتَ قول الأعشى:

---

(١) أبو بكر بن المسور بن مخرمة الزهري. «الأغاني» ٨/ ٣٢٣.
(٢) ملحق «ديوانه» ٣٥١.
(٣) «الكامل» ٤٤.
(٤) الصواب: من غازٍ.

تَـذَكَّـرْتُ لَـيْـلَـى حِـيـنَ لاتَ تَـذكُّـرٍ وقـد بـنـتْ مـنـهـا والـمـنـاصُ بَـعـيـد

١٥١ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَدُسُرٍ﴾ [القمر: ١٣]، قال: الدُّسُر الذي تُخْرَزُ به السفينة، أَمَا سمعتَ قول الشاعر:

سَـفِـيـنـةُ نُـوتـيٍّ قَـدْ احْـكِـمَ صُـنْـعُـهـا مُـنَـحَّـتَـةُ الألْـواحِ مـنـسُـوجَـةُ الـدُّسُـرْ

١٥٢ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿رِكْزًا﴾ [مريم: ٩٨]، قال: حِسًّا، أما سمعت قول الشاعر:

وقـد تـوَجَّـس ركـزاً مـقْـفِـرٌ نَـدُسٌ بـنـبـأة الـصَّـوْت مـا فـي سَـمـعِـه كَـذِبُ

١٥٣ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿بَاسِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٤]، قال: كالحة، أما سمعتَ قول عَبيد بن الأبرص:

صَـبَـحـنـا تَـمِـيـمـاً غـدَاةَ الـنِّـسـا ر شَـهْـبـاءَ مَـلْـمُـومـةً بـاسِـرَهْ

١٥٤ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ضِيزَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٢]، قال: جائرة، أما سمعت قول امرئ القيس[(١)]:

ضـازَتْ بَـنُـو أَسَـدٍ بـحُـكْـمِـهـم إذْ يَـعْـدِلُـونَ الـرأسَ بـالـذَّنَـبِ

١٥٥ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، قال: لم تغيِّره السنون، أما سمعتَ قول الشاعر:

طَـابَ مِـنْـهُ الـطَّـعْـمُ والـرِّيـحُ مَـعـاً لَـنْ تـراه مـتـغـيِّـراً مِـنْ أَسَـنْ[(٢)]

١٥٦ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿خَتَّارٍ﴾ [لقمان: ٣٢]، قال: الغدَّار الظلوم الغَشُوم، أما سمعتَ قول الشاعر:

لـقـد عَـلِـمَـتْ واسـتـيـقـنـتْ ذاتُ نـفـسِـهـا بـألاَّ تـخـافَ الـدَّهـرَ صَـرْمـي ولا خَـتْـرِي

١٥٧ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ [سبأ: ١٢]، قال: الصُّفْر، أما سمعتَ قول الشاعر:

فـألْـقـى فـي مَـراجِـلَ مـن حـديـدٍ قُـدُورَ الـقِـطْـرِ لَـيْـسَ مـن الـبُـرَاةِ

١٥٨ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ [سبأ: ١٦]، قال: الأراك، أما سمعتَ قول الشاعر:

---

(١) ملحق «ديوانه» ٤٥٧.

(٢) قال الدكتور الدالي: ليس قوله: (أسن) من مادة لفظ الآية «يتسنه»، وهو شاهد على المعنى لا على اللفظ. ويتسنَّه قيل: هو من (السنة) وأصله يتسنّى على أن لامها واو، فحذفت الياء للجزم، والهاء للوقف. وقيل: أصله يتسنّه على أن لام السنة هاء، وسكون الهاء فيه علامة الجزم. وقيل: أصله يتسنن، ثم أبدلت النون الأخيرة ياء، فحذفت للجزم، والهاء للوقف. ص ١٤٦، وانظر «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٧٢، و«الكامل» ص ٤٨٦ .

وما مُغْزِلٌ فَرْدٌ تُراعِي بِعَينها أغَنَّ غَضِيضَ الطَّرْف من خَلَلِ الخَمْطِ

١٥٩ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ٱشْمَأَزَّتْ﴾ [الزمر: ٤٥]، قال: نَفَرت، أما سمعتَ قول عمرو بن كلثوم(١):

إذا عَضَّ الثِّقافُ بها اشمأزَّتْ وولَّتْهُ عَشَوْزَنَةً زَبُونَا

١٦٠ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿جُدَدٌۢ﴾ [فاطر: ٢٧]، قال: طرائق، أما سمعت قول الشاعر:

قد غادر النِّسْعُ في صفحاتها جُدَداً كأنَّها طُرُقٌ لاَحَتْ على أكَمِ

١٦١ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ [النجم: ٤٨]، قال: أغنى من الفقر، وأقنى من الغنى فقنع به، أما سمعتَ قول عنترة العبسي(٢):

فاقْنَيْ حَيَاءَكِ لا أبَا لَكِ واعلَمي أنّي امرؤٌ سَأَمُوتُ إنْ لَمْ أُقْتَلِ

١٦٢ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿لَا يَلِتْكُم﴾ [الحجرات: ١٤]، قال: لا ينقصكم، بلغة بني عبس، أما سمعتَ قول الحطيئة العبسي(٣):

أبْلِغْ سَرَاةَ بني سَعْدٍ مُغَلْغَلَةً جَهْدَ الرِّسالةِ لا ألْتاً ولا كذبا

١٦٣ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١]، قال: الأَبّ: ما تعتلف منه الدواب، أما سمعت قول الشاعر:

تَرى به الأبَّ واليَقْطِينَ مختلِطاً على الشَّريعة يجري تحتها الغَرْبُ

١٦٤ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ [البقرة: ٢٣٥]، قال: السِّر: الجماعُ، أما سمعتَ قول امرئ القيس(٤):

ألا زَعَمَتْ بَسْبَاسةُ اليَوْمَ أنَّني كَبِرْتُ وألَّا يُحسِنُ السِّرَّ أمثالي

١٦٥ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل: ١٠]، قال: تَرْعَوْنَ، أما سمعت قول الأعشى(٥):

ومَشَى القَوْمُ بالعِمَادِ إلى الدَّرْ حاء وأعيا المُسِيمُ أيْنَ المَسَاقُ

١٦٦ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]، قال: لا تخشون لله عظمة، أما سمعتَ قول أبي ذؤيب:

إذا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرجُ لَسْعَهَا وخالَفَها في بَيْتِ نُوبٍ عَوَاسِلِ

---

(١) من معلقته «ديوانه» ٨٩.
(٢) «ديوانه» ٢٥٢.
(٣) «ديوانه» ١٣٥.
(٤) «ديوانه» ٢٨.
(٥) «ديوانه» ٢٤٩، والصواب: إلى الرَّزْ حى . . .

١٦٧ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٦]، قال: ذا حاجة وجهد، أما سمعت قول الشاعر:

تـربَـتْ يـدٌ لـكَ ثُـمَّ قَـلَّ نـوالُـهـا ... وتَـرفَّـعَـتْ عَـنْـكَ الـسَّـمَـاءُ سِجَـالُـهـا

١٦٨ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ [إبراهيم: ٤٣]، قال: مذعنين خاضعين، أما سمعتَ قول تُبّع:

تَـعَـبَّـدَنـي نِـمـرُ بـن سـعـدٍ وقـد دَرى ... ونِـمـرُ بـنُ سَـعْـدٍ لـي مـديـنٌ ومُـهْـطِـعُ

١٦٩ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، قال: ولداً، أما سمعتَ قول الشاعر:

أمـا الـسَّـمِـيُّ فـأنـت مـنـه مُـكْـثِـرُ ... والـمـالُ فـيـه تَـغْـتَـدي وتَـروحُ

١٧٠ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿يُصْهَرُ﴾ [الحج: ٢٠]، قال: يُذاب، أما سمعت قول الشاعر:

سَـخُـنـتْ صُـهَـارتُـه فـظَـلَّ عُـثـانُـهُ ... فـي سَـيْـطَـلٍ كُـفِـيـتْ بـه يَـتـرَدَّدُ

١٧١ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ [القصص: ٧٦]، قال: لَتثْقُل، أما سمعت قول امرئ القيس[(١)]:

تـمـشـي فـتُـثـقِـلـهـا عَـجـيـزَتُـهَـا ... مَـشْـيَ الـضَّـعِـيـف يـنـوءُ بـالـوَسْـقِ

١٧٢ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢]، قال: أطراف الأصابع، أما سمعتَ قول عنترة[(٢)]:

فَـنِـعْـمَ فـوارسُ الـهَـيْـجَـاءِ قـومـي ... إذا عَـلِـقُـوا الأسـنَّـةَ بـالـبَـنَـانِ

١٧٣ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿إِعْصَارٌ﴾ [البقرة: ٢٦٦]، قال: الريح الشديدة، أما سمعت قول الشاعر:

فَـلَـهُ فـي آثـارِهِـنَّ خُـوَارٌ ... وحَـفِـيـفٌ كـأنَّـهُ إعْـصَـارُ

١٧٤ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿مُرَٰغَمًا﴾ [النساء: ١٠٠]، قال: مُنْفَسحاً، بلغة هذيل، أما سمعت قول الشاعر:

وأتـرُكُ أرضَ جَـهْـرَةَ إنَّ عِـنْـدي ... رجـاءً فـي الـمُـرَاغَـمِ والـتَّـعـادِي

١٧٥ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿صَلْدًا﴾ [البقرة: ٢٦٤]، قال: أملس، أما سمعتَ قول أبي طالب:

وإنـي لَـقَـرْمٌ وابـنُ قَـرْمٍ لـهـاشـمٍ ... لآبـاءِ صِـدْقٍ مـجـدُهـم مَـعْـقِـلٌ صَـلْـدُ

---

(١) ملحق «ديوانه» ٤٦٦.

(٢) «ديوانه» ٢٩٧.

١٧٦ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [القلم: ٣]، قال: غير منقوص، أما سمعت قول زهير:

فَضْلَ الجواد على الخيل البطاء فلا ... يُعْطِي بذلك مَمْنُوناً ولا نَزِقا

١٧٧ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿جَابُوا الصَّخْرَ﴾ [الفجر: ٩]، قال: نقبوا الحجارة في الجبال، فاتخذوها بيوتاً، أما سمعتَ قول أمية[1]:

وشَقَّ أَبْصَارَنَا كيما نَعِيشَ بِهَا ... وَجَابَ لِلسَّمْعِ أَصْمَاخاً وآذَانَا

١٧٨ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠]، قال: كثيراً، أما سمعت قول أمية[2]:

إن تغفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمَّا ... وَأيّ عبدٍ لَكَ لا ألمّا

١٧٩ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿غَاسِقٍ﴾ [الفلق: ٣]، قال: الظلمة، أما سمعت قول زهير:

ظَلَّتْ تَجُوب يَدَاهَا وَهْيَ لاَهِيَةٌ ... حَتى إذا جنح الإظلام وَالغَسَقُ

١٨٠ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة: ١٠]، قال: النفاق، أما سمعت قول الشاعر[3]:

أُجَامِلُ أَقْوَاماً حَيَاءً وَقَدْ أَرَى ... صُدُورَهُمُ تَغْلِي عليّ مِرَاضُها

١٨١ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥]، قال: يلعبون ويترددون، أما سمعت قول الأعشى[4]:

أراني قَدْ عَمِهْتُ وَشَابَ رَأسي ... وَهَذا اللَّعْبُ شَيْنٌ بالكَبِير

١٨٢ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]، قال: خالقكم، أما سمعت قول تُبَّع[5]:

شَهِدْتُ على أحمدٍ أنَّهُ ... رَسُولٌ مِنَ الله بارِي النَّسَمْ

١٨٣ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢]، قال: لا شكّ فيه، أما سمعت قول ابن الزِّبَعْرَى:

لَيْسَ في الحقِّ يا أُمامةُ ريبٌ ... إنَّما الرَّيْبُ ما يَقُولُ الكَذُوبُ

١٨٤ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]، قال: طبع عليها، أما سمعت قول الأعشى[6]:

وَصَهْبَاءَ طاف يَهُودِيُّهَا ... فأَبْرَزَهَا وعليها خُتُمْ

---

(١) أمية بن أبي الصلت «ديوانه» ٥٢١.
(٢) ابن أبي الصلت «ديوانه» ٤٩١.
(٣) هو الشماخ «ديوانه» ٢١٥.
(٤) ملحق «ديوان الأعشين» ٢٤٤.
(٥) هو تبع الأوسط أسعد الكامل.
(٦) «ديوانه» ٧١.

١٨٥ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿صَفْوَانٍ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، قال: الحجر الأملس، أما سمعتَ قول أوس بن حَجْر:

عَلَى ظَهْرِ صفوانٍ كأَنَّ مُتُونَهُ ... عُلِلْنَ بِدُهْنٍ يُزْلِقُ المتنزِّلا

١٨٦ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فِيهَا صِرٌّ﴾ [آل عمران: ١١٧]، قال: بَرْد، أما سمعت قول نابغة[١]:

لا يَبْرَمُون إذا ما الأرضُ جلَّلها ... صِرُّ الشتاء من الإمْحَالِ كالأَدَمِ

١٨٧ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١]، قال: توطِّن المؤمنين، أما سمعت قول الأعشى[٢]:

وما بوَّأ الرَّحمنُ بيتَك منزِلاً ... بأجياد غَرْبيّ الصَّفا والمُحَرَّمِ

١٨٨ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿رِبِّيُّونَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، قال: جموع كثيرة، أما سمعت قول حسَّان:

وإذا معشرٌ تجافَوْا عَن القَصْـ ... ـدِ حَمَلْنَا عليهمُ ربِّيَّا

١٨٩ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿مَخْمَصَةٍ﴾ [المائدة: ٣]، قال: مجاعة، أما سمعت قول الأعشى[٣]:

تَبِيتُونَ في المَشْتَى مِلاءً بُطُونُكُمْ ... وجاراتُكُمْ سُغْبٌ يَبِتْنَ خمائِصَا

١٩٠ ـ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٣]، قال: ليكتسبوا ما هم مكتسبون، أما سمعت قولَ لبيد[٤]:

وإني لآتٍ ما أَتيْتُ وإنني ... لِمَا اقْتَرَفَتْ نفسِي عليَّ لَرَاهِبُ

هذا آخر مسائل نافع بن الأزرق، وقد حذفت منها يسيراً نحو بضعة عشر سؤالاً، وهي أسئلة مشهورة، أخرج الأئمة أفراداً منها بأسانيد مختلفة إلى ابن عباس.

وأخرج أبو بكر بن الأنباري في كتاب «**الوقف والابتداء**»[٥] منها قطعة، وهي المعلم عليها بالحمرة صورة (ك). قال: حدّثنا بشر بن أنس، أنبأنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق، أنبأنا أبو صالح هُدْبة بن مجاهد، أنبأنا مجاهد بن شجاع، أنبأنا محمد بن زياد اليشكريّ، عن ميمون بن مهران قال: دخل نافع بن الأزرق المسجدَ.. فذكره.

وأخرج الطبراني في «**معجمه الكبير**»[٦] منها قطعة وهي المعلم عليها صورة (ط) من طريق جُويبر، عن الضحَّاك بن مزاحم، قال: خرج نافع بن الأزرق...، فذكره.

---

(١) الذبياني، «ديوانه» ١٢٧.

(٢) «ديوانه» ١٥٩.

(٣) «ديوانه» ١٨٥.

(٤) «ديوانه»؛ متفرقات ٣٤٩.

(٥) «الوقف والابتداء» ١/ ٧٦.

(٦) (١٠٥٩٧) وقد سبق تخريجه.

النوع السابع والثلاثون

فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز

تقدم الخلاف في ذلك في النَّوع السادس عشر، ونُورد هنا أمثلة ذلك، وقد رأيت فيه تأليفاً مفرداً.

أخرج أبو عُبيد[(١)] من طريق عِكْرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ [النجم: ٦١]. قال: الغناء، وهي يمانية.

وأخرج ابن أبي حاتم عن عِكْرمة: هي بالحميريّة.

وأخرج أبو عُبيد[(٢)] عن الحسن قال: كنَّا لا ندري ما الأرائك؟ حتى لقِيَنا رجلٌ من أهل اليمن، فأخبرنا أن الأريكة عندهم: الحَجَلة[(٣)] فِيها السرير.

وأخرج[(٤)] عن الضحَّاك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ [القيامة: ١٥]. قال: سُتوره بلغة أهل اليمن.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك في قوله تعالى: ﴿لَا وَزَرَ﴾ [القيامة: ١١] قال: لا حِيَل، وهي بلغة أهل اليمن.

وأخرج عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ﴾ [الدخان: ٥٤]. قال: هي لغة يمانية؛ وذلك أنَّ أهلَ اليمن يقولون: زوّجنا فلاناً بفلانة. قال الرَّاغب في «مفرداته»[(٥)]: ولم يجئ في القرآن: (زَوَّجْناهم حوراً) كما يقال: زوجته امرأة، تنبيهاً أنَّ ذلك لا يكون على حسب المتعارف فيما بيننا بالمناكحة.

وأخرج عن الحسن في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ [الأنبياء: ١٧]. قال: اللَّهو ـ بلسان اليمن ـ المرأة.

وأخرج عن محمد بن عليّ في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ [هود: ٤٢] قال: هي ـ بلغة طيّئ ـ ابن امرأته.

قلت: وقد قرئ: (ونادَى نوحٌ ابنَها).

وأخرج عن الضحَّاك في قوله تعالى: ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦]، قال: عنباً بلغة أهل عُمَان، يسمّون العنب خمراً.

وأخرج ابن عباس في قوله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ [الصافات: ١٢٥]، قال: رَبًّا، بلغة أهل اليمن. وأخرج عن قتادة قال: بعلاً: ربًّا، بلغة أزْدشنوءة[(٦)].

---

(١) في «فضائل القرآن» ص ٣٤٢. (٢) في «فضائل القرآن» ص ٣٤١.

(٣) الحَجَلة: واحدة حِجَال العروس، وهي: بيتٌ يُزَيَّن بالثياب والأسِرَّة والسُّتُور. «مختار الصحاح»: حجل.

(٤) ابن عبيد في «فضائل القرآن» ص ٣٤٢. (٥) مادة: زوج.

(٦) «الوقف» ١/ ٧٣.

وأخرج أبو بكر بن الأنباريّ في كتاب «**الوقف**»[1] عن ابن عباس قال: الوزَر: ولد الولد، بلغة هُذَيل.

وأخرج فيه عن ابن الكلبي قال: المرجان صِغارُ اللؤلؤ، بلغة اليمن[2].

وأخرج في كتاب «**الرد على من خالف مصحف عثمان**» عن مجاهد قال: الصُّواع: الطِّرجهالة، بلغة حِمْير.

وأخرج فيه عن أبي صالح في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْئَسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الرعد: ٣١]، قال: أفلم يعلموا؟ بلغة هوازن، وقال الفرَّاء: قال الكلبيّ: بلغة النَّخع.

وفي مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس: ﴿يَفْتِنَكُمُ﴾ [النساء: ١٠١]: يضلكم، بلغة هوازن.

وفيها: ﴿بُورًا﴾ [الفرقان: ١٨]: هَلْكى، بلغة عُمَان.

وفيها: ﴿فَنَقَّبُواْ﴾ [ق: ٣٦]: هربوا، بلغة اليمن.

وفيها: ﴿لَا يَلِتْكُم﴾ [الحجرات: ١٤]: لا ينقصكم، بلغة بني عبس.

وفيها: ﴿مُرَٰغَمًا﴾ [النساء: ١٠٠]: منفسَحاً، بلغة هذيل.

وأخرج سعيد بن منصور في «**سننه**» عن عَمْرو بن شُرَحْبيل في قوله تعالى: ﴿سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ [سبأ: ١٦]. المسنَّاة، بلغة أهل اليمن.

وأخرج جُويبر في «**تفسيره**»، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء: ٥٨]. قال: مكتوباً، وهي لغةٌ حِمْيرية، يسمون الكتاب (أسطوراً).

وقال أبو القاسم ـ في الكتاب[3] الذي ألَّفه في هذا النوع ـ في القرآن:

بلغة كنانة: ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة: ١٣] الجهال. ﴿خَـٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥] صاغرين. ﴿شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٤] تِلْقاءه. ﴿لَا خَلَـٰقَ﴾ [آل عمران: ٧٧] لا نصيب. ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ [المائدة: ٢٠] أحراراً. ﴿قَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٩٢] عياناً. ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٤] سابقين. ﴿يَعْزُبُ﴾ [يونس: ٦١] يغيب. ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ﴾ [هود: ١١٣] ولا تميلوا. ﴿فِى فَجْوَةٍ﴾ [الكهف: ١٧] ناحية. ﴿مَوْئِلًا﴾ [الكهف: ٥٨] ملجأ. ﴿مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤] آيسون. ﴿دُحُورًا﴾ [الصافات: ٩] طرداً. ﴿ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠] الكذَّابون. ﴿أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥] كتباً. ﴿أُقِّتَتْ﴾ [المرسلات: ١١] جمعت. ﴿لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦] كَفُورٌ للنِّعَم.

وبلغة هذيل: ﴿وَٱلرُّجْزَ﴾ [المدثر: ٥] العذاب. ﴿شَرَوْاْ﴾ [البقرة: ١٠٢] باعوا. ﴿عَزَمُواْ ٱلطَّلَـٰقَ﴾ [البقرة: ٢٢٧] حققوا. ﴿صَلْدًا﴾ [البقرة: ٢٦٤] نقياً. ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ [آل عمران: ١١٣] ساعاته. ﴿مِّن فَوْرِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٢٥] وجههم. ﴿مِّدْرَارًا﴾ [الأنعام: ٦] متتابعاً. ﴿فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]

---

(١) «الوقف» ١/ ٧٤. (٢) «الوقف» لابن الأنباري ١/ ٧٢.

(٣) هو صاحب كتاب «لغات القرآن»، وسيأتي قريباً في النوع ٣٨.

مَخرجاً. ﴿حَرَضٍ﴾ [الأنفال: ٦٥] حُضّ. ﴿عَيۡلَةً﴾ [التوبة: ٢٨] فاقة. ﴿وَلِيجَةٗۚ﴾ [التوبة: ١٦] بطانة. ﴿ٱنفِرُواْ﴾ [التوبة: ٣٨] اغزوا. ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ [التوبة: ١١٢] الصائمون. ﴿ٱلۡعَنَتَ﴾ [النساء: ٢٥] الإثم. ﴿بِبَدَنِكَ﴾ [يونس: ٩٢] بدرعك. ﴿غُمَّةٗ﴾ [يونس: ٧١] شبهة. ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ [الإسراء: ٧٨] زوالها. ﴿شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤] ناحيته. ﴿رَجۡمَۢا﴾ [الكهف: ٢٢] ظناً. ﴿مُلۡتَحَدٗا﴾ [الكهف: ٢٧] ملجأ. ﴿يَرۡجُواْ﴾ [الكهف: ١١٠] يخاف. ﴿هَضۡمٗا﴾ [طه: ١١٢] نقصاً. ﴿هَامِدَةٗ﴾ [الحج: ٥] مغبرَّة. ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ﴾ [لقمان: ١٩] أسرع. ﴿ٱلۡأَجۡدَاثِ﴾ [يس: ٥١] القبور. ﴿ثَاقِبٞ﴾ [الصافات: ١٠] مضيء. ﴿بَالَهُمۡ﴾ [القتال: ٢] حالهم. ﴿يَهۡجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧] ينامون. ﴿ذَنُوبٗا﴾ [الذاريات: ٥٩] عذاباً. ﴿وَدُسُرٖ﴾ [القمر: ١٣] المسامير. ﴿مِن تَفَٰوُتٖۖ﴾ [الملك: ٣] عَيْب. ﴿أَرۡجَآئِهَاۚ﴾ [الحاقة: ١٧] نواحيها. ﴿أَطۡوَارًا﴾ [نوح: ١٤] ألواناً. ﴿بَرۡدٗا﴾ [النبأ: ٢٤] نوماً. ﴿وَاجِفَةٌ﴾ [النازعات: ٨] خائفة. ﴿مَسۡغَبَةٖ﴾ [البلد: ١٤] مجاعة. ﴿ٱلۡمُبَذِّرِينَ﴾ [الإسراء: ٢٧] المسرفين.

وبلغة حِمْير: ﴿أَن تَفۡشَلَا﴾ [آل عمران: ١٢٢] أن تَجْبُنا. ﴿عُثِرَ﴾ [المائدة: ١٠٧] اطَّلع. ﴿فِي سَفَاهَةٖ﴾ [الأعراف: ٦٦] جنون. ﴿فَزَيَّلۡنَا﴾ [يونس: ٢٨] فميّزنا. ﴿مَرۡجُوّٗا﴾ [هود: ٦٢] حقيراً. ﴿ٱلسِّقَايَةَ﴾ [يوسف: ٧٠] الإناء. ﴿مَّسۡنُونٖ﴾ [الحجر: ٢٦] مُنتن. ﴿إِمَامٖ﴾ [يس: ١٢] كتاب. ﴿فَسَيُنۡغِضُونَ﴾ [الإسراء: ٥١] يحرِّكون. ﴿حُسۡبَانٗا﴾ [الكهف: ٤٠] برداً. ﴿مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا﴾ [مريم: ٨] نُحولاً. ﴿مَـَٔارِبُ﴾ [طه: ١٨] حاجات. ﴿خَرۡجًا﴾ [الكهف: ٩٤] جُعْلاً. ﴿غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥] بلاء. ﴿ٱلصَّرۡحَۖ﴾ [النمل: ٤٤] البيت. ﴿أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ﴾ [لقمان: ١٩] أقبحها. ﴿يَتِرَكُمۡ﴾ [محمد: ٣٥] ينقصكم. ﴿مَدِينِينَ﴾ [الواقعة: ٨٦] محاسبين. ﴿رَّابِيَةً﴾ [الحاقة: ١٠] شديدة. ﴿وَبِيلٗا﴾ [المزمل: ١٦] شديداً.

بلغة جُرهم: ﴿بِجَبَّارٖۖ﴾ [ق: ٤٥] بمسلط. ﴿مَرَضٞ﴾ [الأحزاب: ٣٢] زنا. ﴿ٱلۡقِطۡرِۖ﴾ [سبأ: ١٢] النحاس. ﴿مَحۡشُورَةٗۖ﴾ [ص: ١٩] مجموعة. ﴿مَعۡكُوفًا﴾ [الفتح: ٢٥] محبوساً. ﴿فَبَآءُو﴾ [البقرة: ٩٠] استوجبوا. ﴿شِقَاقٖۖ﴾ [البقرة: ١٣٧] ضلال. ﴿خَيۡرًا﴾ [البقرة: ١٨٠] مالاً. ﴿كَدَأۡبِ﴾ [آل عمران: ١١] كأشباه. ﴿تَعُولُواْ﴾ [النساء: ٣] تميلوا. ﴿لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ﴾ [الأعراف: ٩٢] لم يتمتعوا. ﴿فَشَرِّدۡ﴾ [الأنفال: ٥٧] نكّل. ﴿أَرَاذِلُنَا﴾ [هود: ٢٧] سفلتنا. ﴿عَصِيبٞ﴾ [هود: ٧٧] شديد. ﴿لَفِيفٗا﴾ [الإسراء: ١٠٤] جميعاً. ﴿مَّحۡسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩] منقطعاً. ﴿حَدَبٖ﴾ [الأنبياء: ٩٦] جانب. (الخلال) السحاب(١). ﴿ٱلۡوَدۡقَ﴾ [النور: ٤٣] المطر. ﴿لَشِرۡذِمَةٞ﴾ [الشعراء: ٥٤] عصابة. ﴿رِيعٍ﴾ [الشعراء: ١٢٨] طريق. ﴿يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦] يخرجون. ﴿لَشَوۡبٗا﴾ [الصافات: ٦٧] مزجاً. ﴿ٱلۡحُبُكِ﴾ [الذاريات: ٧] الطرائق. ﴿بِسُورٖ﴾ [الحديد: ١٣] الحائط.

وبلغة أزدشنوءة: ﴿لَّا شِيَةَ﴾ [البقرة: ٧١] لا وَضَح(٢). العضل ﴿فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢]

---

(١) في قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ ...﴾ [النور: ٤٣].

(٢) الوَضَحُ: الضوءُ والبياض، وقد يُكْنَى به عن البرص. «مختار الصحاح»: وَضَحَ.

و[النساء: ١٩] الحَبْس. ﴿أُمَّةٍ﴾ [هود: ٨] سنين. ﴿ٱلرَّسِّ﴾ [الفرقان: ٣٨] البئر. ﴿كَٰظِمِينَۚ﴾ [غافر: ١٨] مكروبين. ﴿غِسۡلِينٖ﴾ [الحاقة: ٣٦] الحارّ الذي تناهى حرُّه. ﴿لَوَّاحَةٞ﴾ [المدثر: ٢٩] حرَّاقة.

وبلغة مذحِج: ﴿رَفَثُ﴾ [البقرة: ١٩٧] جماع. ﴿مُّقِيتٗا﴾ [النساء: ٨٥] مُقْتَدراً. ﴿بِظَٰهِرٖ مِّنَ ٱلۡقَوۡلِۗ﴾ [الرعد: ٣٣] بكذب. ﴿بِٱلۡوَصِيدِۚ﴾ [الكهف: ١٨] الفِناء. ﴿حُقُبٗا﴾ [الكهف: ٦٠] دهراً. و﴿ٱلۡخُرۡطُومِ﴾ [القلم: ١٦] الأنف.

وبلغة خثعم: ﴿تُسِيمُونَ﴾ [النحل: ١٠] ترعون. ﴿مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥] منتشر. ﴿صَغَتۡ﴾ [التحريم: ٤] مالت. ﴿هَلُوعًا﴾ [المعارج: ١٩] ضجوراً. ﴿شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤] كذباً.

وبلغة قيس عيلان: ﴿نِحۡلَةٗۚ﴾ [النساء: ٤] فريضة. ﴿حَرَجٗا﴾ [النساء: ٦٥] ضيقاً. ﴿لَّخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٠] مُضَيّعون. ﴿تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف: ٩٤] تستهزئون. ﴿صَيَاصِيهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٢٦] حصونهم. ﴿تُحۡبَرُونَ﴾ [الزخرف: ٧٠] تنعمون. ﴿رَّجِيمٍ﴾ [الحجر: ١٧] ملعون. ﴿يَلِتۡكُم﴾ [الحجرات: ١٤] يَنْقُصكم.

وبلغة سعد العشيرة: ﴿وَحَفَدَةٗ﴾ [النحل: ٧٢] أختان. ﴿كَلٌّ﴾ [النحل: ٧٦] عِيال.

وبلغة كندة: ﴿فِجَاجٗا﴾ [الأنبياء: ٣١] طرقاً. ﴿وَبُسَّتِ﴾ [الواقعة: ٥] فُتِّتَتْ. ﴿تَبۡتَئِسۡ﴾ [هود: ٣٦] تحزن.

وبلغة عذرة: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] اخزوا.

وبلغة حضرموت: ﴿رِبِّيُّونَ﴾ [آل عمران: ١٤٦] رجال. ﴿دَمَّرۡنَا﴾ [الأعراف: ١٣٧] أهلكنا. ﴿لُغُوبٞ﴾ [فاطر: ٣٥] إعياء. ﴿مِنسَأَتَهُۥ﴾ [سبأ: ١٤] عصاه.

وبلغة غسَّان: ﴿وَطَفِقَا﴾ [الأعراف: ٢٢] عَمدًا. ﴿بَـِٔيسِۭ﴾ [الأعراف: ١٦٥] شديد. ﴿سِيٓءَ بِهِمۡ﴾ [هود: ٧٧] كرههم.

وبلغة مزينة: ﴿لَا تَغۡلُواْ﴾ [النساء: ١٧١] لا تزيدوا.

وبلغة لخم: ﴿إِمۡلَٰقٖ﴾ [الأنعام: ١٥١] جوع. ﴿وَلَتَعۡلُنَّ﴾ [الإسراء: ٤] ولتَقْهُرُنَّ.

وبلغة جُذام: ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾ [الإسراء: ٥] تخلَّلوا الأزقة.

وبلغة بني حنيفة: ﴿بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١] العهود. (الجَناح) اليد. و(الرَّهْبِ) الفزع.

وبلغة اليمامة: ﴿حَصِرَتۡ﴾ [النساء: ٩٠] ضاقت.

وبلغة سبأ: ﴿تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٢٧] تخطئوا خطأ بيِّناً. ﴿تَبَّرۡنَا﴾ [الفرقان: ٣٩] أهلكنا.

وبلغة سليم: ﴿نَكَصَ﴾ [الأنفال: ٤٨] رجع.

وبلغة عمارة: ﴿ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ [البقرة: ٥٥] الموت.

وبلغة طيّئ: ﴿يَنۡعِقُ﴾ [البقرة: ١٧١] يصيح. ﴿رَغَدٗا﴾ [البقرة: ٣٥] خصباً. ﴿سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ﴾ [البقرة: ١٣٠] خَسِرها. ﴿يسٓ﴾ [يس: ١] يا إنسان.

وبلغة خزاعة: ﴿أَفِيضُواْ﴾ [البقرة: ١٩٩] انفروا، والإفضاء: الجماع.

وبلغة عُمان: ﴿خَبَالًا﴾ [آل عمران: ١١٨] غيًّا. ﴿نَفَقًا﴾ [الأنعام: ٣٥] سرباً. ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: ٣٦] أراد.

وبلغة تميم: ﴿أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥] نسيان. ﴿بَغْيًا﴾ [البقرة: ٢١٣] حسداً.

وبلغة أنمار: ﴿طَٰٓئِرَهُۥ﴾ [الإسراء: ١٣] عمله. ﴿وَأَغْطَشَ﴾ [النازعات: ٢٩] أظلم.

وبلغة الأشعريين: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾ [الإسراء: ٦٢] لأستأصلن. ﴿تَارَةً﴾ [طه: ٥٥] مرة. ﴿ٱشْمَأَزَّتْ﴾ [الزمر: ٤٥] مالت ونفرت.

وبلغة الأوس: ﴿لِّينَةٍ﴾ [الحشر: ٥] النخل.

وبلغة الخزرج: ﴿يَنفَضُّواْ﴾ [المنافقون: ٧] يذهبوا.

وبلغة مدين: ﴿فَٱفْرُقْ﴾ [المائدة: ٢٥] فاقض.

انتهى ما ذكره أبو القاسم ملخَّصاً.

وقال أبو بكر الواسطيّ في كتابه: «**الإرشاد في القراءات العشر**»: في القرآن من اللُّغات خمسون لغة: لغة قريش، وهُذيل، وكِنانة، وخَثعم، والخَزْرج، وأَشْعَر، ونُمير، وقيْس عيلان، وجُرْهُم، واليَمن، وأَزْد شَنُوءة، وكِنْدة، وتَمِيم، وحِمْير، ومَدْيَن، ولَخْم، وسَعد العَشِيرة، وَحَضْرَمَوْت، وسَدُوس، والعمالقة، وأَنْمار، وغسان، ومَذْحج، وخُزاعة، وغَطَفان، وَسَبأ، وعُمَان، وبنو حَنِيفة، وثعلبة، وطَيّئ، وعامر بن صَعْصَعة، وأَوْس، ومُزَينة، وثَقِيف، وجُذَام، وبَلِيّ، وعُذْرة، وهوازِن، والنَّمِر، واليمامة.

ومن غير العربية: الفُرس، والرُّوم، والنَّبط، والحبشة، والبَرْبر، والسّريانية، والعِبْرانية، والقِبْط.

ثم ذكر في أمثلة ذلك غالب ما تقدم عن أبي القاسم، وزاد:

﴿ٱلرِّجْزُ﴾ [الأعراف: ١٣٤] العذاب، بلغة بَلِي. ﴿طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الأعراف: ٢٠١] نخسة، بلغة ثقيف. ﴿بِٱلْأَحْقَافِ﴾ [الأحقاف: ٢١] الرمال، بلغة ثعلبة.

وقال ابن الجوزيّ في «**فنون الأفنان**»[١]: في القرآن بلغة همذان:

﴿وَرَيْحَانٌ﴾ [الواقعة: ٨٩] الرزق. والعيناء: البيضاء. والعَبْقَرِيّ: الطنافس[٢].

وبلغة نصر بن معاوية: الخَتَّار: الغَدَّار [لقمان: ٣٢].

وبلغة عامر بن صعصعة: الحَفَدَةُ: الخَدَمُ[٣].

وبلغة ثقيف: العول: الميل [النساء: ٣].

---

(١) «فنون الأفنان» ص ٣٤٩.

(٢) العبقري في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦].

(٣) في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢].

وبلغة عكّ: (الصُّور): القرن [الأنعام: ٧٣].

وقال ابن عبد البرّ في «**التمهيد**»: قول من قال: نزل بلغة قريش معناه عندي: الأغلب؛ لأن غير لغة قريش موجودة في جميع القراءات، من تحقيق الهمزة ونحوها، وقريش لا تهمز.

وقال الشيخ جمال الدين بن مالك: أنزل الله القرآن بلغة الحجازيين إلا قليلاً، فإنه نزل بلغة التميميين، كالإدغام في: ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ﴾ [الحشر: ٤]، وفي: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ [المائدة: ٥٤]. فإن إدغام المجزوم لغة تميم، ولهذا قلّ، والفكّ لغة الحجاز؛ ولهذا كثر، نحو: ﴿وَلْيُمْلِلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، ﴿يُمْدِدْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٥]، و﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾ [طه: ٣١]، ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى﴾ [طه: ٨١].

قال: وقد أجمع القراء على نصب: ﴿إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ [النساء: ١٥٧]، لأن لغة الحجازيين التزام النصب في المنقطع، كما أجمعوا على نصب: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١]، لأن لغتهم إعمال (ما).

وزعم الزمخشري في قوله: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]: أنه استثناء منقطع جاء على لغة بني تميم.

فائدة: قال الواسطي: ليس في القرآن حرف غريب من لغة قريش غير ثلاثة أحرف، لأن كلام قريش سهل ليّن واضح، وكلام العرب وحشيّ غريب، فليس في القرآن إلا ثلاثة أحرف غريبة: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾ [الإسراء: ٥١] وهو تحريك الرأس. ﴿مُّقِيتًا﴾ [النساء: ٨٥] مقتدراً. ﴿فَشَرِّدْ بِهِم﴾ [الأنفال: ٥٧] سمّع.

النوع الثامن والثلاثون

فيما وقع فيه بغير لغة العرب

قد أفردتُ في هذا النوع كتاباً سمَّيته: «**المهذَّب فيما وقع في القرآن من المعَرَّب**»، وها أنا ألخّص هنا فوائدَه فأقول:

اختلف الأئمة في وقوع المعرَّب في القرآن:

فالأكثرون ـ ومنهم الإمام الشافعيّ وابن جَرير وأبو عُبيدة والقاضي أبو بكر وابن فارس ـ على عَدم وقوعه فيه؛ لقوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت: ٤٤]، وقد شدَّد الشافعيُّ النكير على القائل بذلك.

وقال أبو عُبيدة: إنّما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فمن زعم أنَّ فيه غير العربية فقد أعظم القولَ، ومن زعم أن ﴿كِذَّابًا﴾ [النبأ: ٢٨، ٣٥] بالنَّبَطيَّة، فقد أكبر القول.

وقال ابن فارس: لو كان فيه من لغة غير العرب شيء لتوهّم متوهِّم: أنَّ العرب إنما عَجَزتْ عن الإتيان بمثله، لأنه أتى بلغات لا يعرفونها.

وقال ابن جرير: ما ورد عن ابن عباس وغيره من تفسير ألفاظٍ من القرآن أنها بالفارسية أو الحبشية أو النَّبطية أو نحو ذلك، إنما اتفق فيها توارُدُ اللغات، فتكلَّمت بها العربُ والفرس والحبشة بلفظ واحد.

وقال غيره: بل كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلغتهم بعضُ مخالطةٍ لسائر الألسنة في أسفارهم، فعلقت من لغاتهم ألفاظاً غيّرت بعضَها بالنقص من حروفها، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها؛ حتى جرت مجرى العربيّ الفصيح، ووقع بها البيان، وعلى هذا الحد نزل بها القرآن.

وقال آخرون: كلّ هذه الألفاظ عربيَّة صِرْفة، ولكن لغة العرب متَّسعة جدًّا، ولا يبعد أن تخفى على الأكابرِ الجِلّة، وقد خفي على ابن عباس معنى ﴿فَاطِرِ﴾ و(فاتح)[1].

قال الشافعي في «**الرسالة**»: لا يحيط باللغة إلَّا نبيّ.

وقال أبو المعالي عُزَيزي بن عبد الملك: إنّما وُجدت هذه الألفاظ في لغة العرب، لأنها أوسع اللغات، وأكثرها ألفاظاً، ويجوز أن يكونوا سُبقوا إلى هذه الألفاظ.

وذهب آخرون إلى وقوعه فيه، وأجابوا عن قوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢] بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربيًّا، والقصيدة الفارسيّة لا تخرج عنها بلفظة فيها عربية. وعن قوله تعالى: ﴿ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت: ٤٤] بأن المعنى من السياق: أكلام أعجميٌّ ومخاطب عربيّ؟، واستدلّوا باتفاق النحاة على أنَّ منع صرف نحو (إبراهيم) للعلميَّة والعجمة. ورُدّ هذا الاستدلالُ بأن

---

(١) في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا﴾ [الأعراف: ٨٩]. انظر أول النوع (٣٦) السابق ذكره.

الأعلام ليستْ محلَّ خلاف، فالكلام في غيرها موجَّه: بأنه إذا اتفق على وقوع الأعلام فلا مانع من وقوع الأجناس.

وأقوى ما رأيته للوقوع ـ **وهو اختياري** ـ ما أخرجه ابنُ جرير بسند صحيح عن أبي ميسرة التابعيّ الجليل قال: في القرآن من كلّ لسان.

وروي مثله عن سعيد بن جبير ووهب بن منبّه.

فهذه إشارة إلى أن حكمة وقوع هذه الألفاظ في القرآن أنه حوى علومَ الأوَّلين والآخرين، ونَبأ كلِّ شيءٍ، فلا بدَّ أن تقع فيه الإشارةُ إلى أنواع اللغات والألسن ليتمَّ إحاطته بكلّ شيء، فاختير له من كلِّ لغة أعذبُها وأخفُّها وأكثرها استعمالاً للعرب. ثم رأيت ابن النَّقيب صرَّح بذلك، فقال: من خصائص القرآن على سائر كتب الله تعالى المنزَّلة أنها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم، ولم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم، والقرآن احتوى على جميع لغات العرب، وأُنزِل فيه بلغات غيرهم من الرُّوم والفرس والحبشة شيء كثير. انتهى.

وأيضاً: فالنبي ﷺ مرسَلٌ إلى كل أُمة، وقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤]، فلا بدَّ وأن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كلّ قوم، وإن كان أصله بلغة قومه هو.

وقد رأيت الخُوَيِّي ذكر لوقوع المعرَّب في القرآن فائدة أخرى، فقال: إن قيل: إن ﴿إِسۡتَبۡرَقٖ﴾[1] ليس بعربي، وغير العربي من الألفاظ دون العربيّ في الفصاحة والبلاغة، فنقول:

لو اجتمع فصحاء العالم وأرادوا أن يتركوا هذه اللفظة ويأتوا بلفظٍ يقوم مقامها في الفصاحة لعجزوا عن ذلك، وذلك لأنّ الله تعالى إذا حثَّ عباده على الطاعة، فإن لم يرغبْهم بالوعد الجميل ويخوّفهم بالعذاب الوبيل لا يكون حثُّه على وجه الحكمة، فالوعد والوعيد نظراً إلى الفصاحة واجب.

ثم إن الوعد بما يرغبُ فيه العقلاء، وذلك منحصر في أمور: الأماكن الطيبة، ثم المآكل الشهيَّة، ثم المشارب الهنيّة، ثم الملابس الرفيعة، ثم المناكح اللذيذة، ثم ما بعده ممَّا يختلف فيه الطباع، فإذنْ ذِكْرُ الأماكن الطيبة والوعد به لازمٌ عند الفصيح، ولو تركه لقال من أُمِرَ بالعبادة ووعِد عليها بالأكل والشرب: إنَّ الأكل والشرب لا أَلتذُّ به إذا كُنت في حَبس أو موضع كريه، فإذن ذَكر الله الجنَّة ومساكن طيبة فيها، وكان ينبغي أن يذكُر من الملابس ما هو أرفعها، وأرفعُ الملابس في الدُّنيا الحرير، وأما الذهب فليس ممّا ينسج منه ثوب.

ثم إنَّ الثوب الذي من غير الحرير لا يعتبر فيه الوزن والثقل، وربَّما يكون الصفيق الخفيف أرفعَ من الثقيل الوزن، وأمَّا الحرير: فكلَّما كان ثوبه أثقل كان أرفع؛ فحينئذ وجب على الفصيح أن يذكر الأثقل الأثخن، ولا يتركه في الوعد لئلا يُقصر في الحثّ والدعاء.

ثم هذا الواجب الذِّكر:

---

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الدخان: ٥٣]، وفي قوله: ﴿عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١].

إما أن يذكر بلفظ واحد موضوعٍ له صريح، أو لا يذكر بمثل هذا؛ ولا شكَّ أنَّ الذِّكر باللفظ الواحد الصريح أولى؛ لأنه أوجز وأظهر في الإفادة؛ وذلك: ﴿إِسْتَبْرَقٍ﴾، فإن أراد الفصيح أن يترك هذا اللفظ ويأتي بلفظ آخر لم يمكنه؛ لأنَّ ما يقوم مقامه إما لفظ واحد أو ألفاظ متعددة، ولا يجد العربيّ لفظاً واحداً يدلُّ عليه؛ لأنَّ الثِّياب من الحرير عرفها العرب من الفرس، ولم يكن لهم بها عهد، ولا وُضِعَ في اللغة العربية للدِّيباج الثخين اسمٌ، وإنما عرَّبوا ما سمعوا من العجم واستغنَوا به عن الوضع، لقلَّة وجوده عندهم ونُدرة تلفُّظهم به.

وأما إنْ ذكره بلفظين فأكثر: فإنه يكون قد أخلَّ بالبلاغة، لأنَّ ذكر لفظين لمعنى يمكن ذكرُه بلفظ [واحد] تطويلٌ، فعلم بهذا أن لفظ ﴿إِسْتَبْرَقٍ﴾ يجب على كلّ فصيح أن يتكلَّم به في موضعه، ولا يجد ما يقوم مقامه، وأيّ فصاحة أبلغ من ألا يوجد غيره مثله! انتهى.

وقال أبو عُبيد القاسم بن سلام بعد أن حكى القول بالوقوع عن الفقهاء والمنع عن أهل العربية: والصواب عندي مذهبٌ فيه تصديقُ القَوْلَيْن جميعاً؛ وذلك: أنَّ هذه الأحرف أُصولها أعجمية كما قال الفقهاء، لكنها وقعت للعرب، فعرَّبتها بألسنتها وحَوَّلَتها عن ألفاظ العَجَم إلى ألفاظها، فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال: إنَّها عربية فهو صادق، ومن قال: أعجمية فصادق.

ومال إلى هذا القول الجواليقيُّ وابنُ الجوزيّ وآخرون.

وهذا سرد الألفاظ الواردة في القرآن من ذلك، مرتبة على حروف المعجم:

﴿وَأَبَارِيقَ﴾ [الواقعة: ١٨]: حكى الثعالبي في «**فقه اللغة**»[١]: أنها فارسية، وقال الجواليقيّ: الإبريق فارسيّ معرب، ومعناه طريق الماء، أو صبّ الماء على هينة.

﴿وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١] قال بعضهم: هو الحشيش بلغة أهل الغرب، حكاه شيذلة.

﴿ٱبْلَعِي﴾: أخرج ابن أبي حاتم[٢] عن وهب بن مُنَبِّه في قوله تعالى: ﴿ٱبْلَعِي مَآءَكِ﴾ [هود: ٤٤]. قال: بالحبشية (ازدرديه). وأخرج أبو الشيخ من طريق جَعْفر بن محمد، عن أبيه قال: اشربي، بلغة الهند.

﴿أَخْلَدَ﴾ [الأعراف: ١٧٦]: قال الواسطيّ في «**الإرشاد**»: أخلد إلى الأرض، ركن بالعبرية.

﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾ [الكهف: ٣١]، حكى ابن الجوزي في «**فنون الأفنان**»[٣] أنها السُّرر بالحبشية.

﴿ءَازَرَ﴾: عُدَّ في «**المعرَّب**»[٤] على قول من قال: إنه ليس بعَلَم لأبي إبراهيم ولا للصنم. وقال ابن أبي حاتم[٥]: ذكر عن معتمر بن سليمان قال: سمعتُ أبي يقرأ: «وإذ قال إبراهيم لأبيه آزرُ»، يعني

---

(١) ٢/٥٢٦ فصل في سياقه أسماء تفردت بها الفرس دون العرب.

(٢) في «تفسيره» ٦/٢٠٣٦ (١٠٩٠٨) هود: ٤٤.

(٣) «فنون الأفنان» ص ٣٥١.

(٤) «المعرَّب» ص ١٣٤ ـ ١٣٥.

(٥) في «تفسيره» ٤/١٣٢٤ (٧٤٨٩) الأنعام: ٧٤.

بالرفع، قال: بلغني أنها أعوجُ، وأنها أشدُّ كلمة قالها إبراهيم لأبيه. وقال بعضهم: هي بلغتهم: يا مخطئ.

﴿وَٱلْأَسْبَاطِ﴾: حكى أبو الليث في «تفسيره»: أنّها بلغتهم كالقبائل بلغة العرب.

﴿إِسْتَبْرَقٍ﴾: أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك: أنه الديباج الغليظ، بلغة العجم.

﴿أَسْفَارًا﴾: قال الواسطي في «**الإرشاد**»: هي الكتب بالسريانية، وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال: هي الكتب بالنّبطية.

﴿إِصْرِى﴾ [آل عمران: ٨١]: قال أبو القاسم في «**لغات القرآن**»[(١)]: معناه عهدي بالنبطية.

﴿وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف: ٧١]: حكى ابن الجوزيّ: أنها الأكواز بالنَّبَطيَّة. وأخرج ابن جرير عن الضحاك: أنّها بالنَّبطية جِرارٌ ليست لها عُرَى.

«إلٌّ»: قال ابن جني: ذكروا أنه اسم الله تعالى بالنَّبَطِيَّة[(٢)].

﴿أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠]: حكى ابن الجوزيّ: أنّه الموجع بالزنجيّة. وقال شيذلة: بالعبرانية.

﴿إِنَنٰهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣]: نضجُه بلسان أهل المغرب، ذكره شيذلة، وقال أبو القاسم: بلغة البربر، وقال في قوله تعالى: ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٤] هو الذي انتهى حرّه، بها. وفي قوله تعالى: ﴿مِّنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ [الغاشية: ٥] أي حارَّة، بها.

﴿لَأَوَّٰهٌ﴾ [التوبة: ١١٤]: أخرج أبو الشيخ بن حيَّان من طريق عِكْرِمة، عن ابن عبَّاس قال: الأَوَّاه الموقِنُ بلسان الحبشة، وأخرج ابن أبي حاتم[(٣)] مثله عن مجاهد وعكرمة. وأخرج عن عمرو بن شرحبيل قال: الرحيم بلسان الحبشة، وقال الواسطيّ: الأوَّاه الدعاء بالعبرية.

﴿أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧]: أخرج ابن أبي حاتم[(٤)] عن عمرو بن شرحبيل قال: الأَوَّاب: المسبّح، بلسان الحبشة. وأخرج ابن جَرير عنه في قوله تعالى: ﴿أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠] قال: سبِّحي، بلسان الحبشة.

﴿ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [ص: ٧]: قال شيذلة: الجاهلية الأولى؛ أي: الآخرة في الملَّة الآخرة، أي: الأُولى بالقبطية، والقِبْط يسمُّون الآخرة الأولى والأُولى الآخرة. وحكاه الزركشي في «**البرهان**»[(٥)].

﴿بَطَآئِنُهَا﴾ [الرحمن: ٥٤] قال شيذلة في قوله تعالى: ﴿بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]، أي: ظواهرها بالقبطية. وحكاه الزركشي.

---

(١) مطبوع بهامش تفسير الجلالين، المطبوع في دار إحياء الكتب العربية. وهو رسالة صغيرة جُعلت في هامش التفسير من الأسفل بعد خط صغير، وليس في كل صفحة؛ لأن الناشرين صرحوا بأنهم عثروا على الرسالة من ص ١٢٣، أي: من سورة الصافات. والله أعلم.

(٢) المقصود قوله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ٨].

(٣) في «تفسيره» ٦/ ١٨٩٦ (١٠٠٦٤) التوبة: ١١٤.

(٤) في «تفسيره» ١٠/ ٣٢٣٧ (١٨٣٣٨) ص: ١٧.

(٥) ١/ ٣٨٥.

﴿بَعِيرٍ﴾ [يوسف: ٦٥] أخرج الفِرْيابيّ عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿كَيۡلَ بَعِيرٖ﴾ [يوسف: ٦٥]، أي: كيل حمار. وعن مقاتل: إنَّ البعير كلُّ ما يُحمَل عليه بالعبرانية.

﴿بِيَعٌ﴾ [الحج: ٤٠]. قال الجواليقي في كتاب «**المعرَّب**»[١]: البِيعة والكنيسة جعلهما بعضُ العلماء فارسيّين معرّبين.

﴿ٱلتَّنُّورُ﴾: ذكر الجواليقي[٢] والثعالبيّ أنه فارسي معرب.

﴿تَتۡبِيرًا﴾ أخرج ابن أبي حاتم[٣] عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧] قال: تبّره بالنَّبَطية.

(تحت) قال أبو القاسم في «**لغات القرآن**» في قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ﴾ [مريم: ٢٤] أي: بطنها، بالنَّبَطية. ونقل الكرماني في «**العجائب**»[٤] مثله عن مؤرِّج.

﴿بِٱلۡجِبۡتِ﴾ [النساء: ٥١] أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: الجِبْت اسم الشيطان بالحبشيَّة[٥]. وأخرج عبد بن حُميد عن عِكْرِمة قال: الجِبْت بلسان الحبشة الشيطان. وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: الجِبْت: الساحر، بلسان الحبشة.

﴿جَهَنَّمُ﴾ [البقرة: ٢٠٦]: قيل: أعجمية، وقيل: فارسية، وقيل: عبرانيَّة، أصلها: كهنام.

﴿حَرَمٌ﴾: أخرج ابن أبي حاتم[٦] عن عكرمة قال: وحرم: وَجَبَ، بالحبشية.

﴿حَصَبُ﴾: أخرج ابن أبي حاتم[٧] عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]. قال: حطب جهنم، بالزنجية.

﴿حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨] قيل: معناه: قولوا صواباً، بلغتهم.

(حواريون): أخرج ابن أبي حاتم[٨] عن الضحاك قال: ﴿ٱلۡحَوَارِيُّونَ﴾ [آل عمران: ٥٢] الغَسَّالون بالنَّبَطية، وأصله: (هَوَاري).

(حوب): تقدَّم في مسائل نافع بن الأزرق [المسألة: ١١٠] عن ابن عباس أنه قال: ﴿حُوبٗا﴾ [النساء: ٢] إثماً، بلغة الحبشة.

﴿دَرَسۡتَ﴾ [الأنعام: ١٠٥]، معناه قرأت بلغة اليهود.

﴿دُرِّيّٞ﴾ [النور: ٣٥]: معناه المضيء بالحبشية، حكاه شيذلة وأبو القاسم.

---

(١) «المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم» ص ٢٠٧ رقم (١٢٦ ـ ١٢٧).

(٢) في «المعرَّب» رقم (١٣٥).

(٣) في «تفسيره» ٧/ ٢٣١٨ (١٣١٩٤) الإسراء: ٧.

(٤) «عجائب التفسير..» ١/ ٦٩٢ مريم: ٢٤.

(٥) في «تفسيره» ٣/ ٩٧٤ (٥٤٤٤) النساء: ٥١، وفيه: رسم الشيطان بالحبشية.

(٦) في «تفسيره» ٨/ ٢٤٦٧ (١٣٧٢٦).

(٧) في «تفسيره» ٨/ ٢٤٦٨ ـ ٢٤٦٩.

(٨) في «تفسيره» ٢/ ٦٥٩ (٣٥٦٩) آل عمران: ٥٢.

﴿بِدِينَارٍ﴾ [آل عمران: ٧٥]: ذَكَر الجواليقي[١] وغيره أنه فارسيّ.

﴿رَٰعِنَا﴾ [البقرة: ١٠٤] أخرج أبو نعيم في «**دلائل النبوة**» عن ابن عباس قال: راعِنا، سبٌّ بلسان اليهود.

﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾ [المائدة: ٤٤] قال الجواليقي[٢]: قال أبو عُبيدة: العرب لا تعرف الربَّانيين، وإنما عرفها الفقهاء وأهل العلم. قال: وأحسِبُ الكلمةَ ليست بعربيَّة وإنما هي عبرانية أو سريانية، وجزم أبو القاسم بأنها سريانية.

﴿رِبِّيُّونَ﴾ [آل عمران: ١٤٦] ذكر أبو حاتم أحمد بن حَمْدَان اللّغوي في كتاب «**الزينة**»[٣] أنَّها سريانية.

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ ذهب المبرِّد وثعلب إلى أنه عبراني، وأصله بالخاء المعجمة.

﴿ٱلرَّسِّ﴾ [الفرقان: ٣٨]: في «**العجائب**»[٤] للكرمانيّ: إنه عجميّ، ومعناه البئر.

﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾ [الكهف: ٩] قيل: إنَّه اللوح بالرُّومية، حكاه شيذلة. وقال أبو القاسم: هو الكتاب، بها. وقال الواسطيّ: هو الدَّوَاة بها.

﴿رَمْزًا﴾ [آل عمران: ٤١] عَدَّه ابن الجوزي في «**فنون الأفنان**»[٥] من المعرَّب. وقال الواسطيّ: هو تحريك الشفتين، بالعبريّة.

﴿رَهْوًا﴾ قال أبو القاسم في قوله تعالى: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا﴾ [الدخان: ٢٤]، أي: سهلاً دمِثاً، بلغة النبط. وقال الواسطي: أي ساكِناً بالسريانيَّة.

﴿ٱلرُّومُ﴾ [الروم: ٢] قال: الجواليقي[٦]: هو أعجميّ، اسم لهذا الجيل من الناس.

﴿زَنجَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٧] ذكر الجواليقي[٧] والثعالبي أنهُ فارسيّ.

﴿ٱلسِّجِلِّ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، أخرج ابن مردويه من طريق أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: السجلّ، بلغة الحبشة: الرجل[٨]. وفي «**المحتسب**»[٩] لابن جني: السِّجِلُّ: الكتاب. قال قوم: هو فارسي معرب.

﴿سِجِّيلٍ﴾ [هود: ٨٢]، أخرج الفريابيّ عن مجاهد قال: سِجّيل بالفارسية، أَوّلها حجارة وآخرها طين.

﴿سِجِّينٌ﴾ [المطففين: ٧]، ذكر أبو حاتم في كتاب «**الزينة**»[١٠] أنّه غير عربيّ.

---

(١) في «المعرَّب» رقم (٢٣٩).

(٢) في «المعرَّب» رقم (٢٩١).

(٣) «الزينة» ١/ ١٣٦.

(٤) «غرائب التفسير وعجائب التأويل» ٢/ ٨١٦ سورة الفرقان: ٣٨.

(٥) «فنون الأفنان» ص ٣٥٠، باب ذكر اللغات في القرآن، وعزاه للغة النبط.

(٦) في «المعرَّب» رقم (٢٩٨).

(٧) في «المعرَّب» رقم (٣٢٢).

(٨) انظر «المعرب» رقم (٣٥٦).

(٩) «المحتسب» ٢/ ٢٦٧ سورة الأنبياء: ١٠٤.

(١٠) «الزينة في الكلمات الإسلامية العربية» ١/ ١٣٤ ـ ١٣٥.

﴿سُرَادِقُهَاۚ﴾ [الكهف: ٢٩]: قال الجواليقي[١]: فارسيّ معرَّب، وأصله سرادر، وهو الدهليز. وقال غيرُه: الصَّواب أنَّه بالفارسيّة سَرابرده؛ أي: ستر الدار.

(سريّ) أخرج ابن أبي حاتم[٢] عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤]. قال: نهراً، بالسريانية. وعن سعيد بن جبير: بالنَّبطيَّة، وحكى شيذلة: أنه باليونانية.

﴿سَفَرَةٍ﴾ أخرج ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾ [عبس: ١٥] قال: بالنَّبطية: القرّاء.

﴿سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٨]: ذكر الجواليقي أنها أعجمية.

﴿سُجَّدًا﴾ قال الواسطي في قوله تعالى: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ [الأعراف: ١٦١]، أي: مقنّعي الرؤوس، بالسريانية.

﴿سَكَرًا﴾ [النحل: ٦٧] أخرج ابن مردويه من طريق العَوفيّ، عن ابن عباس قال: السَّكَرُ بلسان الحبشة: الخَلُّ.

﴿سَلْسَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٨] حكى الجواليقي[٣] أنه أعجمي.

﴿سَنَا﴾ [النور: ٤٣] عدّه الحافظ ابن حجر في نظمه، ولم أقف عليه لغيره.

﴿سُندُسٍ﴾ [الكهف: ٣١] قال الجواليقي[٤]: هو رقيق الديباج بالفارسيّة، وقال الليث: لم يختلف أهل اللغة والمفسرون في أنَّه معرَّب. وقال شيذلة: هو بالهندية.

﴿سَيِّدَهَا﴾ قال الواسطيّ في قوله تعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِۚ﴾ [يوسف: ٢٥]، أي: زوجها بلسان القِبْط. قال أبو عمرو: لا أعرفها في لغة العرب.

﴿سِينِينَ﴾ [التين: ٢] أخرج ابن أبي حاتم[٥]، وابنُ جرير عن عِكْرمة قال: سينين: الحَسَنُ بلسان الحبشة.

﴿سَيْنَآءَ﴾ [المؤمنون: ٢٠] أخرج ابن أبي حاتم عن الضَّحاك قال: سيناء بالنَّبطية الحسن.

﴿شَطْرَ﴾ أخرج ابن أبي حاتم[٦] عن رُفيع في قوله تعالى: ﴿شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ﴾ [البقرة: ١٤٤]، قال: تلقاء، بلسان الحبش.

﴿شَهْرُ﴾ [البقرة: ١٨٥] قال الجواليقي[٧]: ذكر بعض أهل اللغة أنه بالسريانية.

﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ حكى النقّاش وابن الجوزيّ أنه الطريق بلغة الرُّوم، ثم رأيته في كتاب «الزِّينة»[٨] لأبي حاتم.

---

(١) في «المعرَّب» رقم (٣٣٧).
(٢) في «تفسيره» ٧/ ٢٤٠٥ (١٣١٠٤) و(١٣١٠٥).
(٣) في «المعرَّب» رقم (٣٥٠).
(٤) في «المعرب» رقم (٣٣٢).
(٥) في «تفسيره» ١٠/٣٤٤٨ (١٩٤٠٧) و(١٩٤٠٨).
(٦) في «تفسيره» ١/ ٢٥٤ (١٣٦٢) البقرة: ١٤٤.
(٧) في «المعرب» رقم (٣٨٩)، وتمام كلامه: أصله بالسريانية سهر فعُرِّب.
(٨) «الزينة» ٢/ ٢١٥ باب الصراط.

﴿صرهن﴾ أخرج ابن جرير، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٦٠] قال: هي نَبَطيَّة، فشقِّقهنَّ. وأخرج مثله عن الضحاك. وأخرج ابن المنذر عن وهب بن منبّه قال: ما من اللغة شيء إلا منها في القرآن شيء. قيل: وما فيه من الرومية؟ قال: ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ يقول: قَطِّعْهُنَّ.

﴿صَلَوَٰتٌ﴾ [الحج: ٤٠]. قال الجواليقي[1]: هي بالعبرانية كنائس اليهود، وأصلها (صَلُوتا). وأخرج ابن أبي حاتم[2] عن الضحاك.

﴿طه﴾ أخرج الحاكم في «**المستدرك**» [(٢/ ٣٧٨) وهو صحيح] من طريق عكرمة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿طه﴾ قال: هو كقولك: يا محمد، بلسان الحبش.

وأخرج ابن أبي حاتم[3] من طريق سعيد بن جبير عن ابن عبَّاس قال: ﴿طه﴾ بالنَّبطِيَّة. وأخرج عن سعيد بن جبير قال: ﴿طه﴾ يا رجل، بالنَّبَطيَّة. وأخرج عن عكرمة قال: ﴿طه﴾ يا رَجل، بلسان الحبشة.

﴿ٱلطَّـٰغُوتُ﴾ [البقرة: ٢٥٦] هو الكاهن بالحبشية.

﴿وَطَفِقَا﴾ [الأعراف: ٢٢] قال بعضهم: معناه قَصَدا بالروميَّة، وحكاه شيذلة.

﴿طُوبَىٰ﴾ [الرعد: ٢٩] اسم الجنة بالحبشية، وأخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جُبَير قال: بالهِندية.

﴿طُورِ﴾ [المؤمنون: ٢٠] أخرج الفريابيّ عن مجاهد قال: الطور: الجبل بالسريانية، وأخرج ابن أبي حاتم[4] عن الضحاك: أنه بالنَّبطية.

﴿طُوًى﴾ [طه: ١٢] في «**العجائب**» للكرماني، قيل: هو مُعَرَّبٌ، معناه ليلاً، وقيل: هو رجل بالعبرانية.

﴿عَبَّدتَّ﴾ قال أبو القاسم في قوله تعالى: ﴿عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ٢٢] معناه: قتلت، بلغة النبط.

﴿عَدْنٍ﴾ [التوبة: ٧٢]: أخرج ابنُ جرير عن ابن عباس: أنه سأل كعباً عن قوله تعالى: ﴿جَنَّـٰتِ عَدْنٍ﴾ [التوبة: ٧٢] قال: جنَّات كُرُوم وأعناب، بالسريانية، ومن «**تفسير جُويبر**»: أنه بالرومية.

﴿ٱلْعَرِمِ﴾ [سبأ: ١٦] أخرج ابن أبي حاتم[5] عن مجاهد قال: العرِم، بالحبشيّة، وهي المسنَّاة التي يُجمع فيها الماء، ثم ينبثق.

﴿وَغَسَّاقٌ﴾ [ص: ٥٧] قال الجواليقيّ[6] والواسِطِيّ: هو البارد المنتِن بلسان الترك. وأخرج ابنُ جرير عن عبد الله بن بُرَيدة قال: الغسَّاق: المنتِن، وهو بالطخاريّة.

---

(١) في «المعرب» رقم (٤٠٣).
(٢) في «تفسيره» ٨/ ٢٤٩٧ (١٣٩٧١) وما بعده، الحج: ٤٠.
(٣) في «تفسيره» ٧/ ٢٤١٥، (١٣٣٧٥) وما بعده، طه: ١.
(٤) في «تفسيره» ١٠/ ٣٣١٤ (١٨٦٧١) أول سورة الطور.
(٥) في «تفسيره» ١٠/ ٣١٦٦ (١٧٨٩٠) سبأ: ١٦. وفيه: وهي المنسأة التي يجتمع فيه الماء ثم ينشف.
(٦) في «المعرب» رقم (٤٦١).

﴿وَغِيضَ﴾ [هود: ٤٤]. قال أبو القاسم: غيضَ نقص، بلغة الحبشة.

﴿ٱلْفِرْدَوْسِ﴾ [الكهف: ١٠٧] أخرج ابن أبي حاتم[١] عن مجاهد قال: الفِرْدوس بُسْتان بالرّومية. وأخرج عن السُّديِّ قال: الكرْم بالنَّبطيَّة. وأصله (فرداسا).

(فُوم) قال الواسطيّ: هو الحنْطة بالعبريَّة [البقرة: ٦١].

﴿قَرَاطِيسَ﴾ [الأنعام: ٩١]: قال الجواليقي[٢]: يقال: إن القرطاس أصله غير عربيّ.

(قسط) أخرج ابنُ أبي حاتم[٣] عن مجاهد قال: ﴿ٱلْقِسْطَ﴾ [آل عمران: ١٨] العَدْل، بالروميَّة.

(قِسْطاس) أخرج الفريابي عن مجاهد قال: القِسْطَاس: العدل بالروميّة. وأخرج ابن أبي حاتم[٤] عن سعيد بن جُبير قال: ﴿بِٱلْقِسْطَاسِ﴾ [الإسراء: ٣٥] بلغة الروم: الميزان.

﴿قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٥١] أخرج ابنُ جرير عن ابن عباس قال: الأسد يقال له بالحبشيّة: قسورة.

﴿قِطَّنَا﴾ [ص: ١٦] قال أبو القاسم: معناه كتابنا، بالنَّبَطية.

(قُفْل) حكى الجواليقي[٥] عن بعضهم: أنه فارسي معرب.

(قُمّل): قال الواسطي: هو الدَّبَى بلسان العبرية والسريانية، قال أبو عمرو: لا أعرفه في لغة أحدٍ من العرب [الأعراف: ١٦٦].

﴿بِقِنطَارٍ﴾ [آل عمران: ٧٥]، ذكر الثعالبيّ في «فقه اللغة»[٦]: أنه بالرومية: اثنا عشر ألف أوقية. وقال الخليل: زعموا أنه بالسريانية ملء جلد ثور ذهباً أو فضة. وقال بعضهم: إنَّه بلغة بربر ألف مثقال. وقال ابن قتيبة: قيل: إنه ثمانية آلاف مثقال، بلسان أهل إفريقية.

﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] قال الواسطيّ: هو الذي لا ينام، بالسريانية.

﴿كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥] ذكر الجواليقي[٧] وغيره أنه فارسي معرَّب.

﴿وَكَفِّرْ﴾ [آل عمران: ١٩٣]: قال ابن الجوزي: كفِّر عنَّا معناه: امحُ عنَّا، بالنَّبَطية. وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي عمران الجونيّ في قوله تعالى: ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ [محمد: ٢] قال: بالعبرانية محا عنهم.

﴿كِفْلَيْنِ﴾ [الحديد: ٢٨]: أخرج ابن أبي حاتم[٨] عن أبي موسى الأشعريّ قال: كفلين: ضِعْفين بالحبشية.

﴿كَنزٌ﴾ [الكهف: ٨٢] ذكر الجواليقي[٩] أنه فارسي معرب.

﴿كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير: كورت: غُوِّرَتْ. وهي بالفارسية.

---

(١) في «تفسيره» ٧/ ٢٣٩٤ (١٣٠٠٩) الكهف: ١٠٧.
(٢) في «المعرب» رقم (٥٥٥).
(٣) في «تفسيره» ٢/ ٦١٧ (٣٣١٠) آل عمران: ١٨.
(٤) في «تفسيره» ٧/ ٢٣٣١ (١٣٢٨٢) الإسراء: ٣٥.
(٥) في «المعرب» وذلك في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].
(٦) ١/ ٥٣١ فصل في ما حاضرت به مما نسبه بعض الأئمة إلى اللغة الرومية.
(٧) قال في «المعرب»: فأما الكافور المشموم من الطِّيب فأحسبه ليس بعربي محض... رقم (٥٧١).
(٨) في «تفسيره» ١٠/ ٣٣٤١ (١٨٨٣٧) الحديد: ٢٨.
(٩) في «المعرب» رقم (٥٦٠).

﴿لِّينَةٍ﴾ [الحشر: ٥] في «الإرشاد» للواسطي: هي النَّخلة. وقال الكلبيّ: لا أعلمها إلّا بلسان يهود يثرب.

﴿مُتَّكَـًٔا﴾ [يوسف: ٣١] أخرج ابن أبي حاتم[١] عن سلمة بن تمام الشقريّ قال: مُتَّكأ بلسان الحبش، يسمّون التَّرنج مُتّكأ.

(مَجوس) [الحج: ١٧] ذكر الجواليقي[٢] أنه أعجمي.

(مرجان) [الرحمن: ٢٢] حكى الجواليقي[٣] عن بعض أهل اللغة أنه أعجمي.

﴿مِسۡكٞ﴾ [المطففين: ٢٦] ذكر الثعالبي أنه فارسي.

(مِشكاة) أخرج ابنُ أبي حاتم[٤] عن مجاهد قال: ﴿كَمِشۡكَوٰةٖ﴾ [النور: ٣٥] الكُوَّة، بلغة الحبشة.

﴿مَقَالِيدُ﴾ [الزمر: ٦٣] أخرج الفريابيّ عن مجاهد قال: مقاليد: مفاتيح بالفارسية. وقال ابن دُرَيد، والجواليقيّ[٥]: الإقليد والمِقْليد: المفتاح، فارسيّ معرب.

﴿مَّرۡقُومٞ﴾: قال الواسطيّ في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾ [المطففين: ٩]، أي: مكتوب، بلسان العبرية.

﴿مُّزۡجَىٰةٖ﴾ [يوسف: ٨٨] قال الواسطيّ: مزجاة قليلة، بلسان العجم، وقيل: بلسان القِبْط.

﴿مَلَكُوتَ﴾ أخرج ابن أبي حاتم[٦] عن عِكْرمة في قوله تعالى: ﴿مَلَكُوتَ﴾ [الأنعام: ٧٥] قال: هو المَلَك، ولكنه بكلام النَّبطيَّة: (مَلْكُوتا).

وأخرجه أبو الشيخ عن ابن عباس، وقال الواسطيّ في «الإرشاد»: هو المَلك بلسان النَّبَط.

﴿مَنَاصٖ﴾ [ص: ٣] قال: قال أبو القاسم: معناه فرار بالنبطية.

(منسأة) [سبأ: ١٤] أخرج ابن جرير عن السُّدي قال: المنسأة: العصا بلسان الحبشة.

﴿مُنفَطِرُۢ﴾ أخرج ابنُ جرير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦ﴾ [المزمل: ١٨] قال: ممتلئة به، بلسان الحبشة.

﴿كَٱلۡمُهۡلِ﴾ [الدخان: ٤٥] قيل: هو عَكرُ الزيت بلسان أهل المغرب، حكاه شيذلة. وقال أبو القاسم: بلغة البَرْبَر.

﴿نَاشِئَةَ﴾ [المزمل: ٦]: أخرج الحاكم في «مستدركه» [(٢/ ٥٠٥) وهو صحيح] عن ابن مسعود قال: ناشئة الليل: قيام الليل بالحبشية. وأخرج البيهقي [«السنن» (٣/ ٢٠)] عن ابن عباس مثله.

---

(١) في «تفسيره» ٧/ ٢١٣٣ (١١٥٣٥) يوسف: ٣١.

(٢) في «المعرب» رقم (٦٤٠) وقال: أعجمي معرب، وقد تكلمت به العرب.

(٣) في المعرب رقم (٦٥٨).

(٤) في «تفسيره» ٨/ ٢٥٩٥ (١٤٥٦٩) النور: ٣٥.

(٥) في «المعرب» رقم (١١٦) و(٦٢٦).

(٦) في «تفسيره» ٤/ ١٣٢٦ (٧٥٠٠) الأنعام: ٧٥.

﴿نٓ﴾: حكى الكَرْماني في «العجائب»[١] عن الضحاك: أنَّه فارسيّ، أصله أنون. ومعناه: اصنع ما شئت.

﴿هُدۡنَآ﴾ [الأعراف: ١٥٦] قيل: معناه تُبْنا، بالعبرانيّة، حكاه شيذلة وغيره.

(هود) قال الجواليقي[٢]: الهود اليهود، أعجمي [البقرة: ١١١].

(هَوْن) أخرج ابنُ أبي حاتم عن ميمون بن مهران في قوله تعالى: ﴿يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ [الفرقان: ٦٣] قال: حكماء بالسِّريانية[٣]. وأخرج عن الضَّحاك مثله، وأخرج عن أبي عِمْران الجونيّ أنه بالعبرانية.

﴿هَيۡتَ لَكَۚ﴾ [يوسف: ٢٣] أخرج ابن أبي حاتم[٤] عن ابن عباس قال: هَيْتَ لك، هلمَّ لك بالقِبْطيّة. وقال الحسن: هي بالسريانية كذلك، أخرجه ابن جرير. وقال عكرمة: هي بالحُورانية، كذلك أخرجه أبو الشيخ. وقال أبو زيد الأنصاريّ: هي بالعبرانية، وأصله (هيتلج)، أي: تعاله.

(وراء) [الكهف: ٧٩] قيل: معناه أمام بالنبطية، وحكاه شيذلة وأبو القاسم، وذكر الجواليقي أنها غير عربية.

﴿وَرۡدَةٗ﴾ [الرحمن: ٣٧] ذكر الجواليقي أنَّها غير عربية.

﴿لَا وَزَرَ﴾ [القيامة: ١١] قال أبو القاسم: هو الحبل والملجأ، بالنَّبطيَّة.

(ياقوت) ذكر الجواليقي[٥] والثَّعالبيّ وآخرون أنه فارسي [الرحمن: ٥٨].

﴿يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١٤]: [أخرج ابنُ أبي حاتم عن داود بن هند، في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾،] قال: بلغة الحبشة (يرجع). وأخرج مثله عن عكرمة، وتقدَّم في أسئلة نافع بن الأزرق عن ابن عباس [المسألة: ٤٦].

﴿يسٓ﴾ أخرج ابنُ مردويه، عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿يسٓ﴾ قال: يا إنسان، بالحبشية. وأخرج ابن أبي حاتم[٦] عن سعيد بن جُبير قال: ﴿يسٓ﴾ يا رجل، بلغة الحبشة.

﴿يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧] قال ابن الجوزيّ: معناه يَضِجُّون، بالحبشية.

﴿يُصۡهَرُ﴾ [الحج: ٢٠] قيل: معناه ينضج، بلسان أهل المغرب، حكاه شيذلة.

﴿ٱلۡيَمِّ﴾ [طه: ٣٩] قال ابن قُتيبة: اليمّ البحر بالسريانية، وقال ابن الجوزي: بالعبرانية، وقال شيذلة: بالقبطية.

---

(١) «غرائب التفسير وعجائب التأويل» ٢/ ١٢٣٥ أول سورة القلم، وتمام كلامه: والظاهر أنه من حروف التهجي كأخواته.

(٢) في «المعرب» رقم (٧٠٧).

(٣) في «تفسيره» ٨/ ٢٧٢٠ (١٥٣٣٩) الفرقان: ٦٣ وفيه: حُلماء.

(٤) في «تفسيره» ٧/ ٢١٢١ (١١٤٦٢) يوسف: ٢٣.

(٥) في «المعرب» رقم (٧٢٨).

(٦) في «تفسيره» ١٠/ ٣١٨٨ (١٨٠٢٤) يس: ١.

﴿ٱلْيَهُودُ﴾ [البقرة: ١١٣] قال الجواليقي[١]: أعجمي معرَّب، منسوبون إلى يهوذا بن يعقوب، فعرِّب بإهمال الدال.

فهذا ما وقفتُ عليه من الألفاظ المعرَّبة في القرآن بعد الفحص الشديد سنين، ولم تجتمع قبلُ في كتاب قبل هذا!!

وقد نظم القاضي تاج الدين بن السبكي منها سبعةً وعشرين لفظاً في أبيات، وذيَّل عليها الحافظ أبو الفضل ابن حجر بأبيات فيها أربعةٌ وعشرون لفظاً، وذيَّلتُ عليها بالباقي، وهو بِضْع وستون، فتمَّت أكثر من مئة لفظة.

فقال ابنُ السبكيّ:

السَّلْسَبِيل وطَهَ كُوِّرتْ بِيَعٌ ... رومٌ وطوبَى وسِجِّيلٌ وكَافُورُ
والزَّنْجَبِيل ومِشْكاةٌ سُرَادِقُ مَعْ ... إستبرقٍ صلواتٌ سُنْدُسٌ طُورُ
كَذَا قراطيسُ ربانيهم وَغَسَّا ... قٌ ودينارُ والقسطاسُ مَشْهُورُ
كذاك قسورة واليَمُّ ناشئةٌ ... ويُؤْت كِفْلَيْنِ مذكورٌ ومسطورُ
له مقاليدُ فردوسٌ يعدّ كذا ... فيما حكى ابن دُريدٍ منه تنُّورُ

وقال ابن حجر:

وزدت حِرْمٌ ومُهل والسِّجِلُّ كذا ... السَّريّ والأبُّ ثم الجِبْتُ مذكور
وقِطَّنا وإناهُ ثم متكأً ... دارست يُصْهَرُ منه فهو مَصْهُورُ
وهيت والسكر الأوَّاه مع حَصَبٍ ... وأوّبي مَعْهُ والطاغوت مَسْطُورُ
صُرْهنّ إصْري وغيضَ الماءُ معْ وَزَرٍ ... ثمَّ الرقيمُ مَناصٌ والسَّنا النُّورُ

وقلت أيضاً:

وزدت يس والرَّحمنُ مع مَلَكُو ... ت ثم سينينَ شَطْر البيتِ مَشْهُورُ
ثم الصِّراط ودريٌ يحورُ ومَرْ ... جانٌ ويَمٌّ مع القِنْطارِ مَذْكُورُ
ورَاعِنا طَفِقَا هُدْنَا ابلَعِي وَورَا ... ءُ والأرائك والأكْوَابُ مأثورُ
هُودٌ وقِسْطٌ كَفِّرْ رَمْزُه سَقَرٌ ... هَوْنٌ يَصِدُّون والمِنْسَاة مسطورُ
شهر مجوس وأقفال يَهُود حَوَا ... ريُّونَ كَنْزٌ وسِجِّينٌ وَتَتْبِيرُ
بَعيرٌ آزَرٌ حُوبٌ وَرْدَةٌ عَرِمٌ ... إلٌّ ومِنْ تَحْتِهَا عَبَّدْتَ والصُّورُ
وَلِينَة فُومُهَا رَهْوٌ وَأَخْلَدَ مز ... جاةٌ وسَيِّدَهَا القَيُّومُ مَوْقُورُ

(١) في «المعرب» ص ٦٥٠.

وقُمَّلٌ ثم أَسْفَار عَنَى كُتُباً ... وسُجَّداً ثم ربّيُّون تَكْثِيرُ
وحِطَّةٌ وطُوًى والرَّس نون كَذَا ... عدْنٌ ومنفطِرُ الأسباطِ مَذْكُورُ
مسك أباريقُ ياقوتٌ رَوَوْا فهنا ... ما فَاتَ مِنْ عَدَدِ الألفاظ مَحْصُورُ
وبعضهم عد الأولى مع بطائنها ... والآخِرهْ لمعاني الضدِّ مقصورُ

النوع التاسع والثلاثون

في معرفة الوجُوه والنَّظائر

صنَّف فيها قديماً مقاتلُ بن سليمان، ومن المتأخِّرين ابنُ الجوزيّ، وابن الدَّامِغَاني، وأبو الحسين محمد بن عبد الصمد المصري، وابن فارس وآخرون.

فالوجوهُ: للفظ المشترك الذي يُسْتَعمَلُ في عدَّة معانٍ كَلَفْظ الأمَّة. وقد أفردت في هذا الفن كتاباً سميته: «**معترك الأقران في مشترك القرآن**»[١].

والنظائر كالألفاظِ المتواطئة

وقيل: النَّظائر في اللفظ، والوجوه في المعاني. وضُعِّف؛ لأنه لو أريد هذا لكان الجمعُ في الألفاظ المشتركة، وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذي معناه واحد في مواضعَ كثيرةٍ، فيجعلون الوجوهَ نوعاً لأقسام، والنَّظائرَ نوعاً آخر.

وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن؛ حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجهاً وأكثر وأقلّ، ولا يوجد ذلك في كلام البشر.

وذكر مقاتل[٢] في صدر كتابه حديثاً مرفوعاً: «**لا يكون الرَّجل فقيهاً كلَّ الفقه حتى يَرَى للقرآن وجوهاً كثيرةً**».

قلت: هذا أخرجه ابن سعد[٣] وغيره عن أبي الدرداء موقوفاً، ولفظه: «لا يَفْقَهُ الرجلُ كُلَّ الفقه...». وقد فسَّره بعضُهم بأنَّ المراد: أن يرَى اللفظ الواحد يحتمل معانيَ متعددةً، فيحمِله عليها إذا كانت غير متضادَّة، ولا يقتصر به على معنًى واحدٍ.

وأشار آخرون إلى أنَّ المراد به استعمالُ الإشارات الباطنة، وعدم الاقتصار على التفسير الظاهر.

وقد أخرجه ابن عساكر في «**تاريخه**»[٤] من طريق حمَّاد بن زيد، عن أيوب، عن أبي قِلابة، عن أبي الدرداء قال: إنَّك لن تفقهَ كلَّ الفقهِ حتى تَرَى للقرآن وجوهاً.

قال حمَّاد: فقلتُ لأيُّوب: أرأيتَ قوله: حتى تَرى للقرآن وجوهاً، أهو أن يرى له وجوهاً فيهابُ الإقدامَ عليه؟ قال: نعم، هو هذا.

---

(١) وهو مطبوع بثلاثة أجزاء بتحقيق الأستاذ علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي.

(٢) مقاتل بن سليمان، من أعلام المفسرين، وهو غير صَدُوق في الحديث، قال ابن حجر: كَذَّبُوه وهجروه ورُمي بالتجسيم (ت: ١٥٠ هـ) «ميزان الاعتدال» ٣/ ١٩٦، «تاريخ بغداد» ١٣/ ١٦٠، «تقريب التهذيب» (٦٨٦٨)، و«تهذيب الكمال» (٦١٦١).

(٣) «طبقات ابن سعد» ٢/ ٣٥٧ ذكر من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ.

(٤) «تاريخ مدينة دمشق» ابن عساكر ٤٧/ ١٧٣ ترجمة عويمر بن زيد بن قيس (أبو الدرداء).

وأخرج ابن سعد[1] من طريق عِكْرِمة، عن ابن عباس: أن عليّ بن أبي طالب أرسله إلى الخوارج، فقال: اذهبْ إليهم فخاصِمْهم، ولا تُحاجِّهم بالقرآن؛ فإنه ذو وجوه، ولكن خاصِمْهم بالسنّة.

وأخرج من وجه آخر أنَّ ابن عباس قال له: يا أمير المؤمنين، فأنا أعلمُ بكتاب الله منهم، في بيوتنا نَزَلَ. قال: صدقتَ، ولكن القرآن حمَّالٌ ذو وُجوه، تقول ويقولون، ولكن خاصِمْهم بالسنن، فإنهم لن يجدوا عنها مَحيصاً. فخرج إليهم فخاصَمَهم بالسُّنن، فلم تبقَ بأيديهم حُجَّةٌ.

وهذه عيونٌ من أمثلة هذا النوع:

من ذلك: الهدى، يأتي على سبعة عشر وجهاً:

بمعنى الثبات: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

والبيان: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٥].

والدين: ﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٣].

والإيمان: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦].

والدعاء: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣].

وبمعنى الرسل والكتب: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ [البقرة: ٣٨].

والمعرفة: ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

وبمعنى النبي ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٥٩].

وبمعنى القرآن: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣].

والتوراة: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [غافر: ٥٣].

والاسترجاع: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧].

والحجة: ﴿لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، بعد قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، أي: لا يهديهم حجة.

والتوحيد: ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ﴾ [القصص: ٥٧].

والسنة: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢].

والإصلاح: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢].

والإلهام: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، أي: ألهمهُم المعاش.

والتوبة: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

---

(١) في «طبقاته» ٣/ ٣٢ ذكر علي ومعاوية وقتالهما وتحكيم الحكمين.

والإرشـــــاد : ﴿أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢].

ومن ذلك: السوء، يأْتي على أوجه:

الـشـــدة : ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٤٩].

وَالْـعَـقْـر : ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ [الأعراف: ٧٣].

والـزنـا : ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾ [يوسف: ٢٥]، ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾ [مريم: ٢٨].

والـبـرص : ﴿بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [القصص: ٣٢].

والـعـذاب : ﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ﴾ [النحل: ٢٧].

والـشـرك : ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾ [النحل: ٢٨].

والـشـتـم : ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [النساء: ١٤٨]، ﴿وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ [الممتحنة: ٢].

والـذنـب : ﴿يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ [النساء: ١٧].

وبـمـعـنـى بـئـس: ﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

والـضّـرّ : ﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢]، ﴿وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

والقتل والهزيمة: ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

ومن ذلك الصلاة، تأْتي على أوجه:

الصلوات الخمس: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٣].

وصلاة العصر: ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ١٠٦].

وصلاة الجمعة: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ﴾ [الجمعة: ٩].

والـجـنـازة : ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم﴾ [التوبة: ٨٤].

والـدعـاء : ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].

والـديـن : ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ [هود: ٨٧].

والـقـراءة : ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ [الإسراء: ١١٠].

والرحمة والاستغفار: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

ومواضع الصلاة: ﴿وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ﴾ [الحج: ٤٠]، ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ٤٣].

ومن ذلك: الرحمة، وردت على أوجه:

الإسـلام : ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٧٤].

والإيـمـان : ﴿وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ [هود: ٢٨].

والجنة : ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧].

والمطر : ﴿بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: ٥٧].

والنعمة : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ [النور: ١٠].

والنبوة : ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ [ص: ٩]، ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

والقرآن : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ [يونس: ٥٨].

والرزق : ﴿خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ١٠٠].

والنَّصر والفتح: ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الأحزاب: ١٧].

والعافية : ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾ [الزمر: ٣٨].

والمودة : ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد: ٢٧]، ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

والسعة : ﴿تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٧٨].

والمغفرة : ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢].

والعصمة : ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣].

ومن ذلك: الفتنة، وردت على أوجه:

الشرك : ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]، ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٣٩].

والإضلال : ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ [آل عمران: ٧].

والقتل : ﴿أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: ١٠١].

والصّدّ : ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

والضلالة : ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ [المائدة: ٤١].

والمعذرة : ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ [الأنعام: ٢٣].

والقضاء : ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

والإثم : ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة: ٤٩].

والمرض : ﴿يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ﴾ [التوبة: ١٢٦].

والعبرة : ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾ [يونس: ٨٥].

والعقوبة : ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور: ٦٣].

والاختبار : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٣].

والعذاب : ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠].

والإحراق : ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣].

والجنون: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ [القلم: ٦].

ومن ذلك: الروح، ورد على أوجه:

الأمر: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].

والوحي: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾ [النحل: ٢].

والقرآن: ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

والرَّحمة: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

والحياة: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ [الواقعة: ٨٩].

وجبريل: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم: ١٧]، ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣].

ومَلَكٌ عظيم: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾ [النبأ: ٣٨].

وجيش من الملائكة: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر: ٤]..

وروح البدن: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥].

ومن ذلك: القضاء، ورد على أوجه:

الفَرَاغ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

والأمر: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ [آل عمران: ٤٧].

والأجل: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

والفصل: ﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٥٨].

والمضيّ: ﴿لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢].

والهلاك: ﴿لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ [يونس: ١١].

والوجوب: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [يوسف: ٤١].

والإبرام: ﴿فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾ [يوسف: ٦٨].

والإعلام: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الإسراء: ٤].

والوصية: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

والموت: ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥].

والنزول: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾ [سبأ: ١٤].

والخلق: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢].

والفعل: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢٣] يعني: حقًّا لم يفعل.

والعهد: ﴿إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ [القصص: ٤٤].

ومن ذلك: الذكر، ورد على أوجه:

ذكر اللسان: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

وذكر القلب: ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

والحفظ: ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٦٣].

والطاعة والجزاء: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

والصلوات الخمس: ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٣٩].

والعظة: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [الأعراف: ١٦٥]، ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ﴾ [الذاريات: ٥٥].

والبيان: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٩].

والحديث: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]، أي: حَدِّثْهُ بحالي.

والقرآن: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ [طه: ١٢٤]، ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾ [الأنبياء: ٢].

والتوراة: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [النحل: ٤٣].

والخبر: ﴿سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٨٣].

والشرف: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ﴾ [الزخرف: ٤٤].

والعيب: ﴿أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣٦].

واللوح المحفوظ: ﴿مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

والثناء: ﴿وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

والوحي: ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ [الصافات: ٣].

والرسول: ﴿ذِكْرًا رَّسُولًا﴾ [الطلاق: ١٠، ١١].

والصلاة: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وصلاة الجمعة: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩].

وصلاة العصر: ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ [ص: ٣٢].

ومن ذلك: الدعاء، ورد على أوجه:

العبادة: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: ١٠٦].

والاستعانة: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم﴾ [البقرة: ٢٣].

والسؤال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

والقول: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ [يونس: ١٠].

والنداء: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ [الإسراء: ٥٢].

والتسمية: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣].

ومن ذلك: **الإحصان، ورد على أوجه:**

العـفـة: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ [النور: ٤].

والتـزوُّج: ﴿فَإِذَآ أُحۡصِنَّ﴾ [النساء: ٢٥].

والحـرّيـة: ﴿نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ﴾ [النساء: ٢٥].

فصل

قال ابن فارس في كتاب «**الأفراد**»(١):

١ ـ كلّ ما في القرآن من ذكر (الأسف) فمعناه الحزن، إلا: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ [الزخرف: ٥٥] فمعناه أغضبُونا.

٢ ـ وكلُّ ما فيه من ذكر (البُروج) فهي الكواكب إلا: ﴿وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ﴾ [النساء: ٧٨]، فهي القصور الطِّوال الحَصينة.

٣ ـ وكلُّ ما فيه من ذكر (البَرّ والبَحْر) فالمراد بالبحر الماء، وبالبر الترابُ اليابس، إلا: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ [الروم: ٤١] فالمراد به البرية والعمران.

٤ ـ وكلُّ ما فيه من (بخْس) فهو النقص، إلا ﴿بِثَمَنِۢ بَخۡسٖ﴾ [يوسف: ٢٠]، أي: حرام.

٥ ـ وكلُّ ما فيه من (البَعْلِ) فهو الزوج إلا: ﴿أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا﴾ [الصافات: ١٢٥] فهو الصنم.

٦ ـ وكلُّ ما فيه من (البكم) فالخرس عن الكلام بالإيمان، إلا: ﴿عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ﴾ في الإسراء [٩٧]، و﴿أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ﴾ في النحل [٧٦]، فالمراد به عدمُ القدرة على الكلام مطلقاً.

٧ ـ وكلُّ ما فيه (جِثِيّاً) فمعناه جميعاً، إلا: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ﴾ [الجاثية: ٢٨] فمعناه تجثو على ركبها.

٨ ـ وكلُّ ما فيه من (حُسْبَانٍ) فهو العدد، إلا: ﴿حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ في الكهف [٤٠] فهو العذاب.

٩ ـ وكلُّ ما فيه (حسرة) فالندامة، إلا: ﴿لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ﴾ [آل عمران: ١٥٦] فمعناه الحزن.

١٠ ـ وكلُّ ما فيه من (الدحض) فالباطل، إلا ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ﴾ [الصافات: ١٤١] فمعناه من المقروعين.

١١ ـ وكلُّ ما فيه من (رجز) فالعذاب، إلا: ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ [المدثر: ٥]، فالمراد به الصنم.

١٢ ـ وكلُّ ما فيه من (ريب) فالشك، إلا: ﴿رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]، يعني حوادث الدهر.

١٣ ـ وكلُّ ما فيه من (الرجم) فهو القتل، إلا ﴿لَأَرۡجُمَنَّكَۖ﴾ [مريم: ٤٦] فمعناه لأشتمنَّك و: ﴿رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾ [الكهف: ٢٢]، أي: ظنًّا.

---

(١) «أفراد كلمات القرآن العزيز» أحمد بن فارس اللغوي (ت: ٣٩٥ هـ) ص ٩ ـ ١٠، والكتاب رسالة صغيرة من (٩) صفحات فقط. وفيه (٣٥) كُلاًّ.

١٤ ـ وكلُّ ما فيه من (الزور) فالكذب مع الشرك، إلا: ﴿مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا﴾ [المجادلة: ٢]، فإنه كذب غير الشرك.

١٥ ـ وكلُّ ما فيه من (زكاة) فهو المال، إلا ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً﴾ [مريم: ١٣]، أي: طهرة.

١٦ ـ وكلُّ ما فيه من (الزيغ) فالميل، إلا: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأحزاب: ١٠]، أي: شخصت.

١٧ ـ وكلُّ ما فيه من (سخر) فالاستهزاء، إلا: ﴿سِخْرِيًّا﴾ في الزخرف [٣٢] فهو من التسخير والاستخدام.

١٨ ـ وكلُّ (سكينة) فيه طمأنينة، إلا التي في قصة طالوت، فهو شيء كرأس الهرة له جناحان [البقرة: ٢٤٨].

١٩ ـ وكلُّ (سعير) فيه فهو النار والوَقُود، إلا: ﴿فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر: ٤٧]، فهو العناء.

٢٠ ـ وكلُّ (شيطان) فيه فإبليس وجنودُه، إلا: ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤][1].

٢١ ـ وكلُّ (شهيد) فيه غير القتلى فمن يشهد في أُمور الناس، إلا: ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم﴾ [البقرة: ٢٣]، فهو شركاؤكم.

٢٢ ـ وكلُّ ما فيه من (أصحاب النار) فأهلها، إلا: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ [المدثر: ٣١]، فالمراد خزنتها.

٢٣ ـ وكلُّ (صلاة) فيه عبادة ورحمة، إلا: ﴿وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ﴾ [الحج: ٤٠] فهي الأماكن.

٢٤ ـ وكل (صمم) فيه، ففي سماع الإيمان والقرآن خاصةً، إلا الذي في الإسراء[2].

٢٥ ـ وكلُّ (عذاب) فيه فالتعذيب، إلا: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾ [النور: ٢] فهو الضرب.

٢٦ ـ وكلُّ (قنوت) فيه طاعة، إلا ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [البقرة: ١١٦] [الروم: ٢٦] فمعناه مُقِرُّون.

٢٧ ـ وكلُّ (كنز) فيه مال، إلا الذي في الكهف[3] فهو صحيفة علم.

٢٨ ـ وكلُّ (مصباح) فيه كوكب، إلا الذي في النور[4] فالسراج.

٢٩ ـ وكلُّ (نكاح) فيه تزوّج، إلا: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ﴾ [النساء: ٦] فهو الحُلُم.

٣٠ ـ وكلُّ (نبأ) فيه خَبر، إلا: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾ [القصص: ٦٦] فهي الحُجَج.

٣١ ـ وكلُّ (وُرُودٍ) فيه دخولٌ، إلا: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٣] يعني هجم عليه ولم يدخله.

٣٢ ـ وكلُّ ما فيه من: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] فالمرادُ من العمل، إلا التي في الطلاق[5] فالمراد من النفقة.

---

(١) فالمقصود: رؤساؤهم وسادتهم وكبراؤهم. «تفسير ابن كثير»، البقرة: ١٤.

(٢) وهو قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [٩٧].

(٣) في قوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ [٨٢].

(٤) في قوله تعالى: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ [٣٥].

(٥) وهي قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [٧].

٣٣ ـ وكلُّ (يأس) فيه قنوط، إلا التي في الرعد[١] فمن العلم.

٣٤ ـ وكلُّ (صبر) فيه محمود إلا: ﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [الفرقان: ٤٢]، ﴿وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ [ص: ٦].

هذا آخر ما ذكره ابن فارس [في الأفراد].

وقال غيره: كلُّ (صوم) فيه فمن العبادة، إلا: ﴿نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ [مريم: ٢٦]، أي: صمتاً.

وكل ما فيه من (الظلمات والنور) فالمراد الكفرُ والإيمانُ إلا التي في أول الأنعام فالمراد ظلمة الليل ونورُ النهار.

وكل (إنفاق) فيه فهو الصَّدَقة، إلا: ﴿فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ﴾ [الممتحنة: ١١]، فالمراد به المَهْرُ.

وقال الدَّاني: كل ما فيه من (الحضور) ـ بالضاد ـ فهو من المشاهدة إلا موضعاً واحداً، فإنه بالظاء من الاحتظار وهو المنع، وهو قوله تعالى: ﴿كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ [القمر: ٣١].

وقال ابن خالويه[٢]: ليس في القرآن (بعد) بمعنى (قبل) إلا حرف واحد: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

قال مُغلطاي في كتاب «الميسر»: قد وجدنا حرفاً آخر وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠].

قال أبو موسى في كتاب «المغيث»: معناه هنا قبل: لأنه تعالى خَلَق الأرضَ في يومين، ثم استوى إلى السماء، فعلى هذا خلقُ الأرض قبل خلقِ السماء. انتهى.

قلتُ: قد تعرَّض النبيّ ﷺ والصحابة والتابعون لشيء من هذا النوع.

فأخرج الإمام أحمد في «**مسنده**» [١١٧١١] وابنُ أبي حاتم وغيرُهما من طريق درّاج، عن أبي الهيثم، عن أبي سَعيد الخدريّ، عن رسول الله ﷺ قال: «**كلُّ حرف في القرآن يُذكر فيه القنوتُ فهو الطاعةُ**». هذا إسناده جيّد وابن حِبّان [٣٠٩] يصححه[٣].

وأخرج ابنُ أبي حاتم من طريق عكرمة، عن ابن عباس قال: كلّ شيء في القرآن (أليم) فهو المُوجع.

وأخرج من طريق عليّ بن أبي طَلْحة، عن ابن عباس قال: كلُّ شيءٍ في القرآن (قتل) فهو لعن.

وأخرج من طريق الضَّحَّاك عن ابن عباس قال: كل شيء في كتاب الله من (الرجز) يعني به العذابَ.

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [٣١].

(٢) في «ليس في كلام العرب» ص ٤٤، ضبط أحمد بن الأمين الشنقيطي.

(٣) قال ابن كثير في «تفسيره»: هذا الإسناد ضعيفٌ لا يعتمد عليه، ورفع هذا الحديث منكر، وقد يكون من كلام الصحابي أو من دونه، والله أعلم. البقرة: ١١٦.

وقال الفِرْيابيّ: حدثنا قيسٌ، عن عمَّار الدهنيّ، عن سعيد بن جُبير، عن ابنِ عباس قال: كُلُّ (تسبيح) في القرآن صلاةٌ، وكلُّ (سلطانٍ) في القرآن حُجَّة.

وأخرج ابنُ أبي حاتم من طريق عِكرمة، عن ابن عباس قال: كلُّ شيء في القرآن (الدِّين) فهو الحساب.

وأخرج ابن الأنباريّ في كتاب «**الوقف والابتداء**»[1] من طريق السُّدِّي، عن أبي مالك عن ابن عباس قال: كلُّ ريبٍ شكٌّ إلا مكاناً واحداً في الطور، ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [٣٠]، يعني حوادث الأمور.

وأخرج ابن أبي حاتم وغيره عن أُبيّ بن كعب قال: كلُّ شيءٍ في القرآن من (الرِّياح) فهي رحمةٌ، وكلُّ شيءٍ فيه من (الريح) فهو عذاب.

وأخرج عن الضَّحَّاك، قال: كلُّ (كأس) ذكره الله في القرآن إنما عنى به الخمرَ.

وأخرج عنه قال: كلُّ شيء في القرآن (فاطر) فهو خالقٌ.

وأخرج عن سعيد بن جبير، قال: كلُّ شيءٍ في القرآن (إفك) فهو كَذِبٌ.

وأخرج عن أبي العالية قال: كل آية في القرآن في الأمر بالمعروف فهو الإسلام، والنهي عن المنكر فهو عبادة الأوثان.

وأخرج[2] عن أبي العالية، قال: كلُّ آيةٍ في القرآن يذكر فيها (حِفْظ الفَرْج) فهو من الزنا، إلا قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠] فالمراد أَلَّا يراها أحدٌ.

وأخرج عن مجاهدٍ قال: كلُّ شيءٍ في القرآن (إن الإنسان كَفُور) إنما يعني به الكفّار.

وأخرج عن عُمر بن عبد العزيز قال: كلُّ شيءٍ في القرآن (خلود) فإنه لا توبةَ له.

وأخرج عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلَم قال: كلُّ شيءٍ في القرآن (يَقْدر) فمعناه يُقِلّ.

وأخرج عنه قال: (التزكي) في القرآن كلُّه الإسلام.

وأخرج عن أبي مالك قال: (وراء) في القرآن (أمام) كله، غير حرفين ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ [المؤمنون: ٧]، يعني سِوى ذلك، ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٤]، يعني سِوى ذلكم.

وأخرج عن أبي بكر بن عَيَّاش قال: ما كان (كِسْفاً) فهو عذاب، وما كان (كِسَفاً) فهو قِطَعُ السحاب.

وأخرج عن عكرمة قال: ما صَنَع الله فهو (السُّد)، وما صنع الناس فهو (السَّدّ).

وأخرج ابن جرير عن أبي رَوْقٍ قال: كل شيء في القرآن (جعل) فهو خَلَقَ.

وأخرج عن مجاهد قال: (المباشرة) في كلِّ كتاب الله الجماعُ.

وأخرج عن ابن زيد قال: كلُّ شيء في القرآن (فاسق) فهو كاذب، إلا قليلاً.

---

(١) «الوقف والابتداء» ١/ ٩٨.

(٢) ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٨/ ٢٥٧١ (١٤٣٧٩).

وأخرج ابن المنذر، عن السُّدّي قال: ما كان في القرآن ﴿حَنِيفًا﴾ مسلماً، وما كان في القرآن ﴿حُنَفَآءَ﴾ مسلمين حُجَّاجاً.

وأخرج عن سعيد بن جُبير قال: (العفو) في القرآن على ثلاثة أنحاء: نحوٌ تجاوزٌ عن الذنب، ونحوٌ في القصد في النفقة: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩] ونحوٌ في الإحسان فيما بين الناس: ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

وفي «**صحيح البخاريّ**» [قبل حديث: ٤٦٤٨]: قال سفيان بن عُيينة: ما سمّى الله المَطَر في القرآن إلّا عذاباً، وتُسمّيه العربُ الغيثَ.

قلت: استثني من ذلك: ﴿إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾ [النساء: ١٠٢]، فإن المراد به الغيثُ قطعاً.

وقال أبو عُبيدة: إذا كان في العذاب فهو أمطرتْ، وإذا كان في الرحمة فهو مَطَرتْ.

فرع: أخرج أبو الشيخ عن الضحَّاك قال: قال لي ابن عباس: احفظ عني: كُلُّ شيء في القرآن: ﴿وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ فهو للمشركين، فأما المؤمنون: فما أكثر أنصارَهم وشفعاءهم.

وأخرج سعيد بن منصور عن مجاهد قال: كلُّ طعام في القرآن فهو نصفُ صاعٍ.

وأخرج ابن أبي حاتم عن وهب بن مُنبِّه قال: كل شيء في القرآن (قليل) و: (إلا قليل) فهو دون العشرة.

وأخرج عن مسروق، قال: ما كان في القرآن ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام: ٩٢]، ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فهو على مواقيتها.

وأخرج عن سفيان بن عُيينة قال: كلُّ شيء في القرآن: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ فلم يُخبر به. ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ فقد أَخبرَ به.

وأخرج عنه قال: كل (مكرٍ) في القرآن فهو عَمَلٌ.

وأخرج عن مجاهد قال: ما كان في القرآن (قتل، لُعِن) فإنما عُني به الكافرُ.

وقال الراغب في «مفرداته»(١): قيل: كل شيء ذكره اللهُ بقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ فَسَّره، وكل شيء ذكره بقوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ تركه. وقد ذكر: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾ [المطففين: ٨]، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ [المطففين: ١٩]، ثمَّ فسّر الكتاب، لا السِّجّين ولا العِلّيُّون. وفي ذلك نكتة لطيفة. انتهى. ولم يذكرها.

وبقيتْ أشياءُ تأتي في النوع الذي يلي هذا إن شاء الله تعالى.

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» مادة: درى.

النوع الأربعون

في معرفة معاني الأدوات التي يحتاج إليها المفسّر

وأعني بالأدوات: الحروفَ وما شاكلَها من الأسماء والأفعال والظروف.

اعلم أن معرفة ذلك من المهمَّات المطلوبة لاختلاف مواقعها، ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٢٤] فاستعملت (على) في جانب الحق، و(في) في جانب الباطل؛ لأنَّ صاحب الحق كأنه مستعلٍ يصرِّف نظرَه كيف شاء، وصاحبُ الباطل كأنه منغمسٌ في ظلامٍ منخفض لا يدري أين يتوجه.

وقوله تعالى: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ﴾ [الكهف: ١٩] عطف على الجُمل الأُوَل بالفاء والأخيرة بالواو، لما انقطع نظام الترتّب؛ لأن التلطفَ غير مرتَّب على الإتيان بالطعام كما كان الإتيان به مترتباً على النظر فيه، والنظر فيه مترتباً على التوجُّه في طلبه، والتوجه في طلبه مترتباً على قطع الجدال في المسألة عن مدة اللّبث وتسليم العلم له تعالى.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ...﴾ الآيةَ [التوبة: ٦٠]. عَدَل عن اللام إلى (في) في الأربعة الأخيرة إيذاناً إلى أنهم أكثرُ استحقاقاً للمتصدَّق عليهم بمَنْ سبق ذكره باللام؛ لأن (في) للوعاء، فنبَّه باستعمالها على أنهم أحقَّاء بأن يجعلوا مظنَّة لوضع الصدقات فيهم، كما يوضع الشيءُ في وعائه مستقرًّا فيه.

وقال الفارسيّ: إنما قال: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾، ولم يقل: وللرقاب، ليدل على أن العبد لا يَملِك.

وعن ابن عباس قال: الحمد لله الذي قال: ﴿عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥] ولم يقل: في صلاتهم.

وسيأتي ذكرُ كثيرٍ من أشباه ذلك.

وهذا سردُها مرتبةً على حروف المعجم، وقد أفرد هذا النوع بالتصنيف خلائقُ من المتقدمين كالهرويّ في «**الأُزْهِية**»، والمتأخرين كابن أُم قاسم في «**الجنى الداني**»(١).

الهمزة:

تأتي على وجهين:

---

(١) «الجَنَى الداني في حروف المعاني» الحسن بن قاسم المرادي (ت: ٧٤٩ هـ) تح: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، ط المكتبة العربية بحلب ١٩٧٣ م.

(**أحدهما**): الاستفهام وحقيقتُهُ طلبُ الإفهام، وهي أصل أدواته، ومن ثَمَّ اختصت بأمور:

أحدها: جوازُ حذفِها كما سيأتي في النوع السادس والخمسين.

ثانيها: أنها تَرِدُ لطلب التصوُّر والتصديق، بخلاف (هل) فإنها للتصديق خاصة، وسائر الأدوات للتصوُّر خاصة.

ثالثها: أنها تدخل على الإثبات، نحو: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ [يونس: ٢]. ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ﴾ [الأنعام: ١٤٣]. وعلى النفي، نحو: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ [الشرح: ١]. وتفيد حينئذ معنيين: أحدهما: التَّذكُّرُ والتنبيه كالمثال المذكور، وكقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥]، والآخر: التعجُّب من الأمر العظيم، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، وفي كِلا الحالين هي تحذيرٌ، نحو: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات: ١٦].

رابعها: تقديمها على العاطف تنبيهاً على أصالتها في التصدير، نحو: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا﴾ [البقرة: ١٠٠]، ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [الأعراف: ٩٧]، ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ [يونس: ٥١]. وسائر أخواتها يتأخر عنه، كما هو قياس جميع أجزاء الجملة المعطوفة، نحو: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ﴾ [المزمل: ١٧]، ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير: ٢٦]. ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥]. ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ [الأنعام: ٨١]. ﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [النساء: ٨٨].

خامسها: أنه لا يستفهم بها حتى يهجس في النفس إثباتُ ما يستفهم عنه، بخلاف (هل) فإنَّه لما لا يترجَّح عنده فيه نفيٌ ولا إثبات. حكاه أبو حيّان عن بعضهم.

سادسها: أنها تدخل على الشرط، نحو: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤] بخلاف غيرها.

وتخرج عن الاستفهام الحقيقي، فتأتي لمعانٍ تُذكر في **النوع السابع والخمسين**.

فائدة: إذا دخلت على (رأيت) امتنع أن تكون من رؤية البصر أو القلب، وصار بمعنى (أخبرني) وقد تبدل (هاءً)، وخُرِّج على ذلك قراءة قنبل: (هأنتم هؤلاء) [آل عمران: ٦٦] بالقصر[١]. وقد تقع في القسم، ومنه ما قرئ [المائدة: ١٠٦]: (ولا نكْتُم شهادةً) بالتنوين (آلله) بالمدّ[٢].

(**الثاني**): من وجهَي الهمزةِ أن تكون حرفاً ينادى به القريبُ، وجعَل منه الفَرّاء قولَه تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ [الزمر: ٩] على قراءة تخفيف الميم، أي: يا صاحبَ هذه الصفات[٣].

قال ابن هشام[٤]: ويبعده أنه ليس في التنزيل نداء بغير يا، ويقرِّبه سلامته من دعوى المجاز؛ إذ لا يكون الاستفهام منه تعالى على حقيقته، ومِنْ دعوى كثرة الحذف؛ إذ التقدير عند من جعلها للاستفهام:

---

(١) أي: فلا مَدّ بعد الهاء في ﴿هأنتم﴾. (٢) وهي قراءة شاذة.

(٣) قرأ عاصم وأبو عَمْرو وابن عامر والكسائي: أَمَّنْ مشددة الميم، وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة: أَمَن خفيفة الميم.

(٤) في «المغني» ص ١٨.

أمن هو قانت خير أم هذا الكافر؟ أي: المخاطب بقوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ [الزمر: ٨]، فحُذِف شيئان: معادلُ الهمزة، والخبر.

أحـــــد: قال أبو حاتم في كتاب «**الزينة**»[١]: هو اسمٌ أكملُ من الواحد، ألا ترى أنَّك إذا قلت: فلان لا يقوم له واحد، جاز في المعنى أن يقوم اثنان فأكثر، بخلاف قولك: لا يقوم له أحد.

وفي الأحد خصوصيَّة ليست في الواحد؛ تقول: ليس في الدار واحد، فيجوز أن يكون من الدوابّ والطير والوحش والإنس، فيعمّ الناسَ وغيرَهم، بخلاف: ليس في الدار أحدٌ؛ فإنَّه مخصوص بالآدميين دون غيرهم.

قال: ويأتي الأحدُ في كلام العرب بمعنى الأوَّل وبمعنى الواحد، فيستعمل في الإثبات وفي النفي، نحو: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] أي: واحد، وأوَّل: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ﴾ [الكهف: ١٩]، وبخلافهما فلا يستعمل إلا في النفي، تقول: ما جاءني من أحد، ومنه: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ [البلد: ٥]، و﴿أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ [البلد: ٧]، ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ [الحاقة: ٤٧]، ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ﴾ [التوبة: ٨٤]، وواحد يستعمل فيها مطلقاً.

وأحدٌ يستوي فيه المذكر والمؤنث، قال تعالى: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢]. بخلاف الواحد، فلا يقال: كواحد من النساء، بل كواحدة، وأحدٌ يصلُح في الإفراد والجمع.

قلت: ولهذا وصف قوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧] بخلاف الواحد.

والأحدُ له جمع من لفظه، وهو الأحدُون والآحاد، وليس للواحد جمع من لفظه، فلا يقال: واحدون، بل اثنان وثلاثة.

والأحدُ ممتنعُ الدخول في الضرب والعدد والقسمة وفي شيء من الحساب، بخلاف الواحد. انتهى ملخصاً. وقد تحصَّل من كلامه بينهما سبعةُ فروق.

وفي «**أسرار التنزيل**» للبارزيّ في سورة الإخلاص: فإن قيل: المشهور في كلام العرب أنّ الأحد يستعمل بعد النفي، والواحد بعد الإثبات، فكيف جاء (أحدٌ) هنا بعد الإثبات؟

قلنا: قد اختار أبو عُبيد أنهما بمعنى واحد، وحينئذ فلا يختصّ أحدهما بمكان دون الآخر، وإن غلب استعمال (أحد) في النفي، ويجوز أن يكون العدول هنا عن الغالب رعايةً للفواصل. انتهى.

وقال الراغب في «**مفردات القرآن**»[٢]: أحدٌ يستعمل على ضربين: أحدهما: في النفي فقط، والآخر: في الإثبات.

فالأول لاستغراق جنس الناطقين، ويتناول الكثيرَ والقليل، ولذلك صحَّ أن يقال: ما من أحد فاضلين. كقوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧].

---

(١) «الزينة» ٢/٣٣ باب الواحد الأحد. (٢) مادة: أحد.

والثاني، على ثلاثة أوجه:

الأول: المستعمل في العدد مع العشرات نحو أحدَ عَشَرَ، وأحدٍ وعشرين.

والثاني: المستعمل مضافاً أو مضافاً إليه بمعنى الأول، نحو: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ﴾ [يوسف: ٤١].

والثالث: المستعمل وصفاً مطلقاً، ويختص بوصف الله تعالى، نحو: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، وأصله وَحَدٌ، إلَّا أنَّ وحَداً يستعمل في غيره. انتهى.

إذْ: تَرِدُ على أوجه:

أحدها: أن تكون اسماً للزمن الماضي وهو الغالب، ثم قال الجمهور: لا تكون إلا ظرفاً، نحو: ﴿فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [التوبة: ٤٠]، أو مضافاً إليها الظرف نحو: ﴿بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]، ﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ﴾ [الزلزلة: ٤]، ﴿وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٤].

وقال غيرهم: تكون مفعولاً به، نحو: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا﴾ [الأعراف: ٨٦]، وكذا المذكورة في أوائل القَصص كلها مفعول به بتقدير: (اذكُر).

وبدلاً منه، نحو: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ﴾ [مريم: ١٦]؛ فإذْ بدل اشتمال من مريم، على حدّ البدل في: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ﴾ [المائدة: ٢٠]، أي: اذكروا النعمةَ التي هي الجَعْلُ المذكور، فهي بدل كلٍّ من كل، والجمهور يجعلونها في الأول ظرفاً لمفعولٍ محذوفٍ، أي: واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم قليلاً. وفي الثاني ظرفاً لمضاف إلى المفعول محذوفٍ، أي: واذكر قصةَ مريم، ويؤيد ذلك التصريحُ به في: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وذكر الزمخشري أنها تكون مبتدأ، وخرَّجَ عليه قراءة بعضهم: (لَمِنْ مَنِّ الله على المؤمنين) قال: التقدير: (منُّه إذ بعث)، فـ«إذ» في محل رفع، كإذا في قولك: أخطَبُ ما يكون الأمير إذا كان قائماً، أي: لَمِنْ مَنِّ الله على المؤمنين وقتَ بعثه. انتهى. قال ابن هشام(١): ولا نَعْلَمُ بذلك قائلاً.

وذكَر كثيرٌ أنها تخرُج عن المضيّ إلى الاستقبال، نحو: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤]، والجمهور أنكروا ذلك، وجعلوا الآيةَ من باب: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الكهف: ٩٩]، أعني من تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلةَ الماضي الواقع.

واحتج المُثبِتون ـ منهم ابنُ مالك ـ بقوله تعالى: ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ﴾ [غافر: ٧٠، ٧١] فإن (يعلمون) مستقبل لفظاً ومعنًى، لدخول حرف التنفيس عليه، وقد عمل في (إذ)، فيلزم أن تكون بمنزلة (إذا).

---

(١) في «المغني» ص ١١١.

وذكر بعضهم أنها تأتي في الحال، نحو: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١]، أي: حين تفيضون فيه.

فائدة: أخرج ابنُ أبي حاتم من طريق السُّدِّي، عن أبي مالك قال: ما كان في القرآن (إن) بكسر الألف فلم يكن، وما كان (إذ) فقد كان.

الوجه الثاني: أن تكون للتعليل، نحو ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزخرف: ٣٩]. أي: ولن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب، لأجل ظلمتم في الدنيا.

وهل هي حرف بمنزلة لام العلة، أو ظرفٌ بمعنى وقت، والتعليل مستفاد من قوة الكلام لا من اللفظ؟ قولان، المنسوب إلى سيبويه الأول.

وعلى الثاني: في الآية إشكال، لأن (إذ) لا تبدل من اليوم لاختلاف الزمانين، ولا تكون ظرفاً لـ(ينفع)؛ لأنه لا يعمل في ظرفين، ولا لـ(مشتركون)؛ لأن معمول خبر (إنَّ) وأخواتها لا يتقدم عليها، ولأن معمول الصِّلة لا يتقدم على الموصول، ولأن اشتراكهم في الآخرة، لا في زمن ظلمهم.

وممَّا حُمل على التعليل: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١]. ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ [الكهف: ١٦]. وأنكر الجمهور هذا القِسْمَ، وقالوا: التقدير: (بعد إذ ظلمتم).

وقال ابن جنّي: راجعت أبا عليّ مراراً في قوله تعالى: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ الآية، مستشكلاً إبدال (إذ) من (اليوم)، وآخر ما تحصَّل منه: أن الدنيا والآخرة متَّصلتان، وأنهما في حكم الله سواء، فكأنَّ اليوم ماضٍ[1]. انتهى.

الوجه الثالث: التوكيد، بأن تُحمل على الزيادة. قاله أبو عُبيدة، وتبعه ابن قُتيبة، وحملا عليه آياتٍ منها: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة: ٣٠].

الرابع: التحقيق كـ: قد، وحُملت عليه الآية المذكورة [الزخرف: ٣٩]. وجعل منه السُّهيلي قوله: ﴿بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠]، قال ابن هشام[2]: وليس القولان بشيء.

مسألة[3]:

تلزم «إذ» الإضافة إلى جملة؛ إما اسمية نحو: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾ [الأنفال: ٢٦]، أو فعلية فعلُها ماضٍ لفظاً ومعنى، نحو: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة: ٣٠]، ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ﴾ [البقرة: ١٢٤]، أو معنًى لا لفظاً نحو: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧]. وقد اجتمعت الثلاثة في قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ [التوبة: ٤٠]. وقد تُحذف الجملة للعلم بها، ويُعوّض عنها التنوين، وتُكسر

---

(١) وتمام كلامه: أو إذ مستقبلة. «المغني» ص ١١٥. (٢) في «المغني» ص ١١٦.

(٣) انظرها في «المغني» أيضاً ص ١١٦.

الذَّال لالتقاء الساكنين، نحو: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الروم: ٤]، ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٤].

وزعم الأخفش أنَّ (إذ) في ذلك مُعْرَبةٌ، لزوال افتقارها إلى الجملة، وأن الكسرة إعرابٌ؛ لأن اليوم والحين مضافان إليها. ورُدّ بأن بناءها لوضعها على حرفين، وبأنَّ الافتقارَ باقٍ في المعنى، كالموصول تُحذف صلته.

إذا: على وجهين:

أحدهما: أن تكون للمفاجأة؛ فتختص بالجمل الاسمية، ولا تحتاج لجواب، ولا تقع في الابتداء، ومعناها الحال لا الاستقبال، نحو: ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٢٠]، ﴿فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ﴾ [يونس: ٢٣]، ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾ [يونس: ٢١].

قال ابن الحاجب: ومعنى المفاجأة حضور الشيء معك في وصفٍ من أوصافك الفعلية، تقول: خرجتُ فإذا الأسد بالباب، فمعناه: حضور الأسد معكَ في زمن وصفك بالخروج أو في مكان خروجك. وحضورُه معك في مكان خروجك ألصقُ بك من حضوره في خروجك، لأن ذلك المكان يخصّك دون ذلك الزمان، وكلّما كان ألصَق كانت المفاجأة فيه أقوى.

واختلف في (إذا) هذه:

فقيل: إنها حرف، وعليه الأخفش، ورجَّحه ابنُ مالك.

وقيل: ظرفُ مكان، وعليه المبرّد ورجَّحه ابن عصفور.

وقيل: ظرفُ زمانٍ، وعليه الزَّجاج ورجَّحه الزَّمخشريّ، وزعم أن عاملَها فعل مقدّر مشتقٌّ من لفظ المفاجأة، قال: التقدير: ثم إذا دعاكم فاجأتم الخروج في ذلك الوقت. ثُمَّ قال ابن هشام[1]: ولا يُعرَف ذلك لغيره، وإنما يعرف ناصِبُها عندهم الخبر المذكور أو المقدَّر، قال: ولم يقع الخبر معها في التنزيل إلَّا مصرَّحاً به.

الثاني: أن تكون لغير المفاجأة، فالغالب أن تكون ظرفاً للمستقبل مضمَّنة معنى الشرط، وتختصّ بالدخول على الجمل الفعلية، وتحتاج لجواب، وتقع في الابتداء عكسَ الفجائية.

والفعل بعدها: إمَّا ظاهر، نحو: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]، أو مقدر، نحو: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١].

وجوابها إما فعل، نحو: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾ [غافر: ٧٨]، أو جملة اسمية مقرونة بالفاء، نحو: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [المدثر: ٨، ٩]، ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، أو فعلية طلبية كذلك، نحو: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [النصر: ٣]، أو اسمية

(١) في «المغني» ص ١٢١.

مقرونة بإذا الفجائية، نحو: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥]، ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الروم: ٤٨].

وقد يكون مقدراً لدلالة ما قبله عليه، أو لدلالة المقام، وسيأتي في أنواع الحذف.

وقد تخرج (إذا) عن الظرفية، قال الأخفش في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ [الزمر: ٧١]: إنَّ إذا جُرَّ بحتى.

وقال ابن جنِّي في قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ الآية [الواقعة: ١]، فيمن نصب: ﴿خَافِضَةً رَّافِعَةً﴾ [الواقعة: ٣] إنَّ «إذا» الأولى مبتدأ، والثانية خبر، والمنصوبان حالان(١)، وكذا جملة ﴿لَيْسَ﴾ [الواقعة: ١ ـ ٤] ومعمولاها. والمعنى: وقتُ وقوعِ الواقعة ـ خافضة لقوم رافعةً لآخرين ـ هو وقت رَجِّ الأرضِ.

والجمهور أنكروا خروجَها عن الظرفية، وقالوا في الآية الأُولى: إنَّ (حتى) حرف ابتداء، داخل على الجملة بأسرِها ولا عمل له، وفي الثانية: إنَّ (إذا) الثانية بدل من الأولى، والأُولى ظرف وجوابها محذوفٌ لفهم المعنى، وحسّنه طولُ الكلام، وتقديره بعد إذا الثانية: أي انقسمتم أقساماً، وكنتم أزواجاً ثلاثة.

وقد تخرج عن الاستقبال:

فترد للحال، نحو: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل: ١]، فإن الغشيان مقارنٌ للَّيْل: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل: ٢]، ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١].

وللماضي، نحو: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا﴾ [الجمعة: ١١]، فإن الآية نزلت بعد الرؤية والانفضاض، وكذا قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٩٢]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾ [الكهف: ٩٠]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ [الكهف: ٩٦].

وقد تخرج عن الشرطية، نحو: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧]، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٩]، فـ(إذا) في الآيتين ظرفٌ لخبر المبتدأ بعدها، ولو كانت شرطية ـ والجملة الاسمية جواب ـ لاقترنت بالفاء. وقول بعضهم: إنه على تقديرها، مردود بأنَّها لا تحذف إلا لضرورة. وقول آخر: إن الضمير توكيدٌ لا مبتدأ، وأنَّ ما بعده الجواب، تعسّف. وقول آخر: جوابها محذوف مدلول عليه بالجملة بعدها، تكلّفٌ من غير ضرورة.

تنبيهات(٢):

الأول: المحققون على أنَّ ناصب «إذا» شرطُها، والأكثرون أنه ما في جوابها من فعل أو شبهه.

الثاني: قد تستعمل «إذا» للاستمرار في الأحوال الماضية والحاضرة والمستقبلة، كما يستعمل الفعل المضارع لذلك؛ ومنه: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا

---

(١) في «المغني»: والمنصوبين حالين.

(٢) انظر «المغني» ص ١٣٠ ـ ١٣١.

﴿نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤]، أي: هذا شأنهم أبداً، وكذا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢].

الثالث: ذكر ابن هشام في «**المغني**»(١): (إذ ما) ولم يذكر (إذا ما)، وقد ذكرها الشيخ بهاء الدين السبكي في «**عروس الأفراح**» في أدوات الشرط.

فأمّا (إذ ما) فلم تقع في القرآن، ومذهب سيبويه أنها حرف. وقال المبرِّد وغيره: إنها باقية على الظرفية، وأمّا (إذا ما) فوقعت في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ﴾ [الشورى: ٣٧]، ﴿إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ [التوبة: ٩٢]، ولم أر من تعرض لكونها باقيةً على الظرفية أو محوّلة إلى الحرفية. ويحتمل أن يجري فيها القولان في (إذ ما). ويحتمل أن يُجزَم ببقائها على الظرفية، لأنها أبعدُ عن التركيب، بخلاف (إذ ما).

الرابع: تختصّ (إذا) بدخولها على المتيقَّن والمظنون والكثير الوقوع، بخلاف (إنْ) فإنها تستعمل في المشكوك والموهوم والنادر؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ﴾، ثم قال: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ﴾ [المائدة: ٦]، فأتى بـ(إذا) في الوضوء لتكرره وكثرة أسبابه، وبـ(إن) في الجنابة لنُدرة وقوعها بالنسبة إلى الحدث. وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ﴾ [الأعراف: ١٣١]، ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦]. أتى في جانب الحسنة بـ(إذا)، لأن نِعم الله على العباد كثيرةٌ ومقطوع بها، وبـ(إن) في جانب السَّيِّئة؛ لأنها نادرة الوقوع ومشكوكٌ فيها.

نعم أشكل على هذه القاعدة آيتان: الأولى قوله تعالى: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ﴾ [آل عمران: ١٥٨]، ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، فأتى بـ(إن) مع أنَّ الموتَ محقَّق الوقوع. والأُخرى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٣]، فأتى بـ(إذا) في الطرفين.

وأجاب الزمخشريّ عن الأُولى: بأن الموت لمَّا كان مجهولَ الوقت أُجْرِيَ مجرى غير المجزوم.

وأجاب السَّكَّاكي(٢) عن الثانية: بأنه قصد التوبيخ والتقريع، فأتى بـ(إذا) ليكون تخويفاً لهم، وإخباراً بأنهم لا بدَّ أن يَمَسَّهم شيء من العذاب، واستفيد التقليل من لفظ (المسّ) وتنكير ﴿ضُرٌّ﴾.

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٥١]، فأُجيب عنه بأن الضمير في ﴿مَسَّهُ﴾ للمعرض المتكبر، لا لمطلق الإنسان. ويكون لفظ ﴿وَإِذَآ﴾ للتنبيه على أن مثل هذا المعرض يكون ابتلاؤه بالشَّرِّ مقطوعاً به.

وقال الخُوَيِّي(٣): الذي أظنُّه أنَّ (إذا) يجوز دخولها على المتيقّن والمشكوك، لأنها ظرف وشرط، فبالنظر إلى الشرط تدخل على المشكوك، وبالنظر إلى الظرف تدخل على المتيقَّن كسائر الظروف.

---

(١) ص ١٢٠.

(٢) السكاكي: يوسف بن أبي بكر، أبو يعقوب، عالم بالعربية والأدب (ت: ٦٢٦ هـ). «شذرات الذهب» ٥/ ١٢٢.

(٣) الخُوَيي: أحمد بن خليل، قاضٍ شافعي من علماء الكلام (ت: ٦٣٨ هـ). «شذرات الذهب» ٥/ ١٨٣.

الخامس: خالفت (إذا) (إنْ) أيضاً في: إفادة العموم، قال ابن عصفور: فإذا قلت: إذا قام زيد قام عَمرو، أفادت: أنّه كلما قام زيد قام عمرو. قال: هذا هو الصحيح. وفي: أنَّ المشروط بها إذا كان عدماً يقع الجزاء في الحال، وفي: (إنْ) لا يقع حتى يتحقق اليأس من وجوده. وفي: أنَّ جزاءها مستعقِب لشرطها على الاتصال، لا يتقدَّم ولا يتأخَّر، بخلاف (إن). وفي: أنَّ مدخولها لا تجزمه، لأنها لا تتمحض شرطاً.

خاتمة: قيل: قد تأتي (إذا) زائدة، وخرّج عليه: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ [الانشقاق: ١]، أي: انشقت السماء، كما قال: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١].

إذاً: قال سيبويه: معناها الجواب والجزاء، فقال الشَّلوبين: في كل موضع، وقال الفارسي[١]: في الأكثر.

والأكثرُ أن تكون جواباً لِإنْ، أَوْ: لَوْ، ظاهرتين أو مقدَّرتين.

قال الفرَّاء[٢]: وحيث جاءت بعدها اللام فقبلها (لو) مقدرةً إن لم تكن ظاهرة، نحو: ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

وهي حرف ينصب المضارع، بشرط تصديرها واستقباله، واتصالها أو انفصالها بالقسم أو بلا النافية.

قال النُّحاة: وإذا وقعت بعد الواو والفاء جاز فيها الوجهان[٣]، نحو: ﴿وَإِذًا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ﴾ [الإسراء: ٧٦]، ﴿فَإِذًا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء: ٥٣]. وقرئ ـ شاذًّا ـ بالنصب فيهما.

وقال ابن هشام[٤]: التحقيق أنه إذا تقدمها شرط وجزاء وعطفت، فإن قدّرت العطف على الجواب جزمتَ وبطل عمل إذاً، لوقوعها حشواً. أو على الجملتين جميعاً: جاز الرفع والنصب. وكذا إذا تقدمها مبتدأ خبره فعلٌ مرفوع، إن عطفت على الفعليّة رفعت، أو الاسمية فالوجهان.

وقال غيره: (إذاً) نوعان:

الأول: أن تدل على إنشاء السببية والشرط، بحيث لا يفهم الارتباط من غيرها، نحو: أزورك غداً، فتقول: إذاً أكرمَك. وهي في هذا الوجه عاملة تدخُل على الجمل الفعلية، فتنصب المضارع المستقبل المتصل إذا صدِّرت.

والثاني: أن تكون مؤكدة لجواب ارتبط بمقدّم، أو منبّهةً على مسبّب حصل في الحال، وهي

---

(١) الفارسي: حسن بن أحمد، أبو علي، أحد الأئمة في علم العربية (ت: ٣٧٧ هـ). «إنباه الرواة» ١/ ٢٧٣، «وفيات الأعيان» ١/ ١٣١.

(٢) انظر «المغني» ص ٣١.

(٣) أي: رفع المضارع بعدها ونصبه.

(٤) في «المغني» ص ٣٢.

حينئذ غير عاملة؛ لأنَّ المؤكدات لا يعتمد عليها، والعامل يعتمد عليه، نحو: إن تأتني إذاً آتيك، والله إذاً لأفعلنَّ. ألا ترى أنها لو سقطت لفُهم الارتباط.

وتدخل هذه على الاسمية، فتقول: إذاً أنا أكرمك. ويجوز توسّطها وتأخرها. ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا﴾ [البقرة: ١٤٥]، فهي مؤكِّدة للجواب، مرتبطة بما تقدم.

تنبيهان:

الأول: سمعت شيخنا العلامة الكافِيْجيَّ يقول في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٤]: ليست إذاً هذه الكلمة المعهودة، وإنما هي (إذا) الشرطية، حذفت جملتها التي تضاف إليها، وعُوِّض عنها بالتنوين كما في يومئذٍ. وكنت أستحسن هذا جدًّا، وأظن أن الشيخ لا سَلَفَ له في ذلك. ثم رأيت الزركشي قال في «**البرهان**»[1] بعد ذكره لـ(إذاً) المعنيين السابقين.

وذكر لها بعض المتأخرين معنى ثالثاً، وهي أن تكون مركَّبة من (إذ) التي هي ظرف زمن ماض، ومن جملةٍ بعدها تحقيقاً أو تقديراً، لكن حذفت الجملة تخفيفاً؛ وأبدل منها التنوين، كما في قولهم في حينئذ، وليست هذه الناصبة للمضارع، ولأنّ تلك تختصّ به ولذا عملت فيه، ولا يعمل إلا ما يختصّ، وهذه لا تختص، بل تدخل على الماضي، كقوله تعالى: ﴿وَإِذًا لَّأَتَيْنَٰهُم﴾ [النساء: ٦٧]، ﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ﴾ [الإسراء: ١٠٠]، ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ﴾ [الإسراء: ٧٥] وعلى الاسم نحو: ﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٤٢] قال: وهذا المعنى لم يَذكره النُّحاة، لكنه قياس ما قالوه في (إذ).

وفي «**التذكرة**» لأبي حيان: ذكر لي علم الدين القمنيّ: أنَّ القاضي تقي الدين بن رزين[2] كان يذهب إلى أن (إذاً) عوض من الجملة المحذوفة، وليس هذا قولُ نحويٍّ.

وقال الخُوَيِّي: وأنا أظن أنه يجوز أن تقول لمن قال: أنا آتيك إذاً أكرمُك، بالرفع، على معنى: إذا أتيتني أكرمُك، فحذفت أتيتني، وعوضت التنوين من الجملة، فسقطت الألف لالتقاء الساكنين. قال: ولا يقدح في ذلك اتفاقُ النحاة على أن الفعل في مثل ذلك منصوب بـ(إذاً)، لأنهم يريدون بذلك ما إذا كانت حرفاً ناصباً له، ولا ينفي ذلك رفع الفعل بعدها إذا أُريد بها (إذا) الزمانية، معوّضاً من جملتها التنوين، كما أن منهم مَنْ يجزم ما بعد (مَنْ) إذا جعلها شرطية، ويرفعه إذا أُريد بها الموصولةُ. انتهى.

فهؤلاء قد حاموا حول ما حام عليه الشيخ، إلا أنه ليس أحدٌ منهم من المشهورين بالنحو، وممن يعتمد قوله فيه. نعم ذهب بعض النحاة إلى أنَّ أصل (إذاً) الناصبة اسمٌ، والتقدير في: إذاً أكرمَكَ: إذا جئتني أكرمك، فحذفت الجملة وعوّض منها التنوين، وأضمرت (أن).

(١) «البرهان» ٤/ ١٦٥، النوع ٤٧.

(٢) ابن رزين: محمد بن الحسن، عالم بالقراءات، فقيه مشارك في علوم كثيرة (ت: ٦٨٠ هـ). «طبقات الشافعية» ٥/ ٢٠.

وذهب آخرون إلى أنها حرف، مركَّبة من (إذ) و(إن). حكى القولين ابنُ هشام في «**المغني**»[(١)].

التنبيه الثاني: الجمهور على أن (إذاً) يُوقف عليها بالألف المبدَلة من النون، وعليه إجماع القُرَّاء، وجوّز قوم ـ منهم المبرّد والمازنيّ في غير القرآن ـ الوقوفَ عليها بالنون، كـ: لنْ، وإنْ، وينبني على الخلاف في الوقوف عليها كتابتها؛ فعلى الأوَّل تكتب الألف كما رُسمت في المصاحف، وعلى الثاني بالنون.

وأقول: الإجماعُ في القرآن على الوقف عليها وكتابتها بالألف دليل على أنها اسمٌ منوّن لا حرفٌ آخره نون، خصوصاً أنها لم تقع فيه ناصبة للمضارع، فالصواب إثبات هذا المعنى لها، كما جنح إليه الشيخُ ومَنْ سبق النقل عنه.

أف: كلمة تستعمل عند التضجّر والتكرّه.

وقد حكى أبو البقاء[(٢)] في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣] قولين:

أحدهما: أنه اسم لفعل الأمر؛ أي: كُفَّ واترك.

والثاني: أنه اسم لفعل ماض؛ أي: كَرِهت وتضجّرت.

وحكى غيره ثالثاً: أنه اسم لفعل مضارع؛ أي: أتضجر منكما.

وأما قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٧]، فأحاله أبو البقاء على ما سَبَق في الإسراء، ومقتضاه تساويهما في المعنى.

وقال العُزَيزيّ في «**غريبه**» هنا: أي: بئساً لكم.

وفسر صاحب «**الصحاح**»[(٣)]: أفٍّ: بمعنى قذراً.

وقال في «**الارتشاف**»: أُفٍّ: أتضجر.

وفي «**البسيط**»: معناه التضجُّر، وقيل: الضجر، وقيل: تضجَّرت، ثم حكى فيها تسعاً وثلاثين لغة.

قلت: قرئ منها في السبع: ﴿أفِّ﴾ بالكسر بلا تنوين، و﴿أُفٍّ﴾ بالكسر والتنوين، و﴿أُفَّ﴾ بالفتح بلا تنوين، وفي الشاذ: ﴿أفٌّ﴾ بالضم منوناً وغير منوّن، و﴿أفِ﴾ بالتخفيف.

أخرج ابن أبي حاتم[(٤)] عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ قال: لا تقذِّرهما.

---

(١) «المغني» ص ٣٠.

(٢) في «إملاء ما منّ به الرحمن» سورة الإسراء: ٢٣، وانظر «الكليات» لأبي البقاء ص ١٥٣ ط مؤسسة الرسالة. وهو: عبد بن الحسين العكبري (ت: ٦١٦ هـ).

(٣) هو الجوهري إسماعيل بن حَمَّاد، أبو نصر، أول من حاول الطيران، فسقط إلى الأرض قتيلاً (ت: ٣٩٣ هـ) بنيسابور، صاحب معجم «تاج اللغة وصحاح العربية».

(٤) في «تفسيره» ٧/ ٢٣٢٤ (١٣٢٣١).

وأخرج عن أبي مالك قال: هو الرديءُ من الكلام.

أل[1]: على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون اسماً موصولاً بمعنى الذي وفروعه، وهي الداخلة على أسماء الفاعلين والمفعولين، نحو: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ . . .﴾ [الأحزاب: ٣٥] إلى آخر الآية، ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ . . .﴾ الآية [التوبة: ١١٢].

وقيل: هي حينئذ حرفُ تعريف، وقيل: موصول حرفيّ.

الثاني: أن تكون حرفَ تعريف، وهي نوعان: عهديّة وجنسيَّة.

وكل منهما على ثلاثة أقسام:

فالعهدية: إما أن يكون مصحوبُهَا معهوداً ذكريًّا، نحو: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المزمل: ١٥، ١٦]. ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ﴾ [النور: ٣٥]. وضابط هذه أن يسُدَّ الضميرُ مَسَدَّها مع مصحوبها.

أو معهوداً ذهنيًّا، نحو: ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]، ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

أو معهوداً حُضوريًّا، نحو: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]. ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة: ٥]. قال ابن عصفور: وكذا كل واقعة بعد اسم الإشارة، أو أي، في النداء، وإذا الفجائية، أو في اسم الزمان الحاضر نحو: الآن.

والجنسية: إما **لاستغراق الأفراد**، وهي التي تَخْلُفُها (كلٌّ) حقيقةً، نحو: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الرعد: ٩]. ومن دلائلها صحة الاستثناء من مدخولها، نحو: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [العصر: ٢، ٣]. ووصفُه بالجمع، نحو: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟﴾ [النور: ٣١].

وإما **لاستغراق خصائص الأفراد** وهي التي تَخْلُفُها (كل) مجازاً، نحو: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة: ٢]، أي: الكتاب كامل في الهداية الجامع لصفات جميع الكتب المنزلة وخصائصها.

وإمَّا لتعريف الماهيّة والحقيقة والجنس، وهي التي لا تخلفها (كلّ) لا حقيقة ولا مجازاً، نحو: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ [الأنعام: ٨٩].

وقيل: والفرق بين المعرَّف بأل وبين اسم الجنس النكرة هو الفرقُ بين المقيَّد والمطلَق؛ لأن المعرَّف بها يدُلُّ على الحقيقة بقيد حضورها في الذهن، واسمُ الجنس النكرة يدُلُّ على مطلَق الحقيقة لا باعتبار قيد.

---

(١) انظر «المغني» ص ٧١.

الثالث: أن تكون زائدةً وهي نوعان:

لازمة: كالتي في الموصولات، على القول بأن تعريفها بالصلة، وكالتي في الأعلام المقارنة لنقلها: كاللّات والعزى، أو لغلَبتها: كالبيت للكعبة، والمدينة لطيبة، والنجم للثريَّا، وهذه في الأصل للعهد.

أخرج ابن أبي حاتم(١) عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١] قال: الثُّريَّا.

وغير لازمة: كالواقعة في الحال، وخُرِّج عليه قراءةُ بعضهم: (ليَخرجن الأعز منها الأذل) [المنافقون: ٨]، بفتح الياء، أي: ذليلاً؛ لأن الحال واجبةُ التنكير، إلّا أنَّ ذلك غيرُ فصيح، فالأحسن تخريجُها على حذف مضاف، أي: خروج الأذلّ، كما قدَّره الزمخشري.

مسألة: اختلف في (أل) في اسم الله تعالى: فقال سيبويه: هي عوض من الهمزة المحذوفة، بناء على أصله (إله)، دخلت (أل)، فنقلت حركة الهمزة إلى اللام، ثم أُدغمت. فقال الفارسيّ: ويدُلُّ على ذلك قطعُ همزها ولزومها.

وقال آخرون: هي مزيدةٌ للتعريف تفخيماً وتعظيماً، وأصل (إله) (لاه).

وقال قوم: هي زائدة لازمة لا للتعريف.

وقال بعضهم: أصله هاء الكناية؛ زيدت فيه لام المِلْكِ، فصار (له)، ثم زيدت (أل) تعظيماً، وفخَّموه توكيداً.

وقال الخليل وخلائقُ: هي من بنية الكلمة، وهو اسمُ عَلَمٍ لا اشتقاقَ له ولا أصلَ.

خاتمة: أجاز الكوفيون وبعضُ البصريين وكثيرٌ من المتأخرين نيابة (أل) عن الضمير المضاف إليه، وخرَّجوا على ذلك: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤١]، والمانعون يقدِّرون (له) [هي المأوى له].

وأجاز الزمخشري نيابَتها عن الظاهر أيضاً، وخَرَّج عليه: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، فإن الأصل أسماء المسمّيات.

ألا: بالفتح والتخفيف، وردت في القرآن على أوجه:

أحدها: للتنبيه، فتدلُّ على تحقيق ما بعدها. قال الزمخشريّ: ولذلك قلَّ وقوعُ الجُمَل بعدها إلا مصدَّرة بنحو ما يُتلقَّى به القسم، وتدخُلُ على الاسمية والفعلية، نحو: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة: ١٣]، ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ [هود: ٨].

قال في «**المغني**»(٢) ويقول المعربون فيها: حرف استفتاح، فيبينون مكانها، ويُهملون معناها، وإفادتُها من جهة تركيبها من الهمزة ولاَ، وهمزةُ الاستفهام إذا دخلتْ على النفي أفادت التحقيق، نحو: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٤٠].

---

(١) في «تفسيره» ١٠/٣٣١٨ (١٨٦٩٣) النجم: ١. (٢) «المغني» ص ٩٦.

الثاني والثالث: التحضيض والعَرْض، ومعناهما طلب الشيء، لكن الأوَّل طلبٌ بحثٍّ، والثاني طلبٌ بلينٍ. وتَختصُّ فيهما بالفعلية، نحو: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ﴾ [التوبة: ١٣]، ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١١]، ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٧]، ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ﴾ [النور: ٢٢].

ألاّ: بالفتح والتشديد حرف تحضيض؛ لم يقع في القرآن لهذا المعنى فيما أعلم، إلَّا أنه يجوز عندي أن يخرّج عليه قوله: ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ﴾ [النمل: ٢٥]. وأما قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْلُواْ عَلَيَّ﴾ [النمل: ٣١] فليست هذه، بل هي كلمتان: أنْ الناصبة ولا النافية، أو أن المفسرة، [أو المخففة من الثقيلة] ولا الناهية.

إلاّ: بالكسر والتشديد على أوْجه:

أحدها: الاستثناء متصلاً، نحو: ﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٢٤٩] ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٦٦]. أو منقطعاً؛ نحو: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٥٧]، ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ١٩ ـ ٢٠].

الثاني: بمعنى «غير»، فيوصف بها وبتاليها جمعٌ منكرٌ أو شبهه، ويعرَب الاسم الواقع بعدها بإعراب غير، نحو: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، فلا يجوز أن تكون هذه الآية للاستثناء؛ لأن ﴿ءَالِهَةٌ﴾ جمع منكّر في الإثبات، فلا عمومَ له، فلا يَصِحُّ الاستثناءُ منه، ولأنه يَصيرُ المعنى حينئذ: لو كان فيهما آلهة ليس فيهم اللهُ لفسدتا، وهو باطلٌ باعتبار مفهومه.

الثالث: أن تكون عاطفة بمنزلة الواو في التشريك، ذكره الأخفش والفرَّاء وأبو عُبيدة، وخرَّجوا عليه: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠]، ﴿لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ [النمل: ١٠، ١١]، أي: ولا الذين ظلموا ولا من ظلم. وتأوّلهما الجمهورُ على الاستثناء المنقطع.

الرابع: بمعنى (بل)، ذكره بعضهم، وخرَّج عليه: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً﴾ [طه: ٢، ٣]، أي: بل تذكرة.

الخامس: : بمعنى (بدل)، ذكره ابن الضائع(١)، وخرّج عليه: ﴿ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، أي: بدل الله أو عوضه، وبه يخرج عن الإشكال المذكور في الاستثناء وفي الوصف بإلّا من جهة المفهوم.

وغَلِطَ ابنُ مالك، فعدَّ من أقسامها نحو: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠]، وليست منها، بل هي كلمتان: إن الشرطية ولا النافية(٢).

---

(١) ابن الضائع: علي بن محمد، نحوي أندلسي (ت: ٦٨٠ هـ). «بغية الوعاة» ٣٥٤.

(٢) انظر «المغني» ص ١٠٢.

فائدة: قال الرُّماني[1] في «**تفسيره**»: معنى إلاَّ اللازمُ لها: الاختصاص بالشيء دون غيره، فإذا قلت: جاءني القوم إلاَّ زيداً. فقد اختصصت زيداً بأنه لم يجئ، وإذا قلت: ما جاءني إلاَّ زيد، فقد اختصصته بالمجيء، وإذا قلت: ما جاءني زيد إلاَّ راكباً، فقد اختصصته بهذه الحالة دون غيرها من المشي والعَدْوِ ونحوه.

الآن: اسم للزمن الحاضر، وقد يستعمل في غيره مجازاً. وقال قوم: هي مَحَلٌّ للزمانين؛ أيْ: ظرفٌ للماضي وظرف للمستقبل، وقد يُتجوَّز بها عمَّا قَرُبَ من أحدهما.

وقال ابن مالك: لوقت حضر جميعه، كوقت فعل الإنشاء حال النطق به أو بعضه نحو: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٦]، ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٩] قال: وظرفيتُهُ غالبة لا لازمةٌ.

واختلف في (أل) التي فيه، فقيل: للتعريف الحضوريّ، وقيل: زائدة لازمة.

إلى: حرف جرّ له معانٍ:

أشهرُها: انتهاء الغاية زماناً، نحو: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. أو مكاناً، نحو: ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١].

أو غيرهما، نحو: ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ [النمل: ٣٣]؛ أي: منتهٍ إليكِ، ولم يذكر لها الأكثرون غيرَ هذا المعنى.

وزاد ابنُ مالك وغيره تبعاً للكوفيين معانِيَ أُخَرَ:

منها: المعيَّة، وذلك إذا ضَمَمْتَ شيئاً إلى آخر في الحكم به أو عليه أو التعلُّق، نحو: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢]، ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦]، ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢].

قال الرَّضي: والتحقيق أنها للانتهاء؛ أي: مضافة إلى المرافق، وإلى أموالكم.

وقال غيره: ما ورد من ذلك مُؤوَّلٌ على تضمين العامل وإبقاء (إلى) على أصلها، والمعنى في الآية الأولى: مَنْ يضيف نصرته إلى نصرة الله؟ أو مَنْ ينصرني حالَ كوني ذاهباً إلى الله.

ومنها: الظرفية كـ: في، نحو: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [النساء: ٨٧]، أي: فيه، ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٨]، أي: في أنْ...

ومنها: مرادفة اللام، وجعل منه: ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾، أي: لكِ. وتقدَّم أنه من الانتهاء.

ومنها: التبيين، قال ابن مالك: وهي المبينة لفاعلية مجرورها بعدما يفيد حُبّاً أو بغضاً، من فعلِ تعجبٍ أو اسمِ تفضيلٍ، نحو: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ﴾ [يوسف: ٣٣].

---

(١) الرُّمَّاني: علي بن عيسى، أبو الحسن، عالم في اللغة والنحو والبلاغة والتفسير، وفاته ببغداد (ت: ٣٨٤ هـ). «تاريخ بغداد» ٢١/١٦.

ومنها: التوكيد، وهي الزائدة، نحو: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ [إبراهيم: ٣٧] في قراءة بعضهم بفتح الواو، أي: تهوَاهم. قاله الفرَّاء. وقال غيره: هو على تضمين (تهوى) معنى (تميل).

تنبيه:

حكى ابن عصفور في شرح أبيات «**الإيضاح**» عن ابن الأنباري: أنَّ (إلى) تستعمل اسماً، فيقال: انصرفت من إليك، كما يقال: غدوت من عليه. وخرّج عليه من القرآن قوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ [مريم: ٢٥]، وبه يندفع إشكال أبي حيّان فيه: بأن القاعدة المشهورة أن الفعل لا يتعدّى إلى ضميرٍ يتَّصل بنفسه أو بالحرف، وقد رفع المتصل، وهما لمدلولٍ واحدٍ، في غير باب ظنّ.

اللـهـمّ: المشهور أنَّ معناه: يا ألله، حذفت ياء النداء، وعوّض عنها الميم المشددةُ في آخره.

وقيل: أصله يا ألله أمَّنا بخير، فركب تركيب حَيَّهلا.

وقال أبو رجاء العطاردي[1]: الميم فيها تجمع سبعين اسماً من أسمائه.

وقال ابن ظَفَر[2]: قيل: إنها الاسم الأعظم، استدلَّ لذلك: بأن الله دالّ على الذَّات، والميم دالَّة على الصفات التسع والتسعين، ولهذا قال الحسن البصري: اللهمَّ تجمع الدعاء.

وقال النَّضر بن شُمَيل[3]: من قال: اللهمَّ، فقدْ دعا الله بجميع أسمائه.

أَمْ: حرف عطف، وهي نوعان:

متصلة، وهي قسمان:

الأول: أن يتقدم عليها همزةُ التسوية، نحو: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾ [البقرة: ٦] ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا﴾ [إبراهيم: ٢١] ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ [المنافقون: ٦].

والثاني: أن يتقدَّم عليها همزة يُطلَب بها وبـ(أم) التعيينُ، نحو: ﴿ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

وسُمِّيت في القسمين متَّصلةً؛ لأنَّ ما قبلها وما بعدها لا يستغنى بأحدهما عن الآخر، وتسمَّى أيضاً معادلة، لمعادلتها للهمزة في إفادة التسوية في القسم الأول، والاستفهام في الثاني.

ويفترق القسمان من أربعة أوجه:

أحدها وثانيها: أن الواقعة بعد همزة التسوية لا تستحقُّ جواباً، لأن المعنى معها ليس على الاستفهام، وأن الكلام معها قابلٌ للتصديق والتكذيب، لأنه خبرٌ، وليست تلك كذلك؛ لأن الاستفهام منها على حقيقته.

---

(١) العُطَاردي: عمران بن مِلْحان، تابعي كبير، من كبار المخضرمين (ت: ١٠٧ هـ). «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٢٥٣.

(٢) ابن ظفر: محمد بن عبد الله الصقلي، أديب رحالة مفسر (ت: ٥٦٥ هـ). «لسان الميزان» ٥/ ٣٧١.

(٣) النضر بن شميل. أحد الأعلام بمعرفة أيام العرب، ورواية الحديث، وفقه اللغة (ت: ٢٠٣ هـ). «طبقات النحويين» للزبيدي ٥٣ ـ ٦٠، «وفيات الأعيان»: ٢/ ١٦١.

والثالث والرابع: أن الواقعة بعد همزة التسوية لا تقع إلّا بين جملتين، ولا تكون الجملتان معها إلّا في تأويل المفردين، وتكون الجملتان: فعليتين، واسميتين، ومختلفتين. نحو: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٣]، و«أم» الأخرى تقع بين المفردين، وهو الغالب فيها، نحو: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ [النازعات: ٢٧] وبين جملتين ليسا في تأويلهما.

النوع الثاني: **منقطعة**، وهي ثلاثة أقسام:

مسبوقة بالخبر المحض، نحو: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [السجدة: ٢، ٣].

ومسبوقة بالهمزة لغير الاستفهام، نحو: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ﴾ [الأعراف: ١٩٥]، إذ الهمزة في ذلك للإنكار، فهي بمنزلة النفي، والمتصلة لا تقع بعده.

ومسبوقة باستفهام بغير الهمزة، نحو: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ [الرعد: ١٦].

ومعنى أم المنقطعة ـ الذي لا يفارقها ـ: الإضرابُ، ثم تارة تكون له مجرَّداً وتارة تَضمَّنُ مع ذلك استفهاماً إنكاريًّا.

فمن الأول: ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ [الرعد: ١٦]، لأنه لا يدخل الاستفهام على استفهام.

ومن الثاني: ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ [الطور: ٣٩] تقديره: بل ألهُ البنات؟ إذ لو قدّرت الإضرابَ المحض لزم المحال.

تنبيهان(١):

الأول: قد ترد (أم) محتملة للاتصال وللانقطاع، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠] قال الزمخشري: يجوز في (أم) أن تكون معادلة، بمعنى: أيُّ الأمرين كائن؟ على سبيل التقرير لحصول العلم بكون أحدهما، ويجوز أن تكون منقطعة.

الثاني: ذكر أبو زيد(٢): أنَّ (أم) تقع زائدةً، وخرّج عليه قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾ [الزخرف: ٥١، ٥٢]. قال: التقدير: أفلا تبصرون أنا خير؟

أَمَّـــا: بالفتح والتشديد، حرف شرط وتفصيل وتوكيد.

أمّا كونها حرفَ شرط: فبدليل لزوم الفاء بعدها، نحو: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ﴾ [البقرة: ٢٦]. وأما قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم﴾

---

(١) انظر «المغني» ص ٦٨ و٧٠.

(٢) أبو زيد: سعيد بن أوس، عالم بصري، إمام ثقة في اللغة والأدب (ت: ٢١٥ هـ). «تاريخ بغداد» ٩/ ٧٧، و«إنباه الرواة» ٢/ ٣٠.

[آل عمران: ١٠٦]. فعلى تقدير القول؛ أي: فيقال لهم: أكفرتم؟ فحذف القول استغناءً عنه بالمقول، فتبعَتْهُ الفاءُ في الحذف. وكذا قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [الجاثية: ٣١].

وأما التفصيل: فهو غالب أحوالها كما تقدم، وكقوله: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ﴾ [الكهف: ٧٩]، ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ﴾ [الكهف: ٨٠]، ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ﴾ [الكهف: ٨٢].

وقد يُترك تكرارها استغناءً بأحد القسمين عن الآخر، وسيأتي في أنواع الحذف.

وأما التوكيد: فقال الزمخشريّ: فائدة «أمَّا» في الكلام أن تعطيَه فضلَ توكيد، تقول: زيد ذاهبٌ، فإذا قصدت توكيدَ ذلك، وأنه لا محالة ذاهبٌ، وأنه بصدد الذهاب، وأنه منه عزيمةٌ، قلتَ: أما زيد فذاهبٌ، ولذلك قال سيبويه في تفسيره: مهما يكن من شيء فزيدٌ ذاهبٌ.

ويُفْصَل بين أمَّا والفاء: إما بمبتدأٍ كالآيات السابقة. أو خبر، نحو: أما في الدار فزيدٌ. أو جملة شرط، نحو: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝ فَرَوْحٌ﴾ [الواقعة: ٨٨، ٨٩]. أو اسم منصوب بالجواب، نحو: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩]. أو اسم معمول لمحذوف يفسره ما بعد الفاء، نحو: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ [فصلت: ١٧] في قراءة بعضهم بالنصب.

تنبيه:

ليس من أقسام (أمَّا) التي في قوله تعالى: ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٨٤]، بل هي كلمتان: «أم» المنقطعة، و«ما» الاستفهامية.

إمَّـــا: بالكسر والتشديد، تَرِدُ لمعانٍ:

الإبهام، نحو: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٦].

والتخيير، نحو: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦]. ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ [طه: ٦٥]، ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤].

والتفصيل، نحو: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

تنبيهات:

الأول[1]: لا خلاف أن (إمَّا) الأولى في هذه الأمثلة ونحوها غير عاطفة، واختلف في الثانية، فالأكثرون على أنها عاطفة، وأنكره جماعة منهم ابن مالك لملازمتها غالباً الواوَ العاطفةَ. وادَّعى ابن عصفور الإجماعَ على ذلك، قال: وإنما ذكروها في باب العطف لمصاحبتها لحرفه. وذهب بعضهم إلى أنها عطفت الاسم على الاسم، والواو عطفت إمَّا على إمَّا، وهو غريب.

الثاني: سيأتي أن هذه المعاني تكون لـ(أَوْ)، والفرق بينها وبين (إمَّا) أن (إمَّا) يبنى الكلام معها من أوّل الأمر على ما جيء بها لأجله، ولذلك وجب تكرارها و(أو) يفتتح الكلام معها على الجزم، ثم يطرأ الإبهام أو غيره، ولهذا لم يتكرر.

---

(١) انظر «المغني» ص ٨٥.

الثالث: ليس من أقسام (إمَّا) التي في قوله: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ [مريم: ٢٦]، بل هي كلمتان: إنِ الشرطية، وما الزائدة.

إنْ: بالكسر والتخفيف، على أوجه:

الأول: أن تكون شرطية، نحو: ﴿إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ﴾ [الأنفال: ٣٨]، وإذا دخلت على (لم) فالجزم بـ(لم) لا بها، نحو: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾ [البقرة: ٢٤]، أو على لا، فالجزم بها لا بلا، نحو: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى﴾ [هود: ٤٧]، ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ [التوبة: ٤٠]. والفرق أن (لم) عاملٌ يلزم معموله ولا يُفصَل بينهما بشيء، و(إنْ) يجوز الفصلُ بينها وبين معمولها بمعموله، و(لا) لا تعمل الجزم إذا كانت نافيةً، فأضيف العمل إلى إنْ.

الثاني: أن تكون نافيةً، وتدخل على الاسمية والفعلية، نحو: ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ [الملك: ٢٠]، ﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢]، ﴿إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [التوبة: ١٠٧] ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ [النساء: ١١٧].

قيل: ولا تقع إلا وبعدها (إلا) كما تقدم، أوْ لـمَّا المشددة، نحو: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤]، في قراءة التشديد ورد بقوله: ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ﴾ [يونس: ٦٨]، ﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء: ١١١].

ومما حمل على النافية قوله: ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٧]. ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ [الزخرف: ٨١]، وعلى هذا فالوقف هنا، ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ [الأحقاف: ٢٦]؛ أي: في الذي ما مكَّنَّاكُم فيه. وقيل: هي زائدة، ويؤيد الأول قوله: ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ [الأنعام: ٦]، وعدل عن (ما) لئلا تتكرر، فيَثْقُلَ اللفظ.

قلت: وكونها للنَّفي هو الواردُ عن ابن عباس، كما تقدم في نوع الغريب من طريق ابن أبي طلحة.

وقد اجتمعت الشرطية والنافية في قوله: ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [فاطر: ٤١][1].

وإذا دخلت النافية على الاسمية لم تعمل عند الجمهور، وأجاز الكسائي والمبرِّد إعمالَها عمل ليس، وخرّج عليه قراءة سعيد بن جُبير: ﴿إنِ الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم﴾[2].

فائدة: أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: كلّ شيء في القرآن (إن) فهو إنكار.

الثالث: أن تكون مخففة من الثقيلة، فتدخل على الجملتين:

ثم الأكثر إذا دخلت على الاسمية إهمالها، نحو: ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٥]. ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٣٢]. ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: ٦٣]، في قراءة حفصٍ وابن كثير.

---

(١) فالأولى شرطية، والثانية نافية، جوابٌ للقسم الذي آذنت به اللام الداخلة على الأولى، وجواب الشرط محذوف وجوباً.

(٢) القراءة المتواترة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

وقد تعمل، نحو: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ [هود: ١١١] في قراءة الحرميين[1].

وإذا دخلت على الفعل، فالأكثر كونه ماضياً ناسخاً، نحو: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ [البقرة: ١٤٣] ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٧٣]، ﴿وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢]. ودونه أن يكون مضارعاً ناسخاً، نحو: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ﴾ [القلم: ٥١] ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٦].

وحيث وجدت (إنْ) وبعدها (اللام المفتوحة) فهي المخففة من الثقيلة.

الرابع: أن تكون زائدة، وخرّج عليه: ﴿فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ [الأحقاف: ٢٦].

الخامس: أن تكون للتعليل كـ: إذ، قاله الكوفيون. وخرَّجوا عليه قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧]. ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]. ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]. ونحو ذلك، مما الفعل فيه محقَّق الوقوع.

وأجاب الجمهور عن آية المشيئة: بأنه تعليم للعباد كيف يتكلمون إذا أخبروا عن المستقبل، أو: بأن أصل ذلك الشرط، ثم صار يُذكر للتبرُّك، أو أن المعنى: لتدخلن جميعاً إن شاء الله ألاَّ يموت منكم أحدٌ قبل الدخول. وعن سائر الآياتِ بأنه شَرْطٌ جِيء به للتهييج والإلهاب، كما تقول لابنك: إن كنت ابني فأطعني.

السادس: أن تكون بمعنى قد، ذكره قُطْرُب، وخرَّج عليه: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ [الأعلى: ٩]، أي: قد نفعت، ولا يصح معنى الشرط فيه، لأنه مأمور بالتذكير على كل حال.

وقال غيره: هي للشرط، ومعناه: ذمُّهم واستبعادٌ لنفع التذكير فيهم. وقيل التقدير: وإن لم تنفع، على حدّ قوله: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١].

فائدة: قال بعضهم: وقع في القرآن (إن) بصيغة الشرط، وهو غير مراد، في ستة مواضع:

﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣]، ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤]، ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]، ﴿أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ﴾ [النساء: ١٠١]، ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ [البقرة: ٢٢٨].

أَنْ: بالفتح والتخفيف على أوجه:

الأول: أن تكون حرفاً مصدريًّا ناصباً للمضارع، ويقع في موضعين:

في الابتداء، فيكون في محل رفع، نحو: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٤]، ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

---

(١) هما قارئ مكة المكرمة عبد الله بن كثير الداري، أبو معبد (ت: ١٢٠ هـ). «معرفة القراء الكبار» (١/ ٨٦).
وقارئ المدينة المنورة نافع بن عبد الرحمن الليثي، أبو رُوَيم (ت: ١٦٩ هـ). «معرفة القراء الكبار» (١/ ١٠٧).

وبعد لفظ دالٍّ على معنى غير اليقين: فيكون في محل رفع، نحو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ﴾ [الحديد: ١٦]، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ٢١٦]. ونصب، نحو: ﴿نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٢]، ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ﴾ [يونس: ٣٧]، ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]. وخفض، نحو: ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا﴾ [الأعراف: ١٢٩] .﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [المنافقون: ١٠].

و«أن» هذه موصول حرفيّ، وتُوصل بالفعل المتصرِّف، مضارعاً كما مرَّ، وماضياً نحو: ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [القصص: ٨٢]، ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ [الإسراء: ٧٤].

وقد يرفع المضارع بعدها إهْمَالاً لها، حملاً على (ما) أختها، كقراءة ابن مُحَيْصِن: (لمن أراد أن يتمُّ الرضاعة) [البقرة: ٢٣٣].

الثاني: أن تكون مخففة من الثقيلة، فتقع بعد فعل اليقين أو ما نُزِّل منزلَتَهُ، نحو: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ [طه: ٨٩]، ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ﴾ [المزمل: ٢٠]، ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ﴾ [المائدة: ٧١]، في قراءة الرفع.

الثالث: أن تكون مُفَسِّرة بمنزلة أيْ، نحو: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [المؤمنون: ٢٧]، ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وشرطها: أن تُسْبَق بجملة، فلذلك غلط من جعل منها: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

وَأَنْ يتأخر عنها جملة.

وأن يكون في الجملة السابقة معنى القول، ومنه: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ﴾ [ص: ٦]، إذ ليس المراد بالانطلاق المشي، بل انطلاق ألسنتهم بهذا الكلام، كما أنه ليس المراد المشي المتعارَف بل الاستمرار على المشي.

وزعم الزمخشري أنَّ التي في قوله: ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [النحل: ٦٨] مفسّرة، بأن قبله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾، والوحي هنا إلهام باتِّفاق، وليس في الإلهام معنى القول، وإنما هي مصدرية؛ أي: باتخاذ الجبال.

وألّا يكون في الجملة السابقة أحرف القول.

وقال الزمخشري في قوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [المائدة: ١١٧]: إنه يجوز أن تكون مفسرة للقول على تأويله بالأمر؛ أي: ما أمرتهم إلّا بما أمرتني به أن اعبدوا الله.

قال ابن هشام[1]: وهو حسن، وعلى هذا فيقال في الضابط: ألا تكون فيه حروف القول إلّا والقول مؤوّل بغيره.

---

(١) في «المغني» ص ٤٩.

قلت: وهذا من الغرائب، كونُهم يشرطون أن يكون فيها معنى القول، فإذا جاء لفظه أوَّلوه بما فيه معناه مع صريحه، وهو نظير ما تقدَّم من جعلهم أل في (الآن) زائدة، مع قولهم بتضمنها معناها.

وأَلَّا يدخل عليها حرف الجر.

الرابع: أن تكون زائدة، والأكثر أن تقع بعد لمَّا التوقيتية، نحو: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ [العنكبوت: ٣٣].

وزعم الأخفش: أنها تنصب المضارع وهي زائدة، وخرَّج عليه: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٦]؛ ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ١٢]، قال: فهي زائدة، بدليل: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٨٤].

الخامس: أن تكون شرطية كالمكسورة، قاله الكوفيّون. وخرَّجوا عليه: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ﴿أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [المائدة: ٢]، ﴿صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ [الزخرف: ٥].

قال ابن هشام[1]: ويرجِّحه عندي تواردُهما على محلٍّ واحد، والأصل التوافق، وقد قرئ بالوجهين في الآيات المذكورة، ودخول الفاء بعدها في قوله: ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

السادس: أنْ تكون نافية، قال بعضهم في قوله: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾ [آل عمران: ٧٣]، أي: لا يؤتَى، والصحيح أنها مصدرية؛ أي: ولا تؤمنوا أن يؤتى، أي: بإيتاء أحد.

السابع: أن تكون للتعليل، كما قاله بعضهم في قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ [ق: ٢]، ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟﴾ [الممتحنة: ١] والصواب أنها مصدرية، وقبْلها لام العلة مقدَّرة.

الثامن: أن تكون بمعنى لئلَّا، قاله بعضهم في قوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾ [النساء: ١٧٦]، والصواب أنها مصدرية، والتقدير: كراهة أن تضِلُّوا.

إنَّ: بالكسر والتشديد، على أوجه:

أحدها: التأكيد والتحقيق، وهو الغالب، نحو: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]، ﴿إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٦].

قال عبد القاهر: والتأكيد بها أقوى من التأكيد باللام، قال: وأكثر مواقعها ـ بحسب الاستقراء ـ الجواب لسؤال ظاهر أو مقدَّر، إذا كان للسائل فيه ظنّ.

والثاني: التعليل، أثبته ابن جنّي وأهل البيان، ومثّلوه بنحو: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [المزمل: ٢٠]، ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ﴾ [التوبة: ١٠٣]، ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣]، وهو نوع من التأكيد.

---

(١) في «المغني» ص ٥٣.

الثالث: معنى نعم، أثبته الأكثرون، وخرَّج عليه قوم منهم المبرِّد: ﴿إِنَّ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: ٦٣].

أَنَّ: بالفتح والتشديد، على وجهين:

أحدهما: أن تكون حرف تأكيد، والأصحّ أنها فرع المكسورة، وأنها موصول حرفيّ تُؤوّل مع اسمها وخبرها بالمصدر. فإن كان الخبر مشتقًّا فالمصدر المؤوَّل به من لفظه، نحو: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الطلاق: ١٢]، أي: قدرته. وإن كان جامداً قُدِّرَ بالكون.

وقد استشكل كونُها للتأكيد: بأنَّك لو صرَّحت بالمصدر المنسبِك منها لم يُفد تأكيداً، وأجيب: بأن التأكيد للمصدر المنحلّ، وبهذا يُفرق بينها وبين المكسورة؛ لأن التأكيد في المكسورة للإسناد، وهذه لأحد الطرفين.

الثاني: أن يكون لغة في (لعلّ) وخرَّج عليها: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩]، في قراءة الفتح، أي: لعلَّها.

أنَّـــى: اسم مشترك بين الاستفهام والشرط.

فأمَّا الاستفهام: فترد فيه بمعنى كيف، نحو: ﴿أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠]. ومن أين: نحو: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ [آل عمران: ٣٧]؛ أي: من أين أتى هذا؟ أي: من أين جاءنا؟

قال في «**عروس الأفراح**»[1]: والفرق بين (أين) و(من أين): أن (أين) سؤال عن المكان الذي حلَّ فيه الشيء، و(من أين) سؤال عن المكان الذي برز منه الشيء. وجعل من هذا المعنى ما قرئ شاذًّا: (أنَّى صَبَبْنا الماءَ صَبّاً)[2].

وبمعنى متى، وقد ذكرت المعاني الثلاثة في قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وأخرج ابن جرير الأول من طريق عن ابن عباس، وأخرج الثاني عن الربيع بن أنس واختاره، وأخرج الثالث عن الضحَّاك، وأخرج قولاً رابعاً عن ابن عمر وغيره، أنها بمعنى: (حيث شئتم).

واختار أبو حيَّان وغيره أنَّها في الآية شرطيَّة، وحذف جوابها لدلالة ما قبلها عليه؛ لأنها لو كانت استفهامية لاكتفت بما بعدها، كما هو شأن الاستفهامية: أن تكتفيَ بما بعدها؛ أي: تكون كلاماً يَحسُن السكوت عليه إن كان اسماً أو فعلاً.

أَوْ: حرف عطف ترد لمعانٍ:

الشك من المتكلم، نحو: ﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [المؤمنون: ١١٣]

والإبهام على السَّامع، نحو: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤].

والتخيير بين المعطوفين، بأنه يمتنع الجمع بينهما.

---

(١) «عروس الأفراح» ١/ ٤٥٠ عند أدوات الاستفهام.
(٢) والقراءة المتواترة: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ [عبس: ٢٥].

والإباحة بألَّا يمتنع الجمع.

ومثل الثاني بقوله: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ﴾ [النور: ٦١]، ومثل الأول بقوله تعالى: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦]. وقوله: ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة: ٨٩].

واستشكل بأن الجمع في الآيتين غير ممتنع.

وأجاب ابنُ هشام(١): بأنه ممتنع بالنسبة إلى وقوع كلّ كفارة أو فدية، بل يقع واحد منهنَّ كفارة أو فدية، والباقي قُربة مستقلة خارجة عن ذلك.

قلت: وأوضحُ من هذا التمثيل قولُهُ: ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ﴾ الآية [المائدة: ٣٣]. على قول مَنْ جعل الخيرة في ذلك إلى الإمام، فإنه يمتنع عليه الجمع بين هذه الأمور بل يفعل منها واحداً يؤدي اجتهاده إليه.

والتفصيل بعد الإجمال، نحو: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾ [البقرة: ١٣٥]، ﴿إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات ٥٢]، أي: قال بعضهم كذا وبعضهم كذا.

والإضراب كـ(بل)، وخرّج عليه: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧] ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩]. وقراءة بعضهم: (أوْ كلما عاهدوا عهداً) [البقرة: ١٠٠]، بسكون الواو.

ومطلق الجمع كالواو، نحو: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣].

والتقريب، ذكره الحريري وأبو البقاء، وجعل منه: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧].

ورُدَّ بأنَّ التقريب مستفادٌ من غيرها.

ومعنى إلّا في الاستثناء، ومعنى إلى، وهاتان يُنصب المضارعُ بعدهما بأن مضمرة، وخرّج عليها: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [البقرة: ٢٣٦]. فقيل: إنه منصوب لا مجزوم بالعطف على ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾، لئلا يصير المعنى: لا جناح عليكم فيما يتعلق بمهور النساء إن طلقتموهنّ في مدة انتفاء أحد هذين الأمرين، مع أنه إذا انتفى الفرضُ دون المسيس لزم مهر المثل، وإذا انتفَى المسيس دون الفرض لزم نصف المسمَّى؛ فكيف يصحّ دفع الجناح عند انتفاء أحد الأمرين؟! ولأنَّ المطلَّقات المفروض لهنَّ قد ذُكرن ثانياً بقوله: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ الآية، وترك ذكر الممسوسات لما تقدم من المفهوم، ولو كانت ﴿تَفْرِضُواْ﴾ مجزوماً لكانت الممسوسات والمفروض لهنَّ مستويات في الذكر. وإذا قدّرت (أو) بمعنى (إلّا) خرَّجت المفروض لهنَّ عن مشاركة الممسوسات في الذِّكر، وكذا إذا قدّرت بمعنى (إلى) وتكون غاية لنفي الجناح لا لنفي المسيس.

---

(١) في «المغني» ص ٨٨.

وأجاب ابن الحاجب عن الأول: بمنع كون المعنى مدَّة انتفاء أحدهما، بل مدَّة لم يكن واحد منهما، وذلك بنفيهما جميعاً، لأنه نكرة في سياق النفي الصريح.

وأجاب بعضُهم عن الثاني: بأنَّ ذكْر المفروض لهنَّ، إنما كان لتيقُّن النصف لهنَّ، لا لبيان أن لهنَّ شيئاً في الجملة.

وممَّا خرِّج على هذا المعنى قراءة أُبيّ: (تقاتلونهم أو يُسْلِمُوا).

تنبيهات:

الأول: لم يذكر المتقدمون لـ«أَوْ» هذه المعاني، بَل قالوا: هي لأحد الشيئين أو الأشياء. قال ابن هشام[1]: وهو التحقيق، والمعاني المذكورة مستفادة من القرائن.

الثاني: قال أبو البقاء: (أو) في النَّهي نقيضة (أو) في الإباحة، فيجب اجتناب الأمرين، كقوله: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤]، فلا يجوز فعلُ أحدهما، فلو جمع بينهما كان فعلاً للمنهي عنه مرتين، لأن كل واحد منهما أحدهما.

وقال غيره: (أو) في مثل هذا بمعنى الواو، تفيد الجمع.

وقال الطيبي: الأَوْلى أنها على بابها، وإنما جاء التعميم فيها من النهي الذي فيه معنى النفي، والنَّكرة في سياق النَّفي تعمّ، لأن المعنى قبل النهي: (تطيع آثماً أو كفوراً)، أي: واحداً منهما، فإذا جاء النَّهي ورد على ما كان ثابتاً، فالمعنى: لا تطع واحداً منهما، فالتعميم فيهما من جهة النهي، وهي على بابها.

الثالث: لكون مبناها عدم التشريك عاد الضمير إلى مفردَيها بالإفراد، بخلاف الواو، وأما قوله تعالى: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ [النساء: ١٣٥]. فقيل: إنها بمعنى الواو، وقيل: المعنى إن يكن الخصمان غنيّين أو فقيرين.

فائدة: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: كلّ شيء في القرآن (أو) فهو مخير، فإذا كان ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ فهو الأول فالأول.

وأخرج البيهقيّ في «سننه» [(٥/ ١٨٥)] عن ابن جُريج قال: كل شيء في القرآن فيه (أو) فللتخيير، إلا قوله: ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ﴾ [المائدة: ٣٣] ليس بمخيَّر فيها. قال الشافعي: وبهذا أقول.

أَوْلَى: في قوله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ [القيامة: ٣٤]، وفي قوله تعالى: ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٠]، قال في «**الصحاح**»: قولهم: (أولى لك) كلمة تهديد ووعيد، قال الشاعر:

فأَوْلَى لَهُ ثُمَّ أَوْلَى لَهُ

قال الأصمعيّ: فمعناه قاربه ما يهلكه؛ أي: نزل به. قال الجوهريّ: ولم يقل أحد فيها أحسن ممَّا قاله الأصمعيّ.

---

(١) في «المغني» ص ٩٥.

وقال قومٌ: هو اسم فعل مبنيّ، ومعناه: وَلِيَك شرّ بعد شر، و(لك) تبيين.

وقيل: هو علم للوعيد غير مصروف، ولذا لم ينوَّن، وإنَّ محله رفع على الابتداء، ولك: الخبرُ، ووزنه على هذا (فَعْلَى)، والألف للإلحاق. وقيل (افعل).

وقيل: معناه الويل لك، وأنه مقلوب منه، والأصل (أَوْيل)، فأخّر حرف العلة، ومنه قول الخنساء[١]:

هَمَمْتُ لِنَفْسِيَ بعضَ الهُمُوم ... فأولى لنفسي أولى لها

وقيل: معناه: الذمّ لك أولى من تركه، فحذف المبتدأ، لكثرة دَوَرَانه في الكلام.

وقيل: المعنى: أنت أولى وأجدرُ بهذا العذاب.

وقال ثعلب[٢]: (أولى لك) في كلام العرب معناه مقاربة الهلاك، كأنه يقول: قد وليت الهلاك، أو: قد دانيت الهلاك، وأصله من الولْي وهو القرب، ومنه: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم﴾ [التوبة: ١٢٣]، أي يقرُبون منكم.

وقال النَّحاس[٣]: العرب تقول: أولى لك، أي: كدت تهلك، وكأَنَّ تقديره: أولى لك الهلكة.

إي:[٤] بالكسر والسكون؛ حرف جواب بمعنى نعم، فتكون لتصديق المخبِر، ولإعلام المستخبِر، ولوَعْدِ الطالب. قال النحاة: ولا تقع إلَّا قبل القَسَم.

قال ابن الحاجب: وإلا بعد الاستفهام، نحو: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ﴾ [يونس: ٥٣].

أَيّ: بالفتح والتشديد، على أوجه:

الأول: أن تكون شرطية، نحو: ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ﴾ [القصص: ٢٨]، ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠].

الثاني: استفهامية، نحو: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة: ١٢٤]، وإنما يُسْأَلُ بها عمَّا يميّز أحد المتشاركين في أمر يعمُّهما، نحو: ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ [مريم: ٧٣]، أي: أنحن أم أصحاب محمد ﷺ؟

الثالث: موصولة، نحو: ﴿لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾ [مريم: ٦٩].

وهي في الأوجه الثلاثة معربة، وتبنى في الوجه الثالث على الضمّ إذا حذف عائدها وأضيفت كالآية المذكورة، وأعربها الأخفش في هذه الحالة أيضاً، وخرَّج عليه قراءة بعضهم بالنَّصب، وأوَّل

---

(١) في «ديوانها» ص ١٢٦، والخنساء: تماضر بنت عمرو (ت: ٢٤ هـ) في خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنه في البادية.

(٢) ثعلب: أحمد بن يحيى الشيباني بالولاء، إمام الكوفيين في النحو واللغة (ت: ٢٩١ هـ). «تذكرة الحفاظ» ٢/ ٢١٤.

(٣) النحاس: أحمد بن محمد، نحوي مصري مفسر أديب (ت: ٣٣٨ هـ). «النجوم الزاهرة» ٣/ ٣٠٠، «إنباه الرواة» ١/ ١٠١.

(٤) انظر «المغني» ص ١٠٥.

قراءةَ الضمّ على الحكاية، وأوّلها غيرُه على التعليق للفعل، وأوّلها الزمخشري على أنها خبر مبتدأ محذوفٍ، وتقدير الكلام: لننزعَنَّ بعضَ كلِّ شيعةٍ، فكأنّه قيل: مَنْ هذا البعض؟ فقيل: هو الذي هو أشدّ، ثم حذف المبتدآن المكتنفان لـ: «أيّ».

وزعم ابنُ الطّراوة[1]: أنّها في الآية مقطوعة عن الإضافة مبنيةٌ، وأنَّ «هُمْ أَشَدُّ» مبتدأ وخبر، ورُدّ: برسم الضمير متصلاً بـ: أيْ، وبالإجماع على إعرابها إذا لم تُضَف.

الرابع: أن تكون وُصْلَةً إلى نداء ما فيه أل، نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾.

إِيّـــــا: زعم الزجّاج أنها اسم ظاهر، والجمهور ضمير، ثم اختلفوا فيه على أقوال:

أحدها: أنه كله ضمير، وهو ما اتّصل به.

والثاني: أنه وحدَه ضميرٌ، وما بعده اسم مضاف له يفسّر ما يراد به من تكلّم وغيبةٍ وخطابٍ، نحو: ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [النحل: ٥١]، ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام: ٤١]، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٤].

والثالث: أنه وحدَه ضمير، وما بعده حروف تُفَسِّر المراد.

والرابع: أنه عِماد، وما بعده هو الضميرُ. وقد غَلِطَ مَنْ زعم أنه مشتقٌّ.

وفيه سبعُ لغاتٍ قُرئ بها: بتشديد الياء وتخفيفها مع الهمزة، وإبدالها هاءً مكسورةً ومفتوحةً، هذه ثمانية، يسقط منها بفتح الهاءِ مع التشديد.

أيّـــــان: اسم استفهام، وإنما يُستفهم به عن الزمان المستقبل، كما جزم به ابن مالك وأبو حيّان، ولم يذكر فيه خلافاً.

وذكر صاحب إيضاح المعاني مجيئها للماضي.

وقال السكاكيّ: لا تستعمل إلا في مواضع التفخيم، نحو: ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧]، ﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [الذاريات: ١٢].

والمشهور عند النُّحاة أنها كـ: مَتَى، تستعمل في التفخيم وغيره.

وقال بالأول من النُّحاة عليّ بن عيسى الرَّبَعيّ، وتبعه صاحب «**البسيط**» فقال: إنما تستعمل في الاستفهام عن الشيء المعظَّم أمره.

وفي «**الكشاف**»[2]: قيل: إنها مشتقَّة من أوى، (فَعْلان) منه، لأن معناه: أيّ وقت، وأيّ فعل، من آويت إليه، لأن البعض آوٍ إلى الكلّ ومتساند بدله، وهو بعيد.

وقيل: أصله أَيُّ آنٍ.

وقيل: أيّ أوانٍ، حذفت الهمزة من (أوان)، والياء الثانية من (أيّ) وقلبت الواو ياء وأدغمت الساكنة فيها.

---

(١) ابن الطراوة: سليمان بن محمد أبو الحسين، المالقي، أديب، أندلسي كان بصيراً بالنحو (ت: ٥٢٨ هـ). «بغية الوعاة» ٢٦٣.

(٢) «الكشاف» ٢/ ١٣٤ سورة الأعراف: ١٨٧.

وقرئ بكسر همزتها.

أَيْــــنَ : اسم استفهام عن المكان، نحو: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير: ٢٦]. وتَردُ شرطاً عامًّا في الأمكنة، وأينما أعمّ منها، نحو: ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ [النحل: ٧٦].

الباء المفردة:

حرف جرّ له معانٍ:

أشهرها: الإلصاق، ولم يذكر لها سيبويه غيره.

وقيل: إنه لا يفارقها، قال في شرح «**اللبّ**»: وهو تعلّق أحد المعنيين بالآخر.

ثم قد يكون حقيقة، نحو: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، أي: ألصِقُوا المسح برؤوسكم. ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ [المائدة: ٦]. وقد يكون مجازاً، نحو: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ﴾ [المطففين: ٣٠]، أي: بمكانٍ يقربون منه.

الثاني: التعدية كالهمزة، نحو: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٧]، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٠]، أي: أذهبه، كما قال: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وزعم المبرّد والسُّهَيليّ: أن بين تعدية الباء والهمزة فرقاً، وأنك إذا قلت: ذهبت بزيد، كنت مصاحباً له في الذهاب. وردَّ بالآية.

الثالث: الاستعانة، وهي الداخلة على آلة الفعل، كباء البسملة.

الرابع: السببية، وهي التي تدخل على سبب الفعل، نحو: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ﴾ [العنكبوت: ٤٠] ﴿ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٥٤]، ويعبّر عنها أيضاً بالتعليل.

الخامس: المصاحبة كمع، نحو: ﴿اهْبِطْ بِسَلَامٍ﴾ [هود: ٤٨]، ﴿قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ﴾ [النساء: ١٧٠]، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [الحجر: ٩٨].

السادس: الظرفي كفي، زماناً ومكاناً، نحو: ﴿نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ﴾ [القمر: ٣٤]، ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

السابع: الاستعلاء كعَلى، نحو: ﴿مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾ [آل عمران: ٧٥]، أي: عليه، بدليل: ﴿إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ﴾ [يوسف: ٦٤].

الثامن: المجاوزة كعن، نحو: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، أي: عنه. بدليل: ﴿يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٢٠].

ثم قيل: تَختصّ بالسؤال، وقيل: لا، نحو: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾ [التحريم: ٨]؛ أي: وعن أيمانهم. ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾ [الفرقان: ٢٥]؛ أي: عنه.

التاسع: التبعيض كمِنْ، نحو: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦]، أي: منها.

العاشر: الغاية كإلى، نحو: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ [يوسف: ١٠٠]؛ أي: إليَّ.

الحادي عشر: المقابلة؛ وهي الداخلة على الأعواض، نحو: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]، وإنَّما لم نقدرها باء السببيّة ـ كما قال المعتزلة ـ لأن المعطَى بعِوَضٍ قد يعطى مجّاناً، وأمَّا المسبّب فلا يوجد بدُون السبب.

الثاني عشر: التوكيد، وهي الزائدة:

فتزادُ في الفاعل وجوباً في نحو: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريم: ٣٨]، وجوازاً غالباً في نحو: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩]، فإن الاسم الكريم فاعل، و﴿شَهِيدًا﴾ نصبٌ على الحال أو التمييز، والباء زائدة، ودخلت لتأكيد الاتصال، لأن الاسم في قوله: ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ متصل بالفعل اتصال الفاعل.

قال ابن الشَّجري(١): وفعل ذلك إيذاناً بأن الكفاية من الله ليست كالكفاية من غيره في عِظَم المنزلة، فضوعف لفظها لتضاعف معناها. وقال الزجّاج: دخلت لتضمّن (كفى) معنى (أكتفي).

قال ابن هشام(٢): وهو من الحُسْن بمكان.

وقيل: الفاعل مقدَّر، والتقدير: كفى الاكتفاء بالله، فحُذِف المصدر، وبقي معموله دالًّا عليه.

ولا تزاد في فاعل (كفى) بمعنى وَقَى، نحو: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ [الأحزاب: ٢٥].

وفي المفعول، نحو: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مريم: ٢٥]، ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج: ١٥]، ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ﴾ [الحج: ٢٥].

وفي المبتدأ: نحو: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ [القلم: ٦]؛ أي: أيّكم. وقيل: هي ظرفية؛ أي: في أيّ طائفة منكم.

وفي اسم ليس، في قراءة بعضهم: ﴿ليسَ البرُّ أن تولوا﴾ [البقرة: ١٨٩]، بنصب ﴿البرَّ﴾(٣).

وفي الخبر المنفيّ، نحو: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ﴾ [البقرة: ٧٤]، قيل: والموجب، وخرّج عليه: ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا﴾ [يونس: ٢٧].

وفي التوكيد: وجعل منه: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

فائدة: اختلف في الباء، من قوله: ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، فقيل: للإلصاق، وقيل: للتبعيض، وقيل: زائدة، وقيل: للاستعانة. وإن في الكلام حذفاً وقلباً؛ فإن (مسح) يتعدّى إلى المزال عنه بنفسه، وإلى المزيل بالباء، فالأصل: امسحوا رؤوسكم بالماء.

---

(١) ابن الشجري: هبة الله بن علي، أبو السعادات، من أئمة العلم واللغة والأدب وأحوال العرب (ت: ٥٤٢ هـ). «النجوم الزاهرة» ٥/ ٢٨١.

(٢) في «المغني» ص ١٤٤.

(٣) ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾ قراءة حفظ وحمزة، وافقهما المطوعي. ﴿ليس البرُّ﴾ قراءة الباقين. انظر «إبراز المعاني من حرز الأماني» (١/ ٣٥٥)، و«إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر» ص١٩٩.

بـــــل : حرف إضراب إذا تلاها جملة.

ثم تارة يكون معنى الإضراب الإبطالُ لِما قبلها، نحو: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، أي: بل هم عباد. ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ﴾ [المؤمنون: ٧٠].

وتارة يكون معناه الانتقالَ من غرضٍ إلى آخر، نحو: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ [المؤمنون: ٦٢ ـ ٦٣]، فما قبل ﴿بَلْ﴾ فيه على حاله، وكذا ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الأعلى: ١٤ ـ ١٦].

وذكر ابن مالك في شرح «كافيته»[1]: أنها لا تقع في القرآن إلّا على هذا الوجه، ووهمه ابن هشام[2]، وسبق ابن مالك إلى ذلك صاحبُ «البسيط»، ووافقه ابن الحاجب، فقال في شرح «المفصل»: إبطال الأوَّل وإثباته للثاني إن كان في الإثبات من باب الغلط، فلا يقع مثله في القرآن. انتهى.

أمَّا إذا تلاها مفرد فهي حرف عطف، ولم تَقع في القرآن كذلك.

بَـلَـــى : حرفٌ أصليُّ الألفِ، وقيل: الأصل (بل)، والألف زائدة، وقيل: هي للتأنيث بدليل إمالتها.

ولها موضعان:

أحدهما: أن تكون ردًّا لنفيٍ يقعُ قبلها، نحو: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ﴾ [النحل: ٢٨]، أي: عملتم السوء، ﴿لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ﴾ [النحل: ٣٨]، أي: يَبْعثهم، ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧]، ﴿قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥]، ثم قال: ﴿بَلَىٰ﴾ [آل عمران: ٧٦]، أي: عليهم سبيل، ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ [البقرة: ١١١]، ثم قال: ﴿بَلَىٰ﴾ [البقرة: ١١٢] أي: يدخلها غيرهم، ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠]، ثم قال: ﴿بَلَىٰ﴾ [البقرة: ٨١]، أي: تمسّهم ويخلدون فيها.

الثاني: أن تقع جواباً لاستفهام دخل على نفي فتفيد إبطاله؛ سواء كان الاستفهام حقيقيًّا، نحو: أليس زيد بقائم؟ فتقول: بلى، أو توبيخاً، نحو: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ﴾ [الزخرف: ٨٠]، ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ﴾ [القيامة: ٣ ـ ٤]. أو تقريريًا، نحو: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. قال ابن عباس وغيره: لو قالوا: نعم، كفروا. ووجهه أنَّ نعم تصديق للمخبر بنفي أو إيجاب، فكأنهم قالوا: لستَ ربنا، بخلاف بلى، فإنها لإبطال النفي، فالتقدير: أنت ربّنا.

ونازع في ذلك السُّهيليُّ وغيره: بأنَّ الاستفهام التقريريّ خبرٌ موجب، ولذلك امتنع سيبويه من

---

(١) «الكافية الشافية» أرجوزة في النحو والصرف لابن مالك في (٢٧٩٤) بيتاً. وليست الألفية المشهورة سوى «خلاصة» للكافية. وقد شرح ابنُ مالك كافيته نثراً باسم «الوافية». أفاده محققو «المغني» ص ١٥٢.

(٢) في «المغني» ص ١٥٢.

جعل (أم) متَّصلة في قوله: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٥١ أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾ [الزخرف: ٥١ ـ ٥٢]، لأنها بعد الإيجاب، وإذا ثبت أنَّه إيجاب فنَعَم بعد الإيجاب تصديق له. انتهى.

قال ابن هشام[1]: ويشكل عليهم أن بَلَى لا يُجاب بها عن الإيجاب اتِّفاقاً.

بـئـس : فعلٌ لإنشاء الذم، لا يتصرَّف.

بـيـن : قال الراغب[2]: هي موضوعة للخَلَل بين الشيئين ووسطهما، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [الكهف: ٣٢].

وتارة تستعمل ظرفاً وتارة اسماً، فمن الظرف: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١]، ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ [المجادلة: ١٢]، ﴿فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ [ص: ٢٢].

ولا تستعمل إلا فيما له مسافة، نحو: بين البلدين، أو له عدد ما: اثنان فصاعداً، نحو: وبين الرجلين، وبين القوم، ولا يضاف إلى ما يقتضي معنى الوحدة إلَّا إذا كرِّر، نحو: ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت: ٥]، ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ [طه: ٥٨].

وقرئ قوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] بالنصب على أنه ظرف، وبالرفع على أنه اسم مصدر بمعنى الوصل.

ويحتمل الأمرين قوله تعالى: ﴿ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١]، وقوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ [الكهف: ٦١]، أي: فراقهما.

الـتـاء : حرف جر معناه القسم، يختصّ بالتعجب وباسم الله تعالى، قال في «**الكشاف**»[3] في قوله: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾ [الأنبياء: ٥٧]: الباء أصل حرف القسم، والواو بدل منها، والتاء بدل من الواو، وفيها زيادة معنى التعجُّب، كأنه تعجّب من تسهّل الكيد على يديه وتأتّيه مع عُتُوّ نمروذ وقهره. انتهى.

تـبـارك : فعل لا يُستعمل إلَّا بلفظ الماضي، ولا يستعمل إلَّا لله.

تـعـال : فعل أمر، لا يتصرَّف، ومن ثمَّ قيل: إنَّه اسم فعل.

ثُـمّ : حرف يقتضي ثلاثة أمور:

التشريك في الحكم، والترتيبَ، والمُهْلَة، وفي كلٍّ خلافٌ.

أما التشريك فزعم الكوفيُّون والأخفش: أنَّه قد يتخلَّف، بأن تقع زائدة، فلا تكون عاطفة البتَّة، وخرَّجوا على ذلك: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١١٨].

وأُجيبَ بأن الجوابَ فيها مقدَّر.

---

(١) في «المغني» ص ١٥٤.

(٢) في «مفرداته» مادة: بين.

(٣) «الكشاف» ٢/ ٥٧٦ سورة الأنبياء: ٥٧.

وأمَّا الترتيب والمهلة فخالف قومٌ في اقتضائها إيَّاهما، تمسُّكاً بقوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزمر: ٦]، ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ [السجدة: ٧ ـ ٩]، ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، والاهتداء سابقٌ على ذلك، ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الأنعام: ١٥٣ ـ ١٥٤].

وأجيب: عن الكل بأنَّ «ثم» لترتيب الأخبار لا لترتيب الحكم.

قال ابن هشام[1]: وغير هذا الجواب أنفع منه؛ لأنه يصحِّح الترتيب فقط لا المهلة، إذ لا تراخيَ بين الإخبارين. والجواب المصحِّح لهما ما قيل في الأولى: إن العطف على مقدّر، أي: من نفس واحدة أنشأها، ثم جعل منها زوجها، وفي الثانية: أن ﴿سَوَّىٰهُ﴾ عطف على الجملة الأولى لا الثانية، وفي الثالثة أنَّ المراد: ثم دام على الهداية.

فائدة: أجرى الكوفيُّون (ثُمَّ) مَجرى الفاء والواو، في جواز نَصْبِ المضارع المقرون بها بعد فعل الشرط، وخرّج عليه قراءة الحسن: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكَهُ ٱلْمَوْتُ﴾ [النساء: ١٠٠] بنصب ﴿يُدْرِكَهُ﴾.

ثَـمَّ: بالفتح، اسمٌ يُشار به إلى المكان البعيد، نحو: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٤] وهو ظرف لا يتصرَّف، فلذلك غُلِّطَ من أعربه مفعولاً لـ(رأيت) في قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ [الإنسان: ٢٠]. وقرئ: ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثَمَّ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ٤٦]، أي: هنالك الله شهيد، بدليل: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ [الكهف: ٤٤].

وقال الطبري في قوله: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ [يونس: ٥١] معناه: هنالك، وليست ثُمَّ العاطفة.

وهذا وهمٌ، أشبه عليه المضمومة بالمفتوحة.

وفي «**التوشيح**» لخطاب: (ثَمَّ) ظرفٌ فيه معنى الإشارة إلى حيثُ، لأنه هو في المعنى.

جـعـل: قال الراغب[2]: لفظ عام في الأفعال كلّها، وهو أعمُّ من: فَعَلَ، وصَنَعَ، وسائرِ أخواتها، ويتصرَّف على خمسةِ أوجه:

أحدها: يجري مجرى صار وطفق، ولا يتعدَّى، نحو: جعل زيد يقول كذا.

والثاني: مجرى أوجَدَ، فيتعدّى لمفعول واحد، نحو: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١].

والثالث: في إيجاد شيء من شيء وتكوينه منه، نحو: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [النحل: ٧٢]، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ [النحل: ٨١].

والرابع: في تصيير الشيء على حالة دون حالة، نحو: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [البقرة: ٢٢]، ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦].

---

(١) في «المغني» ص ١٦٠.

(٢) في «مفرداته» مادة: جعل.

الخامس: الحكم بالشيء على الشيء، حقًّا كان، نحو: ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]، أو باطلاً، نحو: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ﴾ [النحل: ٥٧]، ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١].

حاشا(١): اسمٌ بمعنى التنزيه في قوله تعالى: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾ [يوسف: ٥١]، ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١]، لا فعلٌ ولا حرف، بدليل قراءة بعضهم: (حاشاً لله) بالتنوين، كما يقال: (براءة لله) وقراءة ابن مسعود: ﴿حاشا اللهِ﴾ بالإضافة كمعاذ الله، وسبحان الله. ودخولها على اللام في قراءة السبعة، والجارُّ لا يدخل على الجار، وإنما ترك التنوين في قراءتهم لبنائها، لشبهها بحاشا الحرفية لفظاً.

وزعم قوم أنها اسم فعل، معناه: أتبرأ وتبرّأت، لبنائها.

ورُدَّ بإعرابها في بعض اللغات.

وزعم المبرِّد وابن جنِّي: أنها فِعْلٌ، وأنَّ المعنى في الآية: جانَبَ يوسف المعصية لأجل الله، وهذا التأويل لا يتأتَّى في الآية الأخرى.

وقال الفارسيّ: حاشا فعل من الحَشا، وهو الناحية؛ أي: صار في ناحية؛ أي: بَعُدَ مما رُمِيَ به، وتنحَّى عنه، فلم يغشه ولم يلابسه.

ولم يقع في القرآن حاشا إلَّا استثنائية.

حَتَّى(٢): حرفٌ لانتهاء الغاية كـ(إلى)، لكن يفترقان في أمور:

فتنفرد حتى بأنَّها لا تجرّ إلَّا الظاهر، وإلاَّ الآخِرَ المسبوق بذي أجزاء أو المُلاقي له، نحو: ﴿سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥].

وأنها لإفادة تَقَضِّي الفعل قبلها شيئاً فشيئاً.

وأنها لا يقابَل بها ابتداءُ الغاية.

وأنَّها يقع بعدَها المضارعُ المنصوبُ بـ: أنْ المقدرة، ويكونان في تأويل مصدرٍ مخفوضٍ.

ثم لها حينئذ ثلاثة معان:

مرادفة إلى، نحو: ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٩١]؛ أي: إلى رجوعه.

ومرادفة كي التعليلية، نحو: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٧]، و﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ [المنافقون: ٧].

وتحتملهما: ﴿فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩].

ومرادفة إلَّا في الاستثناء: وجَعَلَ منه ابنُ مالك وغيرُه: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ﴾ [البقرة: ١٠٢].

---

(١) «المغني» ص ١٦٤. (٢) «المغني» ص ١٦٨.

مسألة: متى دلَّ دليلٌ على دخول الغاية التي بعد (إلى) و(حتى) في حُكمِ ما قَبلها، أو على عدم دخوله، فواضح أنَّه يُعمل به.

فالأول: نحو: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦]، ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ دلَّت السنة[١] على دخول المرافق والكعبين في الغسل.

والثاني: نحو: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧] دلَّ النهيُ عن الوصال على عدم دخول الليل في الصيام [البخاري: ١٩٦١، ومسلم: ٢٥٦٤، وأحمد: ٧٧٨٦]. ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، فإن الغاية لو دخلت هنا لوجب الإنظار حال اليَسار أيضاً، وذلك يؤدِّي إلى عدم المطالبة وتفويت حقّ الدائن.

وإن لم يدل دليل على واحد منهما ففيهما أربعة أقوال[٢]:

أحدها: ـ وهو الأصح ـ: تدخل مع (حتى) دون (إلى) حملاً على الغالب في البابين؛ لأن الأكثر مع القرينة عدم الدخول مع (إلى) والدخول مع (حتى)، فوجب الحمل عليه عند التردُّد.

والثاني: تدخل فيهما عليه.

والثالث: لا فيهما، واستدل للقولين في استوائهما بقوله: ﴿وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨]. وقرأ ابن مسعود: (حتى حينٍ)[٣].

تنبيه: ترد حتى ابتدائية؛ أي: حرفاً يُبتدأُ بعده الجُمل؛ أي: تُستأنف، فتدخل على الاسمية والفعلية المضارعية والماضية، نحو: (حتى يقولُ الرسول) [البقرة: ٢١٤]، بالرفع[٤]، ﴿حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟﴾ [الأعراف: ٩٥]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

وادعى ابنُ مالك أنها في الآيات جارّة لـ: إذا، ولـ: أن مضمرةً في الآيتين؛ والأكثرون على خلافه.

وتَرِدُ عاطفة، ولا أعلمه في القرآن؛ لأن العطف بها قليل جدًّا، ومن ثَمَّ أنكره الكوفيون البتةَ.

فائدة: إبدال حائِها عيناً لغةُ هُذَيل، وبها قرأ ابن مسعود.

حيث[٥]: ظرف مكان. قال الأخفش: وتَرِدُ للزَّمان.

مبنيّة على الضَّم تشبيهاً بالغايات؛ فإنَّ الإضافة إلى الجمل كلا إضافة، ولهذا قال الزّجاج في قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]: ما بعد حيث صلة لها، وليست بمضافة إليه، يعني أنها غير مضافة للجملة بعدها، فصارت كالصلة لها؛ أي: كالزيادة، وليست جزءاً منها. وفهم الفارسيّ أنه أراد أنها موصولة فرَدَّ عليه.

ومن العرب مَنْ يعربها، ومنهم من يبنيها على الكسر لالتقاء الساكنين، وعلى الفتح للتخفيف،

---

(١) فيما رواه أحمد (٩١٩٥)، والبخاري (١٣٦)، ومسلم (٥٧٩) من حديث أبي هريرة.

(٢) ذكر الثلاثة وترك القول الرابع.

(٣) وهي قراءة متواترة، قرأها نافع.

(٤) قرأ نافع وحده بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب. «السبعة» ١٨١.

(٥) انظر «المغني» ص ١٧٦.

وتحتملهما قراءة من قرأ: (من حيثِ لا يعلمون) [الأعراف: ١٨٢] بالكسر[١]. (والله أعلم حيثَ يجعل رسالته) [الأنعام: ١٢٤] بالفتح.

والمشهور أنها لا تتصرَّف.

وجَوَّزَ قومٌ في الآية الأخيرة كونَها مفعولاً به على السعة، قالوا: ولا تكون ظرفاً؛ لأنه تعالى لا يكون في مكان أعلمُ منه في مكان، ولأن المعنى: الله يعلم نفس المكان المستَحق لوضع الرسالة، لا شيئاً في المكان. وعلى هذا فالناصب لها (يعلم) محذوفاً مدلولاً عليه بـ﴿أَعْلَمُ﴾ لا به، لأن أفعل التفضيل لا ينصب المفعول به إلّا إن أوَّلته بعالم.

وقال أبو حيان: الظاهر إقرارها على الظرفيَّة المجازية، وتضمين (أعلم) معنى ما يتعدَّى إلى الظرف، فالتقدير: الله أنفَذُ عِلماً حيث يجعل؛ أي: هو نافذ العلم في هذا الموضع.

دون: ترد ظرفاً نقيض (فوق)، فلا تتصرَّف على المشهور.

وقيل: تتصرَّف، وبالوجهين قرئ: ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الجن: ١١] بالرفع والنصب[٢].

وترد اسماً بمعنى (غير) نحو: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ [الأنبياء: ٢٤]، أي: غيره.

وقال الزمخشريّ: معناه: أدنى مكان من الشيء.

وتُستعمل للتفاوت في الحال، نحو: زيد دون عمرو، أي: في الشرف والعلم.

واتُّسع فيه فاستعمل في تجاوز حدٍّ إلى حدٍّ، نحو: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٤]، أي: لا تجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين.

ذو: اسم بمعنى صاحب، وُضِع للتَّوَصُّل إلى وصف الذوات بأسماء الأجناس، كما أن (الذي) وُضعت صلة إلى وصف المعارف بالجمل.

ولا يستعمل إلّا مضافاً.

ولا يضاف إلى ضمير ولا مشتق، وجوّزه بعضُهم، وخرَّج عليه قراءة ابن مسعود: (وفوق كل ذي عالمٍ عليم) [يوسف: ٧٦][٣].

وأجاب الأكثرون عنها بأن العالم هنا مصدر كالباطل، أو بأن ﴿ذِى﴾ زائدة.

قال السُّهَيليُّ: والوصف بـ(ذو) أبلغ من الوصف بصاحب، والإضافة بها أشرف، فإن (ذو) يضاف للتابع، وصاحب يضاف إلى المتبوع، تقول: أبو هريرة صاحب النبيّ، ولا تقول: النَّبي صاحب أبي هريرة. وأمَّا (ذو) فإنك تقول: ذو المال وذو الفرس، فتجد الاسم الأول متبوعاً غير تابع، وبُني على هذا الفرق أنه تعالى قال في سورة الأنبياء [الآية: ٨٧]: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾، فأضافه إلى النون وهو الحوت، وقال في سورة ن [الآية: ٤٨]: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾، قال: والمعنى واحد، لكن بين

---

(١) هما قراءتان شاذتان، والمتواترة: ضَمُّ (حيث). (٢) الرفع: قراءة شاذة، والنصب: متواترة.

(٣) المتواترة: ﴿عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾.

اللفظين تفاوتٌ كثيرٌ في حسن الإشارة إلى الحَالتين؛ فإنَّه حين ذكره في معرض الثناء عليه أتى بـ: ذي؛ لأن الإضافة بها أشرف، وبـ: النُّون؛ لأنَّ لفظه أشرف من لفظ الحوت، لوجوده في أوائل السور؛ وليس في لفظ الحوت ما يشرفه لذلك، فأتى به وبصاحب حين ذكره في معرض النهي عن اتِّباعه.

رويداً: اسم لا يُتكلم به إلاَّ مُصغَّراً مأموراً به، وهو تصغير (رَوْد)، وهو المهل.

ربّ: حرف في معناه ثمانية أقوال:

أحدها: أنها للتقليل دائماً، وعليه الأكثرون.

الثاني: للتكثير دائماً، كقوله تعالى: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢]. فإنه يكثر منهم تمنيّ ذلك، وقال الأولون: هم مشغولون بغمرات الأهوال، فلا يفيقون بحيث يتمنَّون ذلك إلاَّ قليلاً.

الثالث: أنها لهما على السَّواء.

الرابع: للتقليل غالباً، والتكثير نادراً، وهو **اختياري**.

الخامس: عكسه.

السادس: لم توضع لواحد منهما، بل هي حرفُ إثباتٍ، لا يَدُلّ على تكثير ولا تقليل، وإنَّما يفهم ذلك من خارج.

السابع: للتكثير في موضع المباهاة والافتخار، وللتقليل فيما عداه.

الثامن: لمبهم العدد، تكون تقليلاً وتكثيراً، وتدخل عليها (ما) فتكفُّها عن عمل الجرّ وتدخلها على الجمل. والغالب حينئذ دخولها على الفعلية الماضي فعلُها لفظاً ومعنًى، ومن دخولها على المستقبل الآية السابقة. قيل: إنه على حدّ: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ [الكهف: ٩٩].

السين: حرف يختصُّ بالمضارع ويخلِّصه للاستقبال، ويتنزَّل منه منزلة الجزء، فلذا لم تعمل فيه.

وذهب البصريون إلى أن مدة الاستقبال معه أضيقُ منها مع (سوف).

وعبارة المُعْرِبين: حرفُ تنفيس، ومعناها حرف توسُّع، لأنها نقلت المضارع من الزمن الضيِّق ـ وهو الحال ـ إلى الزمن الواسع، وهو الاستقبال.

وذَكر بعضُهم أنها قد تأتي للاستمرار لا للاستقبال، كقوله تعالى: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ﴾ [النساء: ٩١]، ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة: ١٤٢]، لأن ذلك إنما نزل بعد قولهم: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ﴾ فجاءت السين إعلاماً بالاستمرار لا للاستقبال.

قال ابن هشام[1]: وهذا لا يعرفه النحويّون. بل الاستمرار مستفاد من المضارع، والسين باقيةٌ على الاستقبال؛ إذ الاستمرار إنما يكون في المستقبل.

(١) في «المغني» ص ١٨٤.

قال: وزعم الزمخشري أنها إذا دخلت على فعل محبوب أو مكروه أفادت أنه واقعٌ لا محالةَ؛ ولم أرَ من فَهِمَ وجْهَ ذلك، وَوُجّه: أنَّها تفيد الوعد بحصول الفعل، فدخولُها على ما يفيد الوعد أو الوعيدَ مقتضٍ لتوكيده وتثبيت معناه، وقد أومأ إلى ذلك في سورة البقرة: فقال: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧] معنى السين أن ذلك كائن لا محالة وإن تأخر إلى حين. وصرَّح به في سورة براءة، فقال في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٧١]: السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة، فهي تؤكد الوعدَ كما تؤكد الوعيدَ في قولك: سأنتقم منك.

سوف: كالسِّين، وأوسع زماناً منها عند البصريّين؛ لأن كثرة الحروف تدلّ على كثرة المعنى، ومرادفة لها عند غيرهم. وتنفرد عن السين بدخول اللام عليها، نحو: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ﴾ [الضحى: ٥].

قال أبو حيّان: وإنما امتنع إدخال اللام على السين كراهة توالي الحركات في (لسيدحرج)، ثم طرد الباقي.

قال ابن بابِشاذ[1]: والغالب على (سوف) استعمالها في الوعيد والتهديد، وعلى السين استعمالها في الوعد، وقد تستعمل (سوف) في الوعد، والسين في الوعيد.

سواء: تكون بمعنى (مستوٍ) فتقصَر مع الكسر، نحو: ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ [طه: ٥٨]. وتمدّ مع الفتح، نحو: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة: ٦]. وبمعنى الوسط، فيمد مع الفتح، نحو: ﴿فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥].

وبمعنى التَّمام فكذلك، نحو: ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً﴾ [فصلت: ١٠]؛ أي: تماماً.

ويجوز أن يكون منه: ﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ [ص: ٢٢].

ولم ترد في القرآن بمعنى غير. وقيل: وردت، وجعل منه في «**البرهان**»: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ١٢]، وهو وهمٌ، وأحسن منه قول الكلبي في قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى﴾ [طه: ٥٨]: إنَّها استثنائية، والمستثنى محذوف، أي: مكاناً سوى هذا المكان، حكاه الكرماني في «**عجائبه**»[2] قال: وفيه بُعْدٌ، لأنها لا تستعمل غير مُضافة.

ساء: فعل للذم لا يتصرَّف.

سبحان: مصدر بمعنى التسبيح، لازم النصب والإضافة إلى مفرد ظاهر، نحو: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٨]. ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١]. أو مضمر، نحو: ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ [النساء: ١٧١]، ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢]. وهو مما أُمِيت فعله.

---

(١) ابن بَابِشَاذ: طاهر بن أحمد، مصري، تعلم في العراق، وبرع في العربية (ت: ٤٦٩ هـ). «حسن المحاضرة» ١/ ٣٠٦.

(٢) «عجائب التأويل» ١/ ٧١٩ سورة طه: ٥٨.

وفي «**العجائب**»[١] للكرمانيّ: من الغريب ما ذكره المفصَّل أنه مصدر (سبّح) إذا رفع صوته بالدعاء والذِّكْر. وأنشد:

قبّح الإله وُجُوهَ تَغْلِبَ كلَّما ... سَبَّحَ الحجيجُ وكَبَّرُوا إهْلالا

أخرج ابن أبي حاتم[٢] عن ابن عباس في قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ قال: تنزيه الله نفسَه عن السوءِ.

ظـــنّ : أصله للاعتقاد الراجح، كقوله تعالى: ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣٠]. وقد تستعمل بمعنى اليقين، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦].

أخرج ابن أبي حاتم وغيره عن مجاهد قال: كُلُّ ظن في القرآن يقين؛ وهذا مشكلٌ بكثير من الآيات لم تستعمل فيها بمعنى اليقين، كالآية الأولى.

وقال الزركشي في «**البرهان**»[٣]: الفرق بينهما في القرآن ضابطان:

أحدهما: أنه حيث وجد الظَّنّ محموداً مثاباً عليه فهو اليقين، وحيث وجد مذموماً متوعَّداً عليه بالعقاب فهو الشك.

والثاني: أن كلّ ظَنٍّ يتصل بعده (أنْ) الخفيفة فهو شك، نحو: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ﴾ [الفتح: ١٢]. وكل ظن يتصل به (أنَّ) المشدَّدة فهو يقين، كقوله: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٠]، ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾ [القيامة: ٢٨]. وقرئ: (وأيقن أنه الفراق) والمعنى في ذلك: أنَّ المشدَّدة للتأكيد فدخلت على اليقين، والخفيفة بخلافها فدخلت في الشك، ولهذا دخلت الأولى في العلم، نحو: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأنفال: ٦٦].

والثانيةُ في الحُسْبَان، نحو: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [المائدة: ٧١].

ذكر ذلك الراغبُ في «تفسيره»، وأورد على هذا الضابط: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١٨].

وأُجيبَ بأنها هنا اتَّصلت بالاسم، وهو ﴿مَلْجَأَ﴾، وفي الأمثلة السابقة اتَّصلت بالفعل. ذكره في «**البرهان**»[٤] قال: فتمسَّكْ بهذا الضابط، فهو من أسرار القرآن.

وقال ابن الأنباري: قال ثعلب: العرب تجعل الظَّنَّ علماً وشكًّا وكِذْباً: فإن قامت براهين العلم، فكانت أكبرَ من براهين الشكّ، فالظنُّ يقين. وإن اعتدلت براهين اليقين وبراهين الشكّ، فالظنّ شكّ. وإن زادت براهين الشكّ على براهين اليقين، فالظنّ كذب؛ قال الله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤] أراد: يكذبون. انتهى.

---

(١) «عجائب التأويل» ١/ ٦٢٠ أول سورة الإسراء، وفيه: والغريب: ما سبق أنه من «شَبَحَ» إذا رفع صوته. قال الشاعر:

قبح الإله وجوه تغلب كلما ... شبح الحجيج وكبروا إهلالاً

والبيت لجرير وهو في ديوانه ١/ ٥٢ وقال شارحه: الشَّبحُ: رفع الأيدي بالدعاء، والإهلال: رفع الصوت.

(٢) في «تفسيره» ١/ ٨١ (٣٤٤) البقرة: ٣٢.

(٣) «البرهان...» ٤/ ١٣٨ النوع ٤٦.

(٤) «البرهان...» ٤/ ١٣٨ النوع ٤٦.

على : حرف جرٍّ له معانٍ:

أشهرها: الاستعلاء حِسًّا أو معنًى، نحو: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٢]. ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦]. ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾ [الشعراء: ١٤].

ثانيها: للمصاحبة كمع، نحو: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [البقرة: ١٧٧]، أي: مع حُبّه. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦].

ثالثها: للابتداء كَمِنْ، نحو: ﴿إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [المطففين: ٢]، أي: من الناس. ﴿لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ [المؤمنون: ٥ ـ ٦]، أي: منهم، بدليل: «**احفظ عورتك إلا من زوجتك**».

[حسن: أحمد: ٢٠٠٣٤، وأبو داود: ٤٠١٧، والترمذي: ٢٧٦٩].

رابعها: التعليل كاللام، نحو: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٥]، أي: لهدايته إيّاكم.

خامسها: الظرفية كفي، نحو: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [القصص: ١٥]، أي: في حين. ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، أي: في زمن ملكه.

سادسها: معنى الباء، نحو: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ﴾ [الأعراف: ١٠٥]، أي: بأن، كما قرأ أُبيّ.

فائدة: هي في نحو: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] بمعنى الإضافة والإسناد؛ أي: أَضِفْ توكُّلَكَ وأسنده إليه، كذا قيل، **وعندي** أنها فيه بمعنى باء الاستعانة. وفي نحو: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢] لتأكيد التّفضل لا الإيجاب والاستحقاق، وكذا في نحو: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٦] لتأكيد المجازاة.

قال بعضهم: وإذا ذكرت النعمة في الغالب مع الحمد لم تقترن بعلى، وإذا أُريدَتِ النعمة أُتيَ بها، ولهذا كان ﷺ إذا رأى ما يعجبُه، قال: «**الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات**». وإذا رأى ما يكره قال: «**الحمد لله على كل حال**» [ابن ماجه: ٣٨٠٣].

تنبيه: ترد (على) اسماً ـ فيما ذكره الأخفش ـ إذا كان مجرورها وفاعلُ متعلقها ضميريْنِ لمسمّى واحد، نحو: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، لما تقدمت الإشارة إليه في «إلى». وتَرِدُ فعلاً من العلوّ، ومنه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٤].

عن : حرف جرٍّ له معانٍ:

أشهرها: المجاوزة، نحو: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ [النور: ٦٣]، أي: يجاوزونه ويبعدون عنه.

ثانيها: البدل، نحو: ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ٤٨].

ثالثها: التعليل، نحو: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ﴾ [التوبة: ١١٤]، أي: لأجل موعدة. ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾ [هود: ٥٣]، أي: لقولك.

رابعها: بمعنى على، نحو: ﴿فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾ [محمد: ٣٨]، أي: عليها.

خامسها: بمعنى مِنْ، نحو: ﴿يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ [التوبة: ١٠٤]، أي: منهم؛ بدليل: ﴿فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا﴾ [المائدة: ٢٧].

سادسها: بمعنى بعد، نحو: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣]. بدليل أَنَّ في آية أُخرى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ﴾ [المائدة: ٤١]. ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ [الانشقاق: ١٩]، أي: حالة بعد حالة.

تنبيه: تَرِدُ اسماً إذا دخل عليها (مِنْ). وجعل منه ابن هشام[1]: ﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ [الأعراف: ١٧]، قال: فتقدَّر معطوفة على مجرور (مِنْ) لا على (مِنْ) ومجرورها.

عســى: فعل جامد لا يتصرَّف، ومِن ثَمَّ ادعى قوم أنه حرف.

ومعناه التَّرجِّي في المحبوب والإشفاق في المكروه، وقد اجتمعتا في قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ﴾ [البقرة: ٢١٦].

قال ابن فارس: وتأتي للقرب والدُّنوّ، نحو: ﴿قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢].

وقال الكسائي: كلُّ ما في القرآن من (عسى) على وجه الخبر فهو موحَّد كالآية السابقة، ووجَّه على معنى: عَسَى الأمر أن يكون كذا. وما كان على الاستفهام فإنه يجمع، نحو: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ [محمد: ٢٢]. قال أبو عُبيدة: معناه هل عرفتم ذلك، وهل أُخْبِرتموه؟

وأخرج ابنُ أبي حاتم والبَيْهقيّ وغيرُهما عن ابن عباس قال: كلُّ عسى في القرآن فهي واجبةٌ.

وقال الشافعي: يقال: عسى من الله واجبة.

وقال ابن الأنباريّ: عسى في القرآن واجبة إلّا في موضعين:

أحدهما: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ﴾ [الإسراء: ٨] يعني بني النَّضير، فما رحمهم الله، بل قاتلهم رسولُ الله ﷺ، وأوقَع عليهم العقوبةَ.

والثاني: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا﴾ [التحريم: ٥]، فلم يقع التبديل.

وأبطل بعضُهم الاستثناء، وعَمَّم القاعدة؛ لأنَّ الرحمة كانت مشروطة بأَلّا يعودوا، كما قال: ﴿وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۚ﴾ [الإسراء: ٨]، وقد عادوا، فوجب عليهم العذاب، والتَّبديل مشروطاً بأَن يُطَلِّق ولَمْ يُطَلِّق، فلا يجب.

وفي «**الكشاف**»[2]: في سورة التحريم: ﴿عَسَىٰ﴾ إطماع من الله تعالى لعباده، وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون ما جرتْ به عادةُ الجبابرة من الإجابة بلعلَّ وعَسَى، ووقوع ذلك منهم موقعَ القَطْعِ والبَتِّ.

---

(١) في «المغني» ص ١٩٩ ولفظه: ويحتمله عندي...

(٢) «الكشاف» ٤/ ١٣٠ سورة التحريم: ٨.

والثاني: أن يكون جِيءَ به تعليماً للعباد أن يكونوا بين الخوف والرجاء.

وفي «**البرهان**»[١]: «عَسَى» و«لعلَّ» من الله واجبتان، وإن كانتا رجاء وطمعاً في كلام المخلوقين؛ لأن الخَلْق هم الذين يَعرِض لهم الشُّكوك والظنونُ، والبارئ منزَّه عن ذلك. والوجه في استعمال هذه الألفاظ: أن الأمور الممكنة لـمَّا كان الخَلْقُ يشكُّون فيها ولا يقطعون على الكائن منها، والله يعلم الكائن منها على الصحَّة صارت لها نسبتان: نسبةٌ إلى الله تسمَّى نسبةَ قَطْعٍ ويقين، ونسبةٌ إلى المخلوقين تسمَّى نسبةَ شكٍّ وظنٍّ، فصارت هذه الألفاظ لذلك ترد تارةً بلفظ القطع بحسب ما هي عليه عند الله تعالى، نحو: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وتارة بلفظ الشكّ بحسب ما هي عليه عند الخلق، نحو: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ [المائدة: ٥٢]، ونحو: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]، وقد عَلِمَ الله ـ حالَ إرسالهما ـ ما يفضي إليه حالُ فرعون؛ لكن وَرَدَ اللَّفظُ بصورة ما يختلج في نفس موسى وهارون من الرَّجاء والطمع. ولـمَّا نزل القرآن بلغة العرب جاء على مذاهبهم في ذلك، والعرب قد تخرج الكلام المتيقَّن في صورة المشكوك لأغراض.

وقال ابن الدَّهان[٢]: (عسى) فعل ماضي اللفظ والمعنى، لأنه طَمَعٌ قد حصَل في شيء مستقبل.

وقال قوم: ماضي اللفظ مستقبَلُ المعنى؛ لأنه إخبارٌ عن طمع يريد أن يقع.

تنبيه: وردت في القرآن على وجهين:

أحدهما: رافعة لاسم صريح بعده فعل مضارع مقرون بأن، والأشهر في إعرابها حينئذ أنها فعل ماض ناقص عاملٌ عَمَلَ كان. فالمرفوع اسمها وما بعده الخبرُ. وقيل: متعدٍّ بمنزلة (قارَب) معنًى وعملاً، أو قاصرٌ بمنزلة: قَرُب من أن يفعل، وحُذِف الجارّ توسعاً؛ وهو رأي سيبويه والمبرّد. وقيل: قاصر بمنزلة قَرُب، وأن يفعل بدل اشتمال من فاعلها.

الثاني: أن يقع بعدها أن والفعل؛ فالمفهوم من كلامهم أنها حينئذ تامَّة. وقال ابن مالك: عِنْدِي أنَّها ناقصة أبداً، وأنْ وَصِلتُها سدّت مسدّ الجزءين كما في: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟﴾ [العنكبوت: ٢].

عـــنـــد: ظرف مكان تُستعمل في الحضور والقُرْب؛ سواء كانا حسِّيَّين؛ نحو: ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ [النمل: ٤٠]، ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم: ١٤ ـ ١٥]، أو معنويَّيْن، نحو: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النمل: ٤٠]. ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ﴾ [ص: ٤٧]. ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ﴾ [القمر: ٥٥]. ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. ﴿ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١] فالمراد بهذه الآيات قُرْب التشريفِ، ورِفعةُ المنزلة.

---

(١) «البرهان» ٤/ ١٤٠ النوع ٤٦.

(٢) ابن الدهان: سعيد بن المبارك، بغدادي عالم باللغة والأدب، ألّف في التفسير واللغة والأدب (ت: ٥٦٩ هـ). «وفيات الأعيان» ١/ ٢٠٩.

ولا تستعمل إلاَّ ظرفاً أو مجرورة بـ: مِنْ خاصة، نحو: ﴿فَمِنْ عِندِكَ﴾ [القصص: ٢٧]. ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٨٩].

وتُعاقِبها **لَدى ولَدُن**، نحو: ﴿لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ [غافر: ١٨]. ﴿لَدَا ٱلْبَابِ﴾ [يوسف: ٢٥]. ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤].

وقد اجتمعَتا في قوله: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

ولو جِيء فيهما بـ: عند أو لَدُنْ صحّ، لكن تُرِك دفعاً للتكرار، وإنما حَسُن تكرار (لدى) في: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾، لتباعد ما بينهما.

وتفارق عند ولَدى لَدُن من **ستة أوجه**:

١ ـ فعند ولَدَى: تصلُح في محل ابتداء غاية وغيرها؛ ولا يصلح لَدُن إلاَّ في ابتداء غاية.

٢ ـ وعند ولدى: يكونان فضلةً، نحو: ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ﴾ [ق: ٤]. ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ﴾ [المؤمنون: ٦٢]، ولدُن لا تكون فضلة.

٣ ـ وجرُّ لدُن بمِن أكثرُ من نصبها، حتى إنها لم تجئ في القرآن منصوبة، وجرُّ عند كثيرٌ، وجرّ لدى ممتنعٌ.

٤ ـ وعنْد ولَدَى يُعرَبان، ولدُن مبنية في لغة الأكثرين.

٥ ـ ولَدُن قد لا تضاف، وقد تضاف للجملة؛ بخلافهما.

٦ ـ وقال الراغب[١]: لَدُنْ أخصُّ من عِنْد وأَبلغُ، لأنه يَدُل على ابتداء نهاية الفعل. انتهى.

و(عِنْدَ) أمكن من (لَدُنْ) من وجهين: أنها تكون ظرفاً للأعيان والمعاني، بخلاف لدن. و(عند) تستعمل في الحاضر والغائب، ولا تستعمل (لَدُنْ) إلاَّ في الحاضر، ذكرهما ابن الشَّجَريّ وغيره.

غـيـر: اسمٌ ملازمٌ للإضافة والإبهام، فلا تتعرَّف ما لم تقع بين ضِدَّين، ومن ثَمَّ جاز وصفُ المعرفة بها في قوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧].

والأصل أن تكون وصفاً للنكرة، نحو: ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الأعراف: ٥٣].

وتقع حالاً إن صلح موضعها (لا) واستثناءً إن صلح موضعها (إلاَّ)، فتعرب بإعراب الاسم التالي (إلاَّ) في ذلك الكلام.

وقرئ قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥] بالرفع على أنها صفة ﴿ٱلْقَٰعِدُونَ﴾. أو استثناء أو بدل، على حَدّ: ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٦٦]، وبالنَّصب على الاستثناء، وبالجرِّ خارج السَّبْع، صفة للمؤمنين.

وفي «**المفردات**» للراغب[٢]: غير: تقال على أوجه:

---

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» مادة: لدن. (٢) مادة: غير.

الأول: أن تكون للنفي المجرَّد من غير إثبات معنى به، نحو مررت برجلٍ غيرِ قائم، أي: لا قائم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى﴾ [القصص: ٥٠]، ﴿وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨].

الثاني: بمعنى (إلا) فيستثنى بها، وتوصف به النكرةُ، نحو: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨٥]. ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣].

الثالث: لنفي الصورة من غير مادتها، نحو: الماء إذا كان حارًّا غيرُه إذا كان بارداً. ومنه قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦].

الرابع: أن يكون ذلك متناولاً لذاتٍ، نحو: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٩٣]. ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾ [الأنعام: ١٦٤]. ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ﴾ [يونس: ١٥]. ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]. انتهى.

الفاء: ترد على أوجه:

أحدها: أن تكون عاطفة، فتفيد ثلاثة أمور:

أحدها: الترتيب، معنويًا كان، نحو: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥]. أو ذِكْريًا، وهو عطفُ مفصَّل على مجمَل، نحو: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٣٦]. ﴿سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣]. ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ﴾ [هود: ٤٥]. وأنكره ـ أي: الترتيب ـ الفراءُ، واحتج بقوله: ﴿أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ [الأعراف: ٤].

وأُجيبَ بأن المعنى: أردْنا إهلاكَها.

ثانيها: التَّعقيب، وهو في كل شيء بحسَبه، وبذلك ينفصل عن التراخي في نحو: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ [الحج: ٦٣]. ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ [المؤمنون: ١٤].

ثالثها: السببيَّة غالباً، نحو: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥]. ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧]. ﴿لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ﴾ [الواقعة: ٥٢ ـ ٥٤].

وقد تجيء لمجرد الترتيب، نحو: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ﴾ [الذاريات: ٢٦ ـ ٢٧]. ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ﴾ [الذاريات: ٢٩]. ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ﴾ [الصافات: ٢ ـ ٣].

الوجه الثاني: أن تكون لمجرد السببيَّة من غير عطف، نحو: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ﴾ [الكوثر: ١ ـ ٢]؛ إذ لا يعطف الإنشاء على الخبر، وعكسه.

[الوجه] الثالث: أن تكون رابطةً للجواب حيث لا يصلح لأن يكون شرطاً:

بأن كان جملة اسمية، نحو: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨]، ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

أو فعلية فعلها جامد، نحو: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ﴾ [الكهف: ٣٩ ـ ٤٠]، ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨]، ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ﴾ [البقرة: ٢٧١]، ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾ [النساء: ٣٨].

أو إنشائيّ، نحو: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى﴾ [آل عمران: ٣١]، ﴿فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٠].

واجتمعت الاسمية والإنشائية في قوله: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾ [الملك: ٣٠].

أو ماضٍ لفظاً ومعنى، نحو: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ٧٧].

أو مقرون بحرف استقبال، نحو: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]، ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ [آل عمران: ١١٥].

وكما تربط الجواب بشرطه تربط شبه الجواب بشبه الشرط، نحو: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ إلى قوله: ﴿فَبَشِّرْهُم﴾ [آل عمران: ٢١].

الوجه الرابع: أن تكون زائدة، وحمل عليه الزَّجّاج: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ﴾ [ص: ٥٧]. ورُدَّ بأن الخبر: ﴿حَمِيمٌ﴾ [ص: ٥٧]. وما بينهما معترض.

وخرَّج عليه الفارسيّ: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ﴾ [الزمر: ٦٦]، وغيره: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟﴾ [البقرة: ٨٩].

الخامس: أن تكون للاستئناف، وخرج عليه: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] بالرفع.

فـــــي: حرف جر له معانٍ:

أشهرُها: الظرفية، مكاناً أو زماناً، نحو: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم: ٢ ـ ٤] حقيقةً كالآية، أو مجازاً، نحو: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]. ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ﴾ [يوسف: ٧]، ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠].

ثانيها: المصاحبة كمع، نحو: ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ﴾ [الأعراف: ٣٨]، أي: معهم .﴿فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ [النمل: ١٢].

ثالثها: التعليل، نحو: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ [يوسف: ٣٢]، ﴿لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾ [النور: ١٤] أي: لأجله.

رابعها: الاستعلاء، نحو: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، أي: عليها.

خامسها: معنى الباء، نحو: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ [الشورى: ١١]، أي: بسببه.

سادسها: معنى إلى، نحو: ﴿فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٩]، أي: إليها.

سابعها: معنى من، نحو: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [النحل: ٨٩]، أي: منهم، بدليل الآية الأخرى.

ثامنها: معنى عن، نحو: ﴿فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ [الإسراء: ٧٢]، أي: عنها وعن محاسنها.

تاسعها: المقايسة، وهي الداخلة بين مفضول سابق وفاضل لاحق، نحو: ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

عاشرها: التوكيد وهي الزائدة، نحو: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا﴾ [هود: ٤١]، أي: اركبوها.

قــــد: حرف مختصّ بالفعل المتصرف الخبريّ المثبت، المجرَّد من ناصب وجازم وحرف تنفيس، ماضياً كان أو مضارعاً. ولها معانٍ:

الأول: التحقيق مع الماضي، نحو: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]. ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩].

وهي في الجملة الفعلية المجاب بها القسم مثل: إنَّ واللام في الاسمية المجاب بها في إفادة التوكيد.

الثاني: والتقريب مع الماضي أيضاً، تقرّبه من الحال، تقول: قام زيد، فيحتمل الماضي القريب والماضي البعيد؛ فإن قلت: قد قام، اختصَّ بالقريب.

قال النحاة: وانبنَى على إفادتها ذلك أحكامٌ:

منها: منع دخولها على ليس وعسى ونعم وبئس، لأنهنَّ للحال، فلا معنى لذكر ما يقرب ما هو حاصلٌ، ولأنهنَّ لا يفدن الزمان.

ومنها: وجوب دخولها على الماضي الواقع حالاً: إما ظاهرةً، نحو: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا﴾ [البقرة: ٢٤٦]، أو مقدَّرة، نحو: ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ [يوسف: ٦٥]، ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: ٩٠].

وخالف في ذلك الكوفيُّون والأخفش، وقالوا: لا تحتاج لذلك، لكثرة وقوعه حالاً بدون (قد).

وقال السيد الجرجاني[1] وشيخُنا العلامة الكافِيَجيّ: ما قاله البصريُّون غلط، سببه اشتباه لفظ الحال عليهم، فإنَّ الحال الذي تقرّبه (قد) حالُ الزمان، والحال المبيّن للهيئة حال الصفات، وهما متغايران في المعنى.

المعنى الثالث: التقليل مع المضارع. قال في «**المغني**»[2]: وهو ضربان: تقليل وقوع الفعل نحو: (قد يصدق الكذوب). وتقليل متعلقه، نحو: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [النور: ٦٤]، أي: إن ما هم عليه هو أقلُّ معلوماته تعالى. قال: وزعم بعضُهم أنها في هذه الآية ونحوها للتحقيق. انتهى.

وممن قال بذلك الزمخشريُّ، قال: إنها أدخلت لتوكيد العلم، ويرجع ذلك إلى توكيد الوعيد.

الرابع: التكثير، ذكره سيبويه وغيره. وخرَّج عليه الزمخشري[3] قوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٤٤] قال: أي: رُبَّما نرى، ومعناه: تكثير الرؤية.

---

(١) الجُرْجَاني: عبد القاهر بن عبد الرحمن، من أئمة اللغة، واضع أصول البلاغة (ت: ٤٧١ هـ). «مرآة الجنان» ٣/ ١٠١.

(٢) «المغني» ص ٢٣٠.

(٣) في «تفسيره» ١/ ٣٤٢ سورة البقرة: ١٤٤.

الخامس: التوقّع، نحو: (قد يقدم الغائب) لمن يَتوقع قدومه وينتظره، و(قد قامت الصلاة)؛ لأن الجماعة مُنتظرون ذلك. وحمل عليه بعضهم: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ﴾ [المجادلة: ١]؛ لأنها كانت تتوقع إجابة الله لدعائها.

الكاف: حرف جرّ، له معانٍ:

أشهرها: التشبيه، نحو: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ [الرحمن: ٢٤].

والتعليل: نحو: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا﴾ [البقرة: ١٥١]. قال الأخفش: أي: لأجل إرسالنا فيكم رسولاً منكم ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾ [البقرة: ١٥٢]. ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]، أي: لأجل هدايته إياكم. ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [القصص: ٨٢]، أي: أعجب لعدم فلاحهم. ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

والتوكيد: وهي الزائدة، وحمل عليه الأكثرون: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. ولو كانت غير زائدة لزم إثبات المثل، وهو محال، والقصد بهذا الكلام نفيُه.

قال ابن جني: وإنما زيدت لتوكيد نفي المِثْل؛ لأن زيادة الحرف بمنزلة إعادة الجملة ثانياً.

وقال الراغب[1]: إنما جمع بين الكاف والمثل لتأكيد النفي، تنبيهاً على أنه لا يصح استعمال المِثل ولا الكاف، فنفَى بـ(ليْس) الأمرين جميعاً.

وقال ابن فورك: ليست زائدة، والمعنى: ليس مثل مثله شيء، وإذا نفيت التماثل عن المثل، فلا مثل لله في الحقيقة.

وقال الشيخ عِزّ الدين بن عبد السلام: مِثْل تطلق ويراد بها الذات، كقولك: مثلك لا يفعل هذا، أي: أنت لا تفعله. كما قال:

ولم أَقُل مِثلك أعني به ... سِواكَ يا فرداً بلا مُشْبِهِ

وقد قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ [البقرة: ١٣٧]، أي: بالذي آمنتم به إياه؛ لأن إيمانهم لا مثل له، فالتقدير في الآية: ليس كذاته شيء.

وقال الراغب[2]: المِثْل هنا بمعنى الصفة، ومعناه: ليس كصفته صفة؛ تنبيهاً على أنّه وإن كان وصف بكثير ممّا وُصف به البشر، فليس تلك الصفات له على حسب ما تستعمل في البشر، ولله المثل الأعلى.

تنبيه: ترد الكاف اسماً بمعنى (مثل) فتكون في محلّ إعراب ويعود عليها الضمير.

قال الزمخشري[3] في قوله تعالى: ﴿كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ [آل عمران: ٤٩]: إنَّ الضمير في ﴿فِيهِ﴾ للكاف في ﴿كَهَيْـَٔةِ﴾، أي: فأنفخ في ذلك الشيء المماثل، فيصير كسائر الطيور. انتهى.

---

(١) في «مفرداته» مادة: مثل.

(٢) في «مفرداته» مادة: مثل.

(٣) في «تفسيره» ١/ ٤٣١ آل عمران: ٤٩.

مسألة: الكاف في (ذلك)، أي: في اسم الإشارة، وفروعه ونحوه حرف خطاب لا محل له من الإعراب. وفي (إيَّاك) قيل: حرف، وقيل: اسم مضاف إليه. وفي (أرأيتك) قيل: حرف، وقيل: اسم في محل رفع، وقيل: نصب، والأوَّل أرجحُ.

كـــاد: فعل ناقص، أتى منه الماضي والمضارع فقط.

له اسم مرفوع وخبر مضارع مجرد من أن، ومعناها قارب، فنفيها نفي للمقاربة، وإثباتها إثبات للمقاربة، واشتهر على ألسنة كثير: أن نفيها إثبات وإثباتَها نفيٌ، فقولك: كاد زيد يفعل، معناه لم يفعل، بدليل: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٣]، وما كاد يفعل، معناه فَعَلَ، بدليل: ﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١].

أخرج ابنُ أبي حاتم[1] من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: كل شيء في القرآن كاد، وأكادُ، ويكادُ فإنه لا يكون أبداً.

وقيل: إنها تفيد الدَّلالة على وقوع الفعل بعُسر، وقيل: نفي الماضي إثبات، بدليل: ﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١]. ونفي المضارع نفيٌ، بدليل: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ [النور: ٤٠] مع أنه لم ير شيئاً.

والصحيح الأول: أنَّها كغيرها، نفيُها نفي وإثباتُها إثبات، فمعنى كاد يفعل: قارب الفعل ولم يفعل، وما كاد يفعل: ما قارب الفعل فضلاً عن أن يفعل، فنفْيُ الفِعل لازم من نفي المقاربة عقْلاً.

وأما آية: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ فهو إخبار عن حالهم في أول الأمر، فإنَّهم كانوا أولاً بُعداء من ذبحها، وإثباتُ الفعل إنَّما فُهِم من دليل آخر، وهو قوله: ﴿فَذَبَحُوهَا﴾.

وأما قوله: ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ﴾ [الإسراء: ٧٤] مع أنه ﷺ لم يركن لا قليلاً ولا كثيراً، فإنه مفهوم من جهة أن ﴿لَوْلَآ﴾ الامتناعية تقتضي ذلك.

فائدة: ترد كاد بمعنى أراد، ومنه: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٧٦]، ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه: ١٥]. وعكسه، كقوله: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧]، أي: يكاد.

كـــان: فعل ناقص متصرِّف، يرفع الاسم وينصب الخبر، ومعناه في الأصل المضيّ والانقطاع، نحو: ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾ [التوبة: ٦٩]. وتأتي بمعنى الدوام والاستمرار، نحو: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦]. ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١]، أي: لم يزل كذلك، وعلى هذا المعنى تتخرَّج جميع الصفات الذاتية المقترنة بكان.

قال أبو بكر الرازي: كان في القرآن على خمسة أوجه:

بمعنى الأزَل والأبد، كقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧].

بمعنى المضيّ المنقطع، وهو الأصل في معناها، نحو: ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ [النمل: ٤٨].

---

(١) في «تفسيره» ١/١٤٣ (٧٤٢) البقرة: ٧١.

وبمعنى الحال، نحو: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

وبمعنى الاستقبال، نحو: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

وبمعنى صار، نحو: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]. انتهى.

قلت: أخرج ابنُ أبي حاتم(١) عن السُّدِّيّ: قال عمر بن الخطاب: لو شاء الله لقال: (أنتم) فكنَّا كلُّنا، ولكن قال: ﴿كُنتُمْ﴾ في خاصَّة أصحاب محمد.

وترد كان بمعنى ينبغي، نحو: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ [النمل: ٦٠]، ﴿مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـٰذَا﴾ [النور: ١٦].

وبمعنى حضر أو وجد، نحو: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً﴾ [النساء: ٤٠].

وترد للتأكيد، وهي الزائدة، وجعل منه: ﴿وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١٢]، أي: بما يعملون.

كـــأَنَّ: بالتشديد، حرفٌ للتشبيه المؤكَّد؛ لأن الأكثر على أنه مركب من كاف التشبيه وأَنَّ المؤكدة.

والأصل في كأَنَّ زيداً أسدٌ: إن زيداً كأسدٍ، قُدِّم حرف التشبيه اهتماماً به، ففتحت همزة أَنَّ لدخول الجار.

قال حازم: وإنَّما تستعمل حيث يقوى الشبه، حتى يكاد الرائي يشكّ في أن المشبهَ هو المشبَّه به أو غيره، ولذلك قالت بلقيس: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ [النمل: ٤٢].

قيل: وتَرِدُ للظنِّ والشكّ فيما إذا كان خبرُها غيرَ جامد.

وقد تخفف، نحو: ﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾ [يونس: ١٢].

كـــأيِّـــنْ: اسم مركب: من كاف التشبيه وأيّ المنونة، للتكثير في العدد، نحو: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

وفيها لغات: منها (كائن) بوزن بائع، وقرأ بها ابنُ كثير حيث وقعتْ. وكَأْيٍ بوزن كعب، وقرئ بها: (وكَأْيٍ من نبي قُتل).

وهي مبنية، لازمة الصدر ملازمة للإبهام، مفتقرة للتمييز، وتمييزها مجرور بـ: مِن غالباً، وقال ابن عصفور: لازماً.

كـــذا: لم ترد في القرآن إلاَّ للإشارة، نحو: ﴿أَهَـٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ [النمل: ٤٢].

---

(١) في «تفسيره» ٣/ ٧٣٢ (٣٩٧٠) آل عمران: ١١٠. ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾.

كـــــل : اسم موضوع لاستغراق أفراد المُنكَّر المضاف هو إليه، نحو: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. والمعرَّف المجموع، نحو: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥]. ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا﴾ [آل عمران: ٩٣]. وأجزاء المفرد المعرَّف، نحو: ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ﴾ [غافر: ٣٥] بإضافة ﴿قَلْبِ﴾ إلى ﴿مُتَكَبِّرٍ﴾، أي: على كل أجزائه، وقراءة التنوين لعموم أفراد القلوب.

وترد باعتبار ما قبلها وما بعدها على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون نعتاً لنكرة أو معرفة، فتدلّ على كماله، وتجب إضافتها إلى اسم ظاهر يماثله لفظاً ومعنى، نحو: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]، أي: بسطاً كل البسط، أي: تامًّا. ﴿فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ [النساء: ١٢٩].

ثانيها: أن تكون توكيداً لمعرفة، ففائدتها العموم، وتجب إضافتها إلى ضمير راجع للمؤكد، نحو: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ٣٠] وأجاز الفراء والزمخشري: قطعَها حينئذ عن الإضافة لفظاً، وخرَّج عليه قراءة بعضهم: (إنا كلاًّ فيها) [غافر: ٤٨].

ثالثها: ألا تكون تابعةً بل تالية للعوامل، فتقع مضافة إلى الظَّاهر وغير مضافة، نحو: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]. ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ﴾ [الفرقان: ٣٩].

وحيث أُضيفت إلى مُنكَّر: وجب في ضميرها مراعاة معناها، نحو: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ﴾ [القمر: ٥٢]. ﴿وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ﴾ [الإسراء: ١٣]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾، ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ﴾ [الحج: ٢٧].

أو إلى مُعرَّف: جاز مراعاة لفظها في الإفراد والتذكير، ومراعاة معناها، وقد اجتمعا في قوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾. [مريم ٩٣ ـ ٩٥].

أو قطعت: فكذلك، نحو: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤]، ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧]، ﴿وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ﴾ [الأنفال: ٥٤].

وحيث وقعت في حَيِّز النفي ـ بأنْ تقدَّمت عليها أداته أو الفعل المنفيّ ـ فالنفي مُوَجَّهٌ إلى الشمول خاصة. ويفيد بمفهومه إثبات الفعل لبعض الأفراد.

وإن وقع النفي في حيزها فهو موجَّهٌ إلى كل فرد؛ هكذا ذكره البيانيون.

وقد أشكل على هذه القاعدة قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]؛ إذ يقتضي إثبات الحبّ لمن فيه أحد الوصفين.

وأُجيب: بأن دلالة المفهوم إنما يعوَّل عليها عند عدم المُعَارِض، وهو هنا موجود، إذْ دلَّ الدليل على تحريم الاختيال والفخر مطلقاً.

مسألة: تتَّصل (ما) بـ: كُل، نحو: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾ [البقرة: ٢٥]. وهي مصدرية، ولكنها نابت بصلتها عن ظرف زمان، كما ينوب عنه المصدر الصريح، والمعنى: كلّ وقت، ولهذا تسمى (ما) هذه المصدريَّة الظرفية؛ أي: النائبة عن الظرف، لا أنها ظرف في نفسها؛ فكلٌّ مِنْ (كلما) منصوبٌ على الظرف لإضافته إلى شيء هو قائم مقامه، وناصبه الفعل الذي هو جوابٌ في المعنى.

وقد ذكر الفقهاء والأصوليون أن (كلَّما) للتكرار، قال أبو حيان: وإنما ذلك من عموم (ما)؛ لأن الظرفية مرادٌ بها العموم، وكلٌّ أَكَّدَتْهُ.

كلا وكلتا: اسمان مفردان لفظاً، مثنَّيان معنىً، مضافان أبداً ـ لفظاً ومعنًى ـ إلى كلمة واحدة معرَّفة دالّة على اثنين[1].

قال الراغب[2]: وهما في التثنية كـ: كلّ في الجمع، قال تعالى: ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ﴾ [الكهف: ٣٣]، ﴿أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣].

كَـــلَّا[3]: مركَّبة عند ثعلب من كاف التشبيه ولا النافية، شُدِّدت لامُها لتقوية المعنى، ولدفْع توهم بقاء معنى الكلمتين.

وقال غيره: بسيطة، فقال سيبويه والأكثرون: حرفٌ معناه الرَّدْع والزَّجر، لا معنى لها عندهم إلَّا ذلك؛ حتى إنَّهُم يجيزون أبداً الوقف عليها والابتداء بما بعدها؛ وحتى قال جماعة منهم: متى سمعت «كَلَّا» في سورة فاحكم بأنها مكيَّة؛ لأن فيها معنى التهديد والوعيد، وأكثر ما نزل بمكَّة؛ لأن أكثر العُتوّ كان بها.

قال ابن هشام[4]: وفيه نظر؛ لأنه لا يظهر معنى الزَّجْر في نحو: ﴿مَا شَآءَ رَكَّبَكَ كَلَّا﴾ [الانفطار: ٨ ـ ٩]، ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ كَلَّآ﴾ [المطففين: ٦ ـ ٧]، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝ كَلَّا﴾ [القيامة: ١٩ ـ ٢٠]، وقولُهُم: انْتَهِ عن ترك الإيمان بالتصوير في أيّ صورة شاء الله، وبالبعث، وعن العجلة بالقرآن، تعسُّفٌ؛ إذ لم تتقدم في الأولين حكاية نفي ذلك عن أحدٍ، ولطول الفصل في الثالثة بين كَلَّا وذكر العجلة. وأيضاً فإن أَوَّل ما نزل خمس آيات من أول سورة العلق، ثم نزل: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ [العلق: ٦]، فجاءت في افتتاح الكلام.

ورأى آخرون أنَّ معنى الردع والزَّجْر ليس مستمرًّا فيها، فزادوا معنى ثانياً يصحُّ عليه أن يوقف دونها ويبتدأ بها.

ثم اختلفوا في تعيين ذلك المعنى:

فقال الكسائي: تكون بمعنى حقًّا.

---

(١) انظر «المغني» ص ٢٦٨.
(٢) في «مفرداته» مادة: كلا.
(٣) انظر «المغني» ص ٢٤٩.
(٤) في «المغني» ص ٢٤٩.

وقال أبو حاتم[١]: بمعنى ألَا الاستفتاحية، قال أبو حيان: ولم يسبقه إلى ذلك أحدٌ، وتابعة جماعة؛ منهم الزَّجاج.

وقال النَّضر بن شُمَيل: حرف جواب بمنزلة إيْ، ونَعم، وحملوا عليه: ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ﴾ [المدثر: ٣٢].

وقال الفراء وابن سَعْدان[٢]: بمعنى سوف، وحكاه أبو حيان في «تذكرته».

قال مكيٌّ: وإذا كان بمعنى حقًّا فهي اسم، وقرئ: ﴿كَلًّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ [مريم: ٨٢] بالتنوين، ووُجِّه بأنَّه مصدر «كَلَّ» إذا أعيا؛ أي: كَلُّوا في دعواهم وانقطعوا، أَوْ من الكلِّ وهو الثِّقل؛ أي: حملوا كَلًّا.

وجوز الزمخشريّ كونه حرفَ ردعٍ نُوِّنَ، كما في ﴿سَلَٰسِلَاْ﴾ [الإنسان: ٤].

وردَّه أبو حيان بأَنَّ ذلك إنما صح في: ﴿سَلَٰسِلَاْ﴾؛ لأنه اسم أصله التنوين، فرُجع به إلى أصله للتناسب.

قال ابن هشام[٣]: وليس التوجيه منحصراً عند الزمخشري في ذلك، بل جوز كون التنوين بدلاً من حرف الإطلاق المزيد في رأس الآية. ثم إنه وُصِل بنية الوقْف.

كـــــم: اسم مبني لازم الصدر، مبهَم، مفتقِر إلى التمييز. وترد استفهامية ولم تقع في القرآن، وخبرية بمعنى كثير.

وإنما تقع غالباً في مقام الافتخار والمباهاة؛ نحو: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [النجم: ٢٦]. ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا﴾ [الأعراف: ٤]. ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ [الأنبياء: ١١].

وعن الكسائي أن أصلها (كما) فحذفت الألف مثل بمَ ولمَ، وحكاه الزجاج، وردَّه: بأنه لو كان كذلك لكانت مفتوحة الميم[٤].

كـــــي: حرف له معنيان:

أحدهما: التعليل، نحو: ﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ﴾ [الحشر: ٧].

والثاني: معنى أن المصدرية، نحو: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟﴾ [الحديد: ٢٣]، لصحة حلول (أنْ) مَحلَّها، ولأنها لو كانت حرفَ تعليل لم يدخل عليها حرفُ تعليل[٥].

كيـف[٦]: اسم يَرِدُ على وجهين:

الشـرط: وخرج عليه: ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، ﴿يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾

(١) أبو حاتم: سهل بن محمد السِّجِستاني، من علماء اللغة والشعر (ت: ٢٤٨ هـ). «إنباه الرواة» ٢/٥٨.

(٢) ابن سعدان: محمد بن سعدان، كوفي، نحوي، عالم بالقراءات (ت: ٢٣١ هـ). «بغية الوعاة» ٤٥، و«تاريخ بغداد» ٥/ ٣٢٤.

(٣) في «المغني» ص ٢٥٢.

(٤) «المغني» ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

(٥) «المغني» ص ٢٤١ ـ ٢٤٢.

(٦) انظر «المغني» ص ٢٧١.

[آل عمران: ٦]، ﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [الروم: ٤٨]. وجوابها في ذلك كلِّه محذوف لدلالة ما قبلها.

والاستفهام: وهو الغالب، ويستفهم بها عن حال الشيء لا عن ذاته. قال الراغب: وإنما يُسأَلُ بها عما يصح أن يقال فيه: شبيه وغير شبيه، ولهذا لا يصحّ أن يقال في الله: كيف. قال: وكلَّما أخبر الله بلفظ ﴿كَيْفَ﴾ عن نفسه فهو استخبار على طريق التنبيه للمخاطب أو التوبيخ، نحو: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٨]، ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا﴾ [آل عمران: ٨٦].

الـــــلام: أربعة أقسام: جارّة وناصبة، وجازمة، ومُهْمَلة غيرُ عاملة.

فالجارة: مكسورة مع الظاهر، وأما قراءة بعضهم: (الحمد لُله) فالضمة عارضة للإتْباع، مفتوحة مع الضمير إلا الياء. ولها معانٍ:

الاستحقاق: وهي الواقعة بين معنًى وذاتٍ، نحو: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ﴾ [الروم: ٤]، ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾، ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ [البقرة: ١١٤].

والاختصاص، نحو: ﴿إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا﴾ [يوسف: ٧٨]، ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾ [النساء: ١١].

والمِلْك، نحو: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

والتعليل، نحو: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨]، أي: وإنه من أجل حبّ المال لبخيل. ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ الآية [آل عمران: ٨١] في قراءة حمزة(١)، أي: لأجل إيتائي إياكم بعضَ الكتاب والحكمة، ثم لمجيء محمد ﷺ ﴿مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ [آل عمران: ٨١]؛ فما: مصدرية، واللام تعليلية. وقوله: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾، وتعلقها بـ﴿يعبدوا﴾، وقيل بما قبله، أي: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾. ورجّح بأنهما في مصحف أُبيّ سورة واحدة.

وموافقة (إلى) نحو: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾، ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الرعد: ٢].

و(على): نحو: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ [الإسراء: ١٠٩]، ﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ [يونس: ١٢]، ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣]، ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]، ﴿لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾ [الرعد: ٢٥]، أي: عليهم، كما قال الشافعيّ.

و(في) نحو: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر: ٢٤]، أي: في حياتي. وقيل: هي فيها للتعليل؛ أي: لأجل حياتي في الآخرة.

و(عند) كقراءة الجَحْدَريّ: (بل كذبوا بالحق لِمَا جاءهم) [ق: ٥](٢).

---

(١) قرأ حمزة: (لِمَا) مكسورة اللام، وقرأ الباقون (لَمَا) مفتوحة اللام. «السبعة» لابن مجاهد ٢١٣.

(٢) القراءة المتواترة (لَمّا)، والشاذة كقراءة الجحدري (لِمَا).

و(بعد) نحو: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

و(عن) نحو: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١]، أي: عنهم وفي حقِّهم. لا أنَّهم خاطبوا به المؤمنين، وإلاَّ لقيل: (ما سبقتمونا).

والتبليغ، وهي الجارَّة لاسمِ السامع لقول أو ما في معناه كالإذْن[1].

والصيرورة وتسمى لام العاقبة، نحو: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]. فهذا عاقبة التقاطهم لا علَّته؛ إذ هي التبنيّ. ومنع قوم ذلك وقالوا: هي للتعليل مجازاً؛ لأنَّ كونه عدوًّا لما كان ناشئاً عن الالتقاط ـ وإن لم يكن غرضاً لهم ـ نُزِّلَ منزلَة الغَرَض على طريق المجاز.

وقال أبو حيّان: الذي عندي أنها للتعليل حقيقة، وأنهم التقطوه ليكون لهم عدوًّا؛ وذلك على حذف مضاف تقديره (لمخافة أن يكون) كقوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء: ١٧٦]؛ أي: كراهة أن تضلّوا. انتهى.

والتأكيد: وهي الزائدة، أو المقوّية للعامل الضعيف لِفرعيَّة أو تأخير، نحو: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢]، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [النساء: ٢٦]، ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾ [الأنعام: ٧١]، ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]، ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣]، ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨].

والتبيين للفاعل أو المفعول، نحو: ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٨]، ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٦]، ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣].

والناصبة: هي لام التعليل. وادَّعى الكوفيون النصب بها، وقال غيرهم: بأن مقدَّرةً في محلّ جرّ باللام.

والجازمة: وهي لام الطلب، وحركتها الكسر، وسُلَيم تفتحُها، وإسكانها بعد الواو والفاء أكثرُ من تحريكها، نحو: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي﴾ [البقرة: ١٨٦]. وقد تسكَّن بعد ثُمّ، نحو: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ﴾ [الحج: ٢٩]. وسواء كان الطلب أمراً، نحو: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ﴾ [الطلاق: ٧]، أو دعاءً، نحو: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

وكذا لو خرجت إلى الخبر، نحو: ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [مريم: ٧٥]. ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢].

أو التهديد، نحو: ﴿وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

وجزمُها فعلَ الغائب كثيرٌ، نحو: ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ﴾ [النساء: ١٠٢]. وفعلَ المخاطبِ قليلٌ، ومنه: (فبذلك فلتفرحوا) [يونس: ٥٨] في قراءة التاء[2]، وفعلَ المتكلم أقلُّ، ومنه: ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢].

---

(١) نحو: قلتُ له، وأذنتُ له، وفسَّرتُ له.

(٢) قراءة التاء والياء متواترتان.

وغير العاملة أربع[1]:

لام الابتداء، وفائدتها أمران: توكيد مضمون الجملة، ولهذا زحلقُوها في باب (إنَّ) عن صدْر الجملة، كراهةَ توالي مؤكّدين. وتخليص المضارع للحال.

وتدخل في المبتدأ، نحو: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾ [الحشر: ١٣].

وفي خبر (إنَّ) نحو: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ [النحل: ١٢٤]. ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. واسمها المؤخر، نحو: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ﴾ [الليل: ١٢ ـ ١٣].

واللام الزائدة في خبر (أنَّ) المفتوحة، كقراءة سعيد بن جُبير: (إلا أنهم ليأكلون الطعام) [الفرقان: ٢٠]، والمفعول، كقوله: ﴿يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ﴾ [الحج: ١٣].

ولام الجواب للقسم أو (لو) أو (لولا) نحو: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ﴾ [يوسف: ٩١]، ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾ [الأنبياء: ٥٧]، ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا﴾ [الفتح: ٢٥]، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

واللام الموطِّئة، وتسمى المؤذنة، وهي الداخلة على أداة شرط، للإيذان بأنَّ الجواب بعدها معها مبني على قسم مقدر، نحو: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ﴾ [الحشر: ١٢]. وخُرِّج عليها قوله تعالى: ﴿لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [آل عمران: ٨١].

لا[2]: على أوجه:

الوجه الأول: أن تكون نافية، وهي أنواع:

أحدها: أن تعمل عمل (إنَّ) وذلك إذا أريد بها نفي الجنس على سبيل التنصيص، وتسمى حينئذ تبرئة، وإنما يظهر نَصْبُها إذا كان اسمها مضافاً أو شبهة، وإلَّا فيركب معها، نحو: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢]. فإن تكررت جاز التركيب والرفع، نحو: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ﴾ [البقرة: ١٩٧]، ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطور: ٢٣].

ثانيها: أن تعمل عمل ليس، نحو: ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

ثالثها ورابعها: أن تكون عاطفة أو جوابية، ولم يقعا في القرآن.

خامسها: أن تكون على غير ذلك؛ فإن كان ما بعدها جملة اسمية صدْرُها معرفةٌ أو نكرة ولم تعمل فيها، أو فعلاً ماضياً، لفظاً أو تقديراً، وجب تكرارها، نحو: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ [يس: ٤٠]، ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات: ٤٧]، ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١]. أو مضارعاً، لم يجب، نحو: ﴿لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ﴾ [النساء: ١٤٨]، ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الشورى: ٢٣].

---

(١) «المغني» ص ٣٠٠. (٢) «المغني» ص ٣١٣.

وتعترض (لا) هذه بين الناصب والمنصوب، نحو: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ [النساء: ١٦٥]، والجازم والمجزوم، نحو: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ [الأنفال: ٧٣].

الوجه الثاني: أن تكون لطلب التَّرك، فتختص بالمضارع، وتقتضي جزمه واستقباله، سواء كان نهياً، نحو: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى﴾ [الممتحنة: ١]، ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨]، ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، أو دعاءً، نحو: ﴿لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

الوجه الثالث: التأكيد، وهي الزائدة، نحو: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]، ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ [طه: ٩٢ ـ ٩٣]، ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: ٢٩]، أي: ليعلموا. قال ابن جني: «لا» هنا مؤكدة، قائمةٌ مقام إعادة الجملة مرة أخرى.

واختلف في قوله: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة: ١].

فقيل: زائدة، وفائدتها مع التوكيد التمهيدُ لنفي الجواب، والتقدير: (لا أقسم بيوم القيامة لا يتركون سدى). ومثله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ [النساء: ٦٥]. ويؤيده قراءة (لأُقسم).

وقيل: نافية لما تقدم عندهم من إنكار البعث، فقيل لهم: ليس الأمر كذلك، ثم استؤنف القسم.

قالوا: وإنما صحَّ ذلك؛ لأن القرآن كله كالسورة الواحدة، ولهذا يذكر الشيء في سورة وجوابه في سورة، نحو: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦]. و: ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢].

وقيل: مَنْفِيُّها أُقْسِم، على أنه إخبار لا إنشاء، واختاره الزمخشري. قال: والمعنى في ذلك أنه لا يقسم بالشيء إلَّا إعظاماً له؛ بدليل ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٥ ـ ٧٦]، فكأنه قيل: إن إعظامه بالإقسام به كلا إعظام؛ أي: إنه يستحق إعظاماً فوق ذلك.

واختلف في قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا﴾ [الأنعام: ١٥١] فقيل: لا نافية، وقيل: ناهية، وقيل: زائدة. وفي قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥] فقيل: زائدة، وقيل: نافية، والمعنى: يمتنع عدم رجوعهم إلى الآخرة.

تنبيه: ترد (لا) اسماً بمعنى غير، فيظهر إعرابها فيما بعدها، نحو: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]. ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٣]، ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ [البقرة: ٦٨].

فائدة: قد تحذف ألفها، وخرَّج عليه ابنُ جني: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾(١) [الأنفال: ٢٥].

---

(١) قال ابن هشام: ولم يجمع بين القراءتين بأن تقدر (لا) في قراءة الجماعة زائدة، لأن التوكيد بالنون يأبى ذلك. «المغني» ص ٣٣٤.

لات[١]: اختلف فيها:

فقال قوم: فعل ماض بمعنى نقص.

وقيل: أصلها ليس، تحركت الياء فقلبت ألفاً، لانفتاح ما قبلها، وأبدلت السين تاء.

وقيل: هي كلمتان (لا) النافية زيدت عليها (التاء) لتأنيث الكلمة، وحركت لالتقاء الساكنين. وعليه الجمهور.

وقيل: هي لا النافية والتاء زائدة في أول الحين، واستدلَّ له أبو عُبيدة بأنه وجدها في مصحف عثمان مختلطة بحين في الخط.

واختُلف في عملها:

فقال الأخفش: لا تعمل شيئاً، فإن تلاها مرفوع فمبتدأ وخبر، أو منصوب فبفعل محذوف، فقوله تعالى: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص: ٣] بالرفع؛ أي: كائن لهم. وبالنصب؛ أي: لا أرى حين مناص.

وقيل: تعمل عمل إنّ.

وقال الجمهور: تعمل عمل ليس، وعلى كلّ قول لا يُذكر بعدها إلّا أحد المعمولين، ولا تعمل إلّا في لفظ الحين، قيل: أو ما رادفه.

قال الفرَّاء: وقد تستعمل حرفَ جر لأسماء الزمان خاصَّة، وخرج عليها قوله: ﴿وَلَاتَ حِينَ﴾ بالجر.

لا جـــرم: وردت في القرآن في خمسة مواضع متلوّة بأنَّ واسمها[٢]، ولم يجئ بعدها فعل.

واختلف فيها: فقيل (لا) نافية لما تقدَّم، و(جرم) فعل معناه حق، و(أنَّ) مع ما في حَيّزه في موضع رفع.

وقيل: زائدة، وجرم معناه كسب؛ أي: كسب لهم عملهم الندامة، وما في حيزها في موضع نصب.

وقيل: هما كلمتان ركبتا، وصار معناهما حقًّا.

وقيل: معناهما لا بدَّ، وما بعدها في موضع نصب بإسقاط حرف الجر.

لـكـنَّ[٣]: مشددة النون: حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر، ومعناه الاستدراك. وفُسِّر بأن تَنسب لما بعدها حكماً مخالفاً لحكم ما قبلها، ولذلك لا بد أن يتقدمها كلام مخالف لما بعدها أو مناقض له، نحو: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقد ترد للتوكيد مجرداً عن الاستدراك، قاله صاحب «**البسيط**»[٤]. وفسّر الاستدراك برفع ما تُوُهِّم

---

(١) «المغني» ص ٣٣٤.

(٢) والمواضع هي في [هود: ٢٢]، و[النحل: ٢٤ ـ ٦٣ ـ ١١٠] و[غافر: ٤٣].

(٣) «المغني» ص ٣٨٣.

(٤) هو ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن العلج الإشبيلي، من نحاة الأندلس في القرن السابع.

ثبوتُه، نحو: ما زيد شجاعاً، لكنه كريم، لأن الشجاعة والكرم لا يكادان يفترقان. فنفْيُ أحدِهما يُوهم نَفْيَ الآخر.

ومثل التوكيد، بنحو: لو جاءني أكرمته لكنه لم يجئ، فأكدت ما أفادتْه (لو) من الامتناع.

واختار ابن عصفور أنَّها لهما معاً؛ وهو المختار، كما أن كأنَّ للتشبيه المؤكَّد، ولهذا قال بعضهم: إنها مركبة من (لكنْ أنَّ) فطرحت الهمزة للتخفيف ونون (لكن) للساكنين.

لـكـنْ[1]: مخففة، ضربان:

أحدهما: مخفّفة من الثقيلة، وهي حرف ابتداء لا يعمل، بل لمجرد إفادة الاستدراك. وليست عاطفة، لاقترانها بالعاطف في قوله: ﴿وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦].

والثاني: عاطفة إذا تلاها مفرد، وهي أيضاً للاستدراك، نحو: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾ [النساء: ١٦٦]، ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ﴾ [التوبة: ٨٨] .﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩٨].

لَدَى ولَدُن[2]: تقدمتا في عند.

لـعـلّ[3]: حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر، وله معانٍ:

أشهرها: التوقُّع، وهو الترجِّي في المحبوب، نحو: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩].

والإشفاقُ في المكروه، نحو: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧]، وذكر التَّنوخيُّ أنها تفيد تأكيد ذلك.

الثاني: التعليل، وخُرِّج عليه: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

الثالث: الاستفهام، وخرِّج عليه: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١]، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ [عبس: ٣]. ولذا علّق: ﴿تَدْرِى﴾.

قال في «**البرهان**»[4]: وحكى البغوي عن الواقديّ: أنَّ جميع ما في القرآن من (لعل) فإنها للتعليل، إلاَّ قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٩]، فإنَّها للتشبيه، قال: وكونها للتشبيه غريبٌ لم يذكره النُّحاة، ووقع في «**صحيح البخاري**»[5] في قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ أن لعل للتشبيه، وذكر غيره أنه للرجاء المحض، وهو بالنسبة إليهم. انتهى.

قلتُ: أخرج ابنُ أبي حاتم من طريق السُّدي، عن أبي مالك قال: (لعلكم) في القرآن بمعنى (كي) غير آيةٍ في الشعراء ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ يعني كأنكم تخلدون.

وأخرج عن قتادة قال: كان في بعض القراءة: «وتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ كأنَّكمْ خالِدُونَ».

لـــم: حرف جزم لنفي المضارع وقلبه ماضياً، نحو: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾، والنصب بها لغة، حكاها اللِّحْياني، وخرّج عليها قراءة: (ألم نشرحَ).

---

(١) «المغني» ص ٣٨٥.
(٢) «المغني» ص ٢٠٧.
(٣) «المغني» ص ٣٧٧.
(٤) ٤/ ٣٣٩ النوع ٤٧.
(٥) بعد حديث (٤٧٦٧).

لـــمَّـــا : على أوجه:

أحدها: أن تكون حرف جزم، فتختصّ بالمضارع وتنفيه وتقلبه ماضياً كـ(لم). لكن يفترقان من أوجه:

أنها لا تقترن بأداة شرط، ونفيها مستمرٌّ إلى الحال وقريب منه، ومُتوقع ثبوته، قال ابن مالك في: ﴿لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ [ص: ٨]: المعنى لم يذوقوه، وذوقُه لهم متوقَّع، وقال الزمخشري[١] في: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]: ما في (لمَّا) من معنى التوقع دالٌّ على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعدُ.

وأن نفيها آكدُ من نفي لم، فهي لنفي (قد فعل) ولَمْ لنفي (فعل). ولهذا قال الزمخشريّ في «**الفائق**» تبعاً لابن جني: إنها مركبة من (لم) و(ما). وإنهم لما زادوا في الإثبات (قد) زادوا في النفي (ما).

وأن منفي (لما) جائز الحذف اختياراً، بخلاف (لم)، وهي أحسن ما يخرج عليه: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا﴾ [هود: ١١١]، أي: لمَّا يهملوا أو يتركوا. قاله ابن الحاجب.

قال ابن هشام[٢]: ولا أعرف وجهاً في الآية أشبَهَ من هذا، وإن كانت النفوس تستبعدُه، لأن مثله لم يقع في التنزيل، قال: والحقُّ ألَّا يستبعَد، ولكن الأولى أن يقدّر: (لمَّا يُوفَّوْا أعمالهم)، أي: إنهم إلى الآن لم يوفّوها وسيوفَّونها.

الثاني: أن تدخل على الماضي فتقتضي جملتين، وُجدت الثانية عند وجود الأولى، نحو: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ [الإسراء: ٦٧]. ويقال فيها: حرف وجود لوجود. وذهب جماعة إلى أنها حينئذ ظرف بمعنى حين.

وقال ابن مالك: بمعنى إذ؛ لأنها مختصة بالماضي وبالإضافة إلى الجملة.

وجواب هذه يكون ماضياً كما تقدَّم، وجملة اسمية بالفاء أو بإذا الفجائية، نحو: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [لقمان: ٣٢]، ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

وجوّز ابنُ عصفور كونَه مضارعاً، نحو: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا﴾ [هود: ٧٤]، وأوَّله غيرُهُ بـ(جادَلَنا).

الثالث: أن تكون حرف استثناء، فتدخل على الاسمية والماضية، نحو: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤]. بالتشديد، أي: (إلّا). ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٥].

لـــن[٣] : حرف نفي ونصب واستقبال، والنفي بها أبلغ من النفي بلا، فهي لتأكيد النفي، كما ذكره الزمخشري وابن الخبّاز[٤]، حتى قال بعضهم: وإن منعه مكابرة، فهي لنفي (إني أفعل) و(لا) لنفي (أفعل) كما في (لم) و(لما).

---

(١) في «كشافه» ٥/ ٥٨٨ سورة الحجرات: ١٤. (٢) في «المغني» ص ٣٧١.

(٣) «المغني» ص ٣٧٣.

(٤) ابن الخَبَّاز: أحمد بن الحسين، نحوي ضرير من أهل الموصل (ت: ٦٣٩ هـ). «نكت الهميان» ٩٦، «بغية الوعاة» ١/ ٣٠٤.

قال بعضهم: العرب تنفي المظنون بلن، والمشكوك بلا، ذكره ابن الزَّملكَانيّ في «**التبيان**».

وادَّعى الزمخشري أيضاً أنها لتأبيد النفي، كقوله: ﴿لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا﴾ [الحج: ٧٣]، ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ [البقرة: ٢٤].

وقال ابن مالك: وحَملَه على ذلك اعتقادُه في: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]: أن الله لا يُرى.

وردَّ غيرُه بأنَّها لو كانت للتأبيد لم يقيد منفيها «اليوم» في: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦]. ولم يصح التوقيت في: ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٩١]. ولكان ذكرُ (الأبد) في: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥] تكراراً، والأصل عدمه، واستفادة التأبيد في: ﴿لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا﴾ [الحج: ٧٣]، ونحوه من خارج.

ووافقه على إفادة التأبيد ابنُ عطية، وقال في قوله: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]: لو بقينا على هذا النفي لتضمن أن موسى لا يراه أبداً ولا في الآخرة، لكن ثبت في الحديث المتواتر أنَّ أهل الجنة يرونه. [البخاري: ٧٤٣٤، ومسلم: ١٤٣٤، وأحمد: ١٩١٩٠].

وعكس ابن الزملكانيّ مقالة الزمخشري، فقال: إن (لنْ) لنفي ما قَرُبَ، وعدم امتداد النفي، ولا يمتد معنى النفي، قال: وسِرُّ ذلك أنّ الألفاظ مشاكِلَةٌ للمعاني، و(لا) آخرها الألف، والألف يمكن امتداد الصوت بها، بخلاف النون، فطابَق كلّ لفظٍ معناه. قال: ولذلك أتى بـ(لن) حيث لم يرد به النفيُ مطلقاً، بل في الدنيا، حيث قال: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]. وبـ(لا) في قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، حيث أريدَ نفيُ الإدراك على الإطلاق، وهو مغاير للرؤية. انتهى.

قيل: وتردُ (لن) للدعاء، وخرّج عليه: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ﴾ الآية [القصص: ١٧].

لـــــو: حرف شرط في المضيّ، يصرف المضارع إليه، بعكس (إن) الشرطية، واختلف في إفادتها الامتناع وكيفيَّة إفادتها إياه على أقوال:

أحدها: أنها لا تفيده بوجهٍ، ولا تدل على امتناع الشَّرط ولا امتناع الجواب، بل هي لمجرَّد ربطِ الجواب بالشَّرط، دالَّة على التعليق في الماضي. كما دلَّت (إنْ) على التعليق في المستقبل، ولم تدلّ بالإجماع على امتناعٍ ولا ثبوتٍ.

قال ابن هشام[1]: وهذا القول كإنكار الضروريات، إذْ فَهْمُ الامتناع منها كالبديهي؛ فإن كلّ من سمع (لو فعل) فَهِمَ عدم وقوع الفعل من غير تردد، ولهذا جاز استدراكه، فتقول: لو جاء زيد أكرمته، لكنه لم يجئ.

الثاني: وهو لسيبويه، قال: إنها حرف لما كان سيقع لوقوع غيره، أي إنها تقتضي فِعلاً ماضياً كان يُتوقَّع ثبوته لثبوت غيره، والمتوقَّع غير واقع؛ فكأنه قال: حرف يقتضي فعلاً امتنع لامتناع ما كان يثبتُ لثبوته.

---

(١) في «المغني» ص ٣٣٨.

الثالث: وهو المشهور على ألسنة النحاة، ومشى عليه المعربون: أنها حرف امتناع لامتناع، أي يدلّ على امتناع الجواب لامتناع الشرط، فقولك: لو جئت لأكرمتك، دالٌّ على امتناع الإكرام لامتناع المجيء.

واعترض بعدم امتناع الجواب في مواضعَ كثيرةٍ، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧]. ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا﴾ [الأنفال: ٢٣]. فإن عدم النفاد عند فقدِ ما ذكر، والتولِّي عند عدم الإسماع أولى.

والرابع: وهو لابن مالك، أنَّها حرف يقتضي امتناع ما يليه واستلزامه لتاليه، من غير تعرض لنفي التالي. قال: فقيام زيد من قولك: لو قام زيد قام عمرو، محكومٌ بانتفائه وبكونه مستلزماً ثبوته لثبوت قيام من عمرو، وهل وقع لعَمْر قيامٌ آخرُ غيرُ اللازم عن قيام زيد أو ليس له؟ لا تعرُّض لذلك. قال ابن هشام[١]: وهذه أجود العبارات.

فائدة: أخرج ابن أبي حاتم من طريق الضحاك، عن ابن عباس قال: كل شيء في القرآن (لو) فإنه لا يكون أبداً.

فائدة ثانية: تختص لو المذكورة بالفعل، وأما نحو: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ [الإسراء: ١٠٠] فعلى تقديره.

قال الزمخشري: وإذا وقعت (أَنَّ) بعدها وجب كون خبرها فعلاً، ليكون عوضاً عن الفعل المحذوف. وردّهُ ابن الحاجب بآية: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [لقمان: ٢٧]، وقال: إنما ذاك إذا كان مشتقًّا، لا جامداً، ورده ابن مالك بقوله[٢]:

لَوْ أَنَّ حَيًّا مُدْرِكُ الفَلاحِ ... أدركهُ مُلاعِبُ الرِّمَاحِ

قال ابن هشام[٣]: وقد وجدت آية في التنزيل وقع فيها الخبر اسماً مشتقًّا، ولم يتنبه لها الزمخشري، كما لم يتنبه لآية لقمان، ولا ابن الحاجب، وإلاّ لما منع من ذلك، ولا ابن مالك، وإلاّ لما استدل بالشعر، وهي قوله: ﴿يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ [الأحزاب: ٢٠]. ووجدت آيةً الخبرُ فيها ظرف [لغوٌ، وهي]: ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ [الصافات: ١٦٨].

وردّ ذلك الزركشي في «البرهان»[٤] وابن الدَّمَامِيني[٥]: بأن لو في الآية الأولى للتمنِّي، والكلام في الامتناعية، وأعجب من ذلك أن مقالة الزمخشري سبقه إليها السِّيرافي، وهذا الاستدراك وما

---

(١) في «المغني» ص ٣٤٠.

(٢) قائل البيت: لبيد بن ربيعة وهو في «ديوانه» ٣٣٣، وملاعب الرماح يريد به: ملاعب الأسنة، عامر بن مالك وهو عمُّ الشاعر.

(٣) في «المغني» ص ٣٥٧.

(٤) «البرهان» ٤/ ٣١٨ النوع ٤٧.

(٥) ابن الدماميني: محمد بن أبي بكر المخزومي القرشي، عالم بالشريعة وفنون الأدب (ت: ٨٢٧ هـ). «الضوء اللامع» ٧/ ١٨٤، «شذرات الذهب» ٧/ ١٨١.

استدرك به منقول قديماً في شرح «**الإيضاح**» لابن الخبَّاز، لكن في غير مظنته، فقال في باب إن وأخواتها: قال السيرافيّ: لو أن زيداً أقام لأكرمته، لا يجوز: لو أن زَيْداً حاضر لأكرمته؛ لأنك لم تلفظ بفعل يسدُّ مسدَّ ذلك الفعلِ. هذا كلامه. وقد قال تعالى: ﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ﴾، فأوقع خبرها صفة. ولهم أن يفرِّقوا بأن هذه للتمنِّي فأُجريت مجرى ليت، كما تقول: ليتهم بادون. انتهى كلامه.

وجواب (لو) إما مضارع منفي بـ(لم) أو ماض مُثبَت، أو منفي بـ(ما). والغالب على المثبت دخول اللام عليه، نحو: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَـٰهُ حُطَـٰمًا﴾ [الواقعة: ٦٥]. ومن تجرده: ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَـٰهُ أُجَاجًا﴾ [الواقعة: ٧٠]. والغالب على المنفي تجرده، نحو: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢].

فائدة ثالثة: قال الزمخشري: الفرق بين قولك: لو جاءني زيد لكسوتُه، ولو زيد جاءني لكسوته، ولو أن زيداً جاءني لكسوته:

أن القصد في الأوَّل مجرَّد ربط الفعلين، وتعليق أحدهما بصاحبه لا غير، من غير تعرُّض لمعنًى زائدٍ على التعلق الساذج.

وفي الثاني: انضمَّ إلى التعليق أحد معنيين؛ إما نفي الشك والشبهة، وأن المذكور مكسوٌّ لا محالة، وإما بيان أنه هو المختص بذلك دون غيره، وتخرَّج عليه آية: ﴿لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ [الإسراء: ١٠٠].

وفي الثالث، مع ما في الثاني: زيادة التأكيد الذي تعطيه (أنَّ)، وإشعار بأنَّ زيداً كان حقه أن يجيء، وأنه بتركه المجيء قد أغفل حظه. ويخرج عليه ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ﴾ [الحجرات: ٥]، ونحوه.

فتأمَّلْ ذلك، وخرِّجْ عليه ما وقع في القرآن من أحد الثلاثة.

تنبيه: ترد (لَوْ) شرطية في المستقبل؛ وهي التي يصلح موضعها (إن) نحو: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٢].

ومصدرية، وهي التي يصلح موضعها (أن) المفتوحة، وأكثر وقوعها بعد (ودَّ) ونحوه، نحو: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم﴾ [البقرة: ١٠٩]، ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ﴾ [البقرة: ٩٦]، ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى﴾ [المعارج: ١١]، أي: الرد والتعمير والافتداء.

وللتمني، وهي التي يصلح موضعها (ليت)، نحو: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ [الشعراء: ١٠٢]. ولهذا نُصِبَ الفعل في جوابها[١].

وللتقليل، وخرّج عليه: ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النساء: ١٣٥].

لـــولا[٢]: على أوجه:

أحدها: أن تكون حرفَ امتناع لوجود، فتدخل على الجملة الاسمية، ويكون جوابها فعلاً مقروناً باللام إن كان مثبتاً، نحو: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ﴾ [الصافات: ١٤٣ ـ ١٤٤]، ومجرداً

(١) والجواب في تتمة الآية: ﴿فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. (٢) «المغني» ص ٣٥٩.

منها إن كان منفيًّا، نحو: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١]. وإن وَلِيَها ضميرٌ فحقه أن يكون ضمير رفع، نحو: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٣١].

الثاني: أن تكون بمعنى (هلَّا) فهي للتحضيض والعرض في المضارع أو ما في تأويله، نحو: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ [النمل: ٤٦]. ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [المنافقون: ١٠]، وللتوبيخ والتنديم في الماضي، نحو: ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ [النور: ١٣]، ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٢٨]، ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم﴾ [النور: ١٦]، ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟﴾ [الأنعام: ٤٣]، ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة: ٨٣]، ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝٨٦ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الواقعة: ٨٦ ـ ٨٧].

الثالث: أن تكون للاستفهام، ذكره الهَرَويُّ[1]، وجعل منه: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ﴾، ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٨]. والظاهر أنَّها فيهما بمعنى (هلَّا).

الرابع: أن تكون للنفي، ذكره الهروي أيضاً، وجعل منه: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾ [يونس: ٩٨]، أي: فما آمنت قرية ـ أي: أهلها ـ عند مجيء العذاب فنفعها إيمانها. والجمهور لم يثبتوا ذلك، وقالوا: المراد في الآية التوبيخ على ترك الإيمان قبل مجيء العذابْ، ويؤيده قراءة أُبي (فهلَّا). والاستثناء حينئذ منقطع.

فائدة: نُقل عن الخليل: أن جميع ما في القرآن من (لولا) فهي بمعنى (هلَّا) إلَّا: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات: ١٤٣]. وفيه نظر، لما تقدَّم من الآيات.

وكذا قوله: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤] «لولا» فيه امتناعية، وجوابها محذوف، أي: لهمَّ بها، أو لَواقعها.

وقوله: ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ [القصص: ٨٢]، وقوله: ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ [القصص: ١٠]، أي: لأبدت به، في آيات أُخَر.

وقال ابن أبي حاتم: أنبأنا موسى الخطميّ، أنبأنا هارون بن أبي حاتم، أنبأنا عبد الرحمن بن حمَّاد، عن أسباط، عن السُّدِّي، عن أبي مالك، قال: كلّ ما في القرآن: (فلولا) فهو (فهلَّا) إلا حرفين: في يونس: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ [يونس: ٩٨]، يقول: فما كانت قرية، وقوله: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات: ١٤٣].

وبهذا يتَّضح مراد الخليل، وهو أن مراده (لولا) المقترنة بالفاء.

لـومـا[2]: بمنزلة (لولا)؛ قال تعالى: ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [الحجر: ٧]. وقال المالقي[3]: لم ترد إلَّا للتحضيض.

---

(١) في «الأزهية في علم الحروف» علي بن محمد الهروي ص ١٦٦ باب: مواضع لولا.

(٢) «المغني» ص ٣٦٤.

(٣) المالَقي: محمد بن الحسن، فقيه مالكي، سكن دمشق وبرع في العربية (ت: ٧٧١ هـ). «الدرر الكامنة» ٣/ ٤٢٤.

لـيـت[١] : حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر، ومعناه التمنِّي، وقال التَّنوخيّ: إنها تفيد تأكيده.

لـيـس : فعل جامد، ومن ثَمَّ ادعى قوم حرفيّته، ومعناه: نفي مضمون الجملة في الحال ونفي غيره بالقرينة[٢].

وقيل: هي لنفي الحال وغيره؛ وقوّاه ابن الحاجب بقوله تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ [هود: ٨]. فإنه نفي للمستقبل.

قال ابن مالك: وترد للنفي العام المستغرق المراد به الجنس، كـ: «لا» التبرئة، وهو مما يُغفل عنه، وخرّج عليه: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية: ٦].

مـا[٣] : اسمية وحرفية:

فالاسمية: ترد موصولة بمعنى الذي، نحو: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، ويستوي فيها المذكر والمؤنث، والمفرد والمثنى والجمع، والغالب استعمالُها فيما لا يعلم، وقد تستعمل في العالم، نحو: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ [الشمس: ٥]، ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣]، أي: اللهَ.

ويجوز في ضميرها مراعاةُ اللفظ والمعنى، واجتمعا في قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [النحل: ٧٣]. وهذه معرفة، بخلاف الباقي.

واستفهامية: بمعنى أيّ شيء، ويُسأل بها عن أعيان ما لا يعقل وأجناسه وصفاته، وأجناس العقلاء وأنواعهم وصفاتهم، نحو: ﴿مَا هِيَ﴾ ﴿مَا لَوْنُهَا﴾ [البقرة: ٦٨ ـ ٦٩]، ﴿مَا وَلَّاهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٢]، ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾ [طه: ١٧]، ﴿وَمَا الرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٦٠].

ولا يُسأل بها عن أعيان أُولي العلم، خلافاً لمن أجازه. وأما قول فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]، فإنه قاله جهلاً، ولهذا أجابه موسى بالصفات.

ويجب حذف ألفها إذا جُرّت وإبقاء الفتحة دليلاً عليها، فرقاً بينها وبين الموصولة، نحو: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾، ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا﴾ [النازعات: ٤٣]، ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢]، ﴿بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥].

وشرطية: نحو: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ﴾ [البقرة: ١٠٦]، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧]، ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ [التوبة: ٧]. وهذه منصوبة بالفعل بعدها.

وتعجبيّة، نحو: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥]، ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس: ١٧]. ولا ثالث لهما في القرآن إلاَّ في قراءة سعيد بن جبير: (ما أغرَّك بربِّكَ الكَرِيم)، ومحلها رفع بالابتداء، وما بعدها خبر، وهي نكرة تامة.

---

(١) «المغني» ص ٣٧٥.
(٢) «المغني» ص ٣٨٦.
(٣) «المغني» ص ٣٩٠.

ونكرة موصوفة، نحو: ﴿بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦]. ﴿نِعِمَّا يَعِظُكُم﴾ [النساء: ٥٨]، أي: نعم شيئاً يعظكم به.

وغير موصوفة نحو: ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البقرة: ٢٧١]، أي: نعم شيئاً هي.

والحرفية: ترد مصدرية إما زمانية، نحو: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، أي: مدة استطاعتكم. أو غير زمانية، نحو: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ﴾ [السجدة: ١٤]، أي: بنسيانكم.

ونافية: إما عاملة عَمَل ليس، نحو: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١]، ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾ [المجادلة: ٢]. ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧]، ولا رابع لها في القرآن.

أو غير عاملة، نحو: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦].

قال ابن الحاجب: وهي لنفي الحال، ومقتضى كلام سيبويه أن فيها معنى التأكيد؛ لأنه جعلها في النفي جواباً لِـ: قد في الإثبات، فكما أن (قد) فيها معنى التأكيد، فكذلك ما جعل جواباً لها.

وزائدة للتأكيد: إمَّا كافة، نحو: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [الأنعام: ١٩]، ﴿أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠]، ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ﴾ [يونس: ٢٧]، ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الحجر: ٢].

أو غير كافة، نحو: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾ [مريم: ٢٦]، ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا﴾ [الإسراء: ١١٠]، ﴿أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾ [القصص: ٢٨]، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾ [نوح: ٢٥]، ﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ [البقرة: ٢٦].

قال الفارسيّ: جميع ما في القرآن من الشرط بعد (إمَّا) مؤكد بالنون لمشابهة فعل الشرط - بدخول ما للتأكيد - لفعل القسم من جهة أنَّ (ما) كاللام في القسم، لما فيها من التأكيد.

وقال أبو البقاء: زيادة (ما) مؤذنة بإرادة شدة التأكيد.

فائدة: حيث وقعت (ما) قبل (ليس) أو (لم) أو (لا)، أو بعد (إلَّا) فهي موصولة، نحو: ﴿مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة: ١١٦]، ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥]، ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، ﴿إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة: ٣٢].

وحيث وقعت بعد كاف التشبيه فهي مصدريَّة، وحيث وقعت بعد الباء فإنها تحتملهما، نحو: ﴿بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٢].

وحيث وقعت بين فعلين سابقهما علم أو دراية أو نظر، احتملت الموصولية والاستفهامية، نحو: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣]، ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩]، ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨].

وحيث وقعت في القرآن قبل (إلَّا) فهي نافية، إلاَّ في ثلاثة عشر موضعاً:

﴿مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا﴾ [البقرة: ٢٢٩]، ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ﴾

[البقرة: ٢٣٧]، ﴿بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ﴾ [النساء: ١٩]، ﴿مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢]، ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة: ٣]، ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ﴾ [الأنعام: ٨٠]، ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا﴾ [الأنعام: ١١٩]، ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا﴾ في موضعي هود[1]، ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [يوسف: ٤٧]، ﴿مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا﴾ [يوسف: ٤٨]، ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الكهف: ١٦]، ﴿وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر: ٨٥] حيث كان.

ماذا[2]: ترد على أوجه:

أحدها: أن تكون (ما) استفهاماً و(ذا) موصولة، وهو أرجح الوجهين في: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، في قراءة الرفع، أي: الذي ينفقونه العفوُ؛ إذ الأصل أن تُجاب الاسمية بالاسمية والفعلية بالفعلية.

الثاني: أن يكون (ما) استفهاماً و(ذا) إشارة.

الثالث: أن تكون (ماذا) كلها استفهاماً على التركيب، وهو أرجح الوجهين في: ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ في قراءة النصب، أي: ينفقون العفو.

الرابع: أن يكون (ماذا) كلها اسم جنس بمعنى شيء، أو موصولاً بمعنى الذي.

الخامس: أن تكون (ما) زائدة و(ذا) للإشارة.

السادس: أن تكون (ما) استفهاماً، و(ذا) زائدة، ويجوز أن تخرج عليه.

متى[3]: ترد استفهاماً عن الزمان، نحو: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤]، وشرطاً.

مَعَ[4]: اسم، بدليل جرِّها بـ(مِن) في قراءة بعضهم: (هذا ذِكْرُ مِنْ مَعِي) [الأنبياء: ٢٤]؛ وهي فيها بمعنى (عند)، وأصلها لمكان الاجتماع أو وقته، نحو: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ [يوسف: ٣٦]، ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا﴾ [يوسف: ١٢]، ﴿لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ﴾ [يوسف: ٦٦].

وقد يراد به مجرَّد الاجتماع والاشتراك من غير ملاحظة المكان والزّمان، نحو: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

وأما نحو: ﴿إِنِّى مَعَكُمْ﴾ [المائدة: ١٢]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ [النحل: ١٢٨]، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]؛ فالمراد به العلم والحفظ والمعونة مجازاً.

قال الراغب: والمضاف إليه لفظ (مع) هو المقصود، كالآيات المذكورة[5].

---

(١) سورة هود: ١٠٧ ـ ١٠٨.

(٢) انظر «المغني» ص ٣٩٥.

(٣) «المغني» ص ٤٤٠.

(٤) «المغني» ص ٤٣٩.

(٥) الراغب في «مفرداته» مادة: مع. وفيه: هو المنصور.

مِـــــنْ : حرف جر، له معان:

أشهرها: **ابتداء الغاية**، مكاناً وزماناً وغيرهما، نحو: ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الإسراء: ١]، ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [التوبة: ١٠٨]، ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ﴾ [النمل: ٣٠].

والتبعيض، بأنه يسد (بعض) مسدّها، نحو: ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]. وقرأ ابن مسعود: (بَعْضَ ما تحبون).

والتبيين، وكثيراً ما تقع بعد (ما) و(مهما). نحو: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ [فاطر: ٢]، ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ [البقرة: ١٠٦]، ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ﴾ [الأعراف: ١٣٢]. ومن وقوعها بعد غيرهما: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠]، ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ [الكهف: ٣١].

والتعليل، نحو: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟﴾ [نوح: ٢٥]، ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾ [البقرة: ١٩].

والفصل ـ بالمهملة ـ وهي الداخلة على ثاني المتضادّين، نحو: ﴿يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠]. ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

والبدل: نحو: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [التوبة: ٣٨]، أي: بدلها، ﴿لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الزخرف: ٦٠].

وتنصيص العموم، نحو: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٦٢]. قال في «**الكشاف**»(١): هو بمنزلة البناء [على الفتح] في: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ في إفادة معنى الاستغراق.

ومعنى الباء، نحو: ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ﴾ [الشورى: ٤٥]، أي: به.

وعَلَى، نحو: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ [الأنبياء: ٧٧] أي عليهم.

وفي، نحو: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: ٩] أي فيه. وفي الشامل عن الشافعيّ: أن (مِنْ) في قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ﴾ بمعنى (في) بدليل قوله: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [النساء: ٩٢].

وعن: نحو: ﴿قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٩٧]، أي: عنه.

وعند، نحو: ﴿لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٠]، أي: عند.

والتأكيد: وهي الزائدة في النفي أو النهي أو الاستفهام، نحو: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣].

وأجازها قوم في الإيجاب، وخرَّجوا عليه: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤]، ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾ [الكهف: ٣١]، ﴿مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ [النور: ٤٣]، ﴿يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠].

---

(١) ١/ ٤٣٥ آل عمران: ٦٢.

فائدة: أخرج ابن أبي حاتم[(١)] من طريق السّدّي، عن ابن عباس قال: لو أن إبراهيم حين دعا قال: «فاجعل أفئدةَ النَّاس تَهْوي إِلَيْهِمْ» لازدحمت عليه اليهود والنصارى، ولكنه خصَّ حين قال: ﴿أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، فجعل ذلك للمؤمنين.

وأخرج عن مجاهد قال: لو قال إبراهيم: «فاجعل أفئدة الناس تهوي إليهم، لزاحمتْكم عليه الرومُ وفارس». وهذا صريح في فهم الصحابة والتابعين التبعيض من (من).

وقال بعضهم: حيث وقعت ﴿يَغْفِرْ لَكُم﴾ في خطاب المؤمنين لم تذكر معها (من)؛ كقوله في الأحزاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١]، وفي الصفّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ إلى قوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الصف: ١٠ ـ ١٢].

وقال في خطاب الكفار في سورة نوح [٤]: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾، وكذا في سورة إبراهيم، وفي سورة الأحقاف، وما ذاك إلاَّ للتفرقة بين الخطابين؛ لئلا يسوّي بين الفريقين في الوعد، ذكره في «**الكشاف**»[(٢)].

مَـــنْ[(٣)]: لا تقع إلاَّ اسماً، فتردُ موصولة، نحو: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩].

وشرطية، نحو: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣].

واستفهامية، نحو: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ﴾ [يس: ٥٢].

ونكرة موصوفة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ﴾ [البقرة: ٨]؛ أي: فريق يقول.

وهي كـ(ما) في استوائها في المذكر والمفرد وغيرهما.

والغالب استعمالها في العالم عكس (ما). ونُكْتته: أن (ما) أكثر وقوعاً في الكلام منها، وما لا يعقل أكثر ممن يعقل، فأعطوا ما كثرت مواضعه للكثير، وما قلّت للقليل، للمشاكلة.

قال ابن الأنباري: واختصاص (مَنْ) بالعالَم و(ما) بغيره في الموصولتين دون الشرطيّتين؛ لأن الشرط يستدعي الفعل ولا يَدْخل على الأسماء.

مهما[(٤)]: اسم؛ لعود الضمير عليها في: ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٣٢]. قال الزمخشريّ: عاد عليها ضمير (به) وضمير (بها) حملاً على اللّفظ وعلى المعنى. وهي شرط لما لا يعقل غير الزمان، كالآية المذكورة.

وفيها تأكيد، ومن ثَمَّ قال قوم: إن أصلها (ما) الشرطية و(ما) الزائدة، أُبدلت ألف الأولى هاء دفعاً للتكرار.

---

(١) في «تفسيره» ٧/ ٢٢٥٠ (١٢٢٩٥) إبراهيم: ٣٧.
(٢) «الكشاف» ٢/ ٣٦٩ إبراهيم: ١٠.
(٣) «المغني» ص ٤٣١.
(٤) «المغني» ص ٤٣٥.

النُّون[1] : على أوجه:

اسم، وهي ضمير النسوة، نحو: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ﴾ [يوسف: ٣١].

وحرف، وهي نوعان: نون التوكيد، وهي خفيفة وثقيلة، نحو: ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا﴾ [يوسف: ٣٢]. ﴿لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: ١٥]. ولم تقع الخفيفة في القرآن إلا في هذين الموضعين.

قلت: وثالث في قراءة شاذة، وهي: (فإذا جَاءَ وَعدُ الآخِرَةِ لَيَسُوءًا وُجُوهَكم) [الإسراء: ٧].

ورابع: في قراءة الحسن: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾ [ق: ٢٤]، ذكره ابن جني في «**المحتَسَب**»[2].

ونون الوقاية، وتلحق ياء المتكلم المنصوبة بفعل، نحو: ﴿فَٱعْبُدْنِى﴾ [طه: ١٤]، ﴿لَيَحْزُنُنِىٓ﴾ [يوسف: ١٣]، أو حرف، نحو: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ﴾ [النساء: ٧٣]، ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [طه: ١٤]. والمجرورة بلدن، نحو: ﴿مِن لَّدُنِّى عُذْرًا﴾ [الكهف: ٧٦]، أو (مِنْ) أو (عَنْ)، نحو: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٨]، ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ [طه: ٣٩].

التنوين : نون تثبت لفظاً لا خطًّا، وأقسامه كثيرة:

تنوين التمكين؛ وهو اللاحق للأسماء المعربة، نحو: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ [الأنعام: ١٥٤]، ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [هود: ٥٠]، ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ [نوح: ١].

وتنوين التنكير؛ وهو اللاَّحق لأسماء الأفعال فرقاً بين معرفتها ونكرتها، نحو التنوين اللاحق لأُفٍّ في قراءة من نوَّنه، و﴿هَيْهَاتَ﴾ في قراءة من نوّنها.

وتنوين المقابلة؛ وهو اللاحق لجمع المؤنث السالم، نحو: ﴿مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ [التحريم: ٥].

وتنوين العوض، إما في حرف آخر (مَفَاعِل) المعتل، نحو: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ﴾ [الفجر: ١ ـ ٢]، ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١]. أو عن اسم مضاف إليه في: كلّ وبعض وأيٍّ، نحو: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]. ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟﴾ [الإسراء: ١١٠]. وعن الجملة المضاف إليها إذ، نحو: ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٤]، أي: حين إذ بلغت الروحُ الحلقومَ. أو إذا ـ على ما تقدم عن شيخنا ومن نحا نحوه ـ نحو: ﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٤٢]، أي: إذا غلبتُم.

وتنوين الفواصل، الذي يسمَّى في غير القرآن الترنُّم بدلاً من حرف الإطلاق، ويكون في الاسم والفعل والحرف، وخرَّج عليه الزمخشري وغيره: (قواريراً) [الإنسان: ١٥]، (والليل إذا يسر) [الفجر: ٤]، (كلا سيكفرون) [مريم: ٨٢]، بتنوين الثَّلاثة.

نَعَمْ[3] : حرف جواب، فيكون تصديقاً للمخبر ووعداً للطالب وإعلاماً للمستخبِر، وإبدال عينها حاء، وكسرها، وإتْباع النون لها في الكسر، لغات قرئ بها.

---

(١) «المغني» ص ٤٤٣. (٢) «المحتَسَب» ٢/ ٢٨٤.

(٣) «المغني» ص ٤٥١.

نِـعْـمَ : فعل لإنشاء المَدْح، لا يتصرف.

الـهـاء[١] : اسم ضمير غائب، يستعمل في الجرِّ والنصب، نحو: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ [الكهف: ٣٧]. وحرف للغيبة، وهو اللاحق لـ: إيّا. وللسكت، نحو ﴿مَا هِيَهْ﴾ [القارعة: ١٠]، ﴿كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩]، ﴿حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٦]، ﴿سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٩]، ﴿مَالِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٨]، ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: ٢٥٩]. وقرئ بها في أواخر آي الجمع ـ كما تقدَّم ـ وقفاً.

هـا[٢] : ترد اسم فعل بمعنى خُذ، ويجوز مدّ ألِفه فيتصرف حينئذ للمثنى والجمع، نحو: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩].

واسماً ضميراً للمؤنث، نحو: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٨].

وحرفَ تنبيه، فتدخل على الإشارة نحو: هؤلاء، ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ [الحج: ١٩]. وها هنا؛ وعلى ضمير الرفع المخبر عنه بإشارة، نحو: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ﴾ [آل عمران: ١١٩]. وعلى نعت (أيّ) في النداء، نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، ويجوز في لغة أسد حذف ألف هذه وضمها إتباعاً، وعليه قراءة: (أَيُّهُ الثَّقَلاَنِ) [الرحمن: ٣١].

هـات : فعل أمر لا يتصرف، ومن ثَمَّ ادَّعى بعضُهم أنه اسم فعل.

هـل[٣] : حرف استفهام يُطلب به التصديق دون التصور، ولا يدخل على منفي ولا شرط، ولا أن، ولا اسم بعده فعل غالباً، ولا عاطف. قال ابن سِيدَهْ[٤]: ولا يكون الفعل معها إلاَّ مستقبلاً، ورُدَّ بقوله تعالى: ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ [الأعراف: ٤٤].

وتردُ بمعنى (قد) وبه فُسّر: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان: ١].

وبمعنى النفي، نحو: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]. ومعانٍ أُخر ستأتي في مبحث الاستفهام.

هـلـمَّ : دعاء إلى الشيء، وفيه قولان:

أحدهما: أن أصله (ها) و(لُمّ) من قولك: لَمَمْتُ الشيء؛ أي: أصلحتُه، فحُذِفَ الألفُ وركب.

وقيل: أصله (هل أُمّ)، كأنه قيل: هل لك في كذا؟ أُمَّه؛ أي: اِقصِدْهُ، فركّبا.

ولغة الحجاز تركُه على حاله في التثنية والجمع، وبها ورد القرآن، ولغة تميم إلحاقه العلامات.

هـنـا : اسم يشار به للمكان القريب، نحو: ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].

---

(١) «المغني» ص ٤٥٤. (٢) «المغني» ص ٤٥٥.

(٣) «المغني» ص ٤٥٦.

(٤) ابن سِيدَهْ: علي بن إسماعيل، إمام في اللغة وآدابها، أندلسي كفيف (ت: ٤٥٨ هـ). «لسان الميزان» ٤/ ٢٠٥، «وفيات الأعيان» ١/ ٣٤٢.

وتدخل عليه اللام والكاف فيكون للبعيد، نحو: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الأحزاب: ١١].

وقد يشار به للزمان اتساعاً، وخرَّج عليه: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾ [يونس: ٣٠]. ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ [آل عمران: ٣٨].

هيت: اسم فعل بمعنى أسرع وبادر، قال في «**المحتسَب**»[(١)]: وفيها لغات قرئ ببعضها: ﴿هَيْتَ﴾ [يوسف: ٢٣]، بفتح الهاء والتاء، و(هِيتَ) بكسر الهاء وفتح التاء، و(هَيْتِ) بفتح الهاء وكسر التاء، وَ(هَيْتُ) بفتح الهاء وضمّ التاء، وقرئ: (هِئْتُ) بوزن جِئْتُ، وهو فعل بمعنى تهيَّأْت، وقرئ: (هُيِّئْتُ)، وهو فعل بمعنى أُصلِحْتُ.

هيهات: اسم فعل بمعنى (بَعُد). قال تعالى: ﴿۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٦]. قال الزجاج: البعد لما توعدون، قيل: وهذا غلط أوقعه فيه اللاَّم، فإن تقديره بَعُدَ الأمرُ لما توعدون؛ أي: لأجله. وأحسن منه أن اللام لتبيين الفاعل.

وفيها لغات، قرئ منها: بالفتح وبالضم وبالخفض، مع التنوين في الثلاثة وعدمه.

الواو[(٢)]: جارة وناصبة، وغير عاملة.

فالجارة: واو القسم، نحو: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

والناصبة: واو (مع) فتنصب المفعول معه في رأي قوم، نحو: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ [يونس: ٧١]. ولا ثاني له في القرآن. والمضارع في جواب النفي أو الطلب عند الكوفيين، نحو ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]. ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧].

واو الصرف عندهم، ومعناها: أن الفعل كان يقتضي إعراباً، فصرفته عنه إلى النصب، نحو: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكَ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠]. في قراءة النصب.

وغير العاملة: **أنواع**:

أحدها: واو العطف، وهي لمطلق الجمع، فتعطف الشيء على مصاحبه، نحو: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ [العنكبوت: ١٥]. وعلى سابقه، نحو: ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحديد: ٢٦]. ولاحقه، نحو: ﴿يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ [الشورى: ٣].

وتفارق سائر حروف العطف في اقترانها بـ: إمَّا، نحو: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، وبـ(لا) بعد نفي، نحو: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ﴾ [سبأ: ٣٧]، وبـ(لكن). نحو: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وتعطف العِقْدَ على النَّيِّف، والعامَّ على الخاصّ، وعكسه، نحو: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨]، ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [نوح: ٢٨]، والشيءَ على مرادفه، نحو: ﴿صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧]. ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، والمجرورَ على الجوار، نحو: ﴿بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة: ٦].

---

(١) «المحتسَب» ١/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨. (٢) «المغني» ص ٤٦٣.

وقيل: ترد بمعنى (أو)، وحَمَل عليه مالك: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ . . .﴾ [التوبة: ٦٠].

وللتعليل، وحمل عليه الخارْزَنْجي[1] الواو الداخلة على الأفعال المنصوبة.

ثانيها: واو الاستئناف، نحو: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ [الأنعام: ٢]، ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الحج: ٥]، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٨٦] بالرفع، إذ لو كانت عاطفة لنصب ﴿وَنُقِرُّ﴾ وانجزم ما بعدها، ونصب ﴿وَأَجَلٌ﴾.

ثالثها: واو الحال الداخلة على الجملة الاسمية، نحو: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [البقرة: ٣٠]، ﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [يوسف: ١٤].

وزعم الزمخشري: أنها تدخل على الجملة الواقعة صفةً، لتأكيد ثبوت الصفة للموصوف ولُصُوقها به، كما تدخل على الحالية، وجعل من ذلك: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ﴾ [الكهف: ٢٢].

رابعها: واو الثمانية، ذكرها جماعة كالحريريّ وابن خالَويه والثعلبيّ[2]، وزعموا أن العرب إذا عدُّوا يُدخلون الواو بعد السبعة، إيذاناً بأنها عدد تام، وأنَّ ما بعده مستأنف، وجعلوا من ذلك قوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ﴾ [الكهف: ٢٢].

وقوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ١١٢]، لأنه الوصف الثامن.

وقوله: ﴿مُسْلِمَٰتٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥].

والصواب: عدم ثبوتها، وأنها في الجميع للعطف.

خامسها: الزائدة، وخرّج عليه واحدة من قوله: ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾ [الصافات: ١٠٣ ـ ١٠٤].

سادسها: واو ضمير الذكور في اسم أو فعل، نحو ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥]، ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟﴾ [إبراهيم: ٣١].

سابعها: واو علامة المذكرين في لغة طيّئ، وخرج عليه: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الأنبياء: ٣]. ﴿ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ﴾ [المائدة: ٧١].

ثامنها: الواو المبدلة من همزة الاستفهام المضموم ما قبلها، كقراءة قُنبل: «وإليه النشورُ * وأمنتم» [الملك: ١٥ ـ ١٦]، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٢٣].

---

(١) هو أحمد بن محمد البُشْتي، أديب خراسان في عصره (ت: ٣٤٨ هـ). «إنباه الرواة» ١/ ١٠٧.

(٢) عبارة «المغني»: واو الثمانية، ذكرها جماعةٌ من الأدباء كالحريري، ومن النحويين الضعفاء كابن خالويه، ومن المفسرين كالثعلبي. ص ٤٧٤ هذا، والثعلبي هو أحمد بن محمد النيسابوري، عالم في العربية (ت: ٤٢٧ هـ). وابن خالويه: حسين بن أحمد، أخذ عن ابن دُريد، وكان على صلة بسيف الدولة (ت: ٣٧٠)، والحريري: القاسم بن علي، أديب بصري، صاحب المقامات (ت: ٥١٦ هـ).

وَيْكَأَنَّ : قال الكسائي: كلمة تندّم وتعجّب، وأصله (ويلك) والكاف ضمير مجرور.

وقال الأخفش: «ويْ» اسم فعل بمعنى أعجَب، والكاف حرف خطاب، و«أَنَّ» على إضمار اللام، والمعنى: أعجب لأن الله.

وقال الخليل: «وَيْ» وحدها، و«كأَنَّ» مستقلة للتحقيق لا للتشبيه.

وقال ابن الأنباري: يحتمل (وَيْ كأنه) ثلاثة أوجه: أن يكون «ويك» حرفاً، و«أنه» حرف، والمعنى (ألم تر). وأن تكون كذلك، والمعنى (ويلك). وأن تكون «وي» حرفاً للتعجب، و«كأنه» حرف، ووصِلا خَطًّا لكثرة الاستعمال، كما وصل: ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ [طه: ٩٤].

ويــل : قال الأصمعيّ: «ويل» تقبيح، قال تعالى: ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨].

وقد يوضع موضع التحسُّر والتفجُّع، نحو: ﴿يَٰوَيْلَتَنَا﴾ [الكهف: ٤٩]، ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ﴾ [المائدة: ٣١].

أخرج الحربيّ في «**فوائده**»: من طريق إسماعيل بن عياش، عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «ويحك!» فجزعت منها، فقال لي: «يا حميراء، إن ويحك، أو ويسك رحمة، فلا تجزعي منها؛ ولكن اجزعي من الويل»[1].

يـــا[2] : حرف لنداء البعيد، حقيقة أو حكماً، وهي أكثر أحرفه استعمالاً، ولهذا لا يقدر عند الحذف سواها، نحو: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي﴾ [نوح: ٢٨]، ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ﴾ [يوسف: ٢٩]، ولا ينادى اسم الله وأيُّها وأيتها إلاَّ بها.

قال الزمخشريّ: وتفيد التأكيد المؤذِن بأن الخطاب الذي يتلوه معتَنًى به جدًّا.

وترد للتنبيه، فتدخل على الفعل والحرف، نحو: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟﴾ [النمل: ٢٥]، ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٢٦].

تنبيه: ها قد أتيت على شرح معاني الأدوات الواقعة في القرآن على وجه موجَز مفيدٍ، محصِّلٍ للمقصود منه، ولم أبسطه؛ لأن محلّ البسط والإطناب إنما هو تصانيفنا في فن العربية وكتبنا النحوية، والمقصود في جميع أنواع هذا الكتاب إنما هو ذكر القواعد والأصول، لا استيعاب الفروع والجزئيّات.

---

(١) ذكره الذهبي في «ميزان الاعتدال» ٤/ ٤٣٢ وفي سنده عبد الوهاب بن الضحاك: متروك، وقال الدارقطني: منكر الحديث.

(٢) «المغني» ص ٤٨٨.

النوع الحادي والأربعون

في معرفة إعرابه

أفرده بالتصنيف خلائق؛ منهم مكيّ، وكتابه في المشكل خاصّة، والحوْفيّ؛ وهو أوضحها، وأبو البقاء العُكبريّ؛ وهو أشهرها.

والسَّمين؛ وهو أجلُّها، على ما فيه من حشو وتطويل، ولخَّصه السَّفاقُسيّ فحرَّره.

وتفسير أبي حيان مشحونٌ بذلك.

ومن فوائد هذا النوع معرفة المعنى؛ لأن الإعراب يميّز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين.

أخرج أبو عُبيد في «**فضائله**»[1] عن عمر بن الخطاب قال: تعلَّموا اللَّحْن والفرائض والسُّنن كما تعلّمون القرآنَ.

وأخرج[2] عن يحيى بن عتيق قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد، الرَّجل يتعلم العربية يلتمِس بها حسن المنطق، ويقيم بها قراءته؟ قال: حسنٌ يا بن أخي فتعلَّمْها، فإن الرجل يقرأ الآية فيعيا بوجهها، فيهلك فيها.

وعلى الناظر في كتاب الله تعالى الكاشف عن أسراره النَّظر في الكلمة وصيغتها ومحلِّها، ككونها مبتدأً أو خبراً أو فاعلاً أو مفعولاً، أو في مبادئ الكلام أو في جواب، إلى غير ذلك.

ويجب عليه مراعاة أمور:

أحدها، وهو أوّل واجب عليه: أن يفهم معنى ما يريد أن يُعربه مفرداً أو مركباً قبل الإعراب، فإنه فَرْع المعنى، ولهذا لا يجوز إعراب فواتح السور إذا قلنا بأنها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه.

وقالوا في توجيه نصب ﴿كَلَٰلَةً﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾ [النساء: ١٢]: إنه يَتوقَّف على المراد بها.

فإن كان اسماً للميّت فهو حال، و«يورث» خبر كان أو صفة وكان تامَّة، أو ناقصة و«كلالة» خبر.

أو للورثة فهو على تقدير مضاف؛ أي: ذا كلالة، وهو أيضاً حال أو خبر كما تقدم.

أو للقرابة فهو مفعول لأجله.

وقوله: ﴿سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ [الحجر: ٨٧]؛ إنْ كان المراد بالمثاني القرآن: فـ﴿مِّن﴾ للتبعيض، أو الفاتحة: فلبيان الجنس.

---

(١) «فضائل القرآن» ص ٣٤٩. (٢) «فضائل القرآن» ص ٣٥٠.

وقوله: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨]؛ إن كان بمعنى الاتقاء فهي مصدر، أو بمعنى متَّقًى ـ أي: أمراً يجب اتِّقاؤه ـ فمفعول به، أو جمعاً ـ كرماة ـ فحال.

وقوله: ﴿غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلى: ٥]؛ إن أريد به الأسود من الجفاف واليَبَس فهو صفة لغُثاء، أو من شدة الخُضرة فحالٌ من المرْعى.

قال ابن هشام[1]: وقد زلَّت أقدامُ كثير من المعربين راعَوْا في الإعراب ظاهر اللفظ، ولم ينظروا في موجب المعنى.

من ذلك قوله: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾ [هود: ٨٧]، فإنه يتبادر إلى الذهن عطف ﴿أَن نَّفْعَلَ﴾ على ﴿أَن نَّتْرُكَ﴾، وذلك باطل، لأنه لم يأمرهم أن يفعلوا في أموالهم ما يشاؤون، وإنما هو عطف على ﴿مَا﴾، فهو معمول للترك، والمعنى: أن نترك أن نفعل، وموجب الوهم المذكور: أن المعرِب يرى أنْ والفعلَ مرتين، وبينهما حرف العطف.

الثاني: أن يراعي ما تقضيه الصناعة، فربما راعى المعرب وجهاً صحيحاً، ولا ينظر في صحته في الصناعة فيخطئ.

من ذلك قول بعضهم: ﴿وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ [النجم: ٥١]: إن ثموداً مفعول مقدَّم، وهذا ممتنع؛ لأن لـ(ما) النافيةِ الصدرَ، فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها، بل هو معطوف على ﴿عَادًا﴾، أو على تقدير: (وأهلك ثموداً).

وقول بعضهم في: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ٤٣]، ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢]: إن الظرف متعلِّق باسم (لا) وهو باطل؛ لأن اسم (لا) حينئذ مطوَّل، يجب نصبه وتنوينه، وإنما هو متعلِّق بمحذوف.

وقول الحوْفي: إنَّ الباء من قوله: ﴿فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥] متعلِّقة بـ(ناظرة)، وهو باطل؛ لأن الاستفهام له الصَّدْرُ، بل هو متعلِّق بما بعده.

وكذا قول غيره في: ﴿مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ﴾ [الأحزاب: ٦١]: إنه حال من معمول ﴿ثُقِفُوٓاْ﴾ أو ﴿أُخِذُواْ﴾ باطل؛ لأنَّ الشرط له الصَّدر، بل هو منصوب على الذَّم.

الثالث: أن يكون مليًّا بالعربيَّة، لئلا يخرج على ما لم يثبت، كقول أبي عُبيدة في ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ [الأنفال: ٥]: إن الكاف قسم، حكاه مكّي وسكت عليه، فشنَّع ابنُ الشَّجري عليه في سكوته. ويُبطله: أنَّ الكاف لم تجئ بمعنى واو القسم، وإطلاق (ما) الموصولة على الله وربط الموصول بالظاهر ـ وهو فاعل ﴿أَخْرَجَكَ﴾ ـ وباب ذلك الشعرُ.

وأقرب ما قيل في الآية: إنها مع مجرورها خبر محذوف، أي: هذه الحال من تنفيلك الغُزاة ـ على ما رأيت من كراهتهم لها ـ كحال إخراجك للحرب في كراهيتهم لها.

---

(١) «المغني» ص ٦٨٦.

وكقول ابن مِهْران[١] في قراءة: (إن البقر تّشابهت) بتشديد التاء: إنه من زيادة التاء في أول الماضي، ولا حقيقة لهذه القاعدة، وإنما أصل القراءة: (إن البقرة تشابهت) بتاء الوَحدة، ثم أدغمت في تاء (تشابهت)، فهو إدغام من كلمتين.

الرابع: أن يتجنب الأمور البعيدة، والأوجه الضعيفة، واللغات الشاذّة. ويخرج على القريب والقويّ والفصيح؛ فإن لم يظهر فيه إلاَّ الوجه البعيد فله عُذر، وإن ذكر الجميع لقصد الإغراب والتكثير فصعب شديد، أو لبيان المحتمل وتدريب الطالب فحسن في غير ألفاظ القرآن، أَمَّا التنزيل: فلا يجوز أن يخرَّج إلاَّ على ما يغلب على الظّن إرادته، فإن لم يغلب شيءٌ فليذكر الأوجه المحتملة من غير تعسُّف.

ومن ثَمَّ خُطِّئ من قال في ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ [الزخرف: ٨٨]؛ بالجرِّ أو النصب: إنه عطف على لفظ ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٨٥] أو محلّها، لما بينهما من التباعد، والصواب: أنه قسم، أو مصدر (قال) مقدَّراً[٢].

ومن قال في: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ﴾ [فصلت: ٤١]: إن خبره: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ [فصلت: ٤٤] والصواب: أنه محذوف[٣].

ومن قال في ﴿صٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِي ٱلذِّكْرِ﴾ [ص: ١]: إن جوابه ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ﴾ [ص: ٦٤]. والصواب أنه محذوف؛ أي: ما الأمر كما زعموا، أو: إنه لمُعْجزٌ، أو: إنك لمن المرسلين[٤].

ومن قال: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ﴾ [البقرة: ١٥٨]: إن الوقف على ﴿جُنَاحَ﴾ و﴿عَلَيْهِ﴾ إغراء؛ لأن إغراء الغائب ضعيف، بخلاف القول بمثل ذلك في ﴿عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ﴾ [الأنعام: ١٥١]؛ فإنه حسن؛ لأن إغراء المخاطب فصيح[٥].

ومن قال في: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣]: إنه منصوب على الاختصاص، لضعفه بعد ضمير المخاطب، والصواب: أنه منادى[٦].

ومن قال في: ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ﴾ [الأنعام: ١٥٤]، بالرفع: إن أصله أحسنوا، فحذفت الواو اجتزاءً عنها بالضمة؛ لأن باب ذلك الشعر، والصواب: تقدير مبتدأ؛ أي: هو أحسن[٧].

ومن قال في: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٠]؛ بضم الرَّاء المشددة: إنه من باب:

إنــك إن يُـصْـرَعْ أخـوك تُـصـرَعُ[٨]

---

(١) ابن مِهْرَان: أحمد بن الحسين النيسابوري، شيخ القراء في عصره (ت: ٣٨١ هـ). «العبر» ٣/ ١٦.

(٢) «المغني» ص ٧١٠.

(٣) «المغني» ص ٧١٠.

(٤) «المغني» ص ٧١١.

(٥) «المغني» ص ٧١٣ ـ ٧١٤.

(٦) «المغني» ص ٧١٤.

(٧) «المغني» ص ٧٣٧.

(٨) قبله: يا أقرع بن حابس يا أقرع. وينسب لعمرو بن خثارم، ولجرير بن عبد الله البجلي الصحابي، أما الأقرع بن حابس فهو أحد سادات العرب ثم كان من الصحابة، وهو الذي نادى رسول الله ﷺ من وراء الحجرات. انظر =

لأن ذلك خاصٌّ بالشعر، والصواب: أنها ضمة إتْبَاعٍ، وهو مجزوم.

ومن قال في: ﴿وأرجلِكم﴾ [المائدة: ٦]: إنه مجرور على الجوار؛ لأن الجر على الجوار في نفسه ضعيفٌ شاذٌّ، لم يَرِدْ منه إلّا أحرف يسيرة، والصواب: أنه معطوف على: ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾ على أن المراد به مسحُ الخفّ.

قال ابن هشام[1]: وقد يكون الموضع لا يتخرَّج إلّا على وجه مرجوح، فلا حرج على مُخرِّجه، كقراءة: (نُجي المؤمنين) [الأنبياء: ٨٨]، قيل: الفعل ماضٍ، ويضعِّفه إسكان آخره، وإنابة ضمير المصدر عن الفاعل مع وجود المفعول به. وقيل: مضارع، أصله (نُنْجي) بسكون ثانيه، ويضعِّفه أن النّون لا تدغم في الجيم. وقيل: أصله (نُنَجِّي) بفتح ثانيه، وتشديد ثالثه، فحذفت النّون، ويضعِّفه أن ذلك لا يجوز إلّا في التاء.

الخامس: أن يستوفِيَ جميع ما يحتمله اللفظ من الأوجه الظّاهرة، فتقول في نحو: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]: يجوز كون ﴿ٱلْأَعْلَى﴾ صفة للرب أو صفة للاسم[2]. وفي نحو: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ﴾ [البقرة: ٢ ـ ٣]: يجوز كون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ تابعاً، ومقطوعاً إلى النصب بإضمار (أعني) أو (أمدح). وإلى الرفع بإضمار (هم)[3].

السادس: أن يراعي الشروط المختلفة بحسب الأبواب، ومتى لم يتأمَّلْها اختلطت عليه الأبواب والشرائط.

ومن ثَمَّ خُطِّئ الزمخشري في قوله تعالى: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٢ ـ ٣]: إنهما عطف بيان، والصواب: أنهما نعتان، لاشتراط الاشتقاقَ في النعت والجمودَ في عطف البيان[4].

وفي قوله في: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٦٤] بنصب ﴿تَخَاصُمُ﴾: إنَّه صفة للإشارة؛ لأن اسم الإشارة إنما ينعت بذي اللّام الجنسية، والصواب كونه بدلاً[5].

وفي قوله في: ﴿فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ﴾ [يس: ٦٦]، وفي: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا﴾ [طه: ٢١]: إن المنصوب فيهما ظرف؛ لأن ظرف المكان شرطه الإبهام، والصواب: أنه على إسقاط الجارِّ توسُّعاً، وهو فيهما (إلى)[6].

وفي قوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [المائدة: ١١٧]: إنَّ ﴿أَنِ﴾ مصدرية، وهي وصلتها عطف بيان على الهاء، لامتناع عطف البيان على الضمير كنعته.

وهذا الأمر السادس عدَّه ابن هشام في «**المغني**»[7]، ويحتمل دخوله في الأمر الثاني.

= «الخزانة» ٣/ ٣٩٦ و٦٤٣، و٤/ ٥٤١ والمعنى: أنا من قومك يا أقرع، فإن لم تحكم لي في منافرتي مع فلان صُرعتُ وصُرعتَ معي. انظر «المغني» ص ٧١٧.

(١) «المغني» ص ٧٢١.
(٢) «المغني» ص ٧٣٩.
(٣) «المغني» ص ٧٣٩.
(٤) «المغني» ص ٧٤٢.
(٥) «المغني» ص ٧٤٩.
(٦) «المغني» ص ٧٤٩ ـ ٧٥٠.
(٧) ص ٧٤٩.

السابع: أن يراعي في كل تركيب ما يشاكله، فربّما خرج كلاماً على شيء، ويشهد استعمالٌ آخر في نظير ذلك الموضع بخلافه.

ومن ثَمَّ خُطِّئ الزمخشري في قوله في: ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ [الأنعام: ٩٥]: إنه عطف على ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥]، ولم يجعله معطوفاً على ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ [الأنعام: ٩٥]. لأن عطف الاسم على الاسم أوْلى، ولكن مجيء قوله: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ [الروم: ١٩] بالفعل فيهما يدلُّ على خلاف ذلك[(١)].

ومن ثَمَّ خُطِّئ من قال في: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢]: إن الوقف على ﴿رَيْبَ﴾ و﴿فِيهِ﴾ خبر ﴿هُدًى﴾، ويدلُّ على خلاف ذلك قوله في سورة السجدة: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [السجدة: ٢][(٢)].

ومن قال في: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]: إنَّ الرابط الإشارة، وإن الصابر والغافر جُعلا من عزم الأمور مبالغةً؛ والصواب أن الإشارة للصبر والغفران، بدليل: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، ولم يقل: (إنّكم)[(٣)].

ومن قال في نحو: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ﴾ [الأنعام: ١٣٢]: إن المجرور في موضع رفع، والصواب في موضع نصب؛ لأن الخبر لم يجئ في التنزيل مجرّداً من الباء إلاَّ وهو منصوب[(٤)].

ومن قال في: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]: إن الاسم الكريم مبتدأ؛ والصواب أنه فاعل بدليل: ﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩][(٥)].

تنبيه: وكذا إذا جاءت قراءة أُخرى في ذلك الموضع بعينه تساعد أحد الإعرابين، فينبغي أن يترجَّح، كقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، قيل: التقدير: ولكنَّ ذا البرّ، وقيل: ولكن البِرَّ برُّ مَنْ آمن، ويؤيد الأول أنه قرئ: (ولكن البارّ).

تنبيه: وقد يوجد ما يرجح كلًّا من المحتملات، فينظر في أوْلاها، نحو: ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ [طه: ٥٨] فـ﴿مَوْعِدًا﴾ محتمل للمصدر، ويشهد له: ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ﴾ [طه: ٥٨]، وللزمان، ويشهد له: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ [طه: ٥٩] وللمكان، ويشهد له: ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ [طه: ٥٨]. وإذا أعرب ﴿مَكَانًا﴾ بدلاً منه لا ظرفاً لـ﴿نُخْلِفُهُۥ﴾ تعين ذلك.

الثامن: أن يراعي الرسم. ومن ثم خُطِّئ من قال في: ﴿سَلْسَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٨]: إنَّها جملة أمرية، أي: سل طريقاً موصلة إليها، لأنها لو كانت كذلك لكتبت مفصولة.

ومن قال في: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: ٦٣]، (إنها) إنَّ واسمها، أي: إنَّ القصة، وذان مبتدأ خبره ﴿لَسَٰحِرَٰنِ﴾، والجملة خبر إن. وهو باطل برسم ﴿إِنَّ﴾ منفصلة، و﴿هَٰذَٰنِ﴾ متصلة[(٦)].

---

(١) «المغني» ص ٧٧٣.
(٢) «المغني» ص ٧٧٤.
(٣) «المغني» ص ٧٧٤.
(٤) «المغني» ص ٧٧٦.
(٥) «المغني» ص ٧٧٦.
(٦) «المغني» ص ٧٧٧.

ومن قال في: ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء: ١٨]: إن اللام للابتداء، والذين: مبتدأ والجملة بعده خبره. وهو باطل؛ فإن الرسم: ﴿وَلَا﴾[١].

ومن قال في: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾ [مريم: ٦٩]: إن (هم أشدّ) مبتدأ وخبر، و«أيّ» مقطوعة عن الإضافة. وهو باطل برسم ﴿أَيُّهُمْ﴾ متصلة[٢].

ومن قال في: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ٣]: إن (هم) ضمير رفع مؤكِّد للواو، وهو باطل برسم الواو فيهما بلا ألف بعدها، والصواب: أَنَّه مفعول[٣].

التاسع: أن يتأمل عند ورود المشتبهات، ومن ثَمَّ خُطِّئ، من قال في: ﴿أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا﴾ [الكهف: ١٢]: إنه أفعل تفضيل، والمنصوب تمييز، وهو باطل، فإن الأمد ليس مُحْصِياً، بل مُحْصًى، وشرط التمييز المنصوب بعد (أفعل) كونه فاعِلاً في المعنى، فالصواب أنه فعل، وأمداً مفعول، مثل ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨][٤].

العاشر: ألاَّ يخرّج على خلاف الأصل، أو خلاف الظاهر لغير مقتضٍ، ومن ثمَّ خطئ مكّي في قوله في: ﴿لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى﴾ [البقرة: ٢٦٤]: إن الكاف نعت لمصدر، أي: إبطالاً كإبطال الذي. والوجه كونه حالاً من الواو، أي: لا تبطلوا صدقاتكم مشبهين الذي، فهذا لا حذف فيه[٥].

الحادي عشر: أن يبحث عن الأصليّ والزائد، نحو: ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، فإنه قد يُتوهم أن الواو في: ﴿يَعْفُونَ﴾ ضمير الجمع، فيشكل إثبات النون، وليس كذلك؛ بل هي فيه لام الكلمة، فهي أصلية والنون ضمير النسوة، والفعل معها مبنيٌّ، ووزنه: (يفعلن) بخلاف: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ﴾ [البقرة: ٢٣٧] فالواو فيه ضمير الجمع، وليست من أصل الكلمة.

الثاني عشر: أن يجتنب إطلاق لفظ الزائد في كتاب الله تعالى، فإن الزائد قد يُفهم منه أنه لا معنى له، وكتاب الله منزَّه عن ذلك، ولذا فرّ بعضُهم إلى التعبير بدلَه بالتأكيد، والصلة، والمقحم.

وقال ابن الخَشَّاب[٦]: اختُلف في جواز إطلاق لفظ الزائد في القرآن:

فالأكثرون على جوازه، نظراً إلى أنه نزل بلسان القوم ومتعارفهم، ولأن الزيادة بإزاء الحذف، هذا للاختصار والتخفيف، وهذا للتوكيد والتوطئة، ومنهم من أبى ذلك وقال: هذه الألفاظ المحمولة على الزيادة جاءت لفوائد ومعانٍ تخصُّها، فلا أَقضِي عليها بالزيادة.

---

(١) «المغني» ص ٧٧٧.

(٢) وأن أيا إذا لم تُضَفْ أُعربتْ باتفاقٍ. «المغني» ص ٧٧٨.

(٣) «المغني» ص ٧٧٨.

(٤) «المغني» ص ٧٨١.

(٥) «المغني» ص ٧٨٢.

(٦) ابن الخَشَّاب: عبد الله بن أحمد، بغدادي، عالم بالعربية، مشارك في كثير من العلوم (ت: ٥٦٧ هـ). «بغية الوعاة» ٢٧٦، وفيات الأعيان ١/ ٢٦٧.

قال: والتحقيق أنه إن أريد بالزيادة إثبات معنًى لا حاجة إليه فباطل؛ لأنه عبث، فتعين أنَّ إلينا به حاجة، لكن الحاجة إلى الأشياء قد تختلف بحسب المقاصد، فليست الحاجة إلى اللفظ الذي عدَّه هؤلاء زيادة كالحاجة إلى اللفظ المزيد عليه. انتهى.

وأقول: بل الحاجة إليه كالحاجة إليه سواء، بالنظر إلى مقتضى الفصَاحة والبلاغة، وأنه لو ترك كان الكلام دونه ـ مع إفادته أصلَ المعنى المقصود ـ أبترَ خالياً عن الرَّوْنق البليغيّ، لا شبهة من ذلك. ومثل هذا يَستشهد عليه بالإسناد البيانيّ الذي خالط كلام الفصحاء، وعرف مواقعَ استعمالهم وذاق حلاوة ألفاظهم، وأما النحويّ الجافي فعن ذلك بمنقطع الثرى.

تنبيهات:

الأول: قد يتجاذب المعنى والإعرابُ الشيءَ الواحد، بأَنْ يوجد في الكلام: أن المعنى يدعو إلى أمرٍ والإعراب يمنع منه، والمتمسَّكُ به صحةُ المعنى، ويُؤَوَّل لصحة المعنى الإعرابُ. وذلك كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٨ ـ ٩]، فالظرف الذي هو ﴿يَوۡمَ﴾ يقتضي المعنى أنه يتعلَّق بالمصدر وهو (رجْع)، أي: إنه على رجعه في ذلك اليوم لقادر. ولكن الإعراب يمنع منه، لعدم جواز الفصل بين المصدر ومعموله، فيجعل العامل فيه فعلاً مقدَّراً دلَّ عليه المصدر[1].

وكذا: ﴿أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ﴾ [غافر: ١٠]، فالمعنى يقتضي تعلّق ﴿إِذۡ﴾ بالمقت. والإعراب يمنعه، للفصل المذكور، فيقدر له فعل يدل عليه[2].

الثاني: قد يقع في كلامهم: هذا تفسير معنى، وهذا تفسير إعراب، والفرْقُ بينهما: أن تفسير الإعراب لا بدَّ فيه من ملاحظة الصناعة النحوية، وتفسير المعنى لا تضرُّه مخالفة ذلك.

الثالث: قال أبو عُبيد في «**فضائل القرآن**»[3]: حدثنا أبو معاوية، عن هشام بن عُرْوة، عن أبيه قال: سألت عائشة عن لحن القرآن عن قوله تعالى: ﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: ٦٣]، وعن قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النساء: ١٦٢]، وعن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ [المائدة: ٦٩]. فقال: يا بن أخي، هذا عمل الكتَّاب، أخطؤوا في الكتاب. هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين.

وقال: حدَّثنا حجاج، عن هارون بن موسى، أخبرني الزُّبير بن الخِرِّيت، عن عِكْرِمة، قال: لما كتِبت المصاحف عُرِضَتْ على عثمان، فوجد فيها حروفاً من اللَّحن، فقال: لا تغيِّروها؛ فإن العرب ستغيرها ـ أو قال: ستعربها ـ بألسنتها، لو كان الكاتب من ثَقيف والممْلي من هُذيل لم توجد فيه هذه الحروفُ. أخرجه ابن الأنباري في كتاب «**الرد على من خَالَف مصحف عثمان**»، وابن أَشْته في كتاب «**المصاحف**».

(١) «المغني» ص ٦٩٩.
(٢) «المغني» ص ٦٩٩.
(٣) ص ٢٨٧.

ثم أخرج ابن الأنباري نحوه، من طريق عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر، وابنُ أشته نحوه من طريق يحيى بنِ يَعْمر.

وأخرج من طريق أبي بِشْر، عن سعيد بن جُبير: أنه كان يقرأ: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ويقول: هو لحن من الكاتب.

وهذه الآثار مشكلة جدًّا، وكيف يُظنّ بالصحابة ـ أوّلاً ـ أنهم يلحنون في الكلام فضلاً عن القرآن، وهم الفصحاء اللُّدّ[1]!؟ ثم كيف يُظن بهم ـ ثانياً ـ في القرآن الذي تلقّوه من النبي ﷺ كما أُنزل، وحفظوه وضبطوه، وأتقنوه؟ ثم كيف يُظنّ بهم ـ ثالثاً ـ اجتماعهم كله على الخطأ وكتابته؟ ثم كيف يظن بهم ـ رابعاً ـ عدمُ تنبههم ورجوعهم عنه؟ ثم كيف يظنّ بعثمان أنه يَنهى عن تغييره؟ ثم كيف يُظَنُّ أن القراءة استمرت على مقتضى ذلك الخطأ؟ وهو مرويٌّ بالتواتر خَلَفاً عن سلف؟ هذا مما يستحيل عقلاً وشرعاً وعادةً.

وقد أجاب العلماء عن ذلك بثلاثة أجوبة:

أحدها: أن ذلك لا يصحُّ عن عثمان؛ فإن إسناده ضعيف مضطَرِبٌ منقطِعٌ، ولأن عثمان جعل للناس إماماً يَقتدون به، فكيف يرى فيه لحناً ويتركه لتقيمه العرب بألسنتها؟ فإذا كان الذين تولَّوا جمعَه وكتابته لم يقيموا ذلك وهم الخيار، فكيف يقيمه غيرهم؟ وأيضاً فإنه لم يَكْتُب مصحفاً واحداً، بل كتب عدة مصاحف، فإن قيل: إن اللحْن وقع في جميعها، فبعيد اتفاقها على ذلك، أو في بعضها فهو اعتراف بصحة البعض، ولم يذكر أحد من الناس أن اللحن كان في مصحف دون مصحف، ولم تأت المصاحف قطُّ مختلفةً إلاَّ فيما هو من وجوه القراءة، وليس ذلك بلحن.

الثاني: على تقدير صحة الرواية، إن ذلك محمول على الرمز والإشارة ومواضع الحذف، نحو ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة: ٢]، ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ وما أشبه ذلك.

الثالث: أنَّه مؤوّل على أشياء خالف لفظها رسمها، كما كتبوا ﴿وَلَأَوْضَعُواْ﴾ [التوبة: ٤٧]، و﴿لَأَاْذْبَحَنَّهُۥ﴾ [النمل: ٢١] بألف بعد لا. و﴿جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٩]. بواو وألف. و﴿بِأَيْيْدٍ﴾ (بأيد) [الذاريات: ٤٧] بياءين، فلو قرئ بظاهر الخط لكان لحناً، وبهذا الجواب وما قبله جزم ابن أشته في كتاب «**المصاحف**».

وقال ابن الأنباري في كتاب «**الرَّدُّ على من خالف مصحف عثمان**» في الأحاديث المروية عن عثمان في ذلك: لا تقوم بها حجة؛ لأنها منقطعة غير متصلة، وما يشهد عقل بأنَّ عثمان ـ وهو إمام الأمة الذي هو إمام النَّاس في وقته، وقدوتهم ـ يَجمعهم على المصحف الذي هو الإمام فيتبين فيه خللاً، ويشاهد في خطّه زللاً فلا يصلحه، كلاَّ والله ما يتوهَّم عليه هذا ذو إنصاف وتمييز، ولا يُعتقد أنه أَخَّر الخطأ في الكتاب ليصلحه مَن بعده. وسبيل الجائين من بعده البناء على رسمه والوقوف عند

---

(١) أي: الأقوياء في الخصومة والجدل والمعنى: فصحاء أقوياء جداً.

حكمه، ومن زعم أنَّ عثمان أراد بقوله: (أرى فيه لحناً) أرى في خطه لحناً، إذا أقمناه بألسنتنا كان لحن الخطِّ غير مفسد ولا محرِّف من جهة تحريف الألفاظ وإفساد الإعراب، فقد أبطل ولم يُصِبْ؛ لأن الخط منبئ عن النطق، فمن لحن في كَتْبِه فهو لاحن في نطقه، ولم يكن عثمان ليؤخِّر فساداً في هجاء ألفاظ القرآن من جهة كتْب ولا نطق. ومعلوم أنه كان مواصلاً لدرس القرآن، مُتقِناً لألفاظه، موافقاً على ما رُسم في المصاحف المنفذة إلى الأمصار والنواحي.

ثم أيَّد ذلك بما أخرجه أبو عُبيد[1] قال: حدَّثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن عبد الله بن مبارك، حدثنا أبو وائل ـ شيخ من أهل اليمن ـ عن هانئ البربريّ ـ مولى عثمان ـ قال: كنت عند عثمان وهم يعرضون المصاحف، فأرسلني بكتف شاة إلى أُبيِّ بن كعب، فيها: ﴿لَمْ يَتَسَنَّ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وفيها: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ﴾ [الروم: ٣٠]، وفيها: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الطارق: ١٧] قال: فدعا بالدَّواة ـ فمحا أحد اللاَّمين، فكتب ﴿لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ ومحا (فأمهل)، وكتب ﴿فَمَهِّلِ﴾، وكتب ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ ألحق فيها الهاءَ. قال ابنُ الأنباري: فكيف يُدَّعى عليه أنه رأى فساداً فأمضاه، وهو يوقَف على ما كتب، ويُرفع الخلافُ إليه الواقعُ من الناسخين؛ ليحكم بالحق، ويُلزمهم إثبات الصواب وتخليده. انتهى.

قلت: ويؤيِّد هذا أيضاً ما أخرجه ابن أشته في «**المصاحف**» قال: حدَّثنا الحسن بن عثمان، أنبأنا الربيع بن بدر، عن سوَّار بن شبيب قال: سألت ابن الزُّبير عن المصاحف، فقال: قام رجل إلى عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، إن الناس قد اختلفوا في القرآن، فكان عمر قد هَمَّ أن يجمع القرآن على قراءة واحدة، فطُعن طعنته التي مات بها، فلما كان في خلافة عثمان قام ذلك الرَّجل، فذكَر له، فجمَع عثمان المصاحف، ثم بعثني إلى عائشة فجئت بالصُّحف، فعرضناها عليها حتى قوَّمناها، ثم أمر بسائرها فشُقِّقت. فهذا يدل على أنهم ضبطوها وأتقنوها، ولم يتركوا فيها ما يحتاج إلى إصلاح ولا تقويم.

ثم قال ابن أشته: أنبأنا محمد بن يعقوب، أنبأنا أبو داود سليمان بن الأشعث، أنبأنا أحمد بن مسعدة، أنبأنا إسماعيل، أخبرني الحارث بن عبد الرحمن، عن عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر قال: لما فُرغ من المصحف أُتيَ به عثمان، فنظر فيه، فقال: أحسنتم وأجملتم، أرى شيئاً سنقيمه بألسنتنا.

فهذا الأثر لا إشكال فيه، وبه يتَّضح معنى ما تقدَّم، فكأنه عرض عليه عقب الفراغ من كتابته، فرأى فيه شيئاً كتب على غير لسان قُريش، كما وقع لهم في (التابوة) و﴿ٱلتَّابُوتُ﴾[2]، فوعد بأنه سيقيمه على لسان قريش، ثم وفَّى بذلك عند العرْض والتقويم، ولم يترك فيه شيئاً. ولعلَّ مَنْ روى تلك الآثار السابقة عنه حرَّفها، ولم يتقن اللفظ الذي صدر عن عثمان، فلزم منه ما لزم من الإشكال؛ فهذا أقوى ما يُجاب به عن ذلك، ولله الحمد.

وبعدُ؛ فهذه الأجوبة لا يصلُحُ منها شيء عن حديث عائشة:

أما الجواب بالتضعيف فلأن إسناده صحيح كما ترى.

---

(١) في «فضائل القرآن» ص ٢٨٦.

(٢) اللفظ في البقرة الآية: ٢٤٨، وطه الآية: ٣٩.

وأما الجواب بالرمز وما بعده، فلأن سؤال عُرْوة عن الأحرف المذكورة لا يطابقه، فقد أجاب عنه ابنُ أشته، وتبعه ابن جُبَارة[1] في شرح الرَّائية، بأن معنى قولها: (أخطؤوا)، أي: في اختيار الأَوْلى من الأحرف السبعة لجمع الناس عليه. لا أن الذي كتبوا من ذلك خطأ لا يجوز. قال: والدليل على ذلك أن ما لا يجوز مردود بإجماع من كلِّ شيء، وإن طالت مدة وقوعه.

قال: وأما قولُ سعيد بن جبير: لَحْن من الكاتب، فيعني باللَّحْن القراءةَ واللغة، يعني أنها لغة الذي كتبها وقراءته، وفيها قراءة أخرى.

ثم أخرج عن إبراهيم النَّخَعيّ أنه قال: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: ٦٣]، و﴿إن هذين لساحران﴾ سواء، لعلهم كتبوا الألف مكان الياء، والواو في قوله: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ مكان الياء، قال ابن أشته: يعني أنه من إبدال حرف في الكتاب بحرف، مثل الصلوة والزكوة والحيوة.

وأقول: هذا الجواب إنَّما يحسُن لو كانت القراءة بالياء فيها والكتابة بخلافها، أما والقراءة على مقتضى الرسم فلا، وقد تكلَّم أهل العربية على هذه الأحرف ووجهوها على أحسن توجيه.

أما قوله: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ ففيه أوجه:

أحدها: أنه جارٍ على لغة من يُجري المثنى بالألف في أحواله الثلاثة، وهي لغة مشهورة لكنانة، وقيل: لبني الحارث.

الثاني: أن اسم (إنَّ) ضمير الشأن محذوفاً، والجملة مبتدأ وخبر، خبر إن.

الثالث: كذلك، إلاَّ أن ﴿ساحران﴾ خبر مبتدأ محذوف، والتقدير: لهما ساحران.

الرابع: أن (إنَّ) هنا بمعنى: نعم.

الخامس: أنَّ (ها) ضمير القصة اسم إنَّ، و(ذَانِ لَسَاحِرَانِ) مبتدأٌ وخبر، وتقدَّم ردّ هذا الوجه بانفصال (إن) واتصال (ها) في الرسم.

قلت: وظهر لي وجه آخر، وهو: أن الإتيان بالألف لمناسبة (ساحِرَانِ) ﴿يُرِيدَانِ﴾ كما نوّن (سلاسلاً) لمناسبة (وأغلالاً) [الإنسان: ٤]، و﴿مِن سَبَإٍ﴾ لمناسبة ﴿بِنَبَإٍ﴾ [النمل: ٢٢].

وأما قوله: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ١٦٢]؛ ففيه أيضاً أوجه:

أحدها: أنه مقطوع إلى المدْح بتقدير: (أمدح)، لأنه أبلغ.

الثاني: أنه معطوف على المجرور في ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾، أي: ويؤمنون بالمقيمين الصلاة، وهم الأنبياء. وقيل: الملائكة، وقيل: التقدير: يؤمنون بدين المقيمين، فيكون المراد بهم المسلمين، وقيل: بإجابة المقيمين.

الثالث: أنه معطوف على (قبل)، أي: ومن قبل المقيمين، فحذفت (قبل)، وأُقيم المضاف مقامه.

---

(١) ابن جبارة: أحمد بن محمد، مقدسي صالحي، حنبلي نحوي (ت: ٧٢٨ هـ). «الدرر الكامنة» ١/ ٢٥٩.

الـرابـع : أنه معطوف على الكاف في ﴿قَبْلِكَ﴾.

الخامس : أنه معطوف على الكاف في ﴿إِلَيْكَ﴾.

السادس : أنه معطوف على الضمير في ﴿مِّنْهُمْ﴾.

حكى هذه الأوجهَ أبو البقاء[1].

وأما قوله: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ [المائدة: ٦٩]، ففيه أيضاً أوجه:

أحـدهـا : أنه مبتدأ حذف خبره، أي: والصابئون كذلك.

الـثـانـي : أنه معطوف على محل (إنّ) مع اسمها، فإن محلهما رَفْعٌ بالابتداء.

الـثـالـث : أنه معطوف على الفاعل في ﴿هَادُواْ﴾.

الـرابـع : أن (إنَّ) بمعنى نعم، فـ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وما بعده في موضع رفع، ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ عطف عليه.

الخامس : أنه على إجراء صيغة الجمع مَجْرى المفرد، والنون حرف الإعراب. حكى هذه الأوجهَ أبو البقاء.

تذنيب: يقرُب مما تقدم عن عائشة ما أخرجه أحمد في «مسنده»، وابن أشته في «**المصاحف**»، من طريق إسماعيل المكّي، عن أبي خلف مولى بني جُمَح: أنه دخل مع عُبيد بن عُمير على عائشة، فقال: جئت أسألُكِ عن آيةٍ في كتاب الله تعالى، كيف كان رسول الله ﷺ يقرؤها؟ قالت: أَيَّةُ آية؟ قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾ [المؤمنون: ٦٠] أو (والذين يأتون ما أتوا)، فقالت: أَيَّتُهما أحبُّ إليك؟ قلتُ: والذي نفسي بيده لأحدهما أحبُّ إليَّ من الدنيا جميعاً، قالت: أَيُّهما؟ قلت: (والذين يأتون ما أتوا)، فقالت: أشهد أن رسول الله ﷺ كذلك كان يقرؤُها، وكذلك أُنزلت، ولكن الهجاء حُرِّف. [إسناده ضعيف: أحمد: ٢٤٦٤١ و٢٥١١٥].

وما أخرجه ابن جرير، وسعيد بن منصور في «سننه»: من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ﴾ [النور: ٢٧] قال: إنما هي خطأ من الكاتب، «حتى تستأذنوا وتسلموا». أخرجه ابن أبي حاتم[2] بلفظ: هو ـ فيما أحسب ـ مما أخطأت به الكتّاب.

وما أخرجه ابن الأنباريّ من طريق عكرمة، عن ابن عباس: أنه قرأ (أفلم يتبيَّن الذين آمنوا أنْ لو يَشاءُ الله لهدَى النَّاسَ جميعاً)، فقيل له: إنَّها في المصحف: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ﴾ [الرعد: ٣١]، فقال: أظن الكاتب كتبها وهو ناعس.

وما أخرجه سعيد بن منصور من طريق سعيد بن جُبير، عن ابن عباس: أنه كان يقول في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ [الإسراء: ٢٣]: إنما هي (ووصَّى رَبُّكَ)؛ اِلتزقَت الواو بالصاد.

وأخرجه ابن أشته، بلفظ: (استمدَّ الكاتب مداداً كثيراً فالتزقت الواو بالصاد).

---

(١) في «إملاء ما مَنَّ به الرحمن» ص ١٨٠ ـ ١٨١ سورة النساء: ١٦٢.

(٢) انظر «تفسير ابن أبي حاتم» ٨/ ٢٥٦٦.

وأخرجه من طريق الضحاك عن ابن عباس: أنه كان يقرأ: ووصى ربك، ويقول: أمر ربك. إنهما واوان التصقت إحداهما بالصاد.

وأخرجه من طريق أخرى عن الضحَّاك أنه قال: كيف تقرأ هذا الحرف؟ قال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ [الإسراء: ٢٣] قال: ليس كذلك نقرؤها نحن، ولا ابن عباس، إنما هي (ووصّى ربُّكَ)، وكذلك كانت تقرأ وتكتب، فاستمدَّ كاتبكم، فاحتمل القلم مداداً كثيراً، فالتصقت الواو بالصاد، ثم قرأ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]، ولو كانت (قضى) من الرب، لم يستطع أحد ردّ قضاء الرب، ولكنه وصية أوصى بها العبادَ.

وما أخرجه سعيد بن منصور وغيره من طريق عمرو بن دينار، عن عكرمة عن ابن عباس: أنه كان يقرأ: (ولقدْ آتيْنَا موسى وهارون الفرقان ضياء)[1]، ويقول: خذوا هذه الواو واجعلوها هنا: (والَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ)[2] الآية.

وأخرجه ابن أبي حاتم[3] من طريق الزُّبير بن خِرِّيت، عن عِكْرمة، عن ابن عباس قال: انزعوا هذه الواو فاجعلوها في: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾ [غافر: ٧].

وما أخرجه ابن أشته، وابن أبي حاتم[4] من طريق عطاء، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ [النور: ٣٥]، قال: هي خطأ من الكاتب، هو أعظم من أن يكون نوره مثل نور المشكاة، إنما هي: (مثل نور المؤمن كمشكاة).

وقد أجاب ابن أشته عن هذه الآثار كلها بأنَّ المراد أخطؤوا في الاختيار، وما هو الأوْلَى لجمع الناس عليه من الأحرف السبعة، لا أنَّ الذي كتب خطأٌ خارج عن القرآن، قال: فمعنى قول عائشة: حُرِّف الهجاء، أُلقي إلى الكاتب هجاء غير ما كان الأولى أن يلقَى إليه من الأحرف السبعة. قال: وكذا معنى قول ابن عباس: (كتبها وهو ناعس)، يعني فلم يتدبّر الوجهَ الذي هو أَوْلى من الآخر، وكذا سائرها.

وأما ابن الأنباري فإنه جنَح إلى تضعيف الروايات، ومعارضتها بروايات أُخَر عن ابن عباس وغيره، بثبوت هذه الأحرف في القراءة، والجواب الأول أَوْلى وأقعد.

ثم قال ابن أشته: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدَّثنا أبو داود، حدَّثنا ابن الأسود، حدثنا يحيى بن آدم، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن خارجة بن زيد قال: قالوا لزيد: يا أبا سعيد، أوهمت! إنما هي: (ثمانية أزواج من الضأن اثنين اثنين، ومن المعز اثنين اثنين، ومن الإبل اثنين اثنين، ومن البقر اثنين اثنين). فقال: لأن الله تعالى يقول: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٩]. فهما زوجان. كل واحد منهما زَوج: الذكر زوج، والأنثى زوج.

قال ابن أشته: فهذا الخبر يدل على أن القوم كانوا يتخيَّرون أجمع الحروف للمعاني وأسلَسَها على

---

(١) والآية: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً﴾ [الأنبياء: ٤٨].

(٢) والآية: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

(٣) في «تفسيره» ٨/ ٢٤٥٤ (١٣٦٦٥) الأنبياء: ٤٨. (٤) في «تفسيره» ٨/ ٢٥٩٦ (١٤٥٧٠) وما بعد.

الألسنة، وأقربها في المأخذ، وأشهرها عند العرب للكتابة في المصاحف، وأن الأخرى كانت قراءة معروفة عند كلهم، وكذا ما أشبه ذلك. انتهى.

فائدة: فيما قرئ بثلاثة أوجه: الإعراب، أو البناء، أو نحو ذلك.

قد رأيت تأليفاً لطيفاً لأحمد بن يوسف بن مالك الرُّعَيني[1]، سمَّاه «**تحفة الأقران فيما قرئ بالتثليث من حروف القرآن**».

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ قرئ بالرفع على الابتداء، والنصب على المصدر، والكسر على إتْباع الدالِ اللامَ في حركتها.

﴿رب العالمين﴾ قرئ بالجر على أنه نعت، وبالرفع على القطع بإضمار مبتدأ، وبالنصب عليه بإضمار فعل، أو على النداء.

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قرئ بالثلاثة.

﴿ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠]. قرئ بسكون الشين وهي لغة تميم، وكسرها وهي لغة الحجاز، وفتحها وهي لغة بَلِيّ.

﴿بَيْنَ ٱلْمَرْءِ﴾ [البقرة: ١٠٢] قرئ بتثليث الميم، لغات فيه.

﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨] قراءة الجماعة بالبناء للمفعول، وقرئ بالبناء للفاعل، بوزن ضَرَبَ وعَلِم وحَسُنَ.

﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٣٤]: قرئ بتثليث الذال.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١]. قرئ بالنصب عطفاً على لفظ الجلالة، وبالجر عطفاً على ضمير ﴿بِهِۦ﴾. وبالرفع على الابتداء والخبر محذوف، أي: والأرحامُ مما يجب أن تتقوه، وأن تحتاطوا لأنفسكم فيه.

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥]، قرئ [غير] بالرفع صفة لـ﴿ٱلْقَٰعِدُونَ﴾، وبالجر صفة لـ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وبالنصب على الاستثناء.

﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، قرئ بالنصب عطفاً على الأيدي، وبالجر على الجِوار، أو غيره، وبالرفع على الابتداء، والخبر محذوف دلَّ عليه ما قبله.

﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ [المائدة: ٩٥]: قرئ بجر «مثلِ» بإضافة ﴿فَجَزَآءٌ﴾ إليه، وبرفعه وتنوين «مثلٌ» صفة له، وبنصبه مفعول بـ﴿فَجَزَآءٌ﴾.

﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا﴾ [الأنعام: ٢٣]. قرئ بجر ﴿رَبِّنَا﴾ نعتاً أو بدلاً، وبنصبه على النداء أو بإضمار أمدح، وبرفعه ورفع لفظ الجلالة مبتدأ وخبر.

---

(١) الرُّعَيني: أحمد بن يوسف، أبو جعفر الأندلسي، أديب، كان عارفاً بالنحو (ت: ٧٧٩ هـ). «الدرر الكامنة» ١/ ٣٤٠.

﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]: قرئ برفع ﴿وَيَذَرَكَ﴾، ونصبه، وجزمه للخفّة.

﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ [يونس: ٧١]. قرئ بنصب ﴿شُرَكَآءَكُمْ﴾ مفعولاً معه، أو معطوفاً، أو بتقدير (وادعوا). وبرفعه عطفاً على ضمير ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ﴾، أو مبتدأ خبره محذوف، وبجره عطفاً على (كمْ) في ﴿أَمْرَكُمْ﴾.

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ [يوسف: ١٠٥]. قرئ بجر ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ عطفاً على ما قبله، وبنصبها من باب الاشتغال. وبرفعها على الابتداء والخبرُ ما بعدها.

﴿مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ [طه: ٨٧]: قرئ بتثليث الميم [بملكنا].

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ [الأنبياء: ٩٥]. قرئ بلفظ الماضي بفتح الراء، وكسرها، وضمها، وبلفظ الوصف بكسر الراء وسكونها مع فتح الحاء، وبسكونها مع كسر الحاء، وحرام بالفتح وألف، فهذه سبع قراءات.

﴿كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ [النور: ٣٥]، قرئ بتثليث الدال.

﴿يسٓ﴾ القراءة المشهورة بسكون النون، وقرئ شاذًّا بالفتح للخفَّة، والكسر لالتقاء الساكنين، وبالضم على النداء.

﴿سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠]، قُرئ بالنَّصب على الحال، وشاذًّا بالرفع، أي: هو، وبالجر حملاً على [﴿أيامٍ﴾].

﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص: ٣]، قرئ بنصب ﴿حِينَ﴾، ورفعه وجرّه.

﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ﴾ [الزخرف: ٨٨]، قرئ بالنصب على المصدر، وبالجر، وتقدم توجيهه، وشاذًّا بالرفع عطفاً على ﴿عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٨٥].

﴿قاف﴾ القراءة المشهورة بالسكون، وقرئ شاذًّا بالفتح والكسر لما مرَّ؛ أي: للخفة، ولالتقاء الساكنين.

﴿ٱلْحُبُكِ﴾ [الذاريات: ٧]، فيه سبع قراءات: ضم الحاء والباء، وكسرهما، وفتحهما، وضمّ الحاء وسكون الباء، وضمها وفتح الباء، وكسرها وسكون الباء، وكسرها وضم الباء.

﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴾ [الرحمن: ١٢]، قرئ برفع الثلاثة ونصبها وجرها.

﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ﴾ [الواقعة: ٢٢ ـ ٢٣]، قرئ برفعهما وجرِّهما، ونصبهما بفعل مضمَر، أي: ويُزَوَّجُونَ.

فائدة: قال بعضهم: ليس في القرآن على كثرة منصوباته مفعول معه.

قلت: في القرآن عدّة مواضع، أُعرب كلٌّ منها مفعولاً معه:

أحدها: وهو أشهرها: قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ [يونس: ٧١]، أي: أجمعوا أنتم مع شركائكم أمرَكم. ذكره جماعة منهم.

الثاني: قوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦]: قال الكرمانيّ في «غرائب التفسير»[(١)]: هو مفعول معه؛ أي: مع أهليكم.

الثالث: قوله تعالى: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [البينة: ١] قال الكرماني[(٢)]: يحتمل أن يكون قوله: ﴿وَٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ مفعولاً معه من ﴿ٱلَّذِينَ﴾، أو من الواو في ﴿كَفَرُواْ﴾.

(١) ٢/١٢٢٦ سورة التحريم: ٦.

(٢) في «عجائبه» ٢/١٣٦٩ سورة البينة: ١.

النوع الثاني والأربعون

في قواعد مهمّة يحتاج المفسّر إلى معرفتها

قاعدة في الضمائر

ألف ابن الأنباريّ في بيان الضمائر الواقعة في القرآن مجلدين، وأصلُ وضع الضمير للاختصار، ولهذا قام قوله: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥] مقام خمسة وعشرين كلمة لو أتى بها مظهَرة.

وكذا قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، قال مكيّ: ليس في كتاب الله آيةٌ اشتملت على ضمائر أكثر منها، فإنَّ فيها خمسة وعشرين ضميراً، ومن ثَمَّ لا يُعدَل إلى المنفصل إلَّا بعد تعذُّر المتصل، بأن يقع في الابتداء، نحو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، أو بعد (إلَّا) نحو: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

مرجع الضمير

لا بدَّ له من مرجع يعود إليه:

ويكون ملفوظاً به سابقاً مطابقاً به، نحو: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ [هود: ٤٢]، ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ [طه: ١٢١]، ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ [النور: ٤٠].

أو متضمناً له، نحو: ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [المائدة: ٨]. فإنه عائد على العدل المتضمن له ﴿ٱعْدِلُوا۟﴾، ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ [النساء: ٨]، أي: المقسوم، لدلالة القسمة عليه.

أو دالًّا عليه بالالتزام، نحو: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [القدر: ١]، أي: القرآن، لأن الإنزال يدلُّ عليه التزاماً. ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٨]. فعُفِيَ يستلزم عافياً أعيد عليه الهاء من ﴿إِلَيْهِ﴾.

أو متأخِّراً لفظاً لا رتبة مطابقاً، نحو: ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ [طه: ٦٧]، ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨]، ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩].

أو رتبة أيضاً في باب ضمير الشأن والقصة ونعم وبئس والتنازع.

أو متأخِّراً دالًّا بالالتزام، نحو: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة: ٨٣]، ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ﴾ [القيامة: ٢٦]. أضمر الروح أو النفس لدلالة الحلقوم والتراقي عليها، ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]، أي: الشمسُ، لدلالة الحجاب عليها.

وقد يدلّ عليه السياق فيضمر، ثقةً بفهم السامع، نحو: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦]، ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ [فاطر: ٤٥]، أي: الأرض أو الدنيا .﴿وَلِأَبَوَيْهِ﴾ [النساء: ١١]، أي: الميت، ولم يتقدم له ذكرٌ.

وقد يعود على لفظ المذكور دون معناه، نحو: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ [فاطر: ١١]، أي: عمر معمّر آخر.

وقد يعود على بعض ما تقدم، نحو: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ [النساء: ١١] إلى قوله: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً﴾ [النساء: ١١] .﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. بعد قوله: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾ [البقرة: ٢٢٨] فإنه خاص بالرجعيّات، والعائد عليه عَامٌّ فيهنَّ وفي غيرهنَّ.

وقد يعود على المعنى، كقوله في آية الكلالة: ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [النساء: ١٧٦]، ولم يتقدم لفظ مثنى يعود عليه، قال الأخفش: لأن الكلالة تقع على الواحد والاثنين والجمع، فثنّى الضمير الراجع إليها حملاً على المعنى، كما يعود الضمير جَمْعاً على (مَنْ) حملاً على معناها.

وقد يعود على لفظ شيء، والمراد به الجنس من ذلك الشيء، قال الزمخشريّ: كقوله: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ [النساء: ١٣٥]، أي: بجنسي الفقير والغني، لدلالة: ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ على الجنسين، ولو رجع إلى المتكلم به لوَحَّدَه.

وقد يُذْكَرُ شيئان ويعاد الضمير إلى أحدهما، والغالب كونه الثاني، نحو: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ [البقرة: ٤٥]. فأُعيد الضمير للصلاة، وقيل: للاستعانة المفهومة من ﴿ٱسْتَعِينُوا۟﴾. ﴿جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾ [يونس: ٥]، أي: القمر، لأنه الذي يعلم به الشهور. ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢] أراد (يرضوهما) فأفرد؛ لأن الرسول هو داعي العباد والمخاطِبُ لهم شفاهاً، ويلزم من رضاه رضا ربه تعالى.

وقد يثنى الضمير ويعود على أحد المذكورين، نحو: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢] وإنما يخرج من أحدهما.

وقد يجيء الضمير متَّصلاً بشيء وهو لغيره، نحو: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٣] يعني آدم، ثم قال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٣]، فهذه لولده، لأن آدم لم يخلق من نطفة.

قلت: هذا هو باب الاستخدام، ومنه: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ ثم قال: ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ [المائدة: ١٠١ ـ ١٠٢]، أي: أشياء أُخر مفهومة من لفظ ﴿أَشْيَآءَ﴾ السابقة.

وقد يعود الضمير على مُلابس ما هو له، نحو: ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٦]، أي: ضحى يومها، لا ضحى العشية نفسها؛ لأنه لا ضحى لها.

وقد يعود على غير مشاهد محسوس، والأصل خلافه، نحو: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن

فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]، فضمير ﴿لَهُۥ﴾ عائد على الأمر، وهو إذ ذاك غير موجود؛ لأنه لما كان سابقاً في علم الله كونه، كان بمنزلة المشاهد الموجود.

قاعدة:

الأصل عوده على أقرب مذكور، ومن ثمَّ أخّر المفعول الأوّل في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ١١٢]، ليعود الضمير عليه لقربه، إلاَّ أن يكون مضافاً ومضافاً إليه، فالأصل عوده للمضاف؛ لأنه المحدَّث عنه، نحو: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. وقد يعود على المضاف إليه، نحو: ﴿إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٧].

واختلف في ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، فمنهم من أعاده على المضاف، ومنهم من أعاده إلى المضاف إليه.

قاعدة

الأصل توافق الضَّمَائر في المرجع حذراً من التشتيت، ولهذا لـمَّا جوّز بعضهم في: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾ [طه: ٣٩] أن الضمير في الثاني للتابوت وفي الأول لموسى عابه الزمخشريّ، وجعله تنافراً مُخْرِجاً للقرآن عن إعجازه، فقال: والضمائر كلّها راجعة إلى موسى، ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت فيه هُجنةٌ؛ لما يؤدي إليه من تنافر النظم الذي هو أُمُّ إعجاز القرآن، ومراعاته أهمُّ ما يجب على المفسِّر.

وقال في: ﴿لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾ [الفتح: ٩] الضمائر لله تعالى، والمراد بتعزيره تعزير دينه ورسوله، ومن فرّق الضمائر فقد أبعدَ.

وقد يخرج عن هذا الأصل، كما في قوله: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢]، فإنَّ ضمير ﴿فِيهِمْ﴾ لأصحاب الكهف، و﴿مِّنْهُمْ﴾ لليهود، قاله ثعلب والمبرد. ومثله: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ [هود: ٧٧] قال ابن عباس: ساء ظنًّا بقومه وضاق ذرعاً بأضيافه.

وقوله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ [التوبة: ٤٠] الآية، فيها اثنا عشر ضميراً، كلُّها للنبي ﷺ، إلاَّ ضمير ﴿عَلَيْهِ﴾ فلصاحبه، كما نقله السُّهيلي عن الأكثرين؛ لأنه ﷺ لم تنزلْ عليه السكينة، وضمير (جَعَل) له تعالى.

وقد يخالف بين الضَّمائر حذراً من التنافر نحو: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦]. الضمير للاثني عشر، ثم قال: ﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ﴾ [التوبة: ٣٦] أتى بصيغة الجمع مخالفاً لعوده على الأربعة.

ضمير الفصل: ضمير بصيغة المرفوع مطابق لما قبله؛ تكلماً وخطاباً وغيبةً، إفراداً وغيره، وإنَّما يقع بعد مبتدأ أو ما أصلُه المبتدأ، وقبل خبر كذلك، نحو: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]، ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ [الصافات: ١٦٥]، ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧]، ﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾ [المزمل: ٢٠]، ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا﴾ [الكهف: ٣٩]، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨].

وجوّز الأخفش وقوعه بين الحال وصاحبها، وخرّج عليه قراءة: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ﴾ بالنصب.

وجوّز الجرجانيّ وقوعه قبل مضارع، وجعل منه: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج: ١٣]، وجعل منه أبو البقاء: ﴿وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠].

ولا محلّ لضمير الفصل من الإعراب، وله ثلاث فوائد: الإعلام بأنَّ ما بعده خبر لا تابع. والتأكيد؛ ولهذا سماه الكوفيّون دعامة؛ لأنه يُدعَم به الكلام، أي: يقوّى ويؤكّد، وبنى عليه بعضهم: أنه لا يجمع بينه وبينه، فلا يقال: زيد نفسه هو الفاضل والاختصاص.

وذكر الزمخشري الثلاثة في: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]، فقال: فائدته الدلالة على أنَّ ما بعده خبر لا صفة، والتوكيد، وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره.

ضمير الشأن والقصة، ويسمى ضمير المجهول، قال في «**المغني**»(١): خالف القياس من خمسة أوجه:

أحدها: عَوْدُه على ما بعده لزوماً، إذ لا يجوز للجملة المفسّرة له أن تتقدّم عليه ولا شيء منها.

والثاني: أنَّ مفسّرهُ لا يكون إلاَّ جملة.

والثالث: أنه لا يتْبَع بتابع، فلا يؤكّد ولا يُعْطَف عليه، ولا يبدل منه.

والرابع: أنه لا يعمل فيه إلاَّ الابتداء أو ناسخه.

والخامس: أنه ملازم للإفراد.

ومن أمثلته: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنبياء: ٩٧]. ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ [الحج: ٤٦].

وفائدته: الدلالة على تعظيم المخبر عنه وتفخيمه، بأن يذكر أَوّلاً مبهماً، ثم يفسَّر.

تنبيه: قال ابن هشام(٢): متى أمكن الحمل على غير ضمير الشأن، فلا ينبغي أن يُحمل عليه، ومن ثَمَّ ضعّف قول الزمخشريّ في قوله: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]؛ إن اسم (إنَّ) ضمير الشأن، والأَوْلى كونه ضمير الشيطان، ويؤيده قراءة ﴿وَقَبِيلَهُ﴾ [الأعراف: ٢٧] بالنصب، وضمير الشأن لا يُعْطَف عليه.

قاعدة: جمع العاقلات لا يعود عليه الضمير غالباً إلاَّ بصيغة الجمع؛ سواء كان للقلة أو للكثرة، نحو: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. وورد الإفراد في قوله تعالى: ﴿أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥]، ولم يقل: (مطهرات).

وأما غير العاقل: فالغالب في جمع الكثرة الإفرادُ، وفي القلة الجمعُ. وقد اجتمعا في قوله: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ إلى أن قال: ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ فأعاد ﴿مِنْهَا﴾ بصيغة الإفراد على الشهور، وهي للكثرة، ثم قال: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ﴾ [التوبة: ٣٦]، فأعاده جمعاً على ﴿أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾، وهي للقلة.

---

(١) ابنُ هشام ص ٦٣٦.

(٢) في «المغني» ص ٦٣٧.

وذكر الفراء لهذه القاعدة سرًّا لطيفاً؛ وهو: أن المميَّز مع جمع الكثرة ـ وهو ما زاد على العشرة ـ لما كان واحداً وحِّد الضمير، ومع القلة ـ وهو العشرة فما دونها ـ لمَّا كان جمعاً جُمِعَ الضمير.

قاعدة: إذا اجتمع في الضمائر مراعاة اللفظ والمعنى بُدئ باللفظ ثم بالمعنى؛ هذا هو الجادَّة في القرآن، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ﴾، ثم قال: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]؛ أفرد أولاً باعتبار اللفظ، ثم جمع باعتبار المعنى، وكذا: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنعام: ٢٥]، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة: ٤٩].

قال الشيخ علم الدين العراقي: ولم يجئ في القرآن البداءة بالحمل على المعنى إلاّ في موضع واحد، وهو قوله: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٩]، فأنث (خالصاً) حملاً على معنى (ما)، ثمّ راعى اللفظ فذكَّر فقال: ﴿مُحَرَّمٌ﴾ انتهى.

قال ابن الحاجب في «أماليه»: إذا حمل على اللفظ جاز الحمل بعده على المعنى، وإذا حُمِلَ على المعنى ضَعُفَ الحملُ بعده على اللفظ؛ لأن المعنى أقوى، فلا يبعد الرجوع إليه بعد اعتبار اللفظ، ويضعُف بعد اعتبار المعنى القويّ الرجوعُ إلى الأضعف.

وقال ابن جنّي في «**المحتسب**»[1]: لا يجوز مراجعة اللفظ بعد انصرافه عنه إلى المعنى. وأُورد عليه قولُه: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾، ثم قال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا﴾ [الزخرف: ٣٦ ـ ٣٧]، فقد راجع اللفظ بعد الانصراف عنه إلى المعنى.

وقال محمود بن حمزة في كتاب «**العجائب**»: ذهب بعض النَّحويّين إلى أنه لا يجوز الحملُ على اللفظ بعد الحمل على المعنى، وقد جاء في القرآن بخلاف ذلك، وهو قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ [الطلاق: ١١]، قال ابن خالويه في كتابه «**ليس**»: القاعدة في (مَنْ) ونحوه الرجوع من اللفظ إلى المعنى، ومن الواحد إلى الجمع، ومن المذكر إلى المؤنث، نحو: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا﴾ [الأحزاب: ٣١]. ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ١١٢]، أجمع على هذا النحويون.

قال[2]: وليس في كلام العرب ولا في شيء من العربية الرجوعُ من المعنى إلى اللفظ إلاّ في حرف واحد استخرجه ابن مجاهد، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ . . .﴾ [الطلاق: ١١] الآية، وحّد في ﴿يُؤْمِن﴾ و﴿يَعْمَلْ﴾ و﴿يُدْخِلْهُ﴾، ثم جمع في قوله: ﴿خَالِدِينَ﴾، ثم وحد في قوله: ﴿أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ [الطلاق: ١١]، فرجع بعد الجمع إلى التوحيد.

---

(١) «المحتسَب» ٢/ ٢٥٦.

(٢) ابن خالويه في «ليس» ص ٤٠.

قاعدة في التذكير والتأنيث

التأنيث ضربان، حقيقي وغيره:

فالحقيقيّ لا تحذفُ تاءُ التأنيث من فعلِه غالباً؛ إلاَّ إن وقع فصْلٌ، وكلَّما كثر الفصْلُ حسُن الحذف، والإثبات مع الحقيقيّ أَوْلى ما لم يكنْ جمعاً.

وأما غير الحقيقيّ: فالحذفُ فيه مع الفصل أحْسَنُ، نحو: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ [آل عمران: ١٣]. فإن كثر الفصل ازداد حسناً، نحو: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [هود: ٦٧]. والإثبات أيضاً حسن، نحو: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [هود: ٩٤]، فجمع بينهما في سورة هود.

وأشار بعضهم إلى ترجيح الحذف. واستدلّ بأنَّ الله قدمه على الإثبات، حيث جمع بينهما.

ويجوز الحذف أيضاً مع عدم الفصل حيث الإسناد إلى ظاهره، فإنْ كان إلى ضميره امتنع.

وحيث وقع ضميرٌ أو إشارةٌ بين مبتدأ وخبر، أحدهما مذكَّر والآخر مؤنث، جاز في الضمير والإشارة التذكير والتأنيث، كقوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾ [الكهف: ٩٨]، فذُكِّر والخبرُ مؤنث، لتقدّم المبتدأ وهو مذكَّر. وقوله تعالى: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ [القصص: ٣٢]، ذُكِّر والمشار إليه اليد والعصا، وهما مؤنثان لتذكير الخبر، وهو ﴿بُرْهَٰنَانِ﴾.

وكل أسماء الأجناس يجوز فيها التذكير حملاً على الجنس، والتأنيث حملاً على الجماعة، كقوله: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧]، ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠]، ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٧٠] وقرئ: (تشابهت)، ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ [المزمل: ١٨]، ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١].

وجعل منه بعضهم: ﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس: ٢٢]، ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ [الأنبياء: ٨١].

وقد سئل: ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل: ٣٦]، وقوله: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [الأعراف: ٣٠].

وأجيب بأن ذلك لوجهين: لفظيّ، وهو كثرة حروف الفاصل في الثاني، والحذف مع كثرة الحواجز أكثر. ومعنويّ، وهو أن (منْ) في قوله: ﴿مَّنْ حَقَّتْ﴾ راجعة إلى الجماعة، وهي مؤنثة لفظاً، بدليل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾، ثم قال: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل: ٣٦]، أي: من تلك الأمم، ولو قال: (ضلت) لتعيّنت التاء، والكلامان واحد، وإذا كان معناهما واحداً، كان إثبات التاء أحسنَ من تركها؛ لأنها ثابتة فيما هو من معناه. وأمّا ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ الآية، فالفريق يذكَّر، ولوقال: (فريق ضلّوا) لكان بغير تاء. وقوله: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ في معناه، فجاء بغير تاء. وهذا أسلوب لطيف من أساليب العرب: أن يَدَعُوا حُكْمَ اللفظ ـ الواجب في قياس لغتهم ـ إذا كان في مرتبة كلمة لا يجب لها ذلك الحكم.

قاعدة في التعريف والتنكير

اعلم أن لكل منهما مقاماً لا يليق بالآخر:

أما التنكير فله أسباب:

أحدها: إرادة الوحدة، نحو: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ [القصص: ٢٠]، أي: رجل واحد. و﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ [الزمر: ٢٩].

الثاني: إرادة النوع، نحو: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ [ص: ٤٩]، أي: نوع من الذكر، ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ [البقرة: ٧]، أي: نوع غريب من الغشاوة لا يتعارفه الناس، بحيث غطى ما لا يغطيه شيء من الغشاوات. ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [البقرة: ٩٦]، أي: نوع منها، وهو الازدياد في المستقبل، لأن الحرص لا يكون على الماضي ولا على الحاضر.

ويحتمل الوَحدة والنَّوعية معاً قولُهُ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: ٤٥]، أي: كلّ نوع من أنواع الدوابّ من نوع من أنواع الماء، وكل فرد من أفراد الدوابّ من فرد من أفراد النُّطَف.

الثالث: التعظيم، بمعنى أنه أعظم من أن يعين ويعرَّف، نحو: ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ﴾ [البقرة: ٢٧٩] أي: بحرب أيّ حرب. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠]، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ [مريم: ١٥]، ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الصافات: ١٠٩]. ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥].

الرابع: التكثير، نحو: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ [الشعراء: ٤١] أي: وافراً جزيلاً.

ويحتمل التعظيم والتكثير معاً، نحو: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ﴾ [فاطر: ٤]. أي: رسل عظام ذوُو عددٍ كثير.

الخامس: التَّحقير، بمعنى انحطاط شأنه إلى حدٍّ لا يمكن أن يعرَّف، نحو: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ [الجاثية: ٣٢]، أي: ظنًّا حقيراً لا يُعبأُ به، وإلاَّ لاتَّبعوه؛ لأنَّ ذلك دَيْدَنُهم، بدليل: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ﴿مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [عبس: ١٨]، أي: من شيء حقير مهين، ثم بينه بقوله: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ﴾ [عبس: ١٩].

السادس: التقليل نحو: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢]، أي: رضوان قليل منه أكبرُ من الجنَّات، لأنه رأس كلِّ سعادة.

قليلٌ منك يكفيني ولكن ... قليلك لا يقال له قليل[1]

وجعل منه الزمخشري: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾، أي: ليلاً قليلاً؛ أي: بعض ليل.

وأُورد عليه: أن التقليل ردّ الجنس إلى فرد من أفراده، لا تنقيصُ فرد إلى جزء من أجزائه، وأجاب في «**عروس الأفراح**»[2] بأنَّا لا نسلِّم أن الليل حقيقةٌ في جميع الليلة، بل كل جزء من أجزائها يسمى ليلاً.

---

(١) انظر «المغني» ص ١٤٥ و٨٨٤.

(٢) «عروس الأفراح» للشيخ بهاء الدين السبكي ١/ ٢٠٤ تنكير المسند إليه.

وعدّ السكاكيّ من الأسباب: ألاَّ يعرف من حقيقته إلاَّ ذلك، وجعل منه: أن تَقْصد التجاهل، وأنَّك لا تعرف شخصه، كقولك: هل لك في حيوان على صورة إنسان يقول: كذا؟ وعليه من تجاهل الكفار: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ﴾ [سبأ: ٧]، كأنهم لا يعرفونه.

وعدَّ غيره منها قصد العموم، بأن كانت في سياق النفي، نحو: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢]، ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ الآية [البقرة: ١٩٧]، أو الشرط، نحو: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾ [التوبة: ٦]، أو الامتنان، نحو: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨].

وأما التعريف فله أسباب:

فبالإضمار: لأن المقام مقام التكلُّم أو الخطاب أو الغيبة.

وبالعلميَّة: لإحضاره بعينه في ذهن السامع ابتداءً باسم يختصّ به، نحو: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩].

أو لتعظيم أو إهانة، حيث علمه يقتضي ذلك، فمن التعظيم: ذكر يعقوب بلقبه إسرائيل، لما فيه من المدح والتعظيم بكونه صفوة الله، أو سريّ الله، على ما سيأتي في معناه في الألقاب، ومن الإهانة قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾، وفيه أيضاً نكتة أخرى، وهي الكناية عن كونه جهنميًّا.

وبالإشارة: لتمييزه أكمل تمييز بإحضاره في ذهن السامع حسًّا، نحو: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١].

وللتعريض بغباوة السامع: حتى إنه لا يتميز له الشيءُ إلاَّ بإشارة الحسّ، وهذه الآية تصلح لذلك.

ولبيان حاله في القرب والبعد، فيُؤتَى في الأول بنحو: هذا، وفي الثاني بنحو: ذلك وأولئك.

ولقصد تحقيره بالقرب، كقول الكفار: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣٦]، ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١]، ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ [البقرة: ٢٦]، وكقوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

ولقصد تعظيمه بالبعد، نحو: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢]. ذهاباً إلى بُعْد درجته.

وللتنبيه ـ بعد ذكر المشار إليه بأوصاف قبله ـ على أنه جدير بما يرد بعده من أجلها، نحو: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥].

وبالموصولية، لكراهة ذكره بخاصّ اسمه، إما سَتْراً عليه، أو إهانة له أو لغير ذلك، فيؤتَى بالذي ونحوها موصولة بما صَدَر منه من فعل أو قول، نحو: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ [الأحقاف: ١٧]، ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا﴾ [يوسف: ٢٣].

وقد يكون لإرادة العموم، نحو: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ الآية [فصلت: ٣٠]، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ﴾ [غافر: ٦٠].

وللاختصار، نحو: ﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ۚ﴾ [الأحزاب: ٦٩]، أي: قولهم: إنه آدر؛ إذ لو عَدَّد أسماء القائلين لطال؛ وليس للعموم؛ لأن بني إسرائيل كلهم لم يقولوا في حقِّه ذلك.

وبالألف واللام، للإشارة إلى معهود خارجيّ أو ذهنيّ أو حضوريّ.

وللاستغراق حقيقة أو مجازاً، أو لتعريف الماهية؛ وقد مرّت أمثلتها في نوع الأدوات.

وبالإضافة، لكونها أخصر طريق، ولتعظيم المضاف، نحو: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]؛ أي: الأصفياء، في الآيتين، كما قاله ابن عباس وغيره.

ولقصد العموم، نحو: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ [النور: ٦٣]، أي: كل أمر لله تعالى.

فائدة: سُئِلْتُ عن الحكمة في تنكير ﴿أَحَدٌ﴾ وتعريف ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ من قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ① ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾، وألَّفت في جوابه تأليفاً مودعاً في الفتاوى، وحاصله أن في ذلك أجوبة:

أحدها: أنَّه نكَّر للتعظيم، والإشارة إلى أن مدلولَهُ ـ وهو الذات المقدسة ـ غير ممكن تعريفها والإحاطة بها.

الثاني: أنه لا يجوز إدخال (أل) عليه كـ: غير وكل وبعض، وهو فاسد، فقد قرئ شاذًّا: (قل هو الله الأحد. الله الصمد). حكى هذه القراءة أبو حاتم في كتاب «الزينة»[(1)] عن جعفر بن محمد.

الثالث: وهو ممّا خطر لي: أنَّ (هو) مبتدأ و(الله) خبر، وكلاهما معرفة، فاقتضى الحصر، فعُرف الجزآن في ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ لإفادة الحصر، ليطابق الجملة الأولى، واستُغني عن تعريف ﴿أَحَدٌ﴾ فيها لإفادة الحصر دونه، فأتي به على أصله من التنكير، على أنه خبر ثان. وإن جعل الاسم الكريم مبتدأ و(أحد) خبره: ففيه من ضمير الشأن ما فيه من التَّفخيم والتعظيم، فأتي بالجملة الثانية على نحو الأولى، بتعريف الجزأين للحصر تفخيماً وتعظيماً.

قاعدة أخرى تتعلق بالتعريف والتنكير:

إذا ذكر الاسم مرتين، فله أربعةُ أحوال: لأنه إمّا أن يكونا معرفتين، أو نكرتين، أو الأول نكرة والثاني معرفة، أو بالعكس.

فإن كانا معرفتين: فالثاني هو الأول غالباً، دلالةً على المعهود الذي هو الأصل في اللام أو الإضافة، نحو: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ⑥ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُۚ﴾ [الزمر: ٢ ـ ٣]، ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًاۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ﴾ [الصافات: ١٥٨]، ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [غافر: ٩]، ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ㊱ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [غافر: ٣٦ ـ ٣٧].

---

(١) «الزينة» ٢/ ٣٩، الأحد بمعنى الأول، وبمعنى الواحد.

وإن كانا نكرتين: فالثاني غير الأول غالباً، وإلاَّ لكان المناسب هو التعريف بناء على كونه معهوداً سابقاً، نحو: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤]. فإن المراد بالضعف الأول النطفة، وبالثاني الطفولية، وبالثالث الشيخوخة.

وقال ابن الحاجب[1] في قوله تعالى: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ: ١٢]: الفائدة في إعادة لفظ الشهر الإعلام بمقدار زمن الغُدوّ وزمن الرّواح، والألفاظ التي تأتي مبيِّنة للمقادير لا يحسن فيها الإضمار، ولو أُضْمِرَ فالضمير إنما يكون لما تقدَّم باعتبار خصوصيته، فإذا لم يكن له وَجَبَ العدولُ عن المضمر إلى الظاهر.

وقد اجتمع القسمان في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾، فالعسر الثاني هو الأول، واليسر الثاني غير الأول؛ ولهذا قال ﷺ في الآية: «**لَن يغلبَ عُسْرٌ يُسْرين**»[2].

وإن كان الأوَّل نكرة والثاني معرفة: فالثاني هو الأوَّل حملاً على العهد، نحو: ﴿أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المزمل: ١٥ ـ ١٦]، ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ﴾ [النور: ٣٥]، ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٢ ـ ٥٣]، ﴿مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾ [الشورى: ٤١ ـ ٤٢].

وإن كان الأول معرفة والثاني نكرةً: فلا يطلق القول، بل يتوقَّف على القرائن: فتارة تقوم قرينة على التّغاير، نحو: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥]. ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا﴾ [النساء: ١٥٣]. ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ۝ هُدًى﴾ [غافر: ٥٣ ـ ٥٤]. قال الزمخشري: المراد جميع ما آتاه من الدين والمعجزات والشرائع، و﴿هُدًى﴾: إرشاداً. وتارة تقوم قرينة على الاتحاد، نحو: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الزمر: ٢٧ ـ ٢٨].

تنبيه: قال الشيخ بهاء الدين في «**عروس الأفراح**»[3] وغيره: إن الظاهر أن هذه القاعدة غير محرَّرة، فإنها منتقضة بآيات كثيرة:

منها في القسم الأول: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]: فإنّهما معرفتان والثاني غير الأول، فإن الأول العملُ والثانيَ الثوابُ، ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥]، أي: القاتلة بالمقتولة، وكذا سائر الآية: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ﴾ الآية [البقرة: ١٧٨]، ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ ثم

---

(١) في «أماليه» ١/ ٢٧٢ إملاء ١٢٣ سورة سبأ: ١٢.

(٢) قال الحافظ ابن حجر: روي هذا مرفوعاً موصولاً ومرسلاً، وروي أيضاً موقوفاً، أما المرفوع فأخرجه ابن مردويه من حديث جابر، وسعيد بن منصور وعبد الرزاق من حديث ابن مسعود بإسناد ضعيف.
وأخرجه عبد بن حُميد بإسناد جيد. وأما الموقوف فأخرجه مالك عن زيد بن أسلم... «فتح الباري» ٩/ ٦١٧ كتاب التفسير، سورة ألم نشرح لك.
قلت: رواه مالك في الجهاد، باب الترغيب في الجهاد موقوفاً على عمر بن الخطاب، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٥٢٨، وقال الذهبي: مرسل.

(٣) «عروس الأفراح» ١/ ٢٠٩، تنكير المسند إليه.

قال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان: ١ ـ ٢]. فإنَّ الأوّل آدم والثاني ولده، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [العنكبوت: ٤٧] فإنَّ الأول القرآن، والثاني التوراةُ والإنجيل.

ومنها في القسم الثاني: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧]. فإن الثاني فيهما هو الأول، وهما نكرتان.

ومنها في القسم الثالث: ﴿أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]، ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود: ٣]، ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢]، ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النحل: ٨٨]، ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ﴾ [يونس: ٣٦]. فإن الثاني فيها غير الأول.

وأقول: لا انتقاضَ بشيءٍ من ذلك عند التأمُّل؛ فإنَّ اللام في الإحسان للجنس فيما يظهر، وحينئذ يكون في المعنى كالنَّكرة.

وكذا آية النَّفس والحرّ بخلاف آية العسر؛ فإن (أل) فيها إما للعهد أو للاستغراق كما يفيده الحديث.

وكذا آية الظَّن، لا نسلِّم فيها أن الثاني فيها غير الأول، بل هو عينه قطعاً؛ إذ ليس كلُّ ظن مذموماً، كيف وأحكام الشريعة ظنِّية؟

وكذا آية الصلح، لا مانع من أن يكون المراد منها الصلح المذكور، وهو الذي بين الزَّوجين، واستحباب الصلح في سائر الأمور مأخوذ من السنَّة ومن الآية بطريق القياس، بل لا يجوز القول بعموم الآية، وأَنَّ كل صلح خير؛ لأن ما أحلَّ حراماً من الصلح أو حرَّم حلالاً فهو ممنوع.

وكذا آية القتال: ليس الثاني فيها عين الأول بلا شك؛ لأن المراد بالأول المسؤول عنه القتالُ الذي وقع في سرية ابن الحضرمي سنة اثنتين من الهجرة، لأنه سبب نزول الآية، والمراد بالثاني جنس القتال لا ذاك بعينه.

وأما آية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤] فقد أجاب عنها الطِّيبيّ: أنها من باب التكرير، لإفادة أمر زائد، بدليل تكرير ذكر الرب فيما قبله من قوله: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزخرف: ٨٢]. ووجهه الإطناب في تنزيهه تعالى عن نسبة الولد إليه، وشرط القاعدة ألاَّ يقصد التكرير.

وقد ذكر الشيخ بهاء الدين في آخر كلامه: إن المراد بذكر الاسم مرتين كونه مذكوراً في كلام واحد أو كلامين بينهما تواصل، بأن يكون أحدُهما معطوفاً على الآخر، وله به تعلّق ظاهر وتناسب واضح، وأن يكونا من متكلِّم واحد، ودفع بذلك إيراد آية القتال؛ لأنَّ الأول فيها محكيّ عن قول السائل، والثاني محكيٌّ من كلام النبي ﷺ.

قاعدة في الإفراد والجمع:

من ذلك (السماء والأرض) حيث وقع في القرآن ذكر الأرض فإنها مفردة، ولم تجمع بخلاف السموات ـ لثقل جمعها وهو أرضون؛ ولهذا لما أريد ذكْرُ جميع الأرضين قال: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]. وأما السماء: فذكرت تارة بصيغة الجمع، وتارة بصيغة الإفراد، لنُكَتٍ تليق بذلك المحل، كما أوضحته في «**أسرار التنزيل**»، والحاصل: أنه حيث أريد العدد أُتِيَ بصيغة الجمع الدَّالة على سعة العظمة والكثرة، نحو: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الصف: ١]، أي: جميع سكانها على كثرتهم، ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الجمعة: ١]، أي: كلّ واحد على اختلاف عددها. ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، إذ المراد نفي علم الغيب عن كلّ من هو في واحدة من السموات.

وحيث أريد الجهة أُتِيَ بصيغة الإفراد، نحو: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ [الذاريات: ٢٢]، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦]، أي: من فوقكم.

ومن ذلك (الريح) ذكرت مجموعة ومفردة، فحيث ذكرت في سياق الرحمة جمعت، أو في سياق العذاب أفردت.

أخرج ابن أبي حاتم وغيره عن أُبي بن كعب قال: كلّ شيء في القرآن من الرياح فهو رحمة، وكلّ شيء فيه من الريح فهو عذاب، ولهذا ورد في الحديث: «**اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً**» [الطبراني في «الكبير»: ١١٥٣٣]. وذكر في حكمة ذلك: أن رياح الرحمة مختلفة الصفات والمهبَّات والمنافع، وإذا هاجت منها ريح أثير لها من مقابلها ما يكسر سوْرتها، فينشأ من بينهما ريح لطيفة تنفع الحيوان والنبات؛ فكانت في الرحمة رياحاً، وأما في العذاب فإنها تأتي من وجه واحدٍ ولا معارض له ولا دافع.

وقد خرج عن هذه القاعدة قوله تعالى في سورة يونس: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢] وذلك لوجهين:

لفظيّ، وهو المقابلة في قوله: ﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾، ورُبَّ شيء يجوز في المقابلة، ولا يجوز استقلالاً، نحو: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤].

ومعنوي، وهو أن تمام الرحمة هناك إنما تحصل بوحدة الريح لا باختلافها، فإنَّ السفينة لا تسير إلاّ بريح واحدة من وجه واحد، فإن اختلفت عليها الرياح كان سبب الهلاك، والمطلوب هنا ريح واحدة، ولهذا أكّد هذا المعنى بوصفها بالطيب. وعلى ذلك أيضاً جرى قوله: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ﴾ [الشورى: ٣٣].

وقال ابن المُنَيِّر[1]: إنه على القاعدة؛ لأن سكون الريح عذاب وشدَّة على أصحاب السفن.

ومن ذلك (إفراد النور وجمع الظلمات) و(إفراد سبيل الحق وجمع سبل الباطل) في قوله تعالى:

---

(١) ابن المنيّر: أحمد بن محمد، من علماء الإسكندرية وأدبائها (ت: ٦٨٣ هـ). «فوات الوفيات» ١/ ٧٢.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]؛ لأن طريق الحقّ واحدة، وطريقَ الباطل متشعّبة متعدِّدة، والظلمات بمنزلة طرق الباطل، والنور بمنزلة طريق الحق، بل هُمَا هُمَا.

ولهذا وحَّد وليّ المؤمنين، وجمع أولياء الكفار؛ لتعدُّدهم في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

ومن ذلك (إفراد النار) حيث وقعت، و(الجنة) وقعت مجموعة ومفردة، لأن الجنان مختلفة الأنواع، فحسن جمعها، والنار مادة واحدة، ولأنَّ الجنَّة رحمة، والنار عذاب، فناسب جمعُ الأولى وإفراد الثانية، على حدّ الرياح والريح.

ومن ذلك (إفراد السمع، وجمع البَصر)؛ لأن السمع غلب عليه المصدريَّة فأُفرِد، بخلاف البصر: فإنه اشتهر في الجارحة؛ ولأنَّ متعلّق السمع الأصواتُ وهي حقيقةٌ واحدة، ومتعلّق البصر الألوانُ والأكوان وهي حقائقُ مختلفة، فأشار في كل منهما إلى متعلقه[1].

ومن ذلك (إفراد الصديق وجمع الشافعين) في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠٠ ـ ١٠١]. وحكمته كثرةُ الشفعاء في العادة، وقلَّة الصديق. قال الزمخشري: ألا ترى أن الرجل إذا امتُحن بإرهاق ظالم، نهضت جماعة وافرة من أهل بلده لشفاعته رحمةً، وإنْ لم يسبق له بأكثرهم معرفة، وأما الصديق: فأعزّ من بيض الأنوق[2].

ومن ذلك: (الألباب) لم يقع إلاَّ مجموعاً، لأن مفرده ثقيل لفظاً.

ومن ذلك مجيء (المشرق والمغرب) بالإفراد والتثنية والجمع، فحيث أُفردا فاعتباراً للجهة، وحيث ثُنِّيا فاعتباراً لمشرق الصيف والشتاء ومغربهما، وحيث جُمعا فاعتباراً لتعدُّد المطالع في كلّ فصل من فصلَي السنة.

وأما وجه اختصاص كلّ موضع بما وقع فيه: ففي سورة الرحمن وقع بالتثنية، لأنَّ سياق السورة سياق المزدوجين، فإنه سبحانه وتعالى ذكر أوّلاً نوعَي الإيجاد وهما الخلق والتعليم. ثم ذكر سراجَي العالم: الشمس والقمر، ثم نوعَي النبات: ما كان على ساق وما لا ساق له، وهما النجم والشجر، ثم نوعَي السماء والأرض، ثم نوعَي العدل والظلم، ثم نَوعَي الخارج من الأرض وهما: الحبوب والرياحين، ثم نوعَي المكلّفين وهما: الإنس والجان، ثم نوعَي المشرق والمغرب، ثم نوعَي البحر الملح والعذب. فلهذا حسُن تثنية المشرق والمغرب في هذه السورة، وجمعا في قوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾ [المعارج: ٤٠]، وفي سورة الصافات للدلالة على سعة القدرة والعظمة.

---

(١) وقد سمعتُ من بعض شيوخنا تبسيطاً لهذا الكلام، قال: أفرَدَ السمعَ؛ لأن الإنسان لا يستطيع أن يسمع في وقتٍ واحد إلا شيئاً واحداً، وجَمَعَ الأبصارَ؛ لأنه يمكنه أن يُبصر أشياءَ كثيرةً في الوقت نفسه. فسبحان الخلاَّق العليم.

(٢) الأَنُوق كصَبُور: العُقاب، أو طائر أسودُ له كالعُرْف، أو أسودُ أصلعُ الرأس أصفرُ المنقار، و«هو أعزُّ من بَيْض الأَنُوق، لأنها تُحرِزُه فلا يكاد يُظفَر به؛ لأن أوكارها في القُلَل الصعبة». «القاموس المحيط»: أَنَق.

فائدة: حيث ورد (البارّ) مجموعاً في صفة الآدميين قيل: (أبرار). وفي صفة الملائكة قيل: (بررة). ذكره الراغب، **ووجهه**: بأن الثاني أبلغ؛ لأنه جمع بارّ، وهو أبلغ من (برّ) مفرد الأوَّل.

وحيث ورد (الأخ) مجموعاً في النسب قيل: (إخوة)، وفي الصداقة قيل: (إخوان). قاله ابن فارس وغيرُه. وأُورِدَ عليه في الصداقة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وفي النسب: ﴿أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، ﴿أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ﴾ [النور: ٦١].

فائدة: أَلَّف أبو الحسن الأخفش كتاباً في «**الإفراد والجمع**»، ذكر فيه جَمْعَ ما وقع في القرآن مفرداً، ومفردَ ما وقع جمعاً، وأكثره من الواضحات، وهذه أمثلة من خَفِيّ ذلك.

(المنّ) لا واحد له. **(السلوى)** لم يُسمع له بواحد. **(النصارى)** قيل: جمع نصرانيّ، وقيل: جمع نصير، كنَدِيم وقَبيل. **(العَوَان)** جمعه عُون. **(الهُدى)** لا واحد له. **(الإعصار)**: جمعه أعاصير. **(الأنصار)** واحده نصير، كشريف وأشراف. **(الأزلام)** واحدها زَلَم، ويقال: زُلَم بالضم. **(مدراراً)** جمع مدارير. **(أساطير)** واحده أسطورة، وقيل: أسطار، جمع سَطْر. **(الصُّور)** جمع صُورة، وقيل: واحد الأصوار. **(فرادى)** جمع أفراد، جمع فرد.

(قِنْوان) جمع قِنْو، و**(صنوان)** جمع صِنْو؛ وليس في اللغة جمع ومثنى بصيغة واحدة إلاَّ هذان، ولفظ ثالث لم يقع في القرآن، قاله ابن خالويه في كتاب «**ليس**»(١).

(الحوايا) جمع حاوية، وقيل: حاوياء. **(نُشُراً)** جمع نَشُور. ﴿عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١]. و**(عزين)** [المعارج: ٣٧]. جمع عِضة وعِزة. ﴿ٱلْمَثَانِى﴾ [الحجر: ٨٧] جمع مَثْنى. ﴿تَارَةً﴾ [الإسراء: ٦٩]. جمعها تارات وتِيَر. ﴿أَيْقَاظًا﴾ [الكهف: ١٨]. جمع يَقِظ. ﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾ جمع أريكة. **(سريّ)** جمع سِريان، كخصيّ وخِصيان. ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ جمع إنى ـ بالقصر ـ كمِعًى، وقيل: إنْي كقِرْد، وقيل: إنوة كفِرْقة. **(الصياصي)** جمع صَيْصِيَة. (منسأة) جمعها مناسِئ. ﴿ٱلْحَرُورُ﴾ [فاطر: ٢١] جمع حُرور؛ بالضم. ﴿وَغَرَابِيبُ﴾ [فاطر: ٢٧] جمع غِرْبيب. ﴿أَتْرَابٌ﴾ [ص: ٥٢] جمع تِرْب. **(الآلاء)** جمع إلًى كمِعًى، وقيل: أَلَى كقفَى، وقيل: إلْي كقِرْد، وقيل: أَلْو. ﴿ٱلتَّرَاقِىَ﴾ [القيامة: ٢٦] جمع ترقوة، بفتح أوله. **(الأمشاج)** جمع مشيج. ﴿أَلْفَافًا﴾ [النبأ: ١٦] جمع لفّ، بالكسر. ﴿ٱلْعِشَارُ﴾ [التكوير: ٤] جمع عُشَرٍ. ﴿بِٱلْخُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥] جمع خانسة، وكذا ﴿ٱلْكُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٦]. ﴿ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٨] جمع زِبْنية، وقيل: زابن، وقيل: زباني. ﴿أَشْتَاتًا﴾ [النور: ٦١، الزلزلة: ٦] جمع شَتّ وشَتيت. ﴿أَبَابِيلَ﴾ [الفيل: ٣] لا واحد له، وقيل: واحدُه إبّول مثل عِجّول، وقيل: إبّيل مثل إكليل.

فائدة: ليس في القرآن من الألفاظ المعدولة إلاَّ ألفاظ العدد: ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: ٣، فاطر: ١]، ومن غيرها ﴿طُوًى﴾ [طه: ١٢] فيما ذكره الأخفش في الكتاب المذكور، ومن الصفات: ﴿أُخَرَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧].

(١) «ليس» ص ٦٦، وتمام كلامه: لا فرق بين التثنية والجمع إلاَّ ضمة وكسرة في الدَّرْج، فإذا وقفتَ استويا.

قال الراغب[١] وغيره: هي معدولة عن تقدير ما فيه الألف واللام، وليس له نظير في كلامهم، فإن (أفعل) إما أن يذكر معه (مِنْ) لفظاً أو تقديراً، فلا يثنَّى ولا يُجمع ولا يؤنَّث، وتحذف منه (مِنْ)، فتدخل عليه الألف واللام، ويثنى ويجمع، وهذه اللفظة من بين أخواتها جُوِّز فيها ذلك من غير الألف واللام.

وقال الكَرْماني[٢] في الآية المذكورة: لا يمتنع كونها معدولة عن الألف واللام مع كونها وصفاً لنكرة؛ لأن ذلك مقدَّر من وجه، غير مقدَّر من وجه.

قاعدة: مقابلة الجمع بالجمع تارة تقتضي مقابلة كل فرد من هذا بكل فرد من هذا، كقوله:

﴿وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ﴾ [نوح: ٧]، أي: استغشى كلٌّ منهم ثوبَه.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]، أي: على كل من المخاطبين أُمُّه.

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ﴾ [النساء: ١١]، أي: كلاً في أولاده.

﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، أي: كلّ واحدة ترضع ولدها.

وتارة يقتضي ثبوت الجمع لكل فرد من أفراد المحكوم عليه، نحو: ﴿فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَـٰنِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: ٤]، وجعل منه الشيخ عز الدين: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥].

وتارة يحتمل الأمرين، فيحتاج إلى دليل يعيّن أحدَهما.

وأمَّا مقابلة الجمع بالمفرد: فالغالب ألاَّ يقتضي تعميم المفرد، وقد يقتضيه، كما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]. المعنى: على كلّ واحد لكل يوم طعام مسكين، ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَـٰنِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: ٤]، لأن على كلٍّ واحد منهم ذلك.

قاعدة في الألفاظ التي يُظن بها الترادف، وليست منه:

من ذلك (**الخوف والخشية**) لا يكاد اللُّغوي يفرِّق بينهما، ولا شكَّ أَنَّ الخشيةَ أَعْلَى منه، وهي أشدُّ الخوف؛ فإنها مأخوذة من قولهم: شجرة خشيّة؛ أي: يابسة، وهو فَواتٌ بالكليَّة. والخوف من ناقة خوفاء؛ أي: بها داء، وهو نَقْص، وليس بفوات؛ ولذلك خصّت الخشية بالله في قوله تعالى: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١].

وفُرِّق بينهما أيضاً بأن الخشية تكون من عِظم المختشَى، وإن كان الخاشي قويًّا، والخوف يكون من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمراً يسيراً. ويدلُّ لذلك أن الخاء والشين والياء في تقاليبها تدلُّ على العظمة، نحو شيخ للسيد الكبير، وخيش لما غلظ من اللباس، ولذا وردت الخشية غالباً في حق الله تعالى نحو: ﴿مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤]، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]. وأما: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، ففيه نكتة لطيفة؛ فإنه في وصف الملائكة، ولما ذكر

---

(١) في «مفرداته» مادة: أخر.

(٢) في «عجائبه» ١/ ٢٤١ آل عمران: ٧.

قوّتهم وشدَّةَ خلقهم عبّر عنهم بالخوف، لبيان أنهم وإن كانوا غلاظاً شداداً فهم بين يديه تعالى ضعفاءُ، ثم أردفه بالفوقيّة الدالة على العظمة، فجمع بين الأمرين، ولمَّا كان ضعف البشر معلوماً لم يحتج إلى التنبيه عليه.

ومن ذلك «**الشُّحُّ والبخل**» والشح هو أشدُّ البخل. قال الراغب(١): الشحُّ بُخلٌ مع حِرص.

وفرَّق العسكري(٢) بين (**البخل**) و(**الضن**) بأن الضنَّ أصله أن يكون بالعواري، والبخل بالهبات؛ ولهذا يقال: هو ضنين بعلمه ولا يقال: بخيل؛ لأن العلم بالعاريّة أشبه منه بالهبة، لأن الواهب إذا وهب شيئاً خرج عن ملكه؛ بخلاف العارية، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤]، ولم يقل: ببخيل.

ومن ذلك (**السبيل والطريق**) والأوّل أغلب وقوعاً في الخير، ولا يكاد اسم الطريق يراد به الخير إلاَّ مقروناً بوصف أو إضافة تخلِّصه لذلك، كقوله: ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣٠]. وقال الراغب(٣): السَّبيل الطريقُ التي فيها سهولة، فهو أخصّ.

ومن ذلك (**جاء وأتى**) فالأول يقال في الجواهر والأعيان، والثاني في المعاني والأزمان، ولهذا ورد (جاء) في قوله: ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ [يوسف: ٧٢]، ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨]. ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٣]. و(أتى) في: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١]، ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾ [يونس: ٢٤].

وأما ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، أي: أمرُه، فإن المراد به أهوال القيامة المشاهَدة، وكذا: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ [الأعراف: ٣٤]؛ لأن الأجل كالمشاهد، ولهذا عُبِّر عنه بالحضور في قوله: ﴿حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [البقرة: ١٨٠]. ولهذا فرّق بينهما في قوله: ﴿جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر: ٦٣ ـ ٦٤]، لأن الأول العذاب وهو مشاهد مرئيّ، بخلاف الحق.

وقال الراغب(٤): الإتيان مجيء بسهولة، فهو أخصّ من مطلق المجيء، قال: ومنه قيل للسائل المارّ على وجهه: أتيّ وأتاويّ.

ومن ذلك (**مد وأمدّ**) قال الراغب(٥): أكثر ما جاء الإمداد في المحبوب، نحو: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ﴾ [الطور: ٢٢]. والمدّ في المكروه، نحو: ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٩].

ومن ذلك (**سقى وأسقى**) فالأول لما لا كُلْفَة فيه، ولهذا ذُكر في شراب الجنَّة، نحو: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا﴾ [الإنسان: ٢١]. والثاني لما فيه كُلْفَة، ولهذا ذُكر في ماء الدنيا، نحو: ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦].

---

(١) في «المفردات» مادة: شَحَحَ.

(٢) العسكري: الحسن بن عبد الله، أبو أحمد، فقيه، أديب، انتهت إليه رئاسة التحديث والإملاء والتدريس في بلاد خوزستان في عصره (ت: ٣٨٢ هـ). «خزانة الأدب» ١/ ٩٧، و«إنباه الرواة» ١/ ٣١٠، و«وفيات الأعيان» ١/ ١٣٢.

(٣) في «مفرداته» مادة: سبل.

(٤) في «مفرداته» مادة: أتي.

(٥) في «مفرداته» مادة: مَدد.

وقال الراغب[1]: الإسقاءُ أبلغُ من السقي؛ لأن الإسقاءَ أن يُجعَلَ له ما يُسقى منه ويشرَب، والسقي أن يعطيه ما يشرب.

ومن ذلك (**عمل وفعل**) فالأول لما كان مع امتداد زمان، نحو: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ﴾ [سبأ: ١٣]، ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٧١]، لأن خلق الأنعام والثمار والزروع بامتداد. والثاني بخلافه، نحو: ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ [الفيل: ١]، ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [الفجر: ٦]، ﴿كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٤٥]؛ لأنها إهلاكات وقعت من غير بطء، ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠]. أي: في طرفة عين.

ولهذا عبَّر بالأوَّل في قوله: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥]؛ حيث كان المقصود المثابرة عليها لا الإتيان بها مرة أو بسرعة، وبالثاني في قوله: ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾ [الحج: ٧٧]؛ حيث كان بمعنى سارعوا، ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٤]. حيث كان القصد يأتون بها على سرعةٍ من غير توانٍ.

ومن ذلك (**القعود والجلوس**) فالأول لما فيه لُبث، بخلاف الثاني. ولهذا يقال: قواعد البيت ولا يقال: جوالسه، للزومها ولُبثها، ويقال: جليس الملك، ولا يقال: قعيده؛ لأن مجالس الملوك يستحب فيها التخفيف.

ولهذا استعملَ الأول في قوله: ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر: ٥٥]، للإشارة إلى أنّه لا زوالَ له، بخلاف: ﴿تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ﴾ [المجادلة: ١١]؛ لأنّه يُجلس فيه زماناً يسيراً.

ومن ذلك (**التمام والكمال**) وقد اجتمعا في قوله: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [المائدة: ٣]. فقيل: الإتمام لإزالة نقصان الأصل، والإكمال لإزالة نقصان العوارض بعد تمام الأصل، ولهذا كان قوله: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦] أحسن من (تامة)؛ فإن التمام من العدد قد عُلِم، وإنما نفي احتمال نقص في صفاتها.

وقيل: (تمّ) يُشعر بحصول نقص قبله، و(كَمَلَ) لا يشعر بذلك.

وقال العسكري: الكمال اسم لاجتماع أبعاض الموصوف به، والتَّمام اسم للجزء الذي يتمّ به الموصوف، ولهذا يقال: القافية تمام البيت، ولا يقال: كماله، ويقولون: البيت بكماله؛ أي: باجتماعه.

ومن ذلك (**الإعطاء والإيتاء**) قال الخوييُّ: لا يكاد اللغويون يفرِّقون بينهما؛ وظهر لي بينهما فرق ينبئ عن بلاغة كتاب الله، وهو: أنَّ الإيتاء أقوى من الإعطاء في إثبات مفعوله؛ لأن الإعطاء له مطاوع، تقول: أعطاني فعطوتُ، ولا يقال في الإيتاء: آتاني فأتيت، وإنما يقال: آتاني فأخذت. والفعل الذي له مطاوع أضعفُ في إثبات مفعوله من الفعل الذي لا مطاوع له؛ لأنك تقول: قطعته

(١) في «مفرداته» مادة: سقي.

فانقطع، فيدلُّ على أن فعل الفاعل كان موقوفاً على قبول في المحلّ، لولاه ما ثبت المفعول، ولهذا يصحُّ: قطعته فما انقطع، ولا يصحُّ فيما لا مطاوع له ذلك، فلا يجوز: ضربته فانضرب، أو فما انضرب، ولا: قتلته فانقتل، ولا فما انقتل، لأن هذه أفعال إذا صَدَرَتْ من الفاعل ثبت لها المفعول في المحلّ، والفاعل مستقلّ بالأفعال التي لا مطاوع لها، فالإيتاء أقوى من الإعطاء.

قال: وقد تفكَّرت في مواضع من القرآن فوجدت ذلك مراعًى، قال تعالى: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]؛ لأن الملك شيء عظيم لا يعطاه إلاَّ من له قوّة، وكذا: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، ﴿ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ [الحجر: ٨٧]، لعظم القرآن وشأنه.

وقال: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾: لأنّه مورود في الموقف مرتَحلٌ عنه، قريب إلى منازل العزّ في الجنَّة، فعبَّر فيه بالإعطاء، لأنه يُترك عن قرب وينتقل إلى ما هو أعظم منه.

وكذا: ﴿يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥]، لما فيه من تكرير الإعطاء والزيادة إلى أن يرضى كلَّ الرِّضا؛ وهو مفسر أيضاً بالشفاعة، وهي نظير الكوثر في الانتقال بعد قضاء الحاجة منه.

وكذا: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ [طه: ٥٠]، لتكرّر حدوث ذلك باعتبار الموجودات.

﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ﴾ [التوبة: ٢٩]؛ لأنها موقوفة على قبولٍ منَّا، وإنما يعطونها عن كُرْهٍ.

فائدة: قال الراغب[١]: خصّ دفع الصَّدقة في القرآن بالإيتاء، نحو: ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٢٧٧]، ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

قال: وكلّ موضع ذكر في وصف الكتاب (آتينا) فهو أبلغ من كل موضع ذكر فيه (أوتوا)؛ لأن (أوتوا) قد يقال إذا أُوتِيَ من لم يكن منه قبول، (وآتيناهم) يقال فيمن كان منه قبول.

ومن ذلك (**السَّنة والعام**) قال الراغب[٢]: الغالب استعمال السنة في الحَوْل الذي فيه الشِّدَّة والجدب، ولهذا يعبَّر عن الجدب بالسَّنة. والعام ما فيه الرَّخاء والخِصْب، وبهذا تظهر النكتة في قوله: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤]؛ حيث عبَّر عن المستثنى بالعام وعن المستثنى منه بالسَّنة.

قاعدة في السؤال والجواب:

الأصل في الجواب أن يكون مطابقاً للسؤال، إذا كان السؤال متوجّهاً، وقد يُعْدَل في الجواب عما يقتضيه السؤال، تنبيهاً على أنّه كان من حقّ السؤال أن يكون كذلك. ويسمِّيه السكاكي: الأسلوبَ الحكيم.

وقد يجيء الجواب أعمَّ من السؤال للحاجة إليه في السؤال، وقد يجيء أنقصَ لاقتضاء الحال ذلك.

مثال ما عدل عنه: قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩]،

---

(١) في «مفرداته» مادة: أتي.

(٢) في «مفرداته» مادة: سنه.

سألوا عن الهلال: لِمَ يبدو دقيقاً مثل الخيط ثم يتزايد قليلاً قليلاً حتى يمتلئ، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ؟ فأجيبوا ببيان حكمة ذلك؛ تنبيهاً على أنَّ الأهمَّ السؤالُ عن ذلك لا ما سألوا عنه. كذا قال السَّكّاكيّ ومتابعوه. واسترسل التفتازانيّ في الكلام إلى أن قال: لأنهم ليسوا ممَّن يطّلع على دقائق الهيئة بسهولة.

وأقول: ليت شعري، من أين لهم أنَّ السؤال وقَع عن غير ما حصل الجواب به! وما المانع من أن يكون إنَّما وقع عن حكمة ذلك ليعلموها، فإنَّ نظمَ الآية محتمل لذلك، كما أنه محتمل لما قالوه. والجواب ببيان الحكمة دليلٌ على ترجيح الاحتمال الذي قلناه، وقرينةٌ ترشِد إلى ذلك؛ إذ الأصل في الجواب المطابقة للسؤال، والخروج عن الأصل يحتاج إلى دليل، ولم يرد بإسنادٍ لا صحيح ولا غيره أن السؤال وقع على ما ذكروه؛ بل ورد ما يؤيد ما قلناه، فأخرج ابن جرير عن أبي العالية قال: بلغنا أنهم قالوا: يا رسول الله، لِمَ خُلِقَتِ الأهلَّة؟[1] فأنزل الله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾. فهذا صريح في أنهم سألوا عن حكمة ذلك، لا عن كيفيته من جهة الهيئة. ولا يظن ذو دين بالصحابة الذين هم أدقّ فهماً، وأغزر علماً أنهم ليسوا ممن يطّلع على دقائق الهيئة بسهولة، وقد اطلع عليها آحادُ العجم الذين أطبق الناس على أنهم أبلد أذهاناً من العرب بكثير، هذا لو كان للهيئة أصل معتبر، فكيف وأكثرها فاسد لا دليل عليه؟ وقد صنَّفت كتاباً في نقض أكثر مسائلها بالأدلة الثابتة عن رسول الله ﷺ الذي صعد إلى السماء، ورآها عياناً، وعلم ما حَوتْه من عجائب الملكوت بالمشاهدة، وأتاه الوحي من خالقها. ولو كان السؤال وقع عمّا ذكروه لم يمتنع أن يجابوا عنه بلفظٍ يصل إلى أفهامهم؛ كما وقع ذلك لمّا سألوا عن المجرَّة وغيرها من الملكوتيات.

نعم المثال الصحيح لهذا القسم جواب موسى لفرعون حيث قال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ [الشعراء: ٢٣ - ٢٤]. لأنَّ (ما) سؤالٌ عن الماهية والجنس؛ ولما كان هذا السؤال في حق البارئ سبحانه وتعالى خطأً، لأنه لا جنس له فيذكر، ولا تدرك ذاته، عَدَل إلى الجواب بالصواب، ببيان الوصف المرشِد إلى معرفته، ولهذا تعجَّب فرعون من عدم مطابقته للسؤال، فقال لمن حوله: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٥]، أي: جوابه الذي لم يطابق السؤال، فأجاب موسى بقوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦] المتضمن إبطال ما يعتقدونه من ربوبية فرعون نصًّا، وإن كان دخل في الأول ضمناً، إغلاظاً، فزاد فرعون في الاستهزاء، فلما رآهم موسى لم يتفطنوا، أغلظ في الثالث بقوله: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٨].

ومثال الزيادة في الجواب: قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾ [الأنعام: ٦٤]. في جواب: ﴿مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٦٣].

وقول موسى: ﴿هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى﴾ [طه: ١٨] في جواب: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ١٧]، زاد في الجواب استلذاذاً بخطاب الله تعالى.

---

(١) في «تفسيره» ٢/ ١٨٥ سورة البقرة: ١٨٩، وفيه: لمَ جُعلتْ هذه الأهلة؟

وقول قوم إبراهيم: ﴿نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ [الشعراء: ٧١] في جواب: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء: ٧٠] زادوا في الجواب، إظهاراً للابتهاج بعبادتها والاستمرار على مواظبتها، ليزداد غيظ السائل.

ومثال النقص منه: قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ﴾ [يونس: ١٥] في جواب: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾، أجاب عن التبديل دون الاختراع. قال الزمخشري: لأنَّ التبديل في إمكان البشر دون الاختراع. فطوى ذكره للتنبيه على أنه سؤال محال.

وقال غيره: التَّبديل أسهل من الاختراع، وقد نفى إمكانَه، فالاختراع أَوْلى.

تنبيه: قد يُعْدَل عن الجواب أصلاً؛ إذا كان السائل قصده التعنُّت، نحو: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥]. قال صاحب «**الإفصاح**»[1]: إنما سأل اليهود تعجيزاً وتغليظاً، إذْ كان الروح يقال بالاشتراك على روح الإنسان والقرآن وعيسى وجبريل ومَلَكٍ آخر وصنف من الملائكة، فقصد اليهود أن يسألوه، فبأيِّ مسمًّى أجابهم قالوا: ليس هو، فجاءهم الجواب مجملاً، وكان هذا الإجمال كيداً يردُّ به كيدهم.

قاعدة: قيل: أصل الجواب أن يعاد فيه نفس السؤال، ليكون وَفْقَه، نحو: ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ﴾ [يوسف: ٩٠]. فـ﴿أَنَا۠﴾ في جوابه هو (أنت) في سؤالهم. وكذا: ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا﴾ [آل عمران: ٨١]، فهذا أصله، ثم إنهم أتوا عِوَض ذلك بحروف الجواب، اختصاراً وتركاً للتَّكرار.

وقد يُحْذَف السؤال ثقةً بفهم السامع بتقديره، نحو: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [يونس: ٣٤]. فإنه لا يستقيم أن يكون السؤال والجواب من واحدٍ، فتعيّن أن يكون ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ جواب سؤال، كأنهم سألوا لمّا سمعوا ذلك، فمن يبدأ الخلق ثم يعيده؟

قاعدة: الأصل في الجواب أن يكون مشاكلاً للسؤال، فإن كان جملة اسمية فينبغي أن يكون الجواب كذلك. ويجيء كذلك في الجواب المقدَّر، إلاَّ أنَّ ابن مالك قال في قولك: زيد، في جواب مَنْ قرأ؟ إنه من باب حذف الفعل، على جعل الجواب جملة فعلية. قال: وإنَّما قدرته كذلك ـ لا مبتدأ ـ مع احتماله. جرياً على عادتهم في الأجوبة إذا قصدوا تمامها. قال تعالى: ﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ﴾ [يس: ٧٨ ـ ٧٩]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة: ٤]. فلمَّا أتى بالفعلية مع فوات مشاكلة السؤال، عُلِم أن تقدير الفعْل أَوَّلاً أولى. انتهى.

قال ابن الزَّملكانيّ في «**البرهان**»: أطلق النحويُّون القول بأن (زيد) في جواب: من قام؟ فاعل، على تقدير: قام زيد، والذي تُوجبه صناعة علم البيان: أنه مبتدأ، لوجهين:

أحدهما: أنه يطابق الجملة المسؤول بها في الاسمية، كما وقع التطابُق في قوله: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ

---

(١) «الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب» لأبي نصر الحسن بن أسد الفارقي (ت: ٤٨٧ هـ).

﴿ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ﴾ [النحل: ٣٠] في الفعلية. وإنما لم يقع التطابق في قوله: ﴿مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [النحل: ٢٤]؛ لأنهم لو طابقوا لكانوا مقرِّين بالإنزال؛ وهم من الإذعان به على مفاوز.

الثاني: أن اللَّبس لم يقع عند السائل إلاَّ فيمن فعل الفعل، فوجب أن يتقدَّم الفاعل في المعنى؛ لأنه متعلَّق غرض السائل، وأما الفعل فمعلوم عنده، ولا حاجة به إلى السؤال عنه، فحريٌّ أن يقع في الأواخر التي هي محلّ التكملات والفضلات.

وأُشكل على هذا: ﴿بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ﴾ [الأنبياء: ٦٣] في جواب: ﴿ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٢]، فإنَّ السؤال وقع عن الفاعل لا عن الفعل، فإنهم لم يستفهموه عن الكسر، بل عن الكاسر، ومع ذلك صدر الجواب بالفعل.

وأجيب: بأن الجواب مقدَّر دلَّ عليه السياقُ، إذ (بل) لا تصلح أن يصدّر بها الكلام، والتقدير: (ما فعلته بَلْ فَعَلَهُ).

قال الشيخ عبد القاهر: حيث كان السؤال ملفوظاً به فالأكثر تركُ الفعل في الجواب، والاقتصار على الاسم وحده، وحيث كان مضمراً فالأكثرُ التصريحُ به لضعف الدلالة عليه. ومن غير الأكثر: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ رِجَالٞ﴾ [النور: ٣٦ ـ ٣٧] في قراءة البناء للمفعول.

فائدة: أخرج البزّار عن ابن عباس قال: ما رأيت قوماً خيراً من أصحاب محمد ﷺ ما سألوه إلاَّ عن اثنتي عشرة مسألة، كلها في القرآن.

وأورده الإمام الرازي بلفظ: أربعة عشر حرفاً، وقال: منها **ثمانية في البقرة**(١):

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ [البقرة: ١٨٦]، ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ﴾ [البقرة: ١٨٩]، ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم﴾ [البقرة: ٢١٥]، ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

والتاسع: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ﴾ [المائدة: ٤]، **والعاشر**: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ﴾ [الأنفال: ١]، **والحادي عشر**: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ﴾ [النازعات: ٤٢]، **والثاني عشر**: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ﴾ [طه: ١٠٥]، **والثالث عشر**: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ﴾ [الإسراء: ٨٥]، **والرابع عشر**: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ﴾ [الكهف: ٨٣].

قلت: السائل عن الروح وعن ذي القرنين مشركو مكة واليهود، كما في «**أسباب النزول**»(٢)، لا الصحابة، فالخالص اثنا عشر، كما صحَّت به الرواية.

---

(١) انظر «الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف» للشيخ الدَّهْلَوي؛ أوله. و«الآداب الشرعية» لابن مفلح ٢/ ١٦٨ فصل: في كراهة السؤال عن الغرائب. وأخرج الأثر الدارميُّ في «سننه» ١/ ٢٤٢ باب كراهة الفتيا.

(٢) سورة الكهف: ٨٣، وسورة الإسراء: ٨٥.

فائدة: قال الراغب(١): السؤال إذا كان للتعريف تعدَّى إلى المفعول الثاني، تارة بنفسه وتارة بـ(عن) وهو أكثر، نحو: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥]. وإذا كان لاستدعاء مال فإنه يعدَّى بنفسه أو بـ: من، وبنفسه أكثر، نحو: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، ﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ﴾ [الممتحنة: ١٠]، ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢].

قاعدة: في الخطاب بالاسم والخطاب بالفعل:

الاسم يدلُّ على الثبوت والاستمرار، والفعل يدل على التجدُّد والحدُوث، ولا يحسُن وضع أحدهما موضعَ الآخر:

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ [الكهف: ١٨] لو قيل: (يبسط) لم يؤد الغرض، لأنه يؤذن بمزاولة الكلب البسط، وأنه يتجدد له شيئاً بعد شيء، فباسط أشعر بثبوت الصفة.

وقوله: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم﴾ [فاطر: ٣]. لو قيل: (رازقكم) لفات ما أفاده الفعل من تجدُّد الرزق شيئاً بعد شيء، ولهذا جاءت الحال في صورة المضارع، مع أن العامل الذي يفيده ماضٍ، نحو: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف: ١٦]، إذ المراد أن يفيد صورة ما هم عليه وقت المجيء، وأنهم آخذون في البكاء يجدِّدونه شيئاً بعد شيء؛ وهو المسمى حكاية الحال الماضية، وهذا هو سرُّ الإعراض عن اسم الفاعل والمفعول.

ولهذا أيضاً عُبّر بـ(الذين ينفقون) ولم يقل: (المنفقون)، كما قيل: (المؤمنون، والمتقون) لأنَّ النفقة أمر فعليّ، شأنه الانقطاعُ والتجدُّد، بخلاف الإيمان، فإن له حقيقة تقوم بالقلب، يدوم مقتضاها، وكذلك التقوى والإسلام والصبر والشكر والهدى والعمى والضلالة والبصر؛ كلُّها لها مسمَّيات حقيقية أو مجازية تستمرّ، وآثار تتجدَّد وتنقطع، فجاءت بالاستعمالين.

وقال تعالى في سورة الأنعام: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [الأنعام: ٩٥]. قال الإمام فخر الدين: لمَّا كان الاعتناء بشأن إخراج الحيِّ من الميت أشدّ أتى فيه بالمضارع، ليدلَّ على التجدُّد، كما في قوله: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥].

تنبيهات:

الأول: المراد بالتجدُّد في الماضي الحصول، وفي المضارع أن من شأنه أن يتكرَّر ويقع مرة بعد أخرى. صرَّح بذلك جماعة؛ منهم الزمخشريّ في قوله: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾.

قال الشيخ بهاء الدين السُّبكي(٢): وبهذا يتَّضح الجواب عمَّا يورد من نحو: (علم الله كذا)، فإن علم الله لا يتجدد، وكذا سائر الصفات الدائمة التي يستعمل فيها الفعل.

وجوابه: أن معنى (عَلِمَ الله كذا) وقع علمه في الزمن الماضي، ولا يلزم أنه لم يكن قبل ذلك، فإن العلم في زمن ماض أعمّ من المستمرّ على الدوام قبل ذلك الزمن وبعده وغيره، ولهذا قال تعالى حكاية عن إبراهيم: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ الآيات [الشعراء: ٧٨]، فأتى بالماضي في الخلق، لأنه

---

(١) في «مفرداته» مادة: سأل.

(٢) في «عروس الأفراح» ١/ ٣١٦ ذكر المسند، و١/ ٣٥٥ و٥٤٧.

مفروغ منه، وبالمضارع في الهداية والإطعام والإسقاء والشفاء، لأنها متكرِّرة متجدِّدة تقع مرة بعد أخرى.

الثاني: مضمر الفعل فيما ذكره كمُظهره، ولهذا قالوا: إنَّ سلام الخليل أبلغ من سلام الملائكة حيث: ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ﴾ [هود: ٦٩]، فإن نصب ﴿سَلَٰمٗاۖ﴾ إنما يكون على إرادة الفعل، أي: سلمنا سلاماً، وهذه العبارة مؤذنة بحدوث التسليم منهم، إذ الفعل متأخِّر عن وجود الفاعل، بخلاف سلام إبراهيم، فإنه مرتفع بالابتداء، فاقتضى الثبوت على الإطلاق، وهو أَوْلَى ممَّا يعرض له الثبوت، فكأنه قصد أن يحيِّيهم بأحسن مما حيّوْه به.

الثالث: ما ذكرناه من دلالة الاسم على الثبوت، والفعل على التجدُّد والحدوث هو المشهور عند أهل البيان، وقد أنكره أبو المُطرِّف بن عميرة في كتاب «**التمويهات**» على «**التبيان**» لابن الزَّملكانِيّ، وقال: إنه غريب لا مستند له، فإن الاسم إنما يدلُّ على معناه فقط؛ أما كونه يثبت المعنى للشيء فلا. ثم أورد قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥ ـ ١٦]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ ـ ٥٨].

وقال ابن المنيِّر: طريقة العربية تلوين الكلام، ومجيء الفعلية تارة والاسمية أخرى من غير تكلُّف لما ذكروه، وقد رأينا الجملة الفعلية تصدر من الأقوياء الخُلَّص، اعتماداً على أن المقصود حاصل بدون التأكيد، نحو: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ [آل عمران: ٥٣]، ولا شيء بعد ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. وقد جاء التأكيد في كلام المنافقين، فقالوا: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١].

قاعدة في المصدر: قال ابن عطية: سبيل الواجبات الإتيانُ بالمصدر مرفوعاً، كقوله تعالى: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، ﴿فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ [البقرة: ١٧٨]. وسبيل المندوبات الإتيانُ به منصوباً، كقوله تعالى: ﴿فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤]. ولهذا اختلفوا: هل كانت الوصية للزوجات واجبة؟ لاختلاف القراءة في قوله: ﴿وَصِيَّةٗ لِّأَزۡوَٰجِهِم﴾ [البقرة: ٢٤٠]. بالرفع والنصب[1].

قال أبو حيّان: والأصل في هذه التفرقة في قوله تعالى: ﴿فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ﴾ [الذاريات: ٢٥]. فإن الأول مندوب، والثاني واجب. والنكتة في ذلك: أن الجملة الاسمية أثبت وآكدُ من الفعلية.

قاعدة في العطف: هو ثلاثة أقسام.

عطف على اللفظ، وهو الأصل، وشرطه إمكان توجّه العامل إلى المعطوف.

وعطف على المحل، وله ثلاثة شروط:

أحدها: إمكان ظهور ذلك المحل في الصحيح، فلا يجوز: مررت بزيد وعَمراً، لأنه لا يجوز مررت زيداً.

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وعاصم والكسائي: وصيةٌ رفعاً، وحفص عن عاصم: وصيةً نصباً، وقرأ ابن عامر وأبو عمرو وحمزة: نصباً. «السبعة» ١٨٤.

الثاني: أن يكونَ الموضع بحقّ الأصالة، فلا يجوز: هذا الضارب زيداً وأخيه، لأن الوصف المستوفي لشروط العمل الأصلُ إعماله لا إضافته.

الثالث: وجود المحرز؛ أي: الطالب لذلك المحلّ، فلا يجوز: إن زيداً وعَمرو قاعدان، لأن الطالب لرفع عمرو هو الابتداء، وهو قد زال بدخول (إن).

وخالف في هذا الشرط الكسائي، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ الآية [المائدة: ٦٩]. وأُجيب: بأن خبر (إنَّ) فيها محذوف، أي: مأجورون أو آمنون. ولا تختصُّ مراعاة الموضع بأن يكون العامل في اللفظ زائداً. وقد أجاز الفارسيّ في قوله: ﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [هود: ٦٠] أن يكون يوم القيامة عطفاً على محلّ هذه.

وعطف التوهم، نحو: (ليس زيد قائماً ولا قاعدٍ) بالخفض، على توهّم دخول الباء في الخبر. وشرط جوازه: صحة دخول ذلك العامل المتوهم، وشرط حسْنه كثرة دخوله هناك.

وقد وقع هذا العطف في المجرور في قول زهير[1]:

بَدَا لِيَ أنّي لَسْتُ مُدْرِكَ ما مَضَى ... ولاَ سَابِقٍ شَيْئاً إذا كان جائيا

وفي المجزوم في قراءة غير أبي عمرو: (لولا أخرتني إلى أجلٍ قريب فأصدقْ وأكن) [المنافقون: ١٠] خرَّجه الخليل وسيبويه على أنه عطف على التوهم، لأن معنى ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾، ومعنى (أَخِّرني أَصَّدَّقْ) واحد. وقراءة قنبل: (إنه من يتقي ويصبر)[2]. خرَّجه الفارسي عليه، لأن مَنْ الموصولة فيها معنى الشرط.

وفي المنصوب في قراءة حمزة وابن عامر: ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١]، بفتح الباء، لأنه على معنى: (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاء إِسْحَاقَ يَعْقُوب).

وقال بعضهم في قوله تعالى: ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ﴾ [الصافات: ٧]: إنه عطف على معنى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الصافات: ٦]. وهو: إنَّا خلقنا الكواكب في السماء الدنيا زينة للسماء.

وقال بعضهم في قراءة: (ودوا لو تدهن فيدهنوا) [القلم: ٩]: إنه على معنى: (أن تدهن)[3].

وقيل في قراءة حفص: ﴿لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ﴾ [غافر: ٣٦ ـ ٣٧]، بالنصب: إنه عطف على معنى (لعلّي أن أبلغ) لأن خبر (لعلّ) يقترن بأنْ كثيراً.

وقيل في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم﴾ [الروم: ٤٦]: إنه على تقدير: (ليبشركم وليذيقكم).

تنبيه: ظن ابن مالك أنَّ المراد بالتوهّم الغلط، وليس كذلك، كما نبّه عليه أبو حيَّان، وابن هشام[4]، بل هو مقصدٌ صواب، والمراد: أنه عطف على المعنى، أي: جوّز العربيّ في ذهنه ملاحظة

---

(١) زهير بن أبي سلمى المزني، شاعر جاهلي حكيم، من أصحاب المعلقات. والبيت في «ديوانه» ٢٨٧.

(٢) والآية: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ [يوسف: ٩٠]

(٣) القراءة المتواترة: فيدهنون.

(٤) في «المغني» ص ٦٢٢.

ذلك المعنى في المعطوف عليه، فعطف ملاحظاً له، لا أنه غلط في ذلك، ولهذا كان الأدب أن يقال في مثل ذلك في القرآن: إنه عطف على المعنى.

مسألة: اختُلف في جواز عطف الخبر على الإنشاء وعكسه، فمنعه البيانيون وابن مالك وابن عصفور، ونقله عن الأكثرين، وأجازه الصَّفَّار[1] وجماعة، مستدلِّين بقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ في سورة [البقرة: ٢٥]، ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في سورة [الصف: ١٣].

وقال الزمخشريّ في الأولى: ليس المعتمد بالعطف الأمر حتى يُطلب له مشاكِل، بل المراد عطف جملة ثواب المؤمنين على جملة ثواب الكافرين. وفي الثانية: إن العطف على ﴿تُؤْمِنُونَ﴾؛ لأنه بمعنى (آمنوا).

ورُدَّ بأن الخِطاب به للمؤمنين، وبـ(بشّر) للنبي ﷺ، وبأن الظاهر في ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ أنه تفسير للتجارة لا طلب.

وقال السكاكيّ: الأمران معطوفان على (قل) مقدَّرة قبل ﴿يأيها﴾، وحذفُ القول كثير.

مسألة: اختُلف في جواز عطف الاسمية على الفعلية وعكسه: فالجمهور على الجواز، وبعضهم على المنع.

وقد لهج به الرازيُّ في «**تفسيره**» كثيراً، ورُدَّ به على الحنفيَّة القائلين بتحريم أكل متروك التسمية أخذاً من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١]. فقال: هي حجة للجواز لا للتحريم، وذلك: أن الواو ليست عاطفة، لتخالف الجملتين بالاسمية والفعلية. ولا للاستئناف؛ لأن أصل الواو أن تربط ما بعدها بما قبلها، فبقي أن تكون للحال، فتكون جملة مقيّدة للنهي، والمعنى: لا تأكلوا منه في حال كونه فسقاً، ومفهومه جواز الأكل إذا لم يكن فسقاً، والفسقُ قد فسَّره الله تعالى بقوله: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤٥]. فالمعنى: لا تأكلوا منه إذا سُمِّيَ عليه غير الله. ومفهومه: فكلوا منه إذا لم يسمَّ عليه غيرُ الله تعالى. انتهى.

قال ابن هشام[2]: ولو أبطل العطف بتخالف الجملتين بالإنشاء والخَبر لكان صواباً.

مسألة: اختلف في جواز العطف على معمولَيْ عاملين: فالمشهور عن سيبويه المنعُ، وبه قال المبرِّد وابن السرّاج وابن هشام. وجوّزه الأخفش والكسائي والفرَّاء والزَّجّاج.

وخرَّج عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ

---

(١) الصَّفَّار: قاسم بن علي، من نحاة الأندلس. مات بعد (٦٣٠ هـ). «بغية الوعاة» ٣٧٨.

(٢) في «المغني» ص ٦٣٢.

يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية: ٣ ـ ٥]؛ فيمن نصب ﴿آيَاتٌ﴾ الأخيرة.

مسألة: اختلف في جواز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجارّ: فجمهور البصريين على المنع، وبعضهم والكوفيُّون على الجواز.

وخرَّج عليه قراءة حمزة [بجر الأرحامِ]: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١].

وقال أبو حيَّان[1] في قوله تعالى: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ٢١٧]: إن المسجد معطوف على ضمير ﴿بِهِ﴾ وإن لم يُعَد الجارُّ. قال: والذي نختاره جوازُ ذلك، لوروده في كلام العرب كثيراً نظماً ونثراً، قال: ولسنا متعبَّدين باتِّباع جمهور البصريِّين، بل نتبع الدليل.

❁ ❁ ❁

(١) في «البحر المحيط» ٢/ ٣٨٦ البقرة: ٢١٧.

النوع الثالث والأربعون

في المحكم والمتشابه

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧].

وقد حكى ابنُ حبيب النيسابوريّ في المسألة ثلاثة أقوال:

أحدها: أن القرآن كلّه محكَم، لقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١].

الثاني: كلّه متشابه، لقوله تعالى: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾ [الزمر: ٢٣].

الثالث: وهو الصحيح: انقسامه إلى محكم ومتشابه؛ للآية المصدر بها.

والجوابُ عن الآيتين: أنَّ المراد بإحكامه: إتقانُه وعدم تطرّق النقض والاختلاف إليه. وبتشابهه كونُه يشبه بعضه بعضاً في الحقّ والصِّدق والإعجاز.

وقال بعضهم: الآية لا تدلُّ على الحصر في الشيئين؛ إذ ليس فيهما شيء من طرقه، وقد قال تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]. والمحكم لا تتوقَّف معرفتُه على البيان، والمتشابه لا يرجَى بيانُه.

وقد اختُلف في تعيين المحكَم والمتشابه على أقوال:

فقيل: المحكَم ما عُرف المراد منه، إما بالظهور وإمَّا بالتأويل. والمتشابه: ما استأثر الله بعلمه؛ كقيام الساعة، وخروج الدَّجّال، والحروف المقطَّعة في أوائل السُّور.

وقيل: المحكَم ما وضَح معناه، والمتشابه نقيضُه.

وقيل: المحكَم ما لا يحتمل من التأويل إلاَّ وجهاً واحداً، والمتشابه ما احتمل أوجهاً.

وقيل: المحكَم ما كان معقول المعنى، والمتشابه: بخلافه، كأعداد الصلوات، واختصاص الصيام برمضان دون شعبان. قاله الماوردي.

وقيل: المحكَم ما استقلَّ بنفسه، والمتشابه: مالا يستقل بنفسه إلاَّ بردّه إلى غيره.

وقيل: المحكَم ما تأويله تنزيلُه، والمتشابه ما لا يُدرَك إلا بالتأويل.

وقيل: المحكَم ما لم تتكرَّر ألفاظُه، ومقابله المتشابه.

وقيل: المحكم الفرائض والوعد والوعيد، والمتشابه: القصص والأمثال.

أخرج ابنُ أبي حاتم(١) عن طريق عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: المحكمات: ناسخهُ، وحلاله، وحرامه، وحُدوده، وفرائضُه، وما يؤمَن به ويعمل به. والمتشابهات: منسوخُه، ومقدّمه، ومؤخّره، وأمثاله، وأقسامه، وما يؤمن به ولا يعمل به.

---

(١) في «تفسيره» ٢/ ٥٩٢ (٣١٦٧) آل عمران: ٧.

وأخرج الفِريابيّ عن مجاهد قال: المحكمات ما فيه الحلال والحرام، وما سوى ذلك منه متشابه يصدّق بعضُه بعضاً.

وأخرج ابنُ أَبي حاتم(١) عن الربيع قال: المحكمات هي أوامره الزاجرةُ.

وأخرج عن إسحاق بن سُويد: أن يحيى بن يعمر وأبا فاختة تراجعا في هذه الآية، فقال أبو فاختة: فواتح السور، وقال يحيى: الفرائض، والأمر والنهي والحلال.

وأخرج الحاكم [(٢/ ٢٨٨ و٣١٧) وهو صحيح] وغيره عن ابن عباس قال: الثلاث آيات من آخر سورة الأنعام مُحكمات: ﴿قُلْ تَعَالَوْا . . .﴾ [١٥١] والآيتان بعدها.

وأخرج ابن أبي حاتم(٢) من وجه آخر، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ قال: من ها هنا: ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ إلى ثلاث آيات من ها هنا: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [٢٣] إلى ثلاث بعدها.

وأخرج عبد بن حميد عن الضَّحاك قال: المحكَمات ما لم يُنسَخ منه، والمتشابهات ما قد نُسِخ.

أخرج ابنُ أبي حاتم(٣): عن مقاتل بن حيّان قال: المتشابهات فيما بلغنا: ﴿الٓمٓ﴾ و﴿ألمص﴾ و﴿ألمر﴾ ﴿ألر﴾.

قال ابن أبي حاتم(٤): وقد روي عن عكرمة وقتادة وغيرهما: أن المحكم الذي يُعمل به، والمتشابه الذي يؤمن به ولا يُعمل به.

فصل

اختُلف: هل المتشابه ممَّا يمكن الاطلاع على علمه، أو لا يعلمه إلاَّ الله؟ على قولين، منشؤهما الاختلاف في قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧]؛ هل هو معطوف و﴿يَقُولُونَ﴾ حال؟ أو مبتدأ، خبره: ﴿يَقُولُونَ﴾ والواو للاستئناف؟

وعلى الأول طائفة يسيرة؛ منهم مجاهد، وهو رواية عن ابن عباس. فأخرَج ابن المنذر من طريق مجاهد عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ قال: أنا ممَّن يعلم تأويله.

وأخرج عبد بن حُميد عن مجاهد في قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ قال: يعلمون تأويله ويقولون: آمنَّا به.

وأخرج ابن أبي حاتم(٥) عن الضحَّاك قال: الرَّاسخون في العلم يعلمون تأويله، ولو لم يعلموا تأويلَه لم يعلموا ناسخه من منسوخه، ولا حلاله من حرامه، ولا محكمه من متشابهه. واختار هذا القول النوويُّ، فقال في «شرح مسلم»(٦): إنه الأصحّ؛ لأنه يبعد أن يخاطِب الله عبادَه بما لا سبيل لأحدٍ من الخلق إلى معرفته.

---

(١) في «تفسيره» ٢/ ٥٩٢ (٣١٧٠).

(٢) ٢/ ٥٩٢ (٣١٦٩).

(٣) ٢/ ٥٩٢ (٣١٦٧) و(٣١٧٤).

(٤) في «تفسيره» ٢/ ٥٩٤ (٣١٧٦).

(٥) في «تفسيره» ٢/ ٥٩٩ (٣٢٠٩).

(٦) «شرح مسلم» ١٦/ ٢١٨ باب النهي عن اتباع متشابه القرآن (٦٧٧٥).

وقال ابن الحاجب: إنه الظاهر.

وأما الأكثرون من الصحابة والتابعين وأتباعهم ومَنْ بعدهم ـ خصوصاً أهل السنة ـ فذهبوا إلى الثاني، وهو أصحّ الروايات عن ابن عباس.

قال ابن السَّمعانيّ: لم يذهب إلى القول الأوّل إلاّ شِرْذِمةٌ قليلة، واختاره العتبيّ، قال: وقد كان يعتقد مذهب أهل السنة؛ لكنه سها في هذه المسألة. قال: ولا غرو، فإنَّ لكل جوادٍ كبوةً، ولكل عالم هفوةً.

قلت: ويدلُّ لصحة مذهب الأكثرين: ما أخرجه عبد الرزّاق في «**تفسيره**»، والحاكم في «**مستدركه**» [(٢/٢٨٩) وهو صحيح] عن ابن عباس أنّه كان يقرأ: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا الله وَيَقُولُ الرَّاسخون في العلم آمَنَّا بِهِ). فهذا يدلُّ على أنَّ الواو للاستئناف؛ لأن هذه الرواية ـ وإن لم تثبت بها القراءةُ ـ فأقلُّ درجاتها أن تكون خبراً بإسناد صحيح إلى ترجمان القرآن، فيقدّم كلامه في ذلك على مَنْ دونه.

ويؤيد ذلك أن الآية دلَّت على ذمّ متّبعي المتشابه ووصفهم بالزَّيْغ وابتغاء الفتنة، وعلى مدح الذين فوضوا العلمَ إلى الله، وسلموا إليه كما مدح الله المؤمنين بالغيب.

وحكى الفرَّاءُ: أن في قراءة أُبيّ بن كعب أيضاً: (وَيَقُولُ الرَّاسِخُونَ).

وأخرج ابنُ أبي داود في «**المصاحف**» من طريق الأعمش، قال في قراءة ابن مسعود: (وَإِنْ تَأْوِيلُهُ إِلَّا عِنْدَ الله والرَّاسخون في العِلْمِ يَقُولُون آمَنَّا بِهِ) [١].

وأخرج الشيخان وغيرهما عن عائشة قالت: تَلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]. قالت: قال رسول الله ﷺ: «**فإذا رأيت الذين يتَّبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى اللهُ فاحذرهم**». [البخاري: ٤٥٤٧، ومسلم: ٦٧٧٥، وأحمد: ٢٦١٩٧].

وأخرج الطبرانيّ في «**الكبير**»[٢] [٣٤٤٢] عن أبي مالك الأشعريّ: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لا أخاف على أُمَّتي إلَّا ثلاث خلال: أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتتلوا، وأن يُفتَحَ لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغِي تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله . . .**» الحديثَ.

وأخرج ابن مَرْدويه من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جدِّه، عن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ القرآن لم ينزل ليكذِّب بعضُه بعضاً، فما عرفتم منه فاعمَلُوا به، وما تشابه فآمِنوا به**».

وأخرج الحاكم [(٢/٢٨٩) وهو ضعيف]: عن ابن مسعود، عن النبيّ ﷺ قال: «**كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد على حرف واحدٍ، ونزل القرآنُ من سبعة أبواب على سبعة أحرف: زاجر، وآمر، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال، فأحِلُّوا حلالَه، وحرِّموا حرامه، وافعلوا ما أُمِرتم به، وانتهوا عمَّا نُهيتم عنه، واعتبروا بأمثاله، واعملوا بمحكَمه، وآمنوا بمتشابِهِ، وقولوا: آمنَّا به كل من عند ربنا**».

---

(١) «المصاحف» ص ٦٩ وفيه: وإنْ حقيقةُ تأويله إلا . . .

(٢) والثالثة: «وأن يروا ذا علمهم فيُضَيِّعُوه ولا يبالون عليه».

وأخرج البيهقيّ في «الشُّعب» نحوه من حديث أبي هريرة.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس مرفوعاً: «**أُنْزِل القرآن على أربعة أحرف: حلال وحرام لا يُعْذَر أحد بجهالته، وتفسيرٌ تفسِّره العرب، وتفسيرٌ تفسِّره العلماء، ومتشابه لا يعلمه إلا الله، ومن ادَّعى علمه سِوى الله فهو كاذب**». ثم أخرجه من وجه آخر عن ابن عباس موقوفاً بنحوه.

وأخرج ابنُ أبي حاتم[(١)] من طريق العَوْفيّ، عن ابن عباس قال: نؤمن بالمحكم وندين به، ونؤمن بالمتشابه ولا ندين به، وهو من عند الله كلُّه.

وأخرج[(٢)] أيضاً عن عائشة قالت: كان رسوخهم في العلم أنْ آمَنُوا بمتشابهه ولا يعلمونه.

وأخرج[(٣)] أيضاً عن أبي الشعثاء وأبي نهيك، قالا: إنَّكم تَصِلون هذه الآيةَ وهي مقطوعة.

وأخرج الدارمي في «**مسنده**» [«السنن»: ١٤٤] عن سليمان بن يسار: أنَّ رجلاً يقال له: صَبيغ، قدِم المدينة، فجعل يسأل عن متشابهِ القرآن، فأرسل إليه عمرُ، وقد أعدَّ له عراجين النخل، فقال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله بن صَبيغ. فأخذ عمر عُرجوناً من تلك العراجين، فضربه حتى دمى رأسُه. وفي رواية عنده: فضربه بالجريد حتى ترك ظهره دَبَرَة، ثم تركه حتى برأ، ثم عاد له، ثم تركه حتى برأ، فدعا به ليعود، فقال: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً. فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري ألاَّ يجالسَه أحد من المسلمين.

وأخرج الدارمي[(٤)]: عن عمر بن الخطاب قال: إنَّه سيأتيكم ناس يجادلونكم بمشتَبهات القرآن، فخذوهم بالسُّنن، فإن أصحاب السنن أعلمُ بكتاب الله.

فهذه الأحاديث والآثار تدلُّ على أنَّ المتشابه مما لا يعلمه إلاّ الله، وأنَّ الخوضَ فيه مذموم، وسيأتي قريباً زيادةٌ على ذلك.

قال الطِّيبيّ: المراد بالمحكم ما اتضح معناه، والمتشابه بخلافه؛ لأن اللفظ الذي يقبل معنى: إمَّا أن يحتمل غيره أوْ لا، والثاني النَّص، والأول: إما أن تكون دلالته على ذلك الغير أرجح أوْ لا، والأول هو الظاهر، والثاني: إما أنْ يكون مساويَه أوْ لا، والأوَّل هو المجمل والثاني المؤوَّل. فالمشترك بين النَّص والظاهر هو المحكم، والمشترك بين المجمل والمؤوّل هو المتشابه.

ويؤيد هذا التقسيمَ: أنه تعالى أوقع المحكمَ مقابلاً للمتشابه، قالوا: فالواجب أن يفسَّر المحكم بما يقابله، ويعضد ذلك أسلوب الآية وهو الجمع مع التقسيم؛ لأنه تعالى فرَّق ما جمع في معنى الكتاب بأن قال: ﴿مِنْهُ ءَايَتٌ مُّحْكَمَتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَبِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَتٌ﴾، وأراد أن يضيف إلى كل منهما ما شاء، فقال أولاً: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ إلى أن قال: ﴿وَٱلرَّسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾، وكان يمكن أن يقال: (وأما الذين في قلوبهم استقامة، فيتبعون المحكَم)، لكنه وضع موضع ذلك ﴿وَٱلرَّسِخُونَ

---

(١) في «تفسيره» ٢/ ٦٠١ (٣٢١٧).
(٢) ابن أبي حاتم ٢/ ٥٩٩ (٣٢٠٨).
(٣) ٢/ ٥٩٩ (٣٢٠٦).
(٤) المرجع السابق.

﴿فِي ٱلْعِلْمِ﴾ لإتيان لفظ الرسوخ؛ لأنه لا يحصل إلاَّ بعد التثبت العام والاجتهاد البليغ، فإذا استقام القلب على طرق الإرشاد، ورسخ القدمُ في العلم أفصح صاحبُه النطق بالقول الحق، وكفى بدعاء الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨] إلى آخره، شاهداً على أن ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ مقابل لقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾. وفيه إشارة إلى أن الوقْف على قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ تام، وإلى أن عِلْم بعض المتشابه مختصٌّ بالله تعالى، وأَنَّ من حاول معرفته هو الذي أشار إليه في الحديث، بقوله: «**فاحذروهم**»(١).

وقال بعضهم: العقل مبتلًى باعتقاد حقيّة المتشابه كابتلاء البدن بأداء العبادة، كالحكيم: إذا صنَّف كتاباً أجمل فيه أحياناً؛ ليكون موضع خضوع المتعلم لأستاذه، وكالملك يتخذ علامة يمتاز بها مَنْ يُطلعه على سره.

وقيل: لو لم يُبتلَ العقل ـ الذي هو أشرف البدن ـ لاستمرَّ العالم في أُبَّهة العلم على التمرُّد، فبذلك يستأنس على التذلُّل بعز العبودية، والمتشابه هو موضع خضوع العقول لبارئها استسلاماً واعترافاً بقصورها.

وفي ختم الآية بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩] تعريض بالزائغين، ومدح للرَّاسخين، يعني مَنْ لم يتذكَّر ويتعظ ويخالف هواه، فليس من أُولي العقول، ومن ثَمَّ قال الراسخون: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ إلى آخر الآية، فخضعوا لبارئهم لاستنزال العلم اللدني بعد أن استعاذوا به من الزيغ النفسانيّ.

وقال الخطابيّ: المتشابه على ضَرْبين: أحدهما: ما إذا رُدَّ إلى المحكم واعتُبر به عرف معناه، والآخر: ما لا سبيل إلى الوقوف على حقيقته، وهو الذي يتبعه أهل الزيغ فيطلبون تأويله، ولا يبلغون كُنهَه، فيرتابون فيه فيفتتنون.

وقال ابن الحصَّار: قسّم الله آيات القرآن إلى مُحكم ومتشابه، وأخبر عن المحكمات أنها أُمّ الكتاب؛ لأن إليها تردُّ المتشابهات، وهي التي تعتمد في فهم مراد الله من خلقه في كلِّ ما تعبّدهم به من معرفته، وتصديق رسله، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، بهذا الاعتبار كانت أُمَّهاتٍ. ثم أخبر عن الذين في قلوبهم زيغ أنهم هم الذين يتّبعون ما تشابه منه؛ ومعنى ذلك: أنَّ مَنْ لم يكن على يقين من المحكمات، وفي قلبه شكٌّ واسترابة، كانت راحته في تتبُّع المشكلات المتشابهات، ومراد الشارع منها التقدُّم إلى فهم المحكَمات، وتقديم الأُمَّهات؛ حتى إذا حصل اليقين ورسخ العِلم لم تُبالِ بما أشكل عليك. ومراد هذا الذي في قلبه زيغ التقدُّم إلى المشكلات، وفهمُ المتشابه قبل فَهْم الأمهات، وهو عكس المعقول والمعتاد والمشروع، ومثل هؤلاء مثل المشركين الذين يقترحون على رسلهم آياتٍ غير الآيات التي جاؤوا بها، ويظنُّون أنهم لو جاءتهم آيات أُخَر لآمنوا عندها، جهلاً منهم. وما عَلِموا أنَّ الإيمان بإذنِ الله تعالى. انتهى.

---

(١) سلف تخريجه قريباً.

وقال الراغب في «**مفردات القرآن**»(١): الآيات عند اعتبار بعضها ببعض ثلاثة أضرب: محكَم على الإطلاق، ومتشابه على الإطلاق، ومحكَم من وجه متشابهٌ من وجه.

فالمتشابه بالجملة ثلاثة أضرب:

متشابه من جهة اللفظ فقط، ومن جهة المعنى فقط، ومن جهتهما.

فالأول: ضربان:

أحدهما: يرجع إلى الألفاظ المفردة؛ إما من جهة الغرابة نحو: (الأبّ)، و﴿يَزِفُّونَ﴾ [الصافات: ٩٤]، أو الاشتراك كاليد واليمين.

وثانيهما: يرجع إلى جملة الكلام المركَّب؛ وذلك ثلاثة أضرب:

ضرب لاختصار الكلام، نحو: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم﴾ [النساء: ٣].

وضرب لبسطه، نحو: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]؛ لأنه لو قيل: (ليس مثله شيء) كان أظهر للسامع.

وضرب لنظم الكلام، نحو: ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ ① قَيِّمًا﴾ [الكهف: ١ ـ ٢]، تقديره: (أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكتابَ قيِّماً ولَمْ يَجْعَلْ لَهُ عوجاً).

والمتشابه من جهة المعنى: أوصاف الله تعالى وأوصاف القيامة؛ فإن تلك الأوصاف لا تتصوَّر لنا، إذا كان لا يحصل في نفوسنا صورة ما لم نحِسّه، أو ليس من جنسه.

والمتشابه من جهتهما خمسة أضرب:

الأول: من جهة الكمية؛ كالعموم والخصوص، نحو ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥].

والثاني: من جهة الكيفية؛ كالوجوب والندب، نحو: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣].

والثالث: من جهة الزّمان؛ كالناسخ والمنسوخ، نحو ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

والرابع: من جهة المكان والأمور التي نزلت فيها، نحو: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]، ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧]، فإنَّ من لا يعرف عادتهم في الجاهلية يتعذَّر عليه تفسير هذه الآية.

الخامس: من جهة الشُّروط التي يصحُّ بها الفعل أو يفسد؛ كشروط الصلاة والنكاح.

قال: وهذه الجملة إذا تُصوِّرت، علم أن كلّ ما ذكره المفسِّرون في تفسير المتشابه لا يخرج عن هذه التقاسيم.

ثم جميع **المتشابه** على ثلاثة أضرب:

ضرب لا سبيل إلى الوقوف عليه، كوقت الساعة وخروج الدابّة ونحو ذلك.

---

(١) ص ٤٤٣ أول حرف الشين.

وضرب للإنسان سبيلٌ إلى معرفته، كالألفاظ الغريبة والأحكام الغلقة.

وضرب متردد بين الأمرين، يختص بمعرفته بعض الراسخين في العلم ويخفى على من دونهم، وهو المشار إليه بقوله ﷺ لابن عباس: «**اللهم فقِّهه في الدين وعلِّمه التأويل**» [البخاري: ١٤٣، ومسلم: ٦٣٦٨، وأحمد: ٣١٠٢].

وإذا عرفتَ هذه الجهة عرفت أن الوقف على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ووصلَه بقوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ جائز، وأنَّ لكلٍّ واحد منهما وَجْهاً حَسْبَما دل عليه التفصيل المتقدم. انتهى. [كلامُ الأصفهاني في «المفردات»].

وقال الإمام فخر الدين: صرْفُ اللفظ عن الراجح إلى المرجوح لابدَّ فيه من دليل منفصل، وهو إمَّا لفظيّ أو عقليّ:

والأول: لا يمكن اعتباره في المسائل الأصولية؛ لأنه لا يكون قاطعاً؛ لأنه موقوف على انتفاء الاحتمالات العشرة المعروفة، وانتفاؤها مظنون، والموقوف على المظنون مظنون، والظنيّ لا يكتفى به في الأصول.

وأمَّا العقليّ: فإنَّما يفيد صرف اللفظ عن ظاهره لكون الظاهر محالاً، وأمَّا إثبات المعنى المراد فلا يمكن بالعقل؛ لأن طريق ذلك ترجيحُ مجاز على مجاز، وتأويل على تأويل، وذلك الترجيح لا يمكن إلاَّ بالدليل اللفظي، والدليلُ اللفظيّ في الترجيح ضعيف لا يفيد إلاَّ الظنَّ، والظنُّ لا يعوّل عليه في المسائل الأصولية القطعية؛ فلهذا اختار الأئمة المحقِّقون من السَّلف والخلف ـ بعد إقامة الدليل القاطع على أنَّ حمل اللفظ على ظاهره محالٌ ـ تركَ الخوض في تعيين التأويل. انتهى.

وحسبك بهذا الكلام من الإمام.

فصل

من المتشابه آيات الصِّفات، ولابن اللَّبَّان فيها تصنيفٌ مفردٌ، نحو: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]، ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٩]، ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧].

وجمهور أهل السنة ـ منهم السلف وأهل الحديث ـ على الإيمان بها، وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى، ولا نُفسِّرها، مع تنزيهنا له عن حقيقتها.

أخرج أبو القاسم اللَّالكائيّ في «**السنة**» عن طريق قرة بن خالد، عن الحسين، عن أُمِّه، عن أم سلمة في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ قالت: الكيف غيرُ معقول، والاستواء غير مجهول، والإقرار به من الإيمان، والجحود به كفرٌ.

وأخرج أيضاً عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، أنه سُئل عن قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾. فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول؛ ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ المبينُ، وعلينا التصديق.

وأخرج أيضاً عن مالك: أنه سئل عن الآية، فقال: الكيف غير معقول، والاستواءُ غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

وأخرج البيهقيّ عنه أنه قال: هو كما وصف نفسه، ولا يقال: كيف، وكيف عنه مرفوع.

وأخرج اللّالكائيّ عن محمد بن الحسن قال: اتفق الفقهاء كلُّهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه.

وقال الترمذيّ [عند حديث: ٢٥٥٨] في الكلام على حديث الرؤية: المذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة ـ مثل سفيان الثوري، ومالك، وابن المبارك، وابن عُيَيْنَة، ووكيع وغيرهم ـ أنهم قالوا: نروي هذه الأحاديث كما جاءت، ونؤمن بها. ولا يقال: كيف، ولا نفسِّر ولا نتوهَّم.

وذهبت طائفة من أهل السُّنَّة: إلى أَنَّنا نؤوّلها على ما يليق بجلاله تعالى؛ وهذا مذهب الخلف. وكان إمام الحرمين يذهب إليه، ثم رجع عنه، فقال في الرسالة النظامية: الذي نرتضيه ديناً، وندين الله به عقداً، اتباع سلف الأمة، فإنَّهم درَجُوا على ترك التعرُّض لمعانيها.

وقال ابن الصَّلاح: على هذه الطريقة مَضى صدْرُ الأمّة وساداتها، وإياها اختار أئمّة الفقهاء وقاداتها، وإليها دعا أئمَّةُ الحديث وأعلامُه، ولا أحَدَ من المتكلِّمين من أصحابنا يصدِف عنها ويأباها.

واختار ابن بَرْهان[1] مذهب التأويل، قال: ومنشأ الخلاف بين الفريقين: هل يجوز أن يكون في القرآن شيء لم نعلم معناه، أو لا، بل يعلمه الراسخون في العلم؟

وتوسَّط ابن دقيق العيد فقال: إذا كان التأويل قريباً من لسان العرب لم ينكر، أو بعيداً توقَّفنا عنه، وآمنّا بمعناه على الوجه الذي أريدَ به مع التنزيه، قال: وما كان معناه من هذه الألفاظ ظاهراً مفهوماً من تخاطب العرب قلنا به من غير توقيف، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]، فنحمله على حق الله وما يجب له.

ذكر ما وقفت عليه من تأويل الآية المذكورة على طريقة أهل السنة

من ذلك صفة (**الاستواء**) وحاصل ما رأيت فيها سبعة أجوبة:

أحدها: حكى مقاتل والكلبيّ عن ابن عباس: أن (استوى) بمعنى استقرَّ، وهذا إن صحَّ يحتاج إلى تأويل، فإن الاستقرار يُشعر بالتجسيم.

ثانيها: أنَّ (استوى) بمعنى (استولى). ورُدَّ بوجهين:

أحدهما: أنَّ الله تعالى مستولٍ على الكونين والجنة والنار وأهلها، فأيُّ فائدة في تخصيص العرش؟

والآخر: أنَّ الاستيلاء إنما يكون بعد قَهْرٍ وغلبة، والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك.

---

(١) ابن بَرْهان: أحمد بن علي، أبو الفتح، فقيه من فقهاء بغداد الشافعية (ت: ٥١٨ هـ). «وفيات الأعيان» ١/ ٢٩.

أخرج اللالكائيُّ في «السنة» عن ابن الأعرابي: أنَّه سئل عن معنى (استوى) فقال: هو على عرشه كما أخبر. فقيل: يا أبا عبد الله، معناه (استولى)؟ قال: اسكت، لا يقال: استولى على الشيء إلاَّ إذا كان له مضادٌّ، فإذا غلب أحدهما قيل: استولى.

ثالثها: أنَّه بمعنى صعد، قاله أبو عبيد، ورُدَّ بأنه تعالى منزَّه عن الصُّعود أيضاً.

رابعها: أنَّ التقدير: (الرحمن علا)، أي: ارتفع، من العلوّ، والعرش له استوى. حكاه إسماعيل الضرير في تفسيره. ورُدَّ بوجهين:

أحدهما: أنه جعل (على) فعلاً، وهي حرف هنا باتفاق، فلو كانت فعلاً لكتبت بالألف، كقوله: ﴿عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٤].

والآخر: أنه رفع (العرش) ولم يرفعه أحدٌ من القرَّاء.

خامسها: أنَّ الكلام تم عند قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، ثم ابتدأ بقوله: ﴿ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [طه: ٥ ـ ٦]، ورُدَّ: بأنه يزيل الآية عن نظمها ومرادها.

قلت: ولا يتأتى له في قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

سادسها: أن معنى (استوى) أقبل على خلق العرش وعمد إلى خلقه، كقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]، أي: قصد وعمد إلى خلقها. قاله الفرَّاء والأشعري وجماعةُ أهل المعاني. وقال إسماعيل الضرير: إنَّه الصواب.

قلت: يبعده تعديته بعلى، ولو كان كما ذكروه لتعدَّى بإلى، كما في قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾.

سابعها: قال ابن اللَّبَّان[1]: الاستواء المنسوب إليه تعالى بمعنى اعتدل، أي: قام بالعدل، كقوله تعالى: ﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨].

والعدل هو استواؤه، ويرجع معناه إلى أنه: أعطى بعزَّته كل شيء خلقه موزوناً بحكمته البالغة.

ومن ذلك: **(النفس)** في قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]. ووُجِّه بأنه خرِّج على سبيل المشاكلة مراداً به الغيب؛ لأنه مستتر كالنفس.

وقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]؛ أي: عقوبته، وقيل: إيَّاه.

وقال السُّهيليّ: النَّفس عبارة عن حقيقة الوجود دون معنى زائد، وقد استعمل من لفظه النفاسة والشيء النفيس، فصلحت للتعبير عنه سبحانه وتعالى.

وقال ابن اللَّبان: أوَّلَها العلماء بتأويلات: منها أن النفس عُبِّر بها عن الذَّات، قال: وهذا وإن كان سائغاً في اللغة، ولكن تعدِّي الفعل إليها بفي المفيدة للظرفية محال عليه تعالى، وقد أوَّلها بعضهم

---

(١) ابن اللبان: محمد بن أحمد، الدمشقي، مفسر، من علماء العربية، له: «رَدُّ معاني الآيات» (: ٧٤٩ هـ). «الدرر الكامنة» ٣/ ٣٣٠.

بالغيب؛ أي: لا أعلم ما في غيبك وسرِّك، قال: وهذا حسن، لقوله في آخر الآية: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾.

ومن ذلك: (الوجهُ) وهو مؤوَّل بالذات. وقال ابن اللَّبان في قوله: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢]، ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩]، ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ٢٠]؛ المراد: إخلاص النيَّة.

وقال غيره في قوله: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، أي: الجهة التي أمر بالتوجُّه إليها.

ومن ذلك: (العَيْنُ) وهي مؤوَّلة بالبصر أو الإدراك، بل قال بعضهم: إنَّها حقيقة في ذلك، خلافاً لتوهُّم بعض الناس أنها مجاز، وإنما المجاز في تسمية العضو بها.

وقال ابن اللبَّان: نسبة العين إليه تعالى اسم لآياته المبصرة، التي بها سبحانه ينظر للمؤمنين، وبها ينظرون إليه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾ [النمل: ١٣]. نسب البصر للآيات على سبيل المجاز تحقيقاً، لأنها المرادة بالعين المنسوبة إليه. وقال: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا﴾ [الأنعام: ١٠٤]. قال: فقوله: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، أي: بآياتنا تنظر بها إلينا، وننظر بها إليك.

قال: ويؤيد أن المراد بالأعين هنا الآيات كونه علّل بها الصبر لحكم ربّه صريحاً في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الإنسان: ٢٣ ـ ٢٤].

قال: وقوله في سفينة نوح: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]؛ أي: بآياتنا، بدليل: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [هود: ٤١]، وقال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٩]؛ أي: على حكم آيتي التي أوحيتها إلى أمِّك: ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ الآية [القصص: ٧]. انتهى.

وقال غيره: المراد في الآيات كلاءته تعالى وحفظه.

ومن ذلك: (اليد) في قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]، ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٧١]، ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ٢٩]. وهي مؤوَّلة بالقدرة.

وقال السُّهيلي: اليد في الأصل ـ كالبصر ـ عبارة عن صفةٍ لموصوف، ولذلك مدح سبحانه وتعالى بالأيدي مقرونة مع الأبصار في قوله: ﴿أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [ص: ٤٥]، ولم يمدحهم بالجوارح؛ لأن المدح إنَّما يتعلق بالصفات لا بالجواهر، قال: ولهذا قال الأشعريّ: إنَّ اليدَ صفة ورد بها الشرع، والذي يلوح من معنى هذه الصفة أنها قريبة من معنى القدرة، إلاَّ أنها أخصّ والقدرة أعمّ، كالمحبَّة مع الإرادة والمشيئة؛ فإنَّ في اليد تشريفاً لازماً.

وقال البغوي في قوله: ﴿بِيَدَىَّ﴾: في تحقيق الله التثنية في اليد دليل على أنها ليست بمعنى القدرة والقوة والنعمة، وإنما هما صفتان من صفات ذاته.

وقال مجاهد: اليد ها هنا صلة وتأكيد، كقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]. قال البغويّ:

وهذا تأويل غيرُ قويّ، لأنَّها لوكانت صلة لكان لإبليس أن يقول: إن كُنْتَ خلقتَه فقد خلقتَني، وكذلك في القدرة والنعمة، لا يكون لآدم في الخلق مزيَّة على إبليس.

وقال ابن اللَّبَّان: فإن قلت: فما حقيقة اليدين في خلق آدم؟ قلت: الله أعلم بما أراد؛ ولكن الذي استثمرته من تدبُّر كتابه: أنَّ (اليدين) استعارة لنور قدرته القائم بصفة فضله، ولنورها القائم بصفة عدْلِهِ، ونبَّه على تخصيص آدم وتكريمه بأنْ جمع له في خلقه بين فضله وعدله. قال: وصاحبة الفضل هي اليمينُ التي ذكرها في قوله: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ﴾ [الزمر: ٦٧].

ومن ذلك: (الساق) في قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢]، ومعناه: عن شدَّة وأمر عظيم، كما يقال: قامت الحرب على ساق.

أخرج الحاكم في «المستدرك»[1]: من طريق عِكْرمة، عن ابن عباس: أنه سئل عن قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: إذا خفيَ عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر، فإنَّه ديوان العرب، أمَا سمعتم قول الشاعر:

اصبر عناق إنَّه شرّ باقْ قد سنَّ لي قومك ضرب الأعناقْ
وقامت الحربُ بنا على ساقْ

قال ابن عباس: هذا يوم كرب وشدة.

ومن ذلك: (الجَنْبُ) في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]، أي: في طاعته وحقِّه، لأن التفريط إنما يقع في ذلك، ولا يقع في الجنب المعهود.

ومن ذلك: صفة (القرب) في قوله: ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]؛ أي: بالعلم.

ومن ذلك: صفة (الفوقية) في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]. والمراد بها العلوُّ من غير جهة، وقد قال فرعون: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]. ولا شك أنه لم يُرِد العلوَّ المكانيّ.

ومن ذلك: صفة (المجيء) في قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، ﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]؛ أي: أمره؛ لأن الملك إنما يأتي بأمره أو بتسليطه، كما قال تعالى: ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧]، فصار كما لو صرَّح به.

وكذا قوله: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ [المائدة: ٢٤]، أي: اذهب بربك؛ أي: بتوفيقه وقوته.

ومن ذلك: صفة (الحُبِّ) في قوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، ﴿فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

---

(١) ٤٩٩/٢ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، وهو أولى من حديثٍ رُوي عن ابن مسعود بإسناد صحيح لم أستجز روايته في هذا الموضع. ووافقه الذهبي.

وصفة (**الغضب**) في قوله: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٦].

وصفة (**الرضا**) في قوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩].

وصفة (**العجب**) في قوله: ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ [الصافات: ١٢]؛ بضم التاء، وقوله: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ [الرعد: ٥].

وصفة (**الرحمة**) في آيات كثيرة.

وقد قال العلماء: كلّ صفة يستحيل حقيقتها على الله تعالى تفسَّر بلازمها.

قال الإمام فخر الدين: جميع الأعراض النفسانية ـ أعني الرحمة والفرح، والسُّرور والغضب والحياء والمكر والاستهزاء ـ لها أوائل ولها غايات، مثاله: الغضب، فإنَّ أوَّله غليان دم القلب، وغايته إرادة إيصال الضرر إلى المغضوب عليه، فلفظ الغضب في حق الله لا يُحمل على أوَّله الذي هو غليان دم القلب، بل على غرضه الذي هو إرادة الإضرار. وكذلك: الحياء، له أول وهو انكسار يحصل في النفس، وله غرض وهو تَرْك الفعل، فلفظ الحياء في حقِّ الله يحمل على ترك الفعل لا على انكسار النفس. انتهى.

وقال الحسين بن الفضل: العجب من الله إنكارُ الشيء وتعظيمُه. وسئل الجنيد عن قوله: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ [الرعد: ٥]، فقال: إن الله لا يعجب من شيء، ولكن الله وافق رسوله، فقال: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾، أي: هو كما تقول.

ومن ذلك: لفظة (**عند**) في قوله تعالى: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، و﴿مِّنْ عِندِهِۦ﴾ [المائدة: ٥٢]، ومعناهما الإشارة إلى التمكين والزلفى والرفعة.

ومن ذلك: قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، أي: بعلمه، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ﴾ [الأنعام: ٣].

قال البيهقي: الأصحُّ أن معناه أنه المعبود في السموات وفي الأرض، مثل قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤].

وقال الأشعريّ: الظرف متعلّق بـ﴿يَعْلَمُ﴾، أي: عالم بما في السموات والأرض.

ومن ذلك: قوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١]، أي: سنقصد لجزائكم.

تنبيه: قال ابن اللبان: ليس من المتشابه قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾؛ لأنه فسَّره بعده بقوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج: ١٣]؛ تنبيهاً على أن بطشه عبارة عن تصرفه في بدئه وإعادته، وجميع تصرفاته في مخلوقاته.

فصل

ومن المتشابه أوائل السور:

والمختار فيها ـ أيضاً ـ أنها من الأسرار التي لا يعلمها إلا الله تعالى.

أخرج ابن المنذر وغيرُه عن الشَّعبي: أنه سئل عن فواتح السّور، فقال: إن لكلِّ كتاب سرًّا، وإنَّ سرَّ هذا القرآن فواتح السور.

وخاض في معناها آخرون، فأخرج ابن أبي حاتم[١] وغيرُه من طريق أبي الضُّحى، عن ابن عباس في قوله: ﴿الٓمٓ﴾ قال: أنا الله أعلم، وفي قوله: ﴿الٓمٓصٓ﴾ قال: أنا الله أفصِل، وفي قوله: ﴿الٓر﴾: أنا الله أرى.

وأخرج[٢] من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: ﴿الٓمٓ﴾ و﴿حمٓ﴾ و﴿نٓ﴾ قال: اسم مقَطَّع.

وأخرج[٣] من طريق عكرمة، عن ابن عباس قال: (ألر وحم ون) حروف الرحمن مفرَّقة.

وأخرج أبو الشيخ: عن محمد بن كعب القرظيّ قال: ﴿الٓر﴾ من الرحمن.

وأخرج عنه أيضاً قال: ﴿الٓمٓصٓ﴾ الألف من الله، والميم من الرحمن، والصاد من الصمد.

وأخرج أيضاً عن الضحاك في قوله: ﴿الٓمٓصٓ﴾ قال: أنا الله الصادق، وقيل: ﴿الٓمٓصٓ﴾ معناه المصوِّر، وقيل: ﴿الٓر﴾ معناه أن الله أعلم وأرفع، حكاهما الكَرْماني في «**غرائبه**»[٤].

وأخرج الحاكم وغيره من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس في: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ قال: الكاف من كريم، والهاء من هادٍ، والياء من حكيم، والعين من عليم، والصاد من صادق.

وأخرج الحاكم [(٢/ ٣٧١)] ـ أيضاً ـ من وجه آخر: عن سعيد، عن ابن عباس في قوله: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ قال: كافٍ، هادٍ، أمينٌ، عزيزٌ، صادقٌ.

وأخرج ابنُ أبي حاتم[٥] من طريق السُّدِّي: عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس. وعن مُرَّة عن ابن مسعودٍ وناس من الصَّحابة في قوله: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ قال: هو هجاء مقطَّع: الكاف من الملك، والهاء من الله، والياء والعين من العزيز، والصاد من المصوِّر.

وأخرج[٦] عن محمد بن كعب مثله، إلاَّ أنه قال: والصاد من الصَّمد.

وأخرج سعيد بن منصور وابن مردويه من وجه آخر: عن سعيد، عن ابن عباس في قوله: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾؛ قال: كبيرٌ، هادٍ، أمينٌ، عزيزٌ، صادقٌ.

وأخرج ابن مردويه من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس في قوله: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ قال: الكاف الكافي، والهاء الهادي، والعين العالم، والصاد الصادق.

وأخرج من طريق يوسف بن عطية قال: سئل الكلبي عن: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، فحدَّث عن أبي صالح، عن أم هانئ، عن رسول الله ﷺ قال: «كافٍ، هادٍ، أمينٌ، عالمٌ، صادقٌ».

---

(١) في «تفسيره» ١/ ٣٢ (٤٣) أول البقرة، و ٦/ ١٩٢١ (١٠١٨٤) أول يونس.
(٢) المرجع السابق ٦/ ١٩٢١ (١٠١٨٦).
(٣) المرجع السابق ٦/ ١٩٢١ (١٠١٨٧).
(٤) «غرائب التأويل..» ١/ ٣٩٥ أول سورة الأعراف.
(٥) في «تفسيره» ٧/ ٢٣٩٦ (١٣٠٢٤) أول سورة مريم.
(٦) ابن أبي حاتم برقم (١٣٠٢٦).

وأخرج ابن أبي حاتم[١] عن عكرمة في قوله: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ قال: يقول: أنا الكبير، الهادي، عليٌّ، أمينٌ، صادقٌ.

وأخرج عن محمد بن كعب في قوله: ﴿طه﴾ قال: الطاء من ﴿ذِى ٱلطَّوْلِۖ﴾ [غافر: ٣].

وأخرج عنه أيضاً في قوله: ﴿طسٓمٓ﴾ قال: الطّاء من ﴿ذِى ٱلطَّوْلِۖ﴾ والسِّين من القُدّوس، والميم من الرَّحمن.

وأخرج عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿حمٓ﴾؛ قال: حاء اشتُقَّت من الرحمن، وميم اشتُقَّت من الرحيم.

وأخرج عن محمد بن كعب في قوله: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى: ١ ـ ٢]. قال: الحاء والميم من الرحمن، والعين من العليم، والسِّين من القدوس، والقاف من القاهر.

وأخرج عن مجاهد، قال: فواتح السُّور كلها هجاء مقطَّع.

وأخرج عن سالم بن عبد الله قال: ﴿ألم وحم ون﴾ ونحوها اسم الله مقطعة.

وأخرج عن السُّدّي قال: فواتح السور أسماء من أسماء الرّب جلّ جلاله، فرقتْ في القرآن.

وحكى الكرماني[٢] في قوله: ﴿قٓ﴾ أنه حرف من اسمه قادر وقاهر.

وحكى غيره في قوله: ﴿نٓ﴾ أنه مفتاح اسمه تعالى: نور وناصر.

وهذه الأقوال كلُّها راجعة إلى قول واحد، وهو أنها: حروف مقطعة، كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه تعالى.

والاكتفاء ببعض الكلمة معهود في العربية، قال الشاعر:

قلتُ لها قفي فقالت قافْ

أي: وقفت. وقال:

بالخير خيراتٍ وإنْ شرًّا فا ... ولا أريد الشرَّ إلَّا أن تا

أراد: وإن شرًّا فشر، وإلَّا أنْ تشاء. وقال:

ناداهم ألاَ الجموا ألاَ تَا ... قالوا جميعاً كلّهم ألا فا

أراد ألا تركبون، ألا فاركبوا.

وهذا القول اختاره الزجّاج، وقال: العرب تنطق بالحرف الواحد تدلُّ به على الكلمة التي هو منها.

وقيل: إنها الاسم الأعظم؛ إلَّا أنَّا لا نعرف تأليفه منها. كذا نقله ابن عطية.

وأخرج ابنُ جرير بسندٍ صحيح عن ابن مسعود، قال: هو اسم الله الأعظم.

---

(١) في «التفسير» ٧/ ٢٣٦٩ (١٣٠٢٢).

(٢) في «عجائبه» ٢/ ١١٢٧ أول سورة ق.

وأخرج ابن أبي حاتم[(١)] من طريق السُّدي: أنه بلغه عن ابن عباس قال: ﴿الٓمٓ﴾ اسم من أسماء الله تعالى الأعظم.

وأخرج ابن جرير وغيره من طريق عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: ﴿الٓمٓ﴾ و﴿طسٓمٓ﴾ و﴿صٓ﴾ وأشباهها قَسمٌ أقسم الله به، وهو من أسماء الله.

وهذا يصلح أن يكون قولاً ثالثاً؛ أي: إنها برمّتها أسماء لله، ويصلح أن يكون من القول الأول ومن الثاني. وعلى الأول مشى ابن عطية وغيره.

ويؤيده ما أخرجه ابن ماجه في «**تفسيره**» من طريق نافع: عن أبي نُعيم القارئ، عن فاطمة بنت عليّ بن أبي طالب: أنها سمعت عليّ بن أبي طالب يقول: يا ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ اغفر لي.

وما أخرجه ابن أبي حاتم[(٢)] عن الربيع بن أنس في قوله: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ قال: يا من يجير ولا يجار عليه.

وأخرج عن أشهب قال: سألت مالك بن أنس: أينبغي لأحد أن يتسمَّى بـ﴿يسٓ﴾؟ فقال: ما أراه ينبغي، لقول الله: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ﴾، يقول: هذا اسم تسمّيت به.

وقيل: هي أسماء للقرآن؛ كالفرقان والذكر، أخرجه عبد الرزاق عن قتادة. وأخرجه ابن أبي حاتم بلفظ: كلّ هجاء في القرآن فهو اسم من أسماء القرآن.

وقيل: هي أسماء للسور، نقله الماوردي وغيره عن زيد بن أسلم، ونسبه صاحب «**الكشاف**» إلى الأكثر.

وقيل: هو فواتح للسُّور، كما يقولون في أول القصائد (بل) و(لا بل).

أخرج ابن جرير من طريق الثوريّ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: ﴿الٓمٓ﴾ و﴿حمٓ﴾ و﴿الٓمٓصٓ﴾ و﴿صٓ﴾ ونحوها فواتح افتتح الله بها القرآن.

وأخرج أبو الشيخ من طريق ابن جرير قال: قال مجاهد: ﴿الٓمٓ﴾ و﴿الٓمٓرٓ﴾ فواتح افتتح الله بها القرآن. قلت: ألم يكن يقول هي أسماء؟ قال: لا.

وقيل: هذا حساب أبي جاد، لتدلَّ على مدَّة هذه الأمة.

وأخرج ابن إسحاق، عن الكلبيّ، عن أبي صالح، عن ابن عباس، عن جابر بن عبد الله بن رياب قال: مرَّ أبو ياسر بن أخطب في رجال من يهود برسول الله ﷺ، وهو يتلو فاتحة سورة البقرة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ﴾، فأتى أخاه حُيَيّ بن أخطب في رجال من اليهود، فقال: تعلمون والله لقد سمعت محمداً يتلو فيما أُنزل عليه: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾. قال: أنت سمعتَه؟ قال: نعم. فمشى حُيَيٌّ في أولئك النَّفر إلى رسول الله ﷺ فقالوا: ألَمْ تذكر أنك تتلو فيما أنزل عليك: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ﴾؟ فقال: «بلى». فقالوا: لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلمه بيَّن لنبي ما مدة ملكه، وما أجَلُ أمته غيرك، الألف

---

(١) في «تفسيره» ١/ ٣٢ (٤٣) أول البقرة.

(٢) ٧/ ٢٣٩٦ (١٣٠٢٧) أول مريم.

واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون؛ فهذه إحدى وسبعون سنة، أفندخل في دين نبي إنَّما مدة ملكه وأجل أُمَّته إحدى وسبعون سنة؟! ثم قال: يا محمد، هل مع هذا غيره؟ قال: «نعم، ﴿الٓمٓصٓ﴾» قال: هذه أثقل وأطول، الألف واحدة، واللام ثلاثون؛ والميم أربعون، والصاد تسعون، فهذه إحدى وستون ومئة سنة، هل مع هذا غيره؟ قال: «نعم، ﴿الٓر﴾». قال: هذه أثقل وأطول؛ الألف واحدة، واللام ثلاثون، والراء مئتان، هذه إحدى وثلاثون ومئتا سنة. هل مع هذا غيره؟ قال: «نعم، ﴿الٓمٓر﴾». قال: هذه أثقل وأطول، هذه إحدى وسبعون ومئتان، ثم قال: لقد لُبِّس علينا أمرُك حتى ما ندري أقليلاً أُعطِيتَ أم كثيراً. ثم قال: قوموا عنه. ثم قال أبو ياسر لأخيه ومَنْ معه: ما يدريكم لعلَّه قد جُمع هذا كلُّه لمحمد، إحدى وسبعون، وإحدى وستون ومئة، وإحدى وثلاثون ومئتان، وإحدى وسبعون ومئتان، فذلك سبعمئة وأربع وثلاثون سنة. فقالوا: لقد تشابه علينا أمرُه، فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧].

وأخرج ابن جرير من هذا الطَّريق، وابن المنذر من وجه آخر عن ابن جرير مُعْضلاً.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم(١): عن أبي العالية في قوله: ﴿الٓمٓ﴾: قال هذه الأحرف الثلاثة من الأحرف التسعة والعشرين، دارت بها الألسن، ليس منها حرف إلاَّ وهو مفتاحُ اسم من أسمائه تعالى، وليس منها حرف إلاَّ وهو من آلائه وبلائه، وليس منها حرف إلاَّ وهو في مدة أقوام وآجالهم، فالألف مفتاح اسمه: الله، واللام مفتاح اسمه: لطيف، والميم مفتاح اسمه: مجيد. فالألف آلاء الله، واللام لطف الله، والميم مجد الله، فالألف سنة، واللام ثلاثون، والميم أربعون.

قال الخُوَيِّي: وقد استخرج بعض الأئمة من قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ [الروم: ١ ـ ٢] أن البيت المقدس يفتحه المسلمون في سنة ثلاث وثمانين وخمسمئة، ووقع كما قاله!

وقال السهيليّ: لعلَّ عدد الحروف التي في أوائل السُّور ـ مع حذف المكرَّر ـ للإشارة إلى مدة بقاء هذه الأمة.

قال ابن حجر: وهذا باطل لا يُعتمد عليه، فقد ثبت عن ابن عباس ﷺ الزَّجر عن عدّ أبي جاد، والإشارة إلى أنَّ ذلك من جُملة السِّحر. وليس ذلك ببعيد، فإنه لا أصل له في الشريعة، وقد قال القاضي أبو بكر ابن العربيّ في فوائد رحلته: ومن الباطل علم الحروف المقطَّعة في أوائل السُّور.

وقد تحصَّل لي فيها عشرون قولاً وأزيد، ولا أعرف أحداً يحكم عليها بعلم ولا يصل منها إلى فهم.

والذي أقوله: إنه لولا أنَّ العرب كانوا يعرفون أنَّ لها مدلولاً متداولاً بينهم لكانوا أوَّلَ من أنكر ذلك على النبي ﷺ، بل تلا عليهم ﴿حمٓ﴾ فصِّلت و﴿صٓ﴾ وغيرهما فلم ينكروا ذلك، بل صرَّحوا بالتسليم له في البلاغة والفصاحة، مع تشوُّفهم إلى عثرة وحرصهم على زلَّة، فدلَّ على أنه كان أمراً معروفاً بينهم لا إنكار فيه. انتهى.

---

(١) في «تفسيره» ١/ ٣٣ (٤٩) أول البقرة.

وقيل: هي تنبيهات كما في النداء. عدَّه ابن عطية مغايراً للقول بأنها فواتح، والظاهر أنه بمعناه.

قال أبو عبيدة: ﴿الٓمٓ﴾ افتتاح كلام.

قال الخوَيِّي: القول بأنها تنبيهات جَيِّدٌ، لأن القرآن كلامٌ عزيز، وفوائده عزيزة، فينبغي أن يَرِدَ على سمع متنبِّه، فكان من الجائز أن يكون الله قد علم في بعض الأوقات كون النبي ﷺ في عالم البشر مشغولاً، فأمر جبريل بأن يقول عند نزوله: ﴿الٓمٓ﴾ و﴿الٓرۚ﴾ و﴿حمٓ﴾، ليسمع النبيّ صوت جبريل فيقبل عليه، ويُصغي إليه. قال: وإنما لم تستعمل الكلمات المشهورة في التنبيه كألاَ، وأمَا، لأنها من الألفاظ التي يتعارفها الناس في كلامهم، والقرآن كلام لا يشبه الكلامَ، فناسب أن يؤتى فيه بألفاظ تنبيه لم تُعهد، لتكون أبلغ في قرْعِ سمعه. انتهى.

وقيل: إن العرب كانوا إذا سمعوا القرآن لَغَوا فيه، فأنزل الله هذا النظم البديع ليعجَبوا منه، ويكون تعجّبُهم منه سبباً لاستماعهم، واستماعُهم له سبباً لاستماع ما بعده، فترقّ القلوب، وتلين الأفئدة.

وعدّ هذا جماعة قولاً مستقلاً، والظاهر خلافه، وإنما يصلح هذا مناسبة لبعض الأقوال، لا قولاً في معناه، إذ ليس فيه بيان معنى.

وقيل: إن هذه الحروف ذُكِرت لتدلَّ على أن القرآن مؤلَّف من الحروف التي هي: أ، ب، ت، ث.. فجاء بعضها مقطَّعاً، وجاء تمامها مؤلفاً، ليدلَّ القوم الذين نزل القرآن بلغتهم أنه بالحروف التي يعرفونها، فيكون ذلك تقريعاً لهم، ودلالة على عجزهم أن يأتوا بمثله، بعد أن علموا أنه منزل بالحروف التي يعرفونها، ويبنون كلامهم منها.

وقيل: المقصود بها الإعلام بالحروف التي يتركَّب منها الكلام، فذكر منها أربعة عشر حرفاً، وهي نصف جميع الحروف، وذكر من كل جنس نصفه:

فمن حروف الحلق: الحاء، والعين، والهاء. ومن التي فوقها القاف، والكاف.

ومن الحرفين الشفهيّين الميم.

ومن المهموسة: السين والحاء والكاف والصاد والهاء.

ومن الشديدة: الهمزة والطاء والقاف والكاف.

ومن المطبقة: الطاء والصاد.

ومن المجهورة: الهمزة والميم واللام والعين والراء والطاء والقاف والياء والنون.

ومن المنفتحة: الهمزة والمِيم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون.

ومن المستعلية: القاف والصاد والطاء.

ومن المنخفضة: الهمزة واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون.

ومن القلقلة: القاف والطاء.

ثم إنَّه تعالى ذكر حروفاً مفردة، وحرفين حرفين، وثلاثة ثلاثة، وأربعة، وخمسة، لأن تراكيب الكلام على هذا النَّمط، ولا زيادة على الخمسة.

وقيل: هي أمارة جعلها الله لأهل الكتاب: أنه سينزل على محمد كتاباً في أول سُور منه حروف مقطعة.

هذا ما وقفت عليه من الأقوال في أوائل السُّور من حيث الجملةُ، وفي بعضها أقوال أُخَر؛ فقيل: إن ﴿طه﴾ و﴿يسٓ﴾ بمعنى: يا رجُل، أو: يا محمد، أو: يا إنسان، وقد تقدَّم في المعرَب.

وقيل: هما اسمان من أسماء النبي ﷺ.

قال الكَرماني في «غرائبه»[1]: ويقويه في ﴿يسٓ﴾ قراءة ﴿يسين﴾ بفتح النون، وقوله: ﴿آل ياسين﴾. وقيل: ﴿طه﴾ أي: طأ الأرض أو اطمئنَّ، فيكون فعل أمر والهاء مفعول، أو للسكت، أو مبدلة من الهمزة.

أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جُبير: عن ابن عباس في قوله: ﴿طه﴾ هو كقولك: افعل. وقيل: ﴿طه﴾، أي: يا بدر، لأن الطاء بتسعة، والهاء بخمسة، فذلك أربعة عشر إشارة إلى البدر، لأنه يتم فيها. ذكره الكرمانيّ في «غرائبه»[2].

وقيل في قوله: ﴿يسٓ﴾: أي: يا سيد المرسلين، وفي قوله: ﴿صٓ﴾ صدق الله.

وقيل: أقسم بالصمد الصانع الصادق.

وقيل: معناه صادِ يا محمدُ علمك بالقرآن؛ أي: عارضْه به، فهو أمرٌ من المصاداة.

وأخرج عن الحسين قال: صاد حادث القرآن؛ يعني انظر فيه.

وأخرج عن سفيان بن حسين قال: كان الحسن يقرؤها: (صاد والقرآن) يقول: عارض القرآن. وقيل: ﴿صٓ﴾ اسم بَحْر عليه عرش الرحمن، وقيل: اسم بحر يحيي به الموتى. وقيل: معناه صادَ محمد قلوب العباد. حكاها الكَرمانيّ كلها.

وحكى في قوله: ﴿الٓمٓصٓ﴾ أن معناه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، وفي ﴿حمٓ﴾ أنه ﷺ، وقيل: معناه ﴿حمٓ﴾ ما هو كائن، وفي ﴿حمٓ ۝ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى: ١، ٢]: أنه جبل قاف. وقيل: ﴿قٓ﴾ جبل محيط بالأرض. أخرجه عبد الرزاق عن مجاهد.

وقيل: أقسم بقوَّة قلب محمد ﷺ، وقيل: هي القاف من قوله: ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ دلت على بقية الكلمة. وقيل: معناها قف يا محمد على أداء الرسالة، والعمل بما أمرت، حكاهما الكرماني.

وقيل: ﴿نٓ﴾ هو الحوت. أخرج الطَّبرانيّ[3] عن ابن عباس مرفوعاً: «**أوَّل ما خلق الله القلم والحوت**. قال: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: كل شيء كائن إلى يوم القيامة». ثم قرأ: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾. فالنون الحوت، والقاف القلم، وقيل: هو اللوح المحفوظ.

---

(١) «غرائب التفسير» ٢/ ٩٥٥ أول سورة يس، و١/ ٧٠٩ أول سورة طه.

(٢) أول سورة طه.

(٣) في «الكبير» ١١/ ٣٤٢ (١٢٢٢٧).

أخرجه ابن جرير من مرسَل ابن قُرَّة مرفوعاً.

وقيل: هو الدواة، أخرجه عن الحسن وقتادة.

وقيل: هو المداد، حكاه ابن قتيبة في «**غريبه**».

وقيل: هو القلم، حكاه الكرماني عن الجاحظ.

وقيل: هو اسم من أسماء النبي ﷺ، حكاه ابن عساكر في «**مبهماته**».

وفي «**المحتسَب**» لابن جنِّي[1]: أن ابن عباس قرأ (حمسق) بلا عين، ويقول: السين كلّ فرقة تكون، والقاف كل جماعة تكون.

قال ابن جنِّي: وفي هذه القراءة دليل على أن الفواتح فواصل بين السور، ولو كانت أسماء الله لم يجز تحريف شيء منها؛ لأنها لا تكون حينئذٍ أعلاماً، والأعلام تؤدى بأعيانها، ولا يحرَّف شيء منها.

وقال الكرماني في «**غرائبه**»[2] في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٢]: الاستفهام هنا يدلُّ على انقطاع الحروف عمَّا بعدها في هذه السُّورة وغيرها.

خاتمة

أورد بعضهم سؤالاً، وهو أنه: هل للمحكم مزيَّة على المتشابه أَوْ لا؟ فإن قلتم بالثاني: فهو خلاف الإجماع، أو بالأول: فقد نقضتم أصلكم في أن جميع كلام الله سبحانه وتعالى سواء، وأنه منزَّل بالحكمة!

وأجاب أبو عبد الله البَكْرَابَاذيُّ: بأن المحكم كالمتشابه من وجهٍ، ويخالفه من وجهٍ، فيتَّفقان في أن الاستدلال بهما لا يمكن إلاَّ بعد معرفة حكمة الواضع، وأنه لا يختار القبيح. ويختلفان في أن المحكم بوضع اللغة لا يحتمل إلاَّ الوجه الواحد؛ فمن سمعه أمكنه أن يستدل به في الحال، والمتشابه يحتاج إلى فكرة ونظر؛ ليحمله على الوجه المطابق. ولأن المحكَم أصلٌ، والعلم بالأصل أسبق، ولأن المحكَم يُعْلم مفصَّلاً، والمتشابه لا يُعلم إلاَّ مجملاً.

وقال بعضهم: إن قيل: ما الحكمة في إنزال المتشابه ممن أراد لعباده البيان والهدى؟ قلنا: إن كان مما يمكن علمه، فله فوائد:

منها: الحثُّ للعلماء على النَّظر الموجب للعلم بغوامضه، والبحث عن دقائقه، فإن استدعاء الهمم لمعرفة ذلك من أعظم القُرَب.

ومنها: ظهور التفاضل، وتفاوت الدَّرجات؛ إذ لو كان القرآن كلُّه محكَماً لا يحتاج إلى تأويل ونظر لاستوت منازل الخَلْق، ولم يظهر فضل العالم على غيره.

وإنْ كان مما لا يمكن علمه، فله فوائد:

---

(١) «المحتسب» ٢/ ٢٤٩ أول سورة الشورى.

(٢) «غرائب التأويل» ٢/ ٨٧٧ أول سورة العنكبوت.

منها: ابتلاء العباد بالوقوف عنده والتوقف فيه، والتفويض والتسليم والتعبُّد بالاشتغال به من جهة التلاوة كالمنسوخ، وإن لم يجز العمل بما فيه وإقامة الحجّة عليهم، لأنه لما نزل بلسانهم ولغتهم - وعجزوا عن الوقوف على معناه، مع بلاغتهم وأفهامهم - دلَّ على أنه نزل من عند الله؛ وأنَّه الذي أعجزهم عن الوقوف على معناه.

وقال الإمام فخر الدين: من الملحدة مَنْ طعن في القرآن؛ لأجل اشتماله على المتشابهات، وقال: إنكم تقولون: إن تكاليف الخلق مرتبطة بهذا القرآن إلى قيام الساعة، ثم إنا نراه بحيث يتمسَّك به صاحب كل مذهب على مذهبه:

فالجبريّ متمسِّك بآيات الجبر كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الأنعام: ٢٥].

والقَدَريّ يقول: هذا مذهب الكفار، بدليل أنه تعالى حكى ذلك عنهم في معرض الذَّم في قوله: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ [فصلت: ٥]، وفي موضع آخر: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ [البقرة: ٨٨].

ومنكر الرؤية متمسك بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

ومثبت الجهة متمسّك بقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

والنَّافي متمسك بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

ثم يسمِّي كل واحد الآيات الموافقةَ لمذهبه محكمة، والآيات المخالفة له متشابهة، وإنما آل في ترجيح بعضها على البعض إلى ترجيحات خفيَّة ووجوه ضعيفة، فكيف يليق بالحكيم أن يجعل الكتاب الذي هو المرجوع إليه في كل الدِّين إلى يوم القيامة هكذا؟!

قال: والجواب أَنَّ العلماء ذكروا لوقوع المتشابه فيه فوائد:

منها: أَنَّه يُوجب مزيد المشقَّة في الوصول إلى المراد، وزيادة المشقة توجب مزيدَ الثواب.

ومنها: أنه لو كان القرآن كلُّه محكَماً لما كان مطابقاً إلاَّ لمذهب واحد، وكان بصريحه مبطلاً لكلِّ ما سوى ذلك المذهب، وذلك مما ينفِّر أرباب سائر المذاهب عن قبوله وعن النظر فيه والانتفاع به، فإذا كان مشتملاً على المحكَم والمتشابه طمع صاحبُ كلّ مذهب أن يجدَ فيه ما يؤيِّد مذهبه، وينصر مقالَته، فينظر فيه جميع أرباب المذاهب، ويجتهد في التأمُّل فيه صاحب كلّ مذهب، وإذا بالغُوا في ذلك صارت المحكمات مفسِّرة للمتشابهات، وبهذا الطريق يتخلَّص المبطل من باطله، ويتَّصل إلى الحق.

ومنها: أن القرآن إذا كان مشتملاً على المتشابه، افتقر إلى العلم بطريق التأويلات، وترجيح بعضها على بعض، وافتقر في تعلُّم ذلك إلى تحصيل علوم كثيرة من علم اللغة والنَّحو والمعاني والبيان

وأصول الفقه، ولو لم يكن الأمر كذلك لم يحتج إلى تحصيل هذه العلوم الكثيرة؛ فكان في إيراد المتشابه هذه الفوائد الكثيرة.

ومنها: أنَّ القرآن مشتمِلٌ على دعوة الخواصِّ والعوامّ، وطبائعُ العوامّ تنفر في أكثر الأمر عن دَرك الحقائق، فمن سمع من العوامّ في أوَّل الأمر إثباتَ موجود ليس بجسم ولا متحيِّز ولا مشار إليه ظن أنَّ هذا عدمٌ ونفي، ووقع في التعطيل؛ فكان الأصلح أن يخاطبوا بأَلفاظٍ دالَّةٍ على بعض ما يناسب ما توهَّموه وتخيَّلوه؛ ويكون ذلك مخلوطاً بما يدلُّ على الحقِّ الصريح، فالقسم الأول ـ وهو الذي يخاطَبون به في أول الأمر ـ يكون من المتشابهات، والقسم الثاني ـ وهو الذي يكشف لهم في آخر الأمر ـ من المحكمات.

النوع الرابع والأربعون

في مقدَّمه ومؤخَّره

وهو قسمان:

الأول: ما أشكل معناه بحسب الظاهر، فلمَّا عرف أنه من باب التقديم والتأخير، اتَّضح. وهو جدير أن يُفردَ بالتصنيف، وقد تعرَّض السلف لذلك في آيات:

فأخرج ابن أبي حاتم(١) عن قَتادة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [التوبة: ٨٥]. قال: هذا من تقاديم الكلام، يقول: لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة.

وأخرج(٢) عنه أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [طه: ١٢٩]. قال: هذا من مقاديم الكلام، يقول: لولا كلمة وأجلٌ مسمى لكان لزاماً.

وأخرج(٣) عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ① قَيِّمًا﴾ [الكهف: ١، ٢]. قال: هذا من التقديم والتأخير: أنزل على عبده الكتاب قيّماً ولم يجعل له عوجاً.

وأخرج(٤) عن قتادة في قوله تعالى: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]. قال: هذا من المقدّم والمؤخّر؛ أي: رافعك إليَّ ومتوفيك.

وأخرج(٥) عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦]. قال: هذا من التقديم والتأخير، يقول: لهم يوم الحساب عذاب شديد بما نسوا.

وأخرج ابن جرير(٦) عن ابن زيد في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣]. قال: هذه الآية مقدمة ومؤخرة، إنما هي: أذاعوا به إلَّا قليلاً منهم، ولولا فضل الله عليكم ورحمته لم ينجُ قليل ولا كثير.

وأخرج عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣]. قال: إنهم إذا رأَوا الله، فقد رأَوه، إنما قالوا جهرة: أرنا الله. قال: هو مقدَّم ومؤخَّر. قال ابن جرير: يعني أن سؤالهم كان جهرة.

ومن ذلك قوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ﴾ [البقرة: ٧٢]. قال البَغويّ: هذه أول القصة، وإن كان مؤخراً في التلاوة.

---

(١) «تفسير ابن أبي حاتم» ٦/ ١٨٥٨ (١٠٢٠٨) التوبة: ٨٥ وفيه: مقاديم الكلام.

(٢) ابن أبي حاتم ٧/ ٢٤٤١ (١٣٥٨١).

(٣) ابن أبي حاتم ٧/ ٢٣٤٤ (١٢٦٩٤) الكهف: ١.

(٤) ابن أبي حاتم ٢/ ٦٦١ (٣٥٨٣) آل عمران: ٥٥.

(٥) ابن أبي حاتم ١٠/ ٣٢٤٠.

(٦) في «تفسيره» ٥/ ١١٦ النساء: ٨٣.

وقال الواحديّ: كان الاختلاف في القاتل قبل ذبح البقرة، وإنما أُخّر في الكلام؛ لأنه تعالى لمّا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ الآية [البقرة: ٦٧]، علم المخاطبون أنّ البقرة لا تُذبح إلّا للدلالة على قاتلٍ خفيت عينه عليهم، فلما استقرَّ علم هذا في نفوسهم أتبع بقوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰءْتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧٢]. فسألتم موسى، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧].

ومنه: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان: ٤٣]. والأصل هواه إلهه؛ لأن من اتخذ إلهه هواه غير مذموم، فقدّم المفعول الثاني للعناية به.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلى: ٤، ٥]، على تفسير ﴿أحوى﴾ بالأخضر. وجعله نعتاً للمرعى، أي: أخرجه أحوى، ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً﴾ وأُخّر رعايةً للفاصلة.

وقوله: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧]، والأصل سود غرابيب، لأنّ الغِرْبِيبَ الشديدُ السّوادِ.

وقوله: ﴿فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا . . .﴾ [هود: ٧١]، أي: فبشرناها فضحكت.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤]، أي: لَهَمَّ بها، وعلى هذا فالهمُّ منفيٌّ عنه.

الثاني: ما ليس كذلك، وقد ألف فيه العلامة شمس الدين بن الصائغ كتابه «**المقدّمة في سر الألفاظ المقدّمة**». قال فيه: الحكمة الشائعة الذّائعة في ذلك الاهتمام، كما قال سيبويه في «**كتابه**»: كأنّهم يقدّمون الذي بيانه أهمّ وهُم ببيانه أعنى.

قال: هذه الحكمة إجمالية، وأما تفاصيل أسباب التقديم وأسراره، فقد ظهر لي منها في الكتاب العزيز عشرة أنواع:

الأول: التبرُّك، كتقديم اسم الله تعالى في الأُمور ذات الشأن، ومنه قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ الآية [الأنفال: ٤١].

الثاني: التعظيم، كقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٦٩]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ﴾ [الأحزاب: ٥٦]. ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢].

الثالث: التشريف، كتقديم الذكر على الأُنثى، نحو: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ . . .﴾ الآية [الأحزاب: ٣٥]، والحرّ في قوله: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ [البقرة: ١٧٨]، والحيّ في قوله: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ . . .﴾ الآية [الأنعام: ٩٥]، ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ [فاطر: ٢٢]، والخيل في قوله: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾ [النحل: ٨]، والسمع في قوله: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقوله: ﴿إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾ [الأنعام: ٤٦]؛ حكى ابن عطية عن النّقاش: أنه استدلَّ بها على تفضيل السمع على البصر، ولذا وقع في وصفه تعالى: ﴿سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٦١] بتقديم السمع.

ومن ذلك: تقديمه ﷺ على نوح ومن معه في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ الآية [الأحزاب: ٧].

وتقديم الرسول في قوله: ﴿مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢].

وتقديم المهاجرين في قوله: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وتقديم الإنس على الجنّ حيث ذُكرا في القرآن.

وتقديم النبيّين، ثمَّ الصِّدِّيقين، ثم الشهداء، ثمَّ الصالحين في آية النساء [٦٩].

وتقديم إسماعيل على إسحاق، لأنه أَشرف؛ بكون النبيّ ﷺ من ولده، وأَسنُّ.

وتقديم موسى على هارون لاصطفائه بالكلام، وقدم هارون عليه في سورة طه رعايةً للفاصلة.

وتقديم جبريل على ميكائيل في آية البقرة، لأنه أفضل [٩٨].

وتقديم العاقل على غيره في قوله: ﴿مَتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٣]، ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَـٰٓفَّـٰتٍ﴾ [النور: ٤١].

وأما تقديم الأنعام في قوله: ﴿تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ﴾ [السجدة: ٢٧]، فلأنه تقدَّم ذكر الزرع، فناسب تقديم الأنعام، بخلاف آية «عبس»؛ فإنَّه تقدّم فيها: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ [عبس: ٢٤]، فناسب تقديم ﴿مَّتَـٰعًا لَّكُمْ﴾.

وتقديم المؤمنين على الكفار في كلّ موضع.

وأصحاب اليمين على أصحاب الشمال.

والسماء على الأرض، والشمس على القمر حيث وقع، إلّا في قوله: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٥، ١٦]؛ فقيل: لمراعاة الفاصلة، وقيل: لأنَّ انتفاع أهل السموات العائد عليهنَّ الضمير به أكثر.

وقال ابن الأنباري: يقال: إنَّ القمر وجْهُه يضيء لأهل السموات وظهره لأهل الأرض، ولهذا قال تعالى: ﴿فِيهِنَّ﴾. لمّا كان أكثر نوره يضيء إلى أهل السماء.

ومنه: تقديم الغيب على الشهادة في قوله: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ [الزمر: ٤٦]؛ لأن علمه أشرف، وأما: ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧] فأُخِّر فيه رعايةً للفاصلة.

الرابع: المناسبة، وهي إمَّا مناسبة المتقدّم لسياق الكلام، كقوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: ٦]؛ فإن الجمال بالجمال، وإن كان ثابتاً حالتي السَّراح والإراحة، إلّا أنها حالة إرَاحتها ـ وهو مجيئها من المرعى آخر النهار ـ يكون الجمَال بها أفخر؛ إذ هي فيه بِطَان، وحالةُ سراحها للمرعى أول النهار يكون الجمال بها دون الأول، إذ هي فيه خِماص. ونظيره قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟﴾ [الفرقان: ٦٧]. قدّم نفي الإسراف؛ لأن السرف في الإنفاق.

وقوله: ﴿يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الروم: ٢٤]؛ لأن الصواعق تقع مع أول برقة، ولا يحصل المطر إلّا بعد توالي البرقات.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١]. قدّمها على الابن لمَّا كان السياق في ذكرها في قوله: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ الأنبياء: ٩١]، ولذلك قدّم الابن في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠]، وحسَّنه تقدّم موسى في الآية قبله.

ومنه: قوله: ﴿وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩]؛ قدّم الحكم وإن كان العلم سابقاً عليه؛ لأن السياق فيه، لقوله في أول الآية: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ [الأنبياء: ٧٨].

وإما مناسبة لفظ هو من التقدم أو التأخر، كقوله: ﴿الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣]، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ [الحجر: ٢٤]، ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٧]، ﴿بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣]، ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٣٩، ٤٠]، ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾ [الروم: ٤]، ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ﴾، [القصص: ٧٠]، وأما قوله: ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ﴾ [النجم: ٢٥]، فلمراعاة الفاصلة، وكذا قوله: ﴿جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات: ٣٨].

الخامس: الحثُّ عليه والحضُّ على القيام به؛ حذراً من التهاون به، كتقديم الوصية على الدَّين في قوله: ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء: ١١]، مع أن الدَّين مقدَّم عليها شرعاً[1].

السادس: السبق، وهو إمَّا في الزمان باعتبار الإيجاد بتقديم الليل على النهار، والظلمات على النور، وآدم على نوح، ونوح على إبراهيم، وإبراهيم على موسى، وهو على عيسى، وداود على سليمان، والملائكة على البشر في قوله: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]. وعادٍ على ثمود، والأزواج على الذريَّة في قوله: ﴿قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾ [الأحزاب: ٥٩]. والسِّنة على النوم في قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

أو باعتبار الإنزال، كقوله: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٩]، ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٣، ٤].

أو باعتبار الوجوب والتكليف، نحو: ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ [الحج: ٧٧]، ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]، ولهذا قال ﷺ: «**نبدأ بما بدأ الله به**» [مسلم: ٢٩٥٠].

أو بالذَّات، نحو: ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء: ٣] .﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]. وكذا جميع الأعداد: كل مرتبة هي متقدمة على ما فوقها بالذات. وأما قوله: ﴿أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ﴾ [سبأ: ٤٦] فللحثّ على الجماعة والاجتماع على الخير.

---

(١) أخرج الترمذي عن علي: أن النبي ﷺ قَضَى بالدَّين قبل الوصية، وأنتم تُقرُّون الوصيةَ قبل الدين. وقد حَسَّنه الشيخ الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢١٢٢). قال أبو عيسى: والعملُ على هذا عند عامة أهل العلم: أنه يُبدأ بالدَّين قبل الوصية.

السابع: السببية، كتقديم العزيز على الحكيم؛ لأنه عزّ فحكَم. والعليم عليه؛ لأن الإحكام والإتقان ناشئ عن العلم. وأما تقديم الحكيم عليه في سورة الأنعام، فلأنه مقام تشريع الأحكام(١).

ومنه: تقديم العبادة على الاستعانة في سورة الفاتحة؛ لأنها سبب حصول الإعانة، وكذا قوله: ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]؛ لأن التوبة سبب الطهارة. ﴿لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الجاثية: ٧]؛ لأن الإفك سبب الإثم. ﴿يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]؛ لأن البصر داعية إلى الفرج.

الثامن: الكثرة، كقوله: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]، لأنَّ الكفار أكثر. ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ . . .﴾ الآية [فاطر: ٣٢]، قدَّم الظالم لكثرته، ثم المقتصد، ثم السابق. ولهذا قدَّم السارق على السارقة؛ لأن السرقة في الذكور أكثر. والزانية على الزاني، لأن الزنا فيهنَّ أكثر.

ومنه تقديم الحرمة على العذاب حيث وقع في القرآن غالباً، ولهذا وَرَدَ: «**إنَّ رحمتي غلبت غضبي**» [البخاري: ٣١٩٤، ومسلم: ٦٩٦٩، وأحمد: ٧٥٠٠].

وقوله: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤]. قال ابن الحاجب في «**أماليه**»(٢): إنَّما قُدِّمَ الأزواجُ؛ لأن المقصود الإخبارُ أنَّ فيهم أعداءً، ووقوعُ ذلك في الأزواج أكثرُ منه في الأولاد، وكان أقعد في المعنى المراد فقُدِّم. ولذلك قُدِّمت الأموال في قوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، لأنّ الأموال لا تكاد تفارقها الفتنة .﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦، ٧]، وليست الأولادُ في استلزام الفتنة مثلَها، فكان تقديمُها أَوْلَى. اهـ.

التاسع: الترقّي من الأدنى إلى الأعلى، كقوله: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ . . .﴾ الآية [الأعراف: ١٩٥]، بدأ بالأدنى لغرض الترقّي؛ لأن اليدَ أشرفُ من الرِّجْل، والعينَ أشرفُ من اليد، والسمعَ أشرفُ من البصر.

ومن هذا النوع تأخير الأبلغ، وقد خُرِّج عليه تقديمُ الرحمن على الرحيم، والرؤوف على الرحيم، والرسول على النبيّ، في قوله: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥١]، وذُكر لذلك نكتٌ أشهرُها: مراعاة الفاصلة.

العاشر: التدلّي من الأعلى إلى الأدنى، وخرِّج عليه: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ [الكهف: ٤٩]، ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢].

هذا ما ذكره ابن الصائغ، وزاد غيره أسباباً أُخَر:

منها: كونه أدَلّ على القدرة وأعجب، كقوله: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ . . .﴾ الآية [النور: ٤٥]، وقوله: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]. قال الزمخشري(٣): قدَّم

---

(١) سورة الأنعام، الآيات: ٨٣ و ١٢٨ و ١٣٩ .

(٢) «أمالي ابن الحاجب» ١/ ٢٥٩ إملاء (١٠٩).

(٣) في «تفسيره» ٤/ ١٥٨ الأنبياء: ٧٩.

الجبال على الطَّير؛ لأن تسخيرها له وتسبيحها أعجبُ وأدلُّ على القدرة، وأَدخل في الإِعجاز؛ لأنها جماد، والطيرُ حيوان ناطق.

ومنها: رعاية الفواصل، وسيأْتي لذلك أَمثلة كثيرة.

ومنها: إفادة الحصر للاختصاص، وسيأتي في النوع الخامس والخمسين.

تنبيه: قد يُقَدّم لفظ في موضع ويؤخَّر في آخر، ونكتة ذلك:

إمَّا لكون السِّياق في كلّ موضع يقتضي ما وقع فيه، كما تقدمت الإِشارة إليه.

وإما لقصد البداءة والختم به للاعتناء بشأْنه، كما في قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ . . .﴾ الآيات [آل عمران: ١٠٦].

وإمَّا لقصد التَّفنُّن في الفصاحة وإخراج الكلام على عدة أساليب، كما في قوله: ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨]، وقوله: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ [الأعراف: ١٦١]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال في الأنعام: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ٩١].

النوع الخامس والأربعون

في عامّه وخاصّه

العامّ: لفظ يستغرق الصالح له من غير حَصْر.

وصيغتُه: «كلّ» مبتدأة، نحو: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦]، أو تابعة، نحو: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ٣٠].

و«**الّذي والتي**» وتثنيتهما وجمعهما، نحو: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا﴾ [الأحقاف: ١٧]؛ فإن المراد به كل من صدر منه هذا القول، بدليل قوله بعد: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ [الأحقاف: ١٨]، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [البقرة: ٨٢]، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ﴾ [آل عمران: ١٥]، ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ﴾ [الطلاق: ٤]، ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا﴾ [النساء: ١٥]، ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا﴾ الآية [النساء: ١٥]، ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا﴾ [النساء: ١٦].

«**أيّ، وما، ومَنْ**» شرطاً واستفهاماً وموصولاً، نحو: ﴿أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠]، ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣].

و«**الجمع المضاف**» نحو: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: ١١]، و«**المعرّف بأل**» نحو: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]، ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥].

و«**اسم الجنس المضاف**» نحو: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ [النور: ٦٣]، أي: كلّ أمر الله.

و«**المعرّف بأل**» نحو: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، أي: كلّ بيع، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾، أي: كلّ إنسان، بدليل: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [العصر: ٢، ٣].

و«**النكرة في سياق النفي والنهي**» نحو: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣]، ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الحجر: ٢١]، ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢]، ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وفي **سياق الشرط** نحو: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وفي سياق الامتنان نحو: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨].

فصل: العام على ثلاثة أقسام:

الأول: الباقي على عمومه. قال القاضي جلال الدين البُلْقيني: ومثاله عزيز، إذ ما منْ عامّ إلّا ويتخيّل فيه التخصيص، فقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ [الحج: ١] قد يخصُّ منه غير المكلّف. وَ:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣] خصَّ منها حالةَ الاضطرار، وميتةَ السمك والجراد[١]. ﴿وَحَرَّمَ الرِّبَوٰا﴾ [البقرة: ٢٧٥] خصَّ منه العرايا[٢]. [البخاري: ٢١٩١].

وذكر الزركشي في «البرهان»[٣] أنَّه كثير في القرآن، وأورد منه: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٧]. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ [يونس: ٤٤]. ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]. [﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الروم: ٤٠]. ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [فاطر: ١١] .﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [غافر: ٦٤].

قلت: هذه الآيات كلُّها في غير الأحكام الفرعية، فالظاهر أن مُراد البُلْقينيّ أنَّه عزيز في الأحكام الفرعيَّة. وقد استخرجت من القرآن بعد الفكر آية فيها، وهي قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ . . .﴾ الآية [النساء: ٢٣]؛ فإنَّه لا خصوص فيها.

الثاني: العامّ المراد به الخصوص.

الثالث: العام المخصوص.

وللناس بينهما فروق:

أنَّ الأوَّل: لم يُرَدْ شموله لجميع الأفراد، لا من جهة تناول اللفظ، ولا من جهة الحكم؛ بل هو ذو أفراد استعمل في فرد منها.

والثاني: أُريد عمومه وشموله لجميع الأفراد، من جهة تناول اللفظ لها، لا من جهة الحكم.

ومنها: أن الأوَّل مجاز قطعاً، لنقل اللفظ عن موضوعه الأصليّ. بخلاف الثاني: فإنَّ فيه مذاهب أصحّها أنه حقيقة، وعليه أكثر الشافعية وكثير من الحنفية وجميع الحنابلة، ونقله إمام الحرمين عن جميع الفقهاء. وقال الشيخ أبو حامد: إنَّه مذهب الشافعيّ وأصحابه، وصحَّحه السبكيّ؛ لأنَّ تناول اللفظ للبعض الباقي بعد التخصيص كتناوله له بلا تخصيص، وذلك التناول حقيقيّ اتفاقاً، فليكن هذا التناول حقيقيًّا أيضاً.

ومنها: أن قرينة الأول عقلية والثاني لفظية.

ومنها: أن قرينة الأول لا تنفك عنه، وقرينة الثاني قد تنفكّ عنه.

ومنها: أن الأول يصحُّ أن يراد به واحد اتفاقاً، وفي الثاني خلاف.

---

(١) في الحديث: «أُحِلَّت لنا ميتتان ودمان: فأما الميتتان فالحوت والجراد، وأما الدمان فالكَبِد والطِّحال». رواه أحمد (٥٧٢٣)، وابن ماجه (٣٢١٨)، وهو حديث حسن. وانظر تمام تخريجه في «المسند».

(٢) العرايا: هي أنَّ من لا نخل له من ذوي الحاجة يدرك الرطبَ ولا نَقْدَ بيده يشتري به الرطب لعياله، ولا نخلَ له يطعمهم منه، ويكون قد فضَلَ له من قوته تمر، فيجيء إلى صاحب النخل فيقول له: بِعْني ثمر نخلةٍ أو نخلتين بخَرْصها من التمر، فيعطيه ذلك الفاضل من التمر بثمر تلك النخلات ليصيب من رُطَبها مع الناس، فرخّص فيه إذا كان دون خمسة أوسق. «النهاية» ٣/ ٢٢٤ مادة: «عري».

(٣) في النوع ٤٢.

ومن أمثلة المراد به الخصوص: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، والقائل واحد: نُعَيم بن مسعود الأشجعي[١] أو أعرابيٌّ من خُزاعة، كما أخرجه ابن مردويه من حديث أبي رافع؛ لقيامه مقام كثير من تثبيطه المؤمنين عن ملاقاة أبي سفيان.

قال الفارسيّ: ومما يقوّي أن المراد به واحد قوله: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [آل عمران: ١٧٥]. فوقعت الإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ إلى واحد بعينه، ولو كان المعني به جمعاً لقال: إنّما أُولئكم الشيطان، فهذه دلالة ظاهرة في اللفظ.

ومنها: قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء: ٥٤]، أي: رسول الله ﷺ، لجمعه ما في الناس من الخصال الحميدة.

ومنها: قوله: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩]. أخرج ابن جرير[٢] من طريق الضحّاك: عن ابن عباس في قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾، قال: إبراهيم عليه السلام.

ومن الغريب قراءة سعيد بن جبير: (مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسي) قال في «**المحتسَب**»[٣]: يعني آدم، لقوله: ﴿فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥].

ومنها: قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ﴾ [آل عمران: ٣٩]، أي: جبريل، كما في قراءة ابن مسعود.

وأما المخصوص: فأمثلته في القرآن كثيرة جدّاً، وهو أكثر من المنسوخ، إذ ما من عامٍّ إلّا وقد خُصّ.

ثم المخصِّص له: إمَّا متصل وإما منفصل.

فالمتصل: خمسةٌ وقعت في القرآن:

أحدها: الاستثناء، نحو: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ [النور: ٤، ٥]. ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ . . .﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ . . .﴾ الآية [الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٧]. ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا . . .﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠]. ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٢٤]. ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

الثاني: الوصف، نحو: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ [النساء: ٢٣].

الثالث: الشرط، نحو: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ٣٣]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ﴾ [البقرة: ١٨٠].

---

(١) نُعَيم . . . صحابي أسلم أيام الخندق سرًّا، قتل يوم الجمل قبل قدوم علي إلى البصرة. (ت: نحو ٣٠هـ) «طبقات ابن سعد» ٤/ ١٩.

(٢) في «تفسيره» ٢/ ١٧٠ البقرة: ١٩٩.

(٣) «المحتسَب» لابن جني ١/ ١١٩ البقرة: ١٩٩.

الرابع: الغاية، نحو: ﴿قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ . . .﴾ إلى قوله: ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ﴾ [التوبة: ٢٩]، ﴿وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ﴿وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ﴾ [البقرة: ١٩٦]، ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ . . .﴾ الآية [البقرة: ١٨٧].

والخامس: بدل البعض من الكل، نحو: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾ [آل عمران: ٩٧].

والمنفصل: آية أُخرى في محل آخر، أو حديثٌ، أو إجماع، أو قياس.

ومن أمثلة ما **خُصَّ بالقرآن**: قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ﴾ [البقرة: ٢٢٨] خُصَّ بقوله: ﴿إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ﴾ [الأحزاب: ٤٩]، وبقوله: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ [الطلاق: ٤].

وقوله: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ﴾ [المائدة: ٣]، خُصَّ من الميتة السمكُ بقوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِلسَّيَّارَةِۖ﴾ [المائدة: ٩٦] ومن الدم: الجامدُ بقوله: ﴿أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥].

وقوله: ﴿وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ . . .﴾ الآية [النساء: ٢٠] خصَّ بقوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وقوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ﴾ [النور: ٢] خصَّ بقوله: ﴿فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ﴾ [النساء: ٢٥].

وقوله: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣] خصَّ بقوله: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ . . .﴾ الآية [النساء: ٢٣].

ومن أمثلة ما **خصَّ بالحديث**: قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ﴾ [البقرة: ٢٧٥] خصَّ منه البيوع الفاسدة ـ وهي كثيرة ـ بالسنَّة.

﴿وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾ [البقرة: ٢٧٥] خصَّ منه العرايا بالسنَّة.

وآيات المواريث خصّ منها القاتل والمخالف في الدِّين بالسنة. [البخاري: ٦٧٦٤، ومسلم: ٤١٤٠، وأحمد: ٢١٧٤٧].

وآية تحريم الميتة خصَّ منها الجراد بالسنَّة.

وآية: ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ﴾ [البقر: ٢٢٨] خصَّ منها الأمة بالسنَّة. [الترمذي: ١١٨٢ وقد ضعفه الألباني][(1)].

وقوله: ﴿مَآءٗ طَهُورٗا﴾ [الفرقان: ٤٨] خصَّ منه المتغيِّر بالسنَّة. [الدارقطني: (١/٢٨)].

وقوله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ﴾ [المائدة: ٣٨] خصَّ منه من سرق دون ربع دينار بالسنَّة. [البخاري: ٦٧٨٩، ومسلم: ٤٣٩٨، وأحمد: ٢٥٣٠٤].

ومن أمثلة ما **خصَّ بالإجماع**: آية المواريث خصَّ منها الرقيق، فلا يرث بالإجماع، ذكره مكيٌّ.

---

(١) من حديث عائشة بلفظ: «طَلَاقُ الأَمَة تطليقتان، وعِدَّتها حَيْضَتان».

ومن أمثلة ما خُصَّ بالقياس: آية الزنا: ﴿فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖ﴾ [النور: ٢] خص منها العبد بالقياس على الأمَة المنصوصة في قوله: ﴿فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [النساء: ٢٥] المخصّص لعموم الآية. ذكره مكي[1] أيضاً.

فصل: من خاص القرآن ما كان مُخصصاً لعموم السنّة، وهو عزيز. ومن أمثلته:

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ﴾ [التوبة: ٢٩] خصَّ عموم قوله ﷺ: «**أُمرتُ أنْ أُقاتلَ النَّاسَ حَتَّى يقولوا: لا إله إلّا الله**» [البخاري: ٢٥، ومسلم: ١٢٩].

وقوله: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨] خص عموم نهيه ﷺ عن الصلاة في الأوقات المكروهة بإخراج الفرائض. [البخاري: ٥٨٦، ومسلم: ١٩٢٣، وأحمد: ١١٩٠٠].

وقوله: ﴿وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا . . .﴾ الآية [النحل: ٨٠] خصَّ عموم قوله ﷺ: «**ما أُبينَ من حَيٍّ فهو ميّت**». [صحيح: أبو داود: ٢٨٥٨، وابن ماجه: ٣٢١٧].

وقوله: ﴿وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ﴾ [التوبة: ٦٠] خصَّ عموم قوله ﷺ: «**لا تحلُّ الصَّدقة لغني ولا لذي مِرَّةٍ سَوِيٍّ**». [صحيح: أبو داود: ١٦٣٤، والترمذي: ٦٥٢].

وقوله: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي﴾ [الحجرات: ٩] خصَّ عموم قوله ﷺ: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**» [البخاري: ٣١، ومسلم: ٧٢٥٢، وأحمد: ٢٠٤٣٩].

فروع منثورة تتعلق بالعموم والخصوص

الأول: إذا سِيق العامّ للمدح أو الذّم، فهل هو باقٍ على عمومه؟ فيه مذاهب:

أحدها: نعم؛ إذ لا صارف عنه، ولا تنافي بين العموم وبين المدح أو الذّم.

والثاني: لا؛ لأنّه لم يُسَقْ للتعميم، بل للمدح أو للذمّ.

والثالث ـ وهو الأصح ـ: التفصيل، فيعمّ إن لم يعارضه عامّ آخر لم يُسَق لذلك، ولا يعمّ إن عارضه ذلك؛ جمعاً بينهما.

مثاله ـ ولا معارض ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤].

ومع المعارض: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ [المؤمنون: ٥، ٦]، فإنَّه سيق للمدح، وظاهره يعمّ الأُختين بملك اليمين جَمْعاً، وعارضه في ذلك: ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ﴾ [النساء: ٢٣]، فإنَّه شامل لجمعهما بملك اليمين، ولم يُسَقْ للمدح، فحُمِل الأول على غير ذلك بأن لم يُرَدْ تناوله له.

ومثاله في الذّم: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ . . .﴾ الآية [التوبة: ٣٤]، فإنه سيق للذّم،

(١) في «الناسخ والمنسوخ» ص٣٦٠ ـ ٣٦١.

وظاهره يعمّ الحلي المباح، وعارضه في ذلك حديث جابر: «ليس في الحُلِيِّ زكاة»[1]؛ فحمل الأول على غير ذلك.

الثاني: اختلف في الخطاب الخاص به ﷺ، نحو: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ هل يشمل الأُمَّة؟ فقيل: نعم؛ لأن أمرَ القدوة أمر لأتباعه معه عُرْفاً، والأصحّ في الأصول المنع، لاختصاص الصيغة به.

الثالث: اختلف في الخطاب بـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ هل يشمل الرسول ﷺ؟ على مذاهب:

أصحُّها ـ وعليه الأكثرون ـ: نعم لعموم الصّيغة له. أخرج ابن أبي حاتم عن الزّهري قال: إذا قال الله: يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا افْعَلُوا، فالنبيّ ﷺ منهم.

والثاني: لا؛ لأنه ورد على لسانه لتبليغ غيره، ولِما له من الخصائص.

والثالث: إن اقترن بـ (قل) لم يشمله لظهوره في التبليغ، وذلك قرينة عدم شموله؛ وإلّا فيشمله.

الرابع: الأصحّ في الأصول أنّ الخطاب بـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يَشمل الكافر والعبد لعموم اللفظ. وقيل: لا يعمّ الكافر بناء على عدم تكليفه بالفروع، ولا العبد؛ لصرف منافعه إلى سيِّده شرعاً.

الخامس: اختلف في (مَنْ) هل تتناول الأنثى؟ فالأصحّ: نعم، خلافاً للحنفية.

لنا قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ [النساء: ١٢٤]، فالتفسير بهما دالٌّ على تناول (مَنْ) لهما، وقوله: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ﴾ [الأحزاب: ٣١].

واختُلف في جمع [المؤنث] السالم هل يتناولها؟ فالأصح: لا، وإنما يدخلن فيه بقرينة. أمّا المكسَّر: فلا خلاف في دخولهنّ فيه.

السادس: اختلف في الخطاب بـ ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾، هل يشمل المؤمنين؟ فالأصحّ: لا؛ لأنَّ اللفظ قاصرٌ على مَنْ ذُكر. وقيل: إن شاركوهم في المعنى شملهم وإلّا فلا.

واختلف في الخطاب بـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ هل يشمل أهل الكتاب؟ فقيل: لا، بناء على أنهم غير مخاطَبين بالفروع. وقيل: نعم، واختاره ابن السمعاني، قال: وقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ خطاب تشريف لا تخصيص.

(١) الدارقطني في «سننه» ٢/ ١٠٧ (٤) في الزكاة. قال الشيخ الألباني في «الإرواء»: ٨١٧: باطل. وانظر تمام كلامه فيه، فقد أسهب رحمه الله تعالى.

النوع السادس والأربعون

في مجمَله ومبيَّنه

المجمَل: ما لم تتَّضح دلالته، وهو واقع في القرآن، خلافاً لداود الظَّاهري(١).

وفي جواز بقائه مجملاً أقوال، أصحها: لا يبقى المكلَّف بالعمل به، بخلاف غيره.

وللإجمال أسباب:

منها: الاشتراك، نحو: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ [التكوير: ١٧]، فإنه موضوع لأقبلَ وأدبرَ. ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فإنَّ القُرْء موضوع للحيْض والطهر، ﴿أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، يحتمل الزوج والوليّ، فإنَّ كلًّا منهما بيده عقدة النكاح.

ومنها: الحذف، نحو: ﴿وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٢٧]، يحتمل (في) و(عن).

ومنها: اختلاف مرجع الضمير، نحو: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر: ١٠] يحتمل عَوْد ضمير الفاعل في ﴿يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ إلى ما عاد عليه ضمير ﴿إِلَيۡهِ﴾ وهو الله، ويحتمل عَوْده إلى العمل؛ والمعنى: أنَّ العمل الصالح هو الذي يرفع الكلم الطيِّب.

ويحتمل عوده إلى الكَلِم الطَّيب؛ أي: إن الكلم الطيب ـ وهو التَّوحيد ـ يرفع العمل الصالح؛ لأنَّه لا يصحُّ العمل إلَّا مع الإيمان.

ومنها: احتمال العطف والاستئناف، نحو: ﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ﴾ [آل عمران: ٧].

ومنها: غرابة اللفظ، نحو: ﴿فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ﴾(٢) [البقرة: ٢٣٢].

ومنها: عدم كثرة الاستعمال الآن، نحو: ﴿يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾ [الشعراء: ٢٢٣]، أي: يسمعون. ﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ﴾ [الحج: ٩]، أي: متكبراً. ﴿فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ﴾ [الكهف: ٤٢]، أي: نادماً.

ومنها: التقديم والتأخير، نحو: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى﴾ [طه: ١٢٩]، أي: ولولا كلمة وأجلٌ مسمى لكان لزاماً. ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، أي: يسألونك عنها كأنك حفي.

ومنها: قلب المنقول، نحو: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: ٢]، أي: سيناء. ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾ [الصافات: ١٣٠]، أي: على إلياس.

---

(١) داود بن علي: أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام (ت: ٢٧٠هـ). «تذكرة الحفاظ» ٢/ ١٣٦، و«ميزان الاعتدال» ١/ ٣٢١.

(٢) يقال: عضل الرجلُ أيِّمَهُ: إذا مَنَعها من التزويج. والمعنى: لا تحبسوهُنَّ. «تفسير غريب القرآن» أحمد صقر. سورة البقرة: ٢٣٢.

ومنها: التكرير القاطع لوصل الكلام في الظاهر، نحو: ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ﴾ [الأعراف: ٧٥].

فصل: قد يقع التبيين متَّصلاً، نحو: ﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ بعد قوله: ﴿ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ومنفصلاً في آية أُخرى، نحو: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ﴾ [البقرة: ٢٣٠] بعد قوله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ [البقرة: ٢٢٩]؛ فإنَّها بيَّنت أن المراد به الطلاق الذي يملك الرَّجعة بعده، ولولاها لكان الكلّ منحصراً في الطلقتين.

وقد أخرج أحمد وأبو داود في «**ناسخه**» وسعيد بن منصور [في «سننه»: ١٤٥٦ و١٤٥٧] وغيرهم، عن أبي رَزِين الأسديّ: قال رجل: يا رسول الله، أرأيت قول الله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. فأين الثالثة؟ قال: «**التَّسريح بإحسانٍ**» [والبيهقي في «السنن» (٧/ ٣٤٠)].

وأخرج ابن مردويه، عن أنس قال: قال رجل: يا رسولَ الله، ذكر الله الطلاق مرتين، فأين الثالثة؟ قال: «﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ [البقرة: ٢٢٩]».

وقوله: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] دالٌّ على جواز الرؤية، ويُفَسِّر أنَّ المراد بقوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] لا تحيط به، دون (لا تراه). وقد أخرج ابن جرير[1] من طريق العوفيّ: عن ابن عباس في قوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾: لا تحيط به.

وأخرج عن عكرمة أنه قيل له عند ذكر الرؤية: أليس قد قال: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾؟ فقال: ألستَ ترى السماء؟ أفكلَّها ترى؟

وقوله: ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ...﴾ الآية [المائدة: ١] فسَّره قوله: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ [المائدة: ٣].

وقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] فسَّره قوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ...﴾ الآية [الانفطار: ١٧ ـ ١٩].

وقوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ﴾ [البقرة: ٣٧] فسَّره قوله: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا...﴾ الآية [الأعراف: ٢٣].

وقوله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا﴾ [الزخرف: ١٧] فسره قوله في آية النحل: ﴿بِٱلۡأُنثَىٰ﴾ [النحل: ٥٨].

وقوله: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٠] قال العلماء: بيان هذا العهد قوله: ﴿لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي...﴾ [المائدة: ١٢] إلى آخره، فهذا عهده. وعهدُهم: ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ [المائدة: ١٢]. إلى آخره.

---

(١) في «تفسيره» ٧/ ١٩٩ الأنعام: ١٠٣.

وقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة: ٧] بيَّنه قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ . . .﴾ الآية [النساء: ٦٩].

وقد يقع التبيين بالسنَّة، مثل: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ﴾ [آل عمران: ٩٧]. وقد بيَّنت السنَّةُ أفعال الصلاة والحج، ومقادير نُصُب الزكوات في أنواعها.

تنبيه: اختُلف في آيات، هل هي من قبيل المجمل أوْ لا؟

منها: آية السرقة؛ قيل: إنها مجملة في اليد؛ لأنها تطلق على العضو إلى الكوع، وإلى المرفق، وإلى المنكب. وفي القطع؛ لأنه يطلق على الإبانة، وعلى الجَرح، ولا ظهور لواحد من ذلك، وإبانة الشارع من الكوع [الدارقطني في «السنن» (٣/ ٢٠٥)] تبيّن أن المراد ذلك. وقيل: لا إجمال فيها؛ لأن القطع ظاهر في الإبانة.

ومنها: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ [المائدة: ٦]؛ قيل: إنها مجملة، لتردُّدها بين مسح الكلّ والبعض، ومسحُ الشارع الناصيةَ مبيّن لذلك [مسلم: ٦٣٣، ٦٣٦]، وقيل: لا، وإنما هي لمطلق المسح الصادق بأقلّ ما يطلق عليه الاسم ويفيده.

ومنها: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ﴾ [النساء: ٢٣]. قيل: مجملة، لأنَّ إسناد التحريم إلى العين لا يصحُّ؛ لأنه إنَّما يتعلَّق بالفعل، فلا بدَّ من تقديره، وهو محتَمل لأمور لا حاجة إلى جميعها، ولا مرجِّح لبعضها. وقيل: لا، لوجود المرجِّح؛ وهو العُرْف؛ فإنَّه يقضي بأن المراد تحريم الاستمتاع بوطء أو نحوه.

ويجري ذلك في كل ما عُلّق فيه التحريم والتحليل بالأعيان.

ومنها: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. قيل: إنها مجملة؛ لأنَّ الربا الزيادةُ، وما من بيع إلَّا وفيه زيادة، فافتقر إلى بيان ما يحلُّ وما يحرم. وقيل: لا؛ لأنَّ البيع منقول شرعاً، فحُمِل على عمومه ما لم يقم دليل التخصيص.

وقال الماورديّ[1]: للشافعيّ في هذه الآية أربعة أقوال:

أحدها: أنَّها عامَّة؛ فإن لفظها لفظ عموم يتناول كلّ بيع، ويقتضي إباحة جميعها إلَّا ما خصَّه الدليل، وهذا القول أصحّها عند الشافعي وأصحابه، لأنَّه ﷺ نهى عن بيوع كانوا يعتادونها، ولم يبيِّن الجائز، فدلَّ على أن الآية تناولت إباحةَ جميع البيوع، إلَّا ما خُصَّ منها، فبيَّن ﷺ المخصوص. قال: فعلى هذا في العموم قولان:

أحدهما: أنه عموم أُريد به العمومُ، وإن دخله التخصيص.

والثاني: أنه عموم أُريد به الخصوص. قال: والفرق بينهما أن البيان في الثاني متقدِّم على اللفظ، وفي الأول متأخر عنه مقترن به. قال: وعلى القولين يجوز الاستدلال بالآية في المسائل المختلف فيها ما لم يقم دليلُ تخصيص.

---

(١) الماوردي: علي بن محمد، أبو الحسن، من العلماء الباحثين، أقضى القضاة (ت: ٤٥٠هـ). «شذرات الذهب» ٣/ ٢٨٥.

والقول الثاني: أنَّها مجملة، لا يُعْقل منها صحَّة بيعٍ من فساده إلَّا ببيان النبيّ ﷺ [ثم قال]: هل هي مجملة بنفسها أم بعارض ما نُهي عنه من البيوع؟ وجهان. وهل الإجمال في المعنى المراد دون لفظها؛ لأن لفظ البيع اسم لغويّ معناه معقول، لكن لما قام بإزائه من السنة ما يعارضه تدافع العمومان، ولم يتعيَّن المراد إلَّا ببيان السنَّة، فصار مجملاً لذلك دون اللفظ، أو في اللفظ أيضاً؛ لأنَّه لمَّا لم يكن المراد منه ما وقع عليه الاسم، وكانت له شرائط غير معقولة في اللغة كان مشكلاً أيضاً؟ وجهان. قال: وعلى الوجهين لا يجوز الاستدلال بها على صحة بيع ولا فساده، وإن دلَّت على صحة البيع من أصله، قال: وهذا هو الفرق بين العام والمجمَل، حيث جاز الاستدلال بظاهر العموم ولم يجز الاستدلال بظاهر المجمل.

والقول الثالث: أنَّها عامَّة مجملة معاً، قال: واختُلف في وجه ذلك على أوجه:

أحدها: أن العموم في اللفظ، والإجمالَ في المعنى، فيكون اللفظ عاماً مخصوصاً، والمعنى مجملاً لحقه التفسير.

والثاني: أن العموم في: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾، والإجمالَ في: ﴿وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

والثالث: أنَّه كان مجملاً، فلمَّا بيَّنه ﷺ صار عامًّا، فيكون داخلاً في المجمل قبل البيان، وفي العموم بعد البيان، فعلى هذا يجوز الاستدلال بظاهرها في البيوع المختلف فيها.

والقول الرابع: أنَّها تناولت بيعاً معهوداً، ونزلت بعد أن أحلَّ النبيّ ﷺ بيوعاً وحرَّم بيوعاً، فاللَّام للعهد؛ فعلى هذا لا يجوز الاستدلال بظاهرها. انتهى.

ومنها: الآيات التي فيها الأسماء الشرعيَّة، نحو: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧]، قيل: إنها مجملة، لاحتمال الصلاة لكل دعاء، والصومِ لكل إمساك، والحجّ لكل قصد. والمراد بها لا تدلُّ عليه اللغة، فافتقر إلى البيان. وقيل: لا، بل يُحمل على كل ما ذكر إلَّا ما خُصَّ بدليل.

تنبيه: قال ابن الحَصَّار[1]: من الناس من جعل المجمل والمحتَمَل بإزاء شيء واحد. قال: والصواب أن المجملَ: اللفظُ المبهَم الذي لا يفهم المراد منه، والمحتمَل: اللفظ الواقع بالوضع الأول على معنيين مفهومين فصاعداً، سواء كان حقيقة في كلِّها أو بعضها. قال: والفرق بينهما أنَّ المجمل يدلُّ على أُمور معروفة، واللفظ مشترك متردِّد بينهما، والمبهم: لا يدلُّ على أمر معروف، مع القطع بأن الشارع لم يُفوِّض لأحد بيان المجمل، بخلاف المحتمَل.

---

(١) ابن الحَصَّار: علي بن محمد أبو الحسن، إشبيليُّ الأصل، فقيه، له: «الناسخ والمنسوخ» (ت: ٦١١هـ). «بغية الملتمس» ١/ ٣٥٨. وفي «معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة أن اسمه: الحصَّار، وهو خطأ، والصواب ابن الحصار ٢/ ٥٢٢.

النوع السابع والأربعون

في ناسخه ومنسوخه

أفرده بالتصنيف خلائق لا يُحْصَوْن، منهم: أبو عُبيد القاسم بن سلَّام، وأبو داود السجستانيّ، وأبو جعفر النحَّاس، وابن الأنباريّ، ومكيّ، وابن العربيّ، وآخرون.

قال الأئمة: لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلَّا بعد أن يعرِف منه الناسخَ والمنسوخ.

وقد قال عليّ لقاصٍّ: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، قال: هَلَكْت وأهلكتَ.

وفي هذا النوع مسائل:

الأولى: يرد النسخ بمعنى الإزالة، ومنه قوله: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢].

وبمعنى التبديل، ومنه: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ [النحل: ١٠١].

وبمعنى التحويل، كتناسخ المواريث، بمعنى تحويل الميراث من واحد إلى واحد.

وبمعنى النقل من موضع إلى موضع، ومنه: نَسَخْت الكتابَ، إذَا نقلتَ ما فيه، حاكياً للفظه وخطِّه.

قال مَكّيٌّ[1]: وهذا الوجه لا يصحُّ أن يكون في القرآن، وأنكر على النحاس إجازته ذلك، محتجًّا بأن الناسخ فيه لا يأتي بلفظ المنسوخ، وأنّه إنَّما يأتي بلفظ آخر.

وقال السعيديّ: يشهد لما قاله النحَّاس قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩]. وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤].

ومعلوم أن ما نزل من الوحي نجوماً جَمِيعُهُ في أُمِّ الْكِتَاب، وهو اللوح المحفوظ، كما قال تعالى: ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٨، ٧٩].

الثانية: النسخ مما خصَّ الله به هذه الأُمَّة لحِكَمٍ، منها التيسير.

وقد أجمع المسلمون على جوازه، وأنكره اليهود ظنًّا منهم أنه بَداءٌ، كالذي يرى الرأي ثم يبدو له، وهو باطل، لأنه بيان مدَّة الحكم كالإحياء بعد الإماتة وعكسه، والمرض بعد الصحة وعكسه، والفقر بعد الغنى وعكسه، وذلك لا يكون بداء، فكذا الأمر والنهي.

واختلف العلماء:

فقيل: لا يُنسخ القرآن إلَّا بقرآن، لقوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦]، قالوا: ولا يكون مثلَ القرآن وخيراً منه إلَّا قرآنٌ.

(١) في «الناسخ والمنسوخ» ص٤٧ ـ ٤٨.

وقيل: بل يُنسخ القرآن بالسنّة، لأنها أيضاً من عند الله، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣]. وجُعل منه آية الوصية الآتية.

والثالث: إذا كانت السنّة بأمر الله من طريق الوحْي نسخت، وإن كانت باجتهاد فلا. حكاه ابن حبيب النيسابوريّ في «تفسيره».

وقال الشافعيّ: حيث وقع نسخ القرآن بالسنّة، فمعها قرآن عاضد لها، وحيث وقع نسخ السنّة بالقرآن فمعه سنّة عاضدة له؛ ليتبيّن توافق القرآن والسنّة.

وقد بسطتُ فروع هذه المسألة في شرح منظومة جمع الجوامع في الأصول.

الثالثة: لا يقع النسخ إلّا في الأمر والنّهي، ولو بلفظ الخبر. أمّا الخبر الذي ليس بمعنى الطلب فلا يدخله النسخ، ومنه الوعد والوعيد. وإذا عرفت ذلك عرفت فساد صنْعِ من أدخل في كتب النسخ كثيراً من آيات الإخبار والوعد والوعيد.

الرابعة: النَّسخ أَقسام:

أحدها: نسخ المأْمور به قبل امتثاله، وهو النسخ على الحقيقة، كآية النَّجوى.

الثاني: ما نُسخَ مما كان شرعاً لمن قبلنا، كآية شرع القصاص والدِّيَة، أو كان أمِرَ به أمراً جُمْليًّا، كنسخ التوجّه إلى بيت المقدس بالكعبة [البخاري: ٣٩٩، ومسلم: ١١٧٦، وأحمد: ١٨٤٩٦]، وصوم عاشوراء برمضان [البخاري: ١٨٩٢، ومسلم: ٢٦٤٢، وأحمد: ٤٤٨٣][1]، وإنما يسمّى هذا نسخاً تجوّزاً.

الثالث: ما أُمِر به لسبب، ثم يزول السبب، كالأمر حين الضعف والقلة بالصبر والصفح، ثم نُسِخ بإيجاب القتال. وهذا في الحقيقة ليس نسخاً، بل هو من قسم المُنْسَأ، كما قال تعالى: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ فالمُنْسَأُ هو الأمر بالقتال إلى أن يَقْوى المسلمون، وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب الصَّبْر على الأذى، وبهذا يضعف ما لَهِجَ به كثيرون من أنَّ الآية في ذلك منسوخة بآية السيف، وليس كذلك، بل هي من المُنْسَأ، بمعنى أن كلّ أمرٍ ورد يجب امتثاله في وقت ما، [لعلة تقتضي] ذلك الحكم، ثمَّ ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر، وليس بنسخ؛ إنما النسخ الإزالة للحكم حتى لا يجوز امتثاله.

وقال مكيّ[2]: ذكر جماعة: أن ما ورد من الخطاب مشعراً بالتوقيت والغاية مثل قوله في البقرة: ﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٠٩] محكَمٌ غير منسوخ؛ لأنه مؤجّل بأجلٍ، والمؤجّل بأجلٍ لا نسخ فيه.

الخامسة: قال بعضهم: سورُ القرآن باعتبار الناسخ والمنسوخ أقسام: قسم ليس فيه ناسخ ولا منسوخ، وهو ثلاث وأربعون: سورة الفاتحة، ويوسف، ويس، والحجرات، والرحمن، والحديد، والصفّ، والجمعة، والتحريم، والملك، والحاقة، ونوح، والجنّ، والمرسلات، وعمّ، والنازعات، والانفطار، وثلاث بعدها، والفجر وما بعدها إلى آخر القرآن؛ إلّا التّين والعصر، والكافرون.

(١) صام النبي ﷺ عاشوراء وأمر بصيامه، فلما فُرض رمضان ترك، وعاشوراء: هو العاشر من مُحرَّم.

(٢) في «الناسخ والمنسوخ» ص١٢٦.

وقسم فيه الناسخ والمنسوخ، وهو خمس وعشرون: البقرة وثلاث بعدها، والحجّ، والنور وتالياها، والأحزاب، وسبأ، والمؤمن، والشورى، والذّاريات، والطور، والواقعة، والمجادلة، والمزمِّل، والمدَّثر، وكورت، والعَصْر[١].

وقسم فيه الناسخ فقط، وهو ست: الفتح، والحشر، والمنافقون، والتغابن، والطَّلاق، والأعلى.

وقسم فيه المنسوخ فقط، وهو الأربعون الباقية. كذا قال، وفيه نظر يعرف مما سيأتي.

السادسة: قال مكي[٢]: الناسخ أقسام:

فرضٌ نَسَخَ فرضاً، ولا يجوز العمل بالأوَّل، كنسخ الحبس للزواني بالحدِّ.

وفرضٌ نسخ فرضاً ويجوز العمل بالأوَّل، كآية المصابرَة.

وفرض نَسخ ندباً كالقتال، كان ندْباً ثم صار فرضاً.

وندبٌ نَسَخ فرضاً، كقيام الليل، نُسِخ بالقراءة في قوله: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ﴾ [المزمل: ٢٠].

السابعة: النسخ في القرآن على ثلاثة أضرب:

أحدها: ما نُسخ تلاوته وحكمه معاً. قالت عائشة: كان فِيما أُنزل: عشر رضعات معلومات فنُسخنَ بخمس معلومات، فتُوفِّيَ رسول الله ﷺ وهنَّ مما يقرَأُ من القرآن. رواه الشيخان[٣].

وقد تكلموا في قولها: (وهنَّ مما يقرأُ من القرآن): فإن ظاهره بقاء التلاوة، وليس كذلك.

وأُجيب بأن المراد: قارب الوفاة، أَو أنَّ التلاوة نُسِخت أيضاً، ولم يبلغ ذلك كل الناس إلّا بعد وفاة رسول الله ﷺ، فتُوُفِّي وبعض الناس يقرؤُها.

وقال أبو موسى الأشعريُّ: نزلت ثم رفعت.

وقال مكيّ[٤]: هذا المثال فيه المنسوخ غير متلوٍّ، والناسخ أيضاً غير متلوّ، ولا أعلم له نظيراً. انتهى.

الضرب الثاني: ما نُسِخ حكمه دون تلاوته؛ وهذا الضرب هو الذي فيه الكتب المؤلفة، وهو على الحقيقة قليل جدًّا، وإنْ أكثر الناسُ من تعداد الآيات فيه؛ فإن المحققين منهم كالقاضي أبي بكر بن العربيّ بيّن ذلك وأتقنه.

---

(١) هذه عشرون، والخمس الأخرى: الأنفال والتوبة وإبراهيم والكهف ومريم. ذكرها ابن سلامة في «الناسخ والمنسوخ» ص١٧ ـ ١٨.

(٢) في «الناسخ والمنسوخ» ص٧٢ وما بعد.

(٣) مسلم (٣٥٩٧). وقوله: رواه الشيخان. سهوٌ. وقد نَصَّ ابن الأثير في «جامع الأصول» أن الحديث لم يُخرِّجه البخاري، فقال: أخرجه الجماعة إلا البخاري. «جامع الأصول» ١١/ ٤٨٢، وانظر «صحيح ابن حبان» (٤٢٢١). هذا، وإن معنى الحديث أن النسخ بخمس رضعات تأخّر إنزالُهُ، حتى إنه ﷺ توفي وبعض الناس يقرأ: خمس رضعات، ويجعلها قرآناً متلوًّا؛ لكونه لم يبلغه النسخ، لقرب عهده، فلما بلغهم النسخ بعدُ رجعوا عن تلاوته وأجمعوا على أن هذا لا يُتلى.

(٤) في «ناسخه» ص٥٠.

والذي **أقوله**: إن الذي أورده المكثرون أقسام:

قسم ليس من النسخ في شيء ولا من التخصيص، ولا له بهما علاقةٌ بوجه من الوجوه. وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]، ﴿أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم﴾ [البقرة: ٢٥٤]، ونحو ذلك.

قالوا: إنه منسوخ بآية الزكاة، وليس كذلك، بل هو باقٍ.

أمَّا الأولى: فإنها خبر في معرِض الثناء عليهم بالإنفاق، وذلك يصلح أن يفسّر: بالزكاة، وبالإنفاق على الأهل، وبالإنفاق في الأمور المندوبة كالإعانة والإضافة. وليس في الآية ما يدلُّ على أنها نفقة واجبة غير الزكاة.

والآية الثانية: يصلحُ حملها على الزكاة، وقد فسّرت بذلك.

وكذا قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨]؛ قيل: إنها مما نسِخ بآية السيف، وليس كذلك؛ لأنه تعالى أحكم الحاكمين أبداً، لا يقبل هذا الكلام النَّسخ، وإن كان معناه الأمر بالتفويض وترك المعاقبة.

وقوله في البقرة: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] عدَّه بعضهم من المنسوخ بآية السيف. وقد غلَّطه ابن الحصَّار بأنَّ الآية حكاية عمَّا أخذه على بني إسرائيل من الميثاق، فهو خبر لا نَسخ فيه، وقِسْ على ذلك.

وقسم هو من قسم المخصوص، لا من قسم المنسوخ، وقد اعتنى ابن العربيّ بتحريره فأجاد، كقوله: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ [العصر: ٢، ٣]، ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ . . .﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٧]، ﴿فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [البقرة: ١٠٩]. وغير ذلك من الآيات التي خُصَّت باستثناء أو غاية، وقد أخطأ من أدخلها في المنسوخ.

ومنه قوله: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢١]؛ قيل: إنَّه نُسخ بقوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ﴾ [المائدة: ٥]، وإنما هو مخصوص به.

وقسم رَفع ما كان عليه الأمر في الجاهلية أو في شرائع مَنْ قبلنا، أو في أوّل الإسلام ولم ينزل في القرآن، كإبطال نكاح نساء الآباء، ومشروعيَّة القصاص والدِّيَة، وحَصْر الطَّلاق في الثلاث. وهذا إدخاله في قسم الناسخ قريبٌ، ولكن عدم إدخاله أقرب، وهو الذي رجَّحه مكّيّ وغيره. ووجَّهوه: بأنَّ ذلك لو عُدَّ في الناسخ لعُدّ جميع القرآن منه، إذ كلُّه أو أكثره رافع لما كان عليه الكفَّار وأهل الكتاب. قالوا: وإنما حقُّ الناسخ والمنسوخ أن تكون آيةً نَسخت آية. انتهى.

نعم، النوع الأخير منه ـ وهو رافع ما كان في أوّل الإسلام ـ إدخاله أَوْجَه من القسمين قبله.

إذا علمت ذلك: فقد خرج من الآيات التي أوردها المكثرون الجمّ الغفير، مع آيات الصفح والعفو إن قلنا: إن آية السيف لم تنسخها، وبقي مما يصلح لذلك عدد يسير. وقد أفردته بأدلَّته في تأليف لطيف، وها أنا أُورده هنا محرّراً:

فمن البقرة: قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ . . .﴾ الآية [البقرة: ١٨٠] منسوخة؛ قيل: بآية المواريث، وقيل: بحديث: «ألا، لا وصية لوارث»[(١)]، وقيل: بالإجماع، حكاه ابن العربيّ.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ﴾ [البقرة: ١٨٤]؛ قيل: منسوخة بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقيل: محكمة، و(لا) مُقدَّرة[(٢)].

وقوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ﴾ [البقرة: ١٨٧] ناسخة لقوله: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣]؛ لأن مقتضاه الموافقة فيما كانوا عليه من تحريم الأكل والوطء بعد النوم، ذكره ابن العربيّ، وحكى قولاً آخر: أنَّه نسخٌ لما كان بالسنَّة.

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ٢١٧]؛ الآية منسوخة بقوله: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ الآية [التوبة: ٣٦]. أخرجه ابن جرير عن عطاء بن ميسرة.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٠] إلى قوله: ﴿مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ [البقرة: ٢٤٠] منسوخة بآية ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]. والوصية منسوخة بالميراث، والسكنى: ثابتة عند قوم، منسوخة عند آخرين بحديث: «ولا سكنى» [البخاري: ٥٣٢٣، ومسلم: ٣٧١٩].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] منسوخة بقوله بعده: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ومن آل عمران: قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]؛ قيل: إنَّه منسوخ بقوله: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقيل: لا، بل هو محكم. وليس فيها آية يصح فيها دعوى النسخ غير هذه الآية.

ومن النساء: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ [النساء: ٣٣] منسوخة بقوله: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾ الآية [النساء: ٨]، قيل: منسوخة، وقيل: لا، ولكن تهاون الناس في العمل بها.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ الآية [النساء: ١٥] منسوخة بآيات النور.

ومن المائدة: قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢] منسوخة بإباحة القتال فيه.

---

(١) الترمذي (٢١٢١) وصحّحه، قال الحافظ: ولا يخلو إسنادُ كلٍّ منها من مقال، لكن مجموعها يقضي أن للحديث أصلاً...«فتح الباري»، باب لا وصية لوارث ٥/٤٦٨، وانظر التعليق على هذا الحديث مطولاً في «قواعد التحديث» للشيخ القاسمي ص٥٦٥ بتحقيقنا.

(٢) أخرج البخاري عن البراء بن عازب قال: لَمَّا نزَلَ صومُ رمضانَ، كانوا لا يَقْرَبُون النساءَ رمضان كُلَّه، وكان رجالٌ يخونون أنفسَهم، فأنزل الله تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] البخاري في التفسير (٤٥٠٨).

قوله تعالى: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ﴾ [المائدة: ٤٢] منسوخة بقوله: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩].

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ﴾ [المائدة: ١٠٦] منسوخ بقوله: ﴿وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٍ مِّنكُمۡ﴾ [الطلاق: ٢].

ومن الأنفال: قوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ . . .﴾ الآية [الأنفال: ٦٥] منسوخة بالآية بعدها.

ومن براءة: قوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا﴾ [براءة: ٤١] منسوخة بآيات العذر، وهو قوله: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ﴾ الآية [الفتح: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ الآيتين [التوبة: ٩١]، وبقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ﴾ [التوبة: ١٢٢].

ومن النور: قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ الآية [النور: ٣] منسوخة بقوله: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ﴾ [النور: ٣٢].

قوله تعالى: ﴿لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ الآية [النور: ٥٨]؛ قيل: منسوخة، وقيل: لا، ولكن تهاون الناس في العمل بها.

ومن الأحزاب: قوله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ . . .﴾ الآية [الأحزاب: ٥٢] منسوخة بقوله: ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ . . .﴾ الآية [الأحزاب: ٥٠].

ومن المجادلة: قوله تعالى: ﴿إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ . . .﴾ الآية [المجادلة: ١٢] منسوخة بالآية بعدها.

ومن الممتحنة: قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْۚ﴾ [الممتحنة: ١١]؛ قيل: منسوخ بآية السيف، وقيل: بآية الغنيمة، وقيل: محكم.

ومن المزَّمّل: قوله: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [المزمل: ٢]؛ قيل: منسوخ بآخر السورة، ثم نسخ الآخر بالصلوات الخمس.

فهذه إحدى وعشرون آية منسوخة، على خلاف في بعضها، لا يصح دعوى النسخ في غيرها.

والأصح في آية الاستئذان والقسمةِ الإحكامُ، فصارت تسع عشرة، ويضمّ إليها قوله تعالى: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ١١٥]؛ على رأي ابن عباس أنها منسوخة بقوله: ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾ الآية [البقرة: ١٤٩]، فتمت عشرون.

وقد نظمتُها في أبياتٍ فقلتُ:

قد أكثر الناسُ في المنسوخ من عددٍ ... وأدخلوا فيه آياً ليس تنحصرُ
وهاكَ تحرير آيٍ لا مزيدَ لها ... عشرينَ حرَّرها الحذّاق والكُبَرُ
آيُ التوجّه حيث المرء كان وأنْ ... يوصي لأهليه عند الموت محتضَرُ

وحرمة الأكل بعد النَّوم من رفثٍ ... وفديةٌ لمطيق الصَّوم مشتهرُ
وحقَّ تقواه فيما صحَّ من أثرٍ ... وفي الحرام قتالٌ للألى كَفَرُوا
والاعتداد بحولٍ مَعْ وصيَّتها ... وَأَنْ يُدَانَ حديثُ النفس والفِكَرُ
والحِلْفُ والحبْس للزاني وترك أُولى ... كفروا شهادتهم والصَّبْرُ والنَّفرُ
ومنع عقدٍ لزانٍ أو لزانية ... وما على المصطفى في العقد محتَظَرُ
ودفع مَهْرٍ لمن جاءت وآية نجـ ... ـواه كذاك قيامُ الليل مُسْتَطِرُ
وزيد آية الاستئذان مَنْ ملكت ... وآية القسمة الفُضلى لمن حضروا

فإن قلت: ما الحكمة في رفع الحكم وبقاء التلاوة؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنَّ القرآن كما يتلى ليعرف الحُكْم منه والعمل به، فيتلى لكونه كلامَ الله فيثاب عليه، فتُركت التلاوة لهذه الحكمة.

والثاني: أنَّ النسخ غالباً يكون للتخفيف، فأُبقيت التلاوة تذكيراً للنعمة، ورفع المشقَّة.

وأمَّا ما ورد في القرآن ناسخاً لما كان عليه الجاهلية، أو كان في شرع مَنْ قبلنا، أو في أوَّل الإسلام، فهو أيضاً قليل العدد؛ كنسخ استقبال بيت المقدس بآية القبلة، وصوم عاشوراء بصوم رمضان؛ في أشياء أُخَر حَرَّرْتُها في كتابي المشار إليه.

فوائد منثورة:

قال بعضهم: ليس في القرآن ناسخ إلَّا والمنسوخ قبله في الترتيب، إلَّا في آيتين: آية العِدَّة في البقرة، وقوله: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ﴾ [الأحزاب: ٥٢] كما تقدَّم.

وزاد بعضهم ثالثة، وهي آية الحشر في الفيء على رأي من قال: إنها منسوخة بآية الأنفال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنفال: ٤١].

وزاد قومٌ رابعةً، وهي قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، يعني: الفضل من أموالهم، على رأي من قال: إنها منسوخة بآية الزكاة.

وقال ابن العربي: كلّ ما في القرآن من الصفح عن الكفار، والتولي والإعراض والكفّ عنهم، فهو منسوخ بآية السيف، وهي: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ الآية [التوبة: ٥] نسخت مئةً وأربعاً وعشرين آية، ثم نسخ آخرُها أوَّلَها. انتهى. وقد تقدَّم ما فيه.

وقال أيضاً: من عجيب المنسوخ قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ الآية، فإن أوَّلها وآخرها، وهو: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] منسوخ، ووسطها محكَم، وهو ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وقال: من عجيبه أيضاً آيةٌ أولها منسوخ وآخرها ناسخ، ولا نظير لها، وهي قوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾

لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْۚ﴾ [المائدة: ١٠٥]؛ يعني بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذا ناسخ لقوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْۖ﴾.

وقال السعيديّ: لم يمكث منسوخ مدة أكثر من قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ الآية [الأحقاف: ٩]، مكثت ستَّ عشرة سنة حتى نسخها أوّل الفتح عام الحديبية.

وذكر هبة الله بن سلَّامة الضرير أنّه قال[1] في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ الآية [الإنسان: ٨]: إن المنسوخ من هذه الجملة: ﴿وَأَسِيرًا﴾، والمراد بذلك أسير المشركين. فقرئ عليه الكتاب وابنتُه تسمع، فلما انتهى إلى هذا الموضع، قالت له: أخطأتَ يا أبتِ، قال: وكيف؟ قالت: أجمع المسلمون على أن الأسير يُطعَم ولا يُقتَل جوعاً، فقال: صدقتِ.

وقال شيذلة في «**البرهان**»: يجوز نسخ الناسخ فيصير منسوخاً، كقوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦] نسخها قوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]. ثم نسخت هذه بقوله: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ﴾ [التوبة: ٢٩]. كذا قال. وفيه نظر من **وجهين**:

أحدهما: ما تقدَّمت الإشارة إليه.

والآخر: أن قوله: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ﴾ [التوبة: ٢٩] مُخصِّص للآية لا ناسخ، نعم يمثَّل له بآخر سورة المزَّمّل، فإنَّه ناسخ لأوّلها، منسوخ بفرض الصلوات.

وقوله: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١] ناسخ لآيات الكفِّ [النساء: ٧٧]، منسوخ بآيات العُذْر [الفتح: ١٧].

وأخرج أبو عبيد عن الحسن وأبي ميسرة قالا: ليس في المائدة منسوخ.

ويشكل بما في «**المستدرك**» [(٢/ ٣١٢) وهو صحيح] عن ابن عباس: أن قوله: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْۖ﴾ [المائدة: ٤٢] منسوخ بقوله: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩].

وأخرج أبو عُبيد وغيره عن ابن عباس قال: أوّل ما نسخ من القرآن نسخ القِبْلة.

وأخرج أبو داود في **ناسخه** من وجهٍ آخرَ عنه قال: أول آية نسِخت من القرآن القِبلةُ، ثم الصيامُ الأول. [انظر البخاري: ٣٩٩].

قال مكي[2]: وعلى هذا فلم يقع في المكيّ ناسخ. قال: وقد ذكر أنّه وقع فيه في آيات: منها قوله تعالى في سورة غافر: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: ٥] ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۖ﴾ [غافر: ٧]. فإنَّه ناسخ لقوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِۗ﴾ [الشورى: ٥].

قلت: أحسن من هذه نسخُ قيام الليل في أول سورة المزمِّل بآخرها، أو بإيجاب الصلوات الخمس، وذلك بمكَّة اتفاقاً.

---

(١) في «الناسخ والمنسوخ» ص١٣١، وهبةُ الله هو: ابن سلامة، أبو القاسم، مفسر، ضرير، بغدادي (ت: ٤١٠هـ). «بغية الوعاة» ٤٠٧، و«تاريخ بغداد» ١٤/ ٧٠.

(٢) في «ناسخه» ص٣٩٩ و٤٠٣.

تنبيه:

قال ابن الحصَّار: إنما يُرجع في النسخ إلى نقل صريح عن رسول الله ﷺ، أو عن صحابيّ يقول: آية كذا نسخت كذا.

قال: وقد يُحكم به عند وجود التَّعارض المقطوع به من علم التاريخ، ليعرف المتقدِّم والمتأخر.

قال: ولا يُعتمَد في النسخ قول عوامّ المفسرين، بل ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح، ولا معارضة بيّنة؛ لأن النسخ يتضمَّن رفع حكم وإثباتَ حكمٍ تقرر في عهده ﷺ، والمعتمَد فيه النقل والتاريخ دون الرأي والاجتهاد.

قال: والناس في هذا بين طرفَيْ نقيض، فمن قائل: لا يُقبَل في النسخ أخبار الآحاد العُدول، ومن متساهل يكتفي فيه بقول مفسّر أو مجتهد. والصواب خلاف قولهما. انتهى.

الضرب الثالث: ما نُسخ تلاوتُه دون حكمه، وقد أورد بعضهم فيه سؤالاً وهو: ما الحكمة في رفع التلاوة مع بقاء الحكم؟ وهلَّا أُبقيَت التلاوة ليجتمع العمل بحكمها وثواب تلاوتها؟

وأجاب صاحب «**الفنون**»(1): بأنَّ ذلك ليظهر به مقدار طاعة هذه الأمَّة في المسارعة إلى بذل النفوس بطريق الظنّ، من غير استفصال لطلبِ طريقٍ مقطوعٍ به، فيسرعون بأيسر شيء، كما سارع الخليل إلى ذبح ولدِه بمنام، والمنام أدنى طريق الوحي.

وأمثلة هذا الضرب كثيرة.

قال أبو عُبيد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيُّوب، عن نافع، عن ابن عمر قال: لا يقولَنَّ أحدكم: قد أخذتُ القرآنَ كلَّه، وما يدريه ما كلُّه! قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن ليقل: قد أخذتُ منه ما ظهر.

وقال: حدَّثنا ابن أبي مريم، عن أبي لَهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة بن الزبير، عن عائشة قالت: كانت سورة الأحزاب تُقرَأُ في زمن النبي ﷺ مئتي آية، فلما كتَبَ عثمانُ المصاحف لم يقدر منها إلَّا على ما هو الآن.

وقال: حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن المبارك بن فضالة، عن عاصم بن أبي النّجود، عن زِرّ بن حُبَيش قال: قال لي أُبيّ بن كعب: كأين تعدّ سورة الأحزاب؟ قلت: اثنتين وسبعين آية أو ثلاثاً وسبعين آية. قال: إن كانت لَتَعْدِل سورة البقرة، وإن كنَّا لنقرأُ فيها آية الرجم. قلت: وما آية الرجم؟ قال: «**إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما أَلبتَّةَ نَكَالاً مِنَ الله والله عَزِيزٌ حَكِيمٌ**».

وقال: حدَّثنا عبد الله بن صالح، عن الليث، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن مروان بن عثمان، عن أبي أمامة بن سهل، أن خالته قالت: لقد أقرأنا رسول الله ﷺ آية الرجم: «**الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتَّة بما قضيا من اللذة**».

---

(1) هو ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي، البغدادي، علامة في التاريخ والحديث، كثير التصانيف (ت: ٥٩٧هـ). «وفيات الأعيان» ١/ ٢٧٩، «دائرة المعارف الإسلامية» ١/ ١٢٥.

وقال: حدثنا حجاج عن ابن جُريج: أخبرني ابن أبي حُميد، عن حُميدة بنت أبي يونس قالت: قرأ عليَّ أبي ـ وهو ابن ثمانين سنة ـ في مصحف عائشة: «إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً. وعلى الذين يَصِلُون الصفوف الأُوَل»، قالت: قبل أن يغيِّر عثمانُ المصاحفَ[١].

وقال: حدَّثنا عبد الله بن صالح، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أَبي واقد الليثي قال: كان رسول الله ﷺ إذا أُوحِيَ إليه أتيناه، فعلَّمنا مما أُوحي إليه. قال: فجئت ذات يوم، فقال: «**إن الله يقول: إنا أَنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولو أن لابن آدم وادياً لأحبَّ أن يكون إليه الثاني، ولو كان له الثاني لأحبَّ أن يكون إليهما الثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلَّا الترابُ، ويتوب الله على من تاب**».

وأخرج الحاكم في «**المستدرَك**» [(٢/ ٥٣١) وهو صحيح]: عن أُبيّ بن كعب قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن**» فقرأ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البينة: ١] ومن بقيتها: (لو أن ابن آدم سألَ وادياً من مال فأُعطِيَه سأل ثانياً، وإن سألَ ثانياً فأُعطِيَه سأل ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلَّا التراب، ويتوب الله على من تاب. وإنَّ ذات الدين عند الله الحنيفية غير اليهودية ولا النصرانية، ومن يعمل خيراً فلن يُكفَرَه)[٢].

وقال أبو عُبيد: حدَّثنا حجَّاج، عن حماد بن سلَمة، عن عليّ بن زيد، عن أبي حرب بن أبي الأسود، عن أبي موسى الأشعري قال: نزلتْ سورةٌ نحو براءة، ثم رُفعت، وحُفِظ منها: (إن الله سيؤدي هذا الدين بأقوام لا خَلاقَ لهم، ولو أنَّ لابن آدم واديين من مال لَتمنّى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوفَ ابنِ آدم إلَّا الترابُ، ويتوب الله على من تاب).

وأخرج ابنُ أبي حاتم: عن أبي موسى الأشعريّ قال: كنا نقرأُ سورةً نُشبِّهها بإحدى المسبّحات فأُنسيناها، غير أني حفظت منها: (يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنوا لا تقولوا ما لا تفعَلونَ فتكتبَ شهادةٌ في أعناقكم، فتُسألون عنها يوم القيامة).

وقال أبو عُبيد: حدَّثنا حجَّاج، عن سعيد، عن الحكم بن عتيبة، عن عديّ بن عديّ قال: قال عمر كنا نقرأُ: «لا ترغبوا عن آبائكم فإنَّه كفر بكم»، ثم قال لزيد بن ثابت: أكذلك؟ قال: نعم.

وقال: حدَّثنا ابن أبي مريم، عن نافع بن عمر الجُمَحي. وحدثني ابن أبي مُليكة، عن المِسْوَر بن مَخْرَمة قال: قال عمر لعبد الرحمن بن عوف: ألم تجِدْ فيما أُنزل علينا: (أن جاهِدوا كما جاهدتم أول مرة)؟ فإنا لا نجدها! قال: أُسقِطت فيما أُسقط من القرآن.

---

(١) أي: قبل أن يُغَيِّر المصاحفَ الخاصةَ، فقد كان لبعض الصحابة مصاحفُ خاصةٌ، فيه ما سمعوه أو رأوه من تفسيرٍ للآية، فلما نَسَخ عثمان المصاحفَ أمر بحرق تلك المصاحف، كي لا يَظُن الناسُ بعد زمن أن ما كتب من تفاسير وآراء من القرآن!!.

(٢) «المستدرك» ٢/ ٥٣١ ووافقه الذهبي على تصحيحه. وفيه: «ولا النصرانية ولا المجوسية».

وقال: حدثنا ابن أبي مريم، عن نافع، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن عمرو المعَافريّ، عن أبي سفيان الكلاعي: أن مسلمة بن مَخْلَد الأنصاري قال لهم ذات يوم: أخبروني بآيتين في القرآن لم يكتبا في المصحف؟ فلم يخبروه ـ وعندهم أبو الكنّود سعد بن مالك ـ فقال مسلَمة: (إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيل الله بأَمْوَالِهِمْ وأَنْفُسِهمْ ألَا أَبْشِرُوا أَنْتُمُ المُفْلِحُونَ، والَّذينَ آوَوْهُمْ وَنَصَرُوهُمْ وَجَادَلُوا عَنْهُمُ الْقَوْمَ الَّذين غَضِبَ الله عَلَيْهِمْ أولئِكَ لا تَعْلَمُ نَفْس مَا أُخفِي لَهُمْ مِنْ قُرَّة أعْيُن جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

وأخرج الطَّبراني في «**الكبير**» [١٣١٤١ وهو ضعيف جداً]: عن ابن عمر قال: قرأ رجلان سورة أقرأهما رسول الله ﷺ، فكانا يقرآن بها، فقاما ذات ليلة يصلّيان، فلم يَقْدِرَا منها على حرف، فأصبحا غادِيَينِ على رسول الله ﷺ، فذكرا ذلك له، فقال: «**إنها ممَّا نسخ، فالْهُوا عنها**».

وفي الصحيحين [البخاري: ٤٠٨٨، ومسلم: ١٥٤٥، وأحمد: ١٢٠٦٤]: عن أنس ـ في قصة أصحاب بئر مَعُونة الَّذين قتلوا، وقَنَت يدعو على قاتليهم ـ قال أنس: ونزل فيهم قرآنٌ قرأناه حتى رُفع: (أن بلِّغوا عنا قومنا أنَّا لَقينا ربنا فرضيَ عنا وأرضانا).

وفي «**المستدرَك**» [(٢/ ٣٣١) وهو صحيح]: عن حذيفة قال: ما تقرؤون ربعها. يعني براءة.

قال الحسين بن المنادي في كتابه «**الناسخ والمنسوخ**»: ومما رُفع رسمُه من القرآن ولم يُرفَع من القلوب حِفظُه، سورتا القنوتِ في الوِتْر، وتسمَّى سورتَي الخَلع والحَفْد.

تنبيه: حكى القاضي أبو بكر في «**الانتصار**» عن قوم إنكارَ هذا الضَّرْب؛ لأن الأخبار فيه أخبارُ آحاد، ولا يجوز القطع على إنزال قرآن ونسخه بأخبار آحاد لا حجَّة فيها.

وقال أبو بكر الرازيّ: نسخُ الرسم والتلاوة، إنما يكون بأن ينسيَهم الله إياه، ويرفعه من أوْهامهم، ويأمرهم بالإعراض عن تلاوته وكَتْبه في المصحف، فيندرس على الأيام كسائر كتب الله القديمة التي ذكرها في كتابه في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩]، ولا يعرف اليوم منها شيء، ثم لا يخلو ذلك من أن يكون في زمان النبيّ ﷺ، حتى إذا تُوُفِّيَ لا يكون متلواً في القرآن، أو يموت وهو متلوٌّ موجود بالرَّسْم، ثم ينسيه الله الناس، ويرفعه من أذهانهم. وغير جائز نسخُ شيء من القرآن بعد وفاة النبي ﷺ. انتهى.

وقال في «**البرهان**»[1] في قول عمر: لولا أن يقول الناس: زاد عمر في كتاب الله لكتبتها ـ يعني آية الرجم ـ: ظاهره أنَّ كتابتها جائزة، وإنما منعه قول الناس، والجائز في نفسه قد يقوم من خارجٍ ما يمنعُه، فإذا كانت جائزةً لزِم أن تكون ثابتةً؛ لأن هذا شأنُ المكتوب.

وقد يقال: لو كانت التلاوة باقيةً لبادر عمر، ولم يعرِّج على مقالة الناس؛ لأن مقالة الناس لا تصلُح مانعاً. وبالجملة هذه الملازمة مشكلة، ولعله كان يعتقد أنه خبر واحد، والقرآن لا يثبُت به، وإن

(١) الزركشي في «البرهان» ٢/ ١٦٦.

ثَبَت الحكم، ومن هنا أنكر ابن ظَفَر في «**الينبوع**»[(١)] عدَّ هذا مما نسِخ تلاوتُه، قال: لأن خبر الواحد لا يُثْبِت القرآنَ.

قال: وإنما هذا من المنسَأ لا النسخ، وهما مما يلتبسان، والفرقُ بينهما أن المنسَأَ لفظُه قد يعلم حكمه. انتهى.

وقوله: «لعله كان يعتقد أنه خبر واحد» مردود، فقد صح أنه تلقاها من النبي ﷺ.

وأخرج الحاكم [«المستدرك» (٤/ ٣٦٠) وهو صحيح] من طريق كثير بن الصلت قال: كان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص يكتُبان المصحف، فمرَّا على هذه الآية، فقال زيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتَّةَ»، فقال عمر: لما نزلت أتيت النبي ﷺ فقلت: أكتبها؟ فكأنه كره ذلك، فقال عمر: ألا ترى أن الشيخ إذا زنى ولم يُحصَن جُلِدَ، وأنَّ الشاب إذا زنَى وقد أحصن رُجِمَ.

قال ابن حجر في شرح «**المنهاج**»: فيستفاد من هذا الحديث السبب في نسخ تلاوتها؛ لكون العمل على غير الظاهر من عمومها.

قلت: وخطر لي في ذلك نكتةٌ حسنة، وهو أن سببه التخفيف على الأمَّة بعدم اشتهار تلاوتها وكتابتها في المصحَف، وإن كان حكمُها باقياً؛ لأنه أثقل الأحكام وأشدُّها، وأغلظ الحدود، وفيه الإشارة إلى ندب الستر.

وأخرج النسائيّ: أنَّ مروان بن الحكم قال لزيد بن ثابت: ألا تكتبها في المصحف، قال: ألا ترى أنَّ الشابين الثيبين يُرجَمان! ولقد ذكرنا ذلك، فقال عمر: أنا أكفيكم، فقال: يا رسول الله، اكتب لي آية الرجم. قال: «**لا تستطيع**».

قوله: (اكتب لي)، أي: ائذن لي في كتابتها، أو مكّني من ذلك.

وأخرج ابن الضُّرَيس في «**فضائل القرآن**»[(٢)] عن يعلى بن حكيم، عن زيد بن أسلم: أنَّ عمر خطَب الناسَ، فقال: لا تشكُّوا في الرَّجْم، فإنَّه حقّ، ولقد هَمَمْتُ أن أكتبه في المصحف، فسألت أُبيَّ بنَ كعب، فقال: أليس أتيتَني وأنا أستقرئها رسولَ الله ﷺ، فدفعتَ في صدري وقلتَ: تستقرئه آيةَ الرجم، وهم يَتَسافَدُون تَسَافُدَ[(٣)] الحُمُر؟

قال ابن حجر: وفيه إشارة إلى بيان السَّبب في رفع تلاوتها، وهو الاختلاف.

---

(١) انظر «البرهان» للزركشي ٢/ ١٦٧ النوع ٣٤، وابن ظفر: محمد بن أبي محمد الصقلي (ت: ٥٦٨هـ). وكتابه «ينبوع الحياة» مخطوط في دار الكتب المصرية برقم (٣١٠). أفاده محقق «البرهان».

(٢) «فضائل الأعمال» ص١٥٣ رقم (٣٢٧).

(٣) في «القاموس»: استسفَدَ بعيرَهُ: أتاه من خلفه فرَكِبَهُ. مادة: سفد. يقال: سَفَدَ امرأته، يكنى به عن الجماع. «أساس البلاغة». مادة: سفد.

تنبيه:

قال ابن الحَصَّار في هذا النوع: إن قيل: كيف يقع النسخ إلى غير بدل، وقد قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦]. وهذا إخبار لا يدخله خُلْف؟

فالجواب أن نقول: كلُّ ما ثبت الآن في القرآن ولم يُنْسَخ فهو بدلٌ ممَّا قد نسخت تلاوته، وكُلّ ما نسخه الله من القرآن ـ مما لا نعلمه الآن ـ فقد أبدله بما علمناه، وتواتر إلينا لفظُه ومعناه.

النوع الثامن والأربعون

في مُشكِله ومُوهم الاختِلاف والتناقض

أفرده بالتَّصنيف قُطْرُب(١).

والمراد به: ما يوهم التعارُضَ بين الآيات.

وكلامه تعالى منزَّه عن ذلك، كما قال: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]. ولكن قد يقع للمبتدئ ما يوهم اختلافاً وليس به في الحقيقة، فاحتيج لإزالته، كما صُنِّفَ في مختلف الحديث، وبيان الجمع بين الأحاديث المتعارضة. وقد تكلم في ذلك ابن عباس، وحكي عنه التوقُّف في بعضها.

قال عبد الرزَّاق في «تفسيره»: أنبأنا مَعْمَر، عن رجل، عن المِنْهال بن عمرو، عن سعيد بن جُبير قال: جاء رجل إلى ابن عباس، فقال: رأيتُ أشياء تَختلِف عليّ من القرآن. فقال ابن عباس: ما هو؟ أَشَكٌّ؟ قال: ليس بشكٍّ، ولكنه اختلاف، قال: هات ما اختلف عليك من ذلك. قال: أسمع الله يقول: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، وقال: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]، فقد كتموا.

وأسمعُهُ يقول: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، ثم قال: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الطور: ٢٥].

وقال: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ حتى بلغ ﴿طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ٩ ـ ١١]. ثم قال في الآية الأخرى: ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴾ [النازعات: ٢٧]، ثم قال: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠].

وأسمعه يقول: ﴿كَانَ ٱللَّهُ﴾ ما شأنه يقول: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾؟

فقال ابن عباس: أما قوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، فإنهم لما رأوا يوم القيامة، وأن الله يغفر [لأهل الإسلام، ويغفر] الذنوب، ولا يغفر شِرْكاً، ولا يتعاظمُه ذنب أن يغفره، جحده المشركون رجاءَ أن يغفرَ لهم، فقالوا: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ والله رَبِّنَا ما كُنَّا مُشْرِكِين، فختم الله على أفْوَاهِهم فتكَلَّمَتْ أيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، فعند ذلك ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢].

وأما قوله: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]؛ فإنه إذا ﴿نُفِخَ فِي الصُّور

---

(١) قطرب: محمد بن المستنير، أبو علي، نحوي عالم بالأدب واللغة، من أهل البصرة (ت: ٢٠٦هـ). «تاريخ بغداد» ٢٩٨/٣، «بغية الوعاة» ١٠٤، لقّبه أستاذه سيبويه بقطرب (دُويبة تبكّر للعمل).

فَصَعِقَ مَن في السموات ومَن في الأرض إلَّا مَن شاء الله﴾، ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧].

وأما قوله: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩]؛ فإن الأرض خلقت قبل السماء، وكانت السماء دخاناً، فسواهنَّ سبع سموات في يومين بعد خلق الأرض.

وأما قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠]؛ يقول: جعَل فيها جبلاً، وجعَل فيها نهراً، وجعَل فيها شجَراً، وجعل فيها بحوراً.

وأما قوله: ﴿كَانَ ٱللَّهُ﴾؛ فإن الله كان ولم يَزَلْ كذلك، وهو كذلك عزيز حكيم عليم قدير، لم يَزَلْ كذلك.

فما اختلف عليك من القرآن فهو يشبه ما ذكرتُ لك، وإن الله لم ينزل شيئاً إلَّا وقد أصاب الذي أراد، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

أخرجه بطوله الحاكم في «**المستدرك**» [(٢/ ٣٩٤)] وصحّحه، وأصله في الصحيح. [البخاري: ٤٨١٦، ومسلم: ٧٠٢٩، وأحمد: ٣٦١٤].

قال ابن حجر في «**شرحه**»(١): حاصل ما فيه السؤال عن **أربعة مواضع**:

الأول: نفي المسألة يوم القيامة وإثباتها.

الثاني: كتمان المشركين حالهم وإفشاؤه.

الثالث: خَلْق الأرض أو السماء؛ أيُّهما تقدَّم.

الرابع: الإتيان بحرف (كان) الدَّالة على المضيّ، مع أن الصفة لازمة.

وحاصل جواب ابن عباس عن الأول: أن نفي المساءلة فيما قبل النفخة الثانية، وإثباتها فيما بعد ذلك

وعن الثاني: أنَّهم يكتُمون بألسنتهم، فتنطق أيديهم وجوارحهم.

وعن الثالث: أنه بدأ خلق الأرض في يومين غير مَدْحُوّة، ثم خلق السموات فسوَّاهنَّ في يومين، ثم دحا الأرض بعد ذلك؛ وجعل فيها الرَّوَاسِيَ وغيرها في يومين، فتلك أربعة أيام للأرض.

وعن الرابع: بأنَّ (كان) وإن كانت للماضي، لكنها لا تستلزم الانقطاع، بل المراد أنه لم يزَل كذلك.

فأما الأول: فقد جاء فيه تفسير آخر: أن نفي المساءلة عند تشاغلهم بالصَّعْق والمحاسبة والجواز على الصراط، وإثباتها فيما عدا ذلك. وهذا منقول عن السُّدِّيّ، أخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: أنَّ نفي المساءلة عند النفخة الأولى، وإثباتها بعد النفخة الثانية.

وقد تأوَّل ابنُ مسعود نفي المساءلة على معنى آخر: وهو طلب بعضهم من بعض العفو. فأخرج ابن جرير(٢) من طريق زاذان قال: أتيت ابنَ مسعود، فقال: يُؤخذ بيد العبد يوم القيامة، فينادَى: ألا إن هذا فلان ابن فلان، فمن كان له حقّ قِبلَه فليأتِ، قال: فتودُّ المرأة يومئذ أن يثبت لها حقٌّ على أبيها أو ابنها أو أخيها أو زوجها، فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون.

---

(١) «فتح الباري» ٨/ ٤٨٠ (٤٨١٥).
(٢) «تفسيره» ١٠/ ٥٤ المؤمنون: ١٠١.

ومن طريق أخرى قال: لا يُسأل أحد يومئذ بنسبٍ شيئاً، ولا يتساءلون به، ولا يمتُّ برحِم.

وأما الثاني: فقد ورد بأبسط منه فيما أخرجه ابن جرير[١] عن الضحَّاك بن مزاحم: أن نافع بن الأزرق أتى ابنَ عباس فقال: قول الله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾، وقوله: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾. فقال: إني أحسِبك قمتَ من عند أصحابك، فقلتَ لهم: آتي ابنَ عباس، أُلقِي عليه متشابهَ القرآن؟! فأخبرْهم: أن الله إذا جمع الناس يوم القيامة قال المشركون: إن الله لا يقبل إلا ممن وحّده، فيسألهم فيقولون: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾. قال: فيختم على أفواههم، وتُسْتَنْطق جوارحُهم.

ويؤيده ما أخرجه مسلم [٧٤٣٨] من حديث أبي هريرة في أثناء حديث، وفيه: «**ثم يلقَى الثالث فيقول: يا رب آمنتُ بك وبكتابك وبرسولك، ويثني ما استطاع، فيقول: الآن نبعثُ شاهداً عليك، فيذكر في نفسه: من الذي يَشهد عليّ، فيختم على فِيهِ، وتنطِق جوارحُهُ**».

أما الثالث: ففيه أجوبة أخرى، منها: أن ﴿ثُمَّ﴾ بمعنى الواو، فلا إيراد. وقيل: المراد ترتيب الخبر لا المخبَرِ بهِ، كقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البلد: ١٧].

وقيل: على بابها، وهي لتفاوت ما بين الخلقين، لا للتراخي في الزمان.

وقيل: (خَلَقَ) بمعنى (قدَّر).

وأما الرابع: وجواب ابن عباس عنه، فيحتمل كلامُه أنه أراد أنه سمَّى نفسه ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، وهذه التسمية مضتْ؛ لأن التعلق انقضى. وأما الصِّفتان فلا تزالان كذلك لا ينقطعان؛ لأنه تعالى إذا أراد المغفرة أو الرحمة في الحال أو الاستقبال وقع مرادُه. قاله الشمس الكَرْماني[٢].

قال: ويحتمل أن يكون ابنُ عباس أجاب بجوابين: **أحدهما**: أن التَّسميةَ هي التي كانت وانتهت، والصفة لا نهاية لها .**والآخر**: أنَّ معنى «كان» الدوام؛ فإنه لا يزال كذلك.

ويحتمل أن يُحمل السؤال على مَسْلكيْن، والجواب على دفعهما، كأن يقال: هذا اللفظ مشعر بأنه في الزمان الماضي كان غفوراً رحيماً، مع أنه لم يكن هناك مَنْ يُغفَر له أو يُرحَم، وبأنه ليس في الحال كذلك لِما يشعِر به لفظ «كان».

والجواب عن الأول: بأنه كان في الماضي تسمَّى به. وعن الثاني: بأنَّ (كان) تعطي معنى الدوام، وقد قال النحاة: «كان» لثبوت خبرها ماضياً، دائماً أو منقطعاً.

وقد أخرج ابن أبي حاتم من وجهٍ آخر عن ابن عباس: أن يهوديًا قال له: إنكم تزعمون أنَّ الله كان عزيزاً حكيماً، فكيف هو اليوم؟ فقال: إنه كان في نفسه عزيزاً حكيماً.

موضع آخر توقَّف فيه ابن عباس؛ قال أبو عُبيد: حدَّثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، عن ابن أبي مُلَيْكة قال: سأل رجلٌ ابنَ عباس عن: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥]، وقوله:

---

(١) في «تفسيره» ٤/ ٩٤ النساء: ٤٢.

(٢) الكرماني: محمد بن يوسف، شمس الدين، أحد علماء الحديث (ت: ٧٨٦هـ). «الدرر الكامنة» ٤/ ٣١٠.

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]، فقال ابن عباس: هما يومان ذكرهما الله تعالى في كتابه؛ الله أعلم بهما.

وأخرجه ابنُ أبي حاتم من هذا الوجه، وزاد: ما أدري ما هما، وأكره أن أقول فيهما ما لا أعلم. قال ابن أبي مُليكة: فضربتُ البعيرَ حتى دخلت على سعيد بن المسيّب، فسئل عن ذلك؛ فلم يدرِ ما يقول: فقلت له: ألا أخبرُك بما حضرت من ابن عباس؟ فأخبرته، فقال ابن المسيّب للسائل: هذا ابنُ عباس قد اتّقى أن يقول فيهما، وهو أعلم منّي.

ورُوي عن ابن عباس أيضاً: أن يوم الألف هو مقدار سير الأمر وعروجه إليه، ويوم الألف في سورة الحجّ: هو أحد الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات، ويوم الخمسين ألفاً هو يوم القيامة. فأخرج ابنُ أبي حاتم(١) من طريق سِماك، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس: أنَّ رجلاً قال له: حَدِّثْني، ما هؤلاء الآيات: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]، و﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥]، ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾ [الحج: ٤٧]. فقال: يوم القيامة حساب خمسين ألف سنة، والسموات في ستة أيام كلّ يوم يكون ألف سنة، و﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: ذلك مقدار المسير.

وذهب بعضهم إلى أن المراد بهما يوم القيامة، وأنه باعتبار حال المؤمن والكافر، بدليل قوله: ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ٩، ١٠].

فصل: قال الزركشي في «**البرهان**»(٢): للاختلاف أسباب:

أحدها: وقوع المخبَر به على أنواع مختلفة وتطويرات شتّى، كقوله في خلق آدم: ﴿مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩]، ومرة: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]، ومرة: ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات: ١١]، ومرة: ﴿مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤]؛ فهذه ألفاظ مختلفة، ومعانيها في أحوال مختلفة؛ لأن الصلصال غير الحمأ، والحمأ غير التراب، إلّا أنَّ مرجعها كلّها إلى جوهر، وهو التراب، ومن التراب دَرَجت هذه الأحوال(٣).

وكقوله: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ﴾ [الشعراء: ٣٢]، وفي موضع: ﴿تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [القصص: ٣١]. والجانُّ الصغير من الحيّات، والثعبان الكبير منها، وذلك لأنَّ خلقها خلق الثعبان العظيم، واهتزازها وحركتها وخِفَّتها كاهتزاز الجانّ وخفّته.

الثاني: لاختلاف الموضوع، كقوله: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]، وقوله: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦] مع قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾

---

(١) انظر سورة الحج: ٤٧ الجزء الثامن، وسورة المعارج: ٣ الجزء العاشر من «تفسير ابن أبي حاتم».
(٢) «البرهان» ٢/ ١٨٣ وفيه: تدرجت هذه الجملة.
(٣) في «البرهان»: تدرجت . . .

[الرحمن: ٣٩]. قال الحليمي[1]: فتحمَل الآية الأولى على السؤال عن التوحيد وتصديق الرُّسل، والثانية على ما يستلزمه الإقرار بالنبوات من شرائع الدين وفروعه.

وحمله غيره على اختلاف الأماكن، لأن في القيامة مواقفَ كثيرة، ففي موضعٍ يُسألون، وفي آخر لا يُسألون.

وقيل: إن السؤال المثبَت سؤال تبكيت وتوبيخ، والمنفيّ سؤال المعذرة وبيان الحُجة.

وكقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢] مع قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] حمل الشيخ أبو الحسن الشاذلي[2] الآية الأولى على التوحيد، بدليل قوله بعدها: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، والثانية على الأعمال. وقيل: بل الثانية ناسخة للأولى.

وكقوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣] مع قوله: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء: ١٢٩]؛ فالأولى تُفهم إمكانَ العَدْل، والثانية تنفيه.

والجواب: أنَّ الأولى في توفية الحقوق، والثانيةَ في الميل القلبيّ، وليس في قدرة الإنسان[3].

وكقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [الأعراف: ٢٨] مع قوله: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦] فالأولى في الأمر الشرعيّ، والثانية في الأمر الكونيّ بمعنى القضاء والتقدير.

الثالث: لاختلافهما في جهتَي الفعل، كقوله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الأنفال: ١٧]؛ أُضيف القتل إليهم، والرمي إليه ﷺ على جهة الكسب والمباشرة، ونفاه عنهم وعنه باعتبار التأثير.

الرابع لاختلافهما في الحقيقة والمجاز، كقوله: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ﴾ [الحج: ٢]، أي: سكارى من الأهوال مجازاً، لا من الشراب حقيقة.

الخامس: بوجهين واعتبارين، كقوله: ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢] مع قوله: ﴿خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥]. قال قطرب: (فبصرُك)، أي: علمُك ومعرفتُك بها قوية، من قولهم: بَصُر بكذا، أي: علم، وليس المراد رؤية العين. قال الفارسيّ: ويدلُّ على ذلك قوله: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ﴾ [ق: ٢٢].

وكقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ٢٨] مع قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]. فقد يُظَنُّ أن الوَجَلَ خلاف الطمأنينة.

وجوابه: أن الطمأنينة تكون بانشراح الصدر بمعرفة التوحيد، والوجل يكون عند خوف الزيغ

---

(١) الحَليمي: حسين بن حسن البخاري الجرجاني، فقيه، شافعي، قاضٍ (ت: ٤٠٣هـ). «الرسالة المستطرفة» ٤٤، «طبقات الشافعية» ٣/ ١٩.

(٢) الشاذلي: علي بن محمد، المصري الشاذلي، من فقهاء المالكية (ت: ٩٣٩هـ). «الأعلام» ٥/ ١١.

(٣) أخرج أبو داود (٢١٣٤)، والترمذي (١١٤٠) من حديث عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يَقْسِمُ فيَعْدِلُ ويقول: «اللهم هذا قَسْمي فيما أملِكُ فلا تَلُمْني فيما تَمْلِكُ ولا أَمْلِكُ». وقد ضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف سنن أبي داود».

والذهاب عن الهدى، فتوجل القلوب لذلك، وقد جمع بينهما في قوله: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

ومما استشكلوه قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ [الكهف: ٥٥]؛ فإنَّه يدلُّ على حصر المانع من الإيمان في أحد هذين الشيئين.

وقال في آية أخرى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤]؛ فهذا حصرٌ آخرُ في غيرهما.

وأجاب ابنُ عبد السلام(١): بأن معنى الآية الأولى: وما مَنع النَّاسَ أن يؤمنوا إلَّا إرادة أنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّة الأوَّلِينَ من الخسف أو غيره، أو يَأْتِيَهُم الْعَذَابُ قُبلاً في الآخرة. فأخبر أنه أراد أن يصيبهم أحد أمرين، ولا شكَّ أنَّ إرادة الله مانعةٌ من وقوع ما ينافي المراد. فهذا حصر في السبب الحقيقيّ، لأن الله هو المانع في الحقيقة.

ومعنى الآية الثانية: وما مَنعَ النَّاسَ أنْ يُؤْمِنُوا إلَّا استغرابُ بعثه بشراً رسولاً، لأن قولهم ليس مانعاً من الإيمان؛ لأنه لا يصلح لذلك؛ وهو يدلُّ على الاستغراب بالالتزام؛ وهو المناسب للمانعية، واستغرابهم ليس مانعاً حقيقيًّا بل عاديًّا؛ لجواز وجود الإيمان معه، بخلاف إرادة الله تعالى. فهذا حصر في المانع العاديّ؛ والأول حصرٌ في المانع الحقيقيّ، فلا تنافيَ أيضاً.

ومما استشكل أيضاً: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ٢١]، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ [الزمر: ٣٢] مع قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [الكهف: ٥٧]، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٤] إلى غير ذلك من الآيات.

ووجهه: أن المراد بالاستفهام هنا النفي، والمعنى: لا أحد أظلم، فيكون خبراً، وإذا كان خبراً وأُخِذت الآيات على ظواهرها أدّى إلى التناقض. وأجيب بأوجه:

منها: تخصيص كلّ موضع بمعنى صلته؛ أي: لا أحدَ من المانعين أظلمُ ممَّن منع مساجد الله، ولا أحد من المفترين أظلم ممَّن افترى على الله كذباً، وإذا تخصَّص بالصِّلات فيها زال التناقض.

ومنها: أن التخصيص بالنسبة إلى السَّبْق: لَمَّا لم يسبق أحد إلى مثله حَكَم عليهم بأنه أظلم ممَّن جاء بعدهم سالكاً طريقهم، وهذا يؤول معناه إلى ما قبله؛ لأن المراد السبق إلى المانعيّة والافترائية.

ومنها ـ وادَّعى أبو حَيَّان أنَّه الصواب ـ: أن نفي الأظلميّة لا يستدعي نفي الظالمية؛ لأن نفي المقيَّد لا يدلُّ على نفي المطلق، وإذا لم يدلّ على نفي الظالمية لم يلزم التناقض؛ لأن فيها إثباتَ التسوية في الأظلميَّة، وإذا ثبتت التسوية فيها لم يكن أحد ممَّن وُصِف بذلك يزيد على الآخر؛ لأنَّهم يتساوون في الأظلميَّة. وصار المعنى: لا أحد أظلم ممَّن افترى وممَّن منع ونحوها، ولا إشكال في

---

(١) عبد العزيز بن عبد السلام، عز الدين، لقبه: سلطان العلماء (ت: ٦٦٠هـ). «فوات الوفيات» ٢/ ٣٥٠.

تساوي هؤلاء في الأظلمية، ولا يدلُّ على أنَّ أحد هؤلاء أظلم من الآخر، كما إذا قلت: لا أحد أفقهُ منهم. انتهى.

وحاصل الجواب أنَّ نفي التفضيل لا يلزم منه نفي المساواة.

وقال بعض المتأخِّرين: هذا استفهام مقصود به التهويل والتفظيع، من غير قصد إثبات الأظلمية للمذكور حقيقة، ولا نفيها عن غيره.

وقال الخطَّابي: سمعت ابن أبي هريرة[1] يحكي عن أبي العباس بن سُرَيج[2]، قال: سأل رجل بعض العلماء عن قوله: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ [البلد: ١]. فأخبر أنَّه لا يقسم به. ثم أقسم به في قوله: ﴿وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾ [التين: ٣]؟ فقال: أيُّما أحبُّ إليك؟ أجيبك ثم أقطعك، أو أقطعك ثم أجيبك؟ فقال: اقطَعني ثم أجِبْني. فقال له: اعلم أنَّ هذا القرآن نزلَ على رسول الله ﷺ بحضرة رجال، وبين ظهرانَيْ قوم كانوا أحرصَ الخلق على أن يجدُوا فيه مغمزاً وعليه مطعناً، لو كان هذا عندهم مناقضةً لتعلَّقوا به، وأسرعوا بالرَّدِّ عليه؛ ولكنَّ القوم علموا وجَهلْتَ، ولم ينكروا منه ما أنكرتَ، ثم قال له: إنَّ العرب قد تُدخِل (لا) في أثناء كلامها وتلغي معناها، وأنشد فيه أبياتاً.

تنبيه: قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني[3]: إذا تعارضت الآي وتعذَّر فيها الترتيب والجمع، طُلب التاريخ وترك المتقدم بالمتأخِّر، ويكون ذلك نسخاً. وإن لم يعلم، وكان الإجماع على العمل بإحدى الآيتين، علم بإجماعهم أن الناسخ ما أجمعوا على العمل بها. قال: ولا يوجَد في القرآن آيتان متعارضتان تخلوان عنْ هذين الوصفين.

قال غيره: وتعارض القراءتين بمنزلة تعارض الآيتين، نحو: ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾ [المائدة: ٦]، بالنصب والجرِّ، ولهذا جمع بينهما: بحمل النَّصْب على الغَسْل، والجرِّ على مسح الخفِّ.

وقال الصَّيْرفيّ[4]: جماع الاختلاف والتناقض: أنَّ كلَّ كلام ـ صحَّ أن يضاف بعض ما وقع الاسم عليه إلى وجه من الوجوه ـ فليس فيه تناقض، وإنما التناقض في اللفظ ما ضادَّه في كلِّ جهة، ولا يوجد في الكتاب والسنة شيء من ذلك أبداً، وإنما يوجد فيه النسخ في وقتين.

وقال القاضي أبو بكر: لا يجوز تعارض آي القرآن والآثار وما يوجبه العقل، فلذلك لم يجعل قوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢] معارضاً لقوله: ﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾ [العنكبوت: ١٧]،

---

(١) ابن أبي هريرة: الحسن بن الحسين، أبو علي، فقيه شافعي في العراق (ت: ٣٤٥هـ). «وفيات الأعيان» ١/ ١٣٠.

(٢) ابن سُرَيج: أحمد بن عمر بن سُريج البغدادي، فقيه الشافعية في عصره، ناصر السنة في المئة الثالثة (ت: ٣٠٦هـ). «تاريخ بغداد» ٤/ ٢٨٧، «وفيات الأعيان» ١/ ٦٦.

(٣) أبو إسحاق: إبراهيم بن محمد، عالم بالفقه والأصول، ثقة في الحديث، له مناظرات مع المعتزلة (ت: ٤١٨هـ). «وفيات الأعيان» ١/ ٢٨.

(٤) الصيرفي: محمد بن عبد الله، أبو بكر البغدادي، أعلم الناس بالأصول بعد الشافعي، شرح رسالة الشافعي (ت: ٣٣٠هـ). «وفيات الأعيان» ٤/ ١٩٩.

﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ﴾ [المائدة: ١١٠]، لقيام الدليل العقلي أنَّه لا خالق غير الله، فتعيّن تأويل ما عارضه، فيؤوّل (وتخلقون) على (تكذبون)، و(تخلق) على (تصور).

فائدة:

قال الكرمانيّ[1] عند قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]. الاختلاف على وجهين: **اختلاف تناقض**، وهو ما يدعو فيه أحد الشيئين إلى خلاف الآخر، وهذا هو الممتنع على القرآن. **واختلاف تلازم**، وهو ما يوافق الجانبين، كاختلاف وجوه القراءة، واختلاف مقادير السور والآيات، واختلاف الأحكام من الناسخ والمنسوخ، والأمر والنهي، والوعد والوعيد.

(١) في «غرائب التفسير...» ١/ ٣٠١، النساء: ٨٢.

النوع التاسع والأربعون

في مُطْلَقه ومقيّده

المطلق: الدالّ على الماهية بلا قيد، وهو مع المقيد كالعامّ مع الخاص.

قال العلماء: متى وُجِد دليل على تقييد المطلق صِير إليه، وإلّا فلا، بل يبقى المطلق على إطلاقه، والمقيَّد على تقييده؛ لأن الله تعالى خاطبنا بلغة العرب.

والضابط: أنَّ الله إذا حكم في شيء بصفة أو شرط، ثم وَرَدَ حكمٌ آخر مطلقاً، نُظِر:

فإن لم يكن له أصل يُرَدّ إليه إلّا ذلك الحكم المقيَّد وجب تقييده به.

وإن كان له أصل يردّ إليه غيره لم يكن ردّه إلى أحدهما بأولى من الآخر.

فالأول: مثل اشتراط العدالة في الشهود على الرجعة والفراق والوصية في قوله: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢]، وقوله: ﴿شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦].

وقد أطلق الشهادة في البيوع وغيرها في قوله: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ﴾ [النساء: ٦].

والعدالة شَرْط في الجميع.

ومثل تقييده ميراث الزوجين، بقوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء: ١٢]. وإطلاقُه الميراث فيما أُطلق فيه.

وكذلك ما أطلق من المواريث كلّها بعد الوصية والدَّين.

وكذلك ما اشترط في كفارة القتل من الرَّقَبة المؤمنة، وإطلاقها في كفَّارة الظِّهار واليمين، والمطلق كالمقيَّد في وصف الرقبة.

وكذلك تقييد الأيدي بقوله: ﴿إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦] في الوضوء، وإطلاقه في التيمم.

وتقييد إحباط العمل بالرِّدة بالموت على الكفر في قوله: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وأطلق في قوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المائدة: ٥].

وتقييد تحريم الدم بالمسفوح في الأنعام، وأُطلِق فيما عداها.

فمذهب الشافعيّ حَمْل المطلق على المقيَّد في الجميع.

ومن العلماء من لا يحمله، ويجوّز إعتاق الكافر في كفارة الظهار واليمين، ويكتفي في التيمم بالمسح إلى الكوعين، ويقول: إن الردَّة تحبط العمل بمجرّدها.

والثاني: مثل تقييد الصوم بالتتابع في كفارة القتل والظهار، وتقييده بالتفريق في صوم التمتع. وأَطلق كفارة اليمين وقضاء رمضان: فيبقى على إطلاقه من جوازه مفرقاً ومتتابعاً.

لا يمكن حملُه عليهما، لتنافي القيدين، وهما: التفريق والتتابع، ولا على أحدهما لعدم المرجّح.

تنبيهات:

الأول: إذا قلنا بحمل المطلق على المقيّد، فهل هو من وضع اللغة أو بالقياس؟ مذهبان:

وجه الأول: أنَّ العرب من مذهبها استحباب الإطلاق اكتفاء بالمقيد، وطلباً للإيجاز والاختصار.

الثاني: ما تقدَّم محلُّه: إذا كان الحكمان بمعنى واحد، وإنما اختلفا في الإطلاق والتقييد.

فأما إذا حكم في شيء بأمور، ثم في أُخر ببعضها، وسكت فيه عن بعضها، فلا يقتضي الإلحاق. كالأمر بغسل الأعضاء الأربعة في الوضوء وذكر في التيمم عضوين، فلا يقال بالحمل، ومسح الرأس والرجلين بالتراب فيه أيضاً.

وكذلك ذَكَرَ العِتْق والصوم والإطعام في كفَّارة الظهار، واقتصر في كفارة القتل على الأولين، ولم يذكر الإطعام، فلا يقال بالحَمْل وإبدال الصيام بالطعام.

النوع الخمسون

في منطوقه ومفهومه

المنطوق: ما دلَّ عليه اللفظ في محل النُّطق.

فإن أفاد معنًى لا يحتمل غيره **فالنّص**، نحو: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌۗ﴾ [البقرة: ١٩٦]. وقد نُقِل عن قوم من المتكلمين أنهم قالوا بندور النصّ جدًّا في الكتاب والسنة. وقد بالغ إمام الحرمين[1] وغيرُهُ في الردِّ عليهم، قال: لأن الغَرض من النصِّ الاستقلال بإفادة المعنى على قطع، مع انحسام جهات التأويل والاحتمال، وهذا وإن عزّ حصوله بوضع الصيغ ردّاً إلى اللغة، فما أكثره من القرائن الحالية والمقالية. انتهى.

أو مع احتمال غيره احتمالاً مرجوحاً **فالظاهر**، نحو: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣]. فإنَّ الباغيَ يُطلق على الجاهل وعلى الظالم، وهو فيه أظهر وأغلب، ونحو: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَۖ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فإنَّه يقال للانقطاع: طهر، وللوضوء والغسل، وهو في الثاني أظهر.

فإن حُمِل على المرجوحِ لدليل فهو: **تأويل**، ويسمَّى المرجوح المحمول عليه **مؤوّلاً**، كقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ﴾ [الحديد: ٤]. فإنَّه يستحيل حمل المعيَّة على القرب بالذَّات، فتعيّن صرفه عن ذلك، وحمله على القدرة والعلم أو على الحفظ والرعاية.

وكقوله: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]. فإنَّه يستحيل حمله على الظاهر، لاستحالة أن يكون للإنسان أجنحة، فيُحمل على الخضوع وحسن الخُلق.

وقد يكون **مشتركاً** بين حقيقتين، أو حقيقة ومجاز، ويصحُّ حمله عليهما جميعاً، فيُحمَل عليهما جميعاً، سواء قلنا بجواز استعمال اللفظ في معنيَيْه أوْ لا. ووجهُه على هذا: أن يكون اللفظ قد خوطب به مرتين؛ مرَّةً أريد هذا، ومرة أريد هذا.

ومن أمثلته: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢]؛ فإنَّه يحتمل: لا يضارِرُ الكاتبُ والشهيدُ صاحبَ الحقّ بجَوْرٍ في الكتابة والشهادة، ولا يُضارَرُ ـ بالفتح ـ أي: لا يضرهما صاحبُ الحق بإلزامهما ما لا يلزمُهما، وإجبارهما على الكتابة والشهادة.

ثم إن توقَّفت صحة دلالة اللفظ على إضمارٍ سُمِّيت: **دلالة اقتضاء**، نحو: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، أي: أهلها.

وإن لم تتوقف، ودلَّ اللفظ على ما لم يُقصد به، سميت: **دلالة إشارة**، كدلالة قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ

---

(١) إمام الحرمين: عبد الملك بن عبد الله أبو المعالي، أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي، له: «البرهان» في أصول الفقه (ت: ٤٧٨هـ). «وفيات الأعيان» ٣/ ١٦٧، «تبيين كذب المفتري» ٢٧٨.

لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] على صحّة صوم من أصبح جُنُباً، إذ إباحة الجماع إلى طلوع الفجر تستلزم كونه جُنباً في جزء من النهار. وقد حُكِي هذا الاستنباط عن محمد بن كعب القُرظيّ(١).

فصل: والمفهوم: ما دلَّ عليه اللفظ لا في محل النطق. وهو قسمان: مفهوم موافقة، ومفهوم مخالفة.

فالأول: ما يوافق حكمه المنطوق:

فإن كان أولى، سُمِّيَ: **فحوى الخطاب**، كدلالة: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣] على تحريم الضرب، لأنه أشدّ.

وإن كان مساوياً، سُمِّي: **لحن الخطاب**، أي: معناه، كدلالة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ [النساء: ١٠] على تحريم الإحراق، لأنه مساوٍ للأكل في الإتلاف.

واختلف: هل دلالة ذلك قياسية أو لفظية، مجازية أو حقيقية؟ على أقوال بيناها في كتبنا الأصولية.

والثاني: ما يخالف حكمه المنطوق. وهو أنواع:

مفهوم صفة: نعتاً كان أو حالاً أو ظرفاً أو عدداً، نحو: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ [الحجرات: ٦]. مفهومه: أنَّ غير الفاسق لا يجب التَّبيُّن في خبره، فيجب قبول خبر الواحد العدل.

﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧]، أي: فلا يصح الإحرام به في غيرها. ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٨]، أي: فالذِّكر عند غيره ليس محصِّلاً للمطلوب. ﴿فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: ٤]، أي: لا أقلّ ولا أكثر.

وشرطٍ، نحو: ﴿وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق: ٦]، أي: فغير أولات الحمل لا يجب الإنفاق عليهنَّ.

وغايةٍ، نحو: ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، أي: فإذا نكحته تحل للأول بشرطه.

وحَصرٍ، نحو: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الصافات: ٣٥]، ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [طه: ٩٨]، أي: فغيرُه ليس بإله. ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾ [الشورى: ٩]، أي: فغيره ليس بوليّ. ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٨]، أي: لا إلى غيره. ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]، أي: لا غيرك.

واختلف في الاحتجاج بهذه المفاهيم، على أقوال كثيرة، والأصحُّ في الجملة أنها كلَّها حجَّة بشروط:

---

(١) انظر «حلية الأولياء» ٣/ ٢١٢.

منها: ألا يكون المذكور خرج للغالب، ومن ثَمَّ لم يعتبر الأكثرون مفهوم قوله: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ [النساء: ٢٣]؛ فإن الغالب كون الربائب في حجور الأزواج، فلا مفهوم له؛ لأنَّه إنما خُصّ بالذكر لغلبة حضوره في الذهن.

وألَّا يكون موافقاً للواقع، ومن ثَمَّ لا مفهوم لقوله: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وقوله: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨]. وقوله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣].

والاطلاع على ذلك من فوائد معرفة أسباب النزول.

فائدة:

قال بعضهم: الألفاظ إمَّا أن تَدُلَّ بمنطوقها أو بفحواها ومفهومها، أو باقتضائها وضرورتها، أو بمعقولها المستنبط منها. حكاه ابن الحَصَّار. وقال: هذا كلام حسن.

قلت: فالأوَّل: دلالة المنطوق، والثاني: دلالة المفهوم، والثالث. دلالة الاقتضاء، والرابع: دلالة الإشارة.

النوع الحادي والخمسون

في وجوه مخاطباته

قال ابن الجوزي في كتابه النفيس: الخطاب في القرآن على خمسة عشر وجهاً.

وقال غيره: على أكثر من ثلاثين وَجهاً:

أحدها: خطاب العام، والمراد به العُموم، كقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ [الروم: ٥٤].

والثاني: خطاب الخاصّ، والمراد به الخصوص، كقوله: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٦]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ [المائدة: ٦٧].

الثالث: خطاب العامّ والمراد به الخصوص، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ [الحج: ١] لم يدخل فيه الأطفالُ والمجانينُ.

الرابع: خطاب الخاصّ، والمراد العموم، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١]؛ افتتح الخطاب بالنبيّ ﷺ، والمراد سائر من يملك الطلاق. وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ...﴾ الآية [الأحزاب: ٥٠]. قال أبو بكر الصَّيرفي: كان ابتداء الخطاب له، فلما قال في الموهوبة: ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، عُلم أن ما قبلها له ولغيره.

الخامس: خطاب الجنس، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾.

السادس: خطاب النوع، نحو: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

السابع: خطاب العين، نحو: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ﴾ [البقرة: ٣٥]، ﴿يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ﴾ [هود: ٤٨]، ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ﴾ [الصافات: ١٠٤، ١٠٥]، ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾ [النمل: ١٠]، ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: ٥٥]، ولم يقع في القرآن الخطاب بـ (يا محمد) بل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ تعظيماً له، وتشريفاً وتخصيصاً بذلك عمّا سواه، وتعليماً للمؤمنين ألّا ينادوه باسمه.

الثامن: خطاب المدح، نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ١٠٤]؛ ولهذا وقع خطاباً لأهل المدينة: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟﴾ [الأنفال: ٧٤]. أخرج ابن أبي حاتم(١) عن خَيْثمة: ما تقرؤون في القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فإنه في التوراة (يا أيُّها المساكين). وأخرج البيهقي وأبو عُبيد وغيرهما عن ابن مسعود قال: إذا سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، فأوعِها سمعَك، فإنه خيرٌ يؤمَرُ به، أو شرٌّ ينهى عنه.

التاسع: خطاب الذَّم، نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾ [التحريم: ٧]، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا

(١) في «تفسيره» ١/١٩٦ (١٠٣٦) البقرة: ١٠٤.

﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]. ولتضمّنه الإهانة لم يقع في القرآن في غير هذين الموضعين. وأكثر الخطاب بـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ على المواجهة، وفي جانب الكفار جيء بلفظ الغيبة، إعراضاً عنهم، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البقرة: ٦]. ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [الأنفال: ٣٨].

العاشر: خطاب الكرامة، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾. قال بعضهم: ونجد الخطاب بالنَّبي في محل لا يليق به الرسول، وكذا عكسه، كقوله في الأمر بالتشريع العام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، وفي مقام الخاص: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم: ١]. قال: وقد يعبّر بالنبي في مقام التشريع العامّ؛ لكن مع قرينة إرادة العموم، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ [الطلاق: ١]، ولم يقل: طلقت.

الحادي عشر: خطاب الإهانة، نحو: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الحجر: ٣٤]، ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

الثاني عشر: خطاب التهكُّم، نحو: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩].

الثالث عشر: خطاب الجمع بلفظ الواحد، نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦].

الرابع عشر: خطاب الواحد بلفظ الجمع، نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [المؤمنون: ٥١] إلى قوله: ﴿فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ﴾ [المؤمنون: ٥٤]، فهو خطاب له ﷺ وحدَه، إذ لا نبيّ معه ولا بعده.

وكذا قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟﴾ الآية [النحل: ١٢٦] خطاب له ﷺ وحدَه، بدليل قوله: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ الآية [النحل: ١٢٧]، وكذا قوله: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟﴾ [هود: ١٤] بدليل قوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟﴾ [هود: ١٣]. وجعل منه بعضهم: ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩]، أي: أرجعني. وقيل: ﴿رَبِّ﴾ خطاب له تعالى. و﴿ٱرْجِعُونِ﴾ للملائكة.

وقال السُّهَيلي[(١)]: هو قول مَنْ حضرته الشياطين وزبانيةُ العذاب، فاختلط فلا يدري ما يقول من الشَّطَط. وقد اعتاد أمراً يقوله في الحياة من ردّ الأمر إلى المخلوقين.

الخامس عشر: خطاب الواحد بلفظ الاثنين، نحو: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾ [ق: ٢٤]. والخطاب لِمَالك خازنِ النار، وقيل: لخزنة النار والزبانية، فيكون من خطاب الجمع بلفظ الاثنين، وقيل: للملكين الموكَّلين في قوله: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١]، فيكون على الأصل.

وجعل المَهْدَويّ[(٢)] من هذا النوع: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ [يونس: ٨٩]. قال: الخطاب لموسى وحدَه؛ لأنَّه الدَّاعي، وقيل: لهما؛ لأنَّ هارون أمَّن على دعائه، والمؤمِّنُ أحدُ الداعِيَيْنِ.

---

(١) السُّهيلي: عبد الرحمن بن عبد الله، صاحب «الروض الأُنُف» ونسبته إلى سُهيل من قرى مَالَقَةْ في المغرب (ت: ٥٨١هـ). «وفيات الأعيان» ٣/ ١٤٣. له: «التعريف والإعلام فيما أُبهم من الأسماء والأعلام في القرآن الكريم». مطبوع.

(٢) المهدوي: محمد بن إبراهيم أبو عبد الله، من أهل المهدية (بفاس) وتوفي بها، فقيه عالم صالح (ت: ٥٩٥هـ). «جَذْوة الاقتباس» ١٦٩.

السادس عشر: خطاب الاثنين بلفظ الواحد، كقوله: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٩]. أي: ويا هارون، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه أفرده بالنداء لإدلاله عليه بالتربية.

والآخر: لأنه صاحب الرسالة والآيات، وهارون تبع له، ذكره ابن عطية[١]، وذكر في «**الكشاف**» آخر[٢]، وهو: أن هارون لمّا كان أفصحَ من موسى، نَكَبَ[٣] فرعونُ عن خطابِهِ، حذراً من لسانِهِ.

ومثلُه: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧]؛ قال ابن عطية[٤]: أفرده بالشقاء؛ لأنه المخاطَب أولاً، والمقصودُ في الكلام. وقيل: لأن الله جعل الشقاء في معيشة الدنيا في جانب الرِّجال. وقيل: إغضاءً عن ذِكر المرأة، كما قيل: من الكرم سترُ الحرمِ.

السابع عشر: خطاب الاثنين بلفظ الجمع، كقوله: ﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [يونس: ٨٧].

الثامن عشر: خطاب الجمع بلفظ الاثنين، كما تقدم في ﴿أَلْقِيَا﴾ [ق: ٢٤].

التاسع عشر: خطاب الجمع بعد الواحد، كقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ [يونس: ٦١]. قال ابن الأنباريِّ: جمع في الفعل الثالث ليدلَّ على أن الأمة داخلون مع النبي ﷺ، ومثله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١].

العشرون: عكسه، نحو: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٧].

الحادي والعشرون: خطاب الاثنين بعد الواحد، نحو: ﴿أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ٧٨].

الثاني والعشرون: عكسه، نحو: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٩].

الثالث والعشرون: خطاب العين والمراد به الغير، نحو: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [الأحزاب: ١]. الخطاب له، والمراد أمَّته؛ لأنَّه ﷺ كان تقيّاً، وحاشاه من طاعة الكفَّار. ومنه: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ الآية [يونس: ٩٤] حاشاه ﷺ من الشك، وإنما المراد بالخطاب التعريضُ بالكفار.

أخرج ابن أبي حاتم[٥] عن ابن عباس في هذه الآية قال: لم يشكّ ﷺ، ولم يسأل، ومثله: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ الآية [الزخرف: ٤٥]، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥]. وأنحاء ذلك.

الرابع والعشرون: خطاب الغير والمراد به العين، نحو: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَـٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ﴾ [الأنبياء: ١٠].

---

(١) في تفسيره المسمى: «المحرر الوجيز...» ٤/ ٤٦ سورة طه: ٤٩.

(٢) «الكشاف» ٢/ ٥٣٩، طه: ٤٩.

(٣) نَكَبَ ونكَّب: عدل عنه. «القاموس المحيط»: نكب.

(٤) في «تفسيره» ٤/ ٦٧ طه: ١١٧.

(٥) في «تفسيره» ٦/ ١٩٨٦ (١٠٥٨٣) يونس: ٩٤.

الخامس والعشرون: الخطاب العامّ الذي لم يقصد به مخاطَبٌ معيَّن، نحو: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ﴾ [الحج: ١٨]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ﴾ [السجدة: ١٢] لم يقصَد بذلك خطابٌ معيّن، بل كل أحد، وأخرج في صورة الخطاب لقصد العموم، يريد أن حالهم تناهت في الظهور، بحيث لا يختصُّ بها راءٍ دون راءٍ، بل كل من أمكن منه الرؤية داخل في ذلك الخطاب.

السادس والعشرون: خطاب الشخص ثم العدولُ إلى غيره، نحو: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾ [هود: ١٤]. خوطب به النبي ﷺ، ثم قال للكفار: ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ١٤] بدليل: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٤]. ومنه: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ [الفتح: ٨] إلى قوله: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟﴾ [الفتح: ٩]، فيمن قرأ بالفوقية[1].

السابع والعشرون: خطاب التلوين وهو الالتفات.

الثامن والعشرون: خطاب الجمادات خطابَ مَنْ يعقل، نحو: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت: ١١].

التاسع والعشرون: خطاب التهييج، نحو: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

الثلاثون: خطاب التَّحنُّن والاستعطاف، نحو: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ . . .﴾ الآية [الزمر: ٥٣].

الحادي والثلاثون: خطاب التحبُّب، نحو: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ﴾ [مريم: ٤٢]، ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ﴾ [لقمان: ١٦]، ﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى﴾ [طه: ٩٤].

الثاني والثلاثون: خطاب التعجيز، نحو: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ﴾ [البقرة: ٢٣].

الثالث والثلاثون: خطاب التشريف، وهو كلّ ما في القرآن مخاطبةً بـ: ﴿قُلْ﴾، فإنَّه تشريف منه تعالى لهذه الأمة، بأن يخاطبها بغير واسطة؛ لتفوز بشرف المخاطبة.

الرابع والثلاثون: خطاب المعدوم، ويصح ذلك تبعاً لموجود، نحو: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾، فإنَّه خطاب لأهل ذلك الزمان ولكل مَن بعدهم.

فائدة:

قال بعضهم: خطاب القرآن ثلاثة أقسام:

قسم لا يصلح إلّا للنبي ﷺ.

وقسم لا يصلح إلّا لغيره.

وقسم لهما.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء، وقرأ الباقون بالتاء. «المبسوط في القراءات العشر» ٤١٠.

فائدة:

قال ابن القيِّم: تأمل خطاب القرآن تجد مَلِكاً له المُلك كله، وله الحمد كلُّه، أزمّة الأمور كلّها بيده، ومصدرها منه، ومردّها إليه، مستوياً على العَرْش، لا تخفى عليه خافية من أقطار مملكته، عالماً بما في نفوس عَبيده، مطّلعاً على أسرارهم وعلانيتهم، منفرداً بتدبير المملكة، يسمع ويرى، ويعطي ويمنع، ويثيب ويعاقب، ويكرم ويُهين، ويخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويقدّر ويقضي ويدبر، الأمورُ نازلةٌ من عنده دقيقُها وجليلها، وصاعدة إليه لا تتحرك ذَرّة إلّا بإذنه، ولا تسقط ورقة إلّا بعلمه.

فتأمَّل كيف تجده يُثني على نفسه، ويمجِّد نفسه، ويحمد نفسه، وينصح عباده، ويدلُّهم على ما في سعادتهم وفلاحهم، ويرغِّبهم فيه، ويحذِّرهم مما فيه هلاكهم، ويتعرف إليهم بأسمائه وصفاته، ويتحبَّب إليهم بِنعمه وآلائه، يذكِّرهم بنعمه عليهم، ويأمرهم بما يستوجبون به تمامَها، ويحذِّرهم من نقمه، ويذكِّرهم بما أعدَّ لهم من الكرامة إن أطاعوه، وما أَعدَّ لهم من العقوبة إن عصَوْه، ويخبرهم بصنعه في أوليائه وأعدائه، وكيف كانت عاقبة هؤلاء وهؤلاء، ويثني على أوليائه بصالح أعمالهم وأحسن أوصافهم، ويذمُّ أعداءه بسيئ أعمالهم، وقبيح صفاتهم، ويضرب الأمثال، وينوّع الأدِلَّة والبراهين، ويجيب عن شُبَه أعدائه أحسنَ الأجوبة، ويصدِّق الصادق، ويكذِّب الكاذب، ويقول الحق ويهدي السبيل ويدعو إلى دار السلام، ويذكر أوصافها وحسنَها ونعيمها، ويحذِّر من دار البوار، ويذكّر عذابها وقبحها وآلامها، ويذكِّر عباده فقرَهم إليه، وشدَّةَ حاجتهم إليه من كلّ وجه، وأنّهم لا غنى لهم عنه طرفةَ عين، ويذكِّرهم غناه عنهم وعن جميع الموجودات، وأنَّه الغني بنفسه عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقيرٌ إليه، وأنه لن ينال أحدٌ ذرَّةً من الخير فما فوقها إلّا بفضله ورحمته، ولا ذرَّةً من الشرّ فما فوقها إلّا بعدله وحكمته، وتَشهد من خطابه عِتَابَه لأحبابِه ألطفَ عتاب، وأنَّه مع ذلك مُقيلٌ عثراتِهم، وغافر زلّاتهم، ومقيم أعذارَهم، ومصلحٌ فسادَهم، والدافع عنهم، والحاميَ عنهم، والناصر لهم، والكفيلَ بمصالحهم، والمنجِّي لهم من كل كَرْب، والموفي لهم بوعده، وأنّه وليُّهم الذي لا وليَّ لهم سواه، فهو مولاهم الحقّ، ونصيرُهم على عدوّهم، فنعم المولى ونعم النصير!.

وإذا شهدت القلوبُ من القرآن مَلِكاً عظيماً، جَوَاداً رحيماً جميلاً، هذا شأنُه، فكيف لا تحبُّه وتنافس في القرب منه، وتنفق أنفاسها في التودُّد إليه، ويكون أحبَّ إليها من كلِّ ما سواه، ورضاه آثر عندها من رضا كلِّ مَنْ سواه!؟ وكيف لا تَلْهَجُ بذكره وتُصيّر حبَّه والشوقَ إليه والأُنس به هو غِذاؤها، وقُوتها ودواؤها، بحيث إن فقدت ذلك فسدت وهلكت ولم تنتفع بحياتها؟

فائدة:

قال بعض الأقدمين: أُنزِل القرآن على ثلاثين نحواً، كل نحو منه غير صاحبه؛ فمن عرف وجوهَها، ثم تكلَّم في الدين أصاب ووفِّق، ومن لم يعرفْها وتكلَّم في الدين كان الخطأُ إليه أقربَ، وهي: المكيّ والمدنيّ، والناسخ والمنسوخ، والمحكَم والمتشابه، والتقديم والتأخير، والمقطوع والموصول، والسّبب والإضمار، والخاصّ والعامّ، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، والحدود

والأحكام، والخبر، والاستفهام والأُبَّهة، والحروف المصرّفة، والإعذار والإنذار، والحجّة والاحتجاج، والمواعظ والأمثال، والقَسَم.

قال فالمكيّ: مثل: ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾ [المزمل: ١٠].

والمدنيّ: مثل: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٠].

والناسخ والمنسوخ: واضح.

والمُحْكَم: مثل: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا . . .﴾ الآية [النساء: ٩٣]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا﴾ [النساء: ١٠]، ونحوه مما أحكمه الله وبيّنه.

والمتشابه: مثل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ . . .﴾ الآية [النور: ٢٧]، ولم يقلْ: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ﴾ [النساء: ٣٠]. كما قال في المحكَم. وقد ناداهم في هذه الآية بالإيمان، ونهاهم عن المعصية، ولم يجعل فيها وعيداً، فاشتبه على أهلها ما يفعل الله بهم.

والتقديم والتأخير: مثل: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ﴾ [البقرة: ١٨٠]. التقدير: كتب عليكم الوصية إذا حضر أحدَكم الموتُ.

والمقطوع والموصول: مثل: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ١]. فـ (لا) مقطوع من أقسم، وإنّما هو في المعنى: أقسم بيوم القيامة. ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢] ولم يقسم.

والسبب والإضمار: مثل: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، أي: أهلَ القرية.

والخاصّ والعامّ: مثل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ فهذا في المسموع خاص: ﴿إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١]، فصار في المعنى عامّاً.

والأمر: وما بعده إلى الاستفهام أمثلتها واضحة.

والأُبّهة: مثل: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا﴾ [نوح: ١]، ﴿نَحۡنُ قَسَمۡنَا﴾ [الزخرف: ٣٢]؛ عبَّر بالصيغة الموضوعة للجماعة للواحد تعالى، تفخيماً وتعظيماً وأبهةً.

والحروف المصرفة: كالفتنة تطلق على الشرك، نحو: ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ [البقرة: ١٩٣]. وعلى المعذرة نحو: ﴿ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ﴾ [الأنعام: ٢٣]، أي: معذرتهم. وعلى الاختبار، نحو: ﴿قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ﴾ [طه: ٨٥]. والاعتذار، نحو: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ﴾ [المائدة: ١٣]. اعتذر أنّه لم يفعل ذلك إلّا بمعصيتهم.

والبواقي أمثلتها واضحة.

النوع الثاني والخمسون

في حقيقته ومجازه

لا خلاف في وقوع الحقائق في القرآن؛ وهي: كلّ لفظ بقيَ على موضوعه، ولا تقديم فيه ولا تأخير. وهذا أكثر الكلام.

وأمّا المجاز: فالجمهور أيضاً على وقوعه فيه، وأنكره جماعة، منهم: الظاهريَّة وابن القاصّ من الشافعية وابن خويز منداد من المالكية.

وشبهتُهم: أن المجاز أخو الكذب، والقرآن منزّه عنه، وأن المتكلِّم لا يَعْدِل إليه إلا إذا ضاقت به الحقيقة، فيستعير؛ وذلك محال على الله تعالى.

وهذه شبهة باطلة، ولو سقط المجاز من القرآن سَقط منه شطر الحُسْن، فقد اتفق البلغاء على أنَّ المجاز أبلغُ من الحقيقة، ولو وجب خلوّ القرآن منَ المجاز وجب خلوّه من الحذف والتوكيد وتثنية القَصَص وغيرها.

وقد أفرده بالتصنيف: الإمام عز الدين بن عبد السلام؛ ولخصتُه مع زيادات كثيرة في كتاب سميته: «**مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن**». وهو قسمان:

الأوّل: المجاز في التركيب، ويسمَّى مجاز الإسناد، والمجازَ العقلي. وعلاقتُه الملابسةُ، وذلك أن يُسنَد الفعلُ أو شِبهُهُ إلى غير ما هو له أصالةً لملابسته له، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]، نُسِبت الزيادة ـ وهي فعل الله ـ إلى الآيات، لكونها سبباً لها. ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [القصص: ٤]. ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى﴾ [غافر: ٣٦]؛ نسب الذبح ـ وهو فعل الأعوان ـ إلى فرعون، والبناء ـ وهو فعل العَمَلَة ـ إلى هامان لكونهما آمرين به.

وكذا قوله: ﴿وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]؛ نُسب الإحلال إليهم لتسبّبهم في كفرهم بأمرهم إيَّاهم به.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧]، نُسِب الفعل إلى الظَّرف لوقوعه فيه.

﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١]، أي: مرضية.

﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ [محمد: ٢١]، أي: عُزِم عليه، بدليل: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وهذا القسم أربعة أنواع:

أحدها: ما طرفاه حقيقيّان كالآية المصدّر بها، وكقوله: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢].

ثانيها: مجازيَّان، نحو: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦]، أي: ما ربحوا فيها، وإطلاق الربح والتجارة هنا مجاز.

ثالثها ورابعها: ما أحد طرفيه حقيقيّ دون الآخر.

أما الأوَّل والثاني فكقوله: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَنًا﴾ [الروم: ٣٥]، أي: برهاناً. ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝ تَدْعُواْ﴾ [المعارج: ١٥، ١٦، ١٧]؛ فإنَّ الدعاء من النَّار مجازٌ. وقوله: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤]. ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ [إبراهيم: ٢٥]. ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٩]. واسم الأمّ الهاوية مجاز، أي: كما أنَّ الأم كافلةٌ لولدها وملجأ له، كذلك النَّار للكافرين كافلة ومأوى ومرجع.

القسم الثاني: المجاز في المفرد، ويسمَّى المجاز اللّغويّ، وهو استعمال اللفظ في غير ما وضع له أوّلاً، وأنواعه كثيرة:

أحدها: الحذف، وسيأتي مبسوطاً في نوع الإيجاز، فهو به أجدر، خصوصاً إذا قلنا: إنه ليس من أنواع المجاز.

الثاني: الزِّيادة، وسبق تحرير القول فيها في نوع الإعراب.

الثالث: إطلاق اسم الكل على الجزء، نحو: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾ [البقرة: ١٩]، أي: أناملهم. ونكتةُ التعبير عنها بالأصابع الإشارةُ إلى إدخالها على غير المعتاد مبالغةً في الفرار، فكأنَّهم جعلوا الأصابع. ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقون: ٤]، أي: وجوههم؛ لأنه لم ير جُمْلَتهم. ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، أطلق الشهر وهو اسمٌ لثلاثين ليلة، وأراد جزءاً منه، كذا أجاب به الإمام فخر الدين عن استشكال: أنَّ الجزاء إنما يكون بعد تمام الشرط، والشَّرْط أن يشهد الشهر، وهو اسم لكلِّه حقيقةً؛ فكأنه أمر بالصوم بعد مضيّ الشهر؛ وليس كذلك. وقد فسَّره عليٌّ وابن عباس وابن عمر على أنَّ المعنى: من شهد أول الشهر فليصم جميعَه وإن سافر في أثنائه. أخرجه ابن جرير(١) وابنُ أبي حاتم(٢) وغيرهما، وهو أيضاً من هذا النوع، ويصلح أن يكون من نوع الحذف.

الرابع: عكسه، نحو: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]، أي: ذاته. ﴿فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٤]، أي: ذواتكم، إذ الاستقبال يجب بالصدر. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ [الغاشية: ٨]. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ [الغاشية: ٢، ٣]؛ عبَّر بالوجوه عن جميع الأجساد؛ لأن التنعّم والنَّصب حاصلٌ بكلِّها. ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠]. ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]، أي: قدّمت وكسبتم، ونسب ذلك إلى الأيدي، لأن أكثر الأعمال تُزاوَل بها. ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ﴾ [المزمل: ٢]. ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ [الإسراء: ٧٨]. ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]. ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾ [الإنسان: ٢٦]. أطلق كُلًّا من القيام والقراءة والركوع والسجود على الصَّلاة وهو بعضها. ﴿هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥]، أي: الحرم كله، بدليل أنه لا يذبح فيها.

---

(١) في «تفسيره» ٢/ ١٤٤ البقرة: ١٨٥.

(٢) في «تفسيره» ١/ ٣١٢ (١٦٥٦) البقرة: ١٨٥.

تنبيه:

أُلحِقَ بهذين النوعين شيئان:

أحدهما: وصف البعض بصفة الكل، كقوله: ﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: ١٦]، فالخطأ صفة الكلّ، وصَف به الناصيةَ. وعكسه كقوله: ﴿إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ [الحجر: ٥٢]. والوَجَل صفة القلب. ﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف: ١٨]. والرُّعب إنّما يكون في القلب.

والثاني: إطلاق لفظ بعض مراداً به الكلّ، ذكره أبو عُبيدة، وخرَّج عليه قوله: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ [الزخرف: ٦٣]، أي: كلّه .﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: ٢٨]. وتُعُقّبَ بأنَّه لا يجب على النبي بيان كل ما اختُلف فيه، بدليل الساعة والرُّوح ونحوهما، وبأن موسى كان وعَدهم بعذاب في الدنيا وفي الآخرة، فقال: يصبكم هذا العذابُ في الدنيا، وهو بعض الوعيد، من غير نفي عذاب الآخرة. ذكره ثعلب.

قال الزركشي: ويحتمل أيضاً أن يقال: إن الوعيد مما لا يُستنكر تركُ جميعِه، فكيف بعضه؟ ويؤيد ما قاله ثعلب قوله: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ [يونس: ٤٦].

الخامس: إطلاق اسم الخاص على العام، نحو: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦]، أي: رسله.

السادس: عكسه، نحو: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥]، أي: المؤمنين، بدليل قوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٧].

السابع: إطلاق اسم الملزوم على اللازم. [كقوله تعالى: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٥]، أي: أنزلنا برهاناً يستدلون به وهو يدلهم، سمى الدلالة كلاماً، لأنها من لوازم الكلام].

الثامن: عكسه، نحو: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة: ١١٢]، أي: هل يفعل؟ أطلق الاستطاعة على الفعل لأنها لازمة له.

التاسع: إطلاق المسبَّب على السبب، نحو: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ [غافر: ١٣] .﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ [الأعراف: ٢٦]، أي: مطراً يتسبب عنه الرزق واللباس .﴿لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ [النور: ٣٣]، أي: مؤنة من مَهْرٍ ونفقة، وما لا بدَّ للمتزوّج منه.

العاشر: عكسه، نحو: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ [هود: ٢٠]، أي: القبول والعمل به؛ لأنه مسبَّب عن السمع.

تنبيه: من ذلك نسبة الفعل إلى سبب السبب، كقوله: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٣٦]، ﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧]، فإن المُخرج في الحقيقة هو الله تعالى، وسبب ذلك أكلُ الشجرة، وسببُ الأكل وسوسةُ الشيطان.

الحادي عشر: تسميةُ الشيء باسم ما كان عليه، نحو: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: ٢]، أي: الذين كانوا يتامى، إذ لا يُتْمَ بعد البلوغ[١]. ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، أي: الذين كانوا أزواجهن. ﴿مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾ [طه: ٧٤]؛ سماه مجرماً باعتبار ما كان عليه في الدنيا من الإجرام.

الثاني عشر: تسميته باسم ما يؤول إليه، نحو: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦]، أي: عنباً يؤول إلى الخمرية. ﴿وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧]، أي: صائراً إلى الكفر والفجور. ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٠]، سماهُ زوجاً، لأن العقد يؤول إلى زوجيّة؛ لأنها لا تُنكح إلَّا في حال كونه زوجاً. ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]. ﴿نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: ٥٣]؛ وصفه في حال البشارة بما يؤول إليه من العلم والحِلْم.

الثالث عشر: إطلاق اسم الحالّ على المحلّ، نحو: ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧]، أي: في الجنة، لأنها محلّ الرحمة. ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ﴾ [سبأ: ٣٣]، أي: في الليل. ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ﴾ [الأنفال: ٤٣]، أي: في عينك، على قول الحَسن.

الرابع عشر: عكسه، نحو: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ [العلق: ١٧]، أي: أهل ناديه؛ أي: مجلسه.

ومنه التعبير باليد عن القدرة، نحو: ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، وبالقلب عن العقل، نحو: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩]، أي: عقول.

وبالأفواه عن الألسُن، نحو: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾ [آل عمران: ١٦٧].

وبالقرية عن ساكنيها، نحو: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢].

وقد اجتمع هذا النوع وما قبله في قوله تعالى: ﴿خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]؛ فإنَّ أخذَ الزينة غير ممكن لأنها مصدر، فالمراد محلها، فأطلق عليه اسم المحلّ على الحالّ، وأخذُها للمسجد نفسِه لا يجب، فالمراد الصلاة، فأطلق اسم المحلّ على الحالّ.

الخامس عشر: تسمية الشيء باسم آلته، نحو: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]، أي: ثناءً حسناً؛ لأن اللسانَ آلتُهُ. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤]، أي: بلغة قومه.

السادس عشر: تسمية الشيء باسم ضدّه، نحو: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]. والبشارة حقيقة في الخبر السارّ.

ومنه: تسمية الداعي إلى الشيء باسم الصارف عنه، ذكره السكاكيّ، وخرَّج عليه قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]؛ يعني ما دعاك إلى ألَّا تسجد؟ وسَلِم بذلك من دعوى زيادة (لا).

---

(١) وذلك لما أخرجه أبو داود (٢٨٧٣) من حديث علي مرفوعاً: «لا يُتْمَ بعد احتلامٍ، ولاصُمَاتَ يومٍ إلى الليل». وقد صححه الشيخ الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

السابع عشر: إضافة الفعل إلى ما لا يصح منه تشبيهاً، نحو: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾ [الكهف: ٧٧]؛ وصَفَهُ بالإرادة؛ وهي من صفات الحيّ، تشبيهاً لميله للوقوع بإرادته.

الثامن عشر: إطلاق الفعل والمراد مشارفته ومقاربته وإرادته، نحو: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ [الطلاق: ٢]، أي: قاربْنَ بلوغَ الأجل؛ أي: انقضاءَ العدَّة، لأن الإمساك لا يكون بعده. وهو في قوله: ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢]. حقيقة. ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، أي: فإذا قَرُبَ مجيؤهُ. وبه يندفع السؤال المشهور فيها: أَنَّ عند مجيء الأجل لا يُتصوَّر تقديمٌ ولا تأخير. ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ . . .﴾ الآية [النساء: ٩]. أي: لو قاربوا أن يتركوا خافوا، لأنَّ الخطاب للأوصياء؛ وإنَّما يتوجه إليهم قبل الترك، لأنهم بعده أموات. ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ﴾ [المائدة: ٦]، أي: أردتم القيام. ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ﴾ [النحل: ٩٨]، أي: أردت القراءة، لتكون الاستعاذةُ قبلها. ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ [الأعراف: ٤]، أي: أردنا إهلاكَها، وإلَّا لم يصحّ العطف بالفاء.

وجعل منه بعضُهم قولَه: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ [الكهف: ١٧]، أي: مَنْ يرد الله هدايته، وهو حسن جدًّا، لئلا يتّحد الشرطُ والجزاء.

التاسع عشر: القلب؛ إما قلب إسناد، نحو: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ . . .﴾ [القصص: ٧٦]، أي: لتنوء العصبة بها. ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨]، أي: لكلِّ كتاب أجلٌ. ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾ [القصص: ١٢]، أي: حرّمناه على المراضع. ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأحقاف: ٢٠]، أي: تعرض النار عليهم، لأن المعروض عليه هو الذي له الاختيار. ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨]، أي: وإن حبّه للخير. ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ [يونس: ١٠٧]، أي: يرد بك الخيرَ. ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧]، لأن المتلقِّي حقيقةً هو آدم، كما قرئ بذلك أيضاً.

أو قلب عطف، نحو: ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ﴾ [النمل: ٢٨]، أي: فانظر، ثم تولّ، ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم: ٨]، أي: تدلّى فدنا، لأنّه بالتدلّي مالَ إلى الدنوّ.

أو قلب تشبيه، وسيأتي في نوعه.

العشرون: إقامة صيغة مقام أخرى، وتحته أنواع كثيرة:

منها: إطلاق المصدر على الفاعل، نحو: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ [الشعراء: ٧٧]، ولهذا أفرده، وعلى المفعول، نحو: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، أي: من معلومه. ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٨٨]، أي: مصنوعه. ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨]، أي: مكذوب فيه؛ لأن الكذب من صفات الأقوال لا الأجسام.

ومنها: إطلاق البشرى على المبشّر به، والهوى على المهويّ، والقول على المقول.

ومنها: إطلاق الفاعل والمفعول على المصدر، نحو: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة: ٢]، أي: تكذيب، ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ [القلم: ٦]، أي: الفتنة على أن الباء غير زائدة.

ومنها إطلاق فاعل على مفعول نحو ماء دافق أي مدفوق، ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣]، أي: لا معصوم. ﴿جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [العنكبوت: ٦٧]، أي: مأموناً فيه.

وعكسه، نحو: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ [مريم: ٦١]. أي: آتياً. ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥]، أي: ساتراً. وقيل: هو على بابه، أي: مستوراً عن العيون لا يُحِسُّ به أحدٌ.

ومنها: إطلاق (فعيل) بمعنى (مفعول)، نحو: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٥].

ومنها: إطلاق واحدٍ من المفرد والمثنى والجمع على آخر منها:

مثال إطلاق المفرد على المثنى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢]، أي: يرضوهما، فأُفرِد لتلازم الرضاءين.

وعلى الجمع، نحو: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢]، أي: الأناسي، بدليل الاستثناء منه. ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج: ١٩]، بدليل ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: ٢٢].

ومثال إطلاق المثنى على المفرد: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾ [ق: ٢٤]، أي: ألقِ.

ومنه كل فعل نسب إلى شيئين وهو لأحدهما فقط، نحو: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢]، وإنَّما يخرج من أحدهما، وهو الملح دون العَذْب، ونظيره: ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [فاطر: ١٢]، وإنما تخرج الحلية من الملح. ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦]، أي: في إحداهنَّ. ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ [الكهف: ٦١] والناسي يوشع، بدليل قوله لموسى: ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ [الكهف: ٦٣]. وإنما أضيف النسيان إليهما معاً لسكوت موسى عنه. ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، والتعجيل في اليوم الثاني. ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]. قال الفارسي: أي: من إحدى القريتين.

وليس منه ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]. وأنَّ المعنى جنة واحدة، خلافاً للفرَّاء. وفي كتاب «**ذا القدّ**»[1] لابن جنّي أنَّ منه: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ﴾ [المائدة: ١١٦]، وإنما المتَّخذ إلهاً عيسى دون مريم.

ومثال إطلاقه على الجمع: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ [الملك: ٤]، أي: كرَّاتٍ، لأن البصر لا يُحسَر إلا بها. وجعل منه بعضهم قوله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

ومثال إطلاق الجمع على المفرد: ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩]، أي: أرجِعْني. وجعل منه ابن فارس[2]: ﴿فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥]. والرسول واحد، بدليل ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ [النمل: ٣٧]. وفيه نظر؛ لأنه يحتمل أنه خاطب رئيسهم، لاسيَّما وعادة الملوك جارية ألَّا يرسلوا واحداً. وجعل منه: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [آل عمران: ٣٩]. ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾ [النحل: ٢]، أي: جبريل. ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧٢]. والقاتل واحد.

ومثال إطلاقه على المثنى: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]. ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ﴾ [ص: ٢٢].

---

(١) كتاب «القدّ» لابن جني انظر قوله فيه في «البرهان» ٣/ ٣٧٧ النوع: ٤٦.

(٢) أحمد بن فارس، من أئمة اللغة والأدب (ت: ٣٩٥هـ). «وفيات الأعيان» ١/ ٣٥.

﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ [النساء: ١١]، أي: أخوان. ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]، أي: قلباكما. ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾ إلى قوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨].

ومنها: إطلاق الماضي على المستقبل لتحقق وقوعه، نحو: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١]، أي: الساعة. بدليل: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]. ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الزمر: ٦٨]. ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ . . .﴾ الآية [المائدة: ١١٦]. ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [إبراهيم: ٢١]. ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ﴾ [الأعراف: ٤٨].

وعكسُه، لإفادة الدوام والاستمرار. فكأنه وقع واستمرَّ، نحو: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ﴾ [البقرة: ٤٤]. ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، أي: تلت. ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ﴾ [النحل: ١٠٣]، أي: علمنا. ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٦٤]، أي: علم. ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩١]، أي: قتلتم. ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]. ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [الرعد: ٤٣]، أي: قالوا.

ومن لواحق ذلك: التعبير عن المستقبل باسم الفاعل أو المفعول، لأنَّه حقيقة في الحال لا في الاستقبال، نحو: ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ﴾ [الذاريات: ٦]. ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾ [هود: ١٠٣].

ومنها: إطلاق الخبر على الطَّلب أمراً أو نهياً أو دعاءً، مبالغةً في الحثِّ عليه حتَّى كأنه وقع وأُخبِر عنه. قال الزمخشريّ: ورودُ الخبر والمراد الأمر أو النهي أبلغ من صريح الأمر أو النهي؛ كأنه سورع فيه إلى الامتثال وأُخبر عنه، نحو ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧] على قراءة الرفع. ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ . . .﴾ [البقرة: ٢٧٢] على قراءة الرفع. ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، أي: لا تنفقوا إلَّا ابتغاء وجه الله. ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩]، أي: لا يمسَسْه. ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٨٣]، أي: لا تعبدوا، بدليل: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]. ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢]، أي: اللهم اغفر لهم.

وعكسه، نحو: ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥]، أي: يمدُّ. ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢]، أي: ونحن حاملون، بدليل: ﴿إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [العنكبوت: ١٢]. والكذب إنَّما يَرِد على الخبر. ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢].

قال الكواشيّ: في الآية الأولى الأمر بمعنى الخبر أبلغ من الخبر، لتضمنه اللزوم، نحو: (إن زرتنا فلنكرمك) يريدون تأكيد إيجاب الإكرام عليهم. وقال ابن عبد السلام: لأنَّ الأمر للإيجاب، فشُبِّه الخبر به في إيجابه.

ومنها: وضع النداء موضع التعجّب، نحو: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ [يس: ٣٠]. قال الفرّاء:

معناه، فيا لها حسرة! وقال ابن خالويه[1]: هذه من أصعب مسألة في القرآن، لأنَّ الحسْرة لا تنادَى، وإنَّما ينادَى الأشخاص، لأن فائدته التنبيهُ، ولكن المعنى على التعجُّب.

ومنها: وضع جمع القلة موضع الكثرة، نحو: ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧]، وغُرَف الجنة لا تحصَى. ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال: ٤]، ورُتب الناس في علم الله أكثر من العشرة لا محالة. ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾ [الزمر: ٤٢]. ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]، ونكتة التقليل في هذه الآية التَّسهيلُ على المكلفين.

وعكسه، نحو: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

ومنها: تذكير المؤنَّث على تأويله بمذكَّر، نحو: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، أي: وعظٌ ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ [ق: ١١]، على تأويل البلدة بالمكان. ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ [الأنعام: ٧٨]، أي: الشمس، أو الطَّالع. ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]. قال الجوهريّ: ذُكِّرت على معنى الإحسان.

وقال الشريف المرتضى في قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]: إنَّ الإشارة للرحمة، وإنَّما لم يقل: (ولتلك)؛ لأن تأنيثها غير حقيقي؛ ولأنه يجوز أن يكون في تأويل (أن يرحم).

ومنها: تأنيث المذكَّر، نحو: ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا﴾ [المؤمنون: ١١]، أنَّث الفردوس وهو مذكَّر، حملاً على معنى الجنة. ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، أنّث (عشراً) حيث حذف الهاء مع إضافتها إلى (الأمثال) وواحدها مذكر، فقيل: لإضافة الأمثال إلى مؤنَّث، وهو ضمير الحسنات، فاكتسب منه التأنيث. وقيل: هو من باب مراعاة المعنى؛ لأن (الأمثال) في المعنى مؤنَّثة، لأنَّ مثل الحسنة حسنة، والتقدير: فله عشر حسنات أمثالها. وقد قدمنا في القواعد المهمَّة قاعدةً في التذكير والتأنيث.

ومنها: التَّغليب، وهو إعطاء الشيء حكم غيره. وقيل: ترجيح أحد المغلوبين على الآخر، وإطلاق لفظه عليهما، إجراءً للمختلفين مجرى المتفقين، نحو:

﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢]. ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [الأعراف: ٨٣]. والأصل (من القانتات) و(الغابرات)؛ فعُدَّت الأنثى من المذكَّر بحكم التغليب.

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥]، أتى بتاء الخطاب تغليباً لجانب (أنتم) على جانب (قوم). والقياس أن يؤتَى بياء الغيبة، لأنَّه صفة لـ (قوم). وحسَّن العدولَ عنه وقوع الموصوف خبراً عن ضمير المخاطبين.

---

(١) ابن خالويه: الحسين بن أحمد، الهمذاني، استوطن حلب. من كبار النحاة (ت: ٣٧٥هـ). «لسان الميزان» ٢/ ٢٦٧، «وفيات الأعيان» ١/ ١٥٧.

﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾ [الإسراء: ٦٣]. غلَّب في الضمير المخاطبَ وإن كان ﴿فَمَن تَبِعَكَ﴾ يقتضي الغيبة، وحسَّنه: أنه لمَّا كان الغائب تبعاً للمخاطَب في المعصية والعقوبة، جُعل تبعاً له في اللفظ أيضاً، وهو من محاسن ارتباط اللفظ بالمعنى.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النحل: ٤٩]، غلَّب غيرَ العاقل، حيث أتى بـ﴿وَمَا﴾ لكثرته، وفي آية أخرى عبَّر بـ ﴿مَن﴾، فغلَّب العاقل لشرفه.

﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨]، أُدخل شعيب في ﴿لَتَعُودُنَّ﴾ بحكم التغليب؛ إذْ لم يكن في ملَّتهم أصلاً حتى يعود فيها. وكذا قوله: ﴿إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم﴾ [الأعراف: ٨٩].

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [الحجر: ٣٠، ٣١]. عُدَّ منهم بالاستثناء تغليباً لكونه كان بينهم.

﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ [الزخرف: ٣٨]، أي: المشرق والمغرب. قال ابن الشَّجَريّ: وغلب المشرق؛ لأنه أشهر الجهتين.

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٩]، أي: الملح والعذب. والبحر خاصّ بالملح، فغُلِّب لكونه أعظمَ.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ﴾ [الأنعام: ١٣٢]، أي: من المؤمنين والكفار، والدَّرجات للعلوّ، والدركات للسُّفل، فاستعمل الدرجات في القسْمين تغليباً للأشرف.

قال في «**البرهان**»[1]: وإنَّما كان التَّغليب من باب المجاز؛ لأنَّ اللفظ لم يستعمل فيما وضع له، ألا تَرَى أنَّ «القَانِتِينَ» موضوع للذكور الموصوفين بهذا الوصف، فإطلاقه على الذكور والإناث إطلاقٌ على غير ما وُضع له، وكذا باقي الأمثلة.

ومنها: استعمال حروف الجرّ في غير معانيها الحقيقيّة، كما تقدَّم في النوع الأربعين.

ومنها: استعمال صيغة (افعل) لغير الوجوب، وصيغة (لا تفعل) لغير التحريم، وأدوات الاستفهام لغير طلب التَّصور والتصديق، وأداة التَّمني والتَّرجِّي والنداء لغيرها؛ كما سيأتي كلّ ذلك في الإنشاء.

ومنها: التَّضمين، وهو إعطاء الشيء معنى الشيء، ويكون في الحروف والأفعال والأسماء.

أمَّا الحروف: فتقدَّم في حروف الجرِّ وغيرها.

وأمَّا الأفعال: فأن يُضَمَّنَ فعلٌ معنى فعل آخر، فيكون فيه معنى الفعلين معاً؛ وذلك بأن يأتيَ الفعل متعدِّياً بحرفٍ ليس من عادته التَّعدّي به، فيحتاج إلى تأويله أو تأويل الحرف ليصحَّ التعدِّي به، والأوَّل تضمين الفعل، والثاني تضمين الحرف. واختلفوا: أيُّهما أولى؟ فقال أهل اللغة وقومٌ من النحاة: التَّوسُّع في الحرف. وقال المحقِّقون: التوسع في الفعل؛ لأنه في الأفعال أكثر.

مثاله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦]؛ فيشرب: إنما يتعدَّى بمن، فتعديته بالباء إمَّا على تضمينه معنى (يروى) و(يلتذ) أو تضمين الباء معنى (من).

---

(١) «البرهان» للزركشي ٣/ ٣٧٩ النوع: ٤٦.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]، فالرَّفث لا يتعدَّى بإلى إلَّا على تضمّن معنى الإفضاء.

﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٨]. والأصل: (في أن)، فضُمِّن معنى (أدعوك).

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٥]، عُديت بـ: عن، لتضمُّنها معنى العفو والصفح.

وأما في الأسماء؛ فأن يُضَمَّنَ اسمٌ معنى اسم؛ لإفادة معنى الاسمين معاً، نحو: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٠٥]. ضمّن ﴿حَقِيقٌ﴾ معنى (حريص) ليفيد أنه محقوق بقول الحق وحريص عليه؛ وإنما كان التضمين مجازاً، لأنَّ اللفظ لم يوضع للحقيقة والمجاز معاً، فالجمع بينهما مجاز.

فصل: في أنواع مختلفة في عدّها من المجاز، وهي ستة:

أحدها: الحذف، فالمشهور أنه من المجاز، وأنكره بعضُهم؛ لأن المجاز استعمال اللفظ في غير موضوعه، والحذفُ ليس كذلك.

وقال ابن عطيَّة: حَذف المضاف هو عينُ المجاز ومعظمه، وليس كلُّ حذفٍ مجازاً.

وقال القَرافِيّ[1]: الحذف أربعة أقسام:

قسم يتوقف عليه صحة اللفظ ومعناه من حيث الإسنادُ، نحو: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، أي: أهلها؛ إذ لا يصحُّ إسنادُ السؤالِ إليها.

وقسم يصحُّ بدونه، لكن يتوقف عليه شرعاً، كقوله: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، أي: فأفطر فعدَّةٌ.

وقسم يتوقَّف عليه عادة لا شرعاً، نحو: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ﴾ [الشعراء: ٦٣]، أي: فضربه.

وقسم يدلُّ عليه دليل غير شرعيّ ولا هو عادة، نحو: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ [طه: ٩٦]، دلَّ الدليل على أنَّه إنَّما قَبض من أثر حافر فرس الرسول.

وليس في هذه الأقسام مجاز إلَّا الأول.

وقال الزّنجانيّ في «**المعيار**»: إنَّما يكون مجازاً إذا تغيَّر حكم؛ فأما إذا لم يتغيَّر ـ كحذف خبر المبتدأ المعطوف على جملة ـ فليس مجازاً؛ إذ لم يتغيَّر حكم ما بقي من الكلام.

وقال القَزْوينيّ في «**الإيضاح**»[2]: متى تغيَّر إعراب الكلمة بحذف أو زيادة فهي مجاز، نحو: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]؛ فإن كان الحذف أو الزيادة

(١) القرافي: أحمد بن إدريس، أبو العباس، شهاب الدين، صاحب الفروق (ت: ٦٨٤هـ). «الوافي» ٦/ ٢٣٣، و«المنهل الصافي» ١/ ٢٣٢.

(٢) «الإيضاح» ص٢٤٧ آخر الاستعارة.

لا يوجب تغيّر الإعراب، نحو: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ [البقرة: ١٩]، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فلا توصف الكلمة بالمجاز.

الثاني: التأكيد؛ زعم قومٌ أنه مجاز، لأنَّه لا يفيد إلَّا ما أفاده الأوَّل، والصَّحيح أنه حقيقة.

قال الطُّرْطُوشي[١] في «**العمدة**»: ومن سمَّاه مجازاً قلنا له: إذا كان التأكيد بلفظ الأول نحو: (عجّل عجّل) ونحوه، فإن جاز أن يكون الثاني مجازاً جاز في الأوّل؛ لأنَّهما في لفظٍ واحد. وإذا بطل حَمْل الأول على المجاز بطل حملُ الثاني عليه، لأنه مثلُ الأول.

الثالث: التشبيه، زعم قوم أنَّه مجاز، والصحيح أنه حقيقة.

قال الزنجاني[٢] في «**المعيار**»: لأنه معنًى من المعاني، وله ألفاظ تدلُّ عليه وضعاً، فليس فيه نقل اللفظ عن موضوعه.

وقال الشيخ عز الدين: إن كان بحرفٍ فهو حقيقة أو بحذفه فمجاز؛ بناءً على أنَّ الحذف من باب المجاز.

الرابع: الكناية، وفيها أربعة مذاهب:

أحدها: أنها حقيقة، قال ابن عبد السلام: وهو الظَّاهر، لأنها استعملت فيما وضعت له، وأريد بها الدلالة على غيره.

الثاني: أنها مجاز.

الثالث: أنها لا حقيقة ولا مجاز، وإليه ذهب صاحب «**التلخيص**»، لمنعه في المجاز أن يُرَاد المعنى الحقيقي مع المجازي، وتجويزه ذلك فيها.

الرابع: وهو اختيار الشيخ تقي الدين السُّبكي: أنَّهَا تنقسم إلى حقيقة ومجاز، فإن استعملتَ اللفظ في معناه مراداً منه لازمُ المعنى أيضاً فهو حقيقةٌ، وإن لم يُرَد المعنى بل عُبِّر بالملزوم عن اللازم فهو مجاز، لاستعماله في غير ما وضع له. والحاصل: أن الحقيقة منها أن يُستعمل اللفظ فيما وضع له، ليفيد غير ما وضع له، والمجاز منها: أن يريد به غير مَوضوعه استعمالاً وإفادة.

الخامس: التقديم والتأخير: عدّه قومٌ من المجاز؛ لأن تقديم ما رُتْبَتُه التأخير ـ كالمفعول ـ وتأخير ما رُتبته التقديم ـ كالفاعل ـ نقلٌ لكل واحدٍ منهما عن مرتبته وحقِّه.

قال في «**البرهان**»[٣]: والصَّحيح أنه ليس منه؛ فإن المجاز نقلُ ما وضع إلى ما لم يوضع له.

السادس: الالتفات، قال الشيخ بهاء الدين السُّبْكيّ: لم أر من ذكر: هل هو حقيقة أو مجاز، قال: وهو حقيقة حيث لم يكن معه تجريد.

---

(١) الطُّرْطوشي: محمد بن الوليد، الأندلسي، شيخ المالكية (ت: ٥٢٠هـ). «سير أعلام النبلاء» ١٩/ ٤٩٠.

(٢) الزَّنْجَاني: عبد الوهاب بن إبراهيم، عالم من أئمة النحو، له مؤلفات في العروض والقوافي (ت: ٦٦٠هـ). «بغية الوعاة» ١/ ١٢٢.

(٣) الزركشي في «البرهان» ٣/ ٣٠٣ النوع: ٤٦.

فصل: فيما يوصف بأنه حقيقة ومجاز باعتبارين. هو الموضوعات الشرعيَّة؛ كالصلاة والزكاة والصوم والحج، فإنَّها حقائق بالنظر إلى الشرع، مجازات بالنظر إلى اللغة.

فصل: في الواسطة بين الحقيقة والمجاز.

قيل بها في ثلاثة أشياء:

أحدها: اللَّفظ قبل الاستعمال، وهذا القسم مفقود في القرآن، ويمكن أن يكون منه أوائل السُّوَر على القول بأنَّها للإشارة إلى الحروف التي يتركَّب منها الكلام.

ثانيها: الإعلام.

ثالثها: اللفظ المستعمل في المشاكلة، نحو: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]. ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، ذكر بعضهم أنَّه واسطة بين الحقيقة والمجاز، قال: لأنَّه لم يوضع لما استُعمل فيه، فليس حقيقة، ولا علاقة معتبرة فليس مجازاً، كذا في شرح بديعيّة ابن جابر لرفيقه.

قلت: والذي يظهر: أنها مجاز، والعلاقة المصاحَبة.

خاتمة

لهم مجاز المجاز، وهو أن يُجعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بمثابة الحقيقة بالنسبة إلى مجاز آخر، فيتجوَّز بالمجاز الأول عن الثاني لعلاقة بينهما، كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ [البقرة: ٢٣٥]، فإنَّه مجاز عن مجاز، فإن الوطء تجوّز عنه بالسرِّ؛ لكونه لا يقع غالباً إلَّا في السِّرِّ، وتجوّز به عن العقد، لأنه مسبّب عنه، فالمصحِّح للمجاز الأول الملازمة، والثاني السببيّة، والمعنى: لا تواعِدُوهُنَّ عَقْد نكاح.

وكذا قوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المائدة: ٥]. فإنَّ قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الصافات: ٣٥] مجاز عن تصديق القلب بمدلول هذا اللفظ، والعلاقة السببية؛ لأن توحيد اللسان مسبب عن توحيد الجنان، والتعبير بـ (لا إله إلا الله) عن الوحدانية من مجاز التعبير بالقول عن المقول فيه.

وجعل منه ابن السِّيد[1] قوله: ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ [الأعراف: ٢٦]، فإن المنزَّل عليهم ليس هو نفس اللباس، بل الماء المنبِت للزرع، المتَّخذ منه الغزْل المنسوج منه اللباس.

(١) ابن السيد: عبد الله بن محمد البَطَلْيَوْسِي، من علماء اللغة والأدب (ت: ٥٢١هـ). «بغية الملتمس» ٣٢٤.

النوع الثالث والخمسون

في تشبيهه واستعاراته

التشبيه: نوع من أشرف أنواع البلاغة وأعلاها.

قال المبرِّد في «**الكامل**»(١). لو قال قائل: هو أكثر كلام العرب لم يُبْعد.

وقد أفرَد تشبيهات القرآن بالتصنيف أبو القاسم بن البَنْدَار البغداديّ، في كتاب سمَّاه «**الجُمَان**»(٢).

وعرَّفه جماعة، منهم السكاكيّ: بأنه الدَّلالة على مشاركة أمرٍ لأمرٍ في معنى.

وقال ابن أبي الإصبع(٣): هو إخراج الأغمض إلى الأظهر.

وقال غيره: هو إلحاق شيء بذي وصف في وصفه.

وقال بعضهم: هو أن تُثبِت للمشبَّه حُكماً من أحكام المشبَّه به.

والغرض منه: تأنيس النفس بإخراجها من خفيّ إلى جليّ، وإدنائه البعيدَ من القريب ليفيد بياناً.

وقيل: الكشف عن المعنى المقصود مع الاختصار.

وأدواته: حروف وأسماء وأفعال.

فالحروف: الكاف، نحو: ﴿كَرَمَادٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]، وكأنَّ، نحو: ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥].

والأسماء: مثلٌ وشبه ونحوهما، ممَّا يشتقّ من المماثلة والمشابهة.

قال الطِّيبيّ(٤): ولا تستعمل «مثل» إلَّا في حال أو صفة لها شأن، وفيها غرابة، نحو: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ [آل عمران: ١١٧].

والأفعال، نحو: ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ [النور: ٣٩]، ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦].

قال في «**التلخيص**»(٥) اتِّباعاً للسكاكيّ: وربَّما يُذكر فعل ينبئ عن التشبيه، فيؤتى في التشبيه

---

(١) الكامل لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد (٢٨٥هـ) ص٩٢٢.

(٢) «الجمان في تشبيهات القرآن» تأليف ابن ناقيا البغدادي. وهو: عبد الله بن محمد، شاعر، لغوي (ت: ٤٨٥هـ). «لسان الميزان» ٣/ ٣٨٤، «إنباه الرواة» ٢/ ١٥٦.

(٣) ابن أبي الإصبع: عبد العظيم بن عبد الواحد، البغدادي، من العلماء بالأدب، شاعر (ت: ٦٥٤هـ). «النجوم الزاهرة»: ٧/ ٣٧، «وفيات الأعيان» ١/ ٢٩٤ .

(٤) الطِّيبي: الحسين بن محمد، شرف الدين، محدث، مفسر من عراق العجم (ت: ٧٤٣هـ). «الدرر الكامنة» ٢/ ١٥٦، «شذرات الذهب» ٨/ ٢٣٩.

(٥) «شرح التلخيص» للقزويني ص١٢٧.

القريب بنحو: (عَلِمْت زيداً أسداً) الدالّ على التحقيق، وفي البعيد بنحو: (حَسِبْت زيداً أسداً) الدَّال على الظَّن وعدم التحقيق.

وخالَفه جماعة، منهم الطيبيّ، فقالوا: في كون هذه الأفعال تنبئ عن التشبيه نوعُ خفاء، والأظهر: أن الفعل ينبئ عن حال التشبيه في القُرْب والبعد، وأن الأداة محذوفة مقدَّرة، لعدم استقامة المعنى بدونه.

ذكر أقسامه:

ينقسم التشبيه باعتبارات:

الأول: باعتبار طرفيه إلى أربعة أقسام، لأنهما: إمَّا حسِّيَّان أو عقليّان، أو المشبَّهُ به حسّيّ والمشبّه عقليّ، أو عكسه.

مثال الأول: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]، ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠].

ومثال الثاني: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]. كذا مثَّل به في «**البرهان**»[(١)]، وكأنه ظَنَّ أنَّ التشبيه واقع في القسوة، وهو غير ظاهر، بل هو واقع بين القلوب والحجارة، فهو من الأوَّل.

ومثال الثالث: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ [إبراهيم: ١٨].

ومثال الرابع لم يقع في القرآن، بل منعه الإمام أصلاً؛ لأن العقل مستفاد من الحسّ، فالمحسوس أصل للمعقول، وتشبيهه به يستلزم جعْلَ الأصل فرعاً والفرعِ أصلاً، وهو غير جائز. وقد اختلف في قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

الثاني: ينقسم باعتبار وجهه إلى: مفرد ومركَّب.

والمركَّب: أن يُنتزع وجه الشبه من أمورٍ مجموعٍ بعضُها إلى بعض، كقوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥]، فالتشبيه مركَّب من أحوالِ الحمار، وهو: حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمّل التَّعب في استصحابه.

وقوله: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ إلى قوله: ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤]، فإن فيه عشر جُمل، وقع التركيب من مجموعها، بحيث لو سقط منها شيء اختلَّ التشبيه؛ إذ المقصود تشبيه حال الدنيا في سرعة تقضِّيها، وانقراض نعيمها، واغترارِ الناس بها بحالِ ماءٍ نزل من السماء، وأنبت أنواع العُشب، وزيّن بزخرفها وجه الأرض، كالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة، حتى إذا طمع أهلُها فيها، وظنوا أنها مسلّمة من الجوائح، أتاها بأس الله فجأة، فكأنها لم تكن بالأمس.

---

(١) الزركشي في «البرهان» ٣/ ٤٧٢ النوع: ٤٦.

وقال بعضهم: وجه تشبيه الدنيا بالماء أمران:

أحدهما: أنَّ الماء إذا أخذتَ منه فوق حاجتك تضرَّرت، وإن أخذت قدر الحاجة انتفعتَ به، فكذلك الدنيا.

والثاني: أنَّ الماء إذا طبّقت عليه كفَّك لتحفظه لم يحصل فيه شيء، فكذلك الدنيا.

وقوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ . . .﴾ الآية [النور: ٣٥]، فشبّه نوره الَّذي يلقيه في قلب المؤمن بمصباحٍ اجتمعت فيه أسباب الإضاءة، إمَّا بوضعه في مشكاة وهي الطاقة التي لا تنفذ، وكونُها لا تنفذ لتكون أجمع للبصر، وقد جُعل فيها مصباح في داخل زجاجة تشبه الكوكب الدريّ في صفائها، ودُهن المصباح من أصفى الأدهان وأقواها وقوداً، لأنه من زيت شجرة في وسط السراج، لا شرقيَّة ولا غربيَّة، فلا تصيبها الشمس في أحد طرَفي النهار، بل تصيبها الشمس أعدلَ إصابةٍ.

وهذا مثلٌ ضربه الله للمؤمن.

ثم ضرب للكافر مثلين: أحدهما: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾ والآخر: ﴿كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ . . .﴾ إلى آخره، وهو أيضاً تشبيه تركيب.

الثالث: ينقسم باعتبار آخر إلى أقسام:

أحدها: تشبيه ما تقع عليه الحاسّة بما لا تقع، اعتماداً على معرفة النقيض والضّد، فإن إدراكهما أبلغ من إدراك الحاسَّة، كقوله: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥]، شُبِّه بما لا يُشَكُّ أنَّه منكر قبيح، لِما حصل في نفوس الناس من بشاعة صورة الشياطين، وإن لم ترها عياناً.

الثاني: عكسه، وهو تشبيه ما لا تقع عليه الحاسّة بما تقع عليه، كقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ . . .﴾ الآية [النور: ٣٩] أخرج ما لا يُحَسّ ـ وهو الإيمان ـ إلى ما يُحَسّ وهو السراب، والمعنى الجامع: بطلان التوهُّم، مع شدَّة الحاجة وعِظَم الفاقة.

الثالث: إخراج ما لم تجر العادة به إلى ما جرتْ، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ [الأعراف: ١٧١]. والجامع بينهما: الارتفاع في الصُّورة.

الرابع: إخراج ما لا يُعلم بالبديهة إلى ما يُعلم بها، كقوله: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١] والجامع العِظَم، وفائدته: التَّشويق إلى الجنَّة بحُسْن الصفة وإفراط السَّعة.

الخامس: إخراج ما لا قوّة له في الصفة إلى ما له قوّة فيها، كقوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ [الرحمن: ٢٤]. والجامع فيهما: العِظَم، والفائدة: إبانة القُدرة على تسخير الأجسام العظام في ألطف ما يكون من الماء، وما في ذلك من انتفاع الخلق بحمل الأثقال، وقطعها الأقطار البعيدة في المسافة القريبة، وما يلازم ذلك من تسخير الرياح للإنسان. فتضمّن الكلام بناءً عظيماً من الفخر وتعداد النِّعم. وعلى هذه الأوجه الخمسة تجري تشبيهات القرآن.

السادس[1]: ينقسم باعتبار آخر إلى:

مؤكَّد: وهو ما حذفت فيه الأداة، نحو: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾ [النمل: ٨٨]، أي: مثل مرّ السَّحاب. ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْۗ﴾ [الأحزاب: ٦]، ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

ومرسَل: وهو ما لم تحذف، كالآيات السابقة.

والمحذوفُ الأداةِ أبلغُ، لأنه نُزِّل فيه الثاني منزلة الأوّل تجوُّزاً.

قاعدة: الأصل دخول أداة التشبيه على المشبَّه به، وقد تدخل على المشبّه،

إمَّا لقصد المبالغة، فيقلب التشبيه، ويُجعل المشبَّه هو الأصل، نحو: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. كان الأصل أن يقولوا: إنما الربا مثل البيع، لأنَّ الكلام في الرِّبا لا في البيع، فعدَلُوا عن ذلك، وجعلوا الرِّبا أصلاً ملحقاً بهِ البيع في الجواز؛ لأنَّه الخليق بالحلِّ.

ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۚ﴾ [النحل: ١٧]، فإنَّ الظاهر العكس، لأن الخطاب لعبَدة الأوثان الذين سمَّوها آلهة، تشبيهاً بالله سبحانه وتعالى، فجعلوا غير الخالق مثل الخالق، فخولف في خطابهم؛ لأنَّهم بالغوا في عبادتهم، وغَلوا حتى صارت عندهم أصلاً في العبادة، فجاء الرَّدُّ على وَفْق ذلك.

وإما لوضوح الحال، نحو: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰۖ﴾ [آل عمران: ٣٦]، فإن الأصل: (وليس الأنثى كالذكر) وإنَّما عُدِل عن الأصل، لأنَّ المعنى (وليس الذكر الذي طَلبتُ كالأنثى التي وَهبْتَ). وقيل: لمراعاة الفواصل، لأنَّ قبله: ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦].

وقد تدخل على غيرهما اعتماداً على فهم المخاطب، نحو: ﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ . . .﴾ الآية [الصف: ١٤]. المراد: كونوا أنصار الله خالصين في الانقياد كشأن مخاطَبي عيسى إذ قالوا . . .

قاعدة: القاعدة في المدح تشبيه الأدنى بالأعلى، وفي الذَّم تشبيه الأعلى بالأدنى، لأن الذَّم مقام الأدنى، والأعلى طارئ عليه، فيقال في المدح: حصى كالياقوت، وفي الذَّم: ياقوت كالزُّجاج.

وكذا في السَّلب، ومنه: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، أي: في النزول لا في العلوّ. ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]، أي: في سوء الحال، أي: لا نجعلهم كذلك.

نعم أُورِد على ذلك: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ [النور: ٣٥]، فإنَّه شبّه فيه الأعلى بالأدنى، لا في مقام السلب. وأجيب: بأنَّه للتقريب إلى أذهان المخاطَبين؛ إذ لا أعلى من نوره فيشَبَّه به.

فائدة:

قال ابن أبي الإصبع: لم يقع في القرآن تشبيه شيئين بشيئين، ولا أكثر من ذلك، إنَّما وقع فيه تشبيه واحد بواحد.

فصل: زُوّج المجاز بالتشبيه، فتولَّد بينهما الاستعارة، فهي مجاز علاقته المشابهة. أو يقال في تعريفها: اللفظ المستعمل فيما شبّه بمعناه الأصليّ.

---

(١) هو الرابع من حيث انقسامُهُ باعتباراتٍ، وليس السادس. أفاده الدكتور البغا.

والأصح: أنَّها مجاز لغوي، لأنَّها موضوعة للمشبّه به لا للمشبَّه، ولا لأعمّ منهما؛ فـ: أسدٌ، في قولك: رأيت أسداً يرمي، موضوعٌ للسَّبُع لا للشجاع، ولا لمعنىً أعمّ منهما كالحيوان الجريء مثلاً، ليكون إطلاقه عليهما حقيقة كإطلاق الحيوان عليهما.

وقيل: مجاز عقليّ، بمعنى أن التصرُّف فيها في أمر عقليّ لا لغويّ، لأنَّها لا تطلق على المشبَّه إلَّا بعد ادِّعاء دخوله في جنس المشبَّه به. فكان استعمالها فيما وُضعت له، فيكون حقيقة لغويَّة، ليس فيها غير نقل الاسم وحده، وليس نقل الاسم المجرَّد استعارة؛ لأنَّه لا بلاغة فيه، بدليل الأعلام المنقولة، فلم يَبقَ إلَّا أن يكون مجازاً عقليًّا.

وقال بعضهم: حقيقة الاستعارة أنْ تُستعار الكلمة من شيءٍ معروف بها إلى شيء لم يُعرَف بها. وحكمة ذلك: إظهار الخفيّ، وإيضاح الظاهر الذي ليس بجليّ، أو حصول المبالغة، أو المجموع.

مثالُ إظهار الخفيّ: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الزخرف: ٤]؛ فإنَّ حقيقته: (وإنَّه في أصل الكتاب) فاستعير لفظ الأمّ للأصل؛ لأنَّ الأولاد تنشأُ من الأمّ كما تنشأُ الفروع من الأصول. وحكمة ذلك: تمثيل ما ليس بمرئيّ حتى يصير مرئيّاً، فينتقل السامع من حدِّ السَّماع إلى حدِّ العِيان، وذلك أبلغ في البيان.

ومثال إيضاح ما ليس بجليّ ليصير جليًّا: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ [الإسراء: ٢٤]. فإنَّ المراد أمْر الولد بالذُّل لوالديه رحمةً، فاستعير للذلّ أوّلاً (جانب). ثم للجانب جناحٌ، وتقدير الاستعارة القريبة: واخفض لهما جانب الذل؛ أي: اخفض جانبك ذُلًّا، وحكمة الاستعارة في هذا: جَعْلُ ما ليس بمرئيٍّ مرئيّاً، لأجل حسن البيان. ولمَّا كان المراد خفضَ جانب الولد للوالدين ـ بحيث لا يُبقِي الولدُ من الذل لهما والاستكانة ممكناً ـ احتيج في الاستعارة إلى ما هو أبلغ من الأولى؛ فاستُعير لفظ الجناح لما فيه من المعاني التي لا تحصل من خفض الجانب؛ لأنَّ مَنْ يميل جانبه إلى جهة السُّفْل أدنى مَيْلٍ صَدَقَ عليه أنه خفَض جانبه، والمراد خفضٌ يلصق الجانب بالأرض، ولا يحصُل ذلك إلَّا بذكر الجناح كالطَّائر.

ومثال المبالغة: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر: ١٢]، وحقيقته: (وفجَّرنا عيون الأرض)، ولو عبَّر بذلك لم يكن فيه من المبالغة ما في الأوَّل، المشعِر بأن الأرض كلَّها صارت عيوناً.

فرع:

أركان الاستعارة ثلاثة:

مستعار، وهو لفظ المشبَّه به.

ومستعار منه، وهو معنى اللفظ المشبَّه.

ومستعار له، وهو المعنى الجامع.

وأقسامها كثيرة باعتبارات:

فتنقسم باعتبار الأركان الثلاثة إلى **خمسة أقسام**:

أحدها: استعارة محسوسة لمحسوس بوجه محسوس، نحو: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]. فالمستعار منه هو النار، والمستعار له الشَّيب، والوجه: هو الانبساط ومشابهةُ ضوء النار لبياض الشيب، وكلّ ذلك محسوس، وهو أبلغ مما لو قيل: (اشتعل شيب الرأس)؛ لإفادة عموم الشيب لجميع الرأس.

ومثله: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: ٩٩]، أصل الموج حركة الماء، فاستعمل في حركتهم على سبيل الاستعارة، والجامع: سرعة الاضطراب وتتابعه في الكثرة.

﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٨]، استعير خروج النَّفَس شيئاً فشيئاً لخروج النُّور من المشرق عند انشقاق الفجر قليلاً قليلاً، بجامع التتابع على طريق التَّدْريج، وكلّ ذلك محسوس.

الثاني: استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقليٍّ. قال ابن أبي الإصبع: وهي ألطف من الأولى. نحو: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [يس: ٣٧]. فالمستعار منه السَّلْخُ الذي هو كَشْط الجلد عن الشاة، والمستعار له كشف الضَّوء عن مكان الليل؛ وهما حسّيان، والجامع: ما يُعقل من ترتُّب أمر على آخر، وحصوله عقب حصوله، كترتّب ظهور اللحم على الكشط. وظهور الظلمة على كشف الضوء عن مكان الليل، والترتُّب أمر عقليّ.

ومثله: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا﴾ [يونس: ٢٤]، أصل الحصيد: النَّبات، والجامع: الهلاك، وهو أمر عقليّ.

الثالث: استعارة معقول لمعقول بوجه عقلي. قال ابن أبي الإصبع: وهي ألطف الاستعارات. نحو: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢]، المستعار منه الرّقاد، أي: النوم، والمستعار له: الموت، والجامع: عدم ظهور الفعل، والكلّ عقليّ.

ومثله: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، المستعار السُّكوت، والمستعار منه الساكت، والمستعار له الغضب.

الرابع: استعارة محسوس لمعقول، بوجهٍ عقلي أيضاً، نحو:

﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ [البقرة: ٢١٤]، استعير المسُّ وهو حقيقة في الأجسام وهو محسوس؛ لمقاساة الشدَّة، والجامع: اللحوق، وهما عقليّان.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٨]، فالقذف والدمغ مستعاران، وهما محسوسان، والحقُّ والباطل مستعار لهما، وهما معقولان.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢]، استُعير الحبل المحسوس للعهد، وهو معقول.

﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] استُعير الصَّدْعُ، وهو كسر الزجاجة وهو محسوس، للتبليغ وهو معقول، والجامع: التأثير، وهو أبلغ من (بلّغ)، وإن كان بمعناه؛ لأن تأثير الصدع أبلغ من تأثير التبليغ، فقد لا يؤثر التبليغ، وهو أبلغُ من (بلّغ)، وإن كان بمعناه، لأن تأثير الصدع أبلغ من تأثير التبليغ، فقد لا يؤثر التبليغ، والصَّدع يؤثِّر جزماً.

﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ [الإسراء: ٢٤]؛ قال الراغب[1]: لمَّا كان الذُّلُّ على ضربين: ضرب يضع الإنسان وضرب يرفعه، وقصد في هذا المكان إلى ما يَرفع، استعير لفظ الجناح، فكأنَّه قيل: استعمِل الذُّل الذي يرفعك عند الله.

وكذا قوله: ﴿يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ [الأنعام: ٦٨]. ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٨٧]. ﴿أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ﴾ [التوبة: ١٠٩]. ﴿وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا﴾ [الأعراف: ٤٥]. ﴿لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ [الطلاق: ١١]. ﴿فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]. ﴿فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٥]. ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩]. كلها من استعارة المحسوس للمعقول، والجامع عقليّ.

الخامس: استعارة معقول لمحسوس، والجامع عقليّ أيضاً، نحو: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ﴾ [الحاقة: ١١] المستعار منه التكبّر وهو عقليّ، والمستعار له كثرة الماء وهو حِسِّيّ، والجامع: الاستعلاء، وهو عقليٌّ أيضاً.

ومثله: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ﴾ [الملك: ٨]، ﴿وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ﴾ [الإسراء: ١٢].

وتنقسم باعتبار اللفظ إلى:

أصليَّة: وهي ما كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس، كآية: ﴿بِحَبۡلِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. ﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [الطلاق: ١١]. ﴿فِي كُلِّ وَادٖ﴾ [الشعراء: ٢٢٥].

وتبعيّة: وهي ما كان اللفظ فيها غير اسم جنس، كالفعل والمشتقَّات، كسائر الآيات السابقة، وكالحروف، نحو: ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا﴾ [القصص: ٨]. شبَّه ترتُّب العداوة والحزن على الالتقاط بترتب غلبة الغائيّة عليه، ثم استعير في المشبَّه اللّام الموضوعةُ للمشبَّه به.

وتنقسم باعتبار آخر إلى: مرشَّحة، ومجرَّدة، ومطلقة:

فالأولى ـ وهي أبلغها ـ: أن تقترن بما يلائم المستعار منه، نحو: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ [البقرة: ١٦]؛ استعير الاشتراء للاستبدال والاختيار، ثم قُرن بما يلائمه من الربح والتجارة.

والثانية: أن تقرَن بما يلائم المستعار له، نحو: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ﴾ [النحل: ١١٢]. استعيرَ اللباس للجوع، ثم قرن بما يلائم المستعار له من الإذاقة؛ ولو أراد الترشيح لقال: «فكساها»، لكنَّ التَّجريد هنا أبلغُ، لما في لفظ الإذاقة من المبالغة في الألم باطناً.

---

(١) في «مفرداته» مادة: جنح.

والثالثة: ألّا تُقْرَنَ بواحد منهما.

وتنقسم باعتبار آخر إلى: تحقيقيّة، وتخييليّة، ومكنيّة، وتصريحيّة.

فالأولى: ما تحقَّق معناها حسّاً، نحو: ﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ . . .﴾ الآية، أو عقلاً، نحو: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، أي: بياناً واضحاً وحجّة لامعة، ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [فاتحة الكتاب: ٦]، أي: الدين الحق؛ فإن كلًّا منهما يتحقَّق عقلاً.

والثانية: أن يضمَر التشبيه في النفس، فلا يصرَّح بشيء من أركانه سوى المشبَّه. ويدلُّ على ذلك التشبيه المضمَر في النفس، بأن يثبت للمشبَّه أمر مختصٌّ بالمشبَّه به.

ويسمى ذلك التشبيه المضمَر: استعارة بالكناية، ومكنيّاً عنها؛ لأنه لم يصرَّح به، بل دلَّ عليه بذكر خواصّه.

ويقابله التصريحيّة، ويسمَّى إثباتُ ذلك الأمر المختصّ بالمشبَّه به للمشبَّه: استعارةً تخييلية، لأنّه قد استعير للمشبَّه ذلك الأمر المختصّ بالمشبَّه به، وبه يكون كمال المشبّه به وقوامُهُ في وجه الشبه؛ لتخيّل أن المشبَّه من جنس المشبَّه به.

ومن أمثلة ذلك: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧]، شبَّه العهد بالحبل وأضمر في النفس، فلم يصرِّح بشيء من أركان التشبيه سوى العهد المشبَّه، ودلَّ عليه بإثبات النقض الذي هو من خواص المشبه به وهو الحبل.

وكذا: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]؛ طَوَى ذكرَ المشبَّه به وهو النار، ودلَّ عليه بلازمه وهو الاشتعال.

﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ . . .﴾ الآية [النحل: ١١٢]، شبَّه ما يُدرَك من أثر الضَّرر والألم بما يُدرَك من طعم المرّ، فأوقع عليه الإذاقة.

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]؛ شبهها في ألّا تقبل الحق بالشيء الموثوق المختوم، ثم أثبت لها الختم.

﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧]، شبَّه ميلانَه للسقوط بانحراف الحيِّ، فأثبت له الإرادة التي هي من خواصّ العقلاء.

ومن **التصريحية** آية: ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ﴾ [البقرة: ٢١٤]. ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢].

وتنقسم باعتبار آخر إلى:

وفاقية: بأن يكون اجتماعهما في شيء ممكناً، نحو: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، أي: ضالًّا فَهَدَيْنَاهُ، استعير الإحياء من جَعل الشيء حيًّا للهداية التي بمعنى الدلالة على ما يوصِّل إلى المطلوب، والإحياء والهداية ممّا يمكن اجتماعهما في شيء.

وعناديّة: وهي ما لا يمكن اجتماعهما في شيء، كاستعارة اسم المعدوم للموجود لعدم نفعه، واجتماع الوجود والعدم في شيءٍ ممتنع.

ومن العناد التهكميَّة والتمليحيَّة، وهما ما استعمل في ضدّ أو نقيض، نحو: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]، أي: أنذرهم، استُعيرتِ البشارة وهي الإخبار بما يسرُّ، للإنذار الذي هو ضدّه، بإدخاله في جنسها على سبيل التهكُّم والاستهزاء. ونحو: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]. عَنوا الغويّ السفيه تهكّماً .﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩].

وتنقسم باعتبار آخر إلى:

تمثيلية: وهي أن يكون وجه الشبه فيها منتزَعاً من متعدِّد، نحو: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]؛ شبَّه استظهار العبد بالله ووثوقه بحمايته والنجاة من المكاره باستمساك الواقع في مَهْوَاةٍ بحبل وثيق، مدلًّى من مكان مرتفع يأمن انقطاعه[١].

تنبيه:

قد تكون الاستعارة بلفظين، نحو: ﴿قَوَارِيرَا ۝١٥ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ١٥ ـ ١٦]، يعني تلك الأواني ليست من الزجاج ولا من الفضَّة، بل في صفاء القارورة وبياض الفضة.

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: ١٣]، فالصبُّ كناية عن الدَّوام، والسوط عن الإيلام، فالمعنى: عذَّبهم عذاباً دائماً مؤلماً.

فائدة:

أنكر قومٌ الاستعارة بناء على إنكارهم المجاز. وقومٌ إطلاقَها في القرآن؛ لأنَّ فيها إيهاماً للحاجة؛ ولأنَّه لم يرد في ذلك إذنٌ من الشرع، وعليه القاضي عبد الوهاب المالكيّ.

وقال الطُّرطوشيّ: إن أطلق المسلمون الاستعارة فيه أطلقناها، وإن امتنعوا امتنعنا، ويكون هذا من قبيل: (إن الله عالم) والعلم هو العقل، ثم لا نَصِفُه به لعدم التوقيف. انتهى.

فائدة ثانية:

تقدم أن التشبيه من أعلى أنواع البلاغة وأشرفها، واتفق البلغاء على أن الاستعارة أبلغُ منه؛ لأنَّها مجاز وهو حقيقة، والمجاز أبلغ، فإذاً الاستعارة أعلى مراتب الفصاحة. وكذا الكناية أبلغ من التصريح، والاستعارة أبلغ من الكناية، كما قال في «**عروس الأفراح**»[٢]: إنَّه الظاهر؛ لأنها كالجامعة بين كناية واستعارة، ولأنها مجاز قطعاً. وفي الكناية خلاف.

وأبلغ أنواع الاستعارة **التمثيليةُ**، كما يؤخذ من «**الكشَّاف**»، ويليها المكنية، صرَّح به الطِّيبيّ؛ لاشتمالها على المجاز العقليّ.

والترشيحية أبلغ من المجرَّدة والمطلقة.

والتخييلية أبلغ من التحقيقيَّة.

والمراد بالأبلغيَّة إفادة زيادة التأكيد والمبالغة في كمال التشبيه، لا زيادة في المعنى لا توجد في غير ذلك.

---

(١) والقسم الثاني غير تمثيلية.

(٢) الشيخ بهاء الدين ٢/ ٢١٩ الكناية.

خاتمة

من المهمّ تحرير الفرق بين الاستعارة والتشبيه المحذوف الأداة، نحو: زيد أسد.

قال الزمخشريّ[١] في قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ [البقرة: ١٨]: فإن قلت: هل يُسمَّى ما في الآية استعارة؟ قلتُ: مختلفٌ فيه، والمحققون على تسميته تشبيهاً بليغاً لا استعارة؛ لأن المستعار له مذكور، وهم المنافقون، وإنما تُطْلَق الاستعارةُ حيثُ يُطْوَى ذكر المستعار له، ويُجعل الكلام خلواً عنه، صالحاً لأن يراد المنقول عنه والمنقول له، لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام، ومن ثَمَّ ترى المُفْلِقين[٢] السحرة يَتناسَوْن التشبيهَ ويضربون عنه صفحاً.

وعلَّله السَّكاكي: بأن من شرط الاستعارة إمكان حَمْل الكلام على الحقيقة في الظاهر وتناسِي التشبيه، و(زيد أسد) لا يمكن كونه حقيقةً، فلا يجوز أن يكون استعارة، وتابعه صاحب «**الإيضاح**»[٣].

قال في «**عروس الأفراح**»[٤]: وما قالاه ممنوعٌ، وليس من شرط الاستعارة صلاحية الكلام لصرفه إلى الحقيقة في الظاهر.

قال: بل لو عكس ذلك، وقيل: لا بدَّ من عدم صلاحيته لكان أقرب، لأنَّ الاستعارة مجاز لا بدَّ له من قرينة؛ فإن لم تكن قرينة امتنع صرفُه إلى الاستعارة، وصرفناه إلى حقيقته. وإنَّما نصرفه إلى الاستعارة بقرينة: إمَّا لفظيَّة أو معنوية، نحو (زيد أسد)، فالإخبارُ به عن زيد قرينةٌ صارفةٌ عن إرادة حقيقته.

قال: والذي نختاره في نحو (زيد أسد) أنه قسمان: تارة يقصَد به التشبيه، فتكون أداةُ التشبيه مقدَّرةً. وتارة يُقصَد به الاستعارة فلا تكون مقدَّرة، ويكون الأسد مستعمَلاً في حقيقته، وذِكر زيد والإخبار عنه بما لا يصلح له حقيقةً قرينةٌ صارفةٌ إلى الاستعارة، دالة عليها.

فإن قامت قرينة على حذف الأداة صرنا إليه، وإن لم تقم فنحن بين إضمار واستعارة، والاستعارة أَوْلى، فيُصار إليها.

وممن صرح بهذا الفرق عبد اللطيف البغدادي في «**قوانين البلاغة**». وكذا قال حازم[٥]: الفرق بينهما أن الاستعارة وإن كان فيها معنى التشبيه، فتقدير حرف التشبيه لا يجوز فيها، والتشبيه بغير حرف على خلاف ذلك؛ لأن تقدير حرف التشبيه واجب فيه.

---

(١) في «الكشاف» ١/ ٢٠٤، البقرة: ١٨.

(٢) قال الزمخشري في «الأساس»: شاعر مُفْلِق: يأتي بالفِلْق وهو العجبُ. مادة: فلق.

(٣) «الإيضاح في علوم البلاغة» للقزويني ص٢٤١ و٢٤٢.

(٤) «عروس الأفراح» ٢/ ١٦١ باب الاستعارة.

(٥) حازم بن محمد القَرْطاجي الأنصاري القرطبي. شيخ البلاغة والبيان، وصاحب كتاب منهاج البلغاء (ت: ٦٨٤هـ). «بغية الوعاة» ١/ ٤٩١، و«شذرات الذهب» ٥/ ٣٨٨.

النوع الرابع والخمسون

في كناياته وتعريضه

هما من أنواع البلاغة وأساليب الفصاحة، وقد تقدَّم أنَّ الكناية أبلغ من التصريح، وعرَّفها أهل البيان بأنَّها: لفظ أريد به لازم معناه.

وقال الطيبي: ترك التصريح بالشيء إلى ما يساويه في اللزوم، فينتقل منه إلى الملزوم.

وأنكر وقوعها في القرآن مَنْ أنكر المجاز فيه؛ بناء على أنها مجاز، وقد تقدَّم الخلاف في ذلك.

وللكناية أسباب:

أحدها: التنبيه على عِظَم القدرة، نحو: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [الأعراف: ١٨٩] كناية عن آدم.

ثانيها: ترك اللفظ إلى ما هو أجمل، نحو: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [ص: ٢٣]؛ فكنّى بالنعجة عن المرأة كعادة العرب في ذلك؛ لأن ترك التصريح بذكر النساء أجملُ منه؛ لهذا لم تذكر في القرآن امرأة باسمها إلَّا مريم.

قال السُّهيليّ: وإنما ذكرت مريم باسمها على خلاف عادة الفصحاء لنكتة، وهو: أن الملوك والأشراف لا يذكرون حرائرهم في ملأٍ، ولا يبتذلُون أسماءهنَّ، بل يُكنون عن الزَّوْجة بالفَرْش والعيال ونحو ذلك؛ فإذا ذكروا الإماء لم يكنوا عنهنَّ، ولم يصونوا أسماءهنَّ عن الذكر، فلمَّا قالت النصارى في مريم ما قالوا، صرَّح الله باسمها؛ ولم يكن إلَّا تأكيداً للعبوديّة التي هي صفة لها، وتأكيداً؛ لأن عيسى لا أبَ له، وإلَّا لنُسب إليه.

ثالثها: أن يكون التصريح مما يستقبح ذكره، ككناية الله عن الجماع بالملامسة والمباشرة والإفضاء والرَّفَث والدخول، و(السِّرُّ) في قوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ [البقرة: ٢٣٥]. والغشيان في قوله: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]. أخرج ابنُ أبي حاتم[1] عن ابن عباس قال: المباشرة: الجماع، ولكنَّ الله يكني.

وأخرج[2] عنه قال: إنَّ الله كريم يَكْنِي ما شاء، وإنَّ الرفث هو الجماع، وكنَّى عن طلبه بالمراودة في قوله: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [يوسف: ٢٣]، وعنه أوْ عن المعانقة باللباس في قوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وبالحرث في قوله: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وكنَّى عن البول ونحوه بالغائط في قوله: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ [المائدة: ٦]، وأصله: المكان المطمئنُّ من الأرض.

---

(١) في «تفسيره» ١/ ٣١٧ (١٦٨١)، البقرة: ١٨٧.

(٢) ابن أبي حاتم في «التفسير» ١/ ٣١٥ (١٦٧٤) البقرة: ١٨٧.

وكنَّى عن قضاء الحاجة بأكل الطعام في قوله في مريم وابنها: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥].

وكنَّى عن الأستاه بالأدبار في قوله: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٧]. أخرج ابن أبي حاتم(١) عن مجاهد في هذه الآية قال: يعني أستاهَهم، ولكن الله يكني.

وأُوردَ على ذلك التصريحُ بالفرج في قوله: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [التحريم: ١٢]، وأجيب: بأن المراد به فَرْج القميص، والتعبير به من ألطف الكنايات وأحسنها، أي: لم يَعْلَقْ ثوابُها بريبة؛ فهي طاهرة الثوب، كما يقال: نقيّ الثوب وعفيف الذيل، كناية عن العفَّة، ومنه: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤]، وكيف يُظنُّ أن نفخ جبريل وقع في فرجها، وإنَّما نفخ في جَيْبِ دِرْعِها؟

ونظيره أيضاً: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ [الممتحنة: ١٢].

قلت: وعلى هذا ففي الآية كناية عن كناية، ونظيره ما تقدَّم من مجاز المجاز.

رابعها: قصد البلاغة والمبالغة، نحو: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨]. كنَّى عن النساء بأنَّهنَّ يُنشَّأن في الترفُّه والتَّزيُّن الشاغل عن النظر في الأمور ودقيق المعاني، ولو أتى بلفظ «النساء» لم يشعر بذلك، والمراد نفي ذلك عن الملائكة.

وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]: كناية عن سَعَة جوده وكرمه جدًّا.

خامسها: قصد الاختصار، كالكناية عن ألفاظ متعدِّدة بلفظ (فعل) نحو: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩] .﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ [البقرة: ٢٤]، أي: فإن لم تأتوا بسورة من مثله.

سادسها: التنبيه على مصيره، نحو: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ [المسد: ١]، أي: جهنَّمِيّ مصيره إلى اللهب، ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ﴾ [المسد: ٤، ٥]، أي: نمَّامة، مصيرها إلى أن تكون حطباً لجهنم، في جيدها غُلّ.

قال بدر الدين بن مالك في «**المصباح**»(٢): إنَّما يُعدَل عن التصريح إلى الكناية لنكتة، كالإيضاح، أو بيان حال الموصوف، أو مقدار حاله، أو القصد إلى المدح أو الذمِّ أو الاختصار، أو السَّتر، أو الصيانة، أو التعمِيَة والإلغاز، أو التعبير عن الصعب بالسهل، أو عن المعنى القبيح باللفظ الحسن. اهـ.

واستنبط الزمخشريّ نوعاً من الكناية غريباً، وهو: أن تَعمِد إلى جملة معناها على خلاف الظاهر، فتأخذ الخلاصة، من غير اعتبار مفرداتها بالحقيقة والمجاز، فتعبِّر بها عن المقصود، كما تقول في نحو: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]: إنَّه كناية عن المُلْك؛ فإنَّ الاستواء على السرير لا يحصل

---

(١) في «تفسيره» ١٠/ ٣٢٩٩.

(٢) «المصباح في المعاني والبيان والبديع» بدر الدين بن مالك ص١٤٧، القول في الكناية. وبدر الدين هو: محمد بن محمد، أبو عبد الله، ابن ابن مالك أو ابن الناظم (الألفية) دمشقي مولداً ووفاةً (ت: ٦٨٦هـ). «شذرات الذهب» ٥/ ٣٩٨، «بغية الوعاة» ٩٦.

إلّا مع الملك، فجُعل كنايةً عنه. وكذا قوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [الزمر: ٦٧] كناية عن عظمته وجلالته، من غير ذهاب بالقبض واليمين إلى جهتين: حقيقة ومجاز.

تذنيب: من أنواع البديع التي تُشبه الكناية الإرداف؛ وهو أن يريد المتكلم معنى، ولا يعبِّر عنه بلفظه الموضوع له، ولا بدلالة الإشارة، بل بلفظ يُرادفه، كقوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [هود: ٤٤]. والأصل: وهَلَك من قضَى الله هلاكَهُ، ونجا مَنْ قضى الله نجاتَه. وعُدِل عن ذلك إلى لفظ الإرداف لما فيه من الإيجاز، والتنبيه على أن هلاك الهالك ونجاة الناجي كان بأمرِ آمرٍ مطاع، وقضاء مَنْ لا يُرَدُّ قضاؤه، والأمر يستلزم آمراً، فقضاؤه يدلُّ على قدرة الآمر به وقهره، وأن الخوف من عقابه ورجاء ثوابه يخصَّان على طاعة الآمر؛ ولا يحصل ذلك كُله من اللفظ الخاصّ.

وكذا قوله: ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾ [هود: ٤٤]. حقيقة ذلك (جلستْ)، فعُدِل عن اللفظ الخاصّ بالمعنى إلى مرادفه، لما في الاستواء من الإشعار بجلوس متمكّن لا زَيْغ فيه ولا ميل، وهذا لا يحصُل من لفظ «الجلوس».

وكذا: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ [الرحمن: ٥٦]؛ الأصل (عفيفات)، وعُدِل عنه للدلالة على أنَّهنَّ مع العفة لا تطمح أعينهنَّ إلى غير أزواجهنَّ، ولا يشتهين غيرهم. ولا يؤخذ ذلك من لفظ العفَّة.

قال بعضهم: والفرق بين الكناية والإرداف، أنَّ: الكناية انتقال من لازم إلى ملزوم، والإرداف من مذكور إلى متروك.

ومن أمثلته أيضاً: ﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى﴾ [النجم: ٣١]. عدل في الجملة الأولى عن قوله (بالسوءى) ـ مع أن فيه مطابقة للجملة الثانية ـ إلى ﴿بِمَا عَمِلُواْ﴾؛ تأدُّباً أن يُضاف السُّوءُ إلى الله تعالى.

فصل: للنَّاس في الفرق بين الكناية والتعريض عبارات متقاربة: فقال الزمخشريّ: الكناية ذكرُ الشيءِ بغير لفظه الموضوع له، والتعريض: أن تذكر شيئاً تدلُّ به على شيءٍ لم تذكره.

وقال ابن الأثير(١): **الكناية**: ما دلَّ على معنىً يجوز حمله على الحقيقة والمجاز، بوصفٍ جامع بينهما. **والتَّعريض**: اللفظ الدالّ على معنى لا من جهة الوضع الحقيقيّ أو المجازيّ، كقول من يتوقَّع صلةً: والله إنِّي محتاج؛ فإنَّه تعريض بالطلب، مع أنه لم يوضع له حقيقةً ولا مجازاً، وإنما فهِم من عُرْض اللفظ، أي: جانبِه.

وقال السُّبكيّ في كتاب «**الإغريض في الفرق بين الكناية والتعريض**»: الكناية لفظ استُعمل في معناه مراداً منه لازم المعنى، فهي بحسب استعمال اللفظ في المعنى حقيقة، والتجوُّز في إرادة إفادة ما لم يوضع له، وقد لا يراد منها المعنى، بل يعبّر بالملزوم عن اللازم، وهي حينئذ مجاز، ومن أمثلته:

---

(١) في «المثل السائر» ٢/ ١٨١ النوع: ١٩.

﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ [التوبة: ٨١]. فإنه لم يقصد إفادة ذلك لأنه معلوم، بل لإفادة لازِمِه، وهو أنهم يرِدُونها ويجدون حَرَّها إن لم يجاهدوا.

وأمَّا التعريض: فهو لفظ استُعمل في معناه للتلويح بغيره، نحو: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣]؛ نسب الفعل إلى كبير الأصنام المتَّخذة آلهة، كأنه غضب أن تعبَد الصغار معه، تلويحاً لعابدها بأنها لا تصلح أن تكون آلهةً؛ لما يعلمون إذا نظروا بعقولهم من عجز كبيرها عن ذلك الفعل، والإله لا يكون عاجزاً، فهو حقيقة أبداً.

وقال السكاكيّ: التعريض ما سيق لأجل موصوف غير مذكورٍ، ومنه: أن يخاطب واحدٌ ويراد غيرُه، وسُمِّيَ به لأنه أُمِيلَ الكلام إلى جانبٍ مشاراً به إلى آخر، يقال: نظر إليه بعُرْض وجهه، أي: جانبه.

قال الطِّيبيّ: وذلك يُفعل إمَّا لتنويه جانب الموصوف، ومنه: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، أي: محمداً ﷺ، إعلاءً لقدره، أي: إنه العلَم الذي لا يَشْتَبِهُ.

وإما لتلطُّف به واحتراز عن المخاشنة، نحو: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [يس: ٢٢]، أي: وما لكم لا تعبدون؟ بدليل قوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٢٢]، وكذا قوله: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً . . .﴾ [يس: ٢٣]، ووجه حُسْنِه إسماع مَنْ يقصد خطابه الحقّ على وجه يمنع غضبَه، ، إذ لم يصرِّح بنسبته للباطل، والإعانة على قبوله إذ لم يُرِدْ له إلّا ما أراده لنفسه.

وإمَّا لاستدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم، ومنه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]؛ خوطب النبيّ ﷺ وأُريدَ غيرُه، لاستحالة الشرك عليه شرعاً.

وإمَّا للذم، نحو: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩]. فإنَّه تعريض بذمّ الكفار، وأنهم في حكم البهائم الذين لا يتذكَّرون.

وإمَّا للإهانة والتوبيخ، نحو: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨، ٩]؛ فإن سؤالها لإهانة قاتلها وتوبيخه.

وقال السبكيّ: التعريض قسمان:

قسم يراد به معناه الحقيقي، ويشار به إلى المعنى الآخر المقصود، كما تقدَّم.

وقسم لا يُراد، بل يُضرب مثلاً للمعنى الذي هو مقصود التعريض، كقول إبراهيم: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣].

النوع الخامس والخمسون

في الحَصْر والاختصاص

أمَّا الحَصْر، ـ ويقال له: القصر ـ فهو تخصيص أمرٍ بآخرَ بطريق مخصوص.

ويقال أيضاً: إثبات الحكم للمذكور ونفيُهُ عمَّا عداه.

وينقسم إلى: قصر الموصوفِ على الصفة، وقصر الصِّفة على الموصوف. وكلٌّ منهما إمَّا حقيقي وإمَّا مجازيّ.

مثال قصر الموصوف على الصفة حقيقيًّا، نحو: (ما زيد إلَّا كاتب)، أي: لا صفة له غيرها؛ وهو عزيز لا يكاد يُوجد، لتعذُّر الإحاطة بصفات الشيء حتى يمكن إثبات شيء منها ونفيُ ما عداها بالكليّة، وعلى عدم تعذُّرها يبعد أن تكون للذات صفة واحدة ليس لها غيرها، ولذا لم يقع في التنزيل.

ومثاله مجازيًّا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

أي: إنه مقصور على الرِّسالة، لا يتعداها إلى التبرّي من الموت الذي استعظموه، الذي هو من شأن الإله.

ومثال قصر الصفة على الموصوف حقيقيًّا: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

ومثاله مجازيًّا: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً . . .﴾ الآية [الأنعام: ١٤٥]، كما قال الشافعي فيما تقدَّم نقله عنه في أسباب النزول: إنَّ الكفار لمَّا كانوا يُحلُّونَ الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهِلّ لغير الله به، وكانوا يحرّمون كثيراً من المباحات، وكانت سَجيَّتُهم تخالف وضعَ الشرع، ونزلت الآية مسبوقةً بذكر شُبَهِهم في البَحيرة والسَّائبة والوَصيلة والحامي، وكان الغرض إبانة كذبهم؛ فكأنه قال: لا حرامَ إلَّا ما أَحللتُموه. والغرض الردّ عليهم والمضادَّة، لا الحصر الحقيقيّ، وقد تقدَّم بأبسط من هذا.

وينقسم الحصر باعتبارٍ آخرَ إلى ثلاثة أقسام: **قصر إفراد، وقصر قلب، وقصر تعيين.**

فالأول: يخاطَب به من يعتقد الشِّركة، نحو: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النحل: ٥١]. خُوطب به مَن يعتقد اشتراك الله والأصنام في الألوهية.

والثاني: يخاطَب به مَنْ يعتقد إثبات الحكم لغير من أثبته المتكلم له، نحو: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، خوطب به نمروذ، الذي اعتقد أنَّه هو المحيي المميت دون الله. ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة: ١٣]، خوطب به من اعتقد من المنافقين: أن المؤمنين سفهاء دونهم. ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ [النساء: ٧٩]، خوطب به مَنْ يعتقد من اليهود اختصاص بعثته بالعرب.

والثالث: يخاطَب به مَنْ تساوى عنده الأمران، فلم يحكم بإثبات الصفة لواحد بعينه، ولا لواحد بإحدى الصفتين بعينها.

فصل: طرق الحصر كثيرة:

أحدها: النفي والاستثناء؛ سواء كان النفي بلا، أو ما، أو غيرهما. والاستثناء بإلَّا، أو غير، نحو: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الصفات: ٣٥]، ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٦٢]، ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦ﴾ [المائدة: ١١٧].

ووجه إفادتِه الحصرَ: أن الاستثناء المفرَّغ لا بدَّ أن يتوجَّه النفيُ فيه إلى مقدَّر وهو مستثنى منه؛ لأن الاستثناء إخراج، فيحتاج إلى مُخرَج منه، والمراد التقدير المعنويّ لا الصناعي. ولا بدَّ أن يكون عاماً، لأن الإخراج لا يكون إلَّا من عام. ولا بدَّ أن يكون مناسباً للمستثنى في جنسه؛ مثل: ما قام إلَّا زيد؛ أي: أحد، وما أكلت إلَّا تمراً؛ أي: مأكولاً. ولا بدَّ أن يوافقه في صفته، أي: إعرابه، وحينئذ يجب القصر إذا أُوجِبَ منه شيء بإلا ضرورة، ببقاء ما عداه على صفة الانتفاء.

وأصل استعمال هذا الطريق أن يكون المخاطَب جاهلاً بالحكم؛ وقد يخرج عن ذلك فينزَّل المعلوم منزلة المجهول لاعتبار مناسب، نحو: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤]؛ فإنَّه خطاب للصحابة، وهم لم يكونوا يجهلون رسالة النبيّ ﷺ؛ لأنَّه نُزِّلَ استعظامُهم له عن الموت منزلة مَنْ يجهل رسالته، لأن كلَّ رسول لا بدَّ من موته؛ فمن استبعد موتَه فكأنه استبعَدَ رسالتَه.

الثاني: إنَّما: الجمهور على أنَّها للحصر، فقيل: بالمنطوق، وقيل: بالمفهوم. وأنكر قوم إفادتها إيَّاه، منهم أبو حيَّان. واستَدَلَّ مُثْبِتُوه بأمورٍ:

منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾ [البقرة: ١٧٣] بالنَّصب؛ فإنَّ معناه: ما حرَّم عليكم إلا الميتة، لأنه المطابق في المعنى لقراءة الرَّفع؛ فإنَّها للقصر، فكذا قراءة النصب، والأصل استواء معنى القراءتين.

ومنها: أن (أنَّ) للإثبات و(ما) للنفي، فلا بدَّ أن يحصل القصر، للجمع بين النَّفي والإثبات. لكن تُعُقِّب بأن (ما) زائدة كافة، لا نافية.

ومنها: أنَّ (إنَّ) للتأكيد، و(ما) كذلك، فاجتمع تأكيدان، فأفادا الحصر. قاله السَّكَّاكيُّ، وتُعُقِّب: بأنه لو كان اجتماع تأكيدين يفيد الحصر لأفاده نحو: (إنَّ زيداً لقائم). وأُجيب: بأنَّ مراده: لا يجتمع حرفا تأكيدٍ متواليان إلَّا للحصر.

ومنها: قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٢٣]. ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [هود: ٣٣]. ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ [الأعراف: ١٨٧]، فإنَّه إنما تحصل مطابقة الجواب إذا كانت إنَّما للحصر، ليكون معناها: (لا آتيكم به إنما يأتي به الله، ولا أَعْلَمُهَا إنَّما يعلمها الله). وكذا قوله: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ﴾ [التوبة: ٩١-٩٣]. ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى﴾ [الأعراف: ٢٠٣]. ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ [آل عمران: ٢٠]. ولا يستقيم المعنى في هذه الآيات ونحوها إلَّا بالحصر.

وأحسن ما تُستعمل «إنما» في مواقع التعريض، نحو: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩].

الثالث: «أنَّما» بالفتح، عدَّها من طرق الحَصْر الزمخشريُّ[(١)] والبيضاويُّ، فقالا في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الأنبياء: ١٠٨]: «إنَّما» لقصر الحكم على شيءٍ، أو لقصر الشيء على حكم، نحو: «إنَّما زيدٌ قائم» و«إنما يقوم زيد». وقد اجتمع الأمران في هذه الآية، لأن ﴿إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ مع فاعله بمنزلة: إنما يقوم زيد، و﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ﴾ بمنزلة: إنما زيد قائم. وفائدة اجتماعها الدلالةُ على أن الوحي إلى الرسول ﷺ مقصورٌ على استئثار الله بالوحدانية.

وصرَّح التَّنوخيّ في «**الأقصى القريب**»[(٢)] بكونها للحصر، فقال: كل ما أوجب أن (إنَّما) بالكسر للحصر أوجب أن (أنَّما) بالفتح للحصر، لأنها فرع عنها، وما ثبت للأصل ثبت للفرع، ما لم يثبت مانع منه، والأصل عدمه.

وردَّ أبو حيان على الزمخشريّ ما زعمه بأنَّه يلزمه انحصار الوحي في الوحدانيّة. وأُجيب: بأنه حصر مجازيّ باعتبار المقام.

الرابع: العطف بلا أو بل، ذكره أهل البيان، ولم يَحْكُوا فيه خلافاً. ونازع فيه الشيخ بهاء الدين في «**عروس الأفراح**»[(٣)] فقال: أيُّ قصر في العطف بلا إنما فيه نفي وإثبات، فقولك: زيد شاعر لا كاتب، لا تعرض فيه لنفي صفة ثالثة، والقصر إنَّما يكون بنفي جميع الصفات غير المثبَت حقيقة أو مجازاً، وليس هو خاصاً بنفي الصفة التي يعتقدها المخاطب. وأما العطف ببل، فأبعد منه، لأنه لا يستمرّ فيها النفي والإثبات.

الخامس: تقديم المعمول، نحو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]. ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٨]، وخالف فيه قوم، وسيأتي بسط الكلام فيه قريباً.

السادس: ضمير الفصل، نحو: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾ [الشورى: ٩]، أي: لا غيره. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦٢]. ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣].

وممن ذكر أنَّه للحصر البيانيون في بحث المسند إليه، واستدلَّ له السُّهَيليّ بأنَّه: أُتي به في كل موضع ادُّعي فيه نسبة ذلك المعنى إلى غير الله، ولم يؤتَ به حيث لم يدّع، وذلك في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ . . .﴾ [النجم: ٤٣] إلى آخر الآيات، فلم يؤتَ به في: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ﴾ [النجم: ٤٥]. ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ﴾ [النجم: ٤٧]. ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ [النجم: ٥٠]؛ لأن ذلك لم يدّع لغير الله، وأُتِي به في الباقي لادعائه لغيره.

---

(١) في «الكشاف» ٢/ ٥٨٦، الأنبياء: ١٠٨، والكلام هنا له.

(٢) «الأقصى القريب في علم البيان» طبع في مصر عام ١٩٠٩م. «ذخائر التراث العربي» ١/ ٤١٧ والتنوخي هو: محمد بن محمد، أديب دمشقي، استقر ببغداد (ت: ٧٤٨هـ). «هدية العارفين» ٢/ ١٥٤.

(٣) «عروس الأفراح» ١/ ٣٩٧ طرق القصر.

قال في «**عروس الأفراح**»[(١)]: وقد استنبطت دلالته على الحصر من قوله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ . . .﴾ [المائدة: ١١٧]؛ لأنَّه لو لم يكن للحصر لَمَا حَسُن، لأن الله لم يزل رقيباً عليهم، وإنَّما الذي حصَل بتوفيته: أنه لم يبق لهم رقيب غيرُ الله تعالى. ومن قوله: ﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠]. فإنَّه ذكر لتبيين عدم الاستواء؛ وذلك لا يحسن إلَّا بأن يكون الضمير للاختصاص.

السابع: تقديم المسند إليه، على ما قاله الشيخ عبد القاهر[(٢)]: قد يقدّم المسند إليه ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلي. والحاصل على رأيه أن له أحوالاً:

أحدها: أن يكون المسنَد إليه معرفة والمسنَد مثبَتاً، فيأتي للتخصيص، نحو: أنا قمت، وأنا سعيت في حاجتك. فإن قُصد به قصر الإفراد أُكِّدَ بنحو: (وحدي). أو قصر القلب أُكِّد بنحو: (لا غيري). ومنه: ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [النمل: ٣٦]. فإن ما قبله من قوله: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ [النمل: ٣٦] ولفظ (بل) المشعر بالإضراب يقضي بأن المراد (بل أنتم لا غيركم). فإنَّ المقصود نفي فرحِه هو بالهديّة، لا إثبات الفرح لهم بهديتهم. قاله في «**عروس الأفراح**»[(٣)].

قال: وكذا قوله: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة: ١٠١]، أي: لا يَعلمهم إلَّا نحن.

وقد يأتي للتقوية والتأكيد دون التخصيص، قال الشيخ بهاء الدين[(٤)]: ولا يتميز ذلك إلَّا بما يقتضيه الحال وسياق الكلام.

ثانيها: أن يكون المسنَد منفيّاً، نحو: (أنت لا تكذب). فإنَّه أبلغ في نفي الكذب من (لا تكذب) ومن (لا تكذب أنت). وقد يفيد التخصيص. ومنه: ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [القصص: ٦٦].

ثالثها: أن يكون المسنَد إليه نكرة مثبتاً، نحو: (رجلٌ جاءني). فيفيد التخصيص إما بالجنس، أي: لا امرأة، أو الواحدة، أي: لا رجلان.

رابعها: أن يَلِيَ المسندَ إليه حرفُ النفي، فيفيده، نحو: (ما أنا قلت هذا)، أي: لم أقله، مع أنَّ غيري قاله. ومنه: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: ٩١]، أي: العزيز علينا رهطُك لا أنت، ولذا قال: ﴿أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [هود: ٩٢].

هذا حاصل رأي الشيخ عبد القاهر، ووافقه السكاكيّ، وزاد شروطاً وتفاصيل بَسطْناها في شرح ألفية المعاني.

الثامن: تقديم المسنَد، ذكر ابن الأثير وابن النَّفيس وغيرهما أنَّ تقديم الخبر على المبتدأ يفيد

---

(١) «عروس الأفراح» ١/ ٢٢٧ العطف على المسند إليه.

(٢) عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، أبو بكر، من أئمة اللغة، وواضع أصول البلاغة، صاحب «دلائل الإعجاز» و«أسرار البلاغة» (ت: ٤٧١هـ). «بغية الوعاة» ٣١٠، «إنباه الرواة» ٢/ ١٨٨.

(٣) «عروس الأفراح» ١/ ٢٣٦ تقديم المسند إليه.

(٤) في «عروس الأفراح» ١/ ٢٣٦.

الاختصاص. وردَّه صاحب «الفَلَك الدائر»[(١)]: بأنه لم يقل به أحد، وهو ممنوع، فقد صرَّح السكاكيّ وغيره بأنَّ: تقديم ما رُتْبتُه التأخير يفيده، ومثّلوه بنحو: (تميميٌّ أنا).

التاسع: ذِكْر المسند إليه، ذكر السكاكيّ أنه قد يُذكَر ليفيد التخصيص، وتعقّبه صاحب «**الإيضاح**»[(٢)] وصرَّح الزمخشري[(٣)]: بأنَّه أفاد الاختصاص في قوله: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ [الرعد ٢٦]. وفي قوله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]. وفي قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤]. ويُحْتَمل أنه أراد أن تقديمه أفاده، فيكون من أمثلة الطريق السابع.

العاشر: تعريف الجزءين، ذكر الإمام فخر الدين في «**نهاية الإيجاز**»[(٤)] أنَّه يفيد الحصر حقيقة أو مبالغة، نحو: (المنطلق زيد). ومنه في القرآن فيما ذكر الزَّمْلَكانيّ في «**أسرار التنزيل**»: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢]. قال: إنَّه يفيد الحصر، كما في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]، أي: الحمد لله، لا لغيره.

الحادي عشر: نحو (جاء زيد نفسُه)، نقل بعض شرَّاح «التلخيص» عن بعضهم أنه يفيد الحصر.

الثاني عشر: نحو (إنَّ زيداً لقائم)، نقله المذكور أيضاً.

الثالث عشر: نحو (قائم) في جواب (زيد إمَّا قائم أو قاعد). ذكره الطِّيبيّ في شرح «**التبيان**»[(٥)].

الرابع عشر: قلبُ بعض حروف الكلمة؛ فإنَّه يفيد الحصر على ما نقله في «**الكشَّاف**»[(٦)] في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ [الزمر: ١٧]. قال: القلب للاختصاص بالنسبة إلى لفظ «الطاغوت»، لأن وزنه على قولٍ (فَعَلوت) من الطغيان، كملَكوت ورَحَموت، قُلِبَ بتقديم اللام على العين، فوزنه (فلَعوت) ففيه مبالغات: التسمية بالمصدر، والبناء بناء مبالغة، والقلب، وهو للاختصاص، إذ لا يطلق على غير الشيطان.

تنبيه:

كاد أهل البيان يُطبِقون على أن تقديم المعمول يفيد الحصر، سواء كان مفعولاً أو ظرفاً أو مجروراً، ولهذا قيل في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. معناه: نخصّك بالعبادة والاستعانة. وفي: ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٨]. معناه: إليه لا إلى غيره. وفي: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أُخِّرت الصلة في الشهادة الأولى، وقُدّمت في الثانية، لأن الغرض في الأوَّل إثبات شهادتهم، وفي الثاني إثبات اختصاصهم بشهادة النبيّ ﷺ عليهم.

---

(١) هو ابن أبي الحديد: عبد الحميد بن هبة الله المدائني المعتزلي، من أعيان المعتزلة، له شعر جيد واطلاع واسع على التاريخ، وله شرح «نهج البلاغة» (ت: ٦٥٥هـ). «فوات الوفيات» ٢/ ٢٥٩.

(٢) هو القزويني «الإيضاح...» ص٤٧.

(٣) في «كشافه» ٢/ ٣٥٩، الرعد: ٢٦.

(٤) «نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز» فخر الدين الرازي ص١٥٩ ـ ١٦٠.

(٥) «التبيان في البيان» ص٤٣ ـ ٤٤.

(٦) «الكشاف» ٣/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣، الزمر: ١٧.

وخالف في ذلك ابنُ الحاجب، فقال في شرح «**المفصَّل**»: الاختصاص الذي يتوهَّمه كثير من الناس من تَقديم المعمول وَهْمٌ، واستدلَّ على ذلك بقوله: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]. ثم قال: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ﴾ [الزمر: ٦٦]. ورُدَّ هذا الاستدلال بأن ﴿مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ أغنى عن إفادة الحصر في الآية الأولى، ولو لم يكن فما المانع من ذكر المحصور في محل بغير صيغة الحصر، كما قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ﴾ [الحج: ٧٧]. وقال: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠]. بل قوله: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ﴾ من أقوى أدلّة الاختصاص، فإنَّ قبلها: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]. فلو لم يكن للاختصاص، وكان معناها: (اعبد الله) لَمَا حَصَل الإضراب الذي هو معنى (بل).

واعترض أبو حيّان على مدَّعي الاختصاص بنحو: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ﴾ [الزمر: ٦٤]. وأُجِيب: بأنَّه لمَّا أشرك بالله غيرَه كأنه لم يعبد الله، وكان أمرهم بالشرك كأنه أمرٌ بتخصيص غير الله بالعبادة.

وردَّ صاحب «**الفلك الدائر**» الاختصاص بقوله: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ﴾ [الأنعام: ٨٤]. وهو من أقوى ما ردّ به. وأُجيب: بأنه لا يُدّعى فيه اللزوم، بل الغلبة، وقد يخرج الشيء عن الغالب.

قال الشيخ بهاء الدين(١): وقد اجتمع الاختصاص وعدمه في آية واحدة، وهي: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠، ٤١]. فإنَّ التقديم في الأوّل قطعاً ليس للاختصاص، وفي ﴿إِيَّاهُ﴾ قطعاً للاختصاص.

وقال والده الشيخ تقي الدين في كتاب «**الاقتناص في الفرق بين الحصر والاختصاص**»: اشتهر كلام الناس في أنَّ تقديم المعمول يفيد الاختصاص، ومن الناس من ينكر ذلك ويقول: إنَّما يفيد الاهتمام. وقد قال سيبويه في «**كتابه**»: وهم يقدِّمون ما هم به أعنى. والبيانيون على إفادته الاختصاص، ويفهم كثير من الناس من الاختصاص الحصرَ، وليس كذلك، وإنَّما الاختصاص شيء والحَصرُ شيء آخر، والفضلاء لم يذكروا في ذلك لفظة (الحصر). وإنَّما عبَّروا بالاختصاص؛ والفرق بينهما: أن الحصْر نفي غير المذكور وإثبات المذكور، والاختصاص قصد الخاص من جهة خصوصه وبيان ذلك: أن الاختصاص افتعال من الخصوص، والخصوص مركَّب من شيئين: أحدهما: عام مشترك بين شيئين أو أشياء، والثاني: معنى منضمّ إليه يفصِله عن غيره، كضرب زيد، فإنَّه أخصّ من مطلق الضرب، فإذا قلت: ضربت يداً، أخبرتَ بضربٍ عامٍّ وقع منك على شخص خاصٍّ، فصار ذلك الضرب المخبَر به خاصّاً لما انضم إليه منك ومن زيد.

وهذه المعاني الثلاثة ـ أعني مطلق الضرب، وكونه واقعاً منك، وكونه واقعاً على زيد ـ قد يكون قصد المتكلم لها ثلاثتها على السَّواء. وقد يترجَّح قصدُه لبعضها على بعض، ويعرف ذلك بما ابتدأ به كلامه، فإن الابتداء بالشيء يدلُّ على الاهتمام به، وأنه هو الأرجح في غرض المتكلم.

(١) في «عروس الأفراح» ١/٣٨٣ الاختصاص في: أحوال متعلقات الفعل.

فإذا قلت: زيداً ضربتُ، عُلم أن خصوص الضرب على زيد هو المقصود. ولا شك أن كلّ مركب من خاص وعام له جهتان، فقد يقصد من جهة عمومه، وقد يقصد من جهة خصوصه، والثاني هو الاختصاص، وأنه هو الأهمّ عند المتكلم، وهو الذي قصد إفادته السامع من غير تعرّض ولا قصد لغيره بإثبات ولا نفي، ففي الحَصْر معنى زائد عليه، وهو نفي ما عدا المذكور. وإنَّما جاء هذا في ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] للعلم بأنَّ قائليه لا يعبدون غير الله؛ ولذا لم يطَّرد في بقية الآيات، فإن قوله: ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣] لو جُعل في معنى: (مَا يَبْغون إلَّا غير دين الله) وهمزة الإنكار داخلة عليه، لزم أن يكون المنكَر الحصر لا مجرَّد بغيهم غير دين الله، وليس المراد. وكذلك ﴿ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصافات: ٨٦]. المنكر إرادتهم آلهة دون الله من غير حصر. وقد قال الزمخشري[1] في: ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤]: في تقديم (الآخرة) وبناء (يوقنون) على (هُمْ) تعريضٌ بأهل الكتاب، وما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة، على خلاف حقيقته، وأن قولَهُم ليس بصادر عن إيقان، وأن اليقين ما عليه مَن آمَنَ بمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلك.

وهذا الذي قاله الزمخشريّ في غاية الحسن، وقد اعترض عليه بعضهم فقال: تقديم (الآخرة) أفاد أن إيقانهم مقصورٌ على أنه إيقان بالآخرة لا بغيرها. وهذا الاعتراض من قائله مبنيٌّ على ما فهمه من أن تقديم المعمول يفيد الحصر، وليس كذلك، ثم قال المعترض: وتقديم (هُمْ) أفاد أن هذا القصر مختصٌّ بهم، فيكون إيقان غيرهم بالآخرة إيماناً بغيرها حيث قالوا: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ [البقرة: ٨٠]. وهذا منه أيضاً استمرار على ما في ذهنه من الحصر، أي: إنَّ المسلمين لا يوقنون إلَّا بالآخرة، وأهل الكتاب يوقنون بها وبغيرها. وهذا فهمٌ عجيب ألجأه إليه فهمُه الحصر، وهو ممنوع.

وعلى تقدير تسليمه فالحصرُ على ثلاثة أقسام:

أحدها: بما وإلَّا، كقولك: (ما قام إلَّا زيد) صريح في نفي القيام عن غير زيد، ويقتضي إثباتَ القيام لزيد، قيل: بالمنطوق، وقيل: بالمفهوم، وهو الصحيح. لكنَّه أولى المفاهيم؛ لأن (إلَّا) موضوعة للاستثناء، وهو الإخراج، فدلالتها على الإخراج بالمنطوق لا بالمفهوم، ولكنَّ الإخراج من عدم القيام ليس هو عين القيام، بل قد يستلزمه، فلذلك رجَّحنا أنه بالمفهوم؛ والتبسَ على بعض الناس لذلك فقال: إنَّه بالمنطوق.

والثاني: الحصر بـ (إنَّما). وهو قريب من الأوَّل فيما نحن فيه، وإن كان جانب الإثبات فيه أظهرَ، فكأنه يفيد إثبات قيام زيد، إذا قلت: إنَّما قام زيد، بالمنطوق، ونفيه عن غيره بالمفهوم.

الثالث: الحصر الذي قد يفيده التقديم؛ وليس هو ـ على تقدير تسليمه ـ مثل الحصرين الأوَّلين، بل هو في قوَّة جملتين: إحداهما ما صُدِّر به الحكم نفياً كان أو إثباتاً وهو المنطوق، والأخرى ما فهِم من التقديم، والحصر يقتضي نفي المنطوق فقط، دون ما دلَّ عليه من المفهوم؛ لأن المفهوم لا مفهوم

(١) في «كشافه» ١/ ١٣٧ البقرة: ٤.

له. فإذا قلت: أنا لا أُكرم إلَّا إيَّاك، أفاد التَّعريض بأن غيرك يكرم غيره، ولا يلزم أنك لا تكرمه. وقد قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ [النور: ٣]. أفاد أن العفيف قد ينكح غير الزانية، وهو ساكت عن نكاحه الزانية، فقال سبحانه وتعالى بعده: ﴿وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ [النور: ٣] بياناً لما سكت عنه في الأُولى. فلو قال: (بالآخرة يوقنون) أفاد بمنطوقه إيقانهم بها، ومفهومه عند من يزعم أنهم لا يوقنون بغيرها. وليس ذلك مقصوداً بالذَّات، والمقصود بالذات قوَّة إيقانهم بالآخرة حتى صار غيرها عندهم كالمدحوض، فهو حَصْرٌ مجازيٌّ، وهو دون قولنا: (يوقنون بالآخرة لا بغيرها). فاضبِط هذا، وإيَّاك أن تجعل تقديره: (لا يوقنون إلَّا بالآخرة).

إذا عرفت هذا: فتقديم (هُمْ) أفاد أن غيرهم ليس كذلك؛ فلو جعَلْنا التقديرَ: (لا يوقنون إلَّا بالآخرة) كان المقصود المهمُّ النفيَ، فيتسلَّط المفهوم عليه، فيكون المعنى إفادة: أن غيرهم يوقن بغيرها، كما زعم المعترض، ويُطرح إفهام أنه لا يوقن بالآخرة، ولا شكّ أن هذا ليس بمراد، بل المراد إفهام أن غيرهم لا يوقن بالآخرة؛ فلذلك حافظنا على أن الغرض الأعظم إثبات الإيقان بالآخرة، ليتسلَّط المفهومُ عليه، وأن المفهوم لا يتسلَّط على الحصر؛ لأن الحصر لم يدلّ عليه بجملة واحدة مثل (ما) و(إلَّا) ومثل (إنما) وإنما دلَّ عليه بمفهومٍ مستفادٍ من منطوق، وليس أحدهما متقيّداً بالآخر؛ حتى نقول: إنَّ المفهوم أفاد نفي الإيقان المحصور، بل أفاد نفي الإيقان مطلقاً عن غيرهم. وهذا كله على تقدير تسليم الحَصْرِ، ونحن نمنع ذلك، ونقول: إنَّه اختصاص، وإنَّ بينهما فرقاً.

انتهى كلام السبكي.

النوع السادس والخمسون

في الإيجاز والإطناب

اعلم أنهما من أعظم أنواع البلاغة، حتى نقل صاحب «سرّ الفصاحة»[(١)] عن بعضهم أنه قال: البلاغة هي الإيجاز والإطناب.

قال صاحب «الكشّاف»: كما أنّه يجب على البليغ في مظانّ الإجمال أن يُجْمل ويوجز، فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل أن يُفصِّل ويُشْبع، أنشد الجاحظ[(٢)]:

يَـرْمُـونَ بـالـخُـطَـب الـطِّـوال وتـارَةً   وَحْـي الـمَـلاحـظ خـيـفـة الـرُّقَـبَـاءِ

واختلف: هل بين الإيجاز والإطناب واسطة، وهي المساواة، أوْ: لا، وهي داخلة في قسم الإيجاز؟

فالسكَّاكي وجماعةٌ على الأوَّل، لكنهم جعلوا المساواة غير محمودة ولا مذمومة، لأنَّهم فسَّروها بالمتعارَف من كلام أوساط الناس الذين ليسوا في رتبة البلاغة، وفسَّروا الإيجاز بأداء المقصود بأقلّ من عبارة المتعارف، والإطناب أداؤه بأكثر منها؛ لكون المقام خليقاً بالبَسْط.

وابن الأثير وجماعةٌ على الثاني، فقالوا: الإيجاز التعبير عن المراد بلفظ غير زائد، والإطناب بلفظ أزيد.

وقال القزويني[(٣)]: الأقربُ أن يقال: إن المنقول من طرق التعبير عن المراد تأدِية أصله: إمَّا بلفظ مساوٍ للأصل المراد، أو ناقص عنه وافٍ، أو زائد عليه لفائدة. والأوَّل المساواة، والثاني الإيجاز، والثالث الإطناب.

واحتُرز بـ «وافٍ» عن الإخلال، وبقولنا: (لفائدة) عن الحشو والتطويل، فعنده ثبوت المساواة واسطة، وأنَّها من قسم المقبول.

فإن قلت: عدم ذكرك المساواة في الترجمة لماذا؟ هل هو لرجحان نفيها أو عدم قبولها، أو لأمرٍ غير ذلك؟

قلت: لهما، ولأمر ثالث، وهو: أن المساواة لا تكاد توجد، خصوصاً في القرآن، وقد مثَّل لها في «**التلخيص**»[(٤)] بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣]، وفي «**الإيضاح**» بقوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ [الأنعام: ٦٨]، وتُعقِّب: بأنَّ في الآية الثانية حذف موصوف

---

(١) «سر الفصاحة» الخَفَّاجي ص٢٠٥.

(٢) في «البيان والتبيين» ١/ ٤٤ و١٥٥ منسوباً لأبي دؤاد بن حريز الإيادي.

(٣) في «الإيضاح» ص١٣٩.

(٤) «شرح التلخيص» للقزويني ص١٠٨، باب الاستعارة.

﴿ٱلَّذِينَ﴾. وفي الأولى إطناب بلفظ ﴿ٱلسَّيِّئُ﴾؛ لأن المكر لا يكون إلّا سيئاً، وإيجاز بالحذف إن كان الاستثناء غير مفرّغ؛ أي: بأحدٍ، وبالقصر في الاستثناء، وبكونها حاثَّة على كف الأذى عن جميع الناس، محذِّرةً عن جميع ما يؤدِّي إليه، وبأن تقديرها يضرُّ بصاحبه مضرَّة بليغة، فأخرج الكلام مخرج الاستعارة التبعيَّة الواقعة على سبيل التمثيليَّة؛ لأن ﴿يَحِيقُ﴾ بمعنى (يحيط)، فلا يستعمل إلّا في الأجسام.

تنبيه:

الإيجاز والاختصار بمعنى واحد، كما يؤخذ من «**المفتاح**» وصرَّح به الطيبيّ.

وقال بعضهم: الاختصار خاصٌّ بحذف الجمل فقط، بخلاف الإيجاز. قال الشيخ بهاء الدين[(١)]: وليس بشيء.

والإطناب: قيل: بمعنى الإسهاب، والحق أنه أخصُّ منه؛ فإن الإسهاب التطويلُ لفائدة أو لا لفائدة، كما ذكره التنوخيّ وغيره.

فصل: الإيجاز قسمان: إيجاز قصر، وإيجاز حذف.

فالأوَّل: هو الوجيز بلفظه، قال الشيخ بهاء الدين[(٢)]: الكلام القليل إن كان بعضاً من كلام أطول منه فهو إيجاز حذف، وإن كان كلاماً يعطي معنى أطوَلَ منه، فهو إيجاز قصر.

وقال بعضهم: إيجاز القصر هو تكثير المعنى بتقليل اللفظ.

وقال آخر: هو أن يكون اللفظ بالنسبة إلى المعنى أقلَّ من القدر المعهود عادة.

وسبب حُسْنِه: أنّه يدلُّ على التمكُّن في الفصاحة، ولهذا قال ﷺ: «**أُوتيت جوامعَ الكلم**».

[البخاري: ٧٠١٣، ومسلم: ١١٦٧، وأحمد: ٧٦٣٢].

وقال الطيبيّ في «**التبيان**»[(٣)]: الإيجاز الخالي من الحذف ثلاثة أقسام:

أحدها: **إيجاز القصر**، وهو أن يُقصَرَ اللفظ على معناه، كقوله: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٠، ٣١]. جمع في أحرفٍ العنوانَ والكتاب والحاجة. وقيل في وصف بليغ: كانت ألفاظه قوالبَ معناه.

قلت: وهذا رأي من يُدخل المساواة في الإيجاز.

الثاني: **إيجاز التقدير**، وهو أن يقدّر معنًى زائداً على المنطوق، ويسمَّى بالتضييق أيضاً، وبه سمَّاه بدر الدِّين بن مالك في «**المصباح**»[(٤)]، لأنَّه نقصَ من الكلام ما صار لفظه أضيق من قدر معناه، نحو: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، أي: خطاياه غُفرت، فهي له لا عليه. ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، أي: للضّالين الصائرين بعد الضلال إلى التقوى.

---

(١) في «عروس الأفراح» ٢/ ٥٧٦ و٥٧٨ الإطناب والإيجاز.

(٢) في «عروس الأفراح» ١/ ٥٨١.

(٣) «التبيان في البيان» ص١٢١.

(٤) «المصباح» ص٧٤ الإيجاز.

الثالث: الإيجاز الجامع، وهو أن يحتويَ اللفظ على معانٍ متعدِّدة، نحو: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ . . .﴾ الآية [النحل: ٩٠]؛ فإن العدل: هو الصراط المستقيم، المتوسط بين طرفَي الإفراط والتفريط، المومَى به إلى جميع الواجبات في الاعتقاد والأخلاق والعبودية. والإحسانُ: هو الإخلاص في واجبات العبودية، لتفسيره في الحديث بقوله: «**أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ**» [البخاري: ٥٠، ومسلم: ٩٩]، أي: تعبده مخلصاً في نيَّتك، وواقفاً في الخضوع، آخذاً أُهْبة الحذر... إلى ما لا يحصى. ﴿وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ هو الزِّيادة على الواجب من النوافل؛ هذا في الأوامر، وأمَّا النواهي: فبالفحشاء: الإشارة إلى القوة الشهوانية، وبالمنكر: إلى الإفراط الحاصل من آثار الغضبية أو كل محرَّم شرعاً، وبالبغي: إلى الاستعلاء الفائض عن الوهمية.

قلت: ولهذا قال ابن مسعود: ما في القرآن آية أجمع للخير والشرّ من هذه الآية؛ أخرجه في «**المستدرك**». [(٢/٣٥٦) وهو صحيح].

وروى البيهقيّ في «**شعب الإيمان**» [١٤٠] عن الحسن: أنه قرأها يوماً، ثم وقف فقال: إنَّ الله جمع لكم الخير كلَّه والشرّ كلَّه في آية واحدة، فوالله ما ترك العدل والإحسان من طاعة الله شيئاً إلَّا جمعه، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئاً إلَّا جمعه.

وروى أيضاً عن ابن شهاب في معنى حديث الشيخين: «**بُعثت بجوامع الكلم**»؛ قال: بلغني أن جوامع الكلم أنَّ الله يجمع له الأمور الكثيرة ـ التي كانت تكتب في الكتب قبله ـ في الأمر الواحد والأمرين، ونحو ذلك.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ الآية [الأعراف: ١٩٩]، فإنَّها جامعة لمكارم الأخلاق، لأنَّ في أخذ العفو: التساهلَ والتسامح في الحقوق، واللين والرِّفق في الدُّعاء إلى الدِّين، وفي الأمر بالمعروف: كفَّ الأذى وغضّ البصر، ما شاكلهما من المحرَّمات، وفي الإعراض: الصَّبرَ والحِلْم والتُّؤَدة.

ومن بديع الإيجاز قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ . . .﴾ [الإخلاص: ١] إلى آخرها، فإنَّه نهاية التنزيه، وقد تَضَمَّنَت الردَّ على نحو أربعين فرقة، كما أفرد ذلك بالتصنيف بهاء الدين بن شداد.

وقوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ [النازعات: ٣١] دلَّ بهاتين الكلمتين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتاً ومتاعاً للأنام؛ من العشب والشجر والحبّ والثمر والعصف والحطب واللباس والنار والملح؛ لأنَّ النَّار من العيدان والملحَ من الماء.

وقوله: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [الواقعة: ١٩]. جمع فيه جميع عيوب الخمر من: الصّداع، وعدم العقل، وذهاب المال، ونفاد الشراب.

وقوله: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ . . .﴾ الآية [هود: ٤٤]، أَمَرَ فيها ونهى، وأخبر ونادى، ونعت وسمَّى، وأهلك وأبقى، وأسعد وأشقى، وقصَّ من الأنباء ما لو شُرح ما اندرج في هذه الجملة ـ من بديع اللفظ والبلاغة والإيجاز والبيان ـ لجفَّت الأقلام. وقد أُفرِدَتْ بلاغة هذه الآية بالتأليف، وفي

«**العجائب**» للكرماني[1]: أجمع المعاندون على أن طوْق البشر قاصر عن الإتيان بمثل هذه الآية، بعد أن فتشوا جميع كلام العرب والعجم، فلم يجدوا مثلها في فخامة ألفاظها، وحسن نظمها، وجَوْدة معانيها في تصوير الحال مع الإيجاز من غير إخلال.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ ...﴾ الآية [النمل: ١٨]، جمع في هذه اللفظة أحدَ عشَر جنساً من الكلام: نادت، وكَنَّتْ، ونبَّهت، وسمَّت، وأمرت، وقصَّت، وحذَّرت، وخصَّت، وعمَّت، وأشارت، وعذرت. فالنداء (يا)، والكناية (أيّ)، والتنبيه (ها)، والتسمية ﴿ٱلنَّمۡلِ﴾، والأمر ﴿ٱدۡخُلُواْ﴾، والقصص ﴿مَسَٰكِنَكُمۡ﴾، والتحذير ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾، والتخصيص ﴿سُلَيۡمَٰنُ﴾، والتعميم ﴿جُنُودُهُۥ﴾، والإشارة ﴿وَهُمۡ﴾، والعذر ﴿لَا يَشۡعُرُونَ﴾؛ فأدّت خمسة حقوق: حق الله، وحق رسوله، وحقها، وحقَّ رعيّتها، وحق جنود سليمان.

وقوله: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ...﴾الآية [الأعراف: ٣١]، جمع فيها أصول الكلام: النداء، والعموم، والخصوص، والأمر، والإباحة، والنهي، والخبر.

وقال بعضهم: جمع الله الحكمة في شطر آية: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾ [الأعراف: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ ...﴾ الآية [القصص: ٧]، قال ابن العَرَبيّ[2]: هي من أعظم آيٍ في القرآن فصاحةً، إذ فيها أمران ونهيان وخبران وبشارتان.

وقوله: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]. قال ابن أبي الإصبع: المعنى: صَرِّحْ بجميع ما أُوحِيَ إليك، وبلِّغْ كل ما أُمِرْتَ ببيانه، وإن شقَّ بعض ذلك على بعض القلوب فانصدعت. والمشابهة بينهما فيما يؤثره التصريح في القلوب، فيظهر أثر ذلك على ظاهر الوجوه من التقبُّض والانبساط، ويلوح عليها من علامات الإنكار والاستبشار، كما يظهر على ظاهر الزجاجة المصدوعة، فانظر إلى جليل هذه الاستعارة، وعظم إيجازها، وما انطوت عليه من المعاني الكثيرة. وقد حُكِيَ أن بعض الأعراب لمّا سمع هذه الآية سجد وقال: سجدتُ لفصاحة هذا الكلام.

وقوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ﴾ [الزخرف: ٧١]. قال بعضهم: جمع بهاتين اللفظتين ما لو اجتمع الخلق كلهم على وصف ما فيها على التفصيل لم يخرجوا عنه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ﴾ [البقرة: ١٧٩]، فإن معناه كثير ولفظه قليل، لأن معناه: أن الإنسان إذا علم أنه متى قَتَل قُتِل كان ذلك داعياً إلى ألَّا يُقدمَ على القتل، فارتفع بالقتل ـ الذي هو القصاص ـ كثيرٌ من قتلِ الناس بعضِهم لبعض، وكان ارتفاع القتل حياةً لهم. وقد فُضِّلَت هذه الجملة على أوجز ما كان عند العرب في هذا المعنى، وهو قولهم: «القتل أنفى للقتل» بعشرين وجهاً أو أكثر، وقد أشار ابن الأثير إلى إنكار هذا التفضيل وقال: لا تشبيه بين كلام الخالق وكلام المخلوق، وإنما العلماء يقدحون أذهانهم فيما يظهر لهم من ذلك.

(١) «عجائب التفسير وغرائب التأويل» ١/٥٠٧، هود: ٤٤.

(٢) في «أحكام القرآن» ٣/ ٤٩١ سورة القصص؛ أولها.

الأول: أنَّ ما يُناظره من كلامهم، وهو قوله: «القصاص حياة»، أقلُّ حروفاً، فإنَّ حروفه عشرة، وحروف (القتل أنفى للقتل) أربعة عشر.

الثاني: أنَّ نفي القتل لا يستلزم الحياة، والآية ناصَّة على ثُبُوتها التي هي الغرض المطلوب منه.

الثالث: أن تنكير (حياة) يفيد تعظيماً، فيدلُّ على أنَّ في القصاص حياة متطاولة، كقوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [البقرة: ٩٦]. ولا كذلك المَثَلُ؛ فإن اللام فيه للجنس؛ ولذا فسَّروا الحياة فيها بالبقاء.

الرابع: أنَّ الآية فيه مطَّردة، بخلاف المثل؛ فإنه ليس كلّ قتل أنْفَى للقتل، بل قد يكون أدعى له، وهو القتل ظلماً، وإنما ينفيه قتلٌ خاصٌّ وهو القصاص، ففيه حياة أبداً.

الخامس: أن الآية خالية من تكرار لفظ (القتل) الواقع في المثَل، والخالي من التكرار أفضلُ من المشتمل عليه، وإن لم يكن مخلاًّ بالفصاحة.

السادس: أنَّ الآية مستغنيةٌ عن تقدير محذوف، بخلاف قولهم؛ فإن فيه حذف (من) التي بعد أفعل التفضيل وما بعدها. وحذف (قصاصاً) مع القتل الأوَّل، (وظلماً) مع القتل الثاني، والتقدير: القتل قصاصاً أنفى للقتل ظلماً من تركه.

السابع: أن في الآية طباقاً، لأن القصاص مشعر بضدّ الحياة، بخلاف المثَل.

الثامن: أن الآية اشتملت على فنٍّ بديع، وهو جعل أحد الضِّدَّين الذي هو الفناء والموت محلاًّ ومكاناً لضدِّه، الذي هو الحياة، واستقرار الحياة في الموت مبالغة عظيمة، وذكره في «**الكشَّاف**»(١)، وعبر عنه صاحب «**الإيضاح**»: بأنّه جعل القصاص كالمنبع للحياة والمعدِن لها بإدخال (في) عليه.

التاسع: أنَّ في المثَل تواليَ أسبابٍ كثيرة خفيفة، وهو السكون بعد الحركة، وذلك مستكرَه، فإن اللفظ المنطوق به إذا توالتْ حركاته تمكَّن اللسان من النطق به، وظهرت فصاحته. بخلاف ما إذا تَعقَّب كلَّ حركة سكونٌ، فالحركات تنقطع بالسكنات. نظيره: إذا تحرَّكت الدابة أَدْنى حركة فحُبِست، ثم تحركت فحُبِست لا تطيق إطلاقها، ولا تتمكن من حركتها على ما تختاره، فهي كالمقيّدة.

العاشر: أن المثل كالمتناقض من حيث الظاهر؛ لأن الشيء لا ينفي نفسه .

الحادي عشر: سلامة الآية من تكرير قَلْقلة القاف، الموجب للضغط والشدة، وبُعدِها عن غنة النون.

الثاني عشر: اشتمالها على حروفٍ متلائمة، لما فيها من الخروج من القاف إلى الصَّاد؛ إذ القاف من حروف الاستعلاء، والصاد من حروف الاستعلاء والإطباق، بخلاف الخروج من القاف إلى التاء التي هي حرف منخفض؛ فهو غير ملائم للقاف، وكذا الخروج من الصَّاد إلى الحاء، أحسنُ من الخروج من اللام إلى الهمزة، لبُعد مادون طرَف اللسان وأقصى الحلق.

---

(١) «الكشاف» ١/ ٣٣٣ البقرة: ١٧٩.

الثالث عشر: في النطق بالصَّاد والحاء والتاء حسن الصَّوت، ولا كذلك تكرير القاف والتاء.

الرابع عشر: سلامتها من لفظ القتل المشعِرِ بالوحشة، بخلاف لفظ (الحياة) فإن الطباع أقبلُ له من لفظ القتل.

الخامس عشر: أن لفظ القصاص مشعِر بالمساواة، فهو منبِئ عن العدل، بخلاف مطلَق القتل.

السادس عشر: الآية مبنية على الإثبات، والمثَل على النفي، والإثبات أشرفُ لأنَّه أوَّل، والنفي ثانٍ عنه.

السابع عشر: أن المثَل لا يكاد يُفهم إلَّا بعد فهم أن القصاص هو الحياة، وقوله: ﴿فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ مفهومٌ من أوَّل وَهْلة.

الثامن عشر: أن في المثل بناء (أفعل) التفضيل من فعل متعدّ، والآية سالمة منه.

التاسع عشر: أن (أفعل) في الغالب يقتضي الاشتراك، فيكون ترك القصاص نافياً للقتل، ولكن القصاص أكثر نفياً، وليس الأمر كذلك. والآية سالمة من ذلك.

العشرون: أن الآية رادعة عن القتل والجرح معاً؛ لشمول القصاص لهما، والحياة أيضاً في قصاص الأعضاء؛ لأن قطع العضو ينقص مصلحة الحياة، وقد يسري إلى النفس فيزيلها، ولا كذلك المَثَل.

في أوَّل الآية ﴿وَلَكُمْ﴾ وفيها لطيفة، وهي بيان العناية بالمؤمنين على الخصوص، وأنهم المراد حياتهم لا غيرهم، لتخصيصهم بالمعنى مع وجوده فيمن سواهم .

تنبيهات:

الأول: ذكر قدامةُ من أنواع البديع الإشارةَ، وفسَّرها: بالإتيان بكلام قليل ذي معانٍ جمَّة، وهذا هو إيجاز القصر بعينه؛ لكن فرَّق بينهما ابن أبي الإِصبع: بأن الإيجاز دلالته مطابقة، ودلالة الإشارة إما تضمُّن أو التزام، فعُلم منه أن المراد بها ما تقدَّم في مبحث المنطوق.

الثاني: ذكر القاضي أبو بكر في «**إعجاز القرآن**»: أن من الإِيجاز نوعاً يسمى: التضمين؛ وهو حصول معنى في لفظ من غير ذكر له باسم هي عبارة عنه. قال: وهو نوعان: أحدهما ما يُفهم من البنية، كقوله: معلوم، فإنَّه يوجب أنه لا بدَّ من عالم. والثاني من معنى العبارة كبسم الله الرحمن الرحيم، فإنَّه تضمَّن تعليم الاستفتاح في الأمور باسمه، على جهة التعظيم لله تعالى والتبرُّك باسمه.

الثالث: ذكر ابن الأثير وصاحب «**عروس الأفراح**»[1] وغيرهما: أن من أنواع إيجاز القصر:

باب الحَصْر، سواء كان بإلَّا أو بإنما أو غيرهما من أدواته، لأن الجملة فيها نابتْ مناب جملتين.

وباب العطف، لأن حرفه وضع للإغناء عن إعادة العامل.

(١) «عروس الأفراح» ١/ ٢٣٠.

وباب النائب عن الفاعل، لأنه دل على الفاعل بإعطائه حكمَه، وعلى المفعول بوضعه.

وباب الضمير، لأنه وضع للاستغناء به عن الظاهر اختصاراً، ولذا لا يُعدل إلى المنفصل مع إمكان المتصل.

وباب: علمتُ أنك قائم، لأنه متحمل لاسمٍ واحد سدَّ مسدَّ المفعولين من غير حذف.

ومنها: باب التنازع؛ إذا لم نقدّر على رأي الفراء.

ومنها: طرح المفعول، اقتصاراً على جعل المتعدي كاللازم، وسيأتي تحريره.

ومنها: جميع أدوات الاستفهام والشرط؛ فإن (كم مالُك)؟ يغني عن قولك: (أهو عشرون أم ثلاثون؟) وهكذا إلى ما لا يتناهى.

ومنها: الألفاظ اللازمة للعموم كأحد.

ومنها: لفظ التثنية والجمع، فإنَّه يغني عن تكرير المفرد، وأُقيم الحرف فيهما مقامه اختصاراً.

وممَّا يصلح أن يعدَّ من أنواعه: المسمَّى بالاتساع من أنواع البديع؛ وهو: أن يُؤْتَى بكلام يتسع فيه التأويل بحسب ما تَحتمله ألفاظه من المعاني، كفواتح السُّور، ذكره ابن أبي الإصبع.

القسم الثاني من قسمَي الإيجاز: إيجاز الحذف، وفيه فوائد:

ذكر أسبابه:

منها: مجرَّد الاختصار والاحتراز عن العبث لظهوره.

ومنها: التنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف، وأن الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت المهمّ، وهذه هي فائدة باب التحذير والإغراء، وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ [الشمس: ١٣]. فـ ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ تحذير بتقدير: (ذروا)، و﴿وَسُقْيَٰهَا﴾ إغراء بتقدير: (الزموا).

ومنها: التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام. قال حازم في «**منهاج البلغاء**»: إنما يحسن الحذف لقوَّة الدلالة عليه، أو يقصَد به تعديد أشياء، فيكون في تعدادها طولٌ وسآمة، فيحذَف ويكتفَى بدلالة الحال، وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها. قال: ولهذا القصد يؤثر في المواضع التي يُراد بها التعجُّب والتهويل على النفوس، ومنه قوله في وصف أهل الجنة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]. فحذف الجواب، إذْ كان وصفُ ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لا يتناهى، فجُعل الحذف دليلاً على ضِيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه، وتركت النفوس تُقدِّر ما شاءته، ولا تبلغ مع ذلك كُنْهَ ما هنالك.

وكذا قوله: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧]، أي: لرأيت أمراً فظيعاً، لا تكادُ تحيط به العبارة.

ومنها: التخفيف لكثرة دورانه في الكلام، كما في حذف حرف النداء، نحو: ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ﴾ [يوسف: ٢٩]. ونون ﴿لَمۡ يَكُ﴾ [الأنفال: ٥٣]. والجمع السالم، ومنه قراءة: ﴿وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ﴾

[الحج: ٣٥]. وياء ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ٤]. وسأل المؤرّج السدوسيُّ[١] الأخفشَ عن هذه الآية، فقال: عادة العرب أنها إذا عدلت بالشيء عن معناه، نقصت حروفه، والليل لما كانَ لا يسري، وإنما يُسْرَى فيه نقص منه حرف، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨]؛ الأصل (بغية)، فلما حوّل عن فاعل نقص منه حرف.

ومنها: كونه لا يصلح إلّا له، نحو: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣]. ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧].

ومنها: شهرته، حتى يكون ذكره وعدمه سواء، قال الزَّمخشريُّ: وهو نوع من دلالة الحال، التي لسانها أنطق من لسان المقال، وحُمِل عليه قراءة حمزة[٢]: ﴿تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامِ﴾ [النساء: ١]؛ لأن هذا مكان شهر بتكرر الجارّ؛ فقامت الشهرة مقام الذكر.

ومنها: صيانته عن ذكره تشريفاً، كقوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ . . .﴾ [الشعراء: ٢٣] الآيات، حذف فيها المبتدأ في ثلاثة مواضع: قبل ذكر الرَّبّ؛ أي: (هُوَ ربّ) و(الله رَبُّكُمْ) و(الله رَبّ المشْرِق)، لأن موسى استعظم حال فرعون وإقدامه على السؤال، فأضمر اسم الله تعظيماً وتفخيماً. ومثّله في «**عروس الأفراح**»[٣] بقوله تعالى: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، أي: ذاتك.

ومنها: صيانة اللسان عنه تحقيراً له، نحو: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ﴾ [البقرة: ١٨]، أي: هم أو المنافقون.

ومنها: قصد العموم، نحو: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، أي: على العبادة وعلى أمورنا كلها. ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥]، أي: كل واحد.

ومنها: رعاية الفاصلة، نحو: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٢]، أي: وما قلاك.

ومنها: قصد البيان بعد الإبهام، كما في فعل المشيئة، نحو: ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ﴾ [النحل: ٩]. أي: ولو شاء هدايتكم؛ فإنَّه إذا سمع السَّامع: ﴿وَلَوْ شَآءَ﴾، تعلَّقت نفسه بمُشَاءٍ انْبَهَمَ عليه، لا يدري ما هو، فلمّا ذُكر الجواب استبان بعد ذلك. وأكثر ما يقع ذلك بعد أداة شرط؛ لأنَّ مفعول المشيئة مذكور في جوابها.

وقد يكون مع غيرها استدلالاً بغير الجواب، نحو: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقد ذكر أهل البيان: أن مفعول المشيئة والإرادة لا يذكر إلّا إذا كان غريباً أو عظيماً، نحو: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨]. ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ [الأنبياء: ١٧]. وإنّما اطّرد أو كَثُر حذف

---

(١) مُؤَرِّج بن عَمْرو البصري، من أعيان أصحاب الخليل بن أحمد، عالم بالعربية والأنساب (ت: ١٩٥هـ). «إنباه الرواة» ٣/ ٣٢٧، «المزهر» ٢/ ٢٣٢.

(٢) «السبعة في القراءات» لابن مجاهد ص٢٢٦.

(٣) «عروس الأفراح» ١/ ٣٧٨.

مفعولِ المشيئة دون سائر الأفعال؛ لأنه يلزم من وجود المشيئة وجود المُشَاءِ، فالمشيئة المستلزِمة لمضمون الجواب لا يمكن أن تكون إلّا مشيئة الجواب، ولذلك كانت الإرادة مثلها في اطّراد حذف مفعولها، ذكره الزَّمْلَكاني والتنوخي في «**الأقصى القريب**» قالوا: وإذا حذف بعد (لو) فهو المذكور في جوابها أبداً، وأورد في «**عروس الأفراح**»[١]: ﴿قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ [فصلت: ١٤]؛ فإن المعنى (لو شاء ربُّنا إرسالَ الرسل لأنزل ملائكة)؛ لأنَّ المعنى معيَّن على ذلك.

فائدة:

قال الشيخ عبد القاهر: ما مِن اسمِ حذف في الحالة التي ينبغي أن يحذَف فيها إلّا وحَذْفُه أحسن من ذكره، وسمَّى ابن جِنِّي الحذفَ شجاعة العربية؛ لأنّه يشجع على الكلام.

قاعدة في حذف المفعول اختصاراً واقتصاراً

قال ابن هشام[٢]: جرت عادة النحويين أن يقولوا بحذف المفعول اختصاراً واقتصاراً، ويريدون بالاختصار الحذف لدليل، ويريدون بالاقتصار الحذف لغير دليل، ويمثِّلونه بنحو: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ [الطور: ١٩]، أي: أوْقِعوا هذين الفعلين، والتحقيق أن يقال ـ يعني ـ كما قال أهل البيان:

تارةً يتعلق الغرض بالإعلام بمجرَّد وقوع الفعل من غير تعيين مَنْ أوقعه، ومن أوقع عليه، فيُجاء بمصدره مسنداً إلى فعل كونٍ عامٍّ، فيقال: حصل حريق أو نهب.

وتارة يتعلق بالإعلام بمجرَّد إيقاع الفعل للفاعل، فيقتصر عليهما، ولا يذكر المفعول ولا يُنْوَى، إذ المنويّ كالثابت، ولا يسمَّى محذوفاً؛ لأنَّ الفعل ينزَّل لهذا القصد منزلة ما لا مفعول له.

ومنه: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [الأعراف: ٣١]. ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ [الإنسان: ٢٠]. إذ المعنى: ربِّي الذي يفعل الإحياء والإماتة. وهل يستوي من يتَّصف بالعلم ومن ينتفي عنه العلم؟ وأوقِعوا الأكل والشرب، وذرُوا الإسراف، وإذا حصلت منك رؤية.

ومنه: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ . . .﴾ الآية [القصص: ٢٣]، ألا ترى أنه عليه الصلاة والسلام رحمهما إذْ كانتا على صفة الذِّياد وقومهما على السقي، لا لكون مذُودهما غنماً وسقيهم إبلاً، وكذلك المقصود من ﴿لَا نَسْقِى﴾ السقي لا المسقيّ. ومن لم يتأمَّل قدَّر: يسقون إبلهم وتذودان غنمهما، ولا نسقي غنماً.

وتارة يقصد إسناد الفعل إلى فاعله، وتعليقُه بمفعوله فيذكَران، نحو: ﴿لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾ [آل عمران: ١٣٠]. ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٣٢]. وهذا النَّوع الذي إذا لم يذكر محذوفه قيل: محذوف.

وقد يكون في اللَّفظ ما يستدعيه، فيحصل الجزم بوجوب تقديره، نحو: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١]. ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النساء: ٩٥].

---

(١) «عروس الأفراح» ١/ ٣٧٦ أحوال متعلقات الفعل (الحذف). (٢) في «المغني» ص٧٩٧.

وقد يشتبه الحال في الحذف وعدمه، نحو: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [الإسراء: ١١٠]. قد يتوهَّم أن معناه (نادوا) فلا حذف، أو (سموا) فالحذف واقع.

ذكر شروطه:

هي ثمانية:

أحدها: وجود دليل: إما حالي، نحو: ﴿قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ [هود: ٦٩]، أي: سلَّمنا سلاماً. أو مقاليّ، نحو: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا﴾ [النحل: ٣٠]، أي: أنزل خيراً. ﴿قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٥]؛ أي: سلام عليكم، أنتم قوم منكرون.

ومن الأدلَّة: العقلُ، حيث يستحيل صحة الكلام عقلاً إلَّا بتقدير محذوف.

ثم تارة يدلُّ على أصل الحذف من غير دلالةٍ على تعيينه، بل يستفاد التعيين من دليل آخر، نحو: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣]، فإن العقل يدلُّ على أنها ليست المحرَّمة، لأنَّ التحريم لا يضاف إلى الأجرام، وإنما هو والحلّ يضافان إلى الأفعال، فعُلم بالعقل حذفُ شيء. وأما تعيُّنه ـ وهو التناول ـ فمستفاد من الشرع، وهو قوله ﷺ: «**إنَّما حرُمَ أكْلُها**» [البخاري: ١٤٩٢، ومسلم: ٨٠٦، وأحمد: ٢٣٦٩]، لأن العقل لا يدرك محل الحلّ، ولا الحُرْمة. وأما قول صاحب «**التلخيص**»[(١)]: إنَّه من باب دلالة العقل أيضاً، فتابَع فيه السكاكيّ، من غير تأملِ أنَّه مبني على أصول المعتزلة.

وتارة يدل العقل أيضاً على التعيين، نحو: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، أي: أمره؛ بمعنى عذابه، لأنَّ العقل دلَّ على استحالة مجيء الباريء، لأنه من سِمات الحادث، وعلى أن الجائيَ أمرُهُ.

﴿أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٩١]، أي: بمقتضى العقود وبمقتضى عهد الله؛ لأن العقد والعهد قولان قد دخلا في الوجود، وانقضيا فلا يُتصوُّر فيهما وفاءٌ ولا نقض، وإنما الوفاء والنقض بمقتضاهما وما ترتب عليهما من أحكامهما.

وتارة يدلُّ على التعيين العادةُ، نحو: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ [يوسف: ٣٢] دلَّ العقل على الحذف، لأنَّ يوسف لا يصح ظرفاً للوم. ثم يحتمل أن يقدَّر: (لُمْتُنَّني في حبّه) لقوله: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: ٣٠]، وفي مراوَدتِها لقوله: ﴿تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾ [يوسف: ٣٠]. والعادة دلَّت على الثاني، لأن الحبَّ المفرط لا يلام صاحبه عليه عادةً، لأنه ليس اختياريًّا، بخلاف المراودة، للقدرة على دفعها.

وتارة يدلُّ عليه التصريح به في موضع آخر، وهو أقواها، نحو: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، أي: أمره، بدليل: ﴿أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [النحل: ٣٣]. ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، أي: كعرض، بدليل التصريح به في آية الحديد. ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البينة: ٢]، أي: من عند الله، بدليل: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠١].

ومن الأدلَّة على أَصل الحذف العادة، بأن يكون العقل غير مانع من إجراء اللفظ على ظاهره من

---

(١) «شرح التلخيص» للقزويني ص١١٢.

غير حَذْف، نحو: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَٰكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، أي: مكان قتال، والمراد مكاناً صالحاً للقتال، وإنَّما كان كذلك؛ لأنَّهم كانوا أخبَر الناس بالقتال، ويتعيَّرون بأن يتفوَّهوا بأنهم لا يَعرفونه، فالعادة تمنع أن يريدوا: (لو نعلم حقيقة القتال)؛ فلذلك قدَّره مجاهد: مكان قتال. ويدل عليه: أنَّهم أشاروا على النَّبي ﷺ ألَّا يخرج من المدينة.

ومنها: الشروع في الفعل، نحو: (بسم الله) فيقدر ما جعلت التسمية مبدأً له؛ فإن كانت عند الشروع في القراءة قدّرت (أقرأُ)، أو الأكل قدّرت (آكلُ). على هذا أهل البيان قاطبةً، خلافاً لقول النُّحاة أنه يقدّر (ابتدأت) أو (ابتدائي) كائن (بسم الله). ويدل على صحَّة الأوَّل: التصريح به في قوله: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [هود: ٤١]. وفي حديث: «**باسمك ربي وضعتُ جنبي**». [البخاري: ٦٣١٣، ومسلم: ٦٨٩٢، وأحمد: ١٨٦٥٤].

ومنها: الصناعة النحويَّة، كقولهم في: ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ [القيامة: ١]، التقدير: (لأنا أقسم)، لأنَّ فعل الحال لا يقسَم عليه. وفي: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَؤُا۟﴾ [يوسف: ٨٥]، التقدير: (لا تفتأ): لأنه لو كان الجواب مثبتاً دخلت اللَّام والنُّون، كقوله: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ﴾ [الأنبياء: ٥٧].

وقد توجب الصناعة التقدير، وإن كان المعنى غير متوقِّف عليه، كقولهم في: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]: إنَّ الخبر محذوف، أي: موجود.

وقد أنكره الإمام فخر الدين وقال: هذا الكلام لا يحتاج إلى تقدير، وتقديرُ النحاة فاسدٌ، لأنَّ نفي الحقيقة مطلقة أعمّ من نفيها مقيَّدة، فإنَّها إذا انتفت مطلقة كان ذلك دليلاً على سلب الماهية مع القَيْد، وإذا انتفت مقيدة بقيد مخصوص لم يلزم نفيُها مع قيد آخر.

ورُدَّ: بأن تقديرهم: (موجود) يستلزم نفي كل إله غير الله قطعاً، فإن العدم لا كلام فيه؛ فهو في الحقيقة نفي للحقيقة مطلقة لا مقيَّدة، ثم لا بد من تقدير خبر، لاستحالة مبتدإٍ بلا خبر ظاهر أو مقدَّر، وإنَّما يقدّر النحويّ ليعطيَ القواعد حقَّها، وإن كان المعنى مفهوماً.

تنبيه:

قال ابن هشام(١): إنَّما يشترط الدليل فيما إذا كان المحذوفُ الجملةَ بأسرها أو أحد ركنَيْها، أو يفيد معنى فيها هي مبنيَّة عليه، نحو: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَؤُا۟﴾ [يوسف: ٨٥]. أمَّا الفضلة فلا يشترط لحذفها وجدانُ دليل، بل يُشترط ألَّا يكون في حذفها ضرر معنويّ أو صناعيّ.

قال(٢): ويشترط في الدليل اللفظيّ أن يكون طبق المحذوف، ورَدَّ قول الفراء في: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ﴾ [القيامة: ٣، ٤]: إنَّ التقدير: (بلى ليحسبنا قادرين)؛ لأن الحسبان المذكور بمعنى الظنّ، والمقدّر بمعنى العلم، لأن التردُّد في الإعادةِ كفر، فلا يكون مأموراً به.

---

(١) في «المغني» ص٧٨٧.

(٢) ابنُ هشام في «المغني» ص٧٩١.

قال[١]: والصَّواب فيها قول سيبويه: إن ﴿قَدِرِينَ﴾ حال، أي: بل نجمعها قادرين؛ لأنَّ فعل الجمع أقرب من فِعْل الحسبان، ولأن (بلى) لإيجاب المنفيّ، وهو فيها فعل الجمع.

الشرط الثاني: ألَّا يكون المحذوف كالجزء، ومن ثَمَّ لم يحذف الفاعل ولا نائبه ولا اسم كان وأخواتها. قال ابن هشام[٢]: وأما قول ابن عطية في: ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ﴾ [الجمعة: ٥]. إن التقدير: بئس المثلُ مثل القوم، فإن أراد تفسير الإعراب، وأن الفاعل لفظ (المثل) محذوفاً فمردود، وإن أراد تفسير المعنى، وأن في ﴿بِئْسَ﴾ ضمير المثل مستتراً فسهل.

الشرط الثالث: ألَّا يكون مؤكَّداً، لأن الحذف منافٍ للتأكيد، إذ الحذف مبنيٌّ على الاختصار، والتأكيد مبني على الطُّول. ومن ثمَّ ردَّ الفارسيّ على الزَّجَّاج في قوله في: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: ٦٣]. إن التقدير: إن هذان لهما ساحران. فقال: الحذف والتوكيد باللَّام متنافيان، وأمَّا حذف الشيء لدليل وتوكيده فلا تنافي بينهما، لأن المحذوف لدليل كالثابت[٣].

الرابع: ألَّا يؤدِّيَ حذفه إلى اختصار المختصر، ومن ثَمَّ لم يحذف اسم الفعل؛ لأنه اختصار للفعل.

الخامس: ألَّا يكون عاملاً ضعيفاً، فلا يحذف الجار، والناصب للفعل، والجازم إلَّا في مواضع قويتْ فيها الدلالة، وكثر فيها استعمالُ تلك العوامل.

السادس: ألَّا يكون المحذوف عوضاً عن شيء، ومن ثَمَّ قال ابن مالك: إن حرف النداء ليس عوضاً من(أدعو) لإجازة العرب حذفه. ولذا أيضاً لم تحذف التاء من إقامة واستقامة. وأمَّا: ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الأنبياء: ٧٣]، فلا يقاس عليه. ولا خبر كان، لأنه عوض أو كالعوض من مصدرها.

السابع: ألَّا يُؤدِّيَ حذفُه إلى تهيئة العامل القويّ، ومن ثَمَّ لم يُقَسْ على قراءة: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

فائدة[٤]:

اعتبر الأخفش في الحذف التدريج حيث أمكن، ولهذا قال في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ٤٨]: إنَّ الأصل (لا تجزي فيه)، فحذف حرف الجرِّ، فصار (تجزيه) ثم حُذِف الضمير، فصار ﴿تَجْزِى﴾. وهذه ملاطفة في الصناعة. ومذهب سيبويه أنهما حذفا معاً، قال ابن جني: وقول الأخفش أوفقُ في النَّفس، وآنسُ من أن يُحذف الحرفان معاً في وقت واحد.

---

(١) ابنُ هشام في «المغني» ص٧٩٢. (٢) في «المغني» ص٧٩٣.

(٣) وذلك في كتابه: «الإغفال» ٢/ ٤٠٩ ـ ٤١٠ المسألة ٨٥، سورة طه: ٦٣، وهو المسائلُ المصلَحةُ من كتاب «معاني القرآن وإعرابه» لأبي إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ). و«الإغفال» للفارسي (ت: ٣٧٧هـ).

(٤) انظر «المغني» ص٨٠٤.

قاعدة:

الأصل أن يقدّر الشيء في مكانه الأصليّ؛ لئلّا يخالف الأصل من وجهين: الحذف، ووضع الشيء في غير محله. فيقدّر المفسّر في نحو (زيداً رأيته) مقدّماً عليه. وجوّز البيانيون تقديره مؤخراً عنه لإفادة الاختصاص، كما قاله النحاة، وإذا منع منه مانع، نحو: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ [فصلت: ١٧]؛ إذ لا يلي (أمّا) فعل.

قاعدة:

ينبغي تقليل المقدّر مهما أمكن، لتقلّ مخالفة الأصل، ومن ثَمّ ضُعِّف قول الفارسيّ في: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾ [الطلاق: ٤]: إن التقدير: (فعدتهن ثلاثة أشهر). والأولى أن يقدّر (كذلك).

قال الشيخ عز الدِّين: ولا يقدر من المحذوفات إلّا أشدُّها موافقةً للغرض وأفصحُها؛ لأنَّ العرب لا يقدرون إلَّا ما لو لفظوا به لكان أحسنَ وأنسب لذلك الكلام، كما يفعلون ذلك في الملفوظ به، نحو: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧]. قدَّر أبو عليّ: جعل الله نُصُبَ الكعبة. وقدر غيره: حُرْمة الكعبة وهو أولى، لأن تقدير الحرمة في الهدْي والقلائد والشهر الحرام لا شكَّ في فصاحته، وتقدير النُّصب فيها بعيدٌ من الفصاحة.

قال: ومهما تردَّد المحذوف بين الحَسن والأحسن، وجب تقدير الأحسن، لأنَّ الله وصف كتابه بأنه أحسنُ الحديث؛ فليكن محذوفه أحسن المحذوفات، كما أن ملفوظه أحسن الملفوظات.

ومتى تردد بين أن يكون مجملاً أو مبيّناً فتقدير المبيّن أحسن، نحو: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾ [الأنبياء: ٧٨]. لك أن تقدّر: (في أمر الحرث). و: (في تضمين الحرث) وهو أولى لتعيّنه، والأمر مجمَل لتردُّده بين أنواع.

قاعدة:

إذا دار الأمر بين كون المحذوف فعلاً والباقي فاعلاً، وكونه مبتدأ والباقي خبراً، فالثاني أولى؛ لأن المبتدأ عين الخبر، وحينئذ فالمحذوف عين الثابت، فيكون حذفاً كَلا حذف. فأمّا الفعل فإنّه غير الفاعل، اللهم إلّا أن يعتضد الأول برواية أخرى في ذلك الموضع، أو بموضع آخر يُشبهه.

فالأول، كقراءة: (يسبَّح له فيها) [النور: ٣٦] بفتح الباء[1]، (كذلك يوحَى إليك وإلى الذين من قبلك الله) [الشورى: ٣]. بفتح الحاء، فإنَّ التقدير: (يسبِّحه رجال. (ويوحيه الله)، ولا يقدَّران مبتدأيْن حُذِفَ خبرهما، لثبوت فاعلية الاسمين في رواية مَنْ بَنَى الفعل للفاعل.

والثاني، نحو: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] فتقدير (خلقهم الله) أولى من (الله خلقهم) لمجيء: ﴿خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩].

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عَمرو وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم: بكسر الباء، وقرأ ابن عامر بفتح الباء. «السبعة في القراءات» ص٤٥٦.

قاعدة:

إذا دار الأمرُ بين كون المحذوف أولاً أو ثانياً، فكونه ثانياً أولى، ومن ثَمَّ رجح أن المحذوف في نحو: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي﴾ [الأنعام: ٨٠]، نون الوقاية لا نون الرفع. وفي: ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل: ١٤]، التَّاء الثانية لا تاء المضارعة. وفي: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢]، أنَّ المحذوف خبر الثاني لا الأوَّل. وفي نحو: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ﴾ [البقرة: ١٩٧]، أن المحذوف مضاف للثاني، أيْ: حجّ أشهر، لا الأوَّل، أي: أشهر الحج.

وقد يجب كونه من الأول، نحو: (إن الله وملائكتُه يصلون على النبي) [الأحزاب: ٥٦]. في قراءة مَنْ رفع ﴿وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ لاختصاص الخبر بالثاني، لوروده بصيغة الجمع.

وقد يجب كونه من الثاني، نحو: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٣]، أي: بريء أيضاً، لتقدُّم الخبر على الثاني.

فصل: في أنواع الحذف

الحذف على أنواع:

أحدها: ما يسمَّى بالاقتطاع، وهو حذف بعض حروف الكلمة. وأنكر ابن الأثير ورودَ هذا النوع في القرآن، ورُدّ: بأنَّ بعضهم جعل منه فواتح السُّور، على القول بأن كلّ حرف منها اسم من أسمائه كما تقدَّم.

وادعى بعضهم أن الباء في: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ [المائدة: ٦]. أوَّل كلمة بعض، ثم حذف الباقي.

ومنه قراءة بعضهم: (ونادوا يا مَالِ) [الزخرف: ٧٧]؛ بالتَّرخيم، ولمَّا سمعها بعض السلف قال: ما أغنى أهل النار عن الترخيم!. وأجاب بعضهم: بأنَّهم لشدَّة ما هم فيه عجزوا عن إتمام الكلمة.

ويدخل في هذا النوع حذف همزة (أَنا) في قوله: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ [الكهف: ٣٨]، إذ الأصل (لكن أنا) حذفت همزة (أنا) تخفيفاً، وأُدغمت النون في النون.

ومثله ما قرئ: (وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَّرْضِ) [الحج: ٦٥]. (بمَا أُنزلّيك) [البقرة: ٤]. (فَمَنْ تَعَجَّل فِي يَوْمَيْنِ فَلَثْم عليه) [البقرة: ٢٠٣]. (إنَّها لحدَى الكُبَر) [المدثر: ٣٥].

النوع الثاني: ما يسمَّى بالاكتفاء، وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط، فيكتفى بأحدهما عن الآخر لنكتة.

ويختصُّ غالباً بالارتباط العطفي، كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، أي: والبردَ، وخُصِّص الحرُّ بالذكر؛ لأنَّ الخطاب للعرب، وبلادهم حارة والوقاية عندهم من الحرّ أهم؛ لأنه أشدُّ عندهم من الرد. وقيل: لأن البرد تقدم ذكر الامتنان بوقايته صريحاً في قوله: ﴿وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ﴾ [النحل: ٨٠]، وفي قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا﴾ [النحل: ٨١]، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ﴾ [النحل: ٥].

ومن أمثلة هذا النوع: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، أي: والشرُّ، وإنَّما خصَّ الخير بالذكر؛ لأنه مطلوب العباد ومرغوبهم، أو لأنه أكثر وجوداً في العالم، أو لأن إضافة الشرِّ إلى الله ليس من باب الآداب، كما قال ﷺ: «والشرّ ليس إليك» [مسلم: ١٨١٢].

ومنها: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ١٣]، أي: وما تحرَّك، وخصَّ السكُون بالذكر؛ لأنَّه أغلب الحالين على المخلوق من الحيوان والجماد، ولأنَّ كل متحرِّك يصير إلى السكون.

ومنها: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]، أي: والشهادة، لأن الإيمان بكلٍّ منهما واجب، وآثر الغيبَ؛ لأنه أمدح، ولأنه يستلزم الإيمان بالشهادة، من غير عكس.

ومنها: ﴿وَرَبُّ ٱلْمَشَـٰرِقِ﴾ [الصافات: ٥]، أي: والمغارب.

ومنها: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، أي: وللكافرين. قاله ابن الأنباريّ، ويؤيده قوله: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ومنها: ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ [النساء: ١٧٦]، أي: ولا والد، بدليل أنَّه أوجب للأخت النِّصفَ، وإنما يكون ذلك مع فَقْدِ الأب، لأنه يسقطها.

النوع الثالث: ما يسمى بالاحتباك؛ وهو من ألطف الأنواع وأبدعها، وقلَّ مَنْ تنبه له أو نبّه عليه من أهل فَنِّ البلاغة، ولم أره إلا في شرح بديعية الأعمى[(١)] لرفيقه الأندلسيّ. وذكره الزركشي في «**البرهان**»[(٢)]؛ ولم يسمِّه هذا الاسم، بل سمَّاه الحذف المقابليّ.

وأفرده بالتصنيف من أئمة العصر العلامة برهان الدين البِقَاعِيّ[(٣)]، قال الأندلسيّ في شرح **البديعيَّة**: من أنواع البديع: الاحتباك، وهو نوع عزيز، وهو أن يحذف من الأوَّل ما أثبت نظيرُه في الثاني، ومن الثاني ما أُثبت نظيره في الأوَّل، كقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ . . .﴾ الآية [البقرة: ١٧١]، التقدير: ومثل الأنبياء والكفار كمثل الذي ينعِق والذي ينعَق به، فحذف من الأول الأنبياء لدلالة ﴿ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾ عليه، ومن الثاني الذي يُنعَق به، لدلالة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ عليه.

وقوله: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾ [النمل: ١٢] التقدير: تدخل غير بيضاء، وأخرجْها تخرج بيضاء، فحذف من الأول (غير بيضاء) ومن الثاني (وأخرجها).

وقال الزركشيّ[(٤)]: هو أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه، كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ [هود: ٣٥] التقدير: (إن افتريتُه فعليّ إجرامي وأنتم برآء منه، وعليكم إجرامكم وأنا بريء ممَّا تجرمُون).

---

(١) الأعمى: محمد بن أحمد بن جابر الأندلسي المالكي، عالم بالعربية، شاعر، أعمى (ت: ٧٨٠هـ). «نفح الطيب» ٢/ ٦٦٨، «الدرر الكامنة» ٣/ ٣٣٩.

(٢) «البرهان» ٣/ ٢٠٠ النوع: ٤٦.

(٣) البقاعي: إبراهيم بن عمر أبو الحسن، برهان الدين، سكن دمشق، مؤرخ، أديب، صاحب «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» (ت: ٨٨٥هـ). «الضوء اللامع» ١/ ١٠١، «شذرات الذهب» ٧/ ٣٣٩.

(٤) في «البرهان» ٣/ ٢٠٠.

وقوله: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٤]، التقدير: (ويعذّب المنافقين إن شاء فلا يتوب عليهم، أو يتوب عليهم فلا يعذبهم).

وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، أي: حتى يطهرن من الدم ويتطهَّرن بالماء، فإذا طهرن وتطهرن فأتوهنَّ.

وقوله: ﴿خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢]، أي: عملاً صالحاً بسيِّئ، وآخر سيئاً بصالح.

قلت: ومن لطيفه قولُه: ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ [آل عمران: ١٣]، أي: فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله، وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت.

وفي «**الغرائب**»(١) للكرمانيّ: في الآية الأولى التقدير: (مثل الذين كفروا معك يا محمد كمثل الناعق مع الغنم) فحُذِف من كل طرف ما يدلُّ عليه الطرف الآخر، وله في القرآن نظائر، وهو أبلغ ما يكون من الكلام. انتهى.

ومأْخَذُ هذه التسمية من الحبْك الذي معناه: الشدّ والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب، فَحَبْكُ الثوب سدُّ ما بين خيوطه من الفُرَج وشدُّه وإحكامه؛ بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرَّونق.

وبيان أخذه منه: من أن مواضع الحذف من الكلام شبّهت بالفُرَج بين الخيوط، فلمَّا أدركها الناقد البصير بصَوْغه الماهر في نظمه وحوكه، فوضع المحذوف مواضعه. كان حابكاً له مانعاً من خلل يطرقه، فسدَّ بتقديره ما يحصل به الخلل، مع ما أكسبه من الحُسْن والرونق.

النوع الرابع: ما يسمَّى بالاختزال؛ هو ما ليس واحداً مما سبق، وهو أقسام، لأن المحذوف إما كلمةٌ ـ اسم، أو فعل، أو حرف ـ أو أكثر.

أمثلة حذف الاسم:

حذف المضاف، هو كثير في القرآن جدًّا، حتى قال ابن جنّي: في القرآن منه زُهاء ألف موضع. وقد سردها الشيخ عز الدين في كتابه «**المجاز**» على ترتيب السور والآيات.

ومنه: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ﴾ [البقرة: ١٩٧]، أي: حجّ أشهر، أو: أشهر الحجِّ. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، أي: ذا البرّ، أو: برّ مَن. ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]، أي: نكاح أمَّهاتكم. ﴿لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ [الإسراء: ٧٥]، أي: ضعف عذاب. ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، أي: وفي تحرير الرقاب.

حذف المضاف إليه، يكثر في ياء المتكلم، نحو: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى﴾ [الأعراف: ١٥١]. وفي الغايات، نحو: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤]، أي: من قبل الغَلب ومن بعدِه.

وفي كل، وأيّ، وبعض. وجاء في غيرهنَّ، كقراءة: (فلا خوفُ عليهم) [البقرة: ٣٨]. بضمٍّ بلا تنوين؛ أي: فلا خوف شيءٍ عليهم.

---

(١) «غرائب التفسير...» ١/ ١٩١، البقرة: ١٧١.

حذف المبتدأ، يكثر في جواب الاستفهام، نحو: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝ نَارٌ﴾ [القارعة: ١٠، ١١]، أي: هي نار. وبعد فاء الجواب: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ﴾، أي: فعمله لنفسه ﴿وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ﴾ [الجاثية: ١٥]، أي: فإساءته عليها. وبعد القول، نحو: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الفرقان: ٥]. ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ﴾ [يوسف: ٤٤].

وبعد ما الخبرُ صفة له في المعنى، نحو: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢]. ونحو: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ﴾ [البقرة: ١٨].

ووقع في غير ذلك، نحو: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾ [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧]. ﴿لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، أي: هذا. ﴿سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا﴾ [النور: ١]. أي: هذه.

ووجب في النعت المقطوع إلى الرفع حذف الخبر، نحو: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ﴾ [الرعد: ٣٥]، أي: دائم.

ويحتمل الأمرين: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ﴾ [يوسف: ١٨]، أي: أجملُ، أو: فأمري صَبْرٌ ..﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾ [النساء: ٩٢]، أي: عليه، أو: فالواجب..

حذف الموصوف: ﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ [الصافات: ٤٨]، أي: حور قاصرات. ﴿أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ﴾ [سبأ: ١١]، أي: دروعاً سابغات. ﴿أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [النور: ٣١]، أي: القوم المؤمنون.

حذف الصفة، نحو: ﴿يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ [الكهف: ٧٩]، أي: صالحة، بدليل أنه قرئ كذلك، وأن تعييبها لا يخرجها عن كونها سفينةً .﴿ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ [البقرة: ٧١]، أي: الواضحِ، وإلَّا لكفروا بمفهوم ذلك. ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾ [الكهف: ١٠٥]، أي: نافعاً.

حذف المعطوف عليه: ﴿أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ﴾ [الشعراء: ٦٣]، أي: فضرب فانفلق.

وحيث دخلت واو العطف على لام التعليل ففي تخريجه وجهان:

أحدهما: أن يكون تعليلاً معلَّله محذوفٌ، كقوله: ﴿وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ﴾ [الأنفال: ١٧]. فالمعنى: وللإحسان إلى المؤمنين فعَلَ ذلك.

والثاني: أنَّه معطوف على علَّة أخرى مضمرة، لتظهر صحةُ العطف، أي: فعَل ذلك ليذيق الكافرين بأسه وليبلي.

حذف المعطوف مع العاطف: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ﴾ [الحديد: ١٠]، أي: ومَنْ أنفق بعده .﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ﴾ [آل عمران: ٢٦]. أي: والشرّ.

حذف المبدل منه، خُرِّج عليه: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦]، أي: لما تصفه، والكذبُ بدلٌ من الهاء.

حذف الفاعل، لا يجوز إلَّا في فاعل المصدر، نحو: ﴿لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ﴾ [فصلت: ٤٩]،

أي: دعائه الخير. وجوّزه الكسائيّ مطلقاً لدليل، وخرّج عليه: ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ﴾ [القيامة: ٢٦]، أي: الرُّوحُ. ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]، أي: الشمس.

حذف المفعول، تقدم أنه كثير في مفعول المشيئة والإرادة. ويرد في غيرهما، نحو: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾ [الأعراف: ١٥٢]، أي: إلهاً. ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣]، أي: عاقبة أمركم.

حذف الحال، يكثر إذا كان قولاً، نحو: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَٰمٌ﴾ [الرعد، ٢٣، ٢٤]، أي: قائلين.

حذف المنادى: (ألا يا اسجدوا) [النمل: ٢٥]، أي: يا هؤلاء. ﴿يَٰلَيْتَ﴾ [القصص: ٧٩]. أي: يا قوم.

حذف العائد يقع في أربعة أبواب:

الصلة، نحو: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١]، أي: بعثه.

والصفة، نحو: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ﴾ [البقرة: ٤٨]، أي: فيه.

والخبر، نحو: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠]، أي: وعده.

والحال:

حذف مخصوص نِعْم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ [ص: ٤٤]، أي: أيوب. ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣]، أي: نحن. ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠]، أي: الجنة.

حذف الموصول، نحو: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، أي: والذي أنزل إليكم؛ لأن الذي أنزل إلينا ليس هو الذي أنزل إلى من قبلنا، ولهذا أُعيدت (ما) في قوله: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

أمثلة حذف الفعل:

يطّرد إذا كان مفسَّراً، نحو: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾ [التوبة: ٦]. ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١]. ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ [الإسراء: ١٠٠].

ويكثر في جواب الاستفهام، نحو: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا﴾ [النحل: ٣٠]، أي: أنزل.

وأكثر منه حذف القول، نحو: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا﴾ [البقرة: ١٢٧]، أي: يقولان: ربنا.

ويأتي في غير ذلك، نحو: ﴿ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [النساء: ١٧١]، أي: وأتوا. ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ [الحشر: ٩]، أي: وألفوا الإيمان، أو اعتقدوا. ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، أي: وليسكن زوجك. ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ [تبت: ٤]، أي: أذمُّ. ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ١٦٢]، أي: أمدح ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، أي: كان. ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا﴾ [هود: ١١١]، أي: يوفوا أعمالهم.

أمثلة حذف الحرف[1]

قال ابن جنّي في «المحتسَب»: أخبرنا أبو علي قال: قال أبو بكر: حذف الحرف ليس بقياس؛ لأن الحروف إنما دخلت الكلام لضربٍ من الاختصار، فلو ذهبتَ تحذفها لكنتَ مختصِراً لها هي أيضاً، واختصار المختصَر إجحافٌ به[2].

حذف همزة الاستفهام. قرأ ابن مُحَيْصِن: (سواء عليهم أنذرتهم) [البقرة: ٦][3]. وخرّج عليه ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦ ـ ٧٨] في المواضع الثلاثة. ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا﴾ [الشعراء: ٢٢]، أي: أوَ تلك؟

حذف الموصول الحرفي: قال ابن مالك: لا يجوز إلَّا في (أن) نحو: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾ [الروم: ٢٤].

وحذف الجار يطَّرد مع أنْ، وأنَّ، نحو: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٧]. ﴿أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي﴾ [الشعراء: ٨٢]. ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ﴾ [المؤمنون: ٣٥]، أي: بأنّكم. وجاء مع غيرهما، نحو: ﴿قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩]، أي: قدرنا له. ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف: ٤٥]، أي: لها. ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، أي: يخوفكم بأوليائه. ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، أي: من قومه. ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، أي: على عقدة النكاح.

حذف العاطف، خَرَّجَ عليه الفارسيُّ: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا﴾ [التوبة: ٩٢]، أي: وقلتَ. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ [الغاشية: ٨]، أي: ووجوه، عطفاً على: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ [الغاشية: ٢].

حذف فاء الجواب، وخرّج عليه الأخفش: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ﴾ [البقرة: ١٨٠].

حذف حرف النداء كثير: ﴿هَا أَنتُمْ أُولَاءِ﴾ [آل عمران: ١١٩]. ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ﴾ [يوسف: ٢٩]. ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم: ٤]. ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٤٦]. وفي «**العجائب**» للكَرْمَانيّ: كثر حذف (يا) في القرآن من الرَّبِّ تنزيهاً وتعظيماً؛ لأن في النداء طرفاً من الأمر.

حذف (قد) في الماضي إذا وقع حالاً، نحو: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: ٩٠]. ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١].

---

(١) انظر «المغني» ص٨٣١ وما بعدُ.

(٢) «المحتسَب» ١/ ٥١ أول سورة البقرة، وتمام كلامه: إلا أنه إذا صَحَّ التوجه إليه جاز في بعض الأحوال حذفه لقوة الدلالة عليه.

(٣) «السبعة في القراءات» ص١٣٧.

حذف (لا) النافية، يطّرد في جواب القَسَم، إذا كان المنفيّ مضارعاً، نحو: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَؤُا﴾ [يوسف: ٨٥]. وورد في غيره، نحو: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ﴾ [البقرة: ١٨٤]، أي: لا يطيقونه. ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥]، أي: لئلا تميد.

حذف لام التوطئة: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ﴾ [المائدة: ٧٣]. ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

حذف لام الأمر، خُرِّج عليه: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا﴾ [إبراهيم: ٣١]، أي: ليقيموا.

حذف لام (لقد) يحسن مع طول الكلام، نحو: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩].

حذف نون التوكيد، خُرِّج عليه قراءة: (ألم نشرحَ) بالنصب.

حذف التنوين، خُرِّج عليه قراءة: (قل هو الله أحدُ، الله الصمد)[1] [الإخلاص: ١، ٢]. (ولا الليل سابقُ النهارَ) [يس: ٤٠]؛ بالنصب.

حذف نون الجمع، خُرِّج عليه قراءة: (وما هم بضارِّي به من أحدٍ).

حذف حركة الإعراب والبناء، خُرِّج عليه قراءة: (فتوبوا إلى بارئْكم) [البقرة: ٥٤]. و(يأمرْكم) [البقرة: ٦٧]. ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. بسكون الثلاثة. وكذا: (أو يعفوْ الذي فبيده عقدة النكاح) [البقرة: ٢٣٧]. (فأواريْ سوءة أخي) [المائدة: ٣١]. (ما بقيْ من الربا) [البقرة: ٢٧٨].

أمثلة حذف أكثر من كلمة:

حذف مضافين: ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، أي: فإنَّ تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب. ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ [طه: ٩٦]، أي: من أثر حافر فرس الرسول. ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩]، أي: كدوران عين الذي. ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ [الواقعة: ٨٢]، أي: بدل شكر رزقكم.

حذف ثلاثة متضايفات:

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ [النجم: ٩]، أي: فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين، فحُذفَ ثلاثة من اسم كان وواحدٌ من خبرها.

حذف مفعولَيْ باب ظن ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢]، أي: تزعمونهم شركائي.

حذف الجار مع المجرور: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا﴾، بسيّئ. ﴿وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢]، أي: بصالح.

حذف العاطف مع المعطوف، تقدم [سورة الحديد: ١٠].

---

(١) وهي قراءة هارون عن أبي عمرو. لا ينون وإن وصل. «السبعة في القراءات» ص٧٠١.

حذف حرف الشرط وفعله يطّرد بعد الطلب، نحو: ﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، أي: إن اتبعتموني. ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم: ٣١]، أي: إن قلت لهم يقيموا.

وجعل منه الزمخشريّ: ﴿فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓ﴾ [البقرة: ٨٠]، أي: إن اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله.

وجعل منه أبو حيّان: ﴿فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ﴾ [البقرة: ٩١]، أي: إن كنتم آمنتم بما أنزل إليكم فلِمَ تقتلون؟

حذف جواب الشرط: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ٣٥]، أي: فافعل. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ وَمَا خَلۡفَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [يس: ٤٥]، أي: أعرضوا، بدليل ما بعده. ﴿أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ﴾ [يس: ١٩]، أي: لتطيّرتم. ﴿وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾ [الكهف: ١٠٩]، أي: لنفد، ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ﴾ [السجدة: ١٢]، أي: لرأيت أمراً فظيعاً. ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [النور: ٢٠]، أي: لعذّبكم. ﴿لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا﴾ [القصص: ١٠]، أي: لأبدتْ به. ﴿وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ أَن تَطَـُٔوهُمۡ﴾ [الفتح: ٢٥]، أي: لَسلّطكم على أهل مكة.

حذف جملة القسَم: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا﴾ [النمل: ٢١]، أي: والله. **حذف جوابه**: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ...﴾ [النازعات: ١] الآيات. أي: لتبعثنَّ. ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ [ص: ١]، أي: إنه لمعجز. ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ [ق: ١]، أي: ما الأمر كما زعموا.

حذف جملة مسبّبة عن المذكور، نحو: ﴿لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ﴾ [الأنفال: ٨]، أي: فعل ما فعل.

حذف جمل كثيرة، نحو: ﴿فَأَرۡسِلُونِ ۝٤٥ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ [يوسف: ٤٥ ـ ٤٦]، أي: فأرسلوني إلى يوسف لأستعبره الرؤيا، ففعلوا، فأتاه فقال له: يا يوسف.

خاتمة

تارة لا يقام شيء مقام المحذوف كما تقدَّم، وتارة يقام ما يدلُّ عليه، نحو: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ﴾ [هود: ٥٧]. فليس الإبلاغ هو الجواب لتقدمه على تولّيهم، وإنما التقدير: (فَإن تَوَلَّوْا فلا لَوْمَ عَلَيَّ) أو فلا عذر لكم، لأني أبلغتكم.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ﴾ [فاطر: ٤]، أي: فلا تحزن واصبر.

﴿وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، أي: يصيبهم مثل ما أصابهم.

فصل:

كما انقسم الإيجاز إلى: إيجاز قصر وإيجاز حذف، كذلك انقسم الإطناب إلى: بسط وزيادة.

فالأوّل: الإطناب بتكثير الجمل، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ الآية [البقرة: ١٦٤].

أطنب فيها أبلغ الإطناب لكون الخطاب مع الثقلين، وفي كل عصرٍ وحِينٍ، للعالم منهم والجاهل، والموافِقِ منهم والمنافق.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ [غافر: ٧]؛ فقوله: ﴿وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ ﴿يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ إطناب؛ لأن إيمان حملة العرش معلوم، وحسّنه إظهار شرف الإيمان ترغيباً فيه.

﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت: ٦، ٧]. وليس من المشركين مُزَكٍّ، والنكتة: الحثُّ للمؤمنين على أدائها، والتحذير من المنع، حيث جعل من أوصاف المشركين.

والثاني: يكون بأنواع:

أحدها: دخول حرف فأكثر من حروف التأكيد السابقة في نوع الأدوات.

وهي: إنَّ، وأنَّ، ولام الابتداء، والقَسَم، وألا الاستفتاحيَّة، وأما، وها التنبيه، وكأنَّ في تأكيد التشبيه، ولكنَّ في تأكيد الاستدراك، وليت في تأكيد التمني، ولعلَّ في تأكيد الترجّي، وضمير الفصل، وأمَّا في تأكيد الشرط، وقد، والسِّين، وسوْف، والنونان في تأكيد الفعليَّة، ولا التبرئة، ولن، ولمَّا في تأكيد النفي.

وإنَّما يحسُنُ تأكيد الكلام بها إذا كان المخاطَب به منكِراً أو متردِّداً.

ويتفاوت التأكيد بحسب قوة الإنكار وضعفِه، كقوله تعالى حكايةً عن رسل عيسى إذْ كُذِّبوا في المرَّة الأولى: ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾ [يس: ١٤]. فأكّد بأنَّ واسميّة الجملة. وفي المرَّة الثانية: ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾ [يس: ١٦]. فأكّد بالقسم وإنَّ واللّام واسميَّة الجملة، لمبالغة المخاطبين في الإنكار حيث قالوا: ﴿مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾ [يس: ١٥].

وقد يؤكَّد بها، والمخاطَب به غير منكِر، لعدم جريه على مقتضى إقراره، فينزَّل منزلة المنكر. وقد يترك التأكيد وهو معه منكر، لأن معه أدلَّة ظاهرة لو تأملها لرجع عن إنكاره. وعلى ذلك يخرج قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥، ١٦]؛ أكّد الموت تأكيدين وإن لم ينكر، لتنزيل المخاطبين ـ لتماديهم في الغفلة ـ تنزيلَ مَنْ ينكر الموت. وأكّد إثباتَ البعث تأكيداً واحداً وإن كان أشدَّ نكيراً؛ لأنه لمَّا كانت أدلّته ظاهرة كان جديراً بأن لا ينكر، فَنُزِّلَ المخاطَبون منزلةَ غير المنكِر؛ حثّاً لهم على النظر في أدلّته الواضحة.

ونظيره قوله تعالى: ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة: ٢]؛ نفى عنه الرّيبة بلا، على سبيل الاستغراق؛ مع أنه ارتاب فيه المرتابون، لكن نُزِّل منزلة العدم، تعويلاً على ما يُزيله من الأدلة الباهرة، كما نُزِّل الإنكار منزلةَ عدمه لذلك.

وقال الزمخشري: بُولغ في تأكيد الموت تنبيهاً للإنسان على أن يكون الموتُ نصبَ عينه، ولا يغفل عن ترقُّبه، فإن مآله إليه، فكأنه أُكِّدت جملته ثلاثَ مرات لهذا المعنى، لأن الإنسان في الدنيا يسعى فيها غاية السعي، حتى كأنَّه يخلّد. ولم يؤكد جملة البعث إلا بإنَّ؛ لأنه أُبرز في صورة المقطوع به الذي لا يمكن فيه نزاعٌ، ولا يقبل إنكاراً.

وقال التاج بن الفَرْكاح[1]: أكَّد الموت ردّاً على الدهريَّة القائلين ببقاء النوع الإنسانيّ خلفاً عن سلف، واستغنى عن تأكيد البعث هنا، لتأكيده والردِّ على منكره في مواضع، كقوله: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧].

وقال غيره: لمَّا كان العطف يقتضي الاشتراك، استغنى عن إعادة اللَّام، لذكرها في الأول.

وقد يؤكد بها ـ أي باللام ـ للمستشرف الطالب الذي قُدِّم له ما يلوح بالخبر، فاستشرفت نفسه إليه، نحو: ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [هود: ٣٧]، أي: لا تَدْعُني يا نوح في شأن قومك. فهذا الكلام يلوّح بالخبر تلويحاً، ويشعر بأنه قد حقَّ عليهم العذابُ، فصار المقام مقام أن يتردد المخاطب في أنهم: هل صاروا محكوماً عليهم بذلك أو لا؟ فقيل: إنهم مُغْرَقُون، بالتأكيد.

وكذا قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ [الحج: ١]؛ لمَّا أمرهم بالتقوى وظهورِ ثمرتِها، والعقاب على تركها محلُّه الآخرة، تشوّفت نفوسهم إلى وصف حال الساعة، فقال: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]، بالتأكيد، ليقرّر عليه الوجوب.

وكذا قوله: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ [يوسف: ٥٣] فيه تحيير للمخاطَب، وتردُّد في أنه كيف لا يبرِّئ نفسه وهي بريئة زكية، ثبتت عصمتُها وعدم مواقعتها السوء، فأكَّده بقوله: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف ٥٣].

وقد يؤكّد لقصد الترغيب، نحو: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧]. أكّد بأربع تأكيدات ترغيباً للعباد في التوبة.

وقد سبق الكلام على أدوات التأكيد المذكورة ومعانيها ومواقعها في النوع الأربعين.

فائدة:

إذا اجتمعت إنَّ واللَّام كان بمنزلة تكرير الجملة ثلاث مرات؛ لأنَّ (إنَّ) أفادت التكرير مرتين، فإذا دخلت اللام صارت ثلاثاً.

وعن الكسائي: أن اللام لتوكيد الخبر، وإنَّ لتوكيد الاسم. وفيه تجوّز؛ لأن التوكيد للنسبة لا للاسم ولا للخبر. وكذلك نون التوكيد الشديدة بمنزلة تكرير الفعل ثلاثاً، والخفيفة بمنزلة تكريره مرَّتين. فقال سيبويه في نحو (يأيُّها): الألف والهاء لحقتا أيّاً توكيداً، فكأنَّكَ كرَّرت (يا) مرتين، وصار الاسم تنبيهاً. هذا كلامه، وتابعه الزمخشريّ.

فائدة:

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ [مريم: ٦٦]؛ قال الجُرْجانيّ في «**نظم القرآن**»: ليست اللَّام فيه للتأكيد؛ فإنَّه مُنْكر؛ فكيف يحقَّق ما ينكر!؟ وإنَّما قاله حكايةً لكلام النبي ﷺ الصادر منه بأداة التأكيد، فحكاه، فنُزِّلَتِ الآية على ذلك.

---

(١) ابنُ الفَرْكَاح: عبد الرحمن إبراهيم البدوي، شارح التنبيه وأحد علماء الشافعية (ت: ٦٩٠هـ). «طبقات الشافعية» ٥/ ٦٠.

النوع الثاني: دخول الأحرف الزائدة.

قال ابن جنّي: كلّ حرف زيد في كلام العرب فهو قائم مقام إعادة الجملة مرة أخرى.

وقال الزمخشري في «**كشافه**» القديم: الباء في خبر ما، وليس لتأكيد النفي، كما أن اللام لتأكيد الإيجاب.

وسئل بعضهم عن التأكيد بالحرف وما معناه، إذ إسقاطه لا يخلّ بالمعنى؟ فقال: هذا يعرفه أهل الطِّباع، يجدون من زيادة الحرف معنىً لا يجدونه بإسقاطه. قال: ونظيره العارف بوزن الشعر طبعاً، إذا تغيَّر عليه البيت بنقصٍ أنكره وقال: أجد نفسي على خلاف ما أجدها بإقامة الوزن، فكذلك هذه الحروف تتغيَّر نفس المطبوع بنقصانها، ويجد نفسه بزيادتها على معنى بخلاف ما يجدها بنقصانه.

ثم باب الزيادة في الحروف، وزيادة الأفعال قليل، والأسماء أقلّ.

أما الحروف فيزاد منها: إنْ، وأنْ، وإذ، وإذا، وإلى، وأمْ، والباء، والفاء، وفي، والكاف، واللام، ولا، وما، ومن، والواو. وتقدَّمت في نوع الأدوات مشروحةً.

وأما الأفعال: فزيد منها (كان). وخُرِّج عليه: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩]، وأصبح، وخرِّج عليه: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٣].

وقال الرُّمّانيّ: العادة أن مَنْ به علَّة تزداد بالليل أن يرجوَ الفرج عند الصباح، فاستعمل (أصبح)؛ لأن الخسران حصل لهم في الوقت الذي يرجون فيه الفرج، فليست زائدة.

وأمَّا الأسماء: فنصَّ أكثر النحويين على أنها لا تزاد، ووقع في كلام المفسِّرين الحكم عليها بالزيادة في مواضع، كلفظ (مثل) في قوله: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٣٧]، أي: بما.

النوع الثالث: التأكيد الصناعي، وهو أربعة أقسام:

أحدها: التوكيد المعنوي بكلّ، وأجمع، وكلا، وكلتا. نحو: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ٣٠].

وفائدته: رفع توهّم المجاز وعدم الشمول.

وادَّعى الفرَّاء: أن ﴿كُلُّهُمْ﴾ أفادت ذلك، و﴿أَجْمَعُونَ﴾ أفادت اجتماعهم على السجود، وأنهم لم يسجدوا متفرِّقين.

ثانيها: التأكيد اللفظي، وهو تكرار اللفظ الأول:

إمَّا بمرادفه، نحو: (ضيقاً حرجاً) [الأنعام: ١٢٥]. بكسر الراء[1]، و: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧]. وجعل منه الصفَّار: ﴿فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ [الأحقاف: ٢٦]، على القول بأن كليهما للنفي. وجعل منه غيره: ﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ [الحديد: ١٣]. فوراء: هنا ليس ظرفاً؛ لأنَّ لفظ ﴿ٱرْجِعُوا۟﴾ ينبئ عنه، بل هو اسم فعل بمعنى ارجعوا، فكأنَّه قال: ارجعوا ارجعوا.

---

(١) عن أبي عمرو: ضَيْقاً. خفيفاً. وقرأ الباقون: ضَيِّقاً، مشدداً. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي: مفتوحةَ الراء (حَرَجاً)، وقرأ نافع وعاصم (في رواية أبي بكر): حَرِجاً مكسورة الراء. «السبعة في القراءات» ص٢٦٨.

وإمَّا بلفظه: ويكون في الاسم والفعل والحرف والجملة.

فالاسم، نحو: ﴿قَوَارِيرَا۠ قَوَارِيرَا۠﴾ [الإنسان: ١٥، ١٦]. ﴿دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: ٢١].

والفعل: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ﴾ [الطارق: ١٧].

واسم الفعل، نحو: ﴿۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٦].

والحرف، نحو: ﴿فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [هود: ١٠٨]. ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم﴾ [المؤمنون: ٣٦].

والجملة، نحو: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦]. والأحسن اقتران الثانية بثمّ، نحو: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [الانفطار: ١٧، ١٨]. ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣، ٤].

ومن هذا النوع تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل، نحو: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]. ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾ [المائدة: ٢٤]. ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ [الأعراف: ١١٥].

ومنه تأكيد المنفصل بمثله: ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٣٧].

ثالثها: تأكيد الفعل بمصدره، وهو عوض من تكرار الفعل مرتين.

وفائدته: رفع توهّم المجاز في الفعل، بخلاف التوكيد السابق فإنَّه لرفع توهّم المجاز في المسند إليه. كذا فرّق به ابنُ عصفور وغيرُه. ومن ثَمّ ردَّ بعض أهل السُّنّة على بعض المعتزلة في دعواه نفي التكليم حقيقة بقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]؛ لأن التوكيد رفع المجاز في الفعل.

ومن أمثلته ﴿وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾ [الطور: ٩، ١٠]. ﴿جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٣].

وليس منه: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠]، بل هو جمع (ظنٍّ) لاختلاف أنواعه. وأما ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا﴾ [الأنعام: ٨٠]. فتحتمل أن يكون منه، وأن يكون الشيء بمعنى الأمر والشأن.

والأصل في هذا النوع أن ينعت بالوصف المراد، نحو: ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]. ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٩]. وقد يضاف وصفه إليه، نحو: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. وقد يؤكد بمصدر فعل آخر أو اسم عين نيابةً عن المصدر، نحو: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨]. والمصدر تبتلاً، والتبتيل مصدر بتّل. ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧]، أي: إنباتاً؛ إذ النبات اسم عين.

رابعها: الحال المؤكِّدة، نحو: ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣]. ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠]. ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ [النساء: ٧٩]. ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣]. ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١].

وليس منه: ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ [النمل: ١٠]؛ لأن التولية قد لا تكون إدباراً، بدليل قوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ

شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤]، ولا: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾ [النمل: ١٩]؛ لأن التبسُّم قد لا يكون ضحكاً، ولا ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة: ٩١]. لاختلاف المعنيين، إذ كونه حقًّا في نفسه غير كونه مصدِّقاً لما قبله.

النوع الرابع: التكرير، وهو أبلغ من التأكيد، وهو من محاسن الفصاحة، خلافاً لبعض مَنْ غلط. وله فوائد:

منها: التقرير، وقد قيل: الكلام إذا تكرَّر تقرَّر، وقد نبَّه تعالى على السبب الذي لأجله كرَّر الأقاصيص والإنذار في القرآن بقوله: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣].

ومنها: التأكيد.

ومنها: زيادة التنبيه على ما ينفي التُّهَمَة، ليكمل تلقِّي الكلام بالقبول، ومنه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾ [غافر: ٣٨، ٣٩]. فإنَّه كرر فيه النداء لذلك.

ومنها: إذا طال الكلام، وخُشِيَ تناسي الأول، أُعِيد ثانياً تطريةً له وتجديداً لعهده. ومنه: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ [النحل: ١١٩]. ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ [النحل: ١١٠]. ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩]. ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [آل عمران: ١٨٨]. ﴿إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ﴾ [يوسف: ٤].

ومنها: التعظيم والتهويل، نحو: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١، ٢]. ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١، ٢]. ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٢٧].

فإن قلتَ: هذا النوع أحد أقسام النوع الذي قبله، فإن منها التأكيد بتكرار اللفظ، فلا يحسُن عدُّه نوعاً مستقلاً.

قلتُ: هو يجامعه ويفارقه، ويزيد عليه وينقص عنه، فصار أصلاً برأسه. فإنه قد يكون التأكيد تكراراً كما تقدَّم في أمثلته، وقد لا يكون تكراراً كما تقدم أيضاً، وقد يكون التكرير غير تأكيد صناعةً، وإن كان مفيداً للتأكيد معنى.

ومنه: ما وقع فيه الفصل بين المكرَّرين؛ فإنَّ التأكيد لا يُفصل بينه وبين مؤكَّده، نحو: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الحشر: ١٨]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢]. فالآيتان من باب التكرير لا التأكيد اللفظي الصناعي.

ومنه: الآيات المتقدمة في التكرير للطول.

ومنه: ما كان لتعدُّد المتعلَّق، بأن يكون المكرّر ثانياً متعلِّقاً بغير ما تعلق به الأول، وهذا القسم

يُسمَّى بالترديد، كقوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ [النور: ٣٥]. وقع فيها الترديد أربع مرات.

وجُعل منه قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣، ١٦]؛ فإنَّها وإن تكرَّرت نيِّفاً وثلاثين مرة، فكلّ واحدة تتعلّق بما قبلها، ولذلك زادت على ثلاثين، ولو كان الجميع عائداً إلى شيء واحد لمَا زاد على ثلاثة؛ لأن التأكيد لا يزيد عليها. قاله ابن عبد السلام وغيرُه. وإن كان بعضها ليس بنعمة، فذكر النقمة للتحذير نعمة، وقد سئل: أيّ نعمة في قوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦]؟ فأجيب بأجوبة. أحسنها: النقل من دار الهموم إلى دار السرور، وإراحة المؤمن والبارّ من الفاجر.

وكذا قوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ في سورة المرسلات؛ لأنه تعالى ذكر قصصاً مختلفة، وأتبع كل قصَّة بهذا القول؛ فكأنه قال عقب كل قصَّة: ويل يومئذ للمكذب بهذه القصة.

وكذا قوله في سورة الشعراء: [٨، ٩]: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ كرّرت ثماني مرّات، كلّ مرة عقب كل قصة، فالإشارة في كلّ واحدة بذلك إلى قصة النبيّ المذكور قبلها وما اشتملت عليه من الآيات والعِبَر. وبقوله: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ إلى قومه خاصة. ولمَّا كان مفهومه أنَّ الأقل من قومه آمنوا، أتى بوصفَي العزيز الرحيم، للإشارة إلى أن العزة على من لم يؤمن منهم، والرحمة لمن آمن.

وكذا قوله في سورة القمر [١٧]: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾. قال الزَّمخشري: كرّر ليجدّدوا عند سماع كلّ نبأ منها اتعاظاً، وتنبيهاً أنَّ كلًّا من تلك الأنباء مستحقٌّ لاعتبار يختصُّ به، وأن يتنبهوا كيلا يغلبهم السرورُ والغَفْلَةُ(١).

قال في «**عروس الأفراح**»(٢): فإن قلت: إذا كان المراد بكلّ ما قبله، فليس ذلك بإطناب؛ بل هي ألفاظ، كلٌّ أُريدَ به غير ما أُريدَ بالآخر.

قلت: إذا قلنا العبرة بعموم اللفظ، فكلّ واحد أُريدَ به ما أريد بالآخرة، ولكن كُرِّر ليكون نصّاً فيما يليه وظاهراً في غيره. فإن قلتَ: يلزم التأكيد.

قلت: والأمر كذلك، ولا يرد عليه أن التأكيد لا يزاد به عن ثلاثة؛ لأن ذاك في التأكيد الذي هو تابع، وأما ذكر الشيء في مقامات متعدِّدة أكثر من ثلاثة فلا يمتنع. انتهى.

ويقرُبُ من ذلك ما ذكره ابن جرير في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ۝ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٣١، ١٣٢]. قال: فإن قيل: ما وجه تكرار قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ في آيتين إحداهما في أثر الأخرى؟ قلنا: لاختلاف معنى الخبرَيْن عمَّا في السَّموات والأرض، وذلك أنَّ الخبر عنه في إحدى الآيتين: ذكرُ حاجته إلى بارئه، وغنى بارئه عنه. وفي الأخرى: حفظ بارئه إياه، وعلمه به

---

(١) الزمخشري في «كشافه» ٤/ ٤٠ القمر: ٤٠. (٢) «عروس الأفراح» ١/ ٦٠٩ باب الإطناب.

وبتدبيره. قال: فإن قيل: أفلا قيل: وَكَانَ الله غَنِيّاً حَمِيداً وَكَفَى بالله وَكِيلاً؟ قيل: ليس في الآية الأولى ما يصلُحُ أن تختتم بوصفه معه بالحفظ والتدبير. انتهى.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧٨]. قال الراغب[1]: الكتابُ الأوَّل ما كتبوه بأيديهم المذكورُ في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٧٩]، والكتابُ الثاني التوراةُ، والثالثُ لجنس كُتبِ الله كلِّها، أي: ما هو من شيء من كُتب الله وكلامه.

ومن أمثلة ما يُظَنُّ تكراراً وليس منه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا الْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ١، ٢]، إلى آخرها، فإن ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾، أي: في المستقبل، ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ﴾، أي: في الحال ﴿مَآ أَعْبُدُ﴾ في المستقبل ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ﴾، أي: في الحال، ما عبدتم في الماضي. ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ﴾، أي: في المستقبل ﴿مَآ أَعْبُدُ﴾، أي: في الحال. فالحاصل: أن القصد نفي عبدته لآلهتهم في الأزمنة الثلاثة.

وكذا ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]، ثم قال: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٠٠]، ثم قال: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣]؛ فإن المراد بكلٍّ واحد من هذه الأذكار غير المراد بالآخر، فالأول: الذكر في مُزدَلفة عند الوقوف بقُزَح[2]، وقوله: ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ إشارةٌ إلى تكرُّره ثانياً وثالثاً، ويحتمل أن يراد به طوافُ الإفاضة، بدليل تعقيبه بقوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم﴾. والذكرُ الثالث: إشارة إلى رمي جمرة العقبة، والذكرُ الأخير: لرمي أيام التشريق.

ومنه: تكرير حرف الإضراب في قوله: ﴿بَلْ قَالُوٓا أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ افْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [الأنبياء: ٥]. وقوله: ﴿بَلِ ادَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى الْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل: ٦٦].

ومنه قوله: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦]. ثم قال: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٤١]. فكرَّر الثاني ليَعُمَّ كل مطلقة، فإنَّ الآية الأولى في المطلَّقة قبل الفرض والمسيس خاصَّة، وقيل: لأن الأُولى لا تُشعر بالوجوب، ولهذا لما نزلت قال بعض الصحابة: إن شئت أحسنت، وإن شئت فلا. فنزلت الثانية، أخرجه ابن جرير.

ومن ذلك تكرير الأمثال كقوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِى الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا الظُّلُمَٰتُ وَلَا النُّورُ ۝٢٠ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ۝٢١ وَمَا يَسْتَوِى الْأَحْيَآءُ وَلَا الْأَمْوَٰتُ﴾ [فاطر: ١٩ ـ ٢٢].

وكذلك ضرب مثل المنافقين أوَّل البقرة بالمستوقد ناراً، ثم ضربه بأصحاب الصَّيِّب. قال الزمخشريّ: والثاني أبلغ من الأوَّل؛ لأنه أدلُّ على فرط الحيرة وشدَّة الأمر وفظاعته. قال: ولذلك أُخِّر، وهم يتدرَّجون في نحو هذا من الأهون إلى الأغلظ.

---

(١) في «مفرداته» مادة: كتب.

(٢) في «القاموس»: قُزَح: جبلٌ بالمزدلفة. مادة: قزح.

ومن ذلك تكرير القصص، كقصَّة آدم وموسى ونوح وغيرهم من الأنبياء، قال بعضهم: ذكر الله موسى في مئة وعشرين موضعاً من كتابه. وقال ابن العربيّ في «**القواصم**»: ذكر الله قصَّة نوح في خمسٍ وعشرين آيةً، وقصَّةَ موسى في تسعين آية.

وقد ألَّف البَدْر بن جماعة كتاباً سمَّاه «**المقتنص في فوائد تكرار القصص**» وذكر في تكرير القصص فوائد:

منها: أن في كل موضع زيادة شيء لم يذكر في الذي قبله، أو إبدال كلمة بأخرى لنكتة. وهذه عادة البُلغاء.

ومنها: أنَّ الرجل كان يسمع القصَّة من القرآن، ثم يعود إلى أهله، ثم يهاجر بعده آخرون يحكون ما نزل بعد صدور مَنْ تقدّمهم؛ فلولا تكرار القصص لوقعت قصة موسى إلى قوم وقصَّة عيسى إلى قوم آخرين؛ وكذا سائر القصص؛ فأراد الله اشتراك الجميع فيها، فيكون فيه إفادة لقومٍ وزيادة تأكيد لآخرين.

ومنها: أنَّ في إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليبَ مختلفةٍ ما لا يخفى من الفصاحة.

ومنها: أنَّ الدواعي لا تتوفَّر على نقلها كتوفُّرها على نقل الأحكام؛ فلهذا كرِّرت القصص دون الأحكام.

ومنها: أنَّه تعالى أنزل هذا القرآن، وعَجَز القومُ عن الإتيان بمثله، بأيّ نظم جاؤوا، ثمَّ أوضح الأمر في عجزهم؛ بأنْ كرَّر ذكر القصة في مواضع، إعلاماً بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله، أي: بأيِّ نظم جاؤوا، وبأيِّ عبارة عَبَّروا.

ومنها: أنَّه لما تحدَّاهم قال: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣]؛ فلو ذكرت القصة في موضع واحد واكتُفِيَ بها، لقال العربيّ: ائتونا أنتم بسورة من مثله، فأنزلها الله سبحانه وتعالى في تعداد السّور؛ دفعاً لحجَّتهم من كلِّ وجه.

ومنها: أنَّ القصَّة لما كرّرت كان في ألفاظها في كلِّ موضع زيادة ونقصان وتقديم وتأخير، وأتت على أسلوب غير أسلوب الأخرى، فأفاد ذلك ظهور الأمر العجيب في إخراج المعنى الواحد في صورٍ متباينة في النَّظْم، وجذب النفوس إلى سماعها، لما جُبِلت عليه من حب التنقُّل في الأشياء المتجدِّدة واستلذاذها بها. وإظهار خاصة القرآن، حيث لم يحصل مع تكرير ذلك فيه هُجْنة في اللَّفظ، ولا مَلَلٌ عند سماعه؛ فباين ذلك كلامَ المخلوقين.

وقد سُئل: ما الحكمة في عدم تكرير قصة يوسف وسوقها مساقاً واحداً في موضع واحد، دون غيرها من القصص؟ وأُجيب بوجوه:

أحدها: أن فيها تشبيب النسوة به، وحال امرأة ونسوة افتتنَّ بأبدع الناس جمالاً، فناسب عدمُ تكرارها لما فيه من الإغضاء والسَّتر، وقد صحَّح الحاكم في «**مستدركه**» حديث النهي عن تعليم النساء سورة يوسف.

ثانيها: أنها اختصّت بحصول الفَرَج بعد الشدَّة، بخلاف غيرها من القصص، فإن مآلها إلى الوبال كقصة إبليس، وقوم نوح وهود وصالح وغيرهم، فلما اختصّت بذلك اتفقت الدواعي على نقلها، لخروجها عن سمت القصص.

ثالثها: قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني: إنَّما كرّر الله قصصَ الأنبياء، وساقَ قصةَ يوسف مساقاً واحداً؛ إشارةً إلى عجز العرب؛ كأن النبي ﷺ قال لهم: إن كان من تلقاء نفسي، فافعلوا في قصة يوسف ما فعلت في سائر القصص.

قلت: وظهر لي جواب رابع، وهو أن سورة يوسف نزلتْ بسبب طلب الصحابة أن يقصَّ عليهم، كما رواه الحاكم في «مستدرَكه» [(٢/ ٣٤٥) وهو صحيح]، فنزلت مبسوطة تامَّة، ليحصل لهم مقصود القصص؛ من استيعاب القصَّة، وترويح النفس بها، والإحاطة بطرفيها.

وجواب خامس: وهو أقوى ما يجاب به: أنَّ قصص الأنبياء إنما كرّرت؛ لأن المقصود بها إفادة إهلاك مَنْ كذّبوا رسلهم، والحاجة داعية إلى ذلك لتكرير تكذيب الكفار لرسول الله ﷺ، فكلما كذبوا أُنزلت قصَّة منذرة بحلول العذاب، كما حلَّ على المكذبين، ولهذا قال تعالى في آيات: ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨]. ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ [الأنعام: ٦]. وقصَّة يوسف لم يُقصد منها ذلك.

وبهذا أيضاً يحصل الجواب عن حكمة عدم تكرير قصَّة أصحاب الكهف، وقصة ذي القرنين، وقصَّة موسى مع الخضر، وقصَّة الذّبيح.

فإن قلت: قد تكررت قصة ولادة يحيى وولادة عيسى مرتين، وليست من قبيل ما ذَكرتَ.

قلت: الأولى في سورة ﴿كٓهيعٓصٓ﴾. وهي مكية، أُنزلت خطاباً لأهل مكة. والثانية، في سورة آل عمران، وهي مدنية، أُنزلت خطاباً لليهود ولنصارى نَجْران حين قدموا، ولهذا اتصل بها ذكر المحاجَّة والمباهلة.

النوع الخامس: **الصفة**، وترد لأسباب:

أحدها: التخصيص في النكرة، نحو ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢].

الثاني: التوضيح في المعرفة، أي: زيادة البيان، نحو: ﴿وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

الثالث: المدح والثناء، ومنه صفات الله تعالى، نحو: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ١ ـ ٤]. ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤].

ومنه: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ [المائدة: ٤٤]. فهذا الوصف للمدح، وإظهار شرف الإسلام، والتعريض باليهود وأنهم بُعَداء عن ملة الإسلام الذي هو دين الأنبياء كلِّهم، وأنهم بمعزل عنها. قاله الزمخشري(١).

(١) في «تفسيره» ١/ ٦١٥، المائدة: ٤٤.

الرابع: الذم، نحو: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

الخامس: التأكيد لرفع الإيهام، نحو: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [النحل: ٥١]. فإن﴿إِلَٰهَيْنِ﴾ للتثنية، فاثنين بعده صفة مؤكدة للنَّهي عن الإشراك، ولإفادة أن النهي عن إلاهين إنما هو لمحض كونهما اثنين فقط، لا لمعنىً آخر من كونهما عاجزين أو غير ذلك. ولأن الوحدة، تطلق ويراد بها النوعية، كقوله ﷺ: «**إنما نحن وبنو المطلب شيءٌ واحد**» [البخاري: ٣٥٠٢، وأحمد: ١٦٧٨٢]. وتطلق ويراد بها نفي العدَّة، فالتثنية باعتبارها، فلو قيل: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ﴾ فقط لتُوهّم أنه نهي عن اتخاذ جنسين آلهة؛ وإن جاز أن يُتَّخذ من نوع واحد عَدَد آلهة، ولهذا أُكّد بالوحدة قوله: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النحل: ٥١].

ومثله: ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٧]. على قراءة تنوين ﴿كُلٍّ﴾[1]. وقوله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣]. فهو تأكيد لرفع توهم تعدُّد النفخة؛ لأن هذه الصيغة قد تَدلُّ على الكثرة، بدليل: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

ومن ذلك قوله: ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [النساء: ١٧٦]، فإن لفظ ﴿كَانَتَا﴾ يفيد التثنية، فتفسيره باثنتين لم يُفِد زيادة عليه.

وقد أجاب عن ذلك الأخفش والفارسيّ: بأنه أفاد العدد المحض مجرَّداً عن الصفة، لأنه قد كان يجوز أن قال: فإن كانتا صغيرتين أو كبيرتين، أو صالحتين، أو غير ذلك من الصفات، فلما قال ﴿ٱثْنَتَيْنِ﴾ أفْهَم أن فرض الثنتين تعلَّق بمجرد كونهما ثنتين فقط، وهي فائدة لا تحصل من ضمير المثنى. وقيل: أراد: (فإن كانتا اثنتين فصاعداً) فعبَّر بالأدنى عنه وعمَّا فوقه اكتفاءً.

ونظيره: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. والأحسن أن الضمير عائد على الشهيدين المطلقين.

ومن الصفات المؤكدة قوله: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨]؛ فقوله ﴿يَطِيرُ﴾ لتأكيد أن المراد بالطائر حقيقتُه، فقد يطلق مجازاً على غيره، وقوله: ﴿بِجَنَاحَيْهِ﴾ لتأكيد حقيقة الطيران، لأنه يطلق مجازاً على شدَّة العدو والإسراع في المشي.

ونظيره: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم﴾ [الفتح: ١١]؛ لأن القول يطلق مجازاً على غير اللسان، بدليل: ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [المجادلة: ٨].

وكذا: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]؛ لأن القلب قد يطلق مجازاً على العين، كما أطلقت العين مجازاً على القلب في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى﴾ [الكهف: ١٠١].

قاعدة:

الصفة العامة لا تأتي بعد الخاصة، لا يقال: رجل فصيح متكلمٌ، بل متكلِّم فصيحٌ. وأُشكِلَ على هذه قوله تعالى في إسماعيل: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥١]. وأُجيبَ بأنه حال لا صفة؛ أي: مرسلاً في حال نبوَّته، وقد تقدَّم في نوع التقديم والتأخير أمثلة من هذه.

---

(١) هي قراءة حفص عن عاصم. «السبعة...» ص٤٤٥.

قاعدة:

إذ وقعت الصِّفة بعد متضايفين أوَّلُهما عدد: جاز إجراؤها على المضاف، وعلى المضاف إليه، فمن الأول: ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك: ٣]، ومن الثاني: ﴿سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ﴾ [يوسف: ٤٣].

فائدة: إذا تكررت النعوت لواحد: فالأحسن ـ إنْ تباعد معنى الصفات ـ العطفُ، نحو: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]. وإلَّا تركه، نحو: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٠ ـ ١٣].

فائدة: قطع النعوت في مقام المدح والذَّم أبلغ من إجرائها. قال الفارسيّ: إذا ذُكرت صفاتٌ في معرض المدح أو الذم، فالأحسنُ أن يخالف في إعرابها؛ لأن المقام يقتضي الإطنابَ، فإذا خولف في الإعراب كان المقصود أكملَ؛ لأن المعانيَ عند الاختلاف تتنوَّع وتتفنَّن، وعند الاتحاد تكون نوعاً واحداً.

مثاله في المدح: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النساء: ١٦٢]. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقرئ شاذّاً: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ برفع ﴿رَبِّ﴾ ونصبه.

ومثاله في الذَّمّ: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤].

النوع السادس: البدل:

والقصد به الإيضاح بعد الإبهام. وفائدته البيان والتأكيد.

أمَّا الأوَّل: فواضح أنك إذا قلت: (رأيت زيداً أخاك) بيَّنت أنك تريد بزيدٍ الأخَ لا غير.

وأمَّا التأكيد؛ فلأنَّه على نيَّة تكرار العامل، فكأنه من جملتين، ولأنّه دلَّ على ما دل عليه الأولُ: إمَّا بالمطابقة في بدل الكلّ، وإما بالتضمُّن في بدل البعض، أو بالالتزام في بدل الاشتمال.

مثال الأول: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]. ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣]. ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: ١٥، ١٦].

ومثال الثاني: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]. ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥١].

ومثال الثالث: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف: ٦٣]. ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧]. ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ﴾ [البروج: ٤، ٥]. ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ﴾ [الزخرف: ٣٣].

وزاد بعضهم بدل الكلّ من البعض، وقد وجدتُ له مثالاً في القرآن، وهو قوله: ﴿يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [مريم: ٦٠، ٦١]. فجنات عدن: بدل من الجنَّة التي هي بعضٌ. **وفائدته:** تقريرُ أنها جنات كثيرةٌ لا جنَّة واحدة.

وقال ابن السِّيد: وليس كلُّ بدل يقصَد به رفع الإشكال الذي يعرِض في المبدل منه، بل من البدل ما يراد به التأكيد، وإن كان ما قبله غنيّاً عنه، كقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣]. ألا ترى أنه لو لم يذكر الصراط الثاني لم يشكّ أحدٌ في أنّ الصراط المستقيم هو صراطُ الله؟ وقد نصّ سيبويه على: أنَّ من البدل ما الغرضُ منه التأكيدُ. انتهى.

وجعل منه ابنُ عبد السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ [الأنعام: ٧٤]. قال: ولا بيان فيه؛ لأن الأب لا يلتبس بغيره، ورُدّ: بأنَّه يطلق على الجدّ، فأُبدل لبيان إرادة الأب حقيقة.

النوع السابع: عطف البيان:

وهو كالصِّفة في الإيضاح، لكن يفارقها في أنه وضع ليدلَّ على الإيضاح باسم مختصٍّ به، بخلافها؛ فإنَّها وُضعت لتدلَّ على معنىً حاصل في متبوعها.

وفرَّق ابن كَيْسان[1] بينه وبين البدل: بأنَّ البدل هو المقصود، وكأنك قرَّرته في موضع المبدل منه، وعطفُ البيان وما عطف عليه كلٌّ منهما مقصود.

وقال ابن مالك في «**شرح الكافية**»[2]: عطف البيان يجري مجرى النَّعت في تكميل متبوعه، ويفارقه في أن تكميلَه متبوعه بشرحٍ وتبيين، لا بدلالة على معنى في المتبوع، أو سببيَّة. ومجرى التأكيد في تقوية دلالته، ويفارقه في أنه لا يرفع توهّم مجاز. ومجرى البدل في صلاحيته للاستقلال، ويفارقه في أنه غير منويّ الاطراح. ومن أمثلته: ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران: ٩٧]. ﴿مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ [النور: ٣٥].

وقد يأتي لمجرَّد المدح بلا إيضاح، ومنه: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٩٧]؛ فالبيت الحرام عطفُ بيان للمدح لا للإيضاح.

النوع الثامن: عطف أحد المترادفين على الآخر:

والقصد منه التأكيد أيضاً. وجعل منه: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ﴾ [يوسف: ٨٦]. ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ﴾ [آل عمران: ١٤٦]. ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢]. ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طه: ٧٧]. ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧]. قال الخليل: العِوَج والأَمْتُ بمعنى واحد. ﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ﴾ [التوبة: ٧٨، والزخرف: ٨٠]. ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]. ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ [المدثر: ٢٨]. ﴿إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ [البقرة: ١٧١]. ﴿أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾ [الأحزاب: ٦٧]. ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٥]. فإنَّ نَصِب كلغِب وزناً ومعنى. ﴿صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧]. ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ [المرسلات: ٦]. قال ثعلب: هما بمعنًى.

---

(١) ابن كَيْسان: محمد بن أحمد، عالم بالعربية نحواً ولغة، بغدادي (ت: ٢٩٩هـ). «طبقات النحويين» ١٧٠، و«شذرات الذهب» ٢/ ٢٣٢.

(٢) «شرح الكافية» ٣/ ١١٩١ باب العطف.

وأنكر المبرِّد وجودَ هذا النوع في القرآن، وأوّلَ ما سبق على اختلاف المعنيين.

وقال بعضهم: المَخْلَصُ في هذا: أن تعتقد أن مجموع المترادفين يحصِّل معنىً لا يوجد عند انفرادهما، فإن التركيب يُحدث معنى زائداً، وإذا كانت كثرةُ الحروف تفيد زيادة المعنى فكذلك كثرةُ الألفاظ.

النوع التاسع: عطف الخاص على العام:

وفائدته التنبيهُ على فضله، حتى كأنه ليس من جنس العام، تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات.

وحكى أبو حَيَّان عن شيخه أبي جعفر بن الزبير أنه كان يقول: هذا العطف يسمى بالتجريد، كأنه جُرِّد من الجملة وأُفرد بالذكر تفصيلاً.

ومن أمثلته: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]. ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨] ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]؛ فإن إقامتها من جملة التمسُّك بالكتاب، وخُصّت بالذكر إظهاراً لمرتبتها، لكونها عمادَ الدين.

وخُصَّ جبريل وميكائيل بالذكر ردًّا على اليهود في دعوى عداوته، وضمَّ إليه ميكائيل؛ لأنه ملك الرزق الذي هو حياة الأجساد، كما أنَّ جبريل مَلك الوحي الذي هو حياة القلوب والأرواح.

وقيل: عن جبريل وميكائيل لمَّا كانا أميرَي الملائكة لم يدخلا في لفظ الملائكة أولاً، كما أنَّ الأمير لا يدخل في مسمَّى الجند. حكاه الكَرْمانيّ في «**العجائب**»(١).

ومن ذلك: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ [النساء: ١١٠]. ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ [الأنعام: ٩٣]. بناء على أنَّه لا يختصّ بالواو، كما هو رأي ابن مالك فيه وفيما قبله. وخُصَّ المعطوف في الثانية بالذكر تنبيهاً على زيادة قُبحه.

تنبيه: المراد بالخاصّ والعام هنا ما كان فيه الأولُ شاملاً للثاني، لا المصطلح عليه في الأصول.

النوع العاشر: عطف العام على الخاص:

وأنكر بعضهم وجوده، فأَخْطأ. والفائدة فيه واضحةٌ، وهو التعميم، وأُفرِد الأول بالذكر اهتماماً بشأنه.

ومن أمثلته: ﴿إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى﴾ [الأنعام: ١٦٢]؛ والنُسكُ العبادةُ، فهو أعمّ. و: ﴿ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]. ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [نوح: ٢٨]. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].

وجعل منه الزمخشري: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣١]، بعد قوله: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم﴾ [يونس: ٣١].

---

(١) «عجائب التفسير...» ١/ ١٦٠ البقرة: ٩٨.

النوع الحادي عشر: الإيضاح بعد الإبهام:

قال أهل البيان: إذا أردتَ أن تُبهم ثم توضّح فإنَّك تُطنِب.

وفائدته: إما رؤيةُ المعنى في صورتين مختلفتين: الإبهام والإيضاح، أو لتمكين المعنى في النفس تمكيناً زائداً لوقوعه بعد الطلب؛ فإنَّه أعزّ من المنساق بلا تَعبٍ. أو لتكمل لذَّة العلم به؛ فإن الشيء إذا علم من وجهٍ ما، تشوّقت النفس للعلم به من باقي وجوهه وتألمت، فإذا حَصَل العلم من بقية الوجوه كانت لذَّته أشدَّ من علمه من جميع وجوهه دفعة واحدة.

ومن أمثلته: ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾ [طه: ٢٥]؛ فإن ﴿ٱشۡرَحۡ﴾ يفيد طلب شرح شيء ما، و﴿صَدۡرِي﴾ يفيد تفسيره وبيانه. وكذلك: ﴿وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي﴾ [طه: ٢٦]. والمقام يقتضي التأكيد للإرسال المؤذن بتلقي الشدائد. وكذلك: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾ [الشرح: ١]؛ فإنَّ المقام يقتضي التأكيد، لأنه مقامُ امتنانٍ وتفخيم. وكذا: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦].

ومنه التفصيل بعد الإجمال، نحو: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا﴾ إلى قوله: ﴿مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ﴾ [التوبة: ٣٦]، وعكسه، كقوله: ﴿ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ﴾ [البقرة: ١٩٦]، أعيد ذكر (العشرة) لرفع توهّم أن الواو في: ﴿وَسَبۡعَةٍ﴾ بمعنى (أو) فتكون الثلاثةُ داخلةً فيها، كما في قوله: ﴿خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾، ثم قال: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ﴾ [فصلت: ٩، ١٠]. فإن من جملتها اليومين المذكورينِ أولاً، وليست أربعةً غيرهما. وهذا أحسن الأجوبة في الآية، وهو الذي أشار إليه الزمخشري[(١)]، ورجَّحه ابن عبد السلام، وجزم به الزَّمْلَكانيّ في «**أسرار التنزيل**». قال: ونظيره: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ﴾ [الأعراف: ١٤٢]؛ فإنَّه رافع لاحتمال أن تكون تلك العشرة من غير مواعدة. قال ابن عَسْكر[(٢)]: وفائدة الوعد بثلاثين أوّلاً، ثم بعشر، ليتجدَّد له قُربُ انقضاء المواعدة، ويكون فيه متأهّباً مجتمع الرأي، حاضر الذهن؛ لأنه لو وعد بالأربعين أولاً كانت متساوية، فلمَّا فُصلت استشعرت النفسُ قربَ التمام، وتجدَّد بذلك عزمٌ لم يتقدم.

وقال الكرمانيّ في «**العجائب**»[(٣)]: في قوله: ﴿تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ﴾ ثمانية أجوبة: جوابان من التفسير، وجواب من الفقه، وجواب من النحو، وجواب من اللغة، وجواب من المعنى، وجوابان من الحساب. وقد سُقتُها في «**أسرار التنزيل**»[(٤)].

النوع الثاني عشر: التفسير:

---

(١) في «تفسيره» سورة فصلت: ٩.

(٢) ابن عَسْكر: محمد بن علي أبو عبد الله، أديب، نبيل، عالم بالتاريخ والحديث (ت: ٦٣٦هـ). «قضاة الأندلس» ١٢٣، «الإحاطة في أخبار غرناطة» ٢/ ١٢٢ ـ ١٢٥.

(٣) «غرائب التفسير وعجائب التأويل» ١/ ٢٠٦، البقرة: ١٩٦.

(٤) وكان الكرماني قد ذكرها، وإليك ما قال: أما التفسير فالجواب الأول: أن ثلاثة أيام في الحج، وسبعة إذا رجعتم. =

قال أهل البيان: وهو أن يكون في الكلام لَبْسٌ وخفاء، فيؤتى بما يزيله ويفسِّره.

ومن أمثلته: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ١٩ - ٢١]؛ فقوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ﴾ إلخ... تفسير للهلوع، كما قال أبو العالية وغيره.

﴿ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. قال البيهقي في «**شرح الأسماء الحسنى**»[(١)]: قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾ تفسيرٌ للقيُّوم.

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ . . .﴾ الآية [البقرة: ٤٩]. فيذبحون وما بعده تفسيرٌ للسّوم.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ . . .﴾ الآية [آل عمران: ٥٩]. فـ (خلَقه) وما بعده تفسير للمثل.

﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]. فـ ﴿تُلْقُونَ﴾ تفسير لاتخاذهم أولياء.

﴿ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . . .﴾ الآية [الإخلاص: ٢، ٣]. قال محمد بن كعب القرظيّ: لم يلد إلى آخره: تفسيرٌ للصَّمد، وهو في القرآن كثير. قال ابن جنّي: ومتى كانت الجملة تفسيراً لم يحسُن الوقف على ما قبلها دونها؛ لأن تفسير الشيء لاحِقٌ به ومتمّم له وجارٍ مجرى بعض أجْزَائِهِ.

النوع الثالث عشر: وضع الظاهر موضع المضمر:

ورأيت فيه تأليفاً مفرداً لابن الصائغ. وله فوائد:

منها: زيادة التقرير والتمكين، نحو: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١، ٢]. والأصل: هو الصمد. ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر: ٦١]، ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٨].

ومنها: قصد التعظيم، نحو: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦].

= وأما الفقه، فإن الكفارات وجبت متتابعة، ولما فصل هاهنا بينهما بالإفطار، قيد ليعلم أنها كالمتصلة، وأما النحو، فإن الواو قد يذكر مع الشيء في العطف، والمراد به أحدهما كقوله: ﴿مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ فقيد، ليعلم أنهما كليهما مرادان. وأما اللغة فإن السبع يذكر والمراد به الكثرة، لا العدد الذي فوق الستِّ ودون الثمان، وأما المعنى فإن الثلاثة لما عطفت عليها سبعة، احتمل أن تكون بعدها ثالثة، فقيّد بالعشرة ليعلم أنها كملت. وأما الحساب فإن السبعة المذكورة عقيب الثلاثة تحتمل أن تكون مع الثلاثة كما في قوله: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾، أي: مع اليومين اللذين ذكرا في قوله: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾. ولا بُدَّ من هذا لدفع التناقض في الآية، فقيد بقوله: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ ليعلم أنها سواها. والثاني: أن عادة الحساب قد جرت بذكر الجملة بعد التفصيل.

(١) انظر: «الأسماء والصفات» للبيهقي ١/ ٩٣.

ومنها: قصد الإهانة والتحقير، نحو: ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩]. ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ﴾ [الإسراء: ٥٣].

ومنها إزالة اللَّبس حيث يوهم الضميرُ أنه غير الأوّل: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ﴾ [آل عمران: ٢٦]؛ لو قال: (تؤتيه) لأوهم أنه الأول، قاله ابن الخشّاب. ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ [الفتح: ٦]؛ لأنه لو قال: (عليهم دائرته) لأوهم أن الضمير عائد إلى الله تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ [يوسف: ٧٦]؛ لم يقل (منه)؛ لئلا يُتوهَّم عود الضمير إلى الأخ، فيصير كأنه مباشر بطلب خروجها، وليس كذلك؛ لما في المباشرة من الأذى الذي تأباه النفوس الأبيّة، فأُعيد لفظ الظاهر لنفي هذا، ولم يقل (من وعائه)؛ لئلا يُتوهم عود الضمير إلى يوسف؛ لأنَّ العائد عليه ضمير ﴿اسْتَخْرَجَهَا﴾.

ومنها: قصد تربية المهابة، وإدخال الرّوع على ضمير السامع، بذكر الاسم المقتضي لذلك، كما تقول: الخليفة أمير المؤمنين يأمرك بكذا. ومنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ [النحل: ٩٠].

ومنها: قصد تقوية داعية المأمور، ومنه: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ومنها: تعظيم الأمر، نحو: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [العنكبوت: ١٩]. ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]. ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾ [الإنسان: ١، ٢].

ومنها: الاستلذاذ بذكره، ومنه: ﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ [الزمر: ٧٤]؛ لم يقل: (منها) ولهذا عدَل عن ذكر الأرض إلى الجنة.

ومنها: قصدُ التوصّل من الظاهر إلى الوصف، ومنه: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ بعد قوله: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٥٨]؛ لم يقل: (فآمنُوا بالله وبي) ليتمكن من إجراء الصفات التي ذكرها، وليعلم أنَّ الذي وجب الإيمان به والاتباع له هو مَنْ وُصِف بهذه الصفات، ولو أتى بالضمير لم يمكن ذلك، لأنه لا يُوصف.

ومنها: التنبيه على عِلّية الحكم، نحو: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا﴾ [البقرة: ٥٩]. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]؛ لم يقل: (لهم) إعلاماً بأن من عادى هؤلاء فهو كافر، وأنَّ الله إنَّما عاداه لكفره. ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ١٧]. ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

ومنها: قصد العموم، نحو: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ﴾ [يوسف: ٥٣]؛ لم يقل: (إنَّها)؛ لئلّا يفهم تخصيص ذلك بنفسه، ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٥١].

ومنها: قصد الخصوص، نحو: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠]؛ لم يقل: (لك) تصريحاً بأنه خاصٌّ به.

ومنها: الإشارة إلى عدم دخول الجملة في حكم الأولى، نحو: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ [الشورى: ٢٤]. فإن ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ﴾ استئناف لا داخلٌ في حكم الشرط.

ومنها: مراعاة الجناس، ومنه: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ . . .﴾. السورةَ، ذكره الشيخ عز الدين، ومثَّله ابنُ الصائغ بقوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢]، ثم قال: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾؛ فإن المراد بالإنسان الأولِ: الجنسُ. وبالثاني: آدمُ، أو: مَن يعلم الكتابة، أو إدريس. وبالثالث: أبو جهل.

ومنها: مراعاة الترصيع وتوازن الألفاظ في التركيب، ذكره بعضُهم في قوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ومنها: أن يتحمَّل ضميراً لا بدَّ منه؛ ومنه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾ [الكهف: ٧٧]؛ لو قال: (استطعماها) لم يصحّ، لأنهما لم يستطعما القرية، أو (استطعماهم) فكذلك، لأن جملة (استطعما) صفة لقرية النكرة، لا لـ (أهل)، فلا بدَّ أن يكون فيها ضمير يعود عليها، ولا يمكن إلّا مع التصريح بالظاهر. كذا حرَّره السبكيّ في جواب سؤال سأله الصلاح الصفدي[1] في ذلك حيث قال:

أسيِّدَنا قاضي القضاة ومَنْ إذا ... بدَا وجهُه استحيا له القمرانِ
ومَنْ كفُّه يوم الندَى ويَراعُه ... على طِرْسِه بَحْرانِ يلتقيانِ
ومن إن دَجَتْ في المشكلات مسائلٌ ... جَلاها بفكرٍ دائمِ اللَّمَعَانِ
رأيتُ كتابَ الله أكبرَ معجِزٍ ... لأفضلَ مَنْ يُهْدَى به الثقلانِ
ومن جملة الإعجاز كون اختصارِهِ ... بإيجاز ألفاظٍ وبَسْطِ معانِ
ولكنَّني في الكهف أبصرتُ آيةً ... بها الفِكْرُ في طول الزَّمان عَنانِي
وما هي إلّا ﴿ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾ فقد ... نرَى استطعماهم مثله بِبَيانِ
فما الحكمةُ الغرَّاءُ في وضع ظاهرٍ ... مكان ضمير؟ إن ذاك لِشانِ
فأرشدْ علَى عادات فضلك حيْرتي ... فما لِي بها عند البيان يَدانِ

تنبيه: إعادة الظاهر بمعناه أحسن من إعادته بلفظه كما مرَّ في آيات: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠]. ونحوها.

ومنه: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾

---

(١) الصَّفَدي: خليل بن أَيْبُك، صلاح الدين، أديب مؤرخ كثيرُ التصانيف (ت: ٧٦٤هـ). «الدرر الكامنة» ٢/ ٨٧، «طبقات الشافعية» ٦/ ٩٤.

﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [البقرة: ١٠٥]؛ فإن إنزال الخير مناسب للربوبية، وأعاده بلفظ (الله)؛ لأن تخصيص الناس بالخير دون غيرهم مناسبٌ للإلهية؛ لأن دائرة الربوبية أوسعُ.

ومنه: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ إلى قوله: ﴿بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١].

وإعادته في جملة أخرى أحسنُ منه في الجملة الواحدة لانفصالها، وبعد الطول أحسن من الإضمار، لئلا يبقى الذهن متشاغلاً بسبب ما يعود عليه، فيفوته ما شرع فيه، كقوله: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ٨٣] بعد قوله: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ [الأنعام: ٧٤].

النوع الرابع عشر: الإيغال، وهو الإمعان:

وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتمّ المعنى بدونها، وزعم بعضهم أنه خاصّ بالشعر، ورُدَّ: بأنَّه وقع في القرآن من ذلك: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [يس: ٢٠، ٢١]، فقوله: ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ إيغال؛ لأنَّه يتمّ المعنى بدونه، إذ الرسول مهتدٍ لا محالة، لكن فيه زيادة مبالغة في الحث على اتباع الرسل والترغيب فيه.

وجعل ابن أبي الإصبع منه: ﴿وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ﴾ [النمل: ٨٠]؛ فإن قوله: ﴿إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ﴾ زائد على المعنى، مبالغة في عدم انتفاعهم ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] زائد على المعنى، لمدح المؤمنين والتعريض بالذم لليهود، وأنهم بعيدون عن الإيقان. ﴿إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣]، فقوله: ﴿مِّثۡلَ مَآ﴾ إلى آخره.. إيغال زائد على المعنى، لتحقيق هذا الوعد، وأنه واقع معلوم ضرورة، لا يرتاب فيه أحد.

النوع الخامس عشر: التَّذييل:

وهو أن يؤتى بجملة عَقِبَ جملة، والثانية تشتمل على المعنى الأول، لتأكيد منطوقه أو مفهومه، ليظهر المعنى لمن لم يفهمه، ويتقرَّر عند من فهمه. نحو: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧]، ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ [الأنبياء: ٣٥]. ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ [فاطر: ١٤].

النوع السادس: الطَّرد والعكس:

قال الطِّيبيّ: وهو أن يؤتى بكلامين، يقرِّر الأوَّل بمنطوقه مفهومَ الثاني وبالعكس، كقوله: ﴿لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ﴾ إلى قوله: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ﴾ [النور: ٥٨]. فمنطوق الأمر بالاستئذان في تلك الأوقات خاصَّةً مقرِّرٌ لمفهوم رفع الجناح فيما عداها، وبالعكس. وكذا قوله: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

قلت: وهذا النوع يقابله في الإيجاز نوعُ الاحتباك.

النوع السابع عشر: التكميل:

ويسمَّى بالاحتراس، وهو أن يؤتَى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم، نحو: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]. فإنَّه لو اقتصر على ﴿أَذِلَّةٍ﴾ لَتُوهِّم أنه لضعفهم، فدفعه بقوله: ﴿أَعِزَّةٍ﴾. ومثله: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]. لو اقتصر على (أَشدَّاء) لَتُوُهِّمَ أنه لغلظهم.

﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [طه: ٢٢]، ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨] احتراس، لئلا يُتَوهَّم نسبة الظلم إلى سليمان. ومثله: ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الفتح: ٢٥]. وكذا: ﴿قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]. فالجملة الوسطى احتراس، لئلَّا يُتوهم أن التكذيب مما في نفس الأمر.

قال في «**عروس الأفراح**»[1]: فإن قيل: كلّ من ذلك أفاد معنى جديداً، فلا يكون إطناباً، قلنا: هو إطناب لما قبله من حيث رفع توهّم غيره، وإن كان له معنى في نفسه.

النوع الثامن عشر: التتميم:

وهو أن يؤتَى في كلام لا يوهِم غير المراد بفضلة تفيد نكتة، كالمبالغة في قوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الإنسان: ٨]، أي: مع حب الطعام، أي: اشتهائه؛ فإنَّ الإطعام حينئذ أبلغ وأكثر أجراً. ومثله: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [البقرة: ١٧٧]. ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ﴾ [طه: ١١٢]، فقوله: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ تتميم في غاية الحسن.

النوع التاسع عشر: الاستقصاء:

وهو أن يتناول المتكلم معنىً فيستقصيه، فيأتي بجميع عوارضه ولوازمه بعد أن يستقصي جميع أوصافه الذاتية، بحيث لا يترك لمن يتناوله بعده فيه مقالاً، كقوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ ...﴾ الآية [البقرة: ٢٦٦]، فإنَّه تعالى لو اقتصر على قوله: ﴿جَنَّةٌ﴾ لكان كافياً، فلم يقف عند ذلك حتى قال في تفسيرها: ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ فإن مصاب صاحبها بها أعظمُ، ثم زاد: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ متمِّماً لوصفها بذلك، ثم كَمَّل وصفَها بعد التتميمين فقال: ﴿لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ فأتى بكل ما يكون في الجنان ليشتدَّ الأسف على إفسادها، ثم قال في وصف صاحبها: ﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾، ثم استقصى المعنى في ذلك بما يوجب تعظيمَ المصاب، بقوله بعد وصفه بالكِبَر: ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ﴾، ولم يقف عند ذلك حتى وصف الذرية بـ ﴿ضُعَفَآءُ﴾، ثم ذكر استئصال الجنة ـ التي ليس لهذا المصاب غيرها ـ بالهلاك في أسرع وقت حيث قال: ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ﴾، ولم يقتصر على ذكره، للعلم بأنه لا يحصل به سرعة الهلاك، فقال: ﴿فِيهِ نَارٌ﴾، ثم لم يقف عند ذلك حتى أخبر باحتراقها، لاحتمال أن تكون النار ضعيفة لا تفي باحتراقها، لما فيها من الأنهار ورطوبة الأشجار، فاحترس عن هذا الاحتمال بقوله: ﴿فَٱحْتَرَقَتْ﴾ فهذا أحسنُ استقصاء وقع في كلام وأتمّه وأكمله.

---

(١) «عروس الأفراح» ١/ ٦٠٨.

قال ابن أبي الإصبع: والفرق بين الاستقصاء والتتميم والتكميل: أن التتميم يرد على المعنى الناقص ليتمّم، والتكميل يرد على المعنى التام فيكمّل أوصافه، والاستقصاء يرد على المعنى التام الكامل فيستقصي لوازمه وعوارضه وأوصافه وأسبابه، حتى يستوعبَ جميع ما تقع الخواطر عليه، فلا يبقى لأحد فيه مساغ.

النوع العشرون: الاعتراض:

وسمَّاه قدامة[١]: التفاتاً، وهو: الإتيان بجملة أو أكثر لا محلَّ لها من الإعراب، في أثناء كلام أو كلامين اتصلا معنى، لنكتة غير دفع الإيهام؛ كقوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧]. فقوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ اعتراض لتنزيه الله سبحانه وتعالى عن البنات، والشناعة على جاعليها. وقوله: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]؛ فجملة الاستثناء اعتراض للتبرُّك.

ومن وقوعه بأكثر من جملة: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٢ ـ ٢٢٣]؛ فقوله: ﴿نِسَآؤُكُمْ﴾ متصل بقوله: ﴿فَأْتُوهُنَّ﴾؛ لأنه بيان له، وما بينهما اعتراض للحثِّ على الطهارة وتجنّب الأدبار.

وقوله: ﴿يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾ إلى قوله: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾ [هود: ٤٤] فيه اعتراض بثلاث جمل، وهي: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾ قال في «**الأقصى القريب**»: ونكتته إفادة أن هذا الأمر واقع بين القولين لا محالة، ولو أتى به آخراً لكان الظاهر تأخُّره، فبتوسّطه ظهر كونُه غير متأخِّر. ثم فيه اعتراض في اعتراض، فإنَّ ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ معترض بين ﴿وَغِيضَ﴾ و﴿وَٱسْتَوَتْ﴾؛ لأن الاستواء يحصُل عقب الغيض.

وقوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ إلى قوله: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ﴾ [الرحمن: ٤٦ ـ ٥٤] فيه اعتراض بسبع جمل إذا أعرب حالاً منه.

ومن وقوع اعتراض في اعتراض: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٥ ـ ٧٧]. اعتراض بين القَسَم وجوابه بقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ . . .﴾ الآية. وبين القسم وصفته بقوله: ﴿لَّوْ تَعْلَمُونَ﴾ تعظيماً للمقسَم به وتحقيقاً لإجلاله، وإعلاماً لهم بأن له عظمة لا يعلمونها.

قال الطيبيّ في «**التبيان**»[٢]: ووجه حسن الاعتراض حسن الإفادة، مع أن مجيئه مجيء ما لا يُترقَّب، فيكون كالحسنة تأتيك من حيث لا تحتسب.

---

(١) قُدامة بنُ جعفر البغدادي، أبو الفرج، من البلغاء الفصحاء المتقدمين في المنطق والفلسفة. له: «جواهر الألفاظ» (ت: ٣٣٧هـ). «النجوم الزاهرة» ٣/ ٢٩٧، مقدمة «جواهر الألفاظ».

(٢) «التبيان في البيان» ص٣١٨.

النوع الحادي والعشرون: التعليل:

وفائدته: التقرير والأبلغية، فإنَّ النفوس أبعثُ على قبول الأحكام المعلَّلة من غيرها، وغالب **التعليل** في القرآن على تقدير جواب سؤالٍ اقتضته الجملة الأولى.

وحروفه: اللَّام ، وإن، وأنْ، وإذ، والباء، وكي، ومن، ولعلَّ، وقد مضت أمثلتها في نوع الأدوات.

وممَّا يقتضي التعليل لفظ (الحكمة) كقوله: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ [القمر: ٥]. وذكر الغاية من الخلْق، نحو قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ [البقرة: ٢٢]. ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٦، ٧].

۞ ۞ ۞

النوع السابع والخمسون

في الخبر والإنشاء

اعلم أنَّ الحذَّاق من النحاة وغيرهم، وأهل البيان قاطبةً على انحصار الكلام فيهما، وأنه ليس له قسم ثالث.

وادَّعى قوم: أنّ أقسام الكلام عشرة: نداء، ومسألة، وأمر، وتشفُّع، وتعجُّب، وقَسَم، وشرط، ووضع، وشك، واستفهام.

وقيل: تسعة، بإسقاط الاستفهام لدخوله في المسألة.

وقيل: ثمانية، بإسقاط التشفع لدخوله فيها.

وقيل: سبعة، بإسقاط الشكِّ لأنه من قسم الخبر.

وقال الأخفش: هي ستة: خبر، واستخبار، وأمر، ونهي، ونداء، وتمَنٍّ.

وقال بعضهم: خمسة: خبر، وأمر، وتصريح، وطلب، ونداء.

وقال قوم: أربعة: خبر، واستخبار، وطلب، ونداء.

وقال كثيرون: ثلاثة: خبر، وطلب، وإنشاء. قالوا: لأن الكلام إمّا أن يحتمِل التصديق والتكذيب أو لَا. الأول: الخبر، والثاني: إن اقترن معناه بلفظه فهو الإنشاء، وإن لم يقترن بل تأَخَّرَ عنه فهو الطلب. والمحققون على دخول الطلب في الإنشاء، وأنَّ معنى (اضرب) مثلاً ـ وهو طلب الضرب ـ مقترن بلفظه، وأمَّا الضرب الذي يوجد بعد ذلك فهو متعلَّق الطلب لا نفسه.

وقد اختلف الناس في حدِّ الخبر: فقيل: لا يُحَدُّ لِعُسْرِه، وقيل: لأنه ضروريّ، لأن الإنسان يفرِّق بين الإنشاء والخبر ضرورةً. ورجَّحه الإمام في «**المحصول**»[1].

والأكثر على حدّه، قال القاضي أبو بكر والمعتزلةُ: الخبر: الكلام الذي يدخله الصدقُ والكذب. فأُورِد عليه: خبر الله تعالى، فإنه لا يكون إلّا صادقاً؟ فأجاب القاضي بأنَّه يصحُّ دخولُه لغةً.

وقيل: الذي يدخله التصديق والتكذيب، وهو سالم من الإيراد المذكور.

وقال أبو الحسن البصريّ: كلام يفيد بنفسِه نسبةً. فأُورِد عليه، نحو (قم)، فإنَّه يدخل في الحدِّ؛ لأن القيام منسوبٌ والطلبَ منسوب.

وقيل: الكلام المفيد بنفسه إضافةَ أمرٍ من الأمور إلى أمرٍ من الأمور: نفياً أو إثباتاً.

وقيل: القول المقتضي بصريحه نسبةَ معلومٍ إلى معلومٍ بالنفي أو الإثبات.

---

(١) «المحصول في علم أصول الفقه» فخر الدين الرازي ٤/ ٢٢١ الكلام في الأخبار.

وقال بعض المتأخرين: الإنشاء ما يحصل مدلوله في الخارج بالكلام، والخبر خلافه.

وقال بعضُ من جعل الأقسام ثلاثة:

الكلام إن أفاد بالوضع طلباً، فلا يخلُو: إمَّا أن يكون بطلب ذكر الماهيَّة، أو تحصيلها، أو الكفّ عنها. والأول الاستفهامُ، والثاني الأمرُ، والثالث النهيُ.

وإن لم يُفِدْ طلباً بالوضع: فإن لم يحتمل الصدق والكذب سُمِّيَ تنبيهاً وإنشاء، لأنك نَبَّهْتَ به على مقصودك، وأنشأته؛ أي: ابتكرتَه، من غير أن يكون موجوداً في الخارج، سواء أفاد طلباً باللازم كالتمنِّي والترجِّي والنداء والقَسَم، أم لا: كأنتِ طالق.

وإن احتملهما من حيثُ هو فهو الخبر.

فصل: القصد بالخبر إفادة المخاطَب، وقد يرد بمعنى الأمر، نحو: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وبمعنى النهي، نحو: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩].

وبمعنى الدعاء، نحو: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]؛ أي: أعِنَّا. ومنه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]، فإنه دعاء عليه. وكذا: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٠]، ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾ [المائدة: ٦٤].

وجعل منه قوم: ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: ٩٠]. قالوا: هو دعاء عليهم بضِيق صُدورهم عن قتال أحدٍ.

ونازع ابنُ العربيّ في قولهم: إن الخبر يرد بمعنى الأمر أو النهي، قال في قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ [البقرة: ١٩٧][(١)]: ليس نفياً لوجود الرَّفث، بل نفيٌ لمشروعيّته؛ فإنَّ الرفث يوجد من بعض الناس، وأخبارُ الله تعالى لا يجوز أن تقَع بخلاف مخبرِه، وإنما يرجع النفي إلى وجوده مشروعاً لا إلى وجوده محسوساً، كقوله: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. ومعناه: مشروعاً لا محسوساً، فإنا نجد مطلقات لا يتربّصن، فعاد النفيُ إلى الحكم الشرعيّ لا إلى الوجود الحسِّي. وكذا: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩]، أي: لا يمسّه أحد منهم شرعاً، فإن وُجد المسُّ فعلى خلاف حكم الشرع.

قال: وهذه الدّفينة التي فاتت العلماء، فقالوا: إن الخبر يكون بمعنى النهي، وما وجد ذلك قط، ولا يصحُّ أن يوجد؛ فإنهما مختلفان حقيقة ويتباينان وضعاً. انتهى.

فرع: من أقسامه على الأصحّ التعجبُ، قال ابن فارس: وهو تفضيل شيء على أضرابه.

وقال ابن الضائع[(٢)]: استعظام صفة، خرج بها المتعجّب منه عن نظائره.

وقال الزمخشريّ: معنى التَّعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين؛ لأن التعجُّب لا يكون إلّا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله.

---

(١) في «أحكام القرآن» ١/ ١٨٨، البقرة: ١٩٧.

(٢) ابن الضائع: علي بن محمد الإشبيلي الأندلسي، أبو الحسن، عالم بالعربية (ت: ٦٨٠هـ). «بغية الوعاة» ٣٥٤.

وقال الرُّمانيّ: المطلوب في التعجّب الإبهامُ؛ لأن مِن شأن الناس أن يتعجَّبوا ممَّا لا يُعْرَف سببه، فكلما استُبهم السببُ كان التعجّب أحسنَ.

قال: وأصل التعجّب إنَّما هو للمعنى الخفيّ سببُه، والصيغة الدَّالَّة عليه تسمَّى تعجُّباً، مجازاً.

قال: من أجل الإبهام لم تَعْمل (نعم) إلّا في الجنس من أجل التفخيم؛ ليقع التفسير على نحو التفخيم بالإضمار قبل الذكر.

ثم قد وضعوا للتعجُّب صِيَغاً من لفظه، وهي (ما أَفْعَل) و(أَفْعِل به) وصيغاً من غير لفظه، نحو (كَبُر) كقوله: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [الكهف: ٥]، ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الصف: ٣]، ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨].

قاعدة: قال المحقِّقون: إذا ورد التعجُّب من الله صُرِف إلى المخاطب، كقوله: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥]، أي: هؤلاء يجب أن يتعجَّب منهم. وإنما لا يُوصف تعالى بالتعجُّب؛ لأنه استعظامٌ يصحبه الجهل، وهو تعالى منزَّه عن ذلك، ولهذا تُعَبِّرُ جماعةٌ بالتعجيب بدلَه، أي: إنه تعجيب من الله للمخاطبين.

ونظير هذا مجيء الدعاء والترجّي منه تعالى، إنَّما هو بالنظر إلى ما تفهمه العرب، أي: هؤلاء ممّا يجب أن يقال لهم: عندكم هذا، ولذلك قال سيبويه في قوله: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]. المعنى: اذهبا على رجائكما وطَمَعِكما. وفي قوله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١]. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المطففين: ١٠]: لا نقول هذا دعاء، لأن الكلام بذلك قبيح، ولكن العرب إنَّما تكلَّموا بكلامهم وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنون، فكأنه قيل لهم: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾، أي: هؤلاء مما وجب هذا القول لهم؛ لأن هذا الكلام إنما يقال لصاحب الشرور والهلكة، فقيل: هؤلاء ممَّن دخل في الهَلَكة.

فرع: من أقسام الخبر: الوعد والوعيد: نحو: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ﴾ [فصلت: ٥٣]. ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]. وفي كلام ابن قُتَيبة[1] ما يوهم أنه إنشاء.

فرع: من أقسام الخبر النفيُ، بل هو شطرُ الكلام كلِّه. والفرق بينه وبين الجَحْد: أن النافي إن كان صادقاً سُمِّيَ كلامه نفياً ولا يسمَّى جَحْداً، وإن كان كاذباً سمِّيَ جحداً ونفياً أيضاً، فكلُّ جَحْد نفيٌ، وليس كلُّ نفي جَحْداً. ذكره أبو جعفر النحّاس وابن الشَّجَريّ وغيرهما.

مثال النفي: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ومثال الجَحْد: نفي فرعون وقومِه آياتِ موسى، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٣، ١٤].

---

(١) ابنُ قُتَيبة: عبد الله بن مسلم أبو محمد، من أئمة الأدب (ت: ٢٧٦هـ). «لسان الميزان» ٣/ ٣٥٧، «وفيات الأعيان» ١/ ٢٥١.

وأدوات النفي: لا، ولات، وليس، وما، وإنْ، ولم، ولمَّا.

وقد تقدَّمت معانيها وما افترقت فيه في نوع الأدوات.

ونُورد هنا فائدةً زائدة، قال الخويِّي: أصل أدوات النفي (لا) و(ما)، لأنَّ النفي إمَّا في الماضي وإمَّا في المستقبل، والاستقبال أكثرُ من الماضي أبداً، و(لا) أخفُّ من (ما) فوضعوا الأخفَّ للأكثر.

ثم إن النفي في الماضي: إمَّا أن يكون نفياً واحداً مستمرًّا، أو نفياً فيه أحكامٌ متعدِّدة، وكذلك النَّفي في المستقبل، فصار النفي على أربعة أقسام، واختاروا له أربع كلمات: ما، ولم، ولن، ولا. وأما إنْ، ولمّا فليسا بأصلين. فـ: «ما»، و«لا» في الماضي والمستقبل متقابلان، و«لم» كأنه مأخوذ من (لا) و(ما)؛ لأنَّ (لم) نفي للاستقبال لفظاً والمضيّ معنىً، فأخذ اللَّام من (لا) التي هي لنفي المستقبل، والميم من (ما) التي هي لنفي الماضي، وجمَع بينهما إشارةً إلى أن في (لم) إشارة إلى المستقبل والماضي، وقدم اللَّام على الميم إشارةً إلى أن (لا) هي أصل النفي؛ ولهذا يُنفى بها في أثناء الكلام، فيقال: لم يفعل زيد ولا عمرو. وأمَّا (لمَّا) فتركيب بعد تركيب، كأنه قال: (لم) و(ما) لتوكيد معنى النفي في الماضي، وتفيد الاستقبال أيضاً، ولهذا تفيد (لمَّا) الاستمرار.

تنبيهات:

الأول: زعم بعضهم أن شرْط صحة النفي عن الشيء صحَّة اتصاف المنفيّ عنه بذلك الشيء. وهو مردود بقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٢]، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]، ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ونظائره. والصَّواب: أن انتفاء الشيءِ عن الشيء قد يكون لكونه لا يمكن منه عقلاً، وقد يكون لكونه لا يقعُ منه مع إمكانه.

الثاني: نفي الذات الموصوفة: قد يكون نفياً للصفة دون الذات، وقد يكون نفياً للذَّات أيضاً.

من الأول: ﴿وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ [الأنبياء: ٨]، أي: بل هم جسد يأكلونه.

ومن الثاني: ﴿لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، أي: لا سؤال لهم أصلاً، فلا يحصُل منهم إلحاف. ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، أي: لا شفيع لهم أصلاً. ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، أي: لا شافعين لهم فتنفعهم شفاعتهم. بدليل: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٠].

ويسمَّى هذا النوع عند أهل البديع: نفي الشيء بإيجابه.

وعبارة ابن رَشِيق[1] في «تفسيره»: أن يكون الكلام ظاهره إيجابَ الشيء وباطنُه نفيَه، بأن ينفي ما هو من سببه كوصفه، وهو المنفيّ في الباطن. وعبارة غيره: أن يُنفى الشيء مقيَّداً، والمراد نفيه مطلقاً؛ مبالغةً في النفي وتأكيداً له.

ومنه: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، فإن (الإله مع الله) لا

---

(١) أحمد بن رشيق من أهل الأندلس، أديب (ت: ٤٤٢هـ). «بغية الملتمس» ١٦٦.

يكون إلَّا عن غير برهان. ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [البقرة: ٦١]، فإنَّ قتلهم لا يكون إلَّا بغير حقٍّ. ﴿رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢]، فإنها لا عمدَ لها أصلاً.

الثالث: قد ينفى الشيء رأساً، لعدم كمال وصفه، أو انتفاء ثمرته. كقوله في صفة أهل النار: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى: ١٣]، فنفى عنه الموتَ، لأنه ليس بموت صريح، ونفى عنه الحياةَ، لأنها ليست بحياة طيبة ولا نافعة.

﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨]، فإنَّ المعتزلة احتجُّوا بها على نفي الرؤية؛ فإن النظر في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] لا يستلزم الإبصار. ورُدَّ: بأن المعنى أنها تنظر إليه بإقبالها عليه، وليست تبصر شيئاً.

﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فإنَّه وصفهم أولاً بالعلم على سبيل التوكيد القَسَميّ، ثم نَفاه آخراً عنهم لعدم جريهم على موجب العلم. قاله السكاكيّ.

الرابع: قالوا: المجاز يصحُّ نفيه، بخلاف الحقيقة. وأُشكل على ذلك: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، فإنَّ المنفيّ فيه هو الحقيقة. وأجيب: بأنَّ المرادَ بالرَّمْي هنا المترتِّب عليه؛ وهو وصوله إلى الكفار، فالوارد عليه النفي هنا مجاز لا حقيقة، والتقدير: وما رميت خلقاً إذ رميت كسباً، أو ما رميت انتهاءً إذ رميت ابتداءً.

الخامس: نفي الاستطاعة: قد يراد به نفي القدرة والإمكان، وقد يراد به نفيُ الامتناع، وقد يراد به الوقوع بمشقَّة وكلفة.

من الأول: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ [يس: ٥٠]، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ [الأنبياء: ٤٠]، ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧].

ومن الثاني: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ [المائدة: ١١٢] على القراءتين(١)، أي: هل يفعل؟ أو هل تجيبنا إلى أن تسأل؟ فقد علموا أنه قادر على الإنزال، وأن عيسى قادر على السؤال.

ومن الثالث: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧].

قاعدة: نفي العامّ يدل على نفي الخاص، وثبوته لا يدلُّ على ثبوته، وثبوت الخاصّ يدل على ثبوت العام، ونفيه لا يدلُّ على نفيه، وشكَّ أن زيادة المفهوم من اللفظ توجب الالتذاذ به، فلذلك كان نفيُ العام أحسنَ من نفي الخاص، وإثباتُ الخاصّ أحسنَ من إثبات العام.

فالأول: كقوله: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٧]؛ لم يقل: (بضوئهم) بعد قوله: ﴿أَضَآءَتْ﴾؛ لأن النور أعمُّ من الضَّوء، إذ يقال على القليل والكثير، وإنَّما يقال الضوء على النور الكثير، ولذلك قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥]، ففي الضوء دلالة

---

(١) قراءة الكسائي وحده بالتاء ونصب الباء، واللام مدغمة في التاء. وقرأ الباقون: بالياء ورفع الباء. «السبعة...» ص٢٤٩.

على النور، فهو أخصّ منه، فعدمُه يوجب عدم الضوء، بخلاف العكس، والقصد إزالةُ النور عنهم أصلاً، ولذا قال عقبه: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ﴾.

ومنه: ﴿لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ﴾ [الأعراف: ٦١]؛ ولم يقل: (ضلال) كما قالوا: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ﴾ [الأعراف: ٦٠]؛ لأنها أعمُّ منه، فكان أبلغ في نفي الضلال. وعُبّر عن هذا: بأنَّ نفي الواحد يلزم منه نفي الجنس البتَّة، وبأنَّ نفيَ الأدنى يلزم منه نفيُ الأعلى.

والثاني: كقوله: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ولم يقل: (طولها)؛ لأن العرض أخصُّ؛ إذ كلّ ما له عَرْضٌ فله طول، ولا ينعكس.

ونظير هذه القاعدة: أن نفي المبالغة في الفعل لا يستلزم نفيَ أصل الفعل. وقد أشكل على هذا آيتان: قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]. وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

وأجيب عن الآية الأولى بأجوبة:

أحدها: أنَّ «ظلَّاماً» وإن كان للكثرة لكنه جيء به في مقابلة (العبيد) الذي هو جمعُ كثرةٍ ويرشِّحه أنه تعالى قال: ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩]. فقابل صيغة (فعَّال) بالجمع. وقال في آية أُخرى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الزمر: ٤٦]. فقابل صيغة (فاعل) الدالة على أصل الفعل بالواحد.

الثاني: أنَّه نفَى الظلمَ الكثير لينتفي القليلُ ضرورةً؛ لأن الذي يظلم، إنما يظلم لانتفاعه بالظلم، فإذا ترك الكثير مع زيادة نفعه فلأَنْ يترك القليل أوْلَى.

الثالث: أنَّه على النسبة، أي: بذي ظلم، حكاه ابن مالك عن المحققين.

الرابع: أنه أتى بمعنى (فاعل) لا كثرةَ فيه.

الخامس: أنَّ أقل القليل لو وَرَد منه تعالى لكان كثيراً، كما يقال: زلَّةُ العالِم كبيرةٌ.

السادس: أنَّه أراد: ليس بظالم، ليس بظالم، ليس بظالم؛ تأكيداً للنفي؛ فعبّر عن ذلك بـ: «ليس بظلَّام».

السابع: أنَّه ورد جواباً لمن قال: «ظلَّام». والتكرار إذا ورد جواباً لكلام خاصٍّ لم يكن له مفهوم.

الثامن: أنَّ صيغة المبالغة وغيرها في صفات الله سواء في الإثبات، فجرى النفي على ذلك.

التاسع: أنه قصد التعريضَ بأن ثَمَّ ظلَّاماً للعبيد من وُلاة الجَوْر.

ويجاب عن الثانية بهذه الأجوبة .**وبعاشر**: وهو مناسبة رؤوس الآي.

فائدة: قال صاحب «**الياقوتة**»: قال ثعلب والمبرّد: العرب إذا جاءت بين الكلامين بجحدين كان الكلام إخباراً، نحو: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ [الأنبياء: ٨]. والمعنى: إنَّما جعلناهم جسداً يأكلون الطعامَ، وإذا كان الجَحْد في أول الكلام كان جَحْداً حقيقيًّا، نحو: (ما زيد بخارج). وإذا كان في أوَّل الكلام جحدان كان أحدُهما زائداً، وعليه: ﴿فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ [الأحقاف: ٢٦] في أحد الأقوال.

فصل: من أقسام الإنشاءِ الاستفهامُ؛ وهو طلب الفهم، وهو بمعنى الاستخبار.

وقيل: الاستخبار ما سبق أولاً ولم يُفهم حقّ الفهم؛ فإذا سألت عنه ثانياً كان استفهاماً. حكاه ابن فارس في «**فقه اللغة**».

وأدواته: الهمزة، وهل، وما، ومَنْ، وأيّ، وكَمْ، وكيف، وأيْنَ، وأنّى، ومتى، وأيّان. ومرّت في الأدوات.

وقال ابن مالك في «**المصباح**»[(١)]: وما عدا الهمزة نائب عنها؛ ولكونه طلب ارتسام صورةٍ ما في الخارج في الذهن، لزم ألّا يكون حقيقةً إلّا إذا صدَر من شاكٍّ مصدِّق بإمكان الإعلام؛ فإنَّ غير الشاكّ إذا استفهم يلزم منه تحصيلُ الحاصل، وإذا لم يُصدّق بإمكان الإعلام انتفت عنه فائدة الاستفهام.

وقال بعض الأئمّة: وما جاء في القرآن على لفظ الاستفهام فإنّما يقع في خطاب الله، على معنى أنَّ المخاطب عنده عِلْم ذلك الإثبات أو النفي حاصل.

وقد تستعمل صيغة الاستفهام في غيره مجازاً، وألَّف في ذلك العلّامة شمس الدين بن الصائغ كتاباً سمّاه «**روض الأفهام في أقسام الاستفهام**». قال فيه: قد توسّعت العربُ فأخرجت الاستفهامَ عن حقيقته لمعان، أو أشربته تلك المعاني، ولا يختص التجوّز في ذلك بالهمزة، خلافاً للصفّار.

الأول: الإنكار، والمعنى فيه على النفي وما بعده منفي، ولذلك تصحبه (إلا) كقوله: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧]، وعُطِف عليه المنفيّ في قوله: ﴿فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [الروم: ٢٩]، أي: لا يهدي. ومنه: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]، ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [المؤمنون: ٤٧]، أي: لا نؤمن. ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ [الطور: ٣٩]، ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٢١]، أي: لا يكون هذا، ﴿أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ﴾ [الزخرف: ١٩]، أي: ما شهدوا ذلك.

وكثيراً ما يصحبه التكذيب، وهو في الماضي بمعنى (لم يكن)، وفي المستقبل بمعنى (لا يكون)، نحو: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ . . .﴾ الآية [الإسراء: ٤٠]، أي: لم يفعل ذلك، ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ [هود: ٢٨]، أي: لا يكون هذا الإلزام.

الثاني: التوبيخ، وجعله بعضُهم من قبيل الإنكار، إلّا أن الأولَ إنكارُ إبطالٍ، وهذا إنكارُ توبيخٍ، والمعنى على أن: ما بعده واقع جدير بأن ينفَى، فالنفي هنا غير قصدِيّ والإثباتُ قصدِيّ، عكس ما تقدم، ويعبّر عن ذلك بالتقريع أيضاً، نحو: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ [طه: ٩٣]، ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصافات: ٩٥]، ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [الصافات: ١٢٥].

وأكثر ما يقع التوبيخ في أمر ثابت ووُبّخ على فعله كما ذكر، ويقع على ترك فعل كان ينبغي أن يقع، كقوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [فاطر: ٣٧]، ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ﴾ [النساء: ٩٧].

---

(١) ص٨٤ من أقسام الإنشاء الاستفهامُ.

الثالث: التقرير، وهو حَمْل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقرَّ عنده. قال ابنُ جِنّي: ولا يستعمل ذلك بـ: هل، كما يستعمل بغيرها من أدوات الاستفهام. وقال الكنديّ: ذهب كثيرٌ من العلماء في قوله: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ﴾ [الشعراء: ٧٢، ٧٣] إلى أنَّ (هل) تشارك الهمزة في معنى التقرير والتوبيخ؛ إلَّا أني رأيت أبا عليّ[١] أبَى ذلك؛ وهو معذور، لأن ذلك من قبيل الإنكار.

ونقل أبو حَيَّان عن سيبويه: أن استفهام التقرير لا يكون بـ: هل، إنما يستعمل فيه الهمزة، ثم نقل عن بعضهم أن (هل) تأتي تقريراً، كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ٥].

والكلام مع التقرير موجب، ولذلك يعطف عليه صريح الموجب، ويعطف على صريح الموجب.

فالأول: كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ [الشرح: ١، ٢]. ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ﴾ [الضحى: ٦، ٧]. ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ﴾ [الفيل: ٢، ٣].

والثاني: نحو: ﴿أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا﴾ [النمل: ٨٤]، على ما قرره الجرجانيّ من جعلِها مثلَ: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

وحقيقة استفهام التقرير: أنه استفهام إنكار، والإنكار نفيٌ، وقد دخل على النفي، ونفيُ النفي إثباتٌ؛ ومن أمثلته: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦] .﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. وجعل منه الزمخشريّ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦].

الرابع: التعجُّب أو التعجيب، نحو: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨]، ﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ [النمل: ٢٠].

وقد اجتمع هذا القسم وسابقاه في قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ [البقرة: ٤٤]. قال الزمخشريّ[٢]: الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتَّعجّبِ من حالهم.

ويحتمل التعجّب والاستفهام الحقيقي: ﴿مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ﴾ [البقرة: ١٤٢].

الخامس: العتاب، كقوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]. قال ابن مسعود: ما كان بين إسلامهم وبين أن عوتبوا بهذه الآية إلَّا أربعُ سنين. أخرجه الحاكم. [(٢/ ٤٧٩) وهو صحيح].

ومن ألطفه ما عاتب الله به خيرَ خلقه ﷺ بقوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣]. ولم يتأدّب الزمخشريّ بأدب الله في هذه الآية على عادته في سوء الأدب.

السادس: التذكير، وفيه نوع اختصار، كقوله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾

---

(١) أبو علي الفارسي، الحسن بن أحمد، أحد الأئمة في علم العربية (ت: ٣٧٧هـ). «إنباه الرواة» ١/ ٢٧٣، «تاريخ بغداد» ٧/ ٢٧٥.

(٢) في «كشافه» ١/ ٢٧٧، البقرة: ٤٤.

[يس: ٦٠]، ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٣٣]، ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف: ٨٩].

السابع: الافتخار، نحو: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾ [الزخرف: ٥١].

الثامن: التفخيم، نحو: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ [الكهف: ٤٩].

التاسع: التهويل والتخويف، نحو: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾. ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾.

العاشر: عكسه، وهو التسهيل والتخفيف، نحو: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟﴾ [النساء: ٣٩].

الحادي عشر: التهديد والوعيد، نحو: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات: ١٦].

الثاني عشر: التكثير، نحو: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا﴾ [الأعراف: ٤].

الثالث عشر: التسوية، وهو الاستفهام الداخل على جملة يصحُّ حلول المصدر محلَّها، نحو: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة: ٦].

الرابع عشر: الأمر، نحو: ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ [آل عمران: ٢٠]، أي: أسلموا. ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، أي: انتهوا. ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: ٢٠]، أي: اصْبِروا.

«**الخامس عشر**»: التنبيه، وهو من أقسام الأمر، نحو: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥]، أي: انظر. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ [الحج: ٦٣]. ذكره صاحب «**الكشاف**»[1] عن سيبويه، ولذلك رفع الفعل في جوابه، وجعل منه قوله: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير: ٢٦]، للتنبيه على الضلال، وكذا: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠].

السادس عشر: الترغيب، نحو: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥]، ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم﴾ [الصف: ١٠].

السابع عشر: النهي، نحو: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ [التوبة: ١٣]، بدليل ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]، أي: لا تغترّ.

الثامن عشر: الدعاء، وهو كالنهي، إلَّا أنَّه من الأدنى إلى الأعلى، نحو: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، أي: لا تهلكنا.

التاسع عشر: الاسترشاد، نحو: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠].

العشرون: التَّمنِّي، نحو: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾ [الأعراف: ٥٣].

الحادي والعشرون: الاستبطاء، نحو: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤].

الثاني والعشرون: العرْض، نحو: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢].

الثالث والعشرون: التحضيض، نحو: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ﴾ [التوبة: ١٣].

---

(١) الزمخشري في «الكشاف» ٣/ ٢٠، الحج: ٦٣، الفرقان: ٤٥.

الرابع والعشرون: التجاهل، نحو: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [ص: ٨].

الخامس والعشرون: التعظيم، نحو: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

السادس والعشرون: التحقير، نحو: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣٦]. ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١]. ويحتمله وما قبله قراءة: (مَنْ فرعونُ) [الدخان: ٣١][1].

السابع والعشرون: الاكتفاء، نحو: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].

الثامن والعشرون: الاستبعاد، نحو: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر: ٢٣].

التاسع والعشرون: الإيناس، نحو: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ١٧].

الثلاثون: التهكُّم والاستهزاء، نحو: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ [هود: ٨٧]. ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾ [الصافات: ٩١، ٩٢].

الحادي والثلاثون: التأكيد لما سبق من معنى أداة الاستفهام قبله، كقوله: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ [الزمر: ١٩]. قال الموفَّق عبد اللطيف البغدادي[2]: أي: مَن حقَّ عليه كلمة العذاب فإنك لا تنقذه. فَمَنْ للشرط والفاء جواب الشرط، والهمزة في: ﴿أَفَأَنتَ﴾ دخلت مُعادة مؤكدة لطول الكلام، وهذا نوع من أنواعها.

وقال الزمخشريّ: الهمزة الثانية هي الأولى، كرّرت لتوكيد معنى الإنكار والاستبعاد.

الثاني والثلاثون: الإخبار، نحو: ﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا﴾ [النور: ٥٠]. ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان: ١].

تنبيهات:

الأول: هل يقال: إن معنى الاستفهام في هذه الأشياء موجود وانضمَّ إليه معنى آخر، أو تجرّد عن الاستفهام بالكلِّية؟

قال في «**عروس الأفراح**»[3]: محلّ نظر، قال: والذي يظهرُ: الأوّلُ.

قال: ويساعدُه قول التَّنوخيّ في «**الأقصى القريب**»: إن (لعلّ) تكون للاستفهام مع بقاء الترجّي.

قال: وممَّا يرجِّحه أنَّ الاستبطاء في قولك: كم أدعوك؟ معناه: أنَّ الدعاء وصل إلى حدٍّ لا أعلم عدده، فأنا أطلب أن أعلَم عدده. والعادة تقضي بأنَّ الشخص إنَّما يستفهم عن عدد ما صَدَر منه إذا كثُر فلم يعلمْه، وفي طلب فهْم عدده ما يُشعر بالاستبطاء.

---

(١) وهي قراءة شاذةٌ.

(٢) عبد اللطيف بن يوسف البغدادي، موفق الدين، من فلاسفة الإسلام وأحد العلماء المكثرين من التصنيف في الحكمة وعلم النفس والطب والتاريخ والبلدان والأدب (ت: ٦٢٩هـ). «شذرات الذهب» ٥/ ١٣٢، «فوات الوفيات» ٢/ ٧، «إنباه الرواة» ٢/ ١٩٣.

(٣) «عروس الأفراح» ١/ ٤٥٩.

وأمَّا التَّعجّب: فالاستفهام معه مستمرٌّ، فمن تعجّب من شيء فهو بلسان الحال سائلٌ عن سببه، فكأنه يقول: أيّ شيء عَرض لي في حال عدم رؤية الهدهد! وقد صرَّح في «**الكشاف**»[١] ببقاء الاستفهام في هذه الآية.

وأمَّا التنبيه على الضلال: فالاستفهام فيه حقيقيّ؛ لأن معنى أين تذهب؟ أخبرني إلى أيِّ مكان تذهب، فإني لا أعرف ذلك؟ وغايةُ الضلال لا يشعر بها إلى أين تنتهي.

وأمَّا التقرير: فإن قلنا: المراد به الحكم بثبُوته فهو خبر بأنَّ المذكور عقيب الأداة واقع، أو طلبُ إقرار المخاطَب به مع كون السائل يعلم، فهو استفهام يقرِّر المخاطَب، أي: يطلب منه أن يكون مقرًّا به. وفي كلام أهل الفنِّ ما يقتضي الاحتمالين، والثاني أظهر. وفي «**الإيضاح**»[٢] تصريح به، ولا بِدْعَ في صدور الاستفهام ممَّن يعلم المستفهَم عنه؛ لأنه طلب الفهم: إما طلب فهم المستفهم، أو وقوع فهمٍ لمن لم يفهم كائناً من كان.

وبهذا تنحلُّ إشكالات كثيرة في مواضع الاستفهام، ويظهر بالتأمُّل بقاء معنى الاستفهام مع كل أمر من الأمور المذكورة. انتهى ملخصاً.

الثاني: القاعدة، أن المنكَر يجب أن يَليَ الهمزة، وأشكل عليها قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ [الإسراء: ٤٠]، فإنَّ الذي يليهم هنا الإصفاء بالبنين وليس هو المنكر، إنما المنكر قولهم: إِنَّهُ اتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثاً.

وأُجيب: بأنَّ لفظ الإصفاء مُشعِرٌ بزعم أن البنات لغيرهم، أو بأنَّ المراد مجموعُ الجملتين. وينحلُّ منهما كلام واحد، والتقدير: أجَمَعَ بين الإصفاء بالبنين واتخاذ البنات؟

وأشْكَلُ منه قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤]؛ ووجه الإشكال: أنَّه لا جائز أن يكون المنكر أمر الناس بالبِرِّ فقط، كما تقتضيه القاعدة المذكورة، لأن أمر البرِّ ليس ممَّا ينكر. ولا نسيان النفس فقط؛ لأنه يصير ذكر أمر الناس بالبرِّ لا مدخلَ له. ولا مجموعَ الأمرين؛ لأنه يلزم أن تكون العبادة جزءَ المنكر. ولا نسيان النفس بشرطِ الأمر؛ لأن النسيان منكر مطلقاً، ولا يكون نسيان النفس حال الأمر أشدّ منه حال عدم الأمر؛ لأن المعصية لا تزداد بشاعتها بانضمامها إلى الطاعة؛ لأن جمهور العلماء على أن الأمر بالبرّ واجب، وإن كان الإنسان ناسياً لنفسه. وأمرُه لغيره بالبر كيف يضاعف بمعصية نسيان ولا يأتي الخير بالشر؟

قال في «**عروس الأفراح**»[٣]: ويجاب بأن فعل المعصية مع النَّهي عنها أفحش؛ لأنها تجعل حال الإنسان كالمتناقض، وتجعل القول كالمخالف للفعل، ولذلك كانت المعصية مع العلم أفحش منها مع الجهل. قال: ولكنَّ الجواب على أنَّ الطاعة الصِّرْفة: كيف تضاعف المعصية المقارنة لها من جنسها؟ فيه دقَّة.

---

(١) «الكشاف» ٣/ ١٤٢، النمل: ٢٠.

(٢) «الإيضاح» للقزويني ص١٠٨ و١١٣.

(٣) الشيخ بهاء الدين «عروس الأفراح» ١/ ٤٥٧.

فصل: من أقسام الإنشاء الأمر

وهو: طلب فعل غير كفٍّ. وصيغته: (افعل) و(ليفْعَلْ).

وهي حقيقة في الإيجاب، نحو: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]. ﴿فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ﴾ [النساء: ١٠٢].

وترد مجازاً لمعان أُخر، منها:

الندب: نحو: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

والإباحة، نحو: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ [النور: ٣٣]؛ نصّ الشافعي على أن الأمر فيه للإباحة. ومنه: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ﴾ [المائدة: ٢].

والدُّعاء: من السافل للعالي، نحو: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى﴾ [الأعراف: ١٥١].

والتهديد، نحو: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]، إذ ليس المراد الأمر بكل عمل شاؤوا.

والإهانة، نحو: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩].

والتسخير، أي: التذليل، نحو: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً﴾ [البقرة: ٦٥]. عبَّر به عن نقلهم من حالة إلى حالة إذلالاً لهم، فهو أخصُّ من الإهانة.

والتعجيز، نحو: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣]؛ إذ ليس المراد طلبَ ذلك منهم، بل إظهار عجزهم.

والامتنان نحو: ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾ [الأنعام: ١٤١].

والعجب، نحو: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الإسراء: ٤٨].

والتسوية، نحو: ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ﴾ [الطور: ١٦].

والإرشاد، نحو: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

والاحتقار، نحو: ﴿أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ [يونس: ٨٠].

والإنذار، نحو: ﴿قُلْ تَمَتَّعُواْ﴾ [إبراهيم: ٣٠].

والإكرام، نحو: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ [الحجر: ٤٦].

والتكوين، وهو أعمُّ من التسخير، نحو: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

والإنعام، أي: تذكير النعمة، نحو: ﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٤٢].

والتكذيب، نحو: ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ﴾ [آل عمران: ٩٣]، ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾ [الأنعام: ١٥٠].

والمشورة، نحو: ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافات: ١٠٢].

والاعتبار، نحو: ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾ [الأنعام: ٩٩].

والتعجب، نحو: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريم: ٣٨]. ذكره السكاكيّ في استعمال الإنشاء بمعنى الخبر.

فصل: ومن أقسامه النهيُ

وهو: طلب الكفّ عن فعل. وصيغتُه: (لا تفعل).

وهي حقيقة في التحريم.

وترد مجازاً لمعانٍ، منها:

الكراهة، نحو: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: ٣٧].

والدعاء، نحو: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ [آل عمران: ٨].

والإرشاد، نحو: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١].

والتسوية، نحو: ﴿أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟﴾ [الطور: ١٦].

والاحتقار والتقليل، نحو: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ . . .﴾ الآية [الحجر: ٨٨]، أي: فهو قليل حقير.

وبيان العاقبة، نحو: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، أي: عاقبة الجهاد الحياة لا الموت.

واليأس، نحو: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟﴾ [التوبة: ٦٦].

والإهانة، نحو: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

❁ ❁ ❁

فصل: ومن أقسامه التمني

وهو: طلب حصول شيءٍ على سبيل المحبة. ولا يُشترط إمكان المتمنَّى، بخلاف المترجَّى، لكن نُوزع في تسمية تمنِّي الحال طلباً بأنَّ: ما لا يتوقَّع كيف يُطْلَب؟

قال في «**عروس الأفراح**»(١) فالأحسن ما ذكره الإمام وأتباعه من أن التمنِّي والترجِّي والنداء والقَسَم ليس فيها طلب، بل هو تنبيه. ولا بِدْعَ في تسميته إنشاء. انتهى.

وقد بالغ قوم فجعلوا التَّمنِّي من قِسْم الخبر، وأن معناه النَّفي، والزمخشري ممن جزم بخلافه. ثم استشكل دخول التكذيب في جوابه في قوله: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧، ٢٨]. وأجاب بتضمنه معنى العِدَة، فتعلَّق به التكذيب.

وقال غيره: التَّمني لا يصحُّ فيه الكذب، وإنما الكذب في المتمنَّى الذي يترجَّح عند صاحبه وقوعه، فهو إذاً واردٌ على ذلك الاعتقاد الذي هو ظنٌّ، و هو خبر صحيح.

قال: وليس المعنى في قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ أن ما تمنّوا ليس بواقع، لأنه ورد في معرض الذَّمّ لهم، وليس في ذلك المتمنَّى ذمّ، بل التكذيب ورد على إخبارهم عن أنفسهم أنَّهم لا يكذبون، وأنهم يؤمنون.

---

(١) «عروس الأفراح» ١/ ٤٦٥.

وحرْفُ التَّمني الموضوع له (ليت)، نحو: ﴿يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ﴾ [الأنعام: ٢٧]، ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ﴾ [يس: ٢٦]، ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ﴾ [النساء: ٧٣].

وقد يُتمنّى بـ: «هَلْ» حيث يُعْلَم فقدُه، نحو: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ﴾ [الأعراف: ٥٣].

وبـ «لو»، نحو: ﴿فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ﴾ [الشعراء: ١٠٢]، ولذا نصب الفعل في جوابها.

وقد يتمنّى بـ (لَعلّ) في البعيد فتعطى حكم (ليت) في نصب الجواب، نحو: ﴿لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧].

❁ ❁ ❁

فصل ومن أقسامه الترجّي

نقل القرافي في «الفُروق»(١): الإجماعَ على أنه إنشاء، وفرّق بينه وبين التمني بأنَّهُ في الممكن، والتمنِّي فيه وفي المستحيل، وبأنَّ الترجّي في القريب والتمنّي في البعيد، وبأن الترجّي في المتوقّع والتّمنّي في غيره، وبأن التمني في المشقوق للنفس والترجّي في غيره.

وسمعت شيخنا العلامة الكافِيَجيّ يقول: الفرْقُ بين التمنّي وبين العَرْض، هو الفرق بينه وبين الترجّي.

وحرف الترجّي: لعلّ وعسى. وقد ترد مجازاً لتوقُّع محذور، ويسمّى الإشفاق، نحو: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ﴾ [الشورى: ١٧].

❁ ❁ ❁

فصل: ومن أقسامه النداء

وهو: طلب إقبال المدعوّ على الداعي بحرف نائب مناب (أدعو).

ويصحب في الأكثر الأمر والنهي، والغالب تقدّمه، نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]. ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ [الزمر: ١٦]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾ [المزمل: ١، ٢]، ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾ [هود: ٥٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ﴾ [الحجرات: ١]. وقد يتأخّر، نحو: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [النور: ٣١].

وقد يصحب الجملة الخبرية: فتعقبها جملة الأمر، نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾ [الحج، ٧٣]، ﴿وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ فَذَرُوهَا﴾ [هود: ٦٤]. وقد لا تعقبها، نحو: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ [الزخرف: ٦٨]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥]، ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ﴾ [يوسف: ١٠٠].

---

(١) «الفروق» ١/٩٨ وما بعدها، الفرق الثاني.

وقد تصحبه الاستفهامية، نحو: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ﴾ [مريم: ٤٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ [التحريم: ١]. ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ﴾ [غافر: ٤١].

وقد ترد صورة النداء لغيره مجازاً، كالإغراء والتحذير، وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا﴾ [الشمس: ١٣].

والاختصاص، كقوله: ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ﴾ [هود: ٧٣].

والتنبيه، كقوله: ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْ﴾ [النمل: ٢٥].

والتعجُّب، كقوله: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ﴾ [يس: ٣٠].

والتحسُّر، كقوله: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ: ٤٠].

قاعدة: أصل النداء بـ (يا) أن تكون للبعيد، حقيقة أو حكماً، وقد ينادَى بها القريب لنُكت:

منها: إظهار الحِرْص في وقوعه على إقبال المدعوّ، نحو: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ﴾ [القصص: ٣١].

ومنها: كون الخطاب المتلُوّ معتنىً به، نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١].

ومنها: قصد تعظيم شأن المدعوّ، نحو: ﴿يَٰرَبِّ﴾، وقد قال تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌۖ﴾ [البقرة: ١٨٦].

ومنها: قصد انحطاطه، كقول فرعون: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا﴾ [الإسراء: ١٠١].

فائدة: قال الزمخشريّ وغيره: كَثُر في القرآن النداءُ بـ (يا أيها) دون غيره؛ لأن فيه أوجهاً من التأكيد، وأسباباً من المبالغة:

منها: ما في (يا) من التأكيد والتنبيه، وما في (ها) من التنبيه، وما في التدرُّج من الإبهام في (أيّ) إلى التوضيح، والمقام يناسب المبالغة والتأكيد، لأن كلَّ ما نادى له عباده ـ من أوامره ونواهيه، وعظاته وزواجره، ووعْده ووعيده، ومن اقتصاص أخبار الأمم الماضية وغير ذلك، وممَّا أنطق الله به كتابه ـ أمور عظام، وخطوبٌ جسام، ومعانٍ واجب عليهم أن يتيقظوا لها، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها وهم غافلون، فاقتضى الحال أن ينادَوْا بالآكد الأبلغ.

فصل: ومن أقسامه: القَسَم

نقل القرافيُّ الإِجماعَ على أنه إنشاء. وفائدته: تأكيد الجملة الخبرية وتحقيقها عند السامع. وسيأتي بسط الكلام فيه في النوع السابع والستين.

فصل: ومن أقسامه: الشرط

النوع الثامن والخمسون

في بدائع القرآن

أفرده بالتصنيف ابنُ أبي الإِصبع[(١)]، فأورد فيه نحو مئة نوع، وهي: المجاز، والاستعارة، والتشبيه، والكناية، والإرداف، والتمثيل، والإيجازُ، والاتساع، والإشارة، والمساواة، والبسْط، والإيغال، والتتميم، والتَّكميل والاحتراس، والاستقصاء، والتذييل، والزيادة، والترديد، والتكرار، والتفسير، والإيضاح، ونفي الشيء بإيجابه، والمذهب الكلامي، والقول بالموجب، والمناقضة، والانتقال، والإسجال، والتسليم، والتمكين، والتوشيح، والتَّسهيم، وردّ العجُز على الصدر، وتشابه الأطراف، ولزوم ما لا يلزم، والتخيير، والتسجيع، والتسريع، والإيهام: وهو التورية، والاستخدام، والالتفات، والاطّراد، والانسجام، والإدماج، والافتنان، والاقتدار، وائتلاف اللفظ مع اللفظ، وائتلاف اللفظ مع المعنى، والاستدراك، والاستثناء، والاقتصاص، والإبدال، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، والتفويت، والتغاير، والتقسيم، والتدْبيج، والتنكيت، والتجريد، والتعديد، والترتيب، والترقي، والتدلي، والتضمين، والجناس، والجمع والتفريق، والجمع والتقسيم، والجمع مع التفريق والتقسيم، وجمع المؤتلف والمختلف، وحسن النَّسَق، وعتاب المرء نفسَه، والعكس، والعنوان، والفرائد، والقَسم، واللفّ والنشر، والمشاكلة، والمزاوجة، والمبالغة، والمطابقة، والمقابلة، والموارَبة، والمراجعة، والنَّزاهة، والإبداع، والمقارنة، وحسن الابتداء، وحسن الختام، وحسن التَّخلُّص، والاستطراد.

فأمَّا المجاز وما بعده إلى الإيضاح: فقد تقدَّم بعضها في أنواع مُفرَدة، وبعضها في نوع الإيجاز والإطناب مع أنواع أُخر، كالتعريض والاحتباك، والاكتفاء، والطَّرد، والعكس.

وأما نفي الشيء بإيجابه: فقد تقدَّم في النوع الذي قبل هذا.

وأما المذهب الكلاميّ والخمسة بعده، فستأتي في نوع الجدل مع أنواع أُخَر مزيدة.

وأما التَّمكين والثمانية بعده: فستأتي في أنواع الفواصل.

وأمَّا حسن التخلص والاستطراد: فسيأتيان في نوع المناسبات.

وأمَّا حسن الابتداء وبراعة الختام: فسيأتيان في نوعَي الفواتح والخواتم.

وها أنا أورد الباقي مع زوائدَ ونفائسَ لا توجد مجموعةً في غير هذا الكتاب.

الإيهام، ويدعى التورية: أن يُذكر لفظ له معنيان ـ إمَّا بالاشتراك، أو التواطؤ، أو الحقيقة والمجاز ـ أحدهما قريب والآخر بعيد، ويقصد البعيد، ويُورَّى عنه بالقريب، فيتوهّمه السامع من أول وهلة.

(١) هو كتاب «بديع القرآن»، وقد قام بتحقيقه الأستاذ حفني محمد شرف. ط: دار نهضة مصر.

قال الزمخشريّ: لا ترى باباً في البيان أدقَّ ولا ألطفَ من التورية، ولا أنفع ولا أعونَ على تعاطي تأويل المتشابهات في كلام الله ورسوله. قال: ومن أمثلتها: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، فإنَّ الاستواء على معنيين: الاستقرار في المكان، وهو المعنى القريب المورَّى به، الذي هو غيرُ مقصود، لتنزيهه تعالى عنه. والثَّاني: الاستيلاء والمُلْكُ، وهو المعنى البعيدُ المقصود، الذي وَرَّى عنه بالقريب المذكور. انتهى.

وهذه التورية تسمى مجرَّدة؛ لأنها لم يذكر فيها شيء من لوازم المورَّى به ولا المورَّى عنه.

ومنها: ما تُسمَّى مرشَّحة، وهي التي ذكِر فيها شيءٌ من لوازم هذا أو هذا. كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ﴾ [الذاريات: ٤٧]، فإنَّه يحتمِلُ الجَارحة وهو المورَّى به، وقد ذكر من لوازمه على جهة الترشيح البنيان، ويحتمل القوَّة والقُدْرَةَ، وهو البعيدُ المقصود.

قال ابنُ أبي الإِصبع في كتابه «**الإعجاز**»[1]: ومنها: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥]. فالضَّلال يحتمل: الحبَّ، وضدَّ الهدى. فاستعمل أولاد يعقوب ضدَّ الهُدَى توريةً عن الحُبّ.

﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس: ٩٢]. على تفسيره بالدِّرْع؛ فإنَّ البدن يطلق عليه وعلى الجسد، والمرادُ البعيدُ وهو الجسدُ.

قال: ومن ذلك قوله بعد ذكر أهل الكتاب من اليهود والنصارى حيث قال: ﴿وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٤٥]. ولما كان الخطاب لموسى من الجانب الغربي وتوجَّهت إليه اليهود، وتوجهت النصارى إلى المشرق، كانت قبلةُ الإسلام وسطاً بين القبلتين، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي: خياراً، وظاهرُ اللفظ يوهِم التوسُّط، مع ما يَعْضِدُه من توسّط قبلةِ المسلمين، صدق على لفظة (وسط) هاهنا أن يسمّي تعالى به لاحتمالها المعنيين. ولمَّا كان المرادُ أبعدَهما وهو الخيار، صَلَحت أن تكون من أمثلة التورية.

قلت: وهي مرشحة بلازم المورَّى عنه، وهو قوله: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]. فإنَّه من لوازم كونهم خياراً، أي: عُدولاً، والإتيان قبلها من قسم المجرَّدة.

ومن ذلك قوله: ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦]؛ فإنَّ النَّجم يطلق على الكوكب، ويرشِّحه له ذكر الشمس والقمر. وعلى مَا لا ساق له من النبات، وهو المعنى البعيدُ له، وهو المقصود في الآية.

ونقلتُ من خط شيخ الإسلام ابن حجر: أن من التورية في القرآن قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]. فإن ﴿كَآفَّةٗ﴾ بمعنى (مانع)، أي: تكفّهم عن الكفر والمعصية، والهاء للمبالغة، وهذا معنىً بعيد. والمعنى القريب المتبادر أن المراد جامعة بمعنى (جميعاً). لكن منَع من

(١) «بديع القرآن» ص١٠٢ باب التورية.

حمله على ذلك أن التأكيد يتراخى عن المؤكَّد، فكما لا تقول: رأيتُ جميعاً الناسَ، لا تقول رأيت كافةً الناسَ.

الاستخدام: هو والتورية أشرفُ أنواع البديع، وهما سِيّان، بل فضَّله بعضُهم عليها. ولهم فيه عبارتان.

إحداهما: أن يؤتَى بلفظ له معنيان فأكثر مراداً به أحد معانيه، ثم يؤتَى بضميره مراداً به المعنى الآخر. وهذه طريقة السكاكيّ وأتباعه.

والأخرى: أن يؤتَى بلفظ مشترك، ثم بلفظين، يفهم من أحدهما أحدُ المعنيين ومن الآخرِ الآخرُ. وهذه طريقة بَدْر الدين بن جماعة في «**المِصْباح**». ومشى عليها ابن أبي الإصبع[1]، ومثَّل له بقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨] الآية، فلفظ ﴿كِتَابٌ﴾ يحتمل الأمد المحتوم، والكتاب المكتوب، فلفظ ﴿أَجَلٍ﴾ يخدم المعنى الأول، و﴿يَمْحُوا﴾ يخدم الثاني.

ومثَّل غيره بقوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ . . .﴾ الآية [النساء: ٤٣]. فالصلاة تَحتمل أن يراد بها فعلها وموضعها، وقوله: ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣] يخدم الأول، و﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ [النساء: ٤٣] يخدم الثاني.

قيل: ولم يقع في القرآن على طريقة السكاكيّ.

قلت: وقد استخرجتُ بفكري آياتٍ على طريقته، منها قوله تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾ [النحل: ١]، فأمر الله يراد به: قيام الساعة، والعذاب، وبعثة النبي ﷺ. وقد أريد بلفظه الأخيرُ، كما أخرج ابن مردويه من طريق الضحَّاك عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾. قال: محمدٌ، وأُعيد الضمير عليه في: ﴿تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، مراداً به قيام الساعة والعذاب.

ومنها ـ وهي أظهرُها ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]. فإنَّ المراد به آدم، ثم أعاد عليه الضمير مراداً به ولَده فقال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٣].

ومنها: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]، ثم قال: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٢]، أي: أشياء أخر، لأن الأولين لم يسألوا عن الأشياء التي سأل عنها الصحابة، فنُهوا عن سؤالها.

الالتفات: نقلُ الكلام من أسلوب إلى آخر، أعني من التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخرَ منها، بعد التعبير بالأول. وهذا هو المشهور. وقال السكاكيّ: إمَّا ذلك، أو التعبير بأحدهما فيما حقُّه التعبيرُ بغيره.

وله فوائد:

منها: تطرية الكلام، وصيانة السمع عن الضَّجر والمَلال، لما جُبِلت عليه النفوس من حبّ التنقلات، والسآمة من الاستمرار على منوالٍ واحد، وهذه فائدته العامة.

---

(١) انظر «بديع القرآن» ص١٠٢ باب التورية.

ويختص كلّ موضع بنُكَتٍ ولطائفَ باختلاف محلِّه، كما سنبينه.

مثاله: من التكلم إلى الخطاب ـ ووجهُه: حثُّ السامع وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه، وأعطاه فضل عناية تخصيص بالمواجهة ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [يس: ٢٢]. والأصل (وإليه أُرجع)، فالتفت من التكلم إلى الخطاب. ونكتته: أنه أخرج الكلام في معرض مناصحته لنفسه وهو يريد نصْحَ قومه، تلطفاً وإعلاماً أنه يريد لهم ما يريد لنفسه، ثم التفت إليهم؛ لكونه في مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله تعالى.

كذا جعلوا هذه الآية من الالتفات، وفيه نظر؛ لأنه إنما يكون منه إذا قصد الإخبارَ عن نفسه في كلتا الجملتين، وهنا ليس كذلك، لجواز أن يريد بقوله: ﴿تُرۡجَعُونَ﴾ المخاطبين لا نفسه.

وأُجيب: بأنَّه لو كان المراد ذلك لما صَحَّ الاستفهامُ الإنكاري، لأن رجوع العَبْد إلى مولاه ليس بمستلزم أن يعبدَه غير ذلك الراجع. فالمعنى: كيف لا أعبد من إليه رجوعي، وإنَّما عدل عن (وإليه أرجع) إلى ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾؛ لأنه داخل فيهم، ومع ذلك أفاد فائدة حسنة، وهي: تنبيههم على أنه مثلُهم في وجوب عبادة مَن إليه الرجوعُ.

ومن أمثلته أيضاً: قوله تعالى: ﴿وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الأنعام: ٧١، ٧٢].

ومثاله من التكلم إلى الغيبة ـ ووجهه: أن يفهَم السامع أن هذا نمط المتكلم وقصده من السامع؛ حَضَر أو غاب، وأنه ليس في كلامه ممن يتلوّن ويتوجّه، ويبدي في الغيبة خلاف ما يبديه في الحضور ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ۝١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ [الفتح: ١، ٢]. والأصل (لنغفر لك). ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ [الكوثر: ١، ٢]. والأصل (لنا). ﴿أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ﴾ [الدخان: ٥، ٦]. والأصل (منَّا). ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، إلى قوله: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. والأصل (وبي) وعَدَل عنه لنكتتين: إحداهما: دفع التُّهَمة عن نفسه بالعصبيَّة لها، والأخرى: تنبيههم على استحقاقه الاتّباعَ بما اتصف به من الصفات المذكورة والخصائص المتلوَّة.

ومثاله من الخطاب إلى التكلّم لم يقع في القرآن، ومثّل له بعضُهم بقوله: ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ﴾ [طه: ٧٢]، ثم قال: ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا﴾ [طه: ٧٣]. وهذا المثال لا يصحُّ، لأن شرط الالتفات أن يكون المرادُ به واحداً.

ومثاله من الخطاب إلى الغيبة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾ [يونس: ٢٢]. والأصل (بكم). ونكتة العدول عن خطابهم إلى حكاية حالهم لغيرهم: التعجُّبُ من كفرهم وفعلهم، إذ لو استمرَّ على خطابهم لفاتت تلك الفائدة.

وقيل: لأن الخطاب أوَّلاً كان مع الناس مؤمنهم وكافرهم، بدليل: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ﴾ [يونس: ٢٢]. فلو كان (وجرين بكم) للزم الذمّ للجميع، فالتفت عن الأول للإشارة إلى اختصاصه بهؤلاء الذين شأنهم ما ذكره عنهم في آخر الآية، عدولاً من الخطاب العام إلى الخاص.

قلت: ورأيت عن بعض السلف في توجيهه عكسَ ذلك؛ وهو: أن الخطاب أوّله خاصٌّ وآخرُه عامٌّ. فأخرج ابنُ أبي حاتم[(١)] عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه قال في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [يونس: ٢٢]. قال: ذكَر الحديث عنهم، ثم حدَّث عن غيرهم، ولم يقل: (وجرين بكم)؛ لأنه قصد أن يجمعهم وغيرَهم، وجرين بهؤلاء وغيرهم من الخلْقِ. هذا عبارته. **فلله درُّ السلف ما كان أوقفهم على المعاني اللطيفة التي يدأب المتأخِّرون فيها زماناً طويلاً، ويُفنون فيها أعمارهم، ثم غايتهم أن يحوموا حول الحمى.**

وممَّا ذكر في توجيهه أيضاً: أنهم وقت الركوب حضروا، لأنهم خافوا الهلاك وغلبة الرياح، فخاطبهم خطاب الحاضرين، ثم لما جرتِ الرياح بما تشتهي السُّفن، وأمِنوا الهلاك، لم يبقَ حضورُهم كما كان، على عادة الإنسان أنّه إذا أمن، غاب قلبه عن ربه، فلما غابوا ذكّرهم الله بصيغة الغيبة. وهذه إشارة صوفية.

ومن أمثلته أيضاً: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩]. ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧]. ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ۝٧٠ يُطَافُ عَلَيْهِم﴾، والأصل (عليكم)، ثم قال: ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧٠، ٧١]، فكرَّر الالتفات.

ومثاله من الغيبة إلى التكلم: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَـٰهُ﴾ [فاطر: ٩]. ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا﴾ [فصلت: ١٢]. ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ﴾ ثم التفت ثانياً إلى الغيبة فقال: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وعلى قراءة الحسن (ليريَه)[(٢)] بالغيبة، يكون التفاتاً ثانياً من ﴿بَـٰرَكْنَا﴾، وفي ﴿ءَايَـٰتِنَآ﴾ التفات ثالث، وفي: ﴿إِنَّهُۥ﴾ التفات رابع.

قال الزمخشريّ[(٣)]: وفائدته في هذه الآيات وأمثالها التنبيه على التخصيص بالقدرة، وأنه لا يدخل تحت قدرة أحد.

ومثاله من الغيبة إلى الخطاب: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾ [مريم: ٨٨، ٨٩]. ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ [الأنعام: ٦]. ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ [الإنسان: ٢١، ٢٢]. ﴿إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

ومن محاسنه ما وقع في سورة الفاتحة: فإنَّ العبد إذا ذكر الله تعالى وحده، ثم ذكر صفاته التي كل صفة منها تبعث على شدة الإقبال، وآخرها: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ المفيد أنه مالك الأمر كلّه في يوم الجزاء، يجد من نفسه حاملاً لا يقدر على دفعه على خطاب مَنْ هذه صفاته: بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة في المهمات.

---

(١) في «تفسيره» ٦/١٩٣٨ (١٠٢٩٥)، يونس: ٢٢.

(٢) وهي قراءة شاذة.

(٣) في «كشافه» ٢/٤٣٧، الإسراء: ١.

وقيل: إنما اختير لفظ الغيبة للحمد، وللعبادة الخطاب، للإشارة إلى أن الحمد دون العبادة في الرتبة؛ لأنك تحمد نظيرك ولا تعبده، فاستعمل لفظ (الحمد) مع الغيبة، ولفظ (العبادة) مع الخطاب، لينسب إلى العظيم حال المخاطبة والمواجهة ما هو أعلى رتبة، وذلك على طريقة التأدُّب.

وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ مصرِّحاً بذكر المنعم وإسناد الإنعام إليه لفظاً، ولم يقل: (صراط المنعم عليهم) فلمَّا صار إلى ذكر الغضب زوى عنه لفظه، فلم ينسبه إليه لفظاً، وجاء باللفظ منحرفاً عن ذكر الغاضب، فلم يقل: (غير الذين غضبت عليهم) تفادياً عن نسبة الغضب إليه في اللَّفظ حال المواجهة.

وقيل: لأنه لمَّا ذكر الحقيق بالحمد، وأجرى عليه الصفات العظيمة ـ من كونه ربًّا للعالمين ورحماناً ورحيماً ومالكاً ليوم الدين ـ تعلَّق العلم بمعلوم عظيم الشأن، حقيق بأن يكون معبوداً دون غيره، مستعاناً به، فخوطب بذلك لتميّزه بالصفات المذكورة تعظيماً لشأنه، حتى كأنه قيل: إيَّاك يا من هذه صفاتُه نخصُّ بالعبادة والاستعانة، لا غيرك.

قيل: ومن لطائفه التنبيهُ على أنَّ مبتدأ الخلق الغيبة منهم عنه سبحانه وتعالى، وقصورهم عن محاضرته ومخاطبته، وقيام حجاب العظمة عليهم، فإذا عرفوه بما هُوَ لَهُ، وتوسَّلوا للقرب بالثناء عليه، وأقرُّوا بالمحامد له وتعبَّدوا له بما يليق بهم، تأهَّلوا لمخاطبته ومناجاته فقالوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

❁ ❁ ❁

تنبيهات

الأول: شرط الالتفات أن يكون الضمير في المنتقَل إليه عائداً في نفس الأمر إلى المنتقَل عنه، وإلَّا يلزم عليه أن يكون في (أنت صديقي) التفات.

الثاني: شرطه أيضاً أن يكون في جملتين؛ صرَّح به صاحب «**الكشاف**» وغيره، وإلَّا يلزم عليه أن يكون نوعاً غريباً.

الثالث: ذكر التَّنوخيّ في «**الأقصى القريب**» وابن الأثير وغيرهما: نوعاً غريباً من الالتفات، وهو بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله أو تكلمه، كقوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ بعد ﴿أَنْعَمْتَ﴾. فإنَّ المعنى: (غير الذين غضبت عليهم) وتوقَّف فيه صاحب «عروس الأفراح».

الرابع: قال ابن أبي الإصبع: جاء في القرآن من الالتفات قِسم غريب جدًّا، لم أظفر في الشعر بمثاله، وهو: أن يقدِّم المتكلم في كلامه مذكورين مرتبين، ثم يخبر عن الأول منهما، وينصرف عن الإخبار عنه إلى الإخبار عن الثاني، ثم يعود إلى الإخبار عن الأول. كقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ [العاديات: ٦، ٧]. انصرف عن الإخبار عن الإنسان إلى الإخبار عن ربه تعالى، ثم قال منصرفاً عن الإخبار عن ربه تعالى إلى الإخبار عن الإنسان: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨]. قال: وهذا يحسُن أن يُسمَّى التفاتَ الضمائر.

الخامس: يقرب من الالتفات نقل الكلام من خطاب الواحد أو الاثنين أو الجمع لخطاب الآخر، ذكره التنوخيّ وابنُ الأثير. وهو ستّة أقسام أيضاً:

مثاله من الواحد إلى الاثنين: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [يونس: ٧٨].

وإلى الجمع: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١].

ومن الاثنين إلى الواحد: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٩]. ﴿فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧].

وإلى الجمع: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ﴾ [يونس: ٨٧].

ومن الجمع إلى الواحد: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٧].

وإلى الاثنين: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٣٣، ٣٤].

السادس: ويقرب منه أيضاً الانتقال . . . من الماضي أو المضارع أو الأمر إلى آخر.

مثاله من الماضي إلى المضارع: ﴿أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ﴾ [فاطر: ٩]. ﴿خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ﴾ [الحج: ٣١]. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٢٥].

وإلى الأمر: ﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ [الأعراف: ٢٩]. ﴿وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱجۡتَنِبُواْ﴾ [الحج: ٣٠].

ومن المضارع إلى الماضي: ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ﴾ [النمل: ٨٧]. ﴿وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ﴾ [الكهف: ٤٧].

وإلى الأمر: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ﴾ [هود: ٥٤].

ومن الأمر إلى الماضي: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ﴾ [البقرة: ١٢٥].

وإلى المضارع: ﴿وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٧٢].

الاطراد: هو أن يذكر المتكلِّم أسماء آباء الممدوح مرتبّةً على حُكم ترتيبها في الولادة.

قال ابن أبي الإِصبع: ومنه في القرآن قوله تعالى حكايةً عن يوسف: ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ﴾ [يوسف: ٣٨]. قال: وإنّما لم يأت به على الترتيب المألوف؛ فإن العادة الابتداءُ بالأب ثم الجد ثم الجدِّ الأعلى، لأنه لم يَرِدْ هنا مجرَّد ذكر الآباء، وإنّما ذكرهم ليذكُر ملّتهم التي اتّبعها، فبدأ بصاحب الملّة، ثم بمن أخذها عنه، أولاً فأولاً على الترتيب.

ومثله قول أولاد يعقوب: ﴿نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

الانسجام: هو أن يكون الكلام ـ لخلوّه من الانعقاد ـ منحدراً كتحدُّر الماء المنسجم. ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يَسيل رقّةً. والقرآن كلُّه كذلك.

قال أهل البديع: وإذا قويَ الانسجام في النثر جاءت قراءته موزونة بلا قَصْد، لقوّة انسجامه. ومن ذلك ما وقع في القرآن موزوناً:

فمنه من بحر الطويل: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

ومن المديد: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧].

ومن البسيط: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥].

ومن الوافر: ﴿وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤].

ومن الكامل: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

ومن الهزج: ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا﴾ [يوسف: ٩٣].

ومن الرجز: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤].

ومن الرمل: ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ [سبأ: ١٣].

ومن السريع: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

ومن المنسرح: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الإنسان: ٢].

ومن الخفيف: ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨].

ومن المضارع: ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ [غافر: ٣٢، ٣٣].

ومن المقتضب: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة: ١٠].

ومن المجتثّ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩].

ومن المتقارب: ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣].

الإدماج: قال ابن أبي الإصبع: هو أن يُدمِج المتكلمُ غرضاً في غرضٍ، أو بديعاً في بديعٍ، بحيث لا يظهر في الكلام إلّا أحدُ الغرَضين أو أحد البديعين. كقوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [القصص: ٧٠]. أدمجت المبالغة في المطابقة، لانَّ انفراده تعالى بالحمد في الآخرة ـ وهي الوقت الذي لا يُحمد فيه سواه ـ مبالغة في الوصف بالانفراد بالحمد، وهو ـ وإن خرج مخرج المبالغة في الظاهر ـ فالأمر فيه حقيقة في الباطن، فإنه رب الحمد، والمنفرد به في الدارين. انتهى.

قلت: والأَوْلى أن يقال في هذه الآية: إنَّها من إدماج غرض في غرض؛ فإن الغرض منها تفرُّده تعالى بوصف الحمد، وأدمج فيه الإشارة إلى البعث والجزاء.

الافتنان: هو الإتيان في كلام بفنَّين مختلفين، كالجمع بين الفخر والتَّعزية في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]. فإنَّه تعالى عَزَّى جميع المخلوقات من الإنس والجن والملائكة وسائر أصناف ما هو قابل للحياة، وتمدّح بالبقاء بعد فناء الموجودات في عشر لفظات، مع وصفه ذاته ـ بعد انفراده بالبقاء ـ بالجلال والإكرام سبحانه وتعالى!

ومنه: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ الآية [مريم: ٧٢]، جمع فيها بين هناء وعَزاء.

الاقتدار: هو أن يُبرز المتكلم المعنى الواحدَ في عدَّة صور، اقتداراً منه على نظْمِ الكلام وتركيبه، وعلى صياغة قوالب المعاني والأغراض. فتارة: يأتي به في لفظ الاستعارة، وتارة في صورة الإرداف، وحيناً في مخرج الإيجاز، ومرَّة في قالب الحقيقة.

قال ابن أبي الإِصبع: وعلى هذا أتت جميعُ قصص القرآن، فإنك ترى القصة الواحدة التي لا تختلف معانيها تأتي في صور مختلفة، وقوالب من الألفاظ متعدِّدة، حتى لا تكاد تشتبه في موضعين منه، ولا بدَّ أن تجد الفرق بين صورها ظاهراً.

❁ ❁ ❁

ائتلاف اللفظ مع اللفظ وائتلافه مع المعنى

الأول: أن تكون الألفاظ يلائم بعضُها بعضاً، بأن يقرن الغريب بمثله والمتداول بمثله، رعايةً لحسن الجوار والمناسبة.

والثاني: أن تكون ألفاظ الكلام ملائمةً للمعنى المراد؛ فإن كان فخماً كانت ألفاظه فخمة، أو جزلاً فجزلةً، أو غريباً فغريبةً، أو متداولاً فمتداولةً، أو متوسطاً بين الغرابة والاستعمال فكذلك.

فالأول: كقوله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ [يوسف: ٨٥]. أتى بأغرب ألفاظ القَسَم وهي (التاء) فإنَّها أقلّ استعمالاً، وأبعدُ من أفهام العامة بالنسبة إلى الباء والواو. وبأغرب صيغ الأفعال التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار؛ فإنَّ (تزال) أقرب إلى الأفهام وأكثر استعمالاً منها، وبأغرب ألفاظ الهلاك وهو (الحَرَض). فاقتضى حسن الوضع في النظم أن تجاوَر كل لفظة بلفظةٍ من جنسها في الغرابة، توخّياً لحسن الجوار، ورعاية في ائتلاف المعاني بالألفاظ. ولتتعادل الألفاظ في الوضع وتتناسب في النظم. ولمَّا أراد غير ذلك قال: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ [الأنعام: ١٠٩]. فأتى بجميع الألفاظ متداوَلة لا غرابة فيها.

ومن الثاني قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣]. لمَّا كان الركون إلى الظالم ـ وهو الميل إليه والاعتماد عليه ـ دون مشاركته في الظلم، وجَب أن يكون العقاب عليه دون العقاب على الظلم، فأتى بلفظ (المسّ) الذي هو دون الإحراق والاِصطلاء.

وقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. أتى بلفظ (الاكتساب) المشعر بالكلفة والمبالغة في جانب السَّيئة لثقلها.

وكذا قوله: ﴿فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا﴾ [الشعراء: ٩٤]، فهو أبلغ من (كُبّوا) للإشارة إلى أنَّهم يُكَبُّون كبّاً عنيفاً فظيعاً.

﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ﴾ [فاطر: ٣٧]، فإنَّه أبلغ من (يصرخون) للإشارة إلى أنهم يصرُخون صُرَاخاً منكراً خارجاً عن الحدِّ المعتاد.

﴿أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٍ﴾ [القمر: ٤٢]، فإنَّه أبلغ من (قادر) للإشارة إلى زيادة التمكُّن في القدرة، وأنه لا رَادَّ له ولا معقِّب.

ومثل ذلك: ﴿وَٱصۡطَبِرۡ﴾ [مريم: ٦٥]، فإنَّه أبلغ من (اصبر).

و﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ فإنَّه أبلغ من ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾؛ فإنَّه يشعر باللطف والرفق، كما أن (الرحمن) مُشعر بالفخامة والعظمة.

ومنه الفرق بين سَقَى وأسقى، فإن (سَقَى) لِما لا كُلْفةَ معه في السُّقْيا، ولهذا أورده تعالى في شراب الجنة، فقال: ﴿وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]. و(أسقى) لما فيه كُلفةٌ، ولهذا أورده في شراب الدنيا، فقال: ﴿وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا﴾ [المرسلات: ٢٧]، ﴿لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا﴾ [الجن: ١٦]؛ لأن السقيا في الدنيا لا تخلُو من الكُلفة أبداً.

الاستدراك والاستثناء: شرط كونهما من البديع أن يتضمّنا ضرباً من المحاسن زائداً على ما يدُلُّ عليه المعنى اللغوي.

مثال الاستدراك: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ [الحجرات: ١٤]، فإنَّه لو اقتصر على قوله: ﴿لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ﴾ لكان منفِّراً لهم؛ لأنهم ظَنُّوا الإقرار بالشهادتين من غير اعتقادٍ إيماناً، فأوجبت البلاغةُ ذكرَ الاستدراك، ليُعلم أن الإيمان موافقةُ القلب اللسانَ، وإن انفرد اللسان بذلك يسمَّى إسلاماً، ولا يسمَّى إيماناً. وزاد ذلك إيضاحاً بقوله: ﴿وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ [الحجرات: ١٤]. فلمَّا تَضمَّنَ الاستدراك إيضاحَ ما عليه ظاهرُ الكلام مِنَ الإشكال عُدّ من المحاسن.

ومثال الاستثناء: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا﴾ [العنكبوت: ١٤]، فإن الإخبار عن هذه المدة بهذه الصيغة يمهِّد عُذْرَ نوحٍ في دعائه على قومه بدعوةٍ أهلكتهم عن آخرهم؛ إذ لو قيل: (فلبث فيهم تسعمِئةٍ وخمسين عاماً) لم يكن فيه من التهويل ما في الأوّل؛ لأن لفظ (الألف) في الأولِ أولُ ما يطرُق السمع، فَيُشْغَل بها عن سماع بقيَّة الكلام، وإذا جاء الاستثناء لم يبقَ له بعدما تقدَّمه وقعٌ يزيل ما حَصَل عنده من ذكر الألف.

الاقتصاص: ذكره ابن فارس، وهو: أن يكون كلامٌ في سورة مقتصاً من كلام في سورةٍ أخرى أو في تلك السورة، كقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]. والآخرة دار ثواب لا عمَل فيها. فهذا مُقْتَصٌّ من قوله: ﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ﴾ [طه: ٧٥].

ومنه: ﴿وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ﴾ [الصفات: ٥٧] مأخوذ من قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ﴾ [سبأ: ٣٨].

وقوله: ﴿وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١] مقتصّ من أربع آيات: لأن الأشهاد أربعة: الملائكة في قوله: ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ﴾ [ق: ٢١]، والأنبياء في قوله: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا﴾ [النساء: ٤١]، وأمة محمد في قوله: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، والأعضاءُ في قوله: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ﴾ الآية [النور: ٢٤].

وقوله: ﴿يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ﴾ [غافر: ٣٢]. قرئ مخفَّفاً ومشدَّداً، فالأول مأخوذ من قوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٤٤]، والثاني من قوله: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ﴾ [عبس: ٣٤].

الإبدال: هو إقامة بعض الحروف مقام بعض. وجعل منه ابن فارس: ﴿فَٱنفَلَقَ﴾، أي: انفرق، ولهذا قال: ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ﴾ [الشعراء: ٦٣]، فالرَّاء واللَّام متعاقبتان.

وعن الخليل[1] في قوله تعالى: ﴿فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ [الإسراء: ٥]. إنَّه أريد (فحاسوا) فجاءت الجيم مقام الحاء. وقد قرئ بالحاء أيضاً.

وجعل منه الفارسيّ: ﴿إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾ [ص: ٣٢]، أي: الخيل.

وجعل منه أبو عُبيدة: ﴿إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥]، أي: تصدِدَة.

تأكيد المدح بما يشبه الذَّم: قال ابن أبي الإصبع: هو في غاية العزة في القرآن[2]. قال: ولم أجد منه إلَّا آية واحدة، وهي قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ . . .﴾ الآية [المائدة: ٥٩]؛ فإنَّ الاستثناء ـ بعد الاستفهام الخارج مخرجَ التوبيخ على ما عابوا به المؤمنين من الإيمان ـ يُوهِم أن ما يأتي بعده ممَّا يوجب أن يُنْقَمَ على فاعله ممَّا يذمّ به، فلمَّا أتى بعد الاستثناء ما يوجِبُ مَدْحَ فاعله كان الكلامُ متضمّناً تأكِيدَ المدح بما يشبه الذَّم.

قلت: ونظيرها قوله: ﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [التوبة: ٧٤]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠]، فإن ظاهر الاستثناء أن ما بعده حق يقتضي الإخراج، فلمَّا كان صفةَ مدح يقتضي الإكرامَ لا الإخراج كان تأكيداً للمدح بما يشبه الذم.

وجعل منه التَّنوخيّ في «**الأقصى القريب**»: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦]. استثنى ﴿سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ الذي هو ضدّ اللّغو والتأثيم، فكان ذلك مؤكداً لانتفاء اللغو والتَّأثيم. انتهى.

التفويت: هو إتيان المتكلم بمعانٍ شتَّى من المدح والوصف، وغير ذلك من الفنون، كلُّ فن في جملة منفصلة عن أختها، مع تساوي الجمل في الزّنة. وتكون في الجمل الطويلة والمتوسطة والقصيرة.

فمن الطويلة: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨ ـ ٨١].

ومن المتوسطة: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [آل عمران: ٢٧].

قال ابن أبي الإصبع: ولم يأت المركَّب من القصيرة في القرآن.

التقسيم: هو استيفاء أقسام الشيء الموجودة، لا الممكنة عقلاً، نحو: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ

---

(١) الخليل بن أحمد الفَرَاهِيدي، من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض (ت: ١٧٠هـ). «إنباه الرواة» ١/ ٣٤١، «وفيات الأعيان» ١/ ١٧٢.

(٢) العزة: القلة. «القاموس المحيط»: عزز.

﴿ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الرعد: ١٢]، إذ ليس في رؤية البرق إلَّا الخوف من الصواعق والطمع في الأمطار؛ ولا ثالث لهذين القسمين.

وقوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢]، فإنَّ العالم لا يخلو من هذه الأقسام الثلاثة: إمَّا عاصٍ ظالمٌ لنفسه، وإمَّا سابق مبادر للخيرات، وإمَّا متوسِّط بينهما مقتصِدٌ فيها.

ونظيرها: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة: ٧ ـ ١٠].

وكذا قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [مريم: ٦٤]. استوفى أقسام الزمان، ولا رابع لها.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ [النور: ٤٥]. استوفى أقسام الخَلْق في المشي.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١]. استوفى جميع هيآت الذاكر.

وقوله: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠]. استوفى جميعَ أحوال المتزوِّجين، ولا خامس لها.

التدبيج: هو أن يذكر المتكلِّم ألواناً يقصِد التورية بها والكناية.

قال ابن أبي الإصبع: كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧].

قال: المراد بذلك ـ والله أعلم ـ الكنايةُ عن المشتَبه، والواضح من الطرق؛ لأن الجادَّة البيضاء هي الطريق التي كَثُر السلوك عليها جدّاً، وهي أوضحُ الطرق وأبينُها. ودونها الحمراء، ودون الحمراء السوداء؛ كأنها في الخفاء والالتباس ضدّ البيضاء في الظهور والوضوح. ولمَّا كانت هذه الألوان الثلاثة في الظهور للعين طرفين وواسطة، فالطرفُ الأعلى في الظهور البياضُ، والطرفُ الأدنى في الخفاء السوادُ، والأحمرُ بينهما، على وضع الألوان في التركيب، وكانت ألوان الجبال لا تخرج عن هذه الألوان الثلاثة، والهداية بكلِّ علم نصِب للهداية منقسمة هذه القسمة، أتت الآية الكريمة منقسمة كذلك، فحصَل فيها التدبيج وصحةُ التقسيم.

التنكيت: هو أن يَقْصِدَ المتكلمُ إلى شيء بالذكر دون غيره، ممَّا يسُدُّ مسدَّه، لأجل نكتة في المذكور ترجّح مجيئه على سواه، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ [النجم: ٤٩] خصَّ الشِّعرى بالذِّكْر دون غيرها من النجوم، وهو تعالى ربّ كلّ شيء؛ لأن العرب كان ظَهر فيهم رجلٌ يُعْرَف بابن

أبي كَبْشَة[١] عَبَدَ الشِّعرى، و دعا خلقاً إلى عبادتها، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ التي ادُّعِيت فيها الربوبية.

التجريد: هو أن يُنتزَعَ من أمرٍ ذي صفةٍ آخر مثله؛ مبالغةً في كمالها فيه.

نحو: (لي من فلان صديقٌ حميم). جرّد من الرجل الصديق آخر مثله متَّصِفٌ بصفة الصَّداقة.

ونحو: (مررت بالرجل الكريم والنَّسمة المباركة). جرَّدوا من الرَّجل الكريم آخر مثله متصفاً بصفة البركة، وعطفوه عليه، كأنه غيره، وهو هو.

ومن أمثلته في القرآن: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾ [فصلت: ٢٨]. ليس المعنى أنَّ الجنة فيها دار خلد وغيرُ دارِ خلد، بل هي نفسها دار الخلد؛ فكأنه جرّد من الدار داراً. ذكره في «**المحتَسَب**»[٢] وجعل منه: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [الروم: ١٩]. على أنَّ المراد بالميّت النطفة.

قال الزمخشري[٣]: وقرأ عُبيد بن عمير: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧]، بالرَّفع، بمعنى حصلَتْ منها وردةٌ، قال: وهو من التجريد. وقرئ أيضاً: (يَرِثُنِي وَارِثٌ مِنْ آل يَعْقُوبَ) قال ابن جني: هذا هو التجريد، وذلك أنه يريد: (وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً يَرِثُنِي منه وَارِثٌ مِنْ آل يَعْقُوبَ) وهو الوارث نفسُه، فكأنه جرّد منه وارثاً.

التعديد: هو إيقاع الألفاظ المفردة على سياق واحد. وأكثر ما يوجد في الصفات، كقوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣].

وقوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ . . .﴾ الآية [التوبة: ١١٢].

وقوله: ﴿مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ . . .﴾ الآية [التحريم: ٥].

الترتيب: هو أن يورد أوصاف الموصوف على ترتيبها في الخِلْقة الطبيعية، ولا يُدخِلَ فيها وصفاً زائداً. ومثَّله عبد الباقي اليمني بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا﴾ [غافر: ٦٧]، وبقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا . . .﴾ الآية [الشمس: ١٤].

الترقِّي والتدلِّي: تقدّما في نوع التقديم والتأخير.

التضمين: يطلق على أشياء:

أحدها: إيقاع لفظ موقع غيره لتضمّنه معناه. وهو نوعٌ من المجاز تقدم [الكلامُ] فيه.

---

(١) قال القرطبي في «تفسيره»: أول من عبده أبو كبشة، أحد أجداد النبي ﷺ من قِبَل أمهاته، ولذلك كان مشركو قريش يُسَمُّون النبي ﷺ ابنَ أبي كبشة. والصوابُ أنه أبو كبشة كما قال محقق «البرهان» ٣/ ٤٣٩. تفسير القرطبي، سورة النجم: ٤٩.

(٢) «المحتَسَب» لابن حني ٢/ ٣٨، مريم: ٤.

(٣) في «كشافه» ٤/ ٤٨، سورة الرحمن: ٣٧، وفيه: وقرأ عمرو بن عُبيد.

الثاني: حصول معنىً فيه من غير ذكر له باسم هو عبارة عنه. وهذا نوعٌ من الإيجاز تقدَّم أيضاً.

الثالث: تعلق ما بعد الفاصلة بها. وهذا مذكور في نوع الفواصل.

الرابع: إدراج كلام الغَير في أثناء الكلام، لقصدِ تأكيد المعنى، أو ترتيب النظم. وهذا هو النوع البديعيّ.

قال ابن أبي الإصبع: ولم أظفر في القرآن بشيءٍ منه إلّا في موضعين تضمّنا فصلينِ من التوراة والإنجيل: قوله: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ . . .﴾ الآية [المائدة: ٤٥]، وقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ . . .﴾ الآية [الفتح: ٢٩].

ومثّله ابن النَّقِيب[١] وغيره: بإيداع حكايات المخلوقين في القرآن، كقوله تعالى حكايةً عن الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠]، وعن المنافقين: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة: ١٣]. ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ [البقرة: ١١٣]، ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١٣].

قال: وكذلك ما أُودع فيه من اللغات الأعجمية.

الجناس: هو تشابه اللفظين في اللفظ.

قال في «**كنز البراعة**»[٢]: وفائدته الميل إلى الإصغاء إليه، فإنَّ مناسبة الألفاظ تُحدِث ميلاً وإصغاءً إليها، ولأنَّ اللَّفظ المشترَكَ إذا حُمل على معنى، ثم جاء والمراد به آخرُ، كان للنفس تشوُّقٌ إليه.

وأنواع الجناس كثيرة:

منها: التامّ، بأن يتَّفقا في أنواع الحروف وأعدادها وهيآتها، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥]. وقيل: ولم يقع منه في القرآن سواه. واستنبط شيخ الإسلام ابنُ حجر موضعاً آخر، وهو: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النور: ٤٣، ٤٤].

وأنكر بعضهم كونَ الآية الأولى من الجناس، وقال: الساعة في الموضعين بمعنى واحد، والتجنيس أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى، ولا يكون أحدُهما حقيقةً، والآخرُ مجازاً، بل يكونان حقيقتين، وزمان القيامة ـ وإن طال ـ لكنه عند الله في حكم الساعة الواحدة، فإطلاق الساعة على القيامة مجازٌ، وعلى الآخرة حقيقةٌ، وبذلك يخرج الكلام عن التجنيس، كما لو قلت: ركبتُ حماراً ولقيتُ حماراً، تعني بليداً.

ومنها: المصحّف، ويسمّى جناس الخط. بأن تختلف الحروف في النقط، كقوله: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٧٩، ٨٠].

---

(١) ابنُ النقيب: محمد بن سليمان، مفسر، من فقهاء الحنفية (ت: ٦٩٨هـ). «الفوائد البهية» ١٦٨.

(٢) «جوهر الكنز»، وهو تلخيص «كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة» لابن الأثير الحلبي (ت: ٧٣٧هـ). ص٩١ الجناس.

ومنها: المحرّف بأن يقع الاختلاف في الحركات، كقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ۝٧٢ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾ [الصافات: ٧٢، ٧٣].

وقد اجتمع التصحيف والتحريف في قوله: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤].

ومنها: الناقص، بأن يختلف في عدد الحروف، سواء كان الحرف المَزيد أوّلاً أو وسطاً أو آخراً، كقوله: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ [القيامة: ٢٩، ٣٠]، ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [النحل: ٦٩].

ومنها: المذيّل؛ بأن يزيد أحدهما أكثر من حرف في الآخر أو الأوّل، وسمّى بعضهم الثاني بالمتوّج، كقوله: ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ﴾ [طه: ٩٧]، ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [القصص: ٤٥]، ﴿مَنْ آمَنَ بِهِ﴾ [الأعراف: ٨٦]، ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ﴾ [العاديات: ١١]، ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [النساء: ١٤٣].

ومنها: المضارع، وهو أن يختلفا بحرف مقارب في المخرج، سواء كان في الأول أو الوسط أو الآخر، كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦].

ومنها: اللّاحق، بأن يختلفا بحرف غير مقارب فيه كذلك، كقوله: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]، ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٧، ٨]، ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: ٧٥]، ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ﴾ [النساء: ٨٣].

ومنها: المرفق، وهو ما تركّب مِن كلمة وبعضِ أخرى، كقوله: ﴿جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ﴾ [التوبة: ١٠٩].

ومنها: اللّفظي، بأن يختلفا بحرف مناسب للآخر مناسبة لفظية كالضاد والظاء، كقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

ومنها: تجنيس القلب، بأن يختلفا في ترتيب الحروف، نحو: ﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [طه: ٩٤].

ومنها: تجنيس الاشتقاق، بأن يجتمعا في أصل الاشتقاق، ويسمّى المقتضَب، نحو: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ [الواقعة: ٨٩]، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ [الروم: ٤٣]، ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ [الأنعام: ٧٩].

ومنها: تجنيس الإطلاق، بأن يجتمعا في المشابهة فقط، كقوله: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ﴾ [الرحمن: ٥٤]. ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨]. ﴿لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي﴾ [المائدة: ٣١]. ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ﴾ [يونس: ١٠٧] .﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم﴾ [التوبة: ٣٨]. ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ﴾ إلى قوله: ﴿فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٥١].

تنبيه: لكون الجناس من المحاسن اللفظية لا المعنوية تُرِك عند قوّة المعنى، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧]. قيل: ما الحكمة في كونه لم يقل: (وما أنت بمصدِّق)، فإنه يؤدي معناه مع رعاية التجنيس؟

وأُجيبَ: بأن في ﴿بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ من المعنى ما ليس في (مصدِّق)؛ لأن معنى قولك: (فلان مصدِّق لي) قَال لي: صدقتَ، وأمّا (مؤمن) فمعناه مع التصديق إعطاء الأمن، ومقصودهم التصديق وزيادة، وهو طلب الأمن، فلذلك عبّر به.

وقد زلَّ بعض الأُدباء، فقال في قوله: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾[الصافات: ١٢٥]: لو قال: (وتدَعون) لكان فيه مراعاة للتجنيس.

وأجاب الإمام فخر الدين: بأن فصاحة القرآن ليست لرعايةِ هذه التكليفات، بل لأجل قوَّة المعاني وجَزَالةِ الألفاظ.

وأجاب غيره: بأن مراعاة المعاني أَوْلى من مراعاة الألفاظ، ولو قال: ﴿أَتَدْعُونَ﴾ و(تدَعون) لوقع الالتباس على القارئ؛ فيجعلهما بمعنى واحدٍ تصحيفاً. وهذا الجواب غير ناضج.

وأجاب ابن الزَّمْلَكانيّ: بأن التجنيس تحسين، وإنما يُستعملُ في مقام الوعد والإحسان، لا في مقام التهويل.

وأجاب الخويِّي: بأن (تدع) أخصّ من (تذر)؛ لأنه بمعنى ترك الشيء مع اعتنائه، بشهادة الاشتقاق، نحو الإيداع، فإنَّه عبارة عن ترك الوديعة مع الاعتناء بحالها؛ ولهذا يختار لها مَنْ هو مؤتمنٌ عليها. ومن ذلك الدعة بمعنى الراحة. وأما (تذر) فمعناه الترك مطلقاً، أو الترك مع الإعراض والرفض الكليّ.

قال الراغب[1]: يقال: فلان يَذَرُ الشيء، أي: يقذفه لقلة الاعتداد به، ومنه الوَذْرة ـ قطعة من اللحم ـ لقلة الاعتداد به، ولا شكَّ أنَّ السِّياق إنَّما يناسب هذا دون الأول؛ فأُريد هُنا تبشيع حالهم في الإعراض عن ربِّهم، وأنهم بلغوا الغاية في الإعراض. انتهى.

الجمع: هو أن يجمع بين شيئين أو أشياء متعددة في حكم، كقوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦]. جمع المال والبنون في الزينة.

وكذلك قوله: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٥، ٦].

الجمع والتفريق: هو أن تُدخل شيئين في معنىً، وتفرِّق بين جهتي الإدخال. وجعل منه الطِّيبيّ قوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا...﴾ الآية [الزمر: ٤٢]. جمع النفسين في حكم التوفِّي، ثم فرَّق بين جهتي التوفي بالحكم بالإمساك والإرسال، أي: الله يتوفَّى الأنفس التي تُقبَض والتي لم تقبَض، فيمسِك الأولى ويرسل الأخرى.

الجمع والتقسيم: وهو جمع متعدّد تحت حكم، ثم تقسيمه؛ كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [فاطر: ٣٢].

الجمع مع التفريق والتقسيم: كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ...﴾ الآيات [هود: ١٠٥ ـ ١٠٨].

فالجمع في قوله: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ لأنها متعددة معنًى؛ إذ النكرة في سياق النفي تعُمُّ، والتفريق في قوله: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾، والتقسيم في قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾. ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا﴾.

(١) في «مفرداته» مادة: وَذَرَ.

جمع المؤتلف والمختلف: هو أن يريد التَّسوية بين ممدوحَيْن، فيأتي بمعانٍ مؤتلفة في مدحهما، ويروم بعد ذلك ترجيحَ أحدهما على الآخر، بزيادة فضل لا يُنقِص الآخر، فيأتي لأجل ذلك بمعانٍ تخالِفُ معنى التسوية، كقوله تعالى: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ . . .﴾ الآية [الأنبياء: ٧٨]. سوّى في الحكم والعلم، وزاد فضل سليمان بالفهم.

حسن النسق: هو أن يأتيَ المتكلِّمُ بكلماتٍ متتاليات معطوفات، متلاحمات تلاحماً سليماً مستحسَناً، بحيث إذا أُفرِدَتْ كلُّ جملة منه قامت بنفسها، واستقلَّ معناها بلفظها. ومنه قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ . . .﴾ الآية [هود: ٤٤]. فإنَّ جُملَهُ معطوف بعضها على بعض بواو النَّسَق على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة: من الابتداء بالأهمِّ الذي هو انحسارُ الماء عن الأرض، المتوقف عليه غاية مطلوب أهل السفينة من الإطلاق من سِجْنها، ثم انقطاع مادَّة السماء المتوقّف عليه تمام ذلك من دفع أذاه بعد الخروج، ومنه اختلاف ما كان بالأرض، ثم الإخبار بذهاب الماء بعد انقطاع المادَّتين الذي هو متأخر عنه قطعاً، ثم بقضاء الأمر الذي هو هلاك مَنْ قُدِّر هلاكه، ونجاة مَنْ سبق نجاته، وأُخِّرَ عمَّا قبله؛ لأنَّ علم ذلك لأهل السفينة بعد خروجهم منها، وخروجهم موقوف على ما تقدَّم. ثم أخبر باستواء السفينة واستقرارها المفيد ذهاب الخوف وحصول الأمن من الاضطراب، ثم ختم بالدعاء على الظالمين لإفادة أن الغَرَق وإن عمَّ الأرضَ، فلم يشمَل إلَّا من استحقَّ العذاب لظلمِه.

عتاب المرء نفسه: منه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى . . .﴾ الآيات [الفرقان: ٢٧].

وقوله: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ . . .﴾ الآيات [الزمر: ٥٦].

العكس: هو أن يؤتى بكلام يقدَّم فيه جزءٌ ويؤخَّر آخر، ثم يقدّم المؤخر، ويؤخّر المقدم، كقوله تعالى: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٥٢]. ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [الحج: ٦١]. ﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [يونس: ٣١]. ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]. ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠].

وقد سُئل عن الحكمة في عكس هذا اللفظ، فأجاب ابن المنير: بأنَّ فائدته الإشارةُ إلى أن الكفار مخاطَبون بفروع الشريعة.

وقال الشيخ بدر الدين بن الصاحب: الحقُّ أنَّ كل واحد من فعل المؤمنة والكافر منفيٌّ عنه الحِلُّ، أما فعل المؤمنة فيحرم؛ لأنها مخاطبة، وأمَّا فعل الكافر فنفي عنه الحِلُّ باعتبار أن هذا الوطء مشتمِلٌ على المفسدة، فليس الكفار مورد الخطاب، بل الأئمة ومَن قام مقامهم مخاطَبون بمنع ذلك؛ لأنَّ الشرع أمر بإخلاء الوجود من المفاسد، فاتَّضح أنَّ المؤمنة نُفي عنها الحلُّ باعتبارٍ، والكافر نفِي عنه الحلّ باعتبار.

قال ابن أبي الإصبع: ومن غريب أسلوب هذا النوع قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٤، ١٢٥]، فإنَّ نظم الآية الثانية عكس نظم الأولى، لتقديم العمل في الأولى على الإيمان، وتأخيره في الثانية عن الإسلام.

ومنه نوع يسمى القلب والمقلوب المستوي، وما لا يستحيل بالانعكاس، وهو أن تُقرأ الكلمةُ من آخرها إلى أولها، كما تُقرأ من أولها إلى آخرها، كقوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر: ٣]، ولا ثالث لهما في القرآن.

العنوان: قال ابن أبي الإصبع[1]: هو أن يأخذ المتكلم في غرضٍ، فيأتي لقصد تكميله وتأكيده بأمثلة في ألفاظ تكون عنواناً لأخبارٍ متقدِّمة، وقصص سالفة.

ومنه نوع عظيم جدًّا، وهو: **عنوان العلوم**، بأن يذكر في الكلام ألفاظاً تكون مفاتيحَ لعلومٍ ومداخلَ لها.

فمن الأول قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا . . .﴾ الآية [الأعراف: ١٧٥]، فإنَّه عنوان قصةِ بَلْعام.

ومن الثاني قوله تعالى: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ الآية [المرسلات: ٣٠]. فيها عنوان علم الهندسة، فإنَّ الشكل المثلَّث أول الأشكال، وإذا نُصب في الشمس على أيّ ضلعٍ من أضلاعه، لا يكون له ظِلٌّ، لتحديد رؤوس زواياه؛ فأمر الله تعالى أهلَ جهنم بالانطلاق إلى ظلِّ هذا الشكل تهكُّماً بهم.

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . . .﴾ الآيات [الأنعام: ٧٥]. فيها عنوان علم الكلام، وعلم الجدَل، وعلم الهيئة.

الفرائد: هو مختصٌّ بالفصاحة دون البلاغة؛ لأنه الإتيان بلفظةٍ تنزَّل منزلة الفريدة من العِقد ـ وهي الجوهرة التي لا نظير لها ـ تدلُّ على عِظم فصاحة هذا الكلام، وقوة عارضته، وجزالةِ منطقه، وأصالة عربيَّته، بحيث لو أُسقطتْ من الكلام عَزَّت على الفصحاء [غرابتها].

ومنه لفظ: ﴿حَصْحَصَ﴾ في قوله: ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ [يوسف: ٥١]. و﴿الرَّفَثُ﴾ في قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ولفظة ﴿فُزِّعَ﴾ في قوله: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ [سبأ: ٢٣].

و﴿خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ في قوله: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ [غافر: ١٩].

وألفاظ قوله: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ [يوسف: ٨٠]، وقوله: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [الصافات: ١٧٧].

القسم: هو أن يريد المتكلِّم الحَلف على شيء، فيحلف بما يكون فيه فخرٌ له، أو تعظيمٌ لشأنه، أو تنويهٌ لقدره، أو ذمٌّ لغيره، أو جارياً مجرى الغَزَل والترقق، أو خارجاً مخرج الموعظة والزهد، كقوله: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣]؛ أقسم سبحانه وتعالى بقسَمٍ يوجب الفخر لتضمّنه التمدُّح بأعظم قدرة، وأجلِّ عظمة.

---

(١) في «بديع القرآن» ص٢٥٧ باب العنوان.

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]. أقسم سبحانه وتعالى بحياة نبيِّه ﷺ تعظيماً لشأنه، وتنويهاً بقدره. وسيأتي في نوع الأقسام أشياء تتعلق بذلك.

اللَّف والنشر: هو أن يُذكر شيئان أو أشياء، إمَّا تفصيلاً بالنصِّ على كلِّ واحد، أو إجمالاً بأن يؤتى بلفظ يشتمل على متعدِّد، ثم يذكر أشياء على عدد ذلك، كلُّ واحد يرجع إلى واحد من المتقدم، ويفوِّض إلى عقل السامع ردّ كلّ واحد إلى ما يليق به.

فالإجماليّ: كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١]، أي: وقالت اليهود: لن يدخل الجنة إلَّا اليهود، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلَّا النصارى؛ وإنَّما سوّغ الإجمال في اللفّ ثبوتُ العناد بين اليهود والنصارى، فلا يمكن أن يقول أحد الفريقين بدخول الفريق الآخر الجنة، فوُثِق بالعقل في أنه يردّ كلَّ قولٍ إلى فريقه لأمنِ اللَّبس، وقائل ذلك يهود المدينة ونصارى نجران.

قلت: وقد يكون الإجمال في النَّشر لا في اللَّف؛ بأن يؤتَى بمتعدِّد، ثم بلفظ يشتمل على متعدِّد يصلح لهما، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] على قول أبي عُبيدة: إن الخيط الأسود أريدَ به الفجرُ الكاذب لا الليل، وقد بيّنته في «**أسرار التنزيل**».

والتفصيلي قسمان:

أحدهما: أن يكون على ترتيب اللفّ، كقوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣]، فالسّكون راجعٌ إلى اللَّيل، والابتغاء راجع إلى النهار.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]، فاللَّوْمُ راجع إلى البخل، و﴿مَّحْسُورًا﴾ راجع إلى الإسراف، لأن معناه: منقطعاً لا شيء عندك.

وقوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا . . .﴾ الآيات، فإن قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ راجع إلى قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾. و﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ راجعٌ إلى قوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ فإن المراد السائلُ عن العلم، كما فسَّره مجاهدٌ وغيره. و﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ راجعٌ إلى قوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٦ ـ ١١]. رأيت هذا المثال في شرح «**الوسيط**» للنوويّ، المسمَّى بـ«**التنقيح**».

والثاني: أن يكون على عكس ترتيبه، كقوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ . . .﴾ [آل عمران: ١٠٦].

وجعل منه جماعة قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]. قالوا: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾: قول الذين آمنوا، ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾: قول الرسول.

وذكر الزمخشريّ قسماً آخر؛ كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ [الروم: ٢٣]. قال: هذا من باب اللفّ، وتقديره: (وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ وابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِه بِاللَّيْلِ

والنَّهَارِ) إلّا أنه فَصَل بين ﴿مَنَامُكُم﴾ و﴿وَٱبْتِغَآؤُكُم﴾ بالليل والنهار؛ لأنهما زمانان، والزمان والواقع فيه كشيءٍ واحد، مع إقامة اللفّ على الاتحاد.

المشاكلة: ذكر الشيء بلفظ غيره، لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً.

فالأول كقوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]. ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، فإن إطلاق النفس والمكر في جانب البارئ تعالى إنما هو لمشاكلة ما معه.

وكذا قوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، لأن الجزاء حقٌّ لا يوصف بأنه سيِّئة. ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٩٤]، ﴿ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ﴾ [الجاثية: ٣٤]، ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩]، ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤، ١٥].

ومثال التقديريّ: قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٨]، أي: تطهير الله؛ لأن الإيمان يطهّر النفوسَ، والأصل فيه: أنَّ النصارى كانوا يغمِسون أولادهم في ماء أصفرَ يسمّونه المعموديّة، ويقولون: إنَّه تطهير لهم، فعبَّر عن الإيمان (بصبغة الله) للمشاكلة بهذه القرينة.

المزاوجة: أن يزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء، أو ما جرى مجراهما. كقوله[1]:

إذا مَا نَهَى النَّاهي فلجّ بِيَ الهوى ... أصاخت إلى الواشي فلجّ بها الهجر

[بحر الطويل]

ومنه في القرآن: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥].

المبالغة: أن يذكر المتكلِّم وصفاً، فيزيد فيه حتى يكون أبلغ في المعنى الذي قصده. وهي ضربان:

مبالغة بالوصف: بأن يخرج إلى حدّ الاستحالة، ومنه: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥]. ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

ومبالغة بالصيغة: وصيغ المبالغة: (فعلان) كالرحمن، و(فعيل) كالرحيم، و(فعّال) كالتّواب والغفار والقهّار، و(فَعُول) كغفور وشَكور وودود، و(فَعِل) كحذِرٍ وأشِر وفَرِح. و(فُعَال) بالتخفيف، كعُجاب، وبالتشديد ككُبّار، و(فُعَل) كَلُبَد وكُبَر، و(فُعْلَى) كالعُلْيا والحسنى وشورى والسوءى.

فائدة: الأكثر على أن (فَعْلان) أبلغ من (فَعِيل). ومن ثَمَّ قيل: الرحمن أبلغُ من الرحيم، ونصره السهيليّ بأنه ورد على صيغة التثنية، والتثنية تضعيف، فكأنَّ البناء تضاعفت فيه الصِّفة.

وذهب ابنُ الأنباريّ إلى أن الرحيم أبلغ من الرحمن، ورجَّحه ابن عسكر بتقديم ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ عليه، وبأنه جاء على صيغة الجمع كعبيد، وهو أبلغ من صيغة التثنية.

---

(١) هو البحتري من قصيدة يمدح بها الفتحَ بنَ خَاقَانَ، والبيت في «ديوانه» ٢/ ٨٤٣، والبحتري: الوليد بن عُبيد، شاعر كبير (ت: ٢٨٤هـ). «وفيات الأعيان» ٢/ ١٧٥.

وذهب قُطْرب إلى أنّهما سواء.

فائدة: ذكر البرهان الرشيديّ: أن صفات الله التي على صيغة المبالغة كلّها مجاز، لأنها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها؛ لأن المبالغة أن تثبت للشيء أكثر ممّا له، وصفاته تعالى متناهية في الكمال لا يمكن المبالغة فيها. وأيضاً: فالمبالغة تكون في صفات تقبل الزيادة والنقصان، وصفات الله منزَّهَة عن ذلك. واستحسنه الشيخ تقيّ الدين السّبكيّ.

وقال الزَّركشي في «**البرهان**»: التحقيق أن صيغ المبالغة قسمان:

أحدهما: ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل.

والثاني: بحسب تعدُّد المفعولات، ولا شك أن تعدُّدها لا يوجب للفعل زيادة؛ إذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة متعدِّدين، وعلى هذا القسم تنزَّل صفاته تعالى ويرتفع الإشكال؛ ولهذا قال بعضهم في (حكيم): معنى المبالغة فيه تكرار حكمِه بالنسبة إلى الشرائع.

وقال في «**الكشاف**»: المبالغة في (التَّوَّاب) للدلالة على كثرة مَنْ يتوب عليه من عباده، أو لأنه بليغ في قبول التوبة، نُزِّل صاحبها منزلة من لم يذنب قطّ، لسعة كرمه.

وقد أورد بعض الفضلاء سؤالاً على قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]. وهو أن (قديراً) من صيغ المبالغة، فيستلزم الزيادة على معنى (قادر) والزيادة على معنى (قادر) محال؛ إذ الإيجاد من واحد لا يمكن فيه التفاضل باعتبار كلّ فرد فرد.

وأُجيب: بأنَّ المبالغة لمّا تعذَّر حملُها على كلّ فرد وجَب صرفُها إلى مجموع الأفراد التي دلَّ السِّياق عليها، فهي بالنسبة إلى كثرة المتعلَّق لا الوصف.

المطابقة: وتسمَّى الطباق: الجمع بين متضادّين في الجملة.

وهو قسمان: حقيقيّ ومجازيّ، والثاني يسمَّى التكافؤ، وكلّ منهما إما لفظيّ أو معنويّ، وإمَّا طباق إيجاب أو سلب.

ومن أمثلة ذلك: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢]. ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۝ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [النجم: ٤٣، ٤٤]. ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣]، ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف: ١٨].

ومن أمثلة المجازي: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، أيْ: ضالًّا فهديْناهُ.

ومن أمثلة طباق السلب: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]. ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤].

ومن أمثلة المعنويّ: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٥، ١٦]. معناه: (ربنا يعلم إنا لصادقون).

﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ [البقرة: ٢٢]. قال أبو عليّ الفارسيّ: لمّا كان البناء رفعاً للمبنيّ قوبل بالفراش الذي هو على خلاف البناء.

ومنه نوع يسمَّى الطباق الخفيّ، كقوله: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾ [نوح: ٢٥]، لأن الغرق من صفات الماء، فكأنه جمع بين الماء والنار، قال ابن مُنْقِذ[(١)]. وهي أخفى مطابقة في القرآن.

وقال ابن المُعتزّ[(٢)]: من أملح الطباق وأخفاه قوله تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ﴾ [البقرة: ١٧٩]، لأن معنى القصاص القتل، فصار القتل سببَ الحياة.

ومنه نوع يسمَّى: **ترصيع الكلام**، وهو اقتران الشيء بما يجتمع معه في قدر مشترك، كقوله: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ﴾ [طه: ١١٨، ١١٩]. أتى بالجوع مع العري، وبابه أن يكون مع الظمأ. وبالضَّحى مع الظمأ، وبابُه أن يكون مع العري. لكنَّ الجوع والعُرْي اشتركا في الخلوّ، فالجوع خلوّ الباطن من الطعام، والعري خلوّ الظاهر من اللباس. والظمأ والضحى اشتركا في الاحتراق، فالظمأ: احتراق الباطن من العطش، والضَّحى: احتراق الظاهر من حرِّ الشَّمْس.

ومنه نوع يسمَّى: **المقابلة**، وهي: أن يذكر لفظان فأكثر، ثم أضدادها على الترتيب. قال ابن أبي الإِصبع: والفرق بين الطباق والمقابلة من وجهين:

أحدهما: أن الطّباق لا يكون إلّا من ضدَّين فقط، والمقابلة لا تكون إلّا بما زاد من الأربعة إلى العشرة.

والثاني: أنَّ الطّباق لا يكون إلّا بالأضداد، والمقابلة بالأضداد وبغيرها.

قال السكاكيّ: ومن خواصّ المقابلة أنّه إذا شُرط في الأول أمر، شُرط في الثاني ضده، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ . . .﴾ الآيتين [الليل: ٥]. قابل بين الإعطاء والبخل، والاتقاء والاستغناء، والتصديق والتكذيب، واليسرى والعسرى. ولمَّا جعل التيسير في الأول مشتركاً بين الإعطاء والاتقاء والتصديق، جعل ضدَّه ـ وهو التعسير ـ مشتركاً بين أضدادها.

وقال بعضهم: المقابلة إمَّا لواحد بواحد، وذلك قليل جدًّا، كقوله: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

أو اثنين باثنين كقوله: ﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا﴾ [التوبة: ٨٢].

أو ثلاثة بثلاثة، كقوله: ﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

أو أربعة بأربعة، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ . . .﴾ الآيتين [الليل: ٥].

أو خمسة بخمسة، كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا . . .﴾ الآيات [البقرة: ٢٦]، قابل بين: ﴿بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ﴾ وبين: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ و﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، وبين: ﴿يُضِلُّ﴾ و﴿يَهۡدِي﴾، وبين: ﴿يَنقُضُونَ﴾ و﴿مِيثَٰقِهِۦ﴾، وبين: ﴿يَقۡطَعُونَ﴾ و﴿أَن يُوصَلَ﴾.

---

(١) أسامة بن منقذ أبو المظفر، أمير، عالم (ت: ٥٨٤هـ). «وفيات الأعيان» ١/ ٦٣.

(٢) ابن المعتز: عبد الله بن محمد المعتز بالله، وليَ الخلافة يوماً واحداً، ألَّف البديع وطبقات الشعراء (ت: ٢٩٦هـ). «تاريخ بغداد» ١٠/ ٩٥.

أو ستة بستة، كقوله: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ . . .﴾ الآية، ثم قال ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم . . .﴾ الآية [آل عمران: ١٤، ١٥]؛ قابل: الجنات، والأنهار، والخلد، والأزواج، والتطهير، والرضوان، بإزاء: النساء، والبنين، والذهب، والفضة، والخيل المسوَّمة والأنعام، والحرث.

وقسَّم آخرُ المقابَلَةَ إلى ثلاثة أنواع: نظيريّ، ونقيضيّ، وخلافيّ.

مثال الأول: مقابلة السِّنة بالنوم في الآية الأولى، فإنَّهما جميعاً من باب الرُّقاد المقابَل باليقظة في آية: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف: ١٨]. وهذا مثال الثاني؛ فإنَّهما نقيضان.

ومثال الثالث: مقابلة الشرِّ بالرشد في قوله: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]، فإنَّهما خلافان لا نقيضان، فإن نقيض الشرِّ الخير، والرشد الغيّ.

الموارِبة ـ براء مهملة وباء موحَّدة ـ: أن يقول المتكلِّم قولاً يتضمَّن ما يُنكَر عليه، فإذا حصَل الإنكار استحضر بحذقه وجهاً من الوجوه يتخلَّص به، إمَّا بتحريف كلمة أو تصحيفها أو زيادة أو نقص.

قال ابن أبي الإصبع(١): ومنه قوله تعالى حكاية عن أكبر أولاد يعقوب: ﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾ [يوسف: ٨١].

فإنَّه قرئ: (إن ابنك سُرِّقَ ولم يسرق)، فأتى بالكلام على الصحة: بإبدال ضمّة من فتحة، وتشديد الراء وكسرتها.

المراجعة: قال ابن أبي الإصبع(٢): هي أن يحكي المتكلم مراجعةً في القول جرت بينه وبين محاورٍ له، بأوجز عبارة وأعدل سَبْك، وأعذب ألفاظ، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]. جَمعت هذه القطعة ـ وهي بعض آية ـ ثلاث مراجعات فيها معاني الكلام: من الخبر والاستخبار، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، بالمنطوق والمفهوم.

قلت: أحسن من هذا أن يقول: جَمعت الخبر والطلب، والإثبات والنفي، والتأكيد والحذف، والبشارة والنذارة، والوعد والوعيد.

النزاهة: هي خلوص ألفاظ الهجاء من الفحش، حتى يكون كما قال أبو عمرو بن العلاء، وقد سئل عن أحسن الهجاء: هو الذي إذا أنشدَتْهُ العذراء في خِدْرِها لا يقبح عليها.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾. ثم قال: ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [النور: ٤٨، ٥٠]. فإنَّ ألفاظ ذمّ هؤلاء المخبَر عنهم بهذا الخبر أتت منزّهة عمَّا يقبح في الهجاء من الفحش، وسائر هجاء القرآن كذلك.

---

(١) في «بديع القرآن» ص٩٥ الموارِبة.

(٢) في «بديع القرآن» ص٣٠٠ باب المراجعة.

الإبداع: ـ بالباء الموحدة ـ: أن يشتمل الكلام على عِدَّة ضروب من البديع.

قال ابن أبي الإِصبع(١): ولم أرَ في الكلام مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾ [هود: ٤٤]، فإن فيها عشرين ضرباً من البديع، وهي سبعَ عشْرةَ لفظة؛ وذلك:

المناسبة التامة في ﴿ٱبۡلَعِي﴾، و﴿أَقۡلِعِي﴾.

والاستعارة فيهما.

والطباق بين الأرض والسماء.

والمجاز في قوله تعالى: ﴿وَيَٰسَمَآءُ﴾، فإن الحقيقة: يا مطر السماء.

والإشارة في: ﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ﴾، فإنَّه عبَّر به عن معانٍ كثيرةٍ، لأن الماء لا يغيض حتى يُقلِع مطر السماء وتبلَعَ الأرض ما يخرُج منها من عيون الماء، فينقص الحاصل على وجه الأرض من الماء.

والإرداف في: ﴿وَٱسۡتَوَتۡ﴾.

والتمثيل في: ﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾.

والتعليل، فإنَّ ﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ﴾ عِلَّة الاستواء.

وصحة التقسيم، فإنَّه استوعب فيه أقسام الماء حالة نقصه؛ إذ ليس إلا احتباس ماء السماء، والماء النابع من الأرض، وغَيْض الماء الذي على ظهرها.

والاحتراس في الدعاء، لئلا يتوهّم أن الغَرق لعمومه شَمَل مَن لا يستحق الهلاك، فإن عَدْلَه تعالى يمنع أن يدعوَ على غير مستحقّ.

وحسن النسق وائتلاف اللفظ مع المعنى.

والإيجاز؛ فإنه تعالى قصَّ القصة مستوعبة بأخصر عبارة.

والتسهيم؛ لأنَّ أول الآية يدُل على آخرها.

والتهذيب؛ لأن مفرداتها موصوفة بصفات الحسن، كلّ لفظة سهلة مخارج الحروف، عليها رونقُ الفصاحة مع الخلوّ من البشاعة وعقادة التركيب.

وحسن البيان، من جهة أنَّ السامع لا يتوقف في فهم معنى الكلام، ولا يشكل عليه شيء منه.

والتمكين؛ لأن الفاصلة مستقرَّة في محلّها، مطمئنة في مكانها، غير قلقة ولا مستدعاة.

والانسجام.

هذا ما ذكره ابن أبي الإِصبع(٢).

قلت: فيها أيضاً الاعتراض.

---

(١) في «بديع القرآن» ص٣٤٠ ـ ٣٤١، باب الإبداع.

(٢) في «بديع القرآن» ص٣٤٠ ـ ٣٤٣.

النوع التاسع والخمسون

في فواصل الآي

الفاصلة: كلمة آخر الآية، كقافية الشِّعر وقرينة السجع.

وقال الدَّاني: كلمة آخر الجملة.

قال الجَعْبَري. وهو خلاف المصطلح، ولا دليلَ له في تمثيل سيبويه بـ ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ [هود: ١٠٥]. و﴿مَا كُنَّا نَبْغِۚ﴾ [الكهف: ٦٤]. وليسا رأس آي؛ لأن مرادَهُ الفواصلُ اللغويةُ لا الصناعيةُ. وقال القاضي أبو بكر: الفواصلُ حروفٌ متشاكلة في المقاطعِ يَقَعُ بها إفهامُ المعاني.

وفَرَّقَ الدَّاني بين الفواصل ورؤوس الآي، فقال: الفاصلةُ هي الكلام المنفصِل عمَّا بعده، والكلامُ المنفصل قد يكون رأسَ آية، وغير رأس، وكذلك الفَواصل يَكُنَّ رؤوسَ آيٍ وغيرها؛ وكلّ رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأسَ آية.

قال: ولأجل كون معنى الفاصلة هذا ذكر سيبويه في تمثيل القوافي: ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ و﴿مَا كُنَّا نَبْغِۚ﴾ وليسا رأس آيتين بإجماع، مع ﴿إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ٤]. وهو رأس آية باتفاق.

وقال الجعبريّ: لمعرفة الفواصل طريقان: توقيفيّ، وقياسي:

أما التوقيفيّ: فما ثبت أنَّه ﷺ وقف عليه دائماً تَحَقَّقْنَا أنه فاصلة، وما وصله دائماً تحققنا أنه ليس بفاصلة، وما وقف عليه مرَّة ووصله أُخرى: احتملَ الوقف أن يكون لتعريف الفاصلة، أو لتعريف الوقف التام، أو للاستراحة. والوصل أن يكون غير فاصلة، أو فاصلة وصلها لتقدّم تعريفها.

وأما القياسيّ: فهو ما أُلحق من المحتمَل غير المنصوص بالمنصوص لمناسب، ولا محذورَ في ذلك، لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان، وإنما غايتُه أنه محلّ فصل أو وصل، والوقف على كلّ كلمة جائز، ووصلُ القرآن كلِّه جائز، فاحتاج القياس إلى طريق تعرّفه، فنقول: فاصلة الآية كقرينة السجعة في النثر، وقافيةِ البيت في الشعر، وما يذكر من عيوب القافية ـ من اختلاف الحركة والإشباع والتوجيه ـ فليس بعيب في الفاصلة، وجاز الانتقال في الفاصلة والقرينة وقافية الأرجوزة من نوع إلى آخر، بخلاف قافية القصيدة، ومن ثَمَّ ترى: ﴿يُرْجَعُونَ﴾ مع ﴿عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٢، ٧٣]. و﴿ٱلْمِيعَادَ﴾ مع ﴿ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٤، ١٩٥]. و﴿ٱلطَّارِقُ﴾ مع ﴿ٱلثَّاقِبُ﴾ [الطارق: ٢، ٣].

والأصل في الفاصلة والقرينة المتجردة في الآية والسجعة المساواة، ومن ثَمَّ أجمع العادُّون على ترك عدّ: ﴿وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَۚ﴾ [النساء: ١٣٣]، ﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَۚ﴾ في [النساء: ١٧٢]، ﴿كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَۚ﴾ بسبحان [٥٩]، و﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [مريم: ٩٧]، و﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [طه: ١١٣]، و﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ [الطلاق: ١١]، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الطلاق: ١٢] حيث لم يشاكل طرفيه.

وعلى ترك عدّ: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ بآل عمران [٨٣]، و﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ بالمائدة [٥٠]. وعدّوا نظائرها للمناسبة، نحو: ﴿لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ بآل عمران [١٩٠]، وَ: ﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بالكهف [١٥] . ﴿وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ بطه [٨٠].

وقال غيره: تقع الفاصلة عند الاستراحة بالخطاب؛ لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يُباينُ القرآن بها سائرَ الكلام، وتسمى فواصل؛ لأنه ينفصل عنده الكلامان، وذلك أنَّ آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها، وأخذاً من قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [فصلت: ٣].

ولا يجوز تسميتها قوافيَ إجماعاً؛ لأن الله تعالى لمَّا سلب عنه اسم الشعر وجَب سلبُ القافية عنه أيضاً؛ لأنها منه، وخاصة به في الاصطلاح، وكما يمتنع استعمال القافية فيه يمتنع استعمال الفاصلة في الشعر؛ لأنها صفة لكتاب الله تعالى فلا تتعدَّاه.

وهل يجوز استعمال السجع في القرآن؟ خلاف، الجمهور على المنع؛ لأنَّ أصلَه من سجع الطير فشرف القرآن أن يُستعارَ لشيء منه لفظ أصله مهمل؛ ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في وصفه بذلك، ولأن القرآن من صفاته تعالى، فلا يجوز وصفه بصفة لم يَرِد الإذنُ بها.

قال الرُّمَّانيّ(١) في «**إعجاز القرآن**»: ذهب الأشعرية إلى امتناع أن يقال: في القرآن سجع، وفرَّقوا بأنَّ السجع هو الذي يقصَد في نفسه، ثم يحال المعنى عليه، والفواصل التي تتبع المعاني، ولا تكون مقصودة في نفسها.

قال: ولذلك كانت الفواصل بلاغة، والسجع عيباً.

وتبعه على ذلك القاضي أبو بكر الباقلانيّ، ونقله عن نصّ أبي الحسن الأشعريّ وأصحابنا كلهم.

قال: وذهب كثير من غير الأشاعرة إلى إثبات السجع في القرآن، وزعموا أن ذلك ممَّا يبين به فضلُ الكلام، وأنه من الأجناس التي يقع بها التفاضل في البيان والفصاحة، كالجناس والالتفات ونحوهما.

قال: وأقوى ما استدلُّوا به الاتفاق على أن موسى أفضل من هارون، ولمكان السجع قيل في موضعٍ: ﴿هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [طه: ٧٠].

ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون قيل: ﴿مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الشعراء: ٤٨].

قالوا: وهذا يفارق أمرَ الشعر، لأنه لا يجوز أن يقع في الخطاب إلَّا مقصوداً إليه، وإذا وقع غير مقصود إليه كان دون القَدْر الذي تسميه شعراً؛ وذلك القدر مما يتَّفق وجوده من المفحم، كما يتفق وجوده من الشاعر. وأما ما جاء في القرآن من السجع فهو كثير لا يصحُّ أن يتفق غير مقصود إليه.

وبنوا الأمر في ذلك على تحديد معنى السجع.

---

(١) الرماني: علي بن عيسى أبو الحسن، بغدادي معتزلي مفسر، من كبار النحاة والأدب والبلاغة واللغة (ت: ٣٨٤هـ). «تاريخ بغداد» ١٢/ ١٦، و«إنباه الرواة» ٢/ ٢٩٤.

فقال أهل اللغة: هو موالاة الكلام على حدٍّ واحد.

وقال ابن دُرَيد[1]: سجعت الحمامةُ معناه ردَّدت صوتها، قال القاضي: وهذا غير صحيح، ولو كان القرآن سجعاً لكان غيرَ خارج عن أساليب كلامهم، ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز، ولو جاز أن يقال: هو سجع معجز، لجاز أن يقولوا: شعر معجز، وكيف والسجع ممَّا كان تألفه الكهَّان من العرب!؟ ونفيه من القرآن أجدرُ بأن يكون حجة من نفي الشعر؛ لأن الكهانة تنافي النبوَّات بخلاف الشعر، وقد قال ﷺ: «**أسَجْعٌ كسجع الكهان!**» [البخاري: ٥٧٥٨، ومسلم: ٤٣٩١، وأحمد: ٧٧٠٣]. فجعله مذموماً.

قال: وما توهَّموا أنَّه سجع باطل؛ لأن مجيئه على صورته لا يقتضي كونَه هو؛ لأن السجع يتبع المعنى فيه اللفظَ الذي يؤدِّي السجع، وليس كذلك ما اتفق ممَّا هو في معنى السجع من القرآن؛ لأن اللفظ وقع فيه تابعاً للمعنى؛ وفَرْقٌ بين أن ينتظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدِّي المعنى المقصود منه، وبين أن يكون المعنى منتظماً دون اللفظ. ومتى ارتبط المعنى بالسجع كان إفادة السجع كإفادة غيره، ومَتَى انتظم المعنى بنفسه دونَ السجع، كان مستجلباً لتحسين الكلام دون تصحيح المعنى.

قال: وللسَّجْع منهج محفوظ وطريق مضبوط، مَن أَخَلَّ به وقع الخللُ في كلامه ونُسِب إلى الخروج عن الفصاحة، كما أنَّ الشاعر إذا خرج عن الوزن المعهود كان مخطئاً، وأنْتَ تَرى فواصل القرآن متفاوتة، بعضها متداني المقاطع، وبعضُها يمتدُّ حتى يتضاعف طولُه عليه، وترد الفاصلة في ذلك الوزن الأول بعد كلام كثير؛ وهذا في السجع غير مرضيّ ولا محمود.

قال: وأَمَّا ما ذكروه من تقديم موسى على هارون في موضع، وتأخيره عنه في موضع لمكان السجع وتساوي مقاطع الكلام، فليس بصحيح؛ بل الفائدة فيه إعادةُ القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدِّي معنىً واحداً، وذلك من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة وتتبيَّن فيه البلاغة، ولهذا أُعيدَت كثير من القصص على ترتيبات متفاوتة، تنبيهاً بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأً به ومتكرِّراً؛ ولو أمكنهم المعارضة لقصدُوا تلك القصَّة، وعبَّروا عنها بألفاظ لهم تؤدِّي إلى تلك المعاني ونحوها، فعلى هذا القصد ـ بتقديم بعض الكلمات على بعض وتأخيرها ـ إظهار الإعجاز دون السجع؛ إلى أن قال:

فبانَ بذلك أنَّ الحروف الواقعة في الفواصل متناسبة موقع النظائر التي تقع في الأسجاع لا تخرجُها عن حدِّها، ولا تدخلها في باب السجع. وقد بينا أنهم يذمُّون كلَّ سجعٍ خرج عن اعتدال الأجزاء؛ فكان بعض مصاريعه كلمتين، وبعضها أربع كلمات، ولا يروْن ذلك فصاحةً، بل يرونه عجزاً، فلو فهموا اشتمال القرآن على السجع، لقالوا: نحن نعارضه بسجع معتدل يزيد في الفصاحة على طريقة القرآن. انتهى كلام القاضي في كتاب «**الإعجاز**».

(١) ابنُ دُرَيد: محمد بن الحسن، من أئمة اللغة والأدب، صاحب «الاشتقاق» (ت: ٣٢١هـ) «خزانة الأدب» ١/ ٤٩٠، و«آداب اللغة» ٢/ ١٨٨.

ونقل صاحب «**عروس الأفراح**»[١] عنه: أنه ذهب في «**الانتصار**» إلى جواز تسمية الفواصل سجعاً.

وقال الخفَّاجيّ في «**سرّ الفصاحة**»[٢]: قول الرّمانيّ: إنَّ السجع عيب والفواصلَ بلاغةٌ. غلط؛ فإنَّه إن أراد بالسجع ما يتبع المعنى ـ وهو غير مقصود متكلف ـ فذلك بلاغة والفواصل مثله، وإن أراد به ما تقع المعاني تابعة له ـ وهو مقصودٌ متكلَّف ـ فذلك عيب، والفواصل مثله. قال: وأَظنُّ الذي دعاهم إلى تسمية كل ما في القرآن فواصِل، ولم يسمُّوا ما تماثلت حروفه سجعاً، رغبتُهم في تنزيه القرآن عن الوصف اللّاحق بغيره من الكلام المرويّ عن الكَهَنة وغيرهم. وهذا غرض في التسمية قريب، والحقيقة ما قلناه.

قال: والتحرير أنَّ الأسجاع حروف متماثلة في مقاطع الفواصل.

قال: فإن قيل: إذا كان عندكم أن السجع محمود، فهلا ورد القرآن كلُّه مسجوعاً، وما الوجه في ورود بعضه مسجوعاً وبعضه غير مسجوع؟ قلنا: إنَّ القرآن نزل بلغة العرب وعلى عُرْفهم وعادتهم؛ وكان الفصيح منهم لا يكون كلامه كلُّه مسجوعاً، لِمَا فيه من أمارات التكلف والاستكراه، لاسيما مع طول الكلام، فلم يَرِد كلُّه مسجوعاً جرياً منه على عرفهم في اللطافة الغالبة أو الطبقة العالية من كلامهم، ولم يخلُ من السجع؛ لأنه يحسُن في بعض الكلام على الصفة السابقة.

وقال ابن النفيس[٣]: يكفي في حسن السجع ورودُ القرآن به، قال: ولا يقدح في ذلك خلوّه في بعض الآيات؛ لأن الحَسَن قد يقتضي المقام الانتقال إلى أحسنَ منه.

وقال حازم: مِن الناس من يكره تقطيع الكلام إلى مقادير متناسبة الأطراف، غير متقاربة في الطول والقصَر، لما فيه من التكلف، إلَّا ما يقع الإلمام به في النادر من الكلام.

ومنهم مَن يرى: أن التناسب الواقع بإفراغ الكلام في قالب التقفية وتحليتها بمناسبات المقاطع أكيد جدّاً.

ومنهم ـ وهو الوسط ـ مَنْ يرى أن السجع وإن كان زينة للكلام، فقد يدعو إلى التكلُّف، فرأى ألَّا يستعمل في جملة الكلام، وألَّا يخلى الكلام منه جملة، وأنه يُقبَل منه ما اجتلبه الخاطر عفواً بلا تكلُّف.

قال: وكيف يعاب السجع على الإطلاق، وإنَّما نزل القرآن على أساليب الفصيح من كلام العرب؟ فوردت الفواصل فيه بإزاء ورود الأسجاع في كلامهم، وإنَّما لم يجئ على أسلوب واحدٍ؛ لأنه لا يحسن في الكلام جميعاً أن يكون مستمرّاً على نَمَط واحد، لما فيه من التكلُّف، ولما في الطبع من الملل، ولأن الافتنان في ضروب الفصاحة أعلى من الاستمرار على ضربٍ واحدٍ، فلهذا وردت بعض آي القرآن متماثِلَة المقاطع، وبعضها غير متماثل.

---

(١) «عروس الأفراح» ٢/ ٢٩٩ باب السجع.

(٢) «سرّ الفصاحة» ص١٧٢.

(٣) ابن النفيس: علي بن أبي الحزم القَرْشي، أعلم أهل عصره في الطب، وفاتُه بمصر (ت: ٦٨٧هـ). «شذرات الذهب» ٥/ ٤٠١.

فصل: أَلَّف الشيخ شمس الدين بن الصائغ كتاباً سمَّاه «**إحكام الراي في أحكام الآي**»(١) قال فيه:

اعلم أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية، يُرتَكب لها أمور من مخالفة الأصول. قال: وقد تتبَّعتُ الأحكام التي وقعت في آخر الآي مراعاةً للمناسبة فعثرت منها على نيِّفٍ عن الأربعين حكماً.

أحدُها: تقديم المعمول: إمَّا على العامل، نحو: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ﴾ [سبأ: ٤٠]. قيل: ومنه: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. أو على معمول آخر أصله التقديم، نحو: ﴿لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى﴾ [طه: ٢٣] إذا أعربنا ﴿ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ مفعول (نري). أو على الفاعل، نحو: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ﴾ [القمر: ٤١]. ومنه تقديم خبر كان على اسمها، نحو: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص: ٤].

الثاني: تقديم ما هو متأخر في الزمان، نحو: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ﴾ [النجم: ٢٥]. ولولا مراعاة الفواصل لقدّمت ﴿ٱلۡأُولَىٰ﴾، كقوله: ﴿لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ [القصص: ٧٠].

الثالث: تقديمُ الفاضل على الأفضل، نحو: ﴿بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [طه: ٧٠]. وتقدَّم ما فيه.

الرابع: تقديم الضمير على ما يفسِّره، نحو: ﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ﴾ [طه: ٦٧].

الخامس: تقديم الصفة الجملةِ على الصفة المفردة، نحو: ﴿وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣].

السادس: حذف ياء المنقوص المعرَّف، نحو: ﴿ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩]. ﴿يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ﴾ [غافر: ٣٢].

السابع: حذف ياء الفعل غير المجزوم، نحو: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ [الفجر: ٤].

الثامن: حذف ياء الإضافة، نحو: ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: ١٦]. ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الرعد: ٣٢].

التاسع: زيادة حَرْف المدِّ، نحو: ﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠]. و﴿ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٦]. و﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧]. ومنه إبقاؤه مع الجازم، نحو: ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٧٧]. ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦]. على القول بأنه نهي.

العاشر: صَرْف ما لا ينصرف، نحو: «قواريراً، قواريراً» [الإنسان: ١٥، ١٦].

الحادي عشر: إيثار تذكير اسم الجنس، كقوله: ﴿أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ﴾ [القمر: ٢٠].

الثاني عشر: إيثار تأنيثه، نحو: ﴿أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ﴾ [الحاقة: ٧]. ونظير هذين قوله في القمر [٥٣]: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ﴾ وفي الكهف [٤٩]: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ﴾.

الثالث عشر: الاقتصار على أحد الوجهين الجائزين اللذين قرئ بهما في السبع في غير ذلك،

---

(١) قال حاجي خليفة: إحكام الراي... للشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ابن الصائغ الحنبلي: المعروف بابن أبي الفرس (ت: ٧٧٦هـ). «كشف الظنون» ١/ ١٨ وانظر «الدرر الكامنة» ٣/ ٤٩٩، و«بغية الوعاة» ٦٥.

كقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا﴾ [الجن: ١٤]. ولم يجئ (رشْداً) في السبع. وكذا: ﴿وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا﴾ [الكهف: ١٠]، لأن الفواصل في السُّورتين محرّكة الوسط. وقد جاء في: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ﴾ [الأعراف: ١٤٦]. وبهذا يبطلُ ترجيح الفارسيّ قراءة التحريك بالإجماع عليه فيما تقدم. ونظير ذلك قراءة: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]. بفتح الهاء وسكونها، ولم يُقرأ: ﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ﴾ [المسد: ٣] إلَّا بالفتح، لمراعاة الفاصلة.

الرابع عشر: إيراد الجملة التي رُدّ بها ما قبلها على غير وجه المطابقة في الاسمية والفعلية، كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]. لم يطابق بين قولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾ وبين ما رُدَّ به فيقول (ولم يؤمنوا). أو: (ما آمنوا)، لذلك.

الخامس عشر: إيراد أحد القسمين غير مطابق للآخر كذلك، نحو: ﴿فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣]، ولم يقل: (الذين كذبوا).

السادس عشر: إيراد أحد جزأي الجملتين على غير الوجه الذي أورد نظيرها من الجملة الأخرى، نحو: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

السابع عشر: إيثار أغرب اللفظتين، نحو: ﴿قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٢]، ولم يقل: (جائرة). ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ﴾ [الهمزة: ٤]، ولم يقل: جهنم أو النار. وقال في المدثر [٢٦]: ﴿سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ﴾، وفي سأل [١٥]: ﴿إِنَّهَا لَظَىٰ﴾، وفي القارعة [٩]: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ﴾؛ لمراعاة فواصل كلّ سورة.

الثامن عشر: اختصاص كل من المشتركين بموضع، نحو: ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، وفي سورة [طه: ١٢٨]: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ .

التاسع عشر: حذف المفعول، نحو: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ [الليل: ٥]، ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣]، ومنه حذف متعلق أفعل التفضيل، نحو: ﴿يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾ [طه: ٧]، ﴿خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٧].

العشرون: الاستغناء بالإفراد عن التثنية، نحو: ﴿فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧].

الحادي والعشرون: الاستغناء به عن الجمع، نحو: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]. ولم يقل: (أئمة)، كما قال: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ﴾ [الأنبياء: ٧٣]، ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ﴾ [القمر: ٥٤]. أي: أنهار.

الثاني والعشرون: الاستغناء بالتثنية عن الإفراد، نحو: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]. قال الفرَّاء: أراد: جنة، كقوله: ﴿فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [النازعات: ٤١]. فثنّى لأجل الفاصلة. قال: والقوافي تحتمل من الزيادة والنقصان ما لا يحتمله سائر الكلام.

ونظير ذلك قول الفرَّاء أيضاً في قوله تعالى: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾ [الشمس: ١٢]. فإنهما رجلان: قُدار وآخر معه، ولم يقل: (أشقياها) للفاصلة. وقد أنكر ذلك ابن قُتيبة وأغلظ فيه، وقال: إنما يجوز

في رؤوس الآي زيادة هاء السكت أو الألف أو حذف همزٍ، أو حرفٍ، فأما أن يكون الله وعَدَ بجنتين فيجعلهما جنة واحدة لأجل رؤوس الآي، معاذ الله! وكيف هذا وهو يصفها بصفات الاثنين!؟ قال: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ۝٤٨﴾ ثم قال: ﴿فِيهِمَا﴾ [الرحمن: ٤٨، ٥٠].

وأما ابن الصائغ: فإنه نقل عن الفرَّاء أنه أراد (جنَّات)، فأطلق الاثنين على الجمع لأجل الفاصلة. ثم قال: وهذا غير بعيد. قال: وإنما عاد الضمير بعد ذلك بصيغة التثنية مراعاة للفظ.

وهذا هو **الثالث والعشرون.**

الرابع والعشرون: الاستغناء بالجمع عن الإفراد، نحو: ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ [إبراهيم: ٣١]، أي: ولا خُلَّة؛ كما في الآية الأخرى، وجُمع مراعاةً للفاصلة.

الخامس والعشرون: إجراء غير العاقل مجرى العاقل، نحو: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]، ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

السادي والعشرون: إمالة ما لا يمال، كآي طه والنَّجم.

السابع والعشرون: الإتيان بصيغة المبالغة، كقدير وعليم، مع ترك ذلك في نحو: ﴿هُوَ ٱلْقَادِرُ﴾ [الأنعام: ٦٥]، و﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٧٣]، ومنه: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

الثامن والعشرون: إيثار بعض أوصاف المبالغة على بعض، نحو: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]. أُوثر على (عجيب) لذلك.

التاسع والعشرون: الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه، نحو: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [طه: ١٢٩].

الثلاثون: إيقاع الظاهر موضع المضمر، نحو: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، وكذا آية الكهف.

الحادي والثلاثون: وقوع (مفعول) موقع (فاعل)؛ كقوله: ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥]، ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ [مريم: ٦١]، أي: ساتراً وآتياً.

الثاني والثلاثون: وقوع (فاعل) موقع (مفعول). نحو: ﴿فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١]. ﴿مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦].

الثالث والثلاثون: الفصل بين الموصوف والصفة، نحو: ﴿أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلى: ٤، ٥] إن أعرب ﴿أَحْوَىٰ﴾ صفة ﴿ٱلْمَرْعَىٰ﴾، أي: حالاً.

الرابع والثلاثون: إيقاع حرف مكان غيره، نحو: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥]. والأصل (إليها).

الخامس والثلاثون: تأخير الوصف غير الأبلغ عن الأبلغ، ومنه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]؛ لأن الرأفة أبلغ من الرحمة.

السادس والثلاثون: حذف الفاعل ونيابة المفعول، نحو: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ﴾ [الليل: ١٩].

السابع والثلاثون: إثبات هاء السكت، نحو: ﴿مَالِيَهۡۜ﴾ [الحاقة: ٢٨]، ﴿سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾ [الحاقة: ٢٩]، ﴿مَا هِيَهۡ﴾ [القارعة: ١٠].

الثامن والثلاثون: الجمع بين المجرورات، نحو: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا﴾ [الإسراء: ٦٩]، فإن الأحسن الفصلُ بينها، إلَّا أنَّ مراعاة الفاصلة اقتضت عدمه وتأخير ﴿تَبِيعٗا﴾.

التاسع والثلاثون: العدول عن صيغة المضيّ إلى صيغة الاستقبال، نحو: ﴿فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]، والأصل (قتلتم).

الأربعون: تغيير بُنية الكلمة، نحو: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: ٢]. والأصل: (سينا).

تنبيه: قال ابن الصائغ: لا يمتنع في توجيه الخروج عن الأصل في الآيات المذكورة أمورٌ أخرى مع وجه المناسبة، فإن القرآن العظيم ـ كما جاء في الأثر ـ: «**لا تنقضي عجائبه**» [الترمذي: ٢٩٠٦ وهو ضعيف].

فصل: قال ابن أبي الإصبع: لا تخرج فواصل القرآن عن أحد أربعة أشياء: التمكين، والتصدير، والتوشيح، والإيغال.

فالتَّمكين ـ ويسمَّى ائتلاف القافية ـ: أن يمهِّد الناثر للقرينة، أو الشاعر للقافية، تمهيداً تأتي به القافية أو القرينة متمكِّنةً في مكانها، مستقرَّةً في قرارها، مطمئنَّةً في موضعها، غير نافرة ولا قَلِقة، متعلِّقاً معناها بمعنى الكلام كله تعلقاً تامّاً، بحيث لو طرحت لاختلَّ المعنى واضطرب الفَهْم، وبحيث لو سُكت عنها كمله السامع بطبعه.

ومن أمثلة ذلك: ﴿يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ . . .﴾ الآية [هود: ٨٧]. فإنَّه لمَّا تقدَّم في الآية ذكرُ العبادة، وتلاه ذكر التصرُّف في الأموال، اقتضى ذلك ذكرَ الحِلْم والرُّشد على الترتيب، لأن الحلم يناسب العبادات، والرُّشدَ يناسب الأموال.

وقوله: ﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍۚ أَفَلَا يَسۡمَعُونَ﴾ [السجدة: ٢٦]. ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ﴾ إلى قوله: ﴿أَفَلَا يُبۡصِرُونَ﴾ [السجدة: ٢٧]. فأتى في الآية الأولى بـ ﴿يَهۡدِ لَهُمۡ﴾ وختمها بـ ﴿يَسۡمَعُونَ﴾، لأن الموعظة فيها مسموعة، وهي أخبار القرون. وفي الثانية بـ ﴿يَرَوۡاْ﴾ وختمها بـ ﴿يُبۡصِرُونَ﴾؛ لأنها مرئية.

وقوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؛ فإنَّ اللطيف يناسب ما لا يدرَك بالبصر، والخبير يناسب ما يدركه.

وقوله: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ﴾ إلى قوله: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٤]، فإنَّ في هذه الفاصلة التمكين التام المناسب لما قبلها. وقد بادر بعض الصحابة حين نزل أول الآية إلى ختمها بها، قبل أن يسمع آخرها؛ فأخرج ابن أبي حاتم من طريق الشعبيّ، عن

زيد بن ثابت، قال: أَمْلَى عليَّ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾، قال معاذ بن جبل: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾، فضحك رسول الله ﷺ، فقال له معاذ: مِمّ ضحكتَ يا رسول الله؟ قال: «بها خُتمت».

وحُكي أن أعرابيًا سمع قارئاً يقرأ: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [البقرة: ٢٠٩]. (فاعلموا أن الله غفور رحيم)(١). ولم يكن يقرأُ القرآن. فقال: إن كان هذا كلامَ الله فلا يقول كذا، الحكيم لا يذكر الغفرانَ عند الزلل؛ لأنه إغراءٌ عليه.

تنبيهات:

الأول: قد تجتمع فواصل في موضع واحد ويُخالَف بينها، كأوائل النحل، فإنَّه تعالى بدأ بذكر الأفلاك، فقال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل: ٣]، ثم ذكر خلْق الإنسان من نطفة، ثم خلق الأنعام، ثم عجائب النبات، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل، الآية: ١٠، ١١]؛ فجعل مقطع هذه الآية التفكُّر؛ لأنَّه استدلال بحدوث الأنواع المختلفة من النبات على وجود الإله القادر المختار، ولمَّا كان هنا مظنَّة سؤال، وهو أنه: لم لا يجوز أن يكون المؤثر فيه طبائع الفصول وحركات الشمس والقمر؟ وكان الدليل لا يتمُّ إلَّا بالجواب عن هذا السؤال، كان مجالُ التفكر والنظر والتأمُّل باقياً. فأجاب تعالى عنه من وجهين:

أحدهما: أن تغيّرات العالم السفلي مربوطة بأحوال حركات الأفلاك، فتلك الحركات كيف حصلت؟ فإن كان حصولها بسبب أفلاك أخرى لزم التسلسل، وإن كان من الخالق الحكيم: فذاك إقرار بوجود الإله تعالى. وهذا هو المراد بقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢]. فجعل مقطع هذه الآية العقل، وكأنه قيل: إن كنت عاقلاً فاعلم أن التسلسل باطلٌ؛ فوجب انتهاء الحركات إلى حركة يكون موجدها غير متحرِّك، وهو الإله القادر المختار.

والثاني: أن نسبة الكواكب والطبائع إلى جميع أجزاء الورقة الواحدة والحبَّة الواحدةِ واحدةٌ. ثم إنَّا نرى الورقة الواحدةَ من الورْد أحدَ وجهَيها في غاية الحمرة، والآخر في غاية السواد؛ فلو كان المؤثِّر موجباً بالذات لامتنع حصول هذا التفاوت في الآثار؛ فعلمنا أن المؤثِّر قادرٌ مختار. وهذا هو المراد من قوله: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٣]. كأنه قيل: اذكر ما ترسَّخ في عقلك: أنَّ الواجب بالذات وبالطبع لا يختلف تأثيرُه، فإذا نظرت حصولَ هذا الاختلاف علمتَ أنَّ المؤثِّر ليس هو الطبائعَ، بل الفاعل المختار، فلهذا جعل مقطع الآية التذكُّر.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ . . .﴾ الآيات؛ فإنَّ الأولى ختمت بقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، والثانية بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، والثالثة بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

---

(١) وتمام الآية: ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

لأنَّ الوصايا التي في الآية الأولى إنما يحمل على تركها عدمُ العقل الغالبِ على الهوى؛ لأنَّ الإشراك بالله، لعدم استكمال العقل الدالّ على توحيده وعظمته. وكذلك عقوق الوالدين، لا يقتضيه العقل، لسبق إحسانهما إلى الوَلد بكل طريق. وكذلك قتل الأولاد بالوأدِ من الإملاق، مع وجود الرازق الحيّ الكريم. وكذلك إتيان الفواحش لا يقتضيه عقل. وكذا قتل النفس لغيظ أو غضب في القاتل. فحسُن بعد ذلك ﴿تَعۡقِلُونَ﴾.

وأما الثانية: فلتعلُّقها بالحقوق المالية والقولية، فإن من علم أن له أيتاماً يخلّفهم من بعده: لا يليق به أن يعامل أيتامَ غيره إلّا بما يُحِبُّ أن يعامَل به أيتامه. ومَنْ يكيل أو يزن أو يشهد لغيره: لو كان ذلك الأمر له لمْ يحبَّ أن يكون فيه خيانة ولا بخسٌ. وكذا من وَعد: لو وُعد، لم يُحبَّ أن يُخلَف. ومن أحب ذلك عاملَ الناسَ به ليعاملوه بمثله، فَتركُ ذلك إنما يكون لغفلةٍ عن تدبُّر ذلك وتأمُّله، فلذلك ناسب الختم بقوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾.

وأما الثالثة: فلأنَّ ترك اتباع شرائع الله الدينية مؤدٍّ إلى غضبه وإلى عقابه، فحَسُن: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾، أي: عقابَ الله بسببه.

ومن ذلك قوله في الأنعام أيضاً: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ . . .﴾ الآيات [٩٧ ـ ٩٩]، فإنَّه ختم الأولى بقوله: ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾، والثانيةَ بقوله: ﴿لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ﴾، والثالثةَ بقوله: ﴿لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾؛ وذلك لأن حساب النجوم والاهتداء بها يختصُّ بالعلماء بذلك، فناسب ختمه بـ ﴿يَعۡلَمُونَ﴾.

وإنشاء الخلائق من نفس واحدة، ونقلهم من صلب إلى رحم، ثم إلى الدنيا، ثم إلى حياة وموت، والنظر في ذلك والفكر فيه أدقّ، فناسب ختمه بـ ﴿يَفۡقَهُونَ﴾، لأن الفقه فَهمُ الأشياء الدقيقة.

ولمَّا ذكر ما أنعم به على عباده من سعة الأرزاق والأقوات والثمار وأنواع ذلك، ناسب ختمه بالإيمان الداعي إلى شكره تعالى على نعمه.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: ٤١، ٤٢]؛ حيث ختم الأولى بـ ﴿تُؤۡمِنُونَ﴾، والثانيةَ بـ ﴿تَذَكَّرُونَ﴾، ووجههُ: أن مخالفة القرآن لنظم الشعر ظاهرة واضحةٌ لا تخفى على أحد، فقول من قال: شِعْر، كُفْرٌ وعنادٌ مَحْضٌ، فناسب ختمه بقوله: ﴿قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ﴾.

وأما مخالفته لنظم الكهّان وألفاظ السجع فتحتاج إلى تذكُّر وتدبُّر؛ لأن كلاًّ منهما نثر، فليست مخالفته له في وضوحها لكلّ أحد كمخالفته الشعر؛ وإنما تظهر بتدبُّر ما في القرآن من الفصاحة والبلاغة والبدائع والمعاني الأنيقة، فحسن ختمه بقوله: ﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

ومن بديع هذا النوع: **اختلاف الفاصلتين في موضعين**، والمحدَّث عنه واحد، لنكتة لطيفة، كقوله تعالى في سورة إبراهيم [الآية: ٣٤]: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾، ثم قال في سورة النحل [الآية: ١٨]: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

قال ابن المُنيِّر: كأنه يقول: إذا حصلت النِّعم الكثيرةُ، فأنت آخذُها وأنا معطيها، فحصَل لك عند أخذها وصفان: كونُك ظلوماً وكونك كفَّاراً؛ يعني لعدم وفائك بشكرها. ولي عند إعطائها وصفان، وهما: أني غفور رحيم، أقابل ظلمك بغفراني، وكفرك برحمتي، فلا أقابل تقصيرَك إلَّا بالتوقير، ولا أجازي جفاك إلَّا بالوفاء.

وقال غيره: إنما خصَّ سورة إبراهيم بوصف المنعَم عليه، وسورة النحل بوصف المنعِم؛ لأنه في سورة إبراهيم في مساق وصف الإنسان، وفي سورة النحل في مساق صفات الله وإثبات ألوهيته.

ونظيره: قوله تعالى في سورة الجاثية [الآية: ١٥]: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾، وفي فصلت [الآية: ٤٦] ختم بقوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

ونكتة ذلك: أن قبل الآية الأولى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الجاثية: ١٤]؛ فناسب الختام بفاصلة البعث، لأن قبله وصفهم بإنكاره. وأما الثانية: فالختام فيها مناسبٌ؛ لأنه لا يضيع عملاً صالحاً، ولا يزيد على من عمل سيِّئاً.

وقال في سورة النساء [الآية: ٤٨]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾، ثم أعادها، وختم بقوله: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]؛ ونكتة ذلك: أن الأولى نزلت في اليهود، وهم الذين افتروا على الله ما ليس في كتابه، والثانية نزلت في المشركين، ولا كتابَ لهم، وضلالُهم أشدُّ.

ونظيره: قوله في المائدة [الآية: ٤٤]: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، ثم أعادها فقال: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ثم قال في الثالثة: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

ونكتته: أنَّ الأولى نزلتْ في أحكام المسلمين، والثانية في اليهود، والثالثة في النصارى.

وقيل: الأولى فيمَنْ جَحَد ما أنزل الله، والثانية فيمَنْ خالفه مع علمه ولم ينكره، والثالثة فيمن خالفه جاهلاً.

وقيل: الكافر والظالم والفاسق كلها بمعنى واحد، وهو الكفر، عبَّر عنه بألفاظ مختلفة؛ لزيادة الفائدة، واجتناب صورة التكرار.

وعكس هذا: **اتفاق الفاصلتين والمحدَّث عنه مختلف**، كقوله في سورة النور [الآية: ٥٨]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، ثم قال: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٥٩].

التنبيه الثاني: من مشكلات الفواصل قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ

﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]. فإن قوله: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ يقتضي أن تكون الفاصلة (الغفور الرحيم) وكذا نقلت عن مصحف أُبيّ، وبها قرأ ابن شَنْبوذ[1].

وذكر في حكمته: أنه لا يغفر لمن استحق العذاب إلَّا مَن ليس فوقه أحد يردُّ عليه حكمَه، فهو العزيز، أي: الغالب، والحكيم هو الذي يضع الشيء في محله. وقد يخفى وجهُ الحكمة على بعض الضعفاء في بعض الأفعال، فيتوهّم أنه خارج عنها، وليس كذلك، فكان في الوصف بالحكيم احتراسٌ حسنٌ، أي: وإن تغفر لهم ـ مع استحقاقهم العذاب ـ فلا معترَض عليك لأحد في ذلك، والحكمةُ فيما فعلتَه.

ونظير ذلك: قوله في سورة التوبة [الآية: ٧١]: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. وفي سورة الممتحنة [الآية: ٥]: ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، وفي غافر [الآية: ٨]: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾. وفي النور: [١٠]: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾؛ فإنَّ بادئ الرأي يقتضي (توّاب رحيم)، لأنَّ الرحمة مناسبة للتوبة، لكن عبَّر به إشارةً إلى فائدةِ مشروعيةِ اللِّعان وحكمته، وهي السَّتْر عن هذه الفاحشة العظيمة.

ومن خفيِّ ذلك أيضاً: قوله في سورة البقرة [٢٩]: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾. وفي آل عمران [٢٩]: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

فإنَّ المتبادر إلى الذهن في آية البقرة الختم بالقدرة، وفي آية آل عمران الختم بالعلم. والجواب:

أن آية البقرة: لما تضمَّنت الإخبار عن خلق الأرض، وما فيها على حسب حاجات أهلها ومنافعهم ومصالحهم، وخلق السموات خلقاً مستوياً محكماً من غير تفاوت، والخالقُ على الوصف المذكور يجب أن يكون عالماً بما فعله كليّاً وجزئيًّا، مجملاً ومفصلاً، ناسب ختمُها بصفة العلم.

وآية آل عمران لما كانت في سياق الوعيد على موالاة الكفار، وكان التعبير بالعلم فيها كناية عن المجازاة بالعقاب والثواب، ناسب ختمها بصفة القدرة.

ومن ذلك قوله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]؛ فالختم بالحلم والمغفرة عقب تسابيح الأشياء غير ظاهر في بادئ الرأي، وذُكِر في حكمته: أنه لما كانت الأشياء كلها تسبّح، ولا عصيان في حقِّها وأنتم تعصون، ختم به مراعاةً للمقدّر في الآية وهو العصيان. كما جاء في الحديث: «**لولا بهائمُ رُتَّع، وشيوخٌ رُكَّع، وأطفال رُضَّع، لصُبَّ عليكم العذاب صبّاً، ولَرُصَّ رصّاً**» [إسناده ضعيف: الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٠٩)، والبيهقي في «السنن» (٣/ ٣٤٥)].

وقيل: التقدير: حليماً عن تفريط المسبِّحين، غفوراً لذنوبهم.

---

(١) ابن شَنَبُوذ: محمد بن أحمد البغدادي، شيخ الإقراء بالعراق، ثقة (ت: ٣٢٨هـ). «معرفة القراء الكبار» للذهبي ١/ ٢٧٦.

وقيل: حليماً عن المخاطبين الذين لا يفقهون التسبيح، بإهمالهم النظر في الآيات والعبر، ليعرفُوا حقه بالتأمل فيما أودع في مخلوقاته، ممّا يوجب تنزيهه.

التنبيه الثالث: في الفواصل ما لا نظير له في القرآن، كقوله عقب الأمر بالغضّ في سورة النور [٣٠]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾. وقوله عقب الأمر بالدُّعاء والاستجابة: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقيل: فيه تعريض بليلة القَدْر، حيث ذكر ذلك عقب ذكر رمضان، أيْ: لَعَلَّهُمْ يُرْشَدُونَ إلى معرفتها.

وأما التَّصدير: فهو أن تكون تلك اللفظة بعينها تقدّمت في أول الآية، وتسمَّى أيضاً: ردّ العجُز على الصدر.

وقال ابن المعتز: هو ثلاثة أقسام:

الأول: أن يوافق آخر الفاصلة آخر كلمة في الصدر، نحو: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦].

والثاني: أن يوافق أول كلمة منه، نحو: ﴿وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨].

الثالث: أن يوافق بعض كلماته، نحو: ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [الأنعام: ١٠]، ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا﴾ [الإسراء: ٢١]، ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ [طه: ٦١] إلى قوله: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ﴾ [طه: ٦١]، ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا﴾ [نوح: ١٠].

وأمَّا **التوشيح**: فهو أن يكون في أوَّل الكلام ما يستلزم القافيةَ.

والفرق بينه وبين التصدير: أن هذا دلالته معنويةٌ، وذاك لفظيةٌ، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ . . .﴾ الآية [آل عمران: ٣٣]؛ فإنَّ ﴿ٱصۡطَفَىٰٓ﴾ لا يدلُّ على أنَّ الفاصلة ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ باللفظ؛ لأن لفظ ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ غير لفظ ﴿ٱصۡطَفَىٰٓ﴾، ولكن بالمعنى؛ لأنه يعلم أن من لوازم اصطفاء شيء أن يكون مختاراً على جنسه، وجنس هؤلاء المصطفين العالمون.

وكقوله: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ . . .﴾ الآية [يس: ٣٧]. قال ابن أبي الإصبع: فإن من كان حافظاً لهذه السورة، متفطِّناً إلى أن مقاطع آيها النون المردَفة، وسمع في صدر الآية انسلاخ النهار من الليل، علم أن الفاصلة ﴿مُّظۡلِمُونَ﴾؛ لأن من انسلخ النهار عن ليله أظلَمَ؛ أي: دخل في الظلمة، ولذلك سُمِّيَ: تَوْشيحاً؛ لأن الكلام لما دلَّ أوله على آخره نزِّل المعنى منزلة الوشاح، ونُزِّل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح اللذين يحوط عليهما الوشاح.

وأما الإيغال فتقدم في نوع الإطناب.

فصل: في أقسام الفواصل:

قسم البديعيون السجع ـ ومثله الفواصل ـ إلى أقسام: مطرَّف، ومتوازٍ، ومرصَّع، ومتوازن، ومتماثل.

فالمطرَّف: أن تختلف الفاصلتان في الوزن وتتفقا في حروف السجع، نحو: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٣، ١٤].

والمتوازي: أن يتفقا وزناً وتقفية، ولم يكن ما في الأولى مقابلاً لما في الثانية في الوزن والتقفية. نحو: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣، ١٤].

والمتوازن: أن يتفقا في الوزن دون التقفية، نحو: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٥، ١٦].

والمرصَّع: أن يتفقا وزناً وتقفية، ويكون ما في الأولى مقابلاً لما في الثانية كذلك، نحو: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦]، ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤].

والمتماثل: أن يتساويا في الوزن دون التقفية، وتكون أفراد الأولى مقابلة لما في الثانية، فهو بالنسبة إلى المرصَّع كالمتوازن بالنسبة إلى المتوازي. نحو: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الصافات: ١١٧، ١١٨]؛ فالكتاب والصراط يتوازنان، وكذا المستبين والمستقيم، واختلفا في الحرف الأخير.

فصل: بقي نوعان بديعيّان متعلقان بالفواصل:

أحدهما: التشريع، وسمَّاه ابن أبي الإصبع: التوءم، وأصله: أن يبنيَ الشاعر بيته على وزنين من أوزان العروض، فإذا أسقط منها جزءاً أو جزءين صار الباقي بيتاً من وزن آخر، ثم زعم قوم اختصاصه به.

وقال آخرون: بل يكون في النثر، بأن يكون مبنيًّا على سجعتين لو اقتصر على الأولى منهما كان الكلام تامّاً مفيداً، وإن ألحقتَ به السجعة الثانية كان في التَّمام والإفادة على حاله مع زيادة معنى ما زاد من اللفظ.

قال ابن أبي الإِصْبَع: وقد جاء من هذا الباب معظم سورة الرحمن؛ فإن آياتها لو اقتصر فيها على أُولى الفاصلتين دون: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٨]، لكان تامًّا مفيداً، وقد كمُل بالثانية، فأفاد معنى زائداً من التقرير والتوبيخ.

قلت: التمثيل غير مطابق، والأَوْلى أن يمثّل بالآيات التي في أثنائها ما يصلح أن يكون فاصلة، كقوله: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢]. وأشباه ذلك.

الثاني: الالتزام، ويسمى لزوم ما لا يلزم، وهو: أن يُلتزم في الشعر أو النثر حرفٌ أو حرفان فصاعداً قبل الرويّ بشرط عدم الكلفة.

مثال التزام حرف: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ٩، ١٠]، التزم الهاء قبل الراء. ومثله ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ . . .﴾ [الشرح: ١] الآيات، التزم فيها الراء قبل الكاف. ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥، ١٦]. التزم فيها النون المشدّدة قبل السين. ﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨﴾ [الانشقاق: ١٧، ١٨].

ومثال التزام حرْفين: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ [الطور: ١، ٢]، ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [القلم: ٢، ٣]، ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ۝٢٦ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ۝٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾ [القيامة: ٢٦ ـ ٢٨].

ومثال التزام ثلاثة أحرف: ﴿تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١، ٢٠٢].

تنبيهات:

الأول: قال أهل البديع: أحسنُ السَّجع ونحوه ما تساوت قرائنُه، نحو: ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝٢٨ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝٢٩ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٨ ـ ٣٠]، ويليه ما طالت قرينته الثانيةُ، نحو: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ١، ٢]، أو الثالثة، نحو: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ . . .﴾ الآية [الحاقة: ٣٠ ـ ٣٢].

وقال ابن الأثير(١): الأحسن في الثانية المساواة، وإلَّا فأطول قليلاً، وفي الثالثة أن تكون أطول.

وقال الخفَّاجيّ(٢): لا يجوز أن تكون الثانية أقصرَ من الأولى.

الثاني: قالوا أحسن السجع ما كان قصيراً، لدلالته على قوة المنشئ.

وأقله: كلمتان، نحو ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ . . .﴾ الآيات [المدثر: ١ ـ ٢]. ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا . . .﴾ الآيات [المرسلات: ١]. ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا . . .﴾ الآيات [الذاريات: ١]. ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا . . .﴾ الآيات [العاديات: ١].

والطويل: ما زاد عن العشر، كغالب الآيات. وما بينهما متوسط كآيات سورة القمر.

الثالث: قال الزمخشري في «كشافه» القديم: لا تحسُن المحافظة على الفواصل لمجرّدها إلَّا مع بقاء المعاني على سردها، على المنهج الذي يقتضيه حسنُ النظم والْتآمه، فأمَّا أن تُهمَل المعاني ويُهتمّ بتحسين اللفظ وحده، غير منظور فيه إلى مؤدَّاه، فليس من قبيل البلاغة. وبنى على ذلك: أن التقديم في ﴿وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤] ليس لمجرَّد الفاصلة، بل لرعاية الاختصاص.

الرابع: مبنى الفواصل على الوقف، ولهذا ساغ مقابلة المرفوع بالمجرور وبالعكس، كقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ مع قوله: ﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ و﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ٩ ـ ١١].

---

(١) في «المثل السائر» ١/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤، وفي «الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور» ص٢٥١ ـ ٢٥٢.

(٢) في «سر الفصاحة» ص٢٠٦ ـ ٢٠٧.

وقوله: ﴿بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ مع قوله: ﴿قَدْ قُدِرَ﴾ ﴿وَدُسُرٍ﴾ ﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾ [القمر: ١١، ١٢، ١٣، ١٩].

وقوله: ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ مع قوله: ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ [الرعد: ١١، ١٢].

الخامس: كثر في القرآن ختم الفواصل بحروف المدِّ واللين وإلحاق النون، وحكمته: وجود التمكُّن من التطريب بذلك. كما قال سيبويه: إنهم إذا ترنَّموا يلحقون الألف والياء والنون؛ لأنهم أرادوا مدَّ الصوت، ويتركون ذلك إذا لم يترنَّموا، وجاء في القرآن على أسهل موقف وأعذب مقطع.

السادس: حروف الفواصل إمَّا متماثلة وإمَّا متقاربة:

فالأول: مثل: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾ [الطور: ١ ـ ٤].

والثاني مثل: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٣، ٤]. ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ [ق: ١، ٢].

قال الإمام فخر الدين وغيره: وفواصل القرآن لا تخرج عن هذين القسمين، بل تنحصر في المتماثلة والمتقاربة. قال: وبهذا يترجَّح مذهب الشافعيّ على مذهب أبي حنيفة في عدّ الفاتحة سبع آيات مع البسملة، وجعل ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ﴾ إلى آخرها آية؛ فإن من جعل آخر الآية السادسة: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ مردود بأنه لا يشابه فواصلَ سائر آيات السورة، لا بالمماثلة ولا بالمقاربة، ورعايةُ التشابه في الفواصل لازمةٌ.

السابع: كثُر في الفواصل التضمين والإيطاء، لأنهما ليسا بعيبين في النثر، وإن كانا عيبين في النظم.

فالتضمين: أن يكون ما بعد الفاصلة متعلِّقاً بها، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ﴾ [الصافات: ١٣٧، ١٣٨].

والإيطاء: تكرّر الفاصلة بلفظها، كقوله تعالى في الإسراء: ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾، وختم بذلك الآيتين بعدها [٩٣].

النوع الستون

في فواتح السُّوَر

أَفردها بالتأْليف ابن أبي الإِصبع في كتاب سمَّاه «**الخواطر السوانح في أسرار الفواتح**».

وأنا أُلخِّص هنا ما ذكره مع زوائد من غيره.

اعلم أن الله افتتح سور القرآن بعشرة أنواع من الكلام، لا يخرج شيء من السور عنها:

الأول: الثَّناء عليه تعالى، والثناء قسمان: إثبات لصفات المدح، ونفيٌ وتنزيه من صفات النقص، فالأوّلُ التحميد في خمس سور، وتبارك في سورتين، والثاني التسبيح في سبع سور.

قال الكَرْماني في «**متشابه القرآن**»[1]: التسبيح كلمة استأثر الله بها، فبدأ بالمصدر في بني إسرائيل؛ لأنه الأصل، ثم بالماضي في الحديد والحشر، لأنه أسبق الزمانين، ثم بالمضارع في الجمعة والتغابن، ثم بالأمر في الأعلى؛ استيعاباً لهذه الكلمة من جميع جهاتها.

الثاني: حروف التهجِّي في تسع وعشرين سورة، وقد مضى الكلام عليها مستوعباً في نوع المتشابه، ويأتي الإلمام بمناسباتها في نوع المناسبات.

الثالث: النِّداء في عشر سور: خمس بنداء الرسول ﷺ: الأحزاب، والطلاق، والتحريم، والمزَّمِّل، والمدَّثر. وخمس بنداء الأمّة: النساء، والمائدة، والحج، والحجرات، والممتحنة.

الرابع: الجمل الخبرية، نحو: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ [الأنفال]. ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة]. ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل]. ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء]. ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون]. ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا﴾ [النور]. ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [السجدة]. ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [محمد]. ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾ [الفتح]. ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر]. ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ﴾ [الرحمن]. ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ [المجادلة]. ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾. ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ [المعارج]. ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ [نوح]. ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ في موضعين [القيامة، البلد]. ﴿عَبَسَ﴾ [عبس]. ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [القدر]. ﴿لَمْ يَكُنِ﴾ [البينة]. ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾. ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾ [التكاثر]. ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ﴾ [الكوثر]. فتلك ثلاث وعشرون سورة.

الخامس: القسَم في خمس عشرة سورة:

سورة أقسم فيها بالملائكة، وهي: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾.

وسورتان بالأفلاك: البروج والطارق.

وستّ سور بلوازمها: فالنجم أقسم بالثريّا، والفجر بمبدأ النهار، والشمس بآية النهار، واللَّيل بشطر الزمان، والضحى بشَطْر النهار، والعصر بالشَّطر الآخر أو بجملة الزمان.

---

(١) «البرهان في متشابه القرآن» محمود بن حمزة الكرماني ص٣٤١، أول سورة الحديد.

وسورتان بالهواء الذي هو أحد العناصر، والذّاريات، والمرسلات.

وسورة بالتربة التي هي منها أيضاً، وهي: الطور.

وسورة بالنبات وهي: ﴿وَالتِّينِ﴾.

وسورة بالحيوان الناطق وهي: ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾.

وسورة بالبهيم وهي: ﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾.

السادس: الشَّرْط في سبع سور: الواقعة، والمنافقون، والتكوير، والانفطار، والانشقاق، والزلزلة، والنَّصر.

السابع: الأمر في ست سور: ﴿قُلْ أُوحِيَ﴾، ﴿اقْرَأْ﴾، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ المعوذتين.

الثامن: الاستفهام في ستّ سور: ﴿هَلْ أَتَى﴾، ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾. ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾، ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾، ﴿أَرَأَيْتَ﴾.

التاسع: الدُّعاء في ثلاث: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾. ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ﴾. ﴿تَبَّتْ﴾.

العاشر: التعليل في: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾.

هكذا جمع أبو شامةَ[1]، قال: وما ذكرناه في الدعاء يجوز أن يذكر مع الخبر، وكذا الثناء كله خبر إلّا ﴿سَبِّحِ﴾، فإنّه يدخل في قسم الأمر،

و(سبحان) يحتمل الأمر والخبر. ثم نظم ذلك في بيتين فقال:

أثنى على نفسه سبحانه بثبو ... تِ الحمد والسلب لما استفتح السُّوَرا

والأمر شرط الندا والتعليل والقسم الدُّ ... عا حروف التَّهجّي استفهم الخبرا

وقال أهل البيان: من البلاغة **حسن الابتداء**؛ وهو أن يتأنّق في أوّل الكلام، لأنه أول ما يقرع السمع، فإن كان محرراً أقبل السامع على الكلام ووعاه، وإلّا أعرض عنه ولو كان الباقي في نهاية الحسن، فينبغي أن يؤتَى فيه بأعذب اللفظ وأجزله وأرقّه وأسلسه وأحسنه نظماً وسبكاً، وأصحّه معنىً، وأوضحه وأخلاه من التعقيد، والتقديم والتأخير الملبِس، أو الذي لا يناسب.

قالوا: وقد أتت جميع فواتح السور على أحسن الوجوه وأبلغِها وأكملِها، كالتحميدات وحروف الهجاء والنداء، وغير ذلك.

ومن الابتداء الحسن نوع أخصّ منه يسمَّى: **براعة الاستهلال**، وهو: أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلَّم فيه، ويشير إلى ما سيق الكلام لأجله، والعَلَمُ الأسنى في ذلك سورة الفاتحة، التي هي مطلع القرآن، فإنَّها مشتملة على جميع مقاصده، كما قال البيهقيّ في «**شعب الإيمان**» [٢٣٧١]:

---

(١) أبو شامة: عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي، أبو القاسم، مؤرخ، محدث (ت: ٦٦٥هـ). «فوات الوفيات» ١/ ٢٥٢.

أخبرنا أبو القاسم بن حبيب، أنبأنا محمد بن صالح بن هانئ، أنبأنا الحسين بن الفضل، حدثنا عفان بن مسلم، عن الربيع بن صُبيح، عن الحسن قال: أنزل الله مئةً وأربعة كتب، أودَعَ علومها أربعة منها: التوراة، والإنجيل، والزَّبور، والفُرقان. ثم أودع علوم التَّوراة والإنجيل والزبور والفرقان القرآن، ثم أودع علوم القرآن المفصَّل، ثم أودع علوم المفصَّل فاتحة الكتاب، فمن علِمَ تفسيرَها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزَّلة.

وقد وُجّه ذلك: بأن العلوم التي احتوى عليها القرآنُ وقامت بها الأديانُ أربعةٌ:

علـم الأصـول: ومداره على معرفة الله وصفاته، وإليه الإشارة بـ ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيـمِ﴾، ومعرفة النبوّات، وإليه الإشارة بـ ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، ومعرفة المعاد، وإليه الإشارة بـ ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

وعلم العبادات: وإليه الإشارة بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

وعلـم السلوك: وهو حمل النفس على الآداب الشرعية والانقياد لرب البريّة، وإليه الإشارة بـ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

وعلم القصص: وهو الاطلاع على أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية؛ ليعلم المطَّلع على ذلك سعادة من أطاع الله وشقاوة من عصاه، وإليه الإشارة بقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

فنبَّه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن؛ وهذا هو الغاية في **براعة الاستهلال**، مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنَة، والمقاطع المستحسنة، وأنواع البلاغة.

وكذلك أوَّل سورة ﴿ٱقْرَأْ﴾؛ فإنَّها مشتملة على نظير ما اشتملت عليه الفاتحة من براعة الاستهلال، لكونها أوَّلَ ما أنزل من القرآن: فإن فيها الأمر بالقراءة والبداءةَ فيها باسم الله، وفيها الإشارة إلى علم الأحكام. وفيها ما يتعلق بتوحيد الربّ وإثبات ذاته وصفاته من صفة ذات وصفة فعل، وفي هذه الإشارة إلى أصول الدين. وفيها ما يتعلق بالإخبار من قوله: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥]؛ ولهذا قيل: إنها جديرة أن تسمَّى: **عنوان القرآن**، لأن عنوان الكتاب يَجمَع مقاصدَه بعبارة وجيزة في أوله.

❁ ❁ ❁

النَّوعُ الحادي والسِّتُّون

في خواتِم السُّور

هي أيضاً مثل الفواتح في الحُسْن؛ لأنها آخر ما يَقْرَع الأسماع، فلهذا جاءت متضمِّنة للمعاني البديعة، مع إيذان السامع بانتهاء الكلام، حتى لا يبقى معه للنفوس تشوُّفٌ إلى ما يُذكر بعد، لأنها بين أدعية ووصايا وفرائض، وتحميد وتهليل، ومواعظ، ووعْد ووعيد، إلى غير ذلك.

كتفصيل جملة المطلوب في خاتمة الفاتحة، إذ المطلوب الأعلى: الإيمان المحفوظ من المعاصي المسبِّبة لغضب الله والضلال، ففصَّل جملة ذلك بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. والمراد: المؤمنون، ولذلك أطلق الإنعام ولم يقيِّده ليتناول كلَّ إنعام، لأن من أنعَم الله عليه بنعمة الإيمان فقد أنعم عليه بكل نعمة، لأنها مستتبعة لجميع النِّعم، ثم وصفهم بقوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾؛ يعني أنهم جمعوا بين النِّعم المطلقة وهي نعمة الإيمان، وبين السلامة من غضب الله تعالى والضَّلال المسبِّبين عن معاصيه وتعدِّي حدوده.

وكالدُّعاء الذي اشتَملت عليه الآيتان من آخر سورة البقرة.

وكالوصايا التي خُتمت بها سورة آل عمران: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾ الآية.

والفرَائض التي خُتمت بها سورة النساء، وحسُنَ الخَتْم بها لما فيها من أحكام الموت الذي هو آخر أمر كلّ حيٍّ، ولأنَّها آخر ما أُنزل من الأحكام[1]. [البخاري: ٤٦٠٥، ومسلم: ٤١٥٢ و٤١٥٣، وأحمد: ١٨٦٣٨].

وكالتبجيل والتعظيم الذي خُتمت به المائدةُ.

وكالوعد والوعيد الَّذي خُتمت به الأنعامُ.

وكالتحريض على العبادة بوصف حال الملائكة الذي ختمت به الأعراف.

وكالحضّ على الجهاد وصِلَة الأرحام الذي خُتم به الأنفال.

وكوصف الرسول ومدحه، والتهليل الذي ختمت به براءة.

وتسليته عليه الصلاة والسلام الذي ختمت به يونس، ومثلها خاتمة هود.

ووصف القرآن ومدحه الذي ختم به يوسف.

والوعيد والردّ على مَنْ كذَّب الرسول الذي خُتم به الرعد.

ومن أوضح ما آذن بالختام خاتمة إبراهيم: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ . . .﴾ الآية، ومثلها خاتمة الأحقاف،

(١) ولفظ مسلم: «آخرُ سورةٍ نزلت براءةٌ، وآخرُ آيةٍ نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾».

وكذا خاتمة الحجر بقوله: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾؛ وهو مفسَّر بالموت، فإنها في غاية البراعة.

وانظر إلى سورة الزلزلة كيف: بُدئت بأهوال القيامة وخُتمت بقوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾.

وانظر إلى براعة آخر آيةٍ نزلت، وهي قوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]. وما فيها من الإشعار بالآخريّة المستلزمة للوفاة.

وكذلك آخر سورة نزلت وهي سورة النصر، فيها الإشعار بالوفاة، كما أخرج البخاريّ [٤٩٧٠] من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن عمر سألهم عن قوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾، فقالوا: فتح المدائن والقصور، قال: ما تقول يا ابن عباس؟ قال: أجلٌ ضُرِب لمحمد، نُعيَتْ له نفسُه. [وأحمد: ٣١٢٧].

وأخرج أيضاً عنه قال: كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر، فكأنَّ بعضَهم وجَدَ في نفسه، فقال: لِمَ تُدْخل هذا معنا، ولنا أبناء مثلُه؟ فقال عمر: إنَّه مَن قد علمتُم. ثم دعاهم ذات يوم، فقال: ما تقولون في قول الله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾؟ فقال بعضهم: أُمِرنا أن نحمد الله ونستغفرَه إذا نَصَرَنا وفتح علينا. وسكَت بعضُهم فلم يقل شيئاً. فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عَباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أَجَل رسول الله ﷺ أعلمَه به، قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾، وذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾، فقال عمر: إني لا أعلم منها إلَّا ما تقول.

النوع الثاني والستون

في مناسبة الآيات والسور

أَفرده بالتأليف العلامة أبو جعفر بن الزبير ـ شيخ أبي حيان ـ في كتاب سمَّاه «**البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن**». ومن أهل العصر الشيخ برهان الدين البقاعيّ في كتاب سمَّاه «**نَظْم الدّرر في تناسب الآي والسور**». وكتابي الَّذي صنعتُه في أسرار التنزيل كافلٌ بذلك، جامعٌ لمناسبات السور والآيات؛ مع ما تضمنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة. وقد لخَّصت منه مناسَبات السور خاصَّة في جزء لطيف، سمّيته: «**تَنَاسق الدُّرر في تناسب السور**».

وعلم المناسبة علم شريف، قلَّ اعتناء المفسرين به لدقته، وممن أكثر فيه الإمامُ فخرُ الدين، وقال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مُودَعَةٌ في الترتيبات والروابط.

وقال ابن العربيّ في «**سراج المريدين**»[(١)]: ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعَاني منتظمة المباني علم عظيم، لم يتعرَّض له إلَّا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله لنا فيه، فلمَّا لم نجد له حَمَلة، ورأينا الخلق بأوصاف البَطَلة، ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه.

وقال غيره: أول مَنْ أظهر علم المناسبة الشيخ أبو بكر النيسابوري، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب؛ وكان يقول على الكرسيّ إذا قرئ عليه: لم جُعِلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعْل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟. وكان يَزْري[(٢)] على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: المناسَبة علم حسَن، لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متَّحد مرتبط أوله بآخره؛ فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربَط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلَّا بربط ركيكٍ، يُصان عن مثله حَسَنُ الحديث فضلاً عن أحسنه؛ فإن القرآن نزل في نيِّف وعشرين سنةً، في أحكام مختلفة، شرِعت لأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض.

وقال الشيخ وليّ الدين الملَّويّ: قَد وَهِمَ من قال: لا يُطلب للآي الكريمة مناسبةٌ؛ لأنها على حسب الوقائع المفرّقة. وفصلُ الخطاب: أنها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأْصِيلاً، فالمصحف على وَفْق ما في اللوح المحفوظ، مرتّبة سورُه كلُّها وآياته بالتوقيف، كما أنزل جملة إلى بيت العزَّة؛ ومن المعجز البيّن أسلوبُه ونظمُه الباهر، والَّذي ينبغي في كلّ آية: أن يبحث أوَّل

(١) ذكره حاجي خليفة وقال: ذكره القرطبي في «تذكرته» ٢/ ٩٨٤.
(٢) يزري: يَعيبُ.

كل شيء عن كونها مكمِّلة لما قبلها أو مستقلة؛ ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جَمٌّ، وهكذا في السُّوَر يُطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له. انتهى.

وقال الإمام الرازيّ في سورة البقرة[1]: ومَن تأمَّل في لطائف نظم هذه السورة، وفي بدائع ترتيبها، علم أنَّ القرآن كما أنَّه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، فهو أيضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته، ولعلَّ الذين قالوا: إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك، إلَّا أني رأيتُ جمهور المفسِّرين معرضين عن هذه اللطائف، غيرَ منتبهين لهذه الأسرار، وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل[2]:

والنَّجمُ تَستصغرُ الأبصارُ صورتَهُ ... والذَّنبُ للطَّرْف لا للنَّجم في الصِّغرِ

[بحر البسيط]

فصل: المناسبة في اللغة: المشاكلة والمقاربة، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها، عامّ أو خاصّ، عقليّ أو حسيّ أو خياليّ أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهنيّ، كالسَّبب والمسبب، والعلَّة والمعلول، والنظيرين والضِّدَّين، ونحوه.

وفائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكَم المتلائم الأجزاء، فنقول: ذِكْر الآية بعد الأخرى:

إمَّا أن يكون ظاهر الارتباط، لتعلُّق الكلم بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى، فواضح. وكذلك إذا كانت الثانية للأُولى على وجه التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البدل؛ وهذا القسم لا كلام فيه.

وإما ألا يظهر الارتباط، بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأُخرى، وأنها خلاف النوع المبدوء به.

فإما أن تكون معطوفة على الأولى بحرفٍ من حروف العطف المشرِّكة في الحكم أوْ لَا.

فإن كانت معطوفة: فلا بد أن يكون بينهما جهة جامعة، على ما سبق تقسيمه، كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [الحديد: ٤]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، للتضادّ بين القبض والبسط، والوُلوج والخروج، والنزول والعُروج، وشبه التضادّ بين السماء والأرض.

وممَّا الكلام فيه التضادّ: ذكر الرحمة بعد ذكر العذاب، والرغبة بعد الرهبة؛ وقد جرت عادة القرآن إذا ذكر أحكاماً ذكر بعدها وعداً ووعيداً، ليكون باعثاً على العمل بما سبق، ثم يذكر آيات توحيد وتنزيه ليُعلم عظم الآمر والناهي، وتأمل سورة البقرة والنساء والمائدة تجده كذلك.

وإن لم تكن معطوفة: فلا بدَّ من دعامة تؤذن باتصال الكلام؛ وهي قرائن معنوية تؤذن بالربط.

---

(١) عند تفسير الآية: ٢٨٥، الوجه الرابع من المسألة الأولى ٤/ ١٤٠.

(٢) قائله أبو العلاء المعري.

وله أسباب:

أحدها: التنظير، فإن إلحاق النظير بالنظير من شأن العقلاء، كقوله: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ عقب قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾ [الأنفال: ٤، ٥]؛ فإنَّه تعالى أمر رسوله أن يمضي لأمره في الغنائم على كُرهٍ من أصحابه، كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العِير أو للقتال وهم له كارهون. والقصد: أنَّ كراهتهم لما فعله من قسمة الغنائم ككراهتهم للخروج، وقد تبيَّن في الخروج الخيرُ من الظفر والنصر والغنيمة وعزِّ الإسلام، فكذا يكون فيما فعله في القسمة، فليطيعوا ما أُمِروا به ويتركوا هوى أنفسهم.

الثاني: المضادَّة، كقوله في سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ . . .﴾ الآية [البقرة: ٦]، فإنَّ أوَّل السورة كان حديثاً عن القرآن، وأنَّ من شأنه الهداية للقوم الموصوفين بالإيمان، فلمَّا أكمل وصف المؤمنين عقَّب بحديث الكافرين؛ فبينهما جامع وَهْميٌّ بالتضادّ من هذا الوجه، وحكمتُه التشويق والثبوت على الأول، كما قيل: وبضدّها تتبيَّن الأشياء.

فإن قيل: هذا جامع بعيد؛ لأن كونه حديثاً عن المؤمنين بالعرض لا بالذات، والمقصود بالذات الذي هو مساق الكلام إنما هو الحديث عن القرآن، لأنه مفتتح القول.

قيل: لا يشترط في الجامع ذلك، بل يكفي التعلُّق على أيِّ وجهٍ كان، ويكفي في وجه الربط ما ذكرنا؛ لأن القصد تأكيد أمر القرآن والعملُ به، والحثُّ على الإيمان، ولهذا لمَّا فرغ من ذلك قال: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣]، فرجع إلى الأوَّل.

الثالث: الاستطراد، كقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ [الأعراف: ٢٦].

قال الزمخشري: هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد، عقب ذكر بدُوّ السوءات وخَصْف الورق عليهما؛ إظهاراً للمنَّة فيما خلق من اللباس، ولما في العُرْي وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعاراً بأن السَّتر باب عظيم من أبواب التقوى.

وقد خرّجت على الاستطراد قوله تعالى: ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ﴾ [النساء: ١٧٢]؛ فإنَّ أول الكلام ذُكِر للردّ على النصارى الزاعمين بُنوَّةَ المسيح، ثم استطرد للرَّد على العرب الزاعمين بنوّة الملائكة.

ويقرب من الاستطراد - حتى لا يكادان يفترقان - **حسنُ التخلُّص**، وهو: أن ينتقل ممَّا ابتدئ به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاساً، دقيق المعنى؛ بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلَّا وقد وقع عليه الثاني، لشدَّة الالتئام بينهما.

وقد غلط أبو العلاء محمد بن غانم في قوله: لم يقع منه في القرآن شيءٌ لما فيه من التكلُّف. وقال: إن القرآن إنما ورد على الاقتضاب الذي هو طريقة العرب من الانتقال إلى غير ملائم. وليس كما قال، ففيه من التخلُّصات العجيبة ما يحيِّر العقول.

وانظر إلى سورة الأعراف: كيف ذكر فيها الأنبياء والقرون الماضية والأمم السالفة، ثم ذكر موسى، إلى أنْ قصَّ حكاية السَّبْعِين رجلاً ودعائه لهم، ولسائر أمته بقوله: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾، وجوابه تعالى عنه، ثم تخلَّص بمناقب سيِّد المرسلين بعد تخلُّصه لأمته بقوله: ﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] من صفاتهم كيت وكيت، وهم الذين يتبعون الرسول النبيّ الأميّ. وأخذ في صفاته الكريمة وفضائله.

وفي سورة الشعراء: حكَى قول إبراهيم: ﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾، فتخلَّص منه إلى وصف المَعَاد بقوله: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . . .﴾ ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون..﴾ [الشعراء: ٨٧، ٨٨].

وفي سورة الكهف: حكَى قولَ ذي القرنين في السدِّ بعد دَكِّه الذي هو من أشراط الساعة، ثم النفخ في الصور وذكر الحشر، ووصف مآل الكفار والمؤمنين.

وقال بعضهم: الفرقُ بين التخلُّص والاستطراد: أنك في التخلُّص تركت ما كنت فيه بالكلِّية، وأقبلت على ما تخلصت إليه. وفي الاستطراد: تمرّ بذكر الأمر الذي استطردتَ إليه مروراً كالبرق الخاطف، ثم تتركه وتعود إلى ما كنتَ فيه، كأنك لم تقصده وإنما عرض عروضاً.

قيل: وبهذا يظهر أنَّ ما في سورتي الأعراف والشعراء من باب الاستطراد لا التخلُّص، لعوده في الأعراف إلى قصَّة موسى بقوله: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ . . .﴾ [الأعراف: ١٥٩] إلى آخره. وفي الشعراء إلى ذكر الأنبياء والأمم.

ويقرُب من حسن التخلص: **الانتقال من حديث إلى آخر** تنشيطاً للسامع، مفصولاً بهذا، كقوله في (سورة ص) بعد ذكر الأنبياء: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ . . .﴾ [ص: ٤٩]؛ فإن هذا القرآن نوع من الذِّكْر، لمَّا انتهى ذكر الأنبياء، وهو نوع من التنزيل، أراد أن يذكر نوعاً آخر وهو ذكر الجنة وأهلها، ثم لما فرغ قال: ﴿هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٥٥]، فذكر النار وأهلها.

قال ابن الأثير: هذا في هذا المقام من الفصل الذي هو أحسن من الوصل، وهي علاقة أكيدة بين الخروج من كلام إلى آخر.

ويقرُب منه أيضاً: **حسن المطلب**، قال الزَّنجانيّ والطِّيبيّ: وهو أن يخرج إلى الغرض بعد تقدم الوسيلة، كقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

قال الطِّيبيّ: وممَّا اجتمع فيه حسن التخلُّص والمطلب معاً قوله تعالى حكايةً عن إبراهيم: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٧، ٧٨] إلى قوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [٨٣].

قاعدة: قال بعض المتأخِّرين: الأمر الكلّي المفيدُ لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو: أنك تنظر إلى الغرض الذي سِيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدّمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدّمات في القُرْب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدّمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام أو اللوازم التابعة له، التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل

بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها. فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، فإذا عقلته تبيّن لك وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية في كل سورة، وسورة. انتهى.

تنبيه: من الآيات ما أشكلت مناسبتها لما قبلها:

من ذلك قوله تعالى في سورة القيامة: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ . . .﴾ الآيات [القيامة: ١٧]، فإنَّ وجه مناسبتها لأوَّل السورة وآخرها عَسِرٌ جداً، فإنَّ السورة كلها في أحوال القيامة، حتى زعم بعض الرافضة: أنه سقط من السورة شيء. وحتى ذهب **القفَّال** ـ فيما حكاه الفخر الرازيّ ـ أنها نزلت في الإنسان المذكور قبلُ في قوله: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣]. قال يُعرَضُ عليه كتابه، فإذا أخذ في القراءة تلجلج خوفاً، فأسرع في القراءة، فيقال له: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾: إن علينا أن نجمع عملك وأن نقرأ عليك. ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ عليك ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ بالإقرار بأنك فعلت، ثم إنَّ علينا بيان أمر الإنسان وما يتعلق بعقوبته. انتهى.

وهذا يخالفُ ما ثبت في الصحيح أنها نزلت في تحريكِ النبيّ ﷺ لسانَه حالةَ نزول الوحي عليه. [البخاري: ٥، ومسلم: ١٠٠٤، وأحمد: ٣١٩١].

وقد ذكر الأئمَّة لها مناسبات:

منها: أنه تعالى لمَّا ذكر القيامة، وكان من شأن من يقصِّر عن العمل لها حبُّ العاجلة، وكان من أصل الدين أن المبادرة إلى أفعال الخير مطلوبة، فنبَّه على أنه قد يعترض على هذا المطلوب ما هو أجلّ منه؛ وهو الإصغاء إلى الوحي، وتفهُّم ما يرد منه، والتشاغل بالحفظ قد يصُدُّ عن ذلك، فأمر بألا يبادر إلى التحفُّظ؛ لأن تحفيظه مضمون على ربِّه، وليصْغِ إلى ما يرد عليه إلى أن ينقضي، فيتبع ما اشتمل عليه. ثم لما انقضت الجملة المعترضة رجع الكلام إلى ما يتعلَّق بالإنسان المبتدأ بذكره ومن هو من جنسه، فقال: ﴿كَلَّا﴾ وهي كلمة ردْع، كأنه قال: بل أنتم يا بني آدم، لكونكم خُلقتم من عَجَلٍ، تعجلون في كل شيء، ومِن ثَمَّ تحبُّون العاجلة.

ومنها: أن عادة القرآن إذا ذكر الكتاب المشتمل على عمل العبد ـ حيث يعرض يوم القيامة ـ أردفه بذكر الكتاب المشتمل على الأحكام الدينيَّة في الدنيا التي تنشأ عنها المحاسبة عملاً وتركاً.

كما قال في الكهف: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ إلى أن قال: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ . . .﴾ الآية [الكهف: ٥٤]. وقال في [سورة] سبحان: ﴿فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾ إلى أن قال: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ . . .﴾ الآية [الإسراء: ٧١ ـ ٨٩].

وقال في طه: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ إلى أن قال: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه: ١٠٢ ـ ١١٤].

ومنها: أنَّ أول السورة لما نزل إلى: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ صادف أنه ﷺ في تلك الحالة بادر إلى تحفّظ الذي نزل، وحرَّك به لسانه من عجلته؛ خشيةً من تفلته، فنزل ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٥ ـ ١٩]، ثم عاد إلى الكلام إلى تكملة ما ابتدئ به.

قال الفخر الرازي: ونحوه ما لو ألقَى المدرّس على الطالب مثلاً مسألةً، فتشاغل الطالب بشيء عرض له، فقال له: ألق إليَّ بالَكَ وتفهَّمْ ما أقول، ثم كمَّل المسألة. فمن لا يعرف السبب يقول: ليس هذا الكلام مناسباً للمسألة، بخلاف مَنْ عرف ذلك.

ومنها: أن (النفس) لمَّا تقدَّم ذكرُها في أول السورة، عدَل إلى ذكر (نفس المصطفى) كأنه قيل: هذا شأن النفوس، وأنت يا محمد، نفسُك أشرف النفوس، فلتأْخذ بأكمل الأحوال.

ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ . . .﴾ الآية [البقرة: ١٨٩]؛ فقد يقال: أيُّ رابط بين أحكام الأهلَّة وبين حكم إتيان البيوت؟

وأجيب: بأنه من باب الاستطراد، لما ذكر أنها مواقيت للحجّ، وكان هذا من أفعالهم في الحج - كما ثبَت في سبب نزولها[1] [البخاري: ٤٥١٢، ومسلم: ٧٥٤٩] - ذُكر معه من باب الزيادة في الجواب على ما في السؤال، كما سئل عن ماء البحر فقال: «**هو الطَّهورُ ماؤه الحِلُّ مَيْتتُهُ**» [حسن صحيح: الترمذي: ٦٩، وأبو داود: ٨٣].

ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ . . .﴾ الآية [البقرة: ١١٥]؛ فقد يقال: ما وجه اتصاله بما قبله وهو قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ . . .﴾؟ الآية [البقرة: ١١٤].

وقال الشيخ أبو محمد الجوينيّ في «**تفسيره**»: سمعت أبا الحسن الدهَّان يقول: وجْهُ اتصاله هو أن ذكر تخريب بيت المقدس قد سبق، أي: فلا يجرمنَّكُم ذلك، واستقبلوه، فإنَّ لله المشرق والمغرب.

فصل: من هذا النوع مناسبة فواتح السور وخواتمها، وقد أفردتُ فيه جزءاً لطيفاً سميته: «**مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع**».

وانظر إلى سورة القصص: كيف بُدئت بأمر موسى ونصرته، وقوله: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧]، وخروجه من وطنه، وخُتِمت بأمر النبيِّ ﷺ بألَّا يكون ظهيراً للكافرين، وتسليته عن إخراجه من مكة ووعده بالعَوْد إليها، لقوله في أول السورة: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ﴾ [القصص: ٧].

قال الزمخشريّ: وقد جعل الله فاتحة سورة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ وأورد في خاتمتِها: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، فشتَّان ما بين الفاتحة والخاتمة!.

وذكر الكَرْمانيّ في «**العجائب**»[2] مثله.

وقال في سورة ﴿صٓ﴾: بدأها بالذكر وختمها به في قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [ص: ٨٧].

وفي سورة ﴿نٓ﴾ بدأها بقوله: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾، وختمها بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم: ٢، ٥١].

---

(١) من حديث البراء قال: كانوا إذا أَحْرمُوا في الجاهلية، أتوا البيتَ من ظهره، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾.

(٢) «عجائب التفسير...» ٢/ ٧٦٩، أول سورة المؤمنون.

ومنه: مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها؛ حتى إن منها ما يظهر تعلُّقها به لفظاً، كما في: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٥]، ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: ١]، فقد قال الأخفش: اتصالها بها من باب: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨].

وقال الكَواشيّ في تفسير المائدة: لما ختَم سورة النساء أمراً بالتوحيد والعدل بين العباد أكَّدَ ذلك بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

وقال غيره: إذا اعتبرتَ افتتاح كلّ سورة وجدتَه في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها، ثم هو يَخفى تارةً ويظهر أخرى؛ كافتتاح سورة الأنعام بالحمد، فإنَّه مناسب لختام المائدة من فصل القضاء، كما قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

وكافتتاح سورة فاطر بالحمد لله، فإنه مناسب لختام ما قبلها من قوله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ [سبأ: ٥٤]، كما قال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥].

وكافتتاح سورة الحديد بالتسبيح، فإنه مناسب لختام سورة الواقعة بالأمر به.

وكافتتاح سورة البقرة بقوله: ﴿الم ۝ ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾؛ فإنه إشارة إلى الصراط في قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، كأنهم لمَّا سألوا الهداية إلى الصراط، قيل لهم: ذلك الصراط الذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب، وهذا معنى حَسَنٌ يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالفاتحة.

ومن لطائف سورة الكوثر: أنها كالمقابلة للَّتي قبلها، لأن السابقة وصف الله فيها المنافق بأربعة أمور: البخل، وترك الصلاة، والرياء فيها، ومنع الزكاة، فذكر فيها في مقابلة البخل: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، أي: الخير الكثير، وفي مقابلة ترك الصلاة: ﴿فَصَلِّ﴾، أي: دُمْ عليها، وفي مقابلة الرِّياء: ﴿لِرَبِّكَ﴾، أي: لرضاه لا للناس، وفي مقابلة منع الماعون: ﴿وَانْحَرْ﴾، وأراد به التصدُّقَ بلحم الأضاحي.

وقال بعضهم: لترتيب وضع السُّوَر في المصحف أسبابٌ تُطْلِع على أنه توقيفيّ صادر عن حكيم:

أحدها: بحسب الحروف، كما في الحواميم.

الثاني: لموافقة أول السورة لآخر ما قبلها، كآخر الحمد في المعنى وأول البقرة.

الثالث: للتوازن في اللفظ، كآخر ﴿تَبَّتْ﴾، وأول (الإخلاص).

الرابع: لمشابهة جملة السورة لجملة الأخرى كالضحى و﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾.

قال بعض الأئمة: **وسورة الفاتحة**: تضمَّنت الإقرار بالربوبية والالتجاء إليه في دين الإسلام، والصِّيانة عن دين اليهوديّة والنصرانية.

وسورة البقرة: تضمَّنَتْ قواعدَ الدين.

وآل عمران: مكمِّلة لمقصودها، فالبقرة: بمنزلة إقامة الدليل على الحكم، وآل عمران: بمنزلة

الجواب عن شُبهات الخصوم، ولهذا وردَ فيها ذكر المتشابه لما تمسَّك به النصارى. وأوجب الحجَّ في آل عمران، وأمَّا في البقرة فذكر أنه مشروع، وأمر بإتمامه بعد الشروع فيه. وكان خطاب النصارى في آل عمران أكثر، كما أن خطاب اليهود في البقرة أكثر، لأن التوراة أصل، والإنجيلَ فرع لها، والنبيّ ﷺ لمَّا هاجر إلى المدينة دعا اليهود وجاهدهم، وكان جهادُه للنصارى في آخر الأمر. كما كان دعاؤه لأهل الشرك قبل أهل الكتاب، ولهذا كانت السُّوَر المكيَّة فيها الدينُ الذي اتفق عليه الأنبياء، فخوطب به جميع الناس، والسُّور المدنيَّة فيها خطاب من أقرّ بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين، فخوطبوا: يا أهل الكتاب، يا بني إسرائيل، يا أيها الذين آمنوا.

وأما سورة النساء: فتضمَّنت أحكام الأسباب التي بين الناس، وهي نوعان: مخلوقة لله، ومقدورة لهم كالنسب والصهر، ولهذا افتتحت بقوله: ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، ثم قال: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾. فانظر هذه المناسبة العجيبة في الافتتاح، وبراعة الاستهلال، حيث تضمَّنت الآية المفتتح بها ما أكثر السُّورة في أحكَامه: من نكاح النساء ومحرَّماته، والمواريث المتعلقة بالأرحام، وأنَّ ابتداء هذا الأمر كان بخلق آدم، ثم خلق زوجه منه، ثم بثَّ منهما رجالاً ونساءً في غاية الكثرة.

وأما المائدة: فسُورة العقود تضمَّنت بيان تمام الشرائع، ومكملات الدين، والوفاء بعهود الرسل، وما أُخذ على الأمة، وبها تمَّ الدين، فهي سورة التكميل؛ لأن فيها تحريم الصيد على المحرم الذي هو من تمام الإحرام، وتحريم الخمر الذي هو من تمام حفظ العقل والدين، وعقوبة المعتدين من السُّرّاق والمحاربين الذي هو من تمام حفظ الدماء والأموال، وإحلال الطَّيبات الذي هو من تمام عبادة الله تعالى، ولهذا ذكر فيها ما يختص بشريعة محمد ﷺ؛ كالوضوء والتيمُّم، والحكم بالقرآن على كلّ دين، ولهذا كثر فيها من لفظ الإكمال والإتمام، وذكر فيها أنَّ مَن ارتدَّ عوّض الله بخير منه، ولا يزال هذا الدِّين كاملاً. ولهذا ورد أنها آخر ما نزل [ضعيف الإسناد: الترمذي: ٣٠٦٣]، لِمَا فيها من إشارات الختم والتمام.

وهذا الترتيب بين هذه السور الأربع المدنيّات من أحسن الترتيب.

وقال أبو جعفر بن الزبير: حكى الخطَّابي: أنَّ الصحابة لما اجتمعوا على القرآن، وضعوا سورة القَدْر عقِبَ العَلق، استدلوا بذلك على أن المراد بهاء الكناية في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ الإشارة إلى قوله: ﴿ٱقْرَأْ﴾. قال القاضي أبو بكر بن العربي: وهذا بديع جداً.

فصل: قال في «البرهان»: ومن ذلك افتتاح السُّور بالحروف المقطَّعة واختصاص كلّ واحدة بما بُدئت به؛ حتى لم يكن لترد ﴿الٓمٓ﴾ في موضع ﴿الٓر﴾، ولا ﴿حمٓ﴾ في موضع ﴿طسٓ﴾.

قال: وذلك أنَّ كلّ سورة بدئت بحرف منها فإن أكثر كلماتها وحروفها مماثل له، فحقَّ لكل سورة منها ألَّا يناسبها غير الواردة فيها، فلو وضع ﴿قٓ﴾ موضع ﴿نٓ﴾ لعُدِمَ التناسب الواجب مراعاتُه في كلام الله، وسورة ﴿قٓ﴾ بُدئت به لما تكرَّر فيها من الكلمات بلفظ القاف، من ذكر القرآن والخلق

وتكرير القول ومراجعته مراراً، والقُرْب من ابن آدم وتلقي الملكين، وقول العتيد، والرّقيب، والسائق، والإلقاء في جهنم، والتقدُّم بالوعيد، وذكر المتقين، والقلب، والقرون، والتنقيب في البلاد، وتشقق الأرض، وحقوق الوعيد وغير ذلك.

وقد تكرَّر في سورة يونس من الكلم الواقع فيها (الرَّاء) مئتا كلمة أو أكثر؛ فلهذا افتتحت بـ ﴿الٓر﴾.

واشتملت سورة ﴿صٓ﴾ على خصومات متعدِّدة، فأولها خصومةُ النبي ﷺ مع الكفَّار، وقولهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: ٥]، ثم اختصام الخصميْن عند داود، ثم تخاصم أهل النار، ثم اختصام الملأ الأعلى، ثمَّ تخاصم إبليس في شأن آدم، ثم في شأن بنيه وإغوائهم.

و﴿الٓمٓ﴾ جمعت المخارج الثلاثة: الحَلق، واللسان، والشفتين على ترتيبها، وذلك إشارة إلى البداية التي هي بدء الخلق، والنهاية التي هي بدء الميعاد، والوسط الذي هو المعاش من التشريع بالأوامر والنواهي، وكلّ سورة افْتُتِحَتْ بها فهي مشتملة على الأمور الثلاثة.

وسورة الأعراف: زيد فيها الصاد على ﴿الٓمٓ﴾ لما فيها من شرح القصص؛ قصة آدم فمن بعده من الأنبياء؛ ولما فيها من ذكْر: ﴿فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾، ولهذا قال بعضهم: معنى ﴿الٓمٓصٓ﴾: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾.

وزيد في الرعد راء لأجل قوله: ﴿رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [٢]، ولأجل ذكر الرعد والبرق وغيرهما.

واعلم: أن عادة القرآن العظيم في ذكر هذه الحروف أن يذكر بعدها ما يتعلَّق بالقرآن، كقوله: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة]. ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [آل عمران]. ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف]. ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحجر]. ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النمل]. ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ﴾. ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ﴾. ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [غافر والجاثية والأحقاف]. ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ﴾ إلَّا ثلاث سور: العنكبوت، والروم، ون، وليس فيها ما يتعلَّق به، وقد ذكرتُ حكمة ذلك في «**أسرار التنزيل**».

وقال الحرَّاني[1] في معنى حديث: «**أنزل القرآن على سبعة أحرف: زاجر، وآمر، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال**»:

اعلم أن القرآن منزَّل عند انتهاء الخلق، وكمال كلّ الأمر، بدأ: فكان المتحلي به جامعاً لانتهاء كل خلق؛ وكمال كلّ أمر، فلذلك هو ﷺ قسيم الكون، وهو الجامع الكامل، ولذلك كان خاتماً، وكتابه كذلك، وبدأ المعاد من حين ظهوره، فاستوفى صلاح هذه الجوامع الثلاث التي قد خلتْ في الأولين بداياتها، وتمت عنده غاياتها: «**بعثت لأتمِّم مكارمَ الأخلاق**» [صحيح: أحمد: ٨٩٥٢، والحاكم (٢/ ٦١٣)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ١٩١)].

---

(١) الحَرَّاني: عبد الله بن الحسن، نزيل بغداد، مؤدب، من ثقات أهل الحديث (ت: ٢٩٥هـ). «العبر» ٢/ ١٠١.

وهي صلاح الدُّنيا والدين والمعاد التي جمعها قوله عليه الصلاة والسلام: «**اللهمَّ أصلح لي دينيَ الذي هو عِصْمةُ أمري، وأَصْلح لي دنيايَ التي فيها معاشي، وأَصلِحْ لي آخرتي التي إليها معادي**». [مسلم: ٦٩٠٣].

وفي كل صلاح إقدامٌ وإحجام، فتصير الثلاثة الجوامع ستَّة، هي حروف القرآن الستَّة، ثم وُهب حرفاً جامعاً سابعاً فرداً، لا زوج له، فتمَّت سبعة.

فأدنى تلك الحروف هو حرفا صلاح الدنيا، فلها حرفان: حرف الحرام الذي لا تصلح النفس والبدن إلَّا بالتطهر منه لبعده عن تقويمها، والثاني: حرف الحلال الذي تصلح النفس والبدن عليه لموافقته تقويمها، وأصل هذين الحرفين في التوراة، وتمامهما في القرآن.

ويلي ذلك حرفا صلاح المعاد، أحدهما: حرف الزجر والنهي، الذي لا تصلح الآخرة إلَّا بالتطهر منه لبعده عن حَسَناتها. والثاني: حرف الأمر الذي تصلح الآخرة عليه لتقاضيه لحسناتها. وأصل هذين الحرفين في الإنجيل، وتمامهما في القرآن.

ويلي ذلك حرفا صلاح الدين: أحدها حرف المحكَم الذي بان للعبد فيه خطاب ربِّه، والثاني: حرف المتشابه الذي لا يتبيَّن للعبد فيه خطاب ربِّه من جهة قصور عقله عن إدراكه.

فالحروف الخمسة للاستعمال، وهذا الحرف السادس للوقوف والاعتراف بالعجز. وأصل هذين الحرفين في الكتب المتقدِّمة كلها، وتمامها في القرآن.

ويختصُّ القرآن بالحرف السابع الجامع، وهو حرف المثل المبين للمثل الأعلى، ولمَّا كان هذا الحرف هو الحمد افتَتح الله به أُمَّ القرآن، وجمع فيها جوامع الحروف السبعة التي بثَّها في القرآن: **فالأُولى**: تشتمل على حرف الحمد السَّابع، **والثانية**: تشتمل على حرفي الحلال والحرام اللَّذَيْنِ أقامت الرحمانية بهما الدنيا، والرحيميَّة الآخرة. **والثالثة**: تشتمل على أمر الملك القيِّم على حرفي الأمر والنهي اللذين يبدأ أمرهما في الدين. **والرَّابعة**: تشتمل على حرفَي المحكم في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، والمتشابه في قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾. ولمَّا افتتح أمّ القرآن بالسابع الجامع الموهوب ابتدئت البقرة بالسادس المعجوز عنه، وهو المتشابه.

انتهى كلام الحَرَّاني والمقصود منه هو الأخير، وبقيته ينبو عنه السمع، وينفُر منه القلب، ولا تميل إليه النفس، وأنا أستغفر الله من حكايته؛ على أني أقول في مناسبة ابتداء البقرة بـ ﴿الٓمٓ﴾ أحسن ممَّا قال، وهو أنه: لمَّا ابتدئت الفاتحة بالحرف المحكم الظَّاهر لكلِّ أحد، بحيث لا يعذَر أحد في فهمه، ابتدئت البقرة بمقابله، وهو الحرف المتشابه البعيد التأويل، أو المستحيلُهُ.

فصل: ومن هذا النوع مناسبة أسماء السور لمقاصدها، وقد تقدَّم في النوع السابع عشر الإشارة إلى ذلك. وفي «**عجائب**» الكرمانيّ [1]: إنَّما سميت السور السبع ﴿حمٓ﴾ على الاشتراك في الاسم؛

---

(١) «عجائب التفسير...» ٢/ ١٠٣٧، أول سورة فصلت.

لما بينهنَّ من التشاكل الذي اختصَّت به، وهو أن كل واحدة منها استُفتحت بالكتاب أو صفة الكتاب؛ مع تقارب المقادير في الطول والقصر، وتشاكل الكلام في النظام.

فوائد منثورة في المناسبات:

في تذكرة الشيخ تاج الدين السبكيّ ـ ومن خطه نقلتُ ـ سئل الإمام: ما الحكمة في افتتاح سورة الإسراء بالتسبيح، والكهف بالتحميد؟ وأجاب: بأن التسبيح ـ حيث جاء ـ مقدَّمٌ على التحميد، نحو: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [الحجر: ٩٨]. «سُبْحَانَ الله والحمدُ لله».

وأجاب ابن الزَّمْلَكَانيّ[١]: بأن سورة ﴿سُبْحَانَ﴾ لما اشتملت على الإسراء الذي كذَّب المشركون به النبيَّ ﷺ، وتكذيبُه تكذيبٌ لله سبحانه وتعالى، أتى (بسبحان) لتنزيه الله تعالى عما نُسب إلى نبيِّه من الكذب. وسورة الكهف: لمَّا أنزلت بعد سؤال المشركين عن قصَّة أصحاب الكهف وتأخر الوحي، نزلت مبيِّنة أنَّ الله لم يقطع نعمته عن نبيِّه ولا عن المؤمنين، بل أَتمَّ عليهم النعمة بإنزال الكتاب، فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة.

في تفسير الخُوَيّيّ: ابتدئت الفاتحة بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فوصف بأنه مالك جميع المخلوقين، وفي الأنعام والكهف وسبأ وفاطر لم يوصَف بذلك، بل بفرد من أفراد صفاته ـ وهو: خَلْق السَّمَوَاتِ والأرْضِ والظُّلُمَاتِ والنور في الأنعام، وإنزال الكتاب في الكهف، وملك ما في السموات وما في الأرض في سبأ، وخلقهما في فاطر ـ لأنَّ الفاتحة أم القرآن ومطلعه، فناسب الإتيان فيها بأبلغ الصفات وأعمِّها وأشملها.

في «**العجائب**» للكرمانيّ: إن قيل: كيف جاء ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ أربع مرات بغير واو: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ [البقرة: ١٨٩]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢١٥]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ﴾ [البقرة: ٢١٩] ثم جاء ثلاث مرات بالواو: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢]؟ قلنا: لأنَّ سؤالهم عن الحوادث الأُوَل وقع متفرِّقاً، وعن الحوادث الأُخَر وقع في وقت واحد، فجيء بحرف الجمع دلالةً على ذلك.

فإن قيل: كيف جاء ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ . . .﴾ [طه: ١٠٥] وعادة القرآن مجيء (قل) في الجواب بلا فاء؟

أجاب الكرمانيّ[٢]: بأن التقدير: لو سئلت عنها فقل.

فإن قيل: كيف جاء: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وعادة السؤال

(١) ابن الزملكاني: عبد الواحد بن عبد الكريم، خطيب زملكا، عالم بالمعاني والبيان. له: «التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن» (ت: ٦٥١هـ). «طبقات الشافعية» ٥/ ١٣٣.

(٢) في «غرائب التفسير...» ١/ ٧٣٠، طه: ١٠٥.

يجيء جوابه في القرآن بـ (قل)؟ قلنا: حذفت للإشارة إلى أن العبد في حالة الدعاء في أشرف المقامات، لا واسطة بينه وبين مولاه.

ورَد في القرآن سورتان: أولهما ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ في كل نصفٍ سورة، فالتي في النصف الأول تشتمل على شرح المبدأ، والتي في الثاني على شرح المعاد.

النَّوعُ الثالث والستُّون

في الآيات المشتبهات

أفرده بالتصنيف خلق، أولهم ـ فيما أحسب ـ الكِسائيّ، ونظمه السخاويُّ، وألَّف في توجيهه الكَرْمانيّ كتابَه: «**البرهان في متشابه القرآن**» وأحسن منه «**درّة التنزيل وغرَّة التأويل**» لأبي عبد الله الرَّازيّ، وأحسن من هذا: «**مِلاكُ التأويل**» لأبي جعفر بن الزبير، ولم أَقِفْ عليه، وللقاضي بدر الدين ابن جماعة في ذلك كتاب لطيف سمَّاه: «**كشف المعاني عن متشابه المثاني**». وفي كتابي أسرار التنزيل المسمى «**قطف الأزهار في كشف الأسرار**» من ذلك الجمُّ الغفير.

والقصد به: إيراد القصَّة الواحدة في صور شتَّى، وفواصل مختلفة، بل تأتي في موضع واحد مقدّماً، وفي آخر مؤخَّراً، كقوله في البقرة: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨]، وفي الأعراف ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ [الأعراف: ١٦١]، وفي البقرة: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]، وسائر القرآن: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة: ٣].

أو في موضع بزيادة وفي آخر بدونها، نحو: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ في البقرة [٦]، وفي يس: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ [١٠]، وفي البقرة: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [١٩٣]، وفي الأنفال: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [٣٩].

أو في موضع معرّفاً وفي آخر منكَّراً، أو مفرداً وفي آخر جمعاً، أو بحرف وفي آخر بحرفٍ آخرَ، أو مدغماً وفي آخر مفكوكاً. وهذا النوع يَتداخل مع نوع المناسبات.

وهذه أمثلة منه بتوجيهها:

* قوله تعالى في البقرة: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [٢]، وفي لقمان: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ . . .﴾ [٣]؛ لأنه لمَّا ذكر هنا مجموع الإيمان ناسب (المتقين). ولمَّا ذكر ثمَّ الرحمة ناسب (المحسنين).

* قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا﴾ [البقرة: ٣٥]، وفي الأعراف: ﴿فَكُلَا﴾ [١٩] بالفاء، قيل: لأن السكنى في البقرة الإقامةُ، وفي الأعراف اتخاذُ المسكن، فلمَّا نسب القول إليه تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ﴾ ناسب زيادة الإكرام بالواو الدالة على الجمع بين السكنى والأكل، ولذا قال فيه: ﴿رَغَدًا﴾، وقال: ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾؛ لأنه أعمّ. وفي الأعراف: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ﴾، فأتى بالفاء الدالَّة على ترتيب الأكل على السُّكنى المأمور باتخاذها، لأن الأكل بعد الاتخاذ، و﴿مِنْ حَيْثُ﴾ لا تعطي عموم معنى: ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾.

* قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨]، وقال بعد ذلك: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ١٢٣]؛ ففيه تقديم العدل وتأخيره، والتعبير بقبول الشفاعة تارة وبالنفع أخرى.

وذُكر في حكمته: أنَّ الضمير في ﴿مِنْهَا﴾ راجع في الأُولى إلى النفس الأولى، وفي الثانية إلى النفس الثانية، فبيَّنَ في الأولى أن النفس الشافعة الجازية عن غيرها لا يُقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عَدْل، وقدمت الشفاعة لأنَّ الشافع يقدم الشفاعة على بذل العدل عنها. وبيَّن في الثانية أن النفس المطلوبة بجرمها لا يقبل منها عدل عن نفسها، ولا تنْفعها شفاعة شافع منها، وقدَّم العَدْل؛ لأن الحاجة إلى الشفاعة إنَّما تكون عند ردِّه، ولذلك قال في الأولى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾، وفي الثانية: ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾؛ لأن الشفاعة إنما تقبل من الشافع، وإنما تنفع المشفوع له.

* قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ﴾ [البقرة: ٤٩]، وفي إبراهيم ﴿وَيُذَبِّحُونَ﴾ [إبراهيم: ٦]، بالواو؛ لأنَّ الأولى من كلامه تعالى لهم، فلم يعدِّد عليهم المِحَنَ تكرُّماً في الخطاب؛ والثانية من كلام موسى فعدَّدها. وفي الأعراف: ﴿يُقَتِّلُونَ﴾ [الأعراف: ١٤١]. وهو من تنويع الألفاظ المسمَّى بالتفنّن.

* قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ . . .﴾ الآية [البقرة: ٥٨]، وفي آية الأعراف اختلاف ألفاظ [الأعراف: ١٦١]، ونكتته أن آية البقرة في معرض ذكر النعم عليهم حيث قال: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ﴾ [البقرة: ٤٧] إلى آخره، فناسب نسبة القول إليه تعالى، وناسب قوله: ﴿رَغَدًا﴾، لأن المنعم به أتمّ، وناسب تقديم ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ [البقرة: ٥٨]، وناسب ﴿خَطَٰيَٰكُمْ﴾؛ لأنه جمعُ كثرة، وناسب الواو في ﴿وَسَنَزِيدُ﴾ لدلالتها على الجمع بينهما، وناسب الفاء في ﴿فَكُلُوا۟﴾؛ لأن الأكل مترتب على الدخول. وآية الأعراف افتتحت بما فيه توبيخهم، وهو قولهم: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، ثم اتخاذهم العجل، فناسب ذلك: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ﴾ [الأعراف: ١٦١]. وناسب ترك ﴿رَغَدًا﴾. والسكنى تجامع الأكل فقال: ﴿وَكُلُوا۟﴾. وناسب تقديم ذكر مغفرة الخطايا. وترك الواو في ﴿سَنَزِيدُ﴾. ولمَّا كان في الأعراف تبعيض الهادين بقوله: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٥٩]، ناسب تبعيض الظالمين بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٢]. ولم يتقدَّم في البقرة مثله فترك. وفي البقرة إشارة إلى سلامة غير الذين ظلموا لتصريحه بالإنزال على المتصفين بالظلم، والإرسال أشدُّ وقعاً من الإنزال، فناسب سياق ذكر النعمة في البقرة ذلك، وختم آية البقرة بـ ﴿يَفْسُقُونَ﴾ [٥٩]، ولا يلزم منه الظلم، والظلم يلزم منه الفسق، فناسب كل لفظة منها سياقه.

* وكذا في البقرة: ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾ [البقرة: ٦٠]، وفي الأعراف ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ [١٦٠]، لأن الانفجار أبلغُ في كثرة الماء، فناسب سياقَ ذكر النعم التعبيرُ به.

* قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠]. وفي آل عمران: ﴿مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [٢٤]. قال ابن جماعة: لأن قائل ذلك فرقتان من اليهود، **إحداهما** قالت: إنَّما نعذَّب بالنار سبعة أيام عدد أيام الدنيا، **والأخرى** قالت: إنما نعذب أربعين، عدة أيام عبادة آبائهم العجل. فآية البقرة تحتمل قصْدَ الفرقة الثانية حيث عبَّر بجمع الكثرة، وآل عمران بالفرقة الأولى حيث أتى بجمع القلة.

وقال أبو عبد الله الرازيّ: إنَّه من باب التفنن قوله تعالى: ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠]. وفي آل عمران: ﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٣]؛ لأن الهدى في البقرة المراد به تحويل القبلة، وفي آل عمران المراد به الدِّين، لتقدُّم قوله: ﴿لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [آل عمران: ٧٣]، ومعناه: إن دين الله الإسلام.

* قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦]، وفي إبراهيم: ﴿هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥]؛ لأن الأول: دعا به قبل مصيره بلداً عند ترك هاجر وإسماعيل به، وهو وادٍ، فدعا بأن يصير بلداً. والثاني: دعا به بعد عوده وسكنى جُرْهم به، ومصيره بلداً، فدعا بأمنه.

* قوله تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٧]، وفي آل عمران: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [آل عمران: ٨٤]؛ لأن الأولى خطابٌ للمسلمين، والثانية خطاب للنبيّ ﷺ، و(إلى) يُنتهى بها من كل جهة، و(على) لا ينتهى بها إلَّا من جهة واحدة وهي العلوّ، والقرآن يأتي المسلمين من كلِّ جهة يأتي مبلِّغه إياهم منها، وإنما أَتى النبيّ ﷺ من جهة العلوّ خاصة، فناسب قوله: ﴿عَلَيْنَا﴾. ولهذا أكثر ما جاء من جهة النبيّ ﷺ بـ: على، وأكثر ما جاء في جهة الأمة بـ: إلى.

* قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧]، وقال بعد ذلك: ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩]؛ لأنَّ الأولى وردت بعد نواهٍ، فناسب النَّهي عن قربانها، والثانية بعد أوامر، فناسب النهي عن تعدِّيها وتجاوزها بأن يوقف عندها.

* قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [آل عمران: ٣]، وقال: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣]، لأنَّ الكتاب أنزل مُنجّماً، فناسب الإتيان بـ ﴿نَزَّلَ﴾ الدالّ على التكرير، بخلافهما فإنَّهما أُنزلا دفعة.

* قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ [الأنعام: ١٥١]. وفي الإسراء: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ [الإسراء: ٣١]؛ لأن الأولى خطاب للفقراء المقلِّين، أي: لا تقتلوهم من فقر بكم، فحسن: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ﴾ ما يزول به إملاقكم، ثم قال: ﴿وَإِيَّاهُمْ﴾، أي: نرزقكم جميعاً. والثانية خطاب للأغنياء؛ أي: خشية فقر يحصل لكم بسببهم، ولذا حسُن: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١].

* قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وفي فصلت: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦]. قال ابن جماعة: لأنَّ آية الأعراف نَزلت أوّلاً، وآية فصِّلت نزلت ثانياً، فحسُن التعريف، أي هُوَ السَّميعُ العَليمُ الَّذي تقدَّم ذكره أوّلاً عند نزوغ الشيطان.

* قوله تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٦٧]، وقال في المؤمنين: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، وفي الكفار: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٣]؛ لأنَّ المنافقين ليسوا متناصرين على دين معيّن وشريعة ظاهرة؛ فكان بعضهم يهوداً، وبعضهم مشركين، فقال: ﴿مِّنۢ بَعْضٍ﴾، أي: في الشك والنفاق. والمؤمنون متناصرون على دين الإسلام، وكذلك الكفار المعلنون بالكفر كلهم أعوان بعضهم ومجتمعون على التناصر، بخلاف المنافقين، كما قال تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤].

فهذه أمثلة يُستضاء بها، وقد تقدم منها كثير في نوع التقديم والتأخير، وفي نوع الفواصل، وفي أنواع أُخرَ.

النوع الرابع والستون

في إعجاز القرآن

أفرده بالتصنيف خلائق؛ منهم الخطابيّ، والرمانيّ، والزَّمْلكانيّ، والإمام الرازيّ، وابن سُراقة، والقاضي أبو بكر الباقلانيّ. قال ابن العربيّ: ولم يصنِّف مثلُ كتابه.

اعلم: أنَّ المعجزة: أمرٌ خارق للعادة، مقرون بالتحدِّي، سالمٌ عن المعارضة.

وهي إما حسّيَّة وإمَّا عقلية:

وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسِّيَّةً، لبلادتهم وقلَّة بصيرتهم.

وأكثرُ معجزات هذه الأمة عقليةٌ لفرط ذكائهم، وكمال أفهامهم، ولأنَّ هذه الشريعة ـ لمَّا كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة ـ خُصَّت بالمعجزة العقلية الباقية؛ ليراها ذوو البصائر، كما قال ﷺ: «**ما من الأنبياء نبيّ إلَّا أُعطِيَ ما مثلُه آمن عليه البشرُ؛ وإنما كان الذي أوتيتُه وحياً أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرَهم تابعاً**». أخرجه البخاريّ [٤٩٨١، ومسلم: ٣٨٥، وأحمد: ٩٨٢٨].

قيل: إن معناه أن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم، فلم يشاهدها إلَّا مَن حضرها. ومعجزة القرآن مستمرَّةٌ إلى يوم القيامة، وخرقُه العادةَ في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيّبات، فلا يمرُّ عصر من الأعصار إلَّا ويظهر فيه شيء مما أخبرَ به أنَّه سيكون؛ يدلُّ على صحة دعواه.

وقيل: المعنى أنَّ المعجزات الواضحة الماضية كانت حسِّيّة تشاهد بالأبصار؛ كناقة صالح وعصا موسى، ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة، فيكون مَن يتبعه لأجله أكثر؛ لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده، والذي يشاهَدُ بعين العقل باقٍ، يشاهده كلُّ مَن جاء بعد الأول مستمرّاً.

قال في «**فتح الباري**»(١): ويمكن نَظم القولين في كلام واحدٍ؛ فإن محصلهما لا يُنافي بعضُه بعضاً.

ولا خلاف بين العقلاء أنَّ كتاب الله تعالى معجِزٌ، لم يقدر أحد على معارضته بعد تحدِّيهم بذلك، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]؛ فلولا أنَّ سماعه حجَّة عليه لم يقف أمره على سماعه، ولا يكون حجة إلَّا وهو معجزة.

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥٠، ٥١]؛ فأخبر أن الكتاب آية من آياته كافٍ في الدلالة، قائم مقام معجزات غيره وآيات من سواه من الأنبياء، ولمَّا جاء به النبي ﷺ

(١) «فتح الباري» ١٠/٦ (٤٩٨١).

إليهم، وكانوا أفصحَ الفصحاء، ومصاقعَ الخطباء[1]، وتحدَّاهم على أن يأتوا بمثله، وأمهَلَهم طول السنين فلم يقدروا، كما قال تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: ٣٤]، ثم تحدَّاهم بعشر سور منه في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ [هود: ١٣، ١٤]، ثم تحدَّاهم بسورة في قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ . . .﴾ [يونس: ٣٨].

ثم كرَّر في قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ . . .﴾ الآية [البقرة: ٢٣]. فلمَّا عجزوا عن معارضته والإتيان بسورة تشبهه على كثرة الخُطباء والبلغاء، نادَى عليهم بإظهار العجز وإعجاز القرآن فقال: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]. هذا وهُمُ الفصحاء اللُّدُّ، وقد كانوا أحرصَ شيء على إطفاء نوره وإخفاء أمره، فلو كان في مقدرتهم معارضتُه لعدلوا إليها قطعاً للحجّة، ولم يُنقَل عن أحدٍ منهم أنه حدَّث نفسه بشيء من ذلك ولا رامه، بل عدلوا إلى العناد تارة، وإلى الاستهزاء أخرى، فتارة قالوا: سحر، وتارة قالوا: شعر، وتارة قالوا: أساطير الأولين. كلّ ذلك من التحيّر والانقطاع، ثم رضُوا بتحكيم السيف في أعناقِهم، وسَبْي ذراريهم وحُرَمهم واستباحة أموالهم، وقد كانوا آنف شيء وأشدّه حميَّة، فلو علموا أن الإتيان بمثله في قدرتهم لبادروا إليه؛ لأنه كان أهون عليهم؛ كيف وقد أخرج الحاكم عن ابن عباس قال: جاء الوليد بن المغيرة إلى النَّبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنَّه رقَّ له، فبلَغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عمّ، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوكه؛ فإنَّك أتيت محمداً لتعرض لما قبله. قال: قد علمتْ قريشٌ أنِّي من أكثرها مالاً. قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك كاره له. قال: وماذا أقول! فوالله ما فيكم رجلٌ أعلمُ بالشعر منِّي، ولا برَجَزِه، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبهُ الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إنّ لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مُغدِق أسفله، وإنه ليعلو ولا يُعلَى عليه، وإنه ليحطم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومُك حتى تقول فيه. قال: دعني حتى أُفكِّر، فلما فكَّر قال: هَٰذَا سِحْرٌ يُؤْثَرُ، يأْثُره عن غيره. [صحيح: الحاكم (٢/٥٠٦)].

قال الجاحظ: بَعَث الله محمداً ﷺ أكثر ما كانت العرب شاعراً وخطيباً؛ وأحكمَ ما كانت لغةً، وأشدَّ ما كانت عُدَّةً، فدعا أقصاها وأدناها إلى توحيدِ الله وتصديق رسالته، فدعاهم بالحجّة، فلما قطَع العذر، وأزال الشبهة، وصار الذي يمنعهم من الإقرار الهوَى والحميّة، دون الجهل والحَيرة، حملهم على حَظِّهم بالسيف، فنصب لهم الحربَ، ونصبُوا له، وقَتل مِن عِلْيتِهم وأعلامهم وأعمامهم وبني أعمامهم، وهو في ذلك يحتجُّ عليهم بالقرآن، ويدعوهم صباحاً ومساءً إلى أن يعارضوه ـ إن كان كاذباً ـ بسورة واحدة، أو بآيات يسيرة.

---

(١) مصاقع: جمع مِصْقع، وفي «الأساس»: خطيب مِصْقَع؛ أي: بليغ. «أساس البلاغة»: صَقَعَ.

فكلَّما ازداد تحدِّياً لهم بها، وتقريعاً لعجزهم عنها تكشَّف من نقصهم ما كان مستوراً، وظهر منه ما كان خفيّاً، فحين لم يجدوا حيلة ولا حجَّة قالوا له: أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف؛ فلذلك يمكنُك ما لا يمكننا. قال: فهاتوها مفتريات، فلم يرُم[1] ذلك خطيب، ولا طمع فيه شاعر، ولو طمع فيه لتكلَّفه، ولو تكلَّفه لظهر ذلك، ولو ظهر لوجدَ مَن يستجيده ويحامِي عليه ويكايد فيه، ويزعم أنه قد عارض وقابل وناقض.

فدلَّ ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم، واستحالة لغتِهم، وسهولة ذلك عليهم، وكثرة شعرائهم وكثرة مَن هجاه منهم، وعارض شعراء أصحابه، وخطباء أمَّته، لأنَّ سورةً واحدة وآياتٍ يسيرةً كانت أنقض لقوله، وأفسد لأمره، وأبلغَ في تكذيبه وأسرعَ في تفريق أتباعه من بذْل النفوس، والخروج من الأوطان، وإنفاق الأموال.

وهذا من جليل التدبير الذي لا يخفى على من هو دون قريش والعربِ في الرأي والعقل بطبقات، ولهم القصيد العجيب، والرجز الفاخر، والخُطب الطِّوال البليغة، والقِصار الموجَزة، ولهم الأسجاع والمزدَوج، واللفظ المنثور.

ثمَّ يتحدَّى به أقصاهم بعدَ أن أظهر عجز أدناهم، فمحال ـ أكرمك الله ـ أن يجتمع هؤلاء كلُّهم على الغلط في الأمر الظاهر، والخطأ المكشوف البيِّن، مع التقريع بالنقص، والتوقيف على العجز، وهم أشدُّ الخلق أَنَفَةً، وأكثرهم مفاخرةً، والكلام سيِّد عملهم، وقد احتاجوا إليه، والحاجةُ تبعث على الحيلة في الأمر الغامض، فكيف بالظاهر الجليل المنفعة!؟ وكما أنه محال أن يطبقوا ثلاثاً وعشرين سنة على الغلط في الأمر الجليل المنفعة، فكذلك محالٌ أن يتركُوه، وهم يعرفونه، ويجدون السبيل إليه وهم يبذلون أكثر منه! انتهى.

فصل: لمَّا ثَبت كونُ القرآن معجزةَ نبيِّنا ﷺ وجب الاهتمامُ بمعرِفة وجه الإعجاز، وقد خاض الناس في ذلك كثيراً، فبين محسنٍ ومسيء.

فزعم قومٌ: أنَّ التَّحدِّي وقع بالكلام القديم الذي هو صفة الذات، وأنَّ العرب كُلِّفت في ذلك ما لا يطاق، وبه وقع عجزها. وهو مردود، لأن ما لا يمكن الوقوف عليه لا يُتصوَّر التحدي به.

والصواب ما قاله الجمهور: أنَّه وقع بالدَّالِّ على القديم وهو الألفاظ.

ثم زعم النظَّام[2] أن إعجازه بالصَّرْفة، أي: إن الله صرَف العرب عن معارضته وسَلَبَ عقولهم، وكان مقدوراً لهم، لكن عاقهم أمر خارجيّ، فصار كسائر المعجزات.

وهذا قول فاسد، بدليل: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾ الآية [الإسراء: ٨٨]؛ فإنه يدلُّ على

---

(١) يرم: يطلب. «مختار الصحاح»: روم.

(٢) النظَّام: إبراهيم بن سَيَّار، أبو إسحاق، شيخ الجاحظ وأحد رؤوس المعتزلة (ت: ٢٢١هـ). انظر «الاقتصاد في الاعتقاد» للغزالي ص١٧٦ بتحقيقنا.

عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سلبوا القدرة لم يبق لهم فائدة لاجتماعهم، لمنزلته منزلة اجتماع الموتى، وليس عَجْزُ الموتى مما يُحتفل بذكره، هذا مع أن الإجماع منعقِد على إضافة الإعجاز إلى القرآن، فكيف يكون معجزاً وليس فيه صفة إعجاز!؟ بل المعجز هو الله تعالى، حيث سلبهم القدرةَ على الإتيان بمثله.

وأيضاً: فيلزم من القول بالصَّرْفة زوال الإعجاز بزوال زمان التحدِّي، وخلوّ القرآن من الإعجاز، وفي ذلك خرقٌ لإجماع الأمة: أن معجزة الرسول العظمى باقيةٌ، ولا معجزة له باقيةٌ سوى القرآن.

قال القاضي أبو بكر[1]: وممَّا يبطل القول بالصَّرْفة أنه لو كانت المعارضة ممكنة ـ وإنما منع منها الصَّرْفة ـ لم يكن الكلام معجزاً، وإنَّما يكون بالمنع معجزاً، فلا يتضمَّن الكلام فضيلةً على غيره في نفسه. قال: وليس هذا بأعجبَ من قول فريق منهم: إنَّ الكل قادرون على الإتيان بمثله؛ وإنما تأخَّروا عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلَّموه لوصلوا إليه به، ولا بأعجَبَ من قول آخرين: إن العجز وقع منهم؛ وأما من بعدهم ففي قدرته الإتيان بمثله، وكل هذا لا يعتدّ به.

وقال قوم: وجه إعجازه ما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلة، ولم يكن ذلك من شأن العرب.

وقال آخرون: ما تضمَّنه من الإخبار عن قصص الأولين وسائر المتقدمين، حكاية مَن شاهدها وحضرها.

وقال آخرون: ما تضمَّنه من الإخبار عن الضمائر، من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل، كقوله: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآيِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ [آل عمران: ١٢٢]، ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ﴾ [المجادلة: ٨].

وقال القاضي أبو بكر: وجْهُ إعجازه ما فيه من النَّظْم والتأْليف والترصيف، وأنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب، ومُباينٌ لأساليب خطاباتهم. قال: ولهذا لم يمكنهم معارضته.

قال: ولا سبيلَ إلى معرفة إعجاز القرآن من أصناف البديع التي أودعوها في الشعر، لأنه ليس ممَّا يَخْرُقُ العادةَ، بل يمكن استدراكه بالعلم والتدريب والتصنع به، كقول الشعر، ورصْف الخُطَب وصناعة الرسالة، والحِذْق في البلاغة، وله طريق تُسْلَك، فأما شَأْوُ نظم القرآن فليس له مثال يُحتذى، ولا إمام يُقتدى به، ولا يصحُّ وقوع مثله اتفاقاً. قال: ونحن نعتقد أن الإعجاز في بعض القرآن أظهر، وفي بعضه أدقّ وأغمض.

وقال الإمام فخر الدين: وَجْه الإعجاز الفصاحةُ، وغرابة الأسلوب، والسَّلامةُ من جميع العيوب.

وقال الزَّمْلَكَانيّ: وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاصّ به، لا مطلق التأليف، بأن اعتدلت مفرداته تركيباً وزِنَةً، وعَلَتْ مركَّباته معنىً، بأن يوقَع كل فنٍّ في مرتبته العليا في اللفظ والمعنى.

وقال ابن عَطِية[2]: الصحيح ـ والذي عليه الجمهور والحذّاق ـ في وجه إعجازه: أنه بنظمه وصحَّة

---

(١) في «إعجاز القرآن» ٤٣ ـ ٤٤.

(٢) ابن عَطِيَّة: عبد الحق بن غالب، فقيه عالم بالتفسير (ت: ٥٤١هـ). «طبقات المفسرين» للداودي ١/ ٢٦٠.

معانيه وتَوالِي فصاحة ألفاظه؛ وذلك أنَّ الله أحاط بكل شيء علماً، وأحاط بالكلام كله علماً، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن، علم بإحاطته أيَّ لفظة تصلح أن تَلِي الأولى وتُبَيِّن المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره. والبَشَر يعمُّهم الجهل والنسيان والذهول، ومعلومٌ ضرورةً أن أحداً من البشر لا يحيط بذلك، فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة.

وبهذا يبطل قول من قال: إن العرب كان في قدرتهم الإتيان بمثله، فصُرِفوا عن ذلك، والصحيح أنه لم يكن في قدرة أحدٍ قطُّ.

ولهذا ترى البليغَ ينقِّح القصيدةَ أو الخُطبة حَوْلاً، ثم ينظر فيها فيغير فيها وهلمَّ جرّاً، وكتابُ الله تعالى لو نَزَعْتَ منه لفظةً، ثم أُديرَ لسان العرب على لفظةٍ أحسنَ منها لم يُوجَدْ.

ونحن تتبيَّن لنا البراعة في أكثره ويخفى علينا وجهها في مواضعَ، لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذَّوق، وجَوْدة القريحة.

وقامت الحجَّة على العالم بالعرب؛ إذ كانوا أربابَ الفصاحة، ومظنَّة المعارضة، كما قامت الحجة في معجزة موسى بالسَّحَرَة، وفي معجزة عيسى بالأطِبَّاء، فإن الله إنما جعل معجزات الأنبياء بالوجه الشهير أبرع ما تكون في زمن النبيّ الذي أراد إظهاره، فكان السحر قد انتهى في مدَّة مُوسى إلى غايته، وكذلك الطبُّ في زمن عيسى، والفصاحة في زمن محمد ﷺ.

وقال حازم في «**منهاج البلغاء**»(١): وجه الإعجاز في القرآن من حيثُ استمرَّت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها في جميعه؛ استمراراً لا يوجد له فترة، ولا يقدِرُ عليه أحد من البشر. وكلام العرب ومَن تكلَّم بلغتهم لا تستمرّ الفصاحة والبلاغة في جميع أنحائها في العالي منه إلَّا في الشيء اليسير المعدود، ثم تعرض الفترات الإنسانية، فينقطع طِيب الكلام ورونقه، فلا تستمرّ لذلك الفصاحة في جميعه، بل توجد في تفاريق وأجزاء منه.

وقال المرَّاكشيّ في «**شرح المِصْباح**»: الجِهة المعجزة في القرآن تعرَف بالتفكُّر في علم البيان، وهو ـ كما اختاره جماعة في تعريفه ـ ما يحترز به عن الخطأ في تأدية المعنى، وعن تعقيده، وتعرَف به وجوهُ تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه لمقتضى الحال.

لأنَّ جهة إعجازه ليست مفردات ألفاظه؛ وإلَّا لكانت قبل نزوله معجزة، ولا مجرَّد تأليفها؛ وإلَّا لكان كلّ تأليفٍ معجزاً، ولا إعرابها وإلَّا لكان كل كلامٍ معرَبٍ معجزاً، ولا مجرد أسلوبه وإلَّا لكان الابتداء بأسلوب الشعر معجزاً، والأسلوب الطريق، ولكان هَذَيان مسيلمة معجزاً. ولأنَّ الإعجاز يوجد دونه ـ أي: الأسلوب ـ في نحو: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾ [يوسف: ٨٠]. ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]، ولا بالصَّرْف عن معارضتهم؛ لأن تعجُّبهم كان من فصاحته، ولأنَّ مسيلمة وابن

(١) نشره محمد الحبيب بن الخوجة في دار الكتب الشرقية بتونس ١٩٦٦م، وطبع طبعة ثانية في دار الغرب الإسلامي بيروت ١٩٨٢م، ولم نقف على قوله هذا في القسم المطبوع من الكتاب.

المقفَّع[1] والمعرّي[2] وغيرهم، قد تعاطوها، فلم يأتوا إلّا بما تمجّه الأسماع، وتنفِر منه الطباع، ويُضحَك منه في أحوال تركيبه، وبها ـ أي: بتلك الأحوال ـ أعجز البلغاء وأخرس الفصحاء.

فعلى إعجازه دليل إجماليٌّ، وهو: أن العرب عجزت عنه وهو بلسانها، فغيرُها أحرى. ودليل تفصيليّ، مقدِّمته التفكُّر في خواص تركيبه، ونتيجتُه العلم بأنه تنزيل من المحيط بكل شيء علماً.

وقال الأصبهانيّ في «**تفسيره**»: اعلَمْ أنَّ إعجاز القرآن ذكر من وجهين: أحدهما إعجاز يتعلّق بنفسه، والثاني بصرف الناس عن معارضته. فالأوّل: إمَّا أن يتعلَّق بفصاحته وبلاغته أو بمعناه، أما الإعجاز المتعلّق بفصاحته وبلاغته فلا يتعلَّق بعنصره؛ الذي هو اللفظ والمعنى؛ فإن ألفاظه ألفاظُهم، قال تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢]. ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، ولا بمعانيه فإن كثيراً منها موجود في الكتب المتقدِّمة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦]. وما هو في القرآن ـ من المعارف الإلٰهية، وبيان المبدأ والمعاد والإخبار بالغيْب ـ فإعجازه ليس براجعٍ إلى القرآن من حيث هو قرآن، بل لكونها حاصلةً من غير سَبْق تعليم وتعلُّم، ويكون الإخبار بالغيب إخباراً بالغيب؛ سواء كان بهذا النظم، أو بغيره، مورَداً بالعربية أو بلغة أخرى، بعبارة أو بإشارة؛ فإذن النظم المخصوص صورةُ القرآن، واللفظُ والمعنى عنصرُهُ، وباختلاف الصُّورِ يختلف حكم الشيء واسمه لا بعنصره، كالخاتم والقُرْط والسِّوار، فإنَّه باختلاف صورها اختلفت أسماؤها، لا بعنصرها الذي هو الذَّهب والفضة والحديد، فإنَّ الخاتم المتخذ من الذهب ومن الفضة ومن الحديد يسمَّى خاتماً، وإن كان العنصرُ مختلِفاً، وإن اتخذ خاتم وقرط وسوار من ذهب اختلفت أسماؤها باختلاف صورها، وإن كان العنصر واحداً.

قال: فظهر من هذا: أنَّ الإعجاز المختصّ بالقرآن يتعلّق بالنظم المخصوص.

وبيانُ كون النظم معجِزاً يتوقَّف على بيان نظم الكلام، ثم بيان أنَّ هذا النظم مخالف لنظم ما عداه، فنقول: مراتب تأليف الكلام خمس:

الأولى: ضمّ الحروف المبسوطة بعضها إلى بعض، لتحصل الكلمات الثلاث: الاسم والفعل والحرف.

والثانية: تأليف هذه الكلمات بعضها إلى بعض، لتحصل الجمل المفيدة، وهو النوع الذي يتداوله الناس جميعاً في مخاطباتهم، وقضاء حوائجهم، ويقال له: المنثور من الكلام.

والثالثة: ضمّ بعض ذلك إلى بعضٍ ضمّاً له مبادٍ ومقاطع، ومداخل ومخارج، ويقال له: المنظوم.

---

(١) عبد الله بن المقفّع، من أئمة الكُتّاب وأول من عُني في الإسلام بترجمة كتب المنطق، ترجم عن الفارسية كتاب «كليلة ودمنة» (ت: ١٤٢هـ). «لسان الميزان» ٣/ ٣٦٦، «دائرة المعارف الإسلامية» ١/ ٢٨٢.

(٢) المعري: أحمد بن عبد الله، أبو العلاء، شاعر فيلسوف، وتصانيفه في الأدب واللغة (ت: ٤٤٩هـ). «إنباه الرواة» ١/ ٤٦، «لسان الميزان» ١/ ٢٠٣.

والرابعة: أن يعتبر في أواخر الكلام مع ذلك تسجيع، ويقال له: المسجَّع.

والخامسة: أن يجعل له مع ذلك وزن، ويقال له: الشعر.

والمنظوم: إمَّا محاورة ويقال له: الخطابة، وإمَّا مكاتبة ويقال له: الرسالة.

فأنواع الكلام لا تخرج عن هذه الأقسام، ولكُلٍّ من ذلك نظمٌ مخصوص، والقرآن جامع لمحاسن الجميع على نظمٍ غير نظم شيء منها، يدلُّ على ذلك أنَّه لا يصحّ أن يقال له: رسالة، أو خطابة، أو شعر، أو سجع، كما يصحُّ أن يقال: هو كلام. والبليغ إذا قَرع سمعَه فَصَلَ بينه وبين ما عداه من النظم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢]، تنبيهاً على أن تأليفه ليس على هيئة نظمٍ يتعاطاه البَشَر، فيمكن أن يغيَّر بالزيادة والنقصان كحالة الكتب الأخرى.

قال: وأمَّا الإعجاز المتعلّق بصرف النَّاس عن معارضته، فظاهر أيضاً إذا اعتبر؛ وذلك أنَّه ما من صناعة ـ محمودةً كانت أو مذمومة ـ إلَّا وبينها وبين قوم مناسباتٌ خفيَّة، واتفاقات جميلة؛ بدليل أنَّ الواحد يُؤْثِرُ حرفةً من الحِرَف، فينشرح صدره بملابستها، وتطيعه قواه في مباشرتها، فيقبلها بانشِراحِ صدرٍ، ويزاولها باتّساع قلبٍ، فلمَّا دعا الله أهلَ البلاغة والخطابة الذين يهيمون في كل وادٍ من المعاني بسلاطة لسانهم إلى معارضة القرآن، وعجزهم عن الإتيان بمثله، ولم يتصدَّوا لمعارضته، لم يخفَ على أولي الألباب أنَّ صارفاً إلهيّاً صرفَهم عن ذلك، وأيّ إعجاز أعظم من أن يكون كافة البلغاء عَجَزةً في الظاهر عن معارضته، مصروفةً في الباطن عنها. انتهى.

وقال السَّكاكيّ في «المفتاح»[(١)]: اعلم أنَّ إعجاز القرآن يدرَك ولا يمكن وصفه، كاستقامة الوزن تُدرك ولا يمكن وصفُها، وكالملاحة، وكما يدرك طيب النَّغم العارض لهذا الصوت، ولا يدرك تحصيله لغير ذَوِي الفطرة السليمة إلَّا بإتقان عِلمَي المعاني والبيان والتمرين فيهما.

وقال أبو حيان التوحيديّ: سئل بُندار الفارسيّ عن موضع الإعجاز من القرآن؟ فقال: هذه مسألة فيها حَيْف على المعنى، وذلك أنه شبيه بقولك: ما موضع الإنسان من الإنسان؟ فليس للإنسان موضع من الإنسان؛ بل متى أشرت إلى جملته فقد حققته ودلَلت على ذاته، كذلك القرآن، لشرفه لا يشار إلى شيء فيه إلا وكان ذلك المعنى آية في نفسه، ومعجزة لمحاوِله، وهدى لقائله، وليس في طاقة البشَر الإحاطة بأغراض الله في كلامه وأسراره في كتابه؛ فلذلك حارت العقول، وتاهت البصائر عنده.

وقال الخطابيّ[(٢)]: ذهب الأكثرون من علماء النظر إلى أنَّ وجه الإعجاز فيه من جهةِ البلاغة، لكن صعُب عليهم تفصيلُها، وصغَوا فيه إلى حكم الذوق.

---

(١) انظر «مفتاح العلوم» للسكاكي ص٦١٤.

(٢) الخَطَّابي: حَمْد بن محمد البُسْتي، أبو سليمان، فقيه محدث (ت: ٣٨٨هـ). «إنباه الرواة» ١/ ١٢٥، «يتيمة الدهر» ٤/ ٢٣١، هذا، وله كتاب: «بيان إعجاز القرآن» ص٢٢، وقد طبع ضمن ثلاثة رسائل بمطبعة المعارف.

قال: والتحقيق أنَّ أجناس الكلام مختلِفة، ومراتبها في درجات البيان متفاوتة؛ فمنها البليغ الرّصِين الجزل، ومنها الفصيح القريب السهل، ومنها الجائز الطَّلق الرّسْل؛ وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود؛ فالأول أعلاها، والثاني أوسطُها، والثالث أدناها وأقربُها، فحازت بلاغات القرآن من كلّ قسم من هذه الأقسام حِصَّةً، وأخذت من كل نوع شُعبةً، فانتظم لها بانتظام هذه الأوصاف نَمَطٌ من الكلام يجمع صفتَي الفخامة والعُذوبة، وهما على الانفراد في نعوتهما كالمتضادَّيْن؛ لأن العذوبة نِتاج السهولة؛ والجزالة والمتانة يعالجان نوعاً من الزُّعورة؛ فكان اجتماع الأمرين في نظمه ـ مع نبوّ كلّ واحد منهما عن الآخر فضيلة خُصَّ بها القرآن؛ ليكون آية بيّنة لنبيه ﷺ.

وإنما تعذَّر على البشر الإتيان بمثلِه لأُمورٍ:

منها: أنَّ علمَهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وأوضاعها التي هي ظروف المعاني؛ ولا تُدرِك أفهامهم جميعَ معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ، ولا تكمل معرفتهم باستيفاء جميع وجوهِ النظوم التي بها يكون ائتلافها، وارتباط بعضها ببعض، فيتوصلوا باختيار الأفضل من الأحسن من وجوهها إلى أن يأْتُوا بكلام مثله، وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة:

لفظُ حاصل، ومعنى به قائمٌ، ورباطٌ لهم ناظم.

وإذا تأمَّلت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة؛ حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصحَ ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه. ولا ترى نظماً أحسنَ تأليفاً، وأشدَّ تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه. وأما معانيه: فكلّ ذي لبٍّ يشهد له بالتقدّم في أبوابه، والترقّي إلى أعلى درجاته.

وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرّق في أنواع الكلام؛ فأمّا أن تُوجد مجموعةٌ في نوع واحد منه: فلم توجد إلا في كلام العليم القدير، فخرج من هذا أن القرآن إنما صار معجزاً؛ لأنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف، مضمَّناً أصحَّ المعاني، من توحيدٍ لله تعالى وتنزيهٍ له في صفاته، ودعائه إلى طاعته، وبيانٍ لطريق عبادته، من تحليل وتحريم وحظر وإباحة، ومِن وَعْظ وتقويم، وأمرٍ بمعروفٍ ونهيٍ عن منكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق، وزَجْر عن مساويها، واضعاً كل شيء منها موضعه الذي لا يُرى شيءٌ أولَى منه، ولا يتوهّم في صورة العقلِ أمرٌ أليق به منه، مودَعاً أخبار القرون الماضية، وما نزل من مَثُلات الله(١) بمن مَضَى وعاند منهم، منبئاً عن الكوائن المستقبلة في الأعصار الآتية من الزمان، جامعاً في ذلك بين الحُجة والمحتجّ له، والدليل والمدلول عليه؛ ليكون ذلك آكد للزوم ما دعا عليه، وإنباءً عن وجوب ما أمر به ونهى عنه.

ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور، والجمع بين أشتاتها حتى تنتظم وتتَّسق أمر تعجز عنه قِوَى البشر، ولا تبلغه قدرتهم، فانقطع الخلق دونه، وعجزوا عن معارضته بمثله، أو مناقضته في شكله. ثم صار المعاندون له يقولون مرة: إنه شعر لمّا رأَوْه منظوماً، ومرة إنه سحر لمّا رأوه معجوزاً عنه، غيرَ

---

(١) المثلات: جمع مَثُلة، وهي العقوبة الفاضحة التي يتمثل بها. «القاموس المحيط»: مثل.

مقدور عليه. وقد كانوا يجدون له وقعاً في القلوب، وقرعاً في النفوس، يُرهبهم ويحيّرهم، فلم يتمالكوا أن يعترفوا به نوعاً من الاعتراف، ولذلك قالوا: إنَّ له لحَلاوةً وإنه عليه لَطلاوةً. وكانوا مرة بجهلهم يقولون: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥] مع علمهم أن صاحبهم أُمّيّ، وليس بحضرته من يملي أو يكتب في نحو ذلك من الأمور التي أوجبها العِناد والجهل، والعجز.

ثم قال: وقد قلت في إعجاز القرآن وجهاً ذهب عنه الناس، وهو: صنيعُهُ في القلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً إذا قرع السمع خلَص له إلى القلب، من اللذة والحلاوة في حال، ومن الرَّوْعة والمهابة في حال آخر، ما يخلُص منه إليه، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، وقال: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣]. انتهى.

وقال ابن سُرَاقة: اختلف أهل العِلْم في وجه إعجاز القرآن، فذكروا في ذلك وجوهاً كثيرة كلها حكمة وصوابٌ، وما بلغوا في وجوه إعجازه جزءاً واحداً من عشر معشاره.

فقال قوم: هو الإيجاز مع البلاغة.

وقال آخرون: هو البيان والفصاحة.

وقال آخرون: هو الرّصف والنظم.

وقال آخرون: هو كونه خارجاً عن جنس كلام العرب من النظم، والنثر، والخُطَب والشعر، مع كون حروفه في كلامهم ومعانيه في خطابهم وألفاظه من جنس كلماتهم، وهو بذاته قبيل[1] غير قبيل كلامهم، وجنس آخر متميّزٌ عن أجناس خطابهم؛ حتى إن من اقتصر على معانيه وغيّر حروفَه أذهب رونقَه، ومَن اقتصر على حروفه وغيّر معانيه أبطل فائدتَه؛ فكان في ذلك أبلغ دلالة على إعجازه.

وقال آخرون: هو كون قارئه لا يكلّ، وسامعه لا يَمَلّ وإن تكرّرت عليه تلاوته.

وقال آخرون: هو ما فيه من الإخبار عن الأمور الماضية.

وقال آخرون: هو ما فيه من علم الغيب والحكم على الأمور بالقطع.

وقال آخرون: هو كونه جامعاً لعلوم يطول شرحها، ويشقُّ حصرها. انتهى.

وقال الزركشيّ في «**البرهان**»[2]: أهلُ التحقيق على أن الإعجاز وَقَع بجميع ما سبق من الأقوال؛ لا بكل واحدٍ على انفراده؛ فإنه جمع ذلك كلّه، فلا معنى لنسبته إلى واحدٍ منها بمفرده، مع اشتماله على الجميع، بل وغير ذلك ممّا لم يسبق:

فمنها: الرَّوْعة التي له في قلوب السامعين وأسماعهم، سواء المقرّ والجاحد.

ومنها: أنه لم يَزَل ولا يزال غضّاً طَرِيّاً في أسماع السامعين، وعلى ألسنة القارئين.

(١) نوع وصنف.
(٢) «البرهان» ٢/ ٢٣٨، النوع ٣٨.

ومنها: جمعه بين صفَتي الجزالة والعذوبة؛ وهما كالمتضادّين لا يجتمعان غالباً في كلام البشر.

ومنها: جعله آخر الكتب غنياً عن غيره، وجعلُ غيره من الكتب المتقدمة قد يَحتاج إلى بيانٍ يرجع فيه إليه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦].

وقال الرّمانيّ: وجوهُ إعجاز القرآن تظهر من جهات ترك المعارضة، مع توفّر الدواعي وشدّة الحاجة، والتحدّي للكافة، والصَّرْفة، والبلاغة، والإخبار عن الأمور المستقبلة، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة.

قال: ونقض العادة هو: أنَّ العادة كانت جاريةً بضروب من أنواع الكلام معروفة، منها الشعر، ومنها السجع، ومنها الخُطب، ومنها الرسائل، ومنها المنثور الذي يدُور بين الناس في الحديث؛ فأتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة، لها منزلةٌ في الحُسْن تفوق به كلَّ طريقة، وتفوق الموزون الذي هو أحسن الكلام.

قال: وأمّا قياسه بكلِّ معجزة: فإنه يظهر إعجازه من هذه الجهة؛ إذ كان سبيل فَلْق البحر وقلب العصا حيَّة، وما جرى هذا المجرى في ذلك سبيلاً واحداً في الإعجاز، إذ خرج عن العادة، وقَعَدَ الخلق فيه عن المعارضة.

وقال القاضي عياض في «الشِّفا»[1]: اعلم أنَّ القرآن منطوٍ على وجوهٍ من الإعجاز كثيرة، وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه:

أولها: حسن تأليفه والتئام كَلِمه وفصاحتُه، ووجوهُ إيجازه، وبلاغتُهُ الخارقة عادةَ العرب الذين هم فرسان الكلام، وأرباب هذا الشأن.

الثّاني: صورةُ نظمه العجيب، والأسلوبُ الغريبُ، المخالفُ لأساليب كلام العرب، ومنهاج نظمها ونثرها الذي جاء عليه، ووقفتْ عليه مقاطع آياته، وانتهت إليه فواصلُ كلماته، ولم يوجد قبله ولا بعده نظيرٌ له.

قال[2]: وكل واحد من هذين النوعين ـ الإيجاز والبلاغة بذاتها، والأسلوب الغريب بذاته ـ نوع إعجاز على التحقيق، لم تقدر العرب على الإتيان بواحد منهما؛ إذ كل واحدٍ خارجٌ عن قدرتها، مباين لفصاحتها وكلامها، خلافاً لمن زعم أن الإعجاز في مجموع البلاغة والأسلوب.

الثالث: ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيَّبات وما لم يكن، فوُجد كما ورد.

الرابع: ما أَنبأَ به من أخبار القرون السالفة، والأُمم البائدة، والشرائع الداثرة؛ ممّا كان لا يعلم منه القصةَ الواحدةَ إلَّا الفذُّ من أحبار أهل الكتاب الذي قطع عُمُرَهُ في تعلّمِ ذلك، فيورده ﷺ على وجهه ويأتي به على نصّه؛ وهو أُمّيٌّ لا يقرأُ ولا يكتب.

---

(١) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» ص٣١٧ و٣٢٤ و٣٢٨ و٣٣١.

(٢) «الشفا...» ص٣٢٦.

قال[١]: فهذه الوجوه الأربعة من إعجازه بيِّنة لا نزاع فيها. ومن الوجوه في إعجازه غير ذلك:

آيٌ وردت بتعجيز قوم في قضايا، وإعلامهم أنهم لا يفعلونها، فما فعلوا ولا قدروا على ذلك، كقوله لليهود: ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا﴾ [البقرة: ٩٤، ٩٥]. فما تمنَّاه أحدٌ منهم، وهذا الوجه داخل في الوجه الثالث.

ومنها[٢]: الروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعهم، والهيبةُ التي تعتريهم عند تلاوته، وقد أسلم جماعة عند سماع آيات منه، كما وقع لجبير بن مُطْعِم: أنه سمع النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، قال: فلمّا بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٥ ـ ٣٧]، كاد قلبي أن يطير. قال: وذلك أوّل ما وقَر الإسلام في قلبي. [البخاري: ٤٨٥٤، ومسلم: ١٠٣٥، وأحمد: ١٦٧٧٣].

وقد مات جماعة عند سماع آيات منه أُفرِدوا بالتصنيف.

ثم قال: ومن وجوه إعجازه كونُهُ آيةً باقية، لا يعدم ما بقيت الدنيا؛ مع تكفّل الله بحفظه.

ومنها: أن قارئه لا يملُّه، وسامعه لا يمجُّه، بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة، وترديده يوجب له محبّة، وغيره من الكلام يعادَى إذا أُعِيد، ويُمَلّ مع الترديد، ولهذا وصف ﷺ القرآن بأنه: «**لا يَخْلَقُ على كثرة الرد**». [ضعيف: الترمذي: ٢٩٠٦].

ومنها: جمعه لعلوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب، ولا أحاط بعلمها أحد، في كلمات قليلة، وأحرف معدودة.

قال: وهذا الوجه داخل في بلاغته؛ فلا يجب أن يعدّ فنّاً مفرداً في إعجازه.

قال: والأوجه التي قبله تعدّ في خواصّه وفضائله، لا إعجازه. وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة الأُول، فليُعتمد عليها. انتهى.

تنبيهات:

الأول: اختُلف في قَدْر المعجز من القرآن، فذهب بعض المعتزلة إلى أنه متعلّق بجميع القرآن. والآيتان السابقتان تردّه.

وقال القاضي: يتعلق الإعجاز بسورة طويلةً كانت أو قصيرة؛ تشبّثاً بظاهر قوله: ﴿بِسُورَةٍ﴾ [البقرة: ٢٣].

وقال في موضع آخر: يتعلَّق بسورة أو قدرها من الكلام، بحيث يتبين فيه تفاضل قوى البلاغة؛ قال: فإذا كانت آية بقدر حروف سورة، وإن كانت كسورة الكوثر، فذلك معجز.

قال: ولم يقم دليل على عجزهم عن المعارضة في أقلّ من هذا القَدْر.

وقال قوم: لا يحصل الإعجاز بآية، بل يشترط الآيات الكثيرة.

---

(١) «الشفا...» ص٣٣٣.
(٢) المرجع السابق نفسه ص٣٣٥.

وقال آخرون: يتعلق بقليل القرآن وكثيره، لقوله: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا صَٰدِقِينَ﴾ [الطور: ٣٤]. قال القاضي: ولا دلالة في الآية، لأن الحديث التامّ لا تتحصل حكايته في أقل من كلمات سورة قصيرة.

الثاني: اختُلف في أنه هل يعلم إعجاز القرآن ضرورة؟

قال القاضي: فذَهب أبو الحسن الأشعريّ إلى أنَّ ظهور ذلك على النبي ﷺ يُعلم ضرورةً، وكونه معجزاً يُعلم بالاستدلال.

قال: والذي نقوله: إن الأعجميَّ لا يمكنه أن يعلم إعجازه إلَّا استدلالاً، وكذلك من ليس ببليغ، فأما البليغ ـ الذي قد أحاط بمذاهب العرب وغرائب الصنعة ـ فإنَّه يعلم من نفسه ضرورةَ عجزه وعجز غيره عن الإتيان بمثله.

الثالث: اختُلف في تفاوت القرآن في مراتب الفصاحة بعد اتفاقهم على أنه في أعلى مراتب البلاغة، بحيث لا يوجَد في التراكيب ما هو أشدّ تناسباً ولا اعتدالاً في إفادة ذلك المعنى منه.

فاختار القاضي المنعَ، وأن كلَّ كلمة فيه موصوفة بالذِّروة العليا؛ وإن كان بعض الناس أحسنَ إحساساً له من بعض.

واختار أبو نصر القُشيريّ وغيره التفاوتَ، فقال: لا نَدّعي أن كل ما في القرآن أرفع الدرجات في الفصاحة، وكذا قال غيره: في القرآن الأفصح والفصيح.

وإلى هذا نَحا الشيخ عز الدين بن عبد السلام، ثم أورد سؤالاً، وهو أنه: لِم لَمْ يأْت القرآن جميعُه بالأفصح؟ وأجاب عنه الصّدر موهوب الجزريّ بما حاصله: أنه لو جاء القرآن على ذلك؛ لكان على غير النمط المعتاد في كلام العرب من الجمع بين الأفصح والفصيح، فلا تتمّ الحجة في الإعجاز، فجاء على نمط كلامهم المعتاد، ليتمّ ظهور العجز عن معارضته، ولا يقولوا مثلاً: أتيتَ بما لا قُدرة لنا على جنسه؛ كما لا يصحّ من البصير أن يقول للأعمى: قد غلبتك بنظري؛ لأنه يقول له: إنما تتمّ لك الغلَبة لو كنت قادراً على النظر، وكان نظرُك أقوى من نظري، فأمّا إذ فقد أصل النظر، فكيف يصح مني المعارضة؟.

الرابع: قيل: الحكمة في تنزيه القرآن عن الشعر الموزون ـ مع أن الموزون من الكلام رتبته فوق رتبة غيره ـ: أن القرآن منبع الحق، ومَجْمَعُ الصدق، وقُصارى أمر الشاعر التخييلُ؛ بتصوّر الباطل في صورة الحق، والإفراط في الإطراء، والمبالغة في الذمّ والإيذاء، دون إظهار الحقّ وإثبات الصدق، ولهذا نزّه الله نبيّه عنه، ولأجل شهرة الشعر بالكذب سمى أصحابُ البرهان القياساتِ المؤدية في أكثر الأمر إلى البطلان والكذب شِعريّة. وقال بعض الحكماء: لم يُرَ متديّن صادق اللّهجة مُفْلِقاً في شعره[1].

وأما ما وُجد في القرآن ممّا صورته صورة الموزون، فالجواب عنه:

أنَّ ذلك لا يسمّى شعراً؛ لأن شَرْط الشعر القصد؛ ولو كان شعراً لكان كلُّ مَن اتَّفق له في كلامه

---

(١) أي: بارعاً يأتي بالعجيب فيه. «القاموس المحيط»: فَلَقَ.

شيءٌ موزونٌ شاعراً، فكان الناس كلهم شعراء؛ لأنه قلّ أن يخلوَ كلام أحد عن ذلك، وقد ورد ذلك على ألسنة الفصحاء، فلو اعتقدوه شعراً لبادروا إلى معارضته والطعن عليه؛ لأنهم كانوا أحرصَ شيء على ذلك، وإنما يقع ذلك لبلوغ الكلام الغايةَ القصوى في الانسجام.

وقيل: البيت الواحد وما كان على وزنه لا يسمّى شعراً، وأقلّ الشعر بيتان فصاعداً.

وقيل: الرّجز لا يسمّى شعراً أصلاً.

وقيل: أقلُّ ما يكون من الرجز شعراً أربعة أبيات، وليس ذلك في القرآن بحال.

الخامس: قال بعضهم: التحدِّي إنّما وقع للإنس دون الجن؛ لأنهم ليسوا من أهل اللسان العربيّ الذي جاء القرآن على أساليبه، وإنما ذكروا في قوله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾ [الإسراء: ٨٨] تعظيماً لإعجازه؛ لأن للهيئة الاجتماعية من القوّة ما ليس للأفراد، فإذا فرِض اجتماع الثَّقلين فيه، وظاهرَ بعضُهم بعضاً، وعَجَزوا عن المعارضة، كان الفريق الواحد أَعْجَز.

وقال غيره: بل وقع للجنِّ أيضاً، والملائكة منويّون في الآية؛ لأنهم لا يقدرون أيضاً على الإتيان بمثل القرآن.

قال الكرمانيّ في «**غرائب التفسير**»(١) إنما اقتصر في الآية على ذكر الإِنْس والجنّ؛ لأنه ﷺ كان مبعوثاً إلى الثَّقَلين دون الملائكة.

السادس: سُئِل الغزاليّ عن معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

فأجاب: الاختلاف لفظ مشتَرك بين معانٍ، وليس المراد نفي اختلاف الناس فيه؛ بل نفي الاختلاف عن ذات القرآن، يقال: هذا كلام مختلف، أي: لا يشبه أولُه آخِرَه في الفصاحة، أو هو مختلف الدعوَى: أي: بعضه يدعُو إلى الدِّين، وبعضه يدعو إلى الدنيا. وهو مختلف النظم؛ فبعضه على وزن الشعر، وبعضه منزحفٌ(٢)، وبعضه على أسلوب مخصوص في الجزالة، وبعضه على أسلوب يخالفه.

وكلام الله منزَّه عن هذه الاختلافات، فإنه على منهاج واحدٍ في النظم مناسب أولُه آخِرَه، وعلى درجة واحدة في غاية الفصاحة، فليس يشتمل على الغثِّ والسمين، ومسوق لمعنى واحدٍ، وهو دعوة الخلق إلى الله تعالى وصرفهم عن الدُّنيا إلى الدين.

وكلام الآدميين تتطرّق إليه هذه الاختلافات، إذ كلامُ الشعراء والمترسِّلين ـ إذا قيس عليه ـ وُجد فيه اختلاف في منهاج النظم، ثم اختلاف في درَجات الفصاحة، بل في أصل الفصاحة؛ حتى يشتمل على الغثِّ والسّمين، فلا تَتساوى رسالتان ولا قصيدتان، بل تشتمل قصيدة على أبيات فصيحةٍ وأبيات

---

(١) «غرائب التفسير...» ١/ ٦٤١، الإسراء: ٨٨.

(٢) الزِّحاف: أن يسقط بين الحرفين حرفٌ فيزحفَ أحدُهما إلى الآخر، والشعرُ مُزَاحَف. «القاموس المحيط»: زحف.

سخيفة، وكذلك تشتمل القصائد والأشعار على أغراض مختلفة؛ لأن الشعراء والفصحاء في كل واد يهيمون، فتارة يمدَحون الدنيا وتارة يذمونها، وتارة يمدحون الجُبْنَ ويسمونه حَزْماً، وتارة يذمونه ويسمّونه ضعفاً، وتارة يمدحون الشجاعة ويسمّونها صَرَامة، وتارة يذمّونها ويسمُّونها تهوّراً، ولا ينفك كلام آدميّ عن هذه الاختلافات؛ لأنَّ منشأَها اختلافُ الأغراض والأحوال، والإنسان تختلف أحواله؛ فتساعده الفصاحة عند انبساط الطبع وفرحه، وتتعذّر عليه عند الانقباض، وكذلك تختلفُ أغراضه، فيميل إلى الشيء مرّة، ويميل عنه أخرى، فيوجب ذلك اختلافاً في كلامه بالضرورة، فلا يُصادف إنسانٌ يتكلم في ثلاث وعشرين سنة ـ وهي مُدَّة نزول القرآن ـ فيتكلّم على غرض واحدٍ ومنهاج واحد، ولقد كان النبيّ ﷺ بَشراً تختلف أحواله، فلو كان هذا كلامَه أو كلامَ غيره من البَشر، لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً.

السابع: قال القاضي: فإن قيل: هل تقولون: إن غير القرآن من كلام الله معجز، كالتوراة والإنجيل؟ قلنا: ليس شيء من ذلك بمعجز في النظم والتأليف؛ وإن كان معجزاً كالقرآن فيما يتضمّن من الإخبار بالغيوب؛ وإنما لم يكن معجزاً، لأن الله تعالى لم يَصِفه بما وصَف به القرآن، ولأنَّا قد علمنا أنه لم يقع التحدّي إليه، كما وقع في القرآن. ولأنَّ ذلك اللسان لا يتأَتّى فيه من وجوه الفصاحة ما يقع فيه التفاضل الذي ينتهي إلى حدّ الإعجاز، قد ذكر ابن جنّي في «**الخاطريات**» في قوله: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ [طه: ٦٥]: إنَّ العدول عن قوله: (وإما أن نُلقي) لغرضين: أَحدُهما لفظيّ، وهو المزاوجة لرؤوس الآي، والآخر معنويّ، وهو أنه تعالى أراد أن يخبر عن قوة أنفس السَّحرة واستطالتهم على موسى، فجاء عنهم باللفظ أتمّ وأوفى منه في إسنادهم الفعل إليه.

ثم أورد سؤالاً، وهو: إنَّا نعلم أنَّ السحرة لم يكونوا أهلَ لسان، فنذهب بهم هذا المذهبَ من صنعة الكلام؟ وأجاب: بأن جميع ما ورد في القرآن حكايةً عن غير أهل اللسان من القرون الخالية، إنما هو مُعربٌ عن معانيهم، وليس بحقيقة ألفاظهم، ولهذا لا يُشَكُّ في أن قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾ [طه: ٦٣] أن هذه الفصاحة لم تَجْرِ على لغة العجم.

الثامن: قال البارزيّ في أول كتابه «**أنوار التحصيل في أسرار التنزيل**»: اعلم أنَّ المعنى الواحد قد يُخبَرُ عنه بألفاظٍ بعضُها أحسنُ من بعض؛ وكذلك كلُّ واحد من جزأي الجملة؛ قد يعبّر عنه بأفصح ما يلائم الجزء الآخر، ولا بدّ من استحضار معاني الجمل، أو استحضار جميع ما يلائمها من الألفاظ، ثم استعمال أنسبها وأفصحها، واستحضارُ هذا متعذّر على البشر في أكثر الأحوال؛ وذلك عتيد[1] حاصل في علم الله تعالى، فلذلك كان القرآن أحسن الحديث وأفصحَه وإن كان مشتملاً على الفصيح والأفصح، والمليح والأملح، ولذلك أمثلة:

---

(١) العَتيدُ: الحاضرُ المُهَيَّأ. «القاموس المحيط» عتد.

منها: قوله تعالى: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]، لو قال مكانه: (وثمر الجنتين قريب) لم يقم مقامه من جهة الجناس بين الجنى والجنتين، ومن جهة أن الثمر لا يشعر بمصيره إلى حال يُجنى فيها، ومن جهة مؤاخاة الفواصل.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ﴾ [العنكبوت: ٤٨] أحسن من التعبير بـ (تقرأ)؛ لثقله بالهمزة.

ومنها: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢] أحسن من (لا شك فيه)؛ لثقل الإدغام، ولهذا كثر ذكر الريب.

ومنها: ﴿وَلَا تَهِنُواْ﴾ [آل عمران: ١٣٩] أحسن من (ولا تضعفوا)؛ لخفته. و﴿وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى﴾ [مريم: ٤] أحسن من (ضَعُف)؛ لأن الفتحة أخف من الضمّة.

ومنها: ﴿ءَامَنَ﴾ [البقرة: ٦٢] أخفّ من (صدّق)، ولذا كان ذكره أكثر من ذكر التصديق. و﴿ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ﴾ [يوسف: ٩١] أخفّ من (فضّلك) و﴿وَءَاتَى﴾ [البقرة: ١٧٧] أخف من (أعطى). و﴿أَنذِرِ﴾ [الأحقاف: ٢١] أخفّ من (خوّف). و﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٤] أخفّ من (أفضل لكم)، والمصدر في نحو: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ١١]، ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] أخف من (مخلوق) و(الغائب). و﴿تَنكِحَ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، أخف من (تتزوج)؛ لأن (تَفْعِل) أخفّ من (تفعّل) ولهذا كان ذكر النكاح فيه أكثر.

ولأجل التخفيف والاختصار استعمل لفظ: الرحمة والغضب والرضا والحبّ والمقت في أوصاف الله تعالى، مع أنه لا يوصف بها حقيقة؛ لأنّه لو عُبّر عن ذلك بألفاظ الحقيقة لطال الكلام، كأن يقال: يعامله معاملة المحبّ والماقت. فالمجاز في مثل هذا أفضل من الحقيقة لخفته واختصاره، وابتنائه على التشبيه البليغ، فإن قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥] أحسن من (فلما عاملونا معاملة المغضب) أو (فلما أتوا إلينا بما يأتيه المغضب). انتهى.

التاسع: قال الرّمانيّ: فإن قال قائل: فلعلّ السور القِصَار يمكن فيها المعارضة؟ قيل: لا يجوز فيها ذلك من قِبَل أن التحدّي قد وقع بها، فظهر العجز عنها في قوله: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ﴾ [يونس: ٣٨]. فلم يخصّ بذلك الطِّوال دون القِصار.

فإن قال: فإنه يمكن في القصار أن تغيّر الفواصل، فيجعل بدل كل كلمة ما يقوم مقامها، فهل يكون ذلك معارضة؟ قيل له: لا، من قِبَل أن المفحَم[1] يمكنه أن يُنشئ بيتاً واحداً، ولا يفصل بطبعه بين مكسور وموزون، فلو أنَّ مفحِماً رام أن يجعل بدل قوافي قصيدة رُؤْبة[2]:

وقـاتِـم الأعـمـاق خـاوي الـمـخـتَـرَقْ ... مـشـتـبـهِ الأعـلام لـمّـاعِ الـخَـفَـقْ

(١) أي: الذي أُسكت بالحجة في الخصومة.

(٢) رجز رؤبة بن العجاج. انظره في «مجموع أشعار العرب» ص١٠٤ في وصف المفازة. هذا، وإن بيت رؤبة من شواهد ابن عقيل على ألفية ابن مالك. وقد أُلحق التنوين في قافيته المقيدة، وسماه ابن عقيل: التنوين الغالي. أي: الزائد على الوزن. شرح ابن عقيل ١/ ٢٤، و«خزانة الأدب» ١٠/ ٢٥.

بكلّ وفد الريح من حيث انخرقْ[١]

فجعل بدل المخترق (الممزَّق) وبدل الخفق (الشفق)، وبدل انخرق (انطلق)؛ لأمكنه ذلك، ولم يثبت له به قول الشعر، ولا معارضة رُؤْبة في هذه القصيدة عند أحدٍ له أدنى معرفة، فكذلك سبيل من غيَّر الفواصل.

(١) في طبعات الإتقان الثلاث: بكلّ. وفي الديوان: يكلّ.

النوع الخامس والستون

في العُلوم المستنبَطة من القرآن

قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

وقال ﷺ: «**ستكون فِتن**»، قيل: وما المَخْرَج منها؟ قال: «**كتابُ الله، فيه نبأُ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحُكْمُ ما بينكم**». أخرجه الترمذيّ [٢٩٠٦] وغيره [الدارمي: ٣٣٣١ وهو ضعيف].

وأخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال: مَنْ أراد العلم فعليه بالقرآن، فإن فيه خبر الأولين والآخرين. قال البيهقيّ: يعني أصول العلم.

وأخرج البيهقيّ عن الحسن قال: أنزل الله مئةً وأربعةَ كتب، أودع علومها أربعةً منها: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ثم أودَع علومَ الثلاثة الفرقان.

وقال الإمام الشافعيّ رضي الله عنه: جميع ما تقوله الأمة شَرْحٌ للسنَّة، وجميع السنَّة شرح للقرآن.

وقال أيضاً: جميع ما حكم به النبيّ ﷺ، فهو مما فهمه من القرآن.

قلت: ويؤيد هذا قوله ﷺ: «**إنّي لا أُحِلُّ إلَّا ما أحلَّ الله، ولا أحرِّم إلَّا ما حرَّم الله في كتابه**»، أخرجه بهذا اللفظ الشافعيّ في «**الأمّ**»(١).

وقال سعيد بن جبير: ما بلغني حديثٌ عن رسول الله ﷺ على وجهه إلَّا وجدتُ مصداقَه في كتاب الله.

وقال ابن مسعود: إذا حدَّثتكم بحديث أنبأتكم بتصديقه من كتاب الله تعالى. أخرجهما ابن أبي حاتم.

وقال الشافعيّ أيضاً: ليست تَنْزِلُ بأحدٍ في الدين نازلة إلَّا في كتاب الله الدليلُ على سبيل الهدى فيها؛ فإن قيل: من الأحكام ما ثبت ابتداءً بالسنَّة؟ قلنا: ذلك مأخوذ من كتاب الله في الحقيقة؛ لأن كتاب الله أوجب علينا اتِّباع الرسول ﷺ، وفَرَضَ علينا الأخذ بقوله.

وقال الشافعيّ مرة بمكة: سلوني عمَّا شئتُم أخبركم عنه في كتاب الله. فقيل له: ما تقول في المُحْرِم يقتل الزنبور؟ فقال: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

وحدثنا سفيان بن عُيينة، عن عبد الملك بن عُمير، عن رِبْعِيّ بن حِرَاشٍ عن حُذيفةَ بنِ اليمان، عن

(١) «الأم» ١/ ٨٠.

النبيّ ﷺ أنه قال: «**اقْتَدُوا باللَّذَيْن من بعدي: أبي بكر وعمر**» [حسن بطرقه وشواهده: أحمد: ٢٣٢٤٥، والترمذي: ٣٨٠٥].

وحدثنا سفيان، عن مِسْعر بن كِدام، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شِهاب، عن عمر بن الخطاب: أنه أمر بقتل المُحْرِم الزُّنبور.

وأخرج البخاريّ [٤٨٨٦]عن ابن مسعود أنه قال: لعن الله الواشِمات والمتوشّمات والمتنمّصات والمتفلِّجات للحُسْن، المغيّرات خلْقَ الله تعالى. فبلغ ذلك امرأةً من بني أسد، فقالت له: إنَّه بلغني أنَّكَ لعنتَ كيتَ وكيت فقال: ومالي لا ألعنُ مَن لعَنَ رسولُ الله ﷺ، وهو في كتاب الله تعالى! فقالت: لقد قرأْتُ ما بين اللَّوحين فما وجدتُ فيه كما تقول، قال: لئن كنتِ قرأْتيهِ لقد وجدْتِيهِ، أمَا قرأْتِ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، قالت: بلى، قال: فإنَّه قد نهى عنه. [ومسلم: ٥٥٧٣، وأحمد: ٤١٢٩].

وحكى ابن سُرَاقة في كتاب «**الإعجاز**» عن أبي بَكْر بن مجاهد، أنه قال يوماً: ما من شيء في العالم إلَّا وهو في كتاب الله، فقيل له: فأين ذكر الخانات فيه؟ فقال: في قوله: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ٢٩]، فهي الخانات.

وقال ابن بَرَّجَان[١]: ما قال النبي ﷺ من شيء فهو في القرآن به أو فيه أصله، قرُب أو بَعُدَ، فَهمه مَن فَهِمه، وعمِهَ عنه مَن عَمِهَ، وكذا كلّ ما حكم به أو قضى، وإنما يدرِكُ الطالب من ذلك بقدر اجتهاده وبذل وسعه ومقدار فهمه.

وقال غيره: ما من شيء إلَّا يمكن استخراجه من القرآن لمن فهّمه الله، حتى إن بعضهم استنبط عُمُرَ النبي ﷺ ثلاثاً وستين سنة من قوله في سورة المنافقين: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١]؛ فإنها رأس ثلاث وستين سورة، وعقَّبها بالتغابن[٢] ليَظْهَرَ التغابُنُ في فَقْدِه.

وقال ابن أبي الفضل المُرْسيّ[٣] في «تفسيره»: جَمع القرآن عُلومَ الأوَّلين والآخرين بحيث لم يُحِطْ بها علماً حقيقة إلَّا المتكلِّم بها، ثم رسولُ الله ﷺ، خلا ما استأثر به سبحانه وتعالى، ثم ورث عنه معظم ذلك ساداتُ الصحابة وأعلامُهم، مثل الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس، حتى قال: لو ضاع لي عِقَال بعير لوجدتُه في كتاب الله تعالى. ثم ورث عنهم التابعون بإحسان، ثم تقاصرت

---

(١) ابن بَرَّجان: عبد السلام بن عبد الرحمن الإشبيلي، أبو الحكم، متصوف، توفي بمراكش (ت: ٥٣٦هـ). «فوات الوفيات» ١/ ٢٧٤.

(٢) أي: سورة التغابن. والتغابن البَخْس، سمي به يوم القيامة؛ لأنهم تبدو لهم الأشياء بخلاف مقاديرها في الدنيا، فيرى أهل النار في ذلك بخساً لهم. أفاده الدكتور البغا.

(٣) المُرْسِي: محمد بن عبد الله بن أبي الفضل السُّلَمي المُرْسِي، أبو عبد الله. عالم بالأدب والتفسير والحديث، ضرير، من كتبه: التفسير الكبير. يزيد على عشرين جزءاً، سماه: «ريّ الظمآن» (ت: ٦٥٥هـ). «نفح الطيب» ١/ ٤٤٣، «الوافي بالوفيات» ٣/ ٣٥٤.

الهمم، وفَتَرت العزائم، وتضاءل أهل العلم، وضعُفُوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه، فنوّعوا علومه، وقامت كلُّ طائفة بفنٍّ من فنونه، فاعتنى قومٌ بضبط لغاتِه وتحرير كلماته، ومعرفة مخارج حروفه وعددها، وعدد كلماته وآياته وسُوره وأحزابه وأنصافه وأرباعه وعدد سَجَداته، والتعليم عند كل عشر آيات، إلى غير ذلك من حَصْر الكلمات المتشابهة، والآيات المتماثلة؛ من غير تعرُّضٍ لمعانيه، ولا تدبر لما أودع فيه، فسُمُّوا القُرَّاء.

واعتنى النحاة بالمعرَب منه والمبنيّ من الأسماء والأفعال والحروف العاملة وغيرها، وأوسعوا الكلام في الأسماء وتوابعها وضروب الأفعال، واللازم والمتعدِّي ورسوم خط الكلمات، وجميع ما يتعلّق به، حتى إن بعضهم أعرب مشكله، وبعضهم أعربه كلمةً كلمة.

واعتنى المفسِّرون بألفاظه، فوجدوا منه لفظاً يدل على معنى واحدٍ، ولفظاً يدلُّ على معنيين، ولفظاً يدلُّ على أكثر، فأجروا الأول على حكمه، وأوضحوا معنى الخفيّ منه، وخاضوا في ترجيح أحد محتملات ذي المعنيين والمعاني، وأعمل كلٌّ منهم فِكرَه، وقال بما اقتضاه نظره.

واعتنى الأصوليون بما فيه من الأدلة العقلية والشواهد الأصلية والنظرية، مثل قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة، فاستنبطوا منه أدلَّة على وحدانية الله ووجوده وبقائه وقدمه وقدرته وعلمه وتنزيهه عمَّا لا يليق به، وسمّوا هذا العلم: **بأصول الدين.**

وتأمّلتْ طائفة منهم معاني خطابه، فرأت منها ما يقتضي العموم، ومنها ما يقتضي الخصوص إلى غير ذلك، فاستنبطوا منه أحكام اللُّغة من الحقيقة والمجاز، وتكلموا في التَّخصيص والإخبار، والنصّ، والظاهر، والمجمَل، والمحكَم والمتشابه، والأمر والنهي، والنسخ إلى غير ذلك من أنواع الأقيسة واستصحاب الحال والاستقراء، وسموا هذا الفنَّ: **أصول الفقه.**

وأحكمتْ طائفة صحيح النظر وصادق الفكر فيما فيه من الحلال والحرام وسائر الأحكام، فأسسوا أصوله، وفرَّعوا فروعه، وبسطوا القول في ذلك بسطاً حسناً، وسمّوه **بعلم الفروع، وبالفقه** أيضاً.

وتلمَّحتْ طائفة ما فيه من قصص القرون السالفة والأمم الخالية، ونقلوا أخبارهم ودوَّنوا آثارهم ووقائعهم، حتى ذكروا بدء الدنيا وأوَّل الأشياء وسمّوا ذلك: **بالتَّاريخ والقصص.**

وتنبَّه آخرون لِمَا فيه من الحِكَم والأمثال والمواعظ التي تقلقل قلوب الرجال، وتكاد تُدكدك الجبال، فاستنبطوا ممَّا فيه من الوعد والوعيد، والتحذير، والتبشير؛ وذكر الموت والمعاد، والنشر والحشر، والحساب والعقاب، والجنَّة والنار فصولاً من المواعظ، وأصولاً من الزواجر، فسُمُّوا بذلك: **الخطباء والوعَّاظ.**

واستنبط قوم ممَّا فيه من أصول التعبير؛ مثل ما ورد في قصة يوسف في البقرات السِّمان، وفي منامَيْ صاحبَي السجن، وفي رؤياه الشمسَ والقمر والنجوم ساجدة، وسمّوه: **تعبير الرؤيا.**

واستنبطوا تفسير كل رؤيا من الكتاب، فإن عزَّ عليهم إخراجها منه فمن السنَّة التي هي شارحة للكتاب؛ فإن عسُر فمن الحِكَم والأمثال.

ثم نظروا إلى اصطلاح العوامّ في مخاطباتهم، وعُرْف عاداتهم الذي أشار إليه القرآن بقوله: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وأخذ قوم ممَّا في آية المواريث ـ من ذكر السِّهام وأربابها وغير ذلك ـ علمَ الفرائض، واستنبطوا منها من ذكر النّصف والثلث والربع والسُّدس والثُّمن حسابَ الفرائض، ومسائل العَوْل، واستخرجوا منه أحكام الوصايا.

ونظر قوم إلى ما فيه من الآيات الدَّالات على الحِكَم الباهرة في الليل والنهار، والشمس والقمر ومنازله، والنجوم والبروج وغير ذلك؛ فاستخرجوا منه: **علم المواقيت**.

ونظر الكتَّاب والشعراء إلى ما فيه من جزالة اللفظ وبديع النظم وحسن السِّياق، والمبادئ والمقاطع والمخالص، والتلوين في الخطاب، والإطناب والإيجاز وغير ذلك، فاستنبطوا منه: **المعاني والبيان والبديع**.

ونظر فيه أربابُ الإشارات وأصحاب الحقيقة، فلاحَ لهم من ألفاظه معانٍ ودقائقُ جعلوا لها أعلاماً اصطلحوا عليها، مثل الفناء، والبقاء، والحضور، والخوف، والهيبة، والأنس، والوحشة، والقبض، والبسط، وما أشبه ذلك.

هذه الفنون التي أخذتها الملَّة الإسلامية منه، وقد احتوى على علوم أخرى من علوم الأوائل، مثل الطبّ، والجَدَل، والهيئة، والهندسة، والجبر، والمقابلة، والنِّجامة وغير ذلك.

أمَّا الطبّ: فمداره على حفظ نظام الصحَّة واستحكام القوة؛ وذلك إنما يكون باعتدال المِزَاج بتفاعل الكيفيّات المتضادة، وقد جمع ذلك في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]. وعرَّفنا فيه بما يعيد نظام الصحة بعد اختلاله، وحدوث الشفاء للبدن بعد اعتلاله في قوله تعالى: ﴿شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩]، ثم زاد على طبّ الأجسام بطبّ القلوب وشفاء الصدور.

وأما الهيئة: ففي تضاعيف سُوَره، من الآيات التي ذكر فيها ملكوت السموات والأرض، وما بثَّ في العالم العلويّ والسفلي من المخلوقات.

وأما الهندسة: ففي قوله: ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ . . .﴾ الآية [المرسلات: ٣٠].

وأما الجدل: فقد حوت آياته من البراهين، والمقدِّمات، والنتائج، والقول بالموجب والمعارضة، وغير ذلك شيئاً كثيراً، ومناظرة إبراهيم نمروذ ومحاجَّته قومَه أصلٌ في ذلك عظيم.

وأمَّا الجبر والمقابلة: فقد قيل: إن أوائل السور فيها ذكر مُدد وأعوام وأيام لتواريخ أمم سالفة، وإن فيها تاريخ بقاء هذه الأمة، وتاريخ مدة أيام الدنيا، وما مضى وما بقي، مضروب بعضها في بعض.

وأما النِّجامة: ففي قوله: ﴿أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ [الأحقاف: ٤]، فقد فسَّره بذلك ابن عباس.

وفيه أصول الصنائع وأسماء الآلات التي تدعو الضرورة إليها:

كالخِياطة في قوله: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾ [الأعراف: ٢٢].

والحِدَادة: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ [الكهف: ٩٦]، ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ . . .﴾ الآية [سبأ: ١٠].

والبناء في آيات[1]. [مثلاً في سورة [الشمس: ٥]، وسورة [الصف: ٤]].

والنِّجارة: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧].

والغَزْل: ﴿نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ [النحل: ٩٢].

والنسج: ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ [العنكبوت: ٤١].

والفِلاحة: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ . . .﴾ الآيات [الواقعة: ٦٣].

والصيد في آيات. [وهي في سورة المائدة الآيات: ١ ـ ٢ ـ ٩٤ـ ٩٦].

والغَوْص: ﴿كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص: ٣٧]، ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً﴾ [النحل: ١٤].

والصياغة: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾ [الأعراف: ١٤٨].

والزُّجاجة: ﴿صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ [النمل: ٤٤]، ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ [النور: ٣٥].

والفخارة: ﴿فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ [القصص: ٣٨].

والمِلاحة: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ . . .﴾ الآية [الكهف: ٧٩].

والكتابة: ﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ [العلق: ٤].

والخبز: ﴿أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا﴾ [يوسف: ٣٦].

والطبخ: ﴿بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: ٦٩].

والغسل والقصارة: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤]، ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]. وهم القصارون.

والجزارة: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة: ٣].

والبيع والشراء في آيات. [البقرة: ٢٥٤، ٢٧٥، ٢٨٢].

والصّبغ: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٨]، ﴿جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ﴾ [فاطر: ٢٧].

والحجارة: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [الشعراء: ١٤٩].

والكيالة والوزن في آيات.

والرمي: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الأنفال: ١٧]، ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وفيه من أسماء الآلات، وضروب المأكولات والمشروبات والمنكوحات، وجميع ما وقع ويقع

---

(١) وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ [الشمس: ٥].

في الكائنات ما يحقق معنى قوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]. انتهى كلام المُرْسِي ملخَّصاً.

وقال ابن سُرَاقة(١): من بعض وجوه إعجاز القرآن ما ذكر الله فيه من أعداد الحِساب والجَمْع والقِسْمة والضرب، والموافقة، والتأليف، والمناسبة، والتنصيف والمضاعفة؛ ليعلم بذلك أهل العلم بالحساب أنه ﷺ صادق في قوله، وأن القرآن ليس من عنده؛ إذْ لم يكن ممن خالطَ الفلاسفَة، ولا تلقَّى الحُسَّاب وأهل الهندسة.

وقال الراغب(٢): إن الله تعالى كما جعل نبوَّة النبيين بنبيِّنا محمد ﷺ مُختَتَمة، وشرائعهم بشريعته من وجه منتسخَة، ومن وجه مكمّلة متممة، جعل كتابه المنزَّل عليه متضمّناً لثمرة كتبه التي أولاها أولئك، كما نبه عليه بقوله: ﴿يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [البينة: ٢، ٣]. وجعل من معجزة هذا الكتاب: أنه مع قلة الحجم متضمن للمعنى الجمّ، بحيث تقصر الألباب البشرية عن إحصائه، والآلات الدنيوية عن استيفائه، كما نبه عليه بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧]. فهو وإن كان لا يخلو للناظر فيه من نور ما يريه ونفع ما يوليه.

كالبدْر من حيثُ التفتَّ رأيته ... يَهدِي إلى عينَيْك نوراً ثاقبا
كالشَّمس في كبِدِ السماء وضَوْؤُها ... يغشَى البلادَ مشارقاً ومغاربا(٣)

[بحر الكامل]

وأخرج أبو نعيم [في «الحلية» (١٠/ ١٢)] وغيره عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قال: قيل لموسى عليه السلام: يا موسى، إنما مَثل كِتاب أحمد في الكتب بمنزلة وعاءٍ فيه لبن؛ كلما مَخضْتَه أخرجتَ زُبْدته.

وقال القاضي أبو بكر بن العربيّ في «**قانون التأويل**»(٤): علومُ القرآن خمسون علماً، وأربعمئة علم، وسبعة آلاف علم، وسبعون ألف علم؛ على عددِ كَلِم القرآن، مضروبة في أربعة، إذْ لكلٍّ كلمة ظهر وبطن، وحدّ ومطلع، وهذا مطلق دون اعتبار تركيب وما بينها من روابط، وهذا ما لا يحصَى، ولا يعلمه إلّا الله.

قال: وأمّا علوم القرآن فثلاثة: توحيدٌ، وتذكير، وأحكام: فالتوحيد يدخل فيه معرفة المخلوقات،

---

(١) ابنُ سُرَاقة: محمد بن يحيى أبو الحسن، البصري، فقيه فرضي، ووقف ابن الصلاح على كتاب الأعداد له، له رسالة في مجموع، بالفاتيكان سماها: التفاحة في مقدمات المساحة (ت: ٤١٠هـ). «طبقات السبكي الكبرى» ٣/ ٨٦، «الأعلام» ٧/ ١٣٦.

(٢) في «مفرداته» ص٥٣ في المقدمة.

(٣) القائل هو المتنبي (أحمد بن الحسين ت: ٣٥٤هـ) والبيتان في «ديوانه» ٣١ _ ٣٣.

(٤) ص٢٢٦ _ ٢٢٧، ذكر الحكمة العظمى في خلق الكلام وتسخير القلم.

ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله. والتذكير منه والوعد والوعيد، والجنَّة والنار، وتصفية الظاهر والباطن. والأحكام، منها التكاليف كلها، وتبيين المنافع والمضارّ، والأمر والنهي والنَّدب. ولذلك كانت الفاتحة أمّ القرآن؛ لأن فيها الأقسام الثلاثة، وسورة الإخلاص ثُلُثَهُ، لاشتمالها على أحدِ الأقسام الثلاثة، وهو التوحيد.

وقال ابن جرير: القرآن يشتمل على ثلاثة أشياء: التوحيد، والإخبار، والدّياناتِ، ولهذا كانت سورة الإخلاص ثُلثه؛ لأنها تشمل التوحيد كلَّه.

وقال عليّ بن عيسى: القرآن يشتمل على ثلاثين شيئاً: الإعلام، والتشبيه، والأمر، والنهي، والوعد، والوعيد، ووصف الجنة، والنار، وتعليم الإقرار بأسماء الله، وبصفاته، وأفعاله، وتعليم الاعتراف بإنعامه، والاحتجاج على المخالفين، والردّ على الملحدين، والبيان عن الرغبة، والرهبة، والخير، والشرّ، والحَسن، والقبيح، ونعت الحكمة، وفضْل المعرفة، ومدح الأبرار، وذم الفجَّار، والتسليم، والتحسين، والتوكيد، والتقريع، والبيان عن ذم الأخلاق، وشرف الآداب.

وقال شيذَلة: وعلى التحقيق إنَّ تلك الثلاث التي قالها ابن جرير تشمل هذه كُلَّها بل أضعافها، فإن القرآن لا يُستدرَك، ولا تُحصَى عجائبه.

وأنا أقول: قد اشتمل كتاب الله العزيز على كلّ شيء؛ أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلَّا وفي القرآن ما يدل عليها، وفيه عجائب المخلوقات، وملكوت السموات والأرض، وما في الأفق الأعلى وتحت الثرى، وبدء الخلق، وأسماء مشاهير الرُّسل والملائكة، وعيون أخبار الأمم السالفة، كقصة آدم مع إبليس في إخراجه من الجنة، وفي الولد الذي سمَّاه عبد الحارث، ورفع إدريس، وغرق قوم نوح، وقصة عاد الأولى والثانية، وثمود والناقة، وقوم يونس، وقوم شعيب: الأولين والآخرين، وقوم لوط، وقوم تُبَّع، وأصحاب الرَّسّ، وقصة إبراهيم في مجادلة قومه ومناظرته نمروذ، ووضعه إسماعيل مع أمه بمكة، وبنائه البيت، وقصة الذبيح، وقصة يوسف وما أبسطها، وقصة موسى في ولادته وإلقائه في اليمّ، وقتل القِبْطِيّ، ومسيره إلى مدين، وتزوّجه بنت شعيب، وكلامه تعالى بجانب الطور، ومجيئه إلى فرعون وخروجه وإغراق عدوّه، وقصة العجل والقوم الذين خرج بهم وأخذتهم الصَّعْقَة، وقصة القتيل، وذبح البقرة، وقصته مع الخضر، وقصته في قتال الجبّارين، وقصة القوم الذين ساروا في سرَب من الأرض إلى الصين، وقصة طالوت وداود مع جالوت وفتنته، وقصة سليمان وخبره مع ملكة سبأ وفتنته، وقصة القوم الذين خرجوا فراراً من الطاعون فأماتهم الله ثم أحياهم، وقصة ذي القرنين ومسيره إلى مغرب الشمس ومطلعها وبنائه السدّ، وقصة أيوب، وذي الكِفْل، وإلياس، وقصة مريم وولادتها، وعيسى وإرساله ورفعه، وقصة زكريّا وابنه يحيى، وقصة أصحاب الكهف، وقصة أصحاب الرقيم، وقصة بخت نَصّر، وقصة الرجلين اللذين لأحدهما الجنة، وقصة أصحاب الجنة، وقصة مؤمن آل يس، وقصة أصحاب الفيل.

وفيه من شأن النبي ﷺ: دعوة إبراهيم به، وبشارة عيسى، وبعثه وهجرته، ومن غزواته: سريَّة ابن

الحضرميّ في البقرة، وغزوة بَدْر في سورة الأنفال، وأُحد في آل عمران، وبدر الصغرى فيها، والخندق في الأحزاب، والحُديبية في الفتح، والنَّضير في الحَشْر، وحُنين وتبوك في براءة، وحجَّة الوداع في المائدة. ونكاحه زينب بنت جحْش، وتحريم سُرّيته، وتظاهر أزواجه عليه، وقصة الإفك، وقصة الإسراء، وانشقاق القمر، وسِحْر اليهود إياه.

وفيه بدء خلق الإنسان إلى موته وكيفية الموت، وقبض الروح وما يُفعل بها بعد، وصعودها إلى السماء، وفتح الباب للمؤمنة وإلقاء الكافرة، وعذاب القبر والسؤال فيه، ومقرّ الأرواح، وأشراط الساعة الكبرى، وهي: نزول عيسى، وخروج الدَّجال، ويأجوج ومأجوج، والدابَّة، والدُّخان، ورفع القرآن، والخسف، وطلوع الشمس من مغربها، وغلق باب التوبة. وأحوال البعث من النفخات الثلاث: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة القيام. والحشْر والنشر، وأهوال الموقف، وشدة حر الشمس، وظل العرش، والميزان والحوض، والصراط، والحساب لقوم ونجاة آخرين منه، وشهادة الأعضاء، وإيتاء الكتب بالأيمان والشمائل وخلف الظهر، والشفاعة، والمقام المحمود، والجنَّة وأبوابها وما فيها من الأنهار، والأشجار والثمار والحليّ والأواني والدرجات ورؤيته تعالى. والنَّار وأبوابها وما فيها من الأودية، وأنواع العقاب وألوان العذاب، والزقُّوم، والحميم.

وفيه جميع أسمائه تعالى الحسنى، كما ورد في حديث [البخاري: ٦٤١٠، ومسلم: ٦٨٠٩، وأحمد: ٧٥٠٢]، ومن أسمائه مطلقاً ألف اسم، ومن أسماء النبي ﷺ جملة.

وفيه شُعَب الإيمان البضع والسبعون [البخاري: ٩، ومسلم: ١٥٢، وأحمد: ٩٣٦١]، وشرائع الإسلام الثلاثمئة وخمس عشرة.

وفيه أنواع الكبائر، وكثير من الصغائر. وفيه تصديق كلّ حديث وَرَدَ عن النبي ﷺ، إلى غير ذلك ممَّا يحتاج شرحه إلى مجلَّدات.

وقد أفرد الناس كتباً فيما تضمَّنه القرآن من الأحكام كالقاضي إسماعيل، وأبي بكر بن العلاء، وأبي بكر الرازيّ، وإلكيا الهرَّاسيّ، وأبي بكر بن العربيّ، وعبد المنعم بن الفَرَس، وابن خُويز مَنداد.

وأفرد آخرون كتاباً فيما تضمنه من علم الباطن.

وأفرد ابن بَرَّجَان كتاباً فيما تضمنه من معاضدة الأحاديث.

وقد ألَّفت كتاباً سميته «**الإكليل في استنباط التنزيل**»[1] ذكرت فيه كلَّ ما استُنبط منه من مسألة فقهية أو أصولية، أو اعتقادية، وبعضاً مما سوى ذلك، كثير الفائدة جمّ العائدة، يجري مجرى الشرح لما أجملته في هذا النوع؛ فليراجعه مَنْ أراد الوقوف عليه.

فصل: قال الغزالي وغيره: آيات الأحكام خمسمئة آية. وقال بضعهم: مئة وخمسون. قيل: ولعلَّ مرادهم المصرّح به؛ فإن آيات القصص والأمثال وغيرها يُستنبط منها كثير من الأحكام.

---

(١) وهو مطبوع متداول، حققه الأستاذ: سيف الدين عبد القادر الكاتب. ط: دار الكتب العلمية ١٩٨٥م.

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في كتاب «**الإمام في أدلة الأحكام**»[1]: معظم آي القرآن لا يخلو عن أحكام مشتملة على آداب حسنة، وأخلاقٍ جميلة، ثم من الآيات ما صرّح فيه بالأحكام، ومنها ما يُؤخذ بطريق الاستنباط:

إما بلا ضمّ إلى آية أخرى كاستنباط صحة أنكحة الكفار من قوله: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ [المسد: ٤]، وصحة صوم الجنُب، من قوله: ﴿فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ﴾ إلى قوله: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ...﴾ الآية [البقرة: ١٨٧].

وإما به، كاستنباط أن أقل الحمل ستة أشهر من قوله: ﴿وَحَمۡلُهُۥ﴾ [الأحقاف: ١٥]، ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ﴾ [لقمان: ١٤].

قال[2]: ويستدل على الأحكام تارة بالصيغة، وهو ظاهر، وتارة بالإخبار مثل: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ [المائدة: ٣]، ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وتارة بما رُتِّب عليها في العاجل أو الآجل من خيرٍ أو شر، أو نفع أو ضرّ، وقد نوّع الشارع ذلك أنواعاً كثيرة، ترغيباً لعباده، وترهيباً وتقريباً إلى أفهامهم.

فكلّ فعل عظَّمه الشرع أو مدحه أو مدَح فاعله لأجله أو أحبّه أو أحبّ فاعله، أو رضيَ به أو رضي عن فاعله، أو وصفَه بالاستقامة أو البركة أو الطيب، أو أقسم به أو بفاعله كالإقسام بالشفع والوتر، وبخيل المجاهدين، وبالنفس اللوامة، أو نصبَه سبباً لذكره لعبده أو لمحبته أو لثوابٍ عاجل أو آجل، أو لشكره له، أو لهدايته إياه، أو لإرضاء فاعله، أو لمغفرة ذنبه وتكفير سيّئاته أو لقبوله أو لنصرة فاعله، أو بشارته، أو وصف فاعله بالطِّيب، أو وصف الفعل بكونه معروفاً، أو نفى الحزن والخوف عن فاعله، أو وعده بالأمن، أو نُصب سبباً لولايته، أو أخبر عن دعاء الرسول بحصوله، أو وصفه بكونه قُرْبةً، أو بصفة مدح، كالحياة والنور والشفاء؛ فهو دليل على مشروعيته المشتركة بين الوجوب والندب.

وكلّ فعل طلب الشارعُ تركَه، أو ذمَّه أو ذمَّ فاعله، أو عَتبَ عليه، أو مَقَتَ فاعله أو لعَنه، أو نفى محبّته أو محبّة فاعله، أو الرِّضا به أو عن فاعله، أو شبّه فاعله بالبهائم أو بالشياطين، أو جعله مانعاً من الهدى أو من القبول، أو وصفه بسوءٍ أو كراهة، أو استعاذ الأنبياء منه أو أبغضُوه، أو جُعل سبباً لنفي الفلاح أو لعذاب عاجل أو آجل، أو لذمّ أو لوم أو ضلالة أو معصية، أو وصف بخبْث أو رجس أو نجس، أو بكونه فسقاً أو إثماً، أو سبباً لإثم أو رجس، أو لعن أو غضب، أو زوال نعمة، أو حلول نقمة، أو حَدّ من الحدود، أو قسوة أو خزي، أو ارتهان نفس، أو لِعَداوة الله ومحاربته، أو لاستهزائه أو سخريته، أو جعله الله سبباً لنسيانه فاعله، أو وصفه نفسه بالصبر عليه أو بالحلم، أو بالصفح عنه، أو دعا إلى التوبة منه، أو وصف فاعله بخبث أو احتقار، أو نسبه إلى عمل الشيطان، أو تزيينه، أو

(١) ص٢٨٤، الفصل العاشر، في كيفية استخراج الأحكام من أدلتها.

(٢) المرجع السابق نفسه ص٢٧٦.

تولِّي الشيطان لفاعله، أو وصفه بصفة ذمّ ككونه ظلماً أو بغياً، أو عدواناً أو إثماً أو مرضاً، أو تبرَّأ الأنبياء منه أو من فاعله، أو شَكَوْا إلى الله من فاعله، أو جاهروا فاعله بالعداوة، أو نهُوا عن الأسى والحزن عليه، أو نصب سبباً لخيبة فاعله عاجلاً أو آجلاً، أو رتَّب عليه حرمان الجنة وما فيها، أو وصف فاعله بأنه عدوّ لله، أو بأن الله عدوه، أو أعلم فاعلَه بحرب من الله ورسوله، أو حمّل فاعلَه إثمَ غيره، أو قيل فيه: لا ينبغي هذا أو لا يكون، أو أمر بالتقوى عند السؤال عنه، أو أمِر بفعل مضادّه، أو بهجرِ فاعله، أو تلاعَن فاعلوه في الآخرة، أو تبرَّأ بعضُهم من بعض، أو دعا بعضهم على بعض، أو وصف فاعله بالضلالة وأنه ليس من الله في شيء، أو ليس من الرسول وأصحابه، أو جُعل اجتنابه سبباً للفلاح، أو جعله سبباً لإيقاع العداوة والبغضاء بين المسلمين، أو قيل: هل أنت منتهٍ، أو نهى الأنبياء عن الدعاء لفاعله، أو رتب عليه إبعاداً أو طرداً، أو لفظة (قُتِل من فعله) أو (قاتله الله)، أو أخبر أنَّ فاعله لا يكلِّمه الله يوم القيامة، ولا ينظر إليه ولا يزكِّيه، ولا يصلح عمله، ولا يهدي كيده أو لا يفلح، أو قَيَّض له الشيطان، أو جعل سبباً لإزاغة قلب فاعله، أو صرفه عن آيات الله وسؤاله عن علة الفعل؛ فهو دليل على المنع من الفعل، ودلالتُه على التحريم أظهر من دلالته على مجرد الكراهة. وتُستفاد الإباحة من لفظ الإحلال، ونفي الجُناح والحرج والإثم والمؤاخذة، ومن الإذن فيه والعفو عنه، ومن الامتنان بما في الأعيان من المنافع، ومن السكوت عن التحريم، ومن الإنكار على من حرّم الشيء من الإخبار بأنه خلق أو جعل لنا، والإخبار عن فعل مَن قبلنا من غير ذمّ لهم عليه.

فإن اقترن بإخباره مدْحٌ، دلّ على مشروعيته وجوباً أو استحباباً. انتهى كلام الشيخ عز الدين.

وقال غيره: قد يُستنبط من السكوت، وقد استدلّ جماعة على أنَّ القرآن غيرُ مخلوق بأن الله ذكر الإنسان في ثمانية عشر موضعاً، وقال: إنه مخلوق، وذكر القرآن في أربعة وخمسين موضعاً ولم يقل: إنه مخلوق، ولمّا جمع بينهما غايرَ، فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ [الرحمن: ١ ـ ٣].

النوع السادس والستون

فيْ أمثالِ القُرْآن

أفرده بالتصنيف الإمام أبو الحسن الماورديّ من كبار أصحابنا.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وأخرج البيهقيّ [في «الشعب»: ٢٢٩٣] عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ القرآن نزل على خمسةِ أوجهٍ: حلال، وحرام، ومحكَم، ومتشابه، وأمثال، فاعملوا بالحلال، واجتنبوا الحرام، واتَّبعوا المحكم، وآمنوا بالمتشابه، واعتبروا بالأمثال**».

قال الماورديّ: من أعظم علْم القرآن علم أمثالِه، والنَّاس في غفلة عنه لاشتغالهم بالأمثال، وإغفالهم الممثَّلات، والمثل بلا ممثَّل كالفرس بلا لجام، والناقة بلا زمام.

وقال غيره: قد عدّه الشافعي ممّا يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن، فقال: ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدّوالّ على طاعته، المبيّنة لاجتناب معصيته.

وقال الشيخ عز الدين: إنما ضرب الله الأمثالَ في القرآن، تذكيراً ووعظاً، فما اشتمل منها على تفاوت في ثوابٍ، أو على إحباطِ عملٍ، أو على مدحٍ أو ذمٍّ أو نحوهِ، فإنَّه يدلُّ على الأحكام.

وقال غيره: ضَربُ الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة: التذكير، والوعظ، والحثّ، والزجر، والاعتبار، والتقرير، وتقريب المراد للعقل، وتصويره بصورة المحسوس، فإنَّ الأمثال تصوّر المعاني بصورة الأشخاص، لأنها أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواسّ، ومن ثَمّ كان الغرض من المثل تشبيه الخفيّ بالجليّ، والغائب بالشاهد.

وتأتي أمثال القرآن مشتملةً على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذمّ، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر أو إبطاله، قال تعالى: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم: ٤٥]. فامتنّ علينا بذلك لما تضمنتْه من الفوائد.

وقال الزركشيّ في «البرهان»(١): ومن حكمته تعليم البيان؛ وهو من خصائص هذه الشريعة.

وقال الزمخشريّ: التمثيل إنما يُصار إليه لكشف المعاني، وإدناء المتوهَّم من الشاهد، فإن كان المتمثَّل له عظيماً كان المتمثَّل به مثله، وإن كان حقيراً كان المتمثّل به كذلك.

وقال الأصبهانيّ: لضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء النظائر شأنٌ ليس بالخفيّ في إبراز

(١) «البرهان» ٢/ ١١٨ النوع ٣١.

خفيّات الدقائق، ورفع الأستار عن الحقائق، تريك المتخيّل في صورة المتحقّق، والمتوهَّم في معرض المتيقَّنِ، والغائب كأنه مشاهد. وفي ضرب الأمثال تبْكِيتٌ للخَصْم الشديد الخصومة، وقمع لسَوْرة الجامح الأبيّ؛ فإنه يؤثّر في القلوب ما لا يؤثّر وصف الشيء في نفسه؛ ولذلك أكثر الله تعالى في كتابه وفي سائر كتبهِ الأمثالَ، ومن سور الإنجيل سورة تسمّى سورة الأمثال، وفشت في كلام النبيّ ﷺ، وكلام الأنبياء والحكماء.

فصل: أمثال القرآن قسمان: ظاهر مصرّح به، وكامِنٌ لا ذكرَ للمثل فيه.

فمن أمثلة الأوّل: قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا . . .﴾ الآيات [البقرة: ١٧ ـ ٢٠]؛ ضرَب فيها للمنافقين مَثَلَيْن: مثلاً بالنار، ومثلاً بالمطر.

أخرج ابن أبي حاتم[١] وغيره من طريق عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: هذا مثل ضربه الله للمنافقين، كانوا يعتزّون بالإسلام فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفيءَ، فلمّا ماتُوا سلبهم الله العزَّ كما سلب صاحب النار ضوءَه ﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ﴾ يقول في عذاب .﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ وهو المطر، ضرب مثله في القرآن ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ﴾ يقول: ابتِلاء ﴿وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ تخويف ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ يقول: يكاد محكم القرآن يدلّ على عورات المنافقين ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ١٩، ٢٠]. يقول: كلما أصاب المنافقون في الإسلام عِزًّا اطمأنّوا، فإن أصاب الإسلامَ نكبةٌ قاموا، ليرجعوا إلى الكفر، كقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ الآية [الحج: ١١].

ومنها: قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا . . .﴾ الآية [الرعد: ١٧]. أخرج ابن أبي حاتم من طريق عليّ عن ابن عباس قال: هذا مثل ضربه الله، احتَملت منه القلوب على قدر يقينها وشكلها. ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾، وهو الشك، ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]، وهو اليقين، كما يجعل الحلْي في النار، فيؤخذ خالصه، ويُترك خَبَثه في النار، كذلك يقبل الله اليقين ويترك الشكّ.

وأخرج عن عطاء قال: هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر.

وأخرج عن قتادة قال: هذه ثلاثة أمثال ضربها الله في مثلٍ واحد، يقول: كما اضمحلّ هذا الزَّبد فصار جُفاء لا يُنتفع به، ولا تُرجى بركته، كذلك يضمحلّ الباطل عن أهله. وكما مكث هذا الماء في الأرض، فأمرعت وربَّتْ بركتُه، وأخرجت نباتها، وكذلك الذهب والفضة حين أُدخل النار، فأُذهب خبثُه، كذلك يبقى الحقّ لأهله. وكما اضمحلّ خبَث هذا الذهب والفضة حين أُدخِل في النار، كذلك يضمحلّ الباطل عن أهله.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ . . .﴾ الآية [الأعراف: ٥٨]. أخرج ابن أبي حاتم[٢] من

---

(١) في «تفسيره» ١/ ٥٠ رقم (١٥٨) سورة البقرة: ١٧.

(٢) «في تفسيره» ٥/ ١٥٠٣ رقم (٨٦١٥) و(٨٦١٩) سورة الأعراف: ٥٨.

طريق عليّ عن ابن عباس قال: هذا مثلٌ ضربه الله للمؤمن، يقول: هو طيب وعمله طيب؛ كما أن البلد الطيّب ثمرها طيّب، والذي خبث ضُرِب مثلاً للكافر، كالبلد السبخة المالحة، والكافر هو الخبيث وعمله خبيث.

ومنها: قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ . . .﴾ الآية، [البقرة: ٢٦٦]. أخرج البخاريّ [٤٥٣٨] عن ابن عباس قال: قال عمر بن الخطاب يوماً لأصحاب النبيّ ﷺ: فيمن ترون هذه الآية نزلت: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾؟ قالوا: الله أعلم. فغضب عمر وقال: قولوا: نعلم أو لا نعلم. فقال ابن عباس: في نفسي منها شيءٌ، فقال: يا ابن أخي قل ولا تحقِرْ نفسَك، قال ابنُ عباس: ضُرِبَتْ مثلاً لعملٍ، قال عمر: أيّ عملٍ؟ قال ابن عباس: لرجلٍ غنيّ عمِل بطاعة الله، ثمّ بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرَقَ أعمالَه.

وأما الكامنة: فقال الماورديّ: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم يقول: سمعت أبي يقول: سألتُ الحسينَ بن الفضل فقلت: إنك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن؛ فهل تجد في كتاب الله: (خير الأمور أوساطها)؟ قال: نعم، في أربعة مواضع: قوله تعالى: ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠].

قلت: فهل تجد في كتاب الله (مَنْ جهل شيئاً عاداه)؟ قال: نعم، في موضعين: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ﴾ [يونس: ٣٩]، ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١].

قلت: فهل تجد في كتاب الله: (احذَرْ شرَّ من أحسنتَ إليه)؟ قال: نعم: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [التوبة: ٧٤].

قلت: فهل تجد في كتاب الله (ليس الخبرُ كالعيَان)؟ قال: في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠].

قلت: فهل تجد: (في الحركات البركات)؟ قال: في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء: ١٠٠].

قلت: فهل تجد: (كما تَدين تُدان)؟ قال: في قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣].

قلت: فهل تجد فيه قولهم: (حين تَقْلي تدري)؟ قال: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٢].

قلت: فهل تجد فيه: «**لا يُلدَغ المؤمنُ من جُحْرٍ مرتين**»؟ [البخاري: ٦١٣٣، ومسلم: ٧٤٩٨، وأحمد: ٨٩٢٨]. قال: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ . . .﴾ [يوسف: ٦٤].

قلت: فهل تجد فيه: (من أعان ظالماً سُلِّط عليه)؟ قال: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الحج: ٤].

قلت: فهل تجد فيه قولهم: (لا تَلِدُ الحيّةُ إلّا حيَّةً)؟ قال: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا﴾ [نوح: ٢٧].

قلت: فهل تجد فيه: (للحيطان آذان)؟ قال: ﴿وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ﴾ [التوبة: ٤٧].

قلت: فهل تجد فيه: (الحلال لا يأتيك إلا قوتاً. والحرام لا يأتيك إلا جُزافاً)؟ قال: ﴿إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

فائدة: عقد جعفر بن شمس الخلافة في كتاب الآداب باباً في ألفاظ من القرآن، جارية مجرى المثل، وهذا هو النوع البديعي المسمّى بإرسال المثل، وأورد من ذلك قوله تعالى:

﴿لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: ٥٨]، ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران: ٩٢]، ﴿ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ﴾ [يوسف: ٥١]، ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ﴾ [يس: ٧٨]، ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠]، ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾ [يوسف: ٤١]، ﴿أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾ [هود: ٨١]، ﴿وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤]، ﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ﴾ [الأنعام: ٦٧]، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾ [فاطر: ٤٣]، ﴿قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤]، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: ٢١٦]، ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]، ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ [المائدة: ٩٩]، ﴿مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ﴾ [التوبة: ٩١]، ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ﴾ [يونس: ٩١]، ﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ﴾ [الحشر: ١٤]، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ [فاطر: ١٤]، ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢]، ﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٢٣]، ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ [المائدة: ١٠٠]، ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ [الروم: ٤١]، ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣]، ﴿لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١]، ﴿وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ﴾ [ص: ٢٤]، ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢]. في ألفاظ أُخرَ.

النوع السابع والستون

في أقسام القرآن

أفرده ابن القيِّم بالتصنيف في مجلد سمَّاه «التبيان»[(١)].

والقصد بالقَسَم تحقيق الخبر وتوكيده، حتى جعلوا مثل: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١] قَسَماً؛ وإن كان فيه إخبار بشهادةٍ؛ لأنَّه لما جاء توكيداً للخبر سمّي قَسَماً.

وقد قيل: ما معنى القَسَم منه تعالى؛ فإنَّه إن كان لأجْل المؤمن فالمؤمن مصدِّق بمجرد الإخبار من غير قسَم، وإن كان لأجل الكافر فلا يفيده؟

وأُجيب: بأن القرآن نزل بلغة العرب، ومن عادتها القَسَم إذا أرادت أن تؤكِّد أمراً.

وأجاب أبو القاسم القشيريّ: بأن الله ذكر القَسَم لكمال الحُجة وتأكيدها؛ وذلك أنَّ الحكم يفصَل باثنين: إما بالشهادة وإمَّا بالقَسَم، فذكر تعالى في كتابه النوعين حتى لا يبقى لهم حجة، فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ . . .﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال: ﴿قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [يونس: ٥٣].

وعن بعض الأعراب أنه لمَّا سمع قوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [الذاريات: ٢٢، ٢٣] صرخ وقال: مَنْ ذَا الذي أغضب الجليل حتى ألجأه إلى اليمين؟

ولا يكون القَسَم إلَّا باسم معظَّم، وقد أقسم الله تعالى بنفسه في القرآن في سبعة مواضع:

الآية المذكورة بقوله: ﴿قُلْ إِى وَرَبِّىٓ﴾ [يونس: ٥٣]، ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧]، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ [مريم: ٦٨]، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢]، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [النساء: ٦٥]، ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠].

والباقي كله قسم بمخلوقاته، كقوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾، ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾، ﴿وَٱلشَّمْسِ﴾، ﴿وَٱلَّيْلِ﴾، ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾، ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥].

فإن قيل: كيف أقسم بالخَلْق وقد ورد النهي عن القسم بغير الله؟

قلنا: أجيب عنه بأوجه:

أحدُها: أنه على حذف مضاف، أي: وربِّ التين وربِّ الشمس؛ وكذا الباقي.

الثاني: أنَّ العَرب كانت تعظِّم هذه الأشياء، وتُقسِم بها، فنزل القرآن على ما يعرفون.

---

(١) «التبيان في أقسام القرآن» ابن قيم الجوزية. تصحيح: فواز زمرلي، ط٢، دار الكتاب العربي ١٩٩٨م. وابن القيم هو: محمد بن أبي بكر، شمس الدين، أحد أفراد العلماء في التفسير والحديث وأصول الدين، صاحب ابن تيمية (ت: ٧٥١هـ). «الدرر الكامنة» ٣/ ٤٠٠.

الثالث: أنَّ الأقسام إنما تكون بما يعظمه المُقسِم أو يجلّه وهو فوقَه، والله تعالى ليس شيء فوقه، فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته؛ لأنها تدلُّ على بارئ وصانع.

وقال ابن أبي الإصبع في «**أسرار الفواتح**»: القسَم بالمصنوعات يستلزم القسَم بالصانع؛ لأن ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل؛ إذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل.

وأخرج ابنُ أبي حاتم[1] عن الحسن قال: إنَّ الله يُقسم بما شاء من خلقه، وليس لأحدٍ أن يقسم إلّا بالله.

وقال العلماء: أقسم الله تعالى بالنبي ﷺ في قوله: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ لتعرف الناس عظمته عند الله ومكانته لديه، أخرج ابن مَرْدويه عن ابن عباس قال: ما خلق الله ولا ذرأ ولا برأ نفساً أكرمَ عليه من محمد ﷺ، وما سمعتُ الله أقسم بحياة أحدٍ غيره، قال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

وقال أبو القاسم القُشيري: القَسَم بالشيء لا يخرج عن وجهين: إما لفضيلة أو لمنفعة. فالفضيلة، كقوله: ﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾، والمنفعة، نحو: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ [التين: ١ ـ ٣].

وقال غيره: أقسم الله تعالى بثلاثة أشياء؛ بذاته كالآيات السابقة، وبفعله، نحو: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٥ ـ ٧]، وبمفعوله، نحو: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١]، ﴿وَٱلطُّورِ ۝ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ [الطور: ١، ٢].

والقَسَم: إما ظاهر كالآيات السابقة، وإما مضمر، وهو قسمان: قسم دلت عليه اللام، نحو: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وقسم دل عليه المعنى، نحو: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]؛ تقديره: (والله).

وقال أبو عليّ الفارسيّ: الألفاظ الجارية مجرى القسَم ضربان:

أحدهما: ما تكون كغيرها من الأخبار التي ليست بقسم، فلا تجاب بجوابه كقوله: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الحديد: ٨]، ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟﴾ [البقرة: ٦٣]، ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١٨]، وهذا ونحوه يجوز أن يكون قسماً، وأن يكون حالاً، لخلوّه من الجواب.

والثاني: ما يتلقى بجواب القسَم، كقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ﴾ [النور: ٥٣].

وقال غيره: أكثر الأقسام في القرآن المحذوفة الفعل لا تكون إلّا بالواو، فإذا ذُكرت الباء أُتِيَ بالفعل، كقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ [النور: ٥٣]، ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦٢]، ولا تجدُ الباء مع حذف الفعل. ومن ثَمَّ كان خطأ مَن جعل قسماً ﴿بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ [الزخرف: ٤٩]، ﴿بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ [المائدة: ١١٦].

---

(١) انظر أوائل السور القصار التي فيها القسم من تفسيره.

وقال ابن القيِّم: اعلم أنَّه سبحانه وتعالى يُقسم بأمور على أمور، وإنما يقسم بنفسه المقدَّسة الموصوفة بصفاته، أو بآياته المستلزمة لذاته وصفاته. وإقسامُه ببعض المخلوقات دليل على أنَّها من عظيم آياته، فالقَسم إما على جملة خبرية وهو الغالب، كقوله: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [الذاريات: ٢٣]، وإما على جملة طلبيَّة كقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣]. مع أن هذا القسم قد يُراد به تحقيق المقسَم عليه، فيكون من باب الخبر، وقد يراد به تحقيق القَسم؛ فالمقسَم عليه يراد بالقسم توكيده وتحقيقه، فلا بدَّ أن يكون ممَّا يحسن فيه، وذلك كالأمور الغائبة والخفية إذا أقسم على ثبوتها؛ فأما الأمور المشهودة الظاهرة كالشمس والقمر، والليل والنهار، السماء والأرض، فهذه يُقسِم بها ولا يقسم عليها، وما أقسم عليه الربُّ فهو من آياته، فيجوز أن يكون مقسَماً به ولا ينعكس، وهو سبحانه وتعالى يذكر جواب القسم تارة وهو الغالب، ويحذفه أخرى؛ كما يحذف جواب ﴿لَوْ﴾ كثيراً للعلم به.

والقسَم: لما كان يكثر في الكلام اختُصِر فصار فعل القسم يحذف، ويكتفى بالباء، ثم عوِّض من الباء الواو في الأسماء الظاهرة، والتاء في اسم الله تعالى، كقوله: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ [الأنبياء: ٥٧].

قال: ثم هو سبحانه وتعالى يقسِم على أصول الإيمان التي تجب على الخلق معرفتها؛ تارة يقسم على التوحيد، وتارة يقسم على أنَّ القرآن حقّ، وتارة على أنَّ الرسول حقّ، وتارة على الجزاء والوعد والوعيد، وتارة يقسم على حال الإنسان.

فالأول: كقوله: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾ [الصافات: ١ ـ ٤].

والثاني: كقوله: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٥ ـ ٧٧].

والثالث: كقوله: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ١ ـ ٣]، ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ . . .﴾ الآيات [النجم: ١ ـ ٢].

والرابع: كقوله: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ﴾ [الذاريات: ١ ـ ٦]، ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾ [المرسلات: ١ ـ ٧].

والخامس: كقوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ . . .﴾ [الليل: ٤]، ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ١ ـ ٦]. ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ . . .﴾ [العصر: ١، ٢]، ﴿وَٱلتِّينِ﴾ إلى قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ . . .﴾ الآيات [التين: ٤]، ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ إلى قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤].

قال: وأكثرُ ما يُحذف الجواب إذا كان في نفس المقسم به دلالةٌ على المقْسَم عليه؛ فإنَّ المقصود يحصُل بذكره، فيكون حذف المقسَم عليه أبلغَ وأوجزَ، كقوله: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ [ص: ١]، فإنَّ في المقْسَم به من تعظيم القرآن، ووصفه بأنه (ذو الذكر) المتضمن لتذكير العباد ما يحتاجون إليه

والشرف والقدر، ما يدلُّ على المقسَم عليه، وهو: كونه حقًّا من عند الله غير مفترًى كما يقول الكافرون، ولهذا قال كثيرون: إن تقدير الجواب: (إن القرآن لحق). وهذا مطّردٌ في كل ما شابه ذلك، كقوله: ﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ [ق: ١]، وقوله: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ١]. فإنه يتضمّن إثبات المعاد، وقوله: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ . . .﴾ الآيات؛ فإنها أزمانٌ تتضمَّن أفعالاً مُعظَّمة من المناسك وشعائر الحج، التي هي عبودية محضة لله تعالى وذلٌّ وخضوع لعظمته، وفي ذلك تعظيم ما جاء به محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام.

قال: ومن لطائف القَسَم قوله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ . . .﴾ الآيات؛ أقسم تعالى على إنعامه على رسوله وإكرامه له؛ وذلك متضمّن لتصديقه له فهو قسم على صحة نبوته وعلى جزائه في الآخرة، فهو قسَم على النبوّة والمعاد، وأقسم بآيتين عظيمتين من آياته. وتأمل مطابقة هذا القَسَم ـ وهو نور الضحى الذي يوافي بعد ظلام الليل المقسم عليه، وهو نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه عنه، حتى قال أعداؤه: ودّع محمداً ربُّه، فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه.

النوع الثامن والستون

في جدل القرآن

أفرده بالتصنيف نجم الدين الطوفيّ[(١)].

قال العلماء: قد اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والأدلَّة، وما مِن برهان ودلالة وتقسيم وتحذير ـ يُبْنَى من كلّيات المعلومات العقلية والسمعية ـ إلّا وكتاب الله قد نَطق به، لكن أورده على عادة العرب، دون دقائقِ طرق المتكلمين، لأمرين:

أحدهما: بسبب ما قاله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤].

والثاني: أنَّ المائل إلى طريق المحاجَّة هو العاجز عن إقامة الحُجّة بالجليل من الكلام؛ فإن من استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم ينحطّ إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلّا الأقلّون؛ ولم يكن مُلغِزاً. فأخرج تعالى مخاطباته في محاجَّة خلقه في أجلى صورةٍ؛ ليفهم العامة من جليّها ما يقنعهم، وتلزمهم الحجة، وتفهم الخواصّ من أثنائها ما يربى على ما أدركه فهمُ الخطباء.

وقال ابن أبي الإِصْبَع: زعم الجاحظ أن المذهب الكلاميّ لا يوجَد منه شيء في القرآن، وهو مشحون به. وتعريفه: أنه احتجاج المتكلِّم على ما يريد إثباته بحجة تقطع المعاند له فيه على طريقة أرباب الكلام. ومنه نوع منطقي تُستنتَج منه النتائج الصحيحة من المقدّمات الصادقة، فإن الإِسلاميين من أهل هذا العلم ذكروا أن من أوّل سورة الحج إلى قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧] خمس نتائج تستنتَج من عشر مقدمات:

* قوله ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الحج: ٦]؛ لأنه قد ثبت عندنا بالخبر المتواتر أنّه تعالى أخبر بزلزلة الساعة معظماً لها، وذلك مقطوع بصحَّته، لأنه خبرٌ أخبر به مَنْ ثبت صدقه عمَّن ثبتتْ قدرتُه، منقول إلينا بالتواتر، فهو حقٌّ، ولا يخبر بالحقِّ عمَّا سيكون إلّا الحقّ، فالله هو الحق.

* وأخبر تعالى ﴿وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الحج: ٦]، لأنه أخبر عن أهوال الساعة بما أخبر، وحصول فائدة هذا الخبر موقوفة على إحياء الموتى، ليشاهدوا تلك الأهوال التي يعملها الله من أجلهم؛ وقد ثبت أنه قادر على كلّ شيء، ومن الأشياء إحياءُ الموتى، فهو يُحيي الموتى.

* وأخبر ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج: ٦]، لأنَّه أخبر أنه من يتّبع الشياطين ومَنْ يجادل فيه بغير علمٍ يُذقه عذابَ السعير، ولا يقدر على ذلك إلّا مَن هو على كل شيء قدير، فهو على كل شيء قدير.

---

(١) الطُّوفي: سليمان بن عبد القوي، علامة إمام، فقيه حنبلي (ت: ٧١٦هـ). «الدرر الكامنة» ٢/ ٢٤٩، «المنهج الأحمد»، ٥/ ٥ ت(١١٩٦).

* وأخبر ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ [٧]؛ لأنه أخبر بالخبر الصادق أنه خلَقَ الإنسان من تراب، إلى قوله: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الحج: ٥]، وضرب لذلك مثلاً بالأرض الهامدة التي ينزل عليها الماء، فتهتزُّ وتربو، وتُنبت من كلّ زوج بهيج، ومن خلق الإنسان على ما أخبر به فأوجده بالخلْق ثم أعدمه بالموت، ثم يعيده بالبعث، وأوجد الأرض بعد العدم فأحياها بالخَلْق، ثم أماتها بالمَحْل، ثم أحياها بالخِصب؛ وصدق خبرُه في ذلك كلّه ـ بدلالة الواقع المشاهد على المتوقَّع الغائب؛ حتى انقلب الخبر عياناً ـ صدق خبره في الإتيان بالساعة.

ولا يأتي بالساعة إلّا من يَبْعثُ مَن في القُبُور، لأنها عبارة عن مدة تقوم فيها الأموات للمجازاة، فهي آتية لا ريب فيها، وهو سبحانه وتعالى يبعث مَن في القبور.

وقال غيره: استدلّ سبحانه وتعالى على المعاد الجسمانيّ بضروب:

أحدها: قياس الإعادة على الابتداء، كما قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾ [ق: ١٥].

ثانيها: قياس الإعادة على خلق السموات والأرض بطريق الأولى، قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ . . .﴾ الآية [يس: ٨١].

ثالثها: قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر والنبات.

رابعها: قياس الإعادة على إخراج النار من الشَّجر الأخضر. وقد روى الحاكم وغيره: أن أُبيّ بن خَلَف جاء بعَظْم ففتَّه، فقال: أَيُحيي الله هذا بعد ما بَلِيَ ورمّ؟ فأنزل الله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩]. فاستدل سبحانه وتعالى بردّ النشأة الأخرى إلى الأولى، والجمع بينهما بعلّة الحدوث. ثم زاد في الحجاج بقوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [يس: ٨٠]. وهذه في غاية البيان في ردّ الشيء إلى نظيره، والجمع بينهما من حيث تبديل الأعراض عليهما.

خامسها: في قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ . . .﴾ الآيتين [النحل: ٣٨، ٣٩]. وتقريرهما: أن اختلاف المختلفين في الحقّ لا يوجب انقلاب الحقّ في نفسه، وإنما تختلف الطرق الموصلة إليه، والحقُّ في نفسه واحد، فلمّا ثبت أن ههنا حقيقة موجودة لا محالة، وكان لا سبيل لنا في حياتنا إلى الوقوف عليها وقوفاً يوجب الائتلاف ويرفع عنا الاختلاف، إذ كان الاختلاف مركوزاً في فِطَرنا، وكان لا يمكن ارتفاعه وزوالُه إلّا بارتفاع هذه الجِبلّة، ونقلها إلى صورة غيرها ـ صحّ ضرورةً أنّ لنا حياةً أخرى غير هذه الحياة، فيها يرتفع الخلاف والعناد، وهذه هي الحالة التي وعد الله بالمصير إليها فقال: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: ٤٣]؛ حقد، فقد صار الخلاف الموجود كما ترى أوضحَ دليل على كونِ البعث الذي ينكره المنكرون. كذا قرّره ابن السِّيد.

ومن ذلك الاستدلال على أن صانع العالم واحدٌ، بدلالة التمانع المشار إليها في قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]؛ لأنه لو كان للعالم صانعان لكان لا يجري تدبيرُهُما على نظام، ولا يتَّسق على إحكام، ولكان العجز يلحقهما أو أحدهما؛ وذلك لأنه لو أراد أحدُهما إحياء

جسم وأراد الآخر إماتته: فإما أن تنفذ إرادتهما فيتناقض لاستحالة تجزي الفعل إنْ فُرِض الاتفاق، أو لامتناع اجتماع الضدَّين إن فُرض الاختلاف. وإمَّا ألَّا تنفُذ إرادتهما فيؤدِّي إلى عجزهما، أو لا تنفذ إرادة أحدهما فيؤدِّي إلى عجزه، والإله لا يكون عاجزاً.

فصل: من الأنواع المصطلح عليها في علم الجدَل: **السَّبْر والتقسيم**.

ومن أمثلته في القرآن قوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ . . .﴾ الآيتين [الأنعام: ١٤٣، ١٤٤]؛ فإنَّ الكفار ـ لمَّا حرموا ذكورَ الأنعام تارة وإناثها أخرى ـ ردَّ تعالى ذلك عليهم بطريق السَّبر والتقسيم فقال: إنَّ الخَلْقَ لله، خلق من كُلّ زَوْجٍ مما ذُكِر ذكراً وأنثى، فمِمّ جاء تحريم ما ذكرتم؟ أي: ما علَّته؟

لا يخلو: إما أن يكون من جهة الذُّكورة أو الأنوثة، أو اشتمال الرّحِم الشامل لهما، أو لا يدرَى له عِلَّة، وهو التعبُّديّ، بأن أُخِذ ذلك عن الله تعالى، والأخذ عن الله تعالى: إمَّا بوحي وإرسال رسول، أو سماع كلامه ومشاهدة تلقِّي ذلك عنه، وهو معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾ [الأنعام: ١٤٤]، فهذه وجوهُ التحريم، لا تخرج عن واحد منها.

والأوَّل: يلزم عليه أن يكون جميع الذكور حراماً. والثاني: يلزم عليه أن يكون جميع الإناث حراماً. والثالث: يلزم عليه تحريم الصِّنْفين معاً. فبطل ما فعلوه من تحريم بعض في حالة وبعضٍ في حالة، لأنَّ العِلَّة على ما ذكر تقتضي إطلاق التحريم. والأخذُ عن الله بلا واسطة باطل ولم يدّعوه، وبواسطة رسول كذلك، لأنه لم يأت إليهم رسول قَبل النبيّ ﷺ.

وإذا بَطَل جميعُ ذلك ثبت المدّعَى، وهو: أن ما قالوا افتراء على الله وضلال.

ومنها: **القول بالموجب**، قال ابن أبي الإِصبع: وحقيقته ردّ كلام الخصم من فحوَى كلامه.

وقال غيره: هو قسمان:

أحدهما: أن تقع صفة في كلام الغير كنايةً عن شيء أُثبت له حكمٌ؛ فيثبتها لغير ذلك الشيء، كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ . . .﴾ الآية [المنافقون: ٨]؛ فـ ﴿ٱلْأَعَزُّ﴾ وقعت في كلام المنافقين كناية عن فريقهم، و﴿ٱلْأَذَلَّ﴾ عن فريق المؤمنين، وأثبت المنافقون لفريقهم إخراجَ المؤمنين من المدينة، فأثبت الله في الردّ عليهم صفةَ العزَّة لغير فريقهم، وهو الله ورسوله والمؤمنون، وكأنه قيل: صحيح ذلك، ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذل، لكن هم الأذل المُخرَج، والله ورسوله الأعزُّ المخرِج.

والثاني: حَمْل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده ممَّا يحتمله بذكر متعلَّقه .**ولم أر مَن أورد له مثالاً من القرآن**، وقد ظفرت بآية منه، وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ [التوبة: ٦١].

ومنها: التسليم، وهو أن يفرض المحال: إمَّا منفيًّا أو مشروطاً بحرف الامتناع، لكون المذكور

ممتنعَ الوقوع لامتناع وقوع شرطه، ثم يسلِّم وقوع ذلك تسليماً جدليّاً، ويدلُّ على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعِه، كقوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾ [المؤمنون: ٩١]؛ المعنى: ليس مع الله من إلهٍ، ولو سُلِّم أن معه سبحانه وتعالى إلهاً لزم من ذلك التسليمِ ذهابُ كلِّ إله من الاثنين بما خلق، وعلوّ بعضِهم على بعض، فلا يتمّ في العالم أمرٌ، ولا ينفُذ حكم ولا تنتظم أحوالُه؛ والواقع خلاف ذلك، ففرْضُ إلهين فصاعداً مُحالٌ لِما يلزم منه المحال.

ومنها: الإِسجال، وهو الإتيان بألفاظ تسجِّل على المخاطَب وقوعَ ما خُوطِب به، نحو ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤]. ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾ [غافر: ٨]؛ فإن في ذلك إسجالاً بالإيتاء والإدخال، حيث وصفا بالوعد من الله الذي لا يخلف وعده.

ومنها: الانتقال، وهو أن ينتقل المستدلّ إلى استدلال غير الذي كان آخذاً فيه، لكون الخصم لم يفهم وجهَ الدلالة من الأوّل، كما جاء في مناظرة الخليل الجبارَ لمَّا قال له: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فقال الجبَّار: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ﴾، ثم دعا بمن وجب عليه القتل فأعتقه، ومن لا يجب عليه فقتَله، فعَلم الخليلُ أنه لم يفهم معنى الإحياء والإماتة، أو عَلم ذلك وغالط بهذا الفعل، فانتقل [إبراهيمُ] عليه السلام إلى استدلالٍ لا يجد الجبَّار له وجهاً يتخلَّص به منه، فقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فانقطع الجبَّار وبُهِتَ، ولم يمكنه أن يقولَ: أنا الآتي بها من المشرق؛ لأن مَن هو أَسَنُّ منه يُكَذِّبُهُ.

ومنها: المناقضة، وهي تعليق أمر على مستحيل؛ إشارةً إلى استحالة وقوعِهِ. كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ﴾ [الأعراف: ٤٠].

ومنها: مجاراة الخصم ليعثر، بأن يسلِّم ببعض مقدماته، حيث يراد تبكيته وإلزامه، كقوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ . . .﴾ الآية [إبراهيم: ١٠، ١١]؛ فقولهم: ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ . . .﴾ الآية.. فيه اعترافُ الرسل بكونهم مقصورين على البشرية، فكأنَّهم سلَّموا انتفاءَ الرسالة عنهم، وليس مراداً، بل هو مِن مجاراة الخصم ليعثر؛ فكأنَّهم قالوا: ما ادَّعيتم من كوننا بشراً حقٌّ لا نُنكره، ولكن هذا لا ينافي أن يمنَّ الله تعالى علينا بالرسالة.

النوع التاسع والستون

فيما وقع في القرآن من الأسماء والكنى والألقاب

في القرآن من أسماء الأنبياء والمرسلين خمس وعشرون، هم مشاهيرهم:

١ ـ **آدم أبو البشر**: ذكر قومٌ أنه (أفعل) وصفٌ مشتقٌّ من الأُدْمة، ولذا منِع الصرف.

قال الجواليقيّ: أسماء الأنبياء كلها أعجميّة إلَّا أربعة: آدم، وصالح، وشعيب، ومحمد ﷺ.

وأخرج ابنُ أبي حاتم(١) من طريق أبي الضُّحى، عن ابن عباس قال: إنما سُمِّيَ آدمَ؛ لأنه خُلِق من أديم الأرض [ظاهرها].

وقال قوم: هو اسم سريانيّ أصله (آدام) بوزن (خاتام)؛ عُرب بحذف الألف الثانية.

وقال الثعلبيّ: التراب بالعبرانيَّة آدام، فسمِّيَ آدمُ به.

قال ابن أبي خيثمة: عاش تسعمئة سنة وستين سنة.

وقال النّووي في «**تهذيبه**»(٢): اشتهر في كتب التواريخ أنه عاش ألف سنة.

٢ ـ **نوح**: قال الجواليقيّ: أعجميّ معرّب، زاد الكرمانيّ(٣): ومعناه بالسريانية (الشاكر).

وقال الحاكم في «**المستدرَك**» [(٢/ ٥٤٥)] إنما سمِّيَ نوحاً؛ لكثرة بكائه على نفسه، واسمه عبد الغفار. قال: وأكثر الصحابة على أنه قَبل إدريس .

وقال غيره: هو نوح بن لَمْك ـ بفتح اللام وسكون الميم بعدها كاف ـ ابن مَتُّوشَلَخ ـ بفتح الميم وتشديد المثناة المضمومة بعدها، وفتح الشين المعجمة واللام، بعدها معجمة ـ بن أَخْنُوخ ـ بفتح المعجمة وضم النون الخفيفة بعدها واو ساكنة ثم معجمة، وهو إدريس فيما يقال.

وروى الطَّبرانيّ عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله، مَنْ أوَّلُ الأنبياء؟ قال: «آدم» قلت: ثمَّ مَن؟ قال: «**نوح، وبينهما عشرون قرناً**».

وفي «**المستدرَك**» [(٢/ ٥٤٥)] عن ابن عباس قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون. وفيه عنه مرفوعاً: «**بعث الله نوحاً لأربعين سنة، فلبث في قومه ألفَ سنة إلّا خمسين عاماً يدعوهم، وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا**».

وذكر ابن جرير: أن مولد نوح كان بعد وفاة آدم بمئة وستةٍ وعشرين عاماً. وفي «**التهذيب**»(٤) للنوويّ: أنه أطول الأنبياء عمراً.

---

(١) في «تفسيره» ١/ ٨٥ (٣٧٠) البقرة: ٣٥.

(٢) «تهذيب الأسماء واللغات» ١/ ٩٥.

(٣) في «العجائب» ٢/ ١٢٥٥.

(٤) «تهذيب الأسماء واللغات» ١/ ١٣٤.

٣ ـ **إدريس**: قيل: إنَّه قبل نوح. قال ابن إسحاق: كان إدريس أوَّل بني آدم أُعطِيَ النبوَّة، وهو أخنوخ بن يَرْد بن مهلائيل بن أَنُوش بن قينان بن شيث بن آدم.

وقال وهب بن مُنَبِّه: إدريس جدّ نوح، الذي يقال له: خَنوخ، وهو اسم سريانيٌّ، وقيل: عربيّ مشتقٌّ من الدراسة، لكثرة درسه الصحف.

وفي «**المستدرك**» [(٢/ ٥٤٩)] بسندٍ واهٍ عن الحسن عن سَمُرة قال: كان نبيّ الله إدريس أبيض طويلاً، ضخم البطن، عريض الصدر، قليل شعر الجسد، كثير شعر الرأس. وكانت إحدى عينيه أعظم من الأخرى، وفي صدره نكتةُ بياض من غير بَرَص، فلما رأى الله من أهل الأرض ما رأى من جَوْرهم واعتدائهم في أمر الله، رفعه إلى السماء السادسة، فهو حيث يقول: ﴿وَرَفَعْنَهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧].

وذكر ابن قتيبة: أنه رُفع وهو ابن ثلاثمئة وخمسين سنة.

وفي «**صحيح ابن حبَّان**» [٩٤ موارد]: أنه كان نبيًّا رسولاً، وأنه أوَّل من خطَّ بالقلم.

وفي «**المستدرك**» [(٢/ ٥٤٩)] عن ابن عباس قال: كان فيما بين نوح وإدريس ألف سنة.

٤ ـ **إبراهيم**: قال الجواليقيّ: هو اسم قديم ليس بعربيّ، وقد تكلَّمت به العرب على وجوه أشهرها إبراهيم، وقالوا: إبراهام، وقرئ به في السبع، وإبراهم بحذف الياء، وإبْرَهَم، وهو اسم سريانيّ معناه: أَبٌ رحيم، وقيل: مشتقٌّ من البرهمة، وهي شدَّة النظر، حكاه الكرمانيّ في «**عجائبه**».

وهو ابن آزر، واسمه تَارَح ـ بمثناة وراء مفتوحة وآخره حاء مهملة ـ بن ناحُور ـ بنون ومهملة مضمومة ـ بن شاروخ ـ بمعجمة وراء مضمومة وآخره خاء معجمة ـ بن راغوا ـ بغين معجمة ـ بن فالخ ـ بفاء ولام مفتوحة ومعجمة ـ بن عابر ـ بمهملة وموحدة ـ بن شالخ ـ بمعجمتين ـ بن أرفخشد بن سام بن نوح.

قال الواقدي: ولد إبراهيم على رأس ألفيْ سنة من خلق آدم.

وفي «**المستدرك**» [(٢/ ٥٥١)] من طريق ابن المسيّب عن أبي هريرة قال: اختتن إبراهيم بعد عشرين ومئة سنة، ومات ابن مئتي سنة.

وحكى النَّوويّ(١) وغيره قولاً: إنَّه عاش مئة وخمسة وسبعين.

٥ ـ **إسماعيل**: قال الجواليقيّ: ويقال: بالنون آخره.

قال النووي(٢) وغيره: وهو أكبر ولد إبراهيم.

٦ ـ **إسحاق**: ولد بعد إسماعيل بأربع عشرة سنة، وعاش مئة وثمانين سنة. وذكر أبو عليّ ابن مَسكويه في كتاب «**نديم الفريد**» أن معنى إسحاق بالعبرانية: الضحَّاك.

٧ ـ **يعقوب**: عاش مئة وسبعاً وأربعين سنة.

---

(١) في «تهذيب الأسماء» ١/ ٩٨.
(٢) في «تهذيب الأسماء» ١/ ١٢٠.

٨ ـ **يوسف**: في «**صحيح ابن حبَّان**» [٥٧٧٦] من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «**إنَّ الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسفَ بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم**» [والبخاري: ٣٣٥٣، ومسلم: ٦١٦١، وأحمد: ٩٥٦٨].

وفي «**المستدرَك**» [(٢/ ٥٧٠)] عن الحسن: أن يوسف أُلْقِيَ في الجبّ وهو ابن اثنتي عشرة سنة، ولقي أباه بعد الثمانين، وتوفِّيَ وله مئة وعشرون.

وفي الصحيح: أنه أُعْطِيَ شَطْر الحُسْنِ. [مسلم: ٤١١].

قال بعضهم: وهو مرسل، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [غافر: ٣٤]. وقيل: ليس هو يوسف بن يعقوب، بل يوسف بن إفرائيم بن يوسف بن يعقوب. ويشبه هذا ما في «**العجائب**»[1] للكرمانيّ في قوله: ﴿وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٦] أنَّ الجمهور على أنه يعقوب بن ماثان، وأنَّ امرأة زكريا كانت أخت مريم بنت عمران بن ماثان، قال: والقولُ بأنه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم غريبٌ. انتهى.

وما ذكر أنَّه غريب هو المشهور، والغريب الأوَّل، ونظيره في الغَرابة قول نوف البكاليِّ: إن موسى المذكور في سورة الكهف في قصة الخضر ليس هو موسى بني إسرائيل، بل موسى بن مَنشى بن يوسف، وقيل: ابن إفرائيم بن يوسف، وقد كذَّبه ابن عباس في ذلك .[البخاري: ١٢٢، ومسلم: ٦١٦٣، وأحمد: ٢١١٠٩].

وأشدُّ من ذلك غرابةً ما حكاه النقَّاش والماورديّ: أنَّ يوسف المذكور في سورة غافر من الجنِّ، بعثه الله رسولاً إليهم. وما حكاه ابن عَسْكَر: أن عِمْران المذكور في آل عمران هو والد موسى، لا والد مريم.

وفي يوسف ست لغات: بتثليث السين مع الواو والهمزة[2]. والصواب أنه أعجمي لا اشتقاق له.

٩ ـ **لوط**: قال ابن إسحاق: هو لوط بن هارون بن آزَر. وفي «**المستدرك**» [(٥/ ٥٦١) وهو صحيح] عن ابن عباس قال: لوط ابن أخي إبراهيم.

١٠ ـ **هود**: قال كعب: كان أشبه النَّاس بآدم، وقال ابن مسعود: كان رجلاً جَلْداً. أخرجهما في «**المستدرك**». [(٢/ ٥٦٣) وهو صحيح].

وقال ابن هشام: اسمه عابر بن أَرْفَخْشَذ بن سام بن نوح.

وقال غيره: الراجح في نسبه أنه هود بن عبد الله بن رباح بن حاوذ بن عاد بن عُوص بن إرَم بن سام بن نوح.

١١ ـ **صالح**: قال وَهْب: هو ابن عُبيد بن حاير بن ثمود بن حاير بن سام بن نوح، بُعث إلى قومه حين راهق الحُلُم، وكان رجلاً أحمرَ إلى الأبيض، سَبْط الشعر، فلبث فيهم أربعين عاماً.

---

(١) «عجائب التفسير» ١/ ٦٨٧، مريم: ٦.

(٢) «تهذيب الأسماء» ٢/ ١٦٧.

وقال نَوْف الشاميّ[1]: صالحٌ من العرب، لمَّا أهلك الله عاداً عمرت ثَمود بعدها، فبعث الله إليهم صالحاً؛ غلاماً شابًّا، ودعاهم إلى الله حتَّى شمِط وكبر، ولم يكن بين نوح وإبراهيم نبيّ إلَّا هود وصالح. أخرجهما في «المستدرك». [(٢/ ٥٦٥)].

وقال ابن حَجَر وغيره: القرآن يدُلُّ على أن ثمود كان بعد عاد، كما كان عاد بعد قوم نوح.

وقال الثعلبيّ، ونقله عن النّووي في «تهذيبه»[2]، ومن خطه نقلت،: هو صالح بن عبيد بن أسيف بن ماشج بن عبيد بن حاذر بن ثمود بن عاد بن عُوص بن إرَم بن سام بن نوح؛ بعثه الله إلى قومه وهو شابٌّ، وكانوا عرباً، منازلهم بين الحجاز والشام، فأقام فيهم عشرين سنة، ومات بمكة، وهو ابن ثمان وخمسين سنة.

١٢ ـ شعيب: قال ابنُ إسحاق: هو ابن ميكاييل، كذا بخط الذهبيّ في اختصار «المستدرك» [(٢/ ٥٦٨)]. وقال غيره: ابن ملكاين، وقيل: ابن ميكيل بن يشجن بن لاوى بن يعقوب. ورأيت بخط النوويّ في «تهذيبه»: ابن ميكاييل بن يشجن بن مدين بن إبراهيم الخليل، كان يقال له: خطيب الأنبياء، وبعث رسولاً إلى أُمَّتَيْن: مدين وأصحاب الأَيْكة، وكان كثير الصلاة، وعميَ في آخر عمره.

واختار جماعة: أن مدين وأصحاب الأيكة أمة واحدة.

قال ابن كثير: ويدلُّ لذلك أن كلاًّ منهما وعظ بوفاء المكيال والميزان، فدَلَّ على أنهما واحد.

واحتجَّ الأول بما أخرجه عن السُّدِّيّ وعكرمة قالا: ما بَعث الله نبيّاً مرَّتين إلَّا شعيباً، مرَّة إلى مدين فأخذهم الله بالصَّيْحة، ومرَّة إلى أصحاب الأَيْكة فأخذهم الله بعذابِ يوم الظُّلَّة.

وأخرج ابن عساكر في «تاريخه»[3] من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً: أنه قوم مَدْين وأصحاب الأيكة أمتان، بعث الله إليهما شُعيباً.

قال ابن كثير: وهو غريب، وفي رفعه نظرٌ، قال: ومنهم مَنْ زعم أنه بُعِث إلى ثلاث أمم، والثالثة أصحاب الرَّس.

١٣ ـ موسى: هو ابن عمران بن يَصْهُر بن قاهث بن لاوَى بن يعقوب عليه السلام؛ لا خلاف في نسبه، وهو اسمٌ سريانيّ.

وأخرج أبو الشيخ من طريق عِكْرمة عن ابن عباس قال: إنَّما سمي موسى، لأنه أُلْقِيَ بين شجر وماء، فالماء بالقبطية (مو) والشجر (سا).

وفي الصحيح: وصفه بأنه: «آدم طُوال جَعْدٌ، كأنه من رجال شَنُوءة» [البخاري: ٣٢٣٩، ومسلم: ٤١٩، وأحمد: ٣١٧٩].

---

(١) نوف بن فضالة الدمشقي، من رجال الحديث. ورد ذكره في الصحيحين، وكان راوياً للقصص، وهو ابن زوجة كعب الأحبار (ت: ٩٥هـ). «تهذيب التهذيب» ١٠/ ٤٩٠.

(٢) «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي ١/ ٢٤٨، رقم (٢٦٠)، حرف الصاد المهملة. وفيه: جاذر بن ثمود.

(٣) «تاريخ دمشق» ٢٣/ ٧٥ ـ ٧٦.

قال الثعلبيّ: عاش مئة وعشرين سنة.

١٤ ـ **هارون**: أخوه شقيقه؛ وقيل: لأمّه فقط، وقيل: لأبيه فقط، حكاهما الكرمانيّ في «**عجائبه**». كان أطوَل منه، فصيحاً جدًّا، مات قبل موسى، وكان وُلد قبله بسنةٍ.

وفي بعض أحاديث الإسراء: «صعِدتُ إلى السماء الخامسة، فإذا أنا بهارون ونصفُ لحيته بيضاء ونصفها أسود، تكاد لحيته تضرب سُرتَه من طولها، فقلت: يا جبريل، مَن هذا؟ قال: المحَبّب في قومه هارون بن عمران».

وذكر ابن مَسْكويه: أن معنى هارون بالعبرانية: (المحبّب).

١٥ ـ **داود**: هو ابن إِيْشَى ـ بكسر الهمزة وسكون التحتية وبالشين المعجمة ـ بن عَوْبَد ـ بوزن جعفر، بمهملة وموحدة ـ بن باعَر ـ بموحّدة ومهملة مفتوحة ـ بن سلمون بن يخشون بن عُمَى بن يارب ـ بتحية وآخره موحَّدة ـ بن رام بن حضرون ـ بمهملة ثم معجمة ـ بن فارص ـ بفاء وآخره مهملة ـ بن يهوذ بن يعقوب.

في الترمذيّ [٣٤٩٠] أنه كان أَعْبَد البشر. [قال الألباني: صحيح] قال كعب: كان أحمر الوجه، سَبْط الرأس، أبيض الجسم، طويل اللحية، فيها جُعودة، حسن الصوت والخَلْق، وجُمع له النبوَّة والملك.

قال النَّوويّ(١): قال أهل التاريخ: عاش مئة سنة، مدة ملكه منها أربعون سنة، وكان له اثنا عشر ابناً.

١٦ ـ **سليمان ولده**: قال كعب: كان أبيض جسيماً وسيماً وضيئاً، جميلاً خاشعاً متواضعاً، وكان أبوه يشاوره في كثير من أموره، مع صغر سنِّه، لوفور عقله وعلمه.

وأخرج ابن جُبير عن ابن عباس قال: مَلك الأرضَ مؤمنان: سليمان وذو القرنين، وكافران: نمروذ وبُختنصَّر.

قال أهلُ التاريخ: ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وابتدأ بناء بيت المقدس بعد مُلكه بأربع سنين، ومات وله ثلاث وخمسون سنة.

١٧ ـ **أيوب**: قال ابنُ إسحاق: الصحيح أنه كان من بني إسرائيل، ولم يصحّ في نسبه شيء إلَّا أن اسم أبيه أبيض.

وقال ابن جرير: هو أيوب بن مُوص بن رَوح بن عيص بن إسحاق.

وحكى ابن عساكر: أن أمّه بنت لوط، وأن أباه ممَّن آمن بإبراهيم، وعلى هذا فكان قبل موسى.

وقال ابن جرير: كان بعد شعيب.

وقال ابن أبي خَيْثَمة(٢): كان بعد سليمان، ابتُلِي وهو ابن سبعين، وكانت مدة بلائه سبع سنين، وقيل: ثلاث عشرة، وقيل: ثلاث سنين. [«المستدرك» (٢/ ٥٨١)].

---

(١) في «تهذيب الأسماء» ١/ ١٨١.

(٢) ابن أبي خَيْثَمة: أحمد بن زهير البغدادي، أبو بكر، مؤرخ، ثقة من حفاظ الحديث (ت: ٢٧٩هـ). «تذكرة الحفاظ» ٢/ ١٥٦، «تاريخ بغداد» ٤/ ١٦٢.

وروى الطبرانيّ: أن مدة عمره كانت ثلاثاً وتسعين سنة.

١٨ ـ **ذو الكفل**: قيل: هو ابن أيُّوب. في «**المستدرك**» [(٢/ ٥٨٢)] عن وهب: أنَّ الله بعث بعد أيوب ابنه بشر بن أيوب نبيًّا، وسمَّاه ذا الكفل، وأمره بالدُّعاء إلى توحيده، وكان مقيماً بالشام عمره حتى مات، وعمره خمس وسبعون سنة.

وفي «**العجائب**» للكرماني[١]: قيل: هو إلياس، وقيل: هو يوشع بن نون، وقيل: هو نبيّ اسمه ذو الكفل. وقيل: كان رجلاً صالحاً تكفَّل بأمورٍ فوفَّى بها، وقيل: هو زكريا من قوله: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧]. انتهى.

وقال ابن عَسْكَر: قيل: هو نبيٌّ تكفَّل الله له في عمله بضعف عمل غيره من الأنبياء. وقيل: لم يكن نبيّاً، وإن إليَسَعَ استخلفه فتكفَّل له أن يصومَ النهار ويقوم الليل. وقيل: أن يصلِّيَ كل يوم مئة ركعة، وقيل: إلْيَسع، وإن له اسمين.

١٩ ـ **يونس**: هو ابن متَّى ـ بفتح الميم وتشديد التاء الفوقيَّة ـ مقصور. ووقع في «**تفسير عبد الرزاق**»: أنَّه اسم أمه.

قال ابن حجر: وهو مردود بما في حديث ابن عباس في الصحيح، ونسبه إلى أبيه، قال: فهذا أصحُّ[٢]. قال: ولم أقف في شيء من الأخبار على اتصال نسبه، وقد قيل: إنه كان في زمن ملوك الطوائف من الفرس. روى ابن أبي حاتم عن أبي مالك: أنه لبث في بطن الحوت أربعين يوماً. وعن جعفر الصادق: سبعة أيام. وعن قَتادة: ثلاثة، وعن الشعبيّ قال: التقمه ضُحى، ولفَظه: عشيَّةً.

وفي يونس ستُّ لغات: تثليث النون مع الواو والهمزة، والقراءة المشهورة بضم النون مع الواو، قال أبو حيَّان: وقرأ طلحة بن مصرِّف بكسر يونِس ويوسِف، أراد أن يجعلهما عربيّين مشتقين من (أنِس) و(أسِف) وهو شاذٌّ.

٢٠ ـ **إلياس**: قال ابن إسحاق في «**المبتدأ**»: هو ابن ياسين بن فنحاص بن العَيْزار بن هارون أخي موسى بن عمران.

وقال ابن عسكر: حكى القُتَبيّ أنه من سِبْط يوشع.

وقال وهب: إنّه عُمِّر كما عُمِّر الخضر، وإنه يبقى إلى آخر الزمان.

وعن ابن مسعود: أن إلياس هو إدريس، وسيأتي قريباً؛ وإلياس بهمزة قطْعٍ، اسم عبرانيّ، وقد زيد في آخره ياء ونون، في قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ [الصافات: ١٣٠]. كما قالوا في إدريس: (إدراسين)، ومن قرأ: ﴿آل يس﴾[٣] فقيل: المراد آل محمّد.

---

(١) «عجائب التفسير...» ١/ ٧٤٥، الأنبياء: ٨٥.

(٢) أحمد (٢١٦٧)، والبخاري (٣٤١٣) والحديث: «ما ينبغي لعبدٍ أن يقول: إني خيرٌ من يونس بن متى» فكانت النسبة إلى أبيه.

(٣) وهي قراءة متواترة. قرأ بها نافع وابن عامر.

٢١ ـ إليَسع: قال ابن جبير: هو ابن أخطوب بن العجوز. قال: والعامة تقرؤه بلام واحدة مخففة، وقرأ بعضهم: (واللَّيْسع)[1]، بلامين وبالتشديد، فعلى هذا هو عجمي، وكذا على الأُولَى، وقيل: عربيّ منقول من الفعل، من وسع يسع.

٢٢ ـ زكريا: كان من ذريّة سليمان بن داود، وقُتِل بعد قتل ولده، وكان له يوم بُشِّر بولده اثنتان وتسعون سنة، وقيل: تسع وتسعون، وقيل: مئة وعشرون. وزكريا: اسم أعجميّ، وفيه خمسُ لغات، أشهرها: المدّ، والثانية: القصر، وقرئ بهما في السبع. وزكريّا بتشديد الياء وتخفيفها، وزكَر كقَلَم.

٢٣ ـ يحيى ولده: أوّل من سمّيَ يحيى، بنصّ القرآن، ولد قبل عيسى بستة أشهر، ونُبِّئ صَغيراً، وقتِل ظُلماً، وسلَّط الله على قاتليه بختنصّر وجيوشَه. ويحيى اسم أعجمي، وقيل: عربي. قال الواحديّ: وعلى القولين لا ينصرف.

قال الكرماني: وعلى الثاني إنما سمي به، لأنه أحياه الله بالإيمان، وقيل: لأنه حَيي به رَحِمُ أُمّه، وقيل: لأنه استُشهد، والشهداء أحياء، وقيل: معناه (يموت) كالمفازة للمهلكة، والسليم لِلَّديغ.

٢٤ ـ عيسى ابن مريم بنت عمران: خلقه الله بلا أب، وكانت مدة حمله ساعة، وقيل: ثلاث ساعات، وقيل: ستة أشهر، وقيل: ثمانية أشهر، وقيل: تسعة، ولها عشر سنين، وقيل: خمس عشرة، ورُفع وله ثلاث وثلاثون سنة، وفي أحاديث: أنه ينزل ويقتل الدجال ويتزوج، ويُولد له، ويَحجُّ ويمكث في الأرض سبع سنين، ويدفن عند النبي ﷺ. وفي الصحيح: «**أنه ربعة أحمر، كأنما خرج من دِيمَاس» يعني حماماً**. [البخاري: ٣٣٩٤، ومسلم: ٤٢٤، وأحمد: ٧٧٨٩].

وعيسى اسم عبراني أو سرياني.

فائدة: أخرج ابن أبي حاتم[2] عن ابن عباس قال: لم يكن من الأنبياء من له اسمان إلا عيسى ومحمد ﷺ.

٢٥ ـ محمد ﷺ: سمّي في القرآن بأسماء كثيرة، منها محمد وأحمد.

فائدة: أخرج ابن أبي حاتم عن عمرو بن مرّة قال: خمسة سُمُّوا قبل أن يكونوا: محمد: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، ويحيى: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ . . .﴾ [مريم: ٧]، وعيسى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى﴾ [آل عمران: ٤٥]، وإسحاق ويعقوب: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١]. قال الراغب[3]: وخُصّ لفظ (أحمد) فيما بشر به عيسى، تنبيهاً على أنه أحْمَدُ منه ومن الذين قبله.

وفيه من أسماء الملائكة:

١ و٢ ـ جبريل وميكائيل: وفيهما لغات: جِبْرِيل؛ بكسر الجيم والراء بلا همزة، وجَبْرِيل بفتح

---

(١) وهي قراءة متواترة. قرأ بها حمزة والكسائي.

(٢) في «تفسيره» ٢/ ٦٥١ (٣٥١٨)، آل عمران: ٤٥.

(٣) في «مفرداته» مادة: حمد.

الجيم وكسر الراء بلا همز، وجبرائيل بهمزة بعد الألف، وجبراييل بياءين بلا همز، وجبرئيل بهمزة وياء بلا ألف، وجبرئلّ مشدّدة اللام، وقرئ بها.

قال ابن جِنّي[1]: وأصله (كوريال) فغيَّر بالتعريب وطول الاستعمال إلى ما ترى.

وقرئ: (ميكاييل) بلا همز، و﴿ميكائيل﴾ و﴿وَمِيكَىٰلَ﴾.

أخرج ابن جرير من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: جبريل عبد الله، وميكاييل عبيد الله، وكل اسم فيه: (إيل) فهو معبّدٌ لله.

وأخرج عن عبد الله بن الحارث قال: (إيل): الله؛ بالعبرانية.

وأخرج ابن أبي حاتم[2] عن عبد العزيز بن عمير قال: اسم جبريل في الملائكة خادم الله.

فائدة: قرأ أبو حَيْوَة: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم: ١٧]، بالتشديد، وفسّره ابن مهران بأنه اسم لجبريل، حكاه الكرمانيّ في «**عجائبه**»[3].

٣و٤ ـ وهاروت وماروت: أخرج ابن أبي حاتم[4] عن عليّ قال: هاروت وماروت مَلكان من ملائكة السماء. وقد أفردتُ في قصتهما جزءاً.

٥ ـ والرعد: ففي الترمذي [٣١١٧] من حديث ابن عباس: أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: أخبرنا عن الرعد، فقال: «ملَك من الملائكة، موكَّل بالسحاب» [وهو صحيح].

وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: الرعد ملك يسبّح.

وأخرج عن مجاهد: أنه سئل عن الرعد فقال: هو ملَك يسمى الرعد، ألم تر أن الله يقول: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الرعد: ١٣].

٦ ـ والبرق: فقد أخرج ابنُ أبي حاتم، عن محمد بن مسلم قال: بلغنا أن البرق مَلَك له أربعة وجوهٍ: وجهُ إنسانٍ، ووجهُ ثورٍ، ووجهُ نِسرٍ، ووجه أسدٍ، فإذا مَصَع[5] بذَنَبِه فذلك البَرْقُ.

٧ ـ ومالك: خازن النار.

٨ ـ والسجلّ: أخرج ابن أبي حاتم[6] عن أبي جعفر الباقر قال: السجلّ ملَكٌ، وكان هاروت وماروت من أعوانه.

وأخرج عن ابن عمر قال: السجلّ ملك.

وأخرج عن السُّدِّي قال: ملَكٌ موكَّل بالصحف.

---

(١) عثمان بن جني أبو الفتح، من أئمة الأدب والنحو (ت: ٣٩٢هـ). «شذرات الذهب» ٣/ ١٤٠، «يتيمة الدهر» ١/ ٧٧.

(٢) في «تفسيره» ١/ ١٨٢ (٩٦٣)، وما بعدُ، البقرة: ٩٨.

(٣) ١/ ٦٩١ مريم: ١٧، وهي قراءة شاذةٌ.

(٤) في «تفسيره» ١/ ١٨٩ (١٠٠٤) و(١٠٠٥).

(٥) مصع البرق.. لمع، والدابة بذنبها: حركته وضربت به. «القاموس المحيط»: مَصَعَ.

(٦) في «تفسيره» ١/ ١٨٩ رقم (١٠٠٤).

٩ ـ **وقعيد**: فقد ذكر مجاهد، أنه اسم كاتب السيئات، وأخرجه أبو نعيم في «**الحلية**» [(٣/٢٨٧)]

فهؤلاء تسعة.

١٠ ـ وأخرج ابن أبي حاتم(١) من طرق مرفوعة وموقوفة ومقطوعة: أن ذا القرنين مَلَكٌ من الملائكة؛ فإن صح أكمل العشرة.

١١ ـ وأخرج ابن أبي حاتم(٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾ [النبأ: ٣٨]. قال: ملك من أعظم الملائكة خلقاً. فصاروا أحد عشر.

١٢ ـ ثم رأيت الراغب قال في «**مفرداته**»(٣) في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٤]. قيل: إنه مَلَك يُسكّنُ قلبَ المؤمن ويُؤَمِّنُهُ، كما روي أن السكينة تنطق على لسان عمر.

وفيه من أسماء الصحابة: زيد بن حارثة.

والسجلّ في قول من قال: إنه كاتب النبي ﷺ. أخرجه أبو داود [٢٩٣٥ وضعفه الألباني] والنَّسائيّ من طريق أبي الجوزاء، عن ابن عباس.

وفيه من أسماء المتقدمين غير الأنبياء والرسل:

عِمْران: أبو مريم، وقيل: أبو موسى أيضاً، وأخوها هارون، وليس بأخي موسى، كما في حديث أخرجه مسلم، وسيأتي آخر الكتاب.

وعزير، وتبّع ـ وكان رجلاً صالحاً ـ كما أخرج الحاكم [(٢/٤٥٠)]. وقيل: نبي، حكاه الكرمانيّ في «**عجائبه**»(٤).

ولقمان؛ وقد قيل: إنه كان نبيًّا، والأكثر على خلافه؛ أخرج ابنُ أبي حاتم وغيره من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: كان لقمان عبداً حَبَشِيّاً نجّاراً.

ويوسف، الذي في سورة غافر [٣٤].

ويعقوب في أول سورة مريم على ما تقدم.

وتقيّ، في قوله فيها: ﴿إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٨]؛ قيل: إنه اسم رجل كان من أمثل الناس، أي: إن كنت في الصلاح مثل تقيّ، حكاه الثعلبي.

وقيل: اسم رجل كان يتعرّض للنساء. وقيل: إنه ابن عمّها، أتاها جبريل في صورته. حكاهما الكرماني في «**عجائبه**»(٥).

---

(١) في «تفسيره» ٧/ ٢٣٨٢ رقم (١٢٩٣٨) سورة الكهف: ٨٣.

(٢) في «تفسيره» ١٠/ ٣٣٩٦ رقم (١٩١٠٨) سورة النبأ: ٣٨.

(٣) مادة: سكن، وحديث: نطق السكينة على لسان عمر. مرويٌ عن ابن مسعود. انظر النهاية ٢/ ٣٨٦.

(٤) ٢/ ١٠٧٧ سورة الدخان: ٣٧، وقد حكى الكرماني عن عائشة أن تبَّعاً رجلٌ صالح. وعن ابن عباس أنه نبي. وعن سعيد بن جُبير أنه رجلٌ كسا الكعبة، وقال أبو عبيدة: من ملوك اليمن.

(٥) «عجائب التفسير...» ١/ ٦٩٠ مريم: ١٨.

وفيه من أسماء النساء:

مريم لا غير، لنكتة تقدّمت في نوع الكناية. ومعنى مريم - بالعبريّة -: الخادم.

وقيل: المرأة التي تغازل الفِتْيان، حكاهما الكَرْمَانيّ.

وقيل: إن بعلاً في قوله: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ [الصافات: ١٢٥] اسم امرأة كانوا يعبدونها، حكاه ابن عَسْكَر.

وفيه من أسماء الكفار:

قارون، وهو ابن يصْهُر ابن عمّ موسى، كما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس.

وجالوت، وهامان، وبشرى الذي ناداه الوارد المذكور في سورة يوسف بقوله: ﴿يَٰبُشْرَىٰ﴾ [يوسف: ١٩] في قول السُّدِّيّ. أخرجه ابن أبي حاتم(١).

وآزر أبو إبراهيم، وقيل: اسمه تارح وآزر لقب؛ أخرج ابن أبي حاتم(٢) من طريق الضحَّاك عن ابن عباس قال: إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر؛ إنما كان اسمه تارح. وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: معنى آزر: الصنم.

وأخرج عن السدّيّ قال: اسم أبيه تارح، واسم الصنم آزر.

وأخرج عن مجاهد قال: ليس آزر أبا إبراهيم.

ومنها: النسيء، أخرج ابن أبي حاتم(٣) عن أبي وائل قال: كان رجل يسمى النسيء من بني كنانة، كان يجعل المحرّم صفراً يستحلّ به الغنائم.

وفيه من أسماء الجن:

أبوهم إبليس، وكان اسمه أولاً عزازيل، أخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق سعيد بن جُبير عن ابن عباس قال: كان إبليس اسمه عزازيل.

وأخرج ابن جرير عن السُّدِّيّ قال: كان اسم إبليس الحارث، قال بعضهم: هو معنى عزازيل.

وأخرج ابن جرير وغيره من طريق الضحّاك، عن ابن عباس قال: إنما سمّي إبليس، لأن الله أبلسه من الخير كله؛ آيسه منه.

وقال ابن عسكر: قيل في اسمه: قَتَرة، حكاه الخطابيّ. وكنيته أبو كُرْدوس، وقيل: أبو قِترة، وقيل: أبو مرة، وقيل: أبو لبيْنى، حكّاه السهيليّ في «**الروض الأنف**».

فيه من أسماء القبائل:

يأجوج، ومأجوج، وعاد، وثمود، ومدين، وقريش، والروم.

---

(١) في «تفسيره» ٧/ ٢١١٣ (١١٤٠٩).

(٢) في «تفسيره» ٤/ ١٣٢٥ (٧٤٩١) الأنعام: ٧٤.

(٣) في «تفسيره» ٦/ ١٧٩٤ (١٠٠١٦) التوبة: ٣٧.

وفيه من الأقوام بالإضافة:

قوم نوح، وقوم لوط، وقوم تبّع، وقوم إبراهيم، وأصحاب الأيكة - قيل: هم مدين - وأصحاب الرسّ، وهم بقيّة من ثمود، قاله ابن عباس. وقال عكرمة: هم أصحاب ياسين. وقال قتادة: هم قوم شعيب، وقيل: هم أصحاب الأخدود، واختاره ابن جرير.

وفيه من أسماء الأصنام التي كانت أسماء لأناس:

ودّ، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، وهي أصنام قوم نوح. واللّات، والعزّى، ومناة، وهي أصنام قريش، وكذا الرُّجز - فيمن قرأه بضم الراء - ذكر الأخفش في كتاب «**الواحد والجمع**» أنه اسم صنم.

والجِبْت والطاغوت، قال ابن جرير: ذهب بعضهم إلى أنهما صنمان كان المشركون يعبدونهما، ثم أخرج عن عكرمة قال: الجِبْتُ والطاغوت صنمان.

والرشاد، في قوله في سورة غافر: ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]. قيل: هو اسم صنم من أصنام فرعون، حكاه الكرمانيّ في «**عجائبه**».

وبعل: وهو صنم قوم إلياس. وآزَر على أنه اسم صنم.

روى البخاريّ [٤٩٢٠] عن ابن عباس: ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلمّا هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسَمُّوها بأسمائهم؛ ففعلوا، فلم تعبَد، حتى إذا هلك أولئك وتنسّخ العلم عُبدت.

وأخرج ابن أبي حاتم عن عروة: أنهم أولاد آدم لصلبه.

وأخرج البخاري [٤٨٥٩] عن ابن عباس قال: كان اللاتُ رجلاً يَلُتُّ سَوِيقَ الحاجِّ. وحكاه ابن جني عنه أنه قرأ: (اللاتّ) [النجم: ١٩]، بتشديد التاء، وفسّره بذلك، وكذا أخرجه ابن أبي حاتم عن مجاهد.

وفيه من أسماء البلاد والبقاع والأمكنة والجبال:

بَكّة: اسم لمكة؛ فقيل: الباء بدل من الميم، ومأخذه من تمكّكْتُ العظم، أي: اجتذبت ما فيه من المخّ، وتمكّك الفصيلُ ما في ضَرْع الناقة؛ فكأنّها تجتذب إلى نفسها ما في البلاد من الأقوات.

وقيل: لأنها تمكّ الذنوب، أي: تذهبها، وقيل: لقلة مائها، وقيل: لأنّها في بطن وادٍ تَمكّك الماء من جبالها عند نزول المطر، وتنجذب إليها السيول. وقيل: الباء أصل، ومأخذه من البَكّ، لأنها تبكّ أعناق الجبابرة، أي: تكسرهم، فيذلون لها ويخضعون، وقيل: من التباكّ وهو الازدحام؛ لازدحام الناس فيها في الطّواف.

وقيل: مكّة الحرم، وبكّة المسجد خاصة، وقيل: مكّة البلد، وبكّة البيت وموضع الطواف. وقيل: البيت خاصة.

والمدينة: سمّيت في الأحزاب بيثرب، حكاية عن المنافقين، وكان اسمها في الجاهلية، فقيل: لأنه اسم أرض في ناحيتها، وقيل: سمّيت بيثرب بن وائل من بني إرم بن سام بن نوح؛ لأنه أوّل مَن نزلها، وقد صحّ النهي عن تسميتها به [البخاري: ٣٦٢٢، وأحمد: ١٨٥١٩]؛ لأنه ﷺ كان يكره الاسم الخبيث، وهو يشعر بالثَّرْب وهو الفساد، أو التثريب وهو التوبيخ.

وبدرٌ: وهي قرية قرب المدينة، أخرج ابن جرير(١) عن الشعبيّ قال: كانت بدر لرجل من جهينة يسمّى بدراً، فسمّيت به. قال الواقديّ: فذكرتُ ذلك لعبد الله بن جعفر ومحمد بن صالح فأنكراه، وقالا: لأيّ شيء سمّيت الصفراء ورابغ؟ هذا ليس بشيء، إنما هو اسم الموضع.

وأخرج عن الضحّاك قال: بدر ما بين مكة والمدينة.

وأُحُد: قرئ شاذّاً: (إذ تُصْعِدونَ ولا تَلْوُونَ على أُحُدٍ) [آل عمران: ١٥٣].

وحُنين: وهي قرية قرب الطائف.

وجَمْع: وهي مزدلفة.

والمشعر الحرام: وهو جبل بها.

ونقع: قيل: هو اسم لما بين عرفات إلى مزدلفة، حكاه الكرمانيّ.

ومصر، وبابل: وهي بلد بسواد العراق.

والأيكة، ولَيكة، بفتح اللام: بلد قوم شُعَيب، والثاني: اسم البلدة، والأول اسم الكورة.

والحِجْر: منازل ثمود ناحية الشام عند وادي القُرى.

والأحقاف: وهي جبال الرمل بين عُمَان وحضرموت، وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: أنها جبل بالشام.

وطور سيناء: وهو الجبل الذي نودي منه موسى.

والجوديّ: وهو جبل بالجزيرة.

وطوى: اسم الوادي، كما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس.

وأخرج من وجه آخر عنه: أنه سمِّيَ طوى؛ لأن موسى طواه ليلاً. وأخرج عن الحسن قال: هو واد بفلسطين، قيل له: طوى؛ لأنه قدّس مرتين. وأخرج عن مبشّر بن عبيد قال: هو وادٍ بأيلة، طُوِي بالبَرَكة مرّتين.

والكهف: وهو البيت المنقور في الجبل.

والرقيم: أخرج ابن أبي حاتم(٢) عن ابن عباس قال: زعم كعب أن الرقيم القرية التي خرجوا منها، وعن عطيّة قال: الرقيم وادٍ. وعن سعيد بن جُبير مثله. وأخرج من طريق العَوْفيّ عن ابن عباس

(١) ابن جرير ٣/ ٧٥ آل عمران: ١٢٣ هذا، والصفراء ورابغ: أسماء أماكن في جزيرة العرب.

(٢) في «تفسيره» ٧/ ٢٣٤٦ (١٢٧١٥) الكهف: ٩.

قال: الرقيم وادٍ بين عُقبان وأيْلة دون فلسطين. وعن قتادة قال: الرّقيم اسم الوادي الذي فيه الكهف. وعن أنس بن مالك قال: الرقيم الكلب.

والعَرِم: أخرج ابن أبي حاتم(١) عن عطاء قال: العَرِم اسم الوادي.

وحَرْد: قال السُّدّيّ: بلغنا أن اسم القرية حَرْد، أخرجه ابن أبي حاتم(٢).

والصرِيم: أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير: أنها أرض باليمن تسمّى بذلك.

و﴿قٓ﴾: وهو جبل محيط بالأرض.

والجُرُز: هو اسم أرض.

والطاغية: قيل: اسم البقعة التي أُهلِكت بها ثمود، حكاهما الكرمانيّ.

وفيه من أسماء الأماكن الأخروية:

الفردوس: وهو أعلى مكان في الجنة.

وعلّيّون: قيل: أعلى مكان في الجنة، وقيل: اسم لما دُوّن فيه أعمال صُلحاء الثقَلين.

والكوثر: نهر في الجنة، كما في الأحاديث المتواترة.

وسلسبيل وتسنيم: عينان في الجنة.

وسجّين: اسم لمكان أرواح الكفار.

وصَعُود: جبل في جهنم، كما أخرجه الترمذي [٢٥٧٦] من حديث أبي سعيد مرفوعاً. [وهو ضعيف].

وغيّ وأثام وموبِق والسعير وويل وسائل وسُحْق: أودية في جهنّم.

أخرج ابن أبي حاتم(٣) عن أنس بن مالك في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ [الكهف: **٥٢**]، قال: وادٍ في جهنم من قيح. وأخرج(٤) عن عكرمة في قوله: ﴿مَّوْبِقًا﴾ قال: هو نهر في النار.

وأخرج الحاكم في «**مستدركه**» [(٢/ ٣٧٤) وهو صحيح] عن ابن مسعود في قوله: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: **٥٩**]، قال: وادٍ في جهنم.

وأخرج الترمذيّ [٣١٦٤] وغيره من حديث أبي سعيد الخُدريّ، عن رسول الله ﷺ قال: «**ويل: وادٍ في جهنَّم، يهوِي فيه الكفارُ أربعين خَرِيفاً قبل أن يبلُغَ قَعْرَهُ**» [ضعفه الألباني].

وأخرج ابن المنذر عن ابن مسعودٍ قال: «**ويل وادٍ في جهنم من قيح**».

وأخرج ابن أبي حاتم(٥) عن كعبٍ قال: في النار أربعة أودية يعذِّب الله بها أهلها: غليظ وموبق وأثام وغيّ.

---

(١) في «تفسيره» ١٠/ ٣١٦٦ (١٧٨٩١) سبأ: ١٦.

(٢) في «تفسيره» ١٠/ ٣٣٦٦.

(٣) في «تفسيره» ٧/ ٢٣٦٧ (١٢٨٥٦) الكهف: ٥٢.

(٤) ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٧/ ٢٣٦٨ (١٢٨٥٩).

(٥) في «تفسيره» ٨/ ٢٧٣٠ (١٥٤٠٧) الفرقان: ٦٨.

وأخرج عن سعيد بن جبير قال: السعيرُ وادٍ من قَيْحٍ في جهنم، وسُحْق وادٍ في جهنم.

وأخرج عن أبي زيد في قوله: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ [المعارج: ١]: هو وادٍ من أودية جهنم يقال له: سائل.

والفلق: جُبٌّ في جهنم، في حديث مرفوع أخرجه ابن جرير.

ويحموم: دخان أسود، أخرجه الحاكم عن ابن عباس. [«المستدرك» (٢/ ٤٧٦) وهو صحيح].

وفيه من المنسوب إلى الأماكن:

الأُمِّيّ، قيل: نسبة إلى أم القرى مكة.

وعبقريّ، قيل: إنه منسوب إلى عبقر، موضع للجن ينسب إليه كلُّ نادرٍ.

والسامريّ، قيل: منسوب إلى أرض يقال لها: سامرون، وقيل: سامرة.

والعربيّ، قيل: منسوب إلى عربة، وهي باحة دار إسماعيل عليه السلام، أُنشد فيها:

وعَرْبَةُ أرضٍ ما يَحِلّ حرامَها ... من الناس إلّا اللَّوذَعيُّ الحُلاحِلُ[1]

يعني: النبيّ ﷺ.

وفيه من أسماء الكواكب: الشمس والقمر، والطارق، والشِّعْرى.

فائدة: قال بعضهم: سمى اللهُ في القرآن عشرةَ أجناس من الطير: السلوى، والبعوض، والذباب، والنحل، والعنكبوت، والجراد، والهدهد، والغراب، وأبابيل، والنمل، فإنَّه من الطير لقوله في سليمان: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ [النمل: ١٦]. وقد فَهِمَ كلامَها.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الشعبي قال: النملة التي فَقِهَ سليمان كلامها كانت ذاتَ جناحين.

فصل: أمَّا **الكُنى**، فليس في القرآن منها غير أبي لَهب، واسمه عبد العُزّى، ولذلك لم يذكر باسمه؛ لأنه حرام شرعاً؛ وقيل: للإشارة إلى أنه جهنّميّ.

وأما **الألقاب**: **فمنها** إسرائيل: لقب يعقوب، ومعناه عبد الله، وقيل: صفوة الله، وقيل: سَرِيّ الله؛ لأنه أَسْرَى لمَّا هاجَر.

أخرج ابن جَرير من طريق عُمَير عن ابن عباس: أن إسرائيل كقولك: عبد الله.

وأخرج عبد بن حميد في «**تفسيره**»، عن أبي مِجْلَز قال: كان يعقوب رجلاً بطيشاً، فلقي ملكاً فعالجه فصرعه الملَك، فضرب على فخذيه، فلما رأى يعقوب ما صنع به بطش به، فقال: ما أنا بتاركك حتى تسمّيَني اسماً، فسمَّاه إسرائيل. قال أبو مِجْلز: ألَا ترى أنه من أسماء الملائكة؟

وفيه لغات، أشهرها بياء بعد الهمزة ولام، وقرئ إسراييل؛ بلا همز.

قال بعضهم: ولم يُخاطَب اليهود في القرآن إلّا بـ ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ دون (يا بني يعقوب) لنكتة،

---

(١) اللَّوذَعي: الرجل الظريف القوي الفؤاد. والحُلاحِل: السيد الوقور. «القاموس المحيط»: لَذَعَ، «مختار الصحاح»: حَلَلَ.

وهو: أنهم خوطبوا بعبادة الله، وذُكِّروا بدين أسلافهم موعظةً لهم، وتنبيهاً من غفلتهم. فسمُّوا بالاسم الذي فيه تذكرة بالله تعالى، فإنَّ إسرائيل اسم مضاف إلى الله في التأويل، ولمَّا ذكر موهبته لإبراهيم وتبشيره به قال يعقوب، وكان أولى من إسرائيل، لأنها موهبة بمعقَّبٍ آخر، فناسب ذكر اسم يشعر بالتعقيب.

ومنها: المسيح، لقب لعيسى، ومعناه قيل: الصديق، وقيل: الذي ليس لرِجله أخمص، وقيل: الذي لا يمسح ذا عاهة إلَّا بَرَأ، وقيل: الجميل، وقيل: الذي يمسح الأرض؛ أي: يقطعها، وقيل: غير ذلك.

ومنها: إلياس؛ قيل: إنه لقب إدريس. أخرج ابن أبي حاتم[1] بسند حسن عن ابن مسعود قال: إلياس هو إدريس، وإسرائيل هو يعقوب، وفي قراءته: (وإن إدراسَ لمن المرسلين) (سلام على إدراسين)، وفي قراءة أُبيّ: (وإن إيليسين) (سلام على إيليسين).

ومنها: ذو الكِفْل؛ قيل: إنه لقب إلياس، وقيل: لقب إليسع، وقيل: لقب يوشع، وقيل: لقب زكريا.

ومنها: نوح، اسمه عبد الغفار، ولقبه نوح، لكثرة نَوْحه على نفسه في طاعة ربِّه، كما أخرجه ابن أبي حاتم عن يزيد الرَّقاشيّ.

ومنها: ذو القرنين، واسمه إسكندر، وقيل: عبد الله بن الضَّحَّاك بن سعد، وقيل: المنذر بن ماء السماء. وقيل: الصعب بن قرين بن الهمّال. حكاهما ابن عَسْكَر. ولُقِّب ذا القرنين؛ لأنه بلغ قرنَي الأرض المشرقَ والمغرب، وقيل: لأنه ملك فارس والروم، وقيل: كان على رأسه قرنان، أي: ذؤابتان، وقيل: كان له قرنان مِنْ ذهب، وقيل: كانت صفحتا رأسه من نحاس، وقيل: كان على رأسه قرنان صغيران تواريهما العمامة، وقيل: إنَّه ضُرب على قرنه فمات ثم بعثه الله، فضربوه على قَرْنه الآخر، وقيل: لأنه كان كريم الطَّرفين. وقيل: لأنه انقرض في وقته قرنان من الناس وهو حيّ، وقيل: لأنه أُعْطِيَ علم الظاهر وعلم الباطن، وقيل: لأنه دخل النور والظلمة.

ومنها: فرعون، واسمه الوليد بن مصعب، وكنيته أبو العباس، وقيل: أبو الوليد، وقيل: أبو مرة. وقيل: إن فرعونَ لقبٌ لكل من ملك مصر. أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: كان فرعونُ فارسيّاً من أهل إصْطَخْر.

ومنها: تُبّع، قيل: كان اسمه أسعد بن ملكي كَرِب، وسُمّيَ تُبَّعاً لكثرة مَنْ تَبعه. وقيل: إنَّه لقبُ ملوكِ اليمن، سُمِّيَ كل واحد منهم تُبَّعاً؛ أي: يتبع صاحبه، كالخليفة يَخْلُفُ غيرَه.

---

(١) في «تفسيره» ٤/ ١٣٣٦ (٧٥٦) الأنعام: ٨٥.

النوع السبعون

في المُبهَمات

أفرده بالتأليف السُّهَيلي، ثم ابن عساكر، ثم القاضي بدر الدين بن جماعة. ولي فيه تأليفٌ لَطِيف، جمَعَ فوائدَ الكتب المذكورة مع زوائدَ أخرى، على صِغَر حجمه جدًّا[١]. وكان من السلف مَن يعتني به كثيراً. قال عِكْرمة: طلبتُ الذي خرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله، ثم أدركه الموت أربع عشرة سنة.

وللإبهام في القرآن أسباب:

أحدها: الاستغناء ببيانه في موضعٍ آخرَ، كقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة: ٧]، فإنَّه مبيَّن في قوله: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ [النساء: ٦٩].

الثاني: أن يَتَعيَّن لاشتهاره، كقوله: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، ولم يقل: (حوَّاء)؛ لأنه ليس له غيرها .﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، والمراد نمروذ، لشهرة ذلك، لأنه المرسَل إليه. قيل: وقد ذكر الله فرعون في القرآن باسمه ولم يسمِّ نمروذ؛ لأن فرعون كان أذكى منه، كما يؤخذ من أجوبته لموسى، ونمروذ كان بليداً، ولهذا قال: ﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ﴾ وفعَلَ ما فعل من قتلِ شخصٍ والعفو عن آخر، وذلك غاية البلادة.

الثالث: قَصْد السَّتْر عليه، ليكون أبلغَ في استعطافه، نحو: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا . . .﴾ الآية [البقرة: ٢٠٤]، هو الأخنس بن شُريق؛ وقد أسلم بعدُ وحسُن إسلامه.

الرابع: ألَّا يكون في تعيينه كبيرُ فائدةٍ، نحو: ﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩]. ﴿وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

الخامس: التنبيه على العموم، وأنه غير خاص، بخلاف ما لو عيّن، نحو: ﴿وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا﴾ [النساء: ١٠٠].

السادس: تعظيمُهُ بالوصف الكامل دون الاسم، نحو: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ﴾ [النور: ٢٢]. ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٣٣]، ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ [التوبة: ٤٠]، والمراد: الصدِّيق في الكلِّ.

السابع: تحقيره بالوصف الناقص، نحو: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ [الكوثر: ٣].

تنبيه: قال الزركشيّ في «**البرهان**»[٢]: لا يُبحث عن مبهم أخبر الله باستئثاره بعلمه، كقوله:

---

(١) هو: «مفحمات الأقران في مبهمات القرآن». مطبوع متداول.

(٢) «البرهان» ١/ ٢٤٤ النوع ٦.

﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، قال: والعَجب ممن تجرأ وقال: إنَّهم قُريظة، أو من الجنّ.

قلت: ليس في الآية ما يدلُّ على أن جنسهم لا يُعلم، إنما المنفيّ علم أعيانهم، ولا ينافي العلم بكونهم من قُريظة، أو من الجن، وهو نظير قوله في المنافقين: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة: ١٠١]؛ فإن المنفيَّ علمُ أعيانهم، ثم القول في أولئك بأنهم بنو قُريظة، أخرجه ابن أبي حاتم عن مجاهد[١]. والقول بأنهم من الجن، أخرجه ابن أبي حاتم[٢] من حديث عبد الله بن غريب، عن أبيه مرفوعاً، عن النبي ﷺ، فلا جرأة.

فصل: اعلم أن علم المبهمات مرجعُهُ النقل المحض؛ لا مجال للرأي فيه، ولما كانت الكُتب المؤلفة فيه وسائر التفاسير يُذكر فيها أسماء المبهمات والخلاف فيها، دون بيان مستنَد يُرجع إليه، أو عَزْوٍ يُعتمد عليه، ألّفت الكتاب الذي ألّفته، مذكوراً فيه عَزْو كلّ قول إلى قائله من الصحابة والتابعين وغيرهم، معزوّاً إلى أصحاب الكتب الذين خرَّجوا ذلك بأسانيدهم، مبيّناً فيه ما صحَّ سنده وما ضعف، فجاء لذلك كتاباً حافلاً لا نظير له في نوعه، وقد رتَّبته على ترتيب القرآن، وأنا أُلخِّص هنا مبهماتِه بأوْجز عبارة، تاركاً العَزْوَ والتخريجَ غالباً، اختصاراً وإحالةً على الكتاب المذكور، وأرتبه على قسمين.

القسم الأول: فيما أُبْهِم من رجل أو امرأة أو مَلَكٍ أو جنّيّ، أو مثنى أو مجموع عرف أسماء كلهم، أو مَن، أو الَّذي، إذا لم يُرَد به العموم:

قوله تعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، هو آدم وزوجه حواء ـ بالمدّ ـ لأنها خلقت من حيّ.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ [البقرة: ٧٢] اسمه: عاميل.

﴿وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩] هو النبيّ ﷺ

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِيمُ بَنِيهِ﴾ [البقرة: ١٣٢] هم: إسماعيل وإسحاق ومدين وزمْران وسرْح ونفش ونفشان وأميم وكيسان وسورَح ولوطان ونافش.

﴿وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ [البقرة: ١٣٦] أولاد يعقوب اثنا عشر رجلاً: يوسف، وروبيل، وشمعون، ولاوى، ويهوذا، ودان، ونفتالي ـ بفاء ومثناة ـ وكاد وياشير، وإيشاجر، وريالون، وبنيامين.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٠٤] هو: الأخنس بن شُريق.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ٢٠٧] هو: صهيب رضي الله عنه.

﴿إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ﴾ [البقرة: ٢٤٦] هو: شمويل، وقيل: شمعون، وقيل: يوشع.

﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] قال مجاهد: موسى .﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. قال: محمد ﷺ

---

(١) في «تفسيره» ٥/ ١٧٢٣ (٩١٠٨) الأنفال: ٦٠.

(٢) في «تفسيره» ٥/ ١٧٢٣ (٩١٠٧).

﴿ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٨] نمروذ بن كنعان.

﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩] عُزير، وقيل: أرمياء، وقيل: حَزْقيل.

﴿ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ [آل عمران: ٣٥] حنَّة بنت فاقوذ.

﴿وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ﴾ [آل عمران: ٤٠] هي: أشياع، أو: أشيع بنت فاقود.

﴿مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ﴾ [آل عمران: ١٩٣] هو محمد ﷺ.

﴿إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠] قال ابن عباس: هو كعب بن الأشرف، أخرجه أحمد.

﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ [النساء: ٧٢] هو: عبد الله بن أبيّ.

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤] هو عامر بن الأضبط الأشجعيّ، وقيل: مِرْدَاس، والقائل ذلك نفر من المسلمين، منهم أبو قتادة ومحلِّم بن جَثَّامة. وقيل: إن الذي باشر القول محلِّم، وقيل: إنه الذي باشر قتله أيضاً، وقيل: قتله المقداد بن الأسود، وقيل: أسامة بن زيد.

﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ﴾ [النساء: ١٠٠] هو ضَمْرة بن جُنْدب، وقيل: ابن العيص؛ رجل من خُزاعة. وقيل: أبو ضمرة بن العيص، وقيل: اسمه سبرة، وقيل: هو خالد بن حزام، وهو غريب جدًّا.

﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة: ١٢] هم: شموع بن زكور من سبط رُوبيل، وشوقط بن حورى من سبط شمعون، وكالب بن يوفنَّا من سبط يهوذا، وبعورك بن يوسف من سبط إشاجر، ويوشع بن نون من سبط إفرائيم بن يوسف، وبلطى بن روفوا من سبط بنيامين، وكرابيل بن سودِي من سبط زبالون، وكدّي بن شاس من سبط منشا بن يوسف، وعمابيل بن كسل من سبط دان، وسَتُور بن ميخائيل من سبط أَشير، ويوحنَّا بن وقوسى من سبط نفتالى، وإلّ بن موخا من سبط كاذلوا.

﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ [المائدة: ٢٣]. هما: يوشع وكالب.

﴿نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ﴾ [المائدة: ٢٧]. هما: قابيل وهابيل، وهو المقتول.

﴿ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥]. بلعم، ويقال: بلعام بن آبر، ويقال: باعَر، ويقال: باعور. وقيل: هو أُميَّة بن أبي الصلت، وقيل: صيفي بن راهب، وقيل: فرعون، وهو أغربها.

﴿وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨] عنى: سُراقةَ بنَ جُعشُم.

﴿فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٢] قال قتادة: هم: أبو سفيان وأبو جهل وأميّة بن خَلَف وسُهيل بن عمرو وعتبة بن ربيعة.

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ﴾ [التوبة: ٤٠]. هو: أبو بكر الصديق.

﴿وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧]. قال مجاهد: هم: عبد الله بن أُبيّ ابن سَلُول، ورفاعة بن التابوت، وأَوْس بن قَيْظِيّ.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي﴾ [التوبة: ٤٩]. هو: الجدّ بن قيس.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ٥٨]. هو: ذو الخُوَيْصِرة.

﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦] هو: مخشيّ بن حُمَيْر.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ٧٥]. هو: ثَعْلبة بن حاطب.

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢]. قال ابن عباس: هم سبعة: أبو لُبابة وأصحابه؛ وقال قتادة: سبعةٌ من الأنصار: أبو لُبابة، وجدّ بن قيس، وجذام، وأوْس، وكردم، ومرداس.

﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾ [التوبة: ١٠٦]. هم: هلال بن أميَّة، ومُرارة بن الربيع، وكعب بن مالك، وهم الثلاثة الذين خُلِّفُوا. [البخاري: ٤٦٧٧، ومسلم: ٧٠١٦، وأحمد: ١٥٧٨٩].

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ [التوبة: ١٠٧]. قال ابن إسحاق: اثنا عشر من الأنصار: خذام بن خالد، وثعلبة بن حاطب، وهو من بني أمية بن زيد، ومعتِّب بن قُشَير، وأبو حبيبة بن الأزعر، وعبّاد بن حُنيف، وجارية بن عامر وابناه مجمّع وزيد، ونبتل بن الحارث وبحزَج، وبِجاد بن عثمان، ووديعة بن ثابت.

﴿لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [التوبة: ١٠٧]. هو: أبو عامر الراهب.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [هود: ١٧]. وهو محمدٌ ﷺ. ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧] هو جبريل، وقيل: هو القرآن، وقيل: أبو بكر، وقيل: عليّ.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ [هود: ٤٢]. اسمه: كنعان، وقيل: يام.

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ﴾ [هود: ٧١]. اسمها: سارة.

(بنات لوط) [هود: ٧٨]: رَيتا ورغوثا.

﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ [يوسف: ٨]: بنيامين شقيقه.

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ [يوسف: ١٠]. هو: روبيل، وقيل: يهوذا، وقيل: شمعون.

﴿فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ﴾ [يوسف: ١٩]. هو مالك بن دعْر.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ﴾ [يوسف: ٢١]. هو قطيفير، أو أطيفير. ﴿لِٱمْرَأَتِهِۦٓ﴾ [يوسف: ٢١]. هي راعيل، وقيل: زليخا.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ [يوسف: ٣٦]. هو مجلث ونبُو، وهو الساقي، وقيل: راشان ومرطش، وقيل: شُرْهم وسُرْهم.

﴿لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ﴾ [يوسف: ٤٢]. هو الساقي.

﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]. هو: الملك ريَّان بن الوليد.

﴿بِأَخٍ لَّكُم﴾ [يوسف: ٥٩]. هو: بنيامين، وهو المتكرِّر في السورة.

﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ﴾ [يوسف: ٧٧]. عنوا يوسف.

﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ [يوسف: ٨٠]. هُو: شمعون، وقيل: روبيل.

﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ [يوسف: ٩٩]. هما: أبوه وخالته ليّا، وقيل: أمه، واسمها راحيل.

﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣]. هو: عبد الله بن سلام. وقيل: جبريل.

﴿أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى﴾ [إبراهيم: ٣٧]. هو: إسماعيل.

﴿وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ [إبراهيم: ٤١]. اسم أبيه تارح، وقيل: آزر، وقيل: يازر، واسم أمه مثاني، وقيل: نوفا، وقيل: ليُوثا.

﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٥]. قال سعيد بن جُبير: هم خمسة: الوليد بن المغيرة، والعاصي بن وائل، وأبو زمعة، والحارث بن قيس، والأسود بن عبد يغوث.

﴿رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾ [النحل: ٧٦]. هو: أَسِيد بن أبي العيص.

﴿وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النحل: ٧٦]. عثمان بن عفّان.

﴿كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ [النحل: ٩٢]. هي: ريطة بنت سعيد بن زيد مناة بن تميم.

﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]. عَنَوْا عبدَ ابنِ الحضرميّ، واسمه مِقْيَس. وقيل: عبدين له، يسار وجبر. وقيل: عَنَوْا قَيْناً [حداداً] بمكة اسمه بلعام. وقيل: سلمان الفارسيّ.

﴿أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ﴾ [الكهف: ٩]. تمليخا، وهو رئيسهم، والقائل: ﴿فَأْوُۥٓا إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ [الكهف: ١٦]، والقائل: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف: ١٩]. وتكسلمينا، وهو القائل: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف: ١٩]. ومرطوش وبراشق وأيونس وأريسطانس وشلططيوس.

﴿فَٱبْعَثُوٓا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ﴾ [الكهف: ١٩]. هو تمليخا.

﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨]. هو: عُيينة بن حِصْن.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ [الكهف: ٣٢]. هما: تمليخا ـ وهو الخيّر ـ وفطروس، وهما المذكوران في سورة الصافّات.

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ [الكهف: ٦٠]. هو: يوشع بن نون، وقيل: أخوه يثربى.

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا﴾ [الكهف: ٦٥]. هو: الخضر واسمه بليَا.

﴿لَقِيَا غُلَٰمًا﴾ [الكهف: ٧٤]. اسمه جيسور، بالجيم، وقيل بالحاء.

﴿وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف: ٧٩]. هو: هُدَد بن بُدَد.

﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ﴾ [الكهف: ٨٠]. اسم الأب كازيرا والأمّ سهوى.

﴿لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٢]. هما: أصرم وصُريم.

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ [مريم: ٢٤]. قِيلَ: عيسى، وقيل: جبريل.

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [مريم: ٦٦]. هو: أُبيّ بن خلف، وقيل: أُميَّة بنُ خلف. وقيل: الوليد بن المغيرة.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [مريم: ٧٧]. هو: العاصي بن وائل.

﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ [طه: ٤٠] هو: القبطيّ، واسمه فاتون.

﴿يَٰسَٰمِرِيُّ﴾ [طه: ٩٥]. اسمه موسى بن ظفر.

﴿مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ [طه: ٨٥]. هو: جبريل.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ﴾ [الحج: ٣]. وهو: النضر بن الحارث.

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ [الحج: ١٩]. أخرج الشيخان عن أبي ذرّ قال: نزلت هذه الآية في حمزة وعُبيدة بن الحارث وعليّ بن أبي طالب، وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة. [البخاري: ٣٩٦٩، ومسلم: ٧٥٦٢].

﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ [الحج: ٢٥]. قال ابن عباس: نزلت في عبد الله بن أُنيس.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ [النور: ١١]. وهم: حسّان بن ثابت ومِسْطَح بن أُثاثة وحمنة بنت جحش، وعبد الله بن أُبيّ. وهو الذي تولّى كبره.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ﴾ [الفرقان: ٢٧]. هو: عُقْبة بن أَبِي مُعَيط.

﴿لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا﴾ [الفرقان: ٢٨]. هو: أميّة بن خلف، وقيل: أُبيّ بن خلف.

﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ﴾ [الفرقان: ٥٥]. قال الشعبيّ: هو أبو جهل.

﴿ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ [النمل: ٢٣]. هي: بلقيس بنت شراحيل.

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ﴾ [النمل: ٣٦]. اسم الجائي منذر.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [النمل: ٣٩]. اسمه كوْزن.

﴿ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ﴾ [النمل: ٤٠]. هو: آصف بن برخيا كاتبه، وقيل: رجل يقال له: ذو النور، وقيل: أسطوم، وقيل: مَليخا، وقيل: بلخ، وقيل: هو ضبّة أبو القَبيلة، وقيل: جبريل، وقيل: مَلَكٌ آخر، وقيل: الخضر.

﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ [النمل: ٤٨]. هم: رُعمَى، ورُعَيم، وهرْمَى، وهُريم، ودأب، وصَواب، ورآب، ومسطع، وقُدار بن سالف عاقر الناقة.

﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾ [القصص: ٨]. اسم الملتقط طابوث.

﴿ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ [القصص: ٩]. آسية بنت مزاحم.

﴿أُمِّ مُوسَىٰ﴾ [القصص: ١٠]. يحانذ بنت يصهر بن لاوى، وقيل: ياؤوخا، وقيل: أبا ذخت.

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ﴾ [القصص: ١١]. اسمها مريم، وقيل: كلثوم.

﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ [القصص: ١٥]. هو السَّامِريّ. ﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥]. اسمه فاتون.

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ [القصص: ٢٠]. هو مؤمن آل فرعون، واسمه شَمعان، وقيل: شمعون، وقيل: جبر، وقيل: حبيب، وقيل: حزقيل.

﴿ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ [القصص: ٢٣]. هما: ليّا وصفورِيا، وهي التي نكحها، وأبوهما شعيب، وقيل: يثرون، ابن أخي شعيب.

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ﴾ [لقمان: ١٣]. اسمه باران، بالموحّدة، وقيل: داران، وقيل: أنعُم، وقيل: مِشْكَم.

﴿مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١]. اشتهر على الألسنة أن اسمه عزرائيل، ورواه أبو الشيخ بن حَيَّان عن وهب.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ [السجدة: ١٨]. نزلت في عليّ بن أبي طالب، والوليد بن عقبة.

﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ﴾ [الأحزاب: ١٣]. قال السُّدّيّ: هما رجلان من بني حارثة: أبو عرابة بن أوس وأوس بن قيظيّ.

﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾ [الأحزاب: ٥٩]. قال عِكْرِمة: كانت تحته يومئذ تسعُ نسوة: عائشة، وحفصة، وأم حبيبة، وسودة، وأم سلمة، وصفية، وميمونة، وزينب بنت جحش، وجويرية. وبناته: فاطمة، وزينب، ورقية، وأم كلثوم.

﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. قال ﷺ: «**هم: عليّ، وفاطمةُ، والحسن، والحسين**» [الترمذي: ٣٢٠٥ صححه الألباني].

﴿لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ وهو: زيد بن حارثة، ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب: ٣٧]. هي: زينب بنت جحش.

﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الأحزاب: ٧٢]. قال ابن عباس: هو آدم.

﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾ [يس: ١٤]. هما: شمعون ويوحنا، والثالث بولس، وقيل: هم صادق وصدوق وشَلُوم.

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾ [يس: ٢٠]. هو: حبيب النجّار.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [يس: ٧٧]. هو: العاصي بن وائل، وقيل: أُبيّ بن خلف، وقيل: أميّة بن خلف.

﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]. هو: إسماعيل، أو إسحاق؛ قولان شهيران.

﴿نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ [ص: ٢١]. هما: مَلَكان، قيل: إنهما جبريل وميكائيل.

﴿جَسَدًا﴾ [ص: ٣٤]. هو شيطان يقال له: أُسيد، وقيل: صخر، وقيل: حبقيق.

﴿مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [ص: ٤١]. قال نوف: الشيطان الذي مسّه يقال له: مِسعَط.

﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ محمد، وقيل: جبريل ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٣٣]. محمد ﷺ؛ وقيل: أبو بكر.

﴿ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾ [فصلت: ٢٩]. إبليس وقابيل.

﴿رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ﴾ [الزخرف: ٣١]. عنوا: الوليد بن المغيرة من مكة، ومسعود بن عمرو الثقفيّ، وقيل: عروة بن مسعود من الطائف.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ [الزخرف: ٥٧]. الضارب له: عبد الله بن الزِّبَعْرَى.

﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ [الدخان: ٤٤]. قال ابن جبير: هو: أبو جهل.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأحقاف: ١٠]. هو: عبد الله بن سلام.

﴿أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. أصحّ الأقوال أنهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ.

﴿ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤]. قال عثمان بن محصن: كانوا أربعة من الملائكة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ورفائيل.

﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨]. قال الكرماني(١): أجمع المفسرون على أنه إسحاق، إلا مجاهداً فإنه قال: هو إسماعيل.

﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥]: جبريل.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾ [النجم: ٣٣]. هو: العاصي بن وائل، وقيل: الوليد بن المغيرة.

﴿يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٦]. هو: إسرافيل.

﴿قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ﴾ هي: خوْلة بنت ثعلبة: ﴿فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١] أوس بن الصامت.

﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم: ١]. هي: سُريّته(٢) مارية.

﴿أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾ [التحريم: ٣]. هي: حفصة ﴿نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾ [التحريم: ٣]. أخبرت عائشة.

﴿إِن تَتُوبَآ﴾ [التحريم: ٤]. ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا﴾ [التحريم: ٤]. هما: عائشة وحفصة ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التحريم: ٤]. هما: أبو بكر، وعمر. أخرجه الطبرانيُّ في «**الأوسط**» [٢٣٣٧].

﴿ٱمْرَأَتَ نُوحٍ﴾ وَالِعة ﴿وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ﴾ [التحريم: ١٠]. وَالِهة، وقيل: واعلة.

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ [القلم: ١٠]. نزلت في الأسود بن عبد يغوث، وقيل: الأخنس بن شريق، وقيل: الوليد بن المغيرة.

﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ [المعارج: ١]. وهو: النَّضر بن الحارث.

﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ [نوح: ٢٨]. اسم أبيه: لمك بن متوشلخ، واسم أمه شَمْخَا بنت أنوش.

﴿سَفِيهُنَا﴾ [الجن: ٤]. هو: إبليس.

﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١]. هو: الوليد بن المغيرة.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ . . .﴾ الآيات [القيامة: ٣١]. نزلت في أبي جهل.

---

(١) في «عجائبه» ٢/ ١١٤٣ سورة الذاريات: ٢٨.

(٢) السُّرِّيَّة: هي المرأة التي يملكها الرجل، ويطؤها بملك اليمين لا بعقد زواج.

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان: ١]. هو: آدم.

﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا﴾ [النبأ: ٤٠]. قيل: هو إبليس.

﴿أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ [عبس: ٢]. هو: عبد الله بن أم مكتوم، ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾ [عبس: ٥]، هو: أُميّة ابن خلف، وقيل: هو: عتبة بن ربيعة.

﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: ١٩]. قيل: جبريل، وقيل: محمد ﷺ.

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ . . .﴾ الآيات [الفجر: ١٥]. نزلت في أُميَّة بن خلف.

﴿وَوَالِدٍ﴾ [البلد: ٣]. هو: آدم.

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الشمس: ١٣]. هو: صالح.

﴿إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ [الليل: ١٥]. هو: أُميَّة بن خلف. ﴿ٱلْأَتْقَى﴾ [الليل ١٧]. هو: أبو بكر الصدِّيق.

﴿ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا﴾ [العلق: ٩، ١٠]. هو: أبو جهل، والعبد هو النبي ﷺ.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ [الكوثر: ٣]. هو: العاصي بن وائل، وقيل: أبو جهل، وقيل: عُقْبة بن أبي مُعَيط، وقيل: أبو لَهب، وقيل: كَعْب بن الأشرف.

﴿ٱمْرَأَتُهُۥ﴾ [المسد: ٤]. امرأة أبي لهب أُمّ جميل العوراء بنت حرب بن أُميَّة.

القسم الثاني: في مبهمات الجموع الذين عُرفت أسماءُ بعضهم:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١١٨]. سُمِّيَ منهم: رافعُ بن حَرْمَلة.

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة: ١٤٢]. سمي منهم: رفاعة بن قيس، وقردم بن عمر، وكعب بن الأشرف، ورافع بن حرملة، والحِجاج بن عمرو، والربيع بن أبي الحُقيق.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا . . .﴾ الآية [البقرة: ١٧٠]، سُمِّيَ منهم: رافع، ومالك بن عوف.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ [البقرة: ١٨٩]. سُمِّيَ منهم: معاذ بن جبل، وثعلبة بن غنم.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢١٥]. سُمِّيَ منهم: عمرو بن الجَمُوح.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ﴾ [البقرة: ٢١٩]. سُمِّيَ: منهم عُمَر، ومعاذ، وحمزة.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [البقرة: ٢٢٠]. سُمِّيَ منهم: عبد الله بن رَواحة.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. سُمِّيَ منهم: ثابت بن الدحداح، وعبّاد بن بشر، وأُسَيد بن الحُضَيْر ـ مصغَّر ـ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٢٣]. سُمِّي منهم: النعمان بن عمرو، والحارث بن زيد.

﴿ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]. سُمِّي منهم: فطرس، ويعقوبس، ويحنّس، وأندرايس، وفيلس، ودرنايوطا، وسرجس، وهو الذي ألقي عليه شبهه.

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ . . .﴾ [آل عمران: ٧٢]. هم اثنا عشر من اليهود، سمّيَ منهم: عبد الله بن الصَّيف، وعديّ بن زيد، والحارث بن عمرو.

﴿كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾ [آل عمران: ٨٦]. قال عكرمة: نزلت في اثني عشر رجلاً، منهم: أبو عامر الرّاهب، والحارث بن سويد بن الصّامت، ووَحْوَح بن الأسلت، وزاد ابنُ عسكر: وطعيمة بن أُبيرق.

﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ﴾ [آل عمران: ١٥٤]. سُمّيَ من القائلين: عبد الله بن أُبيّ.

﴿يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ﴾ [آل عمران: ١٥٤]. سُمّيَ من القائلين: عبد الله ابن أُبيّ، ومعتِّب بن قُشَير.

﴿وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]. القائل ذلك: عبد الله، والد جابر بن عبد الله الأنصاري، والمقول لهم: عبد الله بن أُبيّ وأصحابه.

﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٧٢]. هم سبعون؛ منهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، والزُّبَيْر، وسعد، وطلحة، وابن عوف، وابن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وأبو عبيدة بن الجراح.

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]. سُمّيَ من القائلين: نُعيم بن مسعود الأشجعيّ.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ﴾ [آل عمران: ١٨١]. قال ذلك فِنْحاصٌ، وقيل: حُييّ بن أخطب، وقيل: كعب بن الأشرف.

﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٩٩]. نزلت في النجاشيّ، وقيل: في عبد الله بن سلام وأصحابه.

﴿وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ﴾ [النساء: ١]. قال ابنُ إسحاق: أولاد آدم لصُلبه أربعون في عشرين بطناً، كلّ بطن ذكر وأُنثى، وسُمّيَ من بنيه: قابيل، وهابيل، وإياد، وشبونة، وهند، وصرابيس، ومخور، وسند، وبارق، وشيث، وعبد المغيث، وعبد الحارث، وودّ، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر. ومن بناته: أقليمة، وأشوف، وجزوزة، وعزورا، وأَمَة المغيث.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ [النساء: ٤٤]. قال عكرمة: نَزلت في رفاعة بن زيد بن التابوت، وكردم بن زين، وأسامة بن حبيب، ورافع بن أبي رافع، وبحري بن عمرو، وحُيَيّ بن أخطب.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ﴾ [النساء: ٦٠]. نزلتْ في الجُلاس بن الصّامت، ومعتّب بن قُشَير، ورافع بن زيد، وبشر.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ﴾ [النساء: ٧٧]. سُمّيَ منهم: عبد الرحمن بن عوف.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۢ﴾ [النساء: ٩٠]. قال ابن عباس: نزلت في هلال بن عُويمر الأسلميّ وسُراقة بن مالك المدلجيّ، وفي بني خُزَيمةَ بن عامر بن عبد مناف.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ﴾ [النساء: ٩٠]. قال ابن عباس: نزلت في هلال بن عُويمر الأسلميّ وسُراقة بن مالك المدلجيّ، وفي بني خُزَيمةَ بن عامر بن عبد مناف.

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ﴾ [النساء: ٩١]. قال السُّدِّيّ: نزلت في جماعة، منهم نُعيم بن مسعود الأشجعيّ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧]. سمَّى عكرمة منهم: عليّ بن أُميَّة بن خلَف، والحارث بن زمعة، وأبا قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبا العاصي بن منبّه بن الحجاج، وأبا قيس بن الفاكِه.

﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ [النساء: ٩٨]. سُمِّيَ منهم: ابنُ عباس، وأُمّه أم الفضل لُبانة بنت الحارث، وعيّاش بن أبي ربيعة، وسلمة بن هشام.

﴿ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٧] بنو أُبيرق: بشر وبُشير ومبشِّر.

﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾ [النساء: ١١٣]. هم: أُسَيْد بن عروة وأصحابه.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ١٢٧] سُمِّيَ من المستفتين: خَوْلة بنت حكيم.

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النساء: ١٥٣] سمّى منهم ابن عَسْكَر: كعب بن الأشرف وفِنْحَاصاً.

﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [النساء: ١٦٢] قال ابنُ عباس: هم عبد الله بن سلام وأصحابه.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] سُمِّي منهم: جابر بن عبد الله.

﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢] سُمِّي منهم: الحطم بن هند البكري.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾ [المائدة: ٤]. سُمِّي منهم: عديّ بن حاتم، وزيد بن المهلهل الطائيان، وعاصم بن عديّ، وسعد بن خيثمة، وعويمر بن ساعدة.

﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ﴾ [المائدة: ١١]. سُمِّيَ منهم: كعب بن الأشرف، وحُيَيّ بن أخطب.

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً . . .﴾ الآيات [المائدة: ٨٢ ـ ٨٥]. نزلت في الوفد الذين جاؤوا من عند النَّجاشي وهم اثنا عشر، وقيل: ثلاثون، وقيل: سبعون، وسُمِّيَ منهم: إدريس، وإبراهيم، والأشرف، وتميم، وتمام، ودريد.

﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٨]. سُمِّي منهم: زَمْعة بن الأسود، والنَّضْر بن الحارث بن كَلدة، وأُبيّ بن خلَف، والعاصي بن وائل.

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الأنعام: ٥٢]. سُمِّيَ منهم: صُهيب، وبلال، وعمّار، وخبّاب، وسعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، وسلمان الفارسيّ.

﴿إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١]. سُمِّيَ منهم: فِنْحاص، ومالك بن الصَّيْف.

﴿قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. سُمِّيَ منهم: أبو جهل، والوليد بن المغيرة.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الأعراف: ١٨٧]. سُمِّي منهم: حِسْل بن قُشير، وشمويل بن زيد.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ [الأنفال: ١]. سُمِّي منهم: سعد بن أبي وقَّاص.

﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ [الأنفال: ٥]. سُمِّيَ منهم: أبو أيوب الأنصاريّ، ومن الذين لم يكرهوا المقداد.

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟﴾ [الأنفال: ١٩]. سُمِّيَ منهم: أبو جهل.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنفال: ٣٠]. هم: أهل دار النَّدوة، سُمِّيَ منهم: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو سفيان، وأبو جهل، وجُبير بن مطعم، وطُعَيمة بن عدي، والحارث بن عامر، والنَّضْر بن الحارث، وزمْعة بن الأسود، وحكيم بن حزام، وأُمية بن خلَف.

﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ . . .﴾ الآية [الأنفال: ٣٢]، سُمِّيَ منهم: أبو جهل، والنضر بن الحارث.

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٩]. سمّي منهم: عتبة بن ربيعة، وقيس بن الوليد، وأبو قيس بن الفاكِه، والحارث بن زمعة، والعاصي بن منبّه.

﴿قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾ [الأنفال: ٧٠]. كانوا سبعين؛ منهم: العباس، وعَقِيل، ونَوْفل بن الحارث، وسُهيل بن بيضاء.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]. سُمِّي منهم: سلّام بن مِشْكَم، ونعمان بن أوفى، ومحمَّد بن دحية، وشاس بن قيس، ومالك بن الصَّيف.

﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾ [التوبة: ٧٩]. سُمِّيَ من المطَّوعين: عبد الرحمن بن عوف، وعاصم بن عديّ. ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩]. أبو عَقِيل، ورفاعة بن سعد.

﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ﴾ [التوبة: ٩٢]. سُمِّيَ منهم: العِرباض بن سارية، وعبد الله بن مُغفَّل المزنيّ، وعمرو المزنيّ، وعبد الله بن الأزرق الأنصاريّ، وأبو ليلى الأنصاريّ.

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾ [التوبة: ١٠٨]. سُمِّيَ منهم: عُوَيم بن ساعدة.

﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]. نزلت في جماعة، منهم: عمَّار بن ياسر، وعياش بن أبي ربيعة.

﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ﴾ [الإسراء: ٥]. هم: طالوت وأصحابه.

﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٣]. قال ابن عباس: نزلت في رجال من قريش، منهم: أبو جهل، وأُميّة بن خلف.

﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا﴾ [الإسراء: ٩٠]. سمّى ابنُ عباس من قائلي ذلك: عبدَ الله بن أبي أُميّة.

﴿وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ [الكهف: ٥٠]. سُمِّيَ من أولاد إبليس: شبر، والأعور، وزلنبور، ومسوط، وداسم.

﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ﴾ [القصص: ٥٧]. سُمِّيَ منهم: الحارث بن عامر بن نوفل.

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾ [العنكبوت: ٢]. هم: المُؤْذَوْن على الإسلام بمكة، منهم: عمَّار بن ياسر.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا﴾ [العنكبوت: ١٢]. سُمِّيَ منهم: الوليد بن المغيرة.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [لقمان: ٦]. سُمِّيَ منهم: النَّضْر بن الحارث.

﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٢٣]. سمي منهم: أنس بن النضر.

﴿قَالُواْ ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ: ٢٣]. أوّل من يقول جبريل، فيتبعونه.

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ﴾ [ص: ٦] سُمِّيَ منهم: عقبة بن أبي معيط، وأبو جهل، والعاصي بن وائل، والأسود بن المطلب، والأسود بن يغوث.

﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا﴾ [ص: ٦٢]. سُمِّيَ من القائلين: أبو جهل، ومن الرجال: عمار، وبلال.

﴿نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الأحقاف: ٢٩]. سمي منهم: زوبعة، وحَسّى، ومسى، وشاصر، وماصر، والأرْد، وإنِّيان، والأحقم، وسرّق.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ [الحجرات: ٤]. سُمِّيَ منهم: الأقرع بن حابس، والزبرقان بن بدر، وعيينة بن حصن، وعمرو بن الأهتم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا﴾ [المجادلة: ١٤]. قال السُّدِّيّ: نزلت في عبد الله بن نُفَيل من المنافقين.

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ﴾ [الممتحنة: ٨]. نزلت في قتيلة أم أسماء بنت أبي بكر.

﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ [الممتحنة: ١٠]. سُمِّيَ منهن: أُم كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعَيط، وأُميمة بنت بشر.

﴿يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ﴾ [المنافقون: ٧]. ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ﴾ [المنافقون: ٨]. سُمِّيَ منهم: عبد الله ابن أُبيّ.

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ . . .﴾ الآية [الحاقة: ١٧]، سمي من حملة العرش: إسرافيل، ولبنان، وروفيل.

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ [البروج: ٤]. ذو نواس، وزُرعة بن أسد الحميريّ وأصحابه.

﴿بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ [الفيل: ١]. هم: الحبشة، قائدهم: أبرهة الأشرم، ودليلهم: أبو رغال.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]. نزلت في الوليد بن المغيرة، والعاصي بن وائل، والأسود بن المطلب، وأُميَّة بن خلف.

﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ [الفلق: ٤]. بنات لَبيد بن الأعصم.

وأما مبهمات الأقوام والحيوانات والأمكنة والأزمنة ونحو ذلك، فقد استوفَيْتُ الكلام عليها في تأليفنا المشار إليه.

النوع الحادي والسبعون

في أسماءِ مَن نَزَلَ فيهم القرآن

رأيت فيهم تأليفاً مفرداً لبعض القدماء؛ لكنه غير محرّر، وكتاب «**أسباب النزول**» و«**المبهمات**» يغنيان عن ذلك، وقد قال ابن أبي حاتم[1]: ذكر عن الحسين بن زيد الطحَّان، أنبأنا إسحاق بن منصور، أنبأنا قيس، عن الأعمش، عن المِنهال، عن عبَّاد بن عبد الله قال: قال عليّ: ما في قريش أحدٌ إلَّا ونزلت فيه آية. قيل له: ما نزل فيك؟ قال: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧].

ومن أمثلته: ما أخرجه أحمد[١٥٦٧] والبخاريّ في «**الأدب**»[٢٤]: عن سعد بن أبي وقاص قال: نزلت فيَّ أربع آيات: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ [الأنفال: ١]. ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨]. وآية تحريم الخمر، وآية الميراث[2]. [وإسناده حسن].

وأخرج ابن أبي حاتم عن رِفَاعة القُرَظيّ، قال: نزلت: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾ [القصص: ٥١]. في عشرة، أنا أحدهم.

وأخرج الطبرانيّ [في «الكبير»: ٢٢٠٤ ورجاله ثقات] عن أبي جُمعة جُنَيد بن سَبُع ـ وقيل: حبيب بن سباع ـ قال: فينا نزلت: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ [الفتح: ٢٥]. وكنا تسعة نفر: سبعة رجال، وامرأتين.

❁ ❁ ❁

---

(١) في «تفسيره» ٦/ ٢٠١٥ (١٠٧٦٤) هود: ١٧.

(٢) آية تحريم الخمر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠ ـ ٩١].
قلتُ: وهو في مسلم أيضاً: ٤٥٦٩ وفي «المسند»: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ﴾ من سورة [لقمان: ١٤] هي التي نزلت.
وفي «أسباب النزول» للمصنف رحمه الله تعالى أن آية العنكبوت هي التي نزلت. فتأمل.

النوع الثاني والسبعون

في فضائل القُرآن

أفرده بالتصنيف: أبو بكر بن أبي شيبة، والنَّسائي، وأبو عُبيد القاسم بن سلّام، وابن الضُّرَيس، وآخرون.

وقد صحّ فيه أحاديثُ باعتبار الجملة، وفي بعض السور على التعيين. ووضِع في فضائل القرآن أحاديثُ كثيرةٌ، ولذلك صنفتُ كتاباً سمَّيته «**خمائل الزهر في فضائل السور**» حرّرت فيه ما ليس بموضوع.

وأنا أورد في هذا النوع فصلين:

الفصل الأول: فيما ورد في فضله على الجملة

أخرج الترمذيّ [٢٩٠٦] والدّارميّ [٣١٩٧] وغيرهما: من طريق الحارث الأعور، عن عليّ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ستكون فِتَنٌ**». قلت: فما المَخْرَجُ منها يا رسول الله؟ قال: «**كتابُ الله، فيه نبأُ ما قَبْلكم، وخبرُ ما بعدَكم، هو الحَبْلُ المتينُ، وهو الذِّكرُ الحكيم، وحُكْمُ ما بينكم، وهو الفَصْلُ، ليس بالهَزْلِ، مَن تَرَكَهُ مِن جبّار قَصَمَهُ الله، ومَن ابتغى الهُدى في غيره أضلَّه الله، وهو الصِّراطُ المستقيمُ، وهو الذي لا تَزيغُ به الأهواءُ، ولا تَلتبسُ به الألْسِنةُ، ولا تَشْبَعُ منه العلماءُ، ولا يَخْلَقُ على كثرةِ الردِّ، ولا تنقضِي عجائِبه؛ مَن قال به صَدَقَ، ومن عَمِل به أُجِرَ، ومَن حَكَم به عدَل، ومَن دعا إليه هُدِي إلى صراط مستقيم**» [وهو ضعيف].

وأخرج الدَّارميّ [٣٢٩٠] من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً: «**القرآن أحبُّ إلى الله من السموات والأرض ومَن فِيهِنَّ**».

وأخرج أحمد [١٧١٣٢] والترمذيّ [٣٤٠٧] من حديث شدَّاد بن أوس: «**ما من مسلم يأخذ مضجعَه، فيقرأ سورة من كتاب الله تعالى إلّا وكَّل الله به مَلَكاً يحفظه، فلا يقربه شيء يؤذيه حتى يهُبَّ متى يَهُبُّ**» [وهو ضعيف].

وأخرج الحاكم [(١/ ٥٥٢)] وغيره من حديث عبد الله بن عمرو: «**من قرأ القرآن فقد استدرجَ النبوَّة بين جنبيه، غير أنَّه لا يوحَى إليه، لا ينبغي لصاحب القرآن أن يجد مع مَن يجد، ولا يجهل مع مَن يجهل، وفي جوفه كلامُ الله**» [وهو صحيح].

وأخرج البزّار، من حديث أنس: «**أنَّ البيت الذي يُقرأُ فيه القرآن يكثُرُ خيرُه، والبيت الذي لا يُقرأُ فيه القرآن يَقِلُّ خيرُهُ**».

وأخرج الطَّبراني [في «الأوسط»:] من حديث ابن عمر: «**ثلاثة لا يهولهم الفزع الأكبر، ولا**

ينالهم الحساب، هم على كثيب من مِسْك، حتى يفرَغ من حساب الخلائق: رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله، وأَمَّ به قوماً وهم به راضون..» الحديثَ.

وأخرج أبو يعلَى [٢٧٧٣] والطَّبراني [في «الكبير»: ٧٣٨] من حديث أبي هريرة: **«القرآن غنىً لا فقر بعده، ولا غنىً دونه»** [وإسناده ضعيف].

وأخرج أحمد [١٧٣٦٥] وغيرُه من حديث عُقْبة بن عامر: **«لو كان القرآن في إهاب ما أكلتْه النار»**. [وأبو عُبيد في «فضائل القرآن» ص ٢٢ وإسناده ضعيف].

قال أبو عُبيد: أراد بالإهاب قلبَ المؤمن، وجوفَه الذي قد وَعَى القرآنَ.

وقال غيره: معناه أن مَن جمَع القرآن، ثم دخل النار فهو شرٌّ من الخنزير.

وقال ابن الأنباريّ: معناه أنَّ النار لا تبطله، ولا تقلعه من الأسماع التي وَعَتْه، والأفهام التي حصَّلته، كقوله في الحديث الآخر: **«أنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء»** [مسلم: ٧٢٠٧] أي: لا يبطله، ولا يقلعه من أوعيته الطيبة ومواضعه؛ لأنه وإن غسله الماء في الظاهر لا يغسله بالقلع من القلوب.

وعند الطبراني [في «الكبير»: ٤٩٧] مِن حديث عصمة بن مالك: **«لو جُمعَ القرآن في إهاب ما أحرقته النار»**.

وعنده من حديث سهل بن سعد: **«لو كان القرآن في إهاب ما مسَّته النار»**. [الطبراني في «الكبير»: ٥٩٠١].

وأخرج الطَّبراني في **«الصغير»** [١١٢٢] من حديث أنس: **«من قرأ القرآن يقومُ به آناء الليل والنهار - يُحلُّ حلالَه ويُحَرِّم حرامَه - حرَّم الله لحمَه ودمَهُ على النار، وجعَلَه مع السَّفَرَة الكرام البررة؛ حتى إذا كان يومُ القيامة كان القرآن حُجةً له»**.

وأخرج أبو عُبيد(١) عن أنس مرفوعاً: **«القرآن شافع مشفَّع، وماحِد مصدَّق، مَن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومَنْ جعله خلفه ساقه إلى النار»**.

وأخرج الطبرانيّ [في «الكبير»: ٢٨٩٩]من حديث أنس: **«حملة القرآن عُرَفاءُ أهل الجنة»**.

وأخرج النّسائي [في «الكبرى»: ٨٠٣١] وابن ماجه [٢١٥] والحاكم [(١/٥٥٦)] من حديث أنس قال: **«أهلُ القرآن هم أهلُ الله وخاصَّتُه»** [وأحمد: ١٢٢٧٩ وإسناده حسن].

وأخرج مسلم [١٨٢٢] وغيره من حديث أبي هريرة: أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«أيُحِبُّ أحدُكُم إذا رجع إلى أهله أن يجد ثلاثَ خَلِفات عِظام سِمَانٍ»**؟ قلنا: نعم، قال: **«ثلاثُ آيات يقرأ بهنَّ أَحدُكم في صلاةٍ خيرٌ له من ثلاث خَلِفَات سمان»**(٢).

وأخرج مسلم [٢٠٠٥] من حديث جابر بن عبد الله: **«خير الحديث كتاب الله»**.

وأخرج أحمد [١٥٦١١] من حديث معاذ بن أنس: **«من قرأ القرآن في سبيل الله كتِب مع الصدِّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً»** [وإسناده ضعيف].

---

(١) في «فضائل القرآن» ص٨٢.

(٢) خَلِفات جمع خَلِفة، وهي: الحامل من النُّوق.

وأخرج الطبراني في «الأوسط» [٩٦] من حديث أبي هريرة: «ما من رجل يعلّم ولدَه القرآنَ إلّا توّج يوم القيامة بتاجٍ في الجنة» [إسناده ضعيف].

وأخرج أبو داود [١٤٥٣] وأحمد [١٥٦٤٥] والحاكم [(١/ ٥٠١)] من حديث معاذ بن أنس: «من قرأ القرآن فأكمله، وعمل به، أُلبِس والدُه تاجاً يوم القيامة، ضوؤُه أحسنُ مِن ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم، فما ظنكم بالذي عمل بهذا؟» [حسن لغيره].

وأخرج الترمذيّ [٢٩٠٥] وابن ماجه [٢١٦] وأحمد [١٢٦٨] من حديث عليّ: «مَنْ قرأَ القرآن فاستظهره، فأحلَّ حلاله وحرَّم حرامه، أَدخله الله الجنة، وشفعه في عشرة من أهل بيته، كلّهم قد وجبتْ لهم النار» [وإسناده ضعيف].

وأخرج الطَّبرانيّ [في «الكبير»: ٧٥٨٨] من حديث أبي أُمامة: «مَن تعلَّم آية من كتاب الله استقبلتْهُ يوم القيامة تضحكُ في وجهه» [رجاله ثقات].

وأخرج الشيخان وغيرهما من حديث عائشة: «الماهر بالقرآن مع السَّفَرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتَع فيه وهو عليه شاقّ له أجران» [البخاري: ٤٩٣٧، ومسلم: ١٨٦٢، وأحمد: ٢٤٢١١].

وأخرج الطبرانيّ في «الأوسط» [٦٦٠٢] من حديث جابر: «من جمع القرآن كانت له عند الله دعوة مستجابة، إن شاء عجَّلها في الدنيا، وإن شاء ادَّخرها في الآخرة».

وأخرج الشيخان من حديث أبي موسى: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأُتْرُجَّة، طعمها طيِّب وريحها طيِّب. ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التَّمرة طعمُها طيِّب، ولا رِيح لها. ومَثَلُ الفاجرِ الذي يقرأ القرآنَ كمثل الرَّيْحانة، رِيحها طيِّب وطعمُها مُرّ. ومَثَلُ الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحَنْظَلة، طَعمُها مرّ ولا رِيح لها» [البخاري: ٥٠٢٠، ومسلم: ١٨٦٠، وأحمد: ١٩٦١٤].

وأخرج الشيخان من حديث عثمان: «خيركم ـ وفي لفظ: إن أفضلكم ـ مَن تعلَّم القرآن وعلَّمه». [البخاري: ٥٠٢٧، وأحمد: ٤١٢].

زاد البيهقي في «الأسماء»: «وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»(١).

وأخرج الترمذيّ [٢٩١٣] والحاكم [(١/ ٥٥٤)] من حديث ابن عباس: «إنَّ الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب» [حسن صحيح].

وأخرج ابن ماجه [٢١٩] من حديث أبي ذَرّ: «لأنْ تَغْدُوَ فتتعلَّمَ آيةً من كتاب الله، خيرٌ لك من أن تصلِّيَ مئة ركعة» [ضعفه الألباني].

وأخرج الطَّبَراني [في «الكبير»: ١٢٤٣٧] من حديث ابن عباس: «من تعلَّم كتاب الله، ثم اتَّبع ما فيه: هداه الله به من الضلالة، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب».

---

(١) «الأسماء والصفات» للبيهقي ١/ ٣٧٢.

وأخرج ابن أَبي شَيْبة من حديث أَبي شُرَيح الخزاعيّ: «إن هذا القرآن سبب، طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسَّكوا به، فإنكم لن تضلُّوا، ولن تهلكوا بعده أبداً».

وأخرج الديلميّ من حديث عليّ: «حَملة القرآن في ظلِّ الله يوم لا ظِلَّ إلَّا ظلُّه».

وأخرج الحاكم [(١/ ٥٥٢)] من حديث أَبي هريرة: «يجيء صاحب القرآن يوم القيامة، فيقول القرآن: يا ربّ حَلِّه، فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب زِده، يا ربّ ارض عنه، فيرضى عنه، ويقال له: اقرهْ وارقهْ، ويزاد له بكل آية حسنة» [وهو صحيح].

وأخرج من حديث عبد الله بن عمر: «الصِّيام والقرآن يَشْفَعان للعبد».

وأخرج من حديث أبي ذرّ: «إنكم لا ترجعون إلى الله بشيء أفضلَ مما خرَج منه» يعني القرآن.

الفصل الثاني: فيما ورد في فضل سورٍ بعينها

ما ورد في الفاتحة:

أخرج الترمذي [٣١٢٥] والنسائيّ والحاكم [(٢/ ٢٥٨)] من حديث أُبيّ بن كعب مرفوعاً: «ما أَنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثلَ أُم القرآن، وهي السبعُ المثاني» [صحيح على شرط مسلم].

وأخرج أحمد [١٧٥٩٧] وغيره مِن حديث عبد الله بن جابر: «أَخْيَر سورة في القرآن ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾» [وإسناده حسن].

وللبيهقي في «الشعب» [٢٣٥٨] والحاكم [٢٠٥٦] من حديث أنس: «أفضل القرآن: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾».

وللبخاريّ [٥٠٠٦] من حديث أبي سعيد بن المعلَّى: «أعظم سورة في القرآن: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾» [وأحمد: ١٥٧٣٠].

وأخرج عبد الله في «مسنده» من حديث ابن عباس: «فاتحة الكتاب تَعْدِل ثلثَي القرآن»(١).

ما ورد في البقرة وآل عمران:

أخرج أبو عُبيد من حديث أنس: «إنَّ الشيطان يخرج من البيت إذا سمع سورة البقرة تُقرأُ فيه».

وفي الباب عن ابن مسعود وأبي هريرة وعبد الله بن مُغَفَّل.

وأخرج مسلم [١٨٧٦] والترمذيّ [٢٨٨٣] من حديث النَّواس بن سَمْعان: «يُؤْتَى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدُمُهم سورةُ البقرة وآل عمران». وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال، ما نسيتُهن بعدُ، قال: «كأنهما غمامتان أو غَيابتان أو ظُلَّتان سوداوان بينهما شرف، أو كأَنهما فِرْقان من طير صوافَّ يُحَاجَّانِ عن صاحبهما»(٢).

---

(١) رواه عبد بن حميد: ٦٧٨ ورمز له المصنف في «الجامع الصغير» بالضعف.

(٢) وفيهما: بينهما شَرْقٌ. قال ابن الأثير في «النهاية»: الشَّرْقُ ها هنا: الضوءُ، وهو الشمس. مادة شَرَقَ.

وأخرج أحمد [٢٢١٥٧] من حديث بُريدة: «**تعلَّموا سورة البقرة؛ فإن أخذها بركة، وتركَها حسرة، ولا تَستطيعها البطَلة. تعلَّموا سورة البقرة وآل عمران فإنَّهما الزهراوان تُظِلَّان صاحبهما يوم القيامة، كأنهما غمامتان، أو غيابتان، أو فِرْقان من طير صوافّ**» [وهو صحيح].

وأخرج ابن حبّان [٧٨٠] وغيره من حديث سَهْل بن سعد: «**إن لكل شيء سَناماً، وسنام القرآن سورة البقرة، من قرأها في بيته نهاراً لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام، ومن قرأها في بيته ليلاً لم يدخله الشيطانُ ثلاثَ ليالٍ**» [وإسناده ضعيف].

وأخرج البيهقي في «**الشُّعب**» [٢٥٨٤] من طريق الصلصال: «**من قرأ سورة البقرة تُوِّج بتاجٍ في الجنة**» [وفي «السنن» (٣/ ٢٠ ـ ٢١)].

وأخرج أبو عُبيد عن **عمر** بن الخطاب موقوفاً: «**من قرأ البقرة وآل عمران في ليلةٍ كُتب من القانتين**».

وأخرج البيهقيّ من مرسل مكحول: «من قرأ سورة البقرة وآل عمران يوم الجمعة صلَّت عليه الملائكة إلى الليل».

فصل: ما ورد في آية الكرسيّ:

أخرج مسلم [١٨٨٥]من حديث أُبيّ بن كعب: «**أعظم آية في كتاب الله آية الكرسيّ**».

وأخرج الترمذيّ [٢٨٧٨] والحاكم [(٢/ ٢٥٩)]من حديث أبي هريرة: «**إن لكل شيء سَناماً، وإن سَنامَ القرآن البقرةُ، وفيها آيةٌ هي سيدةُ آيِ القرآن؛ آيةُ الكرسي**»(١).

وأخرج الحارث بن أبي أُسامة عن الحسن مرسلاً: «أفضل القرآن سورة البقرة، وأعظم آية فيها آية الكرسيّ».

وأخرج ابن حبان والنّسائيّ [٩٩٢٨] من حديث أَبي أُمامةَ: «**من قرأ آية الكرسيّ دُبُرَ كلِّ صلاةٍ مكتوبةٍ لم يمنعه مِن دخول الجنة إلَّا أن يموت**».

وأخرج أحمد [١٣٣٠٩] من حديث أنس: «**آية الكرسيّ ربع القرآن**» [وإسناده ضعيف].

ما ورد في خواتيم البقرة:

أَخرج الأئمّة الستة، من حديث أَبي مَسْعُود: «**مَن قَرَأَ الآيتين من آخر سورةِ البقرة في ليلةٍ كَفَتاه**».

[البخاري: ٥٠٠٩، ومسلم: ١٨٧٨، وأبو داود: ١٣٩٧، والترمذي: ٢٨٨١، والنسائي: ٨٠٢١، وابن ماجه: ١٣٦٨، وأحمد: ١٧٠٩٦].

وأخرج الحاكم [(٢/ ٢٦٠)] من حديث النعمان بن بشير: «**إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات**

---

(١) قال الألباني: ضَعَّفه الترمذي، وأما الحاكم فقال: «صحيح الإسناد، والشيخان لم يخرجا عن حكيم لوهنٍ في رواياته، وإنما تركاه لغلوه في التشيع». فأقول: ليس كما قال وإن وافقه الذهبي في «تلخيصه»؛ فإن أقوال الأئمة فيه إنما تدل على أنهم تركوه لسوء حفظه، وليس لفساد مذهبه... وبالجملة **فالحديث ضعيف**. انظر الضعيفة (١٣٤٨).

والأرض بألفَيْ عام، وأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، ولا يُقرآن في دار فيَقْرَبها شيطان ثلاث ليال» [وهو صحيح].

ما ورد في آخر آل عمران:

أخرج البيهقيّ من حديث عثمان بن عفان: «من قرأ آخر آل عمران في ليلةٍ كتِب له قيامُ ليلةٍ».

ما ورد في الأنعام:

أخرج الدارميّ [٣٢٧٨] وغيره عن عمر بن الخطاب موقوفاً: «الأنعام من نواجب القرآن».

[وابن أبي شيبة (١٠/ ١٠٣٢٣) وإسناده صحيح].

ما ورد في السبع الطوال:

أخرج أحمد [٢٤٤٤٣] والحاكم [(١/ ٥٦٤)] من حديث عائشة: «مَن أخَذ السبعَ الطِّوال فهو خير»[(١)].

[وهو صحيح].

ما ورد في هود:

أخرج الطبرانيّ في «الأوسط» [٧٥٦٦] بسندٍ واهٍ من حديث عليّ: «لا يَحفظ منافقٌ سوراً: براءة، وهود، ويس، والدّخان، وعمّ يتساءلون».

ما ورد في آخر الإسراء:

أخرج أحمد [١٥٦٢٥] من حديث معاذ بن أنس: «آية العزِّ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ إلى آخر السورة» [وإسناده ضعيف].

ما ورد في الكهف:

أخرج الحاكم [(١/ ٥٦٤)] مِن حديث أبي سعيد: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين الجمعتين».

وأخرج مسلم [١٨٨٣] من حديث أبي الدَّرداء: «مَن حفظ عشر آيات من أوّل سورة الكهف عُصِم من فتنة الدّجال».

وأخرج أحمد [١٥٦٢٦] من حديث معاذ بن أنس: «من قرَأ أول سورة الكهف وآخرَها كانت له نوراً من قدمه إلى رأسه، ومَنْ قرأها كلَّها كانت له نوراً ما بين الأرض والسماء» [والطبراني في «الكبير» (٢٠/ (٤٤٣)) وإسناده ضعيف].

---

(١) ولفظه عندهما: «من أخذ السبعَ الأُوَلَ، فهو حَبْرٌ».

وأخرج البزّار [٢٩٧] من حديث عمر: «من قرأ في ليلة: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ . . .﴾ الآيةَ، كان له نور من عدن إلى مكة، حشوه الملائكة».

ما ورد في ألم السّجدة:

أخرج أبو عُبيد[1] من مرسل المسيَّب بن رافع: «تجيء ألم السجدة يوم القيامة لها جناحان تظلّ صاحبها، فتقول: لا سبيل عليك، لا سبيل عليك».

وأخرج عن ابن عمر موقوفاً قال: «في تنزيل السجدة وتبارك الملك فضلُ ستين درجة على غيرهما من سور القرآن».

ما ورد في يس:

أخرج أبو داود [٣١٢١] والنسائيّ [في «عمل اليوم...»: ١٠٧٥] وابن حِبّان [٧٢٠] وغيرهم من حديث معقِل بن يسار: «**يس قلب القرآن، لا يقرؤها رجلٌ يريد الله والدارَ الآخرة إلّا غُفر له؛ اقرؤوها على موتاكم**» [ضعفه الألباني].

وأخرج الترمذي [٢٨٨٧] والدارميّ من حديث أنس: «**إنَّ لكل شيء قلباً، وقلب القرآن يس، ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءةَ القرآن عَشْرَ مرات**». [قال الألباني: موضوع].

وأخرج الدارميّ [٣٢٩١] والطبرانيّ [في «الأوسط»: ٣٥٣٣]من حديث أبي هريرة: «**من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له**» [وفي «الصغير»: ٤١٧، وابن حبان: ٢٥٧٤ ورجاله ثقات].

وأخرج الطبرانيّ [في «الأوسط»: ٧٠١٨] من حديث أنس: «**من داوم على قراءة يس كلَّ ليلة ثم مات، مات شهيداً**» [وفي «الصغير»: ١٠١٢].

ما ورد في الحواميم:

أخرج أبو عبيد[2] عن ابن عباس موقوفاً: إن لكل شيء لُباباً، ولُبابُ القرآن الحواميم.

وأخرج الحاكم [(٢/ ٤٣٧)] عن ابن مسعود موقوفاً: الحواميم ديباج القرآن[3].

ما ورد في الدخان:

أخرج الترمذيّ [٢٨٨٨] وغيره من حديث أبي هُريرة: «**مَنْ قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفرُ له سبعون ألفَ مَلَك**». [قال الألباني: موضوع].

---

(١) في «فضائله» ص٢٥١. (٢) في «فضائله» ص٢٥٤.

(٣) صححه الشيخ الألباني موقوفاً على ابن مسعود، ورُوي مرفوعاً من حديث أنس كما أخرجه الديلمي ٢/ ١٠٦ وهو موضوع، وآفتُه عبد القدوس بن حبيب، وهو كذَّاب وضَّاع. وانظر الضعيفة للشيخ الألباني (٣٥٣٧).

ما ورد في المفصّل:

أخرج الدارميّ [٣٤٢٠] عن ابن مسعود موقوفاً: إنّ لكل شيء لُباباً، ولُباب القرآن المفصَّلُ.

الرحمن:

أخرج البيهقيّ [في «الشعب»: ٢٤٩٤] من حديث علي مرفوعاً: **«لكل شيء عروسٌ، وعَروسُ القرآن الرحمن»**.

المسبّحات:

أخرج أحمد [١٧١٦٠] وأبو داود [٥٠٥٧] والترمذيّ [٢٩٢١] والنسائيّ [١٠٥٤٩] عن عِرباض بن سارية: أنّ النبي ﷺ كان يقرأ المسبّحات كل ليلة قبل أن يَرقُد، ويقول: **«فيهن آية خير من ألف آية»** [إسناده ضعيف].

قال ابن كثير(١) في تفسير الآية المشار إليها قوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

وقد أخرج ابن السُّنِّي [في «عمل اليوم والليلة»: ٧٢٣] عن أنس: أن النبي ﷺ أوصى رجلاً إذا أتى مضجعه أن يقرأ سورة الحشر، وقال: **«إن مِتَّ متَّ شهيداً»**.

وأخرج الترمذي [٢٩٢٢] من حديث معقل بن يسار: **«من قرأ حين يصبح ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكَّل الله به سبعين ألف ملَك، يصلُّون عليه حتى يمسي، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً، ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة»** [قال الألباني: ضعيف].

وأخرج البيهقيّ [«شعب الإيمان»: ٢٥٠١] من حديث أبي أُمامةَ: **«من قرأ خواتيم الحشر في ليلٍ أو نهار، فمات في يومه أو ليلته، فقد أَوجب الله له الجنة»**.

تبارك:

أخرج الأربعة وابن حِبَّان [٧٨٧ و٧٨٨] والحاكم [(٢/ ٤٩٧)] من حديث أبي هُريرة: **«في القرآن سورة ثلاثون آية، شَفَعتْ لرجل حتى غفر له: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾»** [وأبو داود: ١٤٠٠، والترمذي: ٢٨٩١، والنسائي في «عمل اليوم...»: ٧١٠، وفي «الكبرى»: ١١٦١٢، وابن ماجه: ٣٧٨٦، وهو حسن لغيره].

وأخرج الترمذيّ [٢٨٩٠] من حديث ابن عباس: **«هي المانعة، هي المنجية، تنجّي من عذاب القبر»**(٢).

وأخرج الحاكم [(١/ ٥٦٥)] من حديثه: **«وددت أنها في قلب كلِّ مؤمن: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾»**. [وهو صحيح]

---

(١) ابن كثير ٦/ ٥٤٤ سورة الحديد: ٣ وتمام كلامه: وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ ...﴾ وهذه الآية هي المشار إليها في حديث عرباض بن سارية أنها أفضل من ألف آية.

(٢) قال الألباني: ضعيف وإنما يصح منه قوله: هي المانعة.

وأخرج النَّسائيّ[١١٦١٢] من حديث ابن مسعود: «**من قرأ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ كلَّ ليلة منعه الله بها من عذاب القبر**»[1].

الأعلى:

أخرج أبو عُبيد[2] عن أبي تميم قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنِّي نُسِّيت أفضل المسبّحات**». فقال أُبيّ بن كعب: لعلها: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾؟ قال: «**نعم**».

القيّمة:

أخرج أبو نُعَيم في «**الصحابة**» من حديث إسماعيل بن أبي حكيم المزنيّ الصحابيّ مرفوعاً: «**إن الله ليسمع قراءة: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾، فيقول: أَبشر عبدي، فوعزَّتي لأُمكنَنّ لك في الجنة حتى ترضَى**».

الزلزلة:

أخرج الترمذيّ[٢٨٩٤] من حديث أنس: «**مَنْ قرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ . . .﴾ عُدِلت له بنصف القرآن**».
[وهو صحيح].

العاديات:

أخرج أبو عُبيد[3] من مرسل الحسن: «﴿إِذَا زُلْزِلَتِ . . .﴾ تُعدَل بنصف القرآن، والعاديات تُعدَل بنصف القرآن».

ألهاكم:

أخرج الحاكم[(١/ ٥٦٦)] من حديث ابن عمر مرفوعاً: «**ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم**» قالوا: ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية؟ قال: «**أمَا يستطيع أحدُكم أن يقرأ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ . . .﴾**».
[وهو صحيح].

الكافرون:

أخرج الترمذيّ[٢٨٩٤] من حديث أنس: «﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ **رُبع القُرْآن**» [وهو صحيح].

وأخرج أبو عُبيد من حديث ابن عباس قال: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، **تُعْدَلُ بربع القرآن**».

وأخرج أحمد[٢٣٨٠٧] والحاكم[(١/ ٥٦٥)] من حديث نوفل بن معاوية: «**اقرأ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، ثُمَّ نَمْ على خاتمتها، فإنها براءة من الشرك**» [وهو حسن].

---

(١) حسَّنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٥٨٩).
(٢) في «فضائله» ص٢٥٩.
(٣) في «فضائله» ص٢٦٣.

وأخرج أبو يعلى من حديث ابن عباس: «**ألَا أَدُلُّكم على كلمة تنجيكم من الإشراك بالله؟ تقرؤون: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ عند منامكم**».

النصر:

أخرج الترمذي[٢٨٩٥]من حديث أنس: «**﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ ربع القرآن**» [وهو ضعيف].

الإخلاص:

أخرج مسلم[١٨٨٩] وغيره من حديث أبي هريرة: **﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ . . .﴾ تعدِل ثلث القرآن**».

وفي الباب عن جماعة من الصحابة.

وأخرج الطبرانيّ في «**الأوسط**» [٥٧٨١] من حديث عبد الله بن الشِّخِّير: «**ومَن قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ في مرضه الذي يموت فيه لم يُفتَن في قبره، وأَمِنَ من ضغطةِ القبر، وحَمَلتْهُ الملائكةُ يوم القيامة بأكُفِّها حتى تُجيزَهُ الصراطَ إلى الجنة**» [ضعيف جداً].

وأخرج الترمذيّ[٢٨٩٨] من حديث أنس: «**مَن قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ كلَّ يوم مئتي مرة مُحِيَ عنه ذنوب خمسين سنة، إلَّا أن يكون عليه ديْن، ومن أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه، ثم قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مئة مرة، فإذا كان يوم القيامة يقول له الرب: يا عبدي، ادخل عن يمينك الجنة**» [ضعفه الألباني في «الضعيفة»: ٣٠٠].

وأخرج الطبرانيّ [في «الكبير»: ٨٥٢] من حديث ابن الديلميّ: «**من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مئة مرة في الصلاة أو غيرها، كتب الله له براءة من النار**».

وأخرج في «**الأوسط**» [٢٨٣] من حديث أبي هريرة: «**من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات بُنِيَ له قصرٌ في الجنة، ومن قرأها عشرين مرة بُنِيَ له قصران، ومن قرأها ثلاثين مرة بني له ثلاثة**».

وأخرج في «**الصغير**» [١٦٦] من حديثه: «**من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾** بعد صلاة الصبح اثنتي عشرة مرة، **فكأنّما قرأ القرآن أربع مرات، وكان أفضل أهل الأرض يومئذ إذا اتقى**».

المعوذتان:

أخرج أحمد[١٧٢٩٦ و١٧٢٩٧] من حديث عقبة: أنَّ النبي ﷺ قال له: «**ألا أُعلِّمُكَ سوراً ما أنزل في التوراة ولا في الزبور ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها؟**». قلت: بلى، قال: «**﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾**» [إسنادهما صحيح].

وأخرج أيضاً من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ قال له: «**ألا أُخبرك بأفضل ما تعوّذ به المتعوّذون؟**» قال: بلى، قال: «**﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾**» [أحمد: ١٥٤٤٨ وفي إسناده ضعفٌ].

وأخرج أبو داود [٥٠٨٢] والترمذيّ [٣٥٧٥] عن عبد الله بن خُبَيب قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح، ثلاثَ مرات، تكفك من كل شيء**» [وهو حسن صحيح].

وأخرج ابن السُّنِّيّ [في «عمل اليوم والليلة»: ٣٧٧] من حديث عائشة: «**مَنْ قرأ بعد صلاة الجمعة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ سبع مرات، أعاذه الله من السوء إلى الجمعة الأخرى**».

وبقيتْ أحاديث من هذا الفصل أخَّرتُها إلى نوع الخواصّ.

فصل: أما الحديث الطويل في فضائل القرآن سورةً سورةً، فإنه موضوع، كما أخرج الحاكم في «**المدخل**» بسنده إلى أبي عمّار المروزيّ: أنه قيل لأبي عِصْمَة الجامع[1]: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة، وليس عند أصحاب عكرمة هذا؟ فقال: إني رأيت الناس قد أعرضُوا عن القرآن، واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي ابن إسحاق؛ فوضَعتُ هذا الحديث حسبَةً!

وروَى ابن حِبّان في مقدمة «**تاريخ الضعفاء**»[2] عن ابن مهديّ قال: قلت لميسرةَ بن عبد ربه: من أين جئتَ بهذه الأحاديثِ، من قرأ كذا فله كذا؟ قال: وضعتُها أرغِّبُ الناسَ فيها.

وروَينا عن المؤمَّل بن إسماعيل قال: حدثني شيخ بحديث أُبَيّ بن كعبٍ في فضائل سور القرآن سورةً سورة، فقال: حدثني رجلٌ بالمدائن، وهو حيّ، فصِرْتُ إليه، فقلت له: مَن حدّثك؟ قال: حدثني شيخ بواسط وهو حيّ، فصرت إليه، فقلت له: مَن حدثك؟ قال: حدثني شيخ بالبصرة، فصرت إليه، فقلت له: مَن حدثك؟ قال: حدثني شيخٌ بعبادان، فصرت إليه، فأَخذ بيدي فأَدخلني بيتاً، فإذا فيه قومٌ من المتصوفة، ومعهم شيخٌ، فقال: هذا الشيخ حدثني، فقلت: يا شيخ مَن حدَّثك؟ فقال: لم يحدثني أحدٌ، ولكننا رأينا الناسَ قد رَغِبوا عن القرآن، فوضعْنا لهم هذا الحديثَ ليصرفوا قلوبهم إلى القرآن.

قال ابن الصلاح: ولقد أَخْطأَ الواحديّ المفسِّرُ ومن ذكره من المفسّرين في إيداعِه تفاسيرَهم.

---

(١) أبو عصمة: نوح بن أبي مريم المرْوَزي، قال الحاكم: وضع أبو عصمة حديثَ فضائل القرآن الطويلَ. انظر ترجمته بإسهاب في «ميزان الاعتدال» ٤/ ٢٧٩، وانظر «شرح شرح النخبة» ٤٤٨، و«فتح المغيث» للسخاوي ١/ ٣٠٣، و«قواعد التحديث» للشيخ القاسمي ص٢٥٩ ـ ٢٦٠ بتحقيقنا.

(٢) «كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين» ١/ ٦٤.

النوع الثالث والسبعون

في أفضل القرآن وفاضِله

اختلف الناس: هل في القرآن شيء أفضل من شيء؟

فذهب الإمام أبو الحسن الأشعريّ والقاضي أبو بكر الباقلانيّ وابن حِبَّان إلى المنع؛ لأن الجميع كلام الله؛ ولئلا يُوهم التفضيلُ نقصَ المفضَّل عليه. ورُوي هذا القول عن مالك. قال يحيى بنُ يحيى: تفضيل بعض القرآن على بعض خطأ؛ ولذلك كره مالك أن تعاد سورةٌ أو تُردَّدَ دون غيرِها.

وقال ابن حبّان في حديث أُبَيّ بن كعب: «**ما أَنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أُمّ القرآن**»: إن الله لا يعطي لقارئ التوراة والإنجيل من الثواب مثلَ ما يعطِي لقارئ أُم القرآن، إذ الله سبحانه وتعالى بفضله فضَّل هذه الأُمة على غيرها من الأمم، وأعطاها من الفضل على قراءة كلامه أكثرَ مما أعطى غيرَها من الفضل على قراءة كلامه، قال: وقوله: «أعظم سورة» أراد به الأجر؛ لا أن بعض القرآن أَفضل من بعض.

وذهب آخرون إلى التفضيل لظواهر الأحاديث، منهم: إسحاق بن راهويه، وأبو بكر بن العربيّ، والغزالي.

وقال القرطبي: إنَّه الحقّ، ونقَله عن جماعة من العلماء والمتكلمين.

وقال الغزالي في «**جواهر القرآن**»(١): لعلك أن تقول: قد أَشرتَ إلى تفضيل بعض آيات القرآن على بعض، والكلام كلام الله، فكيف يفارق بعضُها بعضاً؟ وكيف يكون بعضُها أشرفَ من بعض؟ فاعلم أن نور البصيرة إن كان لا يرشدك إلى الفرق بين آية الكرسيّ وآية المداينات، وبين سورة الإخلاص وسورة تبّت، وترتاع على اعتقاد الفرق نفسُك الخوّارةُ المستغرقةُ بالتقليد، فَقَلِّدْ صاحبَ الرسالة ﷺ، فهو الذي أُنزل عليه القرآنُ وقال: «**يس قلب القرآن**» و«**فاتحة الكتاب أفضلُ سُور القرآن**» و«**وآية الكرسي سيدة آي القرآن**» و«**قل هو الله أحد تعدِل ثلث القرآن**» والأخبار الواردة في فضائل القرآن، وتخصيص بعض السور والآيات بالفضل، وكثرة الثواب في تلاوتها لا تُحصى. انتهى.

وقال ابن الحَصّار: العجب ممن يَذكر الاختلاف في ذلك، مع النصوص الواردة بالتفضيل!.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: كلام الله في الله أفضلُ من كلامه في غيره، فـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أفضل من ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾.

وقال الخُوَيي: كلام الله أَبلغُ من كلام المخلوقين. وهل يجوز أن يقال: بعض كلامه أبلغ من

---

(١) «جواهر القرآن» للغزالي ص١٥.

بعض الكلام؟ جوّزه قومٌ لقصور نظرهم. وينبغي أن تعلم أن معنى قول القائل: هذا الكلام أبلغ من هذا، أنَّ هذا في موضعه له حسنٌ ولطف، وذاك في موضعه له حسن ولطف، وهذا الحُسن في موضعه أكملُ من ذاك في موضعه.

قال: فإن مَن قال: إن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أبلغُ من ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ جعَل المقابلة بين ذكر الله وذكر أبي لهب، وبين التوحيد والدعاء على الكافر؛ وذلك غير صحيح، بل ينبغي أن يقال: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ دعاء عليه بالخُسران، فهل توجد عبارة للدعاء بالخسران أحسن من هذا؟ وكذلك في ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ لا توجد عبارةٌ تدلُّ على الوحدانية أبلغ منها؛ فالعالم إذا نظر إلى ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ في باب الدعاء بالخسران، ونظر إلى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ في باب التوحيد، لا يمكنه أن يقول: أحدهما أبلغ من الآخر. انتهى.

وقال غيره: اختلف القائلون بالتفضيل، فقال بعضهم: الفضل راجع إلى عِظَم الأجر ومضاعفة الثواب؛ بحسب انفعالات النفس وخشيتها وتدبّرها وتفكُّرها عند وُرود أوصاف العُلَا.

وقيل: بل يرجع لذات اللفظ، وأن ما تضمّنه قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ . . .﴾ الآية [البقرة: ١٦٣] وآية الكرسيّ، وآخر سورة الحشر، وسورة الإخلاص من الدّلالات على وحدانيته وصفاته ليس موجوداً مثلاً في ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ وما كان مثلها، فالتفضيلُ إنما هو بالمعاني العجيبة وكثرتها.

وقال الحَليميّ، ونقله عنه البيهقيّ: معنى التفضيل يرجع إلى أشياء:

أحدها: أن يكون العمل بآيةٍ أولى من العمل بأخرى، وأَعْوَد على الناس(١)، وعلى هذا يقال: آيات الأمر والنهي والوعد والوعيد خيرٌ من آيات القصص، لأنَّها إنما أريد بها تأكيد الأمر والنهي والإنذار والتبشير، ولا غنىً بالناس عن هذه الأمور، وقد يستغنون عن القصص، فكان ما هو أعود عليهم وأنفع لهم، ممّا يجري مجرى الأصول، خيراً لهم ممّا يُجعَل تبعاً لما لا بُد منه.

الثاني: أن يقال: الآيات التي تشتمل على تعديد أسماء الله تعالى وبيان صفاته والدلالة على عظمته أفضل، بمعنى أن مخبَراتها أسنى وأجلُّ قدراً.

الثالث: أن يقال: سورة خير من سورة، أو: آية خير من آية، بمعنى أنَّ القارئ يتعجّل له بقراءتها فائدة سوى الثواب الآجل، ويتأدّى منه بتلاوتها عبادة، كقراءة آية الكرسيّ والإخلاص والمعوذتين؛ فإن قارئها يتعجّل بقراءتها الاحتراز مما يخشى، والاعتصام بالله، ويتأدّى بتلاوتها عبادةٌ لله، لما فيها من ذكره سبحانه وتعالى بالصّفات العلا على سبيل الاعتقاد لها، وسكون النفس إلى فضل ذلك الذكر وبركته؛ فأما آيات الحُكْم: فلا يقع بنفس تلاوتها إقامة حكم، وإنما يقع بها علمٌ.

ثم لو قيل في الجملة: إن القرآن خيرٌ من التوراة والإنجيل والزَّبور، بمعنى أن التعبُّد بالتلاوة والعمل واقع به دونها، والثواب بحسب قراءته لا بقراءتها. أو أنه من حيث الإعجازُ حجة النبي

(١) أي: أكثر نفعاً لهم وعوداً عليهم بخيري الدنيا والآخرة.

المبعوث، وتلك الكتب لم تكن معجزة، ولا كانت حُججَ أولئك الأنبياء، بل كانت دعوتهم والحجج غيرها، لكان ذلك أيضاً نظير ما مضى.

وقد يقال: إن سورة أفضل من سورة؛ لأن الله جعل قراءتها كقراءة أضعافها مما سواها، وأوجب بها من الثواب ما لم يوجب بغيرها، وإن كان المعنى الذي لأجله بلغ بها هذا المقدار لا يظهر لنا، كما يقال: إن يوماً أفضل من يوم، وشهراً أفضل من شهر، بمعنى: العبادةُ فيه تفضُل على العبادة في غيره. والذنب فيه أعظم منه في غيره، وكما يقال: إن الحرَم أفضل من الحلِّ؛ لأنه يتأدَّى فيه من المناسك ما لا يتأدَّى في غيره. والصلاة فيه تكون كصلاة مضاعفة مما تقام في غيره. انتهى كلام الحليميّ.

وقال ابن التِّين في حديث البخاريّ: «**لأُعلِّمنك سورة هي أعظم السور**»[1] [البخاري: ٥٠٠٦، وأحمد: ١٥٧٣٠] معناه: أنَّ ثوابها أعظم من غيرها.

وقال غيره: إنما كانت أعظم السُّوَر؛ لأنها جمعت جميع مقاصد القرآن، ولذلك سمِّيت: أُم القرآن.

وقال الحسن البصريّ: إن الله أودع علومَ الكتب السابقة في القرآن، ثم أودع علوم القرآن الفاتحة، فمن عَلِم تفسيرَها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزَّلة. أخرجه البيهقيّ.

وبيان اشتمالها على علوم القرآن قرره الزمخشريّ، باشتمالها على: الثناء على الله تعالى بما هو أهلُه، وعلى التعبُّد بالأمر والنهي، وعلى الوعد والوعيد؛ وآياتُ القرآن لا تخلو عن أحد هذه الأمور.

وقال الإمام فخر الدين: المقصود من القرآن كله تقرير أمور أربعة: الإلهيات، والمعاد، والنبوّات، وإثبات القضاء والقدَر لله تعالى. فقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ يدلُّ على الإلهيات، وقوله: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ يدُلُّ على المعاد، وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يدلُّ على نفي الجبر، وعلى إثبات أن الكلّ بقضاء الله وقدَره، وقوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخر السورة يدل على إثبات قضاء الله، وعلى النبوّات. فلمّا كان المقصد الأعظم من القرآن هذه المطالب الأربعة، وهذه السورة مشتملة عليها، سمّيت: أُم القرآن.

وقال البيضاويّ: هي مشتملة على الحِكَم النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم، والاطلاع على مراتب السعداء، ومنازل الأشقياء.

وقال الطِّيبيّ: هي مشتملة على أربعةِ أنواعٍ من العلوم التي هي مناط الدين:

أحدها: علم الأصول، ومعاقدُهُ معرفة الله تعالى وصفاته، وإليها الإشارة بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ومعرفة النبوة، وهي المرادة بقوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، ومعرفة المعاد، وهو المومى إليه بقوله: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

وثانيها: علم الفروع، وأُسُّه العبادات، وهو المراد بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

---

(١) والسورة التي علمه إياها هي سورة الفاتحة.

وثالثها: علم ما يحصل به الكمال وهو علم الأخلاق، وأجلُّه الوصول إلى الحضرة الصمدانية، والالتجاء إلى جناب الفردانية والسلوك لطريقه، والاستقامة فيها، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

ورابعها: علم القَصَص والأخبار عن الأُمم السالفة، والقرون الخالية، السعداء منهم والأشقياء، وما يتَّصل بها من وعد محسنهم ووعيد مسيئهم. وهو المراد بقوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

وقال الغزاليّ: مقاصد القرآن ستة: ثلاثة مهمَّة، وثلاثة متمَّة:

الأولى: تعريف المدعو إليه كما أُشيرَ إليه بصدرها، وتعريف الصراط المستقيم، وقد صُرِّح به فيها، وتعريف الحال عند الرُّجوع إليه تعالى وهو الآخرة، كما أشير إليه بـ ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

والأُخرى: تعريف أحوال المطيعين، كما أشيرَ إليه بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. وحكاية أقوال الجاحدين، وقد أُشير إليها بـ ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾. وتعريف منازل الطريق، كما أُشيرَ إليه بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. انتهى.

ولا ينافي هذا وصفُها في الحديث الآخر بكونها: «**ثلثي القرآن**» لأن بعضهم وجَّهه بأن دلالات القرآن الكريم: إما أن تكون بالمطابقة أو بالتضمُّن أو بالالتزام، وهذه السورة تدلُّ على جميع مقاصد القرآن بالتضمُّن والالتزام دون المطابقة، والاثنان من الثلاثة ثلثان، ذكره الزركشيّ في شرح «**التنبيه**» وناصر الدين بن المَيْلق[(١)]، قال: وأيضاً الحقوق ثلاثة: حق الله على عباده، وحقّ العباد على الله، وحقّ بعضِ العباد على بعض. وقد اشتملت الفاتحةُ صريحاً على الحقَّين الأولين، فناسب كونُها بصريحها ثلثين، وحديث: «**قسمتُ الصلاةَ بيني وبين عبدي نصفين**» [مسلم: ٨٧٨، وأحمد: ٩٩٣٢، والبخاري في «القراءة خلف الإمام»: ٧٢، وأبو داود: ٨٢١، وابن حبان: ١٧٨٤] **شاهدٌ لذلك**.

قلت: ولا تَنافِيَ أيضاً بين كونِ الفاتحة أَعظمَ السُّور، وبين الحديث الآخر: أن البقرة أعظمُ السور؛ لأن المراد به ما عدا الفاتحة من السُّور التي فُصِّلت فيها الأحكامُ وضُربت الأمثال، وأُقيمت الحُجَج؛ إذ لم تشتمل سورةٌ على ما اشتملَتْ عليه، ولذلك سُمِّيت «**فسطاط القرآن**» [الدارمي: ٣٢٥٠].

قال ابن العربيّ في «**أحكامه**»[(٢)]: سمعت بعض أشياخي يقول: فيها ألف أمر، وألف نهي، وألف حُكْم، وألف خبر؛ ولعظيم فقهها أقام ابنُ عمر ثماني سنين على تَعَلُّمها. أخرجه مالك في «**الموطأ**». [كتاب القرآن (١/ ١٥٧)].

وقال ابن العربيّ أيضاً: إنما صارت آية الكرسيّ أعظمَ الآيات لعظم مقتضاها، فإنَّ الشيء إنما يشرف بشرف ذاته ومقتضاه وتعلقاته، وهي في آي القرآن كسورة الإخلاص في سُوَرِه، إلَّا أنَّ سورة الإخلاص تفضُلها بوجهين:

---

(١) ابن المَيْلَق: محمد بن عبد الدائم المعروف بابن بنت المَيْلق، ويقال اختصاراً: ابن الميلق، قاضٍ، مصري، شافعي، شاذلي واعظ بليغ (ت: ٧٩٧ هـ). «الدرر الكامنة» ٣/ ٤٩٤.

(٢) «أحكام القرآن» ١/ ٨ أول سورة البقرة.

أحدهما: أنها سورة؛ وهذه آية، والسورة أعظم؛ لأنَّه وقع التحدِّي بها، فهي أفضل من الآية التي لم يُتَحَدَّ بها.

والثاني: أنَّ سورة الإخلاص اقتضت التوحيد في خمسة عشر حرفاً، وآية الكرسيّ اقتضت التوحيد في خمسين حرفاً، فظهرت القُدْرة في الإعجاز بوضع معنىً معبَّر عنه بخمسين حرفاً، ثم يعبَّر عنه بخمسة عشر، وذلك بيانٌ لعظيم القدرة والانفراد بالوحدانية.

وقال ابن المُنيِّر: اشتملت آيةُ الكرسي على ما لم تشتمل عليه آيةٌ من أسماء الله تعالى؛ وذلك أنها مشتملة على سبعة عشر موضعاً، فيها اسم الله تعالى ظاهراً في بعضها ومستكناً في بعض، وهي: الله، هو، الحيُّ، القيوم، ضمير: لا تأخذه، و: له، و: عنده، و: بإذنه، و: يعلم، و: علمه، و: شاء، و: كرسيه، و: يؤوده. ضمير: حفظهما، المستتر الَّذي هو فاعل المصدر، و: هو، العليّ، العظيم. وإن عدّدت الضمائر المتحمّلة في: الحيّ، القيوم، العليّ، العظيم. والضمير المقدّر قبل: الحيّ - على أحد الأعاريب - صارت اثنين وعشرين.

وقال الغزاليّ[1]: إنَّما كانت آية الكرسيّ سيِّدة الآيات؛ لأنها اشتملت على ذات الله وصفاته وأفعاله فقط؛ ليس فيها غير ذلك، ومعرفة ذلك هي المقصد الأقصى في العلوم، وما عداه تابع له، والسيِّد اسم للمتبوع المقدم، فقوله: ﴿الله﴾ إشارة إلى الذات، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إشارة إلى توحيد الذات. ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ إشارة إلى صفة الذات وجلاله، فإنَّ معنى ﴿ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ الذي يقوم بنفسه، ويقوم به غيره، وذلك غاية الجلال والعظمة. ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ تنزيه وتقديس له عمَّا يستحيل عليه من أوصاف الحوادث، والتقديسُ عمَّا يستحيل أحد أقسام المعرفة. ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ إشارة إلى الأفعال كلها، وأنَّ جميعها منه وإليه. ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ إشارة إلى انفراده بالمُلْك والحكم والأمر، وأنَّ من يملك الشفاعة إنما يملكها بتشريفه إيَّاه والإذن فيها، وهذا نفي الشركة عنه في الحكم والأمر. ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ إلى قوله: ﴿شَآءَ﴾ إشارة إلى صفة العلم، وتفضيل بعض المعلومات، والانفراد بالعلم، حتى لا علم لغيره إلَّا ما أعطاه ووهبه، على قدر مشيئته وإرادته. ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾ إشارة إلى عظمة ملكه وكمال قدرته. ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾ إشارة إلى صفة القدرة وكمالها، وتنزيهها عن الضَّعف والنقصان. ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ إشارة إلى أصلين عظيمين في الصفات.

فإذا تأملت هذه المعاني، ثم تلوتَ جميعَ آي القرآن، لم تجد جملتها مجموعة في آية واحدة، فإنَّ ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٨] ليس فيها إلَّا التوحيد، وسورة الإخلاص ليس فيها إلَّا التوحيد والتقديس، و: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ [آل عمران: ٢٦] ليس فيها إلَّا الأفعال، والفاتحة فيها الثلاثة؛ لكن غير مشروحة بل مرموزة، والثلاثة مجموعة مشروحة في آية الكرسيّ.

---

(١) في «جواهر القرآن» ص٢٠.

والذي يقرب منها في جمعها آخر الحشر وأول الحديد؛ ولكنها آيات لا آية واحدة، فإذا قابلتَ آية الكرسي بإحدى تلك الآيات وجدتَها أَجْمع للمقاصد، فلذلك استحقَّت السيادة على الآي؛ كيف وفيها ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ وهو الاسم الأعظم كما ورد به الخبر[١]! انتهى كلام الغزالي!.

ثم قال: إنَّما قال ﷺ في الفاتحة «أفضل» وفي آية الكرسي «سيدة» لسرٍّ، وهو: أن الجامع بين فنون الفصل وأنواعها الكثيرة يسمَّى أفضل؛ فإن الفضل هو الزيادة، والأفضل هو الأزيد، وأما السُّؤدد فهو رسوخ معنى الشرف الذي يقتضي الاستتباع ويأبى التبعيَّة، والفاتحة تتضمَّن التنبيه على معانٍ كثيرةٍ ومعارفَ مختلفةٍ؛ فكانت أفضلَ، وآية الكرسي: تشتمل على المعرفة العظمى؛ التي هي المقصودة المتبوعة، التي يتبعها سائر المعارف، فكان اسم السيد بها أَليق. انتهى.

ثم قال في حديث: «**قلب القرآن يس**»: إنَّ ذلك لأن الإيمان صحته بالاعتراف بالحشر والنَّشر، وهو مقرَّر في هذه السورة بأبلغ وجه، فجعلت قلب القرآن لذلك، واستحسنه الإمام فخر الدين.

وقال النسفيّ: يمكن أن يقال: إن هذه السورة ليس فيها إلَّا تقرير الأصول الثلاثة: الوحدانيَّة، والرسالة، والحشر؛ وهو القدر الذي يتعلق بالقلب والجنان. وأمَّا الذي باللسان وبالأركان ففي غير هذه السورة؛ فلمَّا كان فيها أعمال القلب لا غير سمَّاها قلباً، ولهذا أمر بقراءتها عند المحتضر؛ لأن في ذلك الوقت يكون اللسان ضعيف القوة والأعضاء ساقطة، لكن القلب قد أقبل على الله تعالى، ورجع عمَّا سواه، فيقرأ عنده ما يزداد به قوةً في قلبه، ويشتد تصديقه بالأصول الثلاثة. انتهى.

واختلف النَّاس في معنى كون سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن:

فقيل: كأنَّه ﷺ سمع شخصاً يكرِّرها تكرار من يقرأ ثلث القرآن، فخرج الجواب على هذا. وفيه بُعْد عن ظاهر الحديث، وسائر طرق الحديث تردّه.

وقيل: لأن القرآن يشتمل على قصص وشرائع وصفات، وسورةُ الإخلاص كلّها صفات، فكانت ثلثاً بهذا الاعتبار.

وقال الغزاليّ في «**الجواهر**»[٢]: معارف القرآن المهمَّة ثلاثة: معرفة التوحيد، والصِّراط المستقيم، والآخرة، وهي مشتملة على الأوَّل؛ فكانت ثلثاً.

وقال أيضاً فيما نقله عنه الرازيّ: القرآن مشتمل على البراهين القاطعة على وجود الله تعالى ووحدانيته وصفاته: إمَّا صفات الحقيقة، وإما صفات الفعل، وإما صفات الحكم، فهذه ثلاثة أمور، وهذه السُّورة تشتمل على صفات الحقيقة، فهي ثلث.

---

(١) عن أسماء بنت يزيد قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول في هاتين الآيتين: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] و﴿الٓمٓ ١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ١ و٢]: «إن فيهما اسمَ الله الأعظم». أخرجه أحمد (٢٧٦١١)، وأبو داود (١٤٩٦)، والترمذي (٣٤٧٨)، وابن ماجه (٣٨٥٥) وهو حديث حسن كما قال الألباني.

(٢) «جواهر القرآن» ص٢٧.

وقال الخُويّ: المطالب التي في القرآن معظمها الأصول الثلاثة، التي بها يصحُّ الإسلام، ويحصل الإيمان، وهي: معرفة الله، والاعتراف بصدق رسوله، واعتقاد القيام بين يدي الله تعالى. فإن مَن عرف أنَّ الله واحدٌ، وأن النبيّ صادقٌ، وأنَّ الدين واقعٌ، صار مؤمناً حقًّا، ومَن أنكر شيئاً منها كفر قطعاً. وهذه السورة تفيد الأصل الأوَّل، فهي ثلث القرآن من هذا الوجه.

وقال غيره: القرآن قسمان: خبر وإنشاء، والخبر قسمان: خبر عن الخالق وخبر عن المخلوق؛ فهذه ثلاثة أثلاث، وسورة الإخلاص أخْلصت الخبر عن الخالق، فهي بهذا الاعتبار ثلث، وقيل: تعدل في الثواب، وهو الذي يشهد له ظاهر الحديث والأحاديث الواردة في سورة الزلزلة والنَّصر والكافرين، لكن ضعَّف ابن عَقيل ذلك، وقال: لا يجوز أن يكون المعنى: فله أجر ثلث القرآن، لقوله: «**ومن قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات**» [الدارمي: ٣١٩٠].

قال ابن عبد البرّ: السُّكوت في هذه المسألة أفضلُ من الكلام فيها وأسلَمُ: ثم أسند إلى إسحاق بن منصور: قلت لأحمد ابن حنبل: قوله ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن» ما وجهه؟ فلم يقل لي فيها على أمر. وقال لي إسحاق بن راهويه: معناه أنَّ الله لمَّا فضَّل كلامه على سائر الكلام، جعل لبعضه أيضاً فضلاً في الثواب لمن قرأه، تحريضاً على تعليمه، لا أن مَن قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثلاث مرات كان كمن قرأ القرآن جميعَه؛ هذا لا يستقيم ولو قرأها مئتي مرة. قال ابن عبد البرّ: فهذان إمامان بالسنة ما قاما ولا قعدا في هذه المسألة.

وقال ابن المَيْلق في حديث: «**إن الزلزلة نصف القرآن**»: لأن أحكام القرآن تنقسم إلى أحكام الدنيا وأحكام الآخرة، وهذه السورة تشتمل على أحكام الآخرة كلِّها إجمالاً، وزادت على القارعة بإخراج الأثقال وتحديث الأخبار. وأما تسميتها في الحديث الآخر ربعاً، فلأن الإيمان بالبعث ربع الإيمان، في الحديث الذي رواه الترمذي [٢١٤٤]: «**لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلَّا الله وأنّي رسول الله بعثني بالحقّ، ويؤمن بالموت، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقَدر**». فاقتضى هذا الحديث أن الإيمان بالبعث الذي قرَّرته هذه السورة ربع الإيمان الكامل الذي دعا إليه القرآن.

وقال أيضاً في سرّ كون ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾ تعدِل ألف آية: إنَّ القرآن ستة آلاف آية، ومئتا آية وكسر، فإذا تركنا الكسر كان الألف سدس القرآن، وهذه السورة تشتمل على سدس مقاصد القرآن، فإنها ـ فيما ذكره الغزاليّ ـ ستة: ثلاث مهمَّة وثلاث متمَّة ـ وتقدمت ـ وأحدها معرفة الآخرة المشتمل عليه السورة، والتعبير عن هذا المعنى بألف آية أفخم وأجلّ وأضخم من التعبير بالسدس.

وقال أيضاً في سرّ كون سورة الكافرين ربعاً وسورة الإخلاص ثلثاً، مع أن كلًّا منهما يسمَّى الإخلاص: إن سورة الإخلاص اشتملت من صفات الله على ما لم تشتمل عليه (الكافرون). وأيضاً: فالتوحيد إثبات إلهية المعبود وتقديسه ونفي إلهية ما سواه، وقد صرَّحت الإخلاصُ بالإثبات والتقديس، ولوحت إلى نفي عبادة غيره. والكافرون صرحتْ بالنفي ولوحت بالإثبات والتقديس؛ فكان بين الرتبتين من التصريحين والتلويحين ما بين الثلث والربع. انتهى.

تذنيب: ذكر كثيرون في أثر: «**أن الله جمع علوم الأوَّلين والآخرين في الكتب الأربعة، وعلومها في القرآن، وعلومه في الفاتحة**» فزادوا: وعلوم الفاتحة في البسملة، وعلوم البسملة في بائها.

ووُجِّه: بأن المقصود من كل العلوم وصول العبد إلى الربّ، وهذه الباء باء الإلصاق؛ فهي تلصق العبد بجناب الربّ، وذلك كمال المقصود. ذكره الإمام الرازيّ وابن النَّقِيب في «**تفسيرهما**».

النوع الرابع والسبعون

في مُفرَدات القُرآن[1]

أخرج السِّلَفي في المختار من «الطيوريات» عن الشعبيّ قال: لَقِي عمرُ بن الخطاب ركباً في سفَرٍ، فيهم ابنُ مسعود، فأمر رجلاً يناديهم: من أينَ القوم؟ قالوا: أقبلنا من الفجّ العميق، نريد البيت العتيق. فقال عمر: إن فيهم لعالماً. وأمر رجلاً أن يناديهم: أيّ القرآن أعظم؟ فأجابه عبد الله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. قال: نادِهم: أيُّ القرآن أحكمُ؟ فقال ابن مسعود: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠]. قال: نادِهم: أيّ القرآن أجمَعُ؟ فقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]. فقال: نادهم: أيُّ القرآن أحزنُ؟ فقال: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]. فقال: نادِهم. أي القرآن أرجى؟ فقال: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية [الزمر: ٥٣]، فقال: أفيكم ابنُ مسعود؟ قالوا: نعم. أخرجه عبد الرزاق في تفسيره بنحوه.

وأخرج عبدُ الرزّاق أيضاً [في «مصنفه»: ٦٠٠٢]عن ابن مسعود قال: أعدلُ آيةٍ في القرآن: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]. وأحكمُ آية: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ إلى آخرها.

وأخرج الحاكمُ [(٢/٣٥٦)]عنه قال: إنَّ أجمع آية في القرآن للخير والشر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠] [وهو صحيح].

وأخرج الطبراني[2] [في «الكبير»: ٨٦٥٦] عنه قال: ما في القرآن آيةٌ أعظم فرحاً من آية في سورة الغُرَف: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية [الزمر: ٥٣]. وما في القرآن آيةٌ أكثر تفويضاً من آية في سورة النساء القُصْرى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ الآية [الطلاق: ٣].

وأخرج أبو ذرّ الهَرويّ في «فضائل القرآن» من طريق يحيى بن يعمُر، عن ابن عمر عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أعظم آية في القرآن: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ . . .﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وأعدلَ آية في القرآن: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ . . .﴾ [النحل: ٩٠]. إلى آخرها. وأخوف آية في القرآن: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]. وأرجى آية في القرآن: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ . . .﴾ [الزمر: ٥٣]. إلى آخرها».

وقد اختُلف في أرجى آية في القرآن على بضعة عشر قولاً:

---

(١) أي: مزايا تنفرد بها بعض آيات القرآن.

(٢) قال الهيثمي في «المجمع» (٧/١٢٦): ورجاله رجال الصحيح غير عاصم بن بهدلة وهو ثقة، وفيه ضعف.

أحدها: آية الزمر.

والثاني: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠]. أخرجه الحاكم في «**المستدرك**» [(١/ ٦٠) وهو ضعيف]، وأبو عبيد عن صَفْوَان بن سُلَيم، قالا: التقى ابنُ عباس وابن عمرو، فقال ابن عباس: أي آية في كتاب الله أرجى؟ فقال عبد الله بن عمرو: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ . . .﴾ الآية [الزمر: ٥٣]. فقال ابن عباس: لكن قولُ الله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠]. قال: فرضيَ منه بقوله: ﴿بَلَىٰ﴾. قال: فهذا لما يعترض في الصَّدر مما يوسوس به الشيطان.

الثالث: ما أخرجه أبو نُعيم في «**الحلية**» [(١/ ٧٠)] عن علي بن أبي طالب أنه قال: إنّكم يا معشرَ أهل العراق تقولون: أرجى آية في القرآن: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟﴾ الآية [الزمر: ٥٣]. لكنَّا أهلَ البيت نقول: إن أرجى آية في كتاب الله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥]. وهي الشفاعة.

الرابع: ما أخرجه الواحديّ عن علي بن الحسين قال: أشدُّ آية على أهل النار: ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠]. وأرجى آية في القرآن لأهل التوحيد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ . . .﴾ الآية [النساء: ٤٨].

وأخرج الترمذيّ ـ وحسّنه ـ [٣٠٣٧] عن علي قال: أحبُّ آية إليّ في القرآن: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ . . .﴾ الآية [قال الألباني: ضعيف الإسناد].

الخامس: ما أخرجه مُسلِم في «**صحيحه**» [٧٠٢٠] عن ابن المبارك: إن أرجى آية في القرآن قولُه تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾ إلى قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢].

السادس: ما أخرجه ابنُ أبي الدنيا في كتاب «**التوبة**» عن أبي عثمان النَّهديّ قال: ما في القرآن آيةٌ أرجَى عندي لهذه الأمة من قوله: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢].

السابع والثامن: قال أبو جعفر النحّاس في قوله: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥]: إن هذه الآية عندي أرجَى آية في القرآن؛ إلَّا أن ابن عباس قال: أرجى آية في القرآن: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦]. وكذا حكاه عنه مكّي، ولم يقل: (على إحسانهم).

التاسع: روى الهرويّ في «**مناقب الشافعي**» عن ابن عبد الحكم قال: سألتُ الشافعيّ: أيّ آية أرجى؟ قال: قوله: ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٥، ١٦]. قال: وسألته عن أرْجى حديث للمؤمن، قال: «**إذا كان يوم القيامة يدفع إلى كل مسلم رجل من الكفار فداؤه**» [مسلم: ٧٠١١].

العاشر: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤].

الحادي عشر: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧].

الثاني عشر: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [طه: ٤٨]. حكاه الكَرماني في «**العجائب**»(١).

(١) «عجائب التفسير...» ١/ ٧١٨ طه: ٤٨.

الثالث عشر: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

حكى هذه الأقوال الأربعة النووي في «**رؤوس المسائل**». والأخير ثابت عن علي، ففي «**مسند أحمد**» [٦٤٩ وإسناده ضعيف] عنه قال: ألا أُخبرُكُم بأفضل آية في كتاب الله تعالى، حدَّثنا بها رسول الله ﷺ؟: «﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]. وسأُفسرها لك يا عليّ: ما أصابكم من مرضٍ أو عقوبة أو بلاءٍ في الدنيا فبما كسبت أيديكم، والله أكرمُ من أن يُثنّي العقوبة، وما عفا الله عنه في الدنيا فالله أحلم من أن يعود بعد عفوه».

الرابع عشر: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]. قال الشِّبْلي(١): إذا كان الله أَذِن للكافر بدخول الباب إذا أتى بالتوحيد والشهادة، أفتراه يخرج الداخل فيها والمقيم عليها؟!.

الخامس عشر: آيةُ الدَّيْن، ووجهه: أن الله أرشد عباده إلى مصالحهم الدنيوية، حتى انتهت العنايةُ بمصالحهم إلى أمرهم بكتابة الدَّين الكثير والحقير، فمقتضى ذلك تَرَجّي عَفْوِه عنهم، لظهور العناية العظيمة بهم.

قلت: ويلحق بهذا ما أخرجه ابن المنذر عن ابن مسعود: أنه ذُكِر عنده بنو إسرائيل، وما فضَّلهم الله به، فقال: كان بنو إسرائيل إذا أذنب أحدُهم ذنباً أصبح وقد كتبت كفارته على أسكفّة بابه، وجعلت كفارة ذنوبكم قولاً تقولونه؛ تستغفرون الله فيغفر لكم، والذي نفسي بيده لقد أعطانا الله آية لَهِيَ أحبُّ إلي من الدنيا وما فيها: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ...﴾ الآية [آل عمران: ١٣٥].

وما أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «**التوبة**» عن ابن عباس قال: ثماني آياتٍ نزلت في سورة النساء، هنَّ خير لهذه الأمة ممّا طلعت عليه الشمس وغربت: **أولهُنَّ**: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ﴾ [النساء: ٢٦]. **والثانية**: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [النساء: ٢٧]. **والثالثة**: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ...﴾ الآية [النساء: ٢٨]. **والرابعة**: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ...﴾ الآية [النساء: ٣١]. **والخامسة**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ...﴾ الآية [النساء: ٤٠]. **والسادسة**: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ...﴾ الآية [النساء: ١١٠]. **والسابعة**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ...﴾ الآية [النساء: ٢٨]. **والثامنة**: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ...﴾ الآية [النساء: ١٥٢].

وما أخرجه ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: سئل ابن عباس: أيُّ آية أرجى في كتاب الله؟ قال: قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠]: على شهادة أن لا إله إلا الله.

أشد آية: أخرج ابن راهويه في «**مسنده**»: أنبأنا أبو عمر العَقَديّ، أنبأنا عبد الجليل بن عطيّة، عن محمد بن المنتشر قال: قال رجل لعمر بن الخطاب: إنّي لأعرف أشدَّ آية في كتاب الله تعالى، فأهوى

(١) الشِّبلي: محمد بن عبد الله الدمشقي، من فقهاء الحنفية (ت: ٧٦٩هـ). «الدرر الكامنة» ٣/ ٤٨٧، «الفوائد البهية» ١٧.

عمرُ فضربه بالدِّرَّة، وقال: مالك نقَّبت عنها حتى علمتها! ما هي؟ قال: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]. فمَا مِنَّا أحد يعمل سوءاً إلا جزي به. فقال عمر: لبثنا حين نزلت ما ينفعنا طعام ولا شراب حتى أنزل الله بعد ذلك ورخص: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: سألت أبا برزة الأسلميّ عن أشد آية في كتاب الله تعالى على أهل النار، فقال: ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠].

وفي «**صحيح البخاري**» [قبل حديث: ٤٦٠٦]: عن سفيان قال: ما في القرآن آية أشدّ عليّ من: ﴿لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨].

وأخرج ابن جرير(١) عن ابن عباس قال: ما في القرآن أشد توبيخاً من هذه الآية: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ . . .﴾ الآية [المائدة: ٦٣].

وأخرج ابن المبارك في كتاب «**الزهد**» [٥٧] عن الضَّحاك بن مزاحم: قرأ في قول الله: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ [المائدة: ٦٣]. قال: والله ما في القرآن آية أخوفُ عندي منها.

وأخرج ابنُ أبي حاتم عن الحسن قال: ما أُنزلتْ على النبي ﷺ آية كانت أشد عليه من قوله: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ الآية [الأحزاب: ٣٧].

وأخرج ابنُ المنذر عن ابن سيرين: لم يكن شيء عندهم أخوفَ من هذه الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

وعن أبي حنيفة: أخوف آية في القرآن: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١].

وقال غيره: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١]. ولهذا قال بعضهم: لو سمعتُ هذه الكلمة من خفير الحارة لم أنَمْ.

وفي «**النوادر**» لأبي زيد: قال مالك: أشدّ آية على أهل الأهواء قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ الآية [آل عمران: ١٠٦]. فتأوّلها على أهل الأهواء. انتهى.

وأخرج ابن أبي حاتم(٢) عن أبي العالية قال: آيتان في كتاب الله، ما أشدهما على من يجادل فيه: ﴿مَا يُجَـٰدِلُ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [غافر: ٤]. ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦].

وقال السعيديّ: سورة الحج من أعاجيب القرآن، فيها مكيٌّ ومدنيّ، وحضريّ وسفريّ، وليليّ ونهاريّ، وحربيّ، وسِلميّ، وناسخ ومنسوخ؛ فالمكيّ من رأس الثلاثين إلى آخرها، والمدنيّ من رأس خمس عشرة إلى رأس الثلاثين، والليليّ خمس آيات من أولها، والنهاريّ من رأس تسع آيات إلى رأس اثنتي عشرة، والحضريّ إلى رأس العشرين.

---

(١) في «تفسيره» ٤/ ٢٩٨ سورة المائدة: ٦٣.

(٢) في «تفسيره» ١٠/ ٣٢٦٤.

قلت: والسفريّ أولها، والناسخ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ الآية [الحج: ٣٩]. والمنسوخ ﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ الآية [الحج: ٦٩] نسختها آيةُ السيف، وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ الآية [الحج: ٥٢] نسختْها: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦].

وقال الكرمانيّ: ذكر المفسّرون أن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ الآية [المائدة: ١٠٦] من أشْكَلِ آية في القرآن حكماً ومعنى وإعراباً.

وقال غيره: قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ﴾ الآية [الأعراف: ٣١] جمعتْ أصول أحكام الشريعة كلِّها: الأمر، والنهي، والإباحة، والخبر.

وقال الكرماني في «**العجائب**»[1] في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]. قيل: هو قصة يوسف، وسمّاها ﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾؛ لاشتمالها على ذكر حاسدٍ ومحسودٍ، ومالك ومملوك، وشاهدٍ ومشهود، وعاشق ومعشوق، وحبس وإطلاق، وسجن وخلاص، وخصب وجدب، وغيرها ممَّا يعجز عن بيانها طوق الخلق.

وقال: ذكر أبو عُبيدة عن رُؤْبة: ما في القرآن أغرب من قوله: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤].

وقال ابن خالويه في كتاب «ليس»[2]: ليس في كلام العرب لفظ جمع لغات ما النافية إلَّا حرف واحد في القرآن، جمع اللغات الثلاث، وهو قوله: ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾ [المجادلة: ٢]. قرأ الجمهور بالنصب، وقرأ بعضُهم بالرفع، وقرأ ابن مسعود: ﴿ما هن بأمهاتهم﴾ بالباء، قال: وليس في القرآن لفظ على (افعوعل) إلَّا في قراءة ابن عباس: (أَلَا إِنَّهم تَثْنَوْنِي صُدُورُهُمْ)[3].

وقال بعضهم: أطول سورة في القرآن البقرة، وأقصرها الكوثر. وأطول آية فيه آية الدَّين، وأقصر آية فيه ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾، ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾. وأطول كلمة فيه رسماً ﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾ [الحجر: ٢٢].

وفي القرآن آيتان جمعت كل منهما حروف المعجم: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً﴾ الآية [آل عمران: ١٥٤]. ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ الآية [الفتح: ٢٩].

وليس فيه حاء بعد حاء بلا حاجز إلا في موضعين: ﴿عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، ﴿لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ﴾ [الكهف: ٦٠].

ولا كافان كذلك إلَّا: ﴿مَّنَٰسِكَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٠٠]. ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ [المدثر: ٤٢].

ولا غينان كذلك إلَّا: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ولا آية فيها ثلاثة وعشرون كافاً إلَّا آية الدَّين [البقرة: ٢٨٢].

ولا آيتان فيهما ثلاثة عشر وقفاً إلَّا آيتا المواريث [النساء: ١١ ـ ١٢].

---

(١) «عجائب التفسير...» ١/٥٢٦ يوسف: ٣.

(٢) كتاب «ليس في كلام العرب» ابن خالويه. لم أجد هذا النقلَ فيه. والله أعلم.

(٣) القراءة المتواترة: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ [هود: ٥].

ولا سورة ثلاث آيات فيها عشرُ واوات إلّا والعصر إلى آخرها.

ولا سورة إحدى وخمسون آية، فيها اثنان وخمسون وقفاً إلّا سورة الرحمن. ذكر أكثر ذلك ابن خالويه.

وقال أبو عبد الله الخَبَّازي المقرئ[1]: أول ما وردتُ على السلطان محمود بن مَلِكْشَاهْ سألني عن آية أولها غين، فقلت: ثلاث: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ [غافر: ٣]، وآيتان بخُلْفٍ: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ [الروم: ٢]. ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧].

ونقلت من خط شيخ الإسلام ابن حجر: في القرآن أربع شدَّات متوالية: في قوله:

﴿نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [مريم: ٦٤، ٦٥]، ﴿فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ﴾ [النور: ٤٠]. ﴿قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]، ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ﴾ [الملك: ٥].

(١) الخَبَّازي: محمد بن علي أبو عبد الله، مقرئ نيسابور، ومسندها (ت: ٤٤٩هـ). «معرفة القراء الكبار» ١/ ٣٥١.

النوع الخامس والسبعون

في خواصّ القرآن

أَفرده بالتصنيف جماعة، منهم: التَّميميّ، وحجة الإسلام الغزاليّ. ومِن المتأخّرين: اليافعيّ. وغالب ما يذكر في ذلك كان مستنده تجارب الصالحين، وها أنا أبدأُ بما ورد من ذلك في الحديث، ثم ألتقط عيوناً ممّا ذكره السلف والصالحون.

أخرج ابن ماجه [٣٤٥٢] وغيره: من حديث ابن مسعود: «**عليكم بالشفاءين: العسلِ والقرآن**». [ضعفه الألباني]

وأخرج أيضاً من حديث عليّ: «**خير الدواء القرآنُ**» [ابن ماجه: ٣٥٠١ وضعفه الألباني].

وأخرج أبو عُبيد[1] عن طلحة بن مصرِّف قال: كان يقال: إذا قرئ القرآن عند المريض وَجَد لذلك خفَّة.

وأخرج البيهقيّ في «**الشُّعب**» [٢٥٨٠] عن واثلة بن الأسقع: أنَّ رجلاً شكا إلى النبيّ ﷺ وجع حَلْقه، قال: «**عليك بقراءة القرآن**».

وأخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدريّ قال: جاء رجل إلى النبيّ ﷺ فقال: إنِّي أشتكي صدري. قال: «**اقرأ القرآن**» لقول الله تعالى: ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧].

وأخرج البيهقيّ وغيره من حديث عبد الله بن جابر: «في فاتحة الكتاب شفاء من كلّ داء».

وأخرج الخلعيّ في «**فوائده**»: من حديث جابر بن عبد الله: «**فاتحة الكتاب شفاء من كل شيء إلّا السامّ**» والسام: الموت.

وأخرج سعيد بن منصور والبيهقيّ وغيرهما: من حديث أبي سعيد الخدريّ: «**فاتحة الكتاب شفاء من السمّ**».

وأخرج البخاري [٥٠٠٧] من حديثه أيضاً قال: كنَّا في مسيرٍ لنا فنزلنا، فجاءت جارية فقالت: إن سيِّد الحيّ سليم، فهل معكم راقٍ؟ فقام معها رجل، فرقاه بأُمِّ القرآن فبرئ، فذُكر للنبيّ ﷺ فقال: «**وما كان يُدريه أنها رُقْية؟**» [ومسلم: ٥٧٣٥، وأحمد: ١٠٩٨٥].

وأخرج الطبرانيّ في «**الأوسط**» [٦٧٥٧] عن السائب بن يزيد قال: عوّذني رسولُ الله ﷺ بفاتحة الكتاب تفْلاً.

وأخرج البزّار: من حديث أنس: «**إذا وضعتَ جنبك على الفراش، وقرأْت فاتحة الكتاب، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقد أمنت من كل شيء إلا الموت**».

---

(١) في «فضائله» ص٣٨٥.

وأخرج مسلم [١٨٢٤] من حديث أبي هريرة: «**إن البيت الذي تُقرأُ فيه البقرة لا يدخله الشيطان**».

وأخرج عبد الله بن أحمد في «**زوائد المسند**» [١٠٨] بسند حسن: عن أُبيّ بن كعب قال: كنت عند النبي ﷺ، فجاء أعرابيّ فقال: يا نبي الله، إن لي أخاً وبه وجع، قال: «وما وجعُهُ»؛ قال: به لَمَم، قال: «فأْتني به». فوضعه بين يديه، فعوّذه النبيُّ ﷺ بفاتحة الكتاب، وأربعِ آيات من أول سورة البقرة، وهاتين الآيتين: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ . . .﴾ [البقرة: ١٦٣]، وآية الكرسيّ، وثلاث آيات من آخر سورة البقرة، وآية من آل عمران: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨]، وآية من الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وآخر سورة المؤمنون: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، وآية من سورة الجنّ: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ [الجن: ٣]، وعشر آيات من أول الصافّات، وثلاث آيات من آخر سورة الحشر، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوّذتيْن؛ فقام الرّجل كأنه لم يَشْكُ قط.

وأخرج الدّارميّ [٣٢٦٠] عن ابن مسعود موقوفاً: مَنْ قرأ أربع آيات من أوّل سورة البقرة، وآية الكرسيّ، وآيتين بعد آية الكرسي، وثلاثاً من آخر سورة البقرة، لم يقرَبْه ولا أهلَه يومئذٍ شيطانٌ ولا شيء يكرَهُه، ولا يُقرأْنَ على مجنون إلّا أفاق.

وأخرج البخاريّ [٥٠١٠] عن أبي هريرة في قصة الصدقة: أنَّ الجنّي قال له: إذا أَويتَ إلى فراشك فاقرأ آية الكرسيّ، فإنَّك لن يزالَ عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتّى تصبح، فقال النبيّ ﷺ: «**أما إنّه صَدَقك، وهو كَذوبٌ**».

وأخرج المَحامليّ في «**فوائده**» عن ابن مسعود قال: قال رجل: يا رسولَ الله، علِّمْنِي شيئاً ينفعُني اللهُ به، قال: «اقرأ آية الكرسي، فإنّه يحفظُك وذرّيتَك، ويحفظُ دارَك، حتّى الدّويراتِ حول دارك».

وأخرج الدّينوريّ في «**المجالسة**»(١) عن الحسن: أن النبيّ ﷺ قال: «**إنَّ جبريل أتاني قال: إن عفريتاً من الجن يَكِيدُك، فإذا أَويتَ إلى فراشك، فاقرأْ آية الكرسيّ**».

وفي «**الفِردَوْس**» [٥٥٩٣] من حديث أبي قتادةَ: «**من قرأ آية الكرسيّ عند الكرب أغاثه الله**».

وأخرج الدارميّ [٣٢٦٢] عن المغيرة بن سَبيع ـ وكان من أصحاب عبد الله ـ قال: «من قرأ عشر آيات من البقرة عند منامه، لم ينسَ القرآن: أربع من أولها، وآية الكرسي وآيتان بعدها، وثلاث من آخرها».

وأخرج الديلمي [١٦٧٧] من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «**آيتان هما قرآن، وهما يشفيان، وهما ممّا يحبُّهما الله، الآيتان من آخر سورة البقرة**».

وأخرج الطَّبراني [في «الكبير» ٢٠/ (٣٢٣)] عن معاذ: أنَّ النبيّ ﷺ قال له: «**أَلَا أُعلِّمك دعاءً تدعُو به، لو كان عليك من الدَّيْن مثل صُبَرٍ أدّاه الله عنك**: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾ إلى قوله:

(١) «المجالسة» رقم (٢٨٧٠).

﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٦، ٢٧]، **رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما، تعطي من تشاء منهما وتمنع مَن تشاء، ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة مَنْ سِواك**».

وأخرج البيهقيّ في «**الدّعوات**» عن ابن عباس: «إذا استصعبَتْ دابَّةُ أحدِكم أو كانت شَموساً، فليقرأ هذه الآية في أذنيها: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣]».

وأخرج البيهقي في «**الشعب**» [٢٤٣٥] ـ بسند فيه من لا يعرَف ـ عن عليّ موقوفاً: «سورة الأنعام ما قرئت على عليل إلّا شفاه الله».

وأخرج ابن السُّنيّ[1] عن فاطمةَ: أنَّ رسول الله ﷺ ـ لمّا دنا ولادها ـ أمَر أُمَّ سلمَة وزينب بنت جَحْش أن يأْتيا فيقرآ عندها آية الكرسيّ، و﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ...﴾ الآية [الأعراف: ٥٤]، ويعوّذاها بالمعوّذتين.

وأخرج ابن السّنيّ أيضاً[2] من حديث الحُسَين بن عليّ: «أمانٌ لأمّتي من الغرق، إذا ركبوا أن يقرؤوا: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [هود: ٤١]، ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ الآية».

وأخرج ابنُ أبي حاتم عن لَيْث قال: بلَغني أنَّ هؤلاء الآيات شفاء من السِّحر، يُقْرَأن على إناء فيه ماء، ثم يصبّ على رأس المسحور: الآية التي في سورة يونس: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٨١ ـ ٨٢] وقوله: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١١٨] إلى آخر أربع آيات وقوله: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ﴾ الآية [طه: ٦٩].

وأخرج الحاكم [(١/ ٥٠٩)] وغيره من حديث أبي هريرة: «**ما كَرَبَنِي أمرٌ إلا تمثَّل لي جبريل، فقال: يا محمد، قل: توكَّلْتُ على الحيّ الذي لا يموت.** ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١]».

وأخرج الصّابونيّ في «**المائتين**» من حديث ابن عباس مرفوعاً: «**هذه الآية أمانٌ من السرَق**: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ﴾ [الإسراء: ١١٠] **إلى آخِر السورة**».

وأخرج البيهقيّ في «**الدّعوات**» من حديث أنس: «**ما أنعم الله على عبدٍ نعمة في أهل ولا مال ولا ولدٍ، فيقول: ما شاء الله لا قوّة إلّا بالله، فيرى فيه آفة دون الموت**».

وأخرج الدّارميّ [٣٢٨٢] وغيره من طريق عَبْدة بن أبي لُبابة، عن زِرّ بن حُبَيش قال: «**مَنْ قرأ آخر سورة الكهف لساعةٍ يريدُ أن يقومَها من الليل قامها**». قال عبدة: فجرّبْناه فوجدناه كذلك.

وأخرج الترمذي [٣٥٠٥] والحاكم [(٢/ ٣٨٢)] من حديث سعد بن أبي وقاص: «**دَعْوَةُ ذي النُّون إذْ دعا بها وهو في بطن الحوت**: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] **لم يدْعُ بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجابَ الله له**» [قال الألباني: صحيح].

---

(١) في «عمل اليوم والليلة» (٦٢٥).
(٢) في «عمل اليوم والليلة» (٥٠١).

وعن ابن السّنيّ: «**إني لأعلَمُ كلمة لا يقولُها مكروب إلَّا فُرِّج عنه؛ كلمة أخي يونس: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]**».

وأخرج البيهقيّ وابن السنّي وأبو عُبيد عن ابن مسعود؛ أنه قرأ في أُذنِ مبتلىً فأفاق، فقال رسول الله ﷺ: «**ما قرأتَ في أذنِه؟**» قال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا . . .﴾ [المؤمنون: ١١٥] إلى آخر السورة، فقال: «**لو أن رجلاً مؤمناً قرأ بها على جبلٍ لزال**»(١).

وأخرج الديلميّ [٦٤٩٣] وأبو الشيخ ابن حيان في «**فضائله**» من حديث أبي ذرّ: «**ما من ميّت يموت فيقرأ عنده يس إلَّا هوّن الله عليه**».

وأخرج المحامليّ في «**أماليه**» من حديث عبد الله بن الزُّبير: «**مَن جعل يس أمام حاجةٍ قضِيَت له**». وله شاهد مرسَل عند الدارمي.

وفي «**المستدرَك**» [(٢/ ٤٢٨)]: عن أبي جعفر محمد بن عليّ قال: «**مَن وَجد في قلبه قسوةً فليكتب ﴿يس﴾ في جام بماء ورد وزَعفران، ثم يشربه**».

وأخرج ابن الضُّريس(٢) عن سعيد بن جُبير: أنه قرأ على رجل مجنون سورة يس فبرأ.

وأخرج(٣) أيضاً عن يحيى بن أبي كثير قال: «مَنْ قرأ يس إذا أصبَح لم يزل في فرح حتى يُمسي، ومَنْ قرأها إذا أمسى لم يزل في فرح حتى يصبح»؛ أخبرَنا من جرّب ذلك.

وأخرج الترمذيّ [٢٨٧٩] من حديث أبي هريرة: «**مَن قرأ الدّخان كلَّها، وأول غافر إلى ﴿إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣]، وآية الكرسي حين يُمسي، حُفِظ بها حتَّى يصبح، ومَن قرأها حين يُصبح حُفِظ بها حتَّى يُمسِي**». رواه الدّارميّ [٣٣٨٦] بلفظ: «**لم ير شيئاً يكرهه**» [قال الألباني: ضعيف].

وأخرجَ البيهقيّ والحارث بن أبي أُسامة وأبو عُبيد: عن ابن مسعود مرفوعاً: «**من قرأ كل ليلة سورةَ الواقعة لم تصبه فاقة أبداً**»(٤).

وأخرج البيهقيّ في «**الدعوات**» عن ابن عباس موقوفاً ـ في المرأة يعسُر عليها ولادها ـ قال: يُكتب في قرطاس ثمّ تُسقَى: «باسم الله الذي لا إله إلا هو الحليم الكريم، سبحان الله وتعالى ربّ العرش العظيم. الحمد لله رب العالمين، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٦]، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥]».

وأخرج أبو داود [٥١١٠] عن ابن عباس قال: إذا وجدتَ في نفسك شيئاً ـ يعني الوسوسة ـ فقل: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣] [قال الألباني: حسن الإسناد].

---

(١) الطبراني في «الدعاء» (١٠٨١)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٣١)، وأبو يعلى (٥٠٤٥). قال الهيثمي في «المجمع» (٥/ ١١٥): إسناده ضعيف. وذكره ابن كثير في «تفسيره» في تفسير الآية ١١٥ من سورة المؤمنون.

(٢) في «فضائل القرآن» ص١٠١ رقم (٢١٩).

(٣) ابن الضريس في «فضائله» ص١٠١ رقم (٢١٨).

(٤) أبو عُبيد في «فضائله» ص٢٥٧.

وأخرج الطبراني [٥٨٨٦] عن عليّ قال: لدغتْ النبيَّ ﷺ عقربٌ، فدعا بماء وملح، وجعل يَمْسح عليها. ويقرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [إسناده حسن].

وأخرج أبو داود [٤٢٢٢] والنَّسائي [(٨/ ١٤٠)] وابن حِبّان [٥٦٨٢] والحاكم عن ابن مسعود: أنَّ النبي ﷺ كان يكره الرُّقَى إلا بالمعوّذات [وأحمد: ٣٦٠٥ وإسناده ضعيف].

وأخرج الترمذيّ [٢٠٥٨] والنَّسائي عن أبي سعيد: كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان، حتى نزلت المعوذات، فأخذها وترك ما سواها [قال الألباني: صحيح].

فهذا ما وقفت عليه في الخواصّ من الأحاديث التي لم تصل إلى حدّ الوضع، ومن الموقوفات عن الصحابة والتابعين.

وأمّا ما لم يرد به أثر: فقد ذكر الناس من ذلك كثيراً جداً، الله أعلم بصحته.

ومن لطيفهِ: ما حكاه ابن الجوزيّ عن ابن ناصر عن شيوخه، عن ميمونة بنت شاقول البغدادي قالت: آذانا جار لنا، فصليت ركعتين، وقرأتُ من فاتحة كل سورة آية حتى ختمتُ القرآن، وقلتُ: اللهم اكفِنا أمرَه، ثم نمت وفتحت عيني، وإذا به قد نزل وقت السحَر، فزلّت قدمه فسقط ومات.

تنبيه: قال ابن التّين: الرُّقى بالمعوّذات وغيرها من أسماء الله تعالَى هو الطبّ الرّوحانيّ، إذا كان على لسان الأبرار من الخلق حصل الشفاء بإذن الله، فلمّا عزَّ هذا النوعُ فزع الناس إلى الطبّ الجثمانيّ.

قلت: ويُشير إلى هذا قوله ﷺ: «**لو أنَّ رجلاً موقِناً قرأ بها على جبلٍ لزال**».

وقال القرطبيّ: تجوز الرُّقْية بكلام الله وأسمائه، فإن كان مأْثوراً استُحِبَّ.

وقال الربيع: سألتُ الشافعيّ عن الرُّقيَة فقال: لا بأْسَ أن يُرْقى بكتاب الله وما يعرف من ذكر الله.

وقال ابن بطّال(١): في المعوّذات سرٌّ ليس في غيرها من القرآن، لما اشتملت عليه من جوامع الدُّعاء التي تعمّ أكثر المكروهات؛ من السِّحر والحسد وشرّ الشيطان ووسوسته وغير ذلك؛ فلهذا كان ﷺ يكتفِي بها.

وقال ابن القيّم في حديث الرّقية بالفاتحة: إذا ثَبت أنَّ لبعض الكلام خواصّ ومنافع، فما الظنّ بكلام ربّ العالمين، ثم بالفاتحة الّتي لم ينزل في القرآن ولا غيره من الكتب مثلها؛ لتضمّنها جميعَ معاني الكتاب، فقد اشتملت على: ذكر أُصول أسماء الله ومجامِعها، وإثبات المعاد، وذكر التوحيد، والافتقار إلى الربّ في طلب الإعانة به والهداية منه، وذكُر أفضل الدعاء، وهو طلب الهداية إلى الصّراط المستقيم، المتضمّن كمالَ معرفته وتوحيده وعبادته، بفعل ما أَمَر به، واجتناب ما نهى عنه والاستقامة عليه. ولتضمنها ذكر أصناف الخلائق وقسمتهم إلى منعَم عليه لمعرفته بالحق والعمل به،

(١) ابن بَطّال: علي بن خلف أبو الحسن، عالم بالحديث من أهل قرطبة، له: «شرح البخاري» (ت: ٤٤٩هـ). «شذرات الذهب» ٣/ ٨٣.

ومغضوبٍ عليه لعدوله عن الحقِّ بعد معرفته، وضال لعدم معرفته له. مع ما تضمنته من: إثبات القدَر، والشَّرع، والأسماء، والمعاد، والتوبة، وتزكية النفْس، وإصلاح القلب، والرّد على جميع أهل البدَع.

وحقيق بسورةٍ هذا بعضُ شأنها أن يُستشفى بها من كلّ داء. انتهى.

مسألة: قال النوويّ في «**شرح المهذب**»: لو كُتب القرآن في إناء، ثم غسله وسقاه المريض، فقال الحسن البصريّ، ومجاهد وأبو قلابة والأوزاعيّ: لا بأس به، وكرهه النَّخعِيّ، قال: ومقتضى مذهبنا أنه لا بأس به؛ فقد قال القاضي حسين والبغويّ وغيرهما: لو كتِبَ قرآن على حلْوى وطعام فلا بأس بأكله. انتهى.

قال الزَّركشيُّ: ممن صرّح بالجواز في مسألة الإناء العماد النِّيهيّ، مع تصريحه بأنه لا يجوز ابتلاع ورقة فيها آية؛ لكن أفتى ابنُ عبد السلام بالمنع من الشرب أيضاً؛ لأنه يلاقيه نجاسة الباطن. وفيه نظر.

النوع السادس والسبعون

في مرسوم الخطِّ وآداب كتابته

أفرده بالتصنيف خلائق من المتقدمين والمتأخرين، منهم أبو عمرو الدّاني.

وألّف في توجيه ما خالف قواعد الخط منه أبو العباس المَرَّاكُشِي[(١)] كتاباً سمّاه: «**عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل**»[(٢)] بيّن فيه أن هذه الأحرف إنَّما اختلف حالها في الخط بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها. وسأشير هنا إلى مقاصد ذلك إن شاء الله تعالى.

أخرج ابن أَشْته في كتاب «**المصاحف**» بسنده عن كعب الأحبار، قال: أوّلُ مَن وضع الكتاب العربيّ والسِّريانيّ والكتب كلَّها آدمُ ﷺ قبل موته بثلاثمئة سنة، كَتَبها في الطين، ثم طبخه، فلمَّا أصابَ الأرض الغَرَق أصاب كلَّ قومٍ كتابهم فكتبوه، فكان إسماعيل بن إبراهيم أصاب كتاب العرب.

ثم أخرج من طريق عكرمة، عن ابن عباس قال: أولُ مَن وضَع الكتاب العربي إسماعيلُ، وضع الكتاب كلَّه على لفظه ومنطقه، ثم جعله كتاباً واحداً مثل الموصول؛ حتى فرّق بينه ولده. يعني أنه وصل فيه جميع الكلمات، ليس بين الحروف فرق هكذا: (بِسْمِلَّهِرّحْمنِرَّحِيم) [بسم الله الرحمن الرحيم]. ثمّ فرقه من بنيه هُمَيْسَع وقيذَر.

ثم أخرج من طريق سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس قال: أوّل كتابٍ أنزله الله من السماء أبو جاد.

وقال ابن فارس: الذي نقوله: إن الخطَّ توقيفيّ، لقوله تعالى: ﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٤، ٥]، ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]، وإن هذه الحروف داخلةٌ في الأسماء التي علَّم الله آدمَ.

وقد ورد في أمر أبي جاد ومبتدأ الكتابة أخبار كثيرة، ليس هذا محلَّها وقد بسطتُها في تأليف مفرَد.

فصل: القاعدة العربية: أن اللفظ يكتب بحروف هجائية مع مراعاة الابتداء به والوقف عليه، وقد مهّد النحاة له أُصولاً وقواعد، وقد خالفها في بعض الحروف خطّ المصحف الإمام.

وقال أشهب[(٣)]: سئل مالك: هل يُكتب المصحف على ما أَحدَثه الناس من الهجاء؟ فقال: لا، إلَّا على الكَتْبة الأُولى. رواه الداني في «**المُقْنِع**»[(٤)]، ثم قال: ولا مخالف له من علماء الأمة.

---

(١) المراكشي: أحمد بن محمد أبو العباس، المعروف بابن البناء، رياضي، نبغ في علوم شتى (ت: ٧٢١هـ). «دائرة المعارف الإسلامية» ١/ ١٠٢.

(٢) قال العلامة الزركلي في «أعلامه»: مخطوط، رسالة في الرباط (المجموعة ١١٣٤ك)، وفي خزانة الرباط (١٠٦١ك) مجموع مخطوط. «الأعلام» ١/ ٢٢٢.

(٣) أشهب: ابن عبد العزيز، أبو عمرو، فقيه الديار المصرية، صاحب الإمام مالك (ت: ٢٠٤هـ). «وفيات الأعيان» ١/ ٧٨ هذا، وقد قيل: إن اسمه مسكين، وأشهبُ لقبٌ له.

(٤) «المقنع في معرفة رسوم مصاحف أهل الأمصار» للداني ص٩ ـ ١٠.

وقال في موضع آخر: سئل مالك عن الحروف في القرآن مثل الواو والألف؛ أترى أن يُغيّر من المصحف إذا وُجد فيه كذلك؟ قال: لا.

قال أبو عمرو: يعني الواو والألف المزيدتين في الرسم المعدومتين في اللفظ نحو [الواو في]: (أُولوا).

وقال الإمام أحمد: يحرم مخالفة مصحف الإمام في واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك.

وقال البيهقيّ في «**شُعب الإيمان**» [(٢/ ٥٤٧)]: من يكتب مصحفاً فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به هذه المصاحف، ولا يخالفهم فيه، ولا يغيّر مما كتبوه شيئاً، فإنهم كانوا أكثر علماً، وأصدق قلباً ولساناً، وأعظم أمانةً منّا، فلا ينبغي أن نظُنّ بأنفسنا استدراكاً عليهم.

قلت: وسنحصُر أمر الرسم في ست قواعد: الحذف، والزيادة، والهمز، والبدل، والوصل، والفصل، وما فيه قراءتان فكُتب على إحداهما.

القاعدة الأولى: في الحذف.

تحذف الألف من ياء النداء، نحو: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، ﴿يآدم﴾، ﴿يَـٰرَبِّ﴾، ﴿يَـٰعِبَادِىَ﴾، وهاء التنبيه، نحو: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ﴾، ﴿هَـٰٓأَنتُمْ﴾، ونا مع ضمير نحو: ﴿أنجينكم﴾، ﴿ءَاتَيْنَـٰهُ﴾.

ومن: ﴿ذَٰلِكَ﴾، و﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾، و﴿لَـٰكِنِ﴾، و﴿تَبَـٰرَكَ﴾، وفروع الأربعة. و﴿ٱللَّهُ﴾، و﴿إِلَـٰهَ﴾ كيف وقع، و﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾، و﴿سُبْحَـٰنَ﴾ كيف وقع، إلّا: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٩٣].

وبعد لام نحو: ﴿خَلَـٰٓئِفَ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، ﴿خِلَـٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٨١]، ﴿سَلَـٰمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤]، ﴿غُلَـٰمٌ﴾ [آل عمران: ٤٠]، ﴿لِإِيلَـٰفِ﴾ [قريش: ١]، ﴿يُلَـٰقُواْ﴾ [المعارج: ٤٢].

وبين لامين، نحو: ﴿ٱلْكَلَـٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦]. ﴿ٱلضَّلَـٰلَةَ﴾ [البقرة: ١٦]، و﴿خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ [الإسراء: ٥]، ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

ومن كلِّ عَلَم زائد على ثلاثة: كإبراهيم وصلح، وميكئيل، إلا جالوت وطالوت وهامان[1] ويأجوج ومأجوج وداود، لحذف واوه. وإسرائل، لحذف يائه.

واختلف في هاروت وماروت وقارون.

ومن كل مثنى، اسم أو فعل إن لم يتطرَّف، نحو: ﴿رَجُلَانِ﴾ [المائدة: ٢٣]. ﴿يُعَلِّمَانِ﴾ [البقرة: ١٠٢]، ﴿أَضَلَّانَا﴾ [فصلت: ٢٩]، ﴿إِنْ هَـٰذَٰنِ﴾ [طه: ٦٣]، إلا ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠].

ومن كلّ جمع تصحيح لمذكر أو مؤنث، نحو: ﴿ٱللَّـٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]. ﴿مُّلَـٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦]. إلا ﴿طَاغُونَ﴾ في الذاريات [٥٣] والطُّور [٣٢]، و﴿كِرَامًا كَـٰتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١١]، وإلّا ﴿رَوْضَاتِ﴾ في شورى [٢٢]، و﴿ءَايَـٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [يوسف: ٧]، و﴿مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا﴾، و﴿ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ﴾ في يونس [٢١، ١٥]. وإلّا إن تلاها همزة، نحو: ﴿وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، أو تشديد، نحو: ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]، و﴿وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ﴾ [الصافات: ١]؛ فإن كان في الكلمة ألف ثانية حذفت أيضاً، إلا ﴿سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ﴾ في فصّلت [١٢].

---

(١) علماء الرسم لا يستثنون «هامان» من الحذف، قالوا: ولا خلاف بعد حرف الميم في الحذف في هامان في المرسوم.

ومن كل جمع على (مفاعل) أو شبهه، نحو: ﴿ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. و﴿مَسَٰكِنِ﴾ [التوبة: ٢٤]. و﴿ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [البقرة: ٨٣]. و﴿ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ٦٢]. و﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [البقرة: ٨٣]. و﴿ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأنبياء: ٧٤]. و﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة: ٣١]. والثانية من ﴿خَطَٰيَٰنَا﴾ [طه: ٧٣]، كيف وقع.

ومن كلّ عدد كـ﴿ثَلَٰثَ﴾ [الكهف: ٢٥] و﴿وَثُلَٰثَ﴾ [النساء: ٣]، و﴿سَٰحِرٍ﴾ [الأعراف: ١١٢]، كيف وقع إلا في آخر الذاريات [٥٢]، فإن ثُنّي فألِفاه. و﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [النساء: ٨٧]. و﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأنعام: ٦٨]. و﴿سُلْطَٰنٍ﴾ [سبأ: ٢١]. و﴿تَعَٰلَىٰ﴾، و﴿ٱلَّٰتِى﴾، و﴿ٱلَّٰٓـِٔى﴾، و﴿خَٰلِقُ﴾، و﴿عَٰلِمُ﴾، و﴿بِقَٰدِرٍ﴾. والأصحاب والأنهار والكتاب، ومنكّر الثلاثة، إلا أربعة مواضع: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨]. ﴿كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤]. ﴿كِتَابِ رَبِّكَ﴾ في الكهف [٢٧]. ﴿وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ في النمل [١، ٧٥]. ومن البسملة و﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا﴾ [هود: ٤١]. ومن أول الأمر من (سأل).

ومن كل ما اجتمع فيه ألفان أو ثلاثة، نحو ءادم، ءاخر، ءأشفقتم، ءأنذرتهم.

ومن «رأى» كيف وقع، إلا ﴿مَا رَأَىٰٓ﴾، و﴿لَقَدْ رَأَىٰ﴾ في النجم [١١، ١٨]. وإلا: ﴿وَنَـَٔا﴾ [الإسراء: ٨٣، فصلت: ٥١]. و﴿ٱلْـَٰٔنَ﴾ إلا ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ﴾ [الجن: ٩].

والألفان من ﴿ٱلْأَيْكَةِ﴾ إلا في الحجر [٧٨] وق [١٤].

وتحذف الياء من كل منقوص منون، رفعاً وجرّاً، نحو: ﴿بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣].

والمضاف لها إذا نودي، إلا: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟﴾ [الزمر: ٥٣]. ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ في العنكبوت [٥٦] أو لم ينادَ، إلا: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى﴾ [الإسراء: ٥٣]. ﴿أَسْرِ بِعِبَادِى﴾ في طه [٧٧] و﴿حمٓ﴾ [الدخان: ٢٣]. ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر: ٢٩، ٣٠].

ومع مثلها، نحو: ﴿وَلِـِّىَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]. و﴿ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾ [المائدة: ١١١]. ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ [الطور: ٢٠]. إلا: ﴿عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨]. و﴿وَيُهَيِّئْ﴾ [الكهف: ١٦]. ﴿وَهَيِّئْ﴾ [الكهف: ١٠]. ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ [فاطر: ٤٣]. و﴿سَيِّئَةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠]. و﴿ٱلسَّيِّئَةِ﴾ [الأعراف: ٩٥]. و﴿أَفَعَيِينَا﴾ [ق: ١٥]. و﴿يُحْيِى﴾ مع ضمير لا مُفرداً، نحو: ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]. و﴿ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء: ٨١].

وحيث وقع: ﴿وَأَطِيعُونِ﴾، ﴿وَٱتَّقُونِ﴾، ﴿وَخَافُونِ﴾، ﴿فَٱرْهَبُونِ﴾، ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾ و﴿اعبدون﴾؛ إلا في يس [٦١]، و﴿وَٱخْشَوْنِ﴾ إلا في البقرة [١٥٢]، و﴿كِيدُونِ﴾ إلا: ﴿فَكِيدُونِى جَمِيعًا﴾ [هود: ٥٥]. و﴿ٱتَّبِعُونِ﴾ إلا في آل عمران وطه [آل عمران: ٣١، طه: ٩٠]، و﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١]. و﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الأنبياء: ٣٧]. و﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]. و﴿وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ [يوسف: ٦٠]. و﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾ [الحجر: ٦٩]. و﴿فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ [الحجر: ٦٨]. و﴿يَهْدِيَنِ﴾ [الكهف: ٢٤]. و﴿سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩]. و﴿كَذَّبُونِ﴾ [المؤمنون: ٢٦]. ﴿يَقْتُلُونِ﴾ [الشعراء: ١٤]. ﴿أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [الشعراء: ١٢]. و﴿وَعِيدِ﴾ و﴿ٱلْجَوَارِ﴾ و﴿بِٱلْوَادِ﴾ [النازعات: ١٦]. و﴿ٱلْمُهْتَدِ﴾ [الإسراء: ٩٧] إلا في الأعراف ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾ [١٧٨].

وتحذف الواو مع أُخرى، نحو: (لا يستون) [التوبة: ١٩]. (فاءوا) [البقرة: ٢٢٦]. (وإذا الموءدة) [التكوير: ٨]. (يئوسا) [الإسراء: ٨٣].

وتحذف اللام مدغمة في مثلها، نحو الَّيل، والذي. إلا: الله، واللهم، واللعنة وفروعه، و: اللهو واللغو واللؤلؤ واللات واللمم واللهب واللطيف واللوامة.

فرع: في الحذف الذي لم يدخل تحت القاعدة:

حذف الألف من: (ملك الملك) [آل عمران: ٢٦]. (ذرية ضعفاً) [النساء: ٩]. (مرغماً) [النساء: ١٠٠]. (خدعهم) [النساء: ١٤٢]. (أكلون للسحت) [المائدة: ٤٢]. (بلغ) [المائدة: ٩٥]. (ليجدلوكم) [الأنعام: ١٢١]. (وبطل ما كانوا يعملون) في الأعراف [١٣٩] وهود [١٦] (الميعاد) في الأنفال [٤٢]. (ترباً) في الرعد [٥] والنمل [٦٧] وعمّ [٤٠]. (جذذا) [الأنبياء: ٥٨]. (يسرعون) [آل عمران: ١١٤]. (أيه المؤمنون) [النور: ٣١]. (أيه الساحر) [الزخرف: ٤٩]. (أيه الثقلان) [الرحمن: ٣١]. (أم موسى فرغاً) [القصص: ١٠]. (وهل نُجزي) [سبأ: ١٧] (من هو كاذب) [هود: ٩٣]. (للقاسية) [الزمر: ٢٢]. في الزمر، (أثرة) [الأحقاف: ٤]. (عهد عليه الله) [الفتح: ١٠]. (ولا كذبا) [النبأ: ٣٥].

وحذفت الياء من: (إبراهم) في البقرة، و(الداع إذا دعان) [البقرة: ١٨٦]. و(من اتبعن) [آل عمران: ٢٠]. و(سوف يأت الله) [المائدة: ٥٤]. (وقد هدان) [الأنعام: ٨٠]. (ننج المؤمنين) [يونس: ١٠٣]. (فلا تسألن ما ليس) [هود: ٤٦]. (يوم يأت لا تكلم) [هود: ١٠٥]. (حتى تؤتون موثقا) [يوسف: ٦٦]. (تفندون) [يوسف: ٩٤]. (المتعال) [الرعد: ٩]. (متاب) [الرعد: ٣٠]. (مآب) [الرعد، ٣٦] (عقاب) في الرَّعد [٣٢] وغافر [٥] وص [١٤]. فيها: (عذاب) [ص: ٨]. (أشركتمونِ من قبل) [إبراهيم: ٢٢]. (وتقبّل دعاءِ) [إبراهيم: ٤٠]. (لئن أخرتن) [الإسراء: ٦٢]. (أن يهدين)، (إن ترن)، (أن يؤتين) (أن تعلمن)، (نبغ) الخمسة في الكهف [٢٤، ٣٩، ٤٠، ٦٦، ٦٤]. (ألا تتبعن) في طه [٩٣]. (والباد) [الحج: ٢٥]. و(إن الله لهاد) [الحج: ٥٤]. (أن يحضرون) [المؤمنين: ٩٨]. (رب ارجعون) [المؤمنون: ٩٩]. و(لا تكلمون) [المؤمنون: ١٠٨]. (يسقين) [الشعراء: ٧٩]. (يشفين) [الشعراء: ٨٠]. (يحيين) [الشعراء: ٨١]. (واد النمل) [النمل: ١٨]. (أتمدونن) [النمل: ٣٦]. (فما آتان) [النمل: ٣٦]. (تشهدون) [النمل: ٣٢]. (بهاد العمي) [النمل: ٨١، الروم: ٥٣]. (كالجواب) [سبأ: ١٣]. (إن يردن الرحمن) [يس: ٢٣]. (لا ينقذون) [يس: ٢٣]. و(اسمعون) [يس: ٢٥]. (لتردين) [الصافات: ٥٦]. (صال الجحيم) [الصافات: ١٦٣]. ﴿ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥]. (التناد) [غافر: ٣٢]. (ترجمون) [الدخان: ٢٠]. (فاعتزلون) [الدخان: ٢١]. (يناد المناد) [ق: ٤١]. (ليعبدون) [الذاريات: ٥٦]. (يطعمون) [الذاريات: ٥٧]. (تغن) [القمر: ٥]. (الداع) مرتين في القمر [٦، ٨]. (يسر) [الفجر: ٤]. (أكرمن) [الفجر: ١٥]. (أهانن) [الفجر: ١٦]. (ولي دين) [الكافرون: ٦].

وحذفت الواو من: (ويدع الإنسان) [الإسراء: ١١]. (ويمح الله) في شُورى [٢٤]. (يوم يدع الداع) [القمر: ٦]. (سندع الزبانية) [العلق: ١٨].

قال المراكشيّ: السرّ في حذفها من هذه الأربعة التنبيهُ على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل، وشِدَّة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود، أمّا ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ فيدلُّ على أنه سهل عليه، ويسارع فيه كما يسارع في الخير، بل إثبات الشرّ إليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير. وأمَّا ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ فللإشارة إلى سرعة ذهابه واضمحلاله. وأمَّا ﴿يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٦] فللإشارة إلى سرعة الدُّعاء، وسرعة إجابة المدعوّين. وأما الأخيرة: فللإشارة إلى سرعة الفعل، وإجابة الزَّبانية، وشدة البطش.

القاعدة الثانية: في الزيادة:

زيدت ألف بعد الواو آخر اسم مجموع، نحو: (بنوا إسرائيل)، (ملاقوا ربهم) [البقرة: ٤٦]. (أولوا الألباب) [آل عمران: ٧]. بخلاف المفرد، نحو (لذو علم) [يوسف: ٦٨]. إلَّا: (الربوا) [البقرة: ٢٧٥]. و(إن امرؤا هلك) [النساء: ١٧٦].

وآخر فعل مفرد أو جمع، مرفوع أو منصوب، إلا: (جاءو) [آل عمران: ١٨٤]. و(باءو) [البقرة: ٦١]. حيث وقعا، و(عتو عتوا) [الفرقان: ٢١]. (فإن فاءو) [البقرة: ٢٢٦]. (والذين تبوّؤُ الدارَ) [الحشر: ٩]. (عسى الله أن يعفو عنهم) في النساء [٩٩]. (سعو في آياتنا) في سبأ [٥].

وبعد الهمزة المرسومة واواً، نحو: (تفتؤا) [يوسف: ٨٥]. وفي (مائة) و(مائتين) [الأنفال: ٦٦]. و(الظنونا) [الأحزاب: ١٠]. و(الرسولا) [الأحزاب: ٦٦]. و(السبيلا) [الأحزاب: ٦٧]. (ولا تقولن لشايءٍ) [الكهف: ٢٣]. و(لا أذبحنه) [النمل: ٢١]. (ولا أوضعوا) [التوبة: ٤٧]. و(لا إلى الله) [آل عمران: ١٥٨]. و(لا إلى الجحيم) [الصافات: ٦٨]. و(لا تَايْئَسُوا... إنه لا يَايْئَسُ) [يوسف: ٨٧]. (أفلم يَايْئَسِ) [الرعد: ٣١].

وبين الياء والجيم، في (جايء) في الزّمر [٦٩] والفجر [٢٣]. وكتبت (ابن) بالهمزة مطلقاً.

وزيدت ياء، في: (نبايء المرسلين) [الأنعام: ٣٤]. و(ملإيه) [الأعراف: ١٠٣]. و(ملإيهم) [يونس: ٨٣]. و(من آنائي الّيل) في طه [١٣٠]. (من تلقائي نفسي) [يونس: ١٥]. (من ورائي حِجاب) في شورى [٥١]. و(إيتائي ذي القربى) في النَّحل [٩٠]. و(لقائي الآخِرَةِ) في الروم [١٦]. (بِأَيّيكم المفتون) [القلم: ٦]. (بَنَيْناهَا بأَيْيدٍ) [الذاريات: ٤٧]. (أَفإِينْ ماتَ) [آل عمران: ١٤٤]. (أفإِينْ مِتَّ) [الأنبياء: ٣٤].

وزيدت واوٌ، في: (أُولوا) وفروعه، و(سَأُورِيكُمْ) [الأعراف: ١٤٥].

قال المُرّاكشي: وإنّما زيدت هذه الأحرف في هذه الكلمات، نحو: (جايء)، و(نبايء) ونحوهما للتهويل والتفخيم والتهديد والوعيد، كما زيدت في: (بأيْيد) تعظيماً لقوة الله تعالى التي بنى بها السّماء، التي لا تشابهها قوة.

وقال الكرمانيّ في «**العجائب**»[1]: كانت صورة الفتحة في الخطوط قبل الخط العربي ألفاً،

(١) «عجائب التفسير...» ١/ ٤٥٥ التوبة: ٤٧.

وصورةُ الضمّة واواً، وصورة الكسرة ياء، فكتبت ﴿لَا أَوْضَعُوا﴾ ونحوه بالألف، مكان الفتحة، و﴿إِيتَائِي ذِي الْقُرْبَى﴾ بالياء مكان الكسرة، و(أُولئك) ونحوه بالواو مكان الضمة، لقرب عهدهم بالخطّ الأول.

القاعدة الثالثة: في الهمز:

يُكتَب الساكن بحرفِ حركةِ ما قبله، أولاً أو وسطاً أو آخراً نحو: (ائذن) [التوبة: ٤٩]. و(اؤتُمن) [البقرة: ٢٨٣]. و(البأساء) [البقرة: ١٧٧]. و(اقرأ)، و(جئنَاك) [الحجر ٦٣]. و(هيِّئ) [الكهف: ١٠]. و(المؤْتُون) [النساء: ١٦٢]. و(تسُؤهم) [آل عمران: ١٢٠]. إلا (فادَّارءتم) [البقرة: ٧٢]. و(رِءياً) [مريم: ٧٤]. و(الرّءيا) [يوسف: ٤٣]. و(شطئه) [الفتح: ٢٩]. فحذف فيها. وكذا أوّل الأمر بعد فاء، نحو: (فأْتوا) [البقرة: ٢٣]. أو واو، نحو: (وأتمروا) [الطلاق: ٦].

والمتحرك ـ إن كان أوّلاً أو اتَّصل به حرف زائد ـ بالألف مطلقاً؛ أي: سواء كان فتحاً أو ضمًّا أو كسراً، نحو: (أيوب) (إذا) (أُولُوا)؛ (سأصرف) [الأعراف: ١٤٦]. (فبأيِّ)، (سأُنزل) [الأنعام: ٩٣]. إلا مواضع: (أئِنّكم لتشهدُون) [الأنعام: ١٩]. (أئِنّكُم لتأْتُون) في النمل [٥٥] والعنكبوت [٢٩]. (أئنا لتاركوا) [الصافات: ٣٦]. و(أئنَّ لنا) في الشعراء [٤١]. (أئذا مِتنَا) [الواقعة: ٤٧]. (أئن ذُكِّرْتم) [يس: ١٩]. (أَئِفكاً) [الصافات: ٨٦]. (أئمة) [التوبة: ١٢]. (لئلا)، (لئن)، (يومئذٍ)، (حينئذ). فتكتب فيها بالياء، إلا (قل أؤنبّئكم) [آل عمران: ١٥]. و(هؤلاء) فتكتب بالواو.

وإن كان وسطاً: فبحرف حركته، نحو: (سأل) (سُئِل) (نقرؤُه) إلا (جزاءه) الثلاثة في يوسف [٧٤، ٧٥]. و(لأملئن) [الأعراف: ١٨]. و(امتَلئتِ) [ق: ٣٠]. و(اشمئزت) [الزمر: ٤٥]. و(اطمئنُّوا) [يونس: ٧]. فحذف فيها. وإلا إن فتح وكسر أو ضم ما قبله، أو ضم وكسر ما قبله، فبحرفه. نحو: (الخاطئة) [الحاقة: ٩]. (فؤادك) [هود: ١٢٠]. (سنقرئك) [الأعلى: ٦].

وإن كان ما قبله ساكناً حذف هو، نحو: (يُسْئَلُ) [الأنبياء: ٢٣]. (لا تجئروا) [المؤمنون: ٦٥]. إلا: (النَّشْأَة) [النجم: ٤٧]. و(مَوْئِلاً) في الكهف [٥٨].

فإن كان ألفاً وهو مفتوح: فقد سبق أنَّها تحذف لاجتماعها مع ألف مثلها؛ إذ الهمزة حينئذٍ بصورتها، نحو: (أَبْنَاءَنَا) [آل عمران: ٦١]. وحذف منها أيضاً في (قرءانا) في يوسف [٢] والزخرف [٣].

فإن ضمّ أو كسر فلا، نحو: (آباؤكم) [النساء: ١١]. (آبائِهِمْ) [الأنعام: ٨٧]. إلَّا: (وقال أولياؤُهُم) [الأنعام: ١٢٨]. (إلى أوليائهم) في الأنعام [١٢١]. (إنْ أَوْلياؤُهُ) في الأنفال [٣٤]. (نحن أولياؤكم) في فصلت [٣١].

وإن كان بعد حرف يجانسه: فقد سبق أيضاً أنه يحذف، نحو: (شَنَئَان) [المائدة: ٢، ٨]. (خَاسئِينَ) [الأعراف: ١٦٦]. (مسْتَهْزِؤُنَ) [البقرة: ١٤].

وإن كان آخراً: فبحرف حركة ما قبله، نحو: (سَبَأ) [النمل: ٢٢]. (شاطِئ) [القصص: ٣٠]. (لُؤْلُؤٌ)

[الطور: ٢٤]. إلا في مواضع: (تفتؤا) [يوسف: ٨٥]. (يتفيؤا) [النحل: ٤٨]. (أَتوكَّؤا) [طه: ١٨]. (لا تظمؤا) [طه: ١١٩]. (ما يعبؤا) [الفرقان: ٧٧]. (يبدؤا) [الروم: ١١]. (ينشَّؤا) [الزخرف: ١٨]. (يدرؤا) [النور: ٨] (نبؤًا) [ص: ٦٧]. (قال الملؤا) الأوّل في (قد أفلح) والثلاثة في النمل. (جزاؤا) في خمسة مواضع: اثنان في المائدة [٢٩، ٣٣]. وفي الزّمر [٣٤] والشورى [٤٠] والحشر [١٧]. (شركؤا) في الأنعام [٩٤] وشورى [٢١]. (يأُتيهم أنْباؤا) في الأنعام [٥] والشعراء [٦]. (علماؤا بني) [الشعراء: ١٩٧]. (من عباده العلمؤا) [فاطر: ٢٨]. (الضّعفاؤا) في إبراهيم [٢١] وغافر [٤٧]. (في أموالنا ما نشاؤا) [هود: ٨٧]. (وما دعاؤا) في غافر [٥٠]. (شفعاؤا) في الروم [١٣]. (إنَّ هذا لَهُوَ البَلؤا) [الصافات: ١٠٦]. (بلؤًا مُبِينٌ) في الدخان [٣٣]. (بُرَءَاؤُا منكم) [الممتحنة: ٤]. فكتب في الكل بالواو.

فإنْ سكن ما قبله حذف هو، نحو: (ملء الأرض) [آل عمران: ٩١]. (دِفْءٌ) [النحل: ٥]. (شيءٍ) (الخَبْءَ) [النمل: ٢٥]. (ماءً) إلَّا: (لتنوأُ) [القصص: ٧٦]. و(أن تَبُوْأَ) [المائدة: ٢٩]. و(السُّوأَى) [الروم: ١٠]. كذا استثناه الفَرَّاء.

قلت: وعندي أن هذه الثلاثة لا تستثنى، لأنَّ الألف التي بعد الواو ليست صورة الهمزة، بل هي المزيدة بعد واو الفعل.

القاعدة الرابعة: في البدل:

يكتب **بالواو** للتَّفخيم: ألف (الصلوة) و(الزكوة) و(الحيوة) و(الربوا) غير مضافات. و(الغدوة) [الكهف: ٢٨]. و(مشكوة) [النور: ٣٥]. و(النجوة) [غافر: ٤١]. و(منوة) [النجم: ٢٠].

وبالياء: كل ألفٍ منقلبة عنها، نحو: (يتوفيكم) [يونس: ١٠٤] في اسم أو فعل، اتَّصل به ضميرٌ أولا، لقي ساكناً أم لا، ومنه: (يا حسرتى) [الزمر: ٥٦]. (يا أسفَى) [يوسف: ٨٤] إلا (تَتْرا) [المؤمنون: ٤٤]. و(كلتا) [الكهف: ٣٣]. و(هداني) [الأنعام: ١٦١]. و(من عصاني) [إبراهيم: ٣٦]. و(الأقصا) [الإسراء: ١]. و(أقْصا المدينة) [القصص: ٢٠]. و(مَنْ تَوَلَّاهْ) [الحج: ٤]. و(طغا الماء) [الحاقة: ١١]. و(سيماهم) [الفتح: ٢٩]. وإلا ما قبلها ياء، (كالدنيا) و(الحوايا) [الأنعام: ١٤٦]. إلا ﴿يحيى﴾ اسماً أو فعلاً.

ويكتب بها إلى، وعلى، وأنّى بمعنى كيف، ومتَى، وبلَى، وحتى؛ إلا (لَدَا الباب) [يوسف: ٢٥].

ويكتب بالألف الثلاثيّ الواويّ، اسماً أو فعلاً، نحو: (الصفا) [البقرة: ١٥٨]. و(شفا) [آل عمران: ١٠٣]. و(عفا) [المائدة: ٩٥]. إلا (ضُحى) [الأعراف: ٩٨]. كيف وقع، و(ما زكى منكم) [النور: ٢١]. و(دحيها﴾ [النازعات: ٣٠]. و(تليها) [الشمس: ٢]. و(طحيها) [الشمس: ٦]. و(سجى) [الضحى: ٢].

ويكتب بالألف نُون التوكيد الخفيفة: (لنسفعاً) [العلق: ١٥]. و(يكوناً) [يوسف: ٣٢]. و(إذاً). وبالنون (كأَيِّنْ).

وبالهاء هاء التأنيث، إلا: (رحمت) في البقرة [٢١٨]. والأعراف [٥٦] وهود [٧٣] ومريم [٢]

والروم [٥٠] والزخرف [٣٢]. و(نعمت) في البقرة [٢٣١] وآل عمران [١٠٣] والمائدة [١١] وإبراهيم [٢٨] والنحل [٧٢] ولقمان [٣١] وفاطر [٣] والطُّور [٢٩]. و(سنت) في الأنفال [٣٨] وفاطر [٤٣] وثاني غافر [٨٥]. و(امرأت) مع زوجها(١)، و(تمَّتْ كلمتُ ربِّك الحُسْنى) [الأعراف: ١٣٧]. (فنجعل لعنت الله) [آل عمران: ٦١]. (والخامسة أن لعنت الله) [النور: ٧]. و(معصيت) في قد سمع [٨، ٩]. (إن شجرت الزقوم) [الدخان: ٤٣]. (قرت عين) [القصص: ٩]. و(جنَّتُ نعيمٍ) [الواقعة: ٨٩]. (بقيّتُ الله) [هود: ٨٦]. و(يا أبتِ) [يوسف: ٤]. و(اللات) [النجم: ١٩] و(مرضات) [البقرة: ٢٠٧، ٢٦٥، النساء: ١١٤، التحريم: ١]. و(هيهات) [المؤمنون: ٣٦]. و(ذات) [الأنفال: ١] و(ابنت) [التحريم: ١٢] و(فِطْرتَ) [الروم: ٣٠].

القاعدة الخامسة: في الوصل والفصل:

توصل (أَلَّا) بالفتح؛ إلا عشرة: (أن لا أقول) (أن لا تقولوا) في الأعراف [١٦٩]. (أَنْ لَا مَلْجأً) في هود(٢). (أَنْ لَا إله) [هود: ١٤]. (أَنْ لَا تعبُدوا إلّا اللهَ إنّي أخافُ) في الأحقاف [٢١](٣). (أَنْ لَا تُشْرِكْ) في الحجّ [٢٦]. (أن لَا تَعْبُدُوا) في يس [٦٠]، (أن لا تعلوا) في الدخَان [١٩]. (أن لا يشركن) في الممتحنة [١٢]. (أن لا يدخلَنَّها) في ﴿نٓ﴾ [٢٤].

و(مِمَّا) إلا: (مِنْ مَا مَلَكَتْ) في النساء [٢٥]، والروم [٢٨]، (من ما رزقناكم) في المنافقين [١٠].

و(مِمّنْ) مطلقاً.

و(عَمّا) إلا: (عن ما نهوا) [الأعراف: ١٦٦].

و(إمّا) بالكسر، إلا: (وإنْ مَا نرينَّك) في الرعد [٤٠].

و (أَمَّا) بالفتح، مطلقاً.

و(عمَّن) إلا: (يَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ) في النور [٤٣]. (عن مَنْ تولّى) في النجم [٢٩].

و(أمّن) إلا: (أَمْ مَنْ يَكُونُ) في النساء [١٠٩]. (أَمْ مَنْ أَسَّسَ) [التوبة: ١٠٩]. (أم مَنْ خلقنا) في الصافات [١١]. (أَمْ مَنْ يأتي آمِناً) [فصلت: ٤٠].

و(إِلَّمْ) بالكسر؛ إلّا: (فإنْ لم يستجيبوا) في القصص [٥٠].

و(فيما) إلّا أحد عشر: (في ما فَعَلْنَ) الثاني في البقرة [٢٤٠]. (لِيَبْلُوَكُمْ في ما) في المائدة [٤٨] والأنعام [١٦٥]. (قُلْ لا أَجِدُ في ما) [الأنعام: ١٤٥]. (في ما اشْتَهَتْ) في الأنبياء [١٠٢]. (في ما

(١) المعنى: أن المرأة إذا ذُكرت مع زوجها، كُتبت التاء مبسوطة؛ كقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ [آل عمران: ٣٥]. وإن ذكرت بلا زوج كُتبت التاء مربوطة؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا . . .﴾ [النساء: ١٢٨].

(٢) ليس في سورة هود، وإنما في سورة التوبة، الآية ١١٨

(٣) آية الأحقاف ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ [٢١] موصولة، وفي هود [٢٦] ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ مفصولة.

أَفَضْتُم) [النور: ١٤]. (في ما ههنا) في الشعراء [١٤٦]. (في ما رَزَقْنَاكُم) في الروم [٢٨]. (في ما هم فيه) (في ما كانوا فيه) كلاهما في الزمر [٣، ٤٦]. (وننشئكم في ما لا تعلمون) في الواقعة [٦١].

و(إنما) إلّا: (إنَّ ما تُوعَدُون لآتٍ) في الأنعام [١٣٤].

و(أنما) بالفتح، إلا: (أَنَّ ما يَدْعُونَ) في الحج [٦٢] ولقمان [٣٠].

و(كلّما) إلّا: (كل ما ردوا إلى الفتنة) [النساء: ٩١]. (مِنْ كُلِّ ما سأَلْتُمُوهُ) [إبراهيم: ٣٤].

و(بئسما) إلا مع اللام.

و(نعمّا) و(مهما) و(ربما) و(كأنما) و(ويكأَنَّ).

وتقطع (حيث ما) و(أن لم) بالفتح، و(أنْ لَنْ) إلا في الكهف [٤٨] والقيامة [٣].

(أين ما) إلّا: (فأَيْنَما تُوَلُّوا) [البقرة: ١١٥]. (أَينما يُوَجِّهْهُ) [النحل: ٧٦].

واختلف في: (أين ما تكونوا يدركم) [النساء: ٧٨]. (أينما كنتم تعبدون) في الشعراء [٩٢]. (أينما ثقفوا) في الأحزاب [٦١].

و(لكي لا) إلا في آل عمران والحج والحديد والثاني في الأحزاب.

و(يوم هم) [غافر: ١٦، الذاريات: ١٣]. ونحو (فَمَالِ) [المعارج: ٣٦]. (لاتَ حين) [ص: ٣]. و(ابن أُمَّ) [الأعراف: ١٥٠]. إلّا في طه [٩٤] فكتبت الهمزة حينئذ واواً. وحذفت همزة (ابن) فصارت هكذا: (يَبْنَؤُمَّ).

القاعدة السادسة: فيما فيه قراءتان، فكتب على إحداهما:

ومرادنا غير الشاذ.

من ذلك: (مالك يوم الدين)، (يخدعون) [البقرة: ٩]. [النساء: ١٤٢]. و(وعدنا) [البقرة: ٥١، الأعراف: ١٤٢]. و(الصعِقة) [الذاريات: ٤٤]. و(الريح) [البقرة: ١٦٤]. و(تفادوهم) [البقرة: ٨٥]. و(تظهرون) [الأحزاب: ٤]. و(لا تقتلوهم) [البقرة: ١٩١]. ونحوها.

و(لولا دفع) [البقرة: ٢٥١] (فرهانٌ) [البقرة: ٢٨٣]. (طئراً) في آل عمران [٤٩] والمائدة [١١٠]. (مضعفةً) [آل عمران: ١٣٠]. ونحوه.

(عقَدَتْ أيمانُكم) [النساء: ٣٣]. (الأوْلَيِن) [المائدة: ١٠٧]. (لمسْتُم) [النساء: ٤٣، المائدة: ٦]. (قَسية) [المائدة: ١٣]. (قياماً للنّاس) [المائدة: ٩٧] (خطيئتكم) في الأعراف [٦١].

(طئفٌ) [الأعراف: ٢٠١]. (حشَ للهِ) [يوسف: ٣١، ٥١]. (وسيعلم الكُفَّرُ) [الرعد: ٤٢]. (تزور) [الكهف: ١٧]. (زكيَّةً) [الكهف: ٧٤]. (فلا تصحِبْني) [الكهف: ٧٦]. (لتخذت) [الكهف: ٧٧]. (مهداً) [طه: ٥٣، الزخرف: ١٠] (وَحرمٌ على قريةٍ) [الأنبياء: ٩٥]. (إنَّ الله يُدَفعُ) [الحج: ٣٨].

(سُكارَى وما هم بُسكارَى) [الحج: ٢]. (المضغة عِظماً فكسونا العظم) [المؤمنون: ١٤]. (سرجاً). (بل ادّرك) [النمل: ٦٦]. و(لا تصعر) [لقمان: ١٨]. (ربّنا بعِدْ) [سبأ: ١٩]. (أَسورَة) [الزخرف: ٥٣].

بلا ألف في الكلّ، وقد قرئت بها وبحذفها.

(غَيبتِ الجُبّ) [يوسف: ١٠، ١٥]. و(أُنزلَ عليه آيت) في العنكبوت [٥٠]. و(ثمرت من أكمامها) في فصلت [٤٧]. و(جملت) [المرسلات: ٣٣]. (فهم على بينتٍ) [فاطر: ٤٠]. (وهم في الغرفتِ آمنون) [سبأ: ٣٧] بالتاء، وقد قرئت بالجمع والإفراد.

و(تُقَيةً) [آل عمران: ٢٨] بالياء، و(لأَهَبَ) [مريم: ١٩] بالألف، و(يَقْضِ الْحَقَّ) [الأنعام: ٥٧] بلا ياء.

و(اتونِي زُبَرَ الحديد) [الكهف: ٩٦] بألف فقط. ﴿فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ﴾ [يوسف: ١١٠] (نُجي المؤمنين) [الأنبياء: ٨٨] بنون واحدة.

و(الصراط) كيف وقع، و(بصْطة) في الأعراف [٦٩]. و(المُصَيْطرون) [الطور: ٣٧]. و(مُصيطر) [الغاشية: ٢٢]. بالصاد لا غير.

وقد تكتب الكلمة صالحة للقراءتين؛ نحو: (فكِهون) [يس: ٥٥] بلا ألف، وهي قراءة، وعلى قراءتها هي محذوفة رسماً، لأنه جمع تصحيح.

فرع: فيما كتب موافقاً لقراءة شاذة:

ومن ذلك: (إن البَقَرَ تَشبهَ عَلَيْنا) [البقرة: ٧٠]. (أَوَكُلَّما عهدوا) [البقرة: ١٠٠].

وأَما (مَا بقِيَ مِنَ الرِّبوا) [البقرة: ٢٧٨]. فقرئ بضم الباء وسكون الواو.

(فلَقتلُوكم) [النساء: ٩٠]. (إنَّما طئركم)، (طائره في عُنُقِه) [الإسراء: ١٣]. (تُسَقِط) [مريم: ٥]. (سمراً) [المؤمنون: ٦٧]. (وفِصالُه في عامين) [لقمان: ١٤]. (عليَهُم ثِيَابُ سُنْدُسٍ) [الإنسان (الدهر): ٢١]. (خِتامُه مِسْكٌ) [المطففين: ٢٦]. (فادْخُلي في عبدي) [الفجر: ٢٩].

فرع: وأما القراءات المختلفة ـ المشهورة بزيادة لا يحتملها الرسم ـ ونحوها، نحو: ﴿أَوصَى﴾ و﴿وَصَّى﴾؛ و﴿تَجْرِي تَحْتَهَا﴾ و﴿مِن تَحْتِهَا﴾. و﴿سيقولون الله﴾ و﴿لِلَّهِ﴾. ﴿وما عملت أيديهم﴾ ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ﴾. فكتابته على نحو قراءته، وكل ذلك وجد في مصاحف الإمام.

فائدة: كتبت فواتح السور على صورة الحروف أنفسها؛ لا على صورة النطق بها، اكتفاءً بشهرتها، وقطعت ﴿حم عسق﴾ دون ﴿الٓمٓصٓ﴾ و﴿كٓهيعٓصٓ﴾ طرداً للأُولى بأخواتها الستة[1].

[فصل]: في آداب كتابته:

يستحب كتابة المصحف، وتحسين كتابته وتبيينها وإيضاحها، وتحقيق الخطِّ دون مَشْقِه وتعليقه فيكره، وكذا كتابته في الشيء الصَّغير.

---

(١) الأُولى هي سورة الشورى. وأخواتها: تلك السور التي تبدأ بقوله: ﴿حمٓ﴾؛ وهي: غافر، فصلت، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف.

أَخرج أَبو عبيد في «فضائله»[١] عن عمر: أنه وجَد مع رجل مصحفاً قد كتبه بقلم دقيق، فكره ذلك وضربه، وقال: عظِّموا كتاب الله.

وكان عمر إذا رأى مصحفاً عظيماً سُرّ به.

وأخرج عبدُ الرزَّاق عن علي: أنه كان يكره أن تتَّخذ المصاحفُ صغاراً.

وأخرج أبو عبيد عنه[٢]: أنه كَرِه أن يُكتب القرآنُ في الشيءِ الصغير.

وأخرج هو[٣] والبيهقيّ في «الشُّعب» [٢٦٦٣] عن أبي حكيم العبديّ قال: مَرَّ بي عليٌّ وأنا أكتب مصحفاً، فقال: أَجِل قلمَك. فقضمتُ من قلمي قَضْمَةً، ثم جعلت أكتب، فقال: نَعَمْ، هكذا نوِّرْهُ كما نَوَّرَهُ الله.

وأخرج البيهقيّ [في «الشعب»: ٢٦٦٧] عن علي موقوفاً قال: تنَوَّق[٤] رجلٌ في ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ فغُفر له.

وأَخرج أَبو نُعيم في «تاريخ أَصبهان» وابن أَشته في «المصاحف» من طريق أَبان، عن أنس مرفوعاً: «من كتب: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ مجوَّدة غفر الله له».

وأخرج ابن أَشته عن عمر بن عبد العزيز: أنه كتب إلى عمّاله: إذا كتب أحدكم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ فليمدَّ (الرحمن).

وأخرج عن زيد بن ثابت: أنَّه كان كره أن تُكتب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ليس لها سين.

وأخرج عن يزيد بن أَبي حبيب: أَنَّ كاتب عمرو بن العاص كتب إلى عمر، فكتب (بسم الله)، ولم يكتب لها سيناً، فضربه عمر، فقيل له: فيم ضَرَبَك أميرُ المؤمنين؟ قال: ضربني في سين.

وأَخرج عن ابن سيرين: أنَّه كان يكره أن تُمدّ الباء إلى الميم حتى تكتب السِّين.

وأخرج ابن أَبي داود في «المصاحف»[٥] عن ابن سيرين: أنَّه كره أن يكتَب المصحف مَشْقًا، قيل: لم؟ قال: لأن فيه نقصاً.

وتحرم كتابته بشيء نجس، وأَمّا بالذهب فهو حسن، كما قاله الغزالي.

وأخرج أَبو عُبيد[٦] عن ابن عباس وأبي ذَر وأَبي الدرداء: أنهم كرهوا ذلك.

وأخرج عن ابن مسعود: أنه مرّ عليه مصحف زُيِّن بالذهب، فقال: إنَّ أَحسن ما زُيِّن به المصحف تلاوته بالحقِّ.

قال أَصحابنا: وتكره كتابته على الحيطان والجدران وعلى السُّقوف أَشدّ كراهة؛ لأنه يُوطأ.

---

(١) «فضائل القرآن» ص٣٩٨.

(٢) «فضائل القرآن» ص٣٩٨ ـ ٣٩٩.

(٣) «فضائل القرآن» ص٣٩٨.

(٤) تَنَوَّقَ: تَجوَّد وبالغ في الجودة، ومثله تَنَيَّقَ أي: تجوَّد في مطعمه ومَلْبَسِهِ. «القاموس».

(٥) «المصاحف» ص١٥٠.

(٦) في «فضائله» ص٣٩٩.

وأخرج أبو عبيد[١] عن عمر بن عبد العزيز قال: لا تكتبوا القرآن حيث يوطأ.

وهل تجوز كتابته بقلم غير العربي؟[٢]

قال الزَّركشي: لم أر فيه كلاماً لأحدٍ من العلماء.

قال: ويحتمل الجواز، لأنه قد يحسنه من يقرؤه بالعربية، والأقرب المنعُ كما تحرُم قراءته بغير لسان العرب، ولقولهم: القلم أحد اللسانين، والعرب لا تعرف قلماً غير العربيّ، وقد قال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]. انتهى.

فائدة: أخرج ابن أبي داود[٣] عن إبراهيم التيميّ قال: قال عبد الله: لا يكتب المصاحِفَ إلا مُضَرِيٌّ. قال ابنُ أبي داود: هذا من أَجلّ اللغات.

مسألة: اختُلف في نقط المصحف وشكله، ويقال: أوّل من فعل ذلك أبو الأسود الدؤليّ بأمر عبد الملك بن مروان، وقيل: الحسن البصري ويحيى بن يعمر، وقيل: نصر بن عاصم الليثي.

وأوّل من وضع الهمز والتشديد والرَّوْم والإشمام الخليلُ.

وقال قتادة: بدؤوا فنقطوا ثم خمسوا، ثم عشروا.

وقال غيره: أَول ما أحدثوا النَّقْط عند آخر الآي، ثم الفواتح والخواتم.

وقال يحيى بن أبي كثير: ما كانوا يعرفون شيئاً مما أُحدِث في المصاحف إلا النقط الثلاث على رؤوس الآي. أخرجه ابن أبي داود.

وقد أخرج أبو عُبيد[٤] وغيره عن ابن مسعود، قال: جرِّدوا القرآن ولا تَخلِطوه بشيء.

وأخرج عن النَّخعيّ: أنه كره نقط المصاحف.

وعن ابن سيرين: أنه كره النَّقط والفواتح والخواتم.

وعن ابن مسعود ومجاهد: أنهما كرها التَّعْشير.

وأخرج ابن أبي داود[٥] عن النَّخَعي: أنه كان يكره العواشر والفواتح وتصغير المصحف، وأن يُكتب فيه سورة كذا وكذا.

وأخرج عنه[٦]: أنه أُتيَ بمصحف مكتوب فيه سورة كذا وكذا آية، فقال: امْحُ هذا؛ فإن ابن مسعود كان يكرهه.

وأخرج[٧] عن أبي العالية: أنه كان يكره الجُمل في المصحف، وفاتحة سورة كذا وخاتمة سورة كذا.

---

(١) في «فضائل القرآن» ص١٢١.

(٢) أي: بحروفٍ غير الحروف العربية.

(٣) في «المصاحف» ص١٥١.

(٤) في «فضائله» ص٣٩٢.

(٥) في «المصاحف» ص١٥٣ ـ ١٥٤.

(٦) المرجع السابق.

(٧) «المصاحف» ص١٥٤.

وقال مالك: لا بأْس بالنقط في المصاحف التي يتعلَّم فيها الغلمان، أمّا الأُمهات فلا.

وقال الحليميّ: تكره كتابة الأعشار والأخماس، وأسماء السُّور، وعدد الآيات فيه، لقوله: «**جرّدوا القرآن**». وأمّا النقط فيجوز، لأَنه ليس له صورة فيتوهّم لأجلها ما ليس بقرآن قرآناً، وإنما هي دلالات على هيئة المقروء، فلا يضرّ إثباتها لمن يحتاج إليها.

وقال البيهقيّ: من آداب القرآن أن يفخَّم، فيكتب مفرجاً بأحسن خطّ، فلا يصغَّر ولا تُقَرْمَطُ حروفُهُ، ولا يُخْلَطُ به ما ليسَ منه، كعدد الآيات والسَّجَدَات والعَشَرات والوقوف واختلاف القراءات ومعاني الآيات. وقد أخرج ابن أبي داود[1] عن الحسن وابن سيرين أَنَّهما قالا: لا بأْس بنقط المصاحف.

وأخرج عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه قال: لا بأس بشكله.

وقال النوويّ: نقْط المصحف وشكلُه مستحبٌّ، لأنه صيانة له من اللَّحن والتحريف.

وقال ابن مجاهد: ينبغي أَنْ لا يُشْكَل إلا ما يُشْكِل.

وقال الدّاني: لا أَستجيز النَّقطَ بالسَّواد، لما فيه من التغيير لصورة الرَّسم، ولا أَستجيز جميع قراءاتٍ شتَّى في مصحف واحد بأَلوان مختلفة، لأنه من أعظم التخليط والتغيير للمرسوم، وأرى أن تكون الحركات والتنوين والتشديد والسكون والمدّ بالحمرة، والهمزات بالصُّفْرة.

وقال الجُرْجانيّ من أصحابنا في «**الشافي**»: من المذموم كتابة تفسير كلمات القرآن بين أسطره.

فائدة: كان الشكل في الصَّدْر الأول نقْطاً: فالفتحة نقطة على أَوَّل الحرف، والضمة على آخره، والكسرة تحت أوله، وعليه مشى الدّاني.

والذي اشتهر الآن الضَّبط بالحركات المأْخوذة من الحروف، وهو الذي أَخرجه الخليل، وهو أَكثر وأَوضحُ، وعليه العمل: فالفتح شكلة مستطيلة فوق الحرف، والكسر كذلك تحته، والضمُّ واو صغرى فوقَه، والتنوين زيادة مثلها؛ فإن كان مظهراً ـ وذلك قبل حرف حلْق ـ ركبت فوقها، وإلا جُعلت بينهما.

وتكتب الألف المحذوفة والمبدَل منها في محلّها حمراء، والهمزة المحذوفة تكتب همزة بلا حرف حمراء أيضاً، وعلى النون والتنوين قبل الباء علامة الإقلاب (م) حمراء، وقبل الحلْق سكون، وتُعرى عند الإدغام والإخفاء، ويسكَّن كلُّ مسكَّن ويعرّى المدغم، ويشدَّد ما بعده إلا الطاء قبل التاء، فيكتب عليها السكون، نحو: ﴿فَرَّطتُ﴾ [الزمر: ٥٦]. ومطّة الممدود لا تجاوزه.

فائدة: قال الحَرْبيُّ في «**غريب الحديث**»: قول ابن مسعود: جَرِّدوا القرآن، يحتمل وجهين:

أحدهما: جرّدوه في التلاوة، ولا تخلطوا به غيرَه.

والثاني: جرّدوه في الخطّ من النقط والتعشير.

---

(١) في «المصاحف» ص١٦٠.

وقال البيهقيُّ: الأبينُ أنه أراد: لا تخلطوا به غيره من الكتب، لأن ما خلا القرآن مِن كتب الله إنَّما يؤخذ عن اليهود والنَّصارى، وليسوا بمأمونين عليها.

فرع: أخرج ابن أبي داود في كتاب «**المصاحف**»[١] عن ابن عباس: أنه كَرِه أخذ الأُجرة على كتابة المصحف.

وأخرج مثله عن أيوب السّختيانيّ.

وأخرج عن ابن عمر وابن مسعود: أنّهما كرها بيع **المصاحف** وشراءَها، وأن يُستأجر على كتابتها.

وأخرج عن مجاهد وابن المسيّب والحسن أنهم قالوا: لا بأْس بالثلاثة.

وأخرج عن سعيد بن جبير: أنه سئِل عن بيع المصاحف، فقال: لا بأْس، إنما يأخذون أُجور أيديهم.

وأخرج عن ابن الحنفيّة: أنه سئِل عن بيع المصحف، قال: لا بأس: إنما تبيع الورق.

وأخرج عن عبد الله بن شَقيق قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يشدّدون في بيع المصاحف.

وأخرج عن النَّخَعي قال: المصحف لا يباع ولا يورَّث.

وأخرج عن ابن المسيب أنه كره بيع المصاحف، وقال: أَعِنْ أخاك بالكتاب أو: هب له.

وأخرج عن عطاء عن ابن عباس، قال: **اشتر المصاحف ولا تَبِعْها**.

وأخرج عن مجاهد: أنه نَهَى عن بيع المصاحف، ورَخَّص في شرائها.

وقد حصَل من ذلك ثلاثة أقوال للسلف:

ثالثها: كراهة البيع دون الشراء، وهو أصحّ الأوجه عندنا، كما صحّحه في «**شرح المهذب**»[٢]، ونقله في زوائد «**الروضة**» عن نصّ الشافعي. قال الرافعيّ: وقد قيل: إنَّ الثمن متوجِّه إلى الدُفَّتَيْن، لأنَّ كلام الله لا يباع، وقيل: إنه بدل من أُجْرة النسخ. انتهى.

وقد تقدم إسناد القولين إلى ابن الحنفيّة وابن جُبير، وفيه قول ثالث: أنّه بدل منهما معاً.

أخرج ابن أبي داود[٣] عن الشعبيّ، قال: لا بأُس ببيع المصاحف، إنما يبيع الورق وعَمَلَ يديه.

فرع: قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في «**القواعد**»: القيام للمصحف بِدْعة لم تُعْهَد في الصدر الأوّل، والصواب ما قاله النوويّ في «**التّبيان**» من استحباب ذلك، لما فيه من التَّعظيم وعدم التهاون به.

فرع: يستحب تقبيل المصحف، لأن عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه كان يفعله، وبالقياس على تقبيل الحجر الأسود، ذكره بعضهم، ولأنه هدية من الله تعالى، فشُرِع تقبيلُه كما يستحب تقبيلُ الولد الصغير.

وعن أحمد ثلاثُ روايات: الجواز، والاستحباب، والتوقُّف، وإن كان فيه رفعةٌ وإكرام، لأنه لا يدخله قياس، ولهذا قال عمر في الحَجَر: لولا أني رأيتُ رسول الله ﷺ يُقبِّلُك ما قَبّلْتُكَ [البخاري: ١٥٩٧، ومسلم: ٣٠٦٧، وأحمد: ٩٩].

---

(١) «المصاحف» ص١٤٨.

(٢) كتاب البيوع، باب: ما يجوز بيعه وما لا يجوز، عند قول المصنف: ويجوز بيع المصاحف... ٩/ ١٨٣.

(٣) في «المصاحف» ص١٧٦ و٢٠٢.

فرع: يستحبّ تطييب المصحف، وجعلُه على كرسيّ، ويحرُم توسُّده؛ لأن فيه إذلالاً وامتهاناً. قال الزركشيّ: وكذا مدّ الرِّجْلين إليه.

وأخرج ابن أَبي داود في «**المصاحف**»(١) عن سفيان: أنه كره أن تُعلَّق المصاحفُ.

وأخرج عن الضحاك قال: لا تتَّخذوا للحديث كراسيّ ككراسيّ المصاحف.

فرع: يجوز تحليتُه بالفضَّة إكراماً له على الصحيح، أخرج البيهقيّ عن الوليد بن مسلم قال: سألتُ مالكاً عن تفضيض المصاحف، فأخرج إلينا مصحفاً فقال: حدَّثني أبي عن جدِّي: أنهم جمعوا القرآن في عهد عثمان، وأنَّهم فضَّضوا المصاحفَ على هذا أو نحوه، وأما بالذَّهب: فالأصح جوازه للمرأة دون الرجل، وخصَّ بعضُهم الجوازَ بنفس المصحف؛ دون غلافه المنفصل عنه، والأظهر التسوية.

فرع: إذا احتيج إلى تعطيل بعض أوراق المصحف لِبِلًى ونحوه، فلا يجوز وضعها في شقٍّ أو غيره، لأنَّه قد يسقط ويوطَأُ، ولا يجوز تمزيقها لما فيه من تقطيع الحروف وتَفْرِقة الكلم، وفي ذلك إزراء بالمكتوب. كذا قال الحليمي.

قال: وله غسْلها بالماء؛ وإن أَحرقها بالنار فلا بأْس؛ أَحرق عثمان مصاحفَ كان فيها آياتٌ وقراءاتٌ منسوخة، ولم يُنكَر عليه.

وذكر غيره: أنَّ الإِحراق أَوْلَى من الغسل، لأَنَّ الغُسالة قد تقع على الأرض.

وجزم القاضي حسين في تعليقه بامتناع الإِحراق، لأنه خلاف الاحتِرام، والنوويُّ بالكراهة.

وفي بعض كتب الحنفية: أنَّ المصحف إذا بَلِيَ لا يُحرق، بل يُحْفر له في الأَرض ويُدفن. وفيه وقفةٌ؛ لتعرّضه للوطء بالأقدام.

فرع: روى ابن أبي داود(٢) عن ابن المسيب، قال: لا يقول أَحدُكم: مصيحف ولا مسيجد، ما كان لله تعالى فهو عظيم.

فرع: مذهبنا ومذهب جمهور العلماء: تحريمُ مسّ المصحف للمحدَث، سواء كان أصغر أم أكبر، لقوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩]. وحديث الترمذيّ وغيره: «**لا يَمَسُّ القرآنَ إلا طاهرٌ**» [عبد الرزاق في «مصنفه»: ١٣٢٨، والدارقطني في «سننه» (١/ ١٢١)، والبيهقي في «السنن» (١/ ٨٧) وقد صححه الألباني في «صحيح الجامع»: ٧٧٨٠].

خاتمة

روى ابن ماجه وغيره عن أنس مرفوعاً: «**سبعٌ يجري للعبد أجرُهنَّ بعد موته وهو في قبره: مَن علَّم علماً، أو أجرى نهراً، أو حفَر بئراً، أو غرَس نخلاً، أو بنَى مسجداً، أو ترك ولداً يستغفر له من بعد موته، أو ورَّث مصحفاً**» [ابن ماجه: ٢٤٢، وابن خزيمة: ٢٤٩٠ وقد حسنه الألباني].

---

(١) «المصاحف» ص٢٠٤.

(٢) في «المصاحف» ص١٧١.

النوع السابع والسبعون

في معرفة تفسيره وتأويله وبيان شرفه والحاجة إليه

التفسير: (تفعيل) من الفَسْر، وهو البيان والكشف، ويقال: هو مقلوب السَّفْر، تقول: أسفر الصبح إذا أَضاء، وقيل: مأُخوذ من التَّفْسِرة، وهي اسم لما يعرف به الطبيب المرض.

والتأْويل: أَصله من الأَوْل وهو الرجوع، فكأنه صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني. وقيل من الإِيالة؛ وهِي السياسة؛ كأنَّ المؤوِّل للكلام سَاسَ الكلام ووضَع المعنى فيه موضِعَه.

واختلف في التفسير والتأْويل:

فقال أبو عُبيد وطائفة: هما بمعنىً.

وقد أَنكر ذلك قوم، حتى بالغ ابن حبيب النّيسابوريّ فقال: قد نبغ في زماننا مفسّرون، لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأْويل ما اهتدوا إليه.

وقال الراغب[1]: التفسير أَعمُّ من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل، وأكثر ما يستعمل في الكتب الإِلهية. والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها.

وقال غيره: التفسير بيان لفظ لا يحتمِل إلا وجهاً واحداً، والتأويل: توجيه لفظ متوجّه إلى معانٍ مختلفة إلى واحد منها، بما ظهر من الأَدِلَّة.

وقال الماتريديّ[2]: التفسير القطْع على أن المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أنه عَنى باللفظ هذا، فإنْ قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلا فتفسير بالرأْي، وهو المنهي عنه. والتأويل: ترجيح أحد المحتَملات بدون القَطْع والشهادة على الله.

وقال أبو طالب التَّغْلبي: التفسير بيان وضْع اللفظ، إما حقيقة أو مجازاً، كتفسير الصراط: بالطريق، والصيِّب: بالمطر. والتأْويل تفسير باطن اللفظ، مأْخوذ من الأَوْل وهو الرجوع لعاقبة الأمر. فالتأْويل إخبارٌ عن حقيقة المراد، والتفسير إخبارٌ عن دليل المراد؛ لأن اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل، مثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]. تفسيره: أَنه من الرصْد، يقال: رصدته: رقبته، والمرصاد (مِفْعال) منه. وتأويله: التحذير من التهاون بأمر الله والغفلة عن الأُهبة والاستعداد للعرض عليه. وقواطع الأدلَّة تقتضي بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ في اللغة.

---

(١) في «مفرداته» مادة: فسر.

(٢) في تفسيره «تأويلات أهل السنة» ١/ ٢، تح: فاطمة الخيمي ط: مؤسسة الرسالة ناشرون.

وقال الأصبهاني في «تفسيره»: اعلم أنَّ التفسير في عُرف العلماء كشف معاني القرآن وبيان المراد، أعمُّ من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره، وبحسب المعنى الظاهر وغيره. والتأويل: أكثره في الجمل.

والتفسير: إما أن يستعمل في غريب الألفاظ، نحو: البَحِيرة والسائبة والوصيلة. أو في وجيزٍ يتبيَّنُ بشرح، نحو: أقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة. وإما في كلام متضمِّن لقصة لا يمكن تصويره إلا بمعرفتها، كقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧]، وقوله: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩].

وأما التأويل: فإنه يستعمل مرة عامًّا ومرة خاصًّا، نحو: الكفر المستعمل تارة في الجحود المطلق، وتارةً في جحود البارئ عزَّ وجلَّ خاصة. والإيمان المستعمل في التصديق المطلق تارة وفي تصديق الحقِّ أُخرى. وإما في لفظ مشترَكٍ بين معانٍ مختلفة، نحو لفظ: (وَجَد) المستعمل في الجِدَة والوَجْد والوُجُود.

وقال غيره: التفسير يتعلق بالرواية، والتأويل يتعلق بالدّراية.

وقال أبو نصر القشيريّ: التفسير مقصور على الإتّباع والسماع، والاستنباط مما يتعلق بالتأويل.

وقال قوم: ما وقع مبيَّناً في كتاب الله ومعيَّناً في صحيح السنَّة سمِّي تفسيراً، لأن معناه قد ظهر ووضَح، وليس لأَحدٍ أن يتعرَّض إليه باجتهاد ولا غيره، بل يحمله على المعنى الذي ورد، ولا يتعدَّاه. والتأويل: ما استنبطه العلماء العالمون لمعاني الخطاب، الماهرُون في آلات العلوم.

وقال قوم منهم البغويّ والكَواشي: التأويل صَرْف الآيةِ إلى معنىً موافقٍ لما قبلها وما بعدها، تحتمله الآية، غير مخالفٍ للكتاب والسنة من طريق الاستنباط.

وقال بعضهم: التفسير في الاصطلاح: علمُ نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيّها ومدنِيّها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصّها وعامّها، ومطلقها ومقيّدها، ومجملها ومفسّرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعِبَرها وأمثالها.

وقال أبو حيان: التفسير علمٌ يُبحث فيه عن كيفية النّطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفراديّة والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك.

قال: فقولُنا (علم) جنس، وقولنا: (يبحث فيه عن كيفية النُّطق بألفاظ القرآن) هو علم القراءة، وقولنا: (ومدلولاتها)، أي: مدلولات تلك الألفاظ، وهذا متن علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم، وقولنا: (وأحكامها الإفرادية والتركيبية) هذا يشمَل علمَ التصريف والبيان والبديع، وقولنا: (ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب) يشمل ما دلالته بالحقيقة وما دلالته بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئاً ويصُد عن الحمل عليه صادٌّ، فيُحمل على غيره، وهو المجاز، وقولنا: (وتتمّات لذلك)، هو مِثْلَ معرفة النسخ، وسبب النزول، وقصة توضح بعض ما أُبهم في القرآن، ونحو ذلك.

وقال الزركشي[1]: التفسير علمٌ يُفهَم به كتابُ الله المنزَّلُ على نَبيه محمد ﷺ وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكَمه، واستمداد ذلك من علم اللُّغة والنحو والتصريف، وعلم البيان وأُصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.

فصل: وأما وجه الحاجة إليه:

فقال بعضهم: اعلم أنَّ من المعلوم أنَّ الله إنما خاطب خلقه بما يفهمونه؛ ولذلك أرسل كلَّ رسولٍ بلسان قومه، وأَنزل كتابه على لغتهم، وإنما احتيج إلى التفسير لما سيُذكر بعد تقرير قاعدة؛ وهي: أنَّ كلَّ مَن وضع من البشر كتاباً فإنما وضعه ليفهمَ بذاته من غير شرح، وإنما احتيج إلى الشروح لأُمور ثلاثة:

أحدها: كمال فضيلة المصنِّف، فإنه لقوته العلمية يجمع المعاني الدقيقة في اللفظ الوجيز، فربما عسُر فهم مراده، فقُصد بالشرح ظهورُ تلك المعاني الخفيَّة، ومن هنا كان شرح بعض الأئمة تصنيفَه أدل على المراد من شرح غيره له.

وثانيها: إغفاله بعض تتمات المسألة أو شروط لها، اعتماداً على وضوحها، أو لأنها من علم آخر، فيحتاج الشارح لبيان المحذوف ومراتبه.

وثالثها: احتمال اللفظ لمعانٍ كما في المجاز والاشتراك، ودلالة الالتزام، فيحتاج الشارح إلى بيان غرض المصنف وترجيحه، وقد يقع في التَّصانيف ما لا يخلو عنه بشرٌ من السهو والغلط، أو تكرار الشيء، أو حذف المبهم، وغير ذلك؛ فيحتاج الشارح للتنبيه على ذلك.

إذا تقرر هذا فنقول: إن القرآن إنما نزل بلسان عربيٍّ في زمنِ أفصح العرب، وكانوا يعلمون ظواهرَه وأحكامَه.

أمَّا دقائق باطنه: فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر، مع سؤالهم النبيَّ ﷺ في الأكثر؛ كسؤالهم لمَّا نزل قوله: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]. فقالوا: وأَيّنا لم يظلم نفسه؟ ففسَّره النبيّ ﷺ بالشرك، واستدلَّ عليه بقوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]. [البخاري: ٣٢، ومسلم: ٣٢٧، وأحمد: ٣٥٨٩].

وكسؤال عائشة عن الحساب اليسير، فقال: «**ذلك العرض**» [البخاري: ١٠٣، ومسلم: ٧٢٢٧، وأحمد: ٢٤٢٠٠]. وكقصة عدي بن حاتم في الخيط الأبيض والأسود [البخاري: ١٩١٦، ومسلم: ٢٥٣٣، وأحمد: ١٩٣٧٠]، وغير ذلك؛ مما سألوا عن آحاد منه؛ ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه، وزيادة على ذلك مما لم يحتاجوا إليه من أحكام الظواهر؛ لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلُّم، فنحن أشدُّ الناس احتياجاً إلى التفسير، ومعلوم أنَّ تفسير بعضه يكون من قِبَل بسْط الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها، وبعضه من قِبَل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض. انتهى.

---

(١) في «البرهان» ١/ ١٠٤ في المقدمة.

وقال الخُوَيِّي: علم التفسير عَسير يسير، أمَّا عُسْرهُ: فظاهر من وجوهٍ، أظهرها أنَّه كلامُ متكلِّم، لم يصل الناس إلى مراده بالسماع منه، ولا إمكان الوصول إليه، بخلاف الأمثال والأشعار، ونحوها، فإنَّ الإنسان يمكن علمه منه إذا تكلم بأن يسمع منه أو ممن سمع منه، وأمَّا القرآن فتفسيره على وجه القطع لا يعلم إلَّا بأن يسمع من الرسول ﷺ؛ وذلك متعذِّر إلَّا في آيات قلائل، فالعلم بالمراد يُستنبط بأمارات ودلائل، والحكمة فيه: أنَّ الله تعالى أراد أن يتفكر عبادُه في كتابه، فلم يأمر نبيه بالتنصيص على المراد في جميع آياته.

فصل: وأما شرفه فلا يخفى، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

أخرج ابن أبي حاتم(١) وغيرُه من طريق ابن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ﴾ قال: المعرفة بالقرآن؛ ناسخِه ومنسوخه، ومحكَمِه ومتشابِهه، ومقدمه ومؤخَّره، وحلاله وحرامه، وأمثاله.

وأخرج ابن مردويه من طريق جُوَيْبر، عن الضحاك، عن ابن عباس، مرفوعاً: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ﴾ قال: القرآن، قال ابنُ عباس: يعني تفسيره، فإنه قد قرأه البَرُّ والفاجر.

وأخرج ابن أبي حاتم(٢) عن أبي الدرداء: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ﴾ قال: قراءة القرآن، والفكرة فيه. وأخرج ابنُ جرير مثله عن مجاهد وأبي العالية وقتادة.

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]. أخرج ابنُ أبي حاتم، عن عمرو بن مُرَّة قال: ما مررت بآيةٍ في كتابِ الله لا أعرفها إلَّا أَحْزَنَتْنِي، لأني سمعت الله يقول: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾.

وأخرج أبو عُبيد(٣) عن الحسن قال: ما أنزل الله آية إلَّا وهو يُحبُّ أن تُعلم فيمَ أُنزلت، وما أراد بها.

وأخرج أبو ذرّ الهَرويّ في «**فضائل القرآن**» من طريق سَعِيد بن جُبير، عن ابن عباس قال: الذي يقرأ القرآن ولا يُحسن تفسيرَه، كالأعرابيّ يَهُذُّ الشعرَ هذًّا.

وأخرج البيهقيّ [في «الشعب»: ٢٦٥٢] وغيره من حديث أبي هُريرة مرفوعاً: «**أعربوا القرآن، والتَمسوا غرائبَه**».

وأخرج ابنُ الأنباريّ، عن أبي بكر الصدِّيق قال: لأنْ أُعرِب آيةً من القرآن أَحبُّ إليَّ من أن أحفظَ آية.

وأخرج أيضاً عن عبد الله بن بُريدة، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: لو أني أعلم إذا سافرتُ أربعين ليلةً أعربتُ آية من كتاب الله، لفعلتُ.

وأخرج أَيضاً من طريق الشعبيّ قال: قال عمر: مَنْ قرأَ القرآن فأَعرَبه، كان له عند الله أجرُ شهيد.

---

(١) في «تفسيره» ٢/ ٥٣١ (٢٨٢٢) البقرة: ٢٦٩.
(٢) في «تفسيره» ٢/ ٥٣٣ (٢٨٣١) البقرة: ٢٧٠.
(٣) في «فضائله» ص٩٧.

قلت: معنى هذه الآثار عندي إرادة البيان والتفسير؛ لأن إطلاق الإعراب على الحكم النحويّ اصطلاحٌ حادث، ولأنَّه كان في سليقتِهم لا يحتاجون إلى تعلُّمه، ثم رأيت ابنَ النقيب جَنَح إلى ما ذكرتُه، وقال: ويجوز أن يكون المرادُ الإعرابَ الصناعيّ. وفيه بُعْدٌ.

وقد يُستدلّ له بما أخرجه السِّلَفِيّ في «**الطيوريّات**» من حديث ابن عمر مرفوعاً: «**أعربوا القرآن يَدُلُّكم على تأويله**».

وقد أجمعَ العلماء: أنَّ التفسير من فروض الكفايات، وأجلُّ العلوم الثلاثة الشرعية[(١)].

قال الأصبهانيّ: أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسيرُ القرآن؛ بيان ذلك: أن شرف الصناعة إمّا بشرف موضوعها مثل الصياغة؛ فإنها أشرف من الدِّباغة، لأن موضوع الصياغة الذهبُ والفضة، وهما أشرف من موضوع الدِّباغة الَّذي هو جلد الميتة. وإما بشرف غرضها، مثل صناعة الطب، فإنَّها أشرف من صناعة الكناسة؛ لأنَّ غرض الطب إفادة الصحَّة، وغرض الكناسة تنظيف المستراح. وإما لشدَّة الحاجة إليها كالفِقه؛ فإن الحاجة إليه أشدُّ من الحاجة إلى الطبِّ، إذ ما من واقعة في الكوْن في أحد من الخلق إلَّا وهي مفتقرة إلى الفقه؛ لأن به انتظام صلاح أحوال الدنيا والدِّين، بخلاف الطب، فإنَّه يحتاج إليه بعض الناس في بعض الأوقات.

إذا عرف ذلك: فصناعة التفسير قد حازت الشرفَ من الجهات الثلاث:

أمَّا من جهة الموضوع: فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هوَ ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضيلة، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحُكْم ما بينكم، لا يَخلَق على كثرة الردِّ، ولا تنقضي عجائبُه.

وأمَّا من جهة الغَرَض: فلأَن الغرض منه هو الاعتصامُ بالعُرْوة الوثقى، والوصول إلى السعادة الحقيقيّة التي لا تفنى.

وأما من جهة شدة الحاجة: فلأَن كلَّ كمال دينيّ أو دنيويّ، عاجليّ أو آجلي، مفتقِرٌ إلى العلوم الشرعيّة والمعارف الدينية؛ وهي متوقِّفة على العلمِ بكتاب الله تعالى.

---

(١) العلوم الثلاثة هي: علوم القرآن، وعلوم الحديث، وعلم الفقه والأحكام.

النّوع الثامن والسبعون

في معرفة شروط المفسر وآدابه

قال العلماء: من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولاً من القرآن؛ فما أُجمِل منه في مكان فقد فُسِّر في موضع آخر، وما اختُصر في مكان فقد بُسِط في موضع آخر منه.

وقد ألَّف ابن الجوزيّ كتاباً فيما أجمل في القرآن في موضع، وفسّر في موضع آخر منه، وأشرتُ إلى أمثلة منه في نوع المجمَل.

فإن أعياه ذلك طلبه من السنَّة؛ فإنها شارحة للقرآن وموضّحة له، وقد قال الشافعي رضي الله عنه: كلُّ ما حكَمَ به رسول الله ﷺ فهو ممّا فهمه من القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥]. في آيات أخر. وقال ﷺ: «**ألا إني أوتيتُ القرآنَ ومثلَه معه**»؛ يعني السنَّة. [إسناده صحيح: أحمد: ١٧١٧٤، وأبو داود: ٤٦٠٤، وابن حبان: ١٢].

فإن لم يجده في السنة رجع إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك، لِما شاهدوه من القرآن والأحوال عند نزوله، ولما اختُصُّوا به من الفهم التامّ والعلمِ الصحيح والعملِ الصالح.

وقد قال الحاكم في «**المستدرَك**» [(٢/٢٥٨)]: إنّ تفسير الصحابيّ الذي شهد الوحي والتنزيل له حكمُ المرفوع.

وقال الإمام أبو طالب الطبريّ في أوائل «**تفسيره**»: القول في آداب المفسِّر:

اعلم أنَّ من شرطه صحة الاعتقاد أولاً، ولزوم سنَّة الدين، فإن مَن كان مغموصاً عليه في دينه[1]، لا يُؤتمن على الدنيا، فكيف على الدين! ثم لا يؤتمن من الدين على الإخبار عن عالِم، فكيف يؤتمن في الإخبار عن أسرار الله تعالى؟ ولأنه لا يؤمن إنْ كان متَّهماً بالإلحاد أن يبغي الفتنة ويُغِرّ الناس بلَيِّهِ وخداعه؛ كدأب الباطنية وغلاة الرافضة. وإن كان متَّهماً بهوًى لم يؤمن أن يحمله هواه على ما يوافق بدعته، كدأب القَدَرِيَّة، فإن أحدهم يصنِّف الكتاب في التفسير، ومقصوده منه الإيضاع[2] خلال المساكين، ليصدهم عن اتباع السلف ولزوم طريق الهدى.

ويجب أن يكون اعتماده على النقل عن النبي ﷺ وعن أصحابه ومَن عاصرهم، ويتجنب المحدَثات، وإذا تعارضت أقوالهم، وأمكن الجمع بينها فعل، نحو أن يتكلم على الصراط المستقيم، وأقوالهم فيه ترجع إلى شيء واحد، فيأخذ منها ما يدخل فيه الجميع، فلا تنافيَ بين القرآن وطريق الأنبياء، فطريق السنَّة وطريق النبي ﷺ وطريق أبي بكر وعمر، فأيَّ هذه الأقوال أفرده كان محسناً. وإن

---

(١) مَغْموصٌ عليه في دينه: مطعون في دينه، مُتَّهمٌ بالنفاق.

(٢) الإيضاع: الإفساد والسعي بالفتنة.

تعارضت ردَّ الأمر إلى ما ثبت فيه السَّمْعُ، وإن لم يجد سمعاً، وكان للاستدلال طريق إلى تقوية أحدها رجَّح ما قَوِيَ الاستدلالُ فيه؛ كاختلافهم في معنى حروف الهجاء، يُرجِّحُ قول من قال: إنها قَسَمٌ. وإن تعارضت الأدلة في المراد عُلم أنه قد اشتبه عليه، فيؤمن بمراد الله منها، ولا يتهجَّم على تعيينه. وينزله منزلة المجمَل قبل تفصيله والمتشابه قبل تبيينه.

ومن شرطه: صحة المقصد فيما يقول ليلقى التَّسديد، فقد قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. وإنما يخلص له القصد إذا زهد في الدنيا، لأنه إذا رغب فيها لم يؤمن أن يتوسل به إلى غرض يصُدُّه عن صواب قصده، ويُفسد عليه صحةَ عمله.

وتمام هذه الشرائط: أن يكون ممتلئاً من عُدَّة الإعراب، لا يلتبس عليه اختلافُ وجوه الكلام، فإنَّه إذا خرج بالبيان عن وضع اللسان، إما حقيقة أو مجازاً، فتأويله تعطيلُه!! وقد رأيتُ بعضهم يفسِّر قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ﴾ [الأنعام: ٩١] أنه ملازمة قول: «الله»، ولم يدْرِ الغبيُّ أن هذه جملة حذِف منها الخبرُ، والتقدير: الله أنزله. انتهى كلام أبي طالب.

وقال ابن تيمية في كتاب ألفه في هذا النوع(١):

يجب أن يُعْلم أنَّ النبي ﷺ بيَّن لأصحابه معانيَ القرآن، كما بيَّن لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [النحل: ٤٤] يتناول هذا وهذا، وقد قال أبو عبد الرحمن السُّلَميّ: حدثنا الَّذِينَ كانوا يقرؤون القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما: أنهم كانوا إذا تعلَّموا من النبيّ ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآنَ والعلمَ والعملَ جميعاً. ولهذا كانوا يَبْقَون مدةً في حفظ السورة.

وقال أَنس: كان الرجل إذا قرأ البقرة وآلَ عمران جَدَّ في أَعيننا. رواه أحمد في «**مسنده**» [١٢٢١٥ وإسناده صحيح].

وأقام ابن عمر على حفظ البقرة ثماني سنين، أخرجه في «**الموطأ**» [كتاب القرآن (١/ ١٥٧)].

وذلك أنَّ الله قال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩]، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ﴾ [النساء: ٨٢]. وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن.

وأيضاً: فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فنٍّ من العلم؛ كالطب والحساب، ولا يستشرحونه، فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم، وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم!؟ ولهذا كان النِّزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلاً جدًّا، وهو ـ وإن كان بين التابعين أكثر منه بين الصحابة ـ فهو قليل بالنسبة إلى ما بعدهم.

ومن التابعين من تلقَّى جميعَ التفسير عن الصحابة، وربما تكلَّموا في بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال. والخلافُ بين السلف في التفسير قليلٌ، وغالب ما يصِحُّ عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوعٍ لا اختلاف تضاد؛ وذلك صنفان:

(١) «مقدمة في أصول التفسير» ص٧٤.

أحدهما: أن يعبر واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه، تدل على معنى في المسمَّى غير المعنى الآخر، مع اتحاد المسمَّى؛ كتفسيرهم: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾؛ بعضٌ: بالقرآن، أي: اتّباعه، وبعض: بالإسلام، فالقولان متفقان، لأن دين الإسلام هو اتّباع القرآن؛ ولكن كل منهما نبَّه على وصف غير الوصف الآخر، كما أن لفظ ﴿صِرَٰطَ﴾ يُشعر بوصف ثالث.

وكذلك قول من قال: هو السنة والجماعة. وقول مَن قال: هو طريق العبوديَّة، وقول مَن قال: هو طاعة الله ورسوله. وأمثال ذلك؛ فهؤلاء كلُّهم أشاروا إلى ذات واحدة، لكن وصَفها كلٌّ منهم بصفة من صفاتها.

الثاني: أن يَذْكُر كلٌّ منهم من الاسم العام بعضَ أنواعه، على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع، لا على سبيل الحدِّ المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه؛ مثاله ما نقل في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا﴾ الآية [فاطر: ٣٢]. فمعلوم: أن الظالمَ لنفسه يتناول المضيِّع للواجبات والمنتهِكَ للحُرمات، والمقتصِدَ يتناول فاعل الواجبات وتارك المحرّمات، والسابق يدخل فيه مَن سبق فتقرّب بالحسنات مع الواجبات؛ فالمقتصدون أصحاب اليمين؛ والسابقون السابقون أولئك المقربون.

ثمَّ إنَّ كلًّا منهم يذكر هذا في نوع من أنواع الطاعات، كقول القائل: السابق الذي يصلي أوّل الوقت، والمقتصِدُ الذي يصلِّي في أثنائه، والظالم لنفسه الذي يؤخِّر العصر إلى الاصفرار. أو يقول: السابق المحسِنُ بالصَّدقة مع الزكاة، والمقتصِدُ الذي يؤدي الزكاةَ المفروضةَ فقط، والظالم مانعُ الزكاة.

قال: وهذان الصنفان اللَّذان ذكرناهما في تنوع التفسير؛ تارة لتنوّع الأسماء والصفات، وتارة لذكر بعض أنواع المسمَّى، هو الغالب في تفسير سلف الأمة الذي يظنُّ أنه مختلف.

ومن التنازع الموجود عنهم ما يكون اللَّفظ فيه محتملاً للأمرين.

إما لكونه مشتركاً في اللغة، كلفظ: ﴿قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٥١]؛ الذي يُراد به: الرامي، ويُراد به: الأسد. ولفظ: ﴿عَسْعَسَ﴾ [التكوير: ١٧]؛ الذي يُراد به: إقبال الليل وإدباره.

وإما لكونه متواطئاً في الأصل؛ لكن المراد به أحد النوعين أو أحد الشخصين، كالضمائر في قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ . . .﴾ الآية [النجم: ٨]. وكلفظ الفجر والشفع والوتر وليال عشر، وأشباه ذلك. فمثل هذا: يجوز أن يراد به كلُّ المعاني التي قالها السلف، وقد لا يجوز ذلك.

فالأول: إما لكون الآية نزلت مرتين: فأُرِيد بها هذا تارة، وهذا تارة. وإما لكون اللفظ المشترك يجوز أن يُراد به معنياه. وإما لكون اللفظ متواطئاً، فيكون عامًّا إذا لم يكن لمخصصه موجِبٌ. فهذا النوع إذا صحَّ فيه القولان كان من الصِّنف الثاني.

ومن الأقوال الموجودة عنهم ـ ويجعلها بعض الناس اختلافاً ـ أن يعبروا عن المعاني بألفاظ متقاربة، كما إذا فسر بعضهم: ﴿تُبْسَلَ﴾ [الأنعام: ٧٠] بـ (تحبس)، وبعضهم بـ (تُرتَهن)؛ لأن كلًّا منهما قريبٌ من الآخر.

ثم قال: **فصل**: والاختلاف في التفسير على نوعين: منه ما مستنَده النقل فقط، ومنه ما يعلم بغير ذلك. والمنقول: إمَّا عن المعصوم أو غيره، ومنه ما يمكن معرفة الصحيح منه من غيره، ومنه ما لا يمكن ذلك؛ وهذا القسم الذي لا يمكن معرفة صحيحه من ضعيفه عامَّتُه ممَّا لا فائدة فيه ولا حاجة بنا إلى معرفته؛ وذلك: كاختلافهم في لون كلب أصحابِ الكهف واسمه، وفي البعض الذي ضُرب به القتيل من البقرة، وفي قَدر سفينة نوح وخشبها، وفي اسم الغلام الذي قتله الخضرُ، ونحو ذلك. فهذه الأمور طريق العلم بها النقل؛ فما كان منه منقولاً نقلاً صحيحاً عن النبي ﷺ قُبِل، وما لا ـ بأن نقِل عن أهل الكتاب ككعب ووهب ـ وُقِف عن تصديقه وتكذيبه، لقوله ﷺ: «**إذا حدَّثكم أهلُ الكتاب فلا تُصدِّقوهم، ولا تكذِّبوهم**»(١).

وكذا ما نقل عن بعض التابعين، وإن لم يذكر أنه أخذه عن أهل الكتاب، فمتى اختلف التابعون لم يكن بعض أقوالهم حُجَّة على بعض. وما نقل في ذلك عن الصحابة نقلاً صحيحاً فالنفسُ إليه أسكن مما ينقل عن التابعين؛ لأنَّ احتمال أن يكون سَمِعه من النبيّ ﷺ أو من بعض مَن سمعه منه أَقوَى، ولأنَّ نقل الصحابة عن أهل الكتاب أقلُّ من نقل التابعين.

ومع جزم الصحابي بما يقوله، كيف يقال: إنه أخذه عن أهل الكتاب وقد نُهُوا عن تصديقهم؟

وأمَّا القسم الذي يمكن معرفة الصحيح منه: فهذا موجود كثيراً ولله الحمد؛ وإن قال الإمام أحمد: ثلاثة ليس لها أصل: التفسير، والملاحم، والمغازي، وذلك لأنَّ الغالب عليها المراسيلُ.

وأمَّا ما يُعلم بالاستدلال لا بالنقل: فهذا أكثر ما فيه الخطأ من جهتين حَدَثَتا بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، فإن التفاسير التي يُذكر فيها كلام هؤلاء صرفاً لا يكاد يوجد فيها شيء من هاتين الجهتين؛ مثل تفسير عبد الرزق والفِرْيابيّ، ووكيع وعبد بن حميد وإسحاق وأمثالهم ـ أحدهما: قوم اعتقدوا معاني، ثم أرادوا حَمْل ألفاظ القرآن عليها. والثاني: قوم فسَّروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده مَن كان من الناطقين بلغة العرب، من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن والمنزَّل عليه والمخاطَب به.

فالأولون: راعَوا المعنى الَّذي رأوه، من غير نظر إلى ما تستحقّه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان.

والآخرون: راعَوا مجرد اللفظ، وما يجوز أن يُريد به العربيّ، من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم وسياق الكلام.

---

(١) أحمد في «مسنده» (١٧٢٢٥)، وأبو داود (٣٦٤٤)، والطبراني في «الكبير» ٢٢/ (٨٧٩)، وإسناده حسن.
قلتُ: وللقسم الثاني من الحديث شاهد من حديث أبي هريرة عند البخاري (٤٤٨٥) ولفظه: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراةَ بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تُصدِّقُوا أهلَ الكتاب، ولا تكذبوهم، وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ . . .﴾ الآية [البقرة: ١٣٦]».
هذا، وإن أخبار أهل الكتاب على ثلاثة أقسام:
أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح.
والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.
والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل، ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به، ولا نكذبه، وتجوز حكايته.

ثم هؤلاء كثيراً ما يغلطون في احتمال اللفظ لذلك المعنى في اللغة، كما يَغْلَط في ذلك الذين قبلهم، كما أن الأولين كثيراً ما يغلطون في صحة المعنى الذي فسروا به القرآن، كما يغلط في ذلك الآخرون؛ وإن كان نظر الأولين إلى المعنى أسبق، ونظر الآخرين إلى اللفظ أسبق.

والأولون صنفان: تارة يسلُبُون لفظ القرآن ما دلَّ عليه وأُريد به، وتارة يحمِلونه على ما لم يدلّ عليه ولم يُرِدْ به. وفي كلا الأمرين قد يكون ما قصدوا نفيَه أو إثباتَه من المعنى باطلاً، فيكون خطؤهم في الدليل والمدلول، وقد يكون حقًّا؛ فيكون خطؤهم، في الدليل لا في المدلول. فالذين أخطؤوا فيهما: مثل طوائف من أهل البدَعِ اعتقدوا مذاهب باطلة، وعمدوا إلى القرآن فتأوّلوه على رأيهم، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين؛ لا في رأيهم ولا في تفسيرهم؛ وقد صنَّفوا تفاسير على أصول مذهبهم، مثل تفسير عبد الرحمن بن كيسان الأصمّ، والجبَّائي، وعبد الجبار، والرمانيّ، والزمخشريّ، وأمثالهم.

ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة، يدسّ البدع في كلامه، وأكثر الناس لا يعلمون، كصاحب «**الكشاف**» ونحوه، حتى إنه يروج على خلق كثير من أهل السنَّة كثيرٌ من تفاسيرهم الباطلة.

وتفسير ابن عطية وأمثاله أَتْبَعُ للسنَّة، وأسلَم من البدعة، ولو ذكر كلام السلف المأثور عنهم على وجهه لكان أحسن، فإنَّه كثيراً ما ينقل من تفسير ابن جرير الطبريّ؛ وهو من أجلّ التفاسير وأعظمها قدراً، ثم إنَّه يدع ما ينقله عن السلف، ويذكر ما يزعم أنه قول المحققين، وإنما يعني بهم طائفةً من أهل الكلام، الذين قرَّروا أُصولَهم بطرقٍ من جنس ما قرَّرت به المعتزلة أُصولَهم، وإن كانوا أقربَ إلى السنَّة من المعتزلة، لكن ينبغي أنْ يُعطَى كلّ ذي حق حقه، فإنَّ الصحابة والتابعين والأئمة إذا كان لهم في الآية تفسير، وجاء قوم فسَّروا الآية بقول آخر لأجل مذهب اعتقدوه؛ وذلك المذهب ليس من مذاهب الصحابة والتابعين، صار مشاركاً للمعتزلة وغيرهم من أهل البدع في مثل هذا.

وفي الجملة: مَنْ عَدَل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً في ذلك، بل مبتدعاً؛ لأنَّهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه، كما أنَّهم أعلم بالحقّ الذي بَعَثَ الله به رسوله.

وأما الذين أَخطؤوا في الدليل لا المدلول: فمثل كثير من الصوفيَّة والوعاظ والفقهاء، يفسِّرون القرآن بمعان صحيحة في نفسها؛ لكن القرآن لا يدل عليها؛ مثل كثير مما ذكره السُّلمي في «**الحقائق**»، فإن كان فيما ذكروه معانٍ باطلةٌ دخل في القسم الأوَّل. انتهى كلام ابن تيمية ملخصاً، وهو نفيس جدًّا.

وقال الزركشيّ في «**البرهان**»(١):

للنَّاظر في القرآن لطلب التفسير مآخذُ كثيرة، أُمهاتها أربعة:

الأول: النقل عن النبي ﷺ؛ وهذا هو الطِّراز المعلَم؛ لكن يجب الحذر من الضعيف منه

(١) «البرهان» ٢/ ٢٩٢ و٢٩٣ و٣٠٢ و٣٠٤ النوع ٤١.

والموضوع، فإنَّه كثير؛ ولهذا قال أحمد: ثلاثُ كتب لا أصل لها: المغازي والملاحم والتفسير[(١)]. وقال المحققون من أصحابه: مراده أنَّ الغالب أنه ليس له أسانيد صحاح متَّصلة، وإلَّا فقد صحَّ من ذلك كثير: كتفسير الظلم بالشرك في آية الأنعام، والحساب اليسير بالعَرْض، والقوَّة بالرمي في قوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

قلت: الذي صحَّ من ذلك قليل جدًّا، بل أصل المرفوع منه في غاية القلة، وسأسردها كلها آخر الكتاب إن شاء الله تعالى.

الثاني: الأخذ بقول الصحابيّ؛ فإنَّ تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبي ﷺ، كما قاله الحاكم في «**مستدركه**»[(٢)] [(٢/٢٥٨)].

وقال أبو الخطاب من الحنابلة[(٣)]: يحتمل ألا يُرجع إليه إذا قلنا إن قوله ليس بحجة. والصواب الأول، لأنه من باب الرواية لا الرأي.

قلت: ما قاله الحاكم نازَعه فيه ابنُ الصلاح وغيره من المتأَخِّرين، بأن ذلك مخصوص بما فيه سبب النزول أو نحوه؛ ممَّا لا مدخل للرأي فيه. ثم رأيت الحاكم نفسَه صرح به في «**علوم الحديث**»[(٤)] فقال: ومن الموقوفات تفسير الصحابة، وأما من يقول: إن تفسير الصحابة مسنَد؛ فإنما يقول فيما فيه سبب النزول.

فقد خَصَّص هنا وعمَّم في «**المستدرك**»، فاعتمد الأول. والله أعلم.

ثم قال الزركشيّ[(٥)]: وفي الرجوع إلى قول التابعيّ روايتان عن أحمد، واختار ابن عقيل المنع، وحكَوْه عن شُعبة؛ لكن عمل المفسرين على خلافه، فقد حكَوْا في كتبهم أقوالهم؛ لأنَّ غالبها تلقَّوْها من الصحابة، وربما يُحكى عنهم عبارات مختلفة الألفاظ، فيظنُّ منْ لا فهم عنده أن ذلك اختلاف محقَّق، فيحكيه أقوالاً، وليس كذلك، بل يكون كلُّ واحدٍ منهم ذكر معنى من الآية؛ لكونه أظهر عنده، أو أليق بحال السائل. وقد يكون بعضُهم يخبر عن الشيء بلازمه ونظيره، والآخر بمقصوده وثمرته، والكلُّ يَؤولُ إلى معنى واحد غالباً، فإن لم يكن الجمع فالمتأخر من القولين عن الشخص الواحد مقدَّم إن استَوَيَا في الصحَّة عنه، وإلَّا فالصحيح المقدّم.

الثالث: الأخذ بمطلق اللغة؛ فإنَّ القرآن نزل بلسان عربيّ، وهذا قد ذكره جماعة، ونصَّ عليه

---

(١) في المراجع: ثلاثة كتب... أو: ثلاثة علوم... وقد ورد قوله في «لسان الميزان» ١/ ٢٠، وفي «منهاج السنة» لابن تيمية ٤/ ١١٧، و«مقدمة في أصول التفسير» له ص٥٢ ـ ٥٣، و«الموضوعات الصغرى» لملا علي القاري ص٢٢١ رقم (٤٢١)، وانظر ما قاله الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى في تعليقه على «الموضوعات»، وانظر «قواعد التحديث» للشيخ القاسمي ص٢٧٧ ـ ٢٧٨ بتحقيقنا .

(٢) أبو الخطاب: محفوظ بن أحمد، العراقي، صالح ورع حسن السيرة (ت: ٥١٠هـ). «سير أعلام النبلاء» ١٩/ ٣٤٨.

(٣) «معرفة علوم الحديث» ص٢٠. (٤) «البرهان» ٢/ ٢٩٤ النوع ٤١.

أحمدُ في مواضعَ، لكن نقل الفضل بنُ زياد عنه أنَّه سئِل عن القرآن يمثِّل له الرجل ببيت من الشعر؟ فقال: ما يعجبني. فقيل: ظاهره المنعُ، ولهذا قال بعضهم: في جواز تفسيره القرآن بمقتضى اللُّغة روايتان عن أحمد. وقيل: الكراهة تُحْمَل على صرف الآية عن ظاهرها إلى معانٍ خارجة محتملة، يدلُّ عليها القليل من كلام العرب، ولا يوجد غالباً إلَّا في الشعر ونحوه، ويكون المتبادر خلافها.

وروى البيهقيّ في «**الشُّعَب**» [(٢/ ٤٢٥)] عن مالك قال: لا أُوتَى برجلٍ غير عالم بلغة العرب يُفسِّر كتاب الله إلَّا جعلتُه نكالاً.

الرابع: التفسير بالمقتضَى من معنى الكلام، والمقتضَب من قوَّة الشرع، وهذا هو الذي دعا به النبيّ ﷺ لابن عباس، حيث قال: «**اللهمَّ فقِّهه في الدين وعلِّمْه التأويل**» [البخاري: ١٤٣، ومسلم: ٦٣٦٨، وأحمد: ٣١٠٢]. والذي عناه عليٌّ بقوله: إلا فهماً يؤتاه الرجل في القرآن [البخاري: ٦٩١٥، ومسلم: ٣٣٢٧ و٣٧٩٤، وأحمد: ٥٩٩]. ومن هنا اختلف الصحابة في معنى الآية، فأخذ كلٌّ برأيه على منتهى نظره، ولا يجوز تفسير القرآن بمجرَّد الرأي والاجتهاد من غير أصل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]. وقال: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩]. وقال: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]. فأضاف البيان إليه. وقال ﷺ: «**مَنْ تَكَلَّم في القرآن برأيه فأَصاب فقد أخطأ**» أخرجه أبو داود [٣٦٥٢] والترمذي [٢٩٥١] والنسائي [في «الكبرى»: ٨٠٨٥ وإسناده ضعيف]. وقال: «**من قال في القرآن بغير علم فليتبوَّأْ مقعدَه من النار**» أخرجه أبو داود [٣٦٥٢، وأحمد: ٢٠٦٩ وهو حسن].

قال البيهقيّ في الحديث الأوَّل: هذا إن صحَّ، فإنَّما أراد ـ والله أعلم ـ الرأي الذي يغلب من غير دليل قام عليه، وأما الذي يسنده برهان فالقول به جائز.

وقال في «**المدخل**»: في هذا الحديث نظر، وإن صحَّ فإنما أراد به ـ والله أعلم ـ فقد أخطأ الطريق، فسبيله أن يرجع في تفسير ألفاظه إلى أهل اللغة، وفي معرفة ناسخه ومنسوخه وسبب نزوله وما يحتاج فيه إلى بيانه إلى أخبار الصحابة الذين شاهدوا تنزيلَه، وأدوا إلينا من السنن ما يكون بياناً لكتاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]. فما ورد بيانه عن صاحب الشرع ففيه كفايةٌ عن فكرة مَن بعده، وما لم يرد عنه بيانه ففيه حينئذٍ فكرةُ أهل العلم بعده؛ ليستدلُّوا بما ورد بيانه على ما لم يرد.

قال: وقد يكون المراد به: مَنْ قال فيه برأيه من غير معرفة منه بأصول العلم وفروعه، فيكون موافقته للصواب إن وافقه من حيث لا يعرفه غير محمودة.

وقال الماورديّ: قد حمل بعض المتورِّعة هذا الحديثَ على ظاهره، وامتنع من أن يستنبط معانيَ القرآن باجتهاده، ولو صَحِبَتْها الشواهد ولم يعارض شواهدها نصٌّ صريح، وهذا عدول عمَّا تُعُبِّدنا بمعرفته من النظر في القرآن واستنباط الأحكام، كما قال تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]. ولو صحَّ ما ذهب إليه لم يُعلم شيء بالاستنباط، ولمَا فهم الأكثرون من كتاب الله شيئاً. وإن صحَّ الحديث: فتأويله أنَّ مَنْ تكلَّم في القرآن بمجرَّد رأيه، ولم يعرِّج على سوى لفظه، وأصاب الحقَّ، فقد أخطأ الطريق،

وإصابتُهُ اتفاقٌ؛ إذ الغرض أنَّه مجرَّد رأي لا شاهد له؛ وفي الحديث: «**القرآن ذَلُولٌ ذو وجوه، فاحملوه على أحسن وجوهه**» أخرجه أبو نُعَيم وغيره من حديث ابن عباس [قال الألباني في «الضعيفة»: ١٠٣٦: ضعيف جداً].

فقوله: «ذلول» يحتمل معنيين: **أحدهما**: أنه مطيع لحامليه، تنطق به ألسنتُهم. **والثاني**: أنه مُوضِّح لمعانيه، حتى لا تقصُر عنه أفهام المجتهدين.

وقوله: «ذو وُجوه» يحتمل معنيين: **أحدهما**: أنَّ من ألفاظه ما يحتمل وجوهاً من التأويل، **والثاني**: أنَّه قد جمع وجوهاً من الأوامر والنَّواهي والترغيب والترهيب والتحليل والتحريم.

وقوله: «فاحملوه على أحسن وجوهه» يحتمل معنيين: أحدهما: الحَمْل على أحسن معانيه، **والثاني**: أحسن ما فيه من العزائم دُون الرُّخَص، والعفو دون الانتقام. وفيه دلالة ظاهرة على جواز الاستنباط والاجتهاد في كتاب الله تعالى.

وقال أبو الليث: النَّهي إنما انصرف إلى المتشابه منه لا إلى جميعه، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧]؛ لأن القرآن إنما نزل حجة على الخلق؛ فلو لم يجز التفسير لم تكن الحجة بالغة. فإذا كان كذلك جاز لمن عرف لغات العرب وأسباب النزول أن يفسِّره، وأمَّا مَنْ لم يعرف وجوه اللغة: فلا يجوز أن يفسِّره إلَّا بمقدار ما سمع؛ فيكون ذلك على وجه الحكاية لا على وجه التفسير. ولو أنه يعلم التفسير، وأراد أن يستخرج من الآية حكماً أو دليل الحكم، فلا بأس به. ولو قال: المراد من الآية كذا من غير أن يسمَع فيه شيئاً، فلا يحلُّ، وهو الذي نهي عنه.

وقال ابن الأنباريّ في الحديث الأوَّل: حمَله بعضُ أهل العلم على أنَّ الرأي معنيٌّ به الهوى، فمن قال في القرآن قولاً يوافق هَواه ـ فلم يأخذه عن أئمة السلف ـ وأصاب فقد أخطأ، لحُكمه على القرآن بما لا يعرف أصله، ولا يقف على مذاهب أهل الأثر والنقل فيه.

وقال في الحديث الثاني: له معنيان: **أحدهما**: مَنْ قال في مشكل القرآن بمَا لا يَعرِف من مذهب الأوائل ـ من الصحابة والتابعين ـ فهو متعرِّض لسخط الله تعالى. **والآخر** ـ وهو الأصح ـ: من قال في القرآن قولاً يعلم أنَّ الحق غيرُه فليتبوَّأ مقعده من النار.

وقال البغوي والكواشيُّ وغيرهما:

التأويل صَرْف الآية إلى معنًى موافق لما قبلها وبعدها تحتمله الآية، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط، غير محظور على العلماء بالتفسير، كقوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١]. قيل: شباباً وشيوخاً، وقيل: أغنياءَ وفقراءَ، وقيل: عُزَّاباً ومتأهلين، وقيل: نشاطاً وغير نشاط. وقيل: أصحاءَ ومرضى؛ وكلّ ذلك سائغ، والآية تحتمله.

وأما التأويل المخالف للآية والشرع فمحظور؛ لأنه تأويل الجاهلين، مثل تأويل الروافض قولَه تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩]. أنَّهما عليٌّ وفاطمة!! ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢]. يعني الحسنَ والحسين!!

وقال بعضهم: اختلف الناس في تفسير القرآن: هل يجوز لكلِّ أحد الخوضُ فيه؟

فقال قوم: لا يجوز لأحدٍ أن يتعاطى تفسير شيء من القرآن، وإنْ كان عالماً أديباً متَّسعاً في معرفة الأدلة والفقه والنَّحو والأخبار والآثار، وليس له إلَّا أن ينتهي إلى ما رُوِيَ عن النبيِّ ﷺ في ذلك.

ومنهم من قال: يجوز تفسيره لمن كان جامعاً للعلوم التي يحتاج المفسر إليها، وهي خمسة عشر علماً:

أحدها: اللغة؛ لأنَّ بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع. قال مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب، وتقدم قول الإمام مالك في ذلك، ولا يكفي في حقِّه معرفةُ اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشترَكاً، وهو يعلم أحد المعنيين، والمرادُ الآخرُ.

الثاني: النَّحو، لأنَّ المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب، فلا بدَّ من اعتباره. أخرج أبو عُبيد عن الحسن: أنه سُئل عن الرَّجل يتعلَّم العربية يلتمس بها حُسْنَ المنطق، ويقيم بها قراءته، فقال: حَسَنٌ تعلُّمُها، فإن الرجل يقرأُ الآية فيعيا بوجهها، فيهلك فيها.

الثالث: التصريف، لأنَّ به تعرف الأبنية والصِّيَغ، قال ابن فارس: ومَنْ فاته علمه فاته المعظم، لأن (وجد) مثلاً كلمة مبهمة، فإذا صرَّفناها اتَّضحت بمصادرها.

وقال الزمخشريّ: من بِدَع التفسير قول مَنْ قال: إن الإمام في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]. جمع (أمّ) وأنَّ الناس يُدْعون يوم القيامة بأُمهاتهم، قال: وهذا غلطٌ أوجبه جهلُه بالتصريف؛ فإن (أمّاً) لا تُجمع على (إمام)[1].

الرابع: الاشتقاق، لأنَّ الاسم إذا كان اشتقاقه من مادَّتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما، كالمسيح، هلْ هو من السياحة أو المسح؟

الخامس والسادس والسابع: المعاني والبيان والبديع؛ لأنه يُعرَف بالأوَّل خواصُّ تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، وبالثاني خواصُّها من حيث اختلافُها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالثالث وُجوهُ تحسين الكلام. هذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة؛ وهي من أعظم أركان المفسِّر؛ لأنه لا بدَّ له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وإنَّما يدرَك بهذه العلوم.

قال السكاكي: اعلم أنَّ شأن الإعجاز عجيب يدرَك ولا يمكن وصفه، كاستقامة الوزن تُدرك ولا يمكن وصفها، وكالملاحة، ولا طريق إلى تحصيله لغير ذوِي الفِطَر السليمة إلَّا التمرّن على علمَي المعاني والبيان.

---

(١) في «تفسيره» ٣/ ٥٣٦، الإسراء: ٧١ وكلامه بالتمام: ومن بدع التفاسير: أن الإمام جمع أُمٍّ، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم، وأن الحكمة في الدعاء بالأمهات دون الآباء رعاية حق عيسى، وإظهار شرف الحسن والحسين، وألا يفتضح أولاد الزنا...

قال ابن أبي الحديد: اعلم أن معرفة الفصيح والأفصح، والرشيق والأرشق من الكلام أمرٌ لا يدرَك إلّا بالذوق، ولا يمكن إقامةُ الدلالة عليه، وهو بمنزلة جاريتين: إحداهما: بيضاء مُشرَبة بحمرة، دقيقة الشفتين، نقية الثَّغْر، كَحْلاء العَيْنيْن، أسيلة الخدِّ، دقيقة الأنف، معتدلة القامة، والأخرى: دونها في هذه الصفات والمحاسن، لكنَّها أحلَى في العيون والقلوب منها، ولا يدرى سبب ذلك؛ ولكنَّه يُعْرف بالذوق والمشاهدة ولا يمكن تعليله، وهكذا الكلام؛ نعم، يبقى الفرق بين الوصفين: أنَّ حسن الوجوه وملاحتها، وتفضيل بعضها على بعض، يدركه كلّ مَنْ له عين صحيحة. وأما الكلام: فلا يدرَك إلّا بالذوق، وليس كلُّ من اشتغل بالنحو واللغة والفقه يكون من أهلِ الذوق ومِمن يصلح لانتقاد الكلام، وإنما أهلُ الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان، وراضوا أنفسَهم بالرّسائل والخطب والكتابة والشِّعر، وصارت لهم بذلك دُرْبة ومَلَكة تامَّة؛ فإلى أولئك ينبغي أن يُرجَع في معرفة الكلام، وفضل بعضه على بعض.

وقال الزمخشريّ: مِنْ حق مفسر كتاب الله الباهرِ وكلامه المعجز أنْ يتعاهد بقاء النظم على حسنه، والبلاغةَ على كمالها، وما وقع به التحدي سليماً من القادح.

وقال غيره: معرفة هذه الصناعة بأوضاعها هي عُمْدة التفسير المطلع على عجائب كلام الله تعالى، وهي قاعدة الفصاحة، وواسطة عقد البلاغة.

الثامن: علم القراءات، لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن، وبالقراءات يترجَّح بعض الوجوه المحتملة على بعض.

التاسع: أُصول الدين، بما في القرآن من الآيات الدالة بظاهرها على ما لا يجوز على الله تعالى، فالأُصوليُّ يؤوِّل ذلك، ويستدلّ على ما يستحيل وما يجب وما يجوز.

العاشر: أُصول الفقه، إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط.

الحادي عشر: أسباب النزول والقصص، إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أُنزِلت فيه.

الثاني عشر: الناسخ والمنسوخ، ليعلم المحكم من غيره.

الثالث عشر: الفقه.

الرابع عشر: الأحاديث المبينة لتفسير المجمَل والمبهَم.

الخامس عشر: علم الموهبة؛ وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم، وإليه الإشارة بحديث: «**من عَمِل بما علِم ورّثه اللهُ عِلْم ما لم يَعْلَم**»(١).

قال ابن أَبي الدنيا: وعلوم القرآن وما يستنبَط منه بَحرٌ لا ساحل له.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ١٠/ ١٥ في ترجمة أحمد بن أبي الحواري وهو ضعيف، ونسبه السخاوي في «فتح المغيث» لعيسى ابن مريم عليه السلام ١/ ٣١٣.

قال: فهذه العلوم ـ التي هي كالآلة للمفسِّر ـ لا يكون مفسِّراً إلَّا بتحصيلها، فمن فسر بدونها كان مفسِّراً بالرأْي المنهيِّ عنه، وإذا فسَّر مع حصولها لم يكن مفسِّراً بالرأي المنهيّ عنه.

قال: والصحابة والتابعون كان عندهم علوم العربيّة بالطبع لا بالاكتساب، واستفادوا العلومَ الأخرى من النبيّ ﷺ.

قلت: ولعلك تستشكل علمَ الموهبة، وتقول: هذا شيء ليس في قدرةِ الإنسان. وليس كما ظننتَ من الإشكال، والطريق في تحصيله ارتكابُ الأسباب الموجبة له من العمل والزهد.

قال في «**البرهان**»: اعلَمْ أنه لا يحصلُ للناظر فهمُ معاني الوحي، ولا يظهر له أسراره، وفي قلبه بِدْعة أو كِبْر أو هوًى أو حبّ الدنيا، أو وهو مصرٌّ على ذنب، أو غير متحقِّق بالإيمان أو ضعيف التحقيق، أو يعتمد على قول مفسِّر ليس عنده علم، أو راجع إلى معقوله؛ وهذه كلُّها حُجُبٌ وموانعُ بعضُها آكدُ من بعض.

قلت: وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦]. قال سفيان بن عيينة: يقول: أنزع عنهم فَهْمَ القرآن. أخرجه ابن أبي حاتم[١].

وقد أخرج ابنُ جرير وغيرُه من طُرُقٍ عن ابن عباس قال: التفسير أربعة أوجه: وجهٌ تعرفه العرب من كلامها، وتفسيرٌ لا يعذَر أحد بجهالته، وتفسيرٌ تعلمه العلماء، وتفسيرٌ لا يعلمه إلَّا الله تعالى.

ثم رواه مرفوعاً بسند ضعيف بلفظ: «**أُنزِل القرآن على أربعة أحرف: حلال وحرام لا يُعذر أحدٌ بجهالته، وتفسير تفسّره العرب، وتفسير تفسِّره العلماء، ومتشابه لا يعلمه إلَّا الله تعالى، ومن ادَّعى علمه سوى الله تعالى فهو كاذبٌ**».

قال الزَّرْكشيّ في «**البرهان**»[٢]: في قول ابن عباس هذا تقسيمٌ صحيح.

فأمَّا الذي تعرفه العرب: فهو الذي يُرجع فيه إلى لسانهم؛ وذلك اللغة والإعراب،

فأمَّا اللغة: فعلى المفسِّر معرفة معانيها ومسمَّيات أسمائها، ولا يلزم ذلك القارئ. ثم إن كان ما تتضمنه ألفاظها يوجب العمل دون العلم: كَفَى فيه خبرُ الواحد والاثنين والاستشهاد بالبيت والبيتين. وإن كان يوجب العلم: لم يَكْفِ ذلك، بل لا بدَّ أن يستفيض ذلك اللفظ، وتكثر شواهدُه من الشعر.

وأما الإعراب: فما كان اختلافُهُ مُحِيلاً للمعنَى وجب على المفسِّر والقارئ تعلُّمُه، ليتوصَّل المفسِّر إلى معرفة الحكم، ويَسْلَمَ القارئ من اللحن، وإن لم يكن مُحِيلاً للمعنى وجب تعلُّمُه على القارئ ليسلم من اللحن، ولا يجب على المفسِّر لوصوله إلى المقصود بدونه.

وأما ما لا يُعذَر أحد بجهله: فهو ما تتبادر الأفهام إلى معرفة معناه من النصوص، المتضمّنة شرائع الأحكام ودلائل التوحيد؛ وكلُّ لفظٍ أفاد معنًى واحداً جلياً يُعلم أنه مراد الله تعالى؛ فهذا القسم لا يلتبس تأويله، إذْ كل أحد يدرِك معنى التوحيد، من قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

---

(١) انظر قول ابن عيينة في «البرهان» للزركشي ١/ ٩٩ أول الكتاب.
(٢) «البرهان» ٢/ ٣٠٦ النوع ٤١.

وأنَّه لا شريك له في الإلهية، وإن لم يعلم أنَّ (لا) موضوعة في اللغة للنفي، و(إلّا) للإثبات، وأن مقتضى هذه الكلمة الحصرُ. ويعلم كلّ أحدٍ بالضرورة أنَّ مقتضى قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، ونحوِه طلبُ إيجاب المأمور به، وإن لم يعلم أن صيغة (افعل) للوجوب. فما كان من هذا القسم لا يعذر أحَدٌ يدّعي الجهل بمعاني ألفاظه؛ لأنها معلومة لكلّ أحد بالضرورة.

وأمَّا ما لا يعلمه إلا الله تعالى: فهو ما يجري مجرى الغيوب؛ نحو الآي المتضمنة قيام الساعة، وتفسير الرُّوح، والحروف المقطعة، وكلّ متشابه في القرآن عند أهل الحقِّ، فلا مساغَ للاجتهاد في تفسيره، ولا طريق إلى ذلك إلا بالتوقيف بنص من القرآن أو الحديث أو إجماع الأمة على تأويله.

وأما ما يعلمه العلماء ويرجع إلى اجتهادهم: فهو الذي يغلب عليه إطلاق التأويل؛ وذلك استنباط الأحكام، وبيان المجمَل وتخصيص العموم، وكلّ لفظٍ احتمل معنيين فصاعداً: فهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه، وعليهم اعتماد الشواهد والدلائل دون مجرد الرأي؛ فإن كان أحدُ المعنيين أظهرَ وجب الحملُ عليه، إلّا أن يقوم دليلٌ على أنَّ المراد هو الخفيُّ. وإن استويا ـ والاستعمال فيهما حقيقة؛ لكن في أحدهما حقيقة لغوية أو عرفية، وفي الآخر شرعية ـ فالحمل على الشرعية أوْلَى، إلا أن يدلَّ دليلٌ على إرادة اللغوية، كما في: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْۗ﴾ [التوبة: ١٠٣]. ولو كان في أحدهما عرفية والآخر لغوية: فالحملُ على العرفية أوْلَى، لأن الشرع ألزم. فإن تنافَى اجتماعُهما، ولم يكن إرادتهما باللفظ الواحد، كالقُرْء للحيض والطهر، اجتَهد في المراد منهما بالأمارات الدالة عليه، فما ظنّه فهو مراد الله تعالى في حقِّه. وإن لم يظهر له شيء، فهل يتخير في الحمل على أيّهما شاء، أو يأخذ بالأغلظ حكماً، أو بالأخفِّ؟ أقوالٌ. وإن لم يتنافيا وجب الحملُ عليهما عند المحققين، ويكون ذلك أبلغَ في الإعجاز والفصاحة، إلّا إنْ دل دليلٌ على إرادة أحدهما.

إذا عرف ذلك: فينزَّل حديث: «**مَنْ تكلم في القرآن برأيه**»(١) [حسن: أحمد: ٢٠٦٩، والترمذي: ٢٩٥٠، والطبراني في «الكبير»: ١٢٣٩٢] على قسمين من هذه الأربعة:

أحدها: تفسير اللفظ، لاحتياج المفسِّر له إلى التبحّر في معرفة لسان العرب.

والثاني: حمل اللَّفظ المحتمل على أَحد معنَيْيه، لاحتياج ذلك إلى معرفة أنواع من العلوم، والتبحّر في العربية واللغة، ومن الأصول ما يدرك به حدودُ الأشياء، وصيَغ الأمر والنَّهي والخبر، والمجمل والمبيّن، والعموم والخصوص، والمطلق والمقيّد، والمحكَم والمتشابه، والظاهر والمؤوَّل، والحقيقة والمجاز، والصريح والكناية، ومن الفروع ما يدرك به الاستنباط.

هذا أقل ما يحتاج إليه؛ ومع ذلك فهو على خطَرٍ، فعليه أن يقول: يحتمل كذا، ولا يجزم إلا في حكمٍ اضطر إلى الفتوى به، فأَدَّى اجتهادُه إليه فيجزم مع تجويز خلافه. انتهى.

وقال ابن النَّقيب: جملة ما تحصّل في معنى حديث التفسير بالرأي خمسة أقوال:

أحدها: التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير.

---

(١) تمامه: «فليتبوأ مقعده من النار».

الثاني: تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله.

الثالث: التفسير المقرّر للمذهب الفاسد، بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعاً، فيردّ إليه بأيّ طريق أمكن، وإن كان ضعيفاً.

الرابع: التفسير بأنَّ مراد الله كذا على القَطْع من غير دليل.

الخامس: التفسير بالاستحسان والهوى.

ثم قال: واعلم أن علوم القرآن ثلاثة أقسام:

الأول: علم لم يُطْلع الله عليه أحداً من خلقه، وهو ما استأْثرَ به من علوم أسرار كتابه: من معرفة كنه ذاته وغيوبه التي لا يعلمها إلَّا هو. وهذا لا يجوز لأحد الكلامُ فيه بوجه من الوجوه إجماعاً.

الثاني: ما أطلَع اللهُ عليه نبيَّه ﷺ من أسرار الكتاب، واختصَّه به. وهذا لا يجوز الكلامُ فيه إلا له ﷺ، أو لمنْ أذن له، قال: وأوائل السُّوَر من هذا القسم، وقيل: من القسم الأول.

الثالث: علوم علَّمها الله نبيَّه ﷺ مما أودع كتابه من المعاني الجليَّة والخفيَّة، وأمره بتعليمها. وهذا ينقسم إلى قسمين:

منه: ما لا يجوز الكلام فيه إلا بطريق السمع، وهو: أسباب النزول، والنَّاسخ والمنسوخ، والقراءات، واللغات، وقصص الأمم الماضية، وأخبارُ ما هو كائن من الحوادث، وأمور الحشر والمعاد.

ومنه: ما يُؤخذ بطريق النَّظر والاستدلال والاستنباط والاستخراج من الألفاظ، وهو قسمان:

قسم اختلفوا في جوازه، وهو تأويل الآيات المتشابهات في الصفات.

وقسم اتفقوا عليه، وهو استنباط الأحكام الأصليَّة والفرعية والإعرابيَّة؛ لأنَّ مبناها على الأقيسة؛ وكذلك فنون البلاغة وضروب المواعظ والحكم والإرشادات لا يمتنع استنباطها منه، واستخراجها لمن له أهلية. انتهى ملخصاً.

وقال أبو حيّان: ذهب بعضُ مَنْ عاصرناه إلى أنَّ علمَ التفسير مضطر إلى النقل - في فَهْم معاني تركيبه - بالإسناد إلى مجاهد وطاوس وعِكْرمة وأضرابهم، وأنَّ فَهْمَ الآيات يتوقف على ذلك. قال: وليس كذلك.

وقال الزَّركشي بعد حكاية ذلك[1]: الحقّ أن علم التفسير: منه ما يتوقَّف على النقل: كسبب النُّزول، والنسخ، وتعيين المبهم، وتبيين المجمَل. ومنه ما لا يتوقَّف، ويكفي في تحصيله الثقةُ على الوجه المعتبر. قال: وكأَنَّ السَّبَب في اصطلاح كثير[2] على التفرقة بين التفسير والتأويل، والتمييز بين المنقول والمستنبط؛ ليحمل على الاعتماد في المنقول، وعلى النظر في المستنبط.

قال: واعلمْ أنَّ القرآن قسمان: قسم ورد تفسيره بالنَّقل، وقسم لم يرد.

والأول: إمَّا أن يَردَ عن النبيّ ﷺ، أو الصحابة، أو رؤوس التَّابعين. فالأول يُبحث فيه عن صحة

---

(١) في «البرهان» ٢/ ٣١٢ النوع ٤١.

(٢) في «البرهان»: بعضهم، بدل: كثير.

السند، والثاني يُنظر في تفسير الصحابيّ: فإن فسره من حيث اللغةُ: فهمْ أهلُ اللسان فلا شك في اعتمادهم. أو بما شاهده من الأسباب والقرائن: فلا شك فيه. وحينئذٍ إن تعارضت أقوال جماعة من الصحابة: فإن أمكن الجمع فذاك، وإن تعذَّر قُدِّم ابن عباس؛ لأنَّ النبي ﷺ بشَّره بذلك، حيث قال: «**اللهمّ علِّمه التأويل**». وقد رجّح الشافعي قول زيدٍ في الفرائض، لحديث «**أفرضُكم زيد**». وأما ما ورد عن التابعين: فحيث جاز الاعتماد فيما سبق فكذلك هنا، وإلّا وجب الاجتهاد.

وأما ما لم يرد فيه نقل: فهو قليل، وطريق التَّوصل إلى فهمه النظرُ إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السِّياق، وهذا يعتني به الراغب كثيراً في كتاب «**المفردات**»، فيذكر قيداً زائداً على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ، لأنه اقتضى السياق. انتهى.

قلت: وقد جمعتُ كتاباً مسنداً فيه تفاسيرُ النبيّ ﷺ والصحابة، فيه بضعة عشر ألف حديث ما بين مرفوع وموقوف؛ وقد تمّ ولله الحمد في أربع مجلدات وسمّيته: «**ترجمان القرآن**».

ورأيتُ ـ وأنا في أثناء تصنيفه ـ النبيَّ ﷺ في المنام في قصّة طويلة تحتوي على بشارةٍ حسنة.

تنبيه: من المهمّ معرفة التفاسير الواردة عن الصّحابة بحسب قراءة مخصوصة؛ وذلك أنه قد يرد عنهم تفسيران في الآية الواحدة مختلفان، فَيُظَنُّ اختلافاً وليس باختلاف؛ وإنما كلّ تفسير على قراءة. وقد تعرّض السَّلَفُ لذلك.

فأخرج ابن جرير في قوله تعالى: ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا﴾ [الحجر: ١٥] من طُرقٍ عن ابن عباس وغيره: أنَّ ﴿سُكِّرَتۡ﴾ بمعنى (سُدّت)، ومن طرقٍ أنها بمعنى (أُخِذت).

ثم أخرج عن قتادة قال: من قرأ ﴿سُكِّرَتۡ﴾ مشدّدة، فإنما يعني (سُدّت). ومن قرأ ﴿سُكِرَتۡ﴾ مخففة، فإنه يعني (سُحِرت).

وهذا الجمعُ من قتادةَ نفيسٌ بديعٌ.

ومثله قوله تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٥٠]. أخرج ابن جرير عن الحسن: أنه الذي تُهْنأُ[١] به الإبل.

وأخرج من طرق عنه وعن غيره: أنه النّحاس المذاب، وليسا بقولين، وإنما الثاني تفسير لقراءة من قرأ: (قِطْرٍ آنٍ) بتنوين (قِطْرٍ) وهو النحاس، و(آنٍ) شديد الحرّ، كما أخرجه ابن أبي حاتم هكذا عن سعيد بن جبير.

وأمثلة هذا النوع كثيرة، والكافل ببيانها كتابُنا «**أسرار التنزيل**». وقد خرّجت على هذا قديماً الاختلافَ الوارد عن ابن عباس وغيره في تفسير آية: ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ﴾ [النساء: ٤٣]؛ هل هو الجماع أو الجَسُّ باليَدِ؟ فالأول تفسير لقراءة: ﴿لَٰمَسۡتُمُ﴾، والثاني لقراءة: (لَمَسْتُم)، ولا اختلاف.

فائدة: قال الشافعيّ ﷺ في مختصر البُويطيّ: لا يحلّ تفسير المتشابه إلا بسنَّة عن رسول الله ﷺ، أو خبرٍ عن أحد من أصحابه، أو إجماع العلماء، هذا نصّه.

---

(١) تهنأ: تطلى به جلودها إذا أصابها الجرب ونحوه. «النهاية»: هَنَأ.

فصل: وأما كلام الصوفيّة في القرآن فليس بتفسير.

قال ابنُ الصلاح في «**فتاويه**»[١]: وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحديّ المفسّر، أنّه قال: صنّف أبو عبد الرحمن السُّلميّ «**حقائق التفسير**»؛ فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسيرٌ فقد كفر!!

قال ابن الصلاح: وأنا أقول: الظنّ بمن يوثَق به منهم ـ إذا قال شيئاً من ذلك ـ أنّه لم يذكره تفسيراً، ولا ذهب به مذهبَ الشرح للكلمة، فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنيّة، وإنما ذلك منهم لنظير ما ورد به القرآن؛ فإنَّ النظير يُذكر بالنظير؛ ومع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك، لما فيه من الإيهام والإلباس.

وقال النسفيّ في «**عقائده**»[٢]: النّصوص على ظاهرها، والعدولُ عنها إلى معانٍ يدّعيها أهلُ الباطن إلحادٌ.

قال التفتازاني في «**شرحه**»[٣]: سُمِّيت الملاحدة باطنيّة؛ لادّعائهم أنَّ النصوص ليست على ظاهرها، بل لها معان باطنيّة لا يعرفها إلا المعلم، وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكليّة.

قال[٤]: وأمّا ما يذهب إليه بعض المحققين من أنَّ النُّصوص على ظواهرها، ومع ذلك فهي إشارات خفية إلى دقائق، تنكشف على أرباب السلوك، يمكن التطبيق بينَها وبين الظواهر المرادة، فهو من كمال الإيمان، ومحض العرفان.

وسئل شيخ الإسلام سراج الدين البُلْقينيّ عن رجل قال في قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]: إنَّ معناه: من ذلّ، أيْ: من الذلّ. ذي: إشارة إلى النفس، يشفَ: من الشفا جواب (مَنْ). عُ: أمر من الوَعْي. فأفتى بأنه ملحِد. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ﴾ [فصلت: ٤٠]. قال ابن عباس: هو أن يوضع الكلام على غير موضعه، أخرجه ابن أبي حاتم.

فإن قلت: فقد قال الفريابيّ: حدّثنا سفيان، عن يونس بن عبيد، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «**لِكلِّ آية ظهر وبَطْن، ولكلّ حرف حدٌّ، ولكل حَدٍّ مطلع**».

وأخرج الدّيلميّ [٤٧٠٨] من حديث عبد الرحمن بن عوف مرفوعاً: «**القرآن تحت العرش، له ظهر وبطن يحاجُّ العباد**».

وأخرج الطبرانيّ [في «الكبير»: ٨٦٦٨] وأبو يعلى والبزّار وغيرهم عن ابن مسعود موقوفاً: «إن هذا القرآن ليس منه حرف إلا له حدٌّ، ولكل حدّ مطلع»..

---

(١) «فتاوى ومسائل ابن الصلاح» ١/ ١٩٧ المسألة ٤٤.

(٢) «شرح العقائد النسفية في أصول الدين وعلم الكلام» سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت: ٧٩٢هـ) ص١٩١.

(٣) المرجع السابق نفسُه.

(٤) المرجع السابق ص١٩٢.

قلت: أمّا الظهر والبطن ففي معناه أوجه:

أحدها: أنَّك إذا بحثت عن باطنها وقِسْتَه على ظاهرها، وقفت على معناها.

والثاني: أنَّ ما من آية إلا عمِل بها قوم؛ ولها قوم سيعملون بها، كما قال ابن مسعود فيما أخرجه ابن أبي حاتم.

الثالث: أن ظاهرها لفظُها، وباطنها تأويلُها.

الرابع: ـ قال أبو عبيد: وهو أشبهها بالصواب ـ إن القصص التي قصَّها الله تعالى عن الأُمم الماضية وما عاقبهم به: ظاهرها الإخبار بهلاك الأوّلين، إنما هو حديث حَدَّث به عن قوم. وباطنها وعظ الآخرين، وتحذيرهم أن يفعلوا كفعلهم، فيحلّ بهم مثل ما حل بهم.

وحكَى ابن النقيب **قولاً خامساً**: إنَّ ظهرَها ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظَّاهر، وبطنها ما تضمنته من الأسرار التي أطلع الله عليها أرباب الحقائق.

ومعنى قوله: «ولكل حرف حدّ»، أي: منتَهى، فيما أَراد الله من معناه. وقيل: لكل حكم مقدار من الثواب والعقاب.

ومعنى قوله: «ولكل حدّ مطلع»: لكل غامض من المعاني والأحكام مطلع يُتوصّل به إلى معرفته، ويُوقف على المراد به. وقيل: كلّ ما يستحقّه من الثواب والعقاب يطلع عليه في الآخرة عند المجازاة.

وقال بعضهم: الظاهر التّلاوة والباطن الفهم، والحد أحكام الحلال والحرام، والمطلع الإشراف على .لوعد والوعيد.

قلت: يؤيد هذا ما أخرجه ابنُ أبي **حاتم** من طريق الضّحاك، عن ابن عباس قال: إن القرآن ذو شُجون وفنون، وظهور وبطون، لا تنقضي عجائبُهُ، ولا تُبلَغ غايته، فمن أوْغَل فيه برفقٍ نجا، ومن أوغل فيه بعنفٍ هَوى. أخبار وأمثال، وحلال وحرام، وناسخٌ ومنسوخ، ومحكَم ومتشابه، وظهر وبطن، فظهرُه التلاوة، وبطنه التأويل، فجالِسُوا به العلماء وجانبوا به السفهاء.

وقال ابن سبُع في «**شفاء الصدور**»(١): ورد عن أبي الدرداء أنه قال: لا يفقه الرّجل كلَّ الفقه حتى يجعل للقرآن وجوهاً.

وقال ابنُ مسعود: من أراد عِلْم الأوّلين والآخرين فليثوِّر القرآن.

قال: وهذا الذي قالاه لا يحصل بمجرّد تفسير الظاهر.

وقال بعض العلماء: لكل آية ستون ألف فهم؛ فهذا يدلّ على أَن في فهم معاني القرآن مجالاً رحباً، ومتَّسعاً بالغاً، وأنَّ المنقول من ظاهر التفسير، وليس ينتهي الإدراك فيه بالنقل، والسَّمَاع لا بدّ منه في ظاهر التفسير ليتَّقِيَ به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط، ولا يجوز التهاون في حفظ التفسير الظاهر بل لا بدّ منه أوّلاً؛ إذ لا يطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر،

(١) ذكره حاجي خليفة في «كشف الظنون» سليمان بن سبع السبتي ٢/ ١٠٥٠.

ومن ادّعى فهمَ أسرار القرآن، ولم يُحكِم التفسير الظاهر، فهو كمن ادّعى البلوغَ إلى صدر البيت، قبل أن يجاوز الباب. انتهى.

وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في كتابه «**لطائف المنن**»(١) : اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله بالمعاني العربيّة ليس إحالةً للظاهر عن ظاهره؛ ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له ودلّت عليه في عُرف اللسان، وثَمّ أفهامٌ باطنة تُفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه، وقد جاء في الحديث: «لكل آية ظهر وبطن». فلا يصدَّنك عن تلقي هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدَل ومعارضة: هذا إحالة لكلام الله وكلام رسوله، فليس ذلك بإحالة، وإنما يكون إحالة لو قالوا: لا معنى للآية إلا هذا، وهم لم يقولوا ذلك، بل يقرؤون الظواهر على ظواهرها مراداً بها موضوعاتها، ويفهمون عن الله تعالى ما أفهمهم.

فصل: قال العلماء: يجب على المفسِّر أن يتحرّى في التفسير مطابقة المفسَّر، وأن يتحرّز في ذلك من نقص عمّا يُحتاج إليه في إيضاح المعنى، أو زيادة لا تليق بالغَرض، ومن كون المفسّر فيه زيغ عن المعنى، وعدول عن طريقه.

وعليه بمراعاة المعنى الحقيقيّ والمجازيّ ومراعاة التأليف، والغرض الذي سيق له الكلام، وأن يؤاخِيَ بين المفردات.

ويجب عليه البداءة بالعلوم اللفظيّة، وأوّل ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة، فيتكلّم عليها من جهة اللّغة، ثم التصريف، ثم الاشتقاق، ثم يتكلّم عليها بحسب التركيب: فيبدأُ بالإعراب، ثم بما يتعلق بالمعاني، ثم البيان، ثم البديع، ثم يبيّن المعنى المراد، ثم الاستنباط، ثم الإشارات.

وقال الزركشيّ في أوائل «**البرهان**»(٢) : قد جرت عادة المفسرين أن يبدؤوا بذكر سبب النزول، ووقع البحث في أنه: أَيّما أولى البداءة به: بِتقدّم السبب على المسبب، أو بالمناسبة؛ لأنها المصححة لنظم الكلام، وهي سابقة على النزول.

قال: والتحقيق التَّفصيل بين أن يكون وجه المناسبة متوقفاً على سبب النزول، كآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]؛ فهذا ينبغي فيه تقديم ذكر السبب، لأنه حينئذٍ من باب تقديم الوسائل على المقاصد. وإن لم يتوقَّف على ذلك فالأولى تقديم المناسبة.

وقال في موضع آخر(٣) : جرت عادة المفسرين ممن ذكر فضائل القرآن أن يذكرها في أوّل كلِّ سورة، لِما فيها من الترغيب والحثِّ على حفظها، إلَّا الزمخشريَّ فإنه يذكرها في أواخرها.

قال مجد الأئمة عبد الرحيم بن عمر الكرمانيّ: سألت الزمخشري عن العلة في ذلك فقال: لأنَّها صفات لها، والصفة تستدعي تقديم الموصوف.

---

(١) أحمد بن محمد بن عطاء الله الإسكندري، أحد العلماء الجامعين علوم الدين، من التصوف والتفسير والحديث والأصول (ت: ٧٠٩هـ)، وكتابه «لطائف المنن» في مناقب شيخه أبي العباس المرسي، طبع بتونس عام ١٣٠٤هـ.

(٢) «البرهان» ١/ ١٢٩ آخر النوع الأول. (٣) «البرهان»: ٢/ ٣١٧.

وكثيراً ما يقع في كتب التفسير (حكى الله كذا). فينبغي تجنُّبه.

قال الإمام أبو نصر القشيريّ في «المرشد»(١): قال معظم أئمتنا: لا يقال: (كلام الله محكي) ولا يقال: (حكى الله)؛ لأنَّ الحكايةَ الإتيان بمثل الشيء، وليس لكلامه مثل. وتساهل قوم فأطلقوا لفظ الحكاية بمعنى الإخبار، وكثيراً ما يقع في كلامهم إطلاق (الزائد) على بعض الحروف، وقد مرّ في نوع الإعراب.

وعلى المفسر أن يتجنَّب ادّعاء التكرار ما أمكنه، قال بعضهم: ممّا يدفع توهم التكرار في عطف المترادفين نحو: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ [المدثر: ٢٨]. ﴿صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧]. وأشباه ذلك: أن يعتقد أن مجموع المترادفين يحصل معنى لا يوجد عند انفراد أحدهما، فإن التركيب يُحدث معنى زائداً، وإذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى، فكذلك كثرة الألفاظ. انتهى.

وقال الزركشي في «البرهان»(٢): ليكن محطَّ نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سِيق له، وإن خالف أصل الوضع اللغويّ، لثبوت التجوّز.

وقال في موضع آخر: على المفسّر مراعاة مجازي الاستعمالات في الألفاظ التي يُظن بها الترادف، والقَطْع بعدم الترادف ما أمكن، فإنَّ للتركيب معنًى غيرَ معنى الإفراد؛ ولهذا منع كثيرٌ من الأصوليّين وقوع أحد المترادفين موقع الآخر في التركيب، وإن اتفقوا على جوازه في الإفراد. انتهى.

وقال أبو حيّان: كثيراً ما يشحن المفسرون تفاسيرهم عند ذكر الإعراب بعلل النحو، ودلائل مسائل أصول الفقه، ودلائل مسائل الفقه، ودلائل أصول الدين، وكلّ ذلك مقرّر في تأليف هذه العلوم، وإنما يؤخذ ذلك مسلَّماً في علم التفسير دون استدلال عليه. وكذلك أيضاً: ذكروا ما لا يصحّ من أسباب نزول، وأحاديث في الفضائل، وحكايات لا تناسب، وتواريخ إسرائيلية، ولا ينبغي ذكر هذا في علم التفسير.

فائدة: قول ابنُ أبي جَمْرة: عن عليّ ﷺ، أنه قال: لو شئت أن أُوقِرَ سبعين بعيراً من تفسير أُمّ القرآن لفعلتُ.

وبيان ذلك، أنه:

إذا قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يحتاج تبيين معنى الحمد، وما يتعلّق به الاسم الجليل الذي هو الله، وما يليق به من التنزيه، ثم يحتاج إلى بيان العالم وكيفيّته على جميع أنواعه وأعداده وهي ألف عالم، أربعمئة في البَرّ وستمئة في البحر، فيحتاج إلى بيان ذلك كله.

فإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ يحتاج إلى بيان الاسمين الجليلين وما يليق بهما من الجلال، وما معناهما، ثم يحتاج إلى بيان جميع الأسماء والصفات، ثم يحتاج إلى بيان الحكمة في اختصاص هذا الموضع بهذين الاسمين دون غيرهما.

---

(١) القشيري: عبد الرحيم بن أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن، إمام في التفسير والأصول (ت: ٥١٤هـ). «طبقات الشافعية» ٤/ ٢٤٩، وانظر قوله في «البرهان» ٢/ ٣١٧ النوع ٤١.

(٢) «البرهان» ١/ ٣١٧.

فإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ يحتاج إلى بيان ذلك اليوم، وما فيه من المواطن والأهوال، وكيفية مستقرّه.

فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ يحتاج إلى بيان المعبود من جلالته، والعبادة وكيفيّتها وصفتها وأدائها على جميع أنواعها، والعابد في صفته، والاستعانة وأدائها وكيفيتها.

فإذا قال: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ . . .﴾ إلى آخر السورة، يحتاج إلى بيان الهداية ما هي، والصراط المستقيم وأضداده، وتبيين المغضوب عليهم، والضَّالين وصفاتهم، وما يتعلق بهذا النوع، وتبيين المرضيّ عنهم وصفاتهم وطريقتهم، فعلى هذه الوجوه يكون ما قاله عليّ من هذا القبيل.

النوع التاسع والسبعون

في غرائب التفسير

ألف فيه محمود بن حمزة الكَرْمانيّ[(١)] كتاباً في مجلدين، سماه «**العجائب والغرائب**» ضمَّنه أقوالاً ـ ذكرت في معاني الآيات ـ مُنكرة، لا يحل الاعتماد عليها ولا ذكرُها إلَّا للتحذير منها.

من ذلك قول من قال في ﴿حم عسق﴾: إنَّ الحاء حرْب عليّ ومعاوية، والميم ولاية المروانية، والعين ولاية العبَّاسية، والسين ولاية السّفيانية، والقاف قدوة مهدي. حكاه أبو مسلم[(٢)]، ثم قال: أردت بذلك أن يُعلَم أنَّ فيمن يدَّعي العلم حَمْقَى.

ومن ذلك قول من قال في ﴿الٓمٓ﴾ معنى (ألف) أَلِفَ الله محمداً فبعثه نبيًّا، ومعنى (لام) لامه الجاحدون وأنكروه، ومعنى (ميم) مِيمَ الجاحدون المنكرون، من المَوْم وهو البِرْسام[(٣)].

ومن ذلك قول من قال في: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٧٩]: إنَّه قصص القرآن، واستدلَّ بقراءة أبي الجَوزاء: (ولكم في القَصَص)، وهو بعيدٌ، بل هذه القراءة أفادت معنى غير معنى القراءة المشهورة، وذلك من وجوه إعجاز القرآن، كما بيَّنته في «**أسرار التنزيل**».

ومن ذلك ما ذكره ابن فُورَك[(٤)] في «**تفسيره**» في قوله: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠]: إن إبراهيم كان له صديق، وصفَه بأنه (قلبه)، أي: ليسكُن هذا الصديقُ إلى هذه المشاهدة إذا رآها عياناً.

قال الكرمانيّ: وهذا بعيد جدًّا.

ومن ذلك قول من قال في: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٦]: إنه الحُبُّ والعشق، وقد حكاه الكَواشيّ في «**تفسيره**».

ومن ذلك قولُ مَنْ قال في: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [العلق: ٣]: إنه الذَّكَر إذا انتصب.

ومن ذلك قول أبي معاذ النحوي في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ﴾: يعني إبراهيم ﴿نَارًا﴾، أي: نوراً، وهو محمد ﷺ ﴿فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس: ٨٠]: تقتبسون الدِّين.

---

(١) الكَرْمَانيّ: محمود بن حمزة، برهان الدين، أبو القاسم الشافعي، الملقب بتاج القراء. (ت بعد: ٥٠٠هـ). «بغية الوعاة» ٢٧٧.

(٢) أبو مسلم: محمد بن بحر الأصبهاني، أحد أئمة المعتزلة، ومن المصنفين في التفسير على طريقهم (ت: ٣٧٠هـ). «لسان الميزان» ٥/ ٨٩.

(٣) البِرْسَام: علةٌ معروفة يُهْذَى فيها. «القاموس»، «مختار الصحاح»: برسم.

(٤) ابن فورك: محمد بن الحسن أبو بكر، أديب متكلم أصولي (ت: ٤٠٦هـ). «إنباه الرواة» ٣/ ١١٠.

النوع الثمانون

في طبقاتِ المفسِّرين

اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة

الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير.

أما الخلفاء فأكثر مَن رُوِيَ عنه منهم عليُّ بن أبي طالب. والرواية عن الثلاثة نَزْرَةٌ جدًّا، وكأنَّ السبب في ذلك تقدُّم وفاتهم، كما أنَّ ذلك هو السبب في قلة رواية أبي بكر رضي الله عنه للحديث، ولا أحفظُ عن أبي بكر رضي الله عنه في التفسير إلَّا آثاراً قليلة جدًّا لا تكاد تجاوز العشرة.

وأما عليّ: فروي عنه الكثير، وقد روى مَعْمَر عن وَهْب بن عبد الله عن أَبي الطُّفَيل قال: شهدت عليًّا يخطب، وهو يقول: سلوني، فوالله لا تسألونني عن شيء إلَّا أخبرتكم، وسلُوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلَّا وأنا أعلم: أبليلٍ نزلتْ أم بنهارٍ، أم في سهلٍ أم في جبلٍ.

وأخرج أبو نُعيم في «**الحلية**» [(١/ ٦٥)]، عن ابن مسعود قال: إن القرآن أُنزل على سبعة أَحرف، ما منها حرف إلَّا وله ظهر وبطن(١)، وإن علي بن أبي طالب عنده منه الظاهر والباطن.

وأخرج أيضاً من طريق أبي بكر بن عيَّاش، عن نصير بن سليمان الأحمسيّ عن أبيه، عن عليّ قال: والله ما نزلتْ آية إلَّا وقد علمت فيمَ أنزلتْ، وأين أنزلت، إنَّ ربي وهبَ لي قلباً عقولاً، ولساناً سؤولاً.

وأما ابن مسعود: فروي عنه أكثر مما روي عن عليّ، وقد أخرج ابن جرير وغيره عنه أنه قال: والذي لا إله غيره ما نزلت آيةٌ من كتاب الله إلَّا وأنا أعلمُ فيمن نزلتْ، وأين نزلت؟ ولو أعلم مكان أحدٍ أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيتُه.

وأخرج أبو نعيم [«الحلية» [(١/ ١٢٩)] عن أبي البختري قال: قالوا لعليّ: أخبِرْنا عن ابن مسعود، قال: عَلِمَ القرآنَ والسنة، ثم انتهى، وكفى بذلك علماً.

وأما ابن عباس: فهو تَرْجُمان القرآن الذي دعا له النبي ﷺ: «**اللهم فقِّهه في الدين وعلِّمه التأويل**»

---

(١) وأخرجه ابن حبان: ٧٥ بإسناد حسن عن ابن مسعود مرفوعاً: «أُنزل القرآنُ على سبعة أحرف لكل آيةٍ منها ظهرٌ وبطنٌ» قال الإمام الطبري: الظاهر في التلاوة، وبطنه: ما بطن من تأويله. قال الشيخ محمود شاكر معلقاً: الظاهر هو ما تعرفه العرب من كلامها، وما لا يعذر أحد بجهالته من حلال وحرام. والباطن: هو التفسير الذي يعلمه العلماء بالاستنباط والفقه، ولم يرد الطبري ما تفعله الطائفة الصوفية وأشباههم في التلعب بكتاب الله تعالى وسنة رسوله، والعبث بدلالات ألفاظ القرآن، وادعائهم أن لألفاظه «ظاهراً» هو الذي يعلمه علماء المسلمين، و«باطناً» يعلمه أهل الحقيقة فيما يزعمون. وانظر أيضاً كلام الإمام البغوي في «شرح السنة» ١/ ٢٦٣ وتعليق الشيخ شعيب الأرنؤوط عليه.

[أحمد: ٣١٠٢، والبخاري: ١٤٣، ومسلم: ٦٣٦٨]، وقال له أيضاً: «**اللهم آتِهِ الحكمةَ**» وفي رواية: «**اللهم عَلِّمه الحكمة**» [أحمد: ٣٣٧٩، والبخاري: ٣٧٥٦، ومسلم: ٦٣٣٨].

وأخرج أبو نُعيم في «**الحلية**» [١/ ٣١٥] عن ابن عمر قال: دعا رسول الله ﷺ لعبد الله بن عباس، فقال: «**اللهمَّ بارك فيه وانشُر منه**».

وأخرج [١/ ٣١٦] من طريق عبد المؤمن بن خالد عن عبد الله بن بُريدة، عن ابن عباس قال: انتهيتُ إلى النبي ﷺ وعنده جبريل، فقال له جبريل: إنه كائنٌ حَبْرَ هذه الأمة، فاستوصِ به خيراً.

وأخرج [١/ ٣٢٦] من طريق عبد الله بن خِراش، عن العوّام بن حَوْشب؛ عن مجاهد قال: قال ابن عباس: قال لي رسولُ الله ﷺ: «**نِعْم تَرْجُمان القرآن أنت**».

وأخرج البيهقي في «**الدلائل**» [٦/ ١٩٣] عن ابن مسعود قال: نِعم تَرجمان القرآن عبدُ الله بن عباس.

وأخرج أبو نعيم [«الحلية» (١/ ٣١٦)] عن مجاهد قال: كان ابن عباس يسمَّى البحرَ، لكثرة علمه.

وأخرج [١/ ٣١٦] عن ابن الحنفيَّة قال: كان ابن عباس حَبْرَ هذه الأمة.

وأخرج [١/ ٣١٧] عن الحسن قال: إن ابن عباس كان من القرآن بمنزل، كان عُمرُ يقول: ذاكم فتى الكُهول؛ إن له لساناً سَؤولاً، وقلباً عَقُولاً.

وأخرج [١/ ٣٢٠] من طريق عبد الله بن دينار، عن ابن عمر: أنَّ رجلاً أتاه يسأله عن: ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: **٣٠**]. فقال: اذهب إلى ابن عباس، فسَلْهُ، ثم تعال أخبرني، فذهب فسأله، فقال: كانت السموات رَتْقاً لا تُمطر، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت، ففَتَقَ هذه بالمطر، وهذه بالنبات. فرجع إلى ابن عمر فأخبره، فقال: قد كنتُ أقول: يُعجبني جراءةُ ابن عباس على تفسير القرآن؛ فالآن قد علمتُ أنه أُوتيَ علماً.

وأخرج البخاريّ [٤٩٧٠] من طريق سعيد بن جُبير، عن ابن عباس قال: كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر، فكأنَّ بعضهم وجَد في نفسه، فقال: لِمَ يدخل هذا معنا، وإن لنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه ممن علمتم، ودعاهم ذات يوم، فأدخله معهم ـ فَمَا رُئيت أنه دعاني فيهم يومئذ إلَّا ليُريَهم ـ فقال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾؟ فقال بعضهم: أُمِرْنَا أن نحمدَ الله ونستغفره إذا نصرَنا وفتَح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، فقال: ما تقول؟ فقلتُ: هو أَجلُ رسولِ الله ﷺ أعلَمَه به، قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ فذلك علامةُ أجلِك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾. فقال عمر: لا أَعلم منها إلَّا ما تقول.

[وانظر أحمد: ٣١٢٧].

وأخرج أيضاً من طريق ابن أبي مليكة، عن ابن عباس قال: قال عمر بن الخطاب يوماً لأصحاب النبي ﷺ: فيمن ترون هذه الآية نزلت: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [البقرة: **٢٦٦**]. قالوا: الله أعلم، فغَضِب عمر، فقال: قولوا: نعلم أو لا نعلم، فقال ابنُ عباس: في نفسي منها شيء،

فقال: يا ابنَ أخي، قل ولا تحقِر نفسَك، قال ابنُ عباس: ضُرِبَتْ مثلاً لعملٍ، فقال عمر: أيّ عمل؟ قال ابن عباس: لرجل يعمل بطاعة الله، ثم بعث له الشيطان، فعمل بالمعاصي حتى أغرَق أعمالَه.

وأخرج أبو نعيم [«الحلية» (١/ ٣١٧)] عن محمد بن كعب القُرَظيّ عن ابن عباس: أنَّ عمر بن الخطاب جلَس في رهط من المهاجرين من الصَّحابة، فذكروا ليلة القَدْر، فتكلَّم كلٌّ بما عنده، فقال عمر: مالك يا ابن عباس صامت لا تتكلم؟ تكلَّم ولا تَمنَعْكَ الحداثة، قال ابن عباس: فقلت: يا أمير المؤمنين، إنَّ الله وترٌ يحبّ الوِتر، فجعل أيام الدنيا تدور على سبْع، وخلَق أرزاقنا من سبع، وخلَق الإنسان من سبع، وخلق فوقنا سمواتٍ سبعاً، وخلق تحتنا أرضين سبعاً، وأُعطي من المثاني سبْعاً، ونهى في كتابه عن نكاح الأقربين عن سبع، وقسم الميراث في كتابه على سَبْعٍ، ونقع في السجود من أجسادنا على سَبْع، وطاف رسول الله ﷺ بالكعبة سَبْعاً، وبين الصفا والمروة سَبْعاً، ورمى الجمار بسَبْع؛ فأراها في السَّبْع الأواخر من شهر رمضان. فتعجَّب عمرُ، وقال: ما وافقني فيها أحدٌ إلَّا هذا الغلامُ الذي لم تَسْتَو شؤون رأسِه. ثم قال: يا هؤلاء، مَنْ يؤدِّيني في هذا كأداء ابن عباس!.

وقد ورد عن ابن عباس في التفسير ما لا يُحْصَى كثرة، وفيه روايات وطرق مختلفة:

فمن جيدها طريق عليّ بن أبي طلحة الهاشميّ عنه:

قال أحمد ابن حنبل: بمصر صحيفة في التفسير، رواها عليّ بن أبي طلحة، لو رحلَ رجلٌ فيها إلى مصرَ قاصداً ما كان كثيراً. أسنده أبو جعفر النحاس في «**ناسخه**».

قال ابنُ حجر: وهذه النسخة كانت عند أبي صالح كاتب اللَّيْث، رواها عن معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس. وهي عند البخاري عن أبي صالح، وقد اعتمد عليها في «صحيحه» كثيراً فيما يعلقه عن ابن عباس. وأخرج منها ابنُ جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر كثيراً بوسائطَ بينهم وبين أبي صالح. وقال قوم: لم يسمع ابن أبي طلحة من ابن عباس التفسير، وإنما أخذه عن مجاهد أو سعيد بن جبير.

قال ابنُ حجر: بعد أن عرفت الوَاسطة، وهو ثقة، فلا ضَيْرَ في ذلك.

وقال الخليليّ في «**الإرشاد**»: تفسير معاوية بن صالح قاضي الأندلس عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس. رواه الكبار عن أبي صالح كاتب الليث، عن معاوية. وأجمع الحفَّاظ على أنَّ ابن أبي طلحة لم يسمعه من ابن عباس.

قال: وهذه التَّفاسير الطِّوال التي أسندوها إلى ابن عباس غير مرضية، ورواتها مجاهيل؛ كتفسير جُويبر عن الضحَّاك، عن ابن عباس.

وعن ابن جُرَيج في التفسير جماعة رووا عنه، وأطولُها ما يرويه بَكْر بن سهل الدِّمْياطيّ، عن عبد الغني بن سعيد عن موسى بن محمد، عن ابن جريج؛ وفيه نظر.

وروى محمد بن ثور، عن ابن جريج نحو ثلاثة أجزاء كبار، وذلك صحَّحوه.

وروى الحجاج بن محمد، عن ابن جُريج نحو جزء، وذلك صحيح، متَّفقٌ عليه.

وتفسير شِبْل بن عبَّاد المكيّ، عن ابن أبي نَجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، قريب إلى الصحَّة.

وتفسير عطاء بن دينار، يُكتَب ويحتج به.

وتفسير أبي رَوْق نحو جزء صححوه.

وتفسير إسماعيل السديّ: يُورده بأسانيد إلى ابن مسعود وابن عباس، ورَوَى عن السّديّ الأئمة، مثل الثوريّ وشُعْبة؛ لكن التفسير الذي جمعه رواه أسباط بن نصر، وأسباط لم يتفقوا عليه؛ غير أنَّ أمثَل التفاسير تفسيرُ السّدّي.

فأما ابنُ جريج، فإنه لم يقصد الصحة، وإنما روى ما ذكر في كلّ آية من الصحيح والسقيم.

وتفسير مقاتل بن سليمان؛ فمقاتل في نفسه ضعَّفوه، وقد أدرك الكبار من التابعين، والشَّافعيّ أشار إلى أن تفسيره صالح. انتهى كلام «**الإرشاد**».

وتفسير السّديّ الذي أشار إليه يورد منه ابنُ جرير كثيراً من طريق السُّديّ عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرّة عن ابن مسعود وناس من الصحابة هكذا، ولم يورد منه ابنُ أبي حاتم شيئاً، لأنه التزم أن يخرّج أصحَّ ما ورَد. والحاكم يخرِّج منه في «**مستدركه**» أشياء، ويصححه، لكن من طريق مرّة عن ابن مسعود، وناس فقط دون الطريق الأول. وقد قال ابن كثير: إنَّ هذا الإسناد يروي به السّديّ أشياء فيها غرابة.

ومن جيّد الطرق عن ابن عباس: طريق قَيْس، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبير، عنه. وهذه الطريق صحيحة على شرط الشيخيْن، وكثيراً ما يخرّج منها الفريابيّ، والحاكم في «**مستدركه**».

ومن ذلك طريق ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد ـ مولى آل زيد بن ثابت ـ عن عكرمة ـ أو سعيد بن جبير ـ عنه، هكذا بالترديد. وهي طريق جيِّدة، وإسنادها حسن، وقد أخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم كثيراً. وفي «**معجم الطَّبراني الكبير**» منها أشياء.

وأَوْهَى طرقه: طريق الكلبيّ عن أبي صالح عن ابن عباس، فإن انضمَّ إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدّيّ الصغير فهي سلسلة الكذب. وكثيراً ما يخرِّج منها الثعلبيّ والواحديّ، لكن قال ابن عدي في «**الكامل**»: للكلبيّ أحاديثُ صالحة، وخاصة عن أبي صالح، وهو معروف بالتفسير، وليس لأحد تفسير أطول منه ولا أَشْبَع، وبعده مقاتل بن سليمان، إلّا أنَّ الكلبيّ يفضُل عليه، لما في مقاتل من المذاهب الرديئة.

وطريق الضحَّاك بن مزاحم عن ابن عباس منقطعة، فإنَّ الضحاك لم يلقه، فإن انضمَّ إلى ذلك رواية بِشْر بن عمارة، عن أبي رَوْق عنه فضعيفة، لضعف بِشْر.

وقد أخرج من هذه النسخة كثيراً ابنُ جرير وابنُ أبي حاتم.

وإن كان من رواية جُويبر عن الضحاك فأشد ضعفاً؛ لأنَّ جُويبراً شديد الضعف متروك. ولم يخرِّج ابن جرير ولا ابن أبي حاتم من هذا الطريق شيئاً، إنما أخرجها ابن مردويه وأبو الشيخ بن حَيّان.

وطريق العوفيّ عن ابن عباس، أَخْرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم كثيراً، والعَوْفيّ ضعيف ليس بواهٍ، وربما حَسَّن له الترمذيُّ.

ورأيت عن فضائل الإمام الشافعي لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن شاكر القطّان: أنه أخرج بسنده من طريق ابن عبد الحكم، قال: سمعت الشافعيّ يقول: لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلَّا شبيهٌ بمئة حديث.

وأما أُبيّ بن كعب: فعنه نسخة كبيرة يرويها أبو جعفر الرازيّ، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية عنه. وهذا إسناد صحيح. وقد أخرج ابنُ جرير وابنُ أبي حاتم منها كثيراً، وكذا الحاكم في «**مستدركه**»، وأحمد في «**مسنده**».

وقد ورد عن جماعة من الصحابة غيرِ هؤلاء اليسيرُ من التَّفْسير؛ كأنس وأبي هريرة وابن عمر وجابر وأبي موسى الأشعري. وورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص أشياءُ تتعلق بالقصص وأخبار الفِتَن والآخرة وما أشبهها، بأن يكون مما تحمّله عن أهل الكتاب، كالذي ورد عنه في قوله تعالى: ﴿فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]. وكتابنا الذي أشرنا إليه جامعٌ لجميع ما ورد عن الصحابة من ذلك.

طبقة التَّابعين: قال ابن تيميّة[(١)]: أعلمُ النَّاسِ بالتفسير أهلُ مكَّة، لأنهم أصحاب ابن عباس؛ كمجاهد وعطاء بن أبي رباح وعِكْرِمة مولى ابن عباس وسعيد بن جُبير وطاوس وغيرهم.

وكذلك في الكوفة أصحاب ابن مسعود.

وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم، الذي أخذ عنه ابنُه عبد الرحمن بن زيد، ومالك بن أنس. انتهى.

فمن المبرَّزين منهم مجاهد، قال الفضل بن ميمون: سمعت مجاهداً يقول: عرضتُ القرآنَ على ابن عباس ثلاثين مرة.

وعنه أيضاً قال: عرضت المصحَف على ابن عباس ثلاث عرَضات، أقف عند كلِّ آية منه، وأسأله عنها فيمَ نزلت؟ وكيف كانت؟

وقال خُصَيف: كان أعلَمَهم بالتفسير مجاهدٌ[(٢)].

وقال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبُك به[(٣)].

قال ابن تيميّة[(٤)]: ولهذا يَعتمد على تفسيره الشافعيُّ والبخاري وغيرهما من أهل العلم.

قلت: وغالب ما أورده الفِرْيابيّ في «تفسيره» عنه، وما أورده فيه عن ابن عباس أو غيره قليلٌ جدًّا.

ومنهم سعيد بن جُبير، قال سفيان الثوري: خذوا التفسير عن أربعة: عن سعيد بن جُبير، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك.

---

(١) في «مقدمة في أصول التفسير» ص٥٤.

(٢) انظر «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٤٥١.

(٣) انظر «تفسير الطبري» ١/ ٦٥.

(٤) في «مقدمته» ص٢٣.

وقال قتادة: كان أعلم التابعين أربعة؛ كان عطاء بن أبي رباح أعلمَهم بالمناسك، وكان سعيدُ بن جُبير أعلمَهم بالتفسير، وكان عِكْرمة أعلمَهم بالسِّيَر، وكان الحسنُ أعلَمَهم بالحلال والحرام.

ومنهم عِكْرمة مولى ابن عباس، قال الشعبيّ: ما بقي أحدٌ أعلَم بكتاب الله من عِكْرمة. وقال سماك بن حرب: سمعت عكرمة يقول: لقد فسَّرت ما بين اللوحين.

وقال عكرمة: كان ابنُ عباس يجعل في رجلي الكَبْل، ويعلمني القرآنَ والسُّنَن.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سماك قال: قال عِكْرمة: كلُّ شيء أحدثكم في القرآن، فهو عن ابن عباس.

ومنهم الحسن البصري، وعطاء بن أبي رباح، وعطاء بن أبي سلمة الخُراساني، ومحمد بن كعب القُرَظِيّ، وأبو العالية، والضحاك بن مزاحم، وعطية العَوْفِيّ، وقَتَادة، وزيد بن أَسلَم، ومُرَّة الهمدانيّ، وأبو مالك. ويليهم الرَّبيعُ بن أنس، وعبدُ الرحمن بن زيد بن أسلم في آخرين.

فهؤلاء قدماءُ المفسِّرين، وغالب أقوالهم تلقَّوْها عن الصحابة.

ثم بعد هذه الطبقة أُلِّفتْ تفاسير تجمع أقوال الصحابة والتابعين؛ كتفسير سفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، وشعبة بن الحجاج، ويزيد بن هارون، وعبد الرزاق، وآدم بن أبي إياس، وإسحاق بن راهويه، وروح بن عبادة، وعبد بن حميد، وسُنيد، وأبي بكر بن أبي شيبة، وآخرين.

وبعدهم ابن جرير الطبري، وكتابه أجلُّ التفاسير وأعظمُها.

ثم ابن أبي حاتم وابن ماجه، والحاكم وابن مردويه، وأبو الشيخ بن حَيّان، وابن المنذر في آخرين، وكلّها مسندة إلى الصحابة والتابعين وأتباعهم، وليس فيها غير ذلك إلّا ابن جرير، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض، والإعراب والاستنباط، فهو يفوقها بذلك.

ثم ألف في التفسير خلائقُ، فاختصروا الأسانيد، ونقلوا الأقوال بتْراً، فدخل من هنا الدخيلُ، والتبس الصحيحُ بالعليل. ثم صار كل مَن يسنح له قول يُورده، ومَن يخطر بباله شيء يعتمده، ثم ينقل ذلك عنه مَن يجيء بعده، ظانّاً أنَّ له أصلاً؛ غير ملتفت إلى تحرير ما ورد عن السلف الصالح، ومن يرجَع إليهم في التفسير؛ حتى رأيتُ مَن حكى في تفسير قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ نحو عشرة أقوال. وتفسيرُها باليهود والنصارى هو الوارد عن النبيّ ﷺ وجميع الصحابة والتابعين، وأتباعهم، حتى قال ابن أبي حاتم: لا أعلم في ذلك اختلافاً بين المفسرين.

ثم صنَّف بعد ذلك قوم برعوا في علوم، فكان كل منهم يقتصر في تفسيره على الفنِّ الذي يغلب عليه:

فالنحويّ: تراه ليس له همٌّ إلا الإعراب وتكثيرُ الأوجه المحتمِلة فيه، ونقلُ قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافيّاته؛ كالزَّجّاج، والواحدي في «**البَسيط**» وأبي حيّان في «**البحر**» و«**النهر**».

والأخباري: ليس له شغل إلا القصص واستيفاؤها، والإخبار عمَّن سلف، سواء كانت صحيحة أو باطلة؛ كالثعلبيّ.

والفقيه: يكادُ يسرد فيه الفقه من باب الطهارة إلى أُمّهات الأولاد، وربما استطرد إلى إقامة أدلة الفروع الفقهية التي لا تعلُّق لها بالآية، والجواب عن أدلة المخالفين؛ كالقرطبي.

وصاحبُ العلوم العقلية ـ خصوصاً الإمام فخر الدين ـ قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وشبهها، وخرج من شيء إلى شيء؛ حتى يقضيَ الناظر العجبَ من عدم مطابقة المُوْرَد للآية. قال أبو حيان في «**البحر**»: جمَع الإمام الرازيّ في تفسيره أشياءَ كثيرةً طويلة لا حاجة بها في علم التفسير؛ ولذلك قال بعض العلماء: فيه كلّ شيء إلّا التفسير!!

والمبتدع ليس له قصد إلا تحريف الآيات وتسويتها على مذهبه الفاسد؛ بحيث إنه متى لاحَت له شاردة من بعيد اقتنصَها، أو وجد موضعاً له فيه أدنى مجال سارع إليه. قال البُلقينيّ: استخرجْتُ من «**الكشاف**»[1] اعتزالاً بالمناقيش، من قوله تعالى في تفسير: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. وأيّ فوز أعظم من دخول الجنة!؟ أشار به إلى عدم الرؤية.

والملحد، فلا تسأل عن كفره وإلحاده في آيات الله وافترائه على الله ما لم يقله، كقول بعضهم في: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]: ما على العباد أضرّ من ربهم، وكقوله في سَحرة موسى ما قال، وقول الرافضة في: ﴿يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧]. ما قالوا[2]. وعلى هذا وأمثاله يحمل ما أخرجه أبو يعلى وغيره عن حذيفة: أن النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ في أُمّتي قوماً يقرؤون القرآن وينثُرونه نَثْرَ الدَّقَل، يتأوّلونه على غير تأويله**» [الترمذي: ٦٠٢ وهو صحيح].

فإن قلت: فَأيّ التفاسير ترشد إليه؛ وتأمر الناظر أن يعوّل عليه؟

قلت: تفسير الإمام أبي جعفر بن جرير الطبريّ، الذي أجمع العلماء المعتبَرون على أنه لم يؤلف في التفسير مثله. قال النوويّ في «**تهذيبه**»: كتاب ابن جرير في التفسير لم يصنِّف أحدٌ مثلَه[3].

وقد شرعتُ في تفسير جامع لجميع ما يحتاج إليه: من التفاسير المنقولة، والأقوال المقولة، والاستنباط والإشارات، والأعاريب واللغات، ونكت البلاغة ومحاسن البدائع، وغير ذلك، بحيث لا يحتاج معه إلى غيره أصلاً، وسميتُهُ: «**مجمع البحرين ومطلع البدرين**»، وهو الذي جعلتُ هذا الكتاب مقدمة له، والله أَسأل أن يعين على إكماله، بمحمد وآله.

وإذ قد انتهى بنا القول فيما أردناه من هذا الكتاب؛ فلنختمه بما ورد عن النبي ﷺ من التفاسير المصرَّح برفعها إليه، غير ما ورد من أسباب النزول، لتُستفاد فإنّها من المهمات.

الفاتحة:

أخرج أحمد [١٩٣٨١] والترمذيّ ـ وحسّنه ـ [٢٩٥٤] وابن حِبّان في «**صحيحه**» [٦٢٤٦ وهو صحيح] عن عديّ بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ المغضوب عليهم هُم اليهود، وإنَّ الضالين النصارى**».

---

(١) «الكشاف» ١/ ٤٨٥، آل عمران: ١٨٥.

(٢) قالوا: هي عائشة. قاتلهم الله أنّى يؤفكون.

(٣) وقال الشيخ ابن تيمية: «تفسير محمد بن جرير الطبري من أجلِّ التفاسير المأثورة وأعظمها قدراً». «مقدمة في أصول التفسير» ص٨١.

وأخرج ابن مردويه عن أبي ذرّ: سألت النبيّ ﷺ عن المغضوب عليهم، قال: «**اليهود**» قلتُ: الضالين؟ قال: «**النصارى**».

البقرة:

أخرج ابن مردويه والحاكم في «**مستدركه**» ـ وصحَّحه من طريق أبي نَضْرة ـ عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥]. قال: «**من الحيض والغائط والنُّخامة والبُزاق**».

قال ابن كثير في «**تفسيره**»[(١)]: في إسناده الربعيّ، قال فيه ابنُ حِبّان: لا يجوز الاحتجاج به، قال: ففي تصحيح الحاكم له نظرٌ، ثم رأيته في تاريخه قال: إنه حديث حسن.

وأخرج ابن جرير بسند رجاله ثقات، عن عمرو بن قيس الملائيّ، عن رجل من بني أمية من أهل الشام أحسن عليه الثناء، قال: قيل: يا رسول الله، ما العدل؟ قال: «**العدل الفدية**». مرسل جيد، عضده إسناد متصل عن ابن عباس موقوفاً.

وأخرج الشيخان [البخاري: ٤٤٧٩، ومسلم: ٧٥٢٣]: عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ قال: «**قيل لبني إسرائيل**: ﴿وَادْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨]. **فدخلوا يزحَفون على أستاههم، وقالوا: حبّة في شعرة**» [وانظر أحمد: ٨٢٣٠]. فيه تفسير قوله: ﴿قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٥٩].

وأخرج الترمذيّ [٣١٦٤] وغيره بسند حسن عن أبي سعيد الخدريّ، عن رسول الله ﷺ قال: «**ويلٌ وادٍ في جهنم، يهوِي فيه الكافرُ أربعين خَريفاً قبل أن يبلُغ قَعرَه**» [قال الألباني: ضعيف].

وأخرج أحمد [١١٧١٠ وإسناده ضعيف] بهذا السّند: عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ قال: «**كلُّ حرفٍ من القرآن يُذكَر فيه القنوتُ فهو الطاعة**».

وأخرج الخطيب في الرواية بسند فيه مجاهيلُ: عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١]. قال: «**يتَّبعونه حق اتّباعه**».

وأخرج ابن مردويه بسندٍ ضعيف: عن عليّ بن أبي طالب، عن النبيّ ﷺ في قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]. قال: «**لا طاعة إلا في المعروف**». له شاهد أخرجه ابن أبي حاتم، عن ابن عباس موقوفاً بلفظ: ليس لظالمٍ عليك عهدٌ أن تطيعه في معصية الله.

وأخرج أحمد [١١٠٦٨] والترمذيّ [٢٩٦١] والحاكم ـ وصححاه ـ [٢/٢٦٨] عن أبي سعيد الخُدريّ، عن النبيّ ﷺ في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. قال: «**عَدْلاً**».

وأخرج الشّيخان [البخاري: ٤٤٨٧، وأحمد: ١١٢٨٣] وغيرهما: عن أبي سعيد الخُدريّ، عن النبيّ ﷺ قال: «**يُدعَى نوح يوم القيامة، فيقال له: هل بلَّغت؟ فيقول: نعم، فيدعَى قومُه فيقال لهم: هل بلَّغكم؟**

(١) في سورة البقرة: ٢٥.

فيقولون: ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد، فيقال لنوح: مَن يشهد لك؟ فيقول: محمدٌ وأُمته، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾. قال: **والوَسَط العدل، فتُدعَوْن فتَشهدون له بالبلاغ، وأشهد عليكم».**

قوله: «الوسط العدل»: مرفوع غير مدرَج، نبَّه عليه ابن حَجر في «**شرح البخاري**»[1].

وأخرج أبو الشيخ والديلمي في «**مسند الفردوس**» من طريق جُويبر، عن الضَّحاك عن ابن عباس. قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]: «**يقول: اذكروني يا معشر العباد بطاعتي، أذكُرْكم بمغفرتي**».

وأخرج الطَّبرانيّ[2]: عن أبي أُمامة قال: انقطع قِبالُ [في «الكبير»: ٧٨٢٤] النبي ﷺ، فاسترجع، فقالوا: مصيبة يا رسول الله؟ فقال: «**ما أصابَ المؤمن مما يكرهُه فهو مصيبة**». له شواهد كثيرة.

وأخرج ابن ماجه [٤٠٢١]، وابنُ أبي حاتم[3]: عن البَراء بن عازب قال: كنَّا في جنازة مع النبيّ ﷺ، فقال: «**إنَّ الكافر يُضرب ضربةً بين عينيْه، فيسمعها كلّ دابة غير الثَّقلين، فتَلْعَنُهُ كلُّ دابة سمعت صوته، فذلك قول الله**: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]. **يعني دوابّ الأرض**».

وأخرج الطَّبراني [في «الأوسط»: ١٦٠٧] عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ في: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧]: «**شوّال، وذو القعدة، وذو الحجة**».

وأخرج الطَّبرانيّ [في «الكبير»: ١٠٩١٤] بسندٍ لا بأس به عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]. قال: «**الرّفث: التعرض للنساء بالجماع، والفسوق: المعاصي، والجدال: جدال الرّجل صاحبَه**».

أخرج أبو داود [٣٢٥٤ صححه الألباني] عن عطاء: أنه سئِل عن اللّغو في اليمين، فقال: قالت عائشة: إنَّ رسول الله ﷺ قال: «هو كلام الرَّجل في بيته: كلا والله، وبلى والله». أخرجه البخاري [٤٦١٣] موقوفاً عليها.

وأخرج أحمد وغيره عن أبي رَزين الأسدي قال: قال رجلٌ: يا رسولَ الله، أرأيتَ قول الله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ [البقرة: ٢٢٩] فأين الثالثة؟ قال: «**التسريح بإحسان الثالثة**».

وأخرج ابنُ مردويه عن أنَس قال: جاء رجل إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسول الله، ذكر الله الطَّلاقَ مرتين، فأين الثالثة؟ قال: «**إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان**».

وأخرج الطَّبرانيُّ [في «الأوسط»: ٦٣٥٥] بسنَد لا بأْس به من طريق ابن لَهِيعة، عن عَمْرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، عن النبيّ ﷺ قال: «**الذي بيده عقدة النِّكاح: الزوجُ**».

وأخرج الترمذي [١٨١] وابن حِبّان في «**صحيحه**» [١٧٤٦ وإسناده صحيح] عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**صلاة الوُسطى صلاة العصر**» [وانظر أحمد: ٤٣٦٥].

---

(١) «فتح الباري» ٩/ ١٤٧ (٤٤٨٧).
(٢) القِبَال: زمام النعل، وهو السير الذي يكون بين الإصبَعين.
(٣) في تفسيره ١/ ٢٦٩ رقم (١٤٤٤) البقرة: ١٥٩.

وأخرج أحمد [٢٠٠٨٢] والترمذيّ ـ وصححه ـ [١٨٢] عن سمُرة: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**صلاة الوسطى صلاة العصر**».

وأخرج ابن جرير عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**الصلاة الوسطى صلاة العصر**».

وأخرج أيضاً عن أبي مالك الأشعريّ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الصلاة الوسطى صلاة العصر**». وله طرق أُخرى وشواهدُ.

وأخرج الطَّبرانيُّ [في «الأوسط»: ٦٩٣٧] عن عليّ، عن رسول الله ﷺ، قال: «**السَّكينة رِيحٌ خَجُوج**»(١).

وأخرج ابن مَردويه من طريق جُويبر عن الضَّحاك، عن ابن عباس مرفوعاً في قوله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩]. قال: «**القرآن**». قال ابنُ عباس: **يعني تفسيره؛ فإنه قد قرأه البرُّ والفاجر**.

آل عمران:

أخرج أحمد [٢٢٢٥٩ وإسناده ضعيف] وغيره عن أبي أُمامة، عن النبيّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧]. قال: «**هم الخوارج**»، وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]. قال: «**هم الخوارج**»(٢).

وأخرج الحاكم وصححه [٢/١٧٨]: عن أنس قال: سئِل رسولُ الله ﷺ عن قول الله: ﴿وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤]. قال: «**القنطار ألف أُوقية**»(٣).

وأخرج أحمد [٨٧٥٨] وابن ماجه [٣٦٦٠]عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**القنطار اثنا عشر ألف أُوقية**» [إسناده حسن. انظر ابن حبان: ٢٥٧٣].

وأخرج الطبرانيّ بسند ضعيف عن ابن عباس، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]. قال: «**أمَّا من في السموات فالملائكة، وأما مَن في الأرض فمن وُلِد على الإسلام، وأما كرهاً فَمَن أُتِيَ به من سبايا الأمم في السلاسل والأغلال، يقادون إلى الجنة وهم كارهون**».

وأخرج الحاكم ـ وصحَّحه ـ [١/٤٤١] عن أنس: أنَّ رسول الله ﷺ سُئِل عن قول الله تعالى: ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، ما السبيل؟ قال: «**الزاد والراحة**».

وأخرج الترمذي [٣٩٩٨] مثله من حديث ابن عُمر وحَسَّنه.

وأخرج عبد بن حميد في «**تفسيره**» عن نُفَيع قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ

---

(١) في «الأوسط»: ريحٌ حَجُوجٌ. أوله حاء مهملة. وهو غير صواب الله أعلم. قال في «النهاية»: ريحٌ خَجُوج؛ أي: شديدة المرور في غير استواء، وجاء في كتاب «المعجم الأوسط» للطبراني عن علي قال: «السكينة ريح خجوج». ا.هـ النهاية: خجج.

(٢) وانظر أيضاً الحديث (٢٢١٨١) و(٢٢١٨٣) فيه، والتعليق عليهما.

(٣) في «المستدرك»: القنطار ألفا أوقية.

﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]. فقام رجل من هُذَيل، فقال: يا رسول الله، مَن تركه فقد كفر؟ قال: «**مَن تركه لا يخاف عقوبته ولا يرجو ثوابه**».

نُفَيْع تابعيّ، والإسناد مرسَل، وله شاهد موقوف على ابن عباس.

وأخرج الحاكم ـ وصححه ـ [٢/ ٢٩٤] عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]: «**أن يطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى**».

وأخرج ابن مردويه، عن أبي جعفر الباقر قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. ثم قال: «**الخيرُ اتباعُ القرآن وسنّتي**»؛ مُعْضَلٌ[١].

وأخرج الديلميّ في «**مسند الفردوس**» بسند ضعيف: عن ابن عمر، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]. قال: «**تبيض وجوه أهل السنّة، وتسودّ وجوه أهلِ البدَع**».

وأخرج الطّبرانيُّ [في الكبير: ١١٤٦٩] وابن مردويه بسندٍ ضعيف عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥]. قال: «**معلّمين، وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائمُ سودٌ، ويوم أُحدٍ عمائمُ حُمْرٌ**».

أخرج البخاري [١٤٠٣] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من آتاه الله مالاً فلم يؤدِّ زكاته مُثِّل له شجاعٌ أقرعُ، له زبيبتان، يُطوقه يوم القيامة، فيأخذ بلِهْزِمَتَيْه، فيقول: أنا مالُكَ أنا كنزُك**»، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ الآية [آل عمران: ١٨٠] [انظر أحمد: ٨٦٦١].

النساء:

أخرج ابن أبي حاتم[٢]، وابن حبّان في «**صحيحه**» عن عائشة، عن النبيّ ﷺ في قوله: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ [النساء: ٣]. قال: «**ألّا تَجُوروا**». وقال ابن أبي حاتم: قال أبي: هذا حديث خطأ، والصحيح عن عائشة موقوف.

وأخرج الطبراني [في «الأوسط»: ٤٥١٤] بسند ضعيف عن ابن عمر قال: قرئ عند عمر: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦]. فقال معاذٌ: عندي تفسيرُها؛ تُبَدَّلُ في ساعةٍ مئةَ مرةٍ، فقال عمرُ: هكذا سمعتُ من رسول الله ﷺ.

وأخرج الطبرانيّ [في «الأوسط»: ٨٦٠١] بسند ضعيف: عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ في قوله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣]. قال: «**إن جازاه**».

وأخرج الطّبراني [في الكبير: ١٠٤٦٢] وغيره بسند ضعيف عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ١٧٣]: «**الشفاعة فيمن وجَبت له النار، ممّن صنع إليهم المعروف في الدنيا**».

---

(١) الحديث المعضَل: هو ما سقط من إسناده اثنان فأكثر، بشرط التوالي. والمعضل ضعيفٌ. انظر «قواعد التحديث» للشيخ القاسمي رحمه الله تعالى بتحقيقنا ص٢٠٦ ـ ٢٠٧.

(٢) في «تفسيره» ٣/ ٨٦٠ (٤٧٦١) النساء: ٣.

وأخرج أبو داود في «**المراسيل**» [٣٧١] عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يسأله، فسأله عن الكلالة، فقال: «**أما سمعت الآية التي أُنزلت في الصيف**: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦]، **فمن لا يترك ولداً ولا والداً فورثته كلالة**»، مرسلٌ.

وأخرج أبو الشَّيخ في كتاب «**الفرائض**» عن البراء: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن الكَلالة، فقال: «**ما عدا الولد والوالد**».

المائدة:

أخرج ابن أبي حاتم[1]: عن أبي سعيد الخدريّ، عن رسول الله ﷺ قال: «**كانت بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم ودابة وامرأة كتب ملِكاً**».

له شاهد من مرسل زيد بن أسلم عند ابن جرير.

وأخرج الحاكم ـ وصححه ـ [٢/ ٣١٣] عن عياض الأشعريّ قال: لما نزلت ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]. قال رسول الله ﷺ لأبي موسى: «**هم قومُ هذا**».

وأخرج الطبرانيّ عن عائشة، عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ [المائدة: ٨٩]. قال: «**عباءة لكلِّ مسكين**».

وأخرج الترمذي ـ وصححه ـ [٣٠٥٨] عن أبي أُمية السُّفياني قال: أتيتُ أبا ثعلبة الخُشَني فقلت له: كيف تصنعُ في هذه الآية؟ قال: أيةُ آيةٍ؟ قلتُ: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]. قال: أمَا واللهِ لقد سألتَ عنها خبيراً، سألتُ عنها رسولَ الله ﷺ قال: «**ائتمِروا بالمعروف، وتناهَوا عن المنكر، حتى إذا رأيْت شُحًّا مُطاعاً، وهَوًى متَّبعاً، ودنيا مُؤْثَرةً، وإعجابَ كلِّ ذي رأي برأْيه، فعليك بخاصة نفسِك، ودَعِ العَوامَّ**»[2].

وأخرجه أحمد [١٧١٦٥] والطبرانيّ [في الكبير ٢٢/ (٧٩٩) وإسناده ضعيف] وغيرهما: عن أبي عامر الأشعري قال: سألتُ رسول الله ﷺ عن هذه الآية، فقال: «**لا يضرُّكم من ضل من الكفار إذا اهتديتم**».

الأنعام:

أخرج ابن مردويه وأبو الشيخ من طريق نَهْشل، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**مع كلِّ إنسان ملَك إذا نام يأخذ نفسَه، فإن أذن الله في قبض روحه قبضَه وإلّا ردَّه إليه. فذلك** قوله: ﴿يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾» [الأنعام: ٦٠]. نَهْشَل: كذاب.

وأخرج أحمد [٣٥٨٩] والشيخان [البخاري: ٣٢، ومسلم: ٣٢٧] وغيرهم: عن ابن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]. شقَّ ذلك على الناس، فقالوا: يا رسولَ الله، وأيّنا لا يظلم نفسه؟ قال: «**إنه ليس الذي تَعْنُون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح**: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]. **إنما هو الشرك**».

---

(١) في «تفسيره» ٤/ ١١٢٩، انظر أول المائدة.

(٢) قال الألباني: ضعيف لكن بعضه صحيح.

وأخرج ابن أبي حاتم[1] وغيره بسندٍ ضعيف، عن أبي سعيد الخدريّ، عن رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. قال: «**لو أن الجن والإنس والشياطين والملائكة منذ خُلقوا إلى أن فَنُوا، صفُّوا صفًّا واحداً، ما أحاطوا بالله أبداً**».

وأخرج الفِرْيَابيّ وغيره من طريق عمرو بن مُرّة عن أبي جعفر قال: سئل النبيّ ﷺ عن هذه الآية: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]. قالوا: كيف يشرح صدره؟ قال: «**نور يقذَف به فينشرح له وينفسح**». قالوا: فهل لذلك من أمارة يعرف بها؟ قال: «**الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل لقاء الموت**». مرسل له شواهد كثيرة متَّصلة ومرسلة، يرتقي بها إلى درجة الصحة أو الحسْن.

وأخرج ابنُ مردويه، والنحّاس في «**ناسخهِ**» عن أبي سعيد الخُدْريّ، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١]. قال: «**ما سقط من السنبل**».

وأخرج ابن مردويه بسند ضعيف من مرسل سعيد بن المسيّب قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢]. فقال: **من أَرْبَى على يده في الكيل والميزان، والله يعلَمُ صحّة نيّته بالوفاء فيهما، لم يؤاخذ**». وذلك تأويل ﴿وُسْعَهَا﴾.

وأخرج أحمد [١١٢٦٦] والترمذي [٣٠٧١ وهو صحيح لغيره] عن أبي سعيد، عن النبيّ ﷺ: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ [الأنعام: ١٥٨]. قال: «**يومَ طلوع الشمس من مغربها**».

له طرق كثيرة في الصحيحين [البخاري: ٤٦٣٦، ومسلم: ٣٩٦] وغيرهما من حديث أبي هريرة وغيره. [انظر أحمد: ٨١٣٨].

وأخرج الطّبرانيّ [في «الأوسط»: ٦٦٤] وغيره بسندٍ جيِّدٍ، عن عمر بن الخطاب: أنَّ رسول الله ﷺ قال لعائشة: «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾» [الأنعام: ١٥٩]: **هم أصحاب البدَع وأصحاب الأهواء**».

وأخرج الطّبراني [في «الأوسط»: ٦٦٨] بسند صحيح، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾: **هم أهل البدع والأهواء في هذه الأمة**».

الأعـــــراف:

أخرج ابن مردويه وغيره بسندٍ ضعيف، عن أنس، عن النبيّ ﷺ في قوله: ﴿خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].. قال: «**صلُّوا في نعالكم**». له شاهد من حديث أبي هريرة عند أبي الشيخ.

وأخرج أحمد [١٨٥٣٤] وأبو داود [٤٧٥٣] والحاكم [١/ ٣٧ وإسناده صحيح] وغيرهم: عن البَرَاء بن عازب: أنَّ رسول الله ﷺ ذكر العبد الكافر إذا قبِضت روحه، قال: «**فيصعدون بها، فلا يمرّون على ملأ من الملائكة إلَّا قالوا: ما هذا الرَّوحُ الخبيثُ؟ حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا فيُستَفتح فلا يُفتح**

---

(١) في «تفسيره» ٤/ ١٣٦٣ (٧٧٣٦)، الأنعام: ١٠٣.

له. ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ [الأعراف: ٤٠]. فيقول الله: اكتبوا كتابَه في سِجّين في الأرض السفلى، فتُطرحُ روحُهُ طَرْحاً. ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]».

وأخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال: سئِل رسول الله ﷺ عمَّن استوت حسناته وسيئاته؟ فقال: «**أولئك أصحابُ الأعراف**». له شواهد.

وأخرج الطبراني [في الصغير: ٦٦٧] والبيهقي وسعيد بن منصور وغيرهم: عن عبد الرحمن المزنيّ قال: سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف، فقال: «**هم أناسٌ قُتِلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم، فمنعهم من دخول الجنة معصيةُ آبائهم، ومنعهم من النار قتلهم في سبيل الله**».

له شاهد من حديث أبي هريرة عند البيهقي، ومن حديث أبي سعيد عند الطَّبراني [في «الأوسط»: ٣٠٥٣].

وأخرج البيهقي بسندٍ ضعيف: عن أنس مرفوعاً: «**أنَّهم مؤمنو الجن**».

وأخرج ابنُ جرير: عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الطوفان الموت**».

وأخرج أحمد [١٢٢٦٠ و١٣١٧٨] والترمذيّ [إثر ٣٠٧٤] والحاكم [٢/ ٣٢٠] ـ وصححاه ـ عن أنس: أنَّ النبي ﷺ قرأ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]. قال: «**هكذا** ـ وأشار بطرف إبهامه على أُنملةِ أصبعه اليمنى ـ **فساخ الجبل، وخرَّ موسى صعقاً**».

وأخرجه أبو الشيخ بلفظ: «وأشار بالخنصر، فمن نورها جعله دكّاً».

وأخرج أبو الشيخ من طريق جعفر بن محمد، عن أبيه عن جده، عن النبي ﷺ قال: «**الألواح التي أُنزلت على موسى كانت من سِدْر الجنة، كان طولُ اللوح اثني عشر ذراعاً**».

وأخرج أحمد [٢٤٥٥] والنسائيّ [١١١٩١] والحاكم ـ وصححه ـ [٢/ ٥٤٤ ووافقه الذهبي] عن ابن عباس، عن النبيّ ﷺ قال: «**إنَّ الله أخذَ الميثاقَ من ظهر آدم بنعمان [يعني] يوم عرفة، فأخرج من صلبه كلَّ ذريَّة ذرأها فنشرها بين يديه، ثم كلَّمهم، فقال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى**».

وأخرج ابن جرير بسندٍ ضعيف: عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ في هذه الآية: «**أخذ من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس، فقال لهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، قالت الملائكة: شهدنا**».

وأخرج أحمد [٢٠١١٧] والتّرمذيّ ـ وحسنه [٣٠٧٧] ـ والحاكم ـ وصححه ـ [٢/ ٥٤٥ ووافقه الذهبي] عن سَمُرَة، عن النبيّ ﷺ قال: «**لما ولدت حوّاء طاف بها إبليس** ـ وكان لا يعيش لها ولد ـ **فقال: سمِّيه عبد الحارث فإنَّه يعيش، فسمّته عبد الحارث فعاش؛ فكان ذلك وحيَ الشيطان وأمرَهُ**».

وأخرج ابنُ أبي حاتم(١)، وأبو الشيخ عن الشعبي قال: لما أنزَل الله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ . . .﴾ الآية [الأعراف: ١٩٩]، قال رسول الله ﷺ: «**ما هذا يا جبريل؟ قال: لا أدري حتى أَسْأَل العالِمَ، فذهب ثم رجع، فقال: إن الله يأمرك أن تعفُوَ عَمَّن ظلمك، وتعطِيَ مَن حرَمك، وتَصِلَ مَن قطعك**». مرسلٌ.

---

(١) في «تفسيره» ٥/ ١٦٣٨ (٨٦٨٢) الأعراف: ١٩٩.

الأنفال:

أخرج أبو الشيخ عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ [الأنفال: ٢٦]. قيل: يا رسول الله، ومن الناس؟ قال: **«أهل فارس»**.

وأخرج الترمذيّ ـ وضعّفه ـ [٣٠٨٢] عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنزل الله عليّ أمانَين لأمتي: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]، فإذا مضيتُ تركتُ فيهم الاستغفارَ إلى يوم القيامة»**.

وأخرج مسلم [٤٩٤٦] وغيره [الترمذي: ٣٠٨٣]: عن عقبة بن عامر قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول وهو على المنبر: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]. **«ألا إنَّ القوّة الرميُ»**.

فمعناه ـ والله أعلم ـ أنَّ معظم القوّة وأنكاها للعدوّ الرميُ.

وأخرج أبو الشيخ من طريق أبي المهديّ، عن أبيه، عمَّن حدَّثه عن النبيّ ﷺ في قوله: ﴿وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾ [الأنفال: ٦٠] قال: **«هم الجنّ»**.

وأخرج الطَّبراني [في «الكبير»: ٥٠٦] مثله من حديث يزيد بن عبد الله بن غريب، عن أبيه عن جدِّه مرفوعاً.

براءة:

أخرج الترمذيّ [٣٠٨٧ وهو صحيح] عن عليّ قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن يوم الحجِّ الأكبر، فقال: **«يوم النَّحر»**.

وله شاهد عن ابن عمر، عند ابن جرير.

أخرج ابنُ أبي حاتم[1]: عن المِسْوَر بن مخرمة، أن رسول الله ﷺ قال: **«يوم عرفة هذا يوم الحجّ الأكبر»**.

وأخرج أحمد [١١٦٥١] والترمذيّ [٢٦١٧ و٣٠٩٣] وابن حبَّان [١٧٢١] والحاكم [١/ ٢١٢ و٢/ ٣٣٢ وإسناده ضعيف]: عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا رأيتم الرجل يَعتاد المساجدَ فاشهدوا له بالإيمان، قال الله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ١٨]»**.

وأخرج ابن المبارك في **«الزُّهد»** [١٥٧٧]، والطَّبراني [في «الكبير»: ٣٥٣]، والبيهقيّ في **«البعث»** [٢٥٥] عن عمران بن الحصين وأبي هريرة، قالا: سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ [التوبة: ٧٢]؟ قال: **«قصرٌ من لؤلؤ، في ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتةٍ حمراء، في كلِّ دار سبعون بيتاً من زمرّدة خضراء، في كل بيت سرير، على كل سرير سبعون فراشاً من كل لون، على**

---

(١) في «تفسيره» ٦/ ١٧٤٨ (٩٢٢٨) التوبة: ١.

كلِّ فراش زوجةٌ من الحور العين، في كلِّ بيت سبعون مائدة، على كل مائدة سبعون لوناً من الطعام، في كل بيت سبعون وَصِيفاً ووصيفة، ويعطى المؤمن في كلِّ غداة من القوة ما يأتي على ذلك كله أجمع».

وأَخرج مُسلم [٣٣٨٧] وغيره: عن أبي سعيد قال: اختلف رجلان في المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى، فقال أحدُهما: هو مسجد رسول الله ﷺ. وقال الآخر: هو مسجد قُباء، فأتيا رسولَ الله ﷺ، فسألاه عن ذلك، فقال: «**هو مسجدي**».

وأخرج أحمد [٢١١٠٧ وهو صحيح] مثله من حديث سهل بن سعد وأُبيّ بن كعب.

وأخرج أحمد [١٥٤٨٥] وابن ماجه [٣٥٥] وابن خُزيمة [في صحيحه: ٨٣ وهو حسن لغيره]: عن عويم بن ساعدة الأنصاريّ: أنَّ النبي ﷺ أتاهم في مسجد قُباء، فقال: «**إنَّ الله قد أحسَن عليكم الثناءَ في الطَّهور في قصة مسجدكم، فما هذا الطَّهور؟**». قالوا: ما نعلم شيئاً إلَّا أنا نستنجي بالماء، قال: «**هو ذاك فعليكموه**».

وأخرج ابن جرير: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**السائحون هم الصَّائمون**»(١).

يــــونــــس:

أخرج مسلم [٤٤٩]عن صُهيب، أنَّ النبيّ ﷺ قال في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]: «**الحسنى الجنَّة، والزيادةُ النَّظرُ إلى ربهم**».

وفي الباب عن أُبيّ بن كعب وأبي موسى الأشعريّ وكعب بن عجرة وأنس وأبي هريرة.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر، عن رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ قال: «**شهادة أن لا إله إلا الله، الحسنى: الجنةُ، وزيادة: النظرُ إلى الله تعالى**».

وأخرج أبو الشيخ وغيره عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾ قال: «**القرآن** ﴿وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ [يونس: ٥٨]: **أن جعلكم من أهله**».

وأخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخُدْري قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: إنِّي أشتكي صدْري، قال: «**اقرأ القرآن، يقول الله تعالى**: ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: **٥٧**]». له شاهد من حديث واثلة بن الأسقع، أخرجه البيهقي في «**شعب الإيمان**» [٢٥٧٧ و٢٥٨٩].

وأخرج أبو داود [٣٥٢٧] وغيره: عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ من عباد الله ناساً يَغْبِطُهم الأنبياءُ والشهداء**»، قيل: مَنْ هم يا رسول الله؟ قال: «**قوم تحابُّوا في الله من غير أموالٍ ولا أنسابٍ، لا يَفْزَعُون إذا فَزِعَ الناسُ، ولا يَحْزَنُون إذا حَزِنُوا**»، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] [صححه الألباني].

(١) «تفسير ابن جرير» ٧/٣٨، التوبة: ١١٢.

وأخرج ابن مردويه، عن أبي هريرة قال: سئل النبي ﷺ عن قول الله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ قال: «**الذين يتحابُّون في الله تعالى**».

وورد مِثله من حديث جابر بن عبد الله، أخرجه ابن مردويه.

وأخرج أحمد [٢٧٥١٠] وسعيد بن منصور والتِّرمذي [٣١٠٦] وغيرهم [الطيالسي: ٩٧٦ وهو صحيح لغيره]، عن أبي الدرداء: أنَّه سُئِل عن هذه الآية: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [يونس: ٦٤]. قال: ما سألني عنها أحدٌ منذ سألت النبيّ ﷺ فقال: «**ما سألني عنها أحد غيرك منذ أُنزلت؛ هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم، أو تُرَى له، فهي بشراه في الحياة الدنيا، وبُشراه في الآخرة الجنة**». له طرق كثيرة.

وأخرج ابن مردويه عن عائشة، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟﴾ [يونس: ٩٨]. قال: «**دَعَوْا**».

هــــــود:

أخرج ابن مردويه بسند ضعيف، عن ابن عمر قال: تَلَا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]. فقلت: ما معنى ذلك يا رسول الله؟ قال: «**أيُّكم أحسن عقلاً، وأحسنكم عقلاً أورَعُكم عن محارم الله تعالى، وأعملكم بطاعة الله تعالى**».

وأخرج الطبرانيّ [في الكبير: ١٢٧٩٨] بسندٍ ضعيف: عن ابن عباسٍ، عن النبيّ ﷺ: «**لم أرَ شيئاً أحسن طلباً، ولا أسرع إدراكاً من حَسَنةٍ حديثةٍ لسيِّئة قديمة**: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾» [هود: ١١٤].

وأخرج أحمد [٢١٤٨٧ وهو حسن لغيره] عن أبي ذرّ قال: قلت: يا رسول الله، أوصنِي، قال: «**إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحُها**». قلت: يا رسولَ الله، أمِنَ الحسنات: لا إله إلّا الله؟ قال: «**هي أفضلُ الحسنات**».

وأخرج الطبرانيّ وأبو الشيخ: عن جَرير بن عبد الله قال: لما نزلتْ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]. قال رسول الله ﷺ: «**وأهلها يُنصِف بعضُهم بعضاً**».

يـــــوســـــف:

أخرج سعيد بن منصور، وأبو يعلَى، والحاكم ـ وصححه ـ والبيهقيّ في «**الدلائل**»(١) [٦/٢٧٧] عن جابر بن عبد الله قال: جاء يهوديّ إلى النبيّ ﷺ فقال: يا محمد، أخبرني عن النجوم التي رآها يوسف ساجدة له، ما أسماؤها؟ فلم يُجبه بشيء، حتى أتاه جبريل، فأخبره، فأرسل إلى اليهوديّ، فقال: «**هل أنت مؤمنٌ إن أخبرتُك بها**»؟ قال: نعم، فقال: «**خرثان، وطارق، والذَّيال، وذو الكيعان، وذو الفرع، ووثَّاب، وعمودان، وقابس، والصَّروح، والمصبِّح، والفيلَق، والضياء، والنور**». قال اليهودي: إي والله إنها لأسماؤها؛ «﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ . . .﴾ يعني ـ أباه وأمّه ـ رآها في أفق السماء ساجدةً له. فلما قصَّ رؤياه على أبيه، قال: أرى أمراً متشتِّتاً يجمعه الله».

---

(١) مطلب: أسماء النجوم التي سجدت ليوسف عليه السلام.

وأخرج ابن مردويه عن أنسٍ، عن النبيّ ﷺ قال: «لما قال يوسف: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ [يوسف: ٥٢]. قال له جبريل: يا يوسف، اذكُر همَّك، قال: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ﴾ [يوسف: ٥٣]».

الرعد:

أخرج الترمذيّ ـ وحسَّنه [٣١١٨] ـ والحاكم ـ وصحَّحه ـ [٢/٢٤١] عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ﴾ [الرعد: ٤]. قال: «**الدَّقَل والفارسيّ والحلو والحامض**»[١].

وأخرج أحمد [٢٤٨٣] والترمذي ـ وصححه ـ [٣١١٧] والنسائيّ عن ابن عباس قال: أقبلت يهود إلى النبيّ ﷺ، فقالوا: أخبرنا عن الرَّعد ما هو؟ قال: «**مَلَكٌ من ملائكة الله موكَّلٌ بالسحاب، بيده مِخْرَاق من نار يَزْجُرُ به السحابَ، يَسُوقُه حيثُ أمرَهُ الله**». قالوا: فما هذا الصوتُ الذي نَسمَعُ؟ قال: «**صوتُه**»[٢].

وأخرج ابن مردويه عن عمرو بن بجاد الأشعريّ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الرعد مَلَكٌ يزجر السحاب، والبرق طرف ملك يقال له: روفيل**».

وأخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ ملكاً موكَّل بالسحاب يلمّ القاصية**[٣]**، ويلحم الرابية، في يده مخراق، فإذا رفع برقت، وإذا زجر رعدت، وإذا ضرب صعقت**».

وأخرج أحمد [١١٦٧٣] وابن حِبّان [٧٢٣٠ وإسناده ضعيف] عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ قال: «**طُوبَى شجرة في الجنة، مئةِ عامٍ**».

وأخرج الطَّبرانيّ بسندٍ ضعيف عن ابن عمر: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩]: «**إلَّا الشقاوة والسعادة، والحياة والموت**».

وأخرج ابن مردويه: عن جابر بن عبد الله بن رئاب، عن النبيّ ﷺ في قوله: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩]. قال: «**يمحو من الرزق ويزيد فيه، ويمحو من الأجل ويزيد فيه**».

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس: أنَّ النبي ﷺ سئل عن قوله: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ قال: «**ذلك كلّ ليلة القدر؛ يرفع ويجبر ويرزق؛ غير الحياة والموت والشقاء والسعادة، فإنَّ ذلك لا يُبدَّل**».

وأخرج ابن مردويه عن عليّ: أنَّه سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقال: «**لأُقِرَّنَّ عينك بتفسيرها، ولأُقِرَّنَّ عين أُمَّتي من بعدي بتفسيرها: الصدقة على وجهها، وبرّ الوالدين، واصطناع المعروف تحوِّلُ الشقاءَ سعادةً وتزيدُ في العمر**».

---

(١) الدَّقل: رديء التمر ويابسه. والفارسي: تمر أسود.

(٢) قال محققو المسند: قصة الرعد منكرة وباقي رجال الإسناد ثقات.

(٣) يلم القاصية: يجمع السحاب.

إبـــراهـــيـــم:

أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أُعْطي الشكرَ لم يُحرَم الزيادة؛ لأن الله تعالى يقول:** ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾» [إبراهيم: ٧].

وأخرج أحمد [٢٢٢٨٥] والترمذيّ [٢٥٨٣] والنسائي [في الكبرى: ١١٢٦٣] والحاكم - وصححه - [٢/ ٣٥١] وغيرهم [أبو نعيم (٨/ ١٨٢) ورجاله ثقات] عن أبي أمامة، عن النبيّ ﷺ في قوله: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ [إبراهيم: ١٦، ١٧]. قال: «**يُقرَّبُ إليه فيتكرَّهُه، فإذا أُدْني منه شَوَى وَجْهَه، ووقعت فروةُ رأسه، فإذا شَرِبَهُ قطَّع أمعاءَهُ حتى يخْرُجَ من دُبُره،** يقول الله تعالى: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩]».

وأخرج ابن أبي حاتم(١)، والطَّبراني [في الكبير: ١٧٢] وابن مردويه عن كعب بن مالك - رفعه إلى رسول الله ﷺ فيما أحسب - في قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١]. قال: «**يقول أهل النار: هلُمُّوا فلنصبِر، فيصبرون خمسمئة عام، فلما رأَوْا ذلك لا ينفعُهم، قال: هلمُّوا فلنجْزَع، فيبكون خمسمئة عام، فلما رأوا ذلك لا ينفعهم قالوا:** ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١]».

وأخرج التِّرمذيّ [٣١١٩] والنّسائيّ والحاكم [(٢/ ٣٥٢)] وابن حبّان [٤٧٥] وغيرهم: عن أنس، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤]. قال: «**هي النخلة**»، ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾. قال: «**هي الحنظل**» [إسناده حسن].

وأخرج أحمد [٤٥٩٩] وابنُ مردويه بسندٍ جيد عن ابن عمر، عن النبيّ ﷺ في قوله: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ قال: «**هي التي لا ينقُص ورقها؛ هي النخلةُ**» [إسناده صحيح].

وأخرج الأئمة السّتة عن البراء بن عازب: أنَّ النبي ﷺ قال: «**المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله؛** فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]» [البخاري: ٤٦٩٩، ومسلم: ٧٢١٩، وأبو داود: ٤٧٥٠، والترمذي: ٣١٢٠، والنسائي في «الكبرى»: ٢١٨٣، وانظر «مسند أحمد»: ١٨٤٨٢].

وأخرج مسلم [٧١٦] عن ثوبان قال: جاء حَبْرٌ من اليهودِ إلى النبيّ ﷺ فقال: أين يكون الناس يوم تُبدَّل الأرض غير الأرض؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هم في الظُّلمة دون الجِسْرِ**».

وأخرج مسلم [٧٠٥٦] والترمذيّ [٣١٢١] وابن ماجه [٤٢٧٩] وغيرهم: عن عائشة قالت: أنا أوّل الناس سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، قلت: أين الناس يومئذ؟ قال: «**على الصراط**».

---

(١) في «تفسيره» ٢/ ٢٢٤٠ (١٢٢٤٣)، إبراهيم: ٢١.

وأخرج الطَّبرانيّ في «**الأوسط**» [٧١٦٣]، والبزَّار وابن مردويه، والبيهقيّ في «**البعث**»: عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ في قول الله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ قال: «**أرضٌ بيضاءُ كأنها فِضَّة، لم يُسفك فيها دمٌ حرامٌ، ولم يُعمَلْ فيها خطيئةٌ**»[(١)].

الحِجْر:

أخرج الطَّبراني وابن مردويه وابن حِبّان [٧٤٣٢ وهو صحيح]: عن أبي سعيد الخدريّ أنَّهُ سئل: هل سمعت من رسول الله ﷺ يقول في هذه الآية: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢]؟ قال: نعم، سمعته يقول: «**يُخرِج الله ناساً من المؤمنين من النَّار بعد ما يأخذ نقمته منهم، لمّا أدخلهم النار مع المشركين قال لهم المشركون: تدّعون بأنكم أولياء الله في الدنيا، فما بالكم معنا في النار؟ فإذا سمع الله ذلك منهم أذِن في الشفاعة لهم، فتشفعُ الملائكةُ والنبيّون والمؤمنون حتى يخرجوا بإذن الله تعالى، فإذا رأى المشركون ذلك قالوا: يا ليتَنا كنا مثلَهم، فتدركنا الشفاعةُ فنُخرَج معهم، فذلك قول الله: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾**» [وانظر موارد: ٢٥٩٩ وهو صحيح]. وله شاهد من حديث أبي موسى الأشعريّ وجابر بن عبد الله وعليّ.

وأخرج ابنُ مردويه: عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤]. قال: «**جزء أشركوا، وجزء شكُّوا في الله تعالى، وجزء غفلوا عن الله تعالى**».

وأخرج البخاريّ [٤٤٧٤] والترمذيّ [٣١٢٥] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أمّ القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم**» [وأحمد: ١٥٧٣٠].

وأخرج الطَّبراني في «**الأوسط**» [٦٢٠٠]: عن ابن عباس قال: سأل رجلٌ رسول الله ﷺ قال: أرأيت قول الله: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ [الحجر: ٩٠]. قال: «**اليهودُ والنصارى**». قال: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١]. ما عضِين؟ قال: «**آمَنوا ببعضٍ وكفروا ببعضٍ**».

وأخرج الترمذيّ [٣١٢٦] وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه، عن أنس، عن النبيّ ﷺ في قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣]. قال: «**عن قول: لا إله إلا الله**» [ضعف الألباني إسناده].

النحل:

أخرج ابن مردويه عن البراء: أنَّ النبيّ ﷺ سُئل عن قول الله: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النحل: ٨٨]. قال: «**عقاربُ أمثال النخل الطّوال، ينهشونهم في جهنم**».

---

(١) في «البعث» لابن أبي داود: «أرضٌ بيضاء، عفراء، كالخبزة من النقي» ص٢٧ رقم (٢١).

الإســــــــراء:

أخرَج البيهقيّ في «**الدلائل**» [(٦/ ٢٦٢)] عن سعيد المقبُريّ: أنَّ عبد الله بن سلام سأل النبيّ ﷺ عن السّواد الذي في القمر، فقال: «**كانا شمسين**، فقال الله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء: ١٢]. **فالسواد الذي رأيتَ هو المحوُ**».

وأخرج الحاكم في «**التاريخ**»، والديلميّ: عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]. قال: **الكرامة: الأكل بالأصابع**».

وأخرج ابن مردويه عن عليّ قال: قال رسول الله ﷺ في قول الله: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ . . .﴾ [الإسراء: ٧١]. قال: «**يُدعَى كلّ بإمام لهم وكتاب ربّهم**»(١).

وأخرج ابنُ مردويه: عن عمر بن الخطاب، عن النبيّ ﷺ: «﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨]. قال: **لزوال الشمس**».

وأخرج البزّار وابن مردويه بسندٍ ضعيف: عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**دُلُوك الشمس زوالها**».

وأخرج الترمذي ـ وصححه ـ [٣١٣٥] والنسائيّ: عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ في قوله: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]. قال: «**تشهدُهُ ملائكةُ الليل وملائكةُ النهار**».

وأخرج أحمد [٩٦٨٤] وغيرُه: عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء ٧٩]. قال: «**هو المقام الذي أشفَعُ فيه لأمّتي**». وفي لفظ: «**هي الشفاعة**» [والبخاري: ١٤٧٥، والترمذي: ٣١٤٨].

وله طرق كثيرة مطوّلة ومختصرة في الصحاح وغيرها.

وأخرج الشيخان وغيرهما: عن أنس قال: قيل: يا رسول الله، كيف يُحشَر الناسُ على وجوههم؟ قال: «**الذي أمشاهم على أرجُلهم قادرٌ أن يُمْشِيَهم على وجوههم**»(٢) [البخاري: ٤٧٦٠، ومسلم: ٧٠٨٧، وأحمد: ١٣٣٩٢].

الـكـهـف:

أخرج أحمد [١١٢٣٤] والترمذيّ [٢٥٨٤]: عن أبي سعيد الخدريّ، عن رسول الله ﷺ قال: «**لسرادقُ النار أربعةُ أجدُرٍ، كثافةُ كلِّ جدارٍ مثلُ مسافة أربعين سنة**» [وإسناده ضعيف]

وأخرجا عنه أيضاً: عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ [الكهف: ٢٩]. قال: «**كعكَرِ الزيت، فإذا قرّبه إليه سقطت فروةُ وجهه فيه**» [إسناده ضعيف: أحمد: ١١٦٧٢، والترمذي: ٢٥٨١، والحاكم (٢/ ٥٠١)].

---

(١) لم نقف عليه بهذا اللفظ، والذي في المصادر: «يدعى أحدهم، فيعطى كتابه بيمينه، ويمد له في جسمه...». انظر «سنن الترمذي» (٣١٣٦)، و«مسند أبي يعلى» (٦١٤٤).

(٢) والحديث يُفَسّر الآية [٩٧] من سورة الإسراء.

وأخرج أحمد [١١٧١٣] عنه أيضاً: عن رسول الله ﷺ قال: «﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ [الكهف: ٤٦]. **التكبير والتَّهليل والتسبيح، والحمد للهِ، ولا حول ولا قوة إلا بالله**» [حسن لغيره].

وأخرج أحمد [١٨٣٥٣] من حديث النعمان بن بشير مرفوعاً: «**سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، هُنَّ الباقيات الصالحات**» [وهو صحيح لغيره].

وأخرج الطبرانيّ [في «الكبير»: ٥٤٨٢] مثله من حديث سعد بن جنادة.

وأخرج ابنُ جرير: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، هن الباقيات الصالحات**».

وأخرج أحمد [١١٧١٤] عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ قال: «**يُنصَبُ للكافر مقدارُ خمسين ألفَ سنة، كما لم يَعمَلْ في الدنيا، وإنَّ الكافر لَيَرَى جهنمَ، ويظُنُّ أنها مُواقِعَتُهُ من مسيرة أربعين سنة**». [والحاكم (٤/٥٩٧) وهو حسن لغيره].

وأخرج البزّار [٤٠٦٥] بسندٍ ضعيفٍ: عن أبي ذرّ ـ رفعه ـ قال: «**إن الكنز الذي ذكر الله في كتابه لوح من ذهب مصمت، عجبت لمن أيقن بالقدر لِمَ نَصِب؟ وعجبت لمن ذكر النار كيف ضحِك؟ وعجبت لمن ذكر الموت ثم غفل عن لا إله إلا الله محمد رسول الله!**».

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إذا سألتم الله فاسألوه الفردوسَ، فإنه أعلى الجنة وأوسَطُ الجنَّة، ومنه تَفَجَّرُ أنهارُ الجنَّة**» [البخاري: ٢٧٩٠، وأحمد: ٨٤١٩].

مريم:

أخرج الطبرانيّ [في «الكبير»: ١٣٣٠٣] بسند ضعيف: عن ابن عمر، عن رسول الله ﷺ قال: «**إن السَّرِيّ الذي قال الله لمريم: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤] نهرٌ أخرجه الله لتشرب منه**».

وأخرج مسلم [٥٥٩٨] وغيره: عن المغيرة بن شعبة قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى نَجْران، فقالوا: أرأيت ما تقرؤون: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ [مريم: ٢٨]. وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟ فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «**ألا أخبرتَهم أنهم كانوا يُسمّون بالأنبياء والصالحين قبلهم**».

وأخرج أحمد [١١٠٦٦] والشيخان: عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ وأهل النارِ النارَ، يُجاء بالموت كأنه كبْش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة، هل تعرفون هذا؟ قال: فيُشرِفون فينظُرون ويقولون: نعم، هذا الموت، فيؤمَر به فيُذبح، ويقال: يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت**». ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ [مريم: ٣٩]. وأشار بيده، وقال: «**أهل الدنيا في غفلة**» [البخاري: ٤٧٣٠، ومسلم: ٧١٨١].

وأخرج ابن جرير: عن أبي أمامة، عن رسول الله ﷺ قال: «**غيٌّ وأثامٌ بئرانِ في أسفل جهنم، يَسيل فيهما صديدُ أهل النار**». قال ابن كثير: حديث منكر.

وأخرج أحمد [١٤٥٢٠] عن أبي سُمَيَّةَ قال: اختلفنا في الوُرُودِ، فقال بعضنا: لا يدخُلُها مؤمنٌ، وقال بعضُهم: يدخلُونها جميعاً، ثم ينجّي الله الذين اتَّقوا، فلقيتُ جابرَ بنَ عبد الله فسألته، فقال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «**لا يبقى بَرٌّ ولا فاجرٌ إلا دَخَلَها، فتكون على المؤمن بَرْداً وسلاماً، كما كانت على إبراهيم، حتى إن للنار ضَجِيجاً من بَرْدهم، ثم يُنجّي الله الذين اتقوا ويَذَرُ الظالمين فيها جِثيًّا**».
[وعبد بن حميد: ١١٠٦، والحاكم (٤/ ٥٨٧) وإسناده ضعيف].

وأخرج مسلم [٦٧٠٥] والترمذيّ [٣١٦١]: عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «**إذا أحبَّ الله عبداً نادى جبريل: إني قد أحببتُ فلاناً فأحبَّه، فينادي في السماء، ثم تنزل له المحبّة في الأرض، فذلك قوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]**».

طـــــــه:

أخرج ابن أبي حاتم، والترمذي[1]: عن جندب بن عبد الله البَجَليّ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا وجدتم الساحر فاقتلوه**»، ثم قرأ: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩]. قال: «**لا يُؤمَّنُ حيث وُجِد**».

وأخرج البزار بسند جيّد: عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]. قال: «**عذاب القبر**».

الأنــــبـــيـــاء:

أخرج أحمد [٧٩٣٢] عن أبي هريرة قال: قلت: يا رسول الله، أنبئني عن كلّ شيء، قال: «**كل شيء خُلِق من الماء**» [والحاكم (٤/ ١٢٩ و١٦٠) وإسناده صحيح].

الـــحـــج:

أخرج ابن أَبي حاتم[2]: عن يعلَى بن أُميّة: أن رسول الله ﷺ قال: «**احتكار الطعام بمكة إلحاد**».

وأخرج الترمذي ـ وحسَّنه ـ [٣١٧٠] عن ابن الزبير قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما سُمِّي البيتُ العتيق؛ لأنه لم يَظْهَر عليه جبّارٌ**».

وأخرج أحمد [١٨٨٩٨] عن خُريم بن فاتك الأسدي، عن النبيّ ﷺ قال: «**عُدلَتْ شهادةُ الزور**

---

(١) ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٧/ ٢٤٢٧ (١٣٤٧٨)، طه: ٦٩، والترمذي (١٤٦٠). قال أبو عيسى: والصحيح عن جُنْدُب موقوفٌ والعملُ على هذا الحديث ـ «حَدّ الساحر ضربةٌ بالسيف» ـ عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، وهو قول مالك بن أنس، وقال الشافعي: إنما يُقْتَل الساحرُ إذا كان يعمل من سحره ما يبلُغُ الكفرَ، فإذا عَمِل عملاً دون الكفر فلم يَرَ عليه قتلاً.

(٢) في «تفسيره» ٨/ ٢٤٨٤ (١٣٨٦٥) الحج: ٢٥.

بالإشراك بالله»، ثم تلا: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠].
[وأبو داود: ٣٥٩٩ وإسناده ضعيف]

المؤمنون

أخرج ابن أبي حاتم عن مرّة البَهْزيّ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لرجل: «**إنك تموت بالرَّبوة**» فمات بالرملة. قال ابن كثير[(١)]: غريب جداً.

وأخرج أحمد [٢٥٢٦٣] عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]. هو الذي يسرق ويزني ويَشْرَب الخمرَ وهو يخاف الله؟ قال: «**لا يا بنتَ الصدّيق، ولكنه الذي يصوم ويصلي ويتصدّق ويخاف الله**» [والترمذي: ٣١٧٥ وإسناده ضعيف]

وأخرج أحمد [١١٨٣٦] والترمذيّ [٢٥٨٧ و٣١٧٦] عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ قال: ﴿وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٤]. قال: «**تَشْويهِ النارُ، فتَقْلِصُ شَفَتُهُ العليا، حتى تبلُغَ وَسْطَ رأسه، وتسترخي شفتُه السُّفلى حتى تضرِبَ سُرَّتَهُ**» [إسناده ضعيف]

النور:

أخرج ابن أبي حاتم[(٢)] عن أبي سَوْرَة ابن أخي أبي أيوب، عن أبي أيوب قال: قلت: يا رسول الله، هذا السلام، فما الاستئناس؟ قال: «**يتكلَّم الرجل بتسبيحة، وتكبيرة وتحميدة، ويتنحنح، فيؤذِن أهل البيت**».

الفرقان:

أخرج ابن أبي حاتم[(٣)] عن يحيى بن أبي أُسَيد - يرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ - سئل عن قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ﴾ [الفرقان: ١٣]. قال: «**والَّذي نفسي بيده إنهم ليُستكرَهون في النار، كما يُستكره الوَتِدُ في الحائط**».

القصص:

أخرج البزّار [٣٩٦٤] عن أبي ذرّ: أن النبي ﷺ سئل: أيّ الأجلين قضى موسى؟ قال: «**أوفاهما وأبرهما**». قال: «**وإن سُئلت: أيّ المرأتين تزوّج؟ فقل: الصغرى منهما**». إسناده ضعيف، ولكن له شواهد موصولة ومرسلة.

العنكبوت:

أخرج أحمد [٢٦٨٩١] والترمذي - وحسنه - [٣١٩٠] وغيرهما: عن أم هانئ قالت: سألت رسول الله

(١) في «تفسيره» ٥/ ٢١، المؤمنون: ٥٠.
(٢) في «تفسيره» ٨/ ٢٥٦٧ (١٤٣٤٨) النور: ٢٧.
(٣) في «تفسيره» ٨/ ٢٦٦٨ (١٥٠٠٥) الفرقان: ١٣.

ﷺ عن قوله: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩]. قال: «**كانوا يَخْذِفُون أهلَ الطريق ويَسْخَرون منهم، فهو المنكر الذي كانوا يأتون**» [والحاكم (٢/ ٤٠٩) وإسناده ضعيف].

لقمان:

أخرج الترمذيّ [٣١٩٥] وغيره: عن أبي أُمامة، عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تبيعوا القَيْنَاتِ ولا تشتروهنَّ ولا تعلِّموهنَّ، ولا خيرَ في تجارة فيهنَّ، وثمنهنَّ حرام**». وفي مثل هذا أُنزلت: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ . . .﴾ الآية [لقمان: ٦]. إسناده ضعيف.

السجدة:

أخرج ابنُ أبي حاتم: عن ابن عباس، عن النبيّ ﷺ في قوله: ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧]. قال: «**أما إن استَ القِردَة ليست بحسنةٍ، ولكنه أحكَم خلقها**».

وأخرج ابن جرير: عن معاذ بن جبل، عن النبيّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦]. قال: «**قيام العبد من الليل**».

وأخرج الطبراني [في «الكبير»: ١٢٧٥٨]: عن ابن عباس، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [السجدة: ٢٣]. قال: «**جُعل موسى هدى لبني إسرائيل**». وفي قوله: ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ [السجدة: ٢٣] قال: «**من لقاء موسى ربّه**».

الأحزاب:

وأخرج الترمذيّ [٣٢٠٢] عن معاوية: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**طلحة ممّن قضى نحبَه**» [حسنه الألباني].

وأخرج الترمذيّ [٣٢٠٥] وغيره: عن عُمر بن أبي سَلمة. وابن جرير وغيره: عن أم سلمة: أنَّ النبي ﷺ دعا فاطمة وعليّاً وحسناً وحسيناً لما نزلت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]. فظلَّلَهم بكساء، وقال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهِبْ الرجسَ عنهم وطَهِّرْهم تَطْهيراً**» [صححه الألباني].

سبأ:

أخرج أحمد [٢٨٩٨] وغيره: عن ابن عباس: أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن سبأ، أرَجُلٌ هو، أم امرأة، أم أرض؟ فقال: «**بل هو رجل، ولد له عشرة، فسَكَنَ اليمنَ منهم ستةٌ، وبالشام منهم أربعةٌ**». [والحاكم (٢/ ٤٢٣) وإسناده حسن].

وأخرج البخاريّ [٤٨٠٠] عن أبي هريرة مرفوعاً قال: «**إذا قضَى الله الأمر في السماء ضَربت الملائكةُ بأجنحتها خُضْعَاناً لقوله، كأنها سِلسلةٌ على صَفْوانٍ، فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربُّكم؟ قالوا: الحقَّ، وهو العليُّ الكبير**».

فــــاطــــر:

أخرج أحمد [١١٧٤٥] والترمذيّ [٣٢٢٥]: عن أبي سعيد الخدريّ، عن النبيّ ﷺ قال في هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢]. قال: «هؤلاء كلُّهم بمنزلة واحدة، وكلُّهم في الجنة» [صححه الألباني].

وأخرج أحمد [٢١٦٩٧ و٢٧٥٠٥] وغيره: عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢]. **فأمَّا الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة بغير حساب، وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسَبون حساباً يسيراً، وأما الذين ظلموا أنفسَهم فأولئك الذين يحبَسون في طول المحشَر، ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته، فهم الذين يقولون:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ...﴾ الآية [فاطر: ٣٤]» [والحاكم (٢/ ٤٢٦) وإسناده ضعيف].

وأخرج الطَّبراني [في «الكبير»: ١١٤١٥] وابن جرير: عن ابن عباس: أن النبيّ ﷺ قال: «**إذا كان يوم القيامة قيل: أين أبناء الستين؟** وهو العمر الذي قال الله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [فاطر: ٣٧]».

يــــس:

أخرج الشيخان: عن أبي ذرٍّ قال: سألتُ رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس: ٣٨]. قال: «**مستقرُّها تحت العرش**».

وأخرجا عنه قال: كنت مع النبيّ ﷺ في المسجد عند غروب الشمس، فقال: «**يا أبا ذرّ، أتدري أين تغرب الشمس؟**» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فذلك قوله:** ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾» [البخاري: ٤٨٠٢ و٤٨٠٣، ومسلم: ٤٠١ و٤٠٢، وأحمد: ٢١٥٤١].

الـصـافـات:

أخرج ابنُ جرير: عن أم سلمَة قالت: قلت: يا رسول الله، أخبرني عن قوله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ [الواقعة: ٢٢]. قال: «**العين الضخام العيون، شُفْرُ الحَوْرَاء مثل جناح النسر**». قلت: يا رسول الله، أخبرني عن قول الله: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٩]. قال: «**رقَّتهنّ كرقة الجلدة التي في داخل البيضة التي تلي القشر**».

قوله: «شُفْر» هو بالفاء، مضاف إلى الحوراء، وهو هدب العين، وإنما ضبطتُه وإن كان واضحاً، لأني رأيت بعض المهملين من أهل عصرنا صحَّفه بالقاف وقال: الحوراء مثل جناح النسر مبتدأ وخبر، يعني في السرعة والخفة، وهذا كذب وجهل محض، وإلحاد في الدين، وجرأة على الله ورسوله.

وأخرج التِّرمذيّ [٣٢٣٠] وغيره: عن سَمُرة، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧]. قال: «**حام، وسام، ويافث**» [ضعف الألباني إسناده].

وأخرج من وجه آخر قال: «**سامٌ أبو العرب، وحامٌ أبو الحَبَشِ، ويافث أبو الروم**» [الترمذي: ٣٢٣١ وهو ضعيف].

وأخرج عن أُبيّ بن كعب قال: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله: ﴿وَأَرْسَلْنَهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧]. قال: «**يزيدون عشرين ألفاً**» [ضعيف الإسناد: الترمذي: ٣٢٢٩].

وأخرج ابن عساكر [في «تاريخه» (٥٢/ ٣٨١)] عن العلاء بن سعدان: أن رسول الله ﷺ قال يوماً لجلسائه: «**أَطَّت السماء وحُقَّ لها أن تئِطّ، ليس منها موضع قدم إلَّا عليه مَلَكٌ راكع أو ساجد**»، ثم قرأ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٥، ١٦٦].

الزمر:

أخرج أبو يعلى وابن أبي حاتم(١): عن عثمان بن عفان: أنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٣]. فقال: «**ما سألني عنها أحد قبلك؛ تفسيرها: لا إله إلَّا الله، والله أكبر، وسبحان الله وبحمده، أستغفر الله، ولا حول ولا قوّة إلَّا بالله، هو الأوَّل والآخر والظاهر والباطن، بيده الخير يحيي ويميت**». الحديث غريب وفيه نكَارة شديدة.

وأخرج ابن أبي الدنيا في «**صفة الجنة**»: عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: سأل جبريل عن هذه الآية: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]. «**مَن الَّذين لم يشأ اللهُ أن يصعقوا**؟ قال: «**همُ الشهداء**».

غافر:

أخرج أحمد [١٨٣٨٦] وأصحاب السنن والحاكم [(١/ ٤٩١)] وابن حِبّان [٨٩٠]: عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الدعاء هو العبادة**، ثم قرأ: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]» [أبو داود: ١٤٧٩، والترمذي: ٣٣٧٢، وابن ماجه: ٣٨٢٨ وإسناده صحيح].

فصلت:

أخرج الترمذي [٣٢٥٠] والبزَّار وأبو يعلى وغيرهم: عن أنس قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠]. «**قد قالها ناسٌ من النَّاس، ثم كفر أكثرهم؛ فمن قالها حتى يموتَ فهو ممن استقام عليها**» [ضعَّف الألباني إسناده].

الشورى:

أخرج أحمد [٦٤٩] وغيره: عن عليّ قال: **أَلا أُخبركم بأفضل آية في كتاب الله، وحدَّثنا به رسول الله ﷺ**؟ قال: «﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]. **وسأفسِّرُها**

(١) في «تفسيره» ١٠/ ٣٢٥٤ (١٨٤٠٥) الزمر: ٦٣.

لك يا عليُّ، ما أصابكم من مَرَض أو عقوبةٍ أو بلاء في الدنيا فبما كسبتْ أيديكم، والله أحلمُ من أن يُثَنِّي عليه العقوبةَ في الآخرة، وما عفا الله عنه في الدنيا، فالله أكرمُ من أن يعودَ بعد عفوه» [وأبو يعلى: ٤٥٣ و٦٠٨ وإسناده ضعيف].

الزخرف:

أخرج أحمد [٢٢١٦٤] والترمذيّ [٣٢٥٣] وغيرهما: عن أبي أُمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما ضلَّ قوم بعد هُدى كانوا عليه إلَّا أوتوا الجدَل**». ثم تلا: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًاۢ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]. [وابن ماجه: ٤٨ وهو حسن بطرقه وشواهده].

وأخرج ابنُ أبي حاتم(١): عن أبي هُريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلُّ أهل النار يرى منزله من الجنَّة حسرة، فيقول**: ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزمر: ٥٧] **.وكلّ أهل الجنة يرى منزله من النار فيقول**: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]. **فيكون له شكراً**». قال: وقال رسول الله ﷺ: «**ما من أحدٍ إلَّا وله منزل في الجنة ومنزل في النار، فالكافر يرث المؤمن منزله من النار، والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة. فذلك قوله تعالى**: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢]».

الدخان:

أخرج الطبرانيّ [في «الكبير»: ٣٤٤٠] وابنُ جرير بسندٍ جيِّد: عن أبي مالك الأشعريّ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ ربكم أنْذركم ثلاثاً: الدخان يأخذ المؤمنَ كالزكمة، ويأخذ الكافرَ فينتفخ حتى يخرُج من كلّ مسمع منه، والثانية الدابَّة، والثالثة الدجَّال**». له شواهد.

وأخرج الترمذيّ [٣٢٥٥] وأبو يعلَى وابن أبي حاتم: عن أنس، عن النبيّ ﷺ قال: «**ما من عبد إلَّا وله في السماء بابان، باب يخرج منه رزقه، وباب يدخل منه عمله وكلامه، فإذا مات فَقَدَاه وبكيا عليه**». وتلا هذه الآية: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الدخان: ٢٩] [ضعفه الألباني]. وذكر أنَّهم لم يكونوا يعملون على وجه الأرض عملاً صالحاً تبكي عليهم، ولم يصعد لهم إلى السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام طيِّب ولا عمل صالح فتفقدهم، فتبكي عليهم.

وأخرج ابنُ جرير عن شُريح بن عبيد الحضرميّ ـ مرسلاً ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه إلَّا بكت عليه السماء والأرض**». ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الدخان: ٢٩]، ثم قال: «**إنهما لا يبكيان على كافر**».

---

(١) في «تفسيره» ١٠/ ٣٢٨٦ (١٨٥٢٤)، الزخرف: ٧٢.

الأحقاف:

أخرج أحمد: عن ابن عباس، عن النبي ﷺ: ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ [الأحقاف: ٤]. قال: «**الخط**».

الفتح:

أخرج الترمذيّ[٣٢٦٥] وابن جرير: عن أُبيّ بن كعب: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفتح: ٢٦]. قال: «**لا إله إلّا الله**».

الحجرات:

أخرج أبو داود[٤٨٧٤] والترمذي[١٩٣٤]: عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله ما الغيبة؟ قال: «**ذكرُك أخاك بما يكره**». قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتَه، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بَهتَّهُ**» [وهو حسن صحيح].

قۤ:

أخرج البخاريّ[٤٨٤٨]: عن أنس، عن النبيّ ﷺ قال: «**يُلقى في النار وتقول**: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]، **حتى يضع قدمه فيها فتقول: قَطْ قَطْ**» [ومسلم: ٧١٧٧، وأحمد: ١٢٣٨٠].

الذاريات:

أخرج البزار: عن عمر بن الخطاب قال: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا﴾ هي الرياح، ﴿فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا﴾ هي السفن، ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ هي الملائكة، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته.

الطور:

أخرج عبد الله بن أحمد في «**زوائد المسند**» [١٦٢]: عن عليّ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ المؤمنين وأولادَهم في الجنة، وإنَّ المشركين وأولادَهم في النّار**»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ...﴾ الآية [الطور: ٢١] [وإسناده ضعيف].

النجم:

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم بسند ضعيف: عن أبي أمامة قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [٣٧] ثم قال: «**أتدري ما وفّى؟**» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**وفّى عملَ يَوْمِهِ بأربع ركعات من أول النهار**».

وأخرجا عن معاذ بن أنس، عن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أُخبرُكم لِمَ سَمّى الله إبراهيم خليلَه**

﴿الذي وفّى﴾؟ إنه كان يقول كلما أصبح وأمسى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ . . .﴾ [الروم: ١٧]» حتى ختم الآية.

وأخرج البغوي من طريق أبي العالية: عن أُبيّ بن كعب، عن النبيّ ﷺ في قوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢]. قال: «لا فكرة في الرَّب». قال البغويّ: وهو مثل حديث: «**تفكّروا في مخلوقات الله، ولا تفكّروا في ذات الله**» [الطبراني في «الأوسط»: ٦٣١٩، والبيهقي في «الشعب»: ١٢٠ وهو ضعيف جداً].

الرحمن:

أخرج ابن أبي حاتم(١): عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]. قال: «**من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرّج كرباً، ويرفع قوماً ويضع آخرين**».

وأخرج ابن جرير مثله من حديث عبد الله بن منيب، والبزار مثله من حديث ابن عمر.

وأخرج الشيخان: عن أبي موسى الأشعري، أن رسول الله ﷺ قال: «**جنتان من فضة آنيتُهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتُهما وما فيهما**» [البخاري: ٤٨٧٨، ومسلم: ٤٤٨، وأحمد: ١٩٧٣١].

وأخرج البغويّ: عن أنس بن مالك قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]. وقال: «**هل تدرون ما قال ربكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**يقول: هل جزاء مَن أنعمتُ عليه بالتوحيد إلّا الجنةُ**»؟

الواقعة:

أخرج أبو بكر النجاد، عن سليم بن عامر قال: أقبل أعرابيٌّ فقال: يا رسول الله، ذكر الله في الجنة شجرةً تؤذي صاحبَها، قال: «وما هي؟» قال: السِّدر، فإن له شوْكاً مؤذياً، فقال رسول الله ﷺ: «**أليس يقول الله: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٨]، خضَدَ الله شوكَه، فجعل مكان كل شوكةٍ ثمرةً**».

وله شاهد من حديث عتبة بن عبد السلميّ، أخرجه ابن أبي داود في «**البعث**»(٢).

وأخرج الشيخان: عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ قال: «**إنَّ في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلِّها مئة عام لا يقطعها، اقرؤوا إن شئتُم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠]**» [البخاري: ٤٨٨١، ومسلم: ٧١٣٦، وأحمد: ١٠٠٦٥].

وأخرج الترمذي [٣٢٩٤] والنسائي: عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤]، قال: «**ارتفاعُها كما بين السماء والأرض، ومسيرة ما بينهما خَمسمئةِ عامٍ**» [وابن حبان: ٧٤٠٥ وهو ضعيف].

وأخرج التّرمذيُّ [٣٢٩٦] عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً . . .﴾ [الواقعة: ٣٥ ـ ٣٧] **عجائز كن في الدنيا عُمْشاً رُمْصاً**» [ضعفه الألباني].

---

(١) في «تفسيره» ١٠/ ٣٣٢٥ (١٨٧٣٧) الرحمن: ٢٩.
(٢) «البعث» للحافظ أبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني (٧٠)، وأخرجه البيهقي في «البعث» أيضاً (٢٧٦).

وأخرج في «**الشمائل**» [٢٤٠] عن الحسن، قال: أَتَتْ عجوز فقالت: يا رسول الله، ادعُ اللهَ أن يدخلني الجنة، فقال: «**يا أُمّ فلان، إنَّ الجنة لا يدخلها عجوزٌ**» فولَّت تبكي، قال: «**أخبروها أنَّها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله يقول: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٥ ـ ٣٧]**».

وأخرج ابن أبي حاتم[1]: عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**عُرُباً: كلامُهنّ عربيٌّ**».

وأخرج الطَّبرانيّ: عن أُمّ سلمة قالت: قلت: يا رسول الله، أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ [الواقعة: ٢٢]. قال: «**حور: بيضٌ. عِين: ضخام العيون، شُفْرُ الحوراء بمنزلة جناح النسر**».

قلت: أَخْبرني عن قول الله تعالى: ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: ٢٢]. قال: «**صفاؤهنَّ كصفاء الدّر الذي في الأصداف الذي لم تمسّه الأيدي**».

قلت: أَخْبرني عن قوله: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠]. قال: «**خيرات الأخلاق، حِسان الوجوه**».

قلت: أخبرني عن قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٩]. قال: «**رقتُهنَّ كرقة الجلد الذي رأيتَ في داخل البيضة مما يلي القِشر**».

قلت: أَخْبرني عن قوله: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٧]. قال: «**هن اللواتي قبضهنَّ في دار الدنيا عجائز رُمْصاً شَمْطاء، خلقهنَّ الله بعد الكبر، فجعلهنَّ عذارَى عُرُباً: متعشقات محبّبات. أترابـاً: على ميلاد واحد**».

وأخرج ابنُ جرير: عن ابن عباس في قوله: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٣٩، ٤٠]. قال: قال رسول الله ﷺ: «**هُمَا جميعاً من أُمّتي**».

وأخرج أحمد [٨٤٩] والترمذيّ [٣٢٩٥] عن عليّ قال: قال رسول الله ﷺ: «**﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ يقول: شُكرَكم ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢]. يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا**» [وهو حسن لغيره].

الممتحنة:

أَخرج الترمذي ـ وحسّنه ـ [٣٣٠٧] وابن جرير: عن أُمّ سلمة، عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة: ١٢]. قال: «**النَّوح**».

الطلاق:

أَخرج الشيخان: عن ابن عمر: أنَّه طلَّق امرأته وهي حائض، فذكر ذلك عمر لرسول الله ﷺ، فتغيَّظ منه، ثم قال: «**لِيراجعْها، ثم يمسكها حتى تطهر، ثم تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها طاهراً**

---

(١) في «تفسيره» ١٠/ ٣٣٣٢ (١٨٧٩٣)، الواقعة: ٣٧.

قبل أن يمسها فتلك العدَّة التي أمر الله أن يطلق لها النساء. ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١]» [البخاري: ٤٩٠٨، ومسلم: ٣٦٥٣، وأحمد: ٤٥٠٠].

نٓ:

أخرج الطبراني [في «الكبير»: ١٢٢٢٧] عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أوَّل ما خلق الله القلم والحوت**، قال: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: كلَّ شيء كائن إلى يوم القيامة، ثم قرأ: ﴿نٓۚ وَٱلْقَلَمِ﴾ [ن: ١]. والنون: الحوت، والقلم: القلم».

وأخرج ابن جرير: عن معاوية بن قرَّة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿نٓۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ لوحٌ من نور، وقلم من نور، يجري بما هو كائن إلى يوم القيامة». قال ابن كثير: مرسل غريب.

وأخرج أيضاً: عن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله ﷺ: «**تبكي السماء من عبد أصحَّ الله جسمه، وأرحب جوفه، وأعطاه من الدنيا مقضماً، فكان للناس ظلوماً، فذلك العتل الزَّنيم**». مرسل له شواهد.

وأخرج أبو يعلى وابن جرير بسند فيه مبهَمٌ: عن أبي موسى، عن النبيّ ﷺ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [ن: ٤٢]. قال: «**عن نور عظيم يخرُّون له سجَّداً**».

سأل:

أخرج أحمد [١١٧١٧] عن أبي سعيد قال: قيل لرسول الله ﷺ: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]. ما أطول هذا اليوم! فقال: «**والذي نفسي بيده، إنَّه ليخفَّف عن المؤمن حتى يكون أخفَّ عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا**». [وإسناده ضعيف].

المزَّمل:

أخرج الطَّبراني: عن ابن عباس، عن النبيّ ﷺ: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُۚ﴾ [المزمل: ٢٠]. قال: «**مئة آية**». قال ابن كثير: غريب جدّاً.

المدثر:

أخرج أحمد [١١٧١٢] والترمذيّ [٢٥٧٦ و٣١٦٤]: عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ قال: «**الصَّعُودُ: جبلٌ مِن نارٍ، يتصعَّدُ فيه الكافر سبعين خريفاً، ثم يَهْوِي به كذلك**» [إسناده ضعيف].

وأخرج أحمد [١٢٤٤٢] والترمذيّ ـ وحسنه ـ [٣٣٢٨]، والنسائي [في «الكبرى»: ١١٦٣٠] عن أنس قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦]. فقال: «**قال ربكم: أنا أهلٌ أن أُتَّقى فلا يُجعَل معي إلهٌ، فمن اتَّقى أن يَجعل معي إلهاً كان أهلاً أن أَغفِر له**» [وإسناده ضعيف].

عـــــمّ:

أخرج البزار: عن ابن عمر، عن النبيّ ﷺ قال: «**والله لا يَخرُج من النار أحدٌ حتى يمكُث فيها أحقاباً، والحقب بضع وثمانون سنة، كلّ سنة ثلاثمئة وستون يوماً ممَّا تعدُّون**».

الـتـكـويـر:

أخرَج ابن أبي حاتم[1]: عن أبي بريد بن أبي بريد بن أبي مريم، عن أبيه: أنَّ رسول الله ﷺ قال في قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ [التكوير: ١]. قال: «**كوّرت في جهنم**» ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾ [التكوير: ٢]. قال: «**في جهنم**».

وأخرج عن النعمان بن بشير، عن النبيّ ﷺ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ [التكوير: ٧]. قال: «**القُرَناء: كلُّ رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله**».

الانـفـطـار ﴿ٱنفَطَرَتۡ﴾:

أخرج ابن جرير [(٣٠/٨٧)]، والطَّبرانيّ بسند ضعيف: من طريق موسى بن عليّ بن رباح، عن أبيه، عن جدّه: أنَّ النبي ﷺ قال له: «**ما ولد لك؟**». قال: ما عسى أن يولد لي؟ إمّا غلام أو جارية. قال: «فمن يشبه؟» قال: من عسى أن يشبِه؟ إمّا أباه وإمّا أُمّه. فقال النبي ﷺ: «**مه، لا تقولنَّ هذا، إن النطفة إذا استقرّت في الرحِم أحضرها الله تعالى كلَّ نسب بينها وبين آدم، أما قرأت: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨]**». قال: «**سلَكك**».

وأخرج ابن عساكر في «**تاريخه**» [(٦١/١٩٩)]: عن ابن عمر، عن النبيّ ﷺ قال: «**إنما سماهم الأبرار، لأنهم برُّوا الآباء، والأبناء**».

الـمـطـفـفـيـن:

أخرج الشيخان: عن ابن عمر: أنَّ النبيّ ﷺ قال: «**﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]، حتى يغيب أحدُهم في رشَحه إلى أنصاف أذُنيه**» [البخاري: ٤٩٣٨، ومسلم: ٧٢٠٣، وأحمد: ٤٦١٣].

وأخرج أحمد [٧٩٥٢] والترمذيّ [٣٣٣٤] والحاكم ـ وصححه ـ [(٢/٥١٧)] والنسائي [في «عمل اليوم والليلة»: ٤١٨] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ العبد إذا أذنب ذنباً كانت نكتةً سوداءَ في قلبه، فإن تاب منها صُقِل قلبُهُ، وإن زاد زادت حتى تعلوَ قلبه، فذلك الرَّان الذي ذكر الله في القرآن: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]**» [إسناده قوي].

---

(١) في «تفسيره» ١٠/٣٤٠٢ (١٩١٤١) التكوير: ٢.

الانشقاق:

أخرج أحمد [٢٤٢٠٠] والشيخان وغيرهما: عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من نوقش الحساب عُذِّبَ**». وفي لفظ عند ابن جرير: «**ليس يحاسب أحد إلا عُذِّب**». قلت: أليس يقول الله: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]. قال: «**ليس ذلك بالحساب، ولكن ذاك العَرْض**». [والبخاري: ٤٩٣٩، ومسلم: ٧٢٢٥].

وأخرج أحمد [٢٤٢١٥] عن عائشة، قالت: قلت: يا رسول الله، ما الحساب اليسير؟ قال: «**أن ينظر في كتابه، فيتجاوز له عنه، إنَّه مَنْ نُوقش الحسابَ يومئذ هلك**» [وهو صحيح].

البروج:

أخرج ابن جرير [(٣٠/١٢٨) سورة البروج] عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**اليوم الموعود: يوم القيامة، وشاهد: يوم الجمعة، ومشهود: يوم عرفة**». له شواهد.

وأخرج الطبرانيّ: عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله خلق لوحاً محفوظاً من درّة بيضاء، صفحاتُها من ياقوتةٍ حمراءَ، قلمُه نور، وكتابُه نور، لله تعالى فيه في كل يوم ستون وثلاثمئة لحظة، يخلُق ويرزق، ويُميت ويحيي، ويعزّ ويذلّ، ويفعل ما يشاء**».

سبح [الأعلى]:

أخرج البزَّار: عن جابر بن عبد الله، عن النبيّ ﷺ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ قال: «مَنْ شهد أن لا إله إلا الله وخلَع الأنداد، وشهد أنّي رسول الله». ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥]. قال: «**هي الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بها**».

وأخرج البزَّار: عن ابن عباس قال: لمَّا نزلت: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨]. قال النبيّ ﷺ: «**كان هذا ـ أو كلُّ هذا ـ في صحف إبراهيم وموسى**».

الفجر:

أخرج أحمد [١٤٥١١] والنّسائيّ [في «الكبرى»: ٤١٠١] عن جابر، عن النبيّ ﷺ قال: «**إن العَشْر عَشْرُ الأضحى، والوتر يومُ عرفةَ، والشفعَ يومُ النحرِ**». قال ابنُ كثير: رجاله لا بأس بهم، وفي رفعه نكارة.

وأخرج ابن جرير: عن جابر مرفوعاً: «**الشفع اليومان، والوتر اليوم الثالث**».

وأخرج أحمد [١٩٩١٩] والترمذيّ [٣٣٤٢] عن عمران بن حُصين: أن رسول الله ﷺ سئل عن الشفع والوَتر، فقال: «**الصلاة بعضها شَفْعٌ وبعضُها وِتْر**» [إسناده ضعيف].

البلد:

أخرج أحمد [١٨٦٤٧] عن البراء قال: جاء أعرابيّ إلى النبي ﷺ فقال: علِّمني عملاً يُدْخلني الجنةَ.

قال: «**عِتْق النسمة، وفكُّ الرقبة**». قال: أوليستا بواحدة؟ قال: «**لا، إن عِتْقَ النَّسمة أن تُفْرَدَ بعتقِها، وفكَّ الرقبة أن تُعين في عِتْقها**» [إسناده صحيح].

الشمس:

أخرج ابن أبي حاتم[1] من طريق جُويْبر: عن الضحاك، عن ابن عباس: سمعت رسول الله ﷺ يقول في قول الله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩]: «**أفلحت نفس زكاها الله تعالى**».

ألم نشرح:

أخرج أبو يعلَى [١٣٨٠] وابن حِبّان في «**صحيحه**» [١٧٧٢ موارد]: عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ قال: «**أتاني جبريل فقال: إن ربك يقول: أتدري كيف رَفَعْتُ ذِكرَك؟ قلتُ: الله أعلم، قال: إذا ذُكرتُ ذُكِرْتَ معي**» [إسناده ضعيف].

الزلزلة:

أخرج أحمد [٨٨٦٧] عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤]. قال: «**أتدرون، ما أخبارها؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**أن تَشهَدَ على كلِّ عبدٍ أو أمَة بما عَمِل على ظهرِها؛ أن تقول: عَمِل كذا وكذا في يوم كذا وكذا**» [إسناده ضعيف].

العاديات:

أخرج ابن أبي حاتم[2] بسند ضعيف: عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦]. قال: «**الكنود الذي يأكل وحدَه، ويضرب عبده، ويمنع رِفْدَه**».

ألهاكم:

أخرج ابن أبي حاتم[3]: عن زيد بن أسلم ـ مرسلاً ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ عن الطاعة ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ **حتى يأتيكم الموت**».

أخرج أحمد [١٤٦٣٧] عن جابر بن عبد الله قال: أكل رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رُطَباً، وشربوا ماء، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا من النعيم الذي تُسألون عنه**» [إسناده صحيح].

وأخرج ابن أبي حاتم[4]: عن ابن مسعود، عن النبيّ ﷺ: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [ألهاكم: ٨] قال: «**الأمن والصحّة**».

(١) في «تفسيره» ١٠/ ٣٤٣٧ (١٩٣٤٦)، الشمس: ٩.
(٢) في «تفسيره» ١٠/ ٣٤٥٨.
(٣) في «تفسيره» ١٠/ ٣٤٥٩ (١٩٤٥١).
(٤) في «تفسيره» ١٠/ ٣٤٦٠ (١٩٤٦١).

الهمزة:

أخرج ابن مردويه عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨]. قال: «**مُطْبَقَة**».

أرأيت:

أخرج ابن جرير [في «تفسيره»: ٣٠/ ٣١١] وأبو يعلَى [٧٠٤ و٨٢٢]: عن سعد بن أبي وقاص قال: سألت رسول الله ﷺ عن: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥]. قال: «**هم الذين يؤخّرون الصلاةَ عن وقتها**» [وإسناده حسن].

الكوثر:

أخرج أحمد [١١٩٩٤] ومسلم [٨٩٤] عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**الكوثرُ نهرٌ أعطانيه ربِّي في الجنة**».

النصر:

أخرج أحمد [١٨٧٣] عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**نُعِيَتْ إليَّ نفسِي**» [وإسناده ضعيف].

الإخلاص:

أخرج ابن جرير [في «تفسيره» سورة الإخلاص]: عن بُريدة ـ لا أعلمه إلا رفعه ـ قال: «**الصّمد الذي لا جوف له**».

الفلق:

أخرج ابن جرير [في «تفسيره» سورة الفلق]: عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**الفَلَق جُبٌّ في جهنم مغطًّى**». قال ابنُ كثير: غريب لا يصحُّ رفعُه.

وأخرج أحمد [٢٤٣٢٣] والترمذي ـ وصححه ـ [٣٣٦٦] والنسائي [في «الكبرى»: ١٠١٣٨] عن عائشة قالت: أخذ رسول الله ﷺ بيدي، فأَرَاني القمرَ حين طَلَعَ، وقال: «**تَعَوَّذي بالله من شَرّ هذا الغاسقِ إذا وَقَبَ**» [وهو حسن].

وأخرج ابن جرير [«تفسيره» سورة الفلق] عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾. قال: «**النجم الغاسق**» قال ابن كثير: لا يصحُّ رفعُه.

الـــنـــــاس:

أخرج أبو يعْلَى [٤٣٠١] عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الشيطان واضع خُرطُومَه على قلبِ ابن آدمَ، فإن ذكر الله خَنَسَ ـ أي: سكن ـ وإن نسي اِلتَقَم قلبَهُ، فذلك الوسواسُ الخنَّاس»** [إسناده ضعيف].

فهذا ما حضرني من التفاسير المرفوعة المصرّح برفعها، صحِيحِها وحسنِها، ضعيفِها ومرسلها ومعضلها، ولم أعوّل على الموضوعات والأباطيل.

وقد ورد من المرفوع في التفسير ثلاثة أحاديث طوال تركتها:

أحدها: الحديث في قصّة موسى مع الخضر، وفيه تفسير آيات الكهف، وهو في صحيح البخاريّ [٤٧٢٥] وغيره [وأحمد: ٢١١١٨].

الثاني: حديث الفتُون، طويل جدًّا في نصف كُرّاس، يتضمّن شرح قصة موسى، وتفسير آياتٍ كثيرة تتعلَّق به، وقد أخرجه النَّسائيّ وغيره، لكن نبّه الحفاظ ـ منهم المزّيّ وابن كثير ـ على أنه موقوف من كلام ابن عباس، وأنَّ المرفوع منه قليل، صرِّح بعزوه إلى النبي ﷺ، قال ابنُ كثير: وكأنَّ ابن عباس تلقَّاه من الإسرائيليات.

الثالث: حديث الصور، وهو أطول من حديث الفتون، يتضمّن شرح حال القيامة، وتفسير آيات كثيرة من سُوَرٍ شتى في ذلك، وقد أخرجه ابن جرير، والبيهقيّ في **«البعث»**[1]، وأبو يعلَى، ومداره على إسماعيل بن رافع قاضي المدينة، وقد تكلِّم فيه بسببه، وفي بعض سياقه نَكَارة، وقيل: إنه جمعه من طرق أو أماكن متفرقة، وساقه سياقاً واحداً.

وقد صرَّح ابن تيمية[2] فيما تقدَّم وغيره: بأنَّ النبي ﷺ بَيَّن لأصحابه تفسيرَ جميع القرآن أو غالبه.

ويُؤيد هذا: ما أخرجه أحمد وابن ماجه عن عمر أنه قال: مِن آخر ما نزل آيةُ الرِّبَا، وإن كان رسول الله ﷺ قُبِض قبل أن يفسِّرَها [أحمد: ٢٤٦، وابن ماجه: ٢٢٧٦ وهو حديث حسن].

دلَّ فحوى الكلام على أنّه كان يفسِّر لهم كلَّ ما نزل، وأنه إنما لم يفسر هذه الآية لسرعة موته بعد نزولها، وإلا لم يكن للتخصيص بها وجه.

وأما ما أخرجه البزَّار عن عائشة قالت: ما كان رسول الله ﷺ يفسِّر شيئاً من القرآن إلا آياً بعدد علمه إياهنَّ جبريل. فهو حديث منكر كما قاله ابن كثير؛ وأَوَّله ابن جرير وغيره على أنها إشارات إلى آيات مشكلات أشكلنَ عليه، فسأل الله علمهنَّ، فأنزله إليه على لسان جبريل.

---

(١) «البعث والنشور» للبيهقي ص٣٣٦ رقم (٦٠٩). وهو آخر حديث في الكتاب.

(٢) في «مقدمة في أصول التفسير» ص١٨.

وقد منَّ الله تعالى بإتمام هذا الكتاب البديع المثال، المنيع المنال، الفائق بحسن نظامه على عقود اللآل، الجامع لفوائد ومحاسن لم تجتمع في كتاب قبله في العصور الخَوال. أسَّستُ فيه قواعد معينة على فهم الكتاب المنزل، وبيّنتُ فيه مصاعد يُرتقى فيها للإشراف على مقاصده ويُتوصَّل، وأركزت فيه مراصد تفتح من كنوزه كلَّ باب مقفَل. فيه لباب العقول، وعباب المنقول، وصواب كلِّ قول مقبول. محّضتُ فيه كتب العلم على تنوّعها، وأخذت زُبَدها ودرّها، ومررت على رياض التفاسير على كثرة عددِها، واقتطفت ثمرها وزهرها، وغُصت بحار فنون القرآن فاستخرجت جواهرَها ودرَرها، وبقرت عن معادن كنوز فخلَّصت سبائكها، وسبكت فقَرها، فلهذا تحصَّل فيه من البدائع ما تُبَتُّ عنده الأعناق بتّاً، وتجمَّع في كل نوع منه ما تفرّق في مؤلفات شتى، على أني لا أبيعه بشرط البراءة من كلِّ عيب، ولا أدَّعي أنه جمع سلامة، كيف والبَشر محلّ النقص بلا ريب، هذا وإنيّ في زمان ملأ الله قلوب أهليه من الحسد، وغلب عليهم اللُّؤم حتى جرى منهم مجرى الدم من الجسد.

وإذا أرادَ الله نشر فضيلةٍ ... طُويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعالُ النار فيما جاورت ... ما كان يعرف طيب عَرْف العود

قوم غلب عليهم الجهل وطمَّهم، وأعماهم حب الرياسة وأصمّهم، قد نكبوا عن علم الشريعة ونسوه، وأكبوا على علم الفلاسفة وتدارسوه؛ يريد الإنسان منهم أن يتقدم ويأبى الله إلا أن يزيده تأخيراً، ويبغي العزّ ولا علم عنده فلا يجد له وليًّا ولا نصيراً.

أتمشي القوافي تحت غير لوائنا ... ونحنُ على أقوالها أُمراءُ

ومع ذلك فلا ترى إلا أنوفاً مشمرة، وقلوباً عن الحق مستكبرة، وأقوالاً تصدر عنهم مفتراة مزورة، كلّما هديتَهم إلى الحق كان أصمَّ وأعمى لهم، كأنَّ الله لم يُوكل بهم حافظين يضبطون أقوالهم وأعمالهم، فالعالم بينهم مرجوم يتلاعب به الجهال والصبيان، والكامل عندهم مذموم داخل في كفة النقصان.

وايم الله، إن هذا لهو الزمان الذي يلزم فيه السكوت والمصير حِلْساً من أَحْلاس البيوت. ورد العلم إلى العمل، لولا ما ورد في صحيح الأخبار: «**مَنْ عَلِم علماً فكتَمه ألجمه اللهُ بلجام من نار**». [صحيح: أحمد: ٧٩٤٣] ولله در القائل:

ادأَبْ على جَمْع الفضائل جاهداً ... وأَدِمْ لها تعب القَريحة والجسدْ
واقْصد بها وجهَ الإله ونَفْعَ مَنْ ... بلغته ممن جدّ فيها واجْتَهدْ
واتْرُكْ كلامَ الحاسدين وبغيَهُمْ ... هَمَلاً فبعدَ الموت ينقطع الحسد

وأنا أضرع إلى الله جلّ جلاله، وعزَّ سلطانُه، كما مَنَّ بإتمام هذا الكتاب أن يتم النعمة بقبوله، وأن يجعلنا من السابقين الأولين من أتباع رسوله ﷺ، وألَّا يخيِّب أملَنا فهو الجوَاد الذي لا يخيب مَنْ أمّله، ولا يخذل من انقطع عمّن سواه وأمّ له.

وصلى الله على من لا نبي بعده، سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون[١].

---

(١) وفي الختام أقول: اللهم لَكَ الحمدُ أنْ مَنَنْتَ عليَّ باختيار هذا الكتاب، ومن ثَمَّ خدمته... فكما أكرمتَني بإتمامه، أكرمني بقبوله في ميزان الحسنات، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم. كما أسألك - يا أرحم الراحمين - أن لا تَحرِم سجلَّ والديَّ وأشياخي ومَن ساهم في إنجاز هذا السِّفْرِ الكريم، من ذلك الكرم والقبول... ومن حقي على من طالع في هذا الكتاب أن يَخُصَّني بدعوة في ظهر الغيب. لا تنسها - يا أخي -، ولَكَ مني مثل ذلك. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فهذه مذكّرات في (علوم القرآن) كتبتُها لطلبة (كلية الشريعة والدراسات الاسلامية) بمكة المكرمة تحقيقاً للمنهج الدراسي في الكلية، وحرصاً على فائدة أبنائنا الطلبة، الذين يرغبون في العلم، ويحرصون كل الحرص عليه. وقد رأيت ان أجمعها في كتاب تعمياً للفائدة ونشراً للعلم.

والله أسأل ان يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن ينفعنا بها يوم الدين، **﴿يَوْمَ لا ينفعُ مالٌ وَلا بَنُونَ ★ إلاّ مَنْ أتَى اللّهَ بِقَلْبٍ سَليم﴾** (١)

وهُوَ حَسْبُنا ونِعْمَ الوكِيل.

غرة رجب الفرد ١٣٩٠ هـ.

محمد علي الصابوني
المدرس بكلية الشريعة والدراسات
الإسلامية بمكة المكرمة

(١) سورة الشعراء الآية ٨٨ و٨٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعين به ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنزل كتابه الكريم بالحجة الدامغة، والبرهان الناصع، موعظة وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المنزل عليه: ﴿وأَنْزَلنا إليكَ الذِّكْرَ لِتُبيِّنَ للنّاسِ ما نُزِّل إليهم وَلعلهم يَتَفكَّرُونَ﴾ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، نجوم الهدى، وشموس العلم والعرفان، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد: فقد قيَّض الله – جل ثناؤه – لكتابه العزيز علماء أتقياء، ومخلصين أوفياء، من أعلام الهدى، وأئمة الصلاح والدين، سهروا على خدمة القرآن العظيم، وبذلوا قصارى جهدهم لتوضيح معانيه، وبيان أسراره، وكشف دقائقه، واستخراج ما فيه من حكم وأسرار، وما احتوى عليه من روائع وعجائب، فكان منهم من سلك طريق الإيجاز، ومنهم من سلك طريق الإسهاب والإطناب، ومنهم من اقتصر على التفسير بالمأثور، ومنهم من جمع بين (الرواية والدراية)، إلى غير ما هنالك من طرائق المفسرين وأساليبهم في القديم والحديث.

ولقد كان الإمام العلامة، الحافظ الثبت الثقة أبو الفداء (**إسماعيل بن كثير**[1]) المتوفى سنة /٧٧٤/ هجرية في مقدمة هؤلاء الأئمة الأعلام من جهابذة المفسرين، وقد وضع تفسيراً للكتاب الكريم سمّاه (**تفسير القرآن العظيم**) وتفسيره هذا من خير كتب التفسير بالمأثور ومن أوثقها، وهو تفسير جامع بين (الرواية) و (الدراية).. يفسر القرآن بالقرآن، ثم بالأحاديث المشهورة في دواوين السنّة المطهّرة بأسانيدها، ويتكلم على الأسانيد جرحاً وتعديلاً، فيبيّن ما فيها من صحيح وضعيف، وغريب أو شاذ، ثم يذكر آثار الصحابة والتابعين، قال السيوطي فيه: «لم يؤلف على نمطه مثله». وقد وضَّح ابن كثير رحمه الله في مقدمة تفسيره هذا المنهج الذي سلكه في تفسيره فقال: «**فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب**: أن أصح الطرق في ذلك أن يفسّر القرآن بالقرآن. فما أُجمل في مكان، فإنه قد بسط في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنّة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له»، بل قد قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن.

---

(١) تنظر ترجمة المؤلف في كتاب (المنهل الصافي) للمؤرخ الشهير جمال الدين المعروف بابن تغري، وكتاب (الدرر الكامنة) للحافظ ابن حجر العسقلاني، و (ذيل التذكرة) للحافظ أبي المحاسن الحسيني، و (شذرات الذهب في أخبار من ذهب) لعبد الحي بن العماد الحنبلي، و (كشف الظنون) لحاجي خليفة، و (الرد الوافر) لابن ناصر الدين الدمشقي.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلنا إليكَ الكتابَ بالحقِّ لِتَحْكُمَ بين النَّاسِ بما أَراكَ اللهُ ﴾ الآية، **وقال تعالى:** ﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب إلّا لتبيّن لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمةً لقوم يؤمنون ﴾ **وقال تعالى:** ﴿ وأنزلنا إليك الذِّكرَ لتبيِّنَ للناس ما نُزِّل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ .

ولهذا قال رسول الله ﷺ : « ألاَ أني أوتيتُ القُرآنَ وَمثله معه » **يعني السنّة**، والسنّة أيضاً تنزل عليه بالوحي، كما ينزل القرآن، إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن، والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجده فمن السنّة، فإذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنّة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيا علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين المهديّين، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عباس ابن عم رسول الله ﷺ رضي الله عنهم أجمعين »[1] .

وإنّا لنجد في عصرنا الحاضر ميل الناس إلى التزوّد من الثقافة الدينية، ولا سيا تفسير الكتاب الكريم، والسنّة النبوية المطهّرة، **وكثيراً ما يُسأل الإنسان : أيُّ التفاسير أسهل منالاً** ، وأجدى فائدة للقارئ في الزمن القليل ؟ فيقف المرء واجماً حائراً لا يجد جواباً عن سؤال السائل، علماً بأن كتب التفسير – ولله الحمد – كثيرة، وفيها فوائد جمة، ودرر متناثرة، وأسرار دينية عظيمة، ولكنها قد حشيت بالكثير من مصطلحات الفنون: من بلاغة، ونحو، وصرف، وفقه، وأصول، وغير ذلك مما كان عقبة كأداء، أمام العامة من القراء، **لذلك** دعت الحاجة الماسة إلى تذليل هذه الصعاب، وتيسير فهم القرآن العظيم على عامة الناس، بسلوك منهج السهولة والسلاسة، وقد أشار علينا بعض الاخوة الفضلاء ومنهم الأخ الكريم المدير العام لدار القرآن الكريم باختصار تفسير العلّامة (**ابن كثير**) نظراً لفائدته الجمة، وما امتاز به عن بقية التفاسير، من تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنّة المطهرة، ثم بأقوال الصحابة والتابعين، مع وضوح العبارة وسهولتها، وجمعه بين التفسير بالمأثور، والتفسير بالمعقول، وقد سبقت معنا كلمة الإمام السيوطي رحمه الله : « **لم يؤلف على نمطه مثله** » وهي كلمة جديرة بالتدبر والاعتبار .

ولما كان تفسير العلّامة ابن كثير رحمه الله – على ما فيه من مزايا كريمة – لا ينتفع منه إلا الخاصة من العلماء، وذلك بسبب ما فيه من تطويل وتفصيل لأمور لا حاجة لذكرها، وبخاصة عند ذكر الآثار المروية، والأسانيد للأحاديث الشريفة، مع أن معظمها في كتب الصحاح، وكذلك الكلام على هذه الأسانيد بالجرح والتعديل، وما فيه من خلافات فقهية لا ضرورة لذكرها، مما تجعل الفائدة منه قاصرة على فئة مخصوصة من طلبة العلم الشرعي .

لذلك فقد عزمنا النية على اختصاره ، وتنقيته من الشوائب ، استجابة للرغبة الملحّة من إخوتنا الأفاضل **وبتكليف من « دار القرآن الكريم »** ليعمّ به النفع، وتتحقق منه الفائدة المرجوة، علماً بأن اختصاره لا يعني أننا أغفلنا شطره، وحذفنا كثيراً منه، بل إن ما فعلناه لا يعدو أن يكون حذفاً لما لا ضرورة له، من الروايات المكررة، والأسانيد المطولة، والآثار الضعيفة، والأحكام التي لا حاجة لها، وبقي روح التفسير كما هو، بثوبه القشيب، وجماله الناصع،

(١) مقدمة تفسير ابن كثير صفحة /١٢/.

وأسلوبه السهل الميسّر، مع تمام الترابط والانسجام .

طريقة الاختصار :

وقد سلكت في منهج الاختصار لهذا التفسير الطريقة التالية أذكرها بإيجاز وهي :

أولاً : حذف الأسانيد المطولة والاقتصار على ذكر راوي الحديث من الصحابة، والإشارة في هامش الصفحة إلى من خرّج الحديث مثل البخاري ومسلم وغيرهما .

ثانياً : الآيات الكريمة التي استشهد بها المؤلف رحمه الله، على طريقته في تفسير القرآن بالقرآن، أثبتناها مع الاقتصار على مكان الشاهد منها، لأنه هو الغرض الأصلي من ذكرها، ولم نذكرها كاملة إذ يكفي الإشارة إليها لفهم المقصود .

ثالثاً : الاقتصار على الأحاديث الصحيحة، وحذف الضعيف منها، وحذف ما لم يثبت سنده من الروايات المأثورة، مما نبّه عليه الشيخ ابن كثير رحمه الله .

رابعاً : ذكر أشهر الصحابة عند التفسير بالمأثور، كذكر ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، مع تثبيت أصح الروايات المنقولة عنهم .

خامساً : الاعتماد على أقوال مشاهير التابعين، المنقولة آراؤهم نقلاً صحيحاً وعدم ذكر جميع أقوال التابعين، لأن في بعضها ضعفاً – كما في سائر الروايات – وفيها الغث والسمين، لذلك فقد اعتمدنا على أصحها وأجمعها وأرجحها، وضربنا صفحاً عن ذكر سائرها للأسباب التي ذكرناها .

سادساً : حذف الروايات الإسرائيلية، سواء كان غرض المؤلف الرد عليها، أو الاستشهاد بها على سبيل الاستئناس لا على سبيل القطع واليقين، إذ في الآثار الصحيحة ما يغني عن الاستشهاد بالروايات الاسرائيلية .

سابعاً : حذف ما لا ضرورة له من الأحكام والخلافات الفقهية، والاقتصار على الضروري منها دون حشو أو تطويل .

ولا يفوتني – وأنا أكتب هذه المقدمة الموجزة على تفسير العلّامة ابن كثير – أن أتقدم بالثناء العاطر ، والشكر الجزيل، **لدار القرآن الكريم** على جهودها المشكورة في نشر وطبع هذا التفسير القيم، والإشراف على تصحيحه، وترتيبه، وتبويبه، وإخراجه بهذا الشكل الجميل، الذي أرجو أن ينال إعجاب السادة القراء .

والله أسأل أن ينفع به المسلمين، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، ويبقيه ذخراً لي يوم الدين ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

محمد علي الصابوني
أستاذ التفسير بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية
مكة المكرمة - جامعة الملك عبد العزيز

مقـــدّمة

الحمد لله الذي أفاض النور على قلوب أهل العرفان وجعل أشراف هذه الأمة حملة القرآن ، والصلاة والسلام على أشرف الأولين والأخرين سيد ولد عدنان ، نبينا محمد الذي أنار الله تعالى ببعثته الأكوان ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان ، وسلم تسليماً كثيراً . وبعد : فهذه سلسلة علمية متتابعة في دراسة سور القرآن ، تكشف الأضواء عن أهدافها ، ومقاصدها ، وتبيّن الغرض الأساسي من طريقة تناولها للمواضيع والأحداث ، سواء كان ذلك في العبادات ، أو المعاملات ، أو التشريع ، أو الأخلاق ، أو في القصص والأخبار أو غير ذلك مما هو من الأهداف الأصيلة التي تتناولها السور الكريمة ، وقد رأيت أن أخرجها في كتاب جامع ، يجمع دراسة وافية لسور القرآن الكريم ويلقي الضوء عليها ، تكميلاً للفائدة وتعميماً للنفـع . واللهَ أسأل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، وأن يسلكنا في زمرة عباده الصالحين ، ويجعلنا من خدمة كتابه المبين ، ويَمنَّ علينا بالقبول ، إنه وليٌّ ذلك والقادر عليه .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مكة المكرمة – غرة ربيع الأول

١٣٩٨ هـ

محمد علي الصابوني

الاستاذ بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية

جامعة الملك عبد العزيز

التبيان في علوم القرآن

محاضرات في علوم القرآن، تبحث عن نزوله وتدوينه، وجمعه وإعجازه
وعن التفسير والمفسرين، مع رد شبهات المستشرقين،
بأسلوب يجمع بين الجدة والتحقيق

الفصل الأول

علوم القرآن

تمهيد

يقتضينا علم التفسير، أن نُلمَّ إلمامة موجزة، عن (علوم القرآن) وأن نعرف ما رافق هذا الكتاب المجيد، من عناية فائقة، وجهود واسعة، وأبحاث مستفيضة، بذلت كلها في سبيل خدمة هذا الكتاب العزيز، على أيدي اساتذة أعلام، وعلماء فطاحل، أفنَوْا أعمارهم في سبيل الحفاظ على هذا التراث الكريم، والكنز الثمين، من لدن عصر نزول القرآن إلى يومنا هذا، ثم انتقلوا الى جوار الله وقد خلّفوا لنا ثروة علمية هائلة، لا ينضب معينها، ولا تنتهي دررها، على كرّ الدهور، ومرّ الأزمان، ومع كلّ هذه الجهود المبذولة ـ في القديم والحديث ـ فإن القرآن يبقى بحراً ذاخراً يحتاج إلى من يغوص في أعماقه، ليستخرج منه اللآلىء والدرر.

ولقد تسابق الفصحاء والبلغاء، والحكماء والشعراء، في وصف هذا القرآن، وسرد محاسنه وفضائله، ولكننا لا نجد أبلغ ولا أسمى من وصف صاحب الرسالة، محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه حيث يقول: «كتابُ الله فيه نَبأ مَنْ قَبْلَكُم، وخبَرُ مَا بَعْدكم، وحُكْمُ ما بينَكم، هو الفَصْلُ ليس بالهزلِ، من تركه من جبّارٍ قَصَمه الله، ومَنِ ابْتَغى الهُدى في غيره أضلّه الله، هُو حبْلُ اللهِ المتين، وهو الذكر الحكيم، وهوَ الصّراطُ المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة،

ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلقُ[1] على كثرة الردّ، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجنّ إذ سمعته حتى قالوا: ﴿**إنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً ★ يَهْدي إلى الرّشْدِ فآمنّا به..**﴾[2] مَنْ قالَ به صَدَقَ، ومن عمل به أجِر، ومن حَكَمَ به عدل، ومَنْ دعا إليه هُدي الى صراط مستقيم»[3].

ما المقصود بعلوم القرآن؟

يقصد بعلوم القرآن الأبحاث التي تتعلق بهذا الكتاب المجيد الخالد، من حيث النزول، والجمع، والترتيب، والتدوين، ومعرفة أسباب النزول، والمكّي منه والمدني، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، وغير ذلك من الأبحاث الكثيرة التي تتعلق بالقرآن العظيم، أوْ لها صلة به.. والغرض من هذه الدراسة فهم كلام الله عز وجل على ضوء ما جاء عن الرسول عليه الصلاة والسلام من توضيح وبيان، وما نقل عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين، حول تفسيرهم لآيات القرآن، ومعرفة طريقة المفسرين وأساليبهم في التفسير، مع بيان مشاهيرهم ومعرفة خصائص كلٍ من المفسرين، وشروط التفسير، وغير ذلك من دقائق هذا العلم.

تعريف القرآن:

(هو كلام الله المعجز، المنزّل على خاتم الانبياء والمرسلين، بواسطة الأمين جبريل عليه السلام المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبّد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختتم بسورة الناس.)

وهذا التعريف متفق عليه بين العلماء والأصوليين أنزله الله تبارك وتعالى ليكون دستوراً للامة، وهداية للخلق، وليكون آية على صدق الرسول، وبرهاناً ساطعاً على نبوته ورسالته، وحجة قائمة الى يوم الدين تشهد بأنه تنزيل الحكيم الحميد، بل هو

---

(١) أي لا يبلى ولا تذهب جدته على كثرة القراءة والترداد.

(٢) سورة الجن، الآية: ١، ٢.

(٣) رواه الترمذي في باب «فضائل القرآن».

« المعجزة الخالدة » التي تتحدى الأجيال والامم على كرّ الازمان ومرّ الدهور، ولله درّ « شوقي » حيث يقول:

« جاء النّبيّون بالآياتِ[1] فانصرمتْ[2] وجِئْتنــــا بكتــــابِ غير منصرمِ »
« آيــاتــهُ كلّما طــالَ المدَى[3] جُــدُدٌ يــزينهـــن جمالُ العِتْــقِ والقِــدَمِ »

« فضائل القرآن »:

وقد وردت آثار كثيرة في فضائل القرآن وعلومه، منها ما هو متعلق بفضل التعلم والتعليم، ومنها ما هو متعلق بالقراءة والترتيل، ومنها ما له علاقة بحفظه وترجيعه. كما وردت آيات عديدة في كتاب الله عز وجل، تدعو المؤمنين الى تدبره، وتطبيق احكامه، والى الاستماع والإنصات عند تلاوته، نذكر بعض هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة:

الآيات الكريمة:

أولاً ـ قال تعالى ﴿**إنّ الّذين يَتْلونَ كتابَ اللهِ، وَأقامُوا الصّلاةَ، وَأنْفقُوا مِمّا رَزَقْناهُمْ سِراً وَعلاَنِيَةً يَرْجُونَ تِجارَةً لَنْ تبُورَ**﴾[4].

ثانياً ـ وقال تعالى ﴿**وإذَا قُرِىءَ القُـرْآنُ فَـاسْتَمِعُـوا لَـهُ وأنْصِتُـوا لعَلّكُـمْ تُرْحَمُونَ**﴾[5]

ثالثاً ـ وقال تعالى ﴿**أفلا يَتَدَبّرُونَ القُرْآنَ أم علَى قُلُوبٍ أقْفَالها**﴾[6].

---

(١) المراد بالآيات هنا المعجزات التي أيد الله بها رسله الكرام.
(٢) انصرمت: أي ذهبت بذهابهم وانقضت بوفاتهم فلم يعد لها وجود.
(٣) المدى: الزمان الطويل.
(٤) سورة فاطر، الآية: ٢٩.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.
(٦) سورة محمد ﷺ، الآية: ٢٤.

الأحاديث الشريفة:

أولاً: وقال ﷺ: «خيركُمْ مَنْ تَعَلّمَ القُرْآنَ وعَلّمَه» رواه البخاري.

ثانياً: وقال صلوات الله عليه: «الماهر بالقرآن مع السّفَرة الكِرام البررة والذي يقرأ القُرْآن ويتعتع فيه (أي تصعب قراءته عليه لعيّ لسانه) وهو عليه شاقّ له أجران» رواه مسلم.

ثالثاً: وقال أيضاً: «أشرافُ أمّتي حَمَلَة القُرْآن» رواه الترمذي.

رابعاً: وقال أيضاً: «اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه» رواه الترمذي.

خامساً: وقال أيضاً: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأُتْرُجّة ريحها طيّب، وطعمها طيب».

سادساً: وقال أيضاً: «إن هذا القرآن مأدبة الله، فتعلّموا من مأدبته ما استطعتم...» متفق عليه.

وينبغي للدارس لعلوم القرآن ان يتأدب بآداب القرآن، ويتخلّق بأخلاقه، ويكون غرضه من وراء العلم (رضوان الله والدار الآخرة لا حطام الدنيا وأن يعمل بما فيه ليكون حجة له يوم القيامة فقد صح في الحديث الشريف (القرآن حجة لك او عليك»[1]. قال شيخ الإسلام (ابن تيمية) رحمه الله: (من لم يقرأ القرآن فقد هجره، ومن قرأ القرآن ولم يتدبر معانيه فقد هجره، ومن قرأه وتدبّره ولم يعمل بما فيه فقد هجره) يشير بذلك الى قوله تعالى **﴿وَقَالَ الرّسُولُ يا رَبِّ إنّ قَوْمي اتّخذُوا هَذَا القُرآنَ مَهْجُوراً﴾**[2].

(١) انظر تفسير القرطبي، الجزء الأول.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٣٠.

أسماء القرآن:

للقرآن الكريم أسماء عديدة كلها تدلّ على رفعة شأنه، وعلوّ مكانته، وعلى أنه أشرف كتاب سماوي على الإطلاق.. فيسمى (القرآن) و(الفرقان) و(التنزيل) و(الذكر) و(الكتاب) الخ كما وصفه الله تبارك وتعالى بأوصاف جليلة عديدة منها (نور) و(هدى) و(رحمة) و(شفاء) و(موعظة) و(عزيز) و(مبارك) و(بشير) و(نذير) الى غير ذلك من الأوصاف التي تشعر بعظمته وقدسيته.

وجه التسمية:

أ ـ اما تسميته (بالقرآن) فقد جاء في آياتٍ كثيرة منها قوله تعالى: **﴿ق. وَالقُرآن المَجيدِ﴾** [1] وقوله تعالى **﴿إنّ هَذَا القُرآن يَهْدي لِلَّتي هيَ أقْوَمُ﴾** [2].

ب ـ وأما تسميته (بالفرقان) فقد جاء في قوله تعالى **﴿تَبَاركَ الّذي نَزَّل الفُرْقانَ على عَبْدِهِ لِيَكونَ لِلْعَالِمينَ نَذِيراً﴾** [3].

جـ ـ وأما تسميته (بالتنزيل) ففي قوله تعالى **﴿وإنّهُ لَتَنْزِيلُ رَبّ العَالَمِينَ ★ نَزَل بِهِ الرُّوحُ الأمينُ﴾** [4].

د ـ وأما تسميته (بالذكر) ففي قوله تعالى **﴿إنّا نَحْنُ نَزّلْنا الذّكْرَ وإنّا لَهُ لَحافِظُون﴾** [5].

هـ ـ وأما تسميته (بالكتاب) ففي قوله تعالى **﴿حم ★ والكِتابِ المُبين ★ إنَّا أنْزَلْناهُ في لَيْلَةٍ مُبارَكة﴾** [6].

---

(١) سورة ق، الآية: ١.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ١.

(٤) سورة الشعراء، الآيتان: ١٩٢، ١٩٣.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٦) سورة الدخان، الآيات: ١ ـ ٣.

وأما الاوصاف فقد ورد فيها آيات عديدة، وقلّما تخلو سورة من سور القرآن من وصف رائع مجيد لهذا الكتاب الذي أنزله رب العزّة ليكون معجزة خالدة لخاتم الانبياء نذكر منها:

أولاً - قوله تعالى ﴿**يا أيها النّاسُ قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبّكُم وَأنْزَلْنَا إلَيْكُم نُوراً مُبِيناً**﴾ (١).

ثانياً - وقوله تعالى ﴿**ونُنَزِّلُ من القُرْآنِ ما هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ للمُؤمِنِينَ، ولا يَزِيدُ الظّالِمينَ إلاّ خَسَاراً**﴾ (٢).

ثالثاً - وقوله تعالى ﴿**قُلْ لِلّذينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفاء..**﴾ (٣).

رابعاً - وقوله تعالى ﴿**يا أيّها النّاسُ قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبّكُمْ وَشِفَاءٌ لما في الصّدور وَهُدًى ورَحْمةً للمؤمنين**﴾ (٤).

والقرآن كالقراءة مصدر قرأ قراءة وقرآناً هكذا يرى بعض العلماء ويستدلون بقوله تعالى: ﴿**إنّ علَيْنا جَمْعَهُ وقُرْآنَهُ * فَإذا قَرَأْنَاهُ فَاتّبِعْ قُرْآنَهُ**﴾ (٥) **أي قراءته** فالقرآن على هذا الرأي يكون مشتقاً، ويرى بعض العلماء انه ليس مشتقاً من قرأ وإنما هو (اسم علم) لهذا الكتاب المجيد فهو مثل (التوراة) ومثل اسم (الانجيل) وهذا رأي الإمام الشافعي رحمه الله. انظر كتاب (مباحث القرآن للأستاذ منّاع القطان).

متى ابتدأ نزول القرآن:

كان بدء نزول القرآن الكريم، في السابع عشر من رمضان، لأربعين سنة خلت من حياة النبي الأمي محمد عليه الصلاة والسلام، فبينما كان رسول الله ﷺ يتحنّث (أي

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٧٤.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

(٣) سورة فصلت: جزء من الآية: ٤٤

(٤) سورة يونس، الآية: ٥٧.

(٥) سورة القيامة، الآيتان: ١٧ - ١٨.

يتعبّد) في غار حراء، إذ نزل عليه الوحي (جبريل الأمين) بآيات الذكر الحكيم فضمّه الى صدره ثم أفلته - فعل ذلك به ثلاث مرات - وهو يقول له في كل مرة (إقرأ) والرسول الكريم يجيبه (ما أنا بقارىء) أي لست أعرف القراءة، وفي المرّة الثالثة قال له: ﴿إقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ★ خَلَقَ الانْسَانَ مِنْ عَلَقٍ★ إقْرأْ ورَبّكَ الأكْرَمُ★ الذي عَلّمَ بالقَلَمِ ★ عَلّمَ الإنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ﴾ [1].

فكان ذلك بدء نزول الوحي، وبدء نزول القرآن، ولقد سبق نزول بعضُ الإرهاصات (أي الإشارات والدلائل) التي تدلّ على قرب الوحي وتحقّق النبوّة للرسول الكريم، ومن هذه الدلائل (الرؤيا الصادقة) في النوم، فكان صلوات الله عليه لا يرى رؤيا الا وقعت كما رآها في منامه، ومنها (حبّه للعزلة والخلوة) فكان يخلو بغار حراء يتعبّد ربه فيه.

رواية البخاري:

وقد أخرج البخاري في صحيحه في باب (بدء الوحي) ما يشير الى هذا، والى كيفية نزول القرآن، حيث روى بسنده عن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت:

«أول ما بُدِىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحةُ في النوم، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثلَ فلق [2] الصبح، ثم حُبّبَ إليه الخلاء [3]، وكان يخلو (بغار حراء) فيتحنّثُ فيه (وهو التعبّد) الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع [4] إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك [5] فقال: إقرأ، قال: ما أنا بقارىء، قال: فأخذني فغطّني [6] حتى بلغ مني

(١) سورة العلق، الآيات: ١ - ٥.

(٢) فلق الصبح، نور الصبح وضياءه.

(٣) الخلاء، أي العزلة.

(٤) ينزع: أي يرجع.

(٥) الملك: المراد به جبريل عليه السلام.

(٦) فغطني: أي ضمني إلى صدره.

الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ، خَلَقَ الإنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ...**﴾ الآيات فرجع بها رسول الله يرجف فؤاده»[1].

ونزول القرآن في شهر رمضان فيه نصّ صريح واضح في كتاب الله عز وجلّ حيث يقول عزّ من قائل:

﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذي أُنْزِلَ فيهِ القُرْآنُ، هُدَىً للنّاسِ، وبَيِّنَاتٍ منَ الْهُدى والفُرْقَان**﴾[2]. أوأما كون الملك الذي نَزَل به هو (جبريل) عليه السلام فقد ثبت أيضاً بنص صريح في القرآن وهو قوله تعالى:

﴿**نَزَلَ بِهِ الرّوحُ الأمينُ★ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ★ بِلِسانٍ عرَبِي مُبِينٍ**﴾[3]. وقوله تعالى:

﴿**قُلْ نَزَلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِنْ رَبِكَ بالحقِّ، لِيُثَبِّتَ الذينَ آمَنُوا، وَهُدَى وبُشرى لِلْمُسلِمينَ**﴾[4].

والمراد بالروح الأمين، او روح القدس، انما هو (جبريل) عليه السلام باتفاق المفسّرين فهو أمين الله على وحيه، وهو الذي نزل بالوحي على جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين.

أول ما نزل وآخر ما نزل:

أول ما نزل من القرآن الكريم الآيات الأولى من سورة العلق ﴿**إقرأ بِاسْمِ ربّكَ**﴾[5] كما مرّ سابقاً في حديث البخاري، وأما آخر ما نزل من القرآن فهو قوله

---

(١) انظر صحيح البخاري، الجزء الأول.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٣ - ١٩٥.

(٤) سورة النحل، الآية: ١٠٢.

(٥) سورة العلق، الآية: ١

تعالى: ﴿واتّقوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فيه إلى الله، ثمّ تُوَفّى كُلّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [1]. هـذا هـو الصحيـح الراجـح الذي اختـاره العلماء وعلى رأسهـم (السيوطي) وهو منقول عن حَبْر هذه الأمة (عبد الله بن عباس) رضي الله عنهما فقد أخرج النسائي عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: «آخر شيء نزل من القرآن ﴿واتّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فيه إلى الله..﴾ وقد عاش النبي ﷺ بعد نزول هذه الآية تسع ليالٍ ثم مات ليلة الإثنين في الثالث من ربيع الأول» [2].. وأما قول بعضهم: إنَّ آخر ما نزل من القرآن قوله تعالى ﴿اليَوْمَ أكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ وَأتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسْلامَ دِيناً...﴾ [3] الآية فهو رأي غير صحيح لأن هذه الآية الكريمة نزلت على رسول الله ﷺ في حجة الوداع، وهو واقف بعرفة، وقد عاش ﷺ بعدها ٨١ واحـداً وثمانين يوماً وقبل وفاته بتسع ليالٍ نزلت آية البقرة ﴿واتّقُوا يَوْماً..﴾ فتكون هي آخر ما نزل، لا آية المائدة، وهذا هو الرأي الصحيح، وبنزول هذه الآية الكريمة انقطع الوحي فكان ذلك آخر اتصال السماء بالأرض، وانتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى بعد نزول ختام القرآن، بعد أن أدى الأمانة، وبلّغ الرسالة، وهدى الناس إلى دين الله.

آية المائدة متأخرة في النزول:

ومما يدل على ان آية المائدة نزلت في حجة الوداع ما روي في صحيح البخاري أن يهودياً جاء الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين آيةٌ في كتابكم لو علينا مَعشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً! فقال عمر: وأي آية تعني؟ قال قول الله تبارك وتعالى ﴿اليومَ أكمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ، وأتْمَمْتُ عليكُم نِعْمَتي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإسلامَ ديناً﴾ فقال له عمر: والله إني لأعلم المكان الذي نزلت فيه، والساعة

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

(٢) أنظر: كتاب الأتقان في علوم القرآن للسيوطي.

(٣) سورة المائدة، الآية:(٣).

التي نزلت فيها، نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ بعرفة، في يوم الجمعة، بعد العصر [1] أي أنها نزلت في يوم هو من أعظم الاعياد الإسلامية، فهو عيد على عيد..

تنبيه:

أورد العلامة السيوطي في كتابه (الاتقان في علوم القرآن) بعض الإشكالات على أول ما نزل من القرآن، وآخر ما نزل، وأجاب عنها بأجوبة سديدة نلخصها فيما يلي:

الإشكال الأول: أنه روي في الصحيحين من حديث (جابر بن عبد الله) أنه سئل: أيّ القرآن أنزل قبل؟ قال: ﴿**يا أيها المدّثّر**﴾ [2] فقيل له: بل ﴿**إقرأ باسم ربك**﴾ [3] فقال أحدثكم ما حدثنا به رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: «إني جاورت بحراء فلما قضيت جواري نزلتُ فاستبطنت الوادي، فنظرت أمامي وخلفي، وعن يميني وشمالي، ثم نظرت إلى السماء فإذا (جبريل) فأخذتني رجفة فأتيت خديجة فأمرتهم فدثّروني فأنزل الله ﴿**يا أيها المدّثّر**﴾» فهذا الحديث يدلّ على ان سورة المدثر هي أول ما نزل من القرآن، وقد أجاب عن ذلك السيوطي بقوله: ويجاب عن هذا الحديث بأجوبة: أحدها: أنّ السؤال كان عن نزول سورة كاملة فبيّن أنّ سورة المدثر نزلت بكمالها قبل نزول تمام سورة (إقرأ) فإنها أول ما نزل منها صدرها ويؤيد هذا ما في الصحيحين عن جابر بن عبد الله أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: «بينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي فإذا بالملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرجعت فقلت: زملوني فأنزل الله ﴿**يا أيها المدّثر**﴾ فقوله الملك الذي جاءني بحراء يدل على أن هذه القصة متأخرة عن قصة حراء التي نزل فيها ﴿**إقرأ باسم ربك**﴾ ثم سرد أجوبة أخرى لا حاجة الى ذكرها.

وأما الإشكال الثاني: وهي أن آية المائدة وهي قوله تعالى ﴿**اليَوْمَ أكملتُ لَكُمْ**

---

(١) انظر: صحيح البخاري، باب التفسير.

(٢) سورة المدثر، الآية: ١.

(٣) سورة العلق، الآية: ١.

﴿دِينَكُمْ..﴾[1] تدل على أن الدين قد كمل وتمّ فكيف تنزل بعد ذلك آيات ونقول إنها ختام القرآن؟ والجواب على ذلك: إن الله عز وجل قد أكمل الدين ببيان الفرائض والأحكام، وبيان الحلال والحرام، فما تحتاج إليه الأمة قد بيّنه الله عزّ وجلّ، وفصّل أحكامه حتى أصبحوا على (المحجّة البيضاء)، وهذا لا ينافي أن تنزل بعض الآيات الكريمة التي فيها التذكير والتحذير من عذاب الله، وفيها تذكير الناس بالوقفة الكبرى بين يدي أحكم الحاكمين، في ذلك اليوم الرهيب، الذي لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلاّ مَنْ أتى الله بقلب سليم.. وقد صرّح بهذا جماعة من العلماء حتى قال السُدّيّ: لم ينزل بعدها حلال ولا حرام[2].

أول ما نزل في القتال، والخمر، والأطعمة:

أولاً ـ نزلت في القتال آيات عديدة، ولكنّ هذه الآيات التي نزلت في شأن القتال كلها مدنيّة، لأن المسلمين ـ في مكة ـ كانوا في حالة ضعف، فكان جهادهم للأعداء باللسان لا بالسِنَان، ولم يسمح لهم بقتال الأعداء إلا بعد الهجرة، أي بعد ان تقوّى المسلمون وكثروا وأصبح لهم دولة في المدينة المنوّرة فنزل عند ذلك الإذن بالقتال، وأول آية نزلت في القتال هي قول الله تبارك وتعالى في سورة الحج:

﴿أُذنَ لِلّذينَ يُقَاتَلُونَ بأَنَّهُمْ ظُلِمُوا، وَإِنّ اللهَ على نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ★ الّذين أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقّ إلاّ أنْ يَقُولوا رَبّنَا اللهُ، وَلَوْلا دَفعُ الله النّاس بَعْضَهُمْ ببعض لَهُدِمَتْ صَوَامِعُ وبِيَعٌ وصَلَوَاتٌ ومَسَاجِدُ يُذْكَرُ فيهَا اسْمُ الله كَثِيراً، وَلَيَنصُرنّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إنّ الله لَقَوِيٌّ عزيزٌ﴾[3]. فأنت ترى في هذا النصّ الكريم ما يوضح الحكمة من مشروعية الإذن بالقتال، فلم يكن القتال إلا دفعاً للظلم، ودفعاً للعدوان، ولم يُشْرع إلا دفاعاً عن المظلومين وردعاً للمعتدين كما هو صريح النص الكريم.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) أنظر: الإتقان، ص ٢٧ السيوطي.

(٣) سورة الحج، الآيتان: ٣٩، ٤٠.

ثانيا ـ وأما الخمر فقد نزلت فيها آيات عديدة، وكان أول ما نزل فيها قول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿**يَسْألُونَكَ عَنِ الخَمْرِ والمَيْسِرِ، قُلْ فِيهِما إثْمٌ كَبِيرٌ ومَنافِعُ للنّاسِ، وإثْمُهُما أكْبَرُ من نَفْعِهِما...**﴾[1].

روي عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: نزل في الخمر ثلاث آيات، فأول شيء ﴿**يسألونك عن الخمرِ والميسر..**﴾ الخ.

ثالثاً ـ وأما أول ما نزل من الأطعمة في مكة فقوله تعالى في سورة الأنعام:

﴿**قُلْ لا أجِدُ في ما أُوحِيَ إليَّ مُحَرَّماً على طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إلاّ أنْ يَكُونَ مَيْتَةً أو دَماً مَسْفوحاً أوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فإنَّهُ رِجْسٌ أوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ الله بهِ، فَمَنِ اضْطُرَّ غَيرَ باغٍ ولا عَادٍ، فإنَّ رَبّكَ غَفُورٌ رَحيمٌ**﴾[2].

وهذه أوائل مخصوصة ببعض الأحكام التشريعية التي نزلت بها أحكام القرآن وهي مما ينبغي معرفته ليقف الانسان على سرّ التشريع الاسلامي الدقيق، الذي راعى حاجات الناس ومصالح البشر، والتي هي أحد الأسس الحكيمة التي سلكها الإسلام في معالجة الأوضاع الاجتماعية، والأمراض الخلقية التي كان عليها الناس في الجاهلية كما سنوضح ذلك في بحث آخر إن شاء الله.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٤٥.

الفَصْلُ الثاني
أسْبَابُ النُزُول

أسْبَابُ النَزول:

معرفة (أسباب النزول) له أثر كبير في فهم معنى الآية الكريمة، ولهذا اعتنى كثير من العلماء بمعرفة أسباب النزول، حتى أفرد له بالتصنيف جماعة من العلماء كان من أقدمهم (علي بن المديني) شيخ البخاري رحمه الله.. ومن أشهر ما كتب في هذا الفن كتاب (أسباب النزول) للواحدي، كما ألّف فيه شيخ الاسلام (ابن حجر) وألّف فيه أيضاً العلامة (السيوطي) كتاباً حافلاً عظيماً سماه (لُباب النقُول في أسباب النزول).

ولمعرفة أهمية هذا النوع من علوم القرآن، والتأكد من ضرورته لفهم معاني الآيات الكريمة نستطيع أن نقول: إن بعض الآيات لا يمكن فهمها أو معرفة أحكامها إلا على ضوء سبب النزول، فمثلاً قول الله تعالى: ﴿**وَ لله المَشْرِقُ والمغرِبُ فأيْنَما تُوَلّوا فَثَمّ وَجْهُ الله**..﴾[1] الآية قد يفهم منها جواز التوجه في الصلاة إلى غير القِبْلَة، وهذا الفهم خاطىء لأن استقبال القِبْلة شرط لصحة الصلاة، وبمعرفة سبب النزول يتّضح فهم الآية، فقد نزلت هذه الآية الكريمة فيمن كان في (سفر)، وأضاع القِبْلَة فلم يعرف جهتها فإنه يجتهد ويتحرّى ثم يصلي فإلى أي جهة صلى تصحّ صلاته، ولا تجب عليه

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٥.

إعادة الصلاة فيما إذا تبيّن له بعد الانتهاء خطأ توجهه، فالآية إذاً ليست عامة إنما هي خاصة فيمن جهل القِبلة فلم يعرف جهتها.

ومثال آخر على أهمية سبب النزول في فهم الآية أن قوله تعالى:

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا إذا ما اتّقوا وَآمَنوا وعَمِلُوا الصَالِحَاتِ، ثُمّ اتّقوا وآمَنُوا، ثُمَّ اتَّقُوا وأَحْسَنُوا، والله يُحِبُّ المُحْسِنِينَ﴾ [1].

إنما نزلت في الخمر، وقد يُفهم من هذا النص الكريم إباحة شرب الخمر - كما ظن بعض الجهلة - حيث قالوا: الخمر مباحة واحتجوا بالآية الكريمة، ولو علموا سبب نزولها لم يفتروا ذلك، فقد روي أنّه لما نزل تحريم الخمر في قوله تعالى **﴿إنّما الخَمْرُ والمَيْسِرَ والأَنْصَابُ والأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوه لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون﴾** [2] قال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ: فكيف بمن قتلوا في سبيل الله وماتوا، وكانوا يشربون الخمر وهي رجسٌ؟ فنزلت الآية الكريمة تبيّن ان من شربها قبل التحْريم فإن الله قد عفا عنه وليس عليه ذنب أو إثم لأن الله لا يؤاخذ على ما سبق من العبد قبل الإسلام أو قبل التحريم، وبذلك تفهم الآية ويبقى النص القطعي في تحريم شرب الخمر.

فوائد معرفة أسباب النزول:

قد يظن بعض الناس أنه لا طائل تحت هذا الفن، وليس له أثر كبير لجريانه مجرى التاريخ والقَصَص، فإن أسباب النزول - على زعمهم - ليست ضرورية لمن أراد تفسير كتاب الله. وهذا زعم خاطىء وقول مردود، لا يصدر من عالم بالكتاب، مطّلع على أقوال المفسّرين. وها نحن ننقل طرفاً من آراء بعض العلماء، ثم نعقبها بذكر فوائد أسباب النزول.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٣.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٩٠.

قال (**الواحدي**): لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها، وبيان نزولها.

وقال (**ابن دقيق العيد**): بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن.

وقال (**ابن تيمية**): معرفة سبب النزول يعيسن على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبّب.

وهكذا تظهر أهمية هذا الفن من علوم القرآن.

وأما فوائده فيمكن تلخيصها فيما يلي:

أ ـ معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم.

ب ـ تخصيص الحكم بالسبب (عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب).

جـ ـ دفع توهم الحصر، فيما ظاهره الحصر.

د ـ معرفة اسم من نزلت فيه الآية، وتعيين المبهم فيها. إلى غير ما هنالك من فوائد أخرى جليلة.

أمثلة على فوائد النزول:

أولاً: أشكل على (مروان بن الحكم) معنى قوله تَعالى: **﴿لا تَحْسَبَنَّ الذين يَفْرَحونَ بِما أَتَوا، ويُحبّونَ أنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا، فلا تَحْسَبَنَّهُم بِمفازةٍ منَ العَذَاب..﴾**[1] الآية. فقال لخادمه: اذهب الى ابن عباسٍ فقُلْ لهُ: (لئن كان كلّ امرىءٍ فرح بما أوتيَ، وأحبّ أن يحمد بما لم يفعل معذّباً لنعذّبنّ أجمعون). فبيّن له (ابن عباس) رضي الله عنهما ما أزال عنه الإشكال وقال له: إن الآية نزلت في أهل الكتاب ـ اليهود ـ حين سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، أروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه فنزلت الآية. (رواه الشيخان).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٨.

ثانياً: كما أشكل على (عروة بن الزبير) رضي الله عنه معنى قوله تعالى ﴿**إنّ الصَفَا والمروةَ منْ شَعائِرِ الله فَمَنْ حجّ البَيْتَ أو اعْتَمَرَ، فلا جُناحَ عَلَيْهِ أنْ يَطَّوَّفَ بهما...**﴾[1] الآية. فإن ظاهر الآية الكريمة يشير الى عدم وجوب السعي بين (الصفا والمروة) حتى قال (عروة بن الزبير) لخالته عائشة ام المؤمنين يا خالة: إنّ الله تعالى يقول: ﴿**فلا جُناحَ عليه أنْ يطوف بهما**﴾ فأرى أنه لا بأس على الإنسان أن يترك السعي بينهما؟! فقالت له عائشة: بئس ما قلتَ يا ابن أختي، لو كان الأمر كما ذكرتَ لقال الله تعالى: فلا جُناحَ عليهِ ألاّ يطّوفَ بهما.. ثم أخبرته بأن الناس في الجاهلية كانوا يسعون بين الصفا والمروة وكانوا يحجون في سعيهم (لصنمين) أحدهما: على الصفا يسمى (إسافاً)، والثاني، على المروة ويسمى (نائلة)، فلما دخل الناس في الإسلام تحرّج بعض الصحابة من السعي بينهما خشيةَ أن يلتبس الأمر بعبادة الجاهلية، فنزلت الآية الكريمة تدفع عنهم الإثم والحرج وتوجب عليهم السعي لله تعالى لا للأصنام. فقد ردت عائشة على عروة فهمه وكان ذلك بسبب النزول.

ثالثا - أشكل على بعض الأئمة معنى الشرط في قوله تعالى ﴿**واللّائي يَئِسْنَ مِنَ المحيضِ مِنْ نِسائِكُمْ إنْ ارْتَبْتُم فَعِدَّتُهُنَّ ثلاثَةَ أشهرٍ..**﴾[2] الآية حتى قال الظاهرية إنّ الآيسة: (التي انقطع دم الحيض عليها لكبر السن) لا عدّة عليها إذا لم تَرْتَب، وقد تبيّن خطأ فهمهم بسبب النزول، فإنّ الآية خطاب لمن لم يعلم ما حكمهنّ في العدة؟ وارتاب هل عليهن عدة أم لا؟ فيكون معنى ﴿**إنْ ارتبتم**﴾ أي إن أشكل عليكم حكمهن، وجهلتم كيف يعتدون فهذا هو حكمهن، وقد نزلت هذه الآية بعد أن قال بعض الصحابة: إن عدة بعض النساء لم تذكر في القرآن وهنّ (الصغيرات والآيسات)، فنزلت الآية الكريمة تبيّن حكم عدة كلٍ منهن، والله أعلم.

رابعاً - ومن أمثلة فوائد النزول في دفع توهم الحصر ما روي عن الشافعي رحمه الله في قوله تعالى ﴿**قُلْ لا أجِدُ فيما أُوحِيَ إليَّ مُحرَّماً على طَاعمٍ يَطْعَمُهُ إلاّ أنْ**

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ٤.

يكونَ مَيْتَةً أوْ دَماً مسْفُوحاً أوْ لَحْمَ خِنزيرٍ فَإنَّهُ رِجْسٌ أوْ فِسْقاً أُهِلَّ لغيرِ الله بهِ..﴾[1] الآية فقد قال ما معناه: إن الكفار لما حرّموا ما أحلّ الله، وأحلّوا ما حرّم الله، وكانوا على المضادّة والمحادّة فجاءت الآية مناقضة لغرضهم فكأنه قال: لا حلال إلا ما حرمتموه، ولا حرام إلا ما أحللتموه، فلم يقصد حلّ ما وراءه وإنما القصد إثبات التحريم لا إثبات الحل، قال (إمام الحرمين): وهذا في غاية الحسن ولولا سبق الشافعي إلى ذلك لما كنا نستجيز مخالفة مالك في حصر المحرمات فيما ذكرته الآية[2].

توضيح لمعنى الآيـة الكريمة:

وتوضيحاً لهذه الفكرة أقول: إن ظاهر الآية الكريمة يدل على حصر المحرمات في هذه الأشياء المذكورة في الآية الكريمة وليس الأمر كذلك، فإن هناك محرمات غير هذه، وإنما وردت الآية بصورة الحصر وليس معناها الحصر للرد على المشركين في تحريمهم ما أحلّ الله وتحليلهم لما حرّم الله.

خامساً ـ ومن أمثلة فوائد سبب النزول أن نعرف اسم من نزلت فيه ليزول اللبس والإبهام فقد زعم (مروان) أنّ قوله تعالى ﴿والّذي قَالَ لوالدَيْهِ أفٍ لَكُمَا..﴾[3] الآية أنها نزلت في (عبد الرحمن بن أبي بكر) فردّت عليه عائشة رضي الله عنها هذا الزعم الباطل وبيّنت له سبب نزولها، وتفصيل القصة على ما ذكرها البخاري هي:

« إنّ مروان كان عاملاً على المدينة، فأراد (معاوية) أن يستخلف (يزيد) فكتب الى مروان بذلك، فجمع مروان الناس فخطبهم، فذكر يزيد ودعا الى بيعته، وقال: إن أمير المؤمنين أراه الله في يزيد رأياً حسناً، وإنْ يستَخْلِفه فقد استخلف أبو بكر وعمر، فقال عبد الرحمن، ما هي إلا هرقليّة (يعني انها استبداد للملك كعمل ملوك الروم). فقال مروان: سنّةُ أبي بكر وعمر، فقال عبد الرحمن: (هرقلية)... إنَّ أبا

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤٥.

(٢) أنظر: كتاب الاتقان للسيوطي.

(٣) سورةالأحقاف، الآية: ١٧.

بكر والله ما جعلها في أحد من ولده ولا في أهل بيته، وما جعلها معاوية إلاّ كرامةً لولده، فقال مروان: خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه ﴿والّذي قالَ لوَالديهِ أُفٍ لَكُما أتعِدانني أنْ أُخْرَجَ وقَدْ خَلَتْ القُرُونُ مِنْ قَبْلي..﴾ الآية. فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن، الا ان الله انزل عذري (براءتي) ولو شئتُ أن أسمي من نزلت فيه لسمّيته (١).

ما هو سبب النزول:

قد تحصل واقعة، او تحدث حادثة، فتنزل آية او آيات كريمة في شأن تلك الواقعة او الحادثة، فهذا هو ما يسمى بـ (سبب النزول).. وقد يعرض سؤال على النبي ﷺ بقصد معرفة الحكم الشرعي فيه، أو الاستفسار عن أمر من امور الدين، فتنزل بعض الآيات الكريمة فهذا أيضاً ما يسمى بـ (سبب النزول).

مثال الحادثة ما رواه البخاري عن (خبّاب بن الأرَتّ) رضي الله عنه قال: كنت قيناً (أي حداداً) وكان لي على (العاص بن وائل) دين، فجئت أتقاضاه ديني، فقال لي: لا أعطيك دينك حتى تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزّى، فقلت: لا أكفر حتى يميتك الله ثم يبعثك، فقال: إني إذاً لميّتٌ ثم مبعوث، فانتظرني إلى ذلك اليوم فسأوتي مالاً، وولداً فأوفيك دينك، فأنزل الله عز وجل فيه قوله: ﴿أفرَأيْتَ الّذي كفَرَ بآيَاتِنا وَقالَ لأُوتينَ مالاً وَوَلَداً ★ اطّلَعَ الغيْبَ أم اتّخذَ عِنْدَ الرّحْمَنِ عَهْداً ★ كَلاّ سَنكْتُبُ ما يَقولُ ونَمُدّ لهُ مِنَ العَذابِ مداً ★ ونَرِثُهُ ما يقولُ ويَأتِينا فَرْداً﴾ (٢).

ومثال السؤال ما روي عن (معاذ بن جبل) رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، انّ اليهود تغشانا، ويكثرون مسألتنا عن الأهلّة، فما بال الهلال يبدو دقيقاً ثم يزيد حتى

---

(١) أنظر: صحيح البخاري.
(٢) سورة مريم، الآيات: ٧٧ ـ ٨٠.

يستوي ويستدير ثم ينتقص حتى يعود كما كان؟ فأنزل الله ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالحج..﴾ [1] الآية.

كيف يعرف سبب النزول؟

يظهر مما سبق أن أسباب النزول لا يمكن أن تدرك بالرأي، ولا بدّ فيها من الرواية الصحيحة والسماع، ممن شاهدوا التنزيل، او وقفوا على الاسباب وبحثوا فيها من الصحابة والتابعين وغيرهم ممن اكتسبوا علومهم على أيدي العلماء الموثوقين.. وقد قال (ابن سيرين): سألت (عَبِيدَة) عن آية من القرآن فقال: «اتق الله وقل سَداداً. ذهب الذين يعلمون فيما أنزل الله من القرآن». ويعتمد في معرفة سبب النزول على (النقل الصحيح) فإذا صرّح الراوي بلفظ السبب فهو نص صريح فيه كقول الراوي: سبب نزول هذه الآية كذا وكذا..

وكذلك إذا أتى بفاء تعقيبية داخلة على مادة النزول كقوله (حدث كذا.. او سئل النبي عليه السلام عن كذا فنزلت) فهو نص صريح في سبب النزول أيضاً..

وقد لا تكون الصيغة نصاً في السبب كقولهم (نزلت هذه الآية في كذا..) فقد يراد منه سبب النزول، وقد يراد ما تضمنته الآية من احكام، فيكون مثل قوله: عَنى بهذه الآية كذا.. قال (الزركشي) في البرهان: قد عُرِفَ من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال: نزلت هذه الآية في كذا.. فإنه يريد بذلك أن هذه الآية تتضمن هذا الحكم، لا أن هذا كان السبب في نزولها. وقال (ابن تيمية): قولهم: (نزلت هذه الآية في كذا يراد به تارةً سببُ النزول، ويراد به تارةً أن ذلك داخل في الآية وإن لم يكن السبب فيه).

هل يتعدد سبب النزول؟

كثيراً ما يذكر المفسّرون لنزول الآية أسباباً متعددة، والمعتمد في مثل هذه الحالة أن ننظر الى العبارة التي قالوها، ونستطيع ان نستخلص ما يلي:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.

أولاً: أن يعبّر كل منهما بقوله (نزلت هذه الآية في كذا..) ويذكر أمراً آخر غير الذي ذكره الاول، فيحمل على انه استنباط للحكم، وتفسير لمعنى الآية، فلا منافاة بينهما كما مرّ لأنه ليس بسبب للنزول.

ثانياً: أن يعبّر احدهما بقوله (نزلت الآية في كذا..) ويصرّح الآخر بذكر سبب النزول فالمعتمد هنا (التصريح) مثاله ما رواه في البخاري عن (ابن عمر) رضي الله عنه قال: أنزلت ﴿نساؤكم حَرْثٌ لَكُم..﴾[1] الآية في إتيان النساء في أدبارهنّ، وروى مسلم في صحيحه عن (جابر) رضي الله عنه قال: كانت اليهود تقول: من أتى امرأته من دُبُرها في قُبُلها جاء الولدُ أحول فأنزل الله ﴿نساؤكم حرْثٌ لكمْ..﴾ الآية فالمعتمد هنا الثاني وهو حديث جابر لأنه نص في السبب فهو نقل، وقول ابن عمر ليس بنص فيحمل على انه استنباط للحكم وتفسير له.

ثالثاً: أن يذكر كل واحد سبباً صريحاً للنزول غير الآخر فيعتمد هنا الصحيح دون الضعيف.

مثاله: ما أخرجه الشيخان عن جندب قال: اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة او ليلتين، فأتته امرأة فقالت: يا محمد، ما أرى شيطانك إلا قد تركك فأنزل الله ﴿والضّحى ★ والليلِ إذا سَجَى ★ ما وَدّعَكَ رَبُّكَ ومَا قَلَى﴾[2].

وأخرج (الطبراني): أن جرْواً دخل بيت النبي ﷺ فدخل تحت السرير فمات، فمكث النبي أربعة أيام لا ينزل عليه الوحي، فقال: يا خولة ما حَدَث في بيت رسول الله ﷺ جبريل لا يـأتيني؟ فقلت في نفسي: لو هيأت البيت وكنسته، فأهويت بالمكنسة تحت السرير فأخرجت الجرو، فجاء النبي ترعد لحيته ـ وكان إذا نزل عليه أخذته الرعدة ـ فأنزل الله: ﴿والضّحى والليل إذا سَجَى. إلى قولِه ﴿فتَرْضَى﴾. فنعتمد على الرواية الأولى لأنها في الصحيحين. قال (ابن حجر) في شرح البخاري

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٣.

(٢) سورة الضحى، الآيات: ١ ـ ٣.

قصةُ جبريل بسبب (الجرو) مشهورة لكنْ كونُها سببَ نزول الآية غريب، وفي إسناده من لا يعرف فالمعتمد ما في الصحيح[1].

رابعاً: ان يستوي الاسنادان في الصحة، فنرجح احدهما على الآخر لوجه من وجوه الترجيحات كذكر الراوي انه حضر القصة مثلا او نحو ذلك.

مثاله: ما اخرجه (البخاري) عن ابن مسعود قال: كنت امشي مع النبي ﷺ بالمدينة وهو يتوكأ على عسيب، فمر بنفر من اليهود، فقال بعضهم: لو سألتموه، فقالوا: حدّثنا عن الروح، فقام ساعة ورفع رأسه، فعرفت انه يوحى إليه، حتى صعد الوحي ثم قال: ﴿قُلِ الروحُ مِنْ أمْرِ رَبّي، ومَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاّ قَلِيلاً﴾[2].

وما اخرجه (الترمذي) وصحّحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالت قريش لليهود أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل عنه؟ فقالوا: اسألوه عن الروح، فأنزل الله ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرّوحِ ..﴾ الآية.. فهذه الرواية تقتضي أنها نزلت بمكة، والأولى تقتضي انها نزلت بالمدينة، فترجح الرواية الاولى لأنّ (ابن مسعود) كان حاضر القصة، ثم ما رواه البخاري يرجح على ما رواه غيره.

خامساً: ان تكون كل من الروايتين صحيحة الإسناد، وأن يكون بينهما تقارب في المدة، فتنزل الآية او الآيات بسبب الحادثتين معاً، وننتهي إلى الجمع بين الروايتين.

مثاله: ما أخرجه البخاري عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن هلال بن امية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سمحاء، فقال النبي ﷺ: «البيّنةُ أو حدّ في ظهرك»، فقال يا رسول الله: إذا رأى احدنا مع امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة، فجعل النبي ﷺ يقول «البيّنةُ أو حدٌّ في ظهرك» فقال: والذي بعثك بالحق اني

---

(١) أنظر: الأتقان، صفحة ٣٣.

(٢) سورة الأسراء، الآية: ٨٥.

لصادق، ولينزلن الله تعالى ما يبرّىء ظهري من الحد، فنزل جبريل، وأنزل الله عليه **﴿والّذين يرمونَ أزواجَهُمْ...﴾** حتى بلغ **﴿إنْ كانَ منَ الصّادقِينَ﴾** [1].

وما أخرجه (الشيخان) عن سهل بن سعد قال: جاء (عويمر بن نصر) الى (عاصم ابن عدي) فقال: إسأل رسول الله عن رجل وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فيقتل به أم كيف يصنع؟ فسأل (عاصم) رسول لله ﷺ فعاب السائلَ، فأخبر عاصم عويمراً، فقال: والله لآتينّ رسول الله فلأسألنّه، فأتاه فقال ﷺ: إنه قد أُنزِلَ فيك وفي صاحبتك قرآنٌ وتلا الآية الكريمة **﴿والّذين يَرْمونَ أزْواجَهُم، ولَمْ يَكُنْ لهمْ شُهَداءُ إلا أنفُسهم..﴾** الآية.

وطريق الجمع بينهما ان نقول: إن اول من وقع له ذلك (هلال) وصادف مجيء (عويمر) أيضا فنزل فيهما جميعا.

قال ابن حجر: ولا مانع من تعدد الاسباب.

سادساً: ان لا يمكن الجمع بين الروايات الصحيحة، فيحمل على تعدد النزول وتكرره، لأن المدة بينهما بعيدة.

مثاله: ما روي في الصحيحين عن (المسيّب) قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله وعنده ابو جهل، وعبد الله بن ابي أُمية فقال: أي عم، قل (لا إله إلا الله) كلمة أحاجّ لك بها عند الله، فقال ابو جهل، وعبد الله، أترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزالا يكلمانه حتى قال: هو على ملة عبد المطلب، فقال النبي ﷺ لاستغفرن لك ما لم أنه عن ذلك فنزلت **﴿مَا كانَ للنّبي والّذينَ آمَنوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا للمُشْركين..﴾** [2] الآية.

وما اخرجه الترمذي عن علي (رضي الله عنه) قال: سمعت رجلاً يستغفر لأبويه

---

(١) سورة النور، الآية: ٦.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٣.

وهما مشركان فقلت تستغفر لأبويك وهما مشركان: فقال: استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك، فذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت ﴿ما كان للنبي..﴾ الاية.

وروي أيضاً أن النبي ﷺ خرج يوماً الى المقابر، فجلس الى قبر منها فناجاه طويلاً ثم بكى فقال: « إنّ القبر الذي جلست عنده قبر أمي، وإني استأذنت ربي في الدعاء فلم يأذن لي فأنزل عليّ: ﴿ما كان للنّبيّ والّذينَ آمنوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا للمُشْرِكين﴾ » الآية. قال السيوطي: فيجمع بين هذه الأحاديث بتعدد النزول.

هل العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب؟

اختلف علماء الاصول في مسألة دقيقة وهي: هل العبرة بعموم اللفظ ام بخصوص السبب؟ أي أنه إذا وقعت حادثة فنزلت في شأنها آية كريمة، فهل يقتصر حكم هذه الآية على تلك الحادثة او الواقعة او الشخص الذي نزلت فيه، أم يتعدى الحكم إلى الجميع؟

فجمهور العلماء يذهبون إلى ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهذا هو الصحيح، وهناك رأي آخر بأن العبرة بخصوص السبب.

قال (السيوطي) رحمه الله في كتابه: الاتقان في علوم القرآن.

ومن الأدلة على اعتبار عموم اللفظ احتجاج الصحابة وغيرهم في وقائع بعموم آيات نزلت على أسباب خاصة، كنزول آية الظهار في (سلمة بن صخر) وآية اللعان في شأن (هلال بن أمية) وحد القذف في رماة عائشة، ثم تعدى الحكم إلى غيرهم لعموم اللفظ، وقد ورد عن (ابن عباس) ما يدل على اعتبار العموم، فإنه قال به في آية السرقة مع انها نزلت في امرأة سرقت.. ثم روي عن (نجدة الحنفي) قال: سألت ابن عباس عن قوله تعالى ﴿والسّارِقُ والسّارِقةُ فَاقْطَعُوا أيديَهُما﴾ [1] أخاصٌ أم عامٌ؟ قال: بل عام. قال (ابن تيمية): قد يجيء كثيراً من هذا الباب

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٨.

قولهم:هذه الآية نزلت في كذا - لا سيما إن كان المذكور شخصاً - كقولهم إن آية الظهار نزلت في امرأة (ثابت بن قيس) وإنّ آية الكلالة نزلت في (جابر بن عبد الله)، وان قوله تعالى ﴿أنِ احْكُمَ بَيْنَهُمْ بما أنْزَلَ الله﴾[1] نزلت في بني قريظة وبني النضير، ونظائر ذلك. فالذين قالوا ذلك لم يقصدوا ان حكم الآية يختص بأولئك الأعيان دون غيرهم، فإن هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل على الإطلاق. وقال (الزمخشري) في تفسير سورة الهمزة: يجوز أن يكون السبب خاصاً، والوعيد عاماً ليتناول كلّ من باشر ذلك القبيح، وليكون ذلك جارياً مجرى التعريض[2] والله تعالى أعلم.

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٩.

(٢) انتهى بتصرف من كتاب (الاتقان في علوم القرآن).

الفَصْل الثَالِث

حِكمة نُزُول القُرآن مُفرّقًا

نزول القرآن الكريم:

شرّف الله هذه الأمة المحمدية، فأنزل عليها كتابه المعجز - خاتمة الكتب السماوية - ليكون دستوراً لحياتها، وعلاجاً لمشاكلها، وبَلْسماً شافياً لعِلَلِها وأمراضها، وآية مجدٍ وفخار على اصطفاء هذه الأمة، واختيارها لحمل أقدس الرسالات السماوية، حيث أكرمها الله بإنزال أشرف كتاب، وخصّها بالانتساب الى أشرف مخلوق (محمد بن عبد الله) ﷺ. وبنزول هذا القرآن اكتمل عقد الرسالات السماوية، فشعّ النور على العالم، وسطع الضياء على الكون، ووصلت هداية الله إلى الخلق، وكان هذا النزول بواسطة امين السماء (جبريل) عليه السلام، يهبط به على قلب النبي ﷺ ليبلغه وحي الله، وفي ذلك يقول الله جل ثناؤه: ﴿**نَزَل بهِ الروحُ الامينُ★ على قلبك لتكون من المنذِرين★ بلسان عربيٍ مبين**﴾[1].

كيف نزل القرآن الكريم؟

للقرآن الكريم تنزّلان:

الأول: من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا (جملة واحدة) في ليلة القدر.

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٣ - ١٩٥.

الثاني: من السماء الدنيا إلى الأرض (مفرقاً) في مدة ثلاث وعشرين سنة.

أما التنزّل الأول: فقد كان في ليلة مباركة من ليالي الدهر هي (ليلة القدر) أنزل فيه القرآن كاملاً إلى (بيت العزة) في السماء الدنيا، ويدل عليه عدة نصوص وهي:

آ ـ قوله تعالى: **﴿حم ★ والكِتابِ المبينِ ★ إنّا أنْزَلْناهُ في لَيْلَةٍ مُبارَكةٍ إنّا كُنّا مُنْذِرينَ﴾** (1).

ب ـ وقوله تعالى **﴿إنّا أنزلناه في ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر﴾** (2)

جـ ـ وقوله تعالى: **﴿شهرُ رمضانَ الذي أُنزِلَ فيهِ القرآنُ هُدىً للناسِ وبيناتٍ من الهدى والفرقانِ﴾** (3).

فقد دلت هذه الآيات الثلاث على ان القرآن أُنزل في ليلة واحدة، توصف بأنها مباركة، وتسمّى (ليلة القدر) وهي من ليالي شهر رمضان، ويتعين أن يكون هذا النزول هو النزول الأول الى بيت العزة في السماء، لأنه لو اريد به النزول الثاني على النبي ﷺ لما صحَّ أن يكون في ليلة واحدة، وفي شهر واحد هو (شهر رمضان) لأن القرآن إنما نزل في مدة طويلة هي مدة البعثة ٢٣ سنة، ونزل في غير رمضان في جميع الأشهر، فتعيّن ان يكون المراد به (النزول الأول) وقد جاءت الاخبار الصحيحة تؤيد ذلك منها:

آ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (فُصِلَ القرآنُ من الذّكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا، فجعل جبريل ينزل به على النبي ﷺ) (4).

ب ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء

---

(1) سورة الدخان، الآية: ١ ـ ٣.

(2) سورة القدر، الآيتان: ١، ٢.

(3) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(4) رواه الحاكم.

الدنيا، وكان بمواقع النجوم، وكـان الله ينـزلـه على رسـولـه ﷺ بعضـه في إثـر بعض)[1].

جـ ـ وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (أنزل القرآن في ليلة القدر في شهر رمضان إلى سماء الدنيا جملة واحدة، ثم انزل نجوماً)[2]. قوله نجوماً: أي أجزاء متفرقة..

فهذه الروايات الثلاث رواها السيوطي في كتابه (الاتقان في علوم القرآن) وبيّن انها كلها صحيحة، كما روى (السيوطي) أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سأله (عطيةُ بن الأسود) فقال: (أوقع في قلبي الشك قوله تعالى: ﴿**شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآنُ**﴾ وقوله: ﴿**إنّا أنزلناه في ليلة القدر**﴾ وهذا انزل في شوال، وفي ذي القعدة، وفي ذي الحجّة، وفي المحرم وصفر، وشهر ربيع، فقال ابن عباس: إنه أُنزل في رمضان في ليلة القدر، جملةً واحدة، ثم أُنزل على مواقع النجوم رِسْلا في الشهور والايام).

يريد بقوله (مواقع النجوم) وبقوله (رسلاً) أي انه انزل منجماً مفرقاً، يتلو بعضه بعضاً على تؤدة ورفق. وذكر (السيوطي) أن القرطبي نقل حكاية الاجماع على نزول القرآن جملة من اللوح المحفوظ الى بيت العزة في السماء الدنيا. ولعلّ الحكمة في هذا النزول هي: تفخيم أمر القرآن، وأمر من نزل عليه، بإعلام سكان السموات السبع أنّ هذا آخر الكتب المنزّلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم قد قرّبناه إليهم لننزله عليهم.

قال السيوطي: (ولولا أن الحكمة الالهية اقتضت وصوله اليهم منجماً بحسب الوقائع لهبط به إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزّلة قبله، ولكنّ الله سبحانه باينَ (أي

(١) رواه الحاكم والبيهقي.
(٢) رواه الطبراني.

خالف) بينه وبينها، فجعل له الأمرين: إنزاله جملة، ثم انزاله مفرقاً، تشريفاً للمُنْزل عليه)[1].

٢ ـ التنزيل الثاني:

وأما التنزيل الثاني فقد كان من السماء الدنيا على قلب النبي ﷺ منجّماً (أي مفرقاً) في مدة ثلاث وعشرين سنة وهي من حين البعثة إلى حين وفاته صلوات الله وسلامه عليه. والدليل على هذا النزول وأنه نزل منجماً قول الله تعالى في سورة الإسراء:

أ ـ ﴿وقرآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأهُ عَلَى النّاسِ عَلَى مُكْثٍ، ونَزَّلْناه تَنْزيلاً﴾[2].

وقوله تعالى في سورة الفرقان:

ب ـ ﴿وقالَ الذينَ كَفرُوا لوْلا نُزّل عليْه القُرْآنُ جُمْلَةً واحِدة كَذَلِك لِنُثَبّـتَ بِهِ فُؤَادَكَ ورتّلْناهُ تَرْتيلاً﴾[3].

روي ان اليهود والمشركين عابوا على النبي ﷺ نزول القرآن مفرّقاً، واقترحوا عليه أن ينزل جملة واحدة حتى قال اليهود له: يا أبا القاسم لولا أُنزل هذا القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى، فأنزل الله هاتين الآيتين رداً عليهم، وهذا الرد ـ كما يقول الزرقاني ـ يدل على أمرين:

أحدهما: ان القرآن نزل مفرّقاً على النبي ﷺ.

والثاني: ان الكتب السماوية قبله نزلت جملة، كما اشتهر ذلك بين جمهور العلماء حتى كاد يكون إجماعاً.

---

(١) أنظر: الأتقان، ص ٤٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٠٦.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٣٢.

ووجه الدلالة على هذين الأمرين: أن الله تعالى لم يكذبهم فيما ادّعوا من نزول الكتب السماوية جلة، بل أجابهم ببيان الحكمة في نزول القرآن مفرّقاً ولو كان نزول الكتب السماوية مفرّقاً كالقرآن لردّ عليهم بالتكذيب، وباعلان ان التنجيم هو سنّة الله فيما أنزل على الأنبياء من قبل، كما ردّ عليهم حين طعنوا على الرسول وقالوا: **﴿ما هٰذا الرّسول يأكُلُ الطّعامَ ويَمشي في الأسْواقِ﴾**(١) ردّ عليهم بقوله **﴿وما أرسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ المُرْسَلِينَ إلاّ إنّهُم لَيَأكُلونَ الطّعامَ ويَمْشُونَ في الأسْوَاقِ﴾**(٢).

حكمة نزول القرآن منجماً:

لنزول القرآن الكريم منجماً (أي مفرقاً) حِكَمٌ جليلةٌ، وأسرار عديدة عرفها العالمون، وغفل عنها الجاهلون، ونستطيع أن نجملها فيما يأتي وهي:

أولا: تثبيت قلب النبي ﷺ أمام أذى المشركين.

ثانياً: التلطف بالنبي ﷺ عند نزول الوحي.

ثالثاً: التدرج في تشريع الاحكام السماوية.

رابعاً: تسهيل حفظ القرآن وفهمه على المسلمين.

خامساً: مسايرة الحوادث والوقائع، والتنبيه عليها في حينها.

سادساً: الإرشاد الى مصدر القرآن، وأنه تنزيل الحكيم الحميد.

ولنبدأ بشيء من التفصيل عن هذه الحكم العديدة، التي اجملناها فيما سبق فنقول ومن الله نستمد العون:

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٢٠. انظر مناهل العرفان. ص ٤٦.

أولا: أما الحكمة الاولى وهي (تثبيت قلب النبي ﷺ) فقد ذكرتها الآية الكريمة في معرض الرد على المشركين، حين اقترحوا أن ينزل القرآن جملة واحدة كما نزلت الكتب السماوية السابقة فردّ الله عليهم بقوله ﴿**كذلك لنثبّت به فؤادك ورتّلناه ترتيلاً**﴾ (١) وتثبيت قلب النبي ﷺ انما هو رعاية من الله وتأييد لرسوله أمام تكذيب خصومه له وإيذائهم الشديد له ولأتباعه، فقد كانت الايات الكريمة تنزل على رسول الله ﷺ (تسلية) له وشحذاً لهمته للمضيّ في طريق الدعوة مهما اعترضته المصاعب والشدائد، وتقوية لقلبه الشريف، فقد تعهّده الله سبحانه وتعالى بما يخفف عنه الشدائد والآلام، فكان اذا اشتد الأذى عليه نزلت الآيات تسلية له وتخفيفاً عمّا يلقاه، وكانت التسلية تارة عن طريق قصص الأنبياء والمرسلين ليقتدي بهم في صبرهم وجهادهم كما قال تعالى ﴿**وَلَقَدْ كُذِّبتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبرُوا على ما كُذِّبوا وأوْذُوْا حتّى أتاهم نصرنا..**﴾ (٢) الآية. وقوله تعالى ﴿**فَاصْبِرْ كمَا صَبَرَ أولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرّسُلِ**﴾ (٣) وقوله ﴿**واصْبِرْ لِحُكْمِ ربّكَ فإنّكَ بأعْيننا**﴾ (٤).

وقد أوضح الباري جلّت عظمته الحكمة من ذكر قصص الأنبياء فقال وهو أصدق القائلين: ﴿**وكلاً نَقُصّ عَلَيْكَ مِنْ أنْباء الرّسُل ما نُثبّت به فُؤادَكَ، وَجَاءَكَ في هذِه الحَقّ ومَوْعِظَةٌ وذِكْرَى للمؤمنين**﴾ (٥) وتارة كانت التسلية عن طريق الوعد بالنصر والتأييد للنبي ﷺ كقوله تعالى ﴿**وينْصُرُكَ اللهُ نصراً عزيزاً**﴾ (٦) وكقوله ﴿**ولقد سَبَقَتْ كلمتُنا لعبادنا المُرْسَلين ★ إنهم لهم المَنْصُورون وَإنّ جُنْدَنا لهمُ الغالِبُون**﴾ (٧).

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٤.

(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

(٤) سورة الطور، الآية: ٤٨.

(٥) سورة هود، الآية: ١٢٠.

(٦) سورة الفتح، الآية: ٣.

(٧) سورة الصافات، الآيات: ١٧١ ـ ١٧٣.

وأخرى تكون التسلية عن طريق إخبار الرسول باندحار اعدائه وانهزامهم كما في قوله تعالى ﴿سيهزمُ الجمعُ ويولّونَ الدبُـر﴾ [1] وقـولـه ﴿قُـلْ للـذيـن كفـرُوا ستُغلَبُون وتُحْشَرونَ إلى جهنم وبِئْسَ المهاد﴾ [2]. إلى آخر ما هنالك من ألوان في التخفيف عن قلب الرسول، وتطييب نفسه وفؤاده، ولا شك أن في تجدد نزول الوحي، وتكرّر هبوط الأمين جبريل بالآيات البينات، التي فيها تسلية للنبي ﷺ وفيها الوعد بالنصر والحفظ والتأييد، كان لها أعظم الأثر في تثبيت قلب الرسول لمتابعة الدعوة، والمضيّ في تبليغ الرسالة الإلهية؛ لأنّ الله معه، وهل يشعر بالخذلان والفتور من كانت عناية الله تحوطه وعينه ترعاه؟

ثانياً ـ أما الحكمة الثانية وهي: (التلطف بالنبي ﷺ) عند نزول الوحي، فقد كانت بسبب روعة القـرآن وهيبتـه، كما قـال تعـالى ﴿إنّـا سَنُلْقـي علَيْـكَ قَـوْلاً ثَقيلاً﴾ [3] فالقرآن ـ كما هو مقطوع به ـ كلام الله المعجز، الذي له جلال ووقار، وهيبة وروعة وهو الكتاب الذي لو نزل على جبلٍ لتفتّت وتصدّع من هيبته وجلاله كما قال تعالى ﴿لَوْ أنزَلْنا هذا القُرآنَ على جبلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدّعاً من خشْيَةِ الله..﴾ [4] فكيف اذا بقلب النبي الرقيق، هل يستطيع ان يتلقّى جميع القرآن دون أن يتأثر ويضطرب ويشعر بروعة القرآن وجلاله!! ولقد اوضحت السيدة عائشة حالة الرسول حين ينزل عليه القرآن، وما يلاقيه من شدة وهول من أثر التنزيل، فقالت: (كما رواه البخاري) ولقد رأيته حين ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه (اي ينفصل) وإن جبينه ليتفصد عرقاً). يتفصد: أي يتصبب عرقاً وذلك من شدة الوحي ووطأته على النبي ﷺ..

ثالثاً: وأما الحكمة الثالثة وهي: (التدرج في تشريع الاحكام) فقد كانت جليّة

---

(١) سورة القمر، الآية: ٤٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢.

(٣) سورة المزمل، الآية: ٥.

(٤) سورة الحشر، الآية: ٢١.

واضحة، حيث سلك القرآن الكريم مع البشرية - وخاصة منهم العرب - طريق الحكمة ففطمهم عن الشرك، وأحيا قلوبهم بنور الإيمان، وغرس في نفوسهم حبّ الله ورسوله، والايمان بالبعث والجزاء، ثم انتقل بهم بعد هذه المرحلة - مرحلة تثبيت دعائم الإيمان - الى العبادات فبدأهم بالصلاة قبل الهجرة، ثم ثنّى بالصوم وبالزكاة في السنة الثانية من الهجرة، ثم ختم بالحج في السنة السادسة منها، وكذلك فعل في العادات المتوارثة. زجرهم اولا عن الكبائر، ثم نهاهم عن الصغائر في شيء من الرفق، وتدرج بهم في تحريم ما كان مستأصلاً في نفوسهم كالخمر والربا والميسر، تدرجاً حكيماً، استطاع بذلك ان يقتلع الشرّ والفساد من جذوره اقتلاعاً كاملاً، ولنأخذ بعض الأمثلة على ذلك التشريع الحكيم، الذي نجح في انتهاجه القرآن، في معالجة الأمراض الاجتماعية (تحريم الخمر) الذي كان داءً مستشرياً عند العرب، كيف استطاع ان يمحوه ويقضي عليه الإسلام؟ لقد انتهج القرآن في تحريمه أربع مراحل، كما هو الشأن في تحريم الربا، فلم يحرّمه دفعة واحدة لانهم كانوا يتعاطون شرب الخمر كما يشرب الواحد منا الماء الزلال، فلم يكن من الحكمة ان يحرّمه عليهم دفعة واحدة، وانما حرمه بالتدريج، فبدأ اولاً بالتنفير منه بطريق غير مباشر فنزل قوله تعالى ﴿**ومِنْ ثَمرَاتِ النّخيلِ وَالأعنابِ تتّخذونَ مِنْهُ سَكَراً ورزقاً حَسَناً..**﴾ (١) الآية فقد اخبر تعالى أنّه قد أنعم على الناس بهاتين الشجرتين (النخيل، والاعناب) يستخرجون منها (السّكَرَ) أي الخمر الذي يسكر و (الرزق الحسن) الذي ينتفع منه الناس من مأكول ومشروب، فمدح الثاني ووصفه بأنه رزق حسن، وأخبر عن الأول بأنه (سَكَر) اي شيء يسكر ويذهب بعقل الإنسان وبهذه المباينة في الوصف يتّضح لكل عاقل الفارق الكبير بين الأمرين المذكورين.

المرحلة الثانية: جاء التنفير المباشر عن طريق المقارنة العملية بين شيئين: شيء فيه نفع مادي ضئيل، وشيء فيه ضرر جسمي وصحي وعقلي جسيم، وفيه كذلك زيادة

---

(١) سورة النحل، الآية: ٦٧.

على الاضرار العظيمة مهلكة للإنسان عن طريق وقوعه في الإثم الكبير. استمع إلى قوله تعالى ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمرِ والمَيْسَرِ، قُلْ: فيهما إثمٌ كَبيرٌ، ومنافِعُ للنّاسِ وإثْمُهُما أكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما..**﴾[1] الآية. والمراد بالمنافع هنا: المنافع المادية التي كانوا يستفيدونها من وراء التجارة والبيع للخمر حيث يربحون منها، كما يربحون من وراء الميسر، وقد جمع القرآن بين الخمر والميسر في الآية الكريمة، ولا شك ان النفع في الميسر (مادي) بحت حيث يربح بعض المقامرين فكذلك في الخمر.

قال العلامة القرطبي في تفسيره عند تفسير هذه الآية: قوله تعالى ﴿**ومَنَافع للنّاس**﴾ (أما في الخمر فربح التجارة، فإنهم كانوا يجلبونها من الشام بِرُخصٍ، فيبيعونها في الحجاز بربح، هذا أصح ما قيل في منتفعها). وبالمقارنة بين هذين الشيئين تبيّن ان الاسلام نفر من الخمر عن طريق بيان اضرارها الجسيمة ولكنه لم يحرّمها. وقد روي في سبب نزول هذه الآية ان جماعة من المسلمين فيهم عمر بن الخطاب جاءوا الى الرسول الكريم فقالوا يا رسول الله: اخبرنا عن الخمر؟ فإنها مَذهَبَةٌ للعقل، مَضْيَعةٌ للمال، منهكة للجسم؟ فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿**يسألونك عنِ الخمْرِ والميْسر..**﴾ الآية.

وفي المرحلة الثالثة: كان التحريم للخمر، ولكنه كان (تحريماً جزئياً) حيث نزل قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذينَ آمنُوا لا تَقْرَبُوا الصّلاة وأنتم سُكارى حتى تعلموا ما تقولون...**﴾[2] الآية. فقد حرّم الله عليهم الخمر وقت الصلاة فقط حتى يصحوا من سكرهم، فكان المسلمون يشربونها ليلاً وفي غير أوقات الصلاة، وقد روي في سبب نزول هذه الآية أن (عبد الرحمن بن عوف) صنع وليمة فدعا اليها بعض الصحابة، قال (علي بن ابي طالب): فدعانا وسقانا الخمر، فأخذت الخمر منّا، وحضرت الصلاة فقدّموني لأصلي بهم إماماً فقرأت (قُلْ يا أيها الكَافِرون. أعبُدُ ما

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٣.

تَعْبُدونَ. ونَحْنُ نَعْبُدُ ما عَبَدْتُمْ) الى آخر ذلك أي أنه لسكره غيّر فيها، فنزلت الآية الكريمة.

وفي المرحلة الرابعة: وهي المرحلة الأخيرة كان التحريم الكلي، القاطع المانع، حيث نزل قوله تعالى **﴿يَا أيها الّذينَ آمَنُوا إنّما الخمْرُ والمَيْسر والأنْصابُ والأزلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلّكُمْ تُفْلِحُون★ إنّما يُرِيدُ الشّيْطانُ أنْ يُوقِعَ بَيْنَكُم العَداوةَ وَالبَغْضاءَ في الخَمْرِ والمَيْسر، ويصدّكم عن ذكرِ الله وعن الصلاةِ، فَهَلْ أنْتُم مُنْتَهُون..﴾**[1]؟ وسبب نزول هذه الآيات الكريمة على ما ذكره المفسرون هو: أن بعض الصحابة صلوا العشاء ثم شربوا الخمر وجلسوا يتسامرون، فلعبت الخمر في رؤوسهم وكان فيهم (حمزة بن عبد المطلب) عمّ النبي ﷺ، وكانت جارية صغيرة تنشدهم وتغنّيهم، فقالت ضمن نشيدها:

ألا يـــا حمزُ للشُـــرُفِ النَـــوّاء وهُـــنَّ مُعَقّلاتٍ بـــالفنـــاء

تهيّج حمزة على النوق (الابل) التي كانت بجوار الدار، فقام حمزة فجبّ اسنمة ناقتي (عليّ) وبقر خاصرتيهما - وهو في حالة السكر - فأخبر عليّ بذلك فتألّم اشد الألم وذهب الى النبي ﷺ يشكو اليه ما فعل عمه (حمزة) فجاء النبي ﷺ اليه يعاتبه ويلومه على صنيعه، فجعل حمزة ينظر اليه نظرة غريبة (يصوّب بصره ويُخفّضه) ثم خاطبه النبي ﷺ ومن معه بقوله: وهم انتم إلا عبيد لأبي؟ فعلم رسول الله ﷺ ان عمه ثَمِلٌ (أي سكران) فلم يؤاخذه، فقال عمر عندئذ: اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً، فـأنـزل الله **﴿إنما الخمـر والميسر والأنصـاب والأزلام رجْسٌ﴾** الآيـة. وهكذا تم تحريم الخمر تحريماً (بالتـدرج)، فكان في ذلك اعظم حكمة جليلة سلكها الاسلام في معالجة الامراض الاجتماعية، وقد جاء في كتاب (مناهل العرفان) للزرقاني ما نصّه: (وتدرّج الاسلامُ بهم في تحريم ما كان مستأصلاً فيهم كالخمر، تدرجاً حكيماً حقق الغاية، وانقذهم من كابوسها في النهاية، وكان الاسلام في انتهاج هذه الخطة

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٩٠، ٩١.

المثلى أبعد نظراً، وأهدى سبيلاً، وأنجح تشريعاً، وأنجع سياسة، من تلكم الأمم المتمدنة المتحضرة التي افلست في تحريم الخمر على شعوبها افظع إفلاس، وفشلت أمرّ فشل، وما عهد امريكا في مهزلة تحريمها الخمر ببعيد!! أليس ذلك إعجازاً للإسلام في سياسة الشعوب، وتهذيب الجماعات، بلى والتاريخ من الشاهدين.

اما الحكمة الرابعة: فهي: (تسهيل حفظ القرآن) على المسلمين، وفهمهم وتدبرهم له، فمن المعلوم ان العرب كانوا أميين (أي لا يقرأون ولا يكتبون) وقد سجّل القرآن الكريم عليهم ذلك في قوله تعالى ﴿**هو الذي بعث في الأمّيّينَ رسُولاً منْهُم يَتْلُو علَيْهِمْ آياتِهِ..**﴾ [1] الآية. كما كان صلوات الله عليه أمياً كذلك ﴿**الذين يتّبعون الرّسُولَ النبيَّ الأميَّ**﴾ [2] فاقتضت حكمة الله ان ينزل كتابه المجيد (منجماً) ليسهل حفظه على المسلمين، لأنهم كانوا يعتمدون على ذاكرتهم، فكانت صدورُهم اناجيلهم، كما ورد في وصف امة محمد ﷺ، وأدوات الكتابة لم تكن ميسورة لدى الكاتبين منهم على ندرتهم، فلو نزل القرآن جملة واحدة لعجزوا عن حفظه، وعجزوا بالتالي عن تدبّره وفهمه!!

اما الحكمة الخامسة: فهي: (مسايرة الحوادث والوقائع في حينها) والتنبيه على الاخطاء في وقتها، فإن ذلك اوقع في النفس وأدعى الى أخذ العظة والعبرة منها عن طريق (الدرس العملي) فكلّما جدّ منهم جديد نزل من القرآن ما يناسبه، وكلما حصل منهم خطأ او انحراف نزل القرآن بتعريفهم وتنبيههم الى ما ينبغي اجتنابه ولطلب عمله ونبههم الى مواطن الخطأ في ذلك الوقت والحين، خذ مثلاً على ذلك (غزوة حنين) فقد دخل الغرور الى نفوس المسلمين، وقالوا قولة الإعجاب والاغترار لما رأوا عددهم يزيد على عدد المشركين أضعافاً مضاعفة، حينذاك داخلهم العجب فقالوا (لن نُغلَب اليوْمَ مِنْ قِلّة) وكانت النتيجة انكسارهم وانهزامهم وتوليتهم الأدبار، وفي ذلك يقول القرآن الكريم ﴿**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إذْ أعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً**،

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

وضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الأرْض بِمَا رَحُبَتْ ثُمّ وَلّيْتُمْ مُدْبِرينَ﴾ [1] ولو ان القرآن نزل جملة واحدة لما أمكن التنبيه على الخطأ في حينه، إذ كيف يتصور ان تنزل الآيات في شأن المؤمنين واغترارهم ولم تحدث بعد تلك الواقعة او الغزوة؟ وكذلك الحال في اخذ الفداء من الأسرى في (بدر) حيث نزل التوجيه السماوي الرائع **﴿مَا كان للنّبي أنْ يَكُونَ لهُ أسْرى حتى يثْخنَ في الأرْضِ ..﴾** [2] الآية.

أما الحكمة السادسة: فهي: (الإرشاد إلى مصدر القرآن الكريم وأنه تنزيل الحكيم الحميد) وفي هذه الحكمة الجليلة يجدر بنا أن ننقل نصّ ما كتبه العالم الفاضل الشيخ (محمد عبد العظيم الزرقاني) في كتابه: مناهل العرفان حيث جاء برائع البيان فقال رحمه الله تعالى: (الإرشاد إلى مصدر القرآن،وأنه كلام الله وحده، وأنه لا يمكن أن يكون كلام محمد ﷺ ولا كلام مخلوق سواه..). وبيان ذلك: أن القرآن الكريم نقرؤه من أوله إلى آخره فإذا هو محكم السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب، قويّ الاتصال، آخذ بعضه برقاب بعض في سُوَره وآياته وجُمَلِهِ، يجري دم الإعجاز فيه كلّه من ألفه إلى يائه، كأنه سبيكة واحدة، ولا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك ولا تخاذل، كأنه سِمْط وحيد، وعقد فريد، يأخذ بالأبصار، نظّمت حروفه وكلماته، ونسّقت جُمَلُه وآياته.. وهنا نتساءل: كيف اتسق للقرآن هذا التأليف المعجز؟ وكيف استقام له هذا التناسق المدهش؟ على حين أنّه لم يتنزّل جملة واحدة، بل تنزّل آحاداً مفرّقة تفرّقَ الوقائع والحوادث في أكثر من عشرين عاماً!!

الجواب: أننا نلمح هنا سراً جديداً من أسرار الإعجاز، ونشهد سمةً فَذّة من سِمَات الربوبية ونقرأ دليلاً ساطعاً على مصدر القرآن وأنه كلام الواحد الديّان **﴿ولو كانَ من عندِ غيرِ الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾** [3]؟ وإلاّ فحدّثني بربك كيف

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٥.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٧.

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٢.

تستطيع أنت؟ أم كيف يستطيع الخلق جميعاً أن يأتوا بكتاب محكم الإتصال والترابط، متين النسج والسّرْد، متآلف البدايات والنهايات، مع خضوعه في التأليف لعوامل خارجة عن مقدور البشر، وهي (وقائع الزمن وأحداثه) التي يجيء كل جزء من أجزاء هذا الكتاب تبعاً لها، ومتحدثاً عنها، سبباً بعد سبب، وداعية إثْر داعية، مع اختلاف ما بين هذه الدواعي، وتغاير ما بين تلك الأسباب، ومع تراخي زمان هذا التأليف، وتطاول آماد هذه النجوم إلى أكثر من عشرين عاماً لا ريب أن هذا الانفصال الزماني، وذاك الاختلاف الملحوظ بين هاتيك الدواعي، يستلزمان في مجرى العادة (التفكك والانحلال) ولا يدعان مجالاً للارتباط والاتصال، بين نجوم هذا الكلام. أما القرآن الكريم فقد خرق العادة في هذه الناحية أيضاً.. نزل مفرّقاً منجماً، ولكنّه تمّ مترابطاً محكماً، أليس ذلك برهاناً ساطعاً على أنه كلام خالق القُوَى والقُدَر، ومالك الأسباب والمسبّبات، ومدبّر الخلق والكائنات، وقيّوم الأرض والسموات، العليم بما كان وما سيكون، الخبير بالزمان وما يحدث فيه من شؤون؟؟

لاحظ فوق ما أسفلنا أن رسول الله ﷺ كان إذا أنزلت عليه آية أو آيات قال: «ضعوها في مكان كذا، من سورة كذا» وهو بشر لا يدري طلعاً ما ستجيء به الأيام، ولا يعلم ما سيكون في مستقبل الزمان، ولا يدرك ما سيحدث من الدواعي والأحداث، فضلاً عمّا سينزل من الله فيها.. وهكذا يمضي العمر الطويل والرسول على هذا العهد، يأتيه الوحي بالقرآن نجماً بعد نجم، وإذا القرآن كلّه بعد هذا العمر الطويل يكمل ويتم، وينتظم ويتآخى، ويأتلف ويلتئم، ولا يؤخذ عليه أدنى تخاذل ولا تفاوت، بل يُعْجِزُ الخلقَ طراً، بما فيه من انسجام ووحدة وترابط ﴿ **كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ** ﴾[1]!!

وإنه ليستبين لك سرّ هذا الإعجاز إذا ما علمت أن محاولة مثل هذا الاتّساق والانسجام، لن يمكن أن يأتي على هذا النمط الذي نزل به القرآن، ولا على قريب من هذا النمط، لا في كلام الرسول ﷺ ولا كلام غيره من البلغاء وغير البلغاء.. خذ

(١) سورة هود، الآية: ١.

مثلاً (حديث النبي ﷺ) وهو ما هو في روعته وبلاغته وطهره وسموّه، لقد قاله الرسول ﷺ في مناسبات مختلفة، لدواع متباينة، في أزمات متطاولة، فهل في مكنتك ومكنة البشر معك أن ينظموا من هذا السَرْد الشتيت وحده، كتاباً واحداً يصقله الاسترسال والوحدة، من غير أن ينقصوا منه، أو يتزيدوا عليه، أو يتصرفوا فيه؟؟ ذلك ما لَنْ يكون، ولا يمكن أن يكون، ومن حاول ذلك فإنما يحاول العبث، ويخرج للناس بثوب مرقّع، وكلام ملفّق، ينقصه الترابط والانسجام، ويُعوزُه الوحدة والاسترسال، وتمجّه الأسماع والأفهام. إذن: فالقرآن الكريم ينطق نزوله منجماً بأنه كلام الله وحده، وتلك حكمة جليلة الشأن، تدلّ الخلق على الحق في مصدر القرآن!! ﴿قل أنزله الذي يعلم السرّ في السّموَاتِ والأرْض إنّه كانَ غفُوراً رَحيماً.﴾ (١)!!

كيف تلقى النبيّ ﷺ القرآن؟

تلقى النبي ﷺ القرآن بواسطة أمين الوحي (جبريل) عليه السلام، و(جبريل) تلقاه عن ربّ العزّة جلّ جلاله، وليس لجبريل الأمين سوى تبليغ كلام الله وإيحائه للرسول ﷺ.. فالله جلّت حكمته قد أنزل كتابه المقدس على خاتم أنبيائه بواسطة (أمين الوحي) جبريل، وعلّمه جبريل للرسول، وبلّغه الرسول لأمته، وقد وصف الله (جبريل) عليه السلام بأنه أمين على الوحي، يبلّغه كما سمعه عن الله تعالى ﴿إنّهُ لَقوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ★ ذِي قُوّةٍ عِنْدَ ذِي العَرْشِ مَكِينٍ★ مُطَاعٍ ثَمّ أمينٍ﴾ (٢) وقال تعالى في وصفه أيضاً: ﴿نَزَلَ بِهِ الرّوح الأمين★ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرينَ﴾ (٣) أمّا حقيقة الكلام، وحقيقة المُنْزِل فإنما هو كلام الله، وتنزيل رب العالمين، كما قال تعالى ﴿وإنَكَ لتُلقى القُرْآن مِنْ لَدُن حَكِيم عليم﴾ (٤) وقد كان

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦. أنظر مناهل العرفان: ١/ ٥٤.

(٢) سورة التكوير، الآيات: ١٩ ـ ٢١.

(٣) سورة الشعراء، الآيتان: ١٩٣ ـ ١٩٤.

(٤) سورة النمل، الآية: ٦.

صلوات الله عليه يعاني عند نزول القرآن شدّة، وكان يحاول أن يجهد نفسه من أجل حفظ القرآن، فيكرّر القراءة مع جبريل حين يتلو عليه القرآن، خشية أن ينساه أو يضيع عليه شيء منه، فأمره الله تعالى بالإنصات والسكوت عند قراءة جبريل عليه، وطمأنه بأنه تعالى سيجعل هذاالقرآن محفوظاً في صدره، فلا يتعجل في أمره، ولا يجهد نفسه في تلقّيه ﴿**ولا تعْجَل بالقُرْآن مِنّ قبْل أن يُقضى إلَيْكَ وَحْيُهُ وقُلْ رَبّ زِدْني علماً**﴾ (١) وأما تَكَفّلُ الله تعالى له بالحفظ فقد جاء في قوله سبحانه ﴿**لا تُحَرّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بهِ ★ إنّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وقُرْآنَه★ فإذا قرأناه فاتّبع قُرْآنه★ ثُمّ إنّ عَلَيْنَا بيانَه**﴾ (٢) وقد كان جبريل يدارس النبي ﷺ القرآن في رمضان، فينزل جبريل على رسول الله ويستمع له القرآن، فيقرأ الرسول بين يديه، وجبريل يستمع، ويقرأ جبريل والنبي يستمع، وهكذا يدارسه في كل رمضان ما نزل من القرآن مرّةً واحدة، وقبل وفاته ﷺ نزل عليه جبريل مرتين في رمضان فدارسه القرآن حتى لقد شعر عليه الصلاة والسلام ـ من نزول جبريل مرتين عليه ـ بدنوّ أجله، وقال لعائشة رضي الله عنها: « إن جبريل كان ينزل عليّ فيدارسني القرآن مرة واحدة في رمضان، وقد نزل عليّ هذا العام مرتين، وما أراني إلا قد اقترب أجلي »..وقد كان الأمر كذلك فقد انتقل في ذلك العام إلى جوار ربه صلوات الله وسلامه عليه وانقطع بوفاته نزول الوحي.

أما كيف تلقّى جبريل القرآن عن الله عز وجل، فقد تقدّم معنا أنه كان سماعاً حيث سمع من الله عز وجل هذه الآيات فنزل بها على رسول الله.. قال البيهقي في معنى قوله: ﴿**إنّا أنزَلْنَاهُ في لَيْلَةِ القَدْرِ**﴾ (٣) يريد ـ والله أعلم ـ (إنّا أسمعنا الملَكَ وأفهمناه إيّاه وأنزلناه بما سمع..) انتهى .. ومعنى هذا أن جبريل أخذ القرآن عن الله تعالى سماعاً ويؤيده ما روي في الحديث الشريف: « إذا تكلّم الله بالوحي

(١) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٢) سورة القيامة، الآيات: ١٦ ـ ١٩.

(٣) سورة القدر، الآية: ١.

أخذت السماء رجْفةٌ شديدة من خوف الله، فإذا سمع أهل السماء صعقوا، وخرّوا سُجّداً، فيكون أوّلهم يرفع رأسه (جبريل) فيكلّمه الله بوحيه بما أراد، فينتهي به إلى الملائكة، فكلّما مرّ بسماء سأله أهلها ماذا قال ربنا؟ قال: الحق، فينتهي به حيث أُمِرَ». رواه الطبراني.

قال (الزرقاني) في كتابه مناهل العرفان: (وقد أسَفّ بعض الناس فزعم أن جبريل كان ينزل على النبي ﷺ بمعاني القرآن، والرسول يعبّر عنها بلغة العرب.. وزعم آخرون أن اللفظ لجبريل وأن الله كان يوحي إليه المعنى فقط.. وكلاهما قول باطل أثيم، مصادم لصريح الكتاب والسنّة والإجماع، ولا يساوي قيمة المِدَاد الذي يُكْتَبُ به، وعقيدتي أنه مدسوس على المسلمين في كتبهم، وإلاّ فكيف يكون القرآن حينئذٍ معجزاً واللفظ لمحمد أو لجبريل؟ ثم كيف تصحّ نسبته إلى الله واللفظ ليس لله؟ مع أن الله يقول ﴿حتى يَسمَعَ كلامَ الله﴾ [1] إلى غير ذلك مما يطول بنا تفصيله [2].

هل السنة النبويةُ بوحيٍ من الله؟

تقدّم معنا أن القرآن الكريم (كلام الله) ومعنى ذلك أن (اللفظ والمعنى) هو من عند الله، ولا دخل لجبريل أو لمحمد فيه سوى التبليغ عن الله عز وجل، أما السنة النبوية فإنها بوحي كذلك من الله ولكنّ اللفظ للرسول والمعنى من عند الله، لأن الله تعالى يقول ﴿ومَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى ★إن هُوَ إلاّ وحي يوحى﴾ [3]. وقد نقل السيوطي عن (الجويني) أنه قال: (كلام الله المنزّل قسمان: قسم قال الله لجبريل: قل للنبي الذي أنْتَ مُرْسَلٌ إليه إنْ الله يقول: إفعَلْ كذا وكذا، وأمر بكذا وكذا، ففهِمَ جبريل ما قاله ربه ثم نزل على ذلك النبي وقال له ما قاله ربه، ولم تكن العبارة تلك العبارة، كما يقول الملكُ لمن يثق به: قل لفلانٍ يقول لك الملك: اجتهد في الخدمة،

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٦.

(٢) أنظر: مناهل العرفان، ص ٤٢.

(٣) سورة النجم، الآيتان: ٣ ـ ٤.

واجع جندك للقتال.. فإن قال الرسول: يقول لك الملكُ: لا تتهاون في خدمتي، ولا تترك الجند يتفرق، وحُثّهم على القتال.. الخ لا ينسب إلى كذب ولا تقصير.. وقسم آخر قال الله لجبريل: اقرأ على النبي هذا الكتاب، فنزل به جبريل من الله من غير تغيير، كما يكتب الملك كتاباً ويسلمه إلى أمين ويقول اقرأه على فلان.. قال السيوطي: القرآن هو القسم الثاني والقسم الأول هو السنة، ومن هنا جاز رواية السنة بالمعنى بخلاف القرآن).

الفَصْلُ الـرَّابعُ

جَـمْعُ القُـرآن

جمع القرآن في عهد النبوة:

جَمِعَ القرآنُ الكريم في عهدين: عهد النبوة، وعهد الخلفاء الراشدين، وقد كان لكل جمع خصائصه ومزاياه، وكلمة (جمعٍ) تطلق أحياناً ويراد منها الحفظ والاستظهار في صدور الرجال، وتطلق تارة ويراد منها الكتابة والتسجيل في الصحائف والأوراق.. وقد كان لجمع القرآن في عصر النبوة الأمران معاً:

أولاً: الجمع في الصدور، عن طريق الحفظ والاستظهار.

ثانياً: الجمع في السطور، عن طريق الكتابة والنقش.

وسنتحدث عن كلا الجمعين بشيء من التفصيل، ليتبين لنا العناية الفائقة بالقرآن العظيم وكتابته وتدوينه، مما لم يسبق لكتاب سماوي أن نال من الرعاية والعناية والاهتمام كما ناله القرآن الكريم، كتاب الله المجيد، ومعجزة محمد الخالدة.

جمع القرآن في الصدور:

نزل القرآن الكريم على النبي الأميّ، فكانت همتّه منصرفة إلى حفظه واستظهاره ليحفظه كما نزل عليه، ثم يقرأه على الناس على مُكْث ليحفظوه ويستظهروه، ضرورة

أمه نبيّ أميّ بعثه الله إلى العرب الأميين[1] ﴿**هُوَ الَّذي بَعَثَ في الأُميّينَ رَسُولاً منهم، يتلو عليهم آياتهِ، ويزكّيهم ويعلمهم الكتابَ والحكمةَ..**﴾[2] الآية. ومن شأن الأمي ـ في العادة ـ أن يعتمد على حافظته وذاكرته، لأنه لا يقرأ ولا يكتب، ولقد كانت الأمة العربية على عهد نزول القرآن، تتمتع بخصائص العروبة الكاملة، التي فيها قوة الذاكرة، وسرعة الحفظ، وسيلان الأذهان، وكان العربي يحفظ مئات الآلاف من الأشعار ويعرف الأحساب والأنساب، فيستظهرها عن ظهر قلب، ويعرف التواريخ وقلّ أن تجد منهم من لا يعدّ لك الحسب والنسب، أو من لا يحفظ (المعلقات العشر) على كثرة أشعارها، وصعوبة حفظها!!

ثم جاءهم القرآن الكريم فبهرهم بقوة بيانه، وروعة أحكامه، وجلال سلطانه فأخذ عليهم مشاعرهم، واستحوذَ على عقولهم وأفكارهم، حتى صرف هممهم إلى الكتاب المجيد فيمّموا وجوههم نحوه، يحفظونه ويستظهرون آياته وسوره، وتركوا الشعر لأنهم وجدوا في القرآن روح الحياة!!

أما النبي ﷺ فقد بلغ من حرصه الشديد على حفظ القرآن أن يحيي الليل بتلاوة آيات القرآن في الصلاة، عبادةً وتلاوة وتدبراً لمعانيه، حتى تفطّرت قدماه الشريفتان من كثرة القيام امتثالاً لأمر الله العلي الكبير ﴿**يا أيها المزّملُ ★قمِ الليلَ إلاّ قليلاً★ نِصْفَه أوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ★ أوْ زِدْ عَلَيْهِ ورتّلِ القُرْآنَ تَرْتيلاً**﴾[3] لذلك فلا عجب أن يكون ﷺ سيّد الحفاظ، وأن يجمع القرآن في قلبه الشريف، ويكون مرجع المسلمين في كل ما يعنيهم من أمر القرآن العظيم[4]!.

وأما الصحابة رضوان الله عليهم فقد كانوا يتسابقون إلى تلاوة القرآن ومدارسته، ويبذلون قصارى جهدهم لاستظهاره وحفظه، ويعلّمونه أزواجهم وأولادهم في

---

(١) انظر مناهل العرفان للزرقاني.

(٢) سورة الجمعة، الآية: ٢.

(٣) سورة المزمل، الآيات: ١ ـ ٤.

(٤) من مناهل العرفان للزرقاني بتصرف.

البيوت، حتى لقد كان الذي يمر ببيوت الصحابة في غسق الدّجى، يسمع فيها دوياً كدَوِيّ النحل بالقرآن، حتى كان صلوات الله عليه يمر على بعض دور الأنصار، فيقف على بعضهم يستمع القرآن في ظلام الليل..

أخرج البخاري عن (أبي موسى الأشعري) أن رسول الله ﷺ قال له: «لو رأيتني البارحة وأنا أستمع لقراءتك؟ لقد أعطيت مزماراً من مزامير آل داود»..

وزاد في رواية لمسلم: فقلت: لو علمتُ والله يا رسول الله أنّك تستمع لقراءتي لحبّرتُه لك تحبيراً. وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالليل بالقرآن، وإن كنتُ لم أرَ منازلهم بالنهار». رواه الشيخان.

وقد اشتهر كثير من الصحابة بحفظ القرآن الكريم، وكان الرسول ﷺ يُذْكي فيهم روح العناية بحفظ القرآن، ويبعث إلى المدن والقرى من يعلمهم ويقرئهم، كما بعث - قبل الهجرة - (مصعب بن عمير) و(ابن أم مكتوم) إلى أهل المدينة، يعلّمانهم الإسلام، ويقرئانهم القرآن، وكما بعث (معاذ بن جبل) إلى مكة للتحفيظ والتعليم بعد هجرته ﷺ.

قال (عبادة بن الصامت): (كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي ﷺ إلى رجل منا يعلّمه القرآن، وكان يُسمع لمسجد رسول الله ﷺ ضجة بتلاوة القرآن، حتى أمرهم رسول الله أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا).

ومن هنا كان حفّاظ القرآن في حياة الرسول ﷺ لا يحصون، ويكفي أن نعلم أن عدد الذين استشهدوا في (معركة اليمامة) يزيد عددهم على سبعين من كبار الحفاظ، كما قتل مثل هذا العدد في عهد الرسول ببئر معونة.. قال القرطبي: (قُتل يوم اليمامة سبعون من القراء وقتل في عهد رسول الله ببئر معونة مثل هذا العدد). أي: أن عدد الذين استشهدوا من الحفظة ١٤٠. ولقد كانت أشرف خصوصية لهذه الأمة المحمدية أن يكون هذا الكتاب المقدس محفوظاً في صدورها، وأن تعتمد في نقله على حفظ القلوب والصدور، لا على كتابته في المصاحف والسطور فحسب.. بخلاف أهل

الكتاب الذين لا نجد منهم من يحفظ التوراة أو الانجيل، وإنما يعتمدون في حفظها على الكتب المسطّرة، ولا يقرأونه إلا نظراً، لا عن ظهر قلب، ولهذا دخل إليها التحريف والتبديل، أما القرآن الكريم فقد حفظه الله بعنايته الإلهية، فيسّره للحفظ **﴿ولقد يسّرنا القرآنَ للذكْرِ فهلْ منْ مدّكرْ﴾**[1] وصانه من التحريف والتبديل بطريق حفظه في السطور، وحفظه في الصدور ومصداقاً لقوله تعالى **﴿إنّا نَحْنُ نزّلنَا الذّكْرَ، وإنّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾**[2] وهذا ـ بلا شك عناية من الله خاصة بهذا القرآن المجيد، وشرف عظيم اختص الله به هذه الأمة المحمدية حيث جعل أناجيلها في صدورها، وأنزل عليها كتاباً لا يغسله الماء ولله درّ القائل:

الله أكبـــرُ إنّ ديـــن محمـــد ... وكتـابـهُ أقـوى وأقـوم قيـــلا
لاتُـذكـرُ الكتـبُ السـوالفُ عنـده ... طلـع الصبـاحُ فـأطفـىء القنـديلا

جمع القرآن في السطور:

وأما المزية الثانية لهذا القرآن العظيم فهو جمعه وكتابته في المصحف، فقد كان لرسول الله ﷺ كتّاب للوحي، كلما نزل شيء من القرآن أمرهم بكتابته، مبالغة في تسجيله وتقييده، وزيادة في التوثق والضبط، والاحتياط الشديد في كتاب الله عز وجل، حتى تظاهر الكتابةُ الحفظ، ويعاضد التسجيلُ المسطورُ، ما أودعه الله في الصدور.. وكان هؤلاء الكتّاب من خيرة الصحابة اختارهم رسول الله ﷺ من المجيدين المتقنين، ليتولوا هذه المهمة العظيمة.. وقد اشتهر منهم (زيد بن ثابت، وأُبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، ومعاوية بن أبي سفيان، والخلفاء الراشدون) وغيرهم من الصحابة الأجلاّء رضوان الله عليهم أجمعين.

روى الشيخان عن أنسٍ رضي الله عنه أنه قال: (جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار: أبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، قيل

---

(١) سورة القمر، الآية: ١٧.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩.

لأنسٍ: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي) وهؤلاء هم مشاهير كتّاب الوحي وإلاّ فهناك من الصحابة الجمع الكبير الذين كانوا يكتبون القرآن، وكثير منهم كان له مصحف خاص كتب فيه ما سمعه أو حفظه من رسول الله ﷺ لمصحف ابن مسعود، ومصحف عليّ، ومصحف عائشة وغيرهم.

طريقة الكتابة:

وأما طريقة الكتابة فقد كانوا يكتبون القرآن على العُسُب[1]، واللّخّاف[2] والرّقاع[3]، وعظام الأكتاف وغيرها، ذلك لأنه صنع الورق لم يكن مشتهراً عند العرب، وقد كان عند بعض الأمم الآخرين كالفرس والروم، ولكنّه كذلك كان نادراً فلم يكن منتشراً، فكان العرب يكتبون على ما يقع تحت أيديهم مما يصلح للكتابة، روي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: (كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع) أي نجمعه وكان هذا التأليف عبارة عن (ترتيب الآيات) حسب إرشاد النبي ﷺ وبأمر من الله تبارك وتعالى ولهذا اتفق العلماء على أن جمع القرآن (توقيفي) يعني أن ترتيبه بهذه الطريقة التي نراه عليها اليوم في المصحف إنما هو بأمرٍ ووحيٍ من الله، فقد ورد أن جبريل عليه السلام كان ينزل بالآية أو الآيات على النبي فيقول له: يا محمد إنّ الله يأمرك أن تضعها على رأس كذا من سورة كذا، وكذلك كان الرسول يقول للصحابة: ضعوها في موضع كذا.

جمع القرآن في عهد أبي بكر:

انتقل رسول الله ﷺ إلى جوار الله، بعد أن أدّى الرسالة، وبلّغ الأمانة، ونصح الأمة، وهدى الناس إلى دين الله القويم، وتولّى الخلافة بعده (أبو الصديق) رضي الله عنه وأرضاه، وقد واجهته ـ في خلافته ـ خطوب جسيمة، وشدائد عظيمة، ومشاكل

(١) العسب: جمع عسيب وهو جريد النخل، كانوا يكشفون الخوص، ويكتبون في الطرف العريض.

(٢) اللخاف: جمع لخفة بفتح اللام وسكون الخاء وهي الحجارة الرقيقة.

(٣) الرقاع: جمع رقعة. وهي قد تكون من جلد أو ورق أو غيرها من أدوات الكتابة.

صعاب، منها حروب الردّة التي وقعت بين المسلمين، وبين أتباع (مسيلمة الكذّاب) وكانت معركة (اليمامة) معركة حامية الوطيس، وقد استشهد فيها كثير من قرّاء الصحابة، ومن حفظه القرآن يزيد عددهم على (٧٠) سبعين من كبار الحفّاظ، وقد هال ذلك المسلمين، وعزّ الأمر على (عمر) فدخل على (أبي بكر) فوجده في حزنٍ وألم، فأشار عليه أن يجمع القرآن خشية الضياع بموت الحفّاظ، فتردّد (أبو بكر) أوّل الأمر، ثم رأى أن يأخذ بإشارة (عمر) بعد أن تبيّن له وجه المصلحة، وشرح الله صدره لذلك العمل الجليل، فأرسل إلى (زيد بن ثابت) وعرض عليه الأمر، وطلب منه أن يقوم بجمع القرآن في مصحفٍ واحد، ولكنّ (زيداً) تردّد في باديء الأمر، ثم شرح الله صدره للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر.. وقد روى البخاري في صحيحه قصة هذا الجمع ننقلها بنصّها لأهميتها.

رواية البخاري.

عن (زيد بن ثابت) رضي الله عنه أنه قال:

(أرسل إليَّ أبو بكر رضي الله عنه مقتل أهل اليمامة (أي عقب استشهاد الحفّاظ السبعين في معركة اليمامة) فإذا عمر جالسٌ عنده، فقال أبو بكر: إن عمر جاءني فقال: (إن القتل قد استَحَرّ (أي كثرِ واشتدّ) يوم اليمامة بقرّاء القرآن، وإني أخشى أن يستمرّ القتل بالقرّاء في كل المواطن فيذهب من القرآن كثير، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، فقلت: وكيف أفعل ما لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال: عمر رضي الله عنه: هو واللهِ خيرٌ، فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله تعالى صدري للذي شرح الله له صدر عمر، ورأيت في ذلك الذي رأى.. قال زيد: فقال أبو بكر إنك رجل شاب عاقل، لا نتّهمك، كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبّع القرآن وأجمعه.. قال زيد: فوالله لو كلّفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عَليّ مما أمرني به.. فقلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال أبو بكر: هو والله خير، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر.. فتتبّعت القرآن أجمعه من اللّخاف، والعُسُب، وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة

مع (أبي خزيمة الأنصاري) لم أجدها عند أحدٍ غيره ﴿لقدْ جاءكُمْ رَسُولٌ مِنْ أنفُسِكُمْ..﴾ إلى ﴿وَهوَ ربّ العَرْشِ العَظِيمِ﴾ [1] أي: إلى آخر السورة.. فكانت الصحف عند (أبي بكر) حتى توفاه الله تعالى، ثم عند (عمر) حتى توفاه الله تعالى، ثم عند (حفصه بنت عمر) رضي الله عنهم أجمعين. فهذه الرواية دلّت على (سبب جمع القرآن). «رواه البخاري».

تساؤلات حول جمع القرآن:

وهنا أسئلة ينبغي الإجابة عليها بشيء من التفصيل ونحن نوجزها فيما يلي:

أولاً: لماذا تردّد (أبو بكر) عن جمع القرآن مع أنه شيء حسن وأمر يوجبه الاسلام؟

والجواب عن ذلك: أن (أبا بكر) رضي الله عنه خشي أن يتساهل الناس في استظهار القرآن وحفظه غيباً ويعتمدوا على وجوده في المصاحف فتضعف نفوسهم عن الحفظ، وتصبح رغبتهم ضعيفة في حفظه واستظهاره اعتماداً على أنه مسطّر وموجود في مصاحف مطبوعة يمكنهم قراءة القرآن بها، أما قبل أن توجد المصاحف فقد كان الجميع يسعون جهدهم لحفظ القرآن هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى: فإن أبا بكر الصديق كان رجلاً وقافاً عند حدود الشرع، مقتفياً لآثار الرسول ﷺ فقد خشي أن يكون بعمله هذا مبتدعاً شيئاً لا يحبه رسول الله، ولهذا قال لعمر: (كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله)؟ ولعله كان يخاف أن يسوقه الإنشاء والاختراع إلى الوقوع في المخالفة والابتداع. ولكنّه لما رأى الأمر خطيراً والفكرة ـ في حد ذاتها ـ وسيلة من أعظم الوسائل لحفظ الكتاب الشريف والمحافظة عليه من الضياع والتحريف، وأيقن أنها ليست من الأمور الخارجة ولا من البدع المستحدثة عزم على جمع القرآن، وظلّ يقنع زيداً بذلك حتى شرح الله صدره فقام بتنفيذ ذلك الأمر الخطير والله اعلم.

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ١٢٨ ـ ١٢٩.

ثانياً: لماذا اختار أبو بكر (زيد بن ثابت) من بين الصحابة الكرام لهذا العمل الجليل؟

والجواب عن ذلك: أن زيداً رضي الله عنه قد اجتمع فيه من المواهب العظيمة التي تؤهله لجمع القرآن ما لم يجتمع في غيره من الرجال، إذ كان من حفّاظ القرآن، ومن كتّاب الوحي لرسول الله، وشهد (العَرْضة الأخيرة) للقرآن في ختام حياته ﷺ.. وكان فوق ذلك معروفاً بشدة ورعه، وعِظَم أمانته، وكمال خُلُقه، واستقامة دينه، وكان معروفاً بالنبوغ والذكاء، وهذا ما أشار إليه كلام أبي بكر في رواية البخاري حين استدعاه وقال له: (إنك رجل شاب عاقل لا نتّهمك، كنت تكتب الوحي لرسول الله)..

فلهذه الخصال والمزايا الحميدة اختاره أبو بكر الصديق لجمع القرآن.. ومما يدّل على شدة وَرَع زيد بن ثابت أنه قال: (فوالله لو كلّفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقلَ عليّ مما أمرني به) الحديث.

ثالثاً: ما هو المقصود من قول زيد في رواية البخاري (حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة لم أجدها عند غيره)؟.

والجواب عن ذلك: أن زيداً رضي الله عنه لم يجد هذه الآيات مكتوبةً عند أحدٍ من الصحابة إلاّ عند أبي خزيمة الأنصاري، وليس المراد أنها لم تكن محفوظة، إذ أن زيداً نفسه كان يحفظها، وكان كثير من الصحابة يحفظونها، ولكنه أراد أن يجمع بين (الحفظ والكتابة) كما سنبينه إن شاء الله زيادة في التوثق ومبالغة في الاحتياط، وعلى ذلك النهج الرشيد تمّ جمع القرآن.

الخطة الرشيدة في جمع القرآن:

وقد انتهج (زيد بن ثابت) في جمع القرآن خطةً رشيدة في غاية الدقّة والإحكام، فيها ضمان لحياطة هذا الكتاب المجيد، بما يليق به من تثبت بالغٍ، وحذرٍ دقيق، فلم يكتف بما حفظ في قلبه ولا بما كتب بيده، ولا بما سمع بأذنه، بل جعل يتتبّع ويستقصي آخذاً على نفسه أن يعتمد في جمع القرآن على مصدرين اثنين:

أ ـ ما كان محفوظاً في صدور الرجال.

ب ـ ما كُتِبَ بين يدي رسول الله ﷺ.

فلا بدّ أن يتضافر الأمزان (الحفظ والكتابة) وبلغ من شدة حرصه واحتياطه أنه كان لا يقبل شيئاً من المكتوب حتى يشهد شاهدان عدلان أنه كُتِبَ بين يدي رسول الله ﷺ. يدل عليه الحديث الذي رواه (أبو داود) في سننه قال: (قدم عمر فقال: من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأت به، وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعُسب وكان لا يقبل من أحدٍ شيئاً حتى يشهد شاهدان). ويدل عليه كذلك ما رواه أبو داود أيضاً أن أبا بكر رضي الله عنه قال لعمر، ولزيد: (اقعدا على باب المسجد فمن جاء كما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه). قال ابن حجر: المراد بالشاهدين: الحفظ، والكتابة.. وقال السخاوي المراد (أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله ﷺ) وذلك غاية في التثبت والدقة والإحكام من الصدّيق رسمه منهجاً لزيد بن ثابت رضي الله عنهم أجمعين.

مزايا مصحف أبي بكر الصديق:

امتازت الصحف التي جمعت في عهد أبي بكر الصديق في (مصحف واحد) بعدة مزايا أهمها:

أولاً: التحرّي الدقيق التام، والتثبّت الكامل.

ثانياً: لم يسجّل في المصحف إلا ما ثبت عدم نسخ تلاوته.

ثالثاً: إجماع الأمة عليه، وتواتر ما سجّل فيه من الآيات القرآنية.

رابعاً: شمول المصحف للقراءات السبع التي نقلت بالنقل الثابت الصحيح.

وهذه المزايا جعلت الصحابة يلهجون بالثناء العاطر على أبي بكر الصديق حيث القرآن الكريم من الضياع، وذلك بتوفيق من الله عز وجل ومدد من عنده، وقد قال (عليّ بن أبي طالب) كرّم الله وجهه: (أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، هو أول من جمع كتاب الله). ولقد أصبح جمع القرآن منقبةً

خالدة لا يزال التاريخ يذكرها بالجميل والثناء العاطر لأبي بكر في التوجيه والإشراف، ولزيد بن ثابت في التنفيذ والعمل رضوان الله عليهم أجمعين. وجمع القرآن في مصحف واحد في عهد أبي بكر لا يعني أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يكن لديهم مصاحف كتبوا فيها القرآن من قبل، فإن ذلك لا ينافي أن يكون لبعض الصحابة مصحف خاص، ولكن هذه المصاحف لم تظفر بما ظفر به مصحف أبي بكر من دقة البحث والتحري، والاقتصار على ما لم تنسخ تلاوته، ومن بلوغه حدّ التواتر، ومن اجماع الأمة عليه، ومن شموله للأحرف السبعة (القراءاتّ السبع) كما تقدّم، فهذا (علي) رضي الله عنه كأن له مصحف خاص كتبه في بدء خلافة أبي بكر، وعزم ألاّ يخرج إلا للصلاة حتى ينتهي من كتابته...

روى السيوطي عن (محمد بن سيرين) عن (عكرمة) أنه قال: لما كان بدء خلافة أبي بكر، قعد علي بن أبي طالب في بيته، فقيل لأبي بكر: قد كره بيعتك، فأرسل إليه فقال: أكرهتَ بيعتي؟ فقال: رأيت كتاب الله يُزاد فيه فحدّثت نفسي ألاّ ألبس ردائي إلا لصلاة حتى أجمعه، قال له أبو بكر: فإنك نعم ما رأيت[1] فقد كان له مصحف ولكنه كما يروى عن ابن سيرين كان فيه الناسخ والمنسوخ فلم يكن مثل مصحف أبي بكر.

لماذا لم يجمع القرآن في مصحف واحد؟

ونتساءل هنا: لماذا لم يجمع القرآن الكريم في مصحف واحد في زمن النبي ﷺ؟ والجواب عن ذلك:

أولا:: إن القرآن لم ينزل مرة واحدة وإنما نَزَل مفرّقاً، ولا يمكن جمعه قبل أن يتكامل النزول.

ثانياً: إنّ بعض الآيات كانت تنسخ، وإذا كان القرآن عرُضَةً للنسخ فكيف يمكن أن تجمع في مصحف واحد.

(١) أنظر: كتاب الاتقان للسيوطي.

ثالثاً: إن ترتيب الآيات والسور لم يكن على حساب النزول فقد تنزل بعض الآيات في أواخر الوحي بينما يكون ترتيبها في أوائل السور الكريمة وهذا يقتضي تغيير المكتوب.

رابعاً: كانت المدّة بين نزول آخر ما نزل وبين وفاته ﷺ قصيرة جداً، وقد تقدّم في الفصل الأول أن آخر ما نزل من القرآن قوله تعالى **﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ..﴾**[1] الآية. وقد انتقل رسول الله إلى جوار ربه بعد نزولها بتسع ليال، فالمدة إذاً قصيرة، ولا يمكن جمعه قبل تكامل النزول.

خامساً: لم يوجد من دواعي الجمع في مصحف واحد مثل ما وجد في عهد أبي بكر، فقد كان المسلمون بخير، والقرّاء كثيرون، والفتنة مأمونة، بخلاف ما حصل في عهد أبي بكر من مقتل الحفّاظ حتى خاف على ضياع القرآن.

والخلاصة: إن القرآن لو جمع في مصحف واحد والحال على ما ذكرنا لكان القرآن عرضة للتغيير والتبديل كلما وقع نسخ، أو حدث سبب، مع أن أدوات الكتابة لم تكن ميسورة. والظروف لا تساعد على ترك المصحف القديم، والأعتماد على المصحف الجديد، لأنه لا يمكن أن يكون في كل شهر أو يوم مصحف يجمع كل ما نزل من القرآن ولكنْ لما استقرّ الأمر بختام التنزيل، ووفاة الرسول، وأُمِنَ النسخَ، وعرف الترتيب أمكن جمعه في مصحف واحد، وهذا ما فعله الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه وجزاه عن القرآن والمسلمين -خير الجزاء.

جمع القرآن في عهد عثمان.

أما جمع القرآن في عهد عثمان فقد كان له سبب آخر غير السبب الذي حدث في عهد أبي بكر. فقد اتسعت الفتوحات الإسلامية في عهد عثمان، وتفرّق المسلمون في الأقطار والأمصار، واشتهر في كل بلدان من البلاد الإسلامية قراءة الصحابي الذي علّمهم القرآن، فأهل الشام كانوا يقرأون بقراءة (أبيّ بن كعب) واهل الكوفة كانوا

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

يقرأون بقراءة (عبد الله بن مسعود) وغيرهم كان يقرأ بقراءة (أبي موسى الأشعري)، فكان بينهم اختلاف في حروف الأداء، ووجوه القراءات، حتى كاد الأمر يصل إلى النزاع والشقاق، بينهم، وكاد بعضهم يكفّر بعضاً بسبب (اختلاف القراءة).

روي عن أبي قلابة أنه قال: (لما كانت خلافة عثمان، جعل المعلّم (المقرىء) يعلّم قراءة الرجل، والمعلّم يعلّم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون، حتى ارتفع إلى المعلّمين، حتى كفّر بعضهم بعضاً، فبلغ ذلك عثمان فخطب فقال: أنتم عندي تختلفون، فمن نأى (أي بعد) عني من الأمصار فهم أشدّ اختلافاً). لهذه الأسباب والأحداث رأى عثمان بثاقب رأيه، وصادق نظره، أن يتداوك الخرق قبل أن يتّسع على الراقع، وأن يستأصل الداء قبل أن يصعب الدواء، فجمع أعلام الصحابة، ورجال الرأي والبصر فيهم، واستشارهم في علاج تلك الفتنة، وعلاج ذلك الاختلاف، فأجمعوا أمرهم على أن يستنسخ أمير المؤمنين مصاحف عديدة، ويبعث إلى كل بلد أو مصر بمصحف منها، وأن يأمر الناس بإحراق كل ما عداها، حتى لا يبقى ثمة طريق للنزاع والاختلاف في وجوه القراءة، فشرع ـ رضي الله عنه ـ بتنفيذ هذا القرار الحكيم، فعهد إلى أربعة من خيرة الصحابة، وثقات الحفّاظ وهم (زيد بن ثابت) و (عبد الله بن الزبير) و (سعيد بن العاص) و (عبد الرحمن بن هشام) وقد كانوا جميعاً من قريش من المهاجرين إلا (زيد بن ثابت) فقد كان من الأنصار، وكان هذا العمل الجليل سنة ٢٤ هجرية، وقال لهؤلاء إذا اختلفتم في شيء من وجوه القراءة فاكتبوه بلغة قريش، فإنّ القرآن نزل بلغتهم. وطلب عثمان من (حفصه بنت عمر) أن تعطيه المصحف الذي كان عندها، والذي جمعه أبو بكر لينسخ منه عدة نسخ ثم يعيده إليها، ففعلت.

سبب جمع عثمان للقرآن الكريم:

روى البخاري عن أنس بن مالك أنه قال::

(أن (حذيفة بن اليمان) قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية

وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفةَ اختلافهُم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يـا أمير المؤمنين أدرك هـذه الأمـة قبـل أن يختلفـوا في الكتـاب اختلاف اليهـود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا المصحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصه وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق)[1] «رواه البخاري».

الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان:

الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان: ونستطيع مما سبق أن نعرف الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان، وهو أن الجمع في عهد أبي بكر كان عبارة عن نقل القرآن وكتابته في مصحف واحد مرتب الآيات، جمعه اللخاف والعُسُب والرّقاع، وكان سبب الجمع (موت الحفّاظ)، وأما جمع عثمان فقد كان عبارة عن نسخ عدة نسخ من المصحف الذي جمع في عهد أبي بكر لترسل إلى الآفاق الإسلامية. وكان سبب الجمع إنما هو (اختلاف القرّاء) في قراءة القرآن، والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) انظر: صحيح البخاري، باب جمع القرآن.

الفصل الخامس

التفسير والمفسرون

أنزلَ اللهُ كتابه العظيم، ليكون دستوراً للمسلمين، ومنهاجاً يسيرون عليه في حياتهم، فيستضيئون بضيائه، ويهتدون بهديه، ويقبسون من تعاليمه الرشيدة، ونُظمه الحكيمة ما يجعلهم في أوج السعادة والعزّة، ويرفع بهم إلى ذُرَى المجد والكمال، ويؤهلهم إلى قيادة ركب الانسانية، ويجعلهم السادة والقادة في هذه الحياة، يسيرون بالأمم إلى حياة العزة والكرامة، ويوصلونهم إلى شاطيء الأمن والاستقرار والسلام.

ولا ريب أن البشرية تتخبط اليوم في ظلمات الشقاوة والجاهلية، وتغرق في بحار التحلّل وعبادة المال، وليس لها من منقذ إلا الإسلام، عن طريق الاسترشاد بتعاليم القرآن ونظمه الحكيمة، التي روعيت فيها جميع عناصر السعادة للنوع البشري، على ما أحاط به علم الخالق الحكيم، ومن البَدَهي أن العمل بهذه التعاليم لا يكون إلا بعد فهم القرآن وتدبّره، والوقوف على ما حوى من نصح وإرشاد، وهذا لا يتحقق إلا عن طريق الكشف والبيان، لما تدل عليه آيات القرآن، وهو ما نسميه بـ (علم التفسير) خصوصاً في هذه العصور الأخيرة التي فسدت فيها ملكة البيان العربي، وضاعت فيها خصائص العروبة، حتى من سلائل العرب أنفسهم. فالتفسير هو المفتاح لهذه الكنوز والذخائر، التي احتواها هذا الكتاب المجيد، وبدونه لا يمكن الوصول إلى هذه الكنوز والذخائر، واللآليء والجواهر، مهما بالغ الناس في ترديد ألفاظ القرآن، وقرءوا آياته في كل صباح ومساء.

وإنه لمن المؤسف أن يكتفي المسلمون من القرآن بألفاظ يردّ دونها، وأنغام يلحّنونها، في المآتم والمقابر، وعند الاحتفالات الرسمية، ثم لا يكون للقرآن نصيب منهم إلا الطرب بالسماع أو التبرك بالتلاوة، وهذا ما عناه الرسول ﷺ بقوله «يتّخذون القرآن مزامير» وقد نسي المسلمون أو تناسوا أن بركة القرآن العظمى إنما هي في تدبره وتفهمه، وفي الاهتداء بهديه، والاستفادة من تعاليمه وتوجيهاته، ثم الوقوف عند أوامره ومراضيه، والبعد عن مساخطه ونواهيه، والله تعالى يقول: ﴿كتابٌ أنْزَلْنَاهُ إلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ ولْيَتَذَكَّرَ أولُو الألبَابِ﴾ (١) ويقول سبحانه ﴿أفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرآنَ؟ أمْ على قُلُوبٍ أقْفالُها﴾ (٢) ويقول جلّ ذكره: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ للذِّكْرِ، فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ؟﴾ (٣).

فما أشبه المسلمين اليوم بالرجل العطشان يموت من الظمأ والماء بين يديه، أو بالحيوان يهلك من الجوع والعطش والزاد والماء على ظهره، وما أجمل قول القائل:

كالعِيس في البَيْداء يقتلها الظمَا ... والماءُ فوق ظهورها محمولُ

ولقد صدق رسول الله ﷺ حين قال:

«لقد تركت فيكم أمرين، لن تضلوا ما تمسكتم بهما بعدي أبداً، كتاب الله، وسنتي» (٤).

لماذا نفسّر القرآن؟

أسئلة تخطر ببال كل إنسان.. وتجول في كل فكر «لماذا نفسّر القرآن»؟ ألنجيد قراءته، ونتقن تلاوته؟

---

(١) سورة ص، الآية: ٢٩.

(٢) سورة محمد، الآية: ٢٤.

(٣) سورة القمر، الآية: ١٧، والآية: ٢٢، والآية: ٣٢.

(٤) الحديث رواه أصحاب السنن.

أم لنزيل الستار عن غامض معانيه؟
أم لنجلو أسراره، ونبرز محاسنه؟

لا .. لا .. ليس لهذا، ولا لذاك فقط، بل لنتحرر من عبادة العباد، وتبعية البشر، إلى عبادة رب العباد جلّ وعلا .. ونربط الفرد والجماعة بخالق العوالم، ومدبّر الكون، ربّ السموات العُلَى، وربّ العرش العظيم!!

فالقرآن الكريم دستور الأمة، وهداية الخالق، وشريعة الله لأهل الأرض، وهو النور الرباني، والهدي السماوي، والتشريع العام الخالد، الذي تكفّل بكل ما يحتاج إليه البشر في أمور دينهم ودنياهم. ولا عجب فهو كتاب كامل، ونظام شامل، يشمل جوانب الحياة بأجمعها، في العقائد. والعبادات. والأخلاق. والمعاملات. وفي السياسة والحكم. وفي السّلْم والحرب. وفي الشئون الاقتصادية والعلاقات الدولية. فهو كتاب جامع أنزله الله تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون، وهو في ذلك كله حكيم كل الحكمة، لا يعتريه خلل ولا اختلاف، فلا عجب أن كانت السعادة لا تنال إلا بهديه، والتزام ما جاء به، فهو شفاء لما في الصدور، وعلاج لما حلّ أو يحلّ بالمجتمع من شرور. **﴿ونُنزّل مِنَ القُرآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ للمُؤمِنينَ، ولا يزيد الظّالمين إلاّ خساراً﴾**.[1]

الفرق بين التفسير والتأويل:

التفسير في اللغة هو: الإيضاح والتبيين. قال تعالى **﴿وَلا يَأتونَكَ بِمَثَلٍ إلاّ جِئْنَاكَ بالحقِّ وأحْسنَ تَفْسيراً﴾**[2]، فقولنا: فسّر بمعنى: بيّن ووضّح، وكلام مفسّر: أي واضح ظاهر. وأما التفسير في الاصطلاح فهو: علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيّه محمد ﷺ، وبيان معانيه، وإستخراج أحكامه وحكمه[3]. وعرّفه غيره بأنه

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٣٣.
(٣) التعريف للزركشي من كتاب البرهان ص١٣.

(علمٌ يُبْحثُ فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية[1].

معنى التأويل:

وأما التأويل فهو لغةً من الأول بمعنى الرجوع، فكأن المفسّر أرجع الآية إلى ما يحتمله من المعاني. ويرى بعض العلماء أن التأويل مرادف للتفسير حتى قال صاحب القاموس: أوّل الكلام تأويلاً، وتأوّله بمعنى: دبّره وقدره وفسّره، ومنه قوله تعالى ﴿ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وابْتِغَاءَ تأويلِهِ﴾[2] أما في الاصطلاح فهو عند المتقدمين بمعنى التفسير، فيقال تفسير القرآن، ويقال تأويل القرآن، بمعنى واحد. قال (ابن جرير الطبري) في تفسيره: (القولُ في تأويل قوله تعالى كذا.. واختلف أهل التأويل في هذه الآية...) يريد بذلك أهل التفسير.

وقال (مجاهد): إن العلماءَ يعملون تأويله (يعني القرآن) ويريد تفسير معناه. وذهب فريق من العلماء إلى أن بين (التفسير والتأويل) فرقاً جلياً وقد اشتهر هذا عند المتأخرين.

التفسير: هو المعنى الظاهر من الآية الكريمة.

وأما التأويل: فهو ترجيح بعض المعاني المحتملة من الآية الكريمة التي تحتمل عدة معان. وقد أفاض العلامة (السيوطي) في كتابه (الاتقان في علوم القرآن) في هذا البحث ونقل نقولاً كثيرة عن العلماء نكتفي بأجمعها وأقربها إلى الصواب وهو أن نقول (بأن التفسير هو كشف معاني القرآن الظاهرة، والتأويل ما استنبطه العارفون من المعاني الخفية والاسرار الربانية اللطيفة التي تحملها الآية الكريمة). وهذا الذي اخترناه هو الذي ذهب اليه (الألوسي) رحمه الله حيث قال:

(قد تعورف عن المؤلفين من غير نكير أن التأويل معانٍ قدسية، ومعارف ربانية

---

(١) انظر: مناهل العرفان للزرقاني.

(٢) سورة آل عمران، جزء من الآية: ٧.

تنهل من سحب الغيب على قلوب العارفين، والتفسير غير ذلك..)

والخلاصة: أن التفسير هو المعاني الظاهرة من القرآن الكريم التي هي واضحة الدلالة على المعنى المراد لله عز وجل. والتأويل؛ هو المعاني الخفية التي تستنبط من الآيات الكريمة والتي تحتاج إلى تأمل وتفكر واستنباط والتي تحتمل عدة معانٍ فيرجّح المفسّر منها ما كان أقوى عن طريق النظر والاستدلال، وليس هذا الترجيح بقطعي بل هو ترجيح للأظهر والأقوى إذ الحكم بأنه المراد القطعي تحكم في كتاب الله، والله تعالى يقول ﴿**وما يعْلَم تأويلهُ إلاّ الله..**﴾ (1) الآية. والله أعلم.

أقسام التفسير

يقسم التفسير حسب الاصطلاح العلمي الدقيق إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: (التفسير بالرواية)، وهذا الذي يسمّى التفسير بالنقل أو التفسير بالمأثور.

ثانياً: (التفسير بالدراية) وهذا الذي يسمّى التفسير بالرأي.

ثالثاً: (التفسير بالإشارة) وهو الذي يسميه العلماء (التفسير الإشاري)

وسنتحدث عن كل قسمٍ من هذه الأقسام بالتفصيل إن شاء الله ونوضّح السليم من

القِسْمُ الأوّل

التَفسِيرُ بالرِّوَايَة

هو ما جاء في القرآن، أو السنة، أو كلام الصحابة، بياناً لمراد الله تعالى تفسير القرآن بالسنة النبوية، فالتفسير المأثور إما أن يكون تفسير القرآن بالقرآن، أو تفسير القرآن بالسنة النبوية أو تفسير القرآن بالمأثور عن الصحابة.

أ ـ مثال ما جاء تفسيره في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**أُحِلّت لَكُمْ بَهيمةُ الأنعامِ إلا ما يُتْلى علَيْكُم..**﴾ (2). فقد جاء تفسير قوله ﴿**إلاّ ما يُتْلى علَيْكُم**﴾

(1) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(2) سورة المائدة، الآية: ١.

في آية كريمة أخرى هي قوله تعالى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ والدَّم ولحم الخنْزِير ومَا أُهِلَّ لِغَيرِ الله به..﴾[1] الآية. وكذلك قوله تعالى: ﴿والسَّمَاء والطَّارِق﴾[2] جاء تفسير الطارق في نفس السورة ﴿النجم الثاقب﴾[3] وكذلك قوله تعالى ﴿فتَلَقى آدمُ مِنْ رَبّه كلماتٍ فتَابَ عليْهِ﴾[4]. الآية. جاء تفسير الكلمات التي تلقاها آدم في موطن آخر من القرآن، وهي قوله تعالى ﴿قَالا رَبّنا ظَلَمْنَا أنفُسَنَا وإنْ لم تَغْفِرْ لَنَا وتَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرينَ﴾[5].

ومن الأمثلة أيضاً على تفسير القرآن بالقرآن قوله تعالى ﴿إنّا نزَلْنَاه في لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾[6] جاء تفسير الليلة المباركة بأنها ليلة القدر في قوله جلّ ذكره ﴿إنّا أنْزَلْنَاهُ في لَيْلَةِ القَدْرِ﴾[7] إلى آخر ما هنالك.

ب ـ ومثال ما جاء في السنة المطهّرة تفسيراً وشرحاً للقرآن أنه ﷺ فسّر الظلم بالشرك في قوله سبحانه ﴿الذينَ آمنُوا ولَمْ يَلْبسُوا إيمانَهم بظلم، أُولئِكَ لَهُمُ الأمْنُ وهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[8] وأيّد تفسيره هذا بقوله تعالى ﴿إن الشّرْكَ لظُلْمٌ عَظيمٌ﴾[9].

وفسر ﷺ الحساب اليسير بـ (العَرْض) أي عرض الأعمال على المؤمن وتذكيره بها فقط وذلك حين قال: «من نوقش الحساب عُذّب» فقالت السيدة عائشة له: يا رسول الله أو ليس قد قال الله تعالى ﴿فأما مَنْ أُتِي كِتَابَهُ بِيَمينِه ★ فَسَوفَ

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٢) سورة الطارق، الآية: ١.
(٣) سورة الطارق، الآية: ٣.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٣٧.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.
(٦) سورة الدخان، الآية: ٣.
(٧) سورة القدر، الآية: ١.
(٨) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.
(٩) سورة لقمان، الآية: ١٣.

يُحاسَبُ حِساباً يَسيراً ★ وَيَنْقَلِبُ إلى أهله مَسْروراً﴾ (١) فقال ﷺ « ذلك العَرْض » (بياناً للحساب اليسير) وأما من نوقش الحساب عذّب. وكتفسيره ﷺ الصلاة الوسطى في قوله تعالى ﴿حَافِظوا عَلى الصلَوات والصَّلاةِ الوُسْطى﴾ (٢) بأنها صلاة العصر.. وتفسير المغضوب عليهم، والضالين في سورة الفاتحة باليهود والنصارى، ومن الأمثلة أيضاً على تفسير النبي ﷺ للآيات الكريمة تفسيره الزيادة في قوله تعالى ﴿للذين أحْسَنُوا الحُسْنى وزيادَة..﴾ (٣) الآية. فقد فسّرها بأنها النظر إلى وجه الله الكريم، وكتفسيره ﷺ القوة (بالرمي) في قوله تعالى: ﴿وأعِدّوا لهم ما اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوّة﴾ (٤) فقد قال ﷺ ألا إن القوة الرميُ، ألا إن القوة الرمي. وكتفسير قوله تعالى ﴿يومئذٍ تُحدّثُ أخْبارَها﴾ (٥) قال ﷺ: « أتدرون ما أخبارها »؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: « أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها »، تقول: عملت يوم كذا وكذا، وأمثال هذه التفاسير كثير، وقد جمع (السيوطي) في كتابه (الاتقان في علوم القرآن) طائفة كبيرة من التفاسير النبوية فليرجع إليه.

وكلا هذين القسمين (تفسير القرآن بالقرآن) وتفسير (القرآن بالسنة) لا شك في أنه أعلى أنواع التفسير، ولا شك في قبوله، أما الأول فلأن الله تعالى أعلم بمراد نفسه من غيره، وكتاب الله تعالى أصدق الحديث لأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وأما الثاني. فلأنّ الرسول ﷺ قد بيّن مهمتّه القرآنُ، وذكر أنها مهمة التوضيح والبيان ﴿وأنْزَلْنا إلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيّنَ للنّاسِ ما نُزِّلَ إلَيْهِمْ.﴾ (٦) الآية. فما جاء عن رسول الله ﷺ من شرح أو بيان بسندٍ صحيح ثابت فإنه مما لا شك في أنه حق يجب اعتماده.

---

(١) سورة الأنشقاق، الآية: ٧ - ٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

(٣) سورة يونس، الآية: ٢٦.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

(٥) سورة الزلزلة، الآية: ٤.

(٦) سورة النحل، الآية: ٤٤.

ج - تفسير الصحابة:

بقي القسم الثالث من أقسام التفسير المأثور ألا وهو (تفسير الصحابة) فإنه أيضاً من التفسير المعتمد المقبول، لأن الصحابة رضوان الله عليهم قد اجتمعوا بالرسول ﷺ ونهلوا من معينه الصافي، وشاهدوا الوحي والتنزيل، وعرفوا أسباب النزول، ولهم من صفاء نفوسهم، وسلامه فطرتهم، وعلوّ منزلتهم في الفصاحة والبيان، ما يؤهلهم من الفهم الصحيح السليم لكلام الله، ومايجعلهم يدركون أسرار هذا القرآن أكثر من أيّ إنسان.

قال الحاكم:(إن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل له حكم المرفوع) ومعنى هذا أن تفسير الصحابي له حكم الحديث النبوي الذي رفع إلى النبي ﷺ فهو إذاً من المأثور.

وأما التابعي: فقد اختلف في تفسيره، فذهب بعض العلماء إلى أنه من المأثور لأنه تلقّاه من الصحابة غالباً، ومنهم من قال إنه من التفسير بالرأي، أي له حكم بقيّة المفسّرين فسّروا حسب قواعد اللغة العربية دون التزام للمأثور.

ملاحظة: التفسير بالمأثور من أجود أنواع التفسير إذا صحّ سنده إلى الرسول ﷺ أو إلى الصحابة. وينبغي التثبت من الرواية عند ذكر التفسير بالمأثور.. قال الحافظ (ابن كثير) رحمه الله: إن أكثر التفسير المأثور قد سري إلى الرواة من زنادقة اليهود والفرس، ومسلمة أهل الكتاب، وجلّ ذلك في قصص الرسل مع أقوامهم، وما يتعلق بكتبهم ومعجزاتهم، وفي تاريخ غيرهم كأصحاب الكهف.. الخ. فينبغي إذاً التثبت من الرواية.

أسباب ضعف الرواية بالمأثور:

ذكرنا فيما تقدم أن تفسير بعض القرآن ببعض، وتفسير القرآن بالسنةالصحيحة المرفوعة إلى النبي ﷺ لا شك في قبوله ولا خلاف في أنه من أعلى مراتب التفسير، وأما تفسير القرآن بالمأثور عن الصحابة والتابعين فإنه يتطرق إليه الضعف من وجوه:

أولاً: اختلاط الصحيح بغير الصحيح، ونقل كثير من الأقوال المنسوبة إلى

الصحابة أو التابعين من غير إسنادٍ ولا تثبت، مما أدّى إلى التباس الحق بالباطل.

ثانياً: أن تلك الروايات مليئة (بالإسرائيليات) ومنها كثير من الخرافات التي تصادم العقيدة الإسلامية، والتي قام الدليل على بطلانها، وهي مما دخل على المسلمين من أهل الكتاب.

ثالثاً: أن بعض أصحاب المذاهب المتطرفة لفّقوا أقوالاً، وصنعوا أباطيل نسبوها إلى بعض الصحابة مثل (الشيعة) شيعة علي المتطرّفين نسبوا إليه ما هو منه بريء، ومثل أولئك المتزلّفين للعباسيين نسبوا إلى (ابن عباس) ما لم يصحّ نسبته اليه، تملقاً للحكام.

رابعاً: أن بعض الزنادقة من أعداء الإسلام دسّوا على الصحابة والتابعين كما دسّوا على رسول الله ﷺ في الأحاديث النبوية، وذلك بفرض هدم الدين عن طريق (الدسّ والوضع) فمن هذه الناحية ينبغي الاحتياط والتثبيت والحذر من الأقوال التي تنسب إلى الصحابة الكرام أو التابعين[1].

رأي الزرقاني في مناهل العرفان:

وقد ذكر الأستاذ (الزرقاني) في كتابه مناهل العرفان كلاماً حسناً حول التفسير بالمأثور بعد أن ذكر نقولاً عن الإمام أحمد رحمه الله، وعن ابن تيمية رحمه الله فقال:

(وكلمة الانصاف في هذا الموضوع أن التفسير بالمأثور نوعان:

أحدهما: ما توافرت الادلة على صحته وقبوله، وهذا لا يليق بأحدٍ ردّه، ولا يجوز إهماله وإغفاله، ولا يجمل أن نعتبره من الصوارف عن هدي القرآن، بل هو على العكس عامل من أقوى العوامل على الاهتداء بالقرآن.

ثانيهما: ما لم يصحّ لسبب من الأسباب الآنفة أو غيرها، وهذا يجب ردّه ولا يجوز قبوله ولا الاشتغال به، ولا يزال كثير من أيقاظ المفسرين كابن كثير يتحرّون الصحة فيما ينقلون، ويزيّفون ما هو باطل أو ضعيف).

---

(١) أنظر كتاب (مناهل العرفان) للزرقاني ص ٤٩١.

أشهر المفسرين من الصحابة:

قال السيوطي في (الإتقان): (اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير... أما الخلفاء فأكثر من رُويَ عنه فهم: (علي بن أبي طالب) كرّم الله وجهه، والرواية عن الثلاثة قليلة جداً، وكأن السبَبَ في ذلك تقدّم وفاتهم) انتهى.

وأما السبب في قلة الرواية عن الثلاثة (أبي بكر وعمر وعثمان) فإنما يرجع كما نبّه إليه السيوطي إلى قصر مدة خلافتهم وتقدم وفاتهم، ومن ناحية أخرى فإنهم قد عاشوا في وسط أغلبُ أهله كانوا علماء بكتاب الله، لأنهم صاحبوا الرسول ﷺ، فكانوا واقفين على أسرار التنزيل عارفين بمعانيه وأحكامه، أما (علي) رضي الله عنه فقد عاش بعد الخلفاء الثلاثة في وقت اتسعت فيه رقعة الإسلام، ودخل كثير من العجم في الدين الجديد، ونشأ جيل من أبناء الصحابة كانوا بحاجة إلى دراسة القرآن، وتفهّم أسراره وحِكَمِهِ، ولذلك اشتهرت الرواية عنه أكثر من بقية الخلفاء الراشدين .. وسنتكلم بشيء من التفصيل عن بعض هؤلاء الصحابة الذين اشتهروا بتفسير القرآن.

١ ـ عبد الله بن عباس:

عبد الله بن العباس رضي الله عنهما حَبْر هذه الأمة، وهو ابن عم رسول الله ﷺ الذي دعا له الرسول الكريم بقوله: «اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل» وهو المسمّى بـ(ترجمان القرآن). قال عبد الله بن مسعود: (نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس). كان أعلم الصحابة بتفسير القرآن الكريم، وقد شهد له بالفضل ـ وهو شاب في عنفوان الصبا ـ كبار الصحابة حتى كان ينافسهم وينتزع إعجابهم مع حداثة سّنه، وكان عمر رضي الله عنه يدخله إلى مجلس الشورى مع كبار الصحابة الأجلاء يستشيرهم، وربما عرض الأمر عليه، وكان تقدير عمر لابن عباس مثار جدل عند بعض الصحابة، حتى قال بعضهم: لم يدخل هذا الشاب معنا وعندنا من الأولاد من هو أكبر منه سناً.. وله قصة رواها البخاري في صحيحه تدل على غزارة علمه، وعلو شأنه في الغوص على دقائق أسرار القرآن.

رواية البخاري:

روى البخاري من طريق (سعيد بن جبير) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأنّ بَعضهم وجد في نفسه، فقالوا: لم يدخل هذا معنا وإنّ لنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه ممن علمتم (يعني إنه من عرفتم ذكاءه وعلمه)، فدعاهم ذات يوم فأدخلني معهم، فما رأيت أنه دعاني فيهم يومئذ إلاّ ليريهم.! فقال: ما تقولون في قول الله تعالى ﴿إذا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ﴾[1].. فقال بعضهم: أُمِرْنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، فقال: ما تقول؟ فقلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: إذا جاء نصر الله والفتح، فذلك علامة أجلك، فسبّح بحمدِ ربّك وَاسْتَغْفِرْهُ إنَّهُ كانَ تَوَّاباً، فقال عمر: والله لا أعلم منها إلا ما تقول[2]. فهذه القصة تدلّ على مدى قوة فهمه، ودقة رأيه في استنباط الإرشادات القرآنية التي لا يدركها إلا الرّاسخون في العلم.. ولا عجب أن ينال ابن عباس تلك الرتبة الرفيعة في فهم أسرار القرآن، فقد دعا له الرسول ﷺ بالفهم والفقه في الدين كما روى الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضمّني رسول الله إلى صدره وقال: «اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل»، وفي رواية «اللهم علّمه الحكمة».. وكان (ابن عباس) يسمى البحر لكثرة علمه.

روى أن رجلاً أتى (عبد الله بن عمر) يسأله عن السموات والأرض (كانتا رتقاً ففتقناهما)[3]، فقال: اذهب إلى ابن عباس فاسأله ثم تعال فأخبرني! فذهب فسأله فقال: كانت السموات رتقاً لا تمطر، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت، ففتق هذه بالمطر، وهذه بالنبات، فرجع إلى ابن عمر فأخبره فقال: قد كنت أقول ما يعجبني جراءة ابن عباس على تفسير القرآن، فالآن قد علمت أنه أُوتي علماً.

---

(١) سورة النصر، الآية: ١.

(٢) أنظر: صحيح البخاري، باب فضائل الصحابة.

(٣) سورة الأنبياء جزء من الآية: ٣٠.

وروي أنّ عمر بن الخطاب قال يوماً لأصحاب النبي ﷺ فيمن ترون هذه الآية نزلت ﴿**أيَوَدّ أحدكُمْ أنْ تَكُونَ لَهُ جَنّةٌ مِنْ نَخِيل وأعناب..**﴾[1] الآية. قالوا: الله أعلم فغضب عمر، فقال: قولوا: نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء فقال: يا ابن أخي قُلْ ولا تحقِرْ نفسك!! قال ابن عباس: ضُرِبَتْ مثلاً لعمل، فقال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: لرجل غني يعمل بطاعة الله ثم بعث له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله. «رواه البخاري».

كل هذا وأمثاله كثير يدل على مبلغ علم ابن عباس وفهمه الثاقب منذ حداثة سنّه، ولهذا أصبح في مصافّ كبار شيوخ الصحابة، وأصبح يدعى حَبْر الأمة بشهادة الصحابة أنفسهم.

شيوخ ابن عباس:

ومن شيوخ ابن عباس الذين استقى منهم علومه بعد رسول الله ﷺ، وكان لهم أبرز الأثر في توجيهه وثقافته (عمر بن الخطاب، وأُبي بن كعب، وعليّ بن أبي طالب، وزيد بن ثابت) وهؤلاء الخمسة هم أهم شيوخه الذين أخذ عنهم أكثر علمه وتلقى منهم معظم ثقافته، وكان لهم أثر في توجيهه تلك الوجهة العلمية الدقيقة.

تلامذة ابن عباس:

تلقّى العلم عن ابن عباس عدد كبير من التابعين كان من أشهرهم تلامذته المشهورون الذين نقلوا تفسيره وعلمه الغزير وهم: (سعيد بن جبير، ومجاهد بن جبر الخزرمي، وطاووس بن كيسان اليماني، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح) وهؤلاء هم أظهر تلامذته الذين نقلوا مدرسة ابن عباس في التفسير إلينا رضي الله عنه جميعاً.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٦.

٢ ـ **عبد الله بن مسعود:**

ومن أعلام الصحابة الذين اشتهروا بالتفسير. ونقلوا لنا آثار الرسول وأقواله (عبد الله بن مسعود) رضي الله عنه، فقد كان من السابقين إلى الإسلام، وكان سادس ستة ما على وجه الأرض مسلم سواهم، وكان خادم رسول الله ﷺ يُلْبِسه نعليه، ويمشي معه وأمامه، فكان له من هذه الصلة النبوية خير مثقّف ومؤدب، لذلك عدّوه من أعلم الصحابة بكتاب الله، ومعرفة محكمه ومتشابهه، وحلاله وحرامه، قالْ السيوطي. قد روي عن ابن مسعود في التفسير أكثر مما روي عن عليّ كرّم الله وجهه. روى الشيخان عنه أنه قال: (والذي لا إله غيره ما نزلت سورة من كتاب الله تعالى إلا وأنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله تعالى إلا وأنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الابل لركبت إليه..) روى عنه كثير من التابعين.

الفصل السادس

المفسرون من التابعين

إذا ذكر المفسرون من التابعين فإنهم يعتبرون كثرة كثيرة، ويعدون في العدد أكثر من الصحابة، ذلك لأنّ الذين اشتهروا بالتفسير من الصحابة لا يزيدون على عشرة ـ كما ذكر ذلك السيوطي في كتابه الإتقان ـ وقد تقدّم معنا أسماؤهم، وذكرنا نبذة عن ترجمة مشاهيرهم، أما التابعون فقد كثر فيهم المفسّرون، واشتهروا شهرة واسعة، ونبغ فيهم رجال أفذاذ، اعتنوا عناية كبيرة بتفسير كتاب الله تعالى، وعنهم نقل المفسرون معظم الآراء، وقد انقسموا إلى طبقات ثلاث:

١ ـ طبقة أهل مكة

٢ ـ طبقة أهل المدينة.

٣ ـ طبقة أهل العراق.

١ ـ **أما الطبقة الأولى**: وهي طبقة أهل مكة، فقد أخذوا علومهم، من شيخ المفسرين، وترجمان القرآن، سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه وأرضاه، وقد نقل السيوطي عن ابن تيمية رحمه الله أنه قال: (أعلم الناس بالتفسير أهل مكة، لأنهم أصحاب عبد الله بن عباس). وقد اشتهر فيهم عدد كبير، وظهر فيهم رجال أفذاذ، على رأسهم (مجاهد، وعطاء، وعكرمة، وطاووس وسعيد بن جبير) وسنعرض بترجمة موجزة لحياة هؤلاء العلماء الاعلام.

(مجاهد بن جبر)

أما مجاهد: فقد ولد سنة ٢١ وتوفي سنة ١٠٣ هجرية، وهو مجاهد بن جبر، وكنيته (أبو الحجّاج) المكي كان من أشهر العلماء في التفسير، قال عنه الذهبي: « شيخ القراء والمفسرين بلا مراء، أخذ التفسير عن ابن عباس »(١).

وكان من أخص تلامذته، ومن أوثق من روى عنه، ولهذا يعتمد البخاري كثيراً على تفسيره كما يعتمد كثير من المفسرين على روايته، تنقل في الأسفار، واستقر في الكوفة، وكان لا يسمع بأعجوبة إلاّ ذهب فنظر إليها.

تلقى مجاهد تفسير كتاب الله عن شيخه الجليل (ابن عباس) وقرأه عليه قراءة تفهم وتدبّر، ووقوفٍ عند كل آية من آيات القرآن، يسأله عن معناها، ويستفسره عن أسرارها، روى الفضيل بن ميمون عن مجاهد أنه قال:

« عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضت، أقف عند كل آية منه أسأله عنها: فيما أنزلت؟ وكيف أنزلت »؟.

وهذا العرض من (مجاهد) رضي الله عنه على شيخه الجليل إنما كان طلباً لتفسيره ومعرفة أسراره ودقائقه، وتفهم حكمه وأحكامه، ولهذا قال الإمام النووي رحمه الله:

« إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به » أي يكفي هذا التفسير ويغني عن غيره من التفاسير إذا كان راويه الإمام مجاهد.

(عطاء بن أبي رباح)

وأما عطاء بن أبي رباح: فقد ولد سنة ٢٧ هجرية وتوفي سنة ١١٤ هجرية نشأ بمكة وكان مفتي أهلها ومحدثهم، وهو تابعي من أجلاّء الفقهاء، وكان ثبتاً ثقةً في الرواية عن ابن عباس(٢).

---

(١) أنظر الأعلام، ج ٦، ص ١٦١.

(٢) الأعلام للزركلي، ج ٥، ص ٢٩.

قال عنه الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان: ما لقيت أحداً أفضل من عطاء بن أبي رباح.

وقال قتادة: أعلم التابعين أربعة: عطاء بن أبي رباح أعلمهم بالمناسك، وسعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير.. الخ.

توفي رضي الله عنه بمكة ودفن فيها عن (٨٧) سبع وثمانين سنة.

(عكرمة مولى ابن عباس)

وأما عكرمة: فقد ولد سنة ٢٥ هجرية وتوفي سنة ١٠٥ هجرية قال عنه الإمام الشافعي رحمه الله: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة. وهو مولى ابن عباس رضي الله عنه، تلقىَّ علمه على ابن عباس. وأخذ عنه القرآن والسنّة، وكان رضي الله عنه يقول: لقد فسّرت ما بين اللوحين[1] وكل شيء أحدثكم في القرآن فهو عن ابن عباس.

جاء في تعريفه في كتاب الأعلام ما يلي:

«عكرمة بن عبد الله البربري المدني، أبو عبد الله، مولى عبدّ الله بن عباس، تابعي، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي، طاف البلدان، وروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل، منهم أكثر من سبعين تابعياً، وخرج إلى بلاد المغرب، فأخذ عن أهلها ثم عاد إلى المدينة المنورة، فطلبه أميرها فتغيّب عنه حتى مات، وكانت وفاته بالمدينة هو والشاعر المشهور (كثيّر عزّة) في يوم واحد فقيل: مات أعلم الناس، وأشعر الناس[2].

(طاووس بن كيسان اليماني)

وأما طاووس: فقد ولد سنة ٣٣ هجرية وتوفي سنة ١٠٦ هجرية: وهو (طاووس بن كيسان اليماني) اشتهر بتفسير كتاب الله تعالى، وكان آية في الحفظ

(١) يريد باللوحين: ما بين دفتي المصحف.

(٢) الأعلام للزركلي ج ٥، ص ٤٣.

والنبوغ والذكاء، وآية في الورع والتقشف والصلاح، أدرك من الصحابة نحو (٥٠) خمسين صحابياً، وتلقى العلم عنه خلق كثير، وقد كان عابداً زاهداً، ورد أنه حجّ بيت الله الحرام أربعين مرة، وكان مستجاب الدعوة، قال فيه ابن عباس: إني لأظنّ طاووسا من أهل الجنة.

جاء في تعريفه في كتاب الأعلام ما يلي:

« طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني، أبو عبد الرحمن، من أكابر التابعين تفقهاً في الدين، ورواية للحديث، وتقشفاً في العيش، وجرأة على وعظ الخلفاء والملوك، أصله من الفرس، ومولده ومنشأه باليمن توفي حاجاً بالمزدلفة، وكان (هشام بن عبد الملك) حاجاً تلك السنة فصلّى عليه وكان يأبى القرب من الملوك والأمراء، قال ابن عيينة: « متجنبو السلطان ثلاثة: أبو ذرّ، وطاووس، والثوري »[١].

(سعيد بن جبير)

وأما سعيد بن جبير: فقد ولد سنة ٤٥ هجرية وتوفي سنة ٩٤ هجرية، وهو من أكابر التابعين علماً وورعاً، وقد اشتهر بتفسير كتاب الله عزّ وجل وكان طوداً شامخاً، وعلماً لامعاً، تناقل علمه الرجال، وسرت بذكره الركبان وقد قال (سفيان الثوري): خذوا التفسير عن أربعة: عن سعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، والضحّاك، وقال (قتادة): كان سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير[٢].

كان آية في الحفظ، يحفظ ما يسمع، وقد شهد له ابن عباس بالحفظ حتى قال له: « انظر كيف تحدّث عني فإنك قد حفظت عني حديثاً كثيراً ».

وكان ابن عباس بعد أن فقد بصره إذا أتاه أهل الكوفة يسألونه قال: تسألوني وفيكم ابن أمّ دهماء، يعني (سعيد بن جبير) رضي الله عنه.

---

(١) الأعلام، ج ٣، ص ٣٢٢.

(٢) أنظر: الأتقان: ص ١٨٩.

وقد كان عابداً زاهداً، يختم القرآن في كلّ ليلتين، وقد قرأ ذات مرة القرآن كلّه في ركعة واحدة في الكعبة.

وجاء في ترجمته في الأعلام ما يلي: «سعيد بن جبير الأسدي الكوفي، أبو عبد الله تابعي، كان أعلمهم على الإطلاق، وهو حبشي الأصل، أخذ العلم عن ابن عباس وابن عمر، ولما خرج عبد الرحمن بن الأشعث على عبد الملك بن مروان، كان سعيد بن جبير معه، فلما قتل عبد الرحمن ذهب سعيد إلى مكة، فقبض عليه واليها (خالد القسري) وأرسله إلى الحجاج فقتله، وكان الحجاج يخاطبه (بشقيّ بن كسير) بدل سعيد بن جبير.

قال أحمد بن حنبل: «قتل الحجّاجُ سعيداً، وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى عمله».

وروي أن الحجّاج لما أراد قتله أمر الجلاد أن ينطلق به فيضرب عنقه، فقال له سعيد: دعني أصلي ركعتين، قال الحجّاج ماذا يقول؟ قال: يريد الصلاة، فأبى إلا أن يصلي إلى المشرق ـ قبلة النصارى ـ ثمّ أمر أن تضرب عنقه ووجهه موجّه إلى غير القبلة، فأداروا وجهه فقال سعيد عندئذٍ: ﴿**فأينما تولوا فثمّ وجه الله**﴾ [1] ثمّ ضربت عنقه وهو يردّد: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، وذهبت نفسه البريئة الطاهرة إلى ربها تشكو إليه ظلم الحجّاج، وجاد بأنفاسه في سبيل عقيدته ودينه، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته» [2].

٢ ـ طبقة أهل المدينة:

وقد أشتهر منهم عدد، على رأسهم (محمد بن كعب القرظي، وأبو العالية الرياحي، وزيد بن أسلم) رضي الله عنهم جميعاً.

ونحن نتحدث عن هؤلاء الثلاثة الذين اشتهروا بالتفسير من أهل المدينة المنوّرة

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٥.

(٢) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٦ ص ٢٥٧.

والذين كان لهم أثر عظيم في نقل علوم الصحابة، سواءً كان ذلك في الفقه او الحديث أو التفسير، وإن كان هناك غيرهم ممن اشتهروا من التابعين ولكنّ شهرة هؤلاء كانت أوسع، وأثرهم كان أظهر.

(محمد بن كعب القرظي)

جاء في تهذيب التهذيب للعسقلاني في ترجمته ما يلي:

« هو محمد بن كعب القرظي، أبو حمزة المدني، من حلفاء الأوس، سكن الكوفة ثمّ المدينة، روى عن جمع غفير من الصحابة وخاصة عن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود.

قال ابن سعد: كان ثقة عالماً كثير الحديث، ورعاً صالحاً.

قال عون بن عبد الله: ما رأيت أحداً أعلم بتأويل القرآن منه.

ويذكر البخاري في سبب تسميته بـ (القرظي) أنَّ أباه كان ممن لم ينبت يوم قريظة فترك، وذلك أن النبي ﷺ قتل الرجال من بني قريظة حينما خانوا العهود وغدروا بالرسول، فأمر بقتل مقاتلتهم وترك الأطفال والصبيان والنساء. وقد كان من أفاضل أهل المدينة علماً وفقهاً، وكان يحدّث في المسجد فسقط عليه السقف وعلى أصحابه، فمات تحت الهدم، وكان ذلك سنة ١١٧ هجرية رضي الله عنه وأرضاه[١].

(أبو العالية الرياحي)

اسمه رفيع بن مهران، وكنيته أبو العالية، وهو مولى أمرأة من بني رياح وهو تابعي ثقة من أهل البصرة، اشتهر بالفقه والتفسير، رأى أبا بكر وقرأ القرآن على (أبي بن كعب) وغيره، وسمع من عمر، وابن مسعود، وعلي وعائشة، وغيرهم.

روي عنه أنه قال: قرأت القرآن بعد وفاة نبيّكم بعشر سنين. وكان منذ حداثة

---

(١) أنظر: تهذيب التهذيب. ج ٥، ص ٤٢١.

سنّه راغباً في العلم، مكبّاً على طلبه، حتى نبغ فيه وفاق الأقران وخاصة في التفسير، وقد كان ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه على سريره وقريش أسفل منه، ويقول: هكذا العلم يزيد الشريف شرفاً، ويجلس المملوك على الأسرّة، مات سنة ٩٣ هجرية عن عمر يناهز الثمانين رضي الله عنه وأرضاه.

(زيد بن أسلم)

هو زيد بن أسلم العدوي العمري، يكنى (أبا أسامة) وهو فقيه محدث من أهل المدينة، كان مع عمر بن عبد العزيز أيام خلافته، واستقدمه الوليد بن يزيد في جماعة من فقهاء المدينة إلى دمشق مستفتياً في أمر، وكان ثقة كثير الحديث له حلقة في المسجد النبوي، وله كتاب في التفسير رواه عنه ولده (عبد الرحمن) وقد كان رجلاً مهيباً، قال ابن عجلان: «ما هبت أحداً قطّ هيبتي لزيد بن أسلم». وحدّث ذات يوم بحديث ولم يسنده، فسأله رجل يا أبا أسامة عمّن هذا؟ فقال: يا ابن أخي ما كنّا نجالس السّفهاء.

وكان له حلقة كبيرة في المسجد النبوي الشريف، وكان (علي بن الحسين) يجلس إليه فيستمع له ويترك مجالس قومه، فقيل له في ذلك: تترك مجالس قومك إلى عبد عمر بن الخطاب (حيث كان مولى لعمر) فقال عليّ: إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه، توفي رضي الله عنه بالمدينة المنورة سنة ١٣٦ هجرية[١].

٣ ـ طبقة أهل العراق:

وقد أشتهر منهم عدد وعلى رأسهم (الحسن البصري، ومسروق بن الأجدع، وقتادة ابن دعامة، وعطاء بن أبي مسلم الخراساني، ومرّة الهمذاني).

ونحن نتحدث عن ترجمة هؤلاء الأعلام بشيء من الإيجاز فنقول ومن الله نستمد العون.

---

(١) أنظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ج ١ ص ٦٢.

(الحسن البصري)

هو الحسن بن يسار البصري، إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمانه، يكنى (أبا سعيد) وهو أحد العلماء، والفصحاء، والشجعان، والنُسّاك، ولد بالمدينة المنوّرة، وشبّ في كنف (علي بن أبي طالب) واستكتبه الربيع بن زياد والي خراسان في عهد معاوية فسكن البصرة، وعظمت هيبته في القلوب، فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحقّ لومة لائم، رأى مائة وعشرين صحابياً، وكان من أفصح أهل البصرة وأعبدهم وأفقهم.

قال الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء، وأقربهم هدياً من الصحابة، وكان في غاية من الفصاحة، تتصبّب الحكمة من فيه [١].

قال أيوف: ما رأت عيناي رجلاً قطّ كان أفقه من الحسن البصري، كان يعي الحكمة وينطق بها، وكان إذا وعظ أبكى الحاضرين، كأنما كان في الآخرة ثم جاء منها فهو يخبر عمّا رأى وعاين، ولهذا فقد اشتهر بالوعظ، وكان رقيق القلب، فصيح اللسان. وكان يحدّث بالأحاديث النبوية فإذا حدّث عن (علي بن أبي طالب) لم يذكره خشية من بطش الحجّاج، قال يونس بن عبيد: سألت الحسن قلت: يا أبا سعيد، إنك تقول قال رسول الله وإنك لم تدركه؟ قال يا ابن أخي: لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك، ولولا منزلتك منى ما أخبرتك، إني في زمان كما ترى ـ وكان في عمل الحجاج ـ كلّ شيء سمعتني أقول قال رسول الله فهو عن علي بن أبي طالب، غير أني في زمان لا أستطيع أن أذكر علياً [٢].

ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه: إني قد ابتليت بهذا الأمر، فانظر لي أعواناً يعينوني عليه، فأجابه الحسن: أمّا أبناء الدنيا فلا تريدهم، وأمّا أبناء الآخرة فلا يريدونك فاستعن بالله عن أمرك [٣].

---

١) فيه: أي فمه

٢) انظر: تهذيب التهذيب، ج ٣، ص ٣٩٦.

٣) انظر الاعلام للزركلي ج ٢ ص ٢٤٢.

توفي بالبصرة سنة ١١٠ هجرية ودفن فيها رحمه الله رحمة واسعة.

(مسروق بن الأجدع)

مسروق بن الأجدع الهمذاني، كوفي تابعي ثقة، من أصحاب ابن مسعود الذين نقلوا لنا هدي الرسول ﷺ.

وهو عابد فقيه يكنى (أبا عائشة) وقد اشتهر بالتفسير، ورواية الحديث كان أبوه أفرس فارس باليمن، وكان خاله (عمر بن معد يكرب) وقد تولى القضاء، فلم يكن يأخذ على القضاء رزقاً، وكان قانعاً زاهداً راضياً بما قسم الله، مع أنه كان صاحب عيال. جاءته أمرأته يوماً فقالت: يا أبا عائشة: إنّه ما أصبح اليوم لعيالك رزق، فتبسّم ثم قال: والله ليأتينّهم الله برزق، فرزقه الله رزقاً واسعاً.

روي عنه أنه لقي (عمر بن الخطاب) فسأله ما اسمك؟ قال: مسروق بن الأجدع، فقال له عمر: الأجدع شيطان، أنت مسروق بن عبد الرحمن فكان بعد ذلك يقول: أنا مسروق بن عبد الرحمن.

قال علي بن المديني شيخ البخاري: ما أقدّم على مسروق من أصحاب عبد الله بن مسعود أحداً، صلى خلف أبي بكر، ولقي عمر وعثمان.

شهد القادسية مع أخوته الثلاثة، فقتلوا يومئذٍ بالقادسية، وجرح مسروق فشلّت يده، وله طريقة لطيفة في النصح والوعظ، خرج يوماً ومعه بعض تلامذته فارتقى بهم على كناسة في الكوفة فقال: ألا أريكم الدنيا؟ هذه هي الدنيا، أكلوها فأفنوها، لبسوها فأبلوها، ركبوها فأنضوها، سفكوا فيها دماءهم، واستحلوا فيها محارمهم، وقطعوا فيها أرحامهم[١].

سئل يوماً عن بيت شعر فقال: أكره أن أرى في صحيفتي شعراً.

---

(١) تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٨٢.

(قتادة بن دعامة)

وأما قتادة: فهو أبو الخطاب السدوسي البصري، ولد في البصرة، سنة ٦١ وتوفي سنة ١١٧ هجرية ومات وعمره ٥٥ سنة. روى عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب، وجمع من الصحابة، وكان قوي الحفظ، شديد الذكاء، يروى عنه أنه قال: «ما قلت لمحدّث قط أعِدْ عليّ، وما سمعت أذناي شيئاً إلا وعاه قلبي».

ويروى أنه دخل على (سعيد بن المسيّب) فجعل يسأله أياماً، وأكثر عليه من السؤال، فقال له سعيد: أكلّ ما سألتني عنه تحفظه؟ قال: نعم فتعجب منه، فقال له قتادة: سألتك عن كذا، فقلت فيه كذا، وسألتك عن كذا، فقلت فيه كذا، حتى أورد عليه جميع ما سمعه منه، فقال له سعيد: ما كنت أظنّ أنّ الله خلق مثلك، وقال عنه مرة: ما أتاني عراقي أحسن من قتادة، وقرئت عليه مرة صحيفة جابر فحفظها [1].

وقد كان ضريراً فاقد البصر، حيث ولد وهو أعمى: ولكنه كان آية في الحفظ والنبوغ والذكاء، وكان أحمد بن حنبل يطنب في ذكره والثناء عليه، وينشر من علمه وفقهه، وكان إماماً في التفسير والفقه، ولكنه أخذ عليه أنه كان يأخذ عن كل أحد، حتى قال فيه الشعبي: قتادة حاطب ليل.

توفي رضي الله عنه بالبصرة ودفن بها، وعمره خمس وخمسون سنة، ولما مات بكى عليه أهل البصرة.

(عطاء الخراساني)

قال الحافظ الأصبهاني: كان مولده سنة ٥٠ ووفاته سنة ١٣٥ هجرية. وهو عطاء ابن أبي مسلم الخراساني، يكنى (أبا عثمان) وكان ثقة صدوقاً، عابداً زاهداً، كثير العبادة والتبتل، كان يحيي الليل تهجداً وصلاة.

روى عبد الرحمن بن يزيد أنه كان يحيي الليل صلاة، فإذا ذهب من الليل ثلثه، أو

---

(١) تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣٥١.

نصفه نادانا يا فلان ويا فلان، قوموا فتوضأوا وصلوا، فإن قيام الليل وصيام النهار أيسر من شراب الصديد [1].

وكان يحب نشر العلم، فإذا لم يجد أحداً من تلامذته يحدّثه ذهب إلى المساكين فحدّثهم، خوفاً من الوعيد لكاتم العلم.

وقد اشتهر بالفقه والحديث والتفسير، وكان على غاية من الزهد والورع، رحمه الله تعالى.

(مُرّة الهمذاني)

هو مرة بن شراحيل الهمذاني، أدرك عدداً من الصحابة غير قليل، ويكنى (أبا إسماعيل) وهو المعروف بمرة الطيب، ومرّة الخير، لقب بذلك لعبادته، كان عابداً ورعاً، وزاهداً صالحاً، قال العجلي: كان يصلي في اليوم والليلة خمسمائة ركعة، وهو تابعي ثقة توفي سنة ٧٦ هجرية رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته [2].

هؤلاء هم أعلام المفسرين من التابعين، استمدوا علومهم وقبسوا معارفهم من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين.

وعنهم أخذ تابعو التابعين، ومن بعدهم من العلماء العاملين، وهكذا حفظ دين الله، وكتابه، وشريعته، وعلومه ومعارفه، سليمة كاملة، عن طريق التلقّي والتلقين، جيلاً عن جيل، مصداقاً لقول الله سبحانه وتعالى: **﴿إنّا نحن نزّلنا الذكرَ، وإنّا له لحافظون﴾** [3].

ولقد صدق الرسول الكريم فيما نبّأ عنه وأخبر حيث قال:

« يحملُ هذا العلم من كلّ خَلَفٍ عدولُه، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين ».

(١) أنظر تهذيب الكمال للمزي. ج ٤ ص ٤٦٩.

(٢) أنظر تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٨٨.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٩.

وهكذا حفظ الله كتابه بحفظ هؤلاء الرجال الأعلام. والثقات الأفاضل. الذين كرّسوا جهودهم في خدمة العلم والدين، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وأسكنهم فسيح جناته آمين.

تنبيه:

يلاحظ على تفسير التابعين رضوان الله عليهم. أنه قد دخلت إلى أقوالهم بعض الروايات الإسرائيلية، واختلط الصحيح بالعليل، ونقل على لسانهم بعض الروايات التي لم تثبت، فينبغي التنبه عند نقل أقوالهم إلى الصحيح منها، وأن يرجع الإنسان إلى المراجع الموثوقة من كتب التفسير، كتفسير ابن جرير وغيره من التفاسير الموثوقة.

قال (السيوطي) في كتابه الاتقان بعد أن ذكر أشهر المفسرين من التابعين ما نصه:

« فهؤلاء قدماء المفسرين، وغالب أقوالهم تلقوها من الصحابة. ثمّ بعد هذه الطبقة ألّفت تفاسير تجمع أقوال الصحابة والتابعين، كتفسير (سفيان بن عيينة) و (وكيع بن الجراح) و (شعبة بن الحجاج) و (يزيد بن هارون) وآخرين. ثم جاء بعدهم (ابن جرير الطبري) وكتابه أجلّ التفاسير وأعظمها [1].

(١) الإتقان للسيوطي، ج ٢ ص ١٩٠.

الفَصْلُ السَّابعُ

إعْجَازُ القُرْآن

العناية بدراسة القرآن العظيم:

لم يحدث في تاريخ البشرية أنّ أمة من الأمم. اعتنت بكتابها السماويّ كما اعتنت هذه الأمة المحمدية، ولم نسمع عن كتاب مقدس نال من الحفظ والرعاية. والإجلال والإكبار. كما ناله هذا الكتاب المجيد، معجـزة محمد الخالدة، وحجته البالغة، ودعوته إلى الناس أجمعين. ولا عجب أن ينال القرآن العظيم هذه المنزلة الرفيعة، ويحتل من نفوس المسلمين تلك المكانة الجليلة، ذلك لأن الأحداث التي رافقت نزول هذا الكتاب المقدّس، تجعله يتبوأ مكان الصدارة بين جميع الكتب السماوية، ويفوق كل ما جاء به الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من هداية وإصلاح. وتربية وتعليم، وسموّ وتشريع، ولقد أحسن وأبدع من قال:

(اللهُ أكبـرُ إن ديـن محمـد   وكتـابـه أهـدى وأقـوم قيلا)
(لا تذكروا الكتب السوالف عنـده   طلع الصبـاح فـأطفـيء القنـديلا)

القرآن معجزة محمد الخالدة:

وقد جرت حكمة الله الأزليّة، أن يؤيد أنبياءه ورسلـه بـالمعجـزات البـاهـرات والدلائل الواضحات. والحجج والبراهين الدامغة، التي تدل على صدقهم، وعلى أنهم

أنبياء مرسلون من عند الله العزيز القدير، وقد خصّ الله تبارك وتعالى نبينا ﷺ بالمعجزة العظمى (القرآن الكريم) ذلك النور الرباني، والوحي السماوي، الذي ألقاه على قلب نبيه قرآناً عربياً غير ذي عوج، يتلوه آناء الليل وأطراف النهار، والذي أحيا به أجيالاً من العدم، كانت في عداد الموتى فأحياها الله بنور هذا القرآن، وهداها أقوم طريق وانتشلها من الحضيض فجعلها خير أمة أخرجت للناس، وصدق الله حيث يقول: **﴿أوَمَنْ كان مَيْتاً فأحييناهُ وجعلنَا لهُ نوراً يمشيْ بهِ في النّاسِ كمنْ مثلُهُ في الظلمات ليسَ بخارجٍ منها؟ كذلك زُيّنَ للكافرينَ ما كانوا يعملونَ﴾**[1].

لقد أحيا القرآن أمماً، وأوجد مجتمعاً، وألّف جيلاً لم يعرف له التاريخ مثيلاً، فأخرج من العرب الذين كانوا رعاة الإبل والغنم، سادةَ الشعوب والأمم، فملّكهم الدنيا حتى حكموا أقاصي المعمورة وكل ذلك بفضل هذا القرآن، معجزة خاتم الأنبياء والمرسلين. وفي ذلك يقول أمير الشعراء:

(أخوك عيسى دعا ميتاً فقام له   وأنت أحييت أجيالاً من العَـدَم

ولئن كانت معجزة الأنبياء السابقين معجزات «حسيّة» تتناسب مع العصر والزمان الذي بعثوا فيه، كمعجزة (موسى) عليه السلام حيث كانت (اليد والعصا) لأنه بعث في زمن كثر فيه السحرة واشتهر فيه السحر، وكذلك معجزة (عيسى) عليه السلام حيث كانت بإحياء الموتى، وإبراء الأكمه[2] والأبرص، والإخبار عن بعض المغيبات، لأنه بعث في عصر كثر فيه الطب والحكمة، وظهر فيه الأطباء البارعون، فأتاهم عيسى بن مريم بما أدهشهم وأعجزهم من شفاء المرضى، وإحياء الموتى، وإبراء العمي البكم الصم.

أقول: إذا كانت معجزات الأنبياء السابقين معجزات (مادية حسيَّة) فإن معجزة محمد بن عبد الله معجزة (روحية عقلية) وقد خصّه الله بالقرآن معجزة العقل الباقي

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

(٢) الأكمه: الأعمى. قال تعالى: **﴿وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله﴾**.

على الزمان، ليراها ذوو القلوب والبصائر، فيستنيروا بضيائها وينتفعوا بهديها في المستقبل والحاضر، فقد ورد عن سيد المرسلين أنه قال:.

«ما من نبيٍ من الأنبياء إلاّ أعطى من الآيات مامثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً» رواه البخاري..

أجل.. هذا الوحي السماوي الذي ألقاه الله على قلب نبيّه الأمين ليكون ضياء ورحمة للعالمين، هو معجزة الإسلام الخالدة، وحجته الباقية، تقوم على فم الدنيا شاهدة بصدق الرسول، ناطقة بعظمة الإسلام وخلود هذا الدين، بينما ذهبت المعجزات الحسيّة، ومضت مع أحداثها الكونيّة، وتلاشت من الوجود بعد وفاة الأنبياء الكرام الذين أتوا بها، فلم يعد لها وجود وبيان إلاّ في هذا القرآن الذي أخبر عنها، فكان له الفضل الأعظم عليها سابقاً ولاحقاً، ولله در القائل حيث يقول:.

(جاء النبيّون بالآيات فانصرمت وجئتنا بكتاب غير منصرم)
(آياته كلّما طالَ المدى جُددُ يزينهن جمالُ العتق والقدم)

الآيات: المراد بها المعجزات جمع آية بمعنى المعجزة. انصرمت: أي ذهبت بذهابهم..

قال العلامة الزرقاني: (وهنا نلفت النظر إلى أن القرآن بما اشتمل عليه من المعجزات الكثيرة، قد كتب له الخلود فلم يذهب بذهاب الأيام، ولم يمت بموت الرسول عليه الصلاة والسلام، بل هو قائم على فم الدنيا يحاج كل مكذب، ويتحدى كل منكر، ويدعو أمم العالم جمعاء إلى ما فيه من هداية الإسلام وسعادة بني الإنسان. ومن هذا يظهر الفرق جلياً بين معجزات نبيّ الإسلام ﷺ ومعجزات إخوانه الأنبياء عليهم أزكى الصلاة وأتم التسليم، فمعجزات محمد في القرآن وحده آلاف مؤلفة، وهي متمتعة بالبقاء إلى اليوم وإلى ما بعد اليوم حتى يرث الله الأرض ومن عليها، أمّا معجزات سائر الرسل فمحدودة العدد، قصيرة الأمد، ذهبت بذهاب زمانهم، وماتت بموتهم، ومن يطلبها الآن لا يجدها إلا في خبر كان، ولا يسلم شاهد له بها إلا هذا

القرآن؟ وتلك نعمة يمنها القرآن على سائر الكتب والرسل، وما صح من الأديان كافة، قال تعالى: ﴿**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مُصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه..**﴾ (١) الآية. وقال عز اسمه: ﴿**آمن الرسولُ بما انزل إليه منْ ربه والمؤمنون كلٌ آمن باللهِ وملائكتهِ وكتُبهِ ورسلهِ لا نفرّقُ بين أحدٍ من رسله..**﴾ (٢) الآية..

لهذا لم تكن معجزة سيد الأنبياء معجزة حسية. تقرع الحسّ وتستولي على النفوس، فلم تكن عصا تنقلب حيّة كعصا موسى، أو ناراً تصير برداً وسلاماً كالنار التي ألقى فيها الخليل، أو ناقة تخرج من صخر أصم ولها رغاء كناقة صالح، أو مريضاً يشفى، أو أعمى يبرأ كما فعل عيسى عليه السلام، وإنما كانت معجزة «عقلية خالدة» لأنها خاتمة الرسالات، فهي خالدة خلود الدهر، باقية بقاء الإنسان..

يقول الشيخ (محمد البنا) ما نصه: وإذا كان قد جرت خوارق للعادات على يد النبيّ ﷺ غير القرآن كما ورد في صحاح السنة فإن النبي ﷺ لم يتحدّ بها، بل كان التحدي بالقرآن وحده، ولهذا كان القرآن معجزة الرسول التي تؤيد رسالته، وتشرق في قلوب الذين اتبعوه من المؤمنين..

ورسالة النبي ﷺ شاملة خالدة لأنها خاتمة الرسالات فكانت الحكمة أن تتفق معجزته من نوع رسالته، إذ كل نبي سبق كان يأتي برسالة لقوم بأعيانهم وتنتهي بما يأتي بعدها من الرسالات، ولم يكن من الممكن أن تكون معجزة خاتم الأنبياء أمراً حسياً يراه جماعة حين يقع، فإذا لحق الرسول بالرفيق الأعلى انقضى ذلك الأمر المحسوس ولا يراه أحد من بعده، لأن الأمور المحسوسة لا تتفق مع نوع هذه الرسالة ولا مع خلودها، لقد كان، القرآن معجزة للناس جميعاً، ولذلك جاء من نوع آخر غير نوع المعجزات السابقة، وقد جاء للدنيا بعد أن اكتملت المدارك البشرية، وارتقى الفكر الانساني، لأن رسالة سيدنا محمد ﷺ، وافت البشرية بعد أن أدركت رشدها

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥. أنظر مناهل العرفان، ج ٢، ص ٢٣٢.

وتكامل النمو العقلي في مجموعها، فكانت معجزته تدرك (بالعقل) ولا تحتاج إلى أيّ نوعٍ من الحسّ، فهي معان خالدة، يدرك سموها الإنساني في كل الأجيال، وهي معجزة يخاطب بها الناس جميعاً [١].

معنى إعجاز القرآن:

الإعجاز في اللغة العربية هو: نسبة العجز إلى الغير قال تعالى: ﴿**أعَجَزْتُ أنْ أكونَ مثْل هَذَا الغُراب فأواري سوأة أخي..**﴾ [٢] وتسمّى المعجزةْ (معجزة لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها، لأنه أمر خارق للعادة، خارج عن حدود الأسباب المعروفة وإعجاز القرآن معناه: إثبات عجر البشر ـ متفرقين ومجتمعين ـ عن الإتيان بمثله. وليس المقصود من (إعجاز القرآن) هو تعجيز البشر لذات التعجيز أي تعريفهم بعجزهم عن الاتيان بمثل القرآن، فإنَّ ذلك معلوم لدى كل عاقل، وإنما الغرض إظهار أن هذا الكتاب حق، وأن الرسول الذي جاء به رسول صادق، وهكذا سائر معجزات الأنبياء الكرام التي يعجز البشر عنها ليس الغرض منها إلا إظهار صدقهم، وإثبات أن ما جاءوا به إنما هو بوحي من الحكيم العليم، وتنزيل من الإله القادر، وأنهم إنما يبلّغون رسالات الله، وليس لهم إلا الاخبار والتبليغ، فالمعجزات إذاً براهين من الله سبحانه إلى عباده، بصدق رسله وأنبيائه، فكأنّ الله تعالى ـ بواسطة هذه المعجزة ـ يقول: صدق عبدي فيما بلّغ عنيّ وأنا أرسلته ليبلغكم ذلك، والدليل على صدقه أن أُجْري على يديه خوارق العادات مما لا يستطيع أحد منكم أن يأتي بمثله، ومما ليس بمقدور أحد من الناس أن يجاريه في مثل هذا الأمر العجيب ذالك هو معنى الإعجاز، وذلك هو مفهوم المعجزة.

متى يتحقق الإعجاز:

والإعجاز لا يتحقق إلا إذا توافرت أمور ثلاثة نجملها فيما يلي:

أ ـ الأول: التحدي، أي (طلب المباراة والمعارضة)

---

(١) أنظر الكتاب والسنّة، ص ٢٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣١.

ب ـ الثاني: أن يكون الدافع إلى ردّ التحدّي قائماً

جـ ـ الثالث: أن يكون المانع منتفياً

ولنوضح هذه الأمور الثلاثة ببعض الأمثلة فنقول:

١ ـ هذا القرآن العظيم (معجزة محمد الكبرى) الذي تحدّى الله به العرب خاصة، والناس أجمعين، يأتي به نبيّ أميّ، لا يعرف القراءة والكتابة، ولم يدرس في مدرسة. أو يتلق علومه في جامعة من الجامعات الكبيرة، ولم يثبت عنه أنه كان تلقيّ شيئاً من العلوم والمعارف عن بعض النابغين من العلماء، أو المبرزين في صنوف الثقافة والعرفان. ولم يتصل بأحدٍ من علماء أهل الكتاب (اليهود والنصارى) حتى يطّلع على أنباء الأمم السابقين، وأخبار الأنبياء المتقدمين، جاءهم بهذا الكتاب المجيد. متحدياً لهم ـ وهم أئمة الفصاحة وفرسان البلاغة ـ وطلب منهم معارضة القرآن، بعبارات قوية. ولهجات واخزة تستفزّ العزيمة وتدفع إلى المباراة، وتنزّل معهم من التحدّي بجميع القرآن. إلى التحدّي بعشر سور مثله، ثمّ إلى التحدي بسورة واحدة من مثله، وهم في كلّ هذا واجمون، لا ينبسون ببنْت شفة، وهم رغم هذا التحدّي ينتقلون من عجز إلى عجز، ومن هزيمة إلى هزيمة، أفليس في هذا أكبر شاهد وبرهان على إعجاز القرآن؟!.

اسلوب القرآن في التحدي:

جاء التحدّي في القرآن الكريم بصور متعددة، وأساليب متنوعة، تهزّ كيان العرب هزاً. وتجرّهم إلى الميدان جراً، في أسلوب ممتع أخاذ، يملك عليهم شعورهم، ويستحوذ على أفئدتهم، بسحره وجماله ورونقه.

لقد تحدّاهم على أن يأتوا بمثل القرآن. فعجزوا وولّوا الأدبار. مع أنهم فرسان الفصاحة. وملوك البيان.

فتنزل معهم إلى (عشر سور) من مثله مفتريات، فانقطعوا واندحروا وعجزوا عن الإتيان بتلك السور العشر.

فتنزل معهم إلى ما هو أسهل وأيسر، إلى الإتيان بمثل (سورة واحدة) فقط من سور القرآن، فلم يتقدّم واحد منهم إلى حلْبة الميدان.. وبذلك سجّل عليهم القرآن العجز والهزيمة، وثبتت معجزة محمد، النبي الإميّ، على أنّ هذا القرآن تنزيل من رب العالمين: **﴿وإنه لتنزيلُ ربِّ العالمينَ★ نزلَ به الروحُ الأمينُ★على قلبكَ لتكونَ منَ المنذرينَ★بلسانٍ عربي مبينٍ﴾** [1] وصدق الله حيث يقول:

﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بالَحقِّ★لِيُثْبِتَ الّذينَ آمنُوا★وهُدًى وبُشْرى للمُسْلِمينَ﴾ [2]

أنواع التحدي:

والتحدي الذي جاء في القرآن الكريم كان على نوعين:

١ ـ التحدي العام.

٢ ـ التحدّي الخاص.

أما الأول: فقد ورد لجميع الخلائق بما فيهم الفلاسفة، والعباقرة، والعلماء، والحكماء، وجاء لجميع البشر بدون استثناء، عربهم وعجمهم، أبيضهم وأسودهم، مؤمنهم وكافرهم، استمع إلى هذا التحدي الصارخ في سورة الإسراء:

﴿قلْ لئن اجتمعت الإنس والجنَّ على أنْ يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ، لا يأتونَ بمثلِهِ ولوْ كانْ بعضهمْ لبعضٍ ظهيراً﴾ [3].

وأما الثاني:(التحدي الخاص) فقد جاء للعرب خاصة، وعلى الأخص منهم لكفار قريش، وقد ورد هذا التحدي على نوعين أيضاً:

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٢ ـ ١٩٥.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٠٢.

(٣) ظهيراً: أي معيناً وناصراً. سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

١ ـ تحدي كلّي: وهو التحدي بجميع القرآن، في أحكامه، وروعته وبلاغته، وبيانه.

٢ ـ تحدّي جزئي: وهو التحدي بمثل سورة من سور القرآن الكريم،ولو من أقصر سورة كسورة الكوثر.

فالأول مثل قوله تعالى: **﴿فليأتوا بحديثٍ مثله إن كانوا صادقين﴾** (١) والمراد بالحديث في هذه الآيات الكريمة (قرآن مثله) أي يأتوا بقرآن يشبه هذا الذي جاءهم به محمد رسول الله، والذي زعموا أنه افتراه وتقّوله على الله، كما ورد التحدّي بالقرآن كله في سورة القصص في قوله تعالى:

﴿قُلْ فأتُوا بكتَابٍ مِنْ عندِ اللهِ هو أهْدَى منها أتَّبِعْه إن كُنْتُمْ صادقين﴾ (٢).

فقد طلب منهم أن يأتوا بكتاب كامل غير هذا الكتاب الكريم، فإذا لم يستجيبوا لدعوته فإنما هم أناس متعنتون، يعبدون الهوى، ويسيرون على غير هدى الله.

أما التحدي الجزئي: فقد ورد في سورة (هود) في قوله تعالى:

﴿أمْ يقولونَ افتراهُ؟قُلْ فأتُوا بعشرِ سُوَرٍ مثلِهِ مفترياتٍ، وادْعُوا مَنِ اسْتَطعْتُمْ من دونِ اللهِ إن كُنْتُمْ صادِقينَ*فإنْ لمْ يستجيبوا لكمْ فاعلمُوا أنّما أنْزِلَ بِعلْمِ اللهِ، وأن لا إلهَ إلاّ هُو فهلْ أنتم مسلمون؟﴾ (٣).

كما ورد التحدّي بأقل من ذلك تحداهم (بسورة) واحدة من أقصر سور القرآن، وجاء هذا التحدّي مقروناً بالتعجيز الفاضح، في الحاضر والمستقبل، مسجّلاً عليهم ذلك العجز، بما يثير حميتهم ويغريهم بتكلف المعارضة، لا سيما بعد قولتهم القبيحة

(١) سورة الطور، الآية: ٣٤.

(٢) سورة القصص، الآية: ٤٩.

(٣) سورة هود، الآيتان: ١٣ ـ ١٤.

ودعواهم الكاذبة حين قالوا: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا، إنْ هذا إلا أسَاطِيرُ الأوَلين﴾.[1]

جاءهم التحدي في سورة البقرة في قوله تعالى:

﴿وإنْ كُنْتُمْ في ريبٍ مما نَزّلْنَا على عَبْدِنَا فأتُوا بسُورةٍ من مثلِهِ وادعُوا شهدَاءَكُم من دون الله إنْ كنتُمْ صادقينَ★فإنْ لم تفعلوا ـ ولَنْ تفعَلُوا ـ فاتَّقُوا النَّارَ التي وَقُودُهَا النَّاسُ والحِجَارَةُ أُعِدَّتْ للكَافِرينَ﴾[2].

قال العلامة (القرطبي) في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن): قوله ﴿فإن لم تفعلوا)﴾ يعني فيا مضى، ﴿ولن تفعلوا﴾ أي تطيقوا ذلك فيما يأتي، وفيه إثارة لهممهم، وتحريك لنفوسهم، ليكون عجزهم بعد ذلك أبدع، وهذا من الغيوب التي أخبر بها القرآن قبل وقوعها[3].

أما الأمر الثاني وهو: (قيام المقْتَضي للمباراة والمعارضة) عند العرب فقد كان حاصلاً وقائماً، فإن النبي عليه الصلاة والسلام جاءهم بدينٍ جديد، أبطل فيه دينهم، وسفّه احلامهم، وسخر من آلهتهم وأصنامهم، وجعلهم اضحوكة بين الناس، ثم دعاهم الى اتباعه وإلى اعتقاد أنه رسول من عند الله، وقال لهم: إن الحجة على صدقي هذا الكتاب الذي أوحاه الله إلي، فإذا لم تصدقوني في ذلك فأنا اتحداكم ان تأتوا بمثله، او بمثل سورة منه، وإذا عجزتم فذلك آية صدقي، وبرهان رسالتي إليكم.. فما كان احوجهم إلى ان يأتوا بمثله خاصة بعد هذا التحدي السافر، والتهكم الشديد اللاذع، بعقولهم وآلهتهم وأصنامهم، أقول ما كان أحوجهم الى دحض ما ادعاه، وإبطال أنه من عند الله، وذلك بسلوك ايسر الطرق، وولوج اقرب الابواب لرد دعواه وذلك عن طريق ما برعوا فيه، واشتهروا بجودته واتقانه الا وهو (البيان) في النطق

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣١.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٣) تفسير القرطبي، ج ١، ص ٣٢.

ء (الفصاحة) في اللسان، وكان ذلك انفع لهم من الحرب التي ذاقوا ويلاتها، وخاضوا غمارها، حتى شربوا كؤوس الأسى وتجرعوا الموت الذؤام، ولكنهم اختاروا طعن الرماح، ووقع النبال، ولم يدخلوا في المباراة.

يقول القاضي (الباقلاني) رحمه الله: (كيف يجوز أن يقدروا على معارضة القرآن، لسهلة عليهم، وذلك يدْحض حُجّته، ويفسد دلالته، ويبطل أمره، فيعدلون عن ذلك إلى سائر ما صاروا إليه من الأمور التي ليس عليها مزيد في المنابذة والمعاداة، ويتركون الأمر الخفيف؟ هذا ما يمتنع وقوعه في العادات ولا يجوز اتفاقه من العقلاء).

وأما الأمر الثالث: وهو (انتفاء ما يمنعهم من معارضة القرآن)، فلأنّه نزل بلسان عربي، هو لسانهم، وألفاظه من أحرف العرب، وعباراته على أسلوب العرب، وهم أهل البيان واللّسن، وأمراء الفصاحة والبلاغة، وقد دلت أشعارهم، ونطقت خطبهم وحِكمُهم على براعتهم في ذلك، وعلى انهم حازوا قصب السبق في مضمار الفصاحة والبيان، كما أثبتت الأيام أنهم من ذوي القدرة والاستطاعة على ان يبرّزوا في الشعر والنثر، وان يحلّقوا في سماء الفصحى ألا وهي لغتهم الأساسية (لغة القرآن) التي بها يتفاخرون ويتبارون، ويعقدون المنتديات، ويجتمعون في المحافل، ليستمعوا أروع القصائد والخطب، ويصوغوا اجمل الالفاظ والعبارات، ولم يكونوا في عجز من قدرتهم، او نقص في عقولهم، بل كانت قدرتهم موفورة، واستطاعتهم مشهورة، وهم أولوا النّهي والألباب، ومع ذلك فالقرآن دعاهم أن يستعينوا بمن شاءوا، ويكمّلوا ما ينقصهم بأهل الأديان، ويستحضروا عُدّتهم بالاتصال بالسحرة والكهّان، وبمن شاءوا من طوائف الإنس والجان، فليس أمامهم ثمة مانع، والنبي ﷺ لم يضرب لهم أجلاً للمعارضة، ولم يحدّد زمناً للمناقضة، حتى يقول قائل منهم: إن الزمن لا يكفي وليس فيه سعة، كما أن القرآن لم ينزل جملة واحدة حتى يحتجوا بذلك، بل نزل مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة، بين كل مجموعة واخرى زمن متسع للمعارضة وللإتيان بمثله لو كان في مقدورهم ذلك، فلما عجزوا دلّ على أنه تنزيل رب العباد، وكفى بذلك دليلاً وبرهاناً.

مثل على إعجاز القرآن:

وقد ذكر المرحوم (الشيخ الزرقاني) كلاماً نفيساً في كتابه (مناهل العرفان) ننقله بنصّه. قال رحمه الله في بحث تعريف (المعجزة) ما يلي:

(المعجزة: هي أمر خارج للعادة، خارق عن حدود الأسباب المعروفة، يخلقه الله تعالى على يد مدّعي النبوّة، عند دعواه إيّاها: شاهداً على صدقه... فإذا قام إنسان ما، وادّعى أنه مبعوث من الله تعالى إلى خلقه، ورسولُه إلى عباده، وقال: إن آية صدقي فيما أدّعيه، أن يغيّر الله الذي ارسلني عادة من عاداته على يدي، وأن يخرج الآن عن سنة من سننه العامة في وجوده ثم قال: وسيأتيكم الله بهذا الأمر العجاب، من باب ترون انكم فيه نابغون وعليه قادرون، وإنّي أتحدّاكم زرافات ووحداناً أن تأتوا بمثل هذه الآية، وأمامكم الباب مفتوحاً كما تعتقدون، وفيكم النبوغ موفوراً كما تدّعون، ثم أنتم مجتمعون وأنا وحدي، قال ذلك بلغة الواثق، وتحدّانا هذا التحدّي الظاهر، في وقت يثور فيه على عقائدنا وعاداتنا وأخلاقنا، ويسفّه فيه أحلامنا وأحلام أمثالنا من آبائنا، ونحن أحرص ما نكون على تعجيزه وتبهيته والغلبة عليه والظفر به، دفاعاً عن كرامتنا وانتصاراً لأعزّ شيء لدينا، ثم لم يلبث أن قام وقمنا، وأجمع امره وأجمعنا، وإذا نحن جميعاً بعد محاولات ومصاولات لم نستطع أن نأتي بمثل ما أتى به، فضلاً عن أعظم منه، مع أننا أمة وهو فرد، ومع انه قد دخل الينا من أيسر الطرق في نظرنا، ومن أشهر فنّ في زماننا، ومع أنه قد أعطانا الفرصة الكافية لمناظرته، وأنصفنا كل إنصاف من نفسه!!

هل يشكّ كل ذي مُسْكة من عقل، في أن هذا الإنسان المتفوق الممتاز صادق في رسالته ومحق في دعوته، خصوصاً اذا عرفنا فوق ذلك كله أنه نشأ فينا على الصدق والأمانة ومكارم الاخلاق، من لدن صباه وطفولته إلى يوم مبعثه ورسالته!.

لو أنه جاء بالمعجزة من بابٍ لا نعرفه، لقلنا: رجل حَذَق فناً من الفنون التي لا علم لنا بها، او تعلّم صناعة من الصناعات التي لم نحط بخبرها، أما وقد جاءنا من الناحية التي نشهد لأنفسنا فيها بالتفوق والسبق، فلا يسعنا إلاّ الإذعان له، والإيمان بما جاء به ما

دمنا منصفين. ولنضرب لك مثلاً: جاء موسى عليه السلام بمعجزته عصاً من الخشب، لا روح فيها ولا حركة، ولا لين ولا رطوبة، ثم ألقاها باسم الذي أرسله، فإذا هي حيّة تسعى، بينما الأمة التي تحدّاها بذلك كانت قد تفوّقت في السحر وحذَقَته، وضربت فيه بأوفر سهم وأوفى نصيب، خصوصاً انهم امة وهو فرد، وهم نابغون في السحر وهو مع نشأته فيهم لم يُعرف يوماً من الأيام بمعالجة السّحر، فهل يبقى للشك ظل بعد أن ألقى موسى عصاه **﴿فإذا هي تلقف ما يأفكون﴾**[1]؟ **﴿فوقَع الحقّ وبطَلَ ما كانُوا يعملُون﴾**[2]؛ **﴿وألقي السّحَرَةُ ساجِدين ★ قالُوا آمنّا بربّ العَالمينَ رب موسى وهرون﴾**[3]؟؟ الحق أبلج، ولذلك كان أول من آمن به هم السحرة أنفسهم لأنهم أعرف بالسّحر ومقدماته ونتائجه، وقد رأوا رأي العين أن ذلك الإعجاز ليس من نوع السحر الذي عرفوه.

قل مثل ذلك في معجزة كل رسول أرسله الله، قله في عيسى بن مريم عليه السلام، وإبرائه الأكمه والأبرص، وإحيائه الموتى، وخلقه من الطين كهيئة الطير بإذن الله، أمام قوم نبغوا في الطبّ أيما نبوغ، ومهروا فيه أيما مهارة!..

وقل مثل ذلك وأكثر من ذلك في خاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ وما جاء به من آيات بينات ومعجزات واضحات، وحسبُك القرآن وحده برهاناً ساطعاً، بل براهين ساطعات، كل مقدار ثلاث آيات منه حجة قاطعة تقوم في فم الدنيا إلى يوم الساعة، تتحدّى العالم بما يكون فيها من أسرار الفصاحة والبيان، والعلوم والمعارف، وأنباء الغيب وشواهد الحق[4].

شروط المعجزة الإلهية:

وللمعجزة شرائط خمسة نبّه عليها العلماء، فإن اختلّ منها شرط لا تكون معجزة:

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١١٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١١٨.

(٣) سورة الأعراف، الآيات: ١٢٠ ـ ١٢٢.

(٤) مناهل العرفان ج ١ ص ٦٨.

١ ـ الشرط الأول: أن تكون مما لا يقدر عليه إلا الله رب العالمين.
٢ ـ الشرط الثاني: أن تخرق العادة وتكون مخالفة للسنن الكونيّة.
٣ ـ الشرط الثالث: أن يستشهد بها مدّعي الرسالة على صدق دعواه.
٤ ـ الشرط الرابع: أن تقع على وفق دعوى النبيّ المتحدي بتلك المعجزة.
٥ ـ الشرط الخامس: ألا يأتي أحد بمثل تلك المعجزة على وجه المعارضة.

فهذه الشروط الخمسة إن تحققت كان ذلك الأمر الخارق للعادة معجزة دالة على نبوّة صاحب الدعوى، التي ظهرت المعجزة على يده، وإن لم تتحقق خرجت عن كونها معجزة، ولم تدلّ على صدق صاحب الدعوى.

أما الشرط الأول: فإنه لو أتى آت ـ في زمن يصحّ فيه مجيء الرسل ـ وادعى الرسالة وجعل معجزته أن يقوم ويقعد، ويأكل ويشرب، ويتحرك من مكان إلى مكان لم يكن هذا الذي ادّعاه معجزة، ولا دالاً على صدقه لقدرة الخلق على مثله، وإنما يجب أن تكون المعجزات مما لا يقدر عليها البشر كفلق البحر، وانشقاق القمر، وإحياء الموتى.. الخ.

وأما الثاني: وهو خرق العادة فلو قال المدعي للنبوة معجزتي أن تطلع الشمس من المشرق وتغرب من المغرب، وأن يأتي النهار بعد الليل، لم يكن فيما ادعاه معجزة، لأنّ هذه الأمور وإن كان لا يقدر عليها إلاّ الله، لكنّها لم تفعل من أجله، وقد كانت من قبله، فليس فيها دلالة على صدقه

وأما الثالث: وهو أن يستشهد بها مدّعي للنبوة وتحصل عند طلبها تصديقاً لدعواه، فلو ادّعى إنسان أنّ معجزته أن ينقلب الجماد إلى حيوان أو إنسان، ولم ينقلب لا يدل على صدق دعواه

وأما الرابع: وهو أن تقع المعجزة على وفق الدعوى لا على خلافه لأنها حينذاك تكون تكذيباً له. روى أن (مسيلمة الكذّاب) لعنه الله طلب منه أصحابه أن يتفل في بئر ليكثر فيها الماء فغارت البئر فدل على كذبه[1]

---

(١) أنظر تفسير القرطبي، ج ١ ص ٧٠.

خامساً: ألاَّ تُعَارَضَ المعجزة فإن عورضت بطل كونها معجزة، ولم تدل على صدق صاحبها، فلو استطاع أحد فلق البحر أو شق القمر لم تعد معجزة ولهذا قال تعالى في خطاب المشركين **﴿فَلْيَأتوا بحديثٍ مثلهِ إنْ كانُوا صادقينَ﴾**(١)

بم كان إعجاز القرآن؟

القرآن العظيم كلامُ الله المعجزُ للخلق، في اسلوبه ونظمه، وفي روعته وبيانه. وفي علومه وحِكَمه، وفي تأثير هدايته، وفي كشفه الحُجُب عن الغيوب الماضية والمستقبلة، ولقد جاء العلماء في كشف أسرار البيان، عن وجوه إعجاز القرآن، بعد أن ثبتت عندهم بالوجدان والبرهان، وقد أجمع أهل العربيّة قاطبة، وأهل اللَّسَن منهم والبيان، على أنّ القرآن (معجز بذاته) أي أنّ إعجازه إنما كان بفصاحة ألفاظه، وروعة بيانه، وأسلوبه الفريد، الذي لا يشابهه فيه أسلوب، لا من نثرٍ، ولا من شعر، ومسحته اللفظية الخلاّبة، التي تتجلى في نظامه الصوتي، وجماله اللغوي، وبراعته الفنية.

مذهب أهل الصّرفة:

وقد ذهب بعض المعتزلة منهم (أبو اسحق النظّام) إلى أن إعجاز القرآن إنما كان بـ (الصرّفة) بمعنى أن الله عز وجل صرف البشر عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها وخلق فيهم العجز عن محاكاته في أنفسهم وألسنتهم، ولولا أنّ الله صرفهم عن ذلك لاستطاعوا أن يأتوا بمثله.. ولعمري هذا قول من لم يتذوق طعم العربية، ولا عرف أسرارها، بل قول من لم يدرك من العلوم إلا قشوراً لا تسمن ولا تغني من جوع، وهو قول ساقط مرذول، مخالف لما أجمع عليه العلماء والفصحاء والبلغاء في القديم والحديث

يقول حجة الأدب العربي (مصطفى الرافعي) رحمه الله: (وقد اختلفت آراء المعتزلة في وجه إعجاز القرآن، فذهب شيطان المتكلمين (أبو إسحق النظّام) إلى أنّ

---

(١) سورة الطور، الآية: ٣٤.

الإعجاز كان بالصّرفة، وهي أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها، فكان هذا الصرف خارقاً للعادة وقال (المرتَضَى من الشيعة): بل معنى الصّرفة أن الله سلبهم العلوم التي يحتاج إليها في المعارضة ليجيئوا بمثل القرآن.. فكأنه يقول: إنهم بلغاء يقدرون على مثل النظم والأسلوب ولا يستطيعون ما وراء ذلك مما لبسته ألفاظ القرآن من المعاني، إذ لم يكونوا أهل علم، ولا كان العلم في زمنهم.. وهذا رأي بيّنُ الخلط كما ترى!

ثم قال: وعلى الجملة فإنّ القول بالصرفة لا يختلف عن قول العرب فيه **﴿إنْ هذا إلاّ سِحْرٌ يؤثر﴾**[(1)] وهذا زعمٌ ردّه الله على أهله، وأكذبهم فيه، وجعل القول به ضرباً من العَمَى **﴿أفسحرٌ هذا أمْ أنتمْ لا تبصرونَ﴾**[(2)]

وعلى ذلك المذهب الفاسد يمكن أن يقال: إن المعجز ليس هو القرآن الكريم على حد زعمهم إنما هو (الصرّفة) التي بسببها عجزوا عن الاتيان بمثله **﴿صرفَ اللهُ قلوبَهُمْ بأنهم قومٌ لا يفقهون﴾**[(3)]. وقد أسفَّ (ابن حزم) الظاهري حين سلك ذلك المسلك الملتوي، وذهب إلى ما ذهب إليه سلفه (النظّام) من سُخف الكلام، ولكن بأسلوب رشيق رقيق حيث يقول في كتابه (الفصل) في سبب الإعجاز ما نصّه:

(لم يقل أحد إن كلام الله تعالى غير معجز، ولكن لمّا قاله الله تعالى، وجعله كلاماً له أصاره معجزاً، ومنع من مماثلته، وهذا برهان كافٍ لا يُحتاج إلى غيره)

فأنت ترى صاحب هذا الرأي يجعل القرآن الكريم معجزاً بمنع الله عزّ وجل من مماثلته وهذا عين رأي النظّام الذي يقول بالصّرفة، وهو رأي باطل كما أسلفنا، والقوم محجوبون عن ضياء الحق الساطع، وما أجمل قول القائل:

قد تنكر العينُ ضوء الشمس من رَمَد ... وينكر الفم طعم الماء من سَقَمِ

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٢٤.

(٢) سورة الطور، الآية: ١٥. انظر، إعجاز القرآن للرافعي ص ١٦٤.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٧.

آراء العلماء في الإعجاز:

بعد أن أجمع العلماء على إعجاز القرآن بذاته، وعلى عدم استطاعة أحدٍ من البشر الاتيان بمثله، اختلفت آراؤهم في وجه إعجاز القرآن على آراء:

أ ـ يرى بعضهم: أن وجه الإعجاز في القرآن هو ما اشتمل عليه من النظم الغريب المخالف لنظم العرب ونثرهم، في مطالعه، ومقاطعه، وفواصله

ب ـ ويرى البعض الآخر: أنّ وجه الإعجاز إنما يكمن في فصاحة ألفاظه، وبلاغة عباراته، وجودة سبكهِ، إذ هو في الدرجة العليا من البلاغة التي لم يُعْهَد مثلها

جـ ـ ويرى آخرون أن الإعجاز في خلوّه من التناقض، واشتماله على المعاني الدقيقة، والأمور الغيبيّة التي ليست بمقدور البشر، ولا في استطاعتهم معرفتها، كما أنه سليم من التناقض والتعارض

د ـ وهناك من يقول: إن وجه الإعجاز هو ما تضمّنه القرآن من المزايا الظاهرة والبدائع الرائقة، في الفواتح، والمقاصد، والخواتيم في كل سورة، والمعوّل عليه عندهم ما يلي:

١ ـ الفصاحة في الألفاظ.

٢ ـ البلاغة في المعاني

٣ ـ صورة النظّم البديع.

وهذه الأقوال كلها لا تخرج عن دائرة واحدة هي (الدائرة البيانيّة) التي امتاز بها القرآن، وهي وإن كانت حقاً إلاّ أن إعجاز القرآن ليس في (الفصاحة والبلاغة) فحسب، بل هناك وجوه أخرى لإعجاز القرآن، وقد أجاد العلامة (القرطبي) رحمه الله في تفسيره القيّم المسمّى (الجامع لأحكام القرآن) فعدّ عشرة وجوهٍ لإعجاز القرآن، كما ذكر فضيلة الشيخ (الزرقاني) في كتابه (مناهل العرفان) أربعة عشر وجهاً من وجوه الإعجاز، منها ما ذكره القرطبي ومنها ما لم يذكره، ونحن نذكر هذه

الوجوه بالإيجاز ثم نعقبها بشيء من التفصيل، فنقول ومن الله نستمدّ العون:

وجوه إعجاز القرآن الكريم:

أولاً: النظم البديع المخالف لكل نظمٍ معهود في لسان العرب

ثانياً: الأسلوب العجيب المخالف لجميع الأساليب العربيّة

ثالثاً: الجزالة التي لا يمكن لمخلوق أن يأتي بمثلها

رابعاً: التشريع الدقيق الكامل، الذي يبزّ كل تشريعٍ وضعي

خامساً: الإخبار عن المغيّبات التي لا تعرف إلاّ بالوحي

سادساً: عدم التعارض مع العلوم الكونيّة المقطوع بصحتها

سابعاً: الوفاء بكل ما اخبر عنه القرآن الكريم من وعد ووعيد

ثامناً: العلوم والمعارف التي اشتمل عليها (العلوم الشرعية والعلوم الكونية)

تاسعاً: وفاؤه بحاجات البشر

عاشراً: تأثيره في قلوب الأتباع والأعداء

أما الوجه الأول: من وجوه إعجازه فهو (النظم البديع) المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب، فالقرآن الكريم لا يشبهه شيء في نظمه، لا من شعر ولا من نثر، وذلك بشهادة أساطين البلاغة، وأئمة الفصاحة والبيان، (الوليد بن المغيرة) و (عتبة بن ربيعة) وغيرهما من فصيحاء العرب ومشاهيرهم.

أمثلة من التاريخ:

١ - يروى أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رقّ له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم، إنّ قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوه لك، فإنّك أتيتَ محمداً لتعرضَ لما قِبَله (أي لتنال من فضله) فقال الوليد: لقد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، فقال له أبو جهل: فقل فيه قولاً يبلغ قومَك أنك

منكر له، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلمُ بالشعر مني، لا برجزه، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجنّ، والله ما يشبه هذا الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله لحلاوة وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمر، وإنَّ أسفله لمغدق، وإنه ليعلو وما يُعلى عليه.. فقال أبو جهل اللعين: والله ما يرضى قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكّر، فلمَّا فكّر قال: **﴿إن هذا إلا سحرٌ يؤثر﴾** فنزل فيه قول الله تعالى **﴿ذرني ومنْ خلقتُ وحيداً ★ وجعلتُ لَهُ مالاً ممدوداً..﴾** إلى قوله: **﴿إنه فكّرَ وقدّرَ ★ فَقُتِلَ كيفَ قدّرَ ★ ثمّ قُتلَ كيفَ قَدَّر ★ ثمّ نَظَرَ ★ ثم عَبَسَ وَبَسَرَ ★ ثم أدبَرَ واستكْبَرَ ★ فقالَ إنْ هذا إلا سحرٌ يُؤْثَرَ ★ إنْ هذا إلا قولُ البشر﴾** (١)

٢ - ويروى أن (الوليد) لمّا سمع القرآن من النبي ﷺ تأثرّ تأثراً بالغاً فجاء لقومه (بني مخزوم) وقال لهم: والله لقد سمعت من محمد آنفاً (أي سابقاً) كلاماً ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن، والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة... الخ. فقالت قريش: صبأ والله الوليد، لتصبأنّ قريش كلها، فقال أبو جهل: أنا أكفيكموه، فقعد إليه حزيناً وكلّمه بما أغاظه، فقام الوليد وقام معه أبو جهل، فلمّا أتى قومه قال: تزعمون أن محمداً مجنون فهل رأيتموه يخنق؟ وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه يتكهّن؟ وتزعمون أنه شاعر، فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط؟ وتزعمون أنه كذّاب فهل جرّبتم عليه شيئاً من الكذب؟ فقالوا في كل ذلك. اللّهم لا... ثمّ قالوا: فما هو؟ ففكّر، فقال: ما هو إلا ساحر، أما رأيتموه يفرّق بين الرجل وأهله، وبين الوالد وولده، وما الذي يقوله إلا سحر يأثره (أي ينقله) عن أهل بابل، فارتجّ النادي فرحاً، وتفرقوا مُعْجَبين بقوله، متعجبين منه فنزلت الآيات الكريمة(٢)

٣ - وفي صحيح مسلم أن (أنيساً الغفاري) أخا أبي ذرّ، قال لأبي ذرّ: لقيت رجلاً بمكة على دينك، يزعم أن الله أرسله، قلت: فما يقول الناس: قال يقولون: شاعر، ساحر، كاهن، وكان (أنيس) أحد الشعراء قال أنيس: لقد سمعت قول

---

(١) سورة المدثر، الآيات: ١١ - ٢٥. رواه البيهقي في دلائل النبوة.

(٢) أنظر الكشاف، ج ٤ ص ٦٤٩.

الكهنة، فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على اقراء الشعر (يريد أنواعه وبحوره) فلم يلتئم على لسان أحد منهم أنه شعر، والله إنهم لكاذبون وإنه لصادق[1].

٤ - وأخرج ابن إسحق في السيرة (أن أبا جهل قال في ملأ من قريش: لقد التبس علينا أمر محمد، فلو التمستم لنا رجلاً عالماً بالشعر، والكهانة، والسحر، فكلّمه ثم أتانا ببيان عن أمره؟ فقال (عتبة بن ربيعة) - ومن من أشراف القوم وسادتهم - أنا أقوم إليه وأكلّمه! فأتاه فقال يا محمد: أنتَ خيرٌ أم هاشم؟ أنتَ خير أم عبد المطلب؟ أنت خير أم عبد الله؟ فبم تشتم آلهتنا وتضلّلنا؟ فإن كنت تريد الرياسة، عقد لك اللواء فكنت رئيسنا، وإن كنت تريد النساء زوجناك ما تشاء منهن، تختار من أي بنات قريش ما شئت، وإن كنت تريد المال جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أغنانا وأكثرنا مالاً، والنبي ﷺ ساكت لا يجيبه، فلمّا فرغ من عرضه، قال له النبي ﷺ: أفرَغتَ؟ قال: نعم، قال فاسمع إذاً فتلا عليه سورة فصلت ﴿**حم★ تنزيلٌ منَ الرحمن الرحيم★ كتابٌ فصلتْ آياتُهُ قرآناً عربياً لقومٍ يعلمون★ بشيراً ونذيراً فأعرضَ أكثرَهُمْ فهُمْ لا يسمعون**..﴾ الخ حتى بلغ قوله تعالى ﴿**فإنْ أعرضُوا فقُلْ أنذرْتُكمْ صاعقةً**..﴾[2] الآية فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم أن يكفَّ، ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش، فلما احتبس عنهم قالوا: ما نرى عتبة إلا قد صبأ! فانطلقوا إليه وقالوا يا عتبة: ما حبسك عنّا إلا أنك قد صبأت، فغضب ثم قال لهم: والله لقد كلمته فأجابني بشيء والله ما هو بشعر، ولا بسحرٍ، ولا بكهانة، وقد ناشدته بالرحم أن يكفّ خشية أن ينزل بكم العذاب، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب..)[3]

قال العلامة (القرطبي) رحمه الله

(وإذا اعترف عتبة على موضعه من اللّسان، وموضعه من الفصاحة والبلاغة، بأنه

---

(١) أنظر تفسير القرطبي ج ١ ص ٧٣.

(٢) سورة فصلت، الآيات: ١ - ١٣.

(٣) أنظر الكشاف، ج ٤، ص ١٩٢.

ما سمع مثل القرآن قطّ، كان في هذا القول، مقراً بإعجاز القرآن له ولضربائه من المتحققين بالفصاحة والقدرة على التكلم بجميع أجناس القول وأنواعه)

أما الوجه الثاني لإعجاز القرآن: فهو (الأسلوب العجيب) المخالف لجميع الأساليب العربية. فقد جاء القرآن بذلك الأسلوب الرائع الخلاّب، الذي بهر العرب برونقه وجماله، وعذوبته وحلاوته، وقد كانت فيه من الخصائص العليا مالم توجد في كلام بشر على نحو ما وجدت في القرآن، خصوصاً وأن النبي ﷺ تحدّى به فأعجز أساطين الفصحاء. وأعيا مقاويل البلغاء، وأخرس ألسنة فحول البيان، وذلك في عصر كانت القُوَى فيه قد توافرت على الإجادة والتبريز في هذا الميدان، وفي أمة كانت مواهبها محشودة للتفوق في هذه الناحية

يقول (الزرقاني) رحمه الله: (وها قد مرّت على اللغة العربية، من عهد نزول القرآن إلى عصرنا هذا، أدوار مختلفة بين علوّ ونزول، واتسّاع وانقباض، وحركة وجمود، وحضارة وبداوة، والقرآن في كل هذه الأدوار، واقف في عليائه، يطلُ على الجميع من سمائه. وهو يشعُ نوراً وهدايةً، ويفيض عذوبة وجلالة، ويسيل رقةً وجزالة، ويرف جدّة وطلاوة، ولا يزال كما كان غضاً طرياً، يحمل راية الإعجاز، ويتحدّى أمم العالم في يقين وثقة، قائلاً في صراحة الحق وقوته، وسلطان الإعجاز وصولته ﴿**قلْ لئنِ اجتمعت الانسُ والجنُ على أنْ يأتُوا بمثلِ هذا القرآن لا يأتُونَ بمثلِهِ ولَوْ كانَ بعضُهُمْ لبعضٍ ظهيراً**﴾ [1].

خصائص أسلوب القرآن:

وللقرآن الكريم في أسلوبه العجيب المخالف لجميع الأساليب البشرية خصائص عديدة نجملها فيما يلي:

الخاصة الأولى: مسحة القرآن اللفظية، التي تتجلّى في نظامه الصوتي، وجماله اللغوي

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٨. أنظر مناهل العرفان ج ٢، ص ٢٢٩.

الخاصة الثانية: إرضاؤه العامة والخاصة، بمعنى أن الجميع يحسّون بجلاله ويشعرون بروعته

الخاصة الثالثة: إرضاؤه العقل والعاطفة معاً فالقرآن يخاطب العقل والقلب، ويجمع الحق والجمال معاً

الخاصة الرابعة: جودة سبك القرآن وإحْكامُ سرده، فكأنه سبيكة واحدة تلعب بالعقول وتأخذ بالأبصار

الخاصة الخامسة: براعته في تصريف القول، وتفنّنه في ضروب الكلام، بمعنى أنه يورد المعنى الواحد بألفاظ شتى، وطرق مختلفة، وكلها رائعة فائقة

الخاصة السادسة: جمع القرآن بين الإجمال والبيان

الخاصة السابعة: الوفاء بالمعنى مع القصد في اللفظ [1].

أمثلة توضيحية على خصائص أسلوب القرآن:

يقول حجة الأدب العربيّ الفقيد (مصطفى الرافعي) رحمه الله:

١ - (لو تدبرتَ ألفاظ القرآن في نظمها، لرأيت حركاتها الصّرفية واللغوية، تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة، ولن تجدها إلا مؤتلفة مع أصوات الحروف مُساوقة لها في النظم الموسيقي، حتى إنّ الحركة ربّما كانت ثقيلة، فلا تعذُب ولا تُساغ فإذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأناً عجيباً.. من ذلك لفظة (النُّذر) جمع نذير، فإنّ الضمّة ثقيلة فيها لتواليها على النون والذال معاً، فضلاً عن جسأة هذا الحرف، ونبوّه في اللسان، ولكنّه جاء في القرآن على العكس في قوله تعالى ﴿ولقدْ أنذرَهُم بطشَتَنا فتمارَوْا بالنُّذرُ﴾ [2] فتأمل هذا التركيب، وأنعم ثم أنعم على تأمله، وتذوّق مواقع الحروف، وأجرِ حركاتها في حسّ

---

(١) أنظر: مناهل العرفان للزرقاني.

(٢) سورة القمر، الآية: ٣٦.

السمع، وتأمّلْ مواضع القلقلة في دال (لقدْ) وفي الطاء من (بْطشتنا) وفي الفتحات المتوالية فيما وراء الطاء إلى الواو من قوله (بطشَتَنا فَتَمَارَوْا) مع الفصل بالمد، ليكون ثقل الضمّة عليه مستَخفاً بعد، ولتكون هذه الضمة قد أصابت موضعها كما تكونَ الاحماض في الأطعمة.

٢ ـ وفي القرآن لفظة غريبة هي من اغرب ما فيه، وما حسنت في كلام قط الا في موقعها فيه، وهي كلمة (ضيزى) من قوله تعالى ﴿**تِلكَ إذاً قِسمَةٌ ضِيْزَى**﴾ ومع ذلك فإن حُسْنها في نظم الكلام من أغرب الحُسن ومن أعجبه، ولو أردت اللغة العربية ما صلُح لهذا الموضع غيرها، فإن السورة التي هي منها وهي سورة (النجم) مفصّلة كلها على الياء، فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل، ثمّ هي في معرض الإنكار على العرب، إذ وردت في ذكر الاصنام، وزعمهم في قسمة الاولاد، فإنهم جعلوا الملائكة والأصنام بنات لله، مع وأدهم للبنات فقال تعالى ﴿**ألكُمُ الذَّكَرَ ولَهُ الأنثى★ تلكَ إذاً قسمةٌ ضِيزَى**﴾[1] فكانت غرابة اللفظة أشد الاشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التي انكرها، وكانت الجملة كلها كأنها تصورّ في هيئة النطق بها، الإنكار في الأولى، والتهكم في الاخرى، وكان هذا التصوير أبلغ ما في البلاغة، وخاصة في اللفظة الغريبة التي تمكنت في موضعها من الفصل..

٣ ـ ومما لا يسعه طوق انسان في نظم الكلام البليغ، ثم مما يدل على ان نظم القرآن مادة فوق الصنعة، ومن وراء الفكر، وكأنها صُبّت على الجملة صباً، انك ترى بعض الالفاظ لم يأت فيه الا مجموعاً، ولم يستعمل منه صيغة المفرد، فإذا احتاج الى هذه الصيغة استعمل مرادفها، كلفظة (اللُب) فإنها لم ترد إلا مجموعة كقولة تعالى ﴿**إنّ في ذلِكَ لَذِكرى لأولي الألباب**﴾[2] وقوله ﴿**وليذّكّرَ أولو الألبابِ**﴾[3] ونحوهما ولم ترد فيه مفردة، بل جاء مكانها (القلب) في قوله تعالى ﴿**إنّ في ذلك لذِكْرَى لِمَنْ**

---

(١) سورة النجم، الآيتان: ٢١، ٢٢.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٢١.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٥٢.

كانَ لَهُ قَلْبٌ أوْ ألْقَى السّمْعَ وَهُوَ شَهيدٌ﴾ [1] وذلك لان لفظ (الباء) شديد مجتمع، ولا يُفضي الى هذه الشدّة الا من اللام الشديدة المسترخية، فلما لم تحسن اللفظة اسقطها من نظمه بتّة..

وكذلك لفظ (الكوب) استعملت فيه مجموعة، ولم يأت بها مفردة، لأنه لا يتهيأ فيها ما يجعلها في النطق ـ من الظهور والرقّة والانكشاف وحسن التناسب ـ كلفظ (أكواب) الذي هو الجمع، و (الارجاء) لم يستعمل القرآن لفظها إلا مجموعاً، وترك المفرد وهو الرّجا: اي الجانب لعلة لفظه، وانه لا يسوغ في نظمه كما ترى..

وعكس ذلك لفظة (الأرض) فإنها لم ترد فيه الا مفردة، ولم يرد في القرآن صيغة الجمع (أرضين) ولما احتاج الى جمعها اخرجها على هذه الصورة التي ذهبت بسر الفصاحة، وذهب بها حتى خرجت من الروعة بحيث يسجد لها كل فكر سجدة طويلة، وذلك في قوله تعالى: ﴿اللهُ الّذي خَلَقَ سَبْعَ سَمواتٍ ومنَ الأرضِ مِثْلَهُنَّ، يتنزّلُ الأمرُ بَينَهُنّ﴾ [2] ولم يقل (وسبع أرضين) لهذه الجسأة التي تدخل للفظ، ويختل بها النظم اختلالاً...

٤ ـ وتأمل قوله تعالى ﴿فأرسَلنا عليْهِمْ الطّوفانَ، والجرادَ والقُمّل، والضّفادعَ، والدّمَ، آياتٍ مفصّلاتٍ﴾ [3] فإنها خمسة اسماء، أخفها في اللفظ (الطوفان، والجراد، والدم) وأثقلها (القمّل والضفادع) فقدّم (الطوفان) لمكان المدّين فيها، حتى يأنس اللسان بخفتها، ثم (الجراد) وفيها كذلك مدّ، ثم جاء باللفظين الشديدين مبتدئاً باخفهما في اللسان، وابعدهما في الصوت لمكان تلك الغُنّة فيه، ثم جيء بلفظة (والدم) آخراً، وهي اخف الخمسة واقلها حروفاً، ليسرع اللّسان فيها، ويستقيم لها ذوق النظم، ويتم بها هذا الاعجاز في التركيب، وانت فمهما قلّبت هذه الاسماء الخمسة، فإنك لا ترى لها فصاحة الا في هذا الوضع، فلو قدّمت او أخرت لبادرك

(١) سورة ق، الآية: ٣٧.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ١٢.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٣٣.

التهافت والتعثر، ولأعنتك ان تجيء منها بلفظٍ، او نظم فصيح..

من ذلك يخلص لنا أن القرآن الكريم إنما ينفرد بأسلوبه، لأنه ليس وضعاً انسانياً البتة، ولو كان من وضع انسان لجاء على طريقة تشبه أسلوبا من أساليب العرب، او من جاء بعدهم الى هذا العهد ﴿**وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوجَدُوا فيهِ اختِلافاً كَثِيراً**﴾ [1] ولقد أحس العرب بهذا المعنى، واستيقنه بلغاؤهم، ولولاه ما افحموا، ولا انقطعوا من دونه، لأنهم رأوا جنسا من الكلام غير ما تؤديه طباعهم، وكيف لهم في معارضته بطبيعة غير مخلوقة [2] ؟!..

ويقول المرحوم فضيلة الشيخ (الزرقاني) في موضوع خصائص أسلوب القرآن:.

(للقرآن مسحة خلابة عجيبة، تتجلّى في نظامه الصّوتي، وجماله اللغوي.. ونريد بنظام القرآن الصوتي: اتساق القرآن وائتلافه في حركاته وسكناته، ومدّاته وغنّاته، واتصالاته وسكتاته، اتساقاً عجيباً، وائتلافاً رائعاً، يسترعي الاسماع ويستهوي النفوس، بطريقة لا يمكن أن يصل اليها أي كلام آخر من منظوم ومنثور..

ونريد بجمال القرآن اللغوي، تلك الظاهرة العجيبة التي امتاز بها القرآن في وصف حروفه وترتيب كلماته، ترتيباً دونه كل ترتيب تعاطاه الناس في كلامهم، ولقد وصل هذا الجمال اللغوي الى قمة الاعجاز، بحيث لو دخل في القرآن شيء من كلام الناس، لاعتلّ مذاقه في افواه قارئيه، واختل نظامه في آذان سامعيه، ومن عجيب أمر هذا الجمال اللغوي ، وذلك النظام الصوتي، انهما كما كانا دليل اعجاز من ناحية، كانا سُوراً منيعاً لحفظ القرآن من ناحية أخرى، وذلك ان من شأن الجمال اللّغويّ، والنظام الصوتيّ، ان يسترعي الاسماع، ويثير الانتباه، ويحرّك داعية الإقبال في كل إنسان، إلى هذا القرآن الكريم، وبذلك يبقى أبد الدهر سائداً على ألسنة الخلق وفي آذانهم، ويُعرف بذاته ومزاياه بينهم فلا يجرؤ احد على تغييره وتبديله، مصداقاً لقوله سبحانه:

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٢) إعجاز القرآن للرافعي، ص ٢٦١.

﴿إنّا نحنُ نَزّلنا الذِّكرَ، وإنّا لَهُ لحافِظُون﴾[1]..

ومن خصائص اسلوب القرآن العظيم انه يخاطب العقل والقلب معاً، ويجمع الحق والجمال معاً، انظر إليه وهو في معمعان إقامة الدليل العقلي على البعث والنشور في مواجهة المنكرين المكذبين، كيف يسوق استدلاله سوقاً يهز القلوب هزاً، ويمتع العاطفة امتاعاً، بما جاء في طيّ هذه الادلة المسكتة المقنعة، إذ قال سبحانه في سورة (فصّلت):.

﴿ومنْ آياتِه أنّكَ ترىَ الأرضَ خاشِعةً، فإذا أنزَلْنا علَيْها الماءَ اهتزّتْ وَرَبَتْ، إنّ الّذي أحياها لَمُحْيي المَوْتَى، إنّهُ علَى كُل شَيْء قَديرٌ﴾[2]. واستمع إليه في سورة (ق) إذ يقول:.

﴿وَنَزّلْنَا مِنَ السّماءِ مَاءً مُباركاً فَأنْبَتْنَا بِهِ جَنّاتٍ وحَبَّ الحَصِيدْ★ والنّخْلَ بَاسِقَاتٍ لهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ★ رِزْقاً للعِبادِ وأحْيَيْنَا بهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَلِكَ الخُرُوجُ﴾[3]..

تأمل هذا الاسلوب البارع، الذي اقنع العقل، وامتع العاطفة في آنٍ واحد، حتى في الجملة التي هي بمثابة النتيجة من مقدمات الدليل، إذ قال في الآية الأولى ﴿إنّ الّذي أحْياهَا لَمُحْيي المَوْتى﴾ وفي الآيات الأخيرة قال ﴿كذلِكَ الخُروجُ﴾ أي الخروج من القبور، والبعث والنشور..

يا لَلجمال الساحر، ويا لَلإعْجاز الباهر، الذي يستقبل عقل الانسان وقلبه معاً، بأنصع الأدلة، واجمل البيان، في هذه الكلمات المعدودات!!.

ثم أنظر الى القرآن وهو يسوق قصة (يوسف) مثلاً، كيف يأتي في خلالها بالعظات

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩. أنظر: مناهل العرفان، ج ٢، ص ٢٠٨.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٩.

(٣) سورة ق، الآيتان: ٩ ـ ١١.

البالغة، ويطلع من خلالها بالبراهين الساطعة، على وجوب الاعتصام، بالعفاف، والشرف، والأمانة، إذ قال في فصلٍ من فصول تلك القصة الرائعة:.

﴿وَرَاوَدَتْهُ الّتي هُوَ بَيْتِهَا عَنْ نَفسِهِ، وغَلّقَتِ الأبْوابَ، وقَالَتْ: هَيْتَ لَكْ، قالَ مَعاذَ اللهِ إنّهُ رَبّي أحْسَنَ مَثْوايَ، إنّه لا يُفلِحُ الظّالِمونَ﴾ [1]..

فتأمل في هذه الآية كيف قوبلت دواعي الغواية الثلاث، بدواعي العفاف الثلاث، مقابلة صورت من القصص الممتع جدالاً عنيفاً بين (جند الرحمن) و (جند الشيطان) ووضعتها امام العقل المنصف في كفتي ميزان!! وهكذا تجد القرآن كلّه مزيجاً حلواً سائغاً، يخفّف على النفوس ان تجرع الأدلة العقلية، ويرفه عن العقول باللفتات العاطفية، فهل تسعد بمثل هذا في كلام البشر؟ لا، ثم لا، فكلام البشر إنْ وفى بحقّ العقل، بخس العاطفة حقها، وإن وفى بحقّ العاطفة بخس العقل حقه، حتى لقد بات العرف العام يقسم الاساليب البشرية الى قسمين، لا ثالث لهما (اسلوب علمي) و (اسلوب ادبي) فطلاب العلم لا يرضيهم اسلوب الادب، وطلاب الادب لا يرضيهم اسلوب العلم، وهكذا تجد كلام العلماء والمحققين فيه من الجفاء والعري، ما لا يهزّ القلوب ويحرّك النفوس، وتجد في كلام الأدباء والشعراء، من الُهزال والعقم العلمي ما لا يغذي الأفكار ويقنع العقول، اما القرآن فقد انفرد بهذه المزيّة بين أنواع الكلام، لأنه تنزيل من القادر الذي لا يشغله شأن عن شأن **﴿فتبارَكَ اللهُ ربُ العالمين﴾** [2]..

٣ ـ الوجه الثالث من وجوه الاعجاز، ذلك الايجاز الرائع، والجزالة [3] الخارقة التي ليس بإمكان مخلوق من البشر ان يحيط بها، أو يأتي بمثلها لأنها فوق الطاقة البشرية، والقدرة الانسانية. لقد كان البدوي، راعي الغنم، يسمع القرآن فيخر ساجداً لله رب العالمين، وذلك لروعة هذا الكتاب المجيد، ولما يفعل به في نفوس السامعين، وهو دليل رقة الإحساس، ولطف الشعور من اولئك الرعاة الجفاة.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٢٣.

(٢) سورة غافر، الآية: ٦٤. أنظر مناهل العرفان، ص ٢١٠.

(٣) المراد بالجزالة: الفخامة في الألفاظ، والإجادة في التعبير مع قوة الحبك وعدم التعقيد.

قصة الجارية والأصمعي:.

يروى أن (الأصمعي) خرج ذات يوم فلقي جارية خماسيّة او سداسيّة، وسمعها تنشد أبياتاً من الشعر رائعة، فأعجِب بتلك الابيات وهزّت منه النفس والقلب، بجمال اسلوبها، وروعة بيانها، وفصاحة الفاظها، فقال لها: قاتلك الله ما أفصحك؟ فقالت له: ويحك أوَ يعد هذا فصاحة بعد قول الله تبارك وتعالى **﴿وأوحينا إلى أم مُوسى أنْ أرضِعيه، فإذا خفتِ عليهِ فألقيهِ في اليّم، وَلا تخافي ولا تحزني إنّا رادّوه إليكِ وجاعِلوهُ مِن المُرْسَلين﴾**[1] ثم قالت له: فقد جمعت هذه الآية على وجازتها بين أمرين، ونهيين، وخبرين، وبشارتين[2].. الخ. قال الاصمعي فأعجبت بفهمها وإدراكها اكثر ما اعجبت بشعرها، فهي جارية بدوية صغيرة السن ولكنها واسعة العلم والفهم، أما الأبيات التي كانت تنشدها فهي قولها:.

(أستغفـــر الله لـــذنبي كلّـــه قبّلـــت إنســـانـــاً بغير حلّـــه)
(مثـل الغـــزال نـــاعماً في دلّـــه وانتصـــف الليـــل ولم أصلّـــه)

وقد أشارت هذه الجارية على الأصمعي بروعة ما في القرآن من بلاغة وفصاحة، وإيجاز وإعجاز، فالآية الكريمة جمعت بين امرين وهما (أرضعيه) و(ألقيه في اليّم) ونهيين وهما (لا تخافي) و(لا تحزني) وخبرين وهما (أوحينا) و(خفت) وبشارتين وهما (إنا رادّوه إليك) و(جاعلُوه منَ المرسلين) فالبشارة الأولى برده اليها سلماً كريماً، والبشارة الثانية وهي أن الله سبحانه وتعالى سيجعله رسولاً هادياً. فانظر - رعاك الله - كيف أدركت هذه الجارية البدوية، بفطرتها العربية، سراً من أسرار هذا الايجاز والاعجاز، وانتبهت الى ما لم يدركه هو من أسرار هذا القرآن، فكأنّ الآية نظمت في عقد من اللؤلؤ والمرجان، فكانت لآلئها بميزان..

---

(١) سورة القصص، الآية: ٧.

(٢) القصة ذكرها القرطبي في تفسيره الجزء الثالث عشر ص ٢٥٢، وذكرها صاحب المنار في الجزء الأول ص ٢٨ والمراد بقوله (خماسية او سداسية) أي طولها خمسة او ستة أشبار. أي أنها معتدلة القامة.

ب ـ ويروى أن (ابن المقفع) الكاتب البليغ المشهور، حاول أن يعارض القرآن ذات مرّة، فسمع صبياً يقرأ قوله تعالى: **﴿وقِيل يا أرْضُ ابْلَعي ماءَكِ، ويَا سَماءُ أقلِعي، وغِيضَ الماءُ، وقُضِيَ الأمرُ، واَستَوَتْ على الجُوديّ، وَقِيلَ بُعْداً للْقَومِ الظّالمين﴾** [1] فكسّر الأقلام، ومزّق الصحف التي كان قد بدأ بها في المعارضة وقال: هذا والله مما لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله، فمزق ما جمع واستحيا على نفسه من إظهاره..

وهكذا رجع الأديب الكبير البليغ عن عزمه، بعد ان حدثته نفسه بمعارضة بعض سوره لأنه شعر بروعة القرآن..

ثم انظر الى الجزالة والايجاز في أسلوب القرآن، وقارنها بأروع اسلوب نطق به عربي، وهو أسلوب افصح من نطق بالضاد، سيد المرسلين محمد بن عبد الله، الذي شهد ببلاغته وفصاحته اعداؤه قبل أنصاره، قارن بين (القرآن والسنة النبوية) تجد الفرق شاسعاً، والبون بعيداً، كفرق ما بين السماء والأرض، فبلاغة القرآن ونضارته واشراقته في أعلى طبقات الإحسان، وأرفع درجات الايجاز والبيان، تأمل قوله ﷺ في صفة الجنة وما فيها من نعيم وخلود:.

«فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر...» الحديث، وقارن بين هذه الألفاظ على روعتها وبين قوله تعالى في وصف نعيم أهل الجنة..

﴿وفيها ما تَشْتهِيهِ الأنفُس، وتلذّ الأعين..﴾ [2] الآية. وقوله تعالى **﴿فَلا تعلَمُ نَفسٌ ما أُخْفِيَ لهم مِنْ قرّةِ أعْيُن﴾** [3] فهذا أعدل وزناً، وأحسن تركيباً، وأعذب لفظاً، وأجزل عبارة، وأقل حروفاً.!!.

ووازن بين قوله ﷺ «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الرجل راع في بيته

---

١) سورة هود، الآية: ٤٤.

٢) سورة الزخرف، الآية: ٧١.

٣) سورة السجدة، الآية: ١٧.

ومسؤول عن رعيته» الحديث. وبين قوله تعالى ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُم أَجْمَعِينَ ★ عمّا كانُوا يَعْمَلونَ﴾ [1] وقوله ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الذينَ أُرْسِلَ إليْهِم ولنَسْأَلنّ المُرسَلين﴾ [2] وكذلك قارن بين سائر اقواله ﷺ وبين القرآن الكريم تجد أن كلام الرسول على بلاغته لا يخرج عن كونه كلام بشر في الذروة العليا من الكلام، أما كلام الله تعالى فلا يشبهه كلام لانه كلام خالق البشر، انظر إليه وهو يتحدث في جزء آية من آياته المجيدة عن احوال الامم السابقين، ومآل الجاحدين المكذبين، وما حل بهم من كوارث ونكبات، نتيجة لطغيانهم وتمردهم، ثم كيف انتقم الله منهم جميعاً بعد ان جاوزوا الحدّ في الطغيان، فلم ينج منهم إنسان يقول جلّ ثناؤه:.

﴿فمِنْهُمْ مَنْ أرْسَلنَا علَيْهِ حَاصِباً، ومنهم مَنْ أخَذَتْهُ الصّيْحَةُ، ومِنْهُم مَنْ خَسَفْنا بهِ الأرضَ، ومِنْهُم مَن أغْرَقْنا، ومَا كانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ ولَكنْ كانوا أنْفُسَهُمْ يَظْلِمون﴾ [3]..

يقول القرطبي رحمه الله نقلاً عن (ابن الحصّار): وهذه الثلاثة اوجه من (النظم، والاسلوب، والجزالة) لازمة كل سورة، بل هي لازمة كل آية، وبمجموع هذه الثلاثة يتميز مسموع كل آية وكل سورة عن سائر كلام البشر، وبها وقع التحدّي والتعجيز، ومع هذا فكل سورة تنفرد بهذه الثلاثة، من غير ان ينضاف اليها أمر آخر من الوجوه العشرة، فهذه سورة (الكوثر) ثلاث آيات قصار، وهي اقصر سورة في القرآن، وقد تضمنت الإخبار عن معنيَين:.

أحدهما: الإخبار عن الكوثر (نهر في الجنة) وعظمه وسعته وكثرة اوانيه، وذلك يدل على ان المصدقين به أكثر من أتباع سائر الرسل..

والثاني: الإخبار عن (الوليد بن المغيرة) وكان عند نزول الآية ذا مال وولد، ثم

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩٢، ٩٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٦.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٠.

أهلك الله سبحانه ماله وولده[1]، وانقطع نسله[2]..) انتهى.

٤ ـ التشريع الالهي الكامل:.

ومن وجوه إعجاز القرآن الكريم ذلك التشريع الإلهي الكامل، الذي يسمو فوق كل تشريع وضعي عرفه البشر، في القديم والحديث، فالقرآن الكريم هو الذي وضّح أصول العقائد، وأحكام العبادات، وقوانين الفضائل والآداب، وقواعد التشريع الاقتصادي، والسياسي، والمدني، والاجتماعي، وهو الذي نظّم حياة الاسرة، والمجتمع، ووضع أعدل المبادىء الإنسانية الكريمة التي ينادي بها دعاة الإصلاح في القرن العشرين ألا وهي (المساواة، الحرية، العدالة التي يسمونها (الديمقراطية) الشورى) الى غير ما هنالك من أسس الحضارة والتشريع، الذي تسعى اليه المدنية الحديثة. ففي العقائد دعا القرآن الى عقيدة طاهرة سامية، واضحة جلية، عمادها الايمان بالله عز وجل والتصديق بجميع انبيائه ورسله، والايمان بجميع الكتب السماوية مصداقاً لقوله تعالى:.

﴿آمَنَ الرّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ والمُؤمِنُونَ، كُلّ آمنَ بالله ومَلائِكَتِهُ وكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، لا نُفَرِّقُ بينَ أحدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾[3]. ودعا أهل الكتاب (اليهود والنصارى) الى كلمة سواء، لا انحراف فيها ولا التواء قال تعالى: **﴿قُلْ يا أَهْلَ الكِتابِ تعالَوْا إلى كلمةٍ سواءٍ بيْننا وبيْنَكُم ألاّ نعْبُدَ إلاّ الله ولا نُشْرك بهِ شيْئاً ولا يتّخذَ بعْضُنا بَعْضاً أرْباباً مِنْ دونِ الله، فإن تولّوا فَقُولُوا اشْهدوا بِأنّا مُسْلِمُون﴾**[4]..

---

(١) معنى الأبتر: الذي لا ولد له ولا نسل، والشانيء معناه: المبغض، وقد قال الزمخشري أنها نزلت في (العاص بن وائل).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج ١، ص ٧٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

وفي العبادات جاء القرآن العظيم بأسس العبادات ودعائمها، فشرع الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، وسائر اعمال البرّ والطاعة، وليست (العبادة) في الاسلام قاصرة على هذه الدعائم والأركان، بل هي تشمل كل عمل خير، وفعل برّ او طاعة، ولهذا فإن العلماء قرروا أن كل عملٍ يقصد به الإنسان وجه الله يكون عبادة، وقالوا (إن النية الصالحة تقلب العادة الى عبادة) فإذا عمل الإنسان واحترف له صنعة بقصد التعفف عن الحرام والإنفاق على أهله وعياله، وإذا اكل أو شرب بقصد التقوّي على طاعة الله كان عمله عبادة يثاب عليها، والاصل في هذا قول النبي الكريم «وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا اجرت عليها، حتى اللقمة تضعها في فيّ امرأتك) الحديث[1]. وقوله ﷺ «وفي بُضْع احدكم صدقة، قالوا يا رسول الله: أيأتي احدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام اكان عليه وزر؟ فكذلك اذا وضعها في حلال كان له أجر»[2] وإذا امعنا النظر في اصول العبادات المفروضة نجد ان الإسلام قد وسّعها ونوّعها، وجعلها ضروباً متفاوتة، فمنها ما هو (عبادة مالية) كالزكاة والصدقات، ومنها ما هو (عبادة بدنية) كالصلاة والصيام، ومنها ما هو يجمع بين الامرين (عبادة مالية وبدنيّة) كالجهاد في سبيل الله يكون بالمال والنفس وهذا التنويع له مغزاه وحكمته السامية وذلك لئلا تألف النفس شيئاً فتصبح لها عادة او تملّ وتضجر من العبادة الواحدة. وفي مجال (التشريع العام) نجد القرآن العظيم قد وضع قواعد عامة في التشريع المدني، والجنائي، والسياسي، والاقتصادي، ووضع أسساً للتعامل الدولي في حالة السلم والحرب، على اكمل وجه واعدل نظام، ففي أمر المعاملات حرّم القرآن اكل اموال الناس بالباطل ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِنْكُم**﴾[3]

---

(١) الحديث من رواية البخاري في قصة (سعد بن أبي وقاص) حين دخل الرسول ﷺ يزوره من وجع اشتد به.

(٢) الحديث من رواية مسلم، وهو في باب كثرة طرق الخير وأوله: أن ناساً قالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور.

(٣) سورة النساء، الآية: ٢٩.

الآية، ودعا الى الإشهاد عند إبرام البيع وبكتابة الدين ﴿يا أيّها الّذين آمَنُوا إذا تَدايَنْتُم بِدَيْنٍ إلى أجلٍ مُسَمَّى فَاكْتُبوهُ ولْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كاتِبٌ بالْعَدْلِ﴾[1] الآية. وفي الأمور الجنائية شرع القرآن الحدود، وأوجب على الأمة تنفيذها، من أجل حماية المجتمع وصيانته من الفوضى والاضطراب وتأمين الأمة على حياتها ومستقبلها، وأموالها وأعراضها لتعيش الحياة الكريمة السعيدة التي لن تكون إلا عن طريق (الأمن والاستقرار)..

وقد نص القرآن الكريم على أمهات الجرائم، وأعظمها خطراً على مستقبل الفرد والجماعة، ووضع لكلٍ منها عقوبات مقدرة لا يجوز الزيادة عليها او النقصان منها، أو التساهل في تطبيقها، وترك ما سوى ذلك من (الجرائم الخفيفة) للحاكم المسلم، ينفّذ فيها ما يراه من العقوبة، على ضوء السنة النبويّة المطهّرة، وبالشكل الذي يحقق روح الإسلام من إرادة الخير للناس، وتطهير المجتمع من المفاسد والمظالم الاجتماعية، أما الجرائم الكبيرة التي عين لها القرآن عقوبات رادعة فهي خمسة: (جريمة القتل، جريمة الزنى، جريمة السرقة، جريمة قطع الطريق، جريمة الاعتداء على كرامة الناس بالقذف)..

ولعلّ أروع مثلٍ للمقارنة بين (التشريع الإلهي القرآني) وبين (التشريع الوضعي) الذي هو من صنيع البشر ذلك الأثر العظيم الذي تركه القرآن الكريم في نفوس العرب بسبب تلك الطريقة الحكيمة التي سلكها في معالجة المفاسد والأمراض الاجتماعية، حيث قضى على كل فساد، واستأصل كل جريمة من نفوسهم، وجعلهم خير أمة اخرجت للناس، فملكوا الدنيا وسادوا العالم..

أمثلة من واقع الحياة:.

ومن الأمثلة على تفوّق ذلك التشريع القرآنيّ الحكيم، على بقية التشاريع البشرية

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

والنظم الارضية ما نلمسه في واقع الحياة، ويمكن ان نشير إشارة خاطفة الى سموّ الشريعة الإسلامية على بقية النظم فيما يلي:.

١ ـ منذ زمن قريب حرّمت (أمريكا) الخمر، ولكنها فشلت ولم تنجح لأنها لم توفق الى الطريقة الحكيمة التي اتّبعها الإسلام في تحريم الخمر، فعادت الى إباحته مع اعتقادها بضرره الفادح.

٢ ـ أباحت بعض الدول الغربية وخاصة (أمريكا) الطلاق بعد ان كان ممنوعاً لديها بسبب تعاليم الكنيسة، ولكنها أسرفت فيه إلى درجة ضارّة، ولا تزال تأخذ بتشريع الطلاق..

٣ ـ مصلحو اوربا يرفعون اصواتهم بضرورة السماح (بتعدد الزوجات) حتى بعض نسائهم طالبن بذلك نتيجة لكثرة العوانس من النساء، بحيث أصبحت المشكلة ذات أهميّة خطيرة على المجتمع الاوربي..

٤ ـ الخيانات الزوجية انتشرت في المجتمع الاوربي (المتمدّن) بشكل فظيع، وبصورة مذهلة حتى أصبحت الاسر مهددة بانفصام عراها، وكثر فيها اللقطاء وذلك بسبب السفور والتبرج والاختلاط بين الجنسين..

٥ ـ إسبانيا أصدرت حكومتها قراراً وسنت قانوناً بمنع البغاء الرسمي في بلادها، وبمنع النساء من البروز على الشواطيء في ثياب الاستحمام..

٦ ـ زعيم فرنسا نادى غداة هزيمتها امام الألمان في الحرب الاخيرة يقول: إن سبب انهيار دولة فرنسا وسبب هزيمتها وانكسارها هو انغماسهم في الشهوات الجنسية، وإسرافهم في المفاسد والمفاتن..

٧ ـ وأخيراً نجد ان الجرائم تزداد في كل يوم في المجتمع المتمدن (المجتمع العربي) مع صراحة العقوبات المشروعة، عندهم بالحبس والسجن السنوات الطوال، او الإعدام بالشنق، ومع ذلك نجد الجرائم المروّعة من خطف للفتيات والفتيان، وإزهاق للأرواح، وسرقة ـ في وضح النهار ـ للبيوت والبنوك والمحلات الكبيرة حتى لقد اصبحنا نسمع عن وجود عصابات خطيرة، تهدد امن البلاد وسلامة العباد، وذلك من

أعظم البراهين على فشل النظم الوضعية، والتشريعات البشرية، اما الاسلام فقد حقق الامن والسلام، وقضى على الجريمة في مهدها ولقد أحسن من قال:

(أينما نظّمت عقول ضعاف من نظام المهيمن الديّان)
(إيه عصرَ العشرين ظنوك عصراً نيّر الوجه مسعد الانسانِ)
(لست نوراً بل انت نار وظلم مُذْ جعلتَ الإنسان كالحيوانِ)

ذلك هو الفرق بين تشريع الرحمن، وتشريع الإنسان، ولكن أكثر الناس لا يعلمون [1].

٥ ـ الإخبار عن المغيّبات:.

ومن وجوه إعجاز القرآن الكريم (إخباره عن المغيّبات) وذلك برهان ساطع، ودليل قاطع على أن هذا القرآن ليس من كلام البشر، إنما هو كلام علاّم الغيوب، الذي لا تخفى عليه خافية، ولو كان من صنع محمد ـ كما زعموا ـ لظهرت علائم الوضع في تلك الأخبار الغيبية، بوقوعها على خلاف ما اخبر ولافتضح امره بالكذب الصريح، وحاشاه ﷺ من الكذب على الله..

أ ـ فمن هذه الاخبار الغيبية، إخباره عن الحرب التي ستقع بين الروم والفرس، وستكون الغلبة فيها والانتصار للروم بعد ان انكسروا في الحرب السابقة وذلك في قوله تعالى:.

﴿ألَم ★ غُلِبَتْ الرّوم ★ في أدْنى الأرضِ وهُمْ مِنْ بعدِ غَلَبِهم سَيَغلِبون ★ في بِضعِ سِنين، لله الأمْرُ مِنْ قَبْلُ ومِنْ بعدُ ويَوْمَئِذٍ يَفْرحُ المؤمِنون ★ بنصرِ الله، يَنْصُرُ مَنْ يَشاء وَهُوَ العزيزُ الرّحيم﴾ [2].

يذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية ان حرباً وقعت بين دولة الروم وهي

---

(١) أنظر كتاب مناهل العرفان للزرقاني.

(٢) سورة الروم، الآيات: ١ ـ ٥.

(مسيحية) ودولة الفرس وهي (وثنية) فانتصر الفرس على الروم، ففرح المشركون وشمتوا وقالوا للمسلمين: تزعمون انكم أهل كتاب وأن النصارى أهل كتاب، وها قد ظهر إخواننا على إخوانكم، ولنظهرنّ نحن عليكم، فاغتمّ المسلمون وحزنوا لانهزام الروم وهم دولة متدينة، أمام دولة الفرس وهم وثنيون، فنزلت الآية الكريمة تبشر المسلمين بانتصار الروم على الفرس في مدة وجيزة تتراوح بين الثلاث والتسع من السنين (في بضع سنين) ولم يكن مظنوناً وقت تلك البشارة أن الروم تنتصر على الفرس، لأن الحروب الطاحنة انهكتها حتى غزيت في عقر دارها، ولأن دولة الفرس كانت قوية منيعة، وزادها الظفر الأخير قوة ومنعة. فلما نزلت الآية الكريمة راهن ابو بكر بعض المشركين وهو (أبي بن خلف) على مائة ناقة الى تسع سنين، ولم تمض المدة حتى وقعت الحرب بين الروم والفرس، فانتصر فيها الروم وانهزمت الفرس وتحققت نبوءة القرآن وذلك ـ ٦٢٢ ـ ميلادية الموافقة للسنة الثانية من الهجرة النبوية، وكسب أبو بكر الرهان فأمره ﷺ بالتصدق به..

وفي الآية نبوءة اخرى وهي ان المسلمين سيفرحون بنصرٍ قريب، في الوقت الذي ينتصر فيه الروم ﴿**ويومئذ يفرح المؤمنون★ بنصر الله..**﴾ ولقد صدق الله وعده في هذه كما صدقه في تلك، فكان ظفر المسلمين في بدر واقعاً في الظرف الذي انتصر فيه الروم، وهكذا تحققت النبوءتان في وقت واحد بفضل الله..

يقول الزمخشري: (وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوّة، وأن القرآن من عند الله، لأنها إنباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله)(١).

ب ـ التنبؤ بدخول الرسول واصحابه مكة آمنين مطمئنين.. روي ان النبي ﷺ رأى رؤيا في منامه وذلك قبل خروجه الى الحديبية، رأى كأنه هو وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصّروا فقصّ الرؤيا على أصحابه، ففرحوا واستبشروا، وحسبوا انهم داخلوها من عامهم، وقالوا: إن رؤيا رسول الله ﷺ

---

(١) انظر الكشاف، ج ٤ ص ٣٤٥. في سبب نزول الآية الكريمة.

حق، فلما كان صلح الحديبية خرجوا من المدينة محرمين يسوقون الهدي إلى مكة لا يقصدون حرباً، وإنما يقصدون العمرة والنسك، ولكنّ قريشاً صدّتهم، وكادت تقع الحرب بين المسلمين والمشركين لولا ان الرسول ﷺ رضي معهم بالصلح إثاراً منه للسّلم وحباً للسلام العام، وكان من شروط ذلك الصلح ان يرجع الرسول ومن معه من ذلك العام على ان يدخلوا مكة في العام القابل، واتخذ المنافقون ضعفاء الايمان من ذلك سبيلاً الى الطعن والدسّ واللمز، حتى قال رئيس المنافقين (عبد الله بـن أُبيّ): والله ما حلقنا، ولا قصّرنا، ولا رأينا المسجد الحرام، ولكن نزلت الآية الكريمة تحمل تلك الوعود الثلاثة المؤكدة وهي: دخول مكة، وأداء النسك، والأمن من قريش، على رغم ما هو معروف من غدر قريش ونكثهم العهود، وتقطيعهم الأرحام، وقد انجز الله وعده فتمّ الأمر ودخل المؤمنون مكة آمنين مطمئنين وفي ذلك يقول القرآن الكريم:.

﴿لقَدْ صَدقَ الله رَسُولَهُ الرّؤيا بالحَقّ، لَتَدْخُلُنّ المسْجِدَ الحرَامَ، إنْ شاءَ الله آمِنينَ مُحلّقينَ رُؤوسَكُمْ ومُقَصّرين، لا تخافُونَ، فعَلمَ ما لم تعْلَمُوا فَجعَلَ مِنْ دونِ ذَلكَ فَتْحاً قريباً﴾ (١)..

ج ـ تنبؤ القرآن بانهزام المشركين قبل وقوع الحرب وذلك في قوله تعالى في سورة القمر:.

﴿أمْ يَقُولونَ نحنُ جَميعٌ مُنْتَصِرٌ★ سَيُهزَم الجمعُ ويولّون الدّبُر★ بَلِ السّاعةُ مَوْعدُهم وَالسّاعةُ أدْهى وأمَرّ﴾ (٢) وسورة القمر مكّية، والجهاد لم يشرع إلاّ في السنة الثانية من الهجرة، فأين هي إذاً فكرة الحرب، ومن الذي كان يجول بخاطره ان ينهزم جمع المشركين، وينتصر عليهم المسلمون وهم قلّة في العَدَد والعُدَد؟ ولكنه وعد الله لا يخلف..

روي عن عكرمة انه قال: لما نزلت هذه الآية **﴿سَيُهزَمُ الجمعُ ويُولّون الدّبر﴾**

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٧.

(٢) سورة القمر، الآيات: ٤٤ ـ ٤٦.

قال عمر بن الخطاب: أيّ جمع هذا الذي سيُهزم؟ فلما كانت غزوة بدر رأى رسول الله ﷺ وهو يثب في الدرع ويقول (سيهزم الجمعُ ويُولّون الدّبُر) فعرف عمر تأويلها [1]. وروي عن ابن عباس: كان بين نزول هذه الآية وبين بدر سبع سنين..

د ـ تنبؤ القرآن بذلك المستقبل الاسود الذي ينتظر كفار قريش، وذلك في قوله تعالى في سورة الدخان:.

﴿فَارْتَقِبْ يَومَ تأتي السّماء بِدُخانٍ مبين★ يَغْشى الناسَ هذا عَذابٌ أليم★ ربّنا اكْشِفْ عنّا العَذابَ إنّا مُؤمِنونَ★ أنّى لهمُ الذّكرى وَقَدْ جاءَهُم رَسُولٌ مُبينٌ★ ثمّ تَولَّوْا عنْهُ وَقالُوا مُعَلّمٌ مجنون★ إنّا كاشِفُوا العَذابَ قَليلاً إنّكُم عائِدون★ يَوْمَ نَبْطشُ البطْشَةَ الكُبْرى إنّا مُنْتَقِمُون﴾ [2]..

وسبب نزول هذه الآيات الكريمة أن أهل مكة لما كذّبوا رسول الله ﷺ واستعصوا وتمرّدوا عليه، دعا عليهم فقال: «اللهم أعنّي عليهم بسبع كسبع يوسف، فأخذتهم سنة حصّت كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع، وينظر احدهم الى السماء فيرى كهيئة الدخان، فأتاه (أبو سفيان) فقال: يا محمد إنك جئت تأمر بطاعة الله، وبصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا فادعوا الله لهم فأنزل الله هذه الآيات الكريمة» [3]..

قال الزرقاني رحمه الله: وفي هذه الآيات عند التأمل خمسة تنبؤات:.

أولها: الإخبار بما يغشاهم من القحط والجوع حتى يرى الرجل بينه وبين السماء كهيئة الدخان..

الثاني: الإخبار بأنهم سيضرعون الى الله حين تحل بهم هذه الازمة..

---

(١) أنظر الكشاف، ص ٤٤٠، الجزء الرابع.

(٢) سورة الدخان، الآيات: ١٠ ـ ١٦.

(٣) الحديث من رواية البخاري ومسلم.

الثالث: الإخبار بأن الله سيكشف عنهم ذلك العذاب قليلاً..

الرابع: الإخبار بأنهم سيعودون إلى كفرهم وعتوّهم..

الخامس: الإخبار بأن الله سينتقم منهم يوم البطشة وهو يوم بدر. ثم قال: ولقد حقق الله ذلك كله ما انخرم منه ولا نبوءة واحدة، فأصيبوا بالقحط حتى أكلوا العظام وجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى بينه وبينها كهيئة الدخان من شدة جوعه وجهده، ثم قالوا متضرعين ﴿رَبّنا اكْشِف عنّا العذابَ إنّا مُؤمِنون﴾، ثم كشف الله عنهم العذاب قليلاً ثم عادوا الى كفرهم وعتوهم، فانتقم الله منهم يوم بدر فبطش بهم البطشة الكبرى حيث قتل منهم سبعون وأسر سبعون وأديل للمسلمين منهم. أرأيت ذلك كله هل يمكن ان يصدر مثله من مخلوق؟ كلاّ بل هو الله العزيز الحكيم[1]..

هـ - التنبؤ بإظهار الإسلام على جميع الأديان، وذلك في قوله تعالى:.

﴿هُوَ الذي أرْسَلَ رَسُولَهُ بالهُدى وَدينِ الحق لِيُظْهِرَهُ على الدّين كلّهِ ولَو كرِهَ المشْرِكون﴾[2]..

وكذلك التنبؤ بالمستقبل الباسم الذي سيكون للمؤمنين وذلك في قوله تعالى:.

﴿وعدَ اللهُ الّذين آمنُوا مِنكُم وعمِلُوا الصالِحاتِ لَيَستَخْلِفنّهم في الأرضِ كما اسْتَخْلَفَ الّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، ولَيُمَكّنَنّ لَهُمْ دينَهم الّذي ارْتضى لهم، وليبدلَنّهُمْ مِنْ بعدِ خوْفِهِم أمناً﴾[3].. الآية..

وقد تحقق هذا الوعد الإلهي فأظهر الله الإسلام على جميع الأديان، ومكّن للمسلمين في الأرض في حياة النبي ﷺ حتى استولوا على جميع البلاد العربية، ولم يبق جزء منها إلا دان للمسلمين بالطاعة ومن لم يدخل في الاسلام دخل في ذمة المسلمين، وخضع لسلطانهم،: ودفع الجزية لهم، ثم سار أصحابه من بعده إلى ارض كسرى

---

(١) أنظر مناهل العرفان، ج ٢، ص ٢٧٣.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٣.

(٣) سورة النور، الآية: ٥٥. أنظر: الكشاف للزمخشري، ج ٣، ص ٢٥٢.

وأرض هرقل، فأزالوا دولة الفرس، ودولة الرومان، ولم يمض قرن من الزمان حتى اتسعت رقعة الدولة الاسلامية، فصارت تمتد من بحر الظلمات في المغرب الى تخوم الصين في المشرق، فتحقق بذلك الوعد الكريم، وكان وعد الله مفعولاً..

وكل هذه ـ وأمثالها في القرآن كثير ـ أخبار عن المستقبل وقد تحققت جميعها، وهذا أمر خارق للعادة فكان وجهاً من وجوه الإعجاز لأن مثله لا يتفق إلا بإخبار من عند الله جلّ وعلا. ولا يغيب عن بالنا أن جميع القصص التي جاء في القرآن الكريم هو من باب الإخبار عن غيوب الماضي الذي أطلع الله رسوله الكريم عليه، وما كان له علم بها، ولهذا ذكر الله جلّ ثناؤه قصة نوح ثم اعقبها بهذه الآية الكريمة وهي قوله تعالى:.

﴿تِلْكَ مِنْ أنباءِ الغَيْبِ نُوحِيها إليْك ما كُنتَ تَعْلَمُها أنت ولا قَوْمَكَ من قَبلِ هذا، فاصْبِر إنّ العاقِبةَ للمتَّقين﴾ (١)..

وما اروع قصص القرآن الذي نزل على خاتم المرسلين، ليكون تثبيتاً لقلبه وذكرى للمؤمنين؟! وذلك أعظم برهان على أنه تنزيل رب العالمين، فيا لها من حكمة سامية، ومعجزة باهرة!!

سادساً: عدم التعارض مع العلم الحديث:.

ومن وجوه إعجاز القرآن تلك الإشارات الدقيقة، إلى بعض العلوم الكونيّة، التي سبق اليها القرآن قبل ان يكتشفها العلم الحديث، ثم عدم تعارضه مع ما يكشفه العلم من نظريات علمية حديثة، وقد أشار القرآن الكريم الى هذه الناحية من نواحي الإعجاز بقوله جلّ شأنه:.

﴿سَنُرِيهُم آياتنا في الآفاقِ وفي أنفُسِهِم حتى يَتَبيَّن لهمْ أنَّهُ الحقّ، أو لم يكف بِرَبّك أنَهُ على كل شيءٍ شَهيد؟﴾ (٢).

---

(١) سورة هود، الآية ٤٩.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

ومع اعتقادنا بأن القرآن العظيم ليس كتاب طبيعة أو هندسة او فيزياء، وإنما هو كتاب (هداية وإرشاد) وكتاب (تشريع وإصلاح) ولكن مع ذلك لم تخل آياته من الإشارات الدقيقة، والحقائق الخفيّة، إلى بعض المسائل الطبيعيّة، والطبّية، والجغرافية مما يدل على إعجاز القرآن وكونه وحياً من عند الله، فمن المقطوع به ان محمداً ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وانه نشأ في بيئة بعيدة عن مظاهر الحضارة، حيث لم تكن علوم ولا معارف ولا مدارس تُقْرأ فيها العلوم الكونية، لأن قومه وعشيرته كانوا (أميين) ومع ذلك فإن النظريات العلمية التي أشار إليها القرآن لم تكن معلومة في عصره، ولم يكتشف العلم أسرارها إلاّ منذ زمن قريب، وذلك من أصدق البراهين على ان هذا القرآن ليس من تأليف محمد - كما يزعم بعض المستشرقين - إنما هو وحي من الله، أنزله على قلب سيد المرسلين، بلسان عربي متين. ولقد أجاد الاستاذ (عفيف طبّارة) في كتابه (روح الدين الإسلامي) فذكر بعض هذه الحقائق العلمية الدقيقة، ونحن ننقل بعضها بشيء من الإيجاز مع التصرف.

الفصل الثامن

معجزات القرآن العلمية

أولاً : وحدة الكون :.

أظهر النظريات العلمية الحديثة تقول: إن الأرض كانت جزءاً من المجموعة الشمسية ثم انفصلت عنها وتبرّدت وأصبحت صالحة لسكنى الإنسان، ويبرهنون على صحة هذه النظرية بوجود البراكين والمواد الملتهبة في باطن الأرض، وقذف الارض بين حين وحين بهذه الحمم من المواد البركانية الملتهبة.. الخ..

هذه النظرية تتفق مع ما أشار اليه القرآن الكريم في قوله جل ثناؤه:.

﴿أوَ لم يَرَ الّذينَ كَفَروا أنّ السّمواتِ والأرضَ كانَتا رتْقاً [١] فَفَتَقْناهُمَا [٢] وجَعلْنَا مِنَ الماء كلّ شيءٍ حَيّ، أفَلا تُؤمِنون﴾ [٣]..

يقول الاستاذ (طبارة): هذه معجزة من معجزات القرآن يؤيدها العلم الحديث الذي قرّر ان الكون كان شيئاً واحداً متصلاً من غاز ثم انقسم الى سدائم، وعالمنا الشمسي كان نتيجة تلك الانقسامات..اما الشطر الثاني من الآية **﴿وجَعلْنا مِنَ الماء**

---

(١) الرتق: الضم والإلتحام.

(٢) الفتق: الفصل بين الشيئين.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

كلّ شيءٍ حيّ﴾ فهو من أبلغ ما جاء في تقرير حقيقة علمية أدرك العلماء سرّها، فمعظم العمليات الكيمياوية تحتاج إلى الماء، وهو العنصر الأساسي لاستمرار الحياة لجميع الكائنات والنباتات وللماء خواص أخرى تدل على ان مبدع الكون قد صمّمه بما يحقق صالح مخلوقاته، والماء يمتص كميات كبيرة من الأوكسجين عندما تكون درجة حرارته منخفضة، وعندما يتجمد تنطلق منه كميات كبيرة من الحرارة تساعد الأحياء التي تعيش في البحار من أسماك وغيرها، فما أعجب حكمة القرآن الذي يبين بكلمات جليلة سرّ الحياة؟!..

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسير هذه الآية الكريمة: كانت السماء رتقاً لا تمطر، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت، فلمّا خلق للأرض أهلاً، فتق السماء بالمطر، وفتق الأرض بالنبات[1]..

أقول: هذا التفسير جميل وحسن ويكون من باب (الاستعارة) وهو الذي ذهب إليه المفسّرون القدامى، ولكن لا يمنع أن يكون في القرآن بعض هذه الروائع العلمية التي كشف عنها العلم الحديث، فالقرآن حمّال وجوه، وليس هناك تحكّم في فهم أسراره، فربما فهم المتأخرون ما لم يفهمه المتقدمون، والله تعالى يقول: ﴿سَنُرِيهِمْ آياتنا في الآفاقِ وَفي أنفُسِهِمِ حتى يتبَيّن لَهُمْ أنّهُ الحقّ﴾[2]. فلعلّ هذا من الآيات التي أطلعهم الله عليها في القرن العشرين.

ثانياً: نشأة الكون:.

يقول العالم الفلكي (جينز): (إن مادة الكون بدأت غازاً منتشراً خلال الفضاء بانتظام، وإن السدائم (المجموعات الفلكية) خلقت من تكاثف هذا الغاز)..

ويقول الدكتور (جامو): (إن الكون في بدء نشأته كان مملوءاً بغاز موزّع توزيعاً منتظماً ومنه حدثت عمليات)..

---

(١) أنظر: تفسير ابن كثير: ج ٣، ص ١٨٧.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

هذه النظرية نجد لها في القرآن الكريم ما يؤيدها ـ ولولا أنّ القرآن أخبر عن ذلك لاستبعدنا هذه النظرية ـ يقول تعالى: **﴿ثم اسْتَوى إلى السّماء وَهِيَ دُخانٌ، فَقَالَ لها وَلِلأرضِ: أتِيا طَوْعاً أوْ كُرْهاً، قالتا: أتَيْنا طَائِعين﴾**[1] فالقرآن صوّر مصدر خلق هذا الكون (بالدخان) وهو الشيء الذي يفهمه العرب من الأشياء الملموسة. أيكون في مقدور امّي ـ منذ أربعة عشر قرناً ـ أن يدرك هذا في وقت كان الناس لا يعرفون شيئاً عن هذا الكون وخفاياه؟!.

ثالثاً: تقسيم الذرّة:.

ظلّ الاعتقاد السائد حتى القرن التاسع عشر أن الذرّة هي أصغر جزء يمكن إن يوجد في عنصر من العناصر. وأنها غير قابلة للتجزئة لأنها الجزء الذي لا يتجزأ، وقد مضت قرون على هذا الاعتقاد ومنذ عشرات السنين الماضية حوّل العلماء اهتمامهم الى مشكلة (الذرّة) فأمكنهم تجزئتها وتقسيمها، وقد وجدوا أنها تحتوي على الدقائق الآتية: (١) البروتون. (٢) النيترون. (٣) الالكترون، وبواسطة هذه التجزئة اخترعوا القُنبلة الذرية، والقنبلة الهيدروجينية، ونعوذ بالله من قيام الساعة ومن شر ابليس اللعين. إستمع إلى قوله تعالى عند الإخبار عن الذرّة **﴿ومَا يَعزُبُ عَنْ رَبِكَ مِن مِثقَالِ ذرّةٍ في الأرْضِ وَلا في السّماء، وَلا أصْغرَ مِنْ ذلكَ ولا أكْبَرَ إلاّ في كِتابٍ مُبين﴾**[2]..

فكلمة (أصغر) من الذرة في الآية القرآنية تصريح جلي بإمكان تجزئتها، وفي قوله (ولا في السماء) بيان بأنّ خواصّ الذرات في الأرض هي نفس خواص الذرات الموجودة في الشمس والنجوم والكواكب. فهل درس محمد خواص الذرة وأمكنه تجزئتها والوقوف على خواصها في الأرض والسماء؟ إنها لدليل قويّ على أن القرآن وحي إلهي.

---

(١) سورة فصلت، الآية: ١١.

(٢) سورة يونس، الآية: ٦١. يعزب: أي يغيب ويخفى.

رابعا: نقص الاوكسجين:.

منذ اكتشاف الطيران ظهرت للعلماء بادرة طبيعية وهي نقص الاوكسجين في طبقات الجو العليا، فكلّما حلق الإنسان وارتفع في أجواء السماء كلّما أدركته هذه الظاهرة، وشعر عند ذلك بضيق الصدر وصعوبة التنفس، حتى ليكاد يشعر بالاختناق، ولهذا فإن الطيّارين يعطون تعليمات للركاب بأن يستعملوا (الأوكسجين الصناعي) حين تعلو بهم الطائرة إلى مرتفعات عالية تزيد عن ٣٥ خمسة وثلاثين الف قدم. هذه الظاهرة العلمية أشار اليها القرآن الكريم قبل اختراع الطيران وقبل أربعة عشر قرناً. استمع إلى قوله تعالى: **﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أنْ يهدِيهِ يَشْرَح صَدرَهُ للإسلامِ، ومَنْ يُرِدْ أن يضِلّهُ يجعَلْ صَدْرَهُ ضَيّقاً حَرَجاً**[١] **كأنّما يَصّعّدُ في السّماء﴾**[١]..

ولقد كان القدماء يفسّرون هذا الآية حسب مفاهيمهم التي تتفق مع زمانهم فكانوا يقولون (كأنما يصّعد في السماء) أي كمن يحاول الصعود إلى السماء وهو ليس بمستطيع و كمن يحاول عمل المستحيل، وقد جاء هذا العصر فأظهر معجزة القرآن، وسجّل اتفاقاً رائعاً للآية القرآنية مع الواقع العلمي فكان تأييداً لصدق نبوة محمد ﷺ، فللّه ما أروع هذا القرآن وما أسماه؟!؟.

خامساً: الزوجيّة منبثّة في كل شيء:.

كان الناس يعتقدون بأن الزوجيّة (الذكر والأنثى) منبثّة بين النوعين (الإنسان والحيوان) فقط، فجاء العلم الحديث فأثبت انها الزوجية توجد في النبات كذلك وفي الجماد، وفي كل ذرّة من ذرات الكون والوجود، حتى الكهرباء ففيها (الموجب) وفيها (السالب) هذه فيها شحنة كهربائية موجبة، وتلك فيها شحنة كهربائية سالبة، وحتى الذرّة فيها (البروتون) و (النيترون) وكل منهما يشبه الذكر والأنثى وهذا الاكتشاف سبق اليه القرآن العظيم في عديدٍ من الآيات الكريمة استمع إلى هذه الروائع البينات..

---

١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥. حَرَجاً: شديد الضيق.

أ ـ ﴿وَمِنْ كُلِّ شيءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون﴾[1]. فالعموم هنا واضح (ومِنْ كُلِّ شيءٍ)..

ب ـ ﴿أوَ لمْ يَروْا إلى الأرْضِ كَمْ أنْبَتْنا فيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كريمٍ﴾[2](الإشارة هنا للنبات).

جـ ـ ﴿سُبْحَانَ الّذي خلَقَ الأزْوَاجَ كُلَّهـا مِمّـا تُنْبِتُ الأرْضُ. وَمِنْ أنْفُسِهِمْ، ومِمّا لا يَعْلَمُون﴾[3]..

فهذه الآية الكريمة عممّت الزوجية في النبات والإنسان وفي كل شيء مما نعلمه او لا نعلمه فسبحان الإله القدير العليم، الذي أحاط علمه بكل الأكوان وأحصى كل شيء عدداً..!

سادساً: أغشية الجنين:

ثبت علمياً أن الجنين في بطن أمه محاط بثلاثة أغشية، وهذه الأغشية لا تظهر إلا بالتشريح الدقيق، وتظهر بالعين المجرّدة كأنها غشاء واحد، وهذه الأغشية هي التي تسمى (الغشاء المنباري) و (الخوربون) و (اللفائفي) هذا ما أثبته الطبّ الحديث، وقد جاء القرآن الكريم مؤيداً هذه الحقيقة العلمية، وذلك في سورة الزمر في قوله جلّ وعلا:

﴿يَخلُقُكمْ في بُطونِ أمّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بعدِ خلْقٍ في ظُلُماتٍ ثَلاثٍ، ذلِكُمُ اللهُ ربُّكُم لَهُ المُلْكُ﴾[4] ففي هذه الآية معجزة علمية للقرآن، فقد أخبر ان الجنين له ثلاثة أغشية أسماها (ظلمات) لأن الغشاء حاجز وحجاب يحجز عنه النور والضياء، وهي في العلم الحديث ثلاثة أغشية.

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٤٩.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٧.

(٣) سورة يس، الآية: ٣٦.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٦.

سابعاً: التلقيح بواسطة الرياح:

أثبت العلم الحديث أن الهواء ينقل الأعضاء المذكّرة إلى المؤنثة في النخيل والتين وغيرها من الأشجار المثمرة. فيكون التلقيح بواسطة الرياح[1] والهواء، وهذه الناحية العلمية تحدّث عنها القرآن الكريم في قوله جلّ ثناؤه ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ**﴾[2] وهذا سبق للقرآن في الحقائق العلمية الثابتة مما يدل على صدق النبوّة.

ثامناً: الحيوان المنوي:

اكتشف الطب الحديث أن هذا السائل من منيّ الإنسان يحوي حيوانات صغيرة تسمى (الحيوانات المنوية) وهي لا ترى بالعين المجرّدة، إنما ترى (بالمكرسكوب) وكل حيوان منها له رأس ورقبة وذيل يشبه دودة العلق في شكلها ورسمها، وأن هذا الحيوان يختلط بالبويضة الأنثوية فيلقحها، فإذا ما تمّ اللقاح انطبق عنق الرحم فلم يدخل شيء من بعده الى الرحم، وأمّا بقية الحيوانات فتموت، وهذه الناحية العلمية وهي أنّ الحيوان المنوي يشبه العلق في الشكل والرسم فقد أثبتها القرآن، استمع الى قوله جلّ وعلا: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ★ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ**﴾[3] فهذه الآية معجزة بليغة من معجزات القرآن لم يظهر وقت نزولها ولا بعده بمئات السنين إلى أن اكتشف المجهر المكبّر (المكرسكوب) وعرف كيف يتكون الإنسان بقدرة الله.

تاسعاً: اختلاف بصمات الإنسان:

في القرن الماضي سنة ١٨٨٤م استعملت في انكلترا رسمياً طريقة للتعرف على

---

(١) يقول المستشرق المستر (أجنيري) الأستاذ في مدرسة (أكسفورد) في القرن الماضي: إن أصحاب الإبل قد عرفوا أن الريح تلقح الأشجار والثمار قبل أن يعلمها أهل أوروبا بثلاثة عشر قرناً، يشير بذلك إلى أن هذا مما سبق إليه القرآن والفضل ما شهدت به الأعداء.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٢٢.

(٣) سورة العلق، الآيتان: ١ و٢

الشخص بواسطة بصمات الأصابع، وأصبحت هذه الطريقة متبعة في جميع البلاد، ذلك لأن بشرة الأصابع مغطاة بخطوط دقيقة وعلى عدّة أنواع (أقواس، عراو، دوامات) وهذه الخطوط لا تتغير مدى الحياة وجميع أعضاء الجسم تتشابه أحياناً ولكن الأصابع لها مميزات خاصة إذ انها لا تتشابه ولا تتقارب وهنا المعجزة الإلهية، فلماذا اختار الله سبحانه بنان الإنسان في إقامة الدليل على البعث ﴿أيَحْسَبُ الإنسانُ ألَنْ نجمَعَ عِظَامَهُ ★ بَلى قادِرينَ على أنْ نُسَوِّيَ بَنانَه﴾ [1].

٧ ـ الوفاء بالوعد:

ومن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم (الوفاء بالوعد) في كل ما أخبر عنه، وفي كل ما وعد الله سبحانه عباده به، وهذا الوعد ينقسم إلى قسمين:

أ ـ وعد مطلق.

ب ـ وعد مقيّد.

فالوعد المطلق، كوعده بنصر رسوله، وإخراج الذين أخرجوه من وطنه، ونصر المؤمنين على الكافرين، وقد تحقق ذلك كله إن شئت قوله جلّ وعلا:

﴿إنّا فتَحْنَا لكَ فَتْحاً مُبيناً ★ لِيَغْفِرَ لكَ الله ما تقَدّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وما تأخّرَ ويُتِمّ نِعْمَتَهُ عليكَ ويَهْدِيكَ صِراطاً مُسْتَقيماً ★ ويَنْصرَكَ الله نَصْراً عَزِيزاً﴾ [2] وقد تحقق هذا النصربفتح مكة، وبدخول الناس في الإسلام أفواجاً أفواجاً، وبذلك تمت النعمة على سيّد الأنام محمد ﷺ وأقر الله عينه بنصره على أعدائه ﴿إذا جاءَ نصرُ اللهِ والفتحُ ★ وَرَأيْتَ النّاسَ يدْخُلونَ في دينِ اللهِ أفْواجاً ★ فَسَبّحْ بِحَمْدِ رَبّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إنّهُ كانَ توّاباً﴾ [3]. وصدق الله وعده بنصرته لأنبيائه وأوليائه ﴿إنّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا والّذينَ آمنُوا في الحَياةِ الدّنيا ويَوْمَ يَقُومُ الأشْهاد﴾ [4].

---

(١) سورة القيامة، الآية: ٣، ٤.

(٢) سورة الفتح، الآيات: ١ ـ ٣.

(٣) سورة النصر، الآيات: ١ ـ ٣.

(٤) سورة غافر، الآية: ٥١.

ومن الوعد المطلق قوله جلّ ثناؤه: ﴿وكَان حَقّاً علَيْنا نَصْر المؤمِنِينَ﴾ [1] وقد تحقق نصر المؤمنين في مواطن عديدة (في بدر، وأحد) وغيرهما من المعارك العظيمة التي شهدها تاريخ الإسلام، إقرأ قوله تعالى ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذِلّة فاتّقوا الله لعلّكم تَشْكُرون﴾ [2] وقوله جلّ وعلا ﴿ولَقَدْ صدَقَكُم اللهُ وعدَهُ إذْ تحسّونهم بإذْنِهِ﴾ [3]. تحسّونهم: أي تقتلونهم قتلاً ذريعاً.

ومن الوعد المطلق قوله سبحانه:

﴿وعَدَ اللهُ الّذينَ آمنُوا مِنْكُمْ وعَمِلوا الصّالِحاتِ لَيَسْتَخلِفنهم في الأرضِ كما اسْتَخْلفَ الّذين من قَبْلِهِمْ..﴾ [4] الآية. وقد تحقق الوعد فانتصر المؤمنون حتى فتحوا مشارق الأرض ومغاربها، وسارت جيوشهم حتى بلغت أقاصي المعمورة، وقد كان (أبو بكر) إذا أرسل جيوشه للغزو عرّفهم ما وعدهم الله ليتقوا بالصبر ويستيقنوا بالظفر. ومن الوعد المطلق قوله سبحانه ﴿هوَ الّذي أرسلَ رَسُولَهُ بالهُدى ودينِ الحقّ لِيُظْهِرَهُ علَى الدّينِ كلّهِ وكَفى باللهِ شَهيداً﴾ [5]. أما الوعد المقيّد فهو ما كان فيه شرط، كشرط التقوى، وشرط الصبر، وشرط نصرة دين الله وما شابه ذلك. قال تعالى ﴿إن تنصروا الله ينصُرْكُمْ ويُثَبّتْ أقْدامَكُم﴾ [6] وقال تعالى ﴿ومَنْ يتّقِ الله يَجعَل لَهُ مخْرجاً ويرزُقْهُ مِنْ حيثُ لا يَحْتَسِب﴾ [7] وقال تعالى ﴿ومن يتّقِ الله يَجعَلْ لَهُ منْ أمْرِهِ يُسْراً﴾ [8] وقد وعد الله المؤمنين بالنصر بشرط الصبر كما قال تعالى ﴿يا أيّها النّبي حَرّض المؤمنينَ على القِتالِ إنْ يَكُنْ مِنْكُم

---

(١) سورة الروم، الآية: ٤٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢.

(٤) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٥) سورة الفتح، الآية: ٢٨.

(٦) سورة محمد، الآية: ٧.

(٧) سورة الطلاق، الآية: ٢.

(٨) سورة الطلاق، الآية٤.

عِشرونَ صابِرونَ يَغلِبُوا مائَتين ، وإنْ يكُنْ مِنكُم مائةٌ يَغلِبوا ألفاً مِنَ الّذينَ كَفرُوا بأنّهم قومٌ لا يَفقَهُون﴾[1].

٨ ـ العلوم والمعارف:

ومن وجوه إعجاز القرآن هذه العلوم والمعارف التي زخر بها القرآن الكريم، والتي بلغت من نصاعة البرهان وقوة الحجّة مبلغاً يستحيل على محمد ـ وهو رجل أمي نشأ بين الأميّين ـ ان يأتي بها من عند نفسه، بل يستحيل على أهل الأرض جميعاً من أدباء وعلماء، وفلاسفة وحكماء، ومن مشرعين وعباقرة، أن يأتوا بمثل هذه العلوم والمعارف، وفي هذا الوجه من وجوه إعجاز القرآن حجة دامغة، وبرهان ساطع، يقصم ظهر كلّ أفّاك مُعاند، يزعم أن ما جاء به محمد إن هو إلا (تعاليم الكتب السابقة) استمدّها محمد من بعض أهل الكتاب في عصره ثم نسبها إلى ربه ليستمدّ من هذه النسبة قدسيتها **﴿كَبُرَتْ كلِمةً تخرجُ من أفْواهِهم إنْ يَقولونَ إلاّ كَذِباً﴾**[2]. ونحن نقول لهؤلاء العمي: كيف يكون القرآن نسخة عن الكتب السابقة، وقد جاء منكراً على أهلها، مخالفاً لأكثرها، بل جاء مبطلاً وهادماً لأصول أفكارها وعقائدها بسبب ما دخل فيها من تحريف وتبديل؟! وكيف يمكن أن تتفق عقيدة (التوحيد) مع عقيدة (التثليث) وبينهما كما بين السماء والأرض؟! ألم يسمعوا الحكم القاطع الجازم فيهم بأنهم كفرة فَجَرة يعبدون احبارهم ورهبانهم من دون الله؟ **﴿وَقَالتِ اليَهودُ عُزَيرٌ ابنُ الله، وقالت النّصارى المسيحُ ابن الله، ذلكَ قولُهمْ بأفواهِهم يُضاهِئون**[3] **قَوْلَ الذينَ كفرُوا مِنْ قبْل، قاتلهُم الله أنّى يُؤفَكُون★ اتّخذوا أحبارَهُم ورُهبانَهُم أرْباباً مِنْ دونِ اللهِ وَالمسيحَ ابنَ مرْيم، ومَا أمِرُوا إلاّ لِيَعْبُدُوا إلهاً وَاحداً لا إله إلا هُوَ سُبْحانَهُ عمّا يُشْرِكُون﴾**[4].

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٥.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٥.

(٣) يضاهئون: أي يشابهون ويماثلون، والمضاهاة: المشابهة.

(٤) سورة التوبة، الآيتان: ٣٠، ٣١.

جاء القرآن بالعلوم المتنوعة، والمعارف المتعدّدة، في العقائد، والعبادات والتشريع والتنظيم، وفي الأخلاق والمعاملات، وفي حقول شتى، في التربية، والتعليم، وفي السياسة والاقتصاد، وفي الفلسفة والاجتماع، وكذلك في القصص والأخبار، وفي أصول المناظرة والجدل. ولا شك أن هذا الوجه من أظهر وجوه الإعجاز، فكيف يستطيع رجل أمّي، لم يقرأ ولم يكتب ولا نشأ في بلد علم وتشريع، ولا في مدينة ذات حضارة ومدنيّة أن يأتي بمثل ما في القرآن من هذه العلوم والمعارف تحقيقاً وكمالاً، مؤيداً بالحجج والبراهين بعد أن قضى معظم حياته لا يعرف شيئاً عنها، ولم ينطق بقاعدة او أصل منها، ولا حكم بفرعٍ من فروعها إلا ان يكون ذلك وحياً من الله تعالى؟! وأحب أن أقتصر هنا على مثلٍ من هذه العلوم المتنوعة العديدة، وهو بحث (العقيدة في القرآن) وأن أقارن بين تعاليم الإسلام، وتعاليم اليهودية والنصرانية على عهد نزوله، ليتبين الصبح لذي عينين، ونظهر ضياء الحق الساطع، ونوره الباهر وكما قيل: (وبضدّها تتميّز الأشياء).

العقيدة الإسلامية:

جاء القرآن بعقيدة سمحة صافية، بيضاء نقيّة، في ذات الله تبارك وتعالى، وفي حق رسله الكرام، فالله رب العالمين واحد أحد، فرد صمد، ليس له والد ولا ولد، له جميع صفات الكمال، ومنزّه عن جميع صفات النقص: (لا ذاته تشبهها الذوات: ولا حكت صفاته الصفات) ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾ (1) وهو جلّ وعلا قيّوم، لا تأخذُهُ سِنَةٌ ولا نومٌ، ولا يشغله شأن عن شأن ﴿**لَهُ مَا فِي السَّمواتِ وما فِي الأَرضِ ومَا بينَهُما ومَا تَحتَ الثّرى**﴾ (2).. هو الخالق المتفرد بالخلق والايجاد، وبيده ناصية العباد، يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وهو على كُل شيءٍ قدير، الكلّ خلقه والجميع عبيده ﴿**إنْ كلّ منْ في السّمواتِ والأرضِ إلاّ آتِي الرّحمن عبْداً**﴾ (3) إقرأ إن شئتَ هذه الآيات الرائعة في صفات الله عزّ وجل:

(1) سورة الشورى، الآية: ١١.

(2) سورة طه، الآية: ٦.

(3) سورة مريم، الآية: ٩٣.

١ ـ ﴿إنّ إلهكُمْ لَواحدٌ★ رَبّ السّمواتِ والأرضِ وما بينَهُما وربّ المشارِق﴾[1].

٢ ـ ﴿إنّ ربّكُم الله الذي لا إلهَ إلاّ هوَ وَسِعَ كلّ شيء عِلْماً﴾[2].

٣ ـ ﴿قُل ادعو الله أو ادْعُوا الرّحمَن أياً ما تَدْعُو فَلَهُ الأسماءُ الحُسْنى، وَلا تجهَرْ بِصَلاتِكَ ولا تُخافِتْ بها وَابْتَغِ بينَ ذلك سَبيلاً★ وَقُلِ الحمدُ للهِ الّذي لم يَتّخذْ وَلَداً ولم يَكُنْ لهُ شريكٌ في المُلْكِ ولم يكُنْ لهُ وليٌّ منَ الذلّ وكبّرهُ تكبيراً﴾[3].

٤ ـ ﴿يا أيها النّاسُ أنتُمُ الفُقَراءُ إلى الله، واللهُ هوَ الغنيّ الحميد★ إنْ يَشأ يُذْهِبكُمْ ويأتِ بِخَلْقٍ جَديد★ وما ذلكَ على اللهِ بعزِيز﴾[4].

العقيدة اليهودية:

وضل اليهود بعد موسى فعبدوا بعلاً، وزعموا أن لله ابناً هو العزير وشبهوا الله بالإنسان فزعموا انه تعب من خلق السموات والأرض فاستراح يوم السبت واستلقى على قفاه، وركبوا رؤوسهم فقالوا إنه ـ جلّ وعلا ـ ظهر في صورة إنسان وصارع اسرائيل فلم يستطع أن يغلبه ولم يتخلص منه الرب حتى باركه وذريته فأطلقه عند ذلك يعقوب، وادعوا انهم الشعب المختار من بين الشعوب، وأنهم ابناء الله وأحباؤه، وأن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس، وان النار لن تمسّهم إلا أياما معدودة، هي مدة عبادتهم العجل أربعين يوماً، كما افتروا على السيد المسيح (عيسى) فزعموا أنه ابن زنى، وأن أمه زانية، وأنهم صلبوه ليطهّروا بني اسرائيل من هذه الجريمة الشنيعة، كلّ هذا وأمثاله كثير من اباطيل واضاليل اليهود، جاء القرآن هادماً لها، وجرياً

---

(١) سورة الصافات، الآية: ٤، ٥.

(٢) سورة طه، الآية: ٩٨.

(٣) سورة الإسراء، الآيتان: ١١٠، ١١١.

(٤) سورة فاطر، الآيات: ١٥ ـ ١٧.

عليها، فكيف يزعمون أن القرآن نسخة عن التوراة؟

العقيدة النصرانية:

وضل النصارى فزعموا ان لله ولداً، وذهبوا الى عقيدة معقدة من الايمان بالتثليث (الآب، والابن، وروح القدس) وسمّوها بالأقانيم، فعيسى هو (الاقنوم) الثاني من الثالوث الإلهي الذي هو عين الأول والثالث، وكل منهما عين الآخر، الثلاثة واحد، والواحد ثلاثة، وخلعوا على رجال كهنوتهم ما هو حق لله وحده من التشريع والتحليل والتحريم، وزعموا أن (ابن الإله) صلب ليخلص الإنسان من خطيئته ويطهّره من أوزاره، والأعجب من هذا أن كثيرين منهم يعتقدون بأن (عيسى بن مريم) هو الله نزل الى الأرض بصورة بشر، إلى غير ذلك من الأباطيل والمخازي التي نسبوها إلى الله تعالى ﴿**تعالى الله عمّا يقولُونَ عُلُوّاً كبيراً**﴾[1].

فانظر مدى البون الشاسع بين الحق الذي جاء به القرآن، وبين الباطل الذي جاء به هؤلاء وهؤلاء على أن القرآن الكريم لم يكتف بسرد هذه الأباطيل والإخبار بها عن تحريف أهل الكتاب، بل ردّ على أولئك ببراهينه الساطعة، وأدلّته القاطعة، استمع إليه وهو يقول عن أهل الكتاب (النصارى) ﴿**يا أهْلَ الكِتابِ لا تَغْلُو في دينِكُمْ، ولا تقولوا على الله إلاّ الحقّ، إنّما المسيحُ عيسى ابنُ مريمِ رسُولُ الله وكَلِمَتُهُ ألقاها إلى مريمِ وروحٌ مِنْهُ، فآمِنوا بالله ورُسُلِه، ولا تقولُوا ثَلاثة، انتَهُوا خيراً لكُمْ، إنّما الله إله واحدٌ، سُبحانَهُ أنْ يكونَ لهُ ولَدٌ، لهُ ما في السّموات وما في الأرضِ وكَفى بالله وكِيلاً ★ لنْ يسْتَنْكِفَ المسيحُ أنْ يكونَ عبْداً لله ولا الملائكةُ المقَرّبون، ومَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبادَتِهِ ويَسْتَكْبِر فسَيَحْشُرُهُمْ إليه جَميعاً**﴾[2].

واستمع اليه وهو يتكلم عن أهل الكتاب (اليهود) فيقول:

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤٣.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ١٧١، ١٧٢.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم ميثاقَهم، وكُفرِهم بآياتِ الله، وقَتْلهم الأنبياء بغَير حَقّ، وَقَوْلِهم قُلوبنا غُلْفٌ، بَلْ طَبع اللهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِم فَلا يُؤْمِنونَ إلاّ قَلِيلاً ★ وبِكفرِهِمْ وقَوْلِهم على مريمِ بُهْتاناً عَظِيماً ★ وقَوْلِهم إنا قَتَلْنا المسيحَ عيسى ابن مريَمِ رَسُول الله، ومَا قَتلُوهُ ومَا صَلَبُوهُ ولكنْ شُبِّهَ لهم، وإنّ الّذينَ اختَلفُوا فيه لَفي شك منهُ، مَا لَهُم مِنْ عِلمٍ إلاّ اتّباع الظنّ، ومَا قتلُوهُ يقيناً ★ بَلْ رَفعَهُ اللهُ إليهِ وكانَ الله عزيزاً حَكيماً﴾[1]. ولقد صرح القرآن بالتحريف الذي وقع عند أهل الكتاب في (التوراة والانجيل) وبيّن ان مهمة الرسول إنما هي في تصحيح ما ارتكبه أهل الكتاب من الكذب والبهتان، وفي كشف ما أخفوه من آيات الله في التوراة والانجيل **﴿يا أهْلَ الكِتابِ قَدْ جاءكُم رَسُولنا يُبيّن لكم كثيراً مما كنتم تُخفونَ منَ الكِتابِ ويَعفو عَنْ كَثيرٍ. قَدْ جاءكُم مِنَ الله نُورٌ وكتابٌ مُبين ★ يَهدي بهِ الله منِ اتّبعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السّلامِ، ويُخْرجهم من الظُلُماتِ إلى النورِ بإذنِه ويَهْديهِم إلى صِراطٍ مُستَقيم﴾**[2]. فهل بعد هذا البرهان من حجة أوضح على صدق سيد المرسلين ويرحم الله (البوصيري) حيث يقول:

(كفاك بالعلم في الأمي معجزةً ... في الجاهلية والتأديب في اليُتمِ)

٩ ـ وفاؤه بحاجات البشر:

وهذا الوجه من وجوه الإعجاز ظاهر جلي، يدركه كل متأمل في شريعة الإسلام، فقد جاء القرآن الكريم بهدايات تامة كاملة، شاملة واسعة، تفي بحاجات البشر في كل زمان ومكان ويتجلى ذلك اذا استعرضت المقاصد النبيلة التي رمى إليها القرآن في هدايته وارشاده وهي بإيجاز: ١ ـ اصلاح الافراد ٢ ـ اصلاح المجتمعات ٣ ـ إصلاح العقائد ٤ ـ إصلاح العبادات ٥ ـ إصلاح الاخلاق ٦ ـ إصلاح الحكم والسياسة ٧ ـ اصلاح الشؤون المالية ٨ ـ اصلاح الشؤون الحربية ٩ ـ اصلاح

---

(١) سورة النساء، الآيات: ١٥٥ ـ ١٥٨.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٥، ١٦.

الثقافة العلمية ١٠ ـ تحرير العقول والأفكار من الخرافات. ولقد احسن من قال:

شريعـــــة الله للإنســـــان تبيـــــان وكـل شيء سـوى القـرآن خسرانُ[١]

١٠ ـ تأثير القرآن في القلوب:

ومن وجوه إعجاز القرآن ذلك التأثير البالغ الذي أحدثه في قلوب أتباعه وأعدائه، حتى لقد بلغ من شدة التأثير ان المشركين أنفسهم كـانوا يخرجون في جنح الليل يستمعون إلى تلاوة القرآن من المسلمين، وحتى تواصوا فيما بينهم الا يستمعوا الى القرآن، وان يرفعوا أصواتهم بالضجيج حينما يتلوه محمد لئلا يؤمن به الناس **﴿وَقَالَ الذينَ كفرُوا لا تَسمعُوا لهذا القُرآنِ والغُوا فيهِ لعَلّكُمْ تَغْلِبون﴾**[٢].

ولقد بلغ من تأثير القرآن في القلوب ان يفيء الى ظلاله أشد الناس عداوة له، وأعظمهم عناداً، فيسلم كثير من هؤلاء الزعماء، وعلى رأسهم (عمر بن الخطاب) و (سعد بن معاذ) و (أسَيْد بن حضير) وغيرهم من القادة والرؤساء، هذا هو عمر بن الخطاب الذي يبلغ من شدة قسوته على المسلمين أن يقول فيه احدهم (والله لن يسلم حتى يسلم حمار الخطاب) والذي يبلغ من شدة عدائه ان يتقلد سيفه بالظهيرة ثم يخرج ليفتش عن محمد ﷺ ليقتله ثم لا يأتي المساء إلا وقد رجع معتنقاً للإسلام بسبب بضع آيات سمعها في بيت اخته من (سعيد بن زيد) والقصة مشهورة وتأمل كيف أسلم (سعد بن معاذ) سيد قبيلة (الخزرج) هو وابن أخيه (أسيد بن حضير). تروي كتب السيرة ان رسول الله ﷺ حين كان في مكة جاءه وفد المدينة الذين بايعوه بيعة العقبة فأرسل معهم مبعوثين جليلين يعلّمانهم الإسلام والقرآن وهما (مصعب بن عمير) و (عبد الله بن أم مكتوم)، فلما وصلا المدينة أخذا يعلمان الناس القرآن، فبلغ ذلك (سعد بن معاذ) سيد القبيلة فقال لابن اخيه (أسيد بن حضير) ألا تذهب إلى هذين الرجلين، اللذين جاءا يسفّهان ضعفاءنا فتنهاهما وتزجرهما عن هذا الضيع؟ فسار إليهما

---

(١) من قصيدة للأستاذ وليد الاعظمي.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٢٦.

(أسيد) فلما انتهى إليهما قال لهما: ما جاء بكما جئتما تسفّهان ضعفاءنا؟ ثم توعّدهما وهدّدهما فقال: اعتزلا إن كانت لكما في أنفسكما حاجة؟ فقال له (مصعب) رضي الله عنه: أوَ تجلس فتسمع؟ فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته كففنا عنك ما تكره، فجلس أسيد وجعل مصعب يقرأ وهو يسمع، فما انتهى من مجلسه حتى أسلم، ثم كرّ راجعاً إلى سعد فقال له، والله ما رأيت بالرجلين بأساً، وأخفى أمامه إسلامه، فغضب (سعد) وقام بنفسه ثائراً مهتاجاً، فقال لهما: ما جاء بكما اجئتما تسفّهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا، فقال له مصعب: أوَ تجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته منا وإن كرهته كففنا عنك ما تكره، فقال أنصفتما، فجعل مصعب يتلو القرآن عليه وسعد يستمع، يقول (مصعب): والله لقد كان وجه سعد يشرق بالإيمان وهو يستمع القرآن فما انتهى مصعب من القراءة حتى أعلن سيد الأوس إيمانه، ثم كرّ راجعاً فجمع قبيلته وقال لهم: كيف تعدونني فيكم؟ قالوا: سيدنا وابن سيدنا، فقال لهم سعد: كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تسلموا بمحمد، فدخلوا جميعاً في الإسلام.. رضي الله عن سعد وأرضاه!!

هكذا كان تأثير القرآن في قلوب الأولياء والأعداء، ولا تنس قصة (الوليد بن المغيرة) و (عتبة بن ربيعة) وغيرهما ممن تأثروا بالقرآن، ولولا حبّ الزعامة، ولولا حبّ الجاه والسلطان لدخلوا جميعاً في دين الله، ولكنّ الهداية بيد الله **﴿يُضلّ مَنْ يشاءُ ويَهْدي منْ يَشاءُ﴾** (١) **﴿وهُوَ أعلَمُ بالمُهْتَدينَ﴾** (٢).

ذكر صاحب تفسير المنار أن فيلسوفاً من فلاسفة فرنسا ألف كتاباً ردّ فيه ما زعمه دعاة النصرانية من أن محمداً ﷺ لم يأت بمثل آيات (موسى وعيسى) عليهما السلام، ولم يكن له من الآيات الخوارق ما كان لمن قبله فقال ذلك الفيلسوف: إنّ محمداً كان يقرأ القرآن خاشعاً مولَهاً مدّلهاً، صادعاً ومتضرعاً فيفعل في جذب القلوب إلى الإيمان به فوق ما كانت تفعله جميع آيات الأنبياء السابقين» انظر تفسير المنار.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

وذكر الرافعي، كلمة قيّمة في كتابه (إعجاز القرآن) هذه الكلمة نقلها عن الامير شكيب ارسلان: «أن (لوثير) و (كلفين) المصلحين المعروفين في التاريخ المسيحي، ذكرا مرّة امام (فولتير) فيلسوف فرنسا فقال: إنهما لا يليقان حذاءين لنعال محمد ﷺ».

١١ ـ سلامته من التناقض:

وأخيراً فإن من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم سلامته من التناقض والتعارض خلافاً لجميع كلام البشر وصدق الله حيث يقول **﴿ولَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ الله لَوَجدُوا فيه اخْتِلافاً كثيراً﴾**[1]. هذه بعض وجوه الإعجاز في القرآن وهناك وجوه أخرى ضربنا عنها صفحاً خشية التطويل، ولا يزال الزمن يكشف عن أسرار إعجاز القرآن، فكلما تقدّم الزمن تجلّت نواحٍ من نواحي إعجازه، وقام البرهان القاطع أنه تنزيل الحكيم الحميد، ومع ذلك فإن هذه الأسرار التي ذكرها العلماء إن هي إلا قطرة من بحر علوم القرآن، ومهما اتسع القول وعظم البيان، فإن كلام الله تعالى لا يحيط به أحد، كما لا يحيط أحد بعظمة ذاته، وجليل صفاته!!

دفع شبهة القول بالصرفة:

وإذ قد انتهينا من وجوه إعجاز القرآن الكريم نرى لزاماً علينا أن ندفع تلك الشبهة التي ذهب إليها بعض المعتزلة وبعض الشيعة وهي (شبهة القول بالصّرفة) وخلاصتها: أن الله عزّ وجلّ صرف العرب عن معارضته على حين أنه لم يتجاوز في بلاغته المستوى الذي يعجز عنه البشر، ولولا أن الله صرف هممهم عن معارضته لاستطاعوا أن يأتوا بمثله.. الخ. فأنت ترى أصحاب هذا القول يذهبون إلى ان القرآن ليس معجزاً وإنما كان إعجازه بسبب أمرين:

الاول: الصارف الإلهي الذي زهدهم في المعارضة، فكسلوا وقعدوا.

الثاني: العارض المفاجىء الذي عطّل مواهبهم البيانية وقدرتهم البلاغية.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٢.

وهذا القول ـ بشقّيه ـ باطل، لا يثبت أمام البحث، ولا يتفق مع الواقع وذلك لعدة أسباب:

أولاً: لو كان هذا القول صحيحاً لكان الإعجاز في (الصّرفة) لا في القرآن نفسه وهذا باطل بالإجماع.

ثانياً: لو صحّ القول بالصّرفة لكان ذلك (تعجيزاً) لا (إعجازاً) لأنه حينئذ يشبه ما لو قطعنا لسان إنسان ثمّ كلفناه بعد ذلك بالكلام، فهذا ليس من باب العجز وإنما هو من باب التعجيز،

(ألقاه في اليمّ مكتوفاً وقال له   إيّاك إيّاك أن تبتلّ بالماء)

ثالثاً: لو كان هناك صارف زهّدهم في المعارضة من (كسلٍ أو ملل) لما وقفوا في وجه نبيّ الإسلام، ولما آذوه وأصحابه، ولما عذّبوا المسلمين وشرّدوهم، ولما قاطعوا الرسول وعشيرته وحاصروهم في الشّعب حتى أكلوا ورق الشجر، ولما فاوضوه وساوموه على أن يترك الدعوة ثم اضطروه الى الهجرة هو وأصحابه الكرام، إلى غير ما هنالك من دوافع وبواعث جعلتهم يسلكون كل سبيل للقضاء على الإسلام.

رابعاً: لو كان هناك عارض مفاجىء عطّل مواهبهم البيانية لأعلنوا ذلك في الناس، ليلتمسوا العذر لأنفسهم، وبالتالي ليقللوا من شأن القرآن، ولكانوا بعد نزول القرآن أقل فصاحة وبلاغة منهم قبل نزوله، وهذا باطل واضح البطلان.

خامساً: لو كان هذا العارض المفاجىء صحيحاً لأمكننا نحن الآن، وأمكن المشتغلين بالأدب العربي في كل عصر أن يعارضوا القرآن، وأن يتبينوا الكذب في دعوى إعجازه. وكل هذه الأشياء باطلة فهل يرضى عاقل لنفسه ان يقول بعد ذلك كله: إن العرب كانوا مصروفين عن معارضة القرآن ونبيّ القرآن، وأنهم كانوا مخلدين الى العجز والكسل زاهدين في النزول لذلك الميدان؟! وهل يصح لإنسان يحترم نفسه وعقله أن يصدّق بمثل هذا الافتراء القول بتعطيل المواهب والحواس) بعد أن يستمع الى شهادة ألدّ الأعداء من صناديد قريش وهو (الوليد بن المغيرة) حين قال كلمته المشهورة.. (والله لقد سمعت آنفاً كلاماً ليس من كلام بشر ليس بشعر ولا نثر ولا

كهانة، والله إن له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن اسفله لمغدق، وإنه ليعلو وما يعلى) والفضل ما شهدت به الأعداء.

وأختم هذه الكلمة بما ذكره العلاّمة القرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) حيث قال: (فهذه عشرة وجوه ذكرها علماؤنا رحمهم الله في إعجاز القرآن)، وهناك قول آخر ذكره النظّام: أن وجه الإعجاز هو المنع من معارضته، والصّرفة عند التحدي بمثله، وان المنع والصّرفة هو المعجزة دون ذات القرآن، وذلك أن الله تعالى صرف هممهم عن معارضته مع تحديهم بأن يأتوا بسورة من مثله، وهذا فاسد، لأن اجماع الأمة أن القرآن هو المعجز، فلو قلنا إن المنع والصرفة هو المعجز لخرج القرآن ان يكون معجزاً[1].. انتهى.. والصحيح ان الإتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين، ويظهر لك قصور البشر في عجزهم عن الإتيان بمثل سورة من أقصر سور القرآن مع التحدّي اللاذع.

هل حاول احد معارضة القرآن؟

أجمع رواة التاريخ والآثار، على ان اساطين البلغاء، وفحول الشعراء من مشركي العرب لم تحدثهم أنفسهم بمعارضة القرآن، ولم ينقل عن احد منهم أنه حاول ان يأتي بمعارضة للقرآن، مع شدة حرصهم على صدّ الناس عن الإسلام، والتكذيب برسالة محمد عليه الصلاة والسلام.. ولكن نقل عن بعض السفهاء الحمقى، انهم حاولوا معارضة القرآن، فكان ما أتوا به لا يخرج عن أن يكون محاولات مضحكة، أخجلتهم امام البشر، وجعلتهم اضحوكة لدى العقلاء، فباءوا بغضب من الله وسخط من الناس، وكان مصرعهم هذا كسباً جديداً للحق، وبرهاناً ناصعاً على أن القرآن كلام الله الذي لا يستطيع معارضته إنسان فمن أولئك:

أ ـ (مسيلمة الكذّاب) الذي أدّعى النبوة، وزعم انه شريك لرسول الله في شأن النبوة وقد كتب إليه في السنة العاشرة للهجرة يقول: (اما بعد، فإني قد شوركت في

(١) أنظر تفسير القرطبي: ج ١ ص ٧٥.

الأرض معك، وإنما لنا نصف الأرض، ولقريش نصفها، لكن قريشاً قوم يعتدون..!)

وقد زعم (مسيلمة) أن له قرآناً نزل عليه من السماء، ويأتيه به ملك يسمى (رحمن)، وها نحن ننقل طائفة من أقواله وهذيانه، ليظهر كذب هذا الأحمق الدجّال، ويتّضح امره، فكفاه ذلك الوصف أنه كذاب.

قال أخزاه الله معارضاً سورة العاديات:

(والطاحنات طحناً، والعاجنات عجناً، والخابزات خبزاً، والثاردات ثرداً، واللاقمات لقماً، إهالة وسمناً.. لقد فضلتم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر.. ريفكم فامنعوه، والمقبر فآووه! والباغي فناوئوه). وقال: (والشاء وألوانها، وأعجبها السود وألبانها، والشاة السوداء، واللبن الأبيض، إنه لعجب محض، وقد حرم المذْق فما لكم لا تمجعون).

ومن قرآنه المفترى: (الفيل ما الفيل، وما ادراك ما الفيل، له ذنب وبيل، وخرطوم طويل...) الخ. وقوله (يا ضفدع بنت ضفدعين، نقّي ما تنقّين، نصفك في الماء ونصفك في الطين، لا الماء تكدرين، ولا الشارب تمنعين).

وقد زعم انه عارض سورة الكوثر فخرج إلى الناس بهذا الهذيان:

(إن أعطيناك الجماهر، فصل لربك وجاهر، إن شانئك هو الكافر).

وكل كلامه على هذا النمط واهٍ سخيف لا ينهض ولا يتماسك، وأنت خبير بأن مثل ذلك الإسفاف ليس من المعارضة في قليل ولا كثير، يقول (الرافعي) رحمه الله: إن مسيلمة لم يرد أن يعرض للقرآن من ناحية (الصناعة البيانية) وإنما اراد أن يأخذ سبيله الى استهواء قومه من ناحية اخرى ظنها اهون عليه وأقرب تأثيرا في نفوسهم، وذلك أنه رأى العرب تعظّم الكهّان في الجاهلية، وكانت عامة أساليب الكهّان من هذا السجع القلق، الذي يزعمون انه من كلام الجن كقولهم: (يا جليح، امر نجيح، رجل فصيح، يقول لا إله إلا الله) فجعل يسجع ليوهم أنه يوحي إليه، على أنه لم يفلح في هذه الحيلة إذ كان أشياعه يعرفونه بالكذب والحماقة، ويقولون: إنه لم يكن في تعاطيه

الكهانة حاذقاً، ولا في دعوى النبوة صادقاً، وإنما كان أتباعهم إياه على حد قول قائلهم: كذّاب ربيعة أحب الينا من صادق مضر..).

ب ـ ومنهم (الاسود العنسي) ادّعى النبوة في اليمن، وكان يزعم ان الوحي ينزل عليه فيخفض رأسه الى الأرض ثم يرفعه فيقول: قال لي كذا وكذا ـ يعني شيطانه ـ الذي يوحي إليه، وكان جباراً ولكنه كان فصيحاً معروفاً بالكهانة والسجع والخطابة والشعر والنسب، ولم يذكر أنه حاول المعارضة للقرآن وإنما اكتفى بدعوى النبوة وبنزول الوحي عليه ﴿**وإنّ الشياطينَ لَيُوحونَ إلى أوليائهم**﴾[1].

جـ ـ ومنهم (طُليحة بن خويلد الأسدي) ادّعى النبوة، وكان يزعم ان (ذا النون) يأتيه بالوحي ولكنه لم يدّع لنفسه قرآنا لأن قومه كانوا من الفصحاء، ولكنهم تابعوه عصبيّة وطلباً للجاه والشهرة، وقد ذكر صاحب (معجم البلدان) أن له كلاماً كان يزعم أنه نزل عليه بالوحي ولم يظفر من كلامه إلا على هذه المقالة (إن الله لا يصنع بتعفير وجوهكم، وقبح أدباركم شيئاً، فاذكروا الله قياماً، فإن الرغوة فوق الصريح) يريد لا تركعوا ولا تسجدوا واكتفوا بالصلاة قياماً وبذكر الله في حالة القيام، وقد أرسل له أبو بكر جيشاً بقيادة خالد بن الوليد فلما التقى الجمعان، قتل عدد كبير من أتباعه، وتزمّل هو بكساء ينتظر الوحي، فقال له (عيينة) هل أتاك بعد؟ فقال وهو من تحت الكساء، لا والله ما جاء بعد، فقال له عيينة: لقد تركك أحوج ما كنت إليه، ثم قال: يا بني فزارة هذا كذّاب ما بورك لنا وله فيما يطلب، ثم انهزم طليحة ولحق بنواحي الشام، ويقال أنه أسلم بعد ذلك وكان له في القادسية بلاء حسن.

د ـ ومنهم (النضر بن الحارث) وهو من صناديد قريش، ورؤساء الكفر والضلالة، وهو لم يدّع النبوّة ولا الوحي ولكنه زعم أنه يعارض القرآن، فلفّق أخباراً من حوادث الفرس وملوك العجم، وكان يجلس إلى قريش فيحدّثهم بهذه الأساطير ثم يقول لهم: هذا خير مما أنزل على محمد.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢١.

هـ ـ ويروى أن (أبا العلاء المعرّي) و (المتنبي) و (ابن المقفع) حاولوا معارضة القرآن ولكنهم ما كادوا يبدؤون هذه المحاولة حتى خجلوا واستحيوا فكسّروا الأقلام ومزّقوا الصحف، وقد ذكرنا فيما مضى محاولة (ابن المقفع) وأنه بعد أن عزم على المعارضة وبدأ بها فعلاً، سمع صبياً يقرأ قوله تعالى: ﴿**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي، وَغِيضَ الماءُ، وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ على الجُودِيِّ، وَقِيلَ بُعْداً للقَوْمِ الظَّالمين**﴾[1] فمزق ما جمع واستحيا من إظهاره أمام الناس بعد أن قال قولته المشهورة: هذا والله ما يستطيع البشر أن يأتوا بمثله. وهذه القصة عن (ابن المقفع) يذكرها (الرافعي) عليه رحمة الله ثم يعقب عليها بقوله:

« إن ابن المقفع من أبصر الناس باستحالة المعارضة، لا لشيء من الأشياء إلا لأنه من أبلغ الناس وإذا قيل لك: إن فلاناً يزعم إمكان المعارضة ويحتج لذلك وينازع فيه، فاعلم أنّ فلاناً في الصناعة أحد رجلين اثنين: إمّا جاهل يصدُق في نفسه، وإما عالم يكذب على الناس، ولن يكون ثالث ثلاثة »[2] فالرافعي ينكر صحة هذه الرواية عن (ابن المقفع) كما ينكرها على (المعرّي فكلاهما في نظره باطل وافتراء عليهما.

و ـ وتحدثنا الأيام القريبة أن زعماء (البهائية والقاديانية) وضعوا كتباً يزعمون أنهم يعارضون بها القرآن ثم خافوا أو خجلوا أن يظهروها أمام الناس، فأخفوها على أمل أن يأتي الوقت المناسب فيخرجوها بعد أن يكثر الجهل ويطيش العقل.

شبهات حول إعجاز القرآن والرد عليها:

الشبهة الأولى: يقول أعداء الإسلام في معرض الطعن في القرآن، وفي نبيّ القرآن: إنّ محمداً ﷺ قد تلقى هذا القرآن من (بحيرا الراهب) ونسبه إلى الله عزّ وجل ليوهم البشر قدسيته. والجواب: أن هذه فرية ما فيها مِرْية، وهؤلاء الخبثاء من الصليبيّين وأعوانهم من الملاحدة، إنّما يروّجون مثل هذه الأباطيل ليشوّشوا على

---

(١) سورة هود، الآية: ٤٤.

(٢) أنظر اعجاز القرآن للرافعي.

المثقفين من أبناء المسلمين دينهم ويفسدوا عليهم عقائدهم بأمثال هذه الشبهات والافتراءات، وهذه الشبهة باطلة لعدة أمور:

أولاً: ان الرسول لم يثبت عنه أنه سافر إلى الشام إلاّ مرتين: مرة في صغره مع عمه (أبي طالب) ومرة في شبابه مع (ميسرة) غلام السيدة خديجة، ولم يحدثنا التاريخ إنه سمع من (بحيرا) أو تلقى عنه درساً واحداً، وإنما غاية الأمر أن (بحيرا الراهب) رأى سحابة تظلّل الرسول، فحدّث عمّه بأنّ هذا الغلام سيكون له شأن، ثم طلب منه أن يعيده إلى مكة خوفاً عليه من اليهود، ثم هل يعقل والرسول في سن الصغر أن يتلقى هذه العلوم والمعارف؟ أو يأتي بمثل هذا القرآن المعجز وهو لم يتجاوز بعد سن العاشرة؟ وفي المرة الثانية كان غرضه التجارة ولم يثبت أنه ألتقى بأحدٍ من الرهبان في هذه السفرة، فمن أين لهم هذا البهتان والافتراء؟!.

ثانياً: من المستحيل عقلاً على أي إنسان أن يصبح في هذه المرتبة (أستاذ العالم) لمجرد مصادفته لراهب من الرهبان مرتين مع أنه كان في الأولى صغيراً وفي الثانية تاجراً، وأن يأتي بهذا الكتاب المعجز وهو أميّ لمجرّد التقائه بأحد الرهبان مرة أو مرتين.

ثالثاً: لو كان هذا الراهب المسمّى (بحيرا) هو مصدر هذا القرآن، لكان هو الأحرى بالنبوءة والرسالة، أو لكانت عبقريته تفوق عباقرة الدنيا، لأنه أتى بكلام أعجز فيه الأولين والآخرين.

رابعاً: نقول إن المشركين من كفّار قريش كانوا أعقل وأسلم تفكيراً من هؤلاء المجانين لأنهم ـ مع شدة حرصهم على تكذيب الرسول وتبهيته ـ لم يقبلوا على أنفسهم مثل هذا الكذب الرخيص، ولم يفكرّوا أن يقولوا إنه تعلّم من (بحيرا الراهب) لمجرد الالتقاء به مرتين لأن العقل لا يستسيغ ذلك.

الشبهة الثانية: يقولون هذا القرآن من تعليم (جبر الرومي) تعلّم منه الرسول في مكة.. الخ. والجواب أن هذه الشبهة قد تولى الله عزّ وجل الردّ عليها بأبلغ حجة

وأنصع بيان فقال عزّ من قائل: ﴿ولَقَدْ نَعْلَمُ أنهمْ يَقُولونَ إنّمَا يعلمه بَشَرٌ، لِسانُ يُلْحِدُون إلَيْهِ اعْجَميٌ، وهَذا لِسَانٌ عَرَبِيٌ مُبِين﴾[1]. فهذا الرجل الذين ينسبون إليه تعليم محمد ﷺ هو رومي أعجمي لا يعرف اللسان العربيّ فكيف يعلمه القرآن؟ وقد كان (جبر) هذا حدّاداً يمتهن الحدادة، وقد أسلم، فكان النبي ﷺ كثيراً ما يمر عليه فيجلس عنده، فقال المشركون: واﷺ ما يعلّم محمداً هذا القرآن إلا جبرٌ الرومي، وكان سيّده يضربه ويقول له: أنت تعلّم محمداً، فيقول: لا والله، بل هو يعلمني ويهديني.. ومن الغريب أنّ هذه التّهمة قد لاقت استحساناً عند بعض الأفراد مع أنها في منتهى الغرابة والهزل، إذ كيف يكون الأستاذ عبداً حداداً أعجمياً، لا يفقه شيئاً من اللغة العربية ثم يعلّم الرسول لغة الضاد!! وهل من المعقول أن يكون هذا الروميّ الأعجمي مصدراً لهذا القرآن الذي هو أبلغ نصوص العربية، بل هو معجزة المعجزات ومفخرة العرب واللغة العربية!! ولهذا كان ردّ القرآن مفحماً وقاطعاً ﴿لِسَان الذين يُلْحِدُونَ اِلَيْهِ أعْجَمي، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌ مُبِين﴾.

الشبهة الثالثة: إن محمداً عبقريّة فذّة، وهذه العبقرية الخارقة، لماذا لا يمكن أن تكون هي منبع هذه الأخبار، وأن يكون هذا القرآن من تأليف محمد وترتيبه لأنه ذو شخصية رائعة؟!.

والجواب: إن هذا الكلام إنما يصدر عن جاهل لا يعرف شيئاً عن حياة النبي ﷺ ولا عن تاريخ عشيرته وقومه، فالرسول ﷺ عاش أربعين سنة بين قومه وهو يشار إليه بالبَنَان، في صدقه وأمانته ونبله وفضله، حتى كان المشركون يلقبونه بـ (الصادق الأمين) فهل يعقل بعد هذه الحياة الشريفة الطاهرة، أن يأتي بأعظم بهتان فيزعم أن هذا القرآن من عند الله، وأنه رسول الله؟! وبداية الإنسان تدل على نهايته فكيف يتفق هذا مع تاريخ الرسول الشريف الطاهر، وحياته الفاضلة العطرة، وحين سأل (هرقل) ملك الروم أبا سفيان عن رسول الله. هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ أجابه أبو سفيان بقوله: لا، بل هو عندنا الصادق الأمين، فقال له

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٣.

هرقل: لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله. ومن ناحية ثانية فقد ثبت في التاريخ ثبوتاً قاطعاً أن محمداً ﷺ كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة، وقد أكّد هذا القرآن بقوله عزّ من قائل ﴿**وَمَا كُنْتَ تَتْلُو من قَبْلِهِ مِنْ كِتَاب وَلاَ تَخطّهُ بِيَمِينِكَ إذاً لارْتَابَ المُبْطلونَ**﴾ (١) فمن أين لرسول الله معرفةَ أخبار الأولين من الأنبياء والمرسلين؟ ومن أين له معرفة دقائق التاريخ وأحوال الأمم الغابرة وأنباء من سبق من البشر على وجه الدقة والتفصيل، وهو بعد لم يقرأ كتاباً، ولم يدرس علماً، ولم يتلق هذه الأنباء عن أحد من علماء أهل الكتاب؟!.

ثم مهما كانت عبقرية الإنسان فذّة، ونبوغه عظيماً، وذكاؤه وافراً فمن أين له معرفة أمور الغيب، وأحوال المستقبل، وهل يمكن لبشرٍ مهما سما أن يخبر عن الغيب بحيث لا يشذ عن أخباره واحدة من هذه المغيبّات إلا أن يكون رسولاً صادقاً يوحى إليه من عند الله؟! إن العقل ليجزم بأن هذا ليس في طوق البشر، ومهما بلغت العبقرية من النبوغ والذكاء، ومهما كانت الشخصية قوية ومثالية، فلن تستطيع أن تخرق أستار الغيب أو تخبر بما ليس في مقدورها وصدق الله ﴿**كَذَلك نَقصّ عَلَيْكَ مِنْ أنْبَاء مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَا ذِكْراً..**﴾ (٢).

الشبهة الرابعة: يقولون: إن عجز البشر عن الإتيان بمثل هذا القرآن لا يدلّ على أنه كلام الله، وما هذا إلاّ كمثل عجزهم عن الإتيان بمثل (الكلام النبوي) فهل يكون كلام الرسول من عند الله؟ أو يقال إنه كلام الله؟.

والجواب: أن الحديث النبوي إن عجز عامة الناس عن الإتيان بمثله فلن يعجز أحد الخاصة عن الإتيان بمثل بعضه، ولو بمقدار حديثٍ واحدٍ أو سطرٍ واحدٍ من كلامه، وكلام الرسول ﷺ وإن كان في الذروة العليا من الفصاحة والبلاغة إلا أنه لا يخرج عن كونه كلام بشر، وقد يشتبه كلام البشر بعضهم مع بعض، حتى لنجد تشابهاً بين كلام النبوّة وكلام بعض الخواص من الصحابة ونسمع الحديث فيشتبه علينا أمره:

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٨.

(٢) سورة طه، الآية: ٩٩.

أهو مرفوع ينتهي إلى النبي ﷺ ؟ أم هو موقوف عند الصحابي أي من كلامه؟ أم مقطوع عند التابعي؟ ولا نستطيع أن نميّز حتى يرشدنا السند إلى عين قائله. ومن أوتيَ حاسة بيانية يدرك هذا الشبه كثيراً، وقد يلتبس علينا الأمر حين نسمع كلاماً رائعاً بليغاً لأحد الفصحاء فنظنه من كلام الرسول ﷺ، فإذاً قد يكون هناك بعض الشبه بين كلام أفصح من نطق بالضاد وبين كلام بعض النبغاء، واستمع مثلاً إلى هذه الجملة الرائعة (المعدة بيت الداء، والحمية رأس كل دواء، وعوّدوا كل جسمٍ ما اعتاد) فإنّ الإنسان إذا سمع هذه لم يستبعد أن تكون حديثاً لجمالها وصحتها وأسلوبها الأخّاذ، وربما جزم بأنها حديث شريف مع أنها ليست بحديث إنما هي من كلام طبيب العرب المشهور (ابن كلدة) وأما القرآن فذاك له شأن آخر لا يلتبس مع غيره من الكلام، ولن تستطيع أن تجد له شبيهاً أو نداً، لأن الذي صنعه على عينه لن تستطيع أن تجد له شبيهاً أو نداً، فكيف يقاس القرآن الكريم بالحديث الشريف في هذا المقام؟.

ثانياً: ومن ناحية ثانية لو كان هذا القرآن من تأليف محمد ﷺ لكان ينبغي أن يكون الأسلوب في (القرآن والسنة)واحداً ضرورة أنهما صادران عن شخص واحد، استعداده واحد، ومزاجه واحد، مع أننا نجد الفرق بينهما واضحاً، والبون شاسعاً، فأسلوب القرآن ضرب وحده تظهر عليه سمات الألوهية والربوبية التي تجل عن المشابهة والمماثلة، وأسلوب الحديث الشريف ضرب آخر، لا يجل عن المشابهة والمماثلة، بل هو محلّق في جو البيان بقدر الأساليب البشرية الرفيعة، ولا يستطيع بحال أن يصعد إلى سماء إعجاز القرآن، وهذا يدركه كل إنسان إذا ما قارن بين الأسلوبين بأبسط نظرة وصدق الله حيث يقول: ﴿**ولو أنّ ما في الأرض من شجرةٍ أقلامٌ والبحرُ يمدّهُ من بعده سبعةُ أبحرٍ ما نفدتْ كلماتُ اللهِ إنّ الله عَزيزٌ حكيم**﴾ [1] وصدق الله ﴿**قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الإنْسُ وَالجِنّ على أنْ يَأتُوا بِمِثْلِ هَذا القُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً**﴾ [2].

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٧.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

القِسْمُ الثَّاني

التَّفسِيرُ بالدِرَايَـة (الـرَّأي)

بعد أن تحدثنا عن التفسير بالرواية، ننتقل الآن إلى الحديث عن التفسير بالدراية، وهذا النوع يسمى عند علماء التفسير (التفسير بالرأي) أو التفسير بالمعقول، لأن المفسر لكتاب الله تعالى يعتمد فيه على اجتهاده، لا على المأثور المنقول عن الصحابة أو التابعين، بل يكون فيه الاعتماد على اللغة العربية، وفهم أسلوبها على طريقة العرب، ومعرفة طريقة التخاطب عندهم، وإدراك العلوم الضرورية، التي ينبغي أن يكون ملماً بها كل من أراد تفسير القرآن، كالنحو والصرف وعلوم البلاغة، وأصول الفقه، ومعرفة أسباب النزول، إلى غير ما هنالك من العلوم التي يحتاج إليها المفسّر، كما سنبينه فيما بعد إن شاء الله تعالى.

معنى التفسير بالرأي:

المراد بالرأي هنا (الاجتهاد) المبني على أصول صحيحة، وقواعد سليمة متّبعة، يجب أن يأخذ بها من أراد الخوض في تفسير الكتاب، أو التصدي لبيان معانيه، وليس المراد به مجرد (الرأي) أو مجرد (الهوى) أو تفسير القرآن بحسب ما يخطر للإنسان من خواطر، أو بحسب ما يشاء. فقد قال القرطبي: من قال في القرآن بما سنح في وهمه، أو خطر على باله، من غير استدلال عليه بالأصول، فهو مخطيء مذموم، وعليه يحمل

الحديث الشريف «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»[1].

وقد قال ﷺ: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»[2].

قال القرطبي رحمه الله في مقدمة تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) ما نصّه:

فسّر حديث ابن عباس «ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار» تفسيرين:

أحدهما: من قال في مشكل القرآن بما لا يعرف من مذهب الصحابة والتابعين فهو متعرض لسخط الله.

ثانيهما: من قال في القرآن قولاً يعلم أن الحق غيره فليتبوأ مقعده من النار.

وقد رجح القرطبي القول الثاني فقال: وهو أثبت القولين، وأصحهما معنى. ثمّ قال: وأما حديث (جندب) فقد حمل بعض أهل العلم هذا الحديث على أنّ الرأي معنيّ به (الهوى) والمراد من قال في القرآن قولاً يوافق هواه، لم يأخذه عن أئمة السلف فأصاب فقد أخطأ، لحكمه على القرآن بما لا يعرف أصله، ولا يقف على مذاهب أهل الأثر والنقل فيه.

وقال ابن عطية: ومعنى هذا أن يُسْأل الرجلُ على معنى في كتاب الله عز وجل، فيتسور عليه (أي يهجم عليه) برأيه دون نظرٍ فيما قال العلماء واقتضته قوانين العلم كالنحو والأصول، وليس يدخل في هذا الحديث، أن يفسّر اللغويون لغته، والنحويون نحوه، والفقهاء معانيه وأحكامه، ويقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين علم ونظر، فإن القائل على هذه الصفة ليس قائلاً بمجرد رأيه[3].

---

(١) الحديث رواه الترمذي عن ابن عباس، ومعنى يتبوأ: أي ينزل ويحل.

(٢) الحديث من رواية أبي داود عن جندب.

(٣) تفسير القرطبي، ج ١ ص ٣٢.

أنواع التفسير بالرأي:

وعلى هذا يمكن تقسيم التفسير بالرأي إلى قسمين:

١ - تفسير محمود.

٢ - تفسير مذموم.

فالتفسير المحمود: ما كان موافقاً لغرض الشارع، بعيداً عن الجهالة والضلالة، متمشياً مع قواعد اللغة العربية، معتمداً على أساليبها في فهم النصوص القرآنية الكريمة، فمن فسّر القرآن برأيه (أي باجتهاده) ملتزماً الوقوف عند هذه الشروط، معتمداً عليها فيما يرى من معاني الكتاب العزيز، كان تفسيره جائزاً سائغاً، جديراً بأن يسمى (التفسير المحمود) أو التفسير المشروع.

وأمّا التفسير المذموم: فهو أن يفسّر القرآن بدون علم، أو يفسّره حسب الهوى، مع الجهالة بقوانين اللغة أو الشريعة، أو يحمل كلام الله على مذهبه الفاسد، وبدعته الضالّة، أو يخوض فيما استأثر الله بعلمه، ويجزم بأن المراد من كلام الله هو كذا وكذا، فهذا النوع من التفسير هو (التفسير المذموم) أو التفسير الباطل. وباختصار: فإن التفسير المحمود، ماكان صاحبه عارفاً بقوانين اللغة، خبيراً بأساليبها، بصيراً بقانون الشريعة.

والتفسير الباطل المذموم: ما كان منبعثاً عن الهوى، قائماً على الجهالة والضلالة. مثاله: ما ورد عن بعض الجهلة من ادعياء العلم في قوله تعالى ﴿**يومَ ندعو كلَّ أناسٍ بإمامهم**﴾ [1] أن المراد بها أن الله تعالى ينادي الناس يوم القيامة بأسماء أمهاتهم ستراً عليهم، فقد فسّر هذا الجاهل (الإمام) بالأمهات وظنّ أنّ الإمام جمع أمّ، مع أن اللغة العربية تأبى هذا، لأن جمع الأم أمهات قال تعالى ﴿**وأمهاتُكم اللاتي أرضعنَكُم**﴾ [2] ولا يكون جمع الأم إماماً فإن ذلك فاسد لغة وشرعاً، والمراد بالإمام هنا (النبي) الذي

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧١.

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٣.

اتبعته أمته، أو كتاب الأعمال بدليل تتمة الآية: ﴿**فمنْ أوتِيَ كتابه بيمينهِ فأولئك يقرءونَ كتابهم ولا يظلمون فتيلا**﴾[1].

فإذا لم يفهم الإنسان قواعد اللغة، ولا أصول العربية، خبط خبط عشواء وكان عليل الرأي، سقيم الفهم، وكذلك من لم يفهم غرض الشرع، وقع في الجهالة والضلالة، كمن يأخذ بظاهر الآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿**وَمنْ كان في هذه أعمى، فهوَ في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً**﴾[2]فيحكم على كل أعمى بالشقاوة والخسران ودخول جهنم، مع أنّ المراد بالعمى ليس عمى البصر، وإنما هو (عمى القلب) بدليل قوله تعالى: ﴿**فإنّها لا تعمى الأبصارُ، ولكن تعمى القلوبُ التي في الصدور**﴾[3] وربما كان عمى البصر سبباً لسعادة الإنسان كما جاء في الحديث القدسي: (من ابتليته بحبيبته (يعني عينيه) فصبر عوّضته الجنّة).

وسنذكر بعض النماذج عن التفسير الباطل المذموم عند الكلام على غرائب التفسير فارجع إليه هناك.

أمهات التفسير:

والأمور التي ينبغي استناد الرأي إليها في التفسير، أمهاتها أربعة كما ذكرها (الزركشي) في كتابه البرهان، ونقلها السيوطي عنه في كتابه الإتقان ونحن نلخصها بإيجاز:

الأول: النقل عن الرسول ﷺ مع التحرز عن الضعيف والموضوع.

الثاني: الأخذ بقول الصحابي في التفسير، فإنه في حكم المرفوع.

الثالث: الأخذ بمطلق اللغة، فإن القرآن نزل بلسان عربي مبين، مع ترك ما لا تحتمله لغة العرب.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧١.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٢.

(٣) سورة الحج، الآية: ٤٦

الرابع: الأخذ بما يوافق الكلام العربي، ويدل عليه قانون الشرع، وهذا هو الذي دعا به النبي عليه السلام لابن عباس في قوله: «اللّهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل»[1]

العلوم التي يحتاجها المفسّر:

يحتاج المفسر لكتاب الله تعالى، إلى انواع من العلوم والمعارف، يجب أن تتوفر فيه، حتى يكون أهلاً للتفسير، وإلاّ كان داخلاً في الوعيد السابق «من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار». وقد ذكر العلماء أنواع العلوم التي يجب توفرها في المفسّر، وأوصلها السيوطي في كتابه (الاتقان) إلى خمسة عشر علماً[2]، ونحن نوجزها فيما يلي:

١ ـ معرفة اللغة العربية وقواعدها (علم النحو، والصرف، وعلم الاشتقاق).
٢ ـ معرفة علوم البلاغة (علم المعاني، والبيان، والبديع).
٣ ـ معرفة أصول الفقه (من خاص، وعام، ومجمل، ومفصل.. الخ)
٤ ـ معرفة أسباب النزول.
٥ ـ معرفة الناسخ والمنسوخ.
٦ ـ معرفة علم القراءات.
٧ ـ علم الموهبة.

أما الأول: وهو اللغة وما يتعلق بها من نحو وصرف واشتقاق، فإنه ضروري للمفسّر، إذ كيف يمكن فهم الآية بدون معرفة المفردات والتراكيب وهل باستطاعة

---

(١) أنظر: الإتقان، ج ٢ ص ١٧٩.

(٢) عدّ السيوطي العلوم خمسة عشر وسردها على النحو التالي: أحدها: اللغة، الثاني: النحو، الثالث: التصريف، الرابع: الاشتقاق، الخامس: البيان، السادس: المعاني، السابع: البديع، الثامن: علم القراءات، التاسع: أصول الدين، العاشر: أصول الفقه، الحادي عشر: أسباب النزول، الثاني عشر: علم الناسخ والمنسوخ، الثالث عشر: علم الفقه، الرابع عشر: الأحاديث المبنية للمجمل والمبهج، الخامس عشر: علم الموهبة (الاتقان بايجاز).

أحد أن يفسر قوله تعالى: ﴿**للذينَ يؤلونَ من نسائهم تربّصُ أربعة أشهر، فإن فاءوا فإنّ الله غفورٌ رحيمٌ**﴾[1] بدون أن يعرف المعنى اللغوي للإيلاء، والتربص،

قال الإمام مالك: (لا أُوتى برجلٍ غير عالم بلغة العرب، يفسّر كتاب الله، إلاّ جعلته نكالاً).

وقال مجاهد: «لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله، إذا لم يكن عالماً بلغات العرب».

فإذا لم يتفق اللفظ مع المعنى اللغوي كان باطلاً، كتفسير بعض الروافض قوله تعالى: ﴿**مرجَ البحرينِ يلتقيانِ**﴾[2] أنهما علي وفاطمة، وقوله ﴿**يخرجُ منهما اللؤلؤُ والمرجان**﴾[3] يعني الحسن والحسين.

وكتفسير (فرعون) بالقلب في قوله تعالى: ﴿**اذهب إلى فرعون إنّه طغى**﴾[4] ويريد به قلب الإنسان القاسي، قال القرطبي: وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة، تحسيناً للكلام، وترغيباً للمستمع، وهو ممنوع لأنه قياس في اللغة، وذلك غير جائز، وهو أحد وجهي المنع من التفسير بالرأي[5].

وعلم النحو ضروري للمفسّر، لأن المعنى يتغيّر بتغيّر الحركات تغيراً كبيراً، فقوله تعالى: ﴿**إنّما يَخْشَى اللهَ من عِبادِهِ العُلَماءُ**﴾[6] بنصب هاء الجلالة، ورفع همزة العلماء، والمعنى صحيح، لأنّ معنى الآية: الذين يخشون الله من عباده العلماء دون غيرهم، فمن ازداد علماً بالله، ازداد منه خوفاً، ولو عكس فضم هاء الجلالة، ونصب همزة العلماء لفسد المعنى.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٦.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ١٩.

(٣) سورة الرحمن، الآية: ٢٢.

(٤) سورة طه، الآية: ٢٤.

(٥) تفسير القرطبي، ج ١ ص ٣٣.

(٦) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

قصة لطيفة:

ذكر القرطبي في تفسيره هذه القصة في عدم اللّحن في القرآن، قال: «قدم أعرابي في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى المدينة المنورة فقال: من يقرئني مما أُنزل على محمد ﷺ؟ قال: فأقرأه رجل سورة (براءة) فقرأ عليه الآية الكريمة **﴿أنّ الله بريء منَ المشْركينَ ورسولُهُ﴾**[1] بالجر أي بجر اللام في (رسولِه) بدل الضم فقال الأعرابي: أوقدْ بريء الله من رسوله؟ فإن يكن الله بريء من رسوله، فأنا أيضاً أبرأ من رسوله، فاستعظم الناس الأمر، وبلغ عمر مقالة الأعرابي، فدعاه فقال يا أعرابي؟ أتبرأ من رسول الله ﷺ؟

فقال يا أمير المؤمنين: إني قدمت المدينة، ولا علم لي بالقرآن، فسألت من يقرئني؟ فأقرأني هذا الرجل سورة (براءة) فقال: **﴿أنّ اللهَ بريء من المشركين ورسوله﴾** فقلت: أوقد بريء الله من رسوله، إن يكن الله بريء من رسوله فأنا أبرأ منه، فقال عمر: ما هكذا الآية يا أعرابي؟ قال: فكيف هي يا أمير المؤمنين؟ قال: **﴿أنّ الله بريءٌ من المشركين ورسُولُهُ﴾** فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ ممّا برىء الله ورسوله منه، أبرأ من المشركين.. فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ألاّ يقرىء الناس إلاّ عالم باللغة، وأمر أبا الأسود فوضع النحو[2].

ومعرفة علم الصرف والاشتقاق ضرورية أيضاً للمفسّر، حتى لا يخبط الإنسان خبط عشواء، قال الزمخشري: من بدع التفاسير قول من قال إنّ (الإمام) في قوله تعالى: **﴿يوم ندعو كلّ أناس بإمامهم﴾**[3] جمع أمّ، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم دون آبائهم، قال: وهذا غلط فاحش أوجبه جهل القائل بالتصريف فإن (أمّا) لا تجمع على إمام[4].

٢ ـ وأما علوم (المعاني والبيان والبديع) فضرورية لمن أراد تفسير الكتاب

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣.

(٢) تفسير القرطبي، ج ١ ص ٢٤.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧١.

(٤) أنظر: الإتقان، ج ٢ ص ١٨١.

العزيز، لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وذلك لا يدرك إلا بهذه العلوم، فمثلاً قوله تعالى ﴿وأُشْرِبُوا في قلوبهم العجلَ﴾ [1] أي أشربوا حبّ العجل فهو على حذف مضاف. ومثله ﴿واسأل القرية﴾ [2] المراد أهل القرية وقوله تعالى ﴿هنّ لباسٌ لكم وأنتمْ لباسٌ لهنّ﴾ [3] ليس على الحقيقة وإنما هو استعارة فكما يستر اللباس العورة، ويزيّن الإنسان ويجملّه، كذلك الرجل والمرأة كل منهما كاللباس لصاحبه يزينه ويكمّله ويجمّله، وهو من روائع النظم، وبدائع الكلام، وإذا حمل الإنسان المعنى على ظاهره، فسد المعنى، كما يذكر أن (الفرنسيين) أرادوا ترجمة القرآن إلى لغتهم، فلما وصلوا إلى هذه الآية الكريمة ﴿هنّ لباسٌ لكُم وأنتمْ لباسٌ لهن﴾ ترجموها بالظاهر ولم يدركوا السّر الدقيق فيها، فكانت الترجمة كالتالي (هنّ بنطلونات لكم، وأنتم بنطلونات لهن) لأن اللباس عندهم يسمى (البنطلون) وهكذا ساء فهمهم ولم يدركوا روعة تعبير القرآن. وقريب من هذا ما وقع لبعض الأعراب حين سمع قوله تعالى ﴿وكلُوا واشْرَبُوا حتى يتبيّن لكُمُ الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسود﴾ [4] أخذ عقالين أبيض وأسود وجعل يأكل وينظر إليهما حتى كادت الشمس. أن تطلع، فجاء إلى النبي ﷺ فأخبره بذلك فقال له: إنّك لعريض القفا [5] إنما ذلك بياض النهار، وسواد الليل. وفي القرآن الكريم أمثلة كثيرة على الاستعارة والكناية والمجاز، ولا بد في فهمها من معرفة علم البيان والبديع مثل قوله تعالى عن سفينة نوح ﴿تجري بأعيننا﴾ [6] أي بحفظنا ورعايتنا، وقوله ﴿قدم صِدْقٍ﴾ [7] و ﴿لسان صِدْقٍ﴾ [8] و ﴿جَنَاح الذلّ﴾ [9] كل ذلك وأشباهه يحتاج إلى فهم علوم البلاغة وأسرار البيان.

(١) سورة البقرة، الآية: ٩٣.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٨٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٥) عريض القفا: كناية عن البلاهة وسوء الفهم.

(٦) سررة القمر، الآية: ١٤.

(٧) سورة يونس، جزء من الآية: ٢.

(٨) سورة مريم، جزء من الآية: ٥٠.

(٩) سورة الإسراء، جزء من الآية: ٢٤.

وهكذا بقية العلوم من: (أصول الفقه، وأسباب النزول، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، وعلم القراءات) كلّ ذلك مما يحتاج إليه المفسّر لكتاب الله تعالى، حتى لا يخطيء في الفهم، و لا تزلّ قدمه بسبب الجهل بهذه الأمور الضرورية.ﻫ

وأما علم الموهبة: فيقصد منه العلم اللدني الرباني ﴿**وآتيناه**[1] **منْ لدُنّا علماً**﴾[2] الذي يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم، ويفتح قلبه لفهم أسراره قال تعالى ﴿**واتقوا الله ويعلّمكم الله**﴾[3] فهو ثمرة التقوى والإخلاص، ولا ينالُ هذا العلمَ من كان في قلبه بدعة، أو كبر، أو حب للدنيا، أو ميلٌ إلى المعاصي قال الله تعالى:

﴿**سأصرفُ عنْ آياتيَ الذين يتكبّرونَ في الأرضِ بغيرِ الحق ..**﴾[4] الآية، وما أجل قول الشافعي رحمه الله:

«شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي»
«وأخبرني بأنّ العلمَ نورٌ ونور الله لا يُهْدى لعاصي».

قال السيوطي: «ولعلك تستشكل علم الموهبة وتقول: هذا شيء وليس في قدرة الإنسان، وليس كما ظننت من الإشكال، والطريق في تحصيله، ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد. ثم قال: علوم القرآن وما يستنبط منه بحر لا ساحل له، فهذه العلوم التي ذكرناها هي كالآلة للمفسّر، ولا يكون مفسراً إلا بتحصيلها، فمن فسّر بدونها كان مفسراً بالرأي المنهي عنه»[5].

وهذه الشروط التي ذكرها العلماء إنما هي لتحصيل أعلى مراتب التفسير وهناك معان عامة يفهمها الإنسان عند سماع اللفظ الكريم، فقد سهّل الله القرآن ويسّره، وأمر

---

(١) في القرآن: (وعلمناه) بدل (وآتيناه).

(٢) سورة الكهف، الآية: ٦٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.

(٥) أنظر الإتقان، ج ٢، ص ١٨١.

بالتدبر والتذكر لكتابه المجيد ﴿**أفلا يتدبرون القرآن**﴾[1]؟ وذلك أدنى مراتب التفسير والله الموفق.

مراتب التفسير:

وقد قسّم المرحوم الشيخ محمد عبده التفسير إلى مرتبتين:

١ - مرتبة عليا.

٢ - ومرتبة دنيا.

أمّا المرتبة الأولى (العليا) فهي لا تتم إلاّ بأمور:

أحدها: فهم حقائق الألفاظ المفردة، التي أودعت في القرآن عن طريق استعمالات أهل اللغة.

ثانيها: معرفة الأساليب الرفيعة. وذلك يحصل بممارسة الكلام البليغ ومزاولته، مع التفطن لنكته ومحاسنه.

ثالثها: علم أحوال البشر، ومعرفة السنن الإلهية الكونية في تطور الأمم واختلاف أحوالهم، من قوة وضعف، وعز وذل، وإيمان وكفر.

رابعها: العلم بوجه هداية القرآن للبشرية، وما كان عليه العرب في الجاهلية من شقاء وضلال، فقد روي عن عمر أنه قال: «لا يعرف فضل الإسلام من لم يقرأ حياة الجاهلية».

خامسها: العلم بسيرة النبي ﷺ وأصحابه، وما كانوا عليه من علم وعمل، في الشؤون الدينية والدنيوية

المرتبة الدنيا:

وأما أدنى مراتب التفسير: فهو أن يتبيّن بالإجمال ما يشربُ قلبه عظمة الله وتنزيهه

---

(١) سورة محمد الآية ٢٤ وسورة النساء الآية ٨٢.

ويصرف النفس عن الشر، ويجذبها إلى الخير، وهذه ميسّرة لكل أحد كما قال تعالى: ﴿ولقدْ يسرنا القرآن للذّكر، فهل منْ مُدّكر؟﴾ (١).

أوجه التفسير:

روى السيوطي نقلاً عن ابن جرير من طرق متعددة، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:

التفسير أربعة أوجه:

١ ـ وجه تعرفه العرب من كلامها.

٢ ـ وتفسيرٌ لا يُعذر أحد بجهالته.

٣ ـ وتفسير يعرفه العلماء.

٤ ـ وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى.

(أقوال العلماء في جواز التفسير بالرأي)

بعد أن عرفنا معنى (التفسير بالرأي) وشروطه، نذكر الآن أقوال العلماء فيه، وأدلة كلٍ من المجيزين والمانعين له، حتى يظهر الحق أبلج ساطعاً، مثل الشمس في رابعة النهار، فنقول ومن الله نستمد العون: المراد بالرأي هنا الاجتهاد، وعليه فالتفسير بالرأي معناه تفسير القرآن بالاجتهاد، بعد معرفة المفسّر لكلام العرب وأسلوبهم في الخطاب، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها، وقد اختلف العلماء في جواز التفسير بالرأي على مذهبين:

المذهب الأول: عدم جواز التفسير بالرأي، لأنّ التفسير موقوف على السماع، وهو قول طائفة من العلماء.

المذهب الثاني: جواز التفسير بالرأي بالشروط المتقدمة، وهو مذهب جمهور العلماء.

---

(١) سورة القمر، الآية: ١٧. انتهى. من تفسير المنار بتصرف واختصار.

أدلة المانعين:

استدل المانعون للتفسير بالرأي بعدة أدلة نوجزها فيما يلي:

أولاً: إن التفسير بالرآي قول على الله بغير علم، وهو منهيّ عنه بقوله تعالى: **﴿وأنْ تَقُولُوا على اللهِ مَا لا تَعْلَمونَ﴾**[1].

ثانياً: ما ورد في الحديث الشريف من الوعيد الشديد لمن فسّر القرآن الكريم برأيه، وهو قوله ﷺ: «اتقوا الحديث عليّ إلاّ ما علمتم، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار» رواه الترمذي.

ثالثاً: قوله تعالى **﴿وأنزلنا إليكَ الذّكر لتبيّنَ للناس ما نُزّلَ إليهمْ، ولعلهمْ يتفكرون﴾**[2] فقد أضاف البيان إلى الرسول ﷺ فعُلِم أنه ليس لغيره شيء من البيان لمعاني القرآن.

رابعاً: تحرّج الصحابة من القول في القرآن بآرائهم، حتى روى عن الصّديق أنه قال: «أيّ سماء تظلّني؟ وأيّ أرض تقلّني؟ إذا قلت في القرآن برأي، أو قلت فيه بما لا أعلم»؟.

أدلة المجيزين للتفسير بالرأي:

وقد استدل المجيزون للتفسير بالرأي وهم (الجمهور) بعدة أدلة نوجزها فيما يلي:

أولاً: لقد حثنا الله على التدبر، وتعبّدنا في القرآن فقال عزّ من قائل: **﴿كتابٌ أنزلناهُ إليك مباركٌ ليدبّروا آياتهِ، وليتذكر أولو الألباب﴾**[3].

وقال تعالى: **﴿أفلا يتدبّرونَ القرآن أمْ على قلوب أقفالها﴾**[4]؟.

والتدّبُر والتذكّرُ لا يكون إلاّ بالغوص عن أسرار القرآن، والاجتهاد في فهم

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٩.

(٢) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٣) سورة ص، الآية: ٢٩.

(٤) سورة محمد، الآية: ٢٤.

معانيه، فهل يعقل أن يكون تأويل ما لم يستأثر الله بعلمه محظوراً على العلماء، مع أنه طريق العلم، وسبيل المعرفة؟.

ثانياً: إن الله تعالى قسم الناس قسمين: عامة، وعلماء، وأمر بالرجوع إلى أهل العلم الذين يستنبطون الأحكام فقال تعالى: **﴿ولو ردّوهُ إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهمْ لعلِمَهُ الذين يستنبطونه منهمْ﴾**[1] الآية، والاستنباط هو استخراج المعاني الدقيقة بثاقب الذهن، وهو إنما يكون بالاجتهاد والغوص في أسرار القرآن، كما يغوص السباح في أعماق البحر، لاستخراج الجواهر واللآليء.

ثالثاً: قالوا، لو كان التفسير بالاجتهاد غير جائز، لما كان الاجتهاد جائزاً، ولتعطّل كثير من الأحكام، وهذا باطل فإن المجتهد في حكم الشرع مأجور سواء أصاب أو أخطأ، ما دام أنه قد استفرغ جهده، وبذل ما في وسعه، بغية الوصول إلى الحق والصواب.

رابعاً، إن الصحابة قرؤوا القرآن، واختلفوا في تفسيره على وجوه، ومعلوم أنهم لم يسمعوا كلّ ما قالوه في تفسير القرآن من النبي ﷺ إذ أنه لم يبيّن لهم كل شيء، بل بيّن لهم الضروري منه، وترك البعض الآخر الذي توصلوا إلى معرفته بعقولهم واجتهادهم، ولو بيّن لهم كلّ معانيه لما وقع بينهم اختلاف في التفسير.

خامساً: أن النبي ﷺ دعا لابن عباس فقال: «اللّهم فقّهْهُ في الدين، وعلّمْهُ التأويل» فلو كان «التأويل» مقصوراً على السّماع والنقل كالتنزيل لما كان هناك فائدة في تخصيص ابن عباس بهذا الدعاء، فدلّ على أن التأويل هو التفسير بالرأي والاجتهاد.

الرد على أدلة المانعين:

وقد ردّوا على أدلة المانعين بحجج دامغة، وبراهين قاطعة، تثبت خطأهم فقالوا في الردّ على الدليل الأول: إن التفسير بالاجتهاد ليس قولاً على الله بغير علم، بل هو قول

(١) سورة النساء، الآية: ٨٣.

بعلمٍ مأذون به من الشارع، فقد بيّن عليه السلام أن المجتهد إذا اجتهد فأصاب فله أجـران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد، فكيف يكون مأجوراً إذا لم يكن مسموحاً له بالاجتهاد ؟.

ثانياً: أما الدليل الثاني وهو حديث « من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار » فقد ردّ السيوطي بخمسة أدلة عليه فقال جلة ما تحصل في معنى التفسير بالرأي خمسة أقوال:

أحدها: التفسير من غير حصولٍ على العلوم التي يجوز معها التفسير.

الثاني: تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلاّ الله تعالى.

الثالث: التفسير المقرّر للمذهب الفاسد، فيجعل المذهب أصلاً، والتفسير تابعاً.

الرابع: الحكم بأنّ مراد الله كذا على وجه القطع من غير دليل.

الخامس: التفسير بالاستحسان والهوى [1].

ثالثاً: في الرد على الدليل الثالث قالوا: نعم إن النبي ﷺ مأمور بالبيان ولكنه انتقل إلى انتقل إلى جوار الله ولم يبيّن لهم كل شيء، فما ورد بيانه عنه ﷺ ففيه الكفاية، وما لم يرد عنه بيانه فلا بدّ فيه من الاجتهاد وإعمال الفكر، وختام الآية يشهد ذلك ﴿ولعلّهم يتفكرون﴾ [2] فلا بدّ إذاً من الفكر والاجتهاد.

رابعاً: وفي الرد على الدليل الرابع قالوا: إن إحجام الصحابة إنما كان منهم (ورعاً واحتياطاً) خشية ألا يصيبوا عين اليقين، وكانوا يرون أن التفسير شهادة على الله بأنه أراد باللفظ كذا فأمسكوا عنه خشية ألا يكون الصواب جانبهم، وأمّا إذا ترجّح لهم وجه الصواب فإنهم لا يمتنعون، وهذا أبو بكر الصّديق يفتي في الكلالة برأيه في قوله تعالى ﴿يستفتونَكَ قُلِ اللهُ يفتيكُمْ في الكلالة﴾ [3] فيقول رضي الله عنه: أقول فيها برأي، فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان غير ذلك فمني ومن الشيطان الكلالة: ما خلا الوالد والولد.

---

(١) أنظر: الإتقان، ج ٢ ص ١٨٣.

(٢) سورة النحل، جزء من الآية: ٤٤.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٧٦.

من هذه النظرة العابرة يتبيّن لنا خطا وجهة الذين منعوا تفسير القرآن بالاجتهاد، وقصروه على المنقول والمأثور، وقد علمت أدلة الجمهور القويّة، وتفنيدهم لأدلة المانعين، ونزيد هنا كلمة للإمام الغزالي، وأخرى للراغب الأصفهاني، وثالثة للقرطبي حول جواز تفسير القرآن بالاجتهاد.

كلمة الإمام الغزالي:

قال الغزالي في الإحياء: «إنّ في فهم معاني القرآن مجالاً رحباً، ومتسعاً بالغاً، وإنّ المنقول من ظاهر التفسير، ليس منتهى الإدراك فيه، فبطل أن يشترط السماع في التأويل، وجاز لكل واحدٍ أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه، وحدّ عقله..»[1].

كلمة الراغب الأصفهاني:

وقال الراغب الأصفاني في مقدمة التفسير - بعد أن ذكر المذهبين وأدلتها - قال: «وذكر بعض المحققين أنّ المذهبين هما (الغلوّ والتقصير) فمن اقتصر على المنقول فقد ترك كثيراً مما يحتاج إليه، ومن أجاز لكل أحدٍ الخوض فيه فقد عرّضه للتخليط، ولم يعتبر حقيقة قوله تعالى: ﴿**ليدبّروا آياته وليتذكر أولو الألباب**﴾[2]

كلمة الإمام القرطبي:

وقال العلامة القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ما نصّه:

«وقال بعض العلماء: إنّ التفسير موقوف على السماع لقوله تعالى ﴿**فإنْ تنازعتُم في شيءٍ فردّوهُ إلى الله والرسول..**﴾[3] الآية، وهذا فاسد، لأنّ النهي عن تفسير القرآن لا يخلو إمّا أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط، أو المراد به أمر آخر، وباطل أن يكون المراد به ألاّ يتكلم أحد في القرآن، إلاّ بما سمعه، فإنّ الصحابة رضي الله عنهم قد قرؤوا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه، وليس كل ما قالوه سمعوه من النبي ﷺ فإنّ النبي ﷺ دعا لابن عباس فقال «اللهم

---

(١) أنظر: الإحياء، ج٣، ص٣٦، ٣٧.

(٢) سورة ص، الآية: ٢٩. مقدمة التفسير للراغب، ص ٤٢٣

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٩.

فقّهه في الدين وعلّمه التأويل » فإن كان التأويل مسموعاً كالتنزيل فما فائدة تخصيصه بذلك؟[1] ثم قال: والنهيُ محمول على أحد وجهين:

أحدهما: أن يكون له في الشيء رأي، وإليه ميل من الطبع والهوى، فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه.

الثاني: أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية، من غير استظهار بالسماع والنقل، فيما يتعلق بغرائب القرآن، وما فيه من الحذف والإضمار، والتقديم والتأخير، تأمل قوله تعالى ﴿**وآتينا ثمود الناقة مُبْصِرَةً فَظَلموا بها**﴾[2] فإنّ معناه: آتينا ثمود الناقة معجزة واضحة، وآية ظاهرة، فظلموا أنفسهم بقتلها. والناظر إلى ظاهر العربية يظنّ أن الناقة كانت مبصرة، ولا يدري بماذا ظلموا، وأنهم ظلموا غيرهم أو أنفسهم، فهذا من الحذف والإضمار، وأمثال هذا في القرآن كثير، وما عدا هذين الوجهين فلا يشمله النهي[3].»

1) الجامع لأحكام القرآن، ج ١ ص ٣٣.
2) سورة الإسراء، الآية: ٥٩.
3) الجامع لأحكام القرآن، ج ١ ص ٣٤.

القِسْمُ الثَّالِث

التَّفْسِيرُ الإِشَارِيُّ وَغَرائِبُ التَّفْسِيرِ

النوع الثالث من التفسير هو (التفسير الإشاري) وسنتعرض في هذا البحث إلى معنى التفسير الإشاري، وإلى شروطه، وإلى آراء العلماء فيه، ثم نعقب ذلك ببيان نماذج عن التفسير الإشاري، وأهم الكتب التي تحت هذا المنحى، وما فيها من حسنات وسيئات.

معنى التفسير الإشاري:

التفسير الإشاري هو: تأويل القرآن على خلاف ظاهره، لإشارات خفية تظهر لبعض أولي العلم، أو تظهر للعارفين بالله من أرباب السلوك والمجاهدة للنفس، ممن نوّر الله بصائرهم فأدركوا أسرار القرآن العظيم، أو انقدحت في أذهانهم بعض المعاني الدقيقة، بواسطة الإلهام الإلهي، أو الفتح الرباني، مع إمكان الجمع بينها وبين الظاهر المراد من الآيات الكريمة.

فالتفسير الإشاري هو أن يرى المفسّر معنىً آخر، غير معنى الظاهر تحتمله الآية الكريمة، ولكنّه لا يظهر لكل إنسان وإنما يظهر لمن فتح الله قلبه، وأنار بصيرته، وسلكه في ضمن عباده الصالحين، الذين منحهم الله الفهم والإدراك، كما قال تعالى في قصة الخضر مع موسى عليه السلام ﴿**فَوَجَدَا عَبْداً من عبادنا آتيناهُ رحمةً من**

عندنا، وعلّمناهُ من لدنّا علماً﴾ [1].

وهذا النوع من العلم ليس من العلم (الكسبّي) الذي ينال بالبحث والمذاكرة وإنما هو من العلم (اللدُنيّ) أي الوهبيّ الذي هو أثر التقى والاستقامة والصلاح كما قال تعالى ﴿واتقوا اللهَ ويعلمكُم اللهُ، واللهُ بكلِ شيءٍ عليم﴾ [2].

آراء العلماء في التفسير الإشاري:

اختلف العلماء في التفسير الإشاري، وتباينت فيه آراؤهم، فمنهم من أجازه، ومنهم من منعه، ومنهم من عدّه من كمال الإيمان، ومحض العرفان ومنهم من اعتبره زيغاً وضلالاً، وانحرافاً عن دين الله تبارك وتعالى.

والواقع أن الموضوع دقيق، يحتاج إلى بصيرة ورؤية، وغوصٍ إلى أعماق الحقيقة، ليظهر ما إذا كان الغرض من هذا النوع من التفسير هو اتباع الهوى، والتلاعب في آيات الله كما فعل (الباطنية) فيكون ذلك زندقة وإلحاداً أو الغرض منه الإشارة إلى أن كلام الله تعالى، لا يحيط به بشر، لأنه كلام خالق القوى والقُدَر، وأنّ لكلامه تعالى مفاهيم وأسراراً، ونكتاً ودقائق، وعجائب لا تنقضي، فيكون ذلك من محض العرفان وكمال الإيمان، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: (إنّ القرآن ذو شجون وفنون، وظهورٍ وبطون، لا تنقضي عجائبه، ولا تُبْلَغ غايتُه، فمن أوغل فيه برفقٍ نجا، ومن أوغل فيه بعنفٍ هوى، أخبار وأمثال، وحلال وحرام، وناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه، وظهر وبطن، فظهره التلاوة، وبطنه التأويل، فجالسوا به العلماء، وجانبوا به السفهاء) [3].

أدلة المجيزين:

وقد استدل القائلون بجواز التفسير الإشاري بما رواه البخاري في صحيحه في باب التفسير، عند تفسير سورة (النصر) ونصّ الحديث.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٦٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك. أنظر: الإتقان، ج ٢ ص ١٨٥.

عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال:

كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأنّ بعضهم وجد في نفسه، فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنّه مَنْ علمتم؟ فدعاني ذات يوم فأدخلني معهم، قال: فما رأيت أنه دعاني إلاّ ليريهم، فقال عمر: ما تقولون في قول الله تعالى ﴿إذا جَاءَ نَصْرُ اللهِ والفَتْحُ﴾ [1]؟ فقال بعضهم: أُمِرْنا بأن نحمد الله ونستغفره، إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذا تقول يا ابن عباس؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلَمه، فقال: ﴿إذَا جاءَ نصرُ اللهِ والفتحُ﴾ فذلك علامة أجلك ﴿فسبّح بحمد ربك واستغفرْهُ إنهُ كانَ تواباً﴾ [2] فقال عمر: ما أعلم منها إلاّ ما تقول [3].

فهذا الفهم من ابن عباس لم يفهمه بقية الصحابة، وإنما فهمه عمر وفهمه ابن عباس، وهو من (التفسير الإشاري) الذي يلهمه الله من شاء من خلقه، ويطلع عليه بعض عباده، فالسورة الكريمة فيها (نعي) للنبي عليه الصلاة والسلام وإشارة إلى دنو أجله. ومثل هذا ما ورد في الحديث الشريف أن النبي ﷺ خطب الناس يوماً، فقال في جملة خطبته: «إنّ الله خيّر عبداً بين الدنيا، وبين ما عنده فاختار ما عنده»، فبكى أبو بكر ـ وفي رواية فقال فديناك يا رسول الله بآبائنا وأمهاتنا ـ فعجبنا له يبكي، فلما قبض رسول الله ﷺ علمنا أنه كان هو المخيّر، وكان أبو بكر أعلمنا [4].

فأبو بكر الصّديق فهم (بطريق الإشارة) ما لم يفهمه عامة الصحابة، وكان الأمر كما قال.

طائفة من أقوال العلماء:

وأنا أنقل هنا طائفة من أقوال العلماء في التفسير الإشاري بإيجاز، سائلاً المولى أن

---

(١) سورة النصر، الآية: ١.

(٢) سورة النصر، الآية: ٣.

(٣) نقلاً عن جمع الفوائد وأعذب الموارد، ج ٢ ص ٢٨٥.

(٤) الحديث رواه البخاري والترمذي.

يلهمنا السداد والرشاد، وأن يجنبنا الخطأ والضلال، ثم أعقبها بكلمة لحجة الإسلام الإمام (الغزالي) رحمه الله فهي مسك الختام، فأقول ومن الله أستمد العون:

كلمة الزركشي في البرهان:

قال الزركشي في البرهان: «كلام الصوفية في تفسير القرآن، قيل إنّه ليس بتفسير، وإنما هو معانٍ ومواجيد يجدونها عند التلاوة كقول بعضهم في قوله تعالى: ﴿قاتلوا الذين يلونكُم منَ الكفّار﴾ (1) إن المراد «النّفْسُ» يريدون أن علّة الأمر بقتال من يلينا هي القرب، وأقرب شيء إلى الإنسان نفسُه».

كلمة النسفي والتفتازاني:

وقال النسفي في العقائد: «النصوص على ظواهرها، والعدول عنها إلى معانٍ يدّعيها أهل الباطل إلحاد..» اهـ.

وقال التفتازاني في شرحه على العقائد: «سميّت الملاحدة باطنية لادعائهم أنّ النصوص ليست على ظاهرها، بل لها معانٍ لا يعرفها إلاّ المعلّم، وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية، قال: وأمّا ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها، ومع ذلك فيها إشارات خفيّة إلى دقائق تنكشف لأرباب السلوك، يمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة، فهو من كمال الإيمان، ومحض العرفان» (2). فأنت ترى أن النسفي أشار إلى (الباطنية) وبيّن أن طريقهم إلحاد في دين الله، والتفتازاني فصّل البحث، ووضّح الموضوع، فردّ على (الباطنية) ضلالهم، وأقرّ لبعض أرباب السلوك طريقهم في استنباط الدقائق، والإشارات الخفية، وجعلها من كمال المعرفة والإيمان.

ومن هنا يظهر لنا الفرق جلياً بين (التفسير الإشاري) الذي هو تفسير بعض العارفين بالله، وبين (التفسير الباطني) الذي هو تفسير الباطنية الملاحدة الذين يحرّفون معاني الكتاب العزيز.

---

(1) سورة التوبة، الآية: ١٢٣.

(2) شرح العقائد النسفية للتفتازاني.

فالأولون: لا يمنعون إرادة الظاهر، بل يقولون إنه هو الأصل والأساس ويحضّون عليه ويقولون: لا بدّ من معرفة الظاهر أولاً، إذ من ادّعى فهم أسرار القرآن ولم يُحْكِمْ الظّاهر، يكون كمن ادّعى بلوغ سطح البيت قبل أن يلج الباب.

وأما الباطنية: فإنهم يقولون: إن الظاهر غير مراد آصلاً، وإنما المراد الباطن وقصدهم من وراء هذا الكلام، نفي الشريعة وإبطال الأحكام، وهذا بلا شك إلحاد في الدين، وقد قال الله تبارك وتعالى:

﴿إنّ الذين يُلْحِدونَ في آياتِنا لا يَخْفَوْنَ علينا، أفمَنْ يُلقى في النارِ خيرٌ أمْ منْ يأتي آمناً يوم القيامة، اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير﴾(١).

كلام السيوطي في الاتقان:

والعلامة السيوطي ذكر في كتابه (الاتقان) عن ابن عطاء النص الآتي: «اعلم أن التفسير من هذه الطائفة (يعني التفسير الإشاري) لكلام الله وكلام رسوله بالمعاني العربية، ليس إحالة للظاهر عن ظاهره، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جاءت الآية له، ودلت عليه في عرف اللسان، ولهم أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث، لمن فتح الله قلبه.

فلا يصدّنك عن تلقي هذه المعاني منهم، أن يقول لك ذو جدل ومعارضة هذا إحالة لكلام الله وكلام رسوله ﷺ، فليس ذلك بإحالة، وإنما يكون حالة لو قالوا: لا معنى للآية إلاّ هذا، وهم لم يقولوا ذلك، بل يقرّرون الظواهر على ظواهرها، مراداً بها موضوعاتها، ويفهمون عن الله ما ألهمهم(٢)

أقول: هذا كلام الإنصاف، فقد وضع الشيخ الحقّ في نصابه، وجمع بين النصوص الظاهرة، والمعاني الخفية الواردة، التي تشرق على قلب المؤمن العارف بالله، كما كان الحال مع الصّديق وعمر، ولا عجب فالله تعالى يعطي الحكمة من يشاء، ويضع الفهم

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٠.

(٢) أنظر: الإتقان، ج ٢ ص ١٨٥.

فيمن أراد، وهذا هو القرآن الكريم يخبرنا عن (داود وسليان) في أمر عرض عليهما فحكم كلّ واحدٍ منهما بحكم يخالف الآخر فيقول: ﴿ففهّمناها سليان وكلاً آتينا حُكماً وعلماً﴾ [1].

معنى الحديث الوارد في التفسير الإشاري:

ويجدر بنا هنا أن نبيّن معنى الحديث الوارد في التفسير الإشاري، في بيان معنى ظهر الآية وبطنها، وحدّ الحرف، ومطلع الحد.. الخ. لئلا يتخذه الملاحدة الباطنية حجة لهم في دعواهم الباطلة، في تفسير كلام الله تعالى على طريقتهم الباطنية، وتلاعبهم في النصوص الكريمة حسب الأهواء.

روى الفريابي بسنده عن الحسن عن النبي ﷺ أنه قال: «لكل آية ظهر وبطن، ولكل حرفٍ حدّ، ولكل حدّ مطلع».

وروى الطبراني عن ابن مسعود موقوفاً: «إن هذا القرآن ليس منه حرف إلاّ له حدّ، ولكل حدٍّ مطلعٌ».

وقد ذكر العلامة السيوطي بعض الوجوه في تأويل الحديث الشريف في معنى (الظهر والبطن) ونحن نذكر أقرب هذه الأوجه إلى الصواب:

الوجه الأول: أن المراد بالظاهر لفظها، وبالباطن تأويلها.

الوجه الثاني: أن المراد بالظاهر، ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر، وبطنها ما تضمّنته من الأسرار، التي أطلع الله عليها أرباب الحقائق.

الوجه الثالث: أن القصص التي قصّها الله تعالى عن الأمم الماضية، وما عاقبهم به، ظاهرها الإخبار بهلاك الأولين، وباطنها وعظ الآخرين، وتحذيرهم أن يفعلوا كفعلهم، فيحلّ بهم مثل ما حلّ بهم، قال السيوطي: وهذا الوجه اشبهها بالصواب[2]

---

(١) سورة الإنبياء، الآية: ٨٩.

(٢) عن الإتقان ج ٢ ص ١٨٤ بتصرف.

وأما المراد (بالحدّ) فهو أحكام الحلال والحرام، والمراد (بالمطلع) الوعد والوعيد ويؤيده حديث ابن عباس السابق (إن القرآن ذو شجون وفنون) الحديث وقد مرّ معك ذكره.

شروط قبول التفسير الإشاري:

والتفسير الإشاري لا يكون مقبولاً إلاّ إذا توفرت فيه الشروط الآتية:

أولاً: عدم التنافي مع المعنى الظاهر في النظم الكريم.

ثانياً: عدم ادعاء أنه المراد وحده دون الظاهر.

ثالثاً: ألاّ يكون التأويل بعيداً سخيفاً لا يحتمله اللفظ، كتفسير الباطنية قوله تعالى: ﴿وورث سليمانُ داودَ﴾[1] أي أن الإمام علياً ورث النبيّ في علمه.

رابعاً: ألاّ يكون له معارض شرعي أو عقلي.

خامساً: ألاّ يكون فيه تشويش على أفهام الناس.

وبدون هذه الشروط لا يقبل التفسير الإشاري، ويكون عند ذلك من قبيل التفسير بالهوى والرأي المنهي عنه والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

كلمة قيمة للشيخ الزرقاني:

ونسوق هنا كلمة قيمة للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني حول التفسير الإشاري، فيها حكمة بالغة. ونصيحة صادقة، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. قال رحمه الله:

« ولعلك تلاحظ معي أن بعض الناس قد فتنوا بالإقبال على دراسة تلك الإشارات والخواطر، فدخل في روعهم أنّ الكتاب والسنة، بل والإسلام كله ما هي إلاّ سوانح وواردات، على هذا النحو من التأويلات والتوجيهات وزعموا أنّ الأمر ما هو إلاّ تخييلات، وأنّ المطلوب منهم هو الشطح مع الخيال أينما شطح، فلم يتقيّدوا بتكاليف

(١) سورة النمل، الآية: ١٦.

الشريعة، ولم يحترموا قوانين اللغة العربية، في فهم أبلغ النصوص العربية، كتاب الله وسنة رسوله.

والأدهى من ذلك أنهم يتخيّلون للناس، أنهم هم أهل الحقيقة الذين أدركوا الغاية، واتصلوا بالله اتصالاً أسقط عنهم التكليف، وسما بهم عن حضيض الأخذ بالأسباب، ما داموا في زعمهم مع ربّ الأرباب، وهذا ـ لعمر الله ـ هو المصاب العظيم، الذي عمل له الباطنية كيما يهدموا التشريع من أصوله، ويأتوا بنيانه من قواعده.

فواجب النصح لإخواننا المسلمين يقتضينا أن نحذرهم الوقوع في هذه الشباك، ونشير عليهم أن ينفضوا أيديهم من أمثال تلك التفاسير الإشارية الملتوية، لأنها كلها أذواق ومواجيد خارجة عن حدود الضبط والتقييد، وكثيراً ما يختلط فيها الخيال بالحقيقة، والحق بالباطل، فالأحرى بالفطن العاقل أن ينأى بنفسه عن هذه المزالق، وأن يفرّ بدينه من هذه الشبهات، وأمامه في الكتاب والسنة، وشروحهما على قوانين الشريعة واللغة، رياض وجنات ﴿**أتستبدلونَ الذي هو أدنى بالذي هو خير**﴾ [1] ؟.

كلمة حجة الإسلام الغزالي:

ويقول حجة الإسلام الغزالي رحمه الله في كتابه (إحياء علوم الدين) في فصل الذكر والتذكير ما نصّه:

« وأمّا الشطح فنعني به صنفين من الكلام أحدثهما بعض الصوفية:

أحدهما: الدعاوي الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى، والوصال المغني عن الأعمال الظاهرة، حتى ينتهي قوم إلى دعوى الاتحاد، وارتفاع الحجاب، والمشاهدة بالرؤية، والمشافهة بالخطاب، فيقولون: قيل لنا كذا وقلنا كذا، ويتشبّهون فيه بالحسين (الحلاج) الذي صلب لاجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس، ويستشهدون بقوله: « أنا الحق » وهذا فنّ من الكلام عظيم ضرره على العوام، حتى من نطق بشيء منه فقتله أفضل في دين الله من إحياء عشرة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٦١. أنظر مناهل العرفان، ج ١ ص ٥٥٨.

الثاني: كلمات غير مفهومة، لها ظواهر رائقة، وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل، ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام إلا أنه يشوّش القلوب ويدهش العقول، ويحيّر الأذهان، وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه « ما حدّث أحد قوماً بحديث لا يفقهونه إلاّ كان فتنةً عليهم[1] ».

وقال علي كرّم الله وجهه: « كلموا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذّب الله ورسوله »[2].

أمثلة على التأويل الإشاري الفاسد:

ثم قال طيّب الله ثراه: « وأمّا الطاعات فيدخلها ما ذكرناه من الشطح، وأمر آخر يخصها وهو: صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة، إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الأفهام فائدة، فهذا أيضاً حرام وضرره عظيم. ومن أمثلة تأويل أهل الطّامات، قول بعضهم في تأويل قوله تعالى ﴿**اذهبْ إلى فرعونَ إنّه طغى**﴾[3] إنه إشارة إلى قلبه، وقال هو المراد بفرعون، وهو الطاغي على كل انسان. وفي قوله تعالى ﴿**وأن ألقِ عصاكَ**﴾[4] أي كل ما يتُوكأ عليه ويعتمده مما سوى الله عز وجل فينبغي أن يلقيه.

وفي قوله ﷺ: « تسحّروا فإن في السحور بركة » فسّروا السحور بأنه الاستغفار في الأسحار وأمثال ذلك حتى ليحرفون القرآن من أوله إلى آخره عن ظاهره، وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء، وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعاً، كتنزيل فرعون على القلب، فإنّ فرعون شخص محسوس تواتر إلينا النقل بوجوده، وبعضها يعلم بطلانه بغالب الظنّ، وكلّ ذلك حرام وضلالة، وإفساد للدين على الخلق.

---

(١) روي في مقدمة صحيح مسلم موقوفاً على ابن مسعود.

(٢) رواه البخاري موقوفاً على علي.

(٣) سورة طه، الآية: ٢٤.

(٤) سورة القصص، الآية: ٣١.

ومن يستجيز من أهل الطّامات مثل هذه التأويلات، مع علمه بأنها غير مرادة بالألفاظ، يضاهي من يستجيز الاختراع والوضع (الكذب) على رسول الله ﷺ كمن يضع في كل مسألة يراها، حديثاً عن النبي ﷺ فذالك ظلم وضلال، ودخول في الوعيد « من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».. بل الشرّ في تأويل هذه الألفاظ أطمّ وأعظم، لأنه مبطل للثقةبالألفاظ، وقاطع طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية [1]..) انتهى كلام الغزالي.

خلاصة البحث:

ومما تقدم يتبين لنا أن التفسير الإشاري له ما يؤيده من الشرع، ولكنه قد دخلت عليه بعض التأويلات الفاسدة، وسلك فيه بعض الناس مسلك الباطنية ولم يراعوا الشروط التي وضعها العلماء، وأخذوا يخبطون فيه خبط عشواء، بل أصبح كلّ من هبّ ودبّ، يتطاول على كتاب الله تعالى، فيتأوله حسب ما يمليه عليه الهوى، أو يسوس له به الشيطان، ويزعم أنه من التفسير الإشاري مع أنه سفاهة وضلالة وجهالة، لأنه تحريف لكتاب الله، وسلوك لمسلك الباطنية الملاحدة وهو إن لم يكن تحريفاً لألفاظه فإنه تحريف لمعانيه. ولقد سمعت من يستشهد بالآية الكريمة **﴿قل الله ثم ذرهُم في خوضهم يلعبون﴾** [2] على ضرورة ملازمة المريد لذكر الله تعالى بلفظ (لله) فجعل هذه اللفظة مقول القول: أي (قل: الله) وما درى هذا الجاهل الغبيّ أنّ هذه جملة حذف منها الخبر، والتقدير: (الله أنزله) بدليل سياق الآية الكريمة **﴿وما قدروا الله حقَّ قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشرٍ منْ شيء ، قل مَنْ أنزل الكتاب الذي جاء به موسى..﴾** إلى قوله: **﴿قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾** وأمثال هذا التخليط كثير. فلا ينبغي لعلماء المسلمين أن يسمحوا لأمثال هؤلاء الجهلة، بالتطاول على كتاب الله، وبتفسيره بما يخالف الظاهر، ويجافي الحق والصواب، زعماً منهم أنه من نوع (التفسير الاشاري) فالتفسير له حدود وشروط، وليس لكل انسان أن يقول فيه

---

(١) الإحياء للغزالي باختصار.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩١.

برأيه، أو يعبث في نصوصه بفهمه العليل، ولقد صدق شيخ الإسلام (ابن تيمية) حين قال: « نصف طبيب يفسد الأبدان، ونصف عالم يفسد الأديان » والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

(غرائب التفسير)

ذكر العلامة (السيوطي) في كتابه الاتقان، نقلاً عن الكرماني أنه ألّف كتاباً في مجلدين سماه (العجائب والغرائب) ضمنّه أقوالاً منكرة في التفسير، لا يجوز قولها ولا الاعتماد عليها، لأنها من أقوال أهل الضلال، وإنما ذكرها للتحذير منها، وقال: إنما أردت بذكرها أن يعلم الناس أنّ فيمن يدّعي العلم حمقى. ونحن ننقل طرفاً منها، وننقل بعض أقوالٍ أخرى عن الباطنية حتى يحذر المسلمون من أمثال هذه الأباطيل، التي دخلت على الأمة الإسلامية بسبب التعصب الأعمى واتباع الأهواء.

أمثلة على هذه الغرائب:

أولاً: في قوله تعالى ﴿حمعسق﴾[1] قالوا: الحاء حرب علي ومعاوية، والميم ولاية بني مروان، والعين ولاية العباسيين، والسين ولاية السفيانيين، والقاف القدوة بالمهدي، إلى غير ما هنالك من الضلال.

ثانياً: قوله تعالى ﴿ولكُم في القصاص حياةٌ يا أولي الألباب﴾[2] قالوا: القصاص المراد به قصص القرآن، وهو باطل لغة وشرعاً، وقول لا يقول به إلا الجهلاء.

ثالثاً: قوله تعالى ﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾[3] قالوا: إن إبراهيم كان له صديق وصفه بأنه قلبه، وفسّروه بمعنى ولكن ليسكن صديقي وهذا بعيد جداً.

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

٢ ـ القرامطة: نسبة إلى (قرمط) إحدى قرى واسط، وقد تزعمهم رجل منها اسمه (حمدان).

٣ ـ السبعية: نسبة إلى (السبعةُ) لأنهم يعتقدون أنّ في كل سبعة منهم إماماً يقتدى به.

٤ ـ الحرميّة: نسبة إلى (الحرمة) وذلك لأن هؤلاء يستبيحون الحرمات والفواحش[١].

نماذج عن تفسير الباطنية:

١ ـ قوله تعالى ﴿لتركبُنّ طبقاً عَنْ طَبَق﴾[٢] قالوا: إنه إشارة إلى الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء، أي لتسلكن سبيل من قبلكم بالغدر في الأئمة بعد الأنبياء.

٢ ـ قوله تعالى ﴿قالَ الّذين لا يَرْجُونَ لِقَاءنا ائْتِ بقرآنٍ غيرِ هذا أو بدّله﴾[٣] يفسرونه (أو بدّله) أي بدّل علياً، ومعلوم أن علياً لم يسبق له ذكر.

٣ ـ قوله تعالى ﴿إنَّ الذين آمنوا ثُمَّ كفروا ثُمَّ آمنوا ثمّ كفروا ثُم ازدادوا كفراً لم يكن اللهُ ليغفِر لهم ولا ليَهْديَهم سبيلاً﴾[٤] قالوا: إن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان، آمنوا بالنبي أولاً، ثم كفروا حيث عرضت عليهم ولاية عليّ، ثم آمنوا بالبيعة لعلي، ثم كفروا بعد النبي، ثمّ ازدادوا كفراً بأخذ البيعة من كل الأمة[٥].

---

(١) أنظر كتاب الفرق بين الفرق للبغدادي.

(٢) سورة الإنشقاق، الآية:١٩.

(٣) سورة يونس، الآية: ١٥.

(٤) سورة النساء، ١٣٧.

(٥) أنظر: الوشيعة في نقد عقائد الشيعة ص ٦٥.

رابعاً: قوله تعالى ﴿ربّنا ولا تُحملّنا مالا طاقةَ لنا به﴾[1] قالوا: إنه الحبّ والعشق، ففسّروا مالا طاقة للإنسان به بهذا التفسير الباطل، وهذا حكاه الكواشي في تفسيره.

خامساً: قوله تعالى ﴿ومنْ شرِّ غاسقٍ إذا وَقَبَ﴾[2] قالوا: إنّه الذّكر إذا انتصب، وهذا بلا شك ـ جرأة غريبة، ووقاحة شنيعة لا تصدر إلاّ من سفيه أحمق.

سادساً: قوله تعالى ﴿الذي جعلَ لكُم منَ الشجرِ الأخضر ناراً فإذا أنتُم منه توقِدون﴾[3] قالوا: المراد بالشجر الأخضر (إبراهيم) وناراً أي نوراً (محمد) ﷺ، فإذا أنتم منه توقدون أي تقتبسون الدين[4]. وهذا التفسير من الغرائب لا تدل عليه اللغة، وهو تأويل باطل لنصوص القرآن، وإن كان سبكه جميلاً وعبارته لطيفة.

تفسيرات الباطنية:

الباطنية قوم لا يقبلون الأخذ بظاهر القرآن، وإنما يقولون: إن القرآن له (ظاهر وباطن) ويعتقدون بأن المراد منه (الباطن) دون الظاهر، ويستدلون بقوله تعالى ﴿فضُرِبَ بَينَهم بسورٍ له بابٌ، باطنهُ فيه الرحمةُ، وظاهرهُ مِنْ قِبله العذابُ﴾[5].

وهم فرق متعدّدة نذكر أهمها:

١ ـ الإسماعيلية: نسبة إلى (إسماعيل) أكبر أولاد جعفر الصادق وكانوا يعتقدون فيه الإمامة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٢) سورة الفلق، الآية: ٣.

(٣) سورة يس، الآية: ٨٠.

(٤) الإتقان، ج ٢ ص ١٨٦ بتصرف.

(٥) سورة الحديد، الآية: ١٣.

٤ ـ قوله تعالى ﴿إنَّ اللهَ يأمركُمْ أنْ تذبَحُوا بقرةً﴾[(١)] قالوا: المراد بالبقرة (عائشة) والمراد (اضربوه ببعضها) طلحة والزبير.

٥ ـ قوله تعالى ﴿إنما الخمرُ والميسرُ﴾[(٢)] قالوا: المراد بها أبو بكر وعمر، قاتلهم الله أنّى يؤفكون. وباختصار فمذهب الباطنية وباء وضلال، انتقل إليهم من المجوس، وهم يؤولون (الجنابة) بإفشاء السّر، ويؤولون (الغسل) بتجديد العهد، و (التيمم) بالأخذ عن المأذون، و (الصوم) بالإمساك عن كشف السر، إلى آخر ما لديهم من ضلالات ونجاسات. وهذه التأويلات الفاسدة، من أشد وأنكى ما يصاب به الإسلام والمسلمون، لأنها تؤدي إلى نقض بنيان الشريعة حجراً حجراً، وتجعل القرآن ألعوبة بين أيدي هؤلاء الأنعام، ومن فضل الله أنّ كتبهم لم تظهر إلى الوجود، وأنهم يخفون هذا في نفوسهم، وينفثون به بين كل حين وآخر، وهم إلى الزوال والفناء إن شاء الله، والله غالب على أمره ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٦٧.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٩٠

اشهر كتب التفسير

(بالرواية والدراية والاشارة)

مع تعريف موجز عن أصحابها

أشهر كتب التفسير بالمأثور

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف	تاريخ الوفاة	الشهرة
١	جامع البيان في تفسير القرآن	محمد بن جرير الطبري	٣١٠ هـ	تفسير الطبري
٢	بحر العلوم	نصر بن محمد السمرقندي	٣٧٣ هـ	تفسير السمرقندي
٣	الكشف والبيان	أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري	٤٢٧ هـ	تفسير الثعلبي
٤	معالم التنزيل	الحسين بن مسعود البغوي	٥١٠ هـ	تفسير البغوي
٥	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز	عبد الحق بن غالب الأندلسي	٥٤٦ هـ	تفسير ابن عطية
٦	تفسير القرآن العظيم	اسماعيل بن عمر الدمشقي	٧٧٤ هـ	تفسير ابن كثير
٧	الجواهر الحسان في تفسير القرآن	عبد الرحمن بن محمد الثعالبي	٨٧٦ هـ	تفسير الجواهر

٨ الدر المنثور في التفسير بالمأثور. جلال الدين السيوطي ٩١١ هـ تفسير السيوطي

التعريف بكتب التفسير بالمأثور

١ ـ تفسير ابن جرير:

مؤلفه هو ابن جرير الطبري، وكنيته (أبو جعفر) ولد سنة ٢٢٤ هـ وتوفي سنة ٣١٠ هـ، وكتابه من أجل التفاسير بالمأثور، وأصحها وأجمعها لأقوال الصحابة والتابعين، ويعتبر المرجع الأول للمفسرين، قال النووي: «كتاب ابن جرير في التفسير لم يصنّف أحدٌ مثلَه».

مزايا هذا التفسير:

١ ـ اعتماده على المأثور من أقوال النبي ﷺ والصحابة والتابعين.
٢ ـ عرضه للأسانيد وللأقوال المروية وترجيحه للروايات.
٣ ـ إحاطته بالناسخ والمنسوخ من الآيات ومعرفته لطرق الرواية صحيحها وسقيمها.
٤ ـ ذكره لوجوه الأعراب، واستنباط الأحكام الشرعية من الآيات الكريمة.

وأخيراً فهو كتاب عظيم جليل، حافل بالروائع، إلا أنه أحياناً أخباراً بأسانيد غير صحيحة، ثم لا ينبّه على عدم صحتها، كما أنه يسوق بعض أخبار هي من (الروايات الإسرائيلية) وتفسيره مطبوع منتشر في الأقطار وهو عمدة لأكثر المفسّرين.

٢ ـ تفسير السمرقندي:

مؤلفه نصر بن محمد السمرقندي، وكنيته (أبو الليث توفي سنة ٣٧٣ هـ وكتابه يسمى (بحر العلوم) وهو تفسير بالمأثور، يذكر فيه كثيراً من أقوال الصحابة والتابعين، غير أنه لا يذكر الأسانيد، وهو مخطوط في مجلدين، وتوجد نسخة منه في مكتبة الأزهر.

٣ ـ تفسير الثعلبي:

مؤلف هذا التفسير هو أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، المقريء المفسّر، كنيته (أبو اسحق) وقد توفي سنة ٤٢٧ هـ أما ولادته فليست معروفة على وجه الضبط، وكتابه يسمى (الكشف والبيان عن تفسير القرآن).

يفسّر القرآن بما ورد عن السلف، مع اختصاره للأسانيد، اكتفاءً بذكرها في مقدمة الكتاب، ويتوسع في الأبحاث النحوية والفقهية، وهو مولع بالقصص والأخبار، ولهذا فإننا نجد في تفسيره قصصاً اسرائيلية نهاية في الغرابة، بل منها ما هو باطل قطعاً.

يقول ابن تيمية عنه: «الثعلبي في نفسه فيه خير ودين، ولكنه حاطب ليل»[(١)].

وتفسيره مخطوط غير كامل ينتهي إلى آخر سورة الفرقان وهو موجود بمكتبة الأزهر، وباقي الكتاب مفقود.

٤ ـ تفسير البغوي:

مؤلف هذا التفسير هو الحسين بن مسعود الفرّاء البغوي، الفقيه، المفسّر المحدّث الملقّب بمحيي السنة، كنيته (أبو محمد) توفي سنة ٥١٠ بعد أن جاوز الثمانين من العمر، وكان إماماً جليلاً، ورعاً زاهداً، جامعاً بين العلم والعمل، وقد عدّه السبكي من أعلام علماء الشافعية.

وقال ابن تيمية في مقدمته في أصول التفسير: «والبغوي في تفسيره مختصر من الثعلبي، ولكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة، والآراء المبتدعة[(٢)].

وقد طبع هذا التفسير مع تفسير ابن كثير. كما طبع مع تفسير الخازن. وتفسيره هذا فيه بعض القصص الإسرائيلية، ولكنه في جملته أحسن وأسلم من كثير من كتب التفسير بالمأثور.

---

(١) أنظر: أصول التفسير لابن تيمية ص ١٩.

(٢) أصول التفسير لابن تيمية، ص ١٩.

٥ ـ تفسير ابن عطية:

مؤلف هذا التفسير هو عبد الحق بن غالب بن عطيّة، الأندلسي، المغربي، الغرناطي، وكنيته (أبو محمد) ولد سنة ٤٨١ هـ وتوفي سنة ٥٤٦ هـ.

كان نحوياً لغوياً، أديباً شاعراً، على غاية من الذكاء والدهاء، وقد تولى القضاء بالأندلس في العصور الذهبية للإسلام، وتفسيره يسمى (المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) وقد جمع فيه مؤلفه الأقوال التي ذكرها علماء (التفسيربالمأثور) وتحرّى ما هو أقرب إلى الصحة منها.

وابن تيمية في فتاواه يعقد مقارنة بين تفسير (ابن عطية) وتفسير (الزمخشري) فيقول: «وتفسير ابن عطيّة خير من تفسير الزمخشري، وأصح نقلاً وبحثاً وأبعد عن البدع، وأن اشتمل على بعضها، بل هو خير منه بكثير، بل لعلّه أرجح هذه التفاسير»[1].

وهذا الكتاب على شهرته الواسعة، ومزاياه الفريدة، لا يزال مخطوطاً إلى اليوم، وهو يقع في عشر مجلدات كبار، ولعلّ الله يوفق من يخرج لنا هذا الكنز الثمين، ويطبعه ليعم به نفعه.

٦ ـ تفسير ابن كثير:

مؤلف هذا التفسير هو الحافظ عماد الدين (اسماعيل بن عمرو بن كثير) القرشي الدمشقي كنيته (أبو الفداء) ولد سنة ٧٠٠ هـ وتوفي سنة ٧٧٤ هـ.

كان ابن كثير رحمه الله جبلاً شامخاً، وبحراً ذاخراً في جميع العلوم وخاصة في التاريخ والحديث والتفسير، وكان إماماً جليلاً متفنّناً في أسلوب الكتابة والتأليف، قال الذهبي عنه:

«الإمام المفتي، المحدّث البارع، فقيه متفنّن، محدّث متقن، مفسّر نقّال، وله تضانيف مفيدة».

---

(١) فتاوى ابن تيمية، ج ٢ ص ١٤٢.

وتفسيره هذا يسمى (تفسير القرآن العظيم) وهو من أشهر ما دوّن في التفسير بالمأثور، ويعتبر الكتاب الثاني بعد كتاب الطبري، أعتنى فيه مؤلفه بالرواية عن مفسّري السلف، فروى الأحاديث والآثار مسندة إلى أصحابها وتكلّم عن بعضها بالجرح والتعديل، وردّ ما كان منها منكراً أو غير صحيح وهكذا يعتبر تفسيره من أحسن ما كتب في التفسير بالمأثور. وطريقته في التفسير أنه يذكر الآية، ثم يفسرها بعبارة سهلة موجزة، ويأتي لها بشواهدِ من آيات أخرى، ويقارن بين هذه الآيات حتى يتبين المعنى ويظهر المراد، وهو شديد العناية بهذا النوع من التفسير، الذي يسمونه (تفسير القرآن بالقرآن).

وأنا أنقل طرفاً ممّا جاء في مقدمة تفسيره، يقول طيّب الله ثراه:

« فإن قال قائل فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: أنّ أصح الطريق في ذلك أن يفسّر القرآن بالقرآن، فما أُجمْل في مكانٍ فإنه قد بسط في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسُنّة فإنها شارحة للقرآن وموضّحة له، بل قد قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: كلّ ما حكم به رسول الله ﷺ فهو ممّا فهمه من القرآن، قال الله تعالى ﴿إنّا أنزلنا إليكَ الكتابَ بالحق لتحكمَ بين الناس بما أراكَ اللهُ﴾ [1] وقال ﷺ: « ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه » [2].

ومما يمتاز به (ابن كثير) أنه ينبّه إلى ما في التفسير بالمأثور من منكرات الإسرائيليات ويحذّر منها، وعلى الجملة فعلم ابن كثير يتجلى بوضوح لمن يقرأ تفسيره وتاريخه، وهما من خير ما ألّف، ومن أفضل ما كتب، وتفسيره هذه من أصح التفاسير بالمأثور إن لم يكن أصحها جيماً.

٧ - تفسير الجواهر:

مؤلف هذا التفسير هو الإمام الجليل عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي،

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٥.

(٢) أنظر: تفسير ابن كثير، ج ١ ص ٣.

الجزائري المغربي المتوفي سنة ٨٧٦ هـ وتفسيره هـذا من التفسير بالمأثور نقل فيه أقوال السلف الصالح، وميّز بين الصحيح والضعيف، وتفسيره هذا مطبوع.

٨ ـ تفسير السيوطي:

مؤلف هذا التفسير هو الإمام الحجة الثقة جلال الدين السيوطي، صاحب المؤلفات الشهيرة المولود سنة ٧٤٩ المتوفي سنة ٩١١ هـ وتفسيره هو المسمى (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) قال في مقدمته: إنه لخصّه من كتاب ترجمان القرآن، وهو التفسير المسند إلى رسول الله ﷺ وهو مطبوع بمصر، وقد ذكر في كتابه الإتقان: أنه شرع في تفسير جامع لما يحتاج إليه من التفاسير المنقولة، والأقوال المعقولة، والاستنباط والإشارات والأعاريب واللغات، ونكت البلاغة ومحاسن البديع وسمّاه (مجمع البحرين ومطلع البدرين) وهو غير هذا التفسير المسمّى بالدر، وقد احصيت مؤلفاته فبلغت قريباً من خمس مائة. رحمه الله تعالى على ما قدّم في سبيل خدمة العالم والدين.

اشهر كتب التفسير بالدراية (بالرأي)

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف	تاريخ الوفاة	الشهرة
١	مفاتيح الغيب	محمد بن عمر بن الحسين الرازي	٦٠٦ هـ	تفسير الرازي
٢	أنوار التنزيل وأسرار التأويل	عبد الله بن عمر البيضاوي	٦٨٥ هـ	تفسير البيضاوي
٣	لباب التأويل في معاني التنزيل	عبدالله بن محمد المعروف بالخازن	٧٤١ هـ	تفسير الخازن
٤	مدارك التنزيل وحقائق التأويل	عبدالله بن أحمد النسفي	٧٠١ هـ	تفسير النسفي
٥	غرائب القرآن ورغائب الفرقان	نظام الدين الحسن محمد النيسابوري	٧٢٨ هـ	تفسير النيسابوري
٦	ارشاد العقل السليم	محمد بن محمد بن مصطفى الطحاوي	٩٥٢ هـ	تفسير أبي السعود
٧	البحر المحيط	محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي	٧٤٥ هـ	تفسير أبي حيّان
٨	روح المعاني	شهاب الدين محمد الألوسي البغدادي	١٢٧٠ هـ	تفسير الأوسي
٩	السراج المنير	محمد الشربيني الخطيب	٩٧٧ هـ	تفسير الخطيب
١٠	تفسير الجلالين	١ - جلال الدين المحلي ٢ - جلال الدين السيوطي	٨٦٤ هـ ٩١١ هـ	تفسير الجلالين

التعريف بكتب التفسير بالرأي

١ ـ تفسير الفخر الرازي :

مؤلف هذا التفسير هو العلامة الشيخ محمد بن عمر الرازي المتوفي سنة ٦٠٦ هـ وتفسيره يسمّى (مفاتيح الغيب) وقد سلك في تفسير، مسلك الحكماء الإلهيّين، فصاغ أدلته في مباحث الإلهيات، وردّ على المعتزلة والفرق الضّالة بالحجج الدامغة، والبراهين القاطعة، وتعرّض لشبهات المنكرين والجاحدين بالنقض والتفنيد، وتفسيره من أوسع التفاسير في موضوع علم الكلام، كما أنه في العلوم الطبيعية والكونية إمام جليل، فقد تكلّم عن الأفلاك والأبراج وعن السماء والأرض، والحيوان والنبات، وفي أجزاء الإنسان، بشكل واسع وغرضه نصرة الحق وإقامة البراهين على وجود الله عز وعلا. والرد على أهل الزيغ والضلال.

٢ ـ تفسير البيضاوي:

مؤلف هذا التفسير هو العالم الجليل الشيخ عبد الله البيضاوي المتوفي سنة ٦٨٥ هـ، وتفسيره يسمى (أنوار التنزيل) وهو كتاب جليل دقيق، جامع بين الرواية والدراية وهو يقرر الأدلة على مذهب أهل السنّة، وهو حجة ثبت، وقد التزم أن يختم كل سورة بما روى في فضلها من الأحاديث، غير أنه لم يتحر الصحيح، وله حواشٍ عديدة أشهرها حاشية الشهاب الخفاجي وحاشية سعدى افندي.

٣ ـ تفسير الخازن:

مؤلف هذا التفسير الإمام عبد الله بن محمد المشهور بالخازن المتوفى سنة ٧٤١ هـ وتفسيره يسمى (لباب التأويل في معاني التنزيل) وهو تفسير مشهور يعنى بالمأثور، بيد أنه لا يذكر السند، وعبارته سهلة لا تعقيد فيها، ولا غموض وله ولوع بالتوسع في الروايات والقصص، وقد يذكر في تفسيره بعض الروايات الإسرائيلية لينبّه على ما فيها من باطل، فيسوق القصة الطويلة ثم يحكم عليها بالضعف او الكذب، ولكنه في بعض الأحيان يسكت عنها حتى يظنّ القاريء أنّ هذه الرواية صحيحة، وبالجملة فتفسيره حسن رائع لولا كثرة ما فيه من قصص وروايات لا يحسن ذكرها لكونها ضعيفة أو مكذوبة.

٤ ـ تفسير النسفي:

مؤلف هذا التفسير هو الشيخ العالم الزاهد عبد الله بن أحمد النسفي المتوفي سنة ٧٠١ وتفسيره يسمى (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) وهو تفسير جليل، متداول مشهور، سهل ودقيق، يعتبر بالنسبة لبقية التفاسير بالرأي أوجز تفسير وأوسطه، قال فيه صاحب كشف الظنون: «هو كتاب وسط في التأويلات جامع لوجوه الإعراب والقراءات، متضمن لدقائق علم البديع والإشارات ، مرشح لأقاويل أهل السنة والجماعة، خالٍ من أباطيل أهل البدع والضلالة، ليس بالطويل الممل، ولا بالقصير المخل..» اهـ.

٥ ـ تفسير النيسابوري:

مؤلف هذا التفسير هو الشيخ نظام الدين الحسن محمد النيسابوري المتوفي ٧٢٨ هـ وتفسيره يسمى (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) ويمتاز هذا التفسير بسهولة عبارته وبتحقيق ألفاظه، مع خلّوه من الحشو والتعقيد، وقد عنى بأمرين يلتزمها: الكلام على القراءات، والكلام على التفسير الإشاري، وهو مطبوع طبعة شهيرة على هامش تفسير ابن جرير، وهو مختصر لتفسير الفخر الرازي مع تهذيب كبير.

٦ ـ تفسير أبي السعود:

مؤلف هذا التفسير العالم اللغوي، الحجة الضليع، القاضي محمد بن محمد بن مصطفى لطحاوي، المشهور بأبي السعود، المتوفى سنة ٩٥٢ هـ وتفسيره هذا يعتبر من أحسن لتفاسير وأجمعها، لأنه غاية في حسن الصوغ، وجمال التعبير، كشفَ فيه عن أسرار لبلاغة القرآنية، والحِكَم الربانية، يستهويك حسن تعبيره، ويروقك سلامة تفكيره، يروعك ما أخذ نفسه به من تجلية بلاغة القرآن، والعناية في بيان إعجازه، مع سلامة ي الذوق، ومحافظة على عقائد أهل السنة، وبعد عن الحشو والتطويل، وتفسيره دقيق يحتاج لفهمه الخاصة من أهل العلم.

٧ ـ تفسير أبي حيان:

مؤلف هذا التفسير هو الشيخ محمد بن يوسف بن حيّان الأندلسي المتوفي سنة ٧٤٥ هـ وتفسيره يسمى (البحر المحيط) وهو في ثماني مجلدات ضخمة وقد جمع المؤلف فيه فنون العلوم من نحو وصرف وبلاغة وأحكام فقهية إلى غير ما هنالك ويعتبر هذا التفسير مرجعاً هاماً من مراجع التفسير، وعبارته سهلة ليس فيها تعقيد أو غموض، وسمّاه البحر المحيط لكثرة ما فيه من علوم متنوعة تتعلق بمادة التفسير.

٨ ـ تفسير الألوسي:

مؤلف هذا التفسير هو الإمام العالم الجهبذ شهاب الدين السيد محمود الألوسي المتوفي سنة ١٢٧٠ هـ مفتي بغداد، حجة الأدباء، وقدوة العلماء، ومرجع أهل الفضل والعرفان، كان رحمه الله على جانب عظيم من الفهم والعلم وسعة الإطلاع، وكتابه المسمّى (روح المعاني) جامع لآراء السلف رواية ودراية، مشتمل على أقوال أهل العلم، جامع لخلاصة ما سبقه من التفاسير، وهو شديد النقد للروايات الإسرائيلية، يعتني بالتفسير الإشاري، وبوجوه البلاغة والبيان، ويعتبر تفسيره من خير المراجع في علم التفسير بالرواية والدراية والإشارة.

أشهر تفاسير آيات الأحكام

الرقم	اسم الكتاب والمذهب	اسم المؤلف	تاريخ الوفاة	الشهرة
١	أحكام القرآن (حنفي)	أحمد بن علي الرازي الجصاص	٣٧٠ هـ	تفسير الجصاص
٢	أحكام القرآن (شافعي)	علي بن محمد الطبري لكيا الهراسي	٥٠٤ هـ	تفسير لكيا الهراسي
٣	الإكليل في استنباط التنزيل (شافعي)	جلال الدين السيوطي	٩١١ هـ	تفسير السيوطي
٤	أحكام القرآن (مالكي)	محمد بن عبدالله الأندلسي	٥٤٣ هـ	تفسير ابن العربي
٥	الجامع لأحكام القرآن (مالكي)	محمد بن أحمد بن فرح القرطبي	٦٧١ هـ	تفسير القرطبي
٦	كنز العرفان (شيعي	مقداد بن عبدالله السيوري	التاسع الهجري	تفسير السيوري
٧	الثمرات اليانعة (زيدي)	يوسف بن أحمد الثلاثي	٨٣٢ هـ	تفسير الزيدي

اشهر كتب التفسير الاشاري

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف	الشهرة
١	تفسير القرآن الكريم	سهل بن عبدالله التستري	تفسير التستري
٢	حقائق التفسير	أبو عبد الرحمن السّلمي	تفسير السِلمي
٣	الكشف والبيان	أحمد بن ابراهيم النيسابوري	تفسير النيسابوري
٤	تفسير ابن عربي	محي الدين بن عربي	تفسير ابن عربي
٥	روح المعاني	شهاب الدين محمد الألوسي	تفسير الألوسي

(اشهر تفاسير المعتزلة والشيعة)

الرقم	اسم الكتاب والمذهب	اسم المؤلف	تاريخ الوفاة	الشهرة
١	تنزيه القرآن عن المطاعن (معتزلي)	عبد الجبار بن أحمد الهمذاني	٤١٥ هـ	تفسير الهمذاني
٢	أمالي الشريف المرتضى (معتزلي)	علي بن أحمد الحسين	٤٣٦ هـ	تفسير المرتضى
٣	الكشاف (معتزلي)	محمود بن عمر الزمخشري	٥٣٨ هـ	تفسير الزمخشري
٤	مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار (شيعي)	عبد اللطيف الكازراني	غير معروف	تفسير المشكاة
٥	تفسير العسكري (شيعي)	الحسن بن علي الهادي	٢٦٠ هـ	تفسير العسكري
٦	مجمع البيان (شيعي)	الفضل بن الحسن الطبرسي	٥٣٨ هـ	تفسير الطبرسي
٧	الصافي في تفسير القرآن (شيعي)	محمد بن الشاه مرتضى الكاشي	١٠٩٠ هـ	تفسير الكاشي
٨	تفسير القرآن (شيعي)	عبدالله بن محمد العلوي	١٢٤٢ هـ	تفسير العلوي
٩	بيان السعادة (شيعي)	سلطان محمد بن حيدر الخراساني	١٣١٥ هـ	تفسير الخراساني

اشهر كتب التفسير في العصر الحديث

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف	الشهرة
١	تفسير القرآن الكريم	محمد رشيد رضا	تفسير المنار
٢	تفسير المراغي	أحمد مصطفى المراغي	تفسير المراغي
٣	محاسن التأويل	جمال الدين القاسمي	تفسير القاسمي
٤	في ظلال القرآن	الشهيد سيد قطب	تفسير الظلال
٥	التفسير الواضح	محمد محمود الحجازي	التفسير الواضح
٦	تفسير الجواهر	طنطاوي جوهري	تفسير الجوهري
٧	تيسير التفسير	الشيخ عبد الجليل عيسى	تفسير عيسى
٨	المصحف المفسّر	محمد فريد وجدي	تفسير وجدي
٩	الهداية والعرفان	أبو زيد الدمنهوري	تفسير الدمنهوري
١٠	صفوة البيان	حسنين مخلوف	تفسير مخلوف
١١	فتح البيان	صدّيق حسن خان	تفسير حسن خان

وهناك تفاسير أخرى غير هذه التفاسير السابقة لم نذكرها خشية التطويل والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

فصل

(في التنبيه على أحاديث وضعت في فضل سور القرآن)

قال العلامة القرطبي في مقدمة تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) في باب التنبيه على الأحاديث الموضوعة في فضل سور القرآن ما يلي:

« لا التفات لما وضعه الواضعون، واختلقه المختلقون، من الأحاديث الكاذبة، والأخبار الباطلة، في فضل سور القرآن، وغير ذلك من فضائل الأعمال، قد ارتكبها جماعة كثيرة، اختلفت أغراضهم ومقاصدهم في ارتكابها.

١ - فمنهم قوم من الزنادقة مثل (المغيرة الكوفي) و(محمد الشامي) المصلوب وغيرهما وضعوا أحاديث، وحدّثوا بها ليقعوا بذلك (الشكّ) في قلوب الناس، منها ما رواه الشامي عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: « أنا خاتم النبيّين لا نبيّ بعدي إلا ما شاء الله » فزاد هذا الاستثناء لما كان يدعو إليه الإلحاد والزندقة.

٢ - ومنهم جماعة وضعوا الحديث (هوىً) يدعون الناس إليه، قال شيخ من شيوخ الخوارج بعد أن تاب: « إنّ هذه الأحاديث دينٌ، فانظروا عمّن تأخذون دينكم، فإنّا كنّا إذا هوينا أمراً صيّرناه حديثاً ».

٣ - ومنهم جماعة وضعوا الحديث (حِسبةً) كما زعموا، يدعون الناس إلى فضائل الأعمال كما روى عن (أبي عصمة المَرْوَزيّ) قيل له: من أين لك عن عكرمة

عن ابن عباس، في فضل سور القرآن سورة سورة؟

فقال: إني رأيت الناس قد اعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي ابن إسحاق، فوضعت هذا الحديث حسبة[1]. قال ابن الصلاح: وهكذا الحديث الطويل الذى يُروى عن (أبي بن كعب) عن النبي في فضل القرآن سورة سورة، وقد بحث باحث عن مخرجه حتى انتهى إلى من اعترف بأنه وجماعة وضعوه، وإن أثر الوضع عليه لبين، وقد أخطأ الواحدي المفسّر، ومن ذكره من المفسّرين في إيداعه في تفاسيرهم.

٤ ـ ومنهم قوم من السُؤال[2] يقفون في الأسواق والمساجد، فيضعون على رسول الله ﷺ أحاديث بأسانيد صحاح قد حفظوها، فيذكرون الموضوعات بتلك الأسانيد.

قال جعفر بن الطيالسي:

« صلى أحمد بن حنبل، ويحي بن معين، في مسجد الرّصافة، فقام بين أيديهما قاصّ (محدّث) فقال: حدّثنا أحمد بن حنبل، ويحي بن معين قالا أنبأنا عبد الرزاق، قال أنبأنا معمر، عن قتادة، عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: « من قال لا إله إلا الله، يُخْلق من كلّ كلمة منها طائر، منقاره من ذهب، وريشه مرجان »، وأخذ في قصة نحواً من عشرين ورقة، فجعل أحمد ينظر إلى يحي، ويحي ينظر إلى أحمد، فقال: أنتَ حدّثته بهذا؟ فقال: والله ما سمعت به الآ هذه الساعة، فسكتا حتى فرغ من قصصه فقال له يحي: من حدّثك بهذا الحديث فقال: أحمد بن حنبل، ويحي بن معين، فقال: أنا ابن معين، وهذا أحمد بن حنبل، ما سمعنا بهذا قطّ في حديث رسول الله، فإن كان ولا بدّ من الكذب فعلى غيرنا فقال له: أنت يحي بن معين؟ قال: نعم، قال: لم أزل أسمع أنّ يحي بن معين أحمق، وما علمته إلاّ هذه الساعة، فقال له يحي: وكيف علمت أني أحمق؟ قال: كأنه ليس في الدنيا يحي بن معين، وأحمد بن حنبل غيركما.

---

(١) حسبة: أي لوجه الله وترغيباً في الدين.

(٢) السُؤال: جمع سائل الذي يسأل الناس المعونة.

كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل غير هذا، قال: فوضع أحمد كمّه على وجهه وقال: دعه يقوم، فقام كالمستهزيء بهما.

قال القرطبي: فهؤلاء الطوائف كذبة على رسول الله ﷺ ومن يجري مجراهم.. ثم قال: فلو اقتصر الناس على ما ثبت في الصحاح والمسانيد وغيرهما من المصنفات التي تداولها العلماء، ورواها الأئمة الفقهاء، لكان لهم في ذلك غُنْيَة، وخرجوا عن تحذيره ﷺ حيث قال: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

فحذار مما وضعه أعداء الدين، وزنادقة المسلمين، في باب الترغيب والترهيب وغير ذلك، وأعظمهم ضرراً أقوام من المنسوبين إلى الزهد، وضعوا الحديث حسبة فيما زعموا. فتقبّل الناس موضوعاتهم، ثقة منهم بهم، وركوناً إليهم، فضلوا وأضلوا [1].»

هل في القرآن ألفاظ غير عربية؟

من المقطوع به أن القرآن نزل بلسان العرب، وأنه كتاب عربي. نزل على أمة عربية بلسان عربي مبين، ليكون منهاجاً لحياتهم، ودستوراً لمجتمعهم وليعتبروا به ويذكروا بما فيه ﴿ليدبّروا آياته، وليتذكر أولو الألباب﴾ [2] وقد تضافرت النصوص القرآنية الكثيرة. على أن القرآن «عربي» في نظمه وفي لفظه. وفي أسلوبه وفي تركيبه وأنه ليس فيه ما يخالف طريقة العرب في المفردات والجمل والأسلوب والخطاب. من هذه النصوص الكريمة ما يلي:

١ ـ قوله تعالى ﴿لتكونَ منَ المنذرينَ * بلسان عربيٍ مبينٍ﴾ [3]

٢ ـ وقوله تعالى: ﴿كتابٌ فصّلتْ آياته قرآناً عربياً لقومٍ يعلمون﴾ [4]

---

(١) أنظر: تفسير القرطبي، ج ١ ص ٧٨.

(٢) سورة ص، الآية: ٢٩.

(٣) سورة الشعراء، الآيتان: ١٩٤، ١٩٥.

(٤) سورة فصلت، الآية: ٣.

٣ - وقوله جل ثناؤه ﴿**إنّا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون**﴾ (١)

٤ - وقوله جل علا ﴿**قرآناً عربياً غيرَ ذي عوجٍ لعلهم يتقون**﴾ (٢)

وقد أجمع العلماء على أن القرآن عربي، ولكن اختلفوا هل فيه ألفاظ مفردة من غير كلام العرب؟ على مذهبين:

آ - **المذهب الأول**: مذهب الجمهور وعلى رأسهم القاضي (أبو بكر ابن الطيب) وشيخ المفسرين (ابن جرير الطبري) و (الباقلاني) وغيرهم من العلماء الأعلام قالوا: إن القرآن عربي كلّه، وليس فيه ألفاظ أو مفردات من غير كلام العرب، وما وجد فيه من الألفاظ التي تنسب إلى سائر اللغات، فإنما اتفق فيها أن تواردت اللغات عليها، فتكلمت بها العرب، والفرس، والحبشة وغيرهم.

ب - **المذهب الثاني**: مذهب طائفة من العلماء قالوا: إنّ في القرآن بعض ألفاظ ليس عربية، وأنّ تلك الألفاظ لقلتها، لا تخرج القرآن عن كونه عربياً مبيناً، فمثلاً لفظ (المشكاة) بمعنى الكُوة، ولفظ (الكفل) بمعنى الضعف، ولفظ (قسورة) بمعنى الأسد كل هذه الألفاظ هي بلسان الحبشة وهي ألفاظ غير عربية.

وكذلك لفظ (القسطاس) بمعنى الميزان بلسان الروم.

ولفظ (السجيل) بمعنى الحجارة والطين بلسان الفرس.

ولفظ (الغساق) بمعنى البارد المنتن بلسان الترك.

ولفظ (اليم) بمعنى البحر، و (الطور) بمعنى الجبل بلسان السريانية.

قال ابن عطية:

« فحقيقة العبارة أنّ هذه الألفاظ في الأصل (أعجمية) لكنّ العرب استعملتها وعرّبتها فهي عربية بهذا الوجه، وقد كان للعرب مخالطة لجيرانهم من سائر الألسنة فعَلِقت العرب بألفاظ أعجمية، استعملتها في أشعارها ومحاوراتها، حتى جرت مجرى

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٢.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٢٨.

العربي الصحيح، وعلى هذا الحدّ نزل بها القرآن[1]..».

أدلة الجمهور:

وقد استدل الجمهور ببعض الأدلة التي تثبت أن القرآن عربي وليس فيه ألفاظ غير عربية وفيه أسماء أعلام لمن لسانه غير لسان العرب، مثل (اسرائيل) و(جبرئيل) و(عمران) و(نوح) و(لوط). وقد استدل الجمهور بما يلي:

أولاً: الآيات القرآنية السابقة التي أثبتت أن هذا القرآن عربيّ كله في لفظه، وأسلوبه، ونظمه، وتركيبه، فقد أخبر الله عز وجل عن القرآن بأنه عربي فقال تعالى **﴿قرآنا عربياً﴾** وتكرّر هذا اللفظ في آيات عديدة ومعلوم أنّ لفظ القرآن عام يشمل جميع السور والآيات، ويشمل كلّ الألفاظ والمفردات.

ثانياً: إن القرآن نزل بلغة العرب ليفهموه ويعقلوه ويتدبروا معانيه، ويستحيل ان يخاطب الله تعالى قوماً بما لا يعلمون، كيف والآيات صريحة في انزاله بلغة العرب للاعتبار والعمل **﴿إنّا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾**[2] و **﴿قرآناً عربياً لقومٍ يعلمون﴾**[3] وهذا ينفي أن يكون فيه ألفاظ غير عربية.

ثالثاً: إنّ الله تعالى قد ردّ على المشركين حين زعموا أن محمداً ﷺ تلقّى هذا القرآن عن بعض أهل الكتاب (جبر الرومي) وأقام الحجة عليهم باختلاف اللسانين قال تعالى **﴿ولقد نعلمُ أنّهم يقولونَ إنّما يعلمه بشرٌ، لسانُ الذي يلحدون إليه أعجميٌّ، وهذا لسانٌ عربيٌّ مبين﴾**[4] فالقرآن عربي وذلك أعجمي وشتّان بينهما.

رابعاً: لو كان في هذا القرآن شيء ليس من لغة العرب، أو لا يفهمه العرب، أو ألفاظ (أعجمية) غير عربية، لأعلن المشركون اعتراضهم على القرآن، واحتجوا

---

(١) انظر: تفسير القرطبي، ج ١ ص ٦٨.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٢.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٣.

(٤) سورة النحل، الآية: ١٠٣.

بذلك على عدم صدق الرسول كما قال تعالى ﴿**ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا: لولا فصّلتْ آياتُه، أعربيّ وعجميٌّ..**﴾ (١) الآية.

خامساً: إن ما وجد في القرآن من ألفاظ تنسب إلى سائر اللغات، فإنما هو من باب (توارد اللغات واتفاقها بمعنى أن هذه اللفظة تكلم بها العرب، وتكلم بها الفرس، والعجم، وتكلم بها غيرهم، فهي مما اتفقت عليه اللغات لا يعني أن هذه الألفاظ غير عربية، فإذا تكلم بها العرب فهي عربية، وإذا تكلم بها غيرهم أو استعملها الأعاجم فلا يخرجها عن كونها عربية.

الترجيح:

والصحيح ما ذهب إليه (الطبري) وجمهور العلماء من أنّ القرآن كله عربي، وهو ما تشهد له النصوص الكثيرة، والحجج الدامغة القوية التي احتج بها العلماء.

وقد انتصر العلامة القرطبي لرأي الجمهور، وردّ الرأي الثاني، وقال ـ بعد أن ذكر المذهبين ـ إن الأول أصح، فإن العرب لا يخلو أن تكون تخاطب بها اوْ لا، فإن كان الأول فهي من كلامهم، ولا يبعد أن يكون غيرهم قد وافقهم على بعض كلماتهم.

وإن لم تكن العرب تخاطبت بها، ولا عرفتها استحال أن يخاطبهم الله بما لا يعرفون، وحينئذ لا يكون القرآن عربياً، ولا يكون الرسول مخاطباً لقومه بلسانهم». اهـ (٢).

بحث ترجمة القرآن

معنى الترجمة:

ترجمة القرآن معناها نقل القرآن إلى لغات أجنبية أخرى غير اللغة العربية وطبع

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٤. ومعنى الآية: لو أنزلنا القرآن بغير لغتهم، وجعلناه باللغة الأعجمية لقالوا: هلا بينت آياته ونزلت كلماته بلغتنا العربية لنتفهمه ونتدبره؟ (أعربي وعجمي)؟ أي رسول عربي وقرآن أعجمي؟ كيف يكون ذلك؟ وكيف ينزل القرآن الأعجمي على الرسول العربي؟

(٢) انظر: تفسير القرطبي، ج ١ ص ٦٩.

هذه الترجمة في نسخ ليطلع عليها من لا يعرف اللغة العربية (لغة القرآن) ويفهم مراد الله عز وجلّ من كتابه العزيز بواسطة هذه الترجمة.

أنواع الترجمة:

وتنقسم هذه الترجمة إلى قسمين:

الأول: الترجمة الحرفية.

الثاني: الترجمة التفسيرية.

والمراد بالقسم الأول (الحرفية) أن يترجم القرآن بألفاظه ومفرداته وجمله وتركيبه ترجمة طبق الأصل إلى اللغة الانجليزية، أو الألمانية، أو الفرنسية.

مثلاً فيقال: (القرآن باللغة الانجليزية) أو (القرآن باللغة الألمانية) وهكذا فهي تشبه وضع المرادف مكان مرادفه، وبعض الناس يسمي هذه الترجمة (ترجمة لفظية).

وأما القسم الثاني (التفسيرية) فهو يترجم معنى الآيات الكريمة، بحيث لا يتقيد الإنسان باللفظ، وإنما يكون همّه المعنى، فيترجم القرآن بألفاظ لا يتقيد بها بالمفردات والتراكيب، وإنما يعمد إلى الأصل فيفهمه. ثم يصبّه في قالب يؤديه من اللغة الأخرى ويكون هذا المعنى موافقاً لمراد صاحب الأصل من غير أن يكلف نفسه عناء البحث والوقوف عند كل مفرد من المفردات، أو لفظة من الألفاظ. وهذا النوع يسمى (الترجمة الحرفية) أو الترجمة المعنوية.

شروط الترجمة:

ويشترط للترجمة سواء كانت حرفية، أو تفسيرية، شروط عدة نوجزها فيما يلي:

١ ـ أن يعرف (المترجم) بكسر الجيم اللغتين معاً، لغة الأصل، ولغة الترجمة.

٢ ـ أن يكون ملماً بأساليب وخصائص اللغات التي يود ترجمتها.

٣ ـ أن تكون (صيغة الترجمة) صحيحة بحيث يمكن أن تحل محل الأصل.

٤ ـ أن تفي الترجمة بجميع معاني الأصل ومقاصده وفاء كاملاً.

كما يشترط للترجمة (الحرفية) زيادة على هذه الشروط شرطان آخران:

ألأول: وجود مفردات كاملة في لغة الترجمة، مساوية للمفردات التي هي لغة الأصل.

الثاني: تشابه اللغتين في الضمائر المستترة، والروابط التي تربط الجمل لتأليف التركيب.

هل تجوز الترجمة الحرفية للقرآن؟

وعلى ضوء ما سبق من تقسيم الترجمة إلى حرفية، وتفسيرية، ومعرفة معنى كلّ منها، والشروط التي ينبغي أن تتوفر في الترجمة، يتضح لنا أنّ (الترجمة الحرفية) غير جائزة، وغير صحيحة وذلك للأسباب الآتية:

أولاً: أنه لا يجوز كتابة القرآن بغير أحرف اللغة العربية لئلا يقع التحريف والتبديل.

ثانياً: إنّ اللغات (غير العربية) ليس فيها من الألفاظ والمفردات والضمائر ما يقوم مقام الألفاظ العربية.

ثالثاً: إن الاقتصار على الألفاظ قد يفسد المعنى، ويسبب الخلل في التعبير والنظم.

ولنضرب بعض الأمثلة على ذلك ليتوضح الأمر فنقول:

لو أردنا ترجمة الآية الكريمة وهي قوله تعالى ﴿**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك، ولا تبسطها كلّ البسط فتقعد ملوماً محسوراً**﴾[1] فإذا أردنا ترجمتها ترجمة حرفية، فإنّ الترجمة تكون كالآتي: (لا تجعل يدك مربوطة إلى عنقك، ولا تمدّها كل المد) إلى آخره وهو معنى فاسد لم يقصده القرآن الكريم بل قد يستنكر المترجم له هذا الوضع، فيقول: لماذا ينهانا الله عن ربط اليد بالعنق، أو مدها غاية المدّ؟

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

فالتعبير الذي جاء في القرآن إنما هو من (باب التمثيل) لبيان عاقبة الإسراف أو الشح، وهو معنى من أروع المعاني لا يدركه إلاّ من فهم أساليب العرب في التخاطب بالأسلوب البليغ. وكذلك قوله تعالى ﴿**واخفض لهما جناح الذل من الرحمة**﴾[1] فإنّ هذا اللفظ لا يمكن ترجمته ترجمة حرفية لوجود نوع خاص من التعبير البليغ يسمى ب (الاستعارة المكنية) وهذا لا يوجد في غير اللغة العربية، ومثله قوله تعالى ﴿**قدمَ صدقٍ عندَ ربهم**﴾[2] وقوله ﴿**تجري بأعيننا**﴾[3] ومثله كذلك قوله تعالى ﴿**هنَ لباسٌ لكم وأنتُم لباس لهن**﴾[4] فإذا ترجمناها ترجمة حرفية يفسد المعنى تماماً، ويصبح ضرباً من الهذيان في الكلام وأمثال هذا كثير وفساده واضح.

ترجمة القرآن بالمعنى:

أما ترجمة القرآن بالمعنى فهي جائزة بالشروط المتقدمة، وهي لا تسمى (قرآنا) وإنما تسمّى تفسيراً للقرآن. ذلك لأن الله تعبدنا بألفاظ القرآن، ولم يتعبدنا بغيره من الكلام. فكلام الرسول ﷺ تجوز روايته بالمعنى بأن نقول قال رسول الله: ما معناه، ولكن القرآن لا يجوز روايته بالمعنى، فلا يصح ان نقول: قال الله تعالى ما معناه، بل لا بدّ من تلاوة النص بحروفه وألفاظه لأنه موحى به من عند الله، ولأنه معجز بلفظه ومعناه.

فالترجمة في الحقيقة ههنا ليست ترجمة للقرآن، وإنما هي ترجمة لمعاني القرآن، او ترجمة لتفسير القرآن، وقد أنزل الله كتابه الى الخلق اجمعين، ليكون مصدر هداية، وإرشاد وإسعاد لهم، فلا مانع لنا ان ننقل معاني القرآن إلى الامم الأخرى ممن لا يعرفون اللغة العربية، ليستنيروا بهذا القرآن ويقبسوا من هديه وإرشاده. وهذا بلاِ شك غرض من أغراض القرآن ﴿إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقومُ﴾[5].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٤.

(٢) سورة يونس، الآية: ٢.

(٣) سورة القمر، الآية: ١٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٥) سورة الاسراء، الاية: ٩.

فترجمة القرآن بهذا المعنى يجيزها العلماء بل هي واجبة على المسلمين ليبلغوا الناس دعوة الله، ويحملوا اليهم هداية القرآن، وبغير هذه الترجمة لا يمكن أن يدرك الناس عظمة هذه الشريعة، وروعة هذا الدين، وجمال هذا القرآن والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

الفصل التاسع

نزول القرآن على سبعة أحرف والقراءات المشهورة

تمهيد

لما خلق الله الخلق، جعل لكل منهم شرعة ومنهاجاً، وكان للعرب لهجات متعددة، اكتسبوها من فطرتهم، واقتبسوا بعضها من جيرانهم، وكانت لغة (قريش) لها الصدارة والذيوع لأسباب عدة منها: اشتغالهم بالتجارة ووجودهم عند بيت الله الحرام وقيامهم على السدانة والرفادة، وكان القرشيون يقتبسون بعض اللهجات والكلمات التي تعجبهم من غيرهم، وكان من الطبيعي، أن ينزل الله احكم الحاكمين القرآن، باللغة التي يفهمها العرب أجمع لتيسير فهمها وللاعجاز والتحدي لأرباب الفصاحة بالاتيان بسورة او بآية وتيسير قراءته وفهمه وحفظه لهم، لأنه نزل بلغتهم كما قال جلّ ثناؤه:

﴿إنّا أنزلْناهُ قُرآناً عربِيّاً لعلّكم تعْقِلُونَ﴾[1].

أدلة نزول القرآن على سبعة أحرف:

أولاً: روى البخاري ومسلم في صحيحها عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٢.

قال رسول الله ﷺ: «اقرأني جبريلُ على حرف فراجعته فلم أزل استزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة أحرف»[1] زاد مسلم: (قال ابن شهاب: بلغني ان تلك السبعة في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا حرام).

ثانياً: روى البخاري ومسلم ـ واللفظ للبخاري ـ ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال (سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ. فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره في الصلاة فانتظرته حتى سلم ثم لببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة؟ قال: اقرأنيها رسول الله ﷺ قلت له: كذبت، فوالله إن رسول الله ﷺ أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها، فانطلقت اقوده الى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله اني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها وأنت أقرأتني سورة الفرقان فقال رسول الله ﷺ، أرسله يا عمر، اقرأ يا هشام، فقرأ هذه القراءة التي سمعته يقرؤها قال رسول الله ﷺ: هكذا أنزلت، ثم قال: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه».

وفي بعض الروايات ان رسول الله استمع إلى قراءة عمر أيضاً وقال: هكذا انزلت.

ثالثاً: روى مسلم بسنده عن أبي بن كعب قال: (كنت في المسجد، فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر، فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جيعاً على رسول الله ﷺ، فقلت: إن هذا قرأ قراءة انكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه فأمرهما رسول الله ﷺ فقرآ، فحسن النبي ﷺ شأنهما، فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية، فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني ضرب في صدري، ففضت عرقاً، وكأنما انظر الى الله

---

(١) صحيح البخاري، ج ٣، ص ٢٢٧ وصحيح مسلم، ج ١، ص ٥٦١ بسندهما عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة.

عز وجل فرقاً فقال لي: يا أبي، أُرسل إليّ ان اقرأ القرآن على حرف فرددت إليه: أن هوّن على أمتي، فرد اليّ الثانية اقرأه على حرفين، فرددت إليه: أن هون على أمتي، فردّ إلي الثالثة: اقرأه على سبعة أحرف، ولك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها فقلت «اللهم اغفر لامتي وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي الخلق، كلهم حتى ابراهيم ﷺ» أهـ.

قال القرطبي «فكان هذا الخاطر (يشير إلى ما سقط في نفس أبي) من قبيل ما قال فيه النبي ﷺ حين سألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به. قال: أو قد وجدتموه؟ قالوا: نعم. قال ذلك صريح الإيمان» رواه مسلم.

رابعاً: روى الحافظ أبو يعلي في مسنده الكبير أن عثمان رضي الله عنه قال يوماً وهو على المنبر: «أذكر الله رجلاً سمع النبي ﷺ قال: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف» لما قام. فقاموا حتى لم يحصوا، فشهدوا أن الرسول ﷺ قال (أنزل القرآن على سبعة حروف كلها شاف كاف). فقال عثمان رضي الله عنه: (وأنا أشهد معهم).

خامساً: روى مسلم بسنده عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ كان عند أضاة[1] بني غفار قال: (فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف. فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم أتاه الثانية فقال: ان الله يأمرك ان تقرا أمتك القرآن على حرفين. فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف. فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم جاءه الرابعة فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف. فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا) أ. هـ.

سادساً: روى الترمذي عن أبي بن كعب أيضاً قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل

(١) أضاة بني غفار: مستنقع الماء كالغدير. وهو موضع بالمدينة نسب إلى بني غفار لأنهم نزلوا عنده.

عند أحجار المروة. قال: فقال رسول الله ﷺ لجبريل: إني بعثت إلى أمة أميين، فيهم الشيخ الفاني، والعجوز الكبير، والغلام، قال: «فمرهم فليقرؤوا القرآن على سبعة أحرف» قال الترمذي: حسن صحيح.

وفي لفظ: (فمن قرأ بحرف منها فهو كما قرأ).

وفي لفظ حذيفة: «فقلت يا جبريل إني أرسلت إلى أمة أمية فيهم الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ الفاني الذي لم يقرأ كتاباً قط قال: «إن القرآن أنزل على سبعة أحرف».

سابعاً: أخرج الإمام أحمد بسنده عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو أن رجلاً قرأ آية من القرآن. فقال له عمرو: إنما هي كذا وكذا، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأي ذلك قرأتم أصبتم فلا تماروا).

ثامناً: روى الطبري والطبراني عن زيد بن أرقم قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أقرأني ابن مسعود سورة أقرأنيها زيد بن ثابت، واقرأنيها أبي بن كعب فاختلفت قراءتهم، فبقراءة أيهم آخذ؟ فسكت رسول الله ﷺ وعليّ إلى جنبه فقال علي: ليقرأ كل انسان منكم كما علم، فإنه حسن جميل.

تاسعاً: أخرج ابن جرير الطبري عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ولا حرج، ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب ولا ذكر عذاب برحمة» اهـ.

الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف:

١ ـ التيسير على الأمة الإسلامية وخاصة الأمة العربية التي نزل عليها القرآن كان لها لهجات متعددة على الرغم أنها تجمعها كلمة العروبة، نأخذ هذا من قوله ﷺ: «أنْ هوّنْ على أمتي» «وإنّ أمتي لا تطيق ذلك» وغيرها.

قال المحقق ابن الجزري:

« وأما سبب وروده على سبعة أحرف فللتخفيف على هذه الأمة، وإرادة اليسر بها، والتهوين عليها شرفاً لها، وتوسعة ورحمة وخصوصية لفضلها وإجابة لقصد نبيها أفضل الخلق وحبيب الحق، حيث أتاه جبريل فقال « إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف، فقال ﷺ: أسأل الله معافاته ومعونته، فإن أمتي لا تطيق ذلك، ولم يزل يُردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف » ثم قال: وكما ثبت أن القرآن نزل من سبعة أبواب على سبعة أحرف، وأنّ الكتاب قبله كان ينزل من باب واحد على حرف واحد، وذلك أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يبعثون إلى قومهم الخاصين والنبي ﷺ بعث إلى جميع الخلق، أحمرهم وأسودهم، عربيهم وعجميهم، وكان العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، لغاتُهم مختلفة، وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الإنتقال من لغة إلى غيرها، أو من حرف إلى آخر، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولو بالتعليم والعلاج لا سيماالشيخ والمرأة، ومن لم يقرأ كتاباً كما أشار إليه ﷺ، فلو كلفوا العدول عن لغتهم، والانتقال عن ألسنتهم، لكان من التكليف بما لا يستطاع، وما عسى أن يتكلف المتكلف وتأبى الطباع » اهـ.

٢ - جمع الأمة الإسلامية على لسان واحد يوحد بينها هو لسان قريش الذي انتظم كثيراً من مختارات ألسنة القبائل العربية التي كانت تختلف إلى مكة في موسم الحج وغيره. ولذلك نزل القرآن على سبعة أحرف نصطفي ما شاء من لغات القبائل العربية التي تمثلت في لسان القرشيين وهذه حكمة إلهية سامية فإن وحدة اللسان العام من أهم العوامل في وحدة الأمة خصوصاً أول عهدها بالتوثب والنهوض.

معنى نزول القرآن على سبعة أحرف:

الأحرف: جمع حرف والحرف له معان كثيرة قال صاحب القاموس: (الحرف من كل شيء طرَفه، وشفيره وحده، ومن الجبل اعلاه المحدد، وواحد حروف النهجي « ومن الناس من يعبد الله على حرف » أي وجه واحد، وهو ان يعبده على السراء لا على الضراء، او على شك، او على غير طمأنينة من أمره، أي لا

يدخل في الدين متمكناً. «ونـزل القرآن على سبعة أحرف» أي سبع لغات من لغات العرب. وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه إن جاء على سبعة أو عشرة أو أكثر. ولكن معناه أن هذه اللغات السبع متفرّقة في القرآن» ا هـ. بتصرف.

مما تقدم نرى أن الحرف من قبيل المشترك اللفظي، والمشترك اللفظي يراد به أحد معانيه التي تعينها القرائن وتناسب المقام.

فالمراد من لفظ الحرف أنه الوجه بدليلٍ ما يأتي:

قوله ﷺ «أُنزل القرآن على سبعة أحرف».

كلمة (على) تشير إلى أن هذا الشرط للتوسعة والتيسير. بمعنى؛ أنزل القرآن موسعاً فيه على القاريء أن يقرأه على سبعة أوجه، يقرأ بأي حرف أراد منها على البدل من صاحبه كأنه قال أنزل على هذا الشرط وعلى هذه التوسعة.

اختلاف العلماء في تفسير الأحرف الواردة في الحديث:

هنا يحتدم الجدال والنزاع، ويكثر القيل والقال. وسنذكر بعضاً من الآراء ونرجح ما نراه أقرب للصواب.

١ ـ ذهب بعض العلماء إلى أن المراد بها سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد. على معنى أنه حيث تختلف لغات العرب في التعبير في معنى من المعاني يأتي القرآن بألفاظ على قدر هذه اللغات وإذا لم يكن اختلاف فإنه يأتي بلفظ واحد وقيل: إن السبعة هي لغة (قريش) و (هذيل) و (ثقيف) و (هوازن) و (كنانة) و (تميم) و (اليمن).

٢ ـ وقيل إن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب نزل عليها القرآن، على معنى أنه في جملته لا يخرج في كلماته عن سبع لغات هي أفصح لغاتهم، فأكثرُه بلغة قريش، ومنه ما هو بلغة هذيل، أو ثقيف، أو هوازن، أو كنانة، أو تميم، أو اليمن.

قال بعضهم: هذا أصح الأقوال وأولاها بالصواب، وهو الذي صححه البيهقي، واختاره الأبهري واقتصر عليه صاحب القاموس.

٣ ـ إن المراد بالأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن، سبعة أصناف في القرآن.

«ولكن أصحاب هذه الأقوال يختلفون في تعيين هذه الأصناف وفي أسلوب التعبير عنها اختلافاً كبيراً، فمنهم من يقول: (إنها أمر، ونهي، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال).

ومنهم من يقول إنها (وعد، ووعيد، وحلال، وحرام، ومواعظ، وأمثال، واحتجاج).

ومنهم من يقول إنها: (محكم، ومتشابه، وناسخ، ومنسوخ، وخصوص، وعموم، وقصص)[١].

٤ ـ أن المراد بالأحرف السبعة أوجه من الألفاظ المختلفة في كلمة واحدة ومعنى واحد، نحو: هلُمّ، وأقبل، وتعال، وعجل، واسرع، وقصدي، ونحوي. فهذه الألفاظ السبعة معناها واحد هو طلب الإقبال.

وهذا القول منسوب لجمهور أهل الفقه والحديث منهم ابن جرير الطبري والطحاوي وغيرهما.

٥ ـ ان المراد بالأحرف السبعة الاختلاف في أمور سبعة:

أ ـ اختلاف الأسماء إفراداً وتذكيراً وفروعها.

مثاله قوله تعالى ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾[٢] فكلمة (أمانتهم) قريء بالجمع والإفراد.

ب ـ الاختلاف في تصريف الأفعال من مضارع وماض وأمر.

---

(١) أنظر: مناهل العرفان، ص ١٧٦.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٨.

مثاله قوله تعالى ﴿**ربّنا باعدْ بين أسفارنا**﴾[1] قريء بنصب لفظ (ربنا) على أنه منادى وبلفظ (باعدْ) فعل أمر.

وقريء «ربُّنا بَعَّدَ» برفع «ربُّ» على أنه مبتدأ وبلفظ «بعد» فعلاً ماضياً مضعف العين جملته خبر.

جـ ـ الاختلاف بالإبدال، سواء كان ابدال حرف بحرف كقوله تعالى ﴿**وانظرْ إلى العظام كيفَ نَنشزها**﴾[2] قريء بالزاي وبالراء مع فتح النون.. وقوله سبحانه ﴿**وطلح منضود**﴾[3] قريء (وطلع) فلا فرق في هذا بين الاسم والفعل أو ابدال لفظ بلفظ كقوله سبحانه ﴿**كالعهن المنفوش**﴾[4] قرأ ابن مسعود (كالصوف المنفوش).

د ـ اختلاف بالتقديم والتأخير إما في حرف كقوله تعالى ﴿**أفلم ييأس**﴾[5] قريء (أفلم يأيس) وأما في الكلمة نحو (فيقتلون ويقتلون) قريء بالبناء للفاعل في الأول وللمفعول في الثاني وقريء بالعكس وكقوله سبحانه ﴿**وجاءت سكرت الموت بالحق**﴾[6] قريء ﴿**وجاءت سكرة الحق بالموت**﴾.

هـ ـ اختلاف وجوه الإعراب كقوله سبحانه ﴿**ما هذا بشراً**﴾[7] قرأ ابن مسعود بالرفع وكقوله سبحانه ﴿**ذو العرش المجيدُ**﴾[8] برفع المجيد على أنه نعت كلمة ذو. وجرها على أنها صفة العرش.

---

(١) سورة سبأ، الآية: ١٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

(٣) سورة الواقعة، الآية: ٢٩.

(٤) سورة القارعة، الآية: ٥.

(٥) سورة الرعد، جزء من الآية: ٣١.

(٦) سورة ق، الآية: ١٩.

(٧) سورة يوسف، جزء من الآية: ٣١.

(٨) سورة البروج، الآية: ١٥.

و ـ الاختلاف بالزيادة والنقص كقوله تعالى ﴿**وما خلق الذكر والأنثى**﴾ (١) قريء (والذكر والأنثى) بحذف (ما خلق).

ز ـ اختلاف اللهجات بالتفخيم والترقيق والإمالة والإظهار والإدغام وهو كثير، ومنه الإمالة وعدمها في مثل قوله تعالى ﴿**هل أتاك حديث موسى**﴾ (٢).

وهذا الرأي الأخير قد ذهب إليه الرازي وقاربه كل القرب مذهب ابن قتيبة وابن الجزري وابن الطيب وقد أخذ به الشيخ الزرقاني في كتابه مناهل العرفان) وأيّده ببعض الأدلة.

الترجيح:

وأقرب الوجوه إلى الصواب هو المذهب الأخير الذي اختاره الرازي، واعتمده الزرقاني في كتابه «مناهل العرفان» وأيده بأدلة منها:

١ ـ إن هذا المذهب هو الذي تؤيده الأحاديث المتقدمة.

٢ ـ أنه يعتمد على الاستقراء التام لاختلاف القراءات وما ترجع إليه من الوجوه السبعة.

٣ ـ ان هذا الرأي لا يلزمه محذور.

والأراء في (الأحرف السبعة) كاملة تجدها في كتاب «مناهل العرفان» للزرقاني وفيها توهين المذاهب الأخرى والرد عليها في ص ١٦٥ إلى ١٧٧.

ونحن ننقل خلاصة هذا المذهب من كلام أبي الفضل الرازي في اللوائح حيث يقول: الكلام لا يخرج عن سبعة أحرف في الأختلاف.

الأول: اختلاف الأسماء من إفرادٍ، وتثنيةٍ، وجمعٍ، وتذكيرٍ، وتأنيث.

---

(١) سورة الليل، الآية: ٣.

(٢) سورة النازعات، الآية: ١٥.

الثاني: اختلاف تصريف الأفعال، من ماضٍ، ومضارع، وأمر.

الثالث: اختلاف وجوه الإعراب.

الرابع: الاختلاف بالنقص والزيادة.

الخامس: الاختلاف بالتقديم والتأخير.

السادس: الاختلاف بالإبدال.

السابع:اختلاف اللغات (يعني اللهجات) كالفتح والإمالة، والترقيق والتفخيم، والإظهار والإدغام ونحو ذلك. أهـ.

هل الأحرف السبعة موجودة في المصاحف الآن:

١ ـ ذهب جماعة من الفقهاء والقراء والمتكلمين إلى أن جميع هذه الأحرف موجودة بالمصاحف العثمانية.

حجتهم:

ا ـ أنه لا يجوز للأمة أن تهمل نقل شيء منها.

ب ـ أن الصحابة أجمعوا على أن الصحف التي نقلها عثمان رضي الله عنه من الصحف التي كتبها أبو بكر رضي الله عنه.

جـ ـ معنى ما تقدم أن الصحف التي عند أبي بكر قد جمعت الأحرف السبعة، ونقلت منها المصاحف العثمانية بالأحرف السبعة كذلك.

د ـ قول النبي ﷺ (إن أمتي لا تطيق ذلك) لا يختص بعهد الصحابة دون غيرهم. وبقاء تيسير القرآن مع بقاء إعجازه.

٢ ـ ذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط، جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ على جبريل.

٣ ـ ذهب ابن جرير الطبري ومن معه إلى أن المصاحف العثمانية لم تشتمل إلا على حرف واحد من الحروف السبعة.

وقالوا: ان الأحرف السبعة كانت أيام الرسول عليه الصلاة والسلام وأبي بكر وعمر فلما كان عهد عثمان رأت الأمة بقيادته ان تقتصر على حرف واحد جمعاً لكلمة المسلمين. ونسخ عثمان بهذا الحرف الذي استبقته الأمة وحده جميع المصاحف العثمانية.

قال الزرقاني في «مناهل العرفان» ص ٦٦٢ ما نصه (ونحن إذا رجعنا بهذه الأوجه السبعة إلى المصاحف العثمانية وما هو مخطوط بها في الواقع ونفس الأمر، نخرج بهذه الحقيقة التي لا تقبل النقض، ونصل إلى فصل الخطاب في هذا الباب، وهو ان المصاحف العثمانية قد اشتملت على الأحرف السبعة كلها، ولكن على معنى أن كل واحد من هذه المصاحف اشتمل على ما يوافق رسمه من هذه الأحرف كلاً أو بعضاً، بحيث لم تخل المصاحف في مجموعها عن حرف منها رأساً).

وقد بيّن ووضّح الشيخ الزرقاني وجود الأوجه السبعة على مذهبه المختار وإن الأوجه السبعة موجودة الآن في المصاحف العثمانية وسأكتفي بذكر مثال من أمثلته غير أن بعض الوجوه السبعة ذكر أنه منسوخة بالعرض الأخيرة.

مثاله قوله تعالى ﴿والذين هُم لأمانَاتِهِم وَعَهْدِهِم رَاعُونَ﴾ [١] المقروءة بجمع الأمانة وإفرادها فقد اشتمل عليها المصحف إذ كان الرسم العثماني فيه هكذا:

«لأمنتهم» برسم المفرد في الحروف ولكن عليها ألف صغيرة لتشير إلى قراءة الجمع وغير منقوطة ولا مشكولة [٢].

مناقشة مذهب الطبري:

قال الطبري أن الأحرف الستة نسخت باجماع الأمة في عهد عثمان رضي الله عنه

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٨.

(٢) أنظر، مناهل العرفان، ص ١٦٢.

وبقي حرف واحد حفاظاً لوحدة الأمة الإسلامية من التفرق حين كفّر بعضُهم بعضاً بسبب اختلاف القراءات وخيفت الفتنة، فلم تجد الأمة حلاً لهذه المشكلة إلا جمع الأمة على قراءة حرف واحد.

الرد عليه:

١ ـ الصحابة رضوان الله عليهم اختلفوا في القراءة في عهد رسول الله وكادت أن تقع فتنة كما قلتم فكيف حلّ الرسول عليه السلام هذه المشكلة؟.

إنما كان حله الوحيد إقرار كل من المختلفين على القراءة التي قرأ بها وأفهمهم أن تعدد وجوه القراءة هو رحمة من الله بهم وتيسير عليهم: كما دلت عليه الأحاديث المتقدمة.

٢ ـ وقال في الحديث (إن أمتي لا تطيق ذلك) وأمته باقية إلى يوم القيامة. كما نشاهد نحن الآن أنّ بعض الشعوب الإسلامية لا يتيسر لها النطق ببعض الحروف ولا تحسن اتقان بعض اللهجات دون بعض.

٣ ـ بعد ما عرفنا ما تقدم نقول كيف يسوغ لصحابة رسول الله عليهم من الله الرضوان، وعلى رأسهم عثمان بن عفان اغلاق باب الرحمة والتخفيف الذي فتحه الله لأمة الإسلام، مخالفين الرسول عليه الصلاة والسلام في علاجه للنزاع الذي حصل بين الصحابة بتقرير هذا التعدد للحروف.

٤ ـ إننا نربأ باصحاب رسول الله ﷺ أن يكونوا قد وافقوا أو فكروا على ضياع ستّة أحرف من القرآن الكريم، وهي لم تنسخ لا تلاوة ولا حكما، ولم يكونوا ليخالفوا الرسول في قوله وعمله.

٥ ـ لو كانت هذه الأحرف نسخت في عهد عثمان رضي الله عنه لم يبق مجال لأختلاف العلماء فيها ولكننا نجدهم اختلفوا فيها على نحو من أربعين قولا.

٦ ـ لو فرضنا جدلاً أن الأحرف الستة نسخت في عهد عثمان فلماذا لا تبقى

لمجرد التاريخ فقط في أعظم كتاب مقدس مع أن الصحابة بينوا الآيات المنسوخة تلاوة أو حكماً وكذلك الآيات المنسوخة والأحاديث الموضوعة وبينوا لكل وجهته.

٧ - وقصارى القول ان الصحابة رضي الله عنهم لم يرضوا بمخالفة رسول الله في قوله أو فعله ولم يكن لهم التبديل ونسخ ما لم ينسخ من كتاب الله وحاشاهم ان يقدموا على مثل هذا الفعل رضي الله عنهم وأرضاهم.

بعض الشبهات الواردة على الموضوع والرد عليها

الشبهة الأولى:

يقولون: ان المراد بالأحرف السبعة هي القراءات السبع المنقولة عن الائمة السبعة المعروفين عند القراء.

الرد عليهم:

قولكم هذا باطل من وجوه:

١ - إن قول الرسول ﷺ (ان هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف) يكون عارياً من الفائدة على قولكم حتى يولد الائمة السبعة مع أن قولكم غير صحيح، لان الرسول ﷺ قرأ بها وصحابته وتابعيه قبل ميلاد القراء.

قال المحقق ابن الجزري (فلو كان الحديث منصرفاً الى قراءات السبعة المشهورين او سبعة غيرهم من القراء الذين ولدوا بعد التابعين، لأدى ذلك إلى ان يكون الخبر عارياً عن الفائدة إلى ان يولد هؤلاء السبعة، فتؤخذ عنهم القراءة، وأدى أيضاً إلى انه لا يجوز لاحد من الصحابة ان يقرأ إلا بما يعلم ان هؤلاء السبعة من القراء إذا ولدوا وتعلموا اختاروا القراءة به وهذا باطل إذ طريق أخذ القراءة ان تؤخذ عن امام، ثقة لفظاً عن لفظ إماماً عن إمام إلى ان يتصل بالنبي ﷺ ») أهـ.

٢ - ان الأحرف السبعة أعم من القراءات السبع عموماً مطلقاً لأن الأحرف

السبعة تشمل القراءات التي قرأ بها الرسول ﷺ وتشمل أيضاً ما وصل الى هؤلاء القراء السبعة وما نسخ قبل ان يصل اليهم وتنتظم جميع القراءات صحيحها ومنكرها وشاذها فما دام أن الاحرف اعم من القراءات فلا تكون هي نفس القراءات.

٣ ـ من المحال عقلاً أن يفرض الرسول عليه السلام قراءة القرآن على صحابته بقراءة القراء الذين لم يخلقوا بعد، وهذا الرأي باطل.

الشبهة الثانية:

يقولون: ان أحاديث نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف تثبت الاختلاف مع ان القرآن نفسه ينفي الاختلاف بقوله تعالى ﴿**أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً**﴾[١]. وذلك تناقض ولا ندري أيهما الصادق.

الجواب:

ان الاختلاف الذي تثبته الأحاديث غير الذي ينفيه القرآن وعلى هذا كلاهما صادق. إذ ان الاختلاف الذي تثبته الأحاديث فيما يتعلق بطرق الأداء والنطق بألفاظ القرآن في دائرة محدودة لا تعدو سبعة أحرف، وبشرط التلقي فيها كلها عن النبي ﷺ.

فعلى هذا يكون الاختلاف في الأحاديث بمعنى: التنويع اما القرآن فينفي التناقض بين أحكامه ومعانيه وتعاليمه مع ثبوت التنويع في التلفظ والأداء[٢].

والحاصل:

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة: وهذا المجموع في المصحف: هل هو جميع

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٢) نقلاً عن مناهل العرفان ص ١٧٩ بتصرف.

الأحرف السبعة التي اقيمت القراءة عليها؟ أو حرف واحد فيها؟ قال القاضي أبو بكر إنه جميعها، وصرح أبو جعفر الطبري والأكثرون من بعده بأنه حرف منها، ومال الشيخ الشاطبي إلى قول القاضي فيما جمعه أبو بكر، وإلى قول الطبري فيما جمعه عثمان رضي الله عنه.

قال الزركشي في البرهان:

قال بعض المتأخرين: القراءات السبع التي قرأها القراء السبعة كلها صحت عن رسول الله ﷺ، وهو الذي جمع عليه عثمان رضي الله عنه المصحف، وهذه القراءات السبع اختيارات أولئك القراء، فإن كلّ واحد منهم اختار فيما روى وعلم وجهةً من القراءة ما هو الأحسن عنه، ولزم طريقة منها ورواها وقرأ بها، واشتهرت عنه ونسبت اليه، فقيل حرف نافع وحرف ابن كثير، ولم يمنع واحد منهم حرف الآخر ولا أنكره بل سوّغه وحسّنه..

إلى ان قال: وقد أجمع المسلمون في هذه الأعصار على الاعتماد على ما صح عنهم، وكان الإنزال على الأحرف السبعة توسعة من الله ورحمة للأمة، إذ لو كلف كل فريق منهم ترك لغته والعدول عن عادة نشئوا عليها، من الإمالة والهمز، والتليين، والمد، وغيره لشق عليهم.

القراءات المشهورة

في نهاية البحث نرى لزاماً علينا ان نتكلم على نبذة مختصرة عن القراءات وكيف نشأت؟ ومن هم القراء المشهورون؟

تعريف القراءات:

القراءات جمع قراءة: مصدر قرأ يقرأ قراءة. واصطلاحاً: مذهب من مذاهب النطق في القرآن يذهب به إمام من الأئمة القراء مذهبا يخالف غيره في النطق بالقرآن الكريم وهي ثابتة بأسانيدها إلى رسول الله ﷺ.

هل كان في عهد الصحابة قراء ؟

نعم يرجع عهد القراء الذين اقاموا الناس على طرائقهم في التلاوة الى عهد الصحابة الكرام.

فقد اشتهر بالإقراء منهم: أبي، وعلي، وزيد بن ثابت، وابن مسعود وأبو موسى الاشعري وغيرهم.

وعن هؤلاء اخذ كثير من الصحابة والتابعين في الأمصار وكلهم يسند إلى رسول الله ﷺ الى ان جاء عهد التابعين في المائة الاولى فتجرد قوم واعتنوا بضبط القراءة عناية تامة حين دعت الحاجة الى ذلك وجعلوها علماً كما فعلوا بعلوم الشريعة الأخرى.

ونعود ونقول كيف نشأت القراءات:

عرفنا آنفاً ان عهد القراء من عهد الصحابة الى عهد التابعين، وان المعول عليه في القرآن الكريم إنما هو التلقي والأخذ ثقة عن ثقة وإماماً عن إمام الى النبي ﷺ. وكانت المصاحف غير منقوطة ولا مشكولة. وأن صورة الكلمة فيها كانت محتملة لكل ما يمكن من وجوه القراءات المختلفة، واذا لم تحتملها كتبت الكلمة بأحد الوجوه في مصحف، ثم كتبت في مصحف آخر بوجه آخر وهلم جراً.

فلا غرو ان كان التعويل على الرواية والتلقي هو العمدة في باب القراءة والقرآن.

ثم ان الصحابة رضوان الله عليهم قد اختلف اخذهم عن رسول الله ﷺ فمنهم من قرأ بحرف ومنهم من أخذه عنه بحرفين، ومنهم من زاد، ثم تفرقوا في البلاد وهم على هذه الحال.

وكان عثمان رضي الله عنه حين بعث المصاحف الى الآفاق ارسل مع كل مصحف من يوافق قراءته في الأكثر الغالب، وعند تفرق الصحابة في البلدان مع اختلافهم في القراءات نقل ذلك عنهم التابعون ومن تبعهم واختلف بسبب ذلك اخذ التابعين حتى

وصل الامر على هذا النحو الى الأئمة القراء المشهورين الذين تخصصوا وانقطعوا للقراءات يضبطونها ويعنون بها وينشرونها.

هذا منشأ علم القراءات واختلافها وإن كان هذا الاختلاف يرجع في الواقع إلى امور يسيرة بالنسبة لمواضع الاتفاق الكثيرة كما هو معلوم وهذا الاختلاف في حدود الاحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم كلها من عند الله.

ويحسن في هذا المقام ان ننقل ما كتبه الشيخ الزرقاني في كتابه «مناهل العرفان» وقد نقله من كتاب للنويري مخطوط بدار الكتب المصرية وضعه شرحاً للطيبة في القراءات.

قال: (والاعتماد في نقل القرآن على الحفّاظ، ولذلك ارسل (أي عثمان رضي الله عنه) كل مصحف مع من يوافق قراءته في الاكثر وليس بلازم. وقرأ كل مصر بما في مصحفهم، وتلقوا ما فيه من الصحابة الذين تلقوه عن النبي ﷺ. ثم تجرد للأخذ عن هؤلاء قوم اسهروا ليلهم في ضبطها، واتعبوا نهارهم في نقلها، حتى صاروا في ذلك أئمة للأقتداء، وأنجماً للإهتداء وأجمع اهل بلدهم على قبول قراءتهم، ولم يختلف عليهم اثنان في صحة روايتهم ودرايتهم، ولتصدّيهم للقراءة نسبت اليهم، وكان المعول فيها عليهم.

«ثم ان القراء بعد هؤلاء كثروا، وفي البلاد انتشروا وخلفهم امم بعد امم، وعرفت طبقاتهم، واختلفت صفاتهم، فكان منهم المتقن للتلاوة، المشهورة بالرواية والدراية، ومنهم المحصل لوصف واحد، ومنهم المحصل لاكثر من واحد فكثر بينهم لذلك الاختلاف وقلّ منهم الإئتلاف.

فقام عند ذلك جهابذة الائمة، وصناديد الأمة فبالغوا في الاجتهاد بقدر الحاصل، وميزوا بين الصحيح والباطل، وجمعوا الحروف والقراءات، وعزوا الاوجه والروايات، وبينوا الصحيح والشاذ، والكثير والفاذ بأصول اصّلوها وأركان فصّلوها [1] .. الخ».

---

(١) انظر مناهل العرفان ج ١ ص ٤٠٧.

عدد القراءات وانواعها

ذكر صاحب كتاب (الإتقان) ان القراءات، متواترة، ومشهورة، وآحاد، وشاذ، وموضوع، ومدرج.

قال القاضي جلال الدين البلقيني: القراءة تنقسم الى متواتر وآحاد وشاذ: فالمتواتر القراءات السبع المشهورة.

والآحاد قراءة الثلاثة التي هي تمام العشر ويلحق بها قراءة الصحابة.

والشاذ قراءة التابعين كالأعمش ويحي بن وثاب، وابن جبير ونحوهم.

قال السيوطي هذا الكلام فيه نظر وأحسن من تكلم في هذا النوع إمام القراء في زمانه الشيخ ابو الخير بن الجزري قال في اول كتابه «النشر» كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت احد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل انكارها بل هي من الاحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة ام عن غيرهم من الائمة المقبولين ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة اطلق عليها شاذه او باطله سواء كانت عن السبعة ام عمن هو اكبر منهم، هذا هو الصحيح عند ائمة التحقيق من السلف والخلف[1].

قال صاحب الطيبة في ضابط قبول القراءات:

وكلّ ما وافق وجه النحو
وكان للرسم احتمالاً يحوي
وصح اسناداً، هو القرآن
فهذه الثلاثة الاركانُ
وحيثما يختل ركن أثبتِ
شذوذه لو أنه في السبعةِ

---

١) أنظر مناهل العرفان، ج ١ ص ٤٠٩.

والقراءات: قيل: القراءات السبع. والقراءات العشر، والقراءات الأربع عشرة، وأحظى الجميع بالشهرة، ونباهة الشأن، القراءات السبع.

وتنسب هذه القراءات الى الائمة السبعة المعروفين وهم: نافع، وعاصم، وحمزة، وعبد الله بن عامر، وعبد الله بن كثير، وأبو عمرو بن العلاء، وعلي الكسائي.

والقراءات العشر هذه السبعة وزيادة قراءة: لأبي جعفر، ويعقوب، وخلف.

والقراءات الأربع عشرة، بزيادة أربع عَلى قراءات هؤلاء العشرة وهي: قراءة الحسن البصري، وابن محيص، ويحيى اليزيدي، والشنبوذي.

أول من صنّف في القراءات:

علم القراءات أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً.

واول من صنف في القراءات امثال ابي عبيد القاسم بن سلاّم، وأبي حاتم السجستاني، وأبي جعفر الطبري، واسماعيل القاضي.

متى اشتهرت قراءة السبعة؟

اشتهرت قراءة السبعة على رأس المائتين في الأمصار الإسلامية.

فكان الناس في البصرة على قراءة (أبي عمرو) و (يعقوب)، وبالكوفة على قراءة (حمزة) و (عاصم).

وبالشام على قراءة (ابن عامر).

وبمكة على قراءة (ابن كثير).

وبالمدينة على قراءة (نافع).

متى دونت القراءات؟

دونت في نهاية القرن الثالث ببغداد على يد الإمام ابن مجاهد أحمد بن موسى بن عباس فجمع قراءات هؤلاء السبعة غير أنه اثبت اسم الكسائي وحذف يعقوب.

طريقته:

كان آخذاً على نفسه ألا يروي إلا عمن اشتهر بالضبط، والأمانة، وطول العمر في ملازمة القراءة، واتفاق الآراء على الأخذ عنه والتلقي منه.

واقتصار ابن مجاهد على هؤلاء السبعة، ليس بحاصر للقراء فيهم، ولا بملزم أحداً أن يقف عند حدود قراءتهم.

القرّاء السبعة المشهورون

القراءات المتواترة نقلت لنا عن القرّاء الحَفَظَة، المشهورين بالحفظ والضبط والإتقان. وهم أئمة القراءات المشهورة، الذين نقلوا لنا قراءة الصحابة عن رسول الله ﷺ وكان لهم فضل العلم والتعليم، لكتاب الله العظيم كما قال صلوات الله وسلامه عليه (خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه) وقد جمع الشيخ ابو اليسر عابدين هؤلاء القراء في بيتين من الشعر فقال:

«فنافع، وابن كثير، وعاصم
وحمزة، ثمّ أبو عَمْرو همو»
«مع ابن عامر أتى الكسائي
ائمة السبع بلا امتراء»

القُرّاء السبعة:

١ ـ ابن عامر: اسمه عبد الله اليحصبي قاضي دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك، ويكنى أبا عمران، وهو تابعي، وقد أخذ القراءة عن المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، عن عثمان بن عفان، عن رسول الله ﷺ توفي بدمشق سنة ثماني عشر ومائة، وقد اشتهر برواية قراءته هشام وابن ذكوان.

قال فيهم صاحب الشاطبية:

«وأما دمشق الشام دار بن عامر
فتلك بعبد الله طابت محللا

هشـــام وعبــد الله وهـــو انتســـابـــه

لذكـــوان بالاسنـــاد عنـــه تنقـــلا

٢ ـ ابن كثير: هو ابو محمد، عبد الله بن كثير الداري المكي كان إمام الناس في القراءة بمكة، وهو تابعي لقي من الصحابة عبد الله بن الزبير، وأبا أيوب الأنصاري وأنس بن مالك وتوفي بمكة سنة مائة وعشرين.[١٢٠]

وراوياه: البزي (ت ٢٥٠) وقنبل (ت ٢٩١ هـ).

قال فيهم صاحب الشاطبية:

ومكـــة عبـــد الله فيهـــا مقـــامـــه

هـــو ابـن كثيـر كـاثـر القـوم مُعْتَـــلا

روى أحمـــد البـــزي لـــه ومحمـــد

علـــى سنـد وهـــو الملقـــب قنبـــلا

٣ ـ عاصم الكوفي: هو عاصم بن أبي النجود الأسدي، ويقال له: ابن بهدلة، ويكنى أبا بكر، وهو تابعي.

توفي بالكوفة سنة ١٢٧ او ١٢٨ هـ وراوياه شعبة (ت ١٩٣ هـ) وحفص (ت ١٨٠ هـ).

يقول فيهم صاحب الشاطبية:

وبـــالكـــوفـــة الغـــراء منهـــم ثلاثـــة

أذاعـــوا فقـــد ضاعـــت شـــذى وقـرنفــلا

فـــأمـــا أبـــو بكـــر وعـــاصم اسمـــه

فشعبـــة راويـــه المبـــرز أفضـــلا

وذاك بـــن عيـــاش أبـــو بكـــر الرضـــا

وحفـــص وبالاتقـــان كـــان مفضـــلا

٤ ـ ابو عمرو: هو ابو عمرو زبّان بن العلا بن عمار البصري شيخ الرواة وقيل اسمه يحي، وقيل اسمه كنيته، توفي بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة. وراوياه:

الدوري (ت ٢٤٦ هـ) والسوسي (ت ٢٦١ هـ).

قال صاحب الشاطبية:

وأمـــا الإمـــام المـازني صريحهـــم
أبـــو عمـــرو البصـــري فـوالـــده العـــلا
أفـــاض على يحيـــي اليـــزيـــدي سيبـــه
فأصبـــح بـالعـــذب الفـــرات معلـــلا
أبـــو عمـــرو الدوري صـــالحهـــم أبـــو
شعيـــب هـــو السوســـي عنـــه تقبـــلا

٥ ـ حمزة الكوفي: هو حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات الفرضي التيمي مولى عكرمة بن ربيع التيمي ويكنى أبا عمارة توفي بحلوان في خلافة أبي جعفر المنصور سنة ١٥٦ هـ وراوياه: خلف (ت ٢٢٩) وخلاد (ت ٢٢٠ هـ) بواسطة سليم.

قال صاحب الشاطبية:

وحمزة مـــا أزكـــاه مـــن متـــورع
إمـــامـــاً صبـــوراً للقـــرآن مـــرتلا
روى خلـــفٌ عنـــه وخـــــلاد الـــذي
رواه سليـــــم متقنـــــاً ومحصـــــلا

٦ ـ نافع: هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي أصله من اصفهان، وانتهت اليه رئاسة الاقراء بالمدينة المنورة وتوفي بها سنة ١٦٩، وراوياه: قالون (ت ٢٢٠) وورش[1] (ت ١٩٧).

يقول صاحب الشاطبية:

فـــأمـــا الكـــريم السر في الطيـــب نـــافـــع
فـــذاك الذي اختـــار المدينـــة منـــزلا

(١) قالون: معناه الجيد في أصل وضعها. وورش: لشدة بياضه.

وقالـون عيسـى، ثـم عثمـان ورشهـم

بصحبـة المجـد الرفيـع تأثـلا

٧ ـ الكسائي: هو علي بن حمزة إمام النحاة الكوفيين، ويكنى ابا الحسن وقيل له الكسائي لأنه كان في الإحرام لابسا كساء، توفي (برنبوية) قرية من قرى الري حين توجه الى خراسان مع الرشيد سنة ١٨٩، وراوياه أبو الحارث (ت ٢٤٢) والدوري (ت ٢٤٦).

يقول صاحب الشاطبية:

وأمـا علي فـالكسـائـي نعتـه

لمـا كـان فـي الإحـرام فيـه تسـربـلا

روى ليثهـم عنـه أبـو الحارث الرضـا

وحفـص هـو الدوري وفـي الذكـر قـد خـلا

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة (١٠٢)

قَالَ مُحَمَّدٌ هُوَ ابْنُ الْجَزَرِي ... يَاذَا الْجَلَالِ ارْحَمْهُ وَاسْتُرْ وَاغْفِرِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا يَسَّرَهْ ... مِنْ نَشْرِ مَنْقُولِ حُرُوفِ الْعَشَرَهْ

ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ السَّرْمَدِي ... عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى مُحَمَّدِ

وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَلَا ... كِتَابَ رَبِّنَا عَلَى مَا أُنْزِلَا

وَبَعْدُ: فَالْإِنْسَانُ لَيْسَ يَشْرُفُ ... إِلَّا بِمَا يَحْفَظُهُ وَيَعْرِفُ

لِذَاكَ كَانَ حَامِلُو الْقُرْآنِ ... أَشْرَافَ الْأُمَّةِ أُولِي الْإِحْسَانِ

وَإِنَّهُمْ فِي النَّاسِ أَهْلُ اللَّهِ ... وَإِنَّ رَبَّنَا بِهِمْ يُبَاهِي

وَقَالَ فِي الْقُرْآنِ عَنْهُمْ وَكَفَى ... بِأَنَّهُ أَوْرَثَهُ مَنِ اصْطَفَى

وَهْوَ فِي الْأُخْرَى شَافِعٌ مُشَفَّعُ ... فِيهِ وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ يُسْمَعُ

يُعْطَى بِهِ الْمُلْكَ مَعَ الْخُلْدِ إِذَا ... تَوَّجَهُ تَاجَ الْكَرَامَةِ كَذَا[١٠]

يَقْرَا وَيَرْقَى دَرَجَ الْجِنَانِ ... وَأَبَوَاهُ مِنْهُ يُكْسَيَانِ

فَلْيَحْرِصِ السَّعِيدُ فِي تَحْصِيلِهِ ... وَلَا يَمَلَّ قَطُّ مِنْ تَرْتِيلِهِ

وَلْيَجْتَهِدْ فِيهِ وَفِي تَصْحِيحِهِ ... عَلَى الَّذِي نُقِلَ مِنْ صَحِيحِهِ

فَكُلُّ

فَكُلُّ مَا وَافَقَ وَجْهَ نَحْوِ ... وَكَانَ لِلرَّسْمِ احْتِمَالاً يَحْوِي
وَصَحَّ إِسْنَادًا هُوَ الْقُرْآنُ ... فَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ الْأَرْكَانُ
وَحَيْثُمَا يَخْتَلُّ رُكْنٌ أَثْبِتِ ... شُذُوذَهُ لَوْ أَنَّهُ فِي السَّبْعَةِ
فَكُنْ عَلَى نَهْجِ سَبِيلِ السَّلَفِ ... فِي مُجْمَعٍ عَلَيْهِ أَوْ مُخْتَلَفِ
وَأَصْلُ الِاخْتِلَافِ أَنَّ رَبَّنَا ... أَنْزَلَهُ بِسَبْعَةٍ مُهَوِّنَا
وَقِيلَ فِي الْمُرَادِ مِنْهَا أَوْجُهُ ... وَكَوْنُهُ اخْتِلَافَ لَفْظٍ أَوْجَهُ
قَامَ بِهَا أَئِمَّةُ الْقُرْآنِ ... وَمُحْرِزُو التَّحْقِيقِ وَالْإِتْقَانِ (٢)
وَمِنْهُمُ عَشْرٌ شُمُوسٌ ظَهَرَا ... ضِيَاؤُهُمْ وَفِي الْأَنَامِ انْتَشَرَا
حَتَّى اسْتَمَدَّ نُورُ كُلِّ بَدْرِ ... مِنْهُمْ وَعَنْهُمْ كُلُّ نَجْمٍ دُرِّي
وَهَا هُمُو يَذْكُرُهُمُو بَيَانِي ... كُلُّ إِمَامٍ عَنْهُ رَاوِيَانِ
فَنَافِعٌ بِطَيْبَةٍ قَدْ حَظِيَا ... فَعَنْهُ قَالُونُ وَ وَرْشٌ رَوَيَا
وَ ابْنُ كَثِيرٍ مَكَّةٌ لَهُ بَلَدْ ... بَزٍّ وَ قُنْبُلٌ لَهُ عَلَى سَنَدْ
ثُمَّ أَبُو عَمْرٍو فَيَحْيَى عَنْهُ ... وَنَقَلَ الدُّورِي وَ سُوسٍ مِنْهُ
ثُمَّ ابْنُ عَامِرِ الدِّمَشْقِي بِسَنَدْ ... عَنْهُ هِشَامٌ وَ ابْنُ ذَكْوَانَ وَرَدْ
ثَلَاثَةٌ مِنْ كُوفَةٍ فَعَاصِمُ ... فَعَنْهُ شُعْبَةٌ وَ حَفْصٌ قَائِمُ

وَحَمْزَةٌ

وَحَمْزَةٌ عَنْهُ سُلَيْمٌ فَخَلَفْ ... مِنْهُ وَخَلَّادٌ كِلَاهُمَا اعْتَرَفْ

ثُمَّ الْكِسَائِيُّ الْفَتَى عَلِيُّ ... عَنْهُ أَبُو الْحَارِثِ وَالدُّورِيُّ

ثُمَّ أَبُو جَعْفَرٍ الْحَبْرُ الرِّضَى ... فَعَنْهُ عِيسَى وَابْنُ جَمَّازٍ مَضَى

تَاسِعُهُمْ يَعْقُوبُ وَهْوَ الْحَضْرَمِي ... لَهُ رُوَيْسٌ ثُمَّ رَوْحٌ يَنْتَمِي

وَالْعَاشِرُ الْبَزَّارُ وَهْوَ خَلَفُ ... إِسْحَاقُ مَعْ إِدْرِيسَ عَنْهُ يُعْرَفُ

وَهَذِهِ الرُّوَاةُ عَنْهُمْ طُرُقُ ... أَصَحُّهَا فِي نَشْرِنَا يُحَقَّقُ

بِاثْنَيْنِ فِي اثْنَيْنِ وَإِلَّا أَرْبَعُ ... فَهْيَ زُهَا أَلْفِ طَرِيقٍ تَجْمَعُ

جَعَلْتُ رَمْزَهُمْ عَلَى التَّرْتِيبِ ... مِنْ نَافِعٍ كَذَا إِلَى يَعْقُوبِ

(أَبَجْ دَهَزْ حُطِّي كَلَمْ نَصَعْ فَضَقْ ... رَسَتْ ثَخَذْ ظَغَشْ) عَلَى هَذَا النَّسَقْ

وَالْوَاوُ فَاصِلٌ وَلَا رَمْزَ يَرِدْ ... عَنْ خَلَفٍ لِأَنَّهُ لَمْ يَنْفَرِدْ

وَحَيْثُ جَا رَمْزٌ لِوَرْشٍ فَهْوَا ... لِلْأَزْرَقِ لَدَى الْأُصُولِ يُرْوَى

وَالْأَصْبَهَانِيْ كَقَالُونَ وَإِنْ ... سَمَّيْتُ وَرْشًا فَالطَّرِيقَانِ إِذَنْ

فَمَدَنِيٌّ ثَامِنٌ وَنَافِعُ ... بَصْرِيُّهُمْ ثَالِثُهُمْ وَالتَّاسِعُ

وَخَلَفٌ فِي الْكُوفِ وَالرَّمْزُ كَفَى ... وَهُمْ بِغَيْرِ عَاصِمٍ لَهُمْ شَفَا

وَهُمْ وَحَفْصٌ صَحْبُ ثُمَّ صُحْبَةُ ... مَعْ شُعْبَةٍ وَخَلَفٌ وَشُعْبَةُ

صَفَا

صَفَا وَحَمْزَةٌ وَبَزَّارٌ فَتَى ... حَمْزَةُ مَعْ عَلِيِّهِمْ رِضًى أَتَى

وَخَلَفٌ مَعَ الْكِسَائِيِّ رَوَى ... وَثَامِنٌ مَعْ تَاسِعٍ فَقُلْ ثَوَى

وَمَدَنٍ مَدًا وَبَصْرِيٌّ حِمَا ... وَالْمَدَنِي وَالْمَكِّ وَالْبَصْرِي سَمَا

مَكٍّ وَبَصْرٍ حَقٌّ مَكٍّ مَدَنِي ... حِرْمٌ وَعَمَّ شَامُهُمْ وَالْمَدَنِي

وَحَبْرٌ ثَالِثٌ وَمَكٍّ كَنْزُ ... كُوفٍ وَشَامٍ وَيَجِيءُ الرَّمْزُ

قَبْلُ وَبَعْدُ وَبِلَفْظٍ أَغْنَى ... عَنْ قَيْدِهِ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْمَعْنَى

وَأَكْتَفِي بِضِدِّهَا عَنْ ضِدِّ ... كَالْحَذْفِ وَالْجَزْمِ وَهَمْزٍ مَدِّ

وَمُطْلَقُ التَّحْرِيكِ فَهْوَ فَتْحُ ... وَهْوَ لِلإِسْكَانِ كَذَاكَ الْفَتْحُ

لِلْكَسْرِ وَالنَّصْبُ لِخَفْضٍ إِخْوَةُ ... كَالنُّونِ لِلْيَا وَلِضَمٍّ فَتْحَةُ

كَالرَّفْعِ لِلنَّصْبِ اطَّرِدًا وَأَطْلِقَا ... رَفْعًا وَتَذْكِيرًا وَغَيْبًا حُقِّقَا

وَكُلُّ[1] ذَا اتَّبَعْتُ فِيهِ الشَّاطِبِي ... لِيَسْهُلَ اسْتِحْضَارُ كُلِّ طَالِبِ

وَهٰذِهِ أُرْجُوزَةٌ وَجِيزَهْ ... جَمَعْتُ فِيهَا طُرُقًا عَزِيزَهْ

وَلَا أَقُولُ إِنَّهَا قَدْ فَضَلَتْ ... (حِرْزَ الأَمَانِي) بَلْ بِهِ قَدْ كَمَلَتْ

حَوَتْ لِمَا فِيهِ مَعَ (التَّيْسِيرِ) ... وَضِعْفِ ضِعْفِهِ سِوَى التَّحْرِيرِ

ضَمَّنْتُهَا كِتَابَ (نَشْرِ الْعَشْرِ) ... فَهْيَ بِهِ (طَيِّبَةٌ) فِي النَّشْرِ

(١) هذا البيت غير موجود في نسخة النويري

وَهَا أَنَا

وَهَا أَنَا مُقَدِّمٌ عَلَيْهَا   فَوَائِدًا مُهِمَّةً لَدَيْهَا
كَالْقَوْلِ فِي مَخَارِجِ الْحُرُوفِ   وَكَيْفَ يُتْلَى الذِّكْرُ وَالْوُقُوفِ
(مَخَارِجُ الْحُرُوفِ) سَبْعَةَ عَشَرْ   عَلَى الَّذِي يَخْتَارُهُ مَنِ اخْتَبَرْ
فَالْجَوْفُ لِلْهَاوِي وَأُخْتَيْهِ وَهِي   حُرُوفُ مَدٍّ لِلْهَوَاءِ تَنْتَهِي
وَقُلْ لِأَقْصَى الْحَلْقِ هَمْزٌ هَاءُ   ثُمَّ لِوَسْطِهِ فَعَيْنٌ حَاءُ
أَدْنَاهُ غَيْنٌ خَاؤُهَا وَالْقَافُ   أَقْصَى اللِّسَانِ فَوْقُ ثُمَّ الْكَافُ
أَسْفَلُ وَالْوَسْطُ فَجِيمُ الشِّينُ يَا   وَالضَّادُ مِنْ حَافَتِهِ إِذْ وَلِيَا
لَاضْرَاسَ مِنْ أَيْسَرَ أَوْ يُمْنَاهَا   وَاللَّامُ أَدْنَاهَا لِمُنْتَهَاهَا
وَالنُّونُ مِنْ طَرَفِهِ تَحْتُ اجْعَلُوا   وَالرَّا يُدَانِيهِ لِظَهْرٍ أَدْخَلُ
وَالطَّاءُ وَالدَّالُ وَتَا مِنْهُ وَمِنْ   عُلْيَا الثَّنَايَا وَالصَّفِيرُ مُسْتَكِنْ
مِنْهُ وَمِنْ فَوْقِ الثَّنَايَا السُّفْلَى   وَالظَّاءُ وَالذَّالُ وَثَا لِلْعُلْيَا
مِنْ طَرَفَيْهِمَا وَمِنْ بَطْنِ الشَّفَهْ   فَالْفَا مَعَ اطْرَافِ الثَّنَايَا الْمُشْرِفَهْ
لِلشَّفَتَيْنِ الْوَاوُ بَاءٌ مِيمُ   وَغُنَّةٌ مَخْرَجُهَا الْخَيْشُومُ
(صِفَاتُهَا) جَهْرٌ وَرِخْوٌ مُسْتَفِلْ   مُنْفَتِحٌ مُصْمَتَةٌ وَالضِّدَّ قُلْ
مَهْمُوسُهَا (فَحَثَّهُ شَخْصٌ سَكَتْ)   شَدِيدُهَا لَفْظُ (أَجِدْ قَطٍ بَكَتْ)

وَبَيْنَ

وَبَيْنَ رِخْوٍ وَالشَّدِيدِ (لِنْ عُمَرْ) وَسَبْعُ عُلْوٍ (خُصَّ ضَغْطٍ قِظْ) حَصَرْ

(وَصَادُ ضَادٌ طَاءُ ظَاءٌ) مُطْبَقَهْ وَ(فِرَّ مِنْ لُبِّ) الْحُرُوفُ الْمُذْلَقَهْ

صَفِيرُهَا (صَادٌ وَزَايٌ سِينُ) قَلْقَلَةٌ (قُطْبُ جَدٍ) وَاللِّينُ

(وَاوٌ وَيَاءٌ) سَكَنَا وَانْفَتَحَا قَبْلَهُمَا وَالانْحِرَافُ صُحِّحَا

فِي (اللَّامِ وَالرَّا) وَبِتَكْرِيرٍ جُعِلْ وَلِلتَّفَشِّي (الشِّينُ) (ضَادًا) اسْتَطِلْ

(وَيُقْرَأُ الْقُرْآنُ) بِالتَّحْقِيقِ مَعْ حَدْرٍ وَتَدْوِيرٍ وَكُلٌّ مُتَّبَعْ

مَعْ حُسْنِ صَوْتٍ بِلُحُونِ الْعَرَبِ مُرَتَّلًا مُجَوَّدًا بِالْعَرَبِي

وَالأَخْذُ بِالتَّجْوِيدِ حَتْمٌ لَازِمُ مَنْ لَمْ يُجَوِّدِ الْقُرَآنَ آثِمُ

لِأَنَّهُ بِهِ الْإِلَٰهُ أَنْزَلَا وَهَٰكَذَا عَنْهُ إِلَيْنَا وَصَلَا

[وَهُوَ إِعْطَاءُ الْحُرُوفِ حَقَّهَا مِنْ صِفَةٍ لَهَا وَمُسْتَحَقَّهَا

مُكَمَّلًا مِنْ غَيْرِ مَا تَكَلُّفِ بِاللُّطْفِ فِي النُّطْقِ بِلَا تَعَسُّفِ] (١)

فَرَقِّقَنْ مُسْتَفِلًا مِنْ أَحْرُفِ وَحَاذِرَنْ تَفْخِيمَ لَفْظِ الْأَلِفِ

كَهَمْزِ أَلْحَمْدُ أَعُوذُ إِهْدِنَا أَللَّهُ ثُمَّ لَامِ لِلَّهِ لَنَا

وَلْيَتَلَطَّفْ وَعَلَى اللهِ وَلَا الضْ وَالْمِيمِ مِنْ مَخْمَصَةٍ وَمِنْ مَرَضْ

وَبَاءِ بِسْمِ بَاطِلٍ وَبَرْقُ وَحَاءِ حَصْحَصَ أَحَطْتُ الْحَقُّ

وَبَيْنَ

(١) هذان البيتان ساقطان من أكثر النسخ وعلى ذكرهما شرح ابن الناظم والترمسي

وَبَيِّنِ الإِطْبَاقَ مِنْ أَحَطتُ مَعْ	بَسَطْتَ وَالخُلْفُ بِنَخْلُقكُّمْ وَقَعْ
وَأَظْهِرِ الغُنَّةَ مِنْ نُونٍ وَمِنْ	مِيمٍ إِذَا مَا شُدِّدَا وَأَخْفِيَنْ
أَلْمِيمَ إِنْ تَسْكُنْ بِغُنَّةٍ لَدَى	بَاءٍ عَلَى المُخْتَارِ مِنْ أَهْلِ الأَدَا
وَأَظْهِرَنْهَا عِنْدَ بَاقِي الأَحْرُفِ	وَاحْذَرْ لَدَى وَاوٍ وَفَا أَنْ تَخْتَفِي
وَأَوَّلَيْ مِثْلٍ وَجِنْسٍ إِنْ سَكَنْ	أَدْغِمْ كَقُلْ رَبِّ وَبَل لاَّ وَأَبِنْ
سَبِّحْهُ فَاصْفَحْ عَنْهُمُ قَالُوا وَهُمْ	فِي يَوْمِ لاَ تُزِغْ قُلُوبَ قُلْ نَعَمْ
وَبَعْدَ مَا تُحْسِنُ أَنْ تُجَوِّدَا	لاَبُدَّ أَنْ تَعْرِفَ وَقْفًا وَابْتِدَا
فَاللَّفْظُ إِنْ تَمَّ وَلاَ تَعَلُّقَا	تَامٌّ وَكَافٍ إِنْ بِمَعْنًى عُلِّقَا
قِفْ وَابْتَدِئْ وَإِنْ بِلَفْظٍ فَحَسَنْ	فَقِفْ وَلاَ تَبْدَا سِوَى الآيِ يُسَنْ
وَغَيْرُ مَا تَمَّ قَبِيحٌ وَلَهُ	يُوقَفُ مُضْطَرًّا وَيُبْدَا قَبْلَهُ
وَلَيْسَ فِي القُرْآنِ مِنْ وَقْفٍ وَجَبْ	وَلاَ حَرَامٍ غَيْرَ مَا لَهُ سَبَبْ
وَفِيهِمَا رِعَايَةُ الرَّسْمِ اشْتُرِطْ	وَالْقَطْعُ كَالوَقْفِ وَبِالآيِ شُرِطْ
وَالسَّكْتُ مِنْ دُونِ تَنَفُّسٍ وَخُصّ	بِذِي اتِّصَالٍ وَانْفِصَالٍ حَيْثُ نُصّ
وَالآنَ حِينَ الأَخْذِ فِي المُرَادِ	وَاللَّهُ حَسْبِي وَهُوَ اعْتِمَادِي

بَابُ الاسْتِعَاذَةِ

بَابُ الاِسْتِعَاذَةِ ٤

وَقُلْ أَعُوذُ إِنْ أَرَدتَّ تَقْرَا ... كَالنَّحْلِ جَهْرًا لِجَمِيعِ الْقُرَّا
وَإِنْ تُغَيِّرْ أَوْ تَزِدْ لَفْظًا فَلَا ... تَعْدُ الَّذِي قَدْ صَحَّ مِمَّا نُقِلَا
وَقِيلَ يُخْفِي حَمْزَةٌ حَيْثُ تَلَا ... وَقِيلَ لَا فَاتِحَةٌ وَعُلِّلَا
وَقِفْ لَهُمْ عَلَيْهِ أَوْ صِلْ وَاسْتُحِبْ ... تَعَوُّذٌ وَقَالَ بَعْضُهُمْ يَجِبْ

بَابُ الْبَسْمَلَةِ ٥

بَسْمَلَ بَيْنَ السُّورَتَيْنِ بِي نَصِفْ ... دُمْ ثِقْ رَجَا وَصِلْ فَشَا وَعَنْ خَلَفْ
فَاسْكُتْ فَصِلْ وَالْخُلْفُ كَمْ حِمًا جَلَا ... وَاخْتِيرَ لِلسَّاكِتِ فِي وَيْلٌ وَلَا
بَسْمَلَةٌ وَالسَّكْتُ عَمَّنْ وَصَلَا ... وَفِي ابْتِدَا السُّورَةِ كُلٌّ بَسْمَلَا
سِوَى بَرَاءَةٍ فَلَا وَلَوْ وُصِلْ ... وَوَسَطًا خَيِّرْ وَفِيهَا يَحْتَمِلْ (١١٠)
وَإِنْ وَصَلْتَهَا بِآخِرِ السُّوَرْ ... فَلَا تَقِفْ وَغَيْرُهُ لَا يُحْتَجَرْ

سُورَةُ أُمِّ الْقُرْآنِ ١٠

مَالِكِ نَلْ ظِلًّا رَوَى السِّرَاطَ مَعْ ... سِرَاطَ زِنْ خُلْفًا غَلَا كَيْفَ وَقَعْ
وَالصَّادُ كَالزَّايِ ضَفَا الْأَوَّلُ قِفْ ... وَفِيهِ وَالثَّانِي وَذِي اللَّامِ اخْتُلِفْ
وَبَابُ أَصْدَقُ شَفَا وَالْخُلْفُ غَرْ ... يُصْدِرَ غِثْ شَفَا الْمُصَيْطِرُونَ ضَرْ

قِ الْخُلْفَ

قِ الْخُلْفَ مَعْ مُصَيْطِرٍ وَالسِّينُ لِي ... وَفِيهِمَا الْخُلْفُ زَكِيٌّ عَنْ مَلِي

عَلَيْهِمُو إِلَيْهِمُو لَدَيْهِمُو ... بِضَمِّ كَسْرِ الْهَاءِ ظَبْيٌ فَهِمُ

وَبَعْدَ يَاءٍ سَكَنَتْ لَا مُفْرَدَا ... ظَاهِرْ وَإِنْ تَزُلْ كَيُخْزِهِمْ غَدَا

وَخُلْفُ يُلْهِهِمْ قِهِمْ وَيُغْنِهِمْ ... عَنْهُ وَلَا يَضُمُّ مَنْ يُوَلِّهِمْ

وَضَمَّ مِيمَ الْجَمْعِ صِلْ ثَبْتٌ دَرَا ... قَبْلَ مُحَرَّكٍ وَبِالْخُلْفِ بَرَا

وَقَبْلَ هَمْزِ الْقَطْعِ وَرْشٌ وَاكْسِرُوا ... قَبْلَ السُّكُونِ بَعْدَ كَسْرٍ حَرَّرُوا (١٢٠)

وَصْلًا وَبَاقِيهِمْ بِضَمٍّ وَشَفَا ... مَعْ مِيمِ الْهَاءِ وَأَتْبِعْ ظُرَفَا

بَابُ الْإِدْغَامِ الْكَبِيرِ (٢٩)

إِذَا الْتَقَى خَطًّا مُحَرَّكَانِ ... مِثْلَانِ جِنْسَانِ مُقَارِبَانِ

أَدْغِمْ بِخُلْفِ الدُّورِ وَالسُّوسِي مَعَا ... لَكِنْ بِوَجْهِ الْهَمْزِ وَالْمَدِّ امْنَعَا

فَكِلْمَةً مِثْلَيْ مَنَاسِكَكُمْ وَمَا ... سَلَكَكُمْ وَكِلْمَتَيْنِ عَمِّمَا

مَا لَمْ يُنَوَّنْ أَوْ يَكُنْ تَا مُضْمَرِ ... وَلَا مُشَدَّدًا وَفِي الْجَزْمِ انْظُرِ

فَإِنْ تَمَاثَلَا فَفِيهِ خُلْفُ ... وَإِنْ تَقَارَبَا فَفِيهِ ضُعْفُ

وَالْخُلْفُ فِي وَاوِ هُوَ الْمَضْمُومِ هَا ... وَآلَ لُوطٍ جِئْتِ شَيْئًا كَافَ هَا

كَاللَّاءِ لَا يَحْزُنْكَ فَامْنَعْ وَكَلِمْ ... (رُضْ سَنَشُدُّ حُجَّتَكْ بَذْلُ قُثَمْ) تُدْغَمْ

تُدْغَمُ فِي جِنْسٍ وَقُرْبٍ فُصِّلاَ ... فَالرَّاءُ فِي اللاَّمِ وَهِي فِي الرَّاءِ لاَ

إِنْ فُتِحَا عَنْ سَاكِنٍ لاَ قَالَ ثُمّْ ... لاَ عَنْ سُكُونٍ فِيهِمَا النُّونُ ادُّغِمْ

وَنَحْنُ أَدْغِمْ ضَادَ بَعْضِ شَأْنِ نُصّْ ... سِينُ النُّفُوسِ الرَّاسُ بِالْخُلْفِ يُخَصّْ

مَعْ شِينِ عَرْشِ الدَّالُ فِي عَشْرٍ سَنَا ... ذَا ضِقْ تَرَى شِدْ ثِقْ ظُبًا زِدْ صِفْ جَنَا

إِلاَّ بِفَتْحٍ عَنْ سُكُونٍ غَيْرَ تَا ... وَالتَّاءُ فِي الْعَشْرِ وَفِي الطَّا ثَبَتَا

وَالْخُلْفُ فِي الزَّكَاةَ وَالتَّوْرَاةَ حَلّْ ... وَلْتَأْتِ آتِ وَلِثَا الْخَمْسُ الْأُوَلْ

وَالْكَافُ فِي الْقَافِ وَهِي فِيهَا وَإِنْ ... بِكِلْمَةٍ فَمِيمُ جَمْعٍ وَاشْرُطَنْ

فِيهِنَّ عَنْ مُحَرَّكٍ وَالْخُلْفُ فِي ... طَلَّقَكُنَّ وَلِحَا زُحْزِحَ فِي

وَالذَّالُ فِي سِينٍ وَصَادِ الْجِيمُ صَحّْ ... مِنْ ذِي الْمَعَارِجِ وَشَطْأَهُ رَجَحْ

وَالْبَاءُ فِي مِيمِ يُعَذِّبْ مَنْ فَقَطْ ... وَالْحَرْفُ بِالصِّفَةِ إِنْ يُدْغَمْ سَقَطْ

وَالْمِيمُ عِنْدَ الْبَاءِ عَنْ مُحَرَّكِ ... تُخْفَى وَأَشْمِمَنْ وَرُمْ أَوِ اتْرُكِ

فِي غَيْرِ بَا وَالْمِيمِ مَعْهُمَا وَعَنْ ... بَعْضٍ بِغَيْرِ الْفَا وَمُعْتَلٌّ سَكَنْ

قَبْلُ امْدُدَنْ وَاقْصُرْهُ وَالصَّحِيحُ قَلّْ ... إِدْغَامُهُ لِلْعُسْرِ وَالْإِخْفَا أَجَلّْ

وَافَقَ فِي إِدْغَامِ صَفًّا زَجْرًا ... ذِكْرًا وَذَرْوًا فِدْ وَذِكْرًا الْأُخْرَى

صُبْحًا قِرًا خُلْفٍ وَبَا وَالصَّاحِبِ ... بِكَ تَمَارَى ظَنَّ أَنْسَابَ غَبِي

ثُمَّ

ثُمَّ تَفَكَّرُوا نُسَبِّحَكَ كِلَا   بَعْدُ وَرَجِّحْ لَذَهَبْ وَقِبَلَا
جَعَلَ نَحْلٍ أَنَّهُ النَّجْمِ مَعَا   وَخُلْفُ الْأَوَّلَيْنِ مَعْ لِتُصْنَعَا
مُبَدِّلَ الْكَهْفِ وَبَا الْكِتَابَا   بِأَيْدِ بِالْحَقِّ وَإِنْ عَذَابَا
وَالْكَافُ فِي كَانُوا وَكَلَّا أَنْزَلَا   لَكُمْ تَمَثَّلْ مِنْ جَهَنَّمْ جَعَلَا
شُورَىٰ وَعَنْهُ الْبَعْضُ فِيهَا أَسْجَلَا   وَقِيلَ عَنْ يَعْقُوبَ مَا الْإِبْنُ الْعَلَا
بَيَّتَ حُزْ فُزْ تَعِدَانِنِي لُطْفُ   وَفِي تُمِدُّونَنِ فَضْلُهُ ظَرُفُ
مَكَّنِّ غَيْرُ الْمَكِّ تَأْمَنَّا أَشِمْ   وَرُمْ لِكُلِّهِمْ وَبِالْمَحْضِ ثَرِمْ (١٥٠)

بَابُ هَاءِ الْكِنَايَةِ (١١)

صِلْ هَا الضَّمِيرِ عَنْ سُكُونٍ قَبْلَ مَا   حَرِّكْ دِنْ فِيهِ مُهَانًا عَنْ دُمَا
سَكِّنْ يُؤَدِّهِ نُصْلِهِ نُؤْتِهِ نُوَلِّ   صِفْ لِي ثَنَا خُلْفُهُمَا فِنَاهُ حَلْ
وَهُمْ وَحَفْصٌ أَلْقِهِ اقْصُرْهُنَّ كَمْ   خُلْفُ ظُبًى بِنْ ثِقْ وَيَتَّقِهْ ظُلَمْ
بَلْ عُدْ وَخُلْفًا كَمْ ذَكَا وَسَكِّنَا   خَفْ لَوْمَ قَوْمٍ خُلْفُهُمْ صَعْبٌ حَنَا
وَالْقَافُ عُدْ يَرْضَهُ يَفِي وَالْخُلْفُ لَا   صُنْ ذَا طُوَى اقْصُرْ فِي ظُبًى لُذْ نَلْ أَلَا
وَالْخُلْفُ خُلْ مِزْ يَأْتِهِ الْخُلْفُ بَرَهْ   خُذْ غِثْ سُكُونُ الْخُلْفِ يَا وَلَمْ يَرَهْ
لِي الْخُلْفُ زُلْزِلَتْ خَلَا الْخُلْفُ لِمَا   وَاقْصُرْ بِخُلْفِ السُّورَتَيْنِ خَفْ ظَمَا

بِيَدِهِ

بِيَدِهِ غِثْ تُرْزَقَانِهِ اخْتُلِفْ ... بِنْ خُذْ عَلَيْهِ اللهَ أَنْسَانِيهِ عِفْ

بِضَمِّ كَسْرٍ أَهْلِهِ امْكُثُوا فِدَا ... وَالاَصْبَهَانِي بِهِ انْظُرْ جَوِّدَا

وَهَمْزُ أَرْجِئْهُ كَسَا حَقًّا وَهَا ... فَاقْصُرْ حِمًا بِنْ مِلْ وَخُلْفُ خُذْ لَهَا

وَاسْكِنْ فُزْ نَلْ وَضُمَّ الْكَسْرَ لِي ... حَقٌّ وَعَنْ شُعْبَةَ كَالْبَصْرِ انْقُلِ

بَابُ الْمَدِّ وَالْقَصْرِ (١٣)

إِنْ حَرْفُ مَدٍّ قَبْلَ هَمْزٍ طَوِّلاَ ... جُدْ فِدْ وَمِزْ خُلْفًا وَعَنْ بَاقِي الْمَلاَ

وَسِّطْ وَقِيلَ دُونَهُمْ نَلْ ثُمَّ كُلْ ... رَوَى فَبَاقِيهِمْ أَوَاشْبِعْ مَا اتَّصَلْ

لِلْكُلِّ عَنْ بَعْضٍ وَقَصْرُ الْمُنْفَصِلْ ... بِنْ لِي حِمًا عَنْ خُلْفِهِمْ دَاعٍ ثَمِلْ

وَالْبَعْضُ لِلتَّعْظِيمِ عَنْ ذِي الْقَصْرِ مَدْ ... وَأَزْرَقٌ إِنْ بَعْدَ هَمْزٍ حَرْفُ مَدْ

مُدَّ لَهُ وَاقْصُرْ وَوَسِّطْ كَنَأَى ... فَالآنَ أُوتُوا إِيِ ءَامَنْتُمْ رَأَى

لاَ عَنْ مُنَوَّنٍ وَلاَ السَّاكِنِ صَحْ ... بِكِلْمَةٍ أَوْ هَمْزِ وَصْلٍ فِي الأَصَحْ

وَامْنَعْ يُؤَاخِذْ وَبِعَادًا الأُولَى ... خُلْفٌ وَآلآنَ وَإِسْرَائِيلاَ

وَحَرْفَيِ اللِّينِ قُبَيْلَ هَمْزَةِ ... عَنْهُ امْدُدَنْ وَوَسِّطَنْ بِكِلْمَةِ

لاَ مَوْئِلاً مَوْءُودَةٌ وَالْبَعْضُ قَدْ ... قَصَّرَ سَوْءَاتٍ وَبَعْضٌ خَصَّ مَدْ

شَيْءٍ لَهُ مَعْ حَمْزَةٍ وَالْبَعْضُ مَدْ ... لِحَمْزَةٍ فِي نَفْيِ لاَ كَلاَ مَرَدْ

وَأَشْبِعْ

وَأَشْبِعِ الْمَدَّ لِسَاكِنٍ لَزِمْ ... وَنَحْوُ عَيْنٍ فَالثَّلاَثَةُ لَهُمْ
كَسَاكِنِ الْوَقْفِ وَفِي اللِّينِ يَقِلْ ... طُولٌ وَأَقْوَى السَّبَبَيْنِ يَسْتَقِلْ
وَالْمَدُّ أَوْلَى إِنْ تَغَيَّرَ السَّبَبْ ... وَبَقِيَ الأَثَرُ أَوْ فَاقْصُرْ أَحَبْ

بَابُ الْهَمْزَتَيْنِ مِنْ كَلِمَةٍ (٢٢)

ثَانِيهِمَا سَهِّلْ غِنًى حِرْمٍ حَلاَ ... وَخُلْفُ ذِي الْفَتْحِ لَوًى أَبْدِلْ جَلاَ
خُلْفًا وَغَيْرُ الْمَكِّ أَنْ يُؤْتَى أَحَدْ ... يُخْبِرُ أَنْ كَانَ رَوَى أَعْلَمْ حَبْرٌ عَدْ
وَحُقِّقَتْ شَمٌّ فِي صَبًا وَأَعْجَمِي ... حَمٌّ شِدْ صُحْبَةٌ أَخْبِرْ زِدْ لِمِ
غُصْ خُلْفُهُمْ أَذْهَبْتُمُ اتْلُ حُزْ كَفَى ... وَدِنْ ثَنَا إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفَا
وَآئِذَا مَا مُتُّ بِالْخُلْفِ مَتَى ... إِنَّا لَمُغْرَمُونَ غَيْرُ شُعْبَتَا
أَئِنَّكُمْ لَأَعْرَافَ عَنْ مَدًا أَئِنْ ... لَنَا بِهَا حِرْمٌ عَلاَ وَالْخُلْفُ زِنْ (١٨٠)
آمَنْتُمُو طَهَ وَفِي الثَّلاَثِ عَنْ ... حَفْصٍ رُوَيْسٍ الأَصْبَهَانِي أَخْبِرَنْ
وَحَقَّقَ الثَّلاَثَ لِي الْخُلْفُ شَفَا ... صِفْ شَمْ ءَآلِهَتُنَا شَهْدٌ كَفَا
وَالْمُلْكَ وَالأَعْرَافَ الأُولَى أَبْدِلاَ ... فِي الْوَصْلِ وَاوًا زُرْ وَثَانٍ سَهَّلاَ
بِخُلْفِهِ أَئِنَّ الأَنْعَامَ اخْتُلِفْ ... غَوْثٌ أَئِنَّ فُصِّلَتْ خُلْفٌ لُطِفْ
أَأَسْجُدُ الْخِلاَفُ مِزْ وَأَخْبِرَا ... بِنَحْوِ ءَائِذَا أَئِنَّا كُرِّرَا

أَوَّلُهُ

أَوَّلُهُ ثَبْتُ كَمَا الثَّانِي رُدِ ... إِذْ ظَهَرُوا وَالنَّمْلُ مَعْ نُونٍ زِدِ

رُضْ كِسْ وَأُولَاهَا مَدًا وَالسَّاهِرَهْ ... ثَنَا وَثَانِيهَا ظُبًى إِذْ رُمْ كَرَهْ

وَأَوَّلَ الْأَوَّلِ مِنْ ذِبْحٍ كَوَى ... ثَانِيهِ مَعْ وَقَعَتْ رُدْ إِذْ ثَوَى

وَالْكُلُّ أُولَاهَا وَثَانِي الْعَنْكَبَا ... مُسْتَفْهِمُ الْأَوَّلَ صُحْبَةٌ حَبَا

وَالْمَدُّ قَبْلَ الْفَتْحِ وَالْكَسْرِ حَجَرْ ... بِنْ ثِقْ لَهُ الْخُلْفُ وَقَبْلَ الضَّمِّ ثَرْ ١٩٠

وَالْخُلْفُ حُزْ بِي لُذْ وَعَنْهُ أَوَّلَا ... كَشُعْبَةٍ وَغَيْرُهُ امْدُدْ سَهِّلَا

وَهَمْزَ وَصْلٍ مِنْ كَآللَّهُ أَذِنْ ... أَبْدِلْ لِكُلٍّ أَوْ فَسَهِّلْ وَاقْصُرَنْ

كَذَا بِهِ السِّحْرُ ثَنَا حُزْ وَالْبَدَلْ ... وَالْفَصْلُ مِنْ نَحْوِ ءَآمَنْتُمْ خَطَلْ

أَئِمَّةً سَهِّلْ أَوَ ابْدِلْ حُطْ غِنَا ... حِرْمٍ وَمَدٌّ لَاحَ بِالْخُلْفِ ثَنَا

مُسَهِّلًا وَالْأَصْبَهَانِي بِالْقَصَصْ ... فِي الثَّانِ وَالسَّجْدَةِ مَعْهُ الْمَدُّ نَصْ

أَنْ كَانَ أَعْجَمِيُّ خُلْفٌ مُلِيَا ... وَالْكُلُّ مُبْدِلٌ كَآسَبِ أُوتِيَا

بَابُ الْهَمْزَتَيْنِ مِنْ كَلِمَتَيْنِ ⑥

أَسْقَطَ الْأُولَى فِي اتِّفَاقٍ زِنْ غَدَا ... خُلْفُهُمَا حُزْ وَبِفَتْحٍ بِنْ هُدَى

وَسَهَّلَا فِي الْكَسْرِ وَالضَّمِّ وَفِي ... بِالسُّوءِ وَالنَّبِيءِ الِادْغَامُ اصْطُفِي

وَسَهَّلَ الْأُخْرَى رُوَيْسٌ قُنْبُلُ ... وَرْشٌ وَثَامِنٌ وَقِيلَ تُبْدَلُ

مدًّا

مَدًّا زَكَا جُودًا وَعَنْهُ هَؤُلاَ ... إِنْ وَالْبِغَا إِنْ كَسْرَ يَاءٍ أَبْدِلاَ
وَعِنْدَ الاِخْتِلاَفِ الأُخْرَى سَهِّلَنْ ... حِرْمٌ حَوَى غِنًا وَمِثْلُ السُّوءُ إِنْ
فَالْوَاوُ أَوْ كَالْيَا وَكَالسَّمَاءِ أَوْ ... تَشَاءُ أَنْتَ فَبِالإِبْدَالِ وَعَوْا

بَابُ الْهَمْزِ الْمُفْرَدِ (٢٦)

وَكُلُّ هَمْزٍ سَاكِنٍ أَبْدِلْ حُذَا ... خُلْفٍ سِوَى ذِي الْجَزْمِ وَالأَمْرِ كَذَا
مُؤْصَدَةٌ رِئْيًا وَتُؤْوِي وَلِفَا ... فِعْلٍ سِوَى الإِيوَاءِ الأَزْرَقُ اقْتَفَى
وَالأَصْبَهَانِي مُطْلَقًا لاَ كَاسُ ... وَلُؤْلُؤًا وَالرَّأْسُ رِئْيًا بَاسُ
تُؤْوِي وَمَا يَجِيءُ مِنْ نَبَّأْتُ ... هَيِّئْ وَجِئْتُ وَكَذَا قَرَأْتُ
وَالْكُلَّ ثِقْ مَعْ خُلْفِ نَبِّئْنَا وَلَنْ ... يُبْدَلَ أَنْبِئْهُمْ وَنَبِّئْهُمْ إِذَنْ
وَافَقَ فِي مُؤْتَفِكٍ بِالْخُلْفِ بَرْ ... وَالذِّئْبُ جَانِيهِ رَوَى اللُّؤْلُؤْ صَرْ
وَبِئْسَ بِئْرٍ جُدْ وَرُؤْيَا فَادَّغِمْ ... كُلاًّ ثَنَا رِئْيًا بِهِ ثَاوٍ مُلِمْ
مُؤْصَدَةٌ بِالْهَمْزِ عَنْ فَتًى حِمَا ... ضِئْزَى دَرَى يَأْجُوجَ مَأْجُوجَ نَمَا
وَالْفَاءَ مِنْ نَحْوِ يُؤَدِّهْ أَبْدِلُوا ... جُدْ ثِقْ يُؤَيِّدْ خُلْفُ خُذْ وَيُبْدَلُ
لِلأَصْبَهَانِي مَعْ فُؤَادٍ إِلاَّ ... مُؤَذِّنٌ وَأَزْرَقٌ لِيَلاَّ
وَشَانِئَكْ قُرِي نُبُوِّي اسْتُهْزِئَا ... بَابُ مِائَهْ فِئَهْ وَخَاطِئَهْ رِئَا
يُبَطِّئَنْ

يُبَطِّئَنْ ثُبْ وَخِلَافُ مَوْطِيَا ... وَالاَصْبَهَانِي وَهُوَ قَالاخَاسِيَا

مُلِي وَنَاشِيَهْ وَزَادَ فَبِأَيْ ... بِالْفَا بِلاَخُلْفٍ وَخُلْفُهُ بِأَيْ

وَعَنْهُ سَهِّلِ اطْمَأَنَّ وَكَأَنْ ... أُخْرَى فَأَنْتَ فَأْمَنْ لأَمْلأَنْ

أَصْفَا رَأَيْتُهُمْ رَآهَا بِالْقَصَصْ ... لَمَّا رَأَتْهُ وَرَآهُ النَّمْلَ خُصْ

رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُ رَأَيْتُ يُوسُفَا ... تَأَذَّنَ الأَعْرَافَ بَعْدُ اخْتَلَفَا

وَالْبَزِّ بِالْخُلْفِ لأَعْنَتَ وَفِي ... كَائِنْ وَإِسْرَائِيلَ ثَبْتٌ وَاحْذِفِ

كَمُتَّكُونَ اسْتَهْزِءُوا يُطْفُوا ثَمَدْ ... صَابُونَ صَابِينَ مَدًا مُنْشُونَ خَدْ

خُلْفًا وَمُتَّكِينَ مُسْتَهْزِينَ ثَلْ ... وَمُتَّكًا تَطَوْا يَطُوا خَاطِينَ وَلْ

أَرَيْتَ كُلاًّ رُمْ وَسَهِّلْهَا مَدَا ... هَا أَنْتُمُ حَازَ مَدًا أَبْدِلْ جُدَا

بِالْخُلْفِ فِيهِمَا وَيَحْذِفُ الأَلِفْ ... وَرْشٌ وَقُنْبُلٌ وَعَنْهُمَا اخْتُلِفْ

وَحَذْفُ يَا اللاَّئِي سَمَا وَسَهَّلُوا ... غَيْرَ ظُبىً بِهِ زَكَا وَالْبَدَلُ

سَاكِنَةَ الْيَا خُلْفُ هَادِيهِ حَسَبْ ... وَبَابَ يَيْأَسِ اقْلِبَ ابْدِلْ خُلْفُ هَبْ

هَيْئَةَ أَدْغِمْ مَعْ بَرِي مَرِي هَنِي ... خُلْفُ ثَنَا النَّسِيءُ ثُمْرُهُ جَنِي

جُزًّا ثَنَا وَاهْمِزْ يُضَاهُونَ نَدَى ... بَابَ النَّبِيِّ وَالنُّبُوَّةِ الْهُدَى

ضِيَاءَ زِنْ مُرْجَوْنَ تُرْجِي حَقُّ صُمْ ... كَسَا الْبَرِيَّةِ أَتْلُ مِزْ بَادِي حُمْ

بَابُ نَقْلِ

بَابُ نَقْلِ حَرَكَةِ الْهَمْزَةِ إِلَى السَّاكِنِ قَبْلَهَا (٦)

وَانْقُلْ إِلَى الْآخِرِ غَيْرِ حَرْفِ مَدّْ ... لِوَرْشٍ الَّا هَا كِتَابِيَهْ أَسَدْ

وَافَقَ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ غُرٌّ وَاخْتُلِفْ ... فِي الْآنَ خُذْ وَيُونُسٍ بِهِ خَطِفْ

وَعَادًا الْأُولَى فَعَادًا لُّولَى ... مَدًا حِمَاهُ مُدْغَمًا مَنْقُولَا

وَخُلْفُ هَمْزِ الْوَاوِ فِي النَّقْلِ بَسَمْ ... وَابْدَا لِغَيْرِ وَرْشٍ بِالْأَصْلِ أَتَمْ

وَابْدَأْ بِهَمْزِ الْوَصْلِ فِي النَّقْلِ أَجَلْ ... وَانْقُلْ مَدًا رِدًا وَثَبِّتْ الْبَدَلْ

وَمِلْءُ الْاصْبَهَانِي مَعْ عِيسَى اخْتُلِفْ ... وَسَلْ رَوَى دُمْ كَيْفَ جَا الْقُرْآنُ دِفْ

بَابُ السَّكْتِ عَلَى السَّاكِنِ قَبْلَ الْهَمْزِ وَغَيْرِهِ (٥)

وَالسَّكْتُ عَنْ حَمْزَةَ فِي شَيْءٍ وَأَلْ ... وَالْبَعْضُ مَعْهُمَا لَهُ فِيمَا انْفَصَلْ

وَالْبَعْضُ مُطْلَقًا وَقِيلَ بَعْدَ مَدّْ ... أَوْ لَيْسَ عَنْ خَلَّادٍ السَّكْتُ اطَّرَدْ

قِيلَ وَلَا عَنْ حَمْزَةٍ وَالْخُلْفُ عَنْ ... إِدْرِيسَ غَيْرَ الْمَدِّ أَطْلِقْ وَاخْصُصَنْ

وَقِيلَ حَفْصٌ وَابْنُ ذَكْوَانَ وَفِي ... هِجَا الْفَوَاتِحِ كَطٰهٰ ثُقِّفِ

وَأَلِفَيْ مَرْقَدِنَا وَعِوَجَا ... بَلْ رَّانَ مَنْ رَّاقِ لِحَفْصٍ الْخُلْفُ جَا

بَابُ وَقْفِ حَمْزَةَ وَهِشَامٍ عَلَى الْهَمْزِ (١٤)

إِذَا اعْتَمَدْتَ الْوَقْفَ خَفِّفْ هَمْزَهُ ... تَوَسُّطًا أَوْ طَرَفًا لِحَمْزَهْ

فَإِنْ

فَإِنْ يُسَكَّنْ بِالَّذِي قَبْلُ ابْدِلِ   وَإِنْ يُحَرَّكْ عَنْ سُكُونٍ فَانْقُلِ
إِلَّا مُوَسَّطًا أَتَى بَعْدَ أَلِفْ   سَهِّلْ وَمِثْلَهُ فَأَبْدِلْ فِي الطَّرَفْ
وَالْوَاوُ وَالْيَا إِنْ يُزَادَا أَدْغِمَا   وَالْبَعْضُ فِي الْأَصْلِيِّ أَيْضًا أَدْغَمَا
وَبَعْدَ كَسْرَةٍ وَضَمٍّ أَبْدِلَا   إِنْ فُتِحَتْ يَاءً وَوَاوًا مُسْجَلَا
وَغَيْرُ هَذَا بَيْنَ بَيْنَ وَنُقِلْ   يَاءٌ كَيُطْفِئُوا وَوَاوٌ كَسُئِلْ
وَالْهَمْزُ الَاوَّلُ إِذَا مَا اتَّصَلَا   رَسْمًا فَعَنْ جُمْهُورِهِمْ قَدْ سُهِّلَا
أَوْ يَنْفَصِلْ كَاسْعَوْا إِلَى قُلْ إِنْ رَجَحْ   لَامِيمَ جَمْعٍ وَبِغَيْرِ ذَاكَ صَحْ
وَعَنْهُ تَسْهِيلٌ كَخَطِّ الْمُصْحَفِ   فَنَحْوُ مُنْشُونَ مَعَ الضَّمِّ احْذِفِ
وَأَلِفُ النَّشْأَةَ مَعْ وَاوِ كُفَا   هُزُؤًا وَيَعْبَؤُا الْبَلَؤُا الضُّعَفَا
وَيَاءُ مِنْ آنَا نَبَا آلْ وَرِيَا   تُدْغَمُ مَعْ تُؤْوِي وَقِيلَ رُؤْيَا (٢٥٠)
وَبَيْنَ بَيْنَ إِنْ يُوَافِقْ وَاتْرُكِ   مَا شَذَّ وَاكْسِرْ (هَا) كَأَنْبِئْهُمْ حُكِي
وَأَشْمِمَنْ وَرُمْ بِغَيْرِ الْمُبْدَلِ   مَدًّا وَآخِرًا بِرَوْمٍ سَهِّلِ
بَعْدَ مُحَرَّكٍ كَذَا بَعْدَ أَلِفْ   وَمِثْلُهُ خُلْفُ هِشَامٍ (هشام) فِي الطَّرَفْ

بَابُ الْإِدْغَامِ الصَّغِيرِ (فَصْلُ ذَالِ إِذْ) ②

إِذْ فِي الصَّفِيرِ وَتَجِدْ أَدْغِمْ (ح) حَلَا   لِي وَبِغَيْرِ الْجِيمِ (ق) قَاضٍ (ر) رَتَّلَا
وَالْخُلْفُ

وَالْخُلْفُ فِي الذَّالِ مُصِيبُ وَفَقَى قَدْ وَصَلَ الْإِدْغَامَ فِي دَالٍ وَتَا

فَصْلُ دَالِ قَدْ ③

بِالْجِيمِ وَالصَّفِيرِ وَالذَّالِ ادْغِمْ قَدْ وَبِضَادِ الشِّينِ وَالظَّا تَنْعَجِمْ

حُكْمٌ شَفَا لَفْظًا وَخُلْفُ ظَلَمَكْ لَهُ وَوَرْشُ الظَّاءَ وَالضَّادَ مَلَكْ

وَالضَّادُ وَالظَّا الذَّالُ فِيهَا وَافَقَا مَاضٍ وَخُلْفُهُ بِزَايٍ وُثِّقَا

فَصْلُ تَاءِ التَّأْنِيثِ ③

وَتَاءُ تَأْنِيثٍ بِجِيمِ الظَّا وَثَا مَعَ الصَّفِيرِ ادْغِمْ رِضًى حُزْ وَجَثَا

بِالظَّا وَبَزَّارُ بِغَيْرِ الثَّا وَكَمْ بِالصَّادِ وَالظَّا وَسَجَزْ خُلْفُ لَزِمْ

كَهُدِّمَتْ وَالثَّا لَنَا وَالْخُلْفُ مِلْ مَعْ أَنْبَتَتْ لَا وَجَبَتْ وَإِنْ نُقِلْ

فَصْلُ لَامِ هَلْ وَبَلْ ③

وَبَلْ وَهَلْ فِي تَا وَثَا السِّينِ ادْغِمْ وَزَايِ طَا ظَا النُّونِ وَالضَّادِ رُسِمْ

وَالسِّينُ مَعْ تَاءٍ وَثَا فِدْ وَاخْتُلِفْ بِالطَّاءِ عَنْهُ هَلْ تَرَى الْإِدْغَامُ حِفْ

وَعَنْ هِشَامٍ غَيْرُ نَضٍّ يُدَّغَمْ عَنْ جُلِّهِمْ لَا حَرْفُ رَعْدٍ فِي الْأَتَمّْ

بَابُ حُرُوفٍ قَرُبَتْ مَخَارِجُهَا ⑧

إِدْغَامُ بَاءِ الْجَزْمِ فِي الْفَا لِي قَلَا خُلْفُهُمَا رُمْ حُزْ يُعَذِّبْ مَنْ حَلَا

رَوَى

رَوَى وَخُلْفٌ فِي دَوًا بِنْ وَلِرَا ... فِي اللاَّمِ طِبْ خُلْفٌ يَدٍ يَفْعَلْ سَرَا

نَخْسِفْ بِهِمْ رُبًا وَفِي ارْكَبْ رُضْ حِمَا ... وَالْخُلْفُ دِنْ بِي نَلْ قُوًى عُذْتُ لُمَا

خُلْفٌ شَفَا حُزْ ثِقْ وَصَادَ ذِكْرُ مَعْ ... يُرِدْ شَفَا كَمْ حُطْ نَبَذْتُ حُزْ لُمَعْ

خُلْفٌ شَفَا أُورِثْتُمُو رِضًى لِجَا ... حُزْ مِثْلَ خُلْفٍ وَلَبِثْتُ كَيْفَ جَا

حُطْ كَمْ ثَنَا رِضًى وَيَسٓ رَوَى ... ظَعْنٌ لِوًى وَالْخُلْفُ مِزْ نَلْ إِذْ هَوَى (٢٧٠)

كَنُونَ لاَ قَالُونَ يَلْهَثْ أَظْهِرِ ... حِرْمٍ لَهُمْ نَالَ خِلاَفُهُمْ وُرِي

وَفِي أَخَذْتُ وَاتَّخَذْتُ عَنْ دَرَى ... وَالْخُلْفُ غِثْ طَسٓ مِيمِ فِدْ ثَرَى

بَابُ أَحْكَامِ النُّونِ السَّاكِنَةِ وَالتَّنْوِينِ (٥)

أَظْهِرْهُمَا عِنْدَ حُرُوفِ الْحَلْقِ عَنْ ... كُلٍّ وَفِي غَيْنٍ وَخَا أَخْفَى ثَمَنْ

لاَ مُنْخَنِقْ يُنْغِضْ يَكُنْ بَعْضُ أَبَى ... وَاقْلِبْهُمَا مَعْ غُنَّةٍ مِيمًا بِبَا

وَادْغِمْ بِلاَ غُنَّةٍ فِي لاَمٍ وَرَا ... وَهْيَ لِغَيْرِ صُحْبَةٍ أَيْضًا تُرَى (١)

وَالْكُلُّ فِي يَنْمُو بِهَا وَضِقْ حَذَفْ ... فِي الْوَاوِ وَالْيَا وَتَرَى فِي الْيَا اخْتَلَفْ

وَأَظْهَرُوا لَدَيْهِمَا بِكِلْمَةِ ... وَفِي الْبَوَاقِي أَخْفِيَنْ بِغُنَّةِ

بَابُ الْفَتْحِ وَالإِمَالَةِ وَبَيْنَ اللَّفْظَيْنِ (٤٩)

أَمِلْ ذَوَاتِ الْيَاءِ فِي الْكُلِّ شَفَا ... وَثَنِّ الاسْمَا إِنْ تُرِدْ أَنْ تَعْرِفَا

(١) ولو قال الناظم رحمه الله (وهي لغير صحبة جودا تُرى) لكان أفضل كما قاله بعض الأفاضل، لأن الأزرق ليس له الغنة في اللام والرا كما حققه العلامة المتولي . أهـ.

وَرُدَّ

وَرُدَّ فِعْلَهَا إِلَيْكَ كَالْفَتَى ... هُدَى الْهَوَى اشْتَرَى مَعَ اسْتَعْلَى أَتَى

وَكَيْفَ فَعْلَى وَفُعَالَى ضَمُّهُ ... وَفَتْحُهُ وَمَا بِيَاءٍ رَسْمُهُ

كَحَسْرَتَى أَنَّى ضُحَى مَتَى بَلَى ... غَيْرَ لَدَى زَكَى عَلَى حَتَّى إِلَى

وَمَيَّلُوا الرِّبَا الْقُوَى الْعُلَى كِلَا ... كَذَا مَزِيدًا مِنْ ثُلَاثِي كَابْتَلَى

مَعْ رُوسِ آيِ النَّجْمِ طَهَ اقْرَأْ مَعَ الْـ ... قِيَامَةِ اللَّيْلِ الضُّحَى الشَّمْسِ سَأَلْ

عَبَسَ وَالنَّزْعِ وَسَبِّحْ وَعَلِي ... أَحْيَا بِلَا وَاوٍ وَعَنْهُ مَيِّلِ

مَحْيَاهُمُ تَلَا خَطَايَا وَدَحَا ... تُقَاتِهِ مَرْضَاتِ كَيْفَ جَا طَحَا

سَجَى وَأَنْسَانِيهِ مَنْ عَصَانِي ... أَتَانِ لَا هُودَ وَقَدْ هَدَانِ

أَوْصَانِ رُؤْيَاي لَهُ الرُّؤْيَا رَوَى ... رُؤْيَاكَ مَعْ هُدَايَ مَثْوَايَ تَوَى

مَحْيَايَ مَعْ آذَانِنَا آذَانِهِمْ ... جَوَارِ مَعْ بَارِئِكُمْ طُغْيَانِهِمْ

مِشْكَاةِ جَبَّارِينَ مَعْ أَنْصَارِي ... وَبَابِ سَارِعُوا وَخُلْفُ الْبَارِي

تُمَارِ مَعْ أَوَارِ مَعْ يُوَارِ مَعْ ... عَيْنِ يَتَامَى عَنْهُ الْإِتْبَاعُ وَقَعْ

وَمِنْ كُسَالَى وَمِنَ النَّصَارَى ... كَذَا أُسَارَى وَكَذَا سُكَارَى

وَافَقَ فِي أَعْمَى كِلَا الْإِسْرَى صَدَا ... وَأَوَّلَا حِمًا وَفِي سِوًى سُدَى

رَمَى بَلَى صُنْ خُلْفَهُ وَمُتَّصِفْ ... مُزْجَا يُلَقَّهُ أَتَى أَمْرًا اخْتُلِفْ

إِنَاهُ

إِنَاهُ لِي خُلْفٌ نَأَى الإِسْرَا صِفِ ... مَعْ خُلْفِ نُونِهِ وَفِيهِمَا ضِفِ

رَوَى وَفِيمَا بَعْدَ رَاءٍ حُطْ مَلَا ... خُلْفٌ وَمَجْرَى عُدْ وَأَدْرَى أَوَّلَا

صِلْ وَسِوَاهَا مَعْ يَا بُشْرَى اخْتَلَفْ ... وَافْتَحْ وَقَلِّلْهَا وَأَضْجِعْهَا حَتَفْ

وَقَلِّلِ الرَّا وَرُءُوسَ الآيِ جِفْ ... وَمَا بِهِ هَا غَيْرَ ذِي الرَّا يَخْتَلِفْ

مَعْ ذَاتِ يَاءٍ مَعْ أَرَاكَهُمْ وَرَدْ ... وَكَيْفَ فُعْلَى مَعْ رُءُوسِ الآيِ حَدْ

خُلْفٌ سِوَى ذِي الرَّا وَأَنَّى وَيْلَتَى ... يَا حَسْرَتَى الْخُلْفُ طَوَى قِيلَ مَتَى

بَلَى عَسَى وَأَسَفَى عَنْهُ نُقِلْ ... وَعَنْ جَمَاعَةٍ لَهُ دُنْيَا أَمِلْ

حَرْفَيْ رَأَى مِنْ صُحْبَةٍ لَنَا اخْتُلِفْ ... وَغَيْرَ الأُولَى الْخُلْفُ صِفْ وَالْهَمْزَ حِفْ

وَذُو الضَّمِيرِ فِيهِ أَوْ هَمْزٍ وَرَا ... خُلْفٌ مُنًى قَلِّلْهُمَا كُلًّا جَرَى

وَقَبْلَ سَاكِنٍ أَمِلْ لِلرَّا صِفَا ... فِي وَكَغَيْرِهِ الْجَمِيعُ وَقَفَا[1]

وَالأَلِفَاتُ قَبْلَ كَسْرِ رَا طَرَفْ ... كَالدَّارِ نَارٍ حُزْ تَفُزْ مِنْهُ اخْتَلَفْ

وَخُلْفُ غَارٍ تَمَّ وَالْجَارِ تَلَا ... طِبْ خُلْفُ هَارٍ صِفْ حَلَا رُمْ بِنْ مَلَا

خُلْفُهُمَا وَإِنْ تَكَرَّرْ حُطْ رَوَى ... وَالْخُلْفُ مِنْ فَوْزٍ وَتَقْلِيلُ جَوَى

لِلْبَابِ جَبَّارِينَ جَارِ اخْتَلَفَا ... وَافَقَ فِي التَّكْرِيرِ قِسْ خُلْفُ ضَفَا

وَخُلْفُ قَهَّارِ الْبَوَارِ فُضِّلَا ... تَوْرَاةَ جُدْ وَالْخُلْفُ فُضِّلْ بُجِّلَا

وَكَيْفَ

(١) ولو قال (وجميعهم كالاولى وقفا) لأجاد كما قاله الأزميري، وانظر الروض النضير.

وَكَيْفَ كَافِرِينَ جَادَ وَأَمِلْ ... تُبْ حُزْ مُنًا خُلْفٍ غَلاَ وَرَوْحُ قُلْ
مَعْهُمْ بِنَمْلٍ وَالثُّلاَثِي فُضِّلاَ ... فِي خَافَ طَابَ ضَاقَ حَاقَ زَاغَ لاَ
زَاغَتْ وَزَادَ خَابَ كَمْ خُلْفُ فِنَا ... وَشَاءَ جَا لِي خُلْفُهُ فَتًى مُنَا
وَخُلْفُهُ الإِكْرَامِ شَارِبِينَا ... إِكْرَاهِهِنَّ وَالْحَوَارِيِّينَا
عِمْرَانَ وَالْمِحْرَابَ غَيْرَ مَا يُجَرْ ... فَهْوَ وَأُولَى زَادَ لاَخُلْفَ اسْتَقَرْ
مَشَارِبُ كَمْ خُلْفُ عَيْنٍ آنِيَهْ ... مَعْ عَابِدُونَ عَابِدُ الْجَحْدِ لِيَهْ
خُلْفُ تَرَاءَى الرَّا فَتَى النَّاسِ بِجَرْ ... طَيِّبُ خُلْفًا رَانَ رُدْ صِفَا فَخَرْ
وَفِي ضِعَافًا قَامَ بِالْخُلْفِ ضَمَرْ ... آتِيكَ فِي النَّمْلِ فَتًى وَالْخُلْفُ قَرْ
وَرَا الْفَوَاتِحِ أَمِلْ صُحْبَةُ كَفْ ... حُلاً وَهَا كَافَ رَعَى حَافِظَ صِفْ
وَتَحْتُ صُحْبَةُ جَنَا الْخُلْفُ حَصَلْ ... يَاعَيْنَ صُحْبَةُ كَسَا وَالْخُلْفُ قَلْ
لِثَالِثٍ لاَعَنْ هِشَامٍ طَا شَفَا ... صِفْ حَا مُنًى صُحْبَةُ يَس صِفَا
رُدْ شُدْ فَشَا وَبَيْنَ بَيْنَ فِي أَسَفْ ... خُلْفُهُمَا رَاجُدْ وَإِذْ هَا يَا اخْتَلَفْ
وَتَحْتُ هَا جِئْ حَا حُلاً خُلْفٌ جَلاَ ... تَوْرَاةَ مِنْ شَفَا حَكِيمًا مَيَّلاَ
وَغَيْرُهَا الِاصْبَهَانِي لَمْ يُمَلْ ... وَخُلْفُ إِدْرِيسَ بِرُؤْيَا لاَ بِأَلْ
وَلَيْسَ إِدْغَامٌ وَوَقْفٌ إِنْ سَكَنْ ... يَمْنَعُ مَا يُمَالُ لِلْكَسْرِ وَعَنْ

سُوسِ

السوسي

سُوسٍ خِلاَفٌ وَلِبَعْضٍ قُلِّلاَ ... وَمَا بِذِي التَّنْوِينِ خُلْفٌ يُعْتَلاَ

بَلْ قَبْلَ سَاكِنٍ بِمَا أَصِّلْ قِفْ ... وَخُلْفُ كَالْقُرَى الَّتِي وَصْلاً يَصِفْ

وَقِيلَ قَبْلَ سَاكِنٍ حَرْفَيْ رَأَى ... عَنْهُ وَرَا سِوَاهُ مَعْ هَمْزٍ نَأَى

بَابُ إِمَالَةِ هَاءِ التَّأْنِيثِ وَمَا قَبْلَهَا فِي الْوَقْفِ (٤)

علي

وَهَاءُ تَأْنِيثٍ وَقَبْلُ مَيِّلِ ... لاَ بَعْدَ الاِسْتِعْلاَ وَحَاعٍ لِعَلِي

وَأَكْهَرٍ لاَ عَنْ سُكُونٍ يَا وَلاَ ... عَنْ كَسْرَةٍ وَسَاكِنٌ إِنْ فَصَلاَ

لَيْسَ بِحَاجِزٍ وَفِطْرَتَ اخْتُلِفْ ... وَالْبَعْضُ أَهْ كَالْعَشْرِ أَوْ غَيْرَ الأَلِفْ

حمزة

يُمَالُ وَالْمُخْتَارُ مَا تَقَدَّمَا ... وَالْبَعْضُ عَنْ حَمْزَةَ مِثْلُهُ نَمَا (٣٣٠)

بَابُ مَذَاهِبِهِمْ فِي الرَّاءَاتِ (١٥)

الأزرق

وَالرَّاءُ عَنْ سُكُونِ يَاءٍ رَقِّقِ ... أَوْ كَسْرَةٍ مِنْ كِلْمَةٍ لِلأَزْرَقِ

وَلَمْ يَرَ السَّاكِنَ فَصْلاً غَيْرَ طَا ... وَالصَّادِ وَالْقَافِ عَلَى مَا اشْتَرَطَا

وَرَقِّقَنْ بِشَرَرٍ لِلأَكْثَرِ ... وَالأَعْجَمِي فَخِّمْ مَعَ الْمُكَرَّرِ

وَنَحْوُ سِتْرًا غَيْرَ صِهْرًا فِي الأَتَمّْ ... وَخُلْفُ حَيْرَانَ وَذِكْرَكَ إِرَمْ

وِزْرَ وَحِذْرَكُمْ مِرَاءً وَافْتِرَا ... تَنْتَصِرَانِ سَاحِرَانِ طَهُرَا

عَشِيرَةُ التَّوْبَةِ مَعْ سِرَاعَا ... وَمَعْ ذِرَاعَيْهِ فَقُلْ ذِرَاعَا

إِجْرَامِ

إِجْرَامِ كِبْرَهُ لِعِبْرَةً وَجَلْ ... تَفْخِيمُ مَا نُوِّنَ عَنْهُ إِنْ وَصَلْ

كَشَاكِرًا خَيْرًا خَبِيرًا خَضِرَا ... وَحَصِرَتْ كَذَاكَ بَعْضُ ذَكَرَا

كَذَاكَ ذَاتَ الضَّمِّ رَقِّقْ فِي الْأَصَحّْ ... وَالْخُلْفُ فِي كِبْرٌ وَعِشْرُونَ وَضَحْ

وَإِنْ تَكُنْ سَاكِنَةً عَنْ كَسْرِ ... رَقِّقْهَا يَا صَاحِ كُلُّ مُقْرِي

وَحَيْثُ جَاءَ بَعْدُ حَرْفُ اسْتِعْلَا ... فَخِّمْ وَفِي ذِي الْكَسْرِ خُلْفٌ إِلَّا

صِرَاطِ وَالصَّوَابُ أَنْ يُفَخَّمَا ... عَنْ كُلِّ الْمَرْءِ وَنَحْوُ مَرْيَمَا

وَبَعْدَ كَسْرٍ عَارِضٍ أَوْ مُنْفَصِلْ ... فَخِّمْ وَإِنْ تَرُمْ فَمِثْلُ مَا تَصِلْ

وَرَقِّقِ الرَّا إِنْ تُمَلْ أَوْ تُكْسَرِ ... وَفِي سُكُونِ الْوَقْفِ فَخِّمْ وَانْصُرِ

مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ بَعْدِ يَا سَاكِنَةِ ... أَوْ كَسْرٍ اوْ تَرْقِيقٍ اوْ إِمَالَةِ

بَابُ اللَّامَاتِ ⑤

الأزرق

وَأَزْرَقٌ لِفَتْحِ لَامٍ غَلَّظَا ... بَعْدَ سُكُونِ صَادٍ اوْ طَاءٍ وَظَا

أَوْ فَتْحِهَا وَإِنْ يَحُلْ فِيهَا أَلِفْ ... أَوْ إِنْ تُمَلْ مَعْ سَاكِنِ الْوَقْفِ اخْتُلِفْ

وَقِيلَ عِنْدَ الطَّاءِ وَالظَّا وَالْأَصَحّْ ... تَفْخِيمُهَا وَالْعَكْسُ فِي الْآيِ رَجَحْ

كَذَاكَ صَلْصَالٍ وَشَذَّ غَيْرُ مَا ... ذُكِرْتُ وَاسْمَ اللَّهِ كُلٌّ فَخَّمَا

مِنْ بَعْدِ فَتْحَةٍ وَضَمٍّ وَاخْتُلِفْ ... بَعْدَ مُمَالٍ لَا مُرَقَّقٍ وُصِفْ

بَابُ الوَقْفِ

بَابُ الْوَقْفِ عَلَى أَوَاخِرِ الْكَلِمِ ⑯

وَٱلْأَصْلُ فِي ٱلْوَقْفِ ٱلسُّكُونُ وَلَهُمْ فِي ٱلرَّفْعِ وَٱلضَّمِّ ٱشْمِمَنَّـهُ وَرُمْ
وَٱمْنَعْهُمَا فِي ٱلنَّصْبِ وَٱلْفَتْحِ بَلَى فِي ٱلْجَرِّ وَٱلْكَسْرِ يُرَامُ مُسْجَلَا
وَٱلرَّوْمُ ٱلْإِتْيَانُ بِبَعْضِ ٱلْحَرَكَهْ إِشْمَامُهُمْ إِشَارَةٌ لَا حَرَكَهْ
وَعَنْ أَبِي عَمْرٍو وَكُوفٍ وَرَدَا نَصًّا وَلِلْكُلِّ ٱخْتِيَارًا أُسْنِدَا
وَخُلْفُ هَا ٱلضَّمِيرِ وَٱمْنَعْ فِي ٱلْأَتَمّ مِنْ بَعْدِ يَا أَوْ وَاوٍ ٱوْ كَسْرٍ وَضَمْ
وَهَاءِ تَأْنِيثٍ وَمِيمِ ٱلْجَمْعِ مَعْ عَارِضِ تَحْرِيكٍ كِلَاهُمَا ٱمْتَنَعْ

بَابُ الْوَقْفِ عَلَى مَرْسُومِ الْخَطِّ ⑰

وَقِفْ لِكُلٍّ بِٱتِّبَاعِ مَا رُسِمْ حَذْفًا ثُبُوتًا ٱتِّصَالًا فِي ٱلْكَلِمْ
لَكِنْ حُرُوفٌ عَنْهُمُو فِيهَا ٱخْتُلِفْ كَهَاءِ أُنْثَى كُتِبَتْ تَاءً فَقِفْ
بِٱلْهَا رَجَا حَقٍّ وَذَاتَ بَهْجَهْ وَٱللَّاتَ مَرْضَاتِ وَلَاتَ رَجَّهْ
هَيْهَاتَ هُدْ زِنْ خُلْفَ رَاضٍ يَا أَبَهْ دُمْ كَمْ ثَوَى فِيمَهْ لِمَهْ عَمَّهْ بِمَهْ (٣٦٠)
مِمَّهْ خِلَافُ هَبْ ظُبًى وَهْيَ وَهُو ظِلٌّ وَفِي مُشَدَّدٍ ٱسْمٍ خُلْفُهُ
نَحْوُ إِلَيَّ هُنَّ وَٱلْبَعْضُ نَقَلْ بِنَحْوِ عَالَمِينَ مُوفُونَ وَقَلْ
وَوَيْلَتَى وَحَسْرَتَى وَأَسَفَى وَثَمَّ غَرْ خُلْفًا وَوَصْلًا حَذَفَا

سُلْطَانِيَه

سُلْطَانِيَهْ وَمَالِيَهْ وَمَاهِيَهْ   فِي ظَاهِرٍ كِتَابِيَهْ حِسَابِيَهْ
ظَنَّ اقْتَدِهْ شَفَا ظُبَا وَيَتَسَنْ   عَنْهُمْ وَكَسْرُهَا اقْتَدِهْ كُسْ أَشْبِعَنْ
مِنْ خُلْفِهِ أَيًّا بِأَيًّا مَا غَفَلْ   رِضًى وَعَنْ كُلٍّ كَمَا الرَّسْمُ أَجَلْ
كَذَاكَ وَيْكَأَنَّهُ وَوَيْكَأَنْ   وَقِيلَ بِالْكَافِ حَوَى وَالْيَاءِ زِنْ
وَمَالِ سَالَ الْكَهْفِ فُرْقَانِ النِّسَا   قِيلَ عَلَى مَا حَسْبُ حِفْظُهُ رَسَا
هَا أَيُّهَ الرَّحْمَٰنِ نُورِ الزُّخْرُفِ   كُمْ ضَمَّ قِفْ رَجَا حِمًا بِالْأَلِفِ
كَأَيِّنِ النُّونُ وَبِالْيَاءِ حِمَا   وَالْيَاءُ إِنْ تُحْذَفْ لِسَاكِنٍ ظَمَا (٣٧٠)
يُرِدْنِ يُؤْتِ يَقْضِ تُغْنِ الْوَادِ   صَالِ الْجَوَارِ اخْشَوْنِ نُنْجِ هَادِ
وَافَقَ وَادِ النَّمْلِ هَادِ الرُّومِ رُمْ   تَهْدِ بِهَا فُزْ يُنَادِ قَافَ دُمْ
بِخُلْفِهِمْ وَقِفْ بِهَادٍ بَاقِ   بِالْيَا لِمَكٍّ مَعَ وَالٍ وَاقِ

بَابُ مَذَاهِبِهِمْ فِي يَاءَاتِ الْإِضَافَةِ (٣٠)

لَيْسَتْ بِلَامِ الْفِعْلِ يَا الْمُضَافِ   بَلْ هِيَ فِي الْوَضْعِ كَهَا وَكَافِ
تِسْعٌ وَتِسْعُونَ بِهَمْزٍ انْفَتَحْ   ذَرُونِ الْأَصْبَهَانِ مَعْ مَكِّي فَتَحْ
وَاجْعَل لِّي ضَيْفِي دُونِي يَسِّرْ لِي وَلِي   يُوسُفَ إِنِّي أَوَّلَاهَا حُلِّلِ
مَدًا وَهُمْ وَالْبَزِّ لَكِنِّي أَرَى   تَحْتِي مَعْ إِنِّي أَرَاكُمْ وَدُرَى

أُدْعُونِي

أُدْعُونِي وَاذْكُرُونِي ثُمَّ الْمَدَنِي ... وَالْمَكِّ قُلْ حَشَرْتَنِي يَحْزُنُنِي

مَعْ تَأْمُرُونِي تَعِدَانِنِ وَمَدَا ... يَبْلُونِي سَبِيلِي وَاتْلُ ثِقْ هُدَا

فَطَرَنِي وَفَتْحُ أَوْزِعْنِي جَلَا ... هَوَى وَبَاقِي الْبَابِ حِرْمٌ حَمَّلَا

وَافَقَ فِي مَعِي عُلَى كُفْؤٍ وَمَا ... لِي لُذْ مِنَ الْخُلْفِ لَعَلِّي كُرِّمَا

رَهْطِي مَنْ لِي الْخُلْفُ عِنْدِي دُوِّنَا ... خُلْفٌ وَعَنْ كُلِّهِمُ تَسَكَّنَا

تَرْحَمْنِي تَفْتِنِّي اتَّبِعْنِي أَرِنِي ... وَاثْنَانِ مَعْ خَمْسِينَ مَعْ كَسْرٍ عُنِي

وَافْتَحْ عِبَادِي لَعْنَتِي تَجِدُنِي ... بَنَاتِ أَنْصَارِي مَعًا لِلْمَدَنِي

وَإِخْوَتِي ثِقْ جُدْ وَعَمَّ رُسُلِي ... وَبَاقِي الْبَابِ إِلَى ثَنًا حُلِي

وَافَقَ فِي حُزْنِي وَتَوْفِيقِي كَلَا ... يَدِي عُلًا أُمِّي وَأَجْرِي كَمْ عَلَا

دُعَائِي آبَاءِي دُمًا كَسٍ وَبَنَا ... خُلْفٌ إِلَى رَبِّي وَكُلٌّ أَسْكَنَا

ذُرِّيَّتِي يَدْعُونَنِي تَدْعُونَنِي ... أَنْظِرْنِ مَعْ بَعْدَ رِدًا أَخَّرْتَنِي

وَعِنْدَ ضَمِّ الْهَمْزِ عَشْرٌ فَافْتَحَنْ ... مَدًا وَأَنِّي أُوفِ بِالْخُلْفِ ثَمَنْ

لِلْكُلِّ آتُونِي بِعَهْدِي سَكَّنَتْ ... وَعِنْدَ لَامِ الْعُرْفِ أَرْبَعَ عَشْرَتْ

رَبِّي الَّذِي حَرَّمَ رَبِّي مَسَّنِي ... الْاِخْرَانِ آتَانِي مَعْ أَهْلَكَنِي

أَرَادَنِي عِبَادِ الْاَنْبِيَا سَبَا ... فُزْ لِعِبَادِي شُكْرُهُ رِضًى كَبَا

وفي

وَفِي ٱلنِّدَا حِمًا شَفَا عَهْدِي عَسَى — فَوْزٌ وَآيَاتِيَ ٱسْكِنْ فِي كَسَا

وَعِنْدَ هَمْزِ ٱلْوَصْلِ سَبْعٌ لَيْتَنِي — فَٱفْتَحْ حُلًا قَوْمِي مَدًا حُزْ شِمْ هَنِي

إِنِّي أَخِي حَبْرٌ وَبَعْدِي صِفْ سَمَا — ذِكْرِي لِنَفْسِي حَافِظٌ مَدًا دُمَا

وَفِي ثَلَاثِينَ بِلَا هَمْزٍ فَتَحْ — بَيْتِي سِوَى نُوحٍ مَدًا لُذْ عُدْ وَلَحْ

عَوْنٌ بِهَا لِي دِينِ هَبْ خُلْفًا عَلَا — إِذْ لَاذَ لِي فِي ٱلنَّمْلِ رُدْ نَوَى دَلَا

وَٱلْخُلْفُ خُذْ لَنَا مَعِي مَا كَانَ لِي — عُدْ مَنْ مَعِي مِنْ مَعَهُ وَرْشٌ فَٱنْقُلِ

وَجْهِي عُلًا عَمَّ وَلِي فِيهَا جَنَا — عُدْ شُرَكَائِي مِنْ وَرَائِي دَوَّنَا

أَرْضِي صِرَاطِي كَمْ مَمَاتِي إِذْ ثَنَا — لِي نَعْجَةٌ لَاذَ بِخُلْفٍ عَيَّنَا (٤٠٠)

وَلْيُؤْمِنُوا بِي تُؤْمِنُوا لِي وَرْشٌ يَا — عِبَادِ لَا غَوْثٌ بِخُلْفٍ صَلِيَا

وَٱلْحَذْفُ عَنْ شُكْرٍ دُعَا شَفَا وَلِي — يَسٓ سَكِّنْ لَاحَ خُلْفٌ ظَلَلِ

فَتًى وَمَحْيَايَ بِهِ ثَبْتٌ جَنَحْ — خُلْفٌ وَبَعْدَ سَاكِنٍ كُلٌّ فَتَحْ

بَابُ مَذَاهِبِهِمْ فِي ٱلزَّوَائِدِ (٢١)

وَهِيَ ٱلَّتِي زَادُوا عَلَى مَا رُسِمَا — تَثْبُتُ فِي ٱلْحَالَيْنِ لِي ظِلٌّ دُمَا

وَأَوَّلَ ٱلنَّمْلِ فِدًا وَتَثْبُتُ — وَصْلًا رِضًى حِفْظٍ مَدًا وَمِائَةْ

إِحْدَى وَعِشْرُونَ أَتَتْ تُعَلِّمَنْ — يَسْرِ إِلَى ٱلدَّاعِ ٱلْجَوَارِ يَهْدِيَنْ

كَهْفُ

كَهْفُ الْمُنَادِ يُؤْتِيَنْ تَتَّبِعَنْ ... أَخَّرْتَنِ الإِسْرَا سَمَا وَفِي تَرَنْ

وَاتَّبِعُونِ أَهْدِ بِي حَقٌّ ثَمَا ... وَيَأْتِ هُودَ نَبْغِ كَهْفٍ رُمْ سَمَا

تُؤْتُونِ ثِبْ حَقًّا وَيَرْتَعْ يَتَّقِي ... يُوسُفَ زِنْ خُلْفًا وَتَسْأَلْنِ ثِقِ

حِمًا جَنَا الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ هُمْ ... مَعْ خُلْفِ قَالُونَ وَيَدْعُ الدَّاعِ حُمْ (٤١٠)

هُدْ جُدْ ثَوَى وَالْبَادِ ثِقْ حَقٌّ جَنَنْ ... وَالْمُهْتَدِي لَا أَوَّلَا وَاتَّبِعَنْ

وَقُلْ حِمًا مَدًا وَكَالْجَوَابِ جَا ... حَقٌّ تُمِدُّونَنِ فِي سَمَا وَجَا

تُخْزُونِ فِي اتَّقُونِ يَا اخْشَوْنِ وَلَا ... وَاتَّبِعُونِ زُخْرُفٍ ثَوَى حَلَا

خَافُونِ إِنْ أَشْرَكْتُمُونِ قَدْ هَدَا ... نِ عَنْهُمُ كِيدُونِ الأَعْرَافِ لَدَى

خُلْفٌ حِمًا ثَبْتٌ عِبَادِ فَاتَّقُو ... خُلْفٌ غِنًى بَشِّرْ عِبَادِ افْتَحْ يَقُوا

بِالْخُلْفِ وَالْوَقْفُ يَلِي خُلْفٌ ظَبَى ... آتَانِ نَمْلٍ وَافْتَحُوا مَدًا غَبَى

حُزْ عُدْ وَقِفْ ظَعْنًا وَخُلْفٌ عَنْ حَسَنْ ... بِنْ زُرْ يُرِدْنِ افْتَحْ كَذَا تَتَّبِعَنْ

وَقِفْ ثَنَا وَكُلَّ رُوسِ الآيِ ظَلْ ... وَافَقَ بِالْوَادِ دُنَا جُدْ وَزُحَلْ

بِخُلْفِ وَقْفٍ وَدُعَاءِ فِي جَمَعْ ... ثِقْ حُطْ زَكَا الْخُلْفُ هُدَى التَّلَاقِ مَعْ

تَنَادِ خُذْ دُمْ جُلْ وَقِيلَ الْخُلْفُ بَرْ ... وَالْمُتَعَالِ دِنْ وَعِيدِ وَنُذُرْ (٤٢٠)

يُكَذِّبُونِ قَالَ مَعْ نَذِيرِي ... فَاعْتَزِلُونِ تَرْجُمُو نَكِيرِي

تُرْدِينِ

تُرْدِينِ يُنْقِذُونِ جُودُ أَكْرَمَنْ ‏ أَهَانَنِ هَدَا مَدًا وَالْخُلْفُ حَـنْ
وَشَذَّ عَنْ قُنْبُلَ غَيْرُ مَا ذُكِرْ ‏ وَالأَصْبَهَانِيُّ كَالأَزْرَقِ اسْتَقَرْ
مَعْ تَرَنِ اتَّبِعُونِ وَثَبَتْ ‏ تَسْأَلْنِ فِي الْكَهْفِ وَخُلْفُ الْحَذْفِ مَتْ

بَابُ إِفْرَادِ الْقِرَاءَاتِ وَجَمْعِهَا ⑧

وَقَدْ جَرَى مِنْ عَادَةِ الأَئِمَّهْ ‏ إِفْرَادُ كُلِّ قَارِئٍ بِخَتْمَهْ
حَتَّى يُؤَهَّلُوا لِجَمْعِ الْجَمْعِ ‏ بِالْعَشْرِ أَوْ أَكْثَرَ أَوْ بِالسَّبْعِ
وَجَمْعُنَا نَخْتَارُهُ بِالْوَقْفِ ‏ وَغَيْرُنَا يَأْخُذُهُ بِالْحَرْفِ
بِشَرْطِهِ فَلْيَرْعَ وَقْفًا وَابْتِدَا ‏ وَلَا يُرَكِّبْ وَلْيُجِدْ حُسْنَ الأَدَا
فَالْمَاهِرُ الَّذِي إِذَا مَا وَقَفَا ‏ يَبْدَا بِوَجْهِ مَنْ عَلَيْهِ وَقَفَا
يَعْطِفُ أَقْرَبًا بِهِ فَأَقْرَبَا ‏ مُخْتَصِرًا مُسْتَوْعِبًا مُرَتِّبَا
وَلْيَلْزَمِ الْوَقَارَ وَالتَّأَدُّبَا ‏ عِنْدَ الشُّيُوخِ إِنْ يُرِدْ أَنْ يَنْجُبَا
وَبَعْدَ إِتْمَامِ الأُصُولِ نَشْرَعُ ‏ فِي الْفَرْشِ وَاللَّهُ إِلَيْهِ نَضْرَعُ

بَابُ فَرْشِ الْحُرُوفِ: سُورَةُ الْبَقَرَةِ (٨٩)

وَمَا يُخَادِعُونَ يَخْدَعُونَا ‏ كَنْزٌ ثَوَى اضْمُمْ شُدَّ يَكْذِبُونَا
كَمَا سَمَا وَقِيلَ غِيضَ جِي أَشِمّ ‏ فِي كَسْرِهَا الضَّمَّ رَجَا غِنًى لَزِمْ

وَحِيلَ

وَحِيلَ سِيقَ كَمْ رَسَا غَيْثٌ وَسِي   سِيئَتْ مَدًا رَحْبٍ غَلاَلَةُ كُسِي

وَتُرْجَعُوا الضَّمَّ افْتَحَا وَاكْسِرْ ظَمَا   إِنْ كَانَ لِلأُخْرَى وَذُو يَوْمًا حِمَا

وَالْقَصَصُ الأُولَى أَتَى ظُلْمًا شَفَا   وَالْمُؤْمِنُونَ ظِلُّهُمْ شَفَا وَفَا

الأُمُورُ هُمْ وَالشَّامِ وَاعْكِسْ إِذْ عَفَا   الأَمْرُ وَسَكِّنْ هَاءَ هُوَ هِيَ بَعْدَ فَا

وَاوٍ وَلاَمٍ رُدْ ثَنَا بَلْ حُزْ وَرُمْ   ثُمَّ هُوَ وَالْخُلْفُ يُمِلَّ هُوَ وَثُمْ

ثَبْتٌ بَدَا وَكَسْرَ تَا الْمَلاَئِكَتْ   قَبْلَ اسْجُدُوا اضْمُمْ ثِقْ وَالإِشْمَامُ خَفَتْ (٤٤٠)

خُلْفًا بِكُلٍّ وَأَزَالَ فِي أَزَلْ   فَوْزٌ وَآدَمُ انْتِصَابُ الرَّفْعِ دَلْ

وَكَلِمَاتٍ رَفْعُ كَسْرٍ دِرْهَمِ   لاَ خَوْفَ نَوِّنْ رَافِعًا لاَ الْحَضْرَمِي

رَفَثَ لاَ فُسُوقَ ثِقْ حَقًّا وَلاَ   جِدَالَ ثَبْتٌ بَيْعَ خُلَّةَ وَلاَ

شَفَاعَةَ لاَ بَيْعَ لاَ خِلاَلَ لاَ   تَأْثِيمَ لاَ لَغْوَ مَدًا كَنْزٌ وَلاَ

يُقْبَلُ أَنِّثْ حَقٌّ وَاعَدْنَا اقْصُرَا   مَعْ طَهَ الأَعْرَافِ حَلاَ ظُلْمٌ ثَرَا

بَارِئْكُمْ يَأْمُرْكُمْ يَنْصُرْكُمْ   يَأْمُرْهُمْ تَأْمُرْهُمْ يُشْعِرْكُمْ

سَكِّنْ أَوِ اخْتَلِسْ حُلاً وَالْخُلْفُ طِبْ   يُغْفَرْ مَدًا أَنِّثْ هُنَا كَمْ وَظَرِبْ

عَمَّ بِالاَعْرَافِ وَنُونُ الْغَيْرِ لاَ   تُضَمُّ وَاكْسِرْ فَاءَهُمْ وَأَبْدِلاَ

عُدْ هُزُؤًا مَعْ كُفُؤًا هُزْؤًا سَكَنْ   ضَمُّ فَتًى كُفْؤًا فَتًى ظَنَّ الأُذُنْ

أُذُنْ

أُذْنَ اتْلُ وَالسُّحْتَ أَبِلْ نَلْ فَتًى كَسَا ... وَالْقُدُسِ نُكْرٍ دُمْ وَثُلْثَيْ لِبْسَا

عُقْبًا نُهًى فَتًى وَعُرْبًا فِي صَفَا ... خُطُوَاتِ إِذْ هُدْ خُلْفُ صِفْ فَتًى حَفَا

وَرُسْلُنَا مَعْ هُمْ وَكُمْ وَسُبْلَنَا ... حُزْ جُرُفٍ لِي الْخُلْفُ صِفْ فَتًى مُنَا

وَالْأُكْلُ أُكْلٍ إِذْ دَنَا وَأُكْلُهَا ... شُغُلٍ أَتَى حَبْرٌ وَخُشْبُ حُطْ رَهَا

زِدْ خُلْفُ نُذْرًا حِفْظُ صَحْبٍ وَاعْكِسَا ... رُعْبُ الرُّعُبْ رُمْ كَمْ ثَوَى رُحْمًا كَسَا

ثَوَى وَجُزْأً صِفْ وَعُذْرًا أَوْ شَرَطْ ... وَكَيْفَ عُسْرِ الْيُسْرِ ثِقْ وَخُلْفُ خَطْ

بِالذَّرْوِ سُحْقًا ذُرْ وَخُلْفًا رُمْ خَلَا ... قُرْبَةُ جُدْ نُكْرًا ثَوَى صُنْ إِذْ مَلَا

مَا يَعْمَلُونَ دُمْ وَثَانٍ إِذْ صَفَا ... ظِلٌّ دَنَا بَابُ الْأَمَانِي خُفِّفَا

أُمْنِيَّتِهْ وَالرَّفْعَ وَالْجَرَّ اسْكِنَا ... ثَبْتُ خَطِيئَاتُهُ جَمْعٌ إِذْ ثَنَا

لَا يَعْبُدُونَ دُمْ رِضًى وَخُفِّفَا ... تَظَّاهَرُونَ مَعْ تَحْرِيمٍ كَفَا

حُسْنًا فَضُمَّ اسْكِنْ نُهًى حُزْ عَمَّ دَلْ ... أَسْرَى فَشَا تَفْدُو تُفَادُو رُدْ ظَلَلْ

نَالَ مَدًا يُنْزِلُ كُلًّا خِفَّ حَقْ ... لَا الْحِجْرِ وَالْأَنْعَامِ أَنْ يُنَزِّلَ دَقْ

لِاسْرَى حِمًا وَالنَّحْلِ الْاخْرَى حُزْ دَفَا ... وَالْغَيْثَ مَعْ مُنْزِلُهَا حَقٌّ شَفَا

وَيَعْمَلُونَ قُلْ خِطَابُ ظُهَرَا ... جِبْرِيلَ فَتْحُ الْجِيمِ دُمْ وَهْيَ وَرَا

فَافْتَحْ وَزِدْ هَمْزًا بِكَسْرٍ صُحْبَةٌ ... كُلًّا وَحَذْفُ الْيَاءِ خُلْفُ شُعْبَةٌ

مِيكَالَ

مِيكَالَ عَنْ حِمًا وَمِيكَائِيلَ لَا … يَا بَعْدَ هَمْزٍ زِنْ بِخُلْفٍ ثِقْ أَلَا
وَلَكِنِ الْخِفُّ وَبَعْدُ ارْفَعْهُ مَعْ … أَوَّلَيِ الْأَنْفَالِ كَمْ فَتًى رَتَعْ
وَلَكِنِ النَّاسُ شَفَا وَالْبِرَّ مَنْ … كَمْ أَمْ نَنْسَخْ ضُمَّ وَاكْسِرْ مَنْ لَسَنْ
خُلْفٍ كَنُنْسِهَا بِلَا هَمْزٍ كَفَى … عَمَّ ظُبًى بَعْدَ عَلِيمٌ احْذِفَا
وَاوًا كَسَا كُنْ فَيَكُونُ فَانْصِبَا … رَفْعًا سِوَى الْحَقِّ وَقَوْلُهُ كَبَا
وَالنَّحْلُ مَعْ يَسٓ رُدْ كَمْ تُسْأَلُ … لِلضَّمِّ فَافْتَحْ وَاجْزِمَنْ إِذْ ظَلَّلُوا (٤٧٠)
وَيَقْرَا إِبْرَاهِيمَ ذِي مَعْ سُورَتِهْ … مَعْ مَرْيَمٍ النَّحْلِ أَخِيرًا تَوْبَتِهْ
آخِرَ الْأَنْعَامِ وَعَنْكَبُوتِ مَعْ … أَوَاخِرَ النِّسَا ثَلَاثَةٌ تَبَعْ
وَالذَّرْوِ وَالشُّورَى امْتِحَانٍ أَوَّلَا … وَالنَّجْمِ وَالْحَدِيدِ مَازَ الْخُلْفُ لَا
وَاتَّخِذُوا بِالْفَتْحِ كَمْ أَصْلٍ وَخِفْ … أُمْتِعُهُ كَمْ أَرِنَا أَرِنِي اخْتُلِفْ
مُخْتَلِسًا حُزْ وَسُكُونُ الْكَسْرِ حَقْ … وَفُصِّلَتْ لِي الْخُلْفُ مِنْ حَقٍّ صَدَقْ
أَوْصَى بِوَصَّى عَمَّ أَمْ يَقُولُ حُفْ … صِفْ حِرْمُ شِمْ وَصُحْبَةٌ حِمًا رَؤُفْ
فَاقْصُرْ جَمِيعًا يَعْمَلُونَ إِذْ صَفَا … حَبْرٌ غَدَا عَوْنًا وَثَانِيهِ حَفَا
وَفِي مُوَلِّيهَا مُوَلَّاهَا كَنَا … تَطَوَّعَ التَّا يَا وَشَدِّدْ مُسْكِنَا
ظُبًى شَفَا الثَّانِي شَفَا وَالرِّيحِ هُمْ … كَالْكَهْفِ مَعْ جَاثِيَةٍ تَوْحِيدُهُمْ

حِجْرٍ

حِجْرٍ فَتًى الاَعْرَافَ ثَانِي الرُّومِ مَعْ ... فَاطِرِ نَمْلٍ دُمْ شَفَا الْفُرْقَانُ دَعْ
وَاجْمَعْ بِإِبْرَاهِيمَ شُورَى إِذْ ثَنَا ... وَصَادَ الاِسْرَى الأَنْبِيَا سَبَا ثَنَا
وَالْحَجَّ خُلْفُهُ يَرَى الْخِطَابُ ظَلْ ... إِذْ كَمْ خَلَا خُلْفٌ يَرَوْنَ الضَّمَّ كَلْ
أَنَّ وَأَنَّ اكْسِرْ ثَوَى وَمَيِّتَهْ ... وَالْمَيْتَةُ اشْدُدْ ثُبْ وَالاَرْضُ الْمَيِّتَهْ
مَدًا وَمَيْتًا ثِقْ وَالانْعَامُ ثَوَى ... إِذْ حُجُرَاتٍ غِثْ مَدًا وَثُبْ أَوَى
صَحْبٍ بِمَيْتٍ بَلَدٍ وَالْمَيْتِ هُمْ ... وَالْحَضْرَمِي وَالسَّاكِنَ الأَوَّلَ ضُمْ
لِضَمِّ هَمْزِ الْوَصْلِ وَاكْسِرْهُ نَمَا ... فُزْ غَيْرَ قُلْ حَلَا وَغَيْرُ أَوْ حِمَا
وَالْخُلْفُ فِي التَّنْوِينِ مِزْ وَإِنْ يُجَرْ ... زِنْ خُلْفُهُ وَاضْطُرَّ ثِقْ ضَمًّا كَسَرْ
وَمَا اضْطِرْ خُلْفٌ خَلَا وَالْبِرُّ أَنْ ... بِنَصْبِ رَفْعٍ فِي عُلًا مُوصٍ ظَعَنْ
صُحْبَةُ ثَقِّلْ لَا تُنَوِّنْ فِدْيَةُ ... طَعَامُ خَفْضَ الرَّفْعِ مِلْ إِذْ ثَبَّتُوا
مِسْكِينِ اجْمَعْ لَا تُنَوِّنْ وَافْتَحَا ... عَمَّ لِتُكْمِلُوا اشْدُدَنْ ظَنًّا صَحَا
بُيُوتِ كَيْفَ جَا بِكَسْرِ الضَّمِّ كَمْ ... دِنْ صُحْبَةٌ بَلَى غُيُوبٍ صُونَ فَمْ
عُيُونِ مَعْ شُيُوخِ مَعْ جُيُوبِ صِفْ ... مِزْ دُمْ رِضًا وَالْخُلْفُ فِي الْجِيمِ صُرِفْ
لَا تَقْتُلُوهُمْ وَمَعًا بَعْدُ شَفَا ... فَاقْصُرْ وَفَتْحُ السِّلْمِ حِرْمٌ رُشَفَا
عَكْسُ الْقِتَالِ فِي صَفًا الأَنْفَالِ صُرْ ... وَخَفْضُ رَفْعٍ وَالْمَلَائِكَةَ ثُرْ

لِيَحْكُمَ

لِيَحْكُمَ اضْمُمْ وَافْتَحِ الضَّمَّ ثَـمَّنَا … كُلاًّ يَقُولُ ارْفَعْ أَلَا الْعَفْوُ حَـسْنَا

إِثْمٌ كَبِيرٌ ثَلِّثِ الْبَا فِي رَفَا … يَطْهُرْنَ يَطَّهَّرْنَ فِي رَخَا صَفَا

ضُمَّ يَخَافَا فُزْ ثَوَى تُضَارَ حَـقْ … رَفْعٌ وَسَكِّنْ خَفِّفِ الْخُلْفَ ثَـدَقْ

مَعْ لَا يُضَارَ وَأَتَيْتُمْ قَصْرُهُ … كَأَوَّلِ الرُّومِ دَنَا وَقَدْرُهُ

حَرِّكْ مَعًا مِنْ صَحْبِ ثَابِتٍ وَفَا … كُلٌّ تَمَسُّوهُنَّ ضُمَّ امْدُدْ شَفَا

وَصِيَّةٌ حِرْمٌ صَفَا ظِلًّا رَفَهْ … وَارْفَعْ شَفَا حِرْمٍ حَلَا يُضَاعِفَهْ (٥٠٠)

مَعًا وَثَقِّلْهُ وَبَابَهُ ثَوَى … كَسْ دِنْ وَيَبْصُطْ سِينَهُ فَتًى حَوَى

لِي غِثْ وَخُلْفٌ عَنْ قُوًى زِنْ مَنْ يَصُرْ … كَبَسْطَةِ الْخَلْقِ وَخُلْفُ الْعِلْمِ زُرْ

عَسَيْتُمُ اكْسِرْ سِينَهُ مَعًا أَلَا … غَرْفَةً اضْمُمْ ظِلُّ كَنْزٍ وَكِلَا

دَفْعُ دِفَاعُ وَاكْسِرْ إِذْ ثَوَى امْدُدَا … أَنَا بِضَمِّ الْهَمْزِ أَوْ فَتْحٍ مَدَا

وَالْكَسْرِ بِنْ خُلْفًا وَرَا فِي نُنْشِزُ … سَمَا وَوَصْلُ اعْلَمْ بِجَزْمٍ فِي رُزُوا

صُرْهُنَّ كَسْرُ الضَّمِّ غِثْ فَتًى ثُمَا … رُبْوَةٌ الضَّمُّ مَعًا شَفَا سَمَا

فِي الْوَصْلِ تَا تَيَمَّمُوا اشْدُدْ تَلَقَّفُ … تَلَّهُ لَا تَنَازَعُوا تَعَارَفُوا

تَفَرَّقُوا تَعَاوَنُوا تَنَابَزُوا … وَهَلْ تَرَبَّصُونَ مَعْ تَمَيَّزُوا

تَبَرَّجَ اذْ تَلَقَّوُا التَّجَسُّسَا … وَفَتَفَرَّقَ تَوَفَّى فِي النِّسَا

تَنَزَّلُ

تَنَزَّلُ الأَرْبَعُ أَنْ تَبَدَّلَا   تَخَيَّرُونَ مَعْ تَوَلَّوْا بَعْدَ لَا

مَعْ هُودَ وَالنُّورِ وَالامْتِحَانِ لَا   تَكَلَّمُ الْبَزِّي تَلَظَّى هَبْ غَلَا

تَنَاصَرُوا ثِقْ هُدْ وَفِي الْكُلِّ اخْتُلِفْ   لَهُ وَبَعْدَ كُنْتُمُ ظَلْتُمْ وُصِفْ

وَلِلسُّكُونِ الصِّلَةَ امْدُدْ وَالأَلِفْ   مَنْ يُؤْتَ كَسْرُ التَّا ظُبًى بِالْيَاءِ قِفْ

مَعًا نِعِمَّا افْتَحْ كَمَا شَفَا وَفِي   إِخْفَاءِ كَسْرِ الْعَيْنِ حُزْ بِهَا صَفِي

وَعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مَعْهُمْ سَكِّنَا   وَيَا نُكَفِّرْ شَامُهُمْ وَحَفْصُنَا

وَجَزْمُهُ مَدًا شَفَا وَيَحْسِبُ   مُسْتَقْبَلًا بِفَتْحِ سِينٍ كَتَبُوا

فِي نَصِّ ثَبْتٍ فَأْذَنُوا امْدُدْ وَاكْسِرِ   فِي صَفْوَةٍ مَيْسَرَةِ الضَّمَّ انْصُرِ

تَصَّدَّقُوا خِفٌّ نَمَا وَكَسْرُ أَنْ   تَضِلَّ فُزْ تُذْكِرَ حَقًّا خَفِّفَنْ

وَالرَّفْعَ فِدْ تِجَارَةٌ حَاضِرَةٌ   لِنَصْبِ رَفْعٍ نَلْ رِهَانٌ كَسْرَةٌ

وَفَتْحَةٌ ضَمًّا وَقَصْرٌ حُزْ دَوَا   يَغْفِرْ يُعَذِّبْ رَفْعُ جَزْمٍ كَمْ ثَوَى

نَصٌّ كِتَابِهِ بِتَوْحِيدٍ شَفَا   وَلَا نُفَرِّقُ بِيَاءٍ ظَرُفَا

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ (٣)

سَيُغْلَبُونَ يُحْشَرُونَ رُدْ فَتَى   يَرَوْنَهُمْ خَاطِبْ ثَنَا ظِلٌّ أَتَى

رِضْوَانُ ضَمُّ الْكَسْرِ صِفْ وَذُو السُّبُلْ   خُلْفٌ وَإِنَّ الدِّينَ فَافْتَحْهُ رَجُلْ

يُقَاتِلُونَ

يُقَاتِلُونَ الثَّانِ فُزْ فِي يَقْتُلُو   تَقِيَّةً قُلْ فِي تُقَاةً ظُـلَلُ
كَفَّلَهَا الثِّقْلُ كَفَى وَاسْكِنْ وَضُمْ   سُكُونَ تَا وَضَعَتْ صُنْ ظَهْرًا كَرُمْ
وَحَذْفُ هَمْزِ زَكَرِيَّا مُطْلَقَا   صِحَابُ وَرَفْعُ الأَوَّلِ انْصِبْ صَدِّقَا
نَادَتْهُ نَادَاهُ شَفَا وَكَسْرُ أَنْ   نَ اللَّهَ فِي كَمْ يَبْشُرُ اضْمُمْ شَدِّدَنْ
كَسْرًا كَالاِسْرَى الْكَهْفِ وَالْعَكْسُ رِضَى   وَكَافُ أُولَى الْحِجْرِ تَوْبَةٌ فَضَا
وَدُمْ رِضًى حَلاَ الَّذِي يُبَشِّرُ   نُعَلِّمُ الْيَا إِذْ ثَوَى نَلْ وَاكْسِرُوا
أَنِّي أَخْلُقُ اتْلُ ثُبْ وَالطَّائِرِ   فِي الطَّيْرِ كَالْعُقُودِ خَيْرُ ذُ اكْرِ (٥٣٠)
وَطَائِرًا مَعًا بِطَيْرًا إِذْ ثَنَا   ظُبًى نُوَفِّيهِمْ بِيَاءٍ عَنْ غِنَا
وَتَعْلَمُونَ ضُمَّ حَرِّكْ وَاكْسِرَا   وَشُدَّ كَنْزًا وَارْفَعُوا لاَ يَأْمُرَا
حِرْمٌ حَلاَ رُحْبًا لِمَا فَاكْسِرْ فِدَا   آتَيْتُكُمْ يُقْرَأُ آتَيْنَا مَدَا
وَيُرْجَعُونَ عَنْ ظُبًى يَبْغُونَ عَنْ   حِمًا وَكَسْرُ حَجُّ عَنْ شَفَا ثَمَنْ
مَا يَفْعَلُوا لَنْ يُكْفَرُو صَحْبُ طَلاَ   خُلْفًا يَضِرْكُمُ اكْسِرِ اجْزِمْ أَوْصِلاَ
حَقًّا وَضُمَّ اشْدُدْ لِبَاقٍ وَاشْدُدُوا   مُنَزَّلِينَ مُنْزِلُونَ كَبَّدُوا
وَمُنْزَلُ عَنْ كَمْ مُسَوِّمِينَ نَمْ   حَقٌّ اكْسِرِ الْوَاوَ وَحَذْفُ الْوَاوِ عَمْ
مِنْ قَبْلِ سَارِعُوا وَقَرْحُ الْقَرْحُ ضُمْ   صُحْبَةٌ كَائِنْ فِي كَأَيِّنْ ثَلَّ دُمْ

قَاتَلَ

قَاتَلَ ضُمَّ اكْسِرْ بِقَصْرٍ أُوجِفَا ... حَقًّا وَكُلُّهُ حِمًا يَغْشَى شَفَا
أَنِّثْ وَيَعْمَلُونَ دُمْ شَفَا اكْسِرِ ... ضَمًّا هُنَا فِي مُتُّمُ شَفَا أُرِي
وَحَيْثُ جَا صَحْبُ أَتَى وَفَتْحُ ضَمْ ... يُغَلَّ وَالضَّمُّ حَلَا نَصْرٍ دَعَمْ
وَيَجْمَعُونَ عَالِمٌ مَا قَتَلُوا ... شُدَّ لَدَى خُلْفٍ وَبَعْدُ كَفَلُوا
كَالْحَجِّ وَالْآخِرُ وَالْأَنْعَامُ ... دُمْ كَمْ وَخُلْفُ يَحْسَبَنَّ لَامُوا
وَخَاطِبَنْ ذَا الْكُفْرِ وَالْبُخْلِ فَنَنْ ... وَفَرِحْ ظُهْرُ كَفَى وَاكْسِرْ وَأَنْ
أَللَّهَ رُمْ يَحْزُنُ فِي الْكُلِّ اضْمُمَا ... مَعْ كَسْرِ ضَمٍّ أُمَّ الَانْبِيَا ثَمَا
يَمِيزَ ضُمَّ افْتَحْ وَشَدِّدْهُ ظَعَنْ ... شَفَا مَعًا نَكْتُبُ يَا وَجَهِّلَنْ
قَتْلَ ارْفَعُوا نَقُولُ يَا فُزْ يَعْمَلُو ... حَقٌّ وَفِي الزُّبُرِ بِالْبَا كَمَّلُوا
وَبِالْكِتَابِ الْخُلْفُ لُذْ يُبَيِّنُنْ ... وَيَكْتُمُونَ حَبْرُ صِفْ وَنَحْسِبَنْ
غَيْبٌ وَضَمُّ الْبَاءِ حَبْرٌ قُتِلُوا ... قَدِّمْ وَفِي التَّوْبَةِ أَخِّرْ يَقْتُلُوا
شَفَا يَغُرَّنَّكَ الْخَفِيفُ يَحْطِمَنْ ... أَوْ نُرِيَنْ وَيَسْتَخِفَّنْ نَذْهَبَنْ
وَقِفْ بِذَا بِأَلِفٍ غُصْ وَثَمَرْ ... شَدِّدْ لَكِنَّ الَّذِينَ كَالزُّمَرْ

سُورَةُ النِّسَاءِ (٢٥)

تَسَّاءَلُونَ الْخِفُّ كُوفٍ وَاجْرُرَا ... الْأَرْحَامَ فُقْ وَاحِدَةً رَفْعُ ثَرَا

الْأُخْرَى

الأُخْرَى مَدًا وَاقْصُرْ قِيَامًا كُنْ أَبَا ... وَتَحْتُ كَمْ يَصْلَوْنَ ضُمَّ كَمْ صَبَا

يُوصِي بِفَتْحِ الصَّادِ صِفْ كُفْلًا دَرَا ... وَمَعَهُمْ حَفْصٌ فِي الْأُخْرَى قَدْ قَرَا

لِأُمِّهِ فِي أُمِّ أُمِّهَا كَسَرْ ... ضَمًّا لَدَى الْوَصْلِ رِضًى كَذَا الزُّمَرْ

وَالنَّحْلُ نُورُ النَّجْمِ وَالْمِيمُ تَبَعْ ... فَاشِ وَيُدْخِلْهُ مَعَ الطَّلَاقِ مَعْ

فَوْقُ يُكَفِّرْ وَيُعَذِّبْ مَعْهُ فِي ... إِنَّا فَتَحْنَا نُونُهَا عَمَّ وَفِي

لَذَانِ ذَانِ وَلَذَيْنِ تَيْنِ شَدْ ... مَكٍّ فَذَانِكَ غِنًا دَاعٍ حَفِدْ

كَرْهًا مَعًا ضَمٌّ شَفَا الْأَحْقَافُ ... كَفَى ظَهِيرًا مَنْ لَهُ خِلَافُ

وَصِفْ دُمًا بِفَتْحِ يَا مُبَيِّنَهْ ... وَالْجَمْعُ حِرْمٌ صُنْ حِمًا وَمُحْصَنَهْ (٥٦٠)

فِي الْجَمْعِ كَسْرُ الصَّادِ لَا الْأُولَى رَمَا ... أَحْصَنَّ ضُمَّ اكْسِرْ عَلَى كَهْفٍ سَمَا

أَحَلَّ ثُبْ صَحْبًا تِجَارَةٌ عَدَا ... كُوفٍ وَفَتْحُ ضَمِّ مُدْخَلًا مَدَا

كَالْحَجِّ عَاقَدَتْ لِكُوفٍ قَصْرَا ... وَنَصْبُ رَفْعِ حَفِظَ اللَّهُ ثَرَا

وَالْبُخْلِ ضُمَّ اسْكِنْ مَعًا كَمْ نَلْ سَمَا ... حَسَنَةٌ حِرْمٌ تَسَوَّى اضْمُمْ نَمَا

حَقٌّ وَعَمَّ الثِّقْلُ لَامَسْتُمْ قَصَرْ ... مَعًا شَفَا إِلَّا قَلِيلٌ نَصْبُ كَرْ

فِي الرَّفْعِ تَأْنِيثُ يَكُنْ دِنْ عَنْ غِنًا ... لَا يُظْلَمُو دُمْ ثِقْ شَذَا الْخُلْفُ شَفَا

وَحَصِرَتْ حَرِّكْ وَنَوِّنْ ظَلْمَا ... تَثَبَّتُوا شَفَا مِنَ التَّثَبُّتِ مَعَا

مَعْ

مَعْ حُجُرَاتٍ وَمِنَ الْبَيَانِ عَنْ ... سِوَاهُمُ السَّلَامَ لَسْتَ فَاقْصُرَنْ

عَمَّ فَتًى وَبَعْدُ مُؤْمِنًا فَتَحْ ... ثَالِثَهُ بِالْخُلْفِ ثَابِتًا وَضَحْ

غَيْرَ ارْفَعُوا فِي حَقٍّ نَلْ نُؤْتِيهِ يَا ... فَتًى حُلًا وَيَدْخُلُونَ ضَمُّ يَا

وَفَتْحُ ضَمٍّ صِفْ ثَنَا حَبْرٍ شَفِي ... وَكَافَ أُولَى الطَّوْلِ ثُبْ حَقٌّ صُفِي

وَالثَّانِ دَعْ ثَطَاصَبَا خُلْفًا غَدَا ... وَفَاطِرٍ حُزْ يُصْلِحَا كُوفٍ لَدَا

يَصَّالَحَا تَلْوُوا تَلُوا فَضْلٌ كَلَا ... نَزَّلَ أَنْزَلَ اضْمُمِ اكْسِرْ كَمْ حَلَا

دُمْ وَاعْكِسِ الْأُخْرَى ظُبًى نَلْ وَالدَّرَكْ ... سَكِّنْ كَفَى نُؤْتِيهِمُ الْيَاءُ عَرَكْ

تَعْدُوا فَحَرِّكْ جُدْ وَقَالُونُ اخْتَلَسْ ... بِالْخُلْفِ وَاشْدُدْ دَالَهُ ثُمَّ أَنَسْ

وَيَا سَنُؤْتِيهِمْ فَتًى وَعَنْهُمَا ... زَايِ زَبُورًا كَيْفَ جَاءَ فَاضْمُمَا

سُورَةُ الْمَائِدَةِ (١٣)

سَكِّنْ مَعًا شَنْئَانُ كَمْ صَحَّ خَفَا ... ذَا الْخُلْفِ أَنْ صَدُّوكُمُ اكْسِرْ حُزْ دَفَا

أَرْجُلَكُمْ نَصْبُ ظُبًى عَنْ كَمْ أَضَا ... رُدْ وَاقْصُرِ اشْدُدْ يَا قَسِيَّةً رِضَى

مِنْ أَجْلِ كَسْرُ الْهَمْزِ وَالنَّقْلُ ثَنَا ... وَالْعَيْنَ وَالْعَطْفَ ارْفَعِ الْخَمْسَ رَنَا

وَفِي الْجُرُوحِ ثَعْبُ حَبْرٍ كَمْ رَكَا ... وَلْيَحْكُمَ اكْسِرْ وَانْصِبَنْ مُحَرِّكَا

فُقْ خَاطَبُوا يَبْغُونَ كَمْ وَقَبْلَا ... يَقُولُ وَاوُهُ كَفَى حُزْ ظِلَّا

وَارْفَعْ

وَارْفَعْ سِوَى الْبَصْرِي وَعَمّ يَرْتَدِدْ ... وَخَفْضُ وَالْكُفَّارَ رُمْ حِمًا عَبُدْ

بِضَمِّ بَائِهِ وَطَاغُوتَ اجْرُرِ ... فَوْزًا رِسَالاَتِهِ فَاجْمَعْ وَاكْسِرِ

عَمْ صِرَاظُلْمٌ وَالأَنْعَامِ اعْكِسَا ... دِنْ عُدْ تَكُونُ ارْفَعْ حِمًا فَتًى رَسَا

عَقَّدْتُمُ الْمَدُّ مُنًى وَخَفَّفَا ... مِنْ صُحْبَةٍ جَزَاءُ تَنْوِينُ كَفَى

ظَهْرًا وَمِثْلِ رَفْعُ خَفْضِهِمْ وَسَمْ ... وَالْعَكْسُ فِي كَفَّارَةٌ طَعَامُ عَمْ

ضَمَّ اسْتُحِقَّ افْتَحْ وَكَسْرُهُ عُلاَ ... وَالأَوْلَيَانِ الأَوَّلِينَ ظُلِّلاَ

صِفْ فُوفَتًى وَسِحْرٌ سَاحِرٌ شَفَا ... كَالصَّفِّ هُودٍ وَبِيُونُسٍ دَفَا

كَفَى وَيَسْتَطِيعُ رَبُّكَ سِوَى ... عَلِيِّهِمْ يَوْمَ انْصِبِ الرَّفْعَ أَوَى

سُورَةُ الأَنْعَامِ (٣٨)

يُصْرَفْ بِفَتْحِ الضَّمِّ وَاكْسِرْ صُحْبَةُ ... (٥٩٠) ظَعْنٍ وَنَحْشُرْ يَا نَقُولُ ظُلَّةُ

وَمَعَهُ حَفْصٌ فِي سَبَا يَكُنْ رِضَا ... صِفْ خُلْفَ ظَامٍ فِتْنَةٌ ارْفَعْ كَمْ عَضَا

دُمْ رَبِّنَا النَّصْبُ شَفَا نُكَذِّبُ ... بِنَصْبِ رَفْعٍ فَوْزُ ظُلْمٍ عَجَبُ

كَذَا نَكُونُ مَعَهُمْ شَامٍ وَخِفْ ... لَلدَّارُ الآخِرَةُ خَفْضُ الرَّفْعِ كَفْ

لاَيَعْقِلُونَ خَاطِبُوا وَتَحْتُ عَمْ ... عَنْ ظَفَرٍ يُوسُفَ شُعْبَةٌ وَهُمْ

يَسِّ كَمْ خُلْفٍ مَدًا ظِلٍّ وَخِفْ ... يُكَذِّبُ اتْلُ رُمْ فَتَحْنَا اشْدُدْ كُلِفْ

خُذْهُ

خُذْهُ كَالأَعْرَافِ وَخُلْفًا ذُقْ غَدَا ... وَاقْتَرَبَتْ كَمْ ثِقْ غَلَا الْخُلْفُ شَدَا

وَفُتِّحَتْ يَأْجُوجَ كَمْ ثَوَى وَضَمْ ... غُدْوَةِ فِي الْغَدَاةِ كَالْكَهْفِ كَتَمْ

وَإِنَّهُ افْتَحْ عَمَّ ظِلًّا نَلْ فَإِنْ ... نَلْ كَمْ ظُبًى وَيَسْتَبِينَ صَوْنُ فَنْ

رُوَى سَبِيلُ لَا الْمَدِينِي وَيَقُصْ ... فِي يَقْضِ أَهْمِلْ وَشَدِّدْ حِرْمُ نَصْ

وَذَكِّرِ اسْتَهْوَى تَوَفَّى مُضْجِعَا ... فَضْلُ وَنُنْجِي الْخِفُّ كَيْفَ وَقَعَا

ظِلٌّ وَفِي الثَّانِ أَتَلْ مِنْ حَقٍّ وَفِي ... كَافَ ظُبًى رُضْ تَحْتَ صَادٍ شَرِّفِ

وَالْحِجْرِ أُولَى الْعَنْكَبَا ظُلْمٌ شَفَا ... وَالثَّانِ صُحْبَةٌ ظَهِيرُ ذُ لَفَا

وَيُونُسَ الأُخْرَى عَلَا ظَبْيٌ رَعَا ... وَثِقْلُ صِفْ كَمْ وَخُفْيَةً مَعًا

بِكَسْرِ ضَمٍّ صِفْ وَأَنْجَانَا كَفَى ... أَنْجَيْتَنَا الْغَيْرُ وَيُنْسِي كَيِّفَا

ثِقْلًا وَآزَرَ ارْفَعُوا ظُلْمًا وَخِفْ ... نُونَ تُحَاجُّونِي مَدًا مَنْ لِي اخْتُلِفْ

وَدَرَجَاتٍ نَوِّنُوا كَفَا مَعَا ... يَعْقُوبَ مَعْهُمُ هُنَا وَاللَّيْسَعَا

شَدِّدْ وَحَرِّكْ سَكِّنَنْ مَعًا شَفَا ... وَيَجْعَلُو يُبْدُو وَيُخْفُو دَعْ حَفَا

يُنْذِرَ صِفْ بَيْنَكُمُ ارْفَعْ فِي كَلَا ... حَقٌّ صَفَا وَجَاعِلُ اقْرَأْ جَعَلَا

وَاللَّيْلِ نَصْبُ الْكُوفِ قَافُ مُسْتَقَرْ ... فَاكْسِرْ شَذَا حَبْرٍ وَفِي ضَمَّيْ ثَمَرْ

شَفَا كَيْسَ وَخَرَّقُوا اشْدُدِ ... مَدًا وَدَارَسْتَ لِحَبْرٍ فَامْدُدِ

وَحَرِّكِ

وَحَرِّكِ اَسْكِنْ كَمْ ظُبًى وَالْحَضْرَمِي عَدَوًا عُدُوًّا كَعُلُوًّا فَاعْلَمِ

وَإِنَّهَا افْتَحْ عَنْ رِضًى عَمَّ صَدًا خُلْفٍ وَيُؤْمِنُونَ خَاطِبْ فِي كُدَا

وَقِبَلًا كَسْرًا وَفَتْحًا ضَمَّ حَقْ كَفَى وَفِي الْكَهْفِ كَفَى ذِكْرًا خَفَقْ

وَكَلِمَاتُ اقْصُرْ كَفَى ظِلًّا وَفِي يُونُسَ وَالطَّوْلِ شَفَا حَقًّا نُفِي

فُصِّلَ فَتْحَ الضَّمِّ وَالْكَسْرِ أُوِي ثَوَى كَفَى وَحُرِّمَ اتْلُ عَنْ ثَوَى

وَاضْمُمْ يَضِلُّوا مَعَ يُونُسٍ كَفَى ضَيِّقًا مَعًا فِي ضَيِّقًا مَلِّكْ وَفَى

رَاحَرِجًا بِالْكَسْرِ صُنْ مَدًا وَخِفْ سَاكِنْ يَصَّعَّدُ دَنَا وَالْمَدُّ صِفْ

وَالْعَيْنَ خَفِّفْ صُنْ دُمًا نَحْشُرُ يَا حَفْصُ وَرُوحٌ ثَانِ يُونُسٍ عَيَا

خِطَابُ عَمَّا يَعْمَلُو كَمْ هُودَ مَعْ نَمْلٍ اُذْ ثَوَى عُدْ كُسْ مَكَانَاتٍ جَمَعْ

فِي الْكُلِّ صِفْ وَمَنْ يَكُونُ كَالْقَصَصْ شَفَا بِزَعْمِهِمْ مَعًا ضَمَّ رَمَصْ (٦٢٠)

زَيَّنَ ضَمَّ اكْسِرْ وَقَتْلَ الرَّفْعُ كَرْ أَوْلَادِ نَصْبُ شُرَكَاؤُهُمْ بِجَرْ

رَفْعٍ كُدًا أَنِّثْ يَكُنْ لِي خُلْفُ مَا صِبْ ثِقْ وَمَيْتَةٌ كَسَا ثَنَا دُمَا

وَالثَّانِ كَمْ ثَنَّى حِصَادِ افْتَحْ كَلَا حِمًا نَمَا وَالْمَعْزِ حَرِّكْ حَقَّ لَا

خُلْفُ مُنًى يَكُونُ إِذْ حِمًا نَفَا رَوَى تَذَّكَّرُونَ صَحْبُ خَفَّفَا

كُلًّا وَأَنْ كَمْ ظَنَّ وَاكْسِرْهَا شَفَا يَأْتِيَهُمْ كَالنَّحْلِ عَنْهُمْ وُصِفَا

وَفَرَّقُوا

وَفَـرَّقُوا امْدُدْهُ وَخَفِّفْـهُ مَعَـا ... رِضًى وَعَشْـرُ نَوِّنَنْ بَعْدُ ارْفَعَـا

خَفْضًـا لِيَعْقُوبَ وَدِينًا قِيَمَا ... فَافْتَحْهُ مَعْ كَسْرٍ بِثِقْلِهِ سَمَا

سُورَةُ الأَعْرَافِ (٢٨)

تَذَّكَّرُونَ الْغَيْبَ زِدْ مِنْ قَبْلُ كَمْ ... وَالْخِفُّ كُنْ صَحْبًا وَتُخْرَجُونَ ضَمّ

فَافْتَحْ وَضَمَّ الرَّا شَفَا ظِلٌّ مَلَا ... وَزُخْرُفُ مَنٌّ شَـفَا وَأَوَّلَا

رُومٍ شَـفَا مِنْ خُلْفِهِ الْجَاثِيَةَ ... شَفَا لِبَاسَ الرَّفْعُ نَلْ حَقًّا فَتَى (٦٣)

خَالِصَةٌ إِذْ يَعْلَمُو الرَّابِعَ صِفْ ... يُفْتَحُ فِي رُوَى وَحُزْ شَفَا يَخِفْ

وَاوَ وَمَا احْذِفْ كَمْ نَعَمْ كُلًّا كَسَرْ ... عَيْنًا رَجَا أَنْ خِفَّ نَلْ حِمًا زَهَرْ

خُلْفُ أَتْلُ لَعْنَةٌ لَهُمْ يُغْشِي مَعَا ... شَدِّدْ ظَمَا صُحْبَةٌ وَالشَّمْسَ ارْفَعَا

كَالنَّحْلِ مَعْ عَطْفِ الثَّلَاثِ كَمْ وَثَمّ ... مَعَهُ فِي الآخِرَيْنِ عُدْ نُشْرًا يُضَمّ

فَافْتَحْ شَـفَا كُلًّا وَسَاكِنًا سَمَا ... ضَمَّ وَبَا نَلْ نَكِدًا فَتْحُ ثَـمَا

وَرَا إِلٰهٍ غَيْرُهُ اخْفِضْ حَيْثُ جَا ... رَفْعًا ثَنَا رُدْ أُبْلِغُ الْخِفُّ حَجَا

كُلًّا وَبَعْدَ الْمُفْسِدِينَ الْوَاوُ كَمْ ... أَوْ أَمِنَ الإِسْكَانُ كَمْ حِرْمٌ وَسَمْ

عَلَى عَلَيَّ اتْلُ وَسَحَّارٍ شَفَا ... مَعْ يُونُسٍ فِي سَاحِرٍ وَخَفَّفَا

تَلْقَفُ كُلًّا عُدْ سَنُقَتِّلُ اضْمُمَا ... وَاشْدُدْهُ وَاكْسِرْ ضَمَّهُ كَنْزٌ حِمَا

وَيَقْتُلُونَ

وَيَقْتُلُونَ عَكْسُهُ ٱنْقُلْ يَعْرِشُو ... مَعًا بِضَمِّ ٱلْكَسْرِ صَافٍ كَمَشَوْا

وَيَعْكُفُو ٱكْسِرْ ضَمَّهُ شَفَا وَعَنْ ... إِدْرِيسَ خُلْفُهُ وَأَنْجَانَا ٱحْذِفَنْ

يَاءً وَنُونًا كَمْ وَدَكَّاءَ شَفَا ... فِي دَكًّا ٱلْمَدُّ وَفِي ٱلْكَهْفِ كَفَى

رِسَالَتِي ٱجْمَعْ غَيْثُ كَنْزٍ حَجَفَا ... وَٱلرُّشْدِ حَرِّكْ وَٱفْتَحِ ٱلضَّمَّ شَفَا

وَآخِرَ ٱلْكَهْفِ حِمًا وَخَاطَبُوا ... يَرْحَمْ وَيَغْفِرْ رَبَّنَا ٱلرَّفْعَ ٱنْصِبُوا

شَفَا وَحَلْيِهِمْ مَعَ ٱلْفَتْحِ ظَهَرْ ... وَٱكْسِرْ رِضًى وَأُمِّ مِيمَهُ كَسَرْ

كَمْ صُحْبَةٍ مَعًا وَآصَارَ ٱجْمَعِ ... وَٱعْكِسْ خَطِيئَاتِ كَمَا ٱلْكَسْرَ ٱرْفَعِ

عَمَّ ظُبًى وَقُلْ خَطَايَا حَصَرَهْ ... مَعْ نُوحَ وَٱرْفَعْ نَصْبَ حَفْصٍ مَعْذِرَهْ

بِيسٍ بِيَاءٍ لَاحَ بِٱلْخُلْفِ مَدَا ... وَٱلْهَمْزُ كَمْ وَبَيْئَسٍ خُلْفٌ صَدَا

بَيْئِسٍ ٱلْغَيْرُ وَصِفْ يُمْسِكُ خِفْ ... ذُرِّيَّةَ ٱقْصُرْ وَٱفْتَحِ ٱلتَّاءَ دَنِفْ

كَفَى كَثَانِ ٱلطُّورِ يَاسِينَ لَهُمْ ... وَٱبْنُ ٱلْعَلَا كِلَا تَقُولُوا ٱلْغَيْبُ حُمْ

وَضَمَّ يُلْحِدُونَ وَٱلْكَسْرَ فَتَحْ ... كَفُصِّلَتْ فَشَا وَفِي ٱلنَّحْلِ رَجَحْ

فَتًى يَذَرْهُمْ ٱجْزِمُوا شَفَا وَيَا ... كَفَى حِمًا شِرْكًا مَدَاهُ صَلِيَا

فِي شُرَكَاءَ يَتْبَعُوا كَٱلظُّلَّهْ ... بِٱلْخِفِّ وَٱلْفَتْحِ ٱتْلُ يَبْطِشْ كُلَّهْ

بِضَمِّ كَسْرٍ ثِقْ وَلِيِّيَ ٱحْذِفِ ... بِٱلْخُلْفِ وَٱفْتَحْهُ أَوِ ٱكْسِرْهُ يَفِي

وَطَائِفٌ

وَطَائِفُ طَيْفٌ رَعَى حَقًّا وَضُمْ ... وَاكْسِرْ يُمِدُّونَ لِضَمٍّ شَذِي أُمْ

سُورَةُ الأَنْفَالِ (١٠)

وَمُرْدِفِي افْتَحْ دَالَهُ مَدًا ظُمِي ... رَفْعَ النُّعَاسَ حَبْرُ يُغْشِي فَاضْمُمِ

وَاكْسِرْ لِبَاقٍ وَاشْدُدَنْ مَعْ مُوهِنُ ... خَفِّفْ ظُبًى كَنْزٍ وَلَا يُنَوَّنُ

مَعْ خَفْضِ كَيْدَ عُدْ وَبَعْدُ افْتَحْ وَأَنْ ... عَمَّ عُلًا وَيَعْمَلُو الْخِطَابُ غِنْ

بِالْعُدْوَةِ اكْسِرْ ضَمَّهُ حَقًّا مَعَا ... وَحَيِيَ اكْسِرْ مُظْهِرًا صَفَا زَعَا

خُلْفُ ثَوَى إِذْ هُبْ وَيَحْسَبَنَّ فِي ... عَنْ كَمْ ثَنَا وَالنُّورُ فَاشِيهِ كُفِي (٦٦٠)

وَفِيهِمَا خِلَافُ إِدْرِيسَ اتَّضَحْ ... وَيَتَوَفَّى أَنِّثْ انَّهُمْ فَتَحْ

كَمُلْ وَتُرْهِبُونَ ثِقْلُهُ غَمَا ... ثَانِي يَكُنْ حِمًا كَفَى بَعْدُ كَفَا

ضُعْفًا فَحَرِّكْ لَا تُنَوِّنْ مُدَّ ثُبْ ... وَالضَّمَّ فَافْتَحْ نَلْ فَتًى وَالرُّومُ صُبْ

عَنْ خُلْفِ فُزْ أَنْ يَكُونَ أَنِّثَا ... ثَبْتُ حِمًا أَسْرَى أُسَارَى فَثَلِّثَا

مِنَ الأُسَارَى حُزْ ثَنَا وَلَايَةُ ... فَاكْسِرْ فَشَا الْكَهْفِ فَتًى رِوَايَةُ

سُورَةُ التَّوْبَةِ (١١)

وَكَسْرَ لَا أَيْمَانَ كُمْ مَسْجِدَ حَقْ ... لَاوَّلَ وَحِّدْ وَعَشِيرَاتُ صَدَقْ

جَمْعًا عُزَيْرٌ نَوِّنُوا رُمْ نَلْ ظُبًى ... عَيْنَ عَشَرْ فِي الْكُلِّ سَكِّنْ ثَغَبَا

يُضَلُّ

يَضِلُّ فَتْحُ الضَّادِ صَحْبٌ ضَمَّ يَا ... صَحْبُ ظُبًى كَلِمَةُ انْصِبْ ثَانِيَا

رَفْعًا وَمُدْخَلًا مَعَ الْفَتْحِ لِضَمّْ ... يَلْمِزُ ضَمُّ الْكَسْرِ فِي الْكُلِّ ظُلَمْ

يُقْبَلُ رُدْ فَتًى وَرَحْمَةٌ رَفَعْ ... فَاخْفِضْ فَشَا يُعْفَ بِنُونٍ سَمِّ مَعْ (٦٧٠

نُونٍ لَدَى أُنْثَى تُعَذَّبْ مِثْلَهُ ... وَبَعْدُ نَصْبُ الرَّفْعِ نَلْ وَظَلَّهُ

الْمُعْذِرُونَ الْخِفُّ وَالسَّوْءِ اضْمُمَا ... كَثَانٍ فَتْحٍ حَبْرُ الْانْصَارِ ظَمَا

بِرَفْعِ خَفْضٍ تَحْتَهَا اخْفِضْ وَزِدِ ... مِنْ دُمْ صَلَاتَكَ لِصَحْبٍ وَحِّدِ

مَعْ هُودَ وَافْتَحْ تَاءَهُ هُنَا وَدَعْ ... وَاوَ الَّذِينَ عَمَّ بُنْيَانَ ارْتَفَعْ

مَعْ أُسِّسَ اضْمُمْ وَاكْسِرِ اعْلَمْ كَمْ مَعَا ... إِلَّا إِلَى أَنْ ظُفُرٌ تَقَطَّعَا

ضُمَّ اتْلُ صِفْ حَبْرًا رَوَى يَزِيغُ عَنْ ... فَوْزٍ يَرَوْنَ خَاطِبُوا فِيهِ ظَعَنْ

سُورَةُ يُونُسَ عليه السلام ١٠

وَإِنَّهُ افْتَحْ ثِقْ وَيَا يُفَصِّلُ ... حَقٌّ عَلَا قُضِيَ سَمَّى أَجَلُ

فِي رَفْعِهِ انْصِبْ كَمْ ظُبًى وَاقْصُرْ وَلَا ... أَدْرَى وَلَا أُقْسِمُ الْاولَى زِنْ هَلَا

خُلْفٌ وَعَمَّا يُشْرِكُو كَالنَّحْلِ مَعْ ... رُومٍ سَمَا نَلْ كَمْ وَيَمْكُرُو شَفَعْ

وَكَمْ ثَنَا يَنْشُرُ فِي يُسَيِّرُ ... مَتَاعُ لَا حَفْصٌ وَقِطْعًا ظُفُرُ (٦٨٠

رُمْ دِنْ سُكُونًا بَاءَ تَبْلُو التَّا شَفَا ... لَا يَهْدِ خِفُّهُمْ وَيَا اكْسِرْ صَرَفَا

وَالْهَاءَ

وَالْهَاءَ نَلْ ظُلْمًا وَأَسْكِنْ ذَا بَدَا ... خُلْفُهُمَا شَفَا خُذِ الإِخْفَا حَدَا

خُلْفُ بِهِ ذُقْ يَفْرَحُوا غِثْ خَاطَبُوا ... وَتَجْمَعُو ثِبْ كَمْ غَوَى اكْسِرْ يَعْزُبُ

ضَمًّا مَعًا رُمْ أَصْغَرَ ارْفَعْ أَكْبَرَا ... ظِلٌّ فَتًى صِلْ فَاجْمَعُوا وَافْتَحْ غَرَا

خُلْفُ وَظَنَّ شُرَكَاؤُكُمْ وَخِفْ ... تَتَّبِعَانِّ النُّونُ مَنْ لَهُ اخْتُلِفْ

يَكُونُ صِفْ خُلْفًا وَأَنَّهُ شَفَا ... فَاكْسِرْ وَيَجْعَلُ بِنُونٍ صَرَّفَا

سُورَةُ هُودٍ عليه السلام (١٢)

إِنِّي لَكُمْ فَتْحًا رَوَى حَقٌّ ثَنَا ... عَمِيَتِ اضْمُمْ شُدَّ صَحْبٌ نَوِّنَا

مِنْ كُلِّ فِيهِمَا عَلَا مَجْرَى اضْمُمَا ... صِفْ كَمْ سَمَا وَيَابُنَيِّ افْتَحْ نَمَا

وَحَيْثُ جَا حَفْصٌ وَفِي لُقْمَانَا ... لأُخْرَى هُدًى عِلْمٍ وَسَكِّنْ زَانَا

(٦٩٠) وَأَوَّلَا دِنْ عَمَلُ كَعَلِمَا ... غَيْرَ انْصِبِ الرَّفْعَ ظَهِيرٌ رَسَمَا

تَسْئَلْنِ فَتْحُ النُّونِ دُمْ لِي الْخُلْفُ ... وَاشْدُدْ كَمَا حِرْمٍ وَعَمَّ الْكَهْفُ

يَوْمِئِذٍ مَعْ سَالَ فَافْتَحْ إِذْ رَفَا ... ثِقْ نَمْلِ كُوفٍ مَدَنٍ نَوِّنْ كَفَا

فَزِعٍ وَاعْكِسُوا ثَمُودَ هَاهُنَا ... وَالْعَنْكَبَا الْفُرْقَانِ عَجْ ظُبًى فِنَا

وَالنَّجْمِ نَلْ فِي ظَنِّهِ اكْسِرْ نَوِّنِ ... رُدْ لِثَمُودَ قَالَ سِلْمٌ سَكِّنِ

وَاكْسِرْهُ وَاقْصُرْ مَعْ ذَرْوٍ فِي رُبَا ... يَعْقُوبُ نَصْبُ الرَّفْعِ عَنْ فَوْزٍ كَبَا

وَامْرَأَتُكَ

وَامْرَأَتُكْ حَبْرٌ أَنِ اسْرِ فَاسْرِ صِلْ   حِرْمٌ وَضَمَّ سَعِدُوا شَفَا عُدِلْ

إِنْ كُلًّا الْخِفُّ دَنَا أَتْلُ صُنْ وَشُدْ   لَمَّا كَطَارِقٍ نُهًى كُنْ فِي ثَمَدْ

يٰسٓ فِي ذَا كَمْ نَوَى لَامَ زُلَفْ   ضُمَّ ثَنَا بَقِيَّةٍ ذُقْ كَسْرُ وَخَفْ

سُورَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (٩)

يَا أَبَتِ افْتَحْ حَيْثُ جَا كَمْ ثَطَّعَا   آيَاتُ افْرِدْ دِنْ غَيَابَاتِ مَعَا

فَاجْمَعْ مَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ نُونُ دَا   حُزْ كَيْفَ يَرْتَعْ كَسْرُ جَزْمٍ دُمْ مَدَا

بُشْرَايَ حَذْفُ الْيَا كَفَى هَيْتَ اكْسِرَا   عَمَّ وَضَمَّ التَّا لَدَى الْخُلْفِ دَرَى

وَاهْمِزْ لَنَا وَالْمُخْلَصِينَ الْكَسْرُ كَمْ   حَقٌّ وَمُخْلَصًا بِكَافٍ حَقٌّ عَمْ

حَاشَا مَعًا صِلْ حُزْ وَسِجْنُ أَوَّلَا   إِفْتَحْ ظُبًى وَدَأْبًا حَرِّكْ عُلَا

وَيَعْصِرُو خَاطِبْ شَفَا حَيْثُ يَشَا   نُونُ دَنَا وَيَاءُ نَرْفَعْ مَنْ نَشَا

ظِلٌّ وَيَا نَكْتَلْ شَفَا فِتْيَانِ فِي   فِتْيَةِ حِفْظًا حَافِظًا صَحْبٌ وَفِي

يُوحَى إِلَيْهِ النُّونُ وَالْحَاءَ اكْسِرَا   صَحْبٌ وَمَعْ إِلَيْهِمُ الْكُلُّ عَرَا

وَكُذِّبُوا الْخِفُّ ثَنَا شَفَا نَوَى   نُنْجِي فَقُلْ نُجِّيَ نَلْ ظِلٌّ كَوَى

سُورَةُ الرَّعْدِ وَأُخْتَيْهَا (١٢)

زَرْعٍ وَبَعْدَهُ الثَّلَاثُ الْخَفْضُ عَنْ   حَقٌّ ارْفَعُوا يُسْقَى كَمَا نَصْرٍ ظَعَنْ

يُفَضِّلُ

نُفَضِّلُ الْيَاءُ شَفَا وَيُوقِدُو ... صُحْبٌ وَأَمْ هَلْ يَسْتَوِي شَفَا صُدُوا

يُثَبِّتُ خَفِّفْ نَصُّ حَقٍّ وَاضْمُمِ ... صُدُّوا وَصَدَّ الطَّوْلِ كُوفِ الْحَضْرَمِي

وَالْكَافِرُ الْكُفَّارُ شُدْ كَنْزُ غِذِي ... وَعَمَّ رَفْعُ الْخَفْضِ فِي اللَّهِ الَّذِي

وَالِابْتِدَا غِرْ خَالِقُ امْدُدْ وَاكْسِرِ ... وَارْفَعْ كَنُورٍ كُلَّ وَالْأَرْضَ اجْرُرِ

شَفَا وَمُصْرِخِيَّ كَسْرُ الْيَا فَخَرْ ... يُضِلَّ فَتْحُ الضَّمِّ كَالْحَجِّ الزُّمَرْ

حَبْرٌ غِنًا لُقْمَانَ حَبْرٌ وَأَتَى ... عَكْسُ رُوَيْسٍ وَاشْبِعَنْ أَفْئِدَتَا

لِي الْخُلْفُ وَافْتَحْ لِتَزُولَ ارْفَعْ رُمَا ... وَرُبَّمَا الْخِفُّ مَدًا نَلْ وَاضْمُمَا

تَنَزَّلُ الْكُوفِي وَفِي التَّا النُّونُ مَعْ ... زَاهَا اكْسِرَا صَحْبًا وَبَعْدُ مَا رَفَعْ

وَخِفُّ سُكِّرَتْ دَنَا وَلَامَا ... عَلَيَّ فَاكْسِرْ نَوِّنِ ارْفَعْ ظَامَا

هَمْزَ ادْخُلُو انْقُلِ اكْسِرِ الضَّمَّ اخْتَلَفْ ... غَيْثُ تُبَشِّرُونَ ثِقْلُ النُّونِ دِفْ

وَكَسْرُهَا اعْلَمْ دُمْ كَيَقْنَطُ اجْمَعَا ... رَوَى حِمًا خِفُّ قَدَرْنَا صِفْ مَعَا

سُورَةُ النَّحْلِ ٨

يُنْزِلُ مَعْ مَا بَعْدُ مِثْلُ الْقَدْرِ عَنْ ... رَوْحٍ بِشِقِّ فَتْحُ شِينِهِ ثَمَنْ

يُنْبِتُ نُونُ صَحَّ يَدْعُونَ ظُبَا ... نَلْ وَتُشَاقُّونَ اكْسِرِ النُّونَ أَبَا

وَيَتَوَفَّاهُمْ مَعًا فَتًى وَضَمْ ... وَفَتْحُ يَهْدِي كَمْ سَمَا يَرَوْا فَعَمْ

رَوَى

رَوَى الْخِطَابَ وَالْأَخِيرُ كَمْ ظَرُفْ ... فَتًى تَرَوْا كَيْفَ شَفَا وَالْخُلْفُ صِفْ

وَيَتَفَيَّؤُا سِوَى الْبَصْرِي وَرَا ... مُفْرِطُونَ اكْسِرْ مَدًا وَاشْدُدْ ثَرَا

وَنُونَ نَسْقِيكُمْ مَعًا أَنِّثْ ثَنَا ... وَضَمَّ صَحْبُ حَبْرُ يَجْحَدُوا غِنَا

صَبَا الْخِطَابَ ظَعْنِكُمْ حَرِّكْ سَمَا ... لَيَجْزِيَنَّ النُّونُ كَمْ خُلْفُ نَمَا

دُمْ ثِقْ وَضُمَّ فَتَنُوا وَاكْسِرْ سِوَى ... شَامٍ وَضَيْقٍ كَسْرُهَا مَعًا دَوَى

سُورَةُ الْإِسْرَاءِ ١٤

يَتَّخِذُوا حَلَا يَسُوءَ فَاضْمُمَا ... هَمْزًا وَأَشْبِعْ عَنْ سَمَا النُّونُ رَمَى

وَنُخْرِجُ الْيَاءُ ثَوَى وَفَتْحُ ضَمْ ... وَضَمُّ رَاءٍ ظَنَّ فَتْحُهَا ثَكَمْ

يَلْقَا اضْمُمِ اشْدُدْ كَمْ ثَنَا مَدَّ أَمَرْ ... ظُهْرٌ وَيَبْلُغَنَّ مَدَّ وَكَسَرْ (٧٣٠)

شَفَا وَحَيْثُ أُفِّ نَوِّنْ عَنْ مَدَا ... وَفَتْحُ فَائِهِ دَنَا ظِلٌّ كَدَا

وَفَتْحُ خِطْئًا مَنْ لَهُ الْخُلْفُ ثَرَا ... حَرِّكْ لَهُمْ وَالْمُلْكِ وَالْمَدُّ دَرَى

يُسْرِفْ شَفَا خَاطِبْ وَقُسْطَاسِ اكْسِرِ ... ضَمًّا مَعًا صَحْبُ وَضُمَّ ذِكْرِ

سَيِّئَةً وَلَا تُنَوِّنْ كَمْ كَفَى ... لِيَذْكُرُوا اضْمُمْ خَفِّفَنْ مَعًا شَفَا

وَبَعْدَ أَنْ فَتًى وَمَرْيَمُ نَمَا ... إِذْ كَمْ يَقُولُوا عَنْ دُعَا الثَّانِي سَمَا

نَلْ كَمْ يُسَبِّحُ صَدَا عَمَّ دُعَا ... وَفِيهِمَا خُلْفُ رُوَيْسٍ وَقَعَا

وَرَجِلِكَ

وَرَجْلِكَ اكْسِرْ سَاكِنًا عُدْ يَخْسِفَا   وَبَعْدَهُ الأَرْبَعُ نُونٌ حُزْ دَفَا
يُغْرِقَكُمْ مِنْهَا فَأَنِّثْ ثِقْ غِنَا   خَلْفَكَ فِي خِلَافَكَ أَتْلُ صِفْ ثَنَا
حَبْرٌ نَأَى نَاءَ مَعًا مِنْهُ ثُبَا   تَفْجُرَ فِي الأُولَى كَتَقْتُلَ ظَبَا (١)
كَفَى وَكِسْفًا حَرِّكَنْ عَمَّ نَفَسْ   وَالشُّعَرَا سَبَا عَلَا الرُّومِ عَكَسْ
مَنْ لِي بِخُلْفٍ ثِقْ وَقُلْ قَالَ دَنَا   كَمْ وَعَلِمْتَ مَا بِضَمِّ التَّا رَنَا (٢)

سُورَةُ الْكَهْفِ (١٩)

مِنْ لَدُنِهِ لِلضَّمِّ سَكِّنْ وَأَشِمْ   وَاكْسِرْ سُكُونَ النُّونِ وَالضَّمَّ صُرِمْ
مِرْفَقًا افْتَحِ اكْسِرَنْ عَمَّ وَخِفْ   تَزَّاوَرُ الْكُوفِي وَتَزْوَرُّ ظَرِفْ
كَمْ وَمُلِئْتَ الثِّقْلُ حِرْمٌ وَرِقِكُمْ   سَاكِنُ كَسْرٍ صِفْ فَتًى شَافٍ حَكَمْ
وَلَا تُنَوِّنْ مِائَةٍ شَفَا وَلَا   يُشْرِكُ خِطَابٌ مَعْ جَزْمٍ كَمَّلَا
وَثُمُرٌ ضَمَّاهُ بِالْفَتْحِ ثَوَى   نَصْرٌ بِثُمْرِهِ ثَنَا شَادٍ نَوَى
سَكِّنْهُمَا حَلَا وَمِنْهَا مِنْهُمَا   دِنْ عَمَّ لَكِنَّا فَصِلْ ثُبْ غُصْ كَمَا
يَكُنْ شَفَا وَرَفْعُ خَفْضِ الْحَقِّ رُمْ   حُطْ يَا نُسَيِّرُ افْتَحُوا حَبْرٌ كَرُمْ
وَالنُّونَ أَنِّثْ وَالْجِبَالَ ارْفَعْ وَثَمْ   أَشْهَدتُّ أَشْهَدْنَا وَكُنْتَ التَّاءَ ضَمْ
سِوَاهُ وَالنُّونُ يَقُولُ فَرْدَا (أبو جعفر)   مُهْلَكَ مَعْ نَمْلِ افْتَحِ الضَّمَّ نَدَا

وَاللَّامَ

(١) في النسخ القديمة (تَفْجُرَ الأُولَى كَتَقْتُلْ ظَبَا)
(٢) في النسخ القديمة (وعلمتُ التاءُ بالضمِّ رنا)

وَاللَّامَ فَاكْسِرْ عُدْ وَغَيْبَ تُغْرِقَا … وَالضَّمَّ وَالْكَسْرَ افْتَحَا فَتًى رَقَا

وَعَنْهُمُ ارْفَعْ أَهْلَهَا وَامْدُدْ وَخِفْ … زَاكِيَةً حَبْرٌ مَدًا غِثْ وَصُرِفْ

لَدُنِي أَشِمَّ أَوْ رُمِ الضَّمَّ وَخِفْ … نُونٍ مَدًا صُنْ تَخِذَ الْخَا اكْسِرْ وَخِفْ

حَقًّا وَمَعْ تَحْرِيمِ نُونٍ يُبْدِلَا … خَفِّفْ ظُبًا كَنْزٍ دَنَا النُّورُ دَلَا

صِفْ ظَنَّ أَتْبَعَ الثَّلَاثَ كَمْ كَفَى … حَامِيَةٍ حَمِئَةٍ وَاهْمِزْ أَفَا

عُدْ حَقُّ وَالرَّفْعَ انْصِبَنْ نَوِّنْ جَزَا … صَحْبُ ظُبَى افْتَحْ ضَمَّ سُدَّيْنِ عَزَا

حَبْرٌ وَسَدًّا احْكُمُ صَحْبٍ دَبَرَا … يَسِّنَ صَحْبُ يَفْقَهُو ضُمَّ اكْسِرَا

شَفَا وَخَرْجًا قُلْ خَرَاجًا فِيهِمَا … لَهُمْ فَخَرْجُ كَمْ وَصُدْفَيْنِ اضْمُمَا

وَسَكِّنَنْ صِفْ وَبِضَمَّيْ كُلِّ حَقْ … آتُونِ هَمْزُ الْوَصْلِ فِيهِمَا صَدَقْ

خُلْفُ وَثَانٍ فُزْ فَمَا اسْطَاعُوا اشْدُدَا … طَاءً فَشَا وَرُدْ فَتًى أَنْ يَنْفَدَا (٧٦٠)

سُورَةُ مَرْيَمَ عليها السلام (٨)

وَاجْزِمْ يَرِثْ حُزْ رُدْ مَعًا بُكِيًّا … بِكَسْرِ ضَمِّهِ رِضًى عُتِيًّا

مَعْهُ صُلِيًّا وَجُثِيًّا عَنْ رِضَى … وَقُلْ خَلَقْنَا فِي خَلَقْتُ رُحْ فَضَا

هَمْزُ أَهَبْ بِالْيَابِهِ خُلْفُ جَلَا … حِمًا وَنِسْيًا فَافْتَحَنْ فَوْزُ عَلَا

مَنْ تَحْتَهَا اكْسِرْ جُرَّ صَحْبُ شُذْ مَدَا … خِفُّ تُسَاقِطْ فِي عُلًا ذَكْرٌ صَدَا

خُلْفُ

خُلْفُ ظُبًى وَضُمَّ وَاكْسِرْ عُدْ وَفِي ... قَوْلُ انْصِبِ الرَّفْعَ نُهَى ظِلٍّ كُفِي

وَاكْسِرْ وَأَنَّ اللَّهَ شِمْ كَنْزًا وَشُدْ ... نُورِثُ غِثْ مَقَامًا اضْمُمْ هَامَ زِدْ

وُلْدًا مَعَ الزُّخْرُفِ فَاضْمُمْ أَسْكِنَا ... رِضًا يَكَادُ فِيهِمَا أَبُ رُنَا

وَيَنْفَطِرْنَ يَتَفَطَّرْنَ عَلَمْ ... حِرْمٌ رُقًا الشُّورَى شَفًا عَنْ دُونِ عَمْ

سُورَةُ طه عليه الصلاة والسلام (١٦)

إِنِّي أَنَا افْتَحْ حَبْرُ ثَبْتٍ وَأَنَا ... شَدِّدْ وَفِي اخْتَرْتُ قُلِ اخْتَرْنَا فِنَا

طُوًى مَعًا نَوِّنْهُ كَنْزًا فَتْحُ ضَمْ ... (٧٧٠) أُشْدُدْ مَعَ الْقَطْعِ وَأَشْرِكْهُ يُضَمْ

كَمْ خَافَ خُلْفًا وَلِتُصْنَعَ سَكِّنَا ... كَسْرًا وَنَصْبًا ثِقْ مِهَادًا كُوِّنَا

سَمَا كَزُخْرُفٍ بِمَهْدًا وَاجْزِمِ ... نُخْلِفْهُ ثِبْ سِوًى بِكَسْرِهِ اضْمُمِ

نَلْ كَمْ فَتًى ظَنٍّ وَضُمَّ وَاكْسِرَا ... يَسْحَتَ صَحْبُ غَابَ إِنْ خَفِّفْ دَرَا

عِلْمًا وَهٰذَيْنِ بِهٰذَانِ حَلَا ... فَأَجْمِعُوا صِلْ وَافْتَحِ الْمِيمَ حُلَا

يُخَيَّلُ التَّأْنِيثُ مِنْ شِمْ وَارْفَعِ ... جَزْمَ تَلَقَّفْ لِابْنِ ذَكْوَانَ وُعِي

وَسَاحِرٍ سِحْرٍ شَفَا أَنْجَيْتُكُمْ ... وَاعَدْتُكُمْ لَهُمْ كَذَا رَزَقْتُكُمْ

وَلَا تَخَفْ جَزْمًا فَشَا وَأَشْرِي ... فَاكْسِرْ وَسَكِّنْ غِثْ وَضُمَّ كَسْرِ

يَحِلَّ مَعْ يَحْلِلْ رُنَا بِمِلْكِنَا ... ضُمَّ شَفَا وَافْتَحْ إِلَى نَصٍّ ثَنَا

وَضُمَّ

وَضُمَّ وَاكْسِرْ ثِقْلَ حُمِّلْنَا عَفَا ... كَمْ غَنَّ حِرْمٌ يَبْصُرُوا وَخَاطِبْ شَفَا
تُخْلِفَهُ اكْسِرْ لاَمَ حَقٍّ نُحَرِّقَنْ ... خَفِّفْ ثَنَا وَافْتَحْ لِضَمٍّ وَاضْمُمَنْ
كَسْرًا خَلاَ نَنْفُخُ بِالْيَا وَاضْمُمِ ... وَفَتْحُ ضَمٍّ لاَ أَبُو عَمْرٍ هِمِ
يَخَافُ فَاجْزِمْ دُمْ وَيُقْضَى نَقْضِيَا ... مَعْ نُونِهِ انْصِبْ رَفْعَ وَحْيٍ ظَمِيَا
أَنَّكَ لاَ بِالْكَسْرِ آهِلُ صَبَا ... تَرْضَى بِضَمِّ التَّاءِ صَدْرُ رَحُبَا
زَهْرَةَ حَرِّكْ ظَاهِرًا يَأْتِهِمُ ... صُحْبَةُ كَهْفٍ خَوْفَ خُلْفٍ دَهَمُوا

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام (٧)

قُلْ قَالَ عَنْ شَفَا وَآخِرُهَا عَظُمْ ... وَأَوَلَمْ أَلَمْ دُنَا يَسْمَعُ ضُمْ
خِطَابُهُ وَاكْسِرْ وَلِلصُّمِّ انْصِبَا ... رَفْعًا كَسَا وَالْعَكْسُ فِي النَّمْلِ دَبَا
كَالرُّومِ، مِثْقَالَ كَلُقْمَانَ ارْفَعِ ... مَدًا اجُذَاذًا كَسْرُ ضَمِّهِ رُعِي
يُحْصِنَ نُونُ صِفْ غِنًا أَنِّثْ عَلَنْ ... كُفْؤَ ثَنَا نَقْدِرَ بِالْيَا وَاضْمُمَنْ
وَافْتَحْ ظُبَى نُنْجِي احْذِفِ اشْدُدْ لِي مَضَى ... صُنْ حِرْمُ اكْسِرْ سَكِّنِ اقْصُرْ صِفْ رِضَى
نَطْوِي فَجَهِّلْ أَنِّثِ النُّونَ السَّمَا ... فَارْفَعْ ثَنَا وَرَبِّ لِلْكَسْرِ اضْمُمَا
عَنْهُ وَلِلْكِتَابِ صَحْبُ جَمَعَا ... وَخُلْفُ غَيْبٍ تَصِفُونَ مَنْ وَعَا

سُورَةُ الحَجِّ

سُورَةُ الْحَجِّ وَالْمُؤْمِنُونَ ⑰

سَكْرَى مَعًا شَفَا رَبَتْ قُلْ رَبَأَتْ ... ثَرَى مَعًا لاَمَ لِيَقْطَعْ حُرِّكَتْ

بِالْكَسْرِ جُدْ حُزْ كَمْ غِنًا لِيَقْضُوا ... لَهُمْ وَقُنْبُلٌ لِيُوفُوا مَحْضُ

وَعَنْهُ وَلْيَطَّوَّفُوا انْصِبْ لُؤْلُؤَا ... نَلْ إِذْ ثَوَى وَفَاطِرًا مَدًا نَأَى

سَوَاءً انْصِبْ رَفْعَ عِلْمِ الْجَاثِيَهْ ... صَحْبٌ لِيُوفُوا حَرِّكِ اشْدُدْ صَافِيَهْ

كَتَخْطَفُ أَثِلْ تُقْ كِلاَ يَنَالُ ظَنْ ... أَنِّثْ وَسِينِي مَنْسَكًا شَفَا اكْسِرَنْ

يُدْفَعُ فِي يُدَافِعُ الْبَصْرِي وَمَكْ ... وَأَذِنَ الضَّمُّ حِمًا مَدًا نَسَكْ

مَعْ خُلْفِ إِدْرِيسَ يُقَاتِلُونَ عَفْ ... عَمَّ افْتَحِ التَّا هُدِّمَتْ لِلْحِرْمِ خَفْ

أَهْلَكْتُهَا الْبَصْرِيُّ وَاقْصُرْ ثُمَّ شُدْ ... مُعَاجِزِينَ الْكُلُّ حَبْرٌ وَيَعُدْ

دَانٍ شَفَا يَدْعُو كَلُقْمَانَ حِمَا ... صَحْبٌ وَالاُخْرَى ظَنَّ عَنْكَبَا نَمَا (٨٠٠

حِمًا أَمَانَاتٍ مَعًا وَحِّدْ دَعَمْ ... صَلاَتِهِمْ شَفَا وَعَظْمَ الْعَظْمَ كَمْ

صِفْ تَنْبُتُ اضْمُمْ وَاكْسِرِ الضَّمَّ غِنَا ... حَبْرٍ وَسِينَاءَ اكْسِرُوا حِرْمٌ حَنَا

مُنْزَلاً افْتَحْ ضَمَّهُ وَاكْسِرْ صَبَنْ ... هَيْهَاتَ كَسْرُ التَّا مَعًا ثُبْ ، نَوِّنَنْ

تَتْرًا ثَنَا حَبْرٍ وَأَنَّ اكْسِرْ كَفَى ... خَفِّفْ كَرًا وَتَهْجُرُونَ اضْمُمْ أَفَا

مَعْ كَسْرِ ضَمٍّ وَالأَخِيرَيْنِ مَعَا ... اللهُ فِي لِلَّهِ وَالْخَفْضَ ارْفَعَا

بَصْرِ

بَصْرٍ كَذَا عَالِمُ صُحْبَةٌ مَدَا   وَٱبْتَدِ غَوْثَ الْخُلْفِ وَٱفْتَحْ وَامْدُدَا

مُحَرَّكًا شِقْوَتُنَا شَفَا وَضُمْ   كَسْرَكَ سِخْرِيًّا كَصَادٍ ثَابَ أُمْ

شَفَا وَكَسْرَ أَنَّهُمْ وَقَالَ إِنْ   قُلْ فِي رَقَا قُلْكُمْ هُمَا وَالْمَكِّ دِنْ

سُورَةُ النُّورِ وَالْفُرْقَانِ ⑮

ثَقِّلْ فَرَضْنَا حَبْرُ رَأْفَةٌ هُدَى   خُلْفُ زَكَا حَرِّكْ وَحَرِّكْ وَامْدُدَا

خُلْفُ الْحَدِيدِ زِنْ وَأُولَى أَرْبَعُ   صَحْبٌ وَخَامِسَةَ الْأُخْرَى فَارْفَعُوا (٨١٠

لَاحَفْصُ أَنْ خَفِّفْ مَعًا لَعْنَةُ ظَنْ   إِذْ غَضِبَ الْحَضْرِمِ وَالضَّادَ اكْسِرَنْ

وَاللَّهِ رَفْعُ الْخَفْضِ أَصْلُ كِبْرَ ضُمْ   كَسْرًا ظُبًا وَيَتَأَلَّ خَافَ ذُمْ

يَشْهَدُ رُدْ فَتًى وَغَيْرِ ٱنْصِبْ صَبَا   كَمْ ثَابَ دُرِّيٌّ ٱكْسِرِ الضَّمَّ رُبَا

حُزْ وَامْدُدِ اهْمِزْ صِفْ رِضًى حُطْ وَافْتَحُوا   لِشُعْبَةٍ وَالشَّامِ بَا يُسَبِّحُ

يُوقَدُ أَنِّثْ صُحْبَةٌ تَفَعَّلَا   حَقٌّ ثَنَا سَحَابُ لَانُونُ هَلَا

وَخَفْضُ رَفْعٍ بَعْدُ دُمْ يَذْهَبُ ضُمْ   وَٱكْسِرْ ثَنَا كَذَا كَمَا اسْتُخْلِفَ صُمْ

ثَانِي ثَلَاثُ كَمْ سَمَا عُدْ يَاكُلُ   نُونٌ شَفَا يَقُولُ كَمْ وَيَجْعَلُ

فَٱجْزِمْ حِمَا صَحْبٍ مَدًا يَا نَحْشُرُ   دِنْ عَنْ ثَوَى نَتَّخِذَ ٱضْمُمَنْ ثُرُوا

وَٱفْتَحْ وَزِنْ خُلْفَ يَقُولُو وَعَفُوا   مَا يَسْتَطِيعُو خَاطِبَنْ وَخَفِّفُوا

شِينَ

شِينَ تَشَقَّقُ كَقَافٍ حُزْ كَفَا   نُزِّلَ زِدْهُ النُّونَ وَارْفَعْ خَفِّفَا (٨٢٠)

وَبَعْدُ نَصْبُ الرَّفْعِ دِنْ وَسُرُجَا   فَاجْمَعْ شَفَا يَأْمُرُنَا فَوْزًا رَجَا

وَعَمَّ ضَمَّ يَقْتِرُوا وَالْكَسْرَ ضَمْ   كُوفٍ وَيَخْلُدْ وَيُضَاعَفْ مَا جَزَمْ

كَمْ صِفْ وَذُرِّيَّتِنَا حُطْ صُحْبَةً   يَلْقَوْا يُلَقَّوْا ضُمَّ كَمْ سَمَا عَتَا

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ وَأُخْتَيْهَا (١٨)

يَضِيقُ يَنْطَلِقُ نَصْبُ الرَّفْعِ ظَنْ   وَحَذِرُونَ امْدُدْ كَفَى لِي الْخُلْفُ مَنْ

وَفَرِهِينَ كَنْزٌ وَاتَّبَعَكَا   أَتْبَاعُ ظَعْنٍ خَلْقُ فَاضْمُمْ حَرِّكَا

بِالضَّمِّ نَلْ إِذْ كَمْ فَتًى وَالْأَيْكَةِ   لَيْكَةَ كَمْ حِرْمٍ كَصَادٍ وَقِتِ

نَزَّلَ خَفِّفْ وَالْأَمِينُ الرُّوحُ عَنْ   حِرْمٍ حَلَا أَنِّثْ يَكُنْ بَعْدُ ارْفَعَنْ

كَمْ وَتَوَكَّلْ عَمَّ فَانُوِّنْ كَفَا   ظِلٌّ شِهَابٍ يَأْتِيَنَّنِي دَفَا

سَبَأَ مَعًا لَا نُونَ وَافْتَحْ هَلْ حَكَمْ   سَكِّنْ زَكَا مَكُثْ نُهًى شَدْ فَتْحُ ضَمْ

أَلَا أَلَا وَمُبْتَلًى قِفْ يَا أَلَا   وَابْدَأْ بِضَمِّ اسْجُدُوا رُحْ تُبْ غَلَا (٨٣٠)

يُخْفُونَ يُعْلِنُونَ خَاطِبْ عَنْ رَقَا   وَالسُّوقِ سَاقَيْهَا وَسُوقِ اهْمِزْ زَقَا

سُئُوقِ عَنْهُ ضُمَّ تَا نُبَيِّتَنْ   لَامَ نَقُولَنَّ وَنُونِي خَاطِبَنْ

شَفَا وَيُشْرِكُو حِمًا نَلْ فَتْحُ إِنْ   نَ النَّاسَ إِنَّا مَكْرِهِمْ كَفَى ظَعَنْ

يَذَّكَّرُو

يَذَّكَّرُو لِمْ حُزْ شَذًا ادَّارَكَ فِي   أَدْرَكَ أَيْنَ كَنْزُ تَهْدِي الْعُمْيَ فِي
مَعًا بِهَادِي الْعُمْيِ نَصْبُ فَلْتَا   آتُوهُ فَاقْصُرْ وَافْتَحِ الضَّمَّ فَتَا
عُدْ يَفْعَلُو حَقًّا وَخُلْفُ صُرِفَا   كَمْ نُرِيَ الْيَا مَعْ فَتْحَيْهِ شَفَا
وَرَفْعُهُمْ بَعْدُ الثَّلَاثَ وَحَزَنْ   ضُمَّ وَسَكِّنْ عَنْهُمُ يَصْدُرُ حَسَنْ
ثِبْ كُذْ بِفَتْحِ الضَّمِّ وَالْكَسْرِ يُضَمْ   وَجِذْوَةٍ ضُمْ فَتًى وَالْفَتْحَ نَمْ
وَالرَّهْبِ ضُمَّ صُحْبَةٌ كَمْ سَكَّنَا   كَنْزٌ يُصَدِّقْ رَفْعُ جَزْمٍ نَلْ فَنَا
وَقَالَ مُوسَى الْوَاوَ دَعْ دُمْ سَاحِرَا   سِحْرَانِ كُوفٍ يَعْقِلُو طِبْ يَاسِرَا (٨٤٠
خُلْفُ وَيُجْبَى أَنِّثُوا مَدًا غَبَا   وَخُسِفَ الْمَجْهُولُ سَمِّ عَنْ ظُبَا

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ وَالرُّومِ (٧)

وَالنَّشْأَةَ امْدُدْ حَيْثُ جَا حُفْظُ دَنَا   مَوَدَّةً رَفْعُ غِنًا حَبْرٌ رَنَا
وَنَوِّنِ انْصِبْ بَيْنِكُمْ عَمَّ صَفَا   آيَاتُ التَّوْحِيدُ صُحْبَةٌ دَفَا
نَقُولُ بَعْدُ الْيَا كَفَى اتْلُ يُرْجَعُو   صِدْرٌ وَتَحْتُ صَفُو حُلْوٍ شَرَعُوا
لَنُثْوِيَنَّ الْبَاءَ ثَلِّثْ مُبْدِلَا   شَفَا وَسَكِّنْ كَسْرَ وَلْ شَفَا بَلَا (١)
دُمْ ثَانِ عَاقِبَةَ رَفْعُهَا سَمَا   لِلْعَالِمِينَ اكْسِرْ عِدًا تُرْبُوا ظَمَا
مَدًا خِطَابُ ضُمَّ أَسْكِنْ وَشَهُمْ   زَيْنٌ خِلَافَ النُّونِ مِنْ يُذِيقَهُمْ

(١) أي (وليتمتّعوا)

آثَارِ

آثَارِ فَاجْمَعْ كَهْفُ صَحْبٍ يَنْفَعُ ‏ ‏ ‏ ‏ كَفَى وَفِي الطَّوْلِ فَكُوفٍ نَافِعُ

وَمِنْ سُورَةِ لُقْمَانَ عليه السلام إِلَى سُورَةِ يٰسٓ عليه الصلاة والسلام (٢٤)

وَرَحْمَةٌ فَوْزٌ وَرَفْعُ يَتَّخِذْ ‏ ‏ ‏ ‏ فَانْصِبْ ظُبًا صَحْبٍ تُصَاعِرْ حَلَّ إِذْ

شَفَا فَخَفِّفْ مُدَّ نِعْمَةً نِعَمْ ‏ ‏ ‏ ‏ عُدْ حُزْ مَدًا وَالْبَحْرُ لَا الْبَصْرِي وَسَمْ

أُخْفِي سَكِّنْ فِي ظُبًى وَإِذْ كَفَى ‏ ‏ ‏ ‏ خَلَقَهُ حَرِّكْ لِمَا اكْسِرْ خَفِّفَا

غَيْثُ رِضًى وَيَعْمَلُو مَعًا حَوَى ‏ ‏ ‏ ‏ تَظَّاهَرُونَ الضَّمَّ وَالْكَسْرَ نَوَى

وَخَفِّفِ الْهَا كَنْزُ وَالظَّاءَ كَفَى ‏ ‏ ‏ ‏ وَاقْصُرْ سَمَا وَفِي الظُّنُونَا وَقِفَا

مَعَ الرَّسُولَا وَالسَّبِيلَا بِالْأَلِفْ ‏ ‏ ‏ ‏ دِنْ عَنْ رَوَى وَحَالَتَيْهِ عَمَّ صِفْ

مَقَامَ ضُمَّ عُدْ دُخَانُ الثَّانِ عَمْ ‏ ‏ ‏ ‏ وَقَصْرُ آتَوْهَا مَدًا مِنْ خُلْفِ دُمْ

وَيَسْأَلُونَ اشْدُدْ وَمُدَّ غِثْ وَضُمْ ‏ ‏ ‏ ‏ كَسْرًا لَدَى إِسْوَةٌ فِي الْكُلِّ نَعَمْ

ثَقِّلْ يُضَاعَفْ كَمْ ثَنَا حَقٌّ وَيَا ‏ ‏ ‏ ‏ وَالْعَيْنَ فَافْتَحْ بَعْدُ رَفْعُ احْفَظْ حَيَا

نَوَى كَفَى تَعْمَلْ وَنُؤْتِ الْيَا شَفَا ‏ ‏ ‏ ‏ وَفَتْحُ قَرْنَ نَلْ مَدًا وَلِي كَفَا

يَكُونَ خَاتِمَ افْتَحُوهُ نُصِّعَا ‏ ‏ ‏ ‏ يَحِلُّ لَا بَصْرٍ وَسَادَاتِ اجْمَعَا

بِالْكَسْرِ كَمْ ظَنَّ كَثِيرًا شَاهُ بَا ‏ ‏ ‏ ‏ لِي الْخُلْفُ نَلْ عَالِمِ عَلَّامٍ رُبَا

فُزْ وَارْفَعِ الْخَفْضَ غِنًا عَمَّ كَذَا ‏ ‏ ‏ ‏ أَلِيمُ الْحَرْفَانِ شِمْ دِنْ عَنْ غَذَا

وَيَا نَشَأْ

وَيَا نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمْ نُسْقِطْ شَفَا ... وَالرِّيحُ صِفْ مِنْسَأَتَهْ أَبْدِلْ حَفَا

مَدًا إِسْكُونُ الْهَمْزِ لِي الْخُلْفُ مُلَا ... تَبَيَّنَتْ مَعْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ غَلَا

ضَمَّانِ مَعْ كَسْرٍ مَسَاكِنْ وَحِّدَا ... صَحْبُ وَفَتْحُ الْكَافِ عَالِمُ فِدَا

أُكُلِ أَضِفْ حِمًا نُجَازِي الْيَا افْتَحَنْ ... زَايَا كَفُورَ رَفْعُ حَبْرٍ عَمَّ صُنْ

وَرَبَّنَا ارْفَعْ ظُلْمَنَا وَبَاعِدَا ... فَافْتَحْ وَحَرِّكْ عَنْهُ وَاقْصُرْ شَدِّدَا

حَبْرٌ لِوَى وَصَدَّقَ الثِّقْلُ كَفَا ... وَسَمِّ فُزِّعَ كَمَالٌ ظَرُفَا

وَأُذِنَ اضْمُمْ حُزْ شَفَا نَوِّنْ جَزَا ... لَا تَرْفَعِ الضِّعْفِ ارْفَعِ الْخَفْضَ غَزَا

وَالْغُرْفَةِ التَّوْحِيدَ فِدْ وَبَيِّنَتْ ... حَبْرٌ فَتًى عُدْ وَالتَّنَاوُشْ هَمِزَتْ

حُزْ صُحْبَةٌ غَيْرُ اخْفِضِ الرَّفْعَ ثُبَا ... شَفَا وَتَذْهَبْ ضُمَّ وَاكْسِرْ ثَغَبَا (٨٧٠)

نَفْسُكَ غَيْرُهُ وَيُنْقَصُ افْتَحَا ... ضَمًّا وَضُمَّ غَوْثُ خُلْفٍ شَرَحَا

نَجْزِي بِيَا جَهِّلْ وَكُلَّ ارْفَعْ حَدَا ... وَالسَّيِّئُ الْمَخْفُوضَ سَكِّنْهُ فِدَا

سُورَةُ يس عليه الصلاة والسلام (٩)

تَنْزِيلُ صُنْ سَمَا عَزَزْنَا الْخِفَّ صِفْ ... وَافْتَحْ أَيِنْ ثِقْ وَذُكِرْتُمْ عَنْهُ خِفْ

أُولَى وَأُخْرَى صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ ... ثُبْ عَمِلَتْهُ يَحْذِفُ الْهَا صُحْبَةٌ

وَالْقَمَرَ ارْفَعْ إِذْ شَذَا حَبْرٌ وَيَا ... يَخَصِّمُو اكْسِرْ خُلْفُ صَافِي الْخَالِيَا

خُلْفُ

خُلْفُ رَوَى نَلْ مِنْ ظُبًى وَاخْتَلَسَا ... بِالْخُلْفِ حُطْ بَدْرًا وَسَكِّنْ بَخَسَا

بِالْخُلْفِ فِي ثَبْتٍ وَخَفَّفُوا فِـنَا ... وَفَاكِهُونَ فَاكِهِينَ اقْصُرْ ثَـنَا

تَطْفِيفُ كَوْنُ الْخُلْفِ عَنْ ثَرًا ظَلَلْ ... لِلْكَسْرِ ضَمٌّ وَاقْصُرُوا اشْفَا جُبُلْ

فِي كَسْرِ ضَمَّيْهِ مَدًا نَـلْ وَاشْدُدَا ... لَهُمْ وَرَوْحٌ ضَمَّهُ اسْكِنْ كَمْ حَدَا

نَنْكُسْهُ ضُمَّ حَرِّكِ اشْدُدْ كَسْرَ ضَمْ ... نَلْ فُزْ لِيُنْذِرَ الْخِطَابُ ظَلَّ عَمْ (٨٨٠)

وَحَرْفَ الْاحْقَافِ لَهُمْ وَالْخُلْفُ هَلْ ... بِقَادِرٍ يَقْدِرُ غُصْ الْاحْقَافُ ظَلْ

سُورَةُ الصَّافَّاتِ (٥)

بِزِينَةٍ نَوِّنْ فِدًا نَـلْ بَعْدُ صِفْ ... فَانْصِبْ وَثِقْلَيْ يَسْمَعُو شَفَا عُرِفْ

عَجِبْتَ ضُمَّ التَّا شَفَا اسْكِنْ أَوْ عَمْ ... لَا أَزْرَقٌ مَعًا يَزِفُّو فُزْ بِضَمْ

زَا يُنْزَفُونَ اكْسِرْ شَفَا الْاخْرَى كَفَا ... مَاذَا تَرَى بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ شَفَا

إِلْيَاسَ وَصْلُ الْهَمْزِ خُلْفُ لَفْظِ مَنْ ... اللهُ رَبُّ رَبَّ غَيْرُ صُحْبٍ ظَنْ

وَآلِ يَاسِينَ بِإِلْيَاسِينَ كَمْ ... أَتَى ظُبًى وَصْلُ اصْطَفَى جُدْ خُلْفُ ثَمْ

وَمِنْ سُورَةِ صٓ إِلَى سُورَةِ الْأَحْقَافِ (٣١)

فَوَاقِ الضَّمُّ شَفَا خَاطِبْ وَخِفْ ... يَدَّبَّرُوا ثِقْ عَبْدَنَا وَحِّدْ دَ نِفْ

وَقَبْلُ ضَمًّا نُصُبٍ ثُبْ ضُمَّ اسْكِنَا ... لَا الْحَضْرَمِي خَالِصَةٍ أَضِفْ لَـنَا

خُلْفُ

خُلْفُ مَدًا وَيُوعَدُونَ حُزْ دَعَا   وَقَافِ دِنْ غَسَاقُ الثِّقْلُ مَعَا

صَحْبٌ وَآخَرُ اضْمُمِ اقْصُرْهُ حِمَا   قَطْعُ اتَّخَذْنَا عَمَّ نَلْ دُمْ أَنْـمَا

فَاكْسِرْ ثَنَا فَالْحَقُّ نَلْ فَتًى أَمِنْ   خَفَّ اتْلُ فُزْ دُمْ سَالِمًا مُدًّا اكْسِرَنْ

حَقًّا وَعَبْدَهُ اجْمَعُوا شَفًا ثَنَا   وَكَاشِفَاتُ مُمْسِكَاتُ نَوِّنَا

وَبَعْدُ فِيهِمَا انْصِبَنْ حِمًا قَضَى   قُضِيَ وَالْمَوْتَ ارْفَعُوا رَوَى فَضَا

يَا حَسْرَتَايَ زِدْ ثَنَا سَكِّنْ خَفَا   خُلْفُ مَفَازَاتِ اجْمَعُوا صَبْرًا شَفَا

زِدْ تَأْمُرُونِي النُّونَ مِنْ خُلْفٍ لِـمَا   وَعَمَّ خِفُّهُ وَفِيهَا وَالنَّبَا

فُتِّحَتِ الْخِفُّ كَفَا وَخَاطِبِ   يَدْعُونَ مِنْ خُلْفٍ إِلَيْهِ لَازِبِ

وَمِنْهُمُ مِنْكُمْ كَمَا أَوْ أَنْ وَأَنْ   كُنْ حَوْلَ حِرْمٍ يَظْهَرَ اضْمُمْ وَاكْسِرَنْ

وَالرَّفْعَ فِي الْفَسَادُ فَانْصِبْ عَنْ مَدَا   حِمًا وَنَوِّنْ قَلْبِ كَمْ خُلْفٍ حَدَا

أَطَّلِعَ ارْفَعْ غَيْرَ حَفْصٍ أَدْخِلُوا   صِلْ وَاضْمُمِ الْكَسْرَ كَمَا حَبْرٍ صِلُوا

مَا يَتَذَكَّرُونَ كَافِيهِ سَمَا   سَوَاءً ارْفَعْ ثِقْ وَخَفْضُهُ ظَمَا

نَحِسَاتٍ اسْكِنْ كَسْرَهُ حَقًّا أَبَا   وَيُحْشَرُ النُّونُ وَسَمِّ اتْلُ ظُبَا

أَعْدَاءُ عَنْ غَيْرِهِمَا اجْمَعْ ثَمَرَتْ   عَمَّ عُلًا وَحَاءَ يُوحَى فُتِحَتْ

دُمًا وَخَاطِبْ يَفْعَلُو صَحْبٌ غَمَا   خُلْفٌ بِمَا فِي فَبِمَا مَعْ يَعْلَمَا

بِالرَّفْعِ

بِالرَّفْعِ عَمَّ وَكَبَائِرَ مَعَا ... كَبِيرَ رُمْ فَتًى وَيُرْسِلَ ٱرْفَعَا

يُوحِي فَسَكِّنْ مَازَ خُلْفًا أُنْصِفَا ... أَنْ كُنْتُمُ بِكَسْرَةٍ مَدًا شَفَا

وَيُنْشَأُ الضَّمُّ وَثِقْلٌ عَنْ شَفَا ... عِبَادِ فِي عِنْدَ بِرَفْعٍ حُزْ كَفَا

أَشَهِدُوا ٱقْرَأْهُ ءَأُشْهِدُوا مَدَا ... قُلْ قَالَ كَمْ عِلْمٍ وَجِئْنَا ثِمْدَا

بِجِئْتُكُمْ وَسُقُفًا وَحِّدْ ثَبَا ... حَبْرٍ وَلَمَّا ٱشْدُدْ لَدَا خُلْفٍ نَبَا

فِي ذَا نُقَيِّضْ يَا صَدَا خُلْفٍ ظَهَرْ ... وَجَاءَنَا ٱمْدُدْ هَمْزَهُ صِفْ عَمَّ دَرْ

أَسْوِرَةٌ سَكِّنْهُ وَٱقْصُرْ عَنْ ظُلَمْ ... وَسُلُفًا ضُمًّا رِضًى يَصِدُّ ضَمْ (٩١٠)

كَسْرًا رَوَى عَمَّ وَتَشْتَهِيهِ هَا ... زِدْ عَمَّ عِلْمٍ وَيُلَاقُوا كُلَّهَا

يَلْقَوْا ثَنَا وَقِيلِهِ ٱخْفِضْ فِي نَمُوا ... وَيُرْجَعُو دُمْ غِثْ شَفَا وَيَعْلَمُو

حَقٌّ كَفَا رَبُّ السَّمَوَاتِ خَفَضْ ... رَفْعًا كَفَى يَغْلِي دَنَا عِنْدَ غَرَضْ

وَضُمَّ كَسْرَ فَٱعْتِلُو إِذْ كَمْ دَعَا ... ظُهْرًا وَإِنَّكَ ٱفْتَحُوا رُمْ وَمَعَا

آيَاتُ ٱكْسِرْ ضَمَّ تَاءٍ فِي ظُبَا ... رُضْ يُؤْمِنُونَ عَنْ شَذَا حِرْمٍ حَبَا

لِنَجْزِيَ الْيَا نَلْ سَمَا ضُمَّ ٱفْتَحَا ... ثِقْ غَشْوَةً ٱفْتَحِ ٱقْصُرَنْ فَتًى رَحَا

وَنَصْبُ رَفْعٍ ثَانٍ كُلُّ أُمَّةٍ ... ظِلٌّ وَوَالسَّاعَةُ غَيْرُ حَمْزَةٍ

سُورَةُ

سُورَةُ الْأَحْقَافِ وَأُخْتَيْهَا ٩

وَحُسْنًا احْسَانًا كَفَا وَفَصْلُ فِي ... فِصَالُ ظَبْيٌ نَتَقَبَّلُ يَاصَفِي
كَهْفٌ سَمَا مَعْ نَتَجَاوَزْ وَاضْمُمَا ... أَحْسَنَ رَفْعُهُمْ وَنَلْ حَقٌّ لَمَا
خُلْفٌ نُوَفِّيَهُمْ الْيَا وَتَرَى ... لِلْغَيْبِ ضُمَّ بَعْدَهُ ارْفَعْ ظَهَرَا
نَصٌّ فَتًى وَقَاتَلُوا ضُمَّ اكْسِرِ ... وَاقْصُرْ عُلًا حِمًا وَآسِنٍ اقْصُرِ
دُمْ آنِفًا خُلْفُ هُدًى وَالْحَضْرَمِي ... تُقَطِّعُوا كَتَفْعَلُوا أُمْلَى اضْمُمِ
وَاكْسِرْ حِمًا وَحَرِّكِ الْيَاءَ حُلَا ... أَسْرَارَ فَاكْسِرْ صَحْبُ نَعْلَمْ وَكِلَا
نَبْلُو بِيَا صِفْ سَكِّنِ الثَّانِي غَلَا ... لِيُؤْمِنُوا مَعَ الثَّلَاثِ دُمْ حَلَا
نُؤْتِيهِ يَاغِثْ حُزْ كَفَا ضَرًّا فَضُمْ ... شَفَا اقْصُرِ اكْسِرْ كَلِمَ اللَّهِ لَهُمْ (١)
مَا يَعْمَلُو حُطْ شَطْأَهُ حَرِّكْ دَلَا ... مِزْ آزَرَ اقْصُرْ مَاجِدًا وَالْخُلْفُ لَا

وَمِنْ سُورَةِ الْحُجُرَاتِ إِلَى سُورَةِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ ٩

تَقَدَّمُوا ضُمُّوا اكْسِرُوا لَا الْحَضْرَمِي ... إِخْوَتِكُمْ جَمْعٌ مُثَنَّاهُ ظَمِي
وَالْحُجُرَاتِ فَتْحُ ضَمِّ الْجِيمِ ثَرْ ... يَأْلِتْكُمُ الْبَصْرِي وَيَعْمَلُونَ دَرْ
نَقُولُ يَا إِذْ صَحَّ أَدْبَارَ كَسَرْ ... حِرْمٌ فَتًى مِثْلَ ارْفَعُوا شَفَا صَدَرْ
صَاعِقَةُ الصَّعْقَةُ رُمْ قَوْمَ اخْفِضَنْ ... حَسْبُ فَتًى رَاضٍ وَأَتْبَعْنَا حَسَنْ

(١) في نسخ كثيرة (كَلِمَ اللَّامَ لَهُمْ)

بِاتَّبَعَتْ

بِاتَّبَعَتْ ذُرِّيَّةٌ امْدُدْ كَمْ حِمَا ... وَكَسْرُ رَفْعِ التَّا حَلَا وَاكْسِرْ دُمَا

لَامَ أَلَتْنَا حَذْفُ هَمْزٍ خُلْفُ زُمْ ... وَإِنَّهُ افْتَحْ رُمْ مَدًا يُصْعَقُ ضُمْ

كَمْ نَالَ كَذَّبَ الثَّقِيلُ لِي ثَنَا ... تَمْرُوا تُمَارُوا حَبْرُ عَمَّ نَصُّنَا

تَا اللَّاتَ شَدِّدْ غُرْ مَنَاةَ الْهَمْزَ زِدْ ... دِلْ مُسْتَقِرٌّ خَفْضُ رَفْعِهِ ثَمِدْ

وَخَاشِعًا فِي خُشَّعًا شَفَا حِمَا ... سَيَعْلَمُونَ خَاطِبُوا فَصْلًا كَمَا

سُورَةُ الرَّحْمٰنِ عَزَّ وَجَلَّ (٤)

وَالْحَبُّ ذُو الرَّيْحَانِ نَصْبُ الرَّفْعِ كَمْ ... وَخَفْضُ نُونِهَا شَفَا يَخْرُجُ ضُمْ

مَعْ فَتْحِ ضَمٍّ إِذْ حِمًا ثِقْ وَكَسْرُ ... فِي الْمُنْشَئَاتُ الشِّينَ صِفْ خُلْفًا فَخَرْ

سَنَفْرُغُ الْيَاءُ شَفَا وَكَسْرُ ضَمْ ... شُوَاظُ دُمْ نُحَاسُ جَرُّ الرَّفْعِ شِمْ

حَبْرٌ كِلَا يَطْمِثْ بِضَمِّ الْكَسْرِ رُمْ ... خُلْفٌ وَيَاذِي آخِرًا وَاوٌ كَرُمْ

وَمِنْ سُورَةِ الْوَاقِعَةِ إِلَى سُورَةِ التَّغَابُنِ (١٤)

ف (٩٤٠

حُورٌ وَعِينٌ خَفْضُ رَفْعٍ ثُبْ رِضًا ... وَشَرْبَ فَاضْمُمْهُ مَدًا نَصْرٍ فَضَا

خِفُّ قَدَرْنَا دِنْ فَرُوحٌ اضْمُمْ غِذَا ... بِمَوْقِعِ شَفَا اضْمُمِ اكْسِرْ أَخَذَا

مِيثَاقَ فَارْفَعْ حُزْ وَكُلٌّ كُثْرَا ... قَطْعَ انْظُرُونَا وَاكْسِرِ الضَّمَّ فَرَا

يُؤْخَذُ أَنِّثْ كَمْ ثَوَى خِفُّ نَزَلْ ... إِذْ عَنْ غَلَا الْخُلْفُ وَخَفِّفْ صِفْ دَخَلْ

صَادِي

صَادِي مُصَدِّقٍ وَيَكُونُوا خَاطِبًا   غَوْثًا أَتَاكُمُ اقْصُرَنْ حُزْ وَاحْذِفَنْ

قَبْلَ الْغَنِيُّ هُوَ عَمَّ وَامْدُدِ   وَخِفُّ هَا يَظَّهَّرُو كَنْزُ ثُدِي

وَضُمَّ وَاكْسِرْ خَفِّفِ الظَّا نَلْ مَعَا   يَكُونُ أَنِّثْ ثِقْ وَأَكْثَرَ ارْفَعَا

ظِلًّا وَيَنْتَجُو كَيَنْتَهُوا غَدَا   فُزْ تَنْتَجُوا غِثْ وَالْمَجَالِسِ امْدُدَا

نَلْ وَانْشُزُوا مَعًا فَضُمَّ الْكَسْرَ عَمْ   عَنْ صَفْوِ خُلْفٍ يُخْرِبُونَ الثِّقْلَ حُمْ

يَكُونَ أَنِّثْ دُولَةً ثِقْ لِي اخْتُلِفْ   وَامْنَعْ مَعَ التَّأْنِيثِ نَصْبًا لَوْ وُصِفْ

وَجُدُرٍ جِدَارِ حَبْرٍ فَتْحُ ضَمْ   يُفْصِلُ نَلْ ظُبًى وَثِقْلُ الصَّادِ لَمْ

خُلْفُ شَفَا مِنْهُ افْتَحُوا عَمَّ حُلَا   دُمْ تُمْسِكُوا الثِّقْلُ حِمًا مُتِمُّ لَا

تُنَوِّنِ اخْفِضْ نُورِهِ صَحْبٌ دَرَى   أَنْصَارَ نَوِّنْ لَامَ لِلَّهِ اكْسِرَا

حِرْمٌ حَلَا خَفِّفْ لَوَوْا إِذْ شِمْ أَكُنْ   لِلْجَزْمِ فَانْصِبْ حُزْ وَيَعْمَلُونَ صُنْ

وَمِنْ سُورَةِ التَّغَابُنِ إِلَى سُورَةِ الْإِنْسَانِ (١٧)

يَجْمَعُكُمْ نُونٌ ظُبًا بَالِغُ لَا   تُنَوِّنُوا وَأَمْرَهُ اخْفِضُوا عَلَا

وُجْدِ اكْسِرِ الضَّمَّ شَذًا خَفَّ عَرَفْ   رُمْ وَكِتَابِهِ اجْمَعُوا حِمًا عَطَفْ

ضَمَّ نَصُوحًا صِفْ تَفَاوُتٍ قَصَرْ   ثَقِّلْ رِضًا وَتَدَّعُو تَدْعُو ظَهَرْ

سَيَعْلَمُونَ مَنْ رَجَا يَزْلِقُ ضَمْ   غَيْرُ مَدًا وَقَبْلَهُ حِمًا رَسَمْ

كَسْرًا

كَسْرًا وَتَحْرِيكًا وَلَا يَخْفَى شَفَا وَيُؤْمِنُو يَذَّكَّرُو دِنْ ظَرُفَا
مِنْ خُلْفِ لَفْظٍ سَالَ أَبْدِلْ فِي سَأَلْ عَمَّ وَنَزَّاعَةً نَصْبُ الرَّفْعِ عَلْ
تَعْرُجُ ذَكِّرْ رُمْ وَيَسْأَلُ اضْمُمَا هُدْ خُلْفُ ثِقْ شَهَادَتِ الْجَمْعُ ظَمَا (٩٦٠)
عُدْ نَصْبِ اضْمُمْ حَرِّكَنْ بِهِ عَفَا كَمْ وُلْدُهُ اضْمُمْ مُسْكِنًا حَقٌّ شَفَا
وَدًّا بِضَمِّهِ مَدًا وَفَتْحُ إِنْ ذِي الْوَاوِ كَمْ صَحْبٌ تَعَالَى كَانَ ثِنْ
صَحْبٌ كَسَا وَالْكُلُّ ذُو الْمَسَاجِدَا وَأَنَّهُ لَمَّا اكْسِرِ اتْلُ صَاعِدَا
تَقُولَ فَتْحُ الضَّمِّ وَالثِّقْلُ ظَمِي نَسْلُكْهُ يَاظْهَرْ كَفَا الْكَسْرَ اضْمُمِ
مِنْ لِبَدًا بِالْخُلْفِ لُزْ قُلْ إِنَّمَا فِي قَالَ ثِقْ فُزْ نَلْ لِيَعْلَمَ اضْمُمَا
غِنًا وَفِي وَطْأً وِطَاءً وَاكْسِرَا حُزْ كَمْ وَرَبُّ الرَّفْعَ فَاخْفِضْ ظَهَرَا
كُنْ صُحْبَةً نِصْفِهِ ثُلْثِهِ انْصِبَا دُهْرًا كَفَا الرِّجْزَ اضْمُمِ الْكَسْرَ عَبَا
تَوَى إِذَا دَبَرَ قُلْ إِذْ أَدْبَرَهْ إِذْ ظَنَّ عَنْ فَتًى وَفَا مُسْتَنْفِرَهْ
بِالْفَتْحِ عَمَّ وَاتْلُ خَاطِبْ يَذْكُرُو رَا بَرِقَ الْفَتْحُ مَدًا وَيَذْرُو
مَعْهُ يُحِبُّونَ كَسَا حِمًا دَفَا يُمْنَى لَدَى الْخُلْفِ ظَهِيرًا عَرَفَا (٩٧٠)

سُورَةُ الْإِنْسَانِ وَالْمُرْسَلَاتِ ⑧

سَلَاسِلًا نَوِّنْ مَدًا رُمْ لِي غَدَا خُلْفُهُمَا صِفْ مَعْهُمُ الْوَقْفَ امْدُدَا
عَنْ

عَنْ مَنْ دَنَا شَهْمُ بِخُلْفِهِمْ حَفَا — نَوِّنْ قَوَارِيرًا رَجَا حِرْمٍ صَفَا

وَالْقَصْرُ وَقْفًا فِي غِنًا شَذًا اخْتُلِفْ — وَالثَّانِ نَوِّنْ صِفْ مَدًا رُمْ وَوَقَفْ

مَعْهُمْ هِشَامٌ بِاخْتِلَافٍ بِالْأَلِفْ — عَالِيهِمُ اسْكِنْ فِي مَدًا خُضْرٌ عُرِفْ

عَمَّ حِمًا إِسْتَبْرَقٌ دُمْ إِذْ نَبَا — وَاخْفِضْ لِبَاقٍ فِيهِمَا وَغَيِّبَا

وَمَا تَشَاءُونَ كَمَا الْخُلْفُ دَنِفْ — حُطْ هَمْزَ أُقِّتَتْ بِوَاوٍ ذَا اخْتُلِفْ

حِصْنٌ خَفَا وَالْخِفُّ ذُو خُلْفٍ خَلَا — وَانْطَلِقُوا الثَّانِ افْتَحِ اللَّامَ غَلَا

ثَقِّلْ قَدَرْنَا رُمْ مَدًا وَوُحِّدَا — جِمَالَتٌ صَحْبٌ اضْمُمِ الْكَسْرَ غَدَا

وَمِنْ سُورَةِ النَّبَإِ إِلَى سُورَةِ التَّطْفِيفِ (٧)

فِي لَابِثِينَ الْقَصْرُ شِدْ فُزْ خِفَّ لَا — كِذَّابَ رُمْ رَبُّ اخْفِضِ الرَّفْعَ كَلَا

ظُلْمًا كَفَا الرَّحْمَنِ نَلْ ظِلٌّ كَرَا — نَاخِرَةً امْدُدْ صُحْبَةٌ غِثْ وَتَرَا (٩٨٠)

خَيِّرْ تَزَكَّى ثَقِّلُوا حِرْمٌ ظُبَا — لَهُ تَصَدَّى الْحِرْمُ مُنْذِرُ ثُبَا

نَوِّنْ فَتَنْفَعُ انْصِبِ الرَّفْعَ نَوَى — إِنَّا صَبَبْنَا افْتَحْ كَفَا وَصْلًا غَوَى

وَخِفَّ سُجِّرَتْ شَذَا حَبْرٍ غَفَا — خُلْفًا وَثَقِّلْ نُشِّرَتْ حَبْرٌ شَفَا

وَسُعِّرَتْ مِنْ عَنْ مَدًا صِفْ خُلْفُ غَدْ — وَقُتِّلَتْ ثُبْ بِضَنِينٍ الظَّا رَغَدْ

حَبْرٌ غِنًا وَخِفَّ كُوفٍ عَدَّلَا — يُكَذِّبُو ثَبْتٌ وَحَقٌّ يَوْمُ لَا

وَمِنْ سُورَةِ

وَمِنْ سُورَةِ التَّطْفِيفِ إِلَى سُورَةِ وَالشَّمْسِ (٩)

تَعْرِفُ جَهِّلْ نَضْرَةَ الرَّفْعُ ثَوَى ◆ خِتَامُهُ خَاتَمُهُ تُوقُ سَوَى

يَصْلَى اضْمُمِ اشْدُدْ كَمْ رَنَا أَهْلُ دُمَا ◆ بَا تَرْكَبُنَّ اضْمُمْ حِمًا عَمَّ نَمَا

مَحْفُوظٍ ارْفَعْ خَفْضَهُ اعْلَمْ وَشَفَا ◆ عَكْسُ الْمَجِيدُ قَدَّرَ الْخِفُّ رَفَا

وَيُوثِرُو حُزْ ضَمَّ تَصْلَى صِفْ حِمَا ◆ يُسْمَعُ غِثْ حَبْرًا وَضَمُّ أَعْلَمَا

حَبْرُ غَلَا لَاغِيَةٌ لَهُمْ وَشُدْ ◆ إِيَابَهُمْ ثَبْتًا وَكَسْرَ الْوَتْرِ رُدْ

فَتًى فَقَدَّرَ الثَّقِيلُ ثُبْ كَلَا ◆ وَبَعْدُ بَلْ لَا أَرْبَعٌ غَيْبُ حَلَا

شُدْ خُلْفَ غَوْثٍ وَتَحُضُّوا اضْمُمْ حَا ◆ فَافْتَحْ وَمُدَّ نَلْ شَفَا ثِقْ وَافْتَحَا

يُوثِقُ يُعَذِّبُ رُضْ ظُبًى وَلُبَدَا ◆ ثَقِّلْ ثَرَا أَطْعَمَ فَاكْسِرْ وَامْدُدَا

وَارْفَعْ وَنَوِّنْ فَكَّ فَارْفَعْ رَقَبَهْ ◆ فَاخْفِضْ فَتًى عَمَّ ظَهِيرًا انْدُبَهْ

وَمِنْ سُورَةِ الشَّمْسِ إِلَى آخِرِ الْقُرْآنِ (٥)

وَلَا يَخَافُ الْفَاءُ عَمَّ وَاقْصُرِ ◆ أَنْ رَآهُ زُكًا بِخُلْفٍ وَاكْسِرِ

مَطْلَعِ لَامَهُ رَوَى اضْمُمْ أَوَّلَا ◆ تَا تَرَوُنَّ كَمْ رَسَا وَثَقِّلَا

جَمَّعَ كَمْ ثَنَا شَفَا شِمْ وَعَمَدْ ◆ صُحْبَةُ ضَمَّيْهِ لِئِلَافِ ثَمِدْ

بِحَذْفِ هَمْزٍ وَاحْذِفِ الْيَاءَ كَمَنْ ◆ إِلَافِ ثِقْ وَهَا أَبِي لَهَبٍ سَكَنْ

دِينًا

دِينًا وَحَمَّالَةُ نَصْبُ الرَّفْعِ نَـمْ   وَالنَّافِثَاتِ عَنْ رُوَيْسٍ الْخُلْفُ تَمْ

بَابُ التَّكْبِيرِ (١٦)

وَسُنَّةُ التَّكْبِيرِ عِنْدَ الْخَتْمِ   صَحَّتْ عَنِ الْمَكِّيِّنَ أَهْلِ الْعِلْمِ (١٠٠٠)

فِي كُلِّ حَالٍ وَلَدَى الصَّلَاةِ   سُلْسِلَ عَنْ أَئِمَّةٍ ثِقَاتِ

مِنْ أَوَّلِ انْشِرَاحِ اوْمِنَ الضُّحَى   مِنْ آخِرٍ أَوْ أَوَّلٍ قَدْ صُحِّحَا

لِلنَّاسِ هٰكَذَا وَقِيلَ إِنْ تُرِدْ   هَلِّلْ وَبَعْضٌ بَعْدُ لِلَّهِ حَمِدْ

وَالْكُلُّ لِلْبَزِّي رَوَوْا وَقُنْبُلَا   مِنْ دُونِ حَمْدٍ وَلِسُوسٍ نُقِلَا

تَكْبِيرُهُ مِنِ انْشِرَاحِ وَرُوِي   عَنْ كُلِّهِمْ أَوَّلَ كُلِّ يَسْتَوِي

وَامْنَعْ عَلَى الرَّحِيمِ وَقْفًا إِنْ تَصِلْ   كُلًّا وَغَيْرَ ذَا أَجِزْ مَا يَحْتَمِلْ

ثُمَّ اقْرَإِ الْحَمْدَ وَخَمْسَ الْبَقَرَهْ   إِنْ شِئْتَ حِلًّا وَارْتِحَالًا ذَكَرَهْ

وَادْعُ وَأَنْتَ مُوقِنُ الْإِجَابَهْ   دَعْوَةُ مَنْ يَخْتِمُ مُسْتَجَابَهْ

وَلْيُعْتَنَى بِأَدَبِ الدُّعَاءِ   وَلْتُرْفَعِ الْأَيْدِي إِلَى السَّمَاءِ

وَلْيُمْسَحِ الْوَجْهُ بِهَا وَالْحَمْدُ   مَعَ الصَّلَاةِ قَبْلَهُ وَبَعْدُ (١٠١٠)

وَهَا هُنَا تَمَّ نِظَامُ (الطَّيِّبَهْ)   أَلْفِيَّةً سَعِيدَةً مُهَذَّبَهْ

بِالرُّومِ

بِالرُّومِ مِنْ شَعْبَانَ وَسْطَ سَنَةِ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَسَبْعِمِائَةِ
وَقَدْ أَجَزْتُهَا لِكُلِّ مُقْرِي كَذَا أَجَزْتُ كُلَّ مَنْ فِي عَصْرِي
رِوَايَةً بِشَرْطِهَا الْمُعْتَبَرِ وَقَالَهُ مُحَمَّدُ ابْنُ الْجَزَرِي
يَرْحَمُهُ بِفَضْلِهِ الرَّحْمٰنُ فَظَنُّهُ مِنْ جُودِهِ الْغُفْرَانُ (١٠١٥)

تَمَّ

وَالحمدُ للهِ تعالىٰ أوَّلاً وآخِرًا

وصلَّى اللهُ علىٰ سيِّدِنا

محمَّد

وعلىٰ آلهِ وَصحبِه

وَسلَّمَ

المنح الفكرية

في شرح المقدمة الجزرية

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة الشارح]

الحمد لله الذي أودع جواهر المعاني الضيائية في قوالب زواهر المباني من الحروف الهجائية ، وأبدع المكوَّنات لظهور حقيقة ذاته العلية في مرآة صفاته الجلية ، وأنزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين مع وساطة الروح الأمين على رسوله خاتم النبيين وسابق الأولين ، الذي أشار إلى صفاء[1] صدقه بسورة ص ، وهو أفصح من نطق بالضاد من بين العباد ، وأظهر المغيبات مما أُدغم وأخفيَ وقُلِبَ علىٰ قلب أهل العناد ، صلى الله عليه وسلم وعلىٰ أصحابه المقربين إليه والمرضيِّين لديه ، التالين على سبيل الترتيل لكتابه ، والمجودين لأداء آدابه[2] ، الواقفين على عتبة بابه ، الواصلين إلىٰ حضرة جنابه ، المترسِّمين على وفق خطابه حيث شموا رائحة فاتحة الكتاب ، وراموا فيما قاموا لائحةً لامعةً خاتمةَ الكتاب .

أما بعد :

فيقول الملتجىء إلىٰ حرم ربه الباري ، علي بن سلطان محمد القاري ، عاملهما الله بلطفه الخفي وكرمه الوفي :

إن المقدمة المنسوبة للعلامة شيخ الإسلام والمسلمين وخاتمة الحفاظ والمحدثين سيدنا وسندنا[3] ، ومولانا ، وشيخ مشايخنا ممن أولانا ، الشيخ

---

(١) في « ب » : صفات قلبه .

(٢) في « ب » : لأدائه .

(٣) سقط من « ب » .

أبي الخير شمس الدين محمد بن محمد بن محمد الجزري ـ قدس الله سِرَّه السَّرِيّ ـ ما رأيت لها شرحاً كاملاً يبين بياناً شاملاً يكون لتحقيق الحقائق كافلاً ، فسنح ببالي أن أضع عليها شرحاً معتدلاً ، لا مختصراً مخلاً ، ولا مطولاً مُمِلاًّ ، فأقول وبالله التوفيق ، وبيده أزمة التحقيق :

إنَّ قوله : [١] (يقولُ رَاجِي عَفْوِ رَبٍّ سَامعِ) بإشباع كسرة العين للوزن ، وفي نسخة بإثبات ياء الإضافة .

(مُحمدُ بنُ الجَزَرِيِّ الشَّافِعِي) يشير(١) إلىٰ أن العبارات المقولة إذا كانت من جنس العلوم المنقولة ينبغي أن تنسب إلىٰ قائلها لتكون سنداً لناقلها(٢) .

وعبَّر بصيغة المضارع الدَّالِّ على الاستقبال ليشعرَ أن الخطبة متقدمةٌ على أصلِ المقدمة ، ولو فرض عكس ذلك لوجد له وجهٌ أيضاً هنالك بأن حمل على حكاية الحال الماضية ، ويؤيده تعبير بعضهم بـ« قال » في أوائل التصانيف المرضية .

وأَغْرَبَ شارحٌ حيث قال : (وهو أولىٰ من تعبيره في طَيِّبَته(٣) بـ« قال » ؛ لأن المقول لم يقع ، ولا يقال إنه ألف الكتاب ثم بعد فراغه قال هذا القول لأنه خلاف الظاهر) .

أقول : بل هو خلاف المتبادر بناء علىٰ حسن الظن بالأكابر .

---

(١) في « أ » : مشيراً .

(٢) في « ب » إلى ناقلها .

(٣) في « ب » : في الطيبة ، واسمها « طيبة النشر في القراءات العشر » للإمام المحقق ابن الجزري ، وهي نظمٌ لخص فيه كتابه « النشر في القراءات العشر » ، وافتتح نظمه بقوله :

قالَ محمدٌ هو ابن الجزري ... يا ذا الجلالِ ارحمهُ واسْتُر واغْفِرِ

وقد جمع في نظمه هذا ثمانين طريقاً تحقيقاً ، تتشعب هذه الثمانون إلى نحو تسعمئة وثمانين طريقاً ، طبع هذا النظم مراراً ، ومن أَجَلِّ طبعاته الطبعة الأخيرة المضبوطة والمصححة على يد الشيخ المقرىء محمد تميم الزعبي في جدة .

والـ« راجي » اسم فاعل من المعتل اللاَّم الواوي ، وأبدل واوه ياءً لتطرفها وانكسار ما قبلها ، ثم استثقال الضمة باعث لحذفها .

وجُرَّ « عفوِ » لكونه مضافاً إليه بالنسبة إلىٰ سابقه وإن كان مضافاً من جهة لاحقه ، وتوهم بعضهم وجَوَّزَ نصبه على أنه مفعول لاسم الفاعل بناءً علىٰ أنه من قبيل ﴿ وَٱلْمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [الحج : ٣٥] حيث قرئ في الشواذ بنصبها[١] ، وليس كذلك لعدم التوافق هنالك ، وكان الأَولىٰ أن يجعله نظيراً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ﴾ [الصافات : ٣٨] بنصب « العذاب » على روايةٍ شاذةٍ في القراءة ، ووجهٍ ضعيفٍ[٢] في العربية[٣] ، إلا أنَّ نصب « عفوَ » مع تنوين « راجٍ » لا يصح روايةً ولا درايةً ، [وكذا لا يجوز تنوين « راجٍ » ونصب « عفوَ » لما ذكر مع مخالفته لما رُسِمَ وسُطِر .

نعم عَمَلُ اسم الفاعل المضاف إذا كان مَعرَّفاً نصبَ مفعوله تخفيفاً معتبرٌ في العربية ، وأما عمله كذلك مع كونه نكرة فهو ضعيف كما صرحوا به ، وإن قرئ قوله : ﴿ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ﴾ بالنصب ، فلا يقاس عليه ، سيما مع مخالفته الرسم لديه][٤] .

والـ« رب » بمعنى المربي على الأظهر من جملة معانيه للمناسبة في مبانيه .

---

(١) قرأ الحسن البصري بنصب « الصلاةَ » على حذف النون من « المقيمين » تخفيفاً لا للإضافة ، انظر « المحتسب » ٢/٢٠٩ .

(٢) في « ب » : وفيه ضعفٌ .

(٣) وجه ضعفها أن اسم الفاعل تحذفُ منه النون ويَنْصِبُ إذا كان فيه الألف اللاَّم فلما عدم الألف واللام من « لذائقوا » لم يجز نصب ما بعدها بها ، ولذا قال العكبري في (التبيان ٢/٣٤٧) : قراءة النصب سهوٌ من قارئها لما ذكر . وقد أجازه الأخفش في قراءة أبي السمال المذكورة ﴿لذائقوا العذابَ﴾ فنصب اسم الفاعل المفرد مفعولاً من غير أن ينون « معاني القرآن » للأخفش ٨٦ ، وتابعه ابن جني « المحتسب » ٢/٨١ .

(٤) ما بين المنعكفين سقط من « أ » وأثبتناه من « ب » .

وأما قول ابن المصنف[1] [٣] : (لا يقال له رَبُّ بمعنىٰ الصاحب ؛ لأنه ليس من أسمائه ففيه نظر ، لورود (اللهمَّ أنت الصاحب في السفر)[2] مع أنه لا يلزم من عدم كون الصاحب من أسمائه وصفاته تعالىٰ عدم جواز إطلاق الرَّبِّ بمعنى الصاحب عليه ، فتأمل فيما يتوجه إليه .

ثم قول المصنف « **سامع** » بإشباع حركة[3] العين على ما في الأصول المحررة والنسخ المعتبرة .

قال الشيخ خالد الأزهري[4] [٢] تبعاً لابن المصنف [٣] : (هو بمعنىٰ سميع لكن سميعٌ أبلغ) ففي العبارة مناقشة كما أن في الإطلاق مسامحة ؛ فإنَّ أسماء الله تعالىٰ توقيفية ، ولا يجوز تغيير ما ورد من الصفات الجلية مع اقتضائها وصف الأبلغية ، حتى قيل في الصفة السلبية قد يؤتىٰ بصيغة المبالغة للإشعار بأنه لو كانت ثابتةً له لكانت بهذه الصفة الحقيقية كما حققَ في قوله تعالىٰ : ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[5] [فصلت : ٤٦] وهذا مسلكٌ دقيقٌ ليس عليه مزيد للمريد .

---

(١) هو أحمد بن محمد بن الجزري ، ولد سنة ٧٧٧هـ ، بلغ الغاية في القراءة والفقه والأحكام ، وأخذ القراءة عن والده ، كما كان عارفاً بالحديث ، فاضلاً جليلاً ورعاً ، له مصنفات عديدة ، منها « شرح طيبة النشر » و« شرح المقدمة الجزرية » كلاهما متنان في القراءات والتجويد لوالده ، و« شرح مقدمة علوم الحديث » . توفي بعد والده بقليل وذلك نحو سنة ٨٣٥هـ . « معجم المؤلفين » ٢/ ١٤٨ .

(٢) جزء من حديث رواه مسلم في كتاب الحج برقم ٣٢٦٢ باب : ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره ، وأبو داود في الجهاد برقم ٢٥٩٩ باب : ما يقول الرجل إذا سافر ، والترمذي في الدعوات برقم ٣٤٤٧ باب : ما يقول إذا ركب الناقة .

(٣) في « ب » : كسر العين .

(٤) هو خالد بن عبد الله بن أبي بكر الجرجاوي الأزهري ، زين الدين ، كان يعرف بالوقاد ، نحوي ، من أهل مصر ، نشأ وعاش في القاهرة ، وولد بها سنة ٨٣٨هـ ، وتوفي عائداً من الحج قبل أن يدخلها سنة ٩٠٥هـ ، له كتب منها « المقدمة الأزهرية في علم العربية » . اهـ « الكواكب السائرة » ١/ ١٨٨ ، و« الضوء اللامع » ٣/ ١٧١ .

(٥) والإشكال الوارد في معنى الآية : أن نفي الأبلغية عن ذلك يقتضي بقاء الظلم وخرجت على =

ثم من المعلوم أنه لم يرد « سامع » في السامع[1] بحسب إطلاقه ، وإن جاء في بعض الروايات « سَامِعُ خَلْقِهِ »[2] ، نعم قد يكون السمع بمعنىٰ القبول والإجابة ، ومنه قول المصلي : (سمع الله لمن حمده)[3] .

قال عصام الدين[4] : (أي ممن حمده) وهو بعيد مبنى ومعنىٰ ؛ أما أولاً فلأن اللام بمعنى « مِنْ » غير معروفة ، وأما ثانياً فلأن تحته ليس إفادة تامة ؛

= نفي نسبة الظلم إليه تعالىٰ ، وارجع إن شئت إلى كتاب « الأسماء والصفات » للإمام البيهقي ففيه فوائد جليلة .

(١) أي من الدليل النقلي المستمد من القرآن الكريم والسنة المطهرة .

(٢) رواه الطبراني في « الكبير » برقم ١٦٨٥ ، و« الأوسط » برقم ٤٩٨٤ ، ورواه البيهقي في « شعب الإيمان » برقم ٦٨٢١ ، ورواه أحمد في « المسند » برقم ٦٥٠٩ و٦٨٣٩ وذكره المنذري في « الترغيب والترهيب » ١/ ٦٥ ، وابن كثير في تفسيره ٣/ ١٠٧ ، وذكره في « مجمع الزوائد » ١/ ٢٢٢ ، وفي ذكر الطبراني له إسنادان ، أحدهما صحيح ، ولفظ الحديث : « من سَمَّعَ الناس بعمله سَمَّعَ الله به سامعُ خلقه وصغَّره وحقَّرَه » .

وسامعُ خلقه : اسم فاعل من سمع ، وهو بالرفع على أنه صفة لله ، ومفعول سَمَّعَ مقدرٌ في الكلام ، أي سَمَّعَ الله الذي هو سامعُ خلقِهِ الناسَ ، أو المعنى : فضحه ، فلا حاجة إلى تقدير مفعول ، أو بالنصب على أنه مفعول ، أي : سَمَّعَ الله به من كان له سمع من خلقه . وقيل : معناه على الأول : من سَمَّعَ الناس بعمله سَمَّعَهُ الله وأراه ثوابه من غير أن يعطيه ، فيكون المفعول هو الجار والمجرور ، أعني « به » ، وقيل : من أراد بعمله الناس أسمعه الله الناس ، وكان ذلك ثوابَهُ . اهـ « النهاية » ٢/ ٤٠٢ مادة سمع .

(٣) قال الإمام البيهقي نقلاً عن الخطابي : السميع بمعنىٰ السامع إلا أنه أبلغ من الصفة ، وبناء فعيل بناء المبالغة ، وهو الذي يسمع السرَّ والنجوىٰ ، سواء عنده الجهر والخفت والنطق والسكت . . . قال : وقد يكون السمع بمعنىٰ القبول والإجابة كقول النبي ﷺ : « اللهم إني أعوذ بك من دعاء لا يسمع » أي من دعاء لا يستجاب ، ومن هذا قول المصلي سمع الله لمن حمده . معناه قَبِلَ الله حمدَ من حمده . اهـ « الأسماء والصفات » للبيهقي ص٤٤ ، وانظر « النهاية » ٢/ ٤٠١ .

(٤) أحمد بن مصطفى بن خليل الشهير بطاش كوبري زاده ، ولو في بروسة ونشأ في أنقرة ، مؤرخ أديب فقيه وفي قضاء القسطنطينية ، توفي سنة ٩٦٨هـ . « خلاصة الأثر » للمحبي ٣/ ٣٥٦ ، و« الأعلام » ١/ ٢٥٧ ، وهذه العبارة ليست من شرحه للجزرية .

لأنه صفة سماعه ـ بمعنىٰ إدراكه ـ عامة[١] ، فيحمل على معنى القبول والإجابة لتمام الإفادة .

وأما قول ابن المصنف [٣] : (معناه قَبِلَ حَمْدَ من حَمِدَه وأجاب من حمده إلىٰ ما طلب منه) . فمستقيم من جهة المعنىٰ إلا أنه يحتاج إلى القول بزيادة اللام في المبنىٰ .

فالأظهر أن يقال : إن « سمع » بمعنىٰ استجاب ، فإنه يتعدىٰ بنفسه كما في « القاموس »[٢] وباللام كما في « الكتاب »[٣] .

وأما قول ابن المصنف [٣] : (وهذا المعنىٰ هو المراد به هنا) يعني في هذا البيت ففيه نظر ظاهر[٤] من جهة حصر الإرادة ؛ إذ يمكن حمله على المعنىٰ المشهور من السمع وهو الملائم لقوله : « يقول » ، نعم الأَولىٰ أن يحمل عليه لما سبق من الإشارة إليه .

وقد جمع الشيخ زكريا[٥] بين إرادة الحقيقة والمجاز واستعمل بين المعنيين المشتركين على ما أجازه الشافعي ، فقال في المسألتين [٢٠] : (أي سامع لراجيه وغيره فيجيبه لما رجاه) .

لكن لا يخفىٰ أنَّ قوله[٦] : (مُؤمّلٌ صفحَ مالكٍ) [٢٠] تفسير بما هو أخفىٰ ،

---

(١) لأن التخصيص في « ممن حمده » قد ينفي حصول السماع عما عداه من الشكر والدعاء والتضرع والتوبة والاستغفار ونحو ذلك .

(٢) « القاموس المحيط » للفيروزآبادي ، باب العين فصل السين ، وقد أشار صاحب « القاموس » إلى أن الفعل « سمع » يتعدىٰ بنفسه وباللام .

(٣) « الكتاب » للعلامة النحوي سيبويه ٣/ ١٩٤ .

(٤) « ظاهر » سقط من « ب » .

(٥) هو زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري المصري الشافعي ، أبو يحيىٰ ، شيخ الإسلام ، قاض ، مفسر ، ولد سنة ٨٢٣هـ ، له كتب كثيرة ، منها « فتح الرحمن » في متشابه القرآن ، و« تحفة الباري شرح صحيح البخاري » و« شرح شذور الذهب » في النحو ، توفي سنة ٩٢٦هـ . اهـ « الكواكب السائرة » ١/ ١٩٦ ، و« الأعلام » ٣/ ٤٦ .

(٦) يعني الشيخ زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى .

فالأَولىٰ أن يقال : المعنىٰ يقول طامعُ مغفرةِ ربٍّ عظيم . . . ، لما في ذكر الرب من الاستعطاف والإيماء إلىٰ عادته ـ سبحانه ـ في الكرم والعطاء وسائر الألطاف المستفاد من قوله « سامع » أي سماع إجابة وقبول كما قيل في قوله تعالىٰ : ﴿ وَٱسْمَعُواْۗ ﴾ [البقرة : ١٠٤] وحينئذٍ يكون الإجابة والقبول قيداً في السماع لا أنه معنىً مستقل مضموم إليه .

ولا يبعد أن يكون « سامعي » بياء الإضافة[1] على الالتفات من الغيبة إلى التكلم ، وحينئذٍ إما أن يكون خبراً بتقدير « كان »[2] أو بتقدير « هو » علىٰ أن الجملة معترضة .

وأخطأ شارح حيث قال : (السميع والسامع صفتان مشتقتان من السَّمْعِ بمعنىٰ القبول والإجابة) بل السميع صفةُ مبالغةٍ من السمع بمعنى السماع والإدراك للمسموعات ، ومنه قوله تعالىٰ : ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] .

[اسمُ المُصَنِّفِ ونِسْبَتُهُ]

ثم يرفع « **محمد** » على أنه بدل أو عطف بيان لـ« راجي » ، ويجوز نصبه بتقدير « أعني » أو « يعني » ، وأبعدَ من جعله فاعلاً وجعل « راجي عفوِ » حالاً .

و« الجزري » نسبة إلىٰ جزيرة ابن عمر[3] ببلاد المشرق ، كذا ذكره ابن المصنف [٣] وتبعه من بعده في إجماله .

---

(١) في « ب » بالإضافة .

(٢) من قوله : « وحينئذ . . . . . » إلى « كان » سقط من « أ » و« ب » ، وأثبتناه من « د » .

(٣) قال في : « معجم البلدان » ٢/ ١٣٨ : « بلدة فوق الموصل ، بينهما مسيرة ثلاثة أيام ، ولها رستاق ـ يعني سواد ـ مخصب ، يحيط بها دجلة إلا من ناحية واحدة شبه الهلال ، فعمل له خندق أجري فيه الماء فأحاط بها ، تنسب إلى بانيها عبد العزيز بن عمر من أهل بلدة من أعمال الموصل » .

وفي « القاموس » : « بلد شمال الموصل يُحيط به دجلة مثل الهلال »[1] والله أعلم بالحال .

والمراد بـ« ابن عمر » الذي نسب[2] إليه هو عبد العزيز بن عمر ، وهو رجل من أهل بَرْقَعِيد من عمل الموصل ، بناها فنسبت إليه ، نَصَّ على ذلك العلامة أبو الوليد بن الشِّحْنَة[3] الحنفي في تاريخه « روضة المناظر في علم الأوائل والأواخر » فليس بصحابي كما توهمه بعضهم .

و« **الشافعي** » نسبة إلى الإمام محمد بن إدريس بن شافع القرشي المطلبي ، كذا قال الشُّرَّاح .

وقال ابن المصنف [٤] : (نسبة إلىٰ مذهب الإمام) وهو أقرب إلىٰ المرام وأنسب في هذا المقام ، وإلا فالتحقيق أن « الشافعي » نسبة للإمام إلىٰ جده شافع ، وأن القياس في النسبة إلىٰ مذهب الإمام الشافعي[4] تكرير النسبة وأنه اكتفىٰ بواحدٍ منها تخفيفاً .

وهنا لطيفة خفية وهي أن نسبة الحنفية حقيقية ، ونسبة الشافعية مجازية .

ثم « الشافعي » صفة لـ« محمد » ، فهو مرفوع ، أو لـ« الجزري » فهو مجرور ، والثاني أقرب[5] ، والأول أنسب[6] ، وسَكَّن الياءَ وخَفَّفَ للضرورة .

---

(١) « القاموس المحيط » مادة جزر .
(٢) في « ب » : نسبت .
(٣) هو محمد بن محمد أبو الوليد محب الدين ، ابن الشحنة الحلبي ، فقيه حنفي من علماء حلب ، وُلِّيَ قضاءها مرات ، له اشتغال بالأدب والتاريخ ، له كتب منها « روضة المناظر في علم الأوائل والأواخر » ، ولد سنة ٧٤٩ وتوفي سنة ٨١٥هـ . اهـ « الضوء اللامع » ١٠ / ٣ ، و« الأعلام » للزركلي ٧/ ٤٤ .
(٤) سقط لفظ « الإمام » من « ب » .
(٥) للقرب بين الصفة والموصوف .
(٦) لأنّه أراد نفسه لا غيره في الوصف .

[٢] (الحمـــــدُ للهِ وَصَلَّـــــى اللهُ علـــــىٰ نَبِيِّـــــهِ وَمُصْطَفَـــــاهُ)

بالإشباع فيهما ، والجملتان مع ما بعدهما من الأبيات إلىٰ آخر الكتاب مقول القول .

والجملة الأولىٰ إسمية مفيدة للدوام والثبوت الأزلية والأبدية ، وهي في المبنىٰ خبرية وفي المعنىٰ إنشائية .

والجملة الثانية فعلية(١) ماضوية مفيدة للتجدد في كل حالٍ وقضية ، وهي خبرية لفظاً ودعائية معنىً .

ثم قيل : الحمد والمدح والشكر ألفاظ مترادفة .

والمحققون علىٰ أنها حقائق مختلفة ؛ فإن الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري على جهة التبجيل من نعمة وغيرها ، ومثله حَدُّ المدح لكن بحذف « الاختياري » منه ، فيقال : حمدت زيداً على علمه وكرمه ، ولا يقال : حمدته على حسنه ، بل مدحته .

والشكر : فعل ينبىء عن تعظيم المنعم بسبب إنعامه على الشاكر أو غيره قولاً وعملاً واعتقاداً وفعلاً(٢) ، فهو أعم منهما مورداً وأخصُّ متعلقاً ، وهما بالعكس . والمدحُ أعم من الحمد مطلقاً .

ثم « ال » فيه **للاستغراق** عند أهل السنة خلافاً للمعتزلة بناءً على خلافهم في

---

(١) في « د » : والجملة الثانية خبرية وفي المعنى فعلية .

(٢) يستشهد البلغاء في مثل هذا المكان بقول الشاعر :

أفادتكم النعماءُ منِّي ثلاثةً ... يدِيْ ولسَاني والضَّميرَ المحَجَّبا

أي إنَّ نعمتكم عَلَيَّ أفادتكم من يدي ولساني وجَنَاني ، فهي وأعمالكم لكم ، فهو استشهاد معنوي على أن الشكر يطلق على أفعال الموارد الثلاثة ، وبيان أنه جعلها جزاءً للنعمة ، وكل ما هو جزاء للنعمة عرفاً يطلق عليه الشكر لغةً ، فكأنه قال : كثرت نعمتكم عندي فوجب عَلَيَّ استيفاء أنواع الشكر لكم ، وبالغ في ذلك حتى جعل مواردها ملكاً لهم ، قاله ابن المنيِّر نقلاً عن السيد الشريف .

مسألة خلق الأفعال ، إذ المعنى : كل حمد صدر من حامد فهو ثابت لله تعالىٰ ، أي مختص به دون من عداه ، فإن حمد المصنوع راجع إلى حمد الصانع سواء علم بذلك أو جهل فيما هنالك .

أو للجنس ، وهو يفيد في هذا المقام ما يستفاد من الاستغراق في عموم المرام ، فإن لام « لله » للاختصاص فلا فرد منه[1] لغيره ، وإلا لم يكن مختصاً به .

أو للعهد ، يعني الحمد الذي حمد الله به نفسه في أزله ، وأظهره على لسان أنبيائه وأصفيائه مختص به .

والعبرة بحمد من ذكر ، فلا فرد منه لغيره .

وقد يقال في المعنىٰ : إنَّ صفة الحامدية والمحمودية ثابتة له تعالىٰ ، فهو الحامد وهو المحمود ، ليس في الدار غيره دَيَّارٌ[2] ، وما في الوجود إلا الله .

و« الله » اسم لذات الواجب الوجود المستجمع لصفات الكمال التي من جملتها الكرم والجود .

والقول الأتم أنه الاسم الأعظم لكن بشرط أن تقول : الله ، وليس في قلبك سواه .

واختلف هل هو مشتقٌ أم لا ؟

وقد ذكرنا بعض ما يتعلق به لغةً وإعلالاً[3] في بعض المسائل بحسب ما ظهر لنا من الوسائل ليكون مقنعاً لكل طالب وسائل ، وإن لم يكن طائل تحت هذه المسائل[4] .

---

(١) قوله : « منه » سقط من « ب » .

(٢) في « د » : ليس في الدار دَيَّار سوىٰ الله تعالى .

(٣) في « ب » : واصطلاحاً ، وهو وَهْمٌ .

(٤) أنصف الأقوال في ذلك ما ذكره الإمام البيهقي نقلاً عن الإمام أبي سليمان الخطابي قال : اختلف الناس هل هو اسم موضوع أو مشتق ؟ =

. . . .

= فروي فيه عن الخليل روايتان : إحداهما أنه اسم علم ليس بمشتق فلا يجوز حذف الألف واللام منه كما يجوز في « الرحمن والرحيم » .

وروي عن سيبويه أنه اسم مشتق فكان في الأصل « إلاه » مثل « فِعَال » فأدخل الألف واللام بدلاً من الهمزة .

وقال غيره : أصله في الكلام « إلـه » وهو مشتق من أَلِهَ الرجل يأْلَهُ إليه إذا فزع إليه من أمرٍ نزل به ، فآلهه ، أي أجاره وآمنه فسمي إلهاً كما يسمى الرجل إماماً إذا أَمَّ الناسَ فأتموا به ، ثم إنه لما كان اسماً لعظيم ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ أرادوا تفخيمه بالتعريف الذي هو الألف واللام لأنهم أفردوه بهذا الاسم دون غيره فقالوا : الإله ، فاستثقلوا الهمزة في كلمة يكثر استعمالهم إياها ، وللهمزة في وسط الكلمة ضغطة شديدة فحذفوها فصار الاسم كما نزل به القرآن .

وقال بعضهم : أصله « وِلَاه » فأبدلت الواو همزة فقيل : إله : كما قالوا إسادة ووسادة ، ووَشاح وإشاح ، واشتُقَّ من الوَلَه ؛ لأن قلوب العباد توله نحوه كقوله سبحانه ﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ وكان القياس أن يقال مألوه كما قيل : معبود ، إلا أنهم خالفوا به البناء ليكون اسماً علماً فقالوا : إله ، كما قيل للمكتوب : كتاب ، وللمحسوب حساب . وقال بعضهم : أصله من أَلِهَ الرجل يأْلهُ إذا تحيَّرَ وذلك لأن القلوب تأله عند التفكر بعظمة الله سبحانه وتعالى ، أي تتحير وتعجز عن بلوغ كُنْهِ جلاله .

وحكىٰ بعض أهل اللغة : أنه من أَلَهَ يأْلَهُ إلاهةً ، بمعنىٰ عبد يعبُدُ عبادةً ، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : التألُّهُ التعبُّدُ ، فمعنىٰ الإله : المعبود ، وقول الموحدين : لا إله إلا الله ، معناه لا معبود غير الله ، و« إلا » في الكلمة معناها غير ، لا بمعنى الاستثناء ، وزعم بعضهم أن الأصل فيه الهاء التي هي الكناية عن الغائب ، وذلك لأنهم أثبتوه موجوداً في فطر عقولهم فأشاروا إليه بحرف الكناية ، ثم زيدت فيه لام الملك إذ قد علموا أنه خالق الأشياء ومالكها فصار « لَهْ » ثم زيدت الألف واللام تعظيماً وفخموها توكيداً لهذا المعنى .

ومنهم من أجراه على الأصل بلا تفخيم ، فهذه مقالات أصحاب العربية والنحو في هذا الاسم ، وأحب هذه الأقاويل إليّ قولُ من ذهب إلى أنه اسم علم وليس بمشتق كسائر الأسماء المشتقة ، والدليل على أن الألف واللام من بنية هذا الاسم ولم تدخلا للتعريف دخولُ حرف النداء عليه كقولك : يا ألله ، وحروف النداء لا تجتمع مع الألف واللام للتعريف ، ألا ترى أنك لا تقول : يا الرحمن ويا الرحيم ، كما تقول : يا ألله ، فدلَّ على

[بيان في البسملة والحمدلة] :

وبدأ بـ« الحمد » اقتداءً بالقرآن الحميد ، واقتفاءً بحديث النبي المجيد ﷺ « كُلُّ أمرٍ ذي بالٍ لَمْ يُبْدَأْ فيهِ بالحمدُ للهِ فَهُوَ أَجْذَم »[1] أي مقطوع البركة ، وفي رواية « فهو أقطع » ، وفي أخرىٰ « فهو أبتر » ، والحديث أخرجه أبو داود وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وحَسَّنه ابن الصَّلاَح[2] وغيره .

وورد أيضاً عنه مرفوعاً « كُلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يبدأُ فيه ببسمِ اللهِ الرحمٰنِ الرحيمِ فهو أقطع »[3] ، وفي رواية عنه أيضاً « كل أمرٍ ذي بال لا يبدأُ فيه بحمدِ اللهِ والصلاةِ عليَّ فهو أقطع أبتر[4] ممحوقٌ من كلِّ بركة »[5] .

والمراد بـ« ذي بال » صاحب الشأن في حال أو مآل ، فتحصل[6] من

= أنه من بنية الاسم ، والله أعلم . اهـ « الأسماء والصفات » للبيهقي ١٨ و١٩ . وانظر توسعة هذا المسألة في « الكتاب » ١/ ٣٠٩ ، ٢/ ١٤٤ ، ١٤٥ ، و« المقتضب » ٤/ ٢٤٠ ، و« سفر السعادة » ١/ ٧ .

(١) رواه أبو داود في الأدب برقم ٤٨٤٠ باب : الهدى في الكلام ، وابن ماجه في النكاح برقم ١٨٩٤ باب : خطبة النكاح ، وأحمد في « المسند » ٢/ ٢٥٩ .

(٢) هو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري الكردي ، أبو عمرو ، أحد الفضلاء المقدمين في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال ، ولد سنة ٥٥٧هـ في شرخان ، وَلاَّه الملك الأشرف تدريس دار الحديث ، توفي فيها سنة ٦٤٣هـ له « الأمالي » و« الفتاوي » و« معرفة علوم الحديث » . اهـ « وفيات الأعيان » ١/ ٣١٢ ، و« شذرات الذهب » ٥/ ٢٢١ ، و« الأعلام » ٤/ ٨٧ .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ٢/ ٢٥٩ ، وانظر « كنز العمال » رقم ٢٤٩١ .

(٤) « أبتر » سقط من « ب » .

(٥) رواه أحمد في « المسند » برقم ٦٨١٤ ، وانظر « كنز العمال برقم ٢٥١٠ و٦٤٦٣ ، ورواه عبد القادر الرهاوي في « الأربعين » وقال فيه : إنه غريب تفرد بذكر الصلاة فيه اسماعيل بن أبي زياد ، وهو ضعيف جداً لا يعتبر بروايته ولا زيادته ، ورواه ابن المديني وابن منده وغيرهم بأسانيد كلها مشحونةٌ بالضعفاء والمجاهيل . اهـ « فيض القدير » ٥/ ١٤ .

(٦) في « ب » فيحصل .

مجموع الأحاديث أنه ينبغي أن يقع الابتداء بكل من الثلاثة[(١)] ، وأن الابتدائية يعتبر فيها التوسعة في أجزائها الزمانية المقيدة بما قبل الشروع في المقاصد التصنيفية .

والترتيب مستفاد من ورود الآيات القرآنية فيتعين تأخير الصلاة المحمدية عن الجملة الحمدية لنقصان العبودية عن صفة الرُّبوبية .

وأما تقديم الشاطبي[(٢)] رحمه الله الجملة الصلاتية فلعله أراد أن[(٣)] البسملة بمنزلة الشهادة للوحدة[(٤)] ، والتصلية بمنزلة الاعتراف بالنُّبُوَّة[(٥)] ، وبهما يحصل مقام الإيمان ، فيناسب أن يقع بعده الحمد لله[(٦)] على ذلك الإحسان .

ثم إن الشَّاطبيَّ ـ رحمة الله عليه ـ تكلف وأتىٰ بأجزاء البسملة منظومةً لكنها متفرقة منفصلة[(٧)] ، ولم يسع الناظم هنا أن يأتي[(٨)] بتلك الطريقة فاكتفىٰ بالحمدلة كما يدل عليه حديث « كلُّ أمرٍ ذي بالٍ لم يبدأ فيه بذكر الله. . . »

---

(١) يعني البسملة والحمدلة والصلاة على رسول الله ﷺ .

(٢) هو القاسم بن فِيْرُّه ـ بالفاء المكسورة والياء الساكنة والراء المشددة المضمومة ـ بن خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي إمام القراء ، ولد في « شاطبة » سنة ٥٣٨هـ ، كان عالماً باللغة والحديث والتفسير والقراءات ، له « عقيلة أتراب القصائد » في الرسم ، و« حرز الأماني ووجه التهاني » منظومة في القراءات السبع ، كُتِبَ لها القبول وكثرت عليها الشروح ، توفي الإمام الشاطبي سنة ٥٩٠هـ . « الوفيات » ١/ ٤٢٢ ، و« غاية النهاية » ٢/ ٢٠ .

(٣) في « أ » : بأنَّ .

(٤) أي عند قولك : لا إله إلا الله .

(٥) أي عند قولك : محمد رسول الله .

(٦) « لله » سقط من « ب » .

(٧) نظمُ الشاطبي في كتابه مفتتح بقوله :

بَـدَأْتُ ببسـمِ اللهِ فـي النَّظْـمِ أَوَّلا ... تَبَـارَكَ رَحْمَـانـاً رَحِيْمَـاً ومَـوْئِـلا
وثَنَّيْـتُ صلـىٰ اللهُ ربـي علـى الـرِّضَـا ... مُحَمَّـدٍ المُهْـدىٰ إلـى النـاس مُرْسَـلا
وعِتْـرَتِـهِ ثُـمَّ الصحـابـة ثُـمَّ مَـنْ ... تَـلاَهـم على الإحسانِ بـالخيـر وُبَّلا
وثَلَّثْـتُ أَنَّ الحمـدَ لله دائمـاً ... ومـا ليـسَ مبـدُوءاً بـه أجـذمُ العَـلا

(٨) « أن يأتي » سقط من « ب » .

الجامع الرافع للنزاع في أنَّ الابتداء يكون حقيقة وإضافة .

والحاصل أن المقصود من الأحاديث النبوية أن الابتداء لا يصدر في حالة الغفلة[1] ليفيد الإخلاص لله[2] والاختصاصَ به ، وينفي الرياء والسمعة وليحصل له ببركة الابتداء توفيق الانتهاء وعدم الانقطاع في الأثناء ، سواء يكون ذكر الله في ضمن البسملة أو الحمدلة أو التصلية أو غيرها ، ولا يبعد أن المصنف جمع بينهما بأن تلفظ بالبسملة ولم يجعلها جزءاً من الكتابة .

وأما شرح الشيخ زكريا فهو يشير إلى أن البسملة في أولها قبل الشروع فيها موجودة بحسب الكتابة[3] ، لكنه مخالفٌ لما عليه الأصول مع أنها لا تدخل حينئذٍ تحت المقول[4] ، ويؤيد ما ذكرنا قول ابن المصنف [٤] : (بدأ بالحمد تأسياً بالقرآن العظيم[5] وبحديث الحمد[6] في كل أمرٍ ذي شأن) .

وأغرب شارح مصري هنا حيث قال : (الوقف على « بسم الله » قبيح ، وعلى « الرحمن » كذلك ، وعلى « الرحيم » تام. . .)[7] . اهـ وهو كلام ناقص كما سيأتي حَلُّه في مَحَلِّهِ[8] وكذا في قوله : (يجوز كسر الدال بنقل حركة اللاَّم إلى الدَّال على الإتباع) ، فإنه لا نقل في ذلك بل إتباع مجرد هنالك كما قرىء شاذاً بالكسر والضم[9] في ﴿الحمدُ لله﴾ .

---

(١) في « ب » : التلفظ بدل الغفلة .

(٢) في « ب » : « لله تعالى » .

(٣) وجه الاستدلال بذلك أن الشيخ زكريا بدأ في شرح البسملة وجعلها من قول المصنف فقال : قال الناظم رحمه الله : بسم الله الرحمن الرحيم .

(٤) يعني قول الناظم في افتتاح قصيدته : يقول راجي عفوِ رَبٍّ سامعِ .

(٥) « العظيم » سقط من « ب » وليس مذكوراً في نسخة ابن المصنف المطبوعة .

(٦) في « ب » الأمر بدل الحمد .

(٧) لم أعثر على هذا النص في شروح المقدمة التي وقفت عليها مخطوطة ومطبوعة .

(٨) انظر باب الوقف والابتداء من هذا الكتاب ص ٢٤٤ .

(٩) قرأ بكسر الدال الحسن البصري كما في « الفوائد المعتبرة » ص٢٦٥ ، وقرأ بضم اللاَّم إبراهيم بن أبي عبلة كما في « الكشاف » ص١٠ وهما شاذتان .

ثم « النبي » إما مهموز من النبأ وهو الخبر ، فعيلٌ بمعنى الفاعل وهو الأظهر لأنه مخبرٌ عن الله تعالىٰ ، وإما غير مهموز وهو الأكثر ، فقيل : إنه مخفف المهموز فأبدلت همزتُهُ ياءً، وهو المختار كما أشار إليه الشاطبي بقوله :

وَجَمْعَاً وَفَرْدَاً في النَّبيءِ وفي النُّبُو ءَةِ الهَمْزَ كُلٌّ غَيْرَ نَافعٍ ابْدَلاَ [٤٥٨]

وأُغْرَب شارحٌ بقوله : (هو مأخوذ من الإنباء ، وقيل : من النَّبأ) . اهـ

وقيل : إنَّه من النَّبْوَة بمعنىٰ الرِّفعة ؛ لأن النبي مرفوع الرتبة على سائر البرية[١] .

وهو إنسانٌ أوحيَ إليه شرع وإن لم[٢] يؤمر بتبليغه[٣] .

والرسول : إنسان أوحيَ إليه بشرع وأُمِرَ بتبليغه ، فالنبيُّ أَعَمُّ منه مطلقاً .

وأما قول ابن المصنف [٦] : (والفرق بينه وبين الرَّسول أنَّ الرَّسول مأمورٌ بتبليغِ ما أُنبِىءَ به ، والنبيُّ هو المخبر ولم يؤمر بالتبليغ ، فكل رسولٍ نبي وليس كُلُّ نبيٍّ رسولاً) . فتفريعٌ غير صحيح لما قدمناه من أنَّ الرسول أَخَصُّ من النبي كالإنسان بالنسبة إلى الحيوان ، والله المستعان[٤] .

ثم اختار وصفَ النبوة لأنها أعم وفي الأحوال[٥] أتم ، ولأنه إذا كان بنعت النبوة يستحقُّ الصلاة وإنزال الرحمة ، فباعتبار وصف الرسالة أولىٰ كما لا يخفىٰ .

---

(١) هو قول الشارح طاش كبري زادة (الرومي) ص٥ ، وقول الشيخ خالد الأزهري ص٤٣ .

(٢) في « ب » : ولم يؤمر .

(٣) لو عَرَّفَ أحدٌ من الشُّرَّاح النبيَّ أو الرسول بمثل ما عرفه المؤلف لانتقد المؤلف تعريف وجعله ناقصاً ؛ لأنه لا يخفىٰ اشتراط أن يكون النبي ذكراً لتخرج بذلك الأنثى ، وحراً ليخرج بذلك العبد .

(٤) ردّ الشارح على ابن المصنف مع أن كلامهما متقارب جداً ، هذا وللعلماء أقوال أخرى في الفرق بين النبي والرسول (انظر : « عون المريد لشرح جوهرة التوحيد » لعبد الكريم تتان ومحمد أديب الكيلاني ص٨٣ـ٨٧) .

(٥) في « ب » وفي الأصول أتم .

وأراد بقوله « ومصطفاه » رسوله ، كما يشير إليه قوله تعالىٰ : ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ [الحج : ٧٥] وهو لا ينافي حديث مسلم : « إنَّ الله اصطفىٰ كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفىٰ قريشاً من كنانة ، واصطفىٰ من قريشٍ بني هاشم[١] ، واصطفاني من بني هاشم ، فأنا خيارٌ من خيارٍ من خيار »[٢] .

واعترض الشيخ زكريا على المصنف حيث قال [٢١] : (وكان ينبغي له ذكر السلام ؛ لأنَّ إفراد الصلاة عنه مكروهٌ كعكسه لاقترانهما في قوله تعالىٰ : ﴿ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] ولعله ذكره لفظاً) انتهىٰ . وهو مبني على ما قاله النووي[٣] .

والمصنف ذهب إلىٰ خلافه حيث قال في « مفتاح الحصن »[٤] : (وأما الجمع بين الصلاة والسلام فيقال ﷺ فهو الأولىٰ والأفضل والأكمل ، ولو اقتصر على أحدهما جاز من غير كراهة ، فقد جرىٰ عليه جماعة من السلف ، منهم الإمام مسلم في أول صحيحه وهَلُمَّ جراً ، حتى الإمام وليُّ الله أبو القاسم الشاطبي في قصيدته « اللامية » و« الرائية ») .

وقول النووي : (وقد نَصَّ العلماء ـ أو من نَصَّ منهم ـ على كراهة الاقتصار على الصلاة من غير تسليم)[٥] . اهـ فليس بذلك ، فإني لا أعلم أحداً نصَّ

---

(١) في « ب » : واصطفىٰ قريشاً من بني هاشم ، وهو مخالفٌ للصحيح ولما في الصحيح .

(٢) رواه مسلم في الفضائل برقم ٥٨٩٧ باب : فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة ، والترمذي في المناقب برقم ٣٦٠٥ باب : في فضل النبي ﷺ .

(٣) هو يحيىٰ بن شرف بن مِرِّي بن حسن الحزامي الحوراني النووي الشافعي ، أبو زكريا محيي الدين ، علامة بالفقه والحديث ، ولد بـ« نوى » في حوران سنة ٦٣١هـ وتوفي فيها سنة ٦٧٦هـ وإليها نسبته ، تعلم في دمشق وأقم بها زمناً طويلاً . اهـ « طبقات الشافعية » ١٦٥/٥ ، و« الأعلام » ١٤٩/٨ .

(٤) أحد مؤلفات ابن الجزري ، ولم يتيسر لنا الاطلاع عليه .

(٥) انظر « الأذكار » للنووي ص٦٧ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

على ذلك من العلماء ولا من غيرهم(١) .

أقول : ولا دلالة في الآية للجمع بينهما على وجه المعية ، وأما قول من قال : (يكره تركه ولو خطأ) فخطأ .

ثم لاشك أنَّ الإضافة في « نبيه » و« مصطفاه » عهدية ، وهو الفرد الأكمل ممن اتصف بالنبوة والاصطفائية ، لكن مع هذا أوضحه المصنف بقوله :

[٣] (مُحَمَّدٍ وآلِهِ وَصَحْبِهِ ومُقْرِىءِ القُرْآنِ مَعْ مُحِبِّهِ)

بجر « محمد » على أنه بدل أو عطف بيان ، وهو عَلَم مأخوذٌ من حَمَّدَ مبالغةُ حَمِدَ لما اقتضاه من الصيغة التفعيلية ، ثم نقل من الوصفية إلى الاسمية .

والمراد بـ« آله » أقاربُهُ وأهل بيته ، أو جميعُ أتباعِهِ من أُمَّته(٢) ، فعطفُ « صَحْبِهِ » من باب عطف الخاص على العام ، فلا يحتاج إلى قول ابن المصنف [٦] : (والتقدير : وصحبه غير الآل ليقوى العطف معنىً(٣) ، إذِ الأصل فيه المغايرة) لكن نقول : يكفي فيه المغايرة الاعتبارية .

واختار(٤) الآل على الأهل لأنَّ الآل مختصٌ بذوي الشرف ، وأما على المعنى الأول فبينهما عموم وخصوص من وجهٍ فتأمل .

فإنَّ الصَّحْب ـ بفتح الصاد وبكسره ـ اسم جمع كـ« رَكْب » للراكب ، وهو

---

(١) قال الشيخ عبد الغني النابلسي في تحقيق ذلك : وما قيل من كراهية الإفراد فالمراد خلاف الأولىٰ ، وليست الكراهة على بابها ، فإن الإتيان بهما فيه أجر ، وتركهما أو أحدهما مُخِلٌّ بذلك الأجر وتركٌ للأولىٰ . اهـ انظر « صرف العنان إلى قراءة حفص بن سليمان » للنابلسي ص٤٩ بتحقيقنا .

وقول المصنف : « لا أعلم أحداً نصَّ على ذلك من العلماء ولا من غيرهم » ليس كافياً للرد على من علم ذلك ، ثم إنَّ من حفظ ـ كالنووي ـ حجة على من لم يحفظ .

(٢) استناداً إلى قوله ﷺ حينما سئل من آلك ؟ قال : « آلي كُلُّ مؤمن » أو « مؤمن تقي » على اختلاف الروايتين ، رواه الطبراني في الصغير والكبير ، والعقيلي وابن عساكر .

(٣) في « أ » و« ب » : يعني ، والمثبت من « د » .

(٤) في « أ » : والاختيار ، وفي « د » واختيار الآل مختص بذوي الشرف .

اختيار سيبويه[١] ، وقيل : جمع لـ« صاحب » ، وهو مختار الأخفش[٢] ، وضُعِّفَ بأنه لا يجمع فاعِل على فَعْل .

والصحيح في حد الصحابي أنه **من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإيمان من غير تخلل بالرِّدة** ، وقد حقَّقْنَا هذا البحث في شرحنا لـ« شرح النخبة »[٣] .

والمراد بـ« مقرىء القرآن » معلمه ، وهو يشمله ﷺ وآله وأصحابه وأتباعه ، ولا بِدْعَ في توارد التصلية باعتبار الصفات المختلفة ، فلا يحتاج إلىٰ تخصيص الإقراء بالتابعين وغيرهم ممن بعدهم كما ذكره ابن المصنف .

والضمير في « محبه » راجع إلى القرآن ، وهو[٤] صادق لعموم أهل الإيمان فلا يحتاج إلىٰ تقييده بالعامل به كما ذكره الشيخ زكريا .

أو إلى مقرئه[٥] ، وهو أبلغ في مقام البرهان ، ثم هو أعم من أن يكون قارئاً أو غيره[٦] ؛ لأن المرء مع من أحب .

---

(١) انظر « الكتاب » ١/ ١٩٩ ، وسيبويه هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء ، إمام النحو ، ولد في قرى شيراز سنة ١٤٨ هـ ، وقدم البصرة فلزم الخليل بن أحمد ففاقه ، وصنف كتابه المسمى بـ« كتاب سيبويه » في النحو لم يصنع مثله لا قبله ولا بعده ، توفي بالأهواز سنة ١٨٠هـ . اهـ « وفيات الأعيان » ١/ ٣٨٥ ، و« الأعلام » ٥/ ٨١ .

(٢) هو سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء ، البلخي ثم البصري ، نحوي ، عالم باللغة والأدب ، سكن البصرة وأخذ العربية عن سيبويه ، وصنف كتباً منها « تفسير معاني القرآن » و« شرح أبيات المعاني » و« كتاب الملوك » وغيرها ، توفي سنة ٢١٥هـ . اهـ « وفيات الأعيان » ١/ ٢٠٨ ، و« انباه الرواد » ٢/ ٣٦ .

(٣) قال ابن حجر في شرح النخبة : (ولو تخللت ردّة على الأصح) وقال الشارح : يشترط أن تحصل له الرؤية ثانية بعد الردّة ليعد صحابياً ، على ما يقتضيه مذهبه . « شرح شرح نخبة الفكر » ص٥٧٦ .

(٤) يعني لفظ « محبه » .

(٥) عطف على قوله : راجعٌ إلى القرآن .

(٦) يعني أنه لو قال : مقرىء القرآن مع قارئه لم يدخل فيه من لم يعرف القراءة ، بخلاف « محبه » فإنه أعم من ذلك .

وقيل : الضمير في « محبه » راجعٌ إلى النبي ﷺ ، وهو في غايةٍ من البعد ، وكذا قول الشارح الرومي [٧] : (أصله مقرئين ، وسقط النون بالإضافة) .

وفي الجمع بين الآل والصحابة إيماءٌ إلى اعتقادِ أهلِ السُّنَّة ، خلافاً للخوارج والرافضة[١] أبعدهم الله عن مرتبة المحبة .

تنبيه : وقع اختلاف بين أكابر الأمة في أن النبوة أفضل أم الرسالة ، ولكلٍ وجهةٌ ؛ إذِ النبوة المجردة من حيث التوجه إلى الله تعالىٰ وأخذ الفيض منه سبحانه وتعالىٰ أولىٰ من حيث التوجه إلى الخلق وإيصال الفيض إليهم ، إلا أنَّ الرسول من حيث إنه كامل مكمل أفضل من النبي من حيث إنه كامل ، مع أنَّ الرسالة لا تنافي الولاية فله المرتبة الجمعية المستفادة من صفة الاصطفائية فإنَّ الكامل الواصل إلى مرتبةِ جمع الجمع لا تحجبه[٢] الكثرة عن الوحدة ولا الوحدة عن الكثرة[٣] ، وأما عبارة بعض الصوفية أنَّ الولاية أفضل من النبوة فيعنون بها أنَّ ولاية الرسول أفضل من نبوته كما سبق لا مطلقاً ؛ لئلا يلزم[٤] منه أن يكون الولي أفضل من النبي ، إذ لم يقل به أحدٌ من أهل الإسلام .

وأما قول الحليمي[٥] : (يحصل الإيمان بقول الكافر آمنت بمحمد النبي بخلاف محمد الرسول لأن النبي لا يكون إلا لله ، والرسول قد يكون لغيره)[٦] ،

---

(١) في « ب » زيادة : « الذين » .
(٢) في « أ » : لا يحجبه .
(٣) في « ب » : ولا الوحدة عن الوحدة .
(٤) في « أ » : ليلزم ، والصحيح ما أثبتناه .
(٥) هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني أبو عبد الله ، فقيه شافعي قاض ، كان رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر ، ولد بجرجان سنة ٣٣٨هـ وتوفي في بخارىٰ سنة ٤٠٣هـ ، له « المنهاج » في شعب الإيمان . اهـ « الرسالة المستطرفة » ٥/ ٤٤ ، و« الأعلام » ٢/ ٢٣٥ .
(٦) انظر « المنهاج » في شعب الإيمان للحليمي ١/ ٢٣٧ .

فمبني على الاستعمال العرفي إلا أن لفظ الإيمان يمنع من حمله على المعنى العرفي كمالا يخفىٰ على أهل الإيقان .

وفي البيت إيماء إلى قوله عليه الصلاة والسلام : « أُغدُ عالماً أو متعلماً أو سامعاً أو محباً ولا تكن الخامسة فتهلك »[1] رواه البزار والطبراني عن أبي بكرة رضي الله عنه .

[٤] (**وبَعْدُ إنَّ هَذه مُقَدِّمَة**) أي بعدما تقدم من الحمد والصلاة ، وهي كلمة يؤتىٰ بها للانتقال من غرض أو أسلوب إلىٰ آخر ، ويستحبُّ الإتيان بها في الخطب والمكاتبات اقتداءً بالنبي عليه الصلاة والسلام ، كذا ذكره خالد [٢٤] ، وفيه أنَّ الإتيان بـ« أما بعد » هو مستحبٌ بلا شبهة ، إنما الكلام في « وبعد » ، ولا يبعد أن يقال : ما لا يدرك كله لا يترك كله ، خصوصاً في ضرورة[2] الكلام مع احتمال تقدير « أمَّا » لتحصيل المرام .

هذا وقد روىٰ عبد القادر الرَّهَاوي[3] في « الأربعين »[4] بأسانيد عن أربعين صحابياً أنه عليه السلام كان يأتي بها في خُطَبِهِ وكُتُبه[5] .

---

(١) رواه البزار في كتاب العلم برقم ١٣٤ باب فضل العالم والمتعلم ، والطبراني في الكبير برقم ٨٧٥٣ وكذا في الصغير والأوسط ، وقال في « المجمع » ١/ ١٢٢ : ورجاله رجال الصحيح إلا أنَّ عبد الملك بن عمير لم يدرك ابن مسعود .

(٢) في « ب » : في صيرورة الكلام .

(٣) هو عبد القادر بن عبد الله الرهاوي الحنبلي ، ولد سنة ٥٣٦ بالرَّهَا ، حُبِّبَ إليه فن الحديث فسمع الكثير وحَدَّث وصنف وجمع ، قال ابن خليل : كان حافظاً ثبتاً كثير التصنيف ، توفي رحمه الله بـ« حَرَّان » سنة ٦١٢ . اهـ« شذرات الذهب » ٥/ ٥١ ، ٥٢ .

(٤) « الأربعون المتباينة الإسناد والبلاد » قال عنه في « شذرات الذهب » : هو أمر ما سبقه إليه أحد ولا يرجوه بعده أحد لخراب البلاد . اهـ الشذرات ٥/ ٥١ .

(٥) قال ابن حجر في « الفتح » : (وقد تتبع طرق الأحاديث التي وقع فيها « أما بعد » الحافظ عبد القادر الرهاوي في خطبة الأربعين المتباينة له فأخرجه عن اثنين وثلاثين صحابياً ، منها ما أخرجه من طريق ابن جريج عن محمد بن سيرين عن المسور بن مخرمة « كان النبي ﷺ إذا خطب خطبةً قال : أما بعد » ، ورجاله ثقات ، وظاهره المواظبة على ذلك) . اهـ « فتح =

قال ابن المصنف [٧] : (وتقدير المضاف إليه محذوف في هذا البيت) وفيه أن التقدير مغني عن المحذوف ، وكذا عكسه .

والرواية بضم الدال وإن أجاز هشام(١) فتحَها ، لكن أنكره النَّحَاس(٢) ، وأما تجويز الفراء(٣) رفعه منوناً وكذا نصبه فليس هذا محله .

وأما ما ذكره شارحٌ عن بعض مشايخه من أنَّ وجهَ الرفع والتنوين كونه فاعلاً لـ« يكن » المقدرة في قولهم : مهما يكن من شيء بعدُ ، فما أبعده عن التحقيق ، والله ولي التوفيق .

و« هذه » إشارة إلى الرسالة أو الأرجوزة أو القصيدة ، وهي إن تأخرت الخطبة عن فراغ المقدمة حسية ، وإن تقدمت عليه ذهنية ، ومنه قوله تعالىٰ : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ﴾ [الأنعام : ١٠٢] و﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ﴾ [مريم : ٦٣] .

والـ« مقدمة » طائفة من العلم كمقدمة(٤) الجيش ، وهي بكسر الدال(٥) من

= الباري » ٢/ ٥٢١ .

(١) هو هشام بن معاوية أبو عبد الله الكوفي ، نحوي ضرير ، من أهل الكوفة ، كان أستاذاً كبيراً وعالماً نحريراً في النحو وعلوم العربية ، من كتبه ، « الحدود » و« المختصر » و« القياس » كلها في النحو ، توفي رحمه الله سنة ٢٠٩هـ . اهـ « وفيات الأعيان » ٢/ ١٩٦ ، والأعلام ٨/ ٨٨ .

(٢) وهو : أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ، أحد كبار علماء النحو في زمانه ، من مؤلفاته : « إعراب القرآن » ، و« معاني القرآن » و« الناسخ والمنسوخ » توفي بمصر سنة ٣٣٨هـ . « إنباه الرواة » ١/ ١٠١ ، و« بغية الوعاة » ١/ ٣٦٢ .

(٣) هو يحيىٰ بن عبد الله بن زياد بن عبد الله الديلمي ، إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب ، ولد بالكوفة سنة ١٤٤هـ وانتقل إلى بغداد ، وكان مع تقدمه في اللغة فقيهاً متكلماً عالماً بأيام العرب وأخبارها ، من كتبه « معاني القرآن » و« المذكر والمؤنث » و« اللغات » ، توفي سنة ٢٠٧هـ . اهـ « وفيات الأعيان » ٢/ ٢٢٨ ، و« غاية النهاية » ٢/ ٣٧١ ، و« الأعلام » ٨/ ١٤٥ .

(٤) في « ب » : لمقدمة .

(٥) في « أ » و« ب » : « اللام » .

قَدِمَ اللاَّزم بمعنىٰ تَقَدَّم ، ومنه قوله تعالىٰ : ﴿ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [الحجرات : ١] أي لا تتقدموا ، وقيل في الآية : إنَّ المفعول مقدر ، أي : لا تقدموا أمراً .

وتكلف بعضهم هنا أيضاً وقال : (المعنىٰ هي مقدمة نفسها على غيرها) .

ويجوز فتح الدَّال على لغةٍ قليلةٍ كمقدَّمة الرحل من قَدَّمَ المتعدي ، واقتصر عليه بَحْرَق[١] في شرحه .

وأما قول جمعٍ من الشُّرَّاح : (إنَّ هذا طائفة من علم التجويد)[٢] فليس على ظاهره ؛ لأنَّ التجويد أحد مسائلها كما سيأتي بيانه في محلها[٣] ، اللَّهم إلا أن يقال : تنسب[٤] إليه تغليباً لكونه[٥] المراد الأصلي منها .

وقول خالد [٢٦] : (يقال مقدمة العلم لما يتوقف عليه الشروع في مسائله ، ومقدمة الكتاب لطائفة من كلامه تقدمت أمام المقصود لارتباط له بها ، وانتفاعٍ فيه بسببها) يوهم أن المراد هنا بالمقدمة أحد معنيي المقدمة المتقدمة ، وليس كذلك ، بل المراد بها طائفة من مسائل علم القراءة ينبغي الاهتمام بها والاعتناء بشأنها كما أشار إليه المصنف بقوله :

---

(١) هو محمد بن عمر بن مبارك ، الحميري ، الحضرمي ، الشافعي الشهير بـ« بَحرَق » فقيه ، أديب ، باحث ، متصوف ، ولد سنة ٨٩٦هـ ، وتوفي سنة ٩٣٠هـ له مؤلفات كثيرة ، من أهمها شرحه على الجزرية . اهـ « الضوء اللامع » ٨/ ٢٥٣ ، و« التاج » ٦/ ٢٨٤ ، و« الأعلام » ٦/ ٣١٥ .

(٢) منهم الشيخ خالد الأزهري في شرحه ص٢٥ ، وطاش كبري (الرومي) ص٨ ، وابن المصنف ص٧ .

(٣) أي عند بيان وجوب الأخذ بالتجويد بقول الناظم :

والأخــذُ بــالتجــويــدِ حتــمٌ لازمُ . . . .

(٤) في « أ » : ينسب .

(٥) في « ب » : لكون .

(**فيما على قارئه أن يعلمه**) أي بيان ما يجب على كل قارىء من قُرَّاء القرآن علمه .

وأبعدَ من قَدَّر مضافاً قبل « أن يعلمه » وقال : تَعَلُّمُهُ ، أو تعليمُهُ .

وتجويز شارح كون « ما » مصدرية في غايةِ غرابةٍ من القواعد العربية .

وأما قول ابن المصنف [٧]: (هذه مقدمة مغنية له عن غيرها) فليس علىٰ إطلاقه .

واعلم أن هذه المقدمة أرجوزة من بحر الرجز ، وأجزاؤه « مستفعلن » ست مرات .

[٥] (**إِذْ وَاجِبٌ عَلَيْهِمُ مُحَتَّمُ**) بإشباع ضمة الميمين (**قبل الشُّروعِ أَوَّلاً أن يعلموا**) « إذ » تعليل للوجوب المقدر في ضمن قوله « فيما على قارئه » كما ذكره ابن المصنف وغيره(١) .

وقال شارح : (للوجوب المفهوم من « على » لا من مقدر كما توهمه بعضهم لتصريحهم بأنه قد يراد بها الوجوب)(٢) .

قلت : لم يذكر صاحب « المغني »(٣) ولا صاحب « القاموس »(٤) من

---

(١) انظر « الحواشي المفهمة » لابن الناظم ص٧ ، و« الحواشي الأزهرية » للشيخ خالد ص٢٦ ، وشرح الجزرية لطاش كبري (الرومي) ص٨ .

(٢) قلت : « الوجوب أو اللزوم أو الإلزام من المعاني التي تقوم بها « على » وتحمل عليها اللام فيه ، قال الرازي : « كلمة (على) تفيد معنى اللزوم ، يقال : « علا فلان كذا » ، (الرازي ٥/ ١٣٢) . وذكر في موضع آخر أنها للوجوب ٥/ ٧٦ ، وقال القرطبي : (على) من أوكد ألفاظ الوجوب عند العرب في قوله : (ولله على الناس حجُّ . . .) القرطبي ٤/ ١٤٢ .

(٣) « مغني اللبيب عن كتب الأعاريب » للشيخ جمال الدين بن هشام الأنصاري ، قَسَّمَ كتابه قسمين ، تناول في القسم الأول الأدوات في اللغة العربية ، وبين العامل منها وغير العامل وحشد شواهدها من القرآن الكريم والأشعار والأمثال وبين معانيها وأحكامها ، وتناول في القسم الثاني المفردات حروفاً وأفعالاً وأسماءً وبين الجمل وأقسامها والجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها ، طبع مراراً بمطابع عديدة .

(٤) « القاموس المحيط » لمجد الدين الفيروزآبادي، معجم فاق غيره من المعاجم، اكتفىٰ ببيان معاني الألفاظ وضبطها ، جمع فيه معظم مفردات اللغة التي ذكرت في لسان العرب ، وقد=

معانيها الوجوب ، وإنما الوجوب مستفاد منها بقرينة المقام الدَّال باعتبار متعلقه على المرام .

ثم الوجوب الشرعي : ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه .

فيجب حمل كلام المصنف على المعنى الاصطلاحي ، وهو لا ينافي الوجوب الشرعي في بعض الصور[١] من الفن العرفي ، ولا يجوز حمله على [المعنى][٢] الشرعي ؛ لأن معرفة جميع ما في هذه المقدمة ليس من هذا القبيل ، إلا إذا حُمِلَ على وجوب الكفاية .

فقول شارح : (أراد بالوجوب هنا الوجوب الشرعي[٣] ، وأما ما ذكره بعضهم من أنه قد يراد به ما لا بُدَّ منه مطلقاً وحُمِلَ عليه كلام الناظم هنا فمحمول على من أمكنه التجويد بطبعه وسليقته كالعرب الفصحاء وغيرهم ممن رزقه الله تعالىٰ ذلك بالجِبِلَّة وطبع عليه ، فلا شَكَّ أنه ليس معناه الواجب عند الفقهاء الذي يعاقب على تركه ، وأما من لم يتصف بما ذكر فلا بُدَّ في حقه من التجويد ، وعليه يحمل كلام الناظم ويراد به الوجوب الشرعي)اهـ . فمبني على ما يجوز[٤] عند الشافعي من الجمع بين الحقيقة والمجاز في إطلاق واحد كما اختاره الشيخ زكريا بقوله : (إذ واجبٌ صناعةً بمعنىٰ لا بُدَّ منه مطلقاً ، وشرعاً بمعنىٰ ما يأثم بتركه[٥] إذا أوهمَ خَلَلَ المعنىٰ أو اقتضىٰ تَغَيُّرَ[٦] الإعراب) والمبنىٰ[٧] .

= زاد عليها أحياناً ، طبع الكتاب مراراً بطبعات عديدة .

(١) في « أ » : السور ، وهو تصحيف .

(٢) سقط من « أ » وأثبتناه من « ب » .

(٣) في « ب » : الشرعية .

(٤) في « ب » : على من يُجَوِّزُ .

(٥) في « أ » : ما يُؤثم تركه .

(٦) في « ب » : تغيير ، وما أثبتناه هو الموافق للشيخ زكريا .

(٧) في « ب » : أو المبنىٰ ، وهذا اللفظ ليس من كلام الشيخ زكريا ؛ لأنني لم أجده في =

والتحقيق المرضيُّ عند الكل ما قدمناه[1] مع أنَّ هذه المقدمة ليست منحصرة في بيان التجويد فقط كما تقدم ، والله أعلم .

قال ابن المصنف [٨] : (ضمير « عليهم » راجع إلى « كل » المقدر في قوله « فيما على قارئه ») وتبعه خالد [٢٦] ، ولا يحتاج إلى ذلك ؛ فإن المراد به جنس قارىء القرآن .

وأغرب شارح في قوله : (الضمير إلى القارىء ؛ لأنَّ لامَهُ التي للاستغراق في معنى كل قارىء) ونَبَّهَ على أنه كذا في بعض النسخ . اهـ ولا يستقيم له ذلك لعدم اتزان البيت به كما لا يخفىٰ .

وقوله : « قبل الشروع » ظرف لـ« واجب » وأُكِّدَ بقوله : « أولاً » ، أي يجب عليهم قبل الشروع في قراءة القرآن وفي ابتداء قصدهم تَعَلُّمُ القرآن أن يعلموا[٦] (**مَخَارِجَ الحُرُوفِ والصِّفَاتِ**) لا قبل أن يشرع في أدائه على المشايخ كما قال بحرق ، فإنه حينئذٍ يأخذ العلم والعمل بالأداء عن أفواههم وأسماعهم .

(**ليلفِظُوا بأفصَحِ اللُّغَاتِ**) وفي نسخة صحيحة « لينطقوا » ، قيل : وهذه[2] النسخة التي ضبطت على لفظ الناظم آخراً ، والمؤدىٰ منهما واحد ، إلا أنَّ النطق يشمل الحروف الهجائية بخلاف اللفظ فإنه موضوع للمركب ولو علىٰ سبيل الغالبية كما يشير إليه قوله تعالىٰ : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾ [ق : ١٨] .

والمراد أفصح اللغات مطلقاً أو أفصح من لغات سائر العرب العرباء ، فإن المراد به لغة قريش وهم قومه ﷺ لقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم : ٤] ولقوله عليه الصلاة والسلام : (أُحِبُّ[3] العرب

= المخطوط و في المطبوع وإنما هو زيادة من المؤلف على العبارة لاختراع السجع .

(١) في « أ » : ما قدمنا .

(٢) في « ب » : وهذه هي .

(٣) هكذا وردت بصيغة المضارع في جميع النسخ ، والصحيح أن يكون « أَحِبُّوا » بصيغة الأمر=

لثلاث : لأني عربي ، والقرآن عربي ، ولسان أهل الجنة في الجنة عربي) والحديث أخرجه الطبراني والحاكم والضياء عن ابن عباس(١) .

وسيأتي تحقيق معنى المخرج والحرف(٢) وصفته في محله الأليق به بتفصيله ، فإن هذا مقام إجمال ما في هذه الرسالة بمنزلة فهرس الكتاب ، ولذا قال في هذا الكتاب :

[٧] (مُحَرِّرِي التَّجويْدِ والمَوَاقِفِ وَمَا الَّذِي رُسِّمَ في المَصَاحِفِ)

بإشباع كسرة الفاء إلى حد الياء .

و« رُسِّمَ » بتشديد السين المكسورة ، وفي نسخة بتخفيفه ، أي : كُتِبَ . والمعنىٰ حال كون علماء المخارج والصفات طالبي تحرير تجويد القرآن وإتقانه من تحسينه وإمعانه ، ومريدي معرفة المواقف والمبادىء من الكلمات القرآنية ، ومعرفة مرسوم(٣) المصاحف العثمانية لأنه أحد أركان القرآن ، والركنان الآخران : التواتر وموافقة العربية(٤) .

وحَذفُ « المبادىء »(٥) من باب الاكتفاء(٦) كقوله تعالىٰ : ﴿ سَرَٰبِيلَ

= المقرونة بواو الجماعة كما هو ثابتٍ في كتب الحديث ، وأثرنا إثبات ما ورد في النسخ حفاظاً على الأمانة العلمية للنص والتراث .

(١) رواه الطبراني في الكبير (١١/ ١١٤٤١) والأوسط برقم ٣٧٧ ، والحاكم في المستدرك (٤/ ٨٧) والعقيلي في الضعفاء (٣٢٧) والضياء المقدسي (٣/ ٧٩/ ١) والبيهقي في الشُّعَب (٢/ ١٦١٠) وابن عساكر (٦/ ٢٣٠/ ١) .

(٢) في « أ » : تحقيق المخرج ومعنى الحرف .

(٣) في « ب » : رسوم .

(٤) قال الإمام المحقق ابن الجزري في بيان هذه الشروط :

فَكُلُّ مَا وَافَقَ وجهَ نحوِ وكانَ للرَّسْمِ احتمالاً يَحوِي
وصَحَّ إسناداً هو القرآنُ فهذه الثلاثةُ الأركانُ
وحيثما يختلُّ رُكنٌ أثبِتِ شذوذَهُ لَو أنه في السَّبعَةِ

(٥) إذ الأصل أن يقول : محرري التجويد والمواقف والمبادىء .

(٦) هو أن يحذفَ من الكلام شيء يستغنىٰ عن ذكره بدلالة العقل عليه ، ومنه قول الشاعر : =

تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل : ٨١] أي والبرد .

والمراد بالمواقف المواضع التي يحسنُ الوقف عليها ، فهو اسم مكان لا مصدر بمعنى الوقف كما قال خالد [٢٧] .

ولَمَّا لم يستوفِ المصنف جميع ما يتعلق بالرَّسم على ما استوعبه الشاطبي رحمه الله في قصيدته « الرائية »(١) بل اكتفىٰ بالمقدار المحتاج إليه في القواعد الوفاقية بَيَّن ما رُسِمَ بقوله :

[٨] (مِنْ كُلِّ مَقْطُوعٍ) أي ما يكتب مقطوعاً من الكلمات لا من الحروف كما قاله الرومي [١١] .

(وَمَوْصُولٍ بِهَا) أي فيها ، والضمير يعود إلى المصاحف .

(وَتَاءِ أُنْثَىٰ لَمْ تكنْ تُكْتَبْ بِهَا) أي بهاء ، وقُصِرَ كما هو قراءة حمزة(٢) في الوقف على الهمزة(٣) ، [لا](٤) كما قال ابن المصنف وتبعه غيره : (إنه للضرورة)(٥) .

= فـإنَّ المنيَّـة مـن يخشهـا ... فسـوف تصـادمـه أينمـا

أي : أينما توجه .

(١) هي قصيدة رائية للإمام الشاطبي سماها « عقيلة أتراب القصائد » في الرسم ، من البحر الطويل ، بلغت ثلاثمئة بيت ، ذكر فيها المقطوع والموصول ، وبين فيها الثابت من المحذوف وكُلَّ ما يتعلق بالرسم ، طبعت مراراً بطبعات عديدة ، ولها عدة شروح .

(٢) هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل التيمي الزيات ، أحد القراء السبعة ، ولد سنة ٨٠هـ وكان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان ، انعقد الإجماع أن تلقي قراءته بالقبول ، توفي سنة ١٥٦هـ . اهـ « غاية النهاية » ١/ ٢٦١ـ٢٦٣ .

(٣) إذا وقف حمزة على الهمز المتوسط والمتطرف فإنه يخففه ، وفق قواعد تُعلم من كتب القراءات .

(٤) سقط من « أ » وأثبتناه من « ب » .

(٥) انظر « الحواشي المفهمة في شرح المقدمة » لابن الناظم ص٨ ، و« الحواشي الأزهرية » للشيخ خالد ص٢٧ ، وأحسن منهما قول الشارح الرومي ص١٠ وعبد الدائم الأزهري ص٩١ : « وخُفِّفَ للوزن » ، وأحسنُ الكل قول الشيخ ملا علي القاري في الأعلىٰ ؛ إذ=

و« تكتبْ » في الأصل مرفوع لأنه خبر كان[١] ، وإنما أُدغم على مذهب السوسي[٢] في الإدغام الكبير[٣] .

والمعنى تاء تأنيث لم تكتب بتاء مربوطة بل تكتب بتاء مجرورة كما سيأتي[٤] تحقيقه وبيان فوائد كُلٍّ منها في محله .

[فوائد بَلاغيّة] :

وفي الجمع بين « المقطوع » و« الموصول » صنعةُ الطباق ، وهو الجمع بين معنيين متقابلين .

وفيما بين « بها » و« بهاء » صنعة الجناس ، وهو الجمع بين [معنيين][٥] متشابهين في اللفظ والخط .

وأغرب شارح في قوله : (ما استفهامية) ، فإنها إما أن تكون زائدة أو موصولة مؤكِّدة ، وعلى كل تقدير عطفت على « التجويد » لا على مفعول « يعلموا » كما قاله الشارح ، فإنه في كمال البعد ، والله أعلم .

* * *

= المقال مناسب للمقام .

(١) أي ليست مجزومة بـ« لم » على أنها جملة بدل من المجزومة قبلها .

(٢) هو أبو شعيب صالح بن زياد بن عبد الله بن إسماعيل ، مقرىء ضابط محرر ثقة ، أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن اليزيدي ، وروىٰ عن أبي عمرو بن العلاء ، توفي سنة ٢٦١هـ . اهـ « غاية النهاية » ١/ ٣٣٢ .

(٣) الإدغام الكبير هو إدغام المتحرك بالمتحرك ، ويكون بالمتماثلين والمتقاربين والمتجانسين ، وهو خاص برواية السوسي عن أبي عمرو مطلقاً ، ووافقه الدوري بخلفٍ عنه من طريق « طيبة النشر » ، وهو أيضاً لبعض القراء في مواطن مخصوصة ، وكُلُّ ذلك يتعلق بقيود وشروط وقواعد تعرف في مظانها .

(٤) في « ب » : كما سيجيء .

(٥) زيادة من « ب » .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

[باب مخارج الحروف]

[٩] (**مَخَارِجُ الحُرُوفِ**) أي العربية الأصول (**سَبْعَةَ عَشَر**) أي مخرجاً ، وهو موضع الخروج في الأصل ، لكنه هنا عبارة عن الحيز المولِّد للحرف ، كذا قاله جماعة من الشُّرَّاح ، والأظهر أنه موضع ظهوره وتمييزه عن غيره ، ولذا قالوا في تعريف الحرف :

هو صوت معتمد على مقطع محقَّق ، وهو أن يكون اعتماده على جزء معين من أجزاء الحلق واللسان والشفة ، أو مقطع مقدر وهو هواء الفم[١] ، إذِ[٢] الألف[٣] لا معتمد له في شيء من أجزاء الفم بحيث إنه ينقطع في ذلك الجزء ، ولذا يقبل الزيادة والنقصان .

ثم المراد بالحرف حرف المبنىٰ من الحروف الهجائية ، لا حرف المعنىٰ مما هو مذكورٌ في كتب العربية[٤] .

وأصل الحرف معناه الطرف ، وإنما سمي حرفاً لأن حرف التهجي طرف الأصوات وبعضٌ منها ، وحرفُ[٥] المعنى طرفٌ أي جانبٌ مقابلٌ لمعنى الاسم والفعل حيث يقعان عمدةً في الكلام ، وهو لا يقع إلا فضلةً في المرام .

[تعريف الصوت والحركة] :

ومادَّتُه[٦] الصوت ، وحَدُّه : **هواء يتموَّج بتصادم جسمين** ، ومن ثمَّة عُمَّ به

---

(١) والخيشوم أيضاً مخرج مقدر . « جهد المقل » للمرعشي ، (ص١٢٦) .
(٢) هذا تعليل لقوله « هواء الفم » لأن الألف تخرج مع هواء الفم ولا تعتمد على مخرج معين .
(٣) والواو والياء المديتان .
(٤) حروف المبنىٰ هي التي تبتنى منها الكلمة مثل : الألف ، والباء ، والتاء ، والثاء . . . إلخ ، أما حروف المعنىٰ فهي مجموعة حروف من تلك المذكورة توحي معنىً خاصاً عند دخولها أثناء الجمل بين الأسماء والأفعال مثل : إن ، إذما ، من ، إلى ، عن ، علىٰ ، كي . . الخ .
(٥) في « ب » : وطرف المعنىٰ ، وهو تصحيف .
(٦) الضمير في « مادته » يرجع إلى الحرف .

ولم يخصَّ بالإنسان ، بخلاف الحرف[1] فإنه يختص بالإنسان وضعاً .

والحركة : عَرَضٌ تُحلُّه ، على خلاف في ذلك يطول بحثه ولا طائل تحته[2] .

[مطلب في عددِ حروفِ العربية والخلافِ فيه]:

ثم الأصول في حروف العربيةِ تسعة وعشرون حرفاً باتفاق البصريين إلا المُبَرِّد[3] فإنه جعل الألف[4] والهمزة واحداً محتجاً بأنَّ كل حرفٍ يوجد مسماه في أول اسمه ، والألف أوله همزة .

وأجيبَ بلزومِ أن الهمزة تكون هاءً لأنها أول اسمها .

والتحقيق في الفرق بينهما أن الألف لا تكون إلا ساكنة ، ولا يتصور أن يوجد لها اسمٌ يكون مسماه[5] ساكناً ، والهمزة إنما تكون متحركة أو مجزومة فكان حقها أن يقال لها « أمزة » لكنها أبدل منها هاء ، ولذا قيل : دليل تعددهما[6] إبدال أحدهما من الآخر كما حُقِّقَ في الآل والأهلِ ، وأراقِ وهراق ، والشيء لا يبدل من نفسه .

والحاصل أنَّ الألف على نوعين : لينيَّة وغيرها ، فهو أَعَمُّ لغةً واعتباراً وإن كان مغايراً للهمزة اصطلاحاً ، وأن مخرج الهمزة محقق ومخرج الألف مقدر .

---

(١) في « أ » : بخلاف الطرف ، وهو تصحيف .

(٢) الكلام والخلاف في ذلك مبسوط في كتاب « الرعاية » للإمام مكي بن أبي طالب القيسي من ص٤٨ حتى ص٥٠ بتحقيقنا .

(٣) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي أبو العباس ، المعروف بـ« المبرد » ولد بالبصرة سنة ٢١٠هـ كان إمام العربية ببغداد في زمنه وأحد أئمة الأدب والأخبار ، توفي ببغداد سنة ٢٨٦هـ ، من كتبه « الكامل » و« المذكر والمؤنث » و« المقتضب » وغيرها . « بغية الوعاة » ١١٦ ، و« وفيات الأعيان » ١/ ٤٩٥ و« الأعلام » ٧/ ١٤٤ .

(٤) « الألف » سقط من « ب » .

(٥) أي أول حرف منه .

(٦) أي تغايرهما .

هذا وقد قال سيبويه وتبعه الأكثر على ما نقله الجعبري[1] : (إنَّ مخارج الحروف ستة عشر)[2] فجعل الألف من مخرج الهمزة كما اختاره الشاطبي[3] ، والواوَ والياءَ الساكنتين ـ أعم من المد واللين ـ من مخرج[4] المتحركين .

وقال الفراء وأتباعه : أربعة عشر ، فجعل مخرج النون واللام والراء واحداً .

والجمهور على أنَّ لكل واحدٍ مخرجاً كما سيأتي تحقيقه .

وقال الخليل[5] ـ وهو شيخ سيبويه ـ وأتباعُهُ من المحققين ، وهو الذي عليه الجمهور : إنها سبعة عشر كما أشار إليه المصنف بقوله :

(**عَلَى الذي يختَارُه مَنِ اخْتبَرْ**) أي بناء على قول من اختار ذلك باختياره الأقوال وتمييزه بين الأحوال .

واختيار المضارع لحكاية الحال الماضية .

وأَغْربَ شارحٌ حيث قال : (أي على القول الذي يختاره من بين الأقوال من سبق اختباره للحروف) . وأعجبُ من هذا حيث أعجب بكلامه وقال : (هذا

---

(١) هو إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري أبو إسحاق ، عالم بالقراءات ، من فقهاء الشافعية ، له نظم ونثر ، ولد بقلعة « جعبر » على الفرات ، وتعلم ببغداد ودمشق ، واستقر ببلد الخليل في فلسطين ، ولد سنة ٦٤٠هـ وتوفي سنة ٧٣٢هـ ، له كتب منها « كنز المعاني » شرح الشاطبية و« نزهة البررة في القراءات العشرة » وغيرها . اهـ « البداية والنهاية » ١٤/ ١٦٠ ، و« غاية النهاية » ١/ ٢١ ، و« الأعلام » ١/ ٥٥ .

(٢) « كنز المعاني في شرح حرز الأماني » للجعبري ورقة ٣١٣/ ب .

(٣) انظر « حرز الأماني » للشاطبي ص٩١ وص٩٢ باب مخارج الحروف .

(٤) « المد واللين من » سقط من « د » .

(٥) هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي ، من كبار أئمة اللغة والأدب ، واضع علم العروض ، وهو أستاذ سيبويه ، ولد سنة ١٠٠هـ في البصرة ، وتوفي فيها سنة ١٧٠هـ عاش فقيراً صابراً ، من كتبه « العين » و« تفسير حروف اللغة » . اهـ « وفيات الأعيان » ١/ ٧٢ « إنباه الرواة » ١/ ٣٤١ ، « الأعلام » ٢/ ٣٢٤ .

المعنىٰ غنيٌّ عن تأويل المضارع بالماضي كما جنح إليه ابن الناظم وغيره) .

ويحصر هذه المخارج الحلق واللسان والشفة ، وزاد جماعةٌ منهم الشاطبي والناظم : الجوف والخيشوم[1] .

[طريقة معرفة مخرج الحرف] :

هذا وإذا أردت أن تعرف مخرج حرفٍ صريحاً بعد تَلَفُّظِكَ به صحيحاً فَسَكِّنْهُ أو شَدِّده ـ وهو الأظهر ـ وأدخل عليه همزة وصل بأيِّ حركةٍ واصغِ إليه السمع فحيث انقطعَ الصوت[2] كان مخرجه المُحَقَّق ، وحيث يمكن انقطاع الصوت في الجملة كان مخرجه المُقَدَّر فتدبر .

ثم إذا سئِلتَ عن التلفظ بحرف من كلمة وكان ساكناً حكيته بهمزة وصل ، وإن كان متحركاً حكيته بهاء سكت ؛ لأنه لما سأل الخليل أصحابه كيف تلفظون بالجيم من « جعفر » ؟ فقالوا : جيم ، قال : إنما لفظتم بالاسم لا بالمسمىٰ ، لكن قولوا « جه » .

وأَغْرَبَ شارح هنا حيث اعترض على الجعبري وابن الناظم في قولهما : والصوتُ هواءٌ يتموج بتصادم جسمين ، فقال : (الذي عليه أهل السُّنَّة أن الصوت كيفيَّةٌ تحدث بمحض خلق الله تعالىٰ من غير تأثيرٍ لتموجُّ الهواء أو القرع أو القلع[3] خلافاً للحكماء في زعمهم أن الصوت كيفية في الهواء بسبب تموُّج . . .) إلى آخر ما ذكره ، فإن كلامه غير محرر ، نشأ من غير تأمل وتدبُّر .

والتحقيق أنَّ مذهب أهل السُّنَّة هو أن لا تأثير لغير الله ، وأنَّ الأسباب قد توجد بسبب من الأسباب لكن عند خلق الله إياه كما أنه سبحانه يخلق الشبع

---

(١) انظر « حرز الأماني » ص٩٢ ، و« النشر في القراءات العشر » ١/ ١٩٩ و٢٠١ .

(٢) قوله : « الصوت » سقط من « ب » .

(٣) « أو القلع » سقط من « أ » وأثبتناه من « ب » .

بسبب الأكل ، وهو قادرٌ على أن يشبع من غير أكل وأن يجعل الأكل سبباً لزيادة الجوع كما هو مشاهد في المستسقى والمبتلىٰ بجوع البقر .

ثم اعلم أنَّ الحروف المذكورة هي الأصول الأصلية ، وثمة حروف فرعية تكون ممتزجة بالأصلية للعلل المقتضية لها ليس هذا محلَّها[1] ، وهي : الهمزة المسهلة بينها وبين الألف أو الواو أو الياء[2] ، وكذا الألف الممالة[3] ، واللاَّم المفخمة[4] ، والصَّاد المشَمَّة[5] ، والنون المخفاة[6] ، وهذه الحروف الخمسة كلها فصيحة جاءت بها القراءات الصحيحة والروايات الصريحة[7] . وقول خالد [٣٨] : (والشين كالجيم في نحو « أجدق » من الحروف المتفرعة المستحسنة وجدت في القرآن وغيره من فصيح الكلام) . خطأ ظاهر في مقام المرام .

وأما الكاف العجمية وكذا الزاي[8] والباء الفارسية فليست من اللغات

---

(١) الضمير في « محلها » يرجع إلى العلل المقتضية لا إلى الحروف الفرعية .

(٢) وذلك كالهمزة الثانية من لفظ (ءَأنتم) في قراءة من سهلها وهم قالون وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ، وبخلاف عن ورش وهشام .

(٣) وذلك كالألف من لفظ ﴿مجراها﴾ من قوله تعالىٰ : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرَىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ﴾ [هود : ٤١] في قراءة حفص وحمزة والكسائي وخلف وأبي عمرو .

(٤) هي اللام المفتوحة الواقعة بعد الصاد أو الطاء أو الظاء في حال فتحهنَّ أو سكونهنَّ في قراءة ورش عن نافع مع ملاحظات وقيود أخرى تعرف في مظانها ، وقد ذكرت خلاصتها في التعليق على بحث اللامات من كتاب « صرف العنان » للنابلسي بتحقيقنا .

(٥) كالصاد المشمة زاياً من لفظ « الصراط » في قوله تعالىٰ : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ﴾ ونحوه في قراءة خلف عن حمزة فينطق بها كما ينطق العوام بالظاء . وقال الباقولي ٥٤٣ : من أشمَّ الصاد شيئاً من الزاي فإنّه رأى جهر الطاء وإطباقه ، فأخرج صوت الصاد مراعاة للإطباق ، وقربها من الزاي مراعاة لجهر الطاء . « الكشف » ١/٩ .

(٦) أراد النون المخفاة عند حروف الإخفاء المعروفة .

(٧) وهذه الأحرف الخمسة يكون مخرج كل حرفٍ منها متوسطاً بين مخرج الحرفين اللذين اشتركا فيه .

(٨) في « ب » : وكذا الراء .

القرآنية ، وإن كانت لغةً لبعض العربية المصرية أو اليمانية .

ثم اعلم أنَّ شارحاً ذكر هنا حديثاً عن مشايخه في حاشيته على « الأزهرية »[١] مما تلوح لوائح الوضع عليه في المرتبة الأظهرية ، ثم قال : (التحقيق أنَّ لكل حرفٍ مخرجاً مخالفاً لمخرج الآخر ، وإلا لكان إياه فيكون الحكم تقريباً) .

قلت : هذا التعليل بعيد من التحقيق ، فإن الجمهور من أرباب التدقيق جعلوا الحروف متعددة مخرجاً واحداً[٢] بناءً على أن التمييز حاصل باعتبار اختلاف الصفات ، وإن كان الاتحاد باعتبار الذوات ، ولذا قيل : (إنَّ معرفة المخرج بمنزلة الوزن والمقدار ، ومعرفة الصفة بمنزلة المحكِّ والمعيار) .

[١٠] (**فأَلِفُ الجُوْفِ وأُخْتَاهَا وهِيْ   حُـــرُوفُ مَـــدٍّ لِلْهَـــواءِ تَنْتَهِـــيْ**)

[المخرج الأول] :

ضُبط « الجوف » بالرفع على تقدير : مخرجُها قبل الجوف أو بعده ، أو فمخرجُ ألفِ الجوفُ ، وبالجرِّ على أنه من باب الإضافة إلى الظرف نحو : صائمُ النهار وقائمُ الليل ، أو الإضافة لامية ، أو لأدنىٰ ملابسة[٣] .

ثم قوله « وأختاها » أي كذلك ، والمراد شبيهتاها بأن تكونا ساكنتين وحركة ما قبلهما من جنسهما بأن تكون قبل الواو ضمة وقبل الياء كسرة ، وجعلت الألف أصلاً لأنها لا تختلف عن حالها أصلاً لا وقفاً ولا وصلاً بخلاف

---

(١) توجد حاشية على شرح الشيخ خالد الأزهري للمقدمة اسمها : إتحاف المريد لشرح الشيخ خالد على مقدمة التجويد لمحمد بن عبد الرحمن النابلسي ، (الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط/ مخطوطات التجويد/ ص٢٥٨ ، وقد توجد حواش أخرى .

(٢) « واحداً » سقط من « أ » .

(٣) في « د » : أو الإضافة لأدنىٰ ملابسة ، وفي نسخة : « للجوف ألف » وهو غير متزن .

غيرها ، فَصَحَّ قوله « وهي حروف مَدّ » أي حروفٌ مَدِّية لا يتحقق وجودها إلا بمدها قدر ألف ، ويسمى المد الأصلي والذاتي والطبيعي ، وقد يزاد بسبب من أسباب المد الفرعي كما سيأتي بيانه في مقامه الوضعي .

وتسمَّىٰ هذه الحروف أيضاً لينيّة[١] ، وإن كانت اللينيَّةُ تختصُّ بكونها ساكنة ولا تكون حركة ما قبلها من جنسها كـ﴿خَوْف﴾ و﴿غَيْر﴾[٢] .

والتحقيق أنَّ هذه الحروف تسمىٰ حروف العلة بالمعنى الأَعَمّ سواء كانت[٣] متحركة أو ساكنة ، حركة ما قبلها من جنسها أَوْ لا ، ثم حروف المد ، ثم اللين بالوجه الأخص ، وهو[٤] مختص بالواو والياء دون الألف كما سيأتي .

وهذه الحروف تنتهي إلىٰ هواء الفم من غير اعتماد على جزء من أجزائه ، ولذا يقال لهذه الحروف : جوفية وهوائية .

وقول ابن المصنف [٩] : (مخرجُهنَّ من جوف الفم والحلق) يريد أنَّ مبدأها مبدأ الحلق ، وتمتد وتمر على كل جوف الفم ، وهو الهواء الداخل فيه ، فإنهنَّ لا حَيِّز لهنَّ محقَّقاً تنتهي إليه ، بل تنتهي بانتهاء الهواء ـ أعني هواء الفم وهو الصوت ـ ولهذا تقبل الزيادة والنقصان في مراتبها .

---

(١) وجه التسمية لهنَّ بذلك هو خروجهنَّ في لين من غير كلفة على اللسان واللَّهوات بخلاف سائر الحروف ، وإنما ينسللن بين الحروف عند النطق بهنَّ انسلالاً بغير تكلف . اهـ « الرعاية » ص١٠١ .

(٢) في « ب » (وغير ذلك) .

(٣) في « أ » : تكون .

(٤) الضمير « هو » يعود إلى اللين ، يعني أن الواو والياء اختُصَّتَا بكونهما حرفي لين غير المعنىٰ السابق الذي يوحي عدم الكلفة ، وإنما لأنهما نقصتا عن مشابهة الألف لتغير حركة ما قبلهما عن جنسهما ، فنقصتا المد الذي في الألف ، وبقي فيهما اللين لسكونهما فسميتا بحرفي اللين كما في « الرعاية » ص١٠١ .

وقول الشارح الرومي [١٢] : (كُلُّ خالٍ هواء) ليس بخالٍ عن قصور ، بل كُلُّ خالٍ محل هواء .

ثم إنهنَّ بالصوت المجرد أشبه منهنَّ بالحروف ، ويتميزنَ عن الصوت المجرد بتصعد الألف وتسفل الياء واعتراض الواو ، فنسبت إلى الجوف لأنه آخر انقطاع مخرجها ، وحيث لزمت الألف هذه الطريقة المعتادة من كونها ساكنة ، وحركة ما قبلها من جنسها وهي الفتحة لم يختلف حالها من أنها دائماً تكون هوائية بخلاف أختيها ، فإنهما إذا فارقتاها في صفة المشابهة صار لهما حيزٌ محقق ، ومن ثمة كان لهما مخرجان : مخرجٌ حال كونهما مديتين ، ومخرجٌ حال كونهما متحركتين(١) .

ثم كل حرفٍ مساوٍ لمخرجه ـ أي لمقداره ـ لا يتجاوزه ولا يتقاصر عنه إلا حروف المد فإنها دون مخرجها، ومن ثمة قبلت الزيادة في المد إلى انقطاع الصوت.

وسميت حروف المد واللين لأنها تخرج بامتداد ولين من غير كلفةٍ على اللسان لاتساع مخرجها ، فإن المخرج إذا اتسع انتشر الصوت وامتدَّ ولاَن(٢) وإذا ضاق انضغط فيه الصوت وصَلُب .

ثم التحقيق أنَّ معنى جعل سيبويه الألف من مخرج الهمزة أَنَّ مبدأه مبدأ الحلق ، ويمتدُّ ويمرُّ على جميع هواء الفم فيرتفع النزاع .

وهذا أيضاً معنىٰ قول مكي(٣) في « الرعاية »(٤) : (لكن الألف حرف

---

(١) وهو الشفتان للواو ، ووسط اللسان للياء .

(٢) « ولان » سقط من « ب » .

(٣) هو مكي بن أبي طالب حموش بن مختار الأندلسي القيسي ، مقرىء ، عالم ، بالتفسير والعربية والقراءات ، ولد في القيروان سنة ٣٥٥هـ وطاف ببعض بلاد المشرق ، وعاد إلى بلده وأقرأ بها وتوفي فيها سنة ٤٣٧هـ ، من كتبه « مشكل إعراب القرآن » و« الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها » و« الرعاية » . اهـ « بغية الوعاة » ٣٩٦ ، و« وفيات الأعيان » ٢/ ١٢٠ ، و« الأعلام » ٧/ ٢٨٦ .

(٤) « الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة » لمكي بن أبي طالب القيس ، كتاب يحوي=

يهوي في الفم حتى ينقطع مخرجه في الحلق ، فنُسِبَ في الخروج إلى الحلق لأنه آخرَ خروجه)[1] إذ لا منافاة بين أن يكون مبدأه مبدأ الحلق وانقطاع مخرجه في الحلق ؛ لأن المراد أنه ليس له اعتماد على شيء من أجزاء الفم ، بل يبتدىء من الحلق وينتهي إلى الصوت الناشىء من الحلق .

وهذا معنىٰ قول الداني[2] : (لا معتمد للألف في شيء من أجزاء الفم على هذا ، وهو أن يكون مبدأه الحلق ومنقطع مخرجه في الحلق)[3] .

ويحمل جعلُ الشاطبي وغيره الألف حلقياً ويُنَزَّل قوله مع غيرهم في هذه الحروف أعني الواو والياء على غير المدية .

هذا وقال الناظم في « النشر »[4] : (والصواب اختصاص هذه الثلاثة بالجوف دون الهمزة لأنهنَّ أصوات لا يعتمدن على مكان حتى يتصلن [بالهواء] بخلاف الهمزة)[5] .

ثم اعلم أنه قدم حروف المد على سائر الحروف لعموم مخرج المدية

= على مراتب الحروف ومخارجها وألقابها وتفيسر معانيها وتعليلها وبيان الحركات التي تلزمها ، طبع بتحقيقنا .

(١) انظر « الرعاية » للقيسي ص٩٣ باب الألف .

(٢) هو عثمان بن سعيد بن عثمان ، أبو عمرو الداني ، نسبة إلى مدينة دانية بالأندلس ، شيخ القراء في زمانه وأحد حفاظ الحديث وعلماء الفقه والتفسير ، ولد سنة ٣٧١هـ وتوفي سنة ٤٤٤هـ له كتب منها « التيسير » في القراءات السبع ، و« جامع البيان » ، و« التحديد في الإتقان والتجويد » و« المقنع » في الرسم . « النجوم الزاهرة » ٥/ ٥٤ ، « غاية النهاية » ١/ ٥٠٣ ، و« الأعلام » ٤/ ٢٠٦ .

(٣) « في الحلق » سقط من « أ » و« ب » ، وانظر « التحديد في الإتقان والتجويد » للداني ص١٢٦ .

(٤) « النشر في القراءات العشر » للإمام المحقق ابن الجزري ، جمع فيه القراءات العشر بأسانيدها مع بعض مباحث علوم القرآن وتجويده ، طبع مراراً .

(٥) « النشر في القراءت العشر » ١/ ١٩٩ . وما بين الحاصرتين ليس في النسخ الخطية وأثبتناه من النشر .

وكونها بالنسبة إلى مخارج البقية بمنزلة الكل في جانب الجزء ، فيستدعي التقديم من هذه الحيثيَّة ، وإن كان المناسب تأخيرها عنها باعتبار أن حيزها مقدر ، وما حيزه مقدر فهو حقيق بأن يؤخر عما حيزه محقق .

ثم اعلم أن كل مقدار يكون منتصباً وله نهايتان ـ أي طرفان ـ وغايتان ، أيتهما فُرضت أوله كان مقابلُه آخِرَه ، ولما كان وضع الإنسان على الانتصاب مخالفاً لبواقي الحيوان لزم منه أن يكون رأسه أوله ، ورجلاه آخره ، فإذا كان كذلك كان **أول المخارج الشفتين** ، وأولهما مما يلي البشرة ، **وثانيها اللِّسَان** ، وأوله مما يلي الأسنان ، وآخره مما يلي الحلق ، **وثالثها الحلق** ، وأوله مما يلي اللِّسَان ، وآخره مما يلي الصدر ، ولو كان وضع الإنسان على التنكيس لانعكس .

ولما كان مادةَ الصوت الهواءُ الخارج من داخل الإنسان كان أولُه آخرَ الحلق ، وآخره أول الشفتين ، فرتب الناظم رحمه الله الحروف باعتبار الصوت وفاقاً للجمهور حيث قال : « فألفُ الجوف » .

ورتَّبَ تسمية المخارج باعتبار وضعها الأصلي حيث جعل الأقصىٰ وهو الأبعد مما يلي الصدر ، والأدنىٰ وهو الأقرب مقابله فقال :

[المخرج الثاني] :

[١١] (**ثُمَّ لِأَقْصَى الحَلْقِ هَمْزٌ هَاءُ**) أي لأبعده من الفم حرفان وهما : همزٌ وهاء .

وحُذِف العاطف رعايةً للوزن ، ومنهم من ضَمَّ الألف إليهما وجعلها بعدهما كالشاطبي ، ونسب هذا القول إلى سيبويه ، ونقل عنه أيضاً تقديم الألف على الهاء كما يفهم من كلام الجَارْبُرْدِي(١) .

وقيل : الهمزة والهاء في مرتبة واحدة ، وقيل : الهمزةُ أُولىٰ .

---

(١) هو أحمد بن الحسين بن يوسف، فخر الدين ، فقيه شافعي، توفي في «تبريز» سنة ٧٤٦هـ، له مؤلفات عديدة ، منها « شرح كافية ابن الحاجب » . اهـ « البدر الطالع » ١/ ٤٧ .

[المخرجُ الثالث] :

(ثم لِوَسْطِهِ فَعَيْنٌ حاءُ) وحقُّهُ أن يقال : عينٌ فحاء ، وغَيَّرَ للضرورة .

ووَسَط الشيء ـ محركةً ـ ما بين طرفيه ، كأَوْسَطه ، فإذا سكَّنْتَ كان ظرفاً ، أو هما فيما هو مصمت كالحَلْقَةِ ، فإذا كانت أجزاؤه متباينة فبالإسكان فقط ، أو كُلُّ موضع صَلُحَ فيه « بين » فهو بالتسكين ، وإلا فهو بالتحريك كذا في « القاموس »[1] ، فقول شارح : (سينُ « وَسْطِهِ » ساكنة في النظم على لغة ضعيفة) ضعيف .

وفي نسخة : « ومن وَسَطِهِ » بالتحريك ، وفي نسخة : « وما لوَسْطِهِ فعينٌ حاءُ » فلا إشكال في الفاء .

وتقديم العين على الحاء كلام سيبويه ، وهو قولُ مَكِّي .

ونَصَّ أبو الحسن بن شريح[2] على أَنَّ الحاء قبل العين ، وهو كلام المهدوي[3] وغيره[4] .

[المخرج الرابع] :

[١٢] (أَدْنَاهُ غَيْنٌ خاؤها والقافُ) أي أقرب الحلق إلى الفم ـ وهو أوله من جانب الفم ـ مخرجُ غينٍ وخائها .

---

(١) انظر « القاموس المحيط » مادة : وَسَطَ .

(٢) هو محمد بن شريح بن أحمد الرعيني الإشبيلي ، إمام مقرىء ، أستاذ كبير ، ولد سنة ٣٨٨ قرأ على ابن نفيس وأجازه مكي بن أبي طالب ، له كتابا : « الكافي » و« التذكير » ، توفي سنة ٤٧٦هـ . اهـ « غاية النهاية » ٢/ ١٥٣ وفيه أن كنيته أبو عبد الله وليس أبا الحسن كما ذكر المصنف .

(٣) هو أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدوي ، أستاذ مشهور ، رحل وقرأ على محمد بن سفيان وغيره ، أَلَّفَ التآليف الكثيرة ، منها تفسير التفصيل ومختصره التحصيل ، والهداية في القراءات السبع وشرحه ، توفي رحمه الله سنة ٤٤٠هـ . « غاية النهاية » ١/ ٩٢ ، و« طبقات المفسرين » للسيوطي ١٩ .

(٤) نسب هذه الأقوال إليهم ابن الجزري في النشر ١/ ١٩٩ . وانظر كتاب سيبويه ٤/ ٤٣٣ .

والإضافة إليها لأدنىٰ ملابسة ، وهي المشاركة في الحروف الهجائية أو في صفة الحلقية ، أَو في الاتصاف بالعجميّة[1] .

وتقديم الغين على الخاء هو مختار سيبويه أيضاً ، وعليه الشاطبي ، وتبعه الناظم .

ونَصَّ مَكِّي على تقديم الخاء على الغين[2] .

وقال ابن خروف[3] : (إن سيبويه لم يقصد ترتيباً فيما هو من مخرج واحد) .

فهذه ثلاثة مخارج لستة أحرف ، وتسمىٰ هذه الحروف حلقية لخروجها من الحلق في جملة .

[المخرجُ الخامِسُ والسَّادِسُ] :

وقوله : « والقاف » بتقدير مضاف ، أي مخرجها (**أقصى اللِّسانِ فَوقُ ثُمَّ الكاف**) بضم قاف « فوقُ » على تقدير مضاف ، أي فوق الكاف ؛ لأنَّ ما يلي الحلق من اللسان يعد فوقاً ، وما يقابله تحتاً لما سبق من النكتة في اعتبار مبدأِ الصوت في ترتيب المخارج ، والمراد به أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلىٰ .

[المخرج السابع] :

ثم الكاف ، أي مخرجُها أقصى اللسان [١٣] (**أَسْفَلُ والوَسْطُ فجيمُ الشِّينِ يَا**) أي أسفل من القاف ، وهو مبني على الضم مثل « فوق » ظرف للكاف

---

(١) « د » : بالمعجمة .

(٢) انظر « الرعاية » لمكي بن أبي طالب ص٩٨ وص١٠٠ ، وانظر « النشر » لابن الجزري ١/١٩٩ .

(٣) هو علي بن محمد الحضرمي ، عالم بالعربية ، أندلسي ، من أهل إشبيلية ، ولد سنة ٥٢٤هـ ، وتوفي سنة ٦٠٩هـ ، توفي ولم يتزوج ، له كتب ، منها « شرح كتاب سيبويه » . اهـ « فوات الوفيات » ٢/٧٩ ، و « الأعلام » ٤/٣٣٠ .

السابق ، أي في أسفل اللسان بالنسبة إلى القاف ، أو أريدَ به ما تحته من الحنك الأعلىٰ ، وهو أقرب إلى الفم من القاف ، ويقال لهما « اللَّهويَّة » ؛ لأنهما يخرجان من آخر اللِّسَان عند اللهاة .

واللَّهَاة : اللحمة المشرفة على الحلق ، وقيل : أقصى الفم واللِّسان .

واللاَّم في « الوسط » بدل من المضاف إليه ، أي وسط اللسان مع ما يحاذيه من وسط الحنك الأعلىٰ ، أو وسطهما ، فمخرج الجيم والشين والياء[1] .

وفي نسخة « لجيمِ الشين يا » ، فحذف تنوين الجيم وعطف الشين والياء ونَكَّرَ وعَرَّف بحسب ما استقام له الوزن في هذا المقام ، وقصر « يا » وقفاً لا ضرورة .

وقال المهدوي : (إن الشين تلي الكاف ، ثم الجيم والياء تليان الشين) كما حكاه عنه الناظم[2] .

وتسمى الحروف الثلاثة « شَجْرِيَّة » ؛ لأنها تخرج من شَجْرِ اللِّسَان وما يقابله .

والشَّجْرُ : منفتح الفم ، وُقيل : مجمع اللحيين ، والمراد بالياء غير الياء المدية[3] .

[المخرج الثامن] :

(**والضَّادُ من حَافَتِهِ إذْ وَلِيَا**) أي ومخرج الضاد من جانب اللسان وطرفه إذْ قَرُب الجانبان ، أي أحدهما ، فالتذكير باعتبار معنى الحافة وهو الجانب والطرف[4] ، أو لاكتسابه التذكير من الإضافة .

---

(١) في « ب » هنا زيادة لفظ « دون » .

(٢) انظر « النشر في القراءات العشر » لابن الجزري ١/ ٢٠٠ .

(٣) ذلك لما عُلم مما سبق أن الياء المدية تخرج من الجوف .

(٤) في « د » زيادة : « وهو الجانب والطرف » .

والألف للتثنية ، والحكم لكل واحد منهما[1] على انفراده .

وقيل : الألف للإطلاق ، أي إذْ قَرُبَ جانبُ اللسان [١٤] (**الاَضْرَاسَ من أَيْسَرَ أو يمناها**) أصلها « الأَضراس » فنقلت حركة الهمزة إلى اللاَّم واكتفي بها عن همزة الوصل على أحد الوجهين في أمثاله كما يستفاد من « الشاطبية » [٢٣٣] :

وتَبْدَا بِهَمْزِ الوَصْلِ في النَّقْلِ كُلِّهِ وإِنْ كُنْتَ مُعْتَدّاً بِعَارِضِهِ فَلاَ

وأبعد شارح حيث قال : (الرواية في « الاضراس » هو النصب على أنه مفعول « وليا » ، والفاعل المستتر عائدٌ إلى اللسان) .

وبُعْدُهُ من وجهين : لفظاً ومعنىً .

أمَّا أَوَّلاً فلأنَّ الضمير يرجع إلى المضاف دون المضاف إليه غالباً .

وأما معنًى فلأنهم اعتبروا الولاء بين الأضراس والحافة ، لا بين الأضراس ومطلق اللسان[2] .

ثم قال : (ولو قيل برفعه على الفاعلية فيكون المراد « إذ وليه الأضراس » لكانت ملاءمته لعبارتهم أقوىٰ ؛ لأنهم[3] اعتبروا أيضاً ولاء الأضراس بالحافة دون العكس) اهـ . ولا يخفىٰ ما في قوله أيضاً .

وقوله « دون العكس » من المناقضة ، مع أنَّ القرب والميل[4] إنما هو من حافة اللسان إلى الأضراس دون العكس لبقائها في محلها .

وأما ما أسند إليه ﷺ تبعاً للشيخ زكريا من قوله : (أنا أفصح من نطق بالضاد) فقد صَرَّح الحفاظ منهم الناظم بأنه موضوع[5] .

---

(١) أي الجانبين ، الأيمن والأيسر .

(٢) في « د » : وطرف اللسان .

(٣) في « د » : لكان ملائماً لعبارتهم ، أقول : لأنهم . . .

(٤) في « ب » : القرب والبعد .

(٥) الحديث لا أصل له ، ذكره الفتني في « تذكرة الموضوعات » ص٨٧ وقال : معناه صحيح ولكن لا أصل له ، وذكر العجلوني أيضاً في « كشف الخفاء » وقال : أورده أصحاب الغريب=

والمعنىٰ : تخرج الضاد من طرف اللسان مستطيلة إلىٰ ما يلي الأضراس من الجانب الأيسر وهو الأيسر[1] والأكثر ، ومن الأيمن وهو اليسير والعسير والمعتبر ، أو من الجانبين معاً ، وهو من مختصات سيدنا عمر رضي الله عنه ، وهو معنىٰ قول الشاطبي [١١٤١] :

. . . . وَهْــوَ لــديهمــا يعِــزُّ وبــاليُمْنَــىٰ يكــون مُقَلَّــلا

وكان حق المصنف أن يقول : « من أيسَرَ أو أيمن » أو « من يسراها أو يمناها » لكن غاير بينهما ضرورة .

والضمير في « يمناها » إلى الأضراس أو الحافة ، وهما متلازمان .

ثم الـ« حافة » مخففة الفاء على ما ذَكرَ في « القاموس » من مادة الأجوف ، وتوهَّمَ الجعبري كونه من المضاعف فقال : (خُفِّفَ للوزن)[2] .

[أَقْسَامُ الأَسْنَانِ وَمُسَمَّيَاتُها] :

ثم اعلم أنَّ الأسنان على أربعة أقسام :

● منها أربعة تسمىٰ ثنايا ، ثنتان من فوق ، وثنتان من تحت من مُقَدَّمها .

● ثم أربعة مما تليها من كل جانب واحدة تسمىٰ رباعيات .

● ثم أربعة كذلك تسمىٰ أنياباً .

● ثم الباقي تسمىٰ أضراساً ، منها أربعة تسمىٰ ضواحك ، ثم ستٌّ طواحن ، ثم أربعة نواجذ ، ويقال لها ضرس الحُلُم وضرس العقل ، وقد لا توجد في بعض أفراد الإنسان[3] .

= ولا يعرف له إسناد . ص٢٠٠ برقم ٦٠٩ ، وهو أيضاً في « الأسرار المرفوعة » ص١١٦ ، و« الدرر المنتثرة » للسيوطي ص٢٣ ، و« الفوائد المجموعة » للشوكاني ص٣٢١ .

(١) قوله : « الأيسر » سقط من « ب » .

(٢) كنز المعاني شرح حرز الأماني للجعبري ٣٧٥/ب .

(٣) نظم بعضهم أسماء الأسنان فقال : =

وأغرب شارح حيث قال : (سقطت همزة الوصل في « الأضراس » والمراد بالأضراس الأسنان) . اهـ

وشارح آخر قال : (أراد بها الطواحن) . اهـ

فالتحقيق أن المراد بها الأضراس العليا من أحد الجانبين مبتدأً مما حاذىٰ أوسط اللسان ـ بقرينة ذكره بعده ـ منتهياً إلى أول مخرج اللام ، والله أعلم بالمرام .

[المخرج التاسع] :

(**واللاَّمُ أدناها لمنتهاها**) أي ومخرج اللام أقرب الحافة وأولها إلىٰ نهايتها ، أو إلى منتهىٰ طرفها كما قال الشاطبي [١١٤٢] :

وحــرفٌ بــأدنــاهــا إلــىٰ منتهــاه قــد   يلــي الحنــك الأعلــىٰ . . . .

أي حرفٌ منها بأدنى الحافة واصلاً إلى منتهى اللسان على ما ذكره الجعبري[١] .

فاللام[٢] بمعنىٰ « إلىٰ » .

وقيل : اللاَّم للاختصاص ، أي الأقرب المخصوص بمنتهىٰ حافة اللسان . ولا يخفىٰ ما فيه من التكلف في البيان .

= وعِــدَّةُ الأسنــان لــلإنســان   كُــلٌّ ثــلاثــون يليهــا اثنــانِ
منهــا الثنــايــا أربــعٌ وأربــعُ   هــي الــربــاعيــات فيمــا يُسمَــعُ
وسَــمٍّ بــالأنيــاب منهــا أربعــا   وأربعــاً ضــواحكــاً لمــن وعــى
وعِــدَّةَ الــرحــىٰ منهــا اثنــا عشــر   ثــلاثــةٌ فــي كــلِّ شــقٍّ قــد ظهــر
وأربــعٌ نــواجــذُ أقصــىٰ الفــمِ   وهــي بــذالٍ إن سُئِلــتَ معجــمِ

(١) كنز المعاني شرح حرز الأماني للجعبري ٣٧٥/ ب .
(٢) أي من قوله : « لمنتهاها » .

ثم المراد من الحنك الأعلى من اللثة في سمت[1] الضاحك لا الثنية ، خلافاً لسيبويه[2] .

واللِّثَة بضم فتخفيف مثلثة : منبت الأسنان .

والثَّنِيَّةُ : مقدم الأسنان .

والضاحك : كل سن يبدو من مقدم الأضراس عند الضحك .

والحاصل أن مخرج اللاَّم ما دون أول إحدىٰ حافتي اللسان ، وذلك لأنَّ ابتداء مخرج اللام أقرب إلىٰ مقدم الفم من مخرج الضاد ، وينتهي إلى منتهىٰ طرف اللسان وما يحاذي ذلك من الحنك فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية ، وليس في الحروف أوسعُ مخرجاً منه .

وأغرب شارح في قوله : (أدنىٰ حافة اللسان إلى آخرها) .

[المخرج العاشر] :

[١٥] **(والنُّوْنَ مِنْ طَرَفِهِ تحتُ اجْعَلوا)** بنصب النون على أنه مفعول مقدم لقوله : « اجعلوا » .

و« تحتُ » مبني على الضم ، و« طَرَفه » بفتحتين ، أي واجعلوا مخرج النون من طرف اللسان وهو رَأْسُه وأَوَّلُه مع ما يليه من اللّثَةِ مائلاً إلى ما تحت اللاَّم قليلاً ، وقيل : فوقها ، وهو أضيق من مخرج اللاَّم .

وقيل : « النون » مبتدأ بتقدير « مخرجُ » ، و« من طَرَفِهِ » خبره ، و« تحت » ظرفُ اجعلوا ، ومفعوله محذوف ، أي اجعلوا النون تحت اللاَّم .

---

(١) أي مقابل .

(٢) رأي سيبويه أن مخرج اللام مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية . وقد سقط ما ذكرناه من طبعة عبد السلام هارون انظر « الكتاب » ٤/ ٤٣٣ .

[المخرج الحادي عشر] :

(والرَّا يُدَانِيْهِ لِظَهْرٍ أَدْخَلُ) بقصر الراء ضَرورةً ، وبإشباع هاء « يدانيه » لغة[1] .

أي ومخرج الراء يقارب مخرج النون[2] لكنه إلى ظهر اللسان أدخل ، وهذا معنى قول ابن المصنف [١١] : (والراء من ظهر رأس اللسان ومحاذيه من لثة الثنيتين العليتين) .

وقال المصنف في « النشر » : (مخرج الراء من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا العليا غير أنها أدخلُ في ظهر اللسان قليلاً)[3] .

وقال الشاطبي [١١٤٣] :

وحَرْفٌ يدانيه إلى الظَّهر مَدْخَلٌ . . . .[4]

قال أبو شامة[5] : (يعني يداني النون وهو الراء يخرج من مخرجها لكنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً من مخرج النون لانحرافه إلى اللاَّم)[6] .

---

(١) وهي موافقة لقراءة ابن كثير في إشباع هاءات الضمير دون تحقق تحرك طرفيها ، بخلاف بقية القراء فيما لو سكن أحدهما مع بعض استثناء طفيف .

(٢) في « أ » اللام ، وكلاهما صحيح ولكن النون أصح ؛ لأن الضمير في قول الناظم « يدانيه » يعود إلى النون .

(٣) انظر « النشر » لابن الجزري ١/ ٢٠٠ ، وبهذه الألفاظ وصف سيبويه هذا المخرج ، وقد سقطت من طبعة عبد السلام هارون ، وهو وصفٌ دقيق لهذا المخرج .

(٤) انظر « حرز الأماني ووجه التهاني » للشاطبي ص٩٢ باب مخارج الحروف .

(٥) هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي أبو شامة ، مؤرخ محدث باحث ولد سنة ٥٩٩هـ ، له كتب منها « إبراز المعاني » في شرح الشاطبية ، و« مختصر تاريخ دمشق » وغيرها ، توفي سنة ٦٦٥هـ . « معرفة القراء الكبار » ٢/ ٦٧٣ و« طبقات الشافعية الكبرى » ٨/ ١٦٥ـ١٦٨ .

(٦) انظر « إبراز المعاني من حرز الأماني » لأبي شامة ص٧٤٦ .

وقال ابن المصنف في شرحه [١١] : (أي الراء أكثر انحرافاً إلى ظهر اللسان من النون) .

ثم المراد بالظَّهرِ ظهرُ اللسان لا ظَهرُ طرفه كما اختاره خالد[١] .

ويمكن أن يكون التقدير : والراء يقاربه مائلاً إلى ظهره[٢] .

وهذا القول أدخل وأقرب إلى التحقيق ، فإنه مذهب الحذاق وأهل التدقيق كسيبويه ومن وافقه .

وذهب الفراءُ وقُطْرُب[٣] والجَرْمي[٤] إلىٰ أن اللَّام والنون والراء من رأس اللسان ومحاذيه .

ثم هذه الثلاثة تسمىٰ : « ذلقية » و« ذولقية » لأنها من ذلق اللسان ، وهو طرفُهُ وَحَدُّه .

ثم « أدخلُ » مفرد ، يقرأ بإشباع الضمة واواً .

وفي نسخة « أدخلوا » بإثبات الواو بصيغة الجمع ، وهو يحتمل الأمر والمضيَّ[٥] .

---

(١) لم أجده في شرح الشيخ خالد كما عزاه المؤلف ، ولعله أراد : بَحْرَق ، لا خالداً ، كما يبدو من العبارة المنقولة عنه بعد قليل .

(٢) في « ب » : إلى ظهر اللسان .

(٣) هو محمد بن المستنير بن أحمد ، أبو علي ، نحوي عالم بالأدب واللغة ، من أهل البصرة ، من الموالي ، كان يرىٰ رأي المعتزلة النظامية ، وهو أول من وضع المثلثات في اللغة ، و« قطرب » لقب دعاه به أستاذه سيبويه فلزمه ، توفي سنة ٢٠٦هـ ، من كتبه « معاني القرآن » و« الأزمنة » و« المثلثات » . اهـ « وفيات الأعيان » ١/ ٤٩٤ ، « طبقات النحويين » ١٠٦ « الأعلام » ٧/ ٩٥ .

(٤) هو صالح بن إسحاق الجرمي بالولاء ، أبو عمر ، فقيه عالم بالنحو واللغة ، من أهل البصرة ، سكن بغداد وتوفي فيها سنة ٢٢٥هـ ، له كتب منها « الأبنية » و« السِّيَر » و« غريب سيبويه » ، وكتاب في علم العروض . اهـ « بغية الوعاة » ٢٦٨ ، « وفيات الأعيان » ١/ ٢٢٨ ، و« الأعلام » ٣/ ١٨٩ .

(٥) فيلزم كسر الخاء في الأمر ، وفتحها في المضي .

وأَغْرَبَ بَحْرَقُ في قوله : (أي ومخرج هذه الثلاثة من أدنىٰ حافة اللسان ممتداً إلى منتهاها ، إلا أنَّ اللامَ تخرجُ من أدناها ، والنونَ من طرف اللسان ، والراء يداني مخرج النون داخلاً إلى ظهر رأس اللسان) . فلا يكون حينئذٍ مقدماً على مخرج النون .

[المخرج الثاني عشر] :

[١٦] **(والطَّاءُ والدَّالُ وتا مِنْهُ ومن عُلْيَا الثَّنَايَا والصَّفيرُ مستكن)**

بتخفيف النون مراعاةً للوزن .

قال خالد [٣٥] : (المراد بالثنايا في هذه المواضع الثنيتان ، وإنما عَبَّر الناظم رحمه الله بلفظ الجمع لأن اللفظ به أخف مع كونه معلوماً) .

ويمكن أن يحمل على القول بأن أقل الجمع اثنان .

والتحقيق أن الثنايا أربعة أسنان[١] متقدمة ، اثنتان فوق واثنتان تحت ، فالتقدير : عليا الأسنان الثنايا ، أي العليا منها ، وإنما الإشكال إذا قيل : التركيب من إضافة الصفة إلى الموصوف .

أي مخرج الطاء والدال والتاء من طرف اللسان ومن الثنايا العليا ، يعني مما بينه وبين أصول الثنايا العليا مصعداً إلى الحنك الأعلىٰ .

ولا معنىٰ لقول شارح يماني : (إما من أصولهما أو من وسطهما) .

ويقال لهذه الحروف الثلاثة نطعية[٢] لخروجها من نطع الغار الأعلىٰ ، أي سقفه .

---

(١) في « أ » اثنان بدل : « أسنان » ، وهو تصحيف .

(٢) يقل استعمال هذا المصطلح عند المحدثين فهم يرون أن هذا المصطلح جانبه التوفيق لأن النطع كما شرحته المعاجم وكما يفهم من كلام العلماء هو أقرب جزء من الحنك الأعلى إلى أصول الثنايا ، بينما طرف اللسان مع هذه الأصوات يتصل بأصول الثنايا ، بل ومعظم الثنايا من الداخل ، فهي أصوات أسنانية لِثَوِيَّة ، ويرون أنّ مصطلح النطعية يصح إطلاقه على =

والغار : داخل الحنك .

والتحقيق أنها إنما سميت نطعية لمجاورة مخرجها نطع[1] الغار الأعلى وهو سقفه لا لخروجها منه ، فتأمل يظهر لك وجه الخلل[2] .

[المخرج الثالث عشر] :

ثم أخبر أنَّ حروف الصفير ـ وهي الصاد والزاي والسين ، كما سيذكرها الناظم في بيان الصفات ـ مستَقَرُّ خروجهنَّ [١٧] (**مِنْهُ ومِنْ فَوقِ الثَّنَايا السُّفْلَىٰ**) أي من طرف اللسان ومن أطراف الثنايا السفلىٰ ، كذا قاله ابن المصنف [١١] .

وفيه بحث ؛ لأن الناظم اعتبر فوق الثنايا السفلىٰ الذي هو تحت العليا بعينه ، ويريد به ما بينهما ، وهو[3] لم يعتبر ذلك ، إذ طرف الشيء غير فوقه ، نعم يمكن التوفيق بحمل الفوق على الطرف لمجاورته إياه مجازاً .

وقال الشاطبي [١١٤٦] :

ومنه ومن بين الثنايا ثلاثةٌ . . . .

أي وثلاثةٌ منها من رأس اللسان ومن بين الثنايا السفلىٰ ، قاله الجعبري[4] .

وقال زكريا [٣٦] : (عبارة الشاطبي رحمه الله « ومن بين الثنايا » يعني

= صوت اللام والراء كذلك . انظر « كلام العرب » ١٩ ، « الأصوات اللغوية » ١٠٧ ، و« المصطلح الصوتي » ٢٠٠ ، وتأمّل الحاشية ٢ ص٩٢ .

(١) لفظ « نطع » سقط من « أ » .

(٢) في كلام الشارح هنا نقد خفي لعبارة ابن الجزري في « النشر » حيث قال : (ويقال لهذه الحروف نطعية لأنها تخرج من نطع الغار الأعلى وهو سقفه) ، ونقد لعبارة مكي في « الرعاية » حيث علل سبب تسمية الخليل لهنَّ بذلك لخروجهنَّ من نطع الغار الأعلى وهو سقفه ، « النشر » ١/ ٢٠٠ ، و« الرعاية » ص١١٤ .

(٣) يعني ابن المصنف .

(٤) انظر « كنز المعاني » للجعبري ص٣١٤/ ب .

العليا ، ولا منافاة فهي من طرف اللسان ومن بين الثنايا العليا والسفلىٰ) .

ويقال لهذه الثلاثة « أسلية » لخروجهنَّ من أسلة اللسان وهو مستدقه .

[المخرج الرابع عشر] :

(**والظَّاءُ والذَّالُ وثَا للعُلْيَا**) أي مخرج هذه الثلاثة خاص للثنايا العليا .

[١٨] (**من طَرَفَيْهِمَا**) أي من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا ، ويقال لهذه الثلاثة « لثوية » لخروجها من اللِّثَة وهي منبت الأسنان[١] .

وبه تَمَّ مخارج اللسان وهي عشرة ، وحروفها ثمانية عشر حرفاً .

وإنما قَدَّم المصنف حروف الصفير على اللثوية تبعاً لسيبويه ، ولأنها تقارب مخرج الطاء وأختيها لأنها قبل أطراف الثنايا .

[المخرج الخامس عشر] :

ثم ذكر الناظم مخارج الشفة وحروفها بقوله : (**ومن بطن الشَّفة**) بفتح الشين وبكسره .

(**فالفَا مَعَ أَطْرَافِ الثَّنَايَا المُشْرِفَة**) بكسر الراء ، والفاء زائدة في « فالفاء » ؛ لأنه مبتدأ .

والمعنىٰ أنَّ الفاء تخرج من باطن[٢] الشفة السفلىٰ مع أطراف الثنايا العليا المعنية بقوله : « المشرفة » .

وأطلق الناظم الشَّفَةَ ، ومراده السفلىٰ كما تقرر لعدم تأتي النطق بالفاء مع العليا .

و« مَعْ » ساكنة على لغة ربيعة ، ثم نقلت حركة الهمزة إليها على لغة الجادة .

---

(١) في قوله : (لخروجها من اللثة) توسع ، ولا يعني أنها تخرج منها ، بل من قربها كما صرح به كثير من أهل العلم . « نهاية القول المفيد » لمحمد مكي نصر ص٣٧ .

(٢) في « ب » : بطن .

رقع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

[المخرج السادس عشر] :

[١٩] (للشفتين الواوُ باءٌ ميمُ) أي مخرج هذه الثلاثة خاص للشفتين حيث تخرج من بين الشفة العليا والسفلىٰ إلا أنَّ الواو بانفتاح ، والباء والميم بانطباق ، إلا أنَّ انطباقها مع الباء أقوىٰ من انطباقها مع الميم ، فكان ينبغي تأخير الواو عنهما لذلك ، كما فعل مكي حيث قَدَّم الباء وذكر الميم عقبها وختم بالواو(١) ، والمراد بالواو غير المدية .

[المخرج السابع عشر] :

(وغُنَّةٌ مَخْرَجُهَا الخَيْشُومُ) أي أقصى الأنف .

وبرهان الغنة في سد الأنف ، ولهذا لو أمسكت الأنف لم يمكن خروجها .

ثم الغنة من الصفات لأنها صوت أغن لا عمل للسان فيه(٢) ، فكان اللائق ذكرها مع الصفات لا مَعَ مخارج الذوات .

قال ابن المصنف [١٢] : (والغنة صفة النونِ ولو تنويناً والميمِ المدغمتان والمخفاتان) .

وقال الجعبري : (الغنة صفة النون ولو تنويناً والميم تحركتا أو سكنتا ، ظاهرتين أو مخفاتين أو مدغمتين)(٣) .

وهذا معنىٰ قول الداني : (وأما الميم والنون فيجافىٰ بهما اللسان إلى

---

(١) وقيل : تقدم الواو ، فالميم ، فالباء ، والظاهر أن الناظم لم يقصد الترتيب .
(٢) ولأنها لا تنفرد بنفسها كما هو دأب الأحرف العادية ، وإنما هي مقيدة فتخرج مع الميم والنون ، وكان حق الألف أن يكون مثلها ولكن لما كان شبه مطلق بحيث يخرج وينفرد بنفسه كما في سائر الحروف بشرط فتح الحرف الذي قبله صح أن نطلق عليه حرفاً مع أنه لا يعتمد على حيز معين بل هو هواء يمر على كل جوف الفم وهو الخلاء الداخل فيه ويخرج من الفم ، أما الغنة فهي هواء كذلك ولكن يخرج من الأنف ولا يعتمد على حيز معين .
(٣) « كنز المعاني » للجعبري ص٣١٥/أ .

موضع الغنة من غير قيد ، وهي في الساكن أكمل منها في المتحرك ، وفي المخفىٰ أزيد منها في المظهر ، وفي المدغم أوفىٰ منها في المخفىٰ عند مثبتها)[١] .

وقول الشاطبي [١١٥١] :

وغُنَّـةُ تنـويـنٍ ونـونٍ وميـمٍ اْنْـ سَكَنَّ ولا إظهارَ في الأَنفِ يُجْتَلا

أي إذا سكنا أو أخفيا أو أدغما .

وقول مكي « الساكنان »[٢] قيد لكمال الغنة لا لأصلها لما تقدم ، والله أعلم .

ولذا قال بعضهم : مخرجُ حرفها .

قال ابن المصنف [١٢] : (وكان ينبغي أن يذكر هنا عوضاً عنها مخرج النون المخفاة ، فإن مخرجها من الخيشوم ، وهي حرفٌ بخلاف الغنة) .

قلت : ولهذا قال بعض الشراح : (أي مخرج محلها من النون والميم) .

وفيه أنَّ مخرجَ محلها من النون والميم قد سبق ، وأن النون المخفاة مركبة من مخرج الذات ومن تَحَقُّق الصفة في تحصيل الكمالات .

وقد أغرب الشارح اليماني حيث قال : (الغنة تارةً تكون صفة وتارةً تكون حرفاً ، وهو النون والميم المدغمتان والمخفاتان ، وهو مذهب المصنف) .اهـ وغرابته مما لا يخفىٰ .

وعلى كل تقدير فَعَدُّ الغنة من مخارج الحروف السبعة عشر لا يخلو عن إشكال فتدبر .

ثم رأيت المصنف ذكر في « النشر » أن المخرج السابع عشر الخيشوم وهو الغنة ، وهي تكون في النون والميم الساكنتين حالة الإخفاء أو ما في حكمه من

---

(١) انظر « جامع البيان » لأبي عمرو الداني .

(٢) ستأتي عبارته كاملة في الصفحة التالية .

الإدغام بالغنة ، فإن مخرج هذين الحرفين يتحول في هذه الحالة عن مخرجهما الأصلي على القول الصحيح كما يتحول مخرج حروف المد[1] من مخرجه إلى الجوف على الصواب ، وقول سيبويه إنَّ مخرج النون الساكنة من مخرج النون المتحركة إنما يريد به النون المظهرة[2] .

وقد نَصَّ مكي في « الرعاية » على أنَّ (الغنة نون ساكنة خفيفة[3] تخرج من الخياشيم ، وهي تكون تابعة للنون الساكنة الخالصة السكون غير المخفاة وهي التي تتحرك مرة وتسكن مرة ، وللتنوين والميم الساكنة. . .) ثم قال : (والغنة حرف مجهور شديد لا عمل للسان فيها)[4] .

وقَد صَرَّح الجارْبُرْدي أن النون الساكنة المخفاة تسمىٰ غنة وأنها من الحروف المتفرعة ، ثم بَيَّنَ ذلك بقوله : فإنك إذا قلت : « عن » ، كان مخرجها من طرف اللسان وما فوقه ، وإذا قلت : « عنك » لم يكن لها مخرج من الفم ، لكنها غنة تخرج من الخيشوم فلو نطق بها الناطق مع هذه الحروف وأمسك أنفه لَبَانَ اختلافهما .

فيمكن حمل الغنة هنا على النون المخفاة نفسها من غير تكلف بقرينة أن الكلام في الحروف لا في صفاتها ، وهذا بخلاف الغنة في قوله :

« وأظهر الغنة » وغيرِه من المواضع الآتية ، فإن المراد بها الصفة حتماً .

ومما يؤيده قول أبي شامة نقلاً عن أبي عمرو : (وهذه الغنة المسماة بالنون الخفية ليست النون التي مر ذكرها ، فإن تلك من الفم ، وهذه من الخيشوم ، وشرط هذه أن يكون بعدها حرف من حروف الفم ليصح إخفاؤها ، فإن كان

---

(١) في « ب » زيادة : « واللين » .
(٢) انظر « النشر » لابن الجزري ١/ ٢٠١ .
(٣) في « أ » الخفية ، وفي « د » : خفية ، وما أثبتناه هو الموافق لما عند مكي في « الرعاية » .
(٤) انظر « الرعاية » لمكي بن أبي طالب القيسي ص١٥٣ .

بعدها حرف من حروف الحَلق[1] أو كانت آخر الكلام وجب أن تكون الأولىٰ)[2] .

[باب صفات الحروف]

[٢٠] (صِفَـاتُهـا جَهْـرٌ ورِخـوٌ مُسْتَفِـل   مُنْفَتِـــحٌ مُصْمَتَـــةٌ والضِّـــدَّ قُـــلْ)

الصفة ما قام بالشيء من المعاني كالعِلْم والسَّواد .

وقد تطلق الصفة ويراد بها النعت النحوي ، والمراد بها هٰهنا **عوارض تعرض للأصوات الواقعة في الحروف من الجهر والرخاوة والهمس والشِّدَّة وأمثال ذلك .**

فالمخرج للحرف كالميزان يعرف به ماهيته وكَمِّيته ، والصِّفة كالمحكِّ أو الناقد يعرف بها هيئته[3] وبهذا يتميز بعض الحروف المشتركة في المخرج عن بعضها حال تأديته ولولا ذلك لكان الكلام بمنزلة أصوات البهائم التي لها مخرج واحد وصفة واحدة فلا يفهم منها المرام .

وهذا معنىٰ قول المازني[4] : (إذا همست وجهرت وأطبقت وفتحت اختلفت أصوات الحروف التي من مخرج واحد) .

وقال الرُّمَّاني[5] وغيره : (لولا الإطباق لصارت الطاءُ دالاً ؛ لأنه ليس

---

(١) إلا في قراءة أبي جعفر بإخفاء النون الساكنة عند الخاء والغين فعليه تكون الغنة الثانية لا الأولىٰ .

(٢) انظر « إبراز المعاني من حرز الأماني » لأبي شامة ص٧٥٠ .

(٣) لفظ « هيئته » سقط من « ب » .

(٤) هو بكر بن محمد بن حبيب بن بقيّة ، أبو عثمان المازني ، من مازن شيبان ، أحد الأئمة في النحو ، من أهل البصرة ، ووفاته فيها سنة ٢٤٩هـ له تصانيف ، منها « ما تلحن فيه العامة » و« التصريف » و« الديباج » وغيرها . « وفيات الأعيان » ١/ ٩٢ ، « إنباه الرواة » ١/ ٢٤٦ « الأعلام » ٢/ ٦٩ .

(٥) هو علي بن عيسىٰ الرماني النحوي ، ولد في بغداد سنة ٢٩٦هـ تجاوزت مؤلفاته المئة في النحو والصرف والبلاغة وعلوم القرآن والاعتزال والكلام ، منها « الألفاظ المتقاربة أو=

بينهما فرق إلا الإطباق ، ولصارت الظاءُ ذالاً ، ولصارت الصاد سيناً ، فسبحان من دقت في كل شيء حكمته) .

روي أن الإمام أبا حنيفة رحمه الله تعالىٰ ناظر معتزلياً فقال له : قل « با » ، فقال : « با » ، ثم قال : قل « حا » ، فقال « حا » ، فقال له : بَيِّن مخرجهما ، فبينهما ، فقال : إن كنت خالق فعلك فأخرج الباء من مخرج الحاء ، فبهت المعتزلي .

وصفات الحروف منها ما له ضد ، ومنها ما ليس له ضد كما سيأتي بيانهما ، وإنما ذكر الشيخ رحمه الله هٰهنا صفاتها المشهورة اللائقة لمقدمته المختصرة ، وإلا فقد ذكر بعضهم أنَّ لها أربعةً وأربعين صفة ، وزاد بعضهم عليها كما في الكتب المبسوطة ، فَذَكر المصنف من صفاتها سبعة عشر نوعاً ، منها الجهر ، والرخاوة[1] ، والاستعلاء ، والانفتاح ، والإصمات ، بحسب ما اتفق له من الوزن ، تارةً بلفظ المصدر وأخرىٰ بصيغة الوصف ، وستأتي معانيها مع أضدادها في محلها اللائق بها . وقوله « والضِّدَّ قل » أي واذكر أضداد هذه الصفات الخمسة بالمقابلة المرتبة كما قال :

[٢١] (**مَهْمُوسُهَا فَحَثَّهُ شَخْصٌ سَكَتْ**) فإن الأشياء تتبين بأضدادها ، وبتعداد حروف بعض الأضداد تعرف سائر الأضداد من جهة الأعداد .

ولما كانت الحروف المهوسة وأمثالها قليلةً قابلةً لسرعة ضبطها وحفظها بيَّنَها وترك بيان ضدها لما يعرفُ من مفهوم ما عيَّنَها .

[حروف الهمس] :

والحاصل أن الحروف المهموسة مجتمعة في كلمات مركبة منها ، عَبَّر عنها بقوله : « فَحَثَّهُ شخصٌ سكت » ، وهي عشرة :

= المترادفة المعنى » و« شرح كتاب سيبويه » و« النكت في إعجاز القرآن » توفي سنة ٣٥٧هـ . اهـ انظر ترجمته في دراسة لشرحه على كتاب سيبويه للدكتور مازن المبارك .

(١) في « ب » : والرخو .

الفاء ، والحاء المهملة ، والثاء المثلثة ، والهاء ، والشين والخاء[١] المعجمتان ، والصاد ، والسين ، والكاف ، والتاء المثناة من فوق .

فالـ« حَثٌّ » بمعنى الحض ، والـ« شخص » معروف ، و« سكت » فعلٌ ماضٍ من السكوت .

ثم الهمس في اللغة : الخفاء ، ومنه قوله تعالى : ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه : ١٠٨] والمراد به حسُّ مشي[٢] الأقدام إلى المحشر ، أو حسُّ كلام أهله من هول ذلك المنظر ، ومما يناسب المعنىٰ الأول قول الشاعر :

وهُــــنَّ يمشيــــنَ بنــــا هَمِيسَــــا   إن يَصْـدُقِ الطَّيـرُ نَنِـك لميسـا[٣]

وسميت مهموسة لجريان النَّفَسِ معها لضعفها ولضعف الاعتماد عليها عند خروجها ، وضِدُّها المجهورة[٤] .

والجهر في اللغة : الصوت القوي الشديد ، وسميت مجهورة لمنع النفس وحصره أن يجري معها لقوتها وقوة الاعتماد عليها عند خروجها .

والتحقيق أن الهواء الخارج من داخل الإنسان[٥] إن خرج ذلك بدفع الطبع

---

(١) « والخاء » سقط من « ب » .

(٢) في « ب » : والمراد بالهمس مشيُ الأقدام . . . إلخ .

(٣) روى الحاكم وصححه والبيهقي ، وسعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن جرير عن أبي العالية قال : كنت أمشي مع ابن عباس وهو محرم ، وهو يرتجز بالإبل وهو يقول :

وهـــنَّ يمشيـــن بنـــا هميســـا   . . . .

قالَ : قلتُ : أترفث وأنت محرم ؟! ، قال : إنما الرفث ما روجع به النساء . اهـ « المستدرك » للحاكم ٢/٢٧٦ ، و« الدر المنثور » للسيوطي ١/٥٢٨ ، والبيهقي في « شعب الإيمان » ٥/٦٧ ، وانظر « لسان العرب » و« تاج العروس » مادة : رفث ، والظاهر أن ابن عباس رضي الله عنهما استشهد بالبيت ، وليس من نظمه .

(٤) والحروف المجهورة تسعة عشر حرفاً جمعها بعضهم في كلمات وهي : (عَظُمَ وزنُ قارىء ذي غَضٍّ جَدَّ طَلَب) أي رجح ميزان قارىء ذي غضٍّ للبصر اجتهد في الطلب .

(٥) في « ب » : الأسنان ، وهو تصحيف .

يسمىٰ نَفَساً ـ بفتح الفاء ـ وإن خرج بالإرادة وعرض له تموجٌ بتصادم جسمين يسمىٰ صوتاً ، وإذا عرض للصوت كيفيات مخصوصة بأسباب معلومة يسمىٰ حروفاً ، وإذا عَرَض للصوت كيفيات أُخر عارضة بسبب الآلات تسمىٰ تلك الكيفيات صفات .

ثم إنَّ النَّفَسَ الخارج الذي هو صفة حرفٍ إن تكيَّفَ بكيفية الصوت حتى يحصل صوت قوي كان الحرف مجهوراً ، وإن بقي بعضه بلا صوت يجري مع الحرف كان ذلك الحرف مهموساً ، وأيضاً إذا انحصر صوت الحرف في مخرجه انحصاراً تاماً فلا يجري جرياناً سهلاً يسمىٰ شديداً ، فإنَّك لو وقفت علىٰ قولك « الحج » وجدت صوتك راكداً محصوراً[1] ، حتى لو رمت مَدَّ صوتك لم يمكنك ، وأما إذا جرىٰ الصوت جرياناً تاماً ولا ينحصر أصلاً يسمىٰ رخوةً كما في « الطش » فإنك إذا وقفت عليها وجدت صوت الشين جارياً بمدةٍ إن شئت ، وأما إذا لم يتمَّ الانحصار ولا يجري يكون متوسطاً بين الشدة والرَّخوة كما في « الظِّل » ، فإنك إذا وقفت عليه وجدت الصوت لا يجري مثل جري « الطش » ، ولا ينحصر في مثل انحصار « الحج » بل يخرج على حَدِّ اعتدالٍ بينهما ، فإذا عرفت ذلك تبين لك أيضاً معنىٰ قوله :

[حُرُوفُ الشِّدَّة] :

(**شَدِيدُهَا لَفْظُ أَجِدْ قَطٍ بَكَتْ**) فـ« أَجِدْ » أمرٌ من الإجادة ، و« قَطٍ » منون مجرور مخفف بمعنىٰ « حَسْب » ، و« بَكَتْ » مُجَرَّدُ التبكيت ، يقال : بكته إذا غلبه بالحُجَّة ، والمراد بها هنا الحروف المتصفة بالشدة مجموعة في الكلمات الثلاث[2] مركبة منها ، وهي :

الهمزة ، **والجيم** ، **والدال** المهملة ، **والقاف** ، **والطَّاء** المهملة ، **والباء**

---

(١) في « أ » : ركداً حصوراً .
(٢) في « أ » و« ب » : الثلاثة .

الموحدة ، **والكاف** ، والتاء المثناة من فوق ، وما عداها وما عدا البينيَّة التي ذكرها في قوله :

[الحروف المتوسطة] :

[٢٢] (**وبينَ رِخْوٍ والشَّديدِ**) أي وما بينهما حروفٌ خمسة يجمعها تركيب (**لِنْ عُمَر**) كُلُّها حروف رخوة .

والشدة في اللغة : القوة ، وسميت شديدة لمنعها الصوت أن يجري معها لأنها قويت في مواضعها فلزمتها الشدة

والـ« رخوة » مثلثة الراء ، والكسر أشهر .

والرخاوة في اللغة : اللين ، وسميت بذلك لجري النفس والصوت معها حتى لانت عند النطق بها وضعفَ الاعتماد عليها(١) .

ثم الحروف التي بين الرخوة والشدة خمسة ، يجمعها قولك « لن عمر » بكسر اللام ، أمرٌ من « لان يلين » .

و« عمر » منادىٰ بحذف حرف النداء .

وهذا التركيب أولىٰ من جمع بعضهم في « لم نرعَ » ، ومما وقع في « الشاطبية » [١١٥٤] من قوله : « عَمْرُ نل » مع ما فيه من خلوص المبنىٰ وخلاصة المعنىٰ كما لا يخفىٰ(٢) .

وهي : **اللام** ، **والنون** ، **والعين** المهملة ، **والميم** ، **والراء** ، وإنما وصفت بذلك لأن الرخوة إذا نطق فيها في نحو (اِجلس) و(افرش) جرىٰ

---

(١) وحروف الرخاوة ستة عشر ، نظمها بعضهم بقوله :

إن تشـــــأ ألفـــــاظَ رخـــــو ... لا تكـــن فـــي الحفـــظ لاهـــي
رمـــزه خُـــذْ غِـــثَّ حَـــظٍّ ... فَـــضَّ شـــوصٍ زيَّ ســـاهِ

(٢) ذلك لأن ذينك اللفظين يطلبان مفعولين ، أحدهما لـ« نرع » والثاني لـ« نل » ؛ وهما مقدران ، بخلاف « لن عمر » فهو أمر من اللين ، فاعله مستتر وجوباً ، و« عَمَر » منادىٰ .

معها الصوت والنفس عند سكونها ، والشديدةُ إذا نُطِق بها في نحو : « اضرب » و« اقعد » انحبس الصوت والنفس معها ولم يجريا .

والتي بين الرخوة والشديدة إذا نطق بها في نحو : « انعم » و« اعمل » لم يجرِ الصوت والنفس معها جريانهما مع الرخوة ، ولم ينحبسا[١] انحباسهما مع الشديدة .

هذا وقد قال ابن الحاجب[٢] في « الشافية » : (المجهورة ما ينحصر أي ينقطع جري النفس مع تحركه ، والمهموسة بخلافها ، وخالف بعضهم فجعل الضاد والظاء والذال ـ أي المعجمات ـ والزاي والعين والغين والباء ـ أي الموحدة ـ من المهموسة ، والكافَ والتاءَ ـ أي المنقوطة بنقطتين من فوق[٣] ـ من المجهورة ، ورأىٰ أنَّ الشدة تؤكد الجهر ، والشديدةُ ما ينحصر جريُ صوته عند إسكانه في مخرجه فلا يجري)[٤] .

قال شارحها النظامي[٥] : (والجهر انحصار النفس مع تحركه ، فقد يجري النفس ولا يجري الصوت كالكاف والتاء المنقوطة بنقطتين من فوق ، وقد

---

(١) في « ب » : ولم ينحبس .

(٢) هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس ، أبو عمرو ، جمال الدين بن الحاجب ، فقيه مالكي ، من كبار العلماء بالعربية ، ولد في « أسنا » ونشأ في القاهرة ، وسكن دمشق ومات بالإسكندرية ، له كتب ، منها « الكافية » ، و« الشافية » ، و« مختصر في الفقه » ، ولد سنة ٥٧٠هـ ، وتوفي سنة ٦٤٦هـ . اهـ « وفيات الأعيان » ١/ ٢١٤ ، « غاية النهاية » ١/ ٥٠٨ ، « الأعلام » ٤/ ٢١١ .

(٣) « من فوق » سقط من « ب » .

(٤) انظر « الشافية » لابن الحاجب ص٣٤٢ بشرح النِّظَام .

(٥) هو نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري المعروف بـ« النِّظَام النيسابوري » وبـ« النظام الأعرج » كان ماهراً في جل العلوم وحكيماً من الحكماء ، ومفسراً من المفسرين ، وعالماً في النحو والصرف والرياضيات ، له مؤلفات ، منها « غرائب القرآن » و« لب التأويل » و« تعبير التحرير » توفي بعد ٨٥٠هـ . « أعيان الشيعة » ٥/ ٢٤٩ .

يجري الصوت ولا يجري النفس كالضاد والغين المعجمتين)[1] . فظهر الفرق بينهما ، والله أعلم .

[حروف الاستعلاء] :

(وسبعُ عُلْوٍ) بضم العين وتكسر (خُصَّ ضَغْطٍ قِظْ حَصَرْ) أي حَصْرُ سبعِ علوٍ حروفُ « خُصَّ ضغط قظ » ، فـ« قظ » أمرٌ من قاظ بالمكان إذا قام به في الصيف ، والـ« خُصُّ » بضم الخاء المعجمة البيت من القصب ، والـ« ضَغْطُ » الضِّيق .

والمعنىٰ : أقم وقت حرارة الصيف في خُصٍّ ذي ضغط ، أي اقنع من الدنيا بمثل ذلك وما قاربه واسلك طريق السلف الصالح وما وافقه ، فقد جاء عن أبي وائل شقيق بن سلمة[2] ـ وهو من أكابر التابعين من أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ـ نحوٌ من ذلك ، قال عبد الملك بن عمير[3] : كان لأبي وائل خُصٌّ من قصب يكون فيه هو ودابته ، فإذ غزا نَقَضه ، وإذا رجع بناه ، كذا ذكره أبو شامة رحمه الله[4] .

فقول شارح[5] [٢٤] (« خُصَّ » فعل ماض مبني للمجهول بمعنى اخْتُصَّ) صُحِّفَ عليه .

---

(١) انظر « شرح الشافية » للنظام » ص٣٤٢ .

(٢) هو شقيق بن أبي سلمة الأسدي ، أبو وائل ، صاحب عبد الله بن مسعود ، أدرك النبي ﷺ وهاجر بعده ، وروىٰ عن أبي بكر وعمر وعلي وحذيفة وغيرهم ، قال مغيرة بن مقسم عن أبي وائل : أتانا مصدقُ رسول الله ﷺ فأتيته بكبش فقلت : خذ صدقة هذا ، فقال ليس فيه صدقة ، قال ابن حجر : ولا دلالة فيه على صحبته ؛ لأنه ليس فيه أنه أسلم . اهـ « الإصابة » ٢/٦٨ .

(٣) هو عبد الملك بن عمير بن سويد بن حارثة القرشي ، روى أكثر من مئتي حديث ، قال البخاري : سُمِعَ عبد الملك بن عمير يقول : إني لأحدِّث بالحديث فما أترك منه حرفاً ، وكان من أفصح الناس ، وعن أبي إسحاق الهمذاني قال : خذوا الحديث والعلم من عبد الملك بن عمير ، توفي سنة ١٣٦هـ . اهـ « تهذيب التهذيب » ٦/٤١١ .

(٤) « إبراز المعاني من حرز الأماني » للعلامة أبي شامة ص٢٥٦ .

(٥) هو عصام الدين المعروف بـ« طاش كبري زاده » و« الشارح الرومي » .

والمراد هنا أن حروف الاستعلاء سبعة انحصرت في مركبات هذه الكلمات وهي: **الخاء** المعجمة، **والصاد** المهملة، **والضاد والغين** المعجمتان، **والطاء، والقاف، والظاء**، وسميت مستعلية لاستعلاء اللسان(١) عند النطق بها إلى الحنك الأعلىٰ، وما عداها مستفلة(٢) لانخفاض اللسان عن الحنك عند لفظها(٣).

[حروف الإطباق]:

[٢٣] **(وصَادُ ضادٍ طاءُ ظاءٍ مطبقة)** بفتح الباء، ويجوز كسرها، ويتزن البيت بتنوين الثاني والرابع، وإنما لم يركِّب هذه الحروف الأربعة المسماة بالمطبقة(٤) على قياس سائرها لعدم حصول معنىً في تركيبها ولثقلها على اللسان بخلاف غيرها.

والحاصل أنَّ حروف الإطباق أربعة: **الصاد والضاد والطاء والظاء**، وهي من جملة الحروف المستعلية وأخصُّ منها، وسميت بها **لانطباق ما يحاذي**

---

(١) المقصود باستعلاء اللسان: استعلاء أقصاه، لأنه هو المعتبر والمؤثر (انظر: جهد المقل للمرعشي/ ١٥٢، وأحكام تجويد القرآن للحصري/ ١٢٤).

(٢) قَلَّ من العلماء من عرَّف الاستفال واعتنىٰ ببيانه، حتى إن سيبويه لم يعرفه؛ إلا أنه ذكر تعريف الاستعلاء، ثم قال: « والاستفال ضده، وإنما منعت هذه الحروف الإمالة لأنها حروف مستعلية إلى الحَنك الأعلى » اهـ « الكتاب » ٤/ ١٢٩، ولا نجد من عني بتعريف الاستفال بعد سيبويه غير مكي في « الرعاية » قائلاً: « وإنما سميت مستفلة لأن اللسان والصوت لا يستعلي عند النطق بها إلى الحنك كما يستعلي عند النطق بالحروف المستعلية » اهـ « الرعاية » ٢٤، وقد وافقه في التعريف الداني في « التحديد » ص١٠٩، وابن الطحان في مخارج الحروف ص٩٤، وابن الجزري في « التمهيد » ص١٠٠، وقال الرضي: « ما ينخفض معه اللسان ولا يرتفع » اهـ « شرح الشافية » ٣/ ٢٦٢.

(٣) والحروف المستفلة اثنان وعشرون حرفاً جمعها بعضهم في قوله:

خُـــذْ حـــروفَ الاستفـــالِ ... واتـــركـــنْ مـــن قـــال إفكـــا
ثبـــتَ عِـــزُّ مـــن يجـــوِّدْ ... حـــرفـــهُ إذ سَـــلَّ شَكَّـــا

(٤) في « ب »: « المسماة بالمطبقة ».

اللسان من الحنك الأعلى[1] على اللسان عند خروجها ، وهو أبلغ من الاستعلاء[2] .

وهو لغةً : الالتصاق .

وضدُّها المنفتحة[3] ، وسميت بها لانفتاح ما بين اللسان والحنك وخروج الريح من بينهما عند النطق بها .

وهو لغةً : الافتراق .

ومن الغرائب أنَّ قوله تعالىٰ : ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء : ٩٨] قرىء بجميع الحروف المطبقة ولم يجتمع في كلمة غيرها[4] .

[حروف الإذلاق] :

(و« فَرَّ من لُبِّ » الحروفُ المذلقة) أي والحروف المذلقة مجموع حروف « فَرَّ من لُبِّ » وهو بضم اللام وحذف التنوين للوزن على أنَّ « مِنْ » حرف جر ، و« اللب » الذي هو العقل بمعنى الفاعل ، والمعنىٰ هربَ الجاهل من العاقل ، ويمكن أن يكون المعنىٰ : فَرَّ من الخلق من له عقل به عرف الحقَّ[5] ، ففيه

---

(١) « الأعلى » سقط من « أ » و« ج » .

(٢) ولذلك فإن علماء العربية عدوا أصوات الإطباق المفخمة ولم يعدوا أصوات الاستعلاء كذلك . انظر « المصطلح الصوتي » ص١٣٤ و١٣٥ ، ووجه كون الإطباق أبلغ من الاستعلاء أن فيه ارتفاعاً للسان أكثر .

(٣) حروف الانفتاح خمسة وعشرون ، يجمعها قولك : (من أخَذَ وجد سعةً فزكّا حَقَّ له شرب غيث) ، أي من وجد سعة فأدىٰ زكاة ماله كان حقّاً على الله أن يسقيه من رحمته . اهـ شرح الشيخ حجازي على الجزرية .

(٤) القراءة الصحيحة المتواترة بالصاد ، وما عداها فشاذ (انظر : المحتسب ٢/ ٦٦ ، والقرطبي ١١/ ٣٤٣ ، والبحر المحيط ٦/ ٣٤٠ ، والاتحاف ٢/ ٢٦٧) .

(٥) في « أ » و« ب » : « فر من الخلق من عقل له به عرف الحق » وفي « ط » : « فر من فر من الخلق من عقل به عرف الحق » ، وما أثبتناه من « ج » ، وهو موافق للنسخة التي اعتمد عليها محمد مكي نصر في « نهاية القول المفيد » ص٦٠ .

إيماء إلى قوله تعالىٰ : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الذاريات : ٥٠] وقوله سبحانه : ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ [المزمل : ٨] .

والحاصل أن **الفاء** ، **والراء** ، **والميم** ، **والنون** ، **واللام** ، **والباء الموحدة** يقال لها : « المذلقة » لخروجها من ذلق اللسان والشفة ، أي طرفيهما ، والمراد أن خروج بعضها من ذلق اللسان وهي الراء واللام والنون ، وبعضها من ذلق الشفة وهي الباء والفاء والميم ، وما عداها مصمتة[1] لأنها من الصمت وهو المنع .

قال الأخفش : لأنّ من صَمَتَ مَنَعَ نفسه من الكلام .

والمراد بها هٰهنا أنها ممنوعة من انفرادها أصولاً في بنات الأربعة والخمسة ، بمعنىٰ أن كل كلمة على أربعة أحرف أو خمسة أصولاً لا بُدَّ أن يكون فيها مع الحروف المصمتة حرف من الحروف المذلقة ، وإنما فعلوا ذلك لخفتها ، فلذلك عادلوا بها الثقيلة ، ولأجل ما ذكر حكموا بأنَّ « عسجداً » ـ اسمٌ للذهب ـ أعجميٌّ لكونه من بنات الأربعة وليس فيه حرف من الحروف المذلقة[2] .

وقال مكي في « الرعاية » : (إنَّ الألف ليست من المذلقة ولا من المصمتة لأنها هوائية لا مستقرَّ لها في المخرج)[3] .

وبهذا تمت أضداد الصفات الخمسة المذكورة فشرع في ذكر صفات اختصت ببعض الحروف دون بعضها من غير تحقق وجود أضدادها فقال :

---

(١) وهي ثلاثة وعشرون حرفاً يجمعها قولك : (جُزْ غِشَّ ساخط صِدْ ثقةً إذ وعظه يحضُّكَ) أي عَدِّ عن غش ساخطٍ للحق واصطد ثقةً فإنَّ وعظه يحثك على الخَير .

(٢) مما وقع منه في القرآن لفظ ﴿غساق﴾ ومعناه البارد المنتن ، و﴿قسطاس﴾ ومعناه الميزان بلغة الروم ، ومن غير القرآن كـ« عسجد » للذهب ، و« الزهزقة » لشدة الضحك .

(٣) انظر « الرعاية » لمكي بن أبي طالب القيسي ص٧٤ ، وقوله هذا مخالف للمشهور من أنها مصمتة .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

[حروف الصفير[1]] :

[٢٤] (صَفيرُهَا صَادٌ وزَايٌ سينُ) أي حروف الصفير ثلاثة : صاد مهملة ، وزاي وسين مهملة ، ولم يُرَكَّب لما سبق في المطبقة[2] .

وجَعَلَ الرومي ضمير « صفيرها » إلى الصفات فيحتاج إلى تكلفٍ في صحة الحمل بأن يقال : حروفُ صفيرها .

والمعنىٰ أنَّ هذه الحروف موصوفة بصفة الصفير ، وهو صوت زائد يخرج من بين النَّفَس يصحبُ هذه الحروف عند خروجها .

وهو لغةً : صوتٌ يُصَوَّتُ به للبهائم .

ثم اعلم أن السين حرف مهموس من حروف الصفير ، ويمتاز عن الصاد بعدم الإطباق[3] ، وعن الزاي بالهمس كما في « القاموس » .

[حروف القلقلة] :

(قَلْقَلَةٌ قُطْبُ جَدٍ واللِّينُ) أي حروف القلقلة ـ ويقال لها اللَّقلقة ـ خمسة يجمعها قولك « قطب جد » وهي القاف ، والطاء المهملة ، والباء الموحدة ، والجيم ، والدال المهملة ، وإنما وصفت بذلك لأنها حين سكونها لاسيما إذا

---

(١) تابع ابن الجزري والشارح (القاري) القدماء في ترتيبهم لهذه الأصوات الثلاثة ، إذ وضعوها بعد الأصوات النطعية (الدال ، والتاء ، والطاء) وما رآه العلماء المحدثون عكس ذلك ، فنطق السين والزاي والصاد يجعلها قبل ـ لا بعد ـ التاء والدال والطاء من جهة الخلف (علم اللغة العام ـ الأصوات ١٢٠) .

وهذا الترتيب وجد عند سيبويه (الكتاب ٤/ ٤٣١) وابن جني (سر الصناعة ١/ ٤٥) ومن تبعهما حيث كان ترتيب أصوات الصفير بعد النطعية ، أما الخليل فقد وضع أصوات الصفير وبعدها الأصوات النطعية ، وهو ما نشعر به الآن وما نلمسه من نطق قرّاء القرآن من المصريين . وانظر « المصطلح الصوتي » (١٦٠ ، ١٦٩) .

(٢) أي لثقلها على اللسان ولعدم حصول معنىً في تركيبها .

(٣) في « أ » و« ب » و« د » والنسخة المطبوعة من « القاموس المحيط » ، مادة سين : « بالإطباق » وما أثبتناه من « ج » هو الصواب .

وُقِفَ عليها تَقَلْقَلَ المخرجُ حتىٰ يسمع له نبرة قوية لما فيها من شدة الصوت الصاعد بها مع الضغط دون غيرها .

وهي في اللغة : **التحرك والاضطراب** .

والـ« قُطْبُ » ـ بتثليث القاف والضَّمُّ أشهر ـ ما يدور عليه الأمر ، ومنه قطب الرحىٰ .

والـ« جَدُّ » : البَختُ والعظمة[١] ، وخفف للوزن[٢] .

[حرفا اللين] :

ثم قوله « واللِّينُ » أي حروفه اثنان : [٢٥] (**وَاوٌ وَيَاءٌ سَكَنَا وَانْفَتَحَا**) بألِفِ الإطلاق ، أي وقع الفتح (**قَبْلَهُمَا والإِنْحِرَافُ صُحِّحَا**) بصيغة المجهول ، والألف للإطلاق .

أي إن سكن الواو والياء وانفتح ما قبلهما يسمىٰ لِيْناً لِقِلَّة المدِّ فيهما بالنسبة إلى حروف المد التي حركة ما قبلها من جنسها ، وذلك لأن في حرف المدِّ مَدّاً أصلياً، وفي حرف اللِّين مَدّاً ما[٣] يضبط بالمشافهة كُلٌّ منهما كما ذكره الجعبري[٤] .

ولذا أُجريَ حرفا اللين مجرىٰ جروف المد ، حتى إذا وقع بعدهما ساكن لِوقفٍ أو إدغام[٥] جاز المدُّ والتوسط والقصر ، إلا أنَّ هذا الترتيب أولىٰ في المد ، وعكسه في اللين ، وقد رُجِّحَ قَصْرُ ورش[٦] في نحو : ﴿شَيءٍ﴾

---

(١) النظر « القاموس المحيط » مادة : جدد .

(٢) سيأتي قريباً زيادة إيضاح وبيان للقلقلة عند قول الناظم :

وبيِّنَنْ مُقَلْقَلاً إن سكنا ... وإن يكن في الوقف كان أبينا

(٣) لفظ (ما) سقط من « د » ، وهو للإبهام أي أنه مدّ غير محدد تماماً ولكنه أقل من حركتين .

(٤) انظر « كنز المعاني في شرح حرز الأماني » للجعبري ص٥٧/ أ .

(٥) من أمثلة ذلك لذي الوقف ﴿الصَّيْف﴾ ﴿الخَوْف﴾ ولذي الإدغام نحو ﴿للغَيْبِ بما﴾ و﴿لَقَوْلُ رسولٍ﴾ كلاهما في رواية السوسي عن أبي عمرو بالإدغام الكبير .

(٦) هو عثمان بن سعيد بن عدي المصري ، من كبار القراء ، غلب عليه لقب « ورش » لشدة بياضه ، أصله من « القيروان » ، رحل إلى المدينة وقرأ على نافع أربع ختمات وانتهت إليه=

و﴿سَوْءٍ﴾ علىٰ التوسط ، والتوسط على الطول[1] بهذا المعنىٰ .

[حرفا الانحراف] :

وَوَصفُ الانحراف صُحِّحَ ثبوته [٢٦] (**في اللَّام والرَّا**) مقصوراً (**وبتكريرٍ جُعِل**) وإنما قيل اللاَّم والراء منحرفان لأن الَّلام فيه انحراف وميل إلى طرف اللسان ، والرَّاءُ فيه انحرافٌ إلىٰ ظهر اللسان وميل قليل إلى جهة اللاَّم ، ولذلك يجعلها الألثغُ لاماً .

[حَرْفُ التكرير] :

والضمير في « جُعِل » راجع إلى الراء ، والمعنىٰ أن الراء يُوصف بالتكرير أيضاً كما وصفَ بالانحراف .

والتكرير : **إعادة الشيء** ، وأقله مرة على الصحيح .

ومعنىٰ قولهم : إن الراء مكررٌ هو أنَّ الراء له قبول التكرير[2] لارتعاد طرف اللسان به عند التلفظ كقولهم لغير الضاحك « إنسانٌ ضاحك » ، يعني أنه قابل للضحك ، وفي الجَعْلِ إشارةٌ إلى ذلك ، ولهذا قال ابن الحاجب : (لما تحسِبُهُ من شبه ترديد اللسان في مخرجه)[3] .

وأما قوله : (ولذلك جرىٰ مجرىٰ حرفين في أحكام متعددة)[4] فليس كذلك ، بل تكريره لحن ، فيجب معرفة التحفظ عنه للتحفظ به ، وهذا كمعرفة

= رئاسة القراءة بمصر التي ولد بها سنة ١١٠هـ ، وتوفي فيها سنة ١٩٧هـ . اهـ « معرفة القراء الكبار » ١/ ١٥٢ـ١٥٥ .

(١) انفرد ورش من بين جميع الرواة والقراء بجواز التوسط والطول في لفظ ﴿شيء﴾ وصلاً ووقفاً ، إلا أنَّ القصر المذكور مأخوذ له به من طريق « طيبة النشر » لا من « الشاطبية » . (إيضاح الرموز/ ١٢٤) .

(٢) في « ب » : التكرار .

(٣) انظر « الشافية » لابن الحاجب ٣/ ٢٥٧ .

(٤) المرجع السابق .

السحر ليتجنب عن تضرُّرِه وليعرف وجهُ دفعه .

قال الجعبري : (وطريقة السلامة أن يلصق اللافظ ظهر لسانه بأعلى حنكه لصقاً محكماً مرة واحدة ، ومتى ارتعد حدث من كل مرة راء)[1] .

وقال مكي : (لا بُدَّ في القراءة من إخفاء التكرير) وقال : (واجبٌ على القارىء أن يخفي تكريره ، ومتىٰ أظهره فقد جعل من الحرف المشدد حروفاً ومن المخفف حرفين)[2] . اهـ .

ثم قول ابن الحاجب (في أحكام متعددة) بيَّنَهُ أبو شامة حيث قال : (فَحَسُنَ إسكان ﴿ينصُرُكم﴾ و﴿يُشْعِرُكم﴾[3] ، ولم يحسُنْ إسكان « يقتُلُكم » و« يسمعكم » ، وحسُنَ إدغام مثل ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ ﴾[4] [آل عمران : ١٢٠] أحسن منه في ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٤٠] ، ولم يُمَل « طالب » و« خاتم »[5] ، وأُميلَ « طارد » و« غارم » ، وامتنعوا من إمالة « راشد » ولم يمتنعوا من إمالة « ناشد » ، وكل هذه الأحكام راجعة في المنع والتسويغ إلى التكرير الذي في الراء)[6] .

[حرف التفشي[7] :]

(وللتَّفَشِّي الشِّينُ ضَاداً اسْتُطِلْ) التفشي : الانبثاث والانتشار ، والكلام

---

(١) انظر « كنز المعاني في شرح حرز المعاني » ص٣١٧/أ .
(٢) « الرعاية » لمكي بن أبي طالب ص١٢٢ .
(٣) يعني في قراءة أبي عمرو البصري بإسكان الراء في رواية السوسي وإحدىٰ روايتي الدوري عنه .
(٤) عند من قرأ : (يضركم) بضم الضاد وتشديد الراء وهم ابن عامر والكوفيون وأبو جعفر ، وفيه إدغام الراءين « تحبير التيسير » ص ١٠٠ .
(٥) في « ب » : وغانم .
(٦) انظر « إبراز المعاني من حرز الأماني » للعلامة أبي شامة ص٧٥٤ .
(٧) التفشي من مصطلحات سيبويه وصف به الشين ، إلا أنه ذكر معها أصواتاً أخرى واصفاً إياها بالتفشي ، فوصف الأصوات المطبقة بقوله « والمطبق أفشى في السمع » وقد ذكر المبرد الشين وأضاف إليها الضاد ، ونقل الإمام ابن الجزري عن بعضهم أن حروف التفشي ثمانية : =

من باب القلب ، أي صفة التفشي ثابتة للشين ، والمعنىٰ أن الشين موصوفٌ بانتشار الصوت عند خروجها حتى تتصل بحروف طرف اللسان ، منها مخرج[1] الظاء المشالة[2] ، والحال أنَّ مخرجها حافة اللسان من محاذاة وسطه[3] .

[حرف الاستطالة] :

وقوله « استطل » أمرٌ من الاستطالة ، وهي لغةً : أَبعَدُ المسافتين ، والمراد منها هنا **الامتداد من أول حافة اللسان إلىٰ آخرها** كما قاله الجعبري[4] ، والمعنىٰ : صِفْهُ بالاستطالة .

والحاصل أن الضاد حرف مستطيل ، وإنما وصف بالاستطالة لأنه يستطيل حتىٰ يتصل بمخرج اللام ، وللتحيُّز[5] بين المخرجين باعتبار واحد صعُبَ اللفظ بها .

وقد ألحق المتقدمون الثاء المثلثة بالشين في التفشي وقالوا : إنها تفشت حتى اتصلت بمخرج الفاء ، ولذا تبدل منها فيقال : جدف وجدث[6] .

= الميم ، والشين ، والفاء ، والراء ، والثاء ، والصاد ، والسين ، والصاد ، تفشي الميم بالغنة ، والشين والثاء بالانتشار ، والفاء بالتأفف ، والراء بالتكرير ، والصاد والسين بالصفير ، والضاد بالاستطالة ، ويظهر منه أن وصف الحروف الأخرى بالتفشي يعني شيئاً آخر غير هذه الصفة فالثابت أن الموصوف بالتفشي هو الشين وحدها . « الكتاب » ٤/ ٤٨٤ ، و« المقتضب » ١/ ٢١٤ .

(١) في « ب » : تخرج .

(٢) الشول لغة : الرفع ، أي الظاء التي رفع خطٌ فوقها فرقاً بينها وبين الضاد .

(٣) ذكر عدد من العلماء أن الشين مع التفشي تصل إلى مخرج الظاء « الرعاية » لمكي/ ١٠٩ ، أما مخرج الشين المنصوص عليه فهو وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك العلوي .

(٤) انظر « كنز المعاني » للجعبري ص٣١٧/ أ .

(٥) في « ب » : وللتخيير ، وفي « ج » : والتحيز ، وفي « د » : وللتخير .

(٦) قوله « وقد ألحق المتقدمون » إلى قوله « جدف وجدث » كلام تابع للتفشي فكان ينبغي أن=

قال ابن المصنف [١٥] : (وسبيل[١] تسهيل النطق بها قطع النظر عن الحيز المقابل وتمكينها في مخرجها وتحصيل صفاتها المميزة لها عن الظاء) .

قال الجعبري : (والفرق بين المستطيل والممدود أن المستطيل جرىٰ في مخرجه ، والممدود جرىٰ في نفسه)[٢] .

ثم اعلم أنَّ خمساً من الصفات العشرة المتقابلة قوية ، وخمساً منها ضعيفة .

فالقوية : الجهر والشدة والاستعلاء والإطباق والإصمات .

والضعيفة : الخمس المقابلة وهي الهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح والذلق[٣] .

وأما السبع المفردة[٤] فكلها قوية إلا اللين .

ثم كل حرف من التسعة والعشرين لا بد أن يتصف بخمس من الصفات العشرة ، فما جمع جميع الصفات القوية كالطاء المهملة فهو أقوىٰ الحروف ، وما جمع جميع الصفات[٥] الضعيفة فهو أضعفها كالهاء والفاء ، وما اجتمع فيه الأمران فهو متوسط فيها ، وضعفه وقوته بحسب ما تضمنه منها[٦] .

* * *

= يكون قبل البدء بالكلام على الاستطالة ؛ وحرصاً على الأمانة العلمية للكتاب أبقيناه على ما هو عليه دون تغيير أو نقل .

(١) سقط من « أ » .

(٢) انظر « كنز المعاني » للجعبري ص٣١٧/ أ .

(٣) وذهب بعض علماء التجويد إلى أن الإصمات والإذلاق صفتان متوسطتان لا توصفان بقوة ولا ضعف كصفة التوسط بين الشدة والرخاوة « المنير » ١٤٠ .

(٤) وهي : الصفير والقلقلة واللين والانحراف والتكرير والتفشي والاستطالة .

(٥) من قوله : « القوية كالطاء . . . » إلى « الصفات » سقط سهواً من « أ » .

(٦) تتفاوت الحروف في عدة صفاتها من الخمسة إلى السبعة ، فكل حرفٍ منها يحوي خمس صفات من العشر المتضادة ، فإن زاد على ذلك كان من الصفات التي لا ضد لها .

[حدُّ التجويد وحكمه] :

[٢٧] (**والأَخْذُ بالتَّجوِيدِ حَتْمٌ لازِمُ**) جمع بينهما تأكيداً للوجوب .

وجعل الشيخ زكريا الثاني تفسيراً للأول بناءً على أنه عطف بيان ، وقَدَّر بعدهما « للقارىء » ؛ لأن الحكم ليس على إطلاقه .

والأظهر أن يقال : تقديره وأخْذُ القارىء بتجويد القرآن ـ وهو تحسين ألفاظه بإخراج الحروف من مخارجها وإعطاء حقوقها من صفاتها وما يترتب على مفرداتها ومركباتها ـ فرض لازم وحتم دائم .

ثم هذا العلم لا خلاف في أنه فرض كفاية ، والعمل به فرض عين في الجملة على صاحب كل قراءة ورواية ولو كانت القراءة سنة ، وأما دقائق التجويد على ما سيأتي بيانه فإنما هو من مستحسناته ، فالأظهر أن المراد بالحتم هنا أيضاً[١] الوجوب الاصطلاحي المشتمل على بعض أفراد من الوجوب الشرعي ، لا الجمع بين الحقيقة والمجاز واستعمال المعنيين بالاشتراك كما ذهب إليه الشُّرَّاحُ من الشافعية .

فإنَّ اللحن علىٰ نوعين : **جَلِيٌّ وخَفِيٌّ** .

فالجلي : خطأ يعرض لِلَّفظ ويخلُّ بالمعنىٰ والإعراب كرفع المجرور ونصبه ونحوهما سواء[٢] تغير المعنىٰ به أم لا .

والخفي : خطأ يخل بالحرف كترك الإخفاء والقلب والإظهار والإدغام والغنة وكترقيق المفخم[٣] وعكسه ومد المقصور وقصر الممدود وأمثال ذلك ، ولا شَكَّ أنَّ هذا النوع مما ليس بفرض عين يترتب عليه العقاب الشديد ، وإنما فيه خوف العقاب والتهديد .

---

(١) في « ب » : أن المراد هنا بالحتم أيضاً الوجوب .
(٢) في « أ » : تغير المعنىٰ به أم لا .
(٣) في « أ » : وكترك ترقيق المفخم ، وهو خطأ ظاهر .

وأما تخصيص الوجوب بقراءة الفاتحة[1] كما ذكره بعض الشراح فليس مما يناسب المرام في هذا المقام .

(مَنْ لَمْ يُجَوِّدِ القُرَانَ آثِمُ) أي من لم يصحح كما في نسخة صحيحة ، بأن يقرأ قراءةً تخل[2] بالمعنىٰ أو الإعراب كما صرح به الشيخ زكريا خلافاً لما أخذه بعض الشراح ـ منهم ابن المصنف ـ على وجه العموم الشامل لِلَّحن الخفي ؛ فإنه لا يصح كما لا يخفىٰ .

وأغرب من هذا أنَّ الشارح المصري ضعَّفَ قول الشيخ زكريا ـ مع أنه شيخ الإسلام ـ في مذهبه .

ثم لفظ « القرآن » منقول في البيت على قراءة ابن كثير[3] كما قال الشاطبي رحمه الله [٥٠٢] :

وَنَقْـلُ قُـرَانٍ والقُـرَانِ دواؤنـا[4] . . . .

فلا يحمل على ضرورة الوزن .

و« مَنْ » موصولة ، وإن جعلت شرطية فَحَذْفُ الفاء من قبيل :

مَنْ يفعلِ الحسناتِ اللهُ يشكُرُهَا[5] . . . .

---

(١) في « ب » : بقراءة القرآن .

(٢) في « ب » : مخلةً .

(٣) أي بنقل حركة الهمزةِ إلىٰ الساكن قبلها ، وابنُ كثير هو عبد الله بن كثير الداري أحد القراء العشرة ، وإمام أهل مكة في القراءة ، كان فصيحاً بليغاً . توفي سنة ١٢٠هـ . « غاية النهاية » ١/٤٤٣ .

(٤) الدال من لفظ « دواؤنا » رمز لابن كثير كما هو معلومٌ عند أهل هذا الفن .

(٥) نسبه سيبويه لحسان بن ثابت ، وليس في ديوانه ، وفي « الخزانة » ٣/٦٤٤ ، و« المقتضب » ٢/٧٢ ، و« المغني » ٨٠ ، وابن الشجري ١/٢٩٠ ، وفي شرح شواهد المغني ، وحاشية البغدادي على (بانت سعاد) ١/٤٣٦ أنه لعبد الرحمن بن حسان ، ونسبه ابن السيرافي إلى كعب بن مالك .

وللمبرد رواية يخرج بها وجه الاستشهاد على حذف الفاء : =

[٢٨] (**لأَنَّهُ بِهِ الإِلَـهُ أَنْزَلاَ**) بألف الإطلاق ، والضمير في « لأَنَّهُ » للشأن أو للقرآن ، وفي « به » للتجويد ، أي لأن الله تعالىٰ أنزل في القرآن الأمر بالتجويد حيث قال : ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل : ٤] مُؤَكِّدَاً في المصدر مبالغةً في الأمر ، ومن المعلوم أنَّ النبي ﷺ كان مجوداً كما أنزل عليه ، لكنه خطاب له والمرادُ أمته .

ونقل عن علي كرم الله وجهه أنه قال : « التجويد هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف »[١] لكن فيه أن معرفة الوقوف ليس من الواجبات لقول الناظم :

وليسَ في القُرآنِ مِنْ وَقْفٍ وَجَبْ . . . .

اللهمَّ إلا أن يقال المراد بمعرفة الوقوف هو أن يعلم كل كلمةٍ إذا وقف عليها كيف يقف عليها ، فإنه ربما يقف عليها من ليس له وقوفٌ بها[٢] على وجه يُخلُّ بمعناها .

وعن مجاهد[٣] : أي تَرَسَّلْ فيه ترسُّلاً ، والمعنى : تمهل في المبنىٰ ليتبين لك المعنىٰ كما قال تعالىٰ : ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ [طه : ١١٤] و﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة : ١٦] .

= مـن يفعـلِ الخيـرَ فـالـرحمـنُ يشكـره   والشـرُّ بـالشـرِّ عنـد الله مثـلانِ

والشاهد فيما نحن فيه أنه كان حقه أن يقول : من يفعل الحسنات فالله يشكرها ؛ لما هو من حق العربية أن تقترن الفاء بجواب الشرط في مثل هذا ، إلا أنها حذفت لضرورة الوزن . انظر « ضرائر الشعر » ١٦٠ ، و« ضرورة الشعر » للسيرافي ١١٥ .

(١) أورده الهذلي في « الكامل » ١٩/ب ، وابن الجزري في « النشر » ١/ ٢٠٩ و٢٢٥ ، والأشموني في « منار الهدى » / ٥ ، والسيوطي في « الإتقان » ١/ ٢٨٢ ، والقسطلاني في « لطائف الإشارات » ١/ ٢٤٩ .

(٢) أي معرفةٌ بها .

(٣) هو مجاهد بن جبر المكي ، أحد الأعلام من التابعين والأئمة المفسرين ، ومن أشهر تلاميذ ابن عباس ، توفي سنة ١٠٣هـ . « غاية النهاية ٢/ ٤١ و٤٢ » .

وعن الضحاك[1] : انبذه حرفاً حرفاً .

وعن ابن عباس : بينه تبييناً .

وقال بعض العلماء : (أي تَلَبَّثْ وتَثَبَّتْ في قراءته وافصل الحرف من الحرف الذي بعده ولا تستعجل فتدخل بعض الحرف في بعض)[2] .

ولا يخفىٰ أن الآية بهذه المعاني لا دلالة فيها على المدَّعىٰ ، وكذا ما ذكره ابن المصنف [١٦] أيضاً من قوله سبحانه : ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ [الإسراء : ١٠٦] وفَسَّرَ المكث بالترتيل ، وهو غير مستقيم بحسب التفسير والتأويل ، وكذا في قوله تعالىٰ : ﴿ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان : ٣٢] أي أنزلناه بالترتيل ، أي التجويد ، فإنه أنزله بأفصح اللغات ، بل معناه : بيناه تبييناً ، وفصلناه تفصيلاً ، كما يدلُّ عليه صدر الآية .

وأما ما روي عنه ﷺ : (رُبَّ قارىءٍ للقرآنِ والقرآنُ يلعنه)[3] فإنه متناول لمن يخل بمبانيه أو معانيه أو بالعمل بما فيه .

(وَهَكَذَا مِنْهُ إِلَيْنَا وَصَلاَ) بألف الإطلاق ، أي وَوَصَلَ القرآن من الإله إلينا على لسان جبريل عليه السلام ببيان متواتر من اللوح المحفوظ[4] وبيان

---

(١) هو الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني ، أبو القاسم ، مفسر ، كان يؤدب الأطفال ، ويقال : كان في مدرسته ثلاثة آلاف صبي ، وذكره ابن حبيب تحت عنوان « أشرف المعلمين وفقهاؤهم » توفي سنة ١٠٥ هـ ، وله كتاب في التفسير . اهـ « الأعلام » ٣/ ٢١٥ .

(٢) أخرج العسكري في المواعظ عن علي كرم الله وجهه أن رسول الله ﷺ سئل عن هذه الآية فقال : « بَيِّنْهُ تبييناً ولا تنثره نثر الدقل ، ولا تهذه هَذَّ الشِّعر ، قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ، ولا يكن همُّ أحدكم آخر السورة » الدَّقل ـ بفتح القاف ـ : رديء التمر ويابسه ، والهذُّ : الإسراع ، ولقد كان رسول الله ﷺ يقرأ قراءةً مرتلةً مفسرةً حرفاً حرفاً ، وكان يقطع قراءته آيةً آيةً ويمُدُّ حروفَ المد . اهـ « الدرُّ المنثور » للسيوطي ٦/ ٢٧٧ .

(٣) لم أجده فيما بين يديَّ من المراجع ، وهو مذكور في كتاب « تلاوة القرآن المجيد » للعلامة المرحوم عبد الله سراج الدين الحلبي موقوفاً على سيدنا أنس بن مالك .

(٤) قوله : « ببيان متواتر من اللَّوح المحفوظ » سقط من « أ » ، وفي « ج » : متواتراً من اللوح المحفوظ على لسان جبريل عليه السلام وبيان النبي . . . . . .

النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم ، ثم تَعَلَّمُ التابعين ثم أتباعهم منهم وهَلُمَّ جراً إلى مشايخنا رحمهم الله متواتراً هكذا بوصف الترتيل المشتمل على التجويد والتحسين ، وتبيين مخارج الحروف وصفاتها وسائر متعلقاتها التي هي معتبرة في لغة العرب الذي أنزل القرآن العظيم بلسانهم لقوله تعالىٰ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾ [إبراهيم : ٤] فينبغي أن يراعىٰ جميع قواعدهم وجوباً فيما يتغير به المبنىٰ ويَفْسُدُ المعنىٰ ، واستحباباً فيما يحسنُ به اللفظ ويستحسنُ به النطق حال الأداء ، وإنما قلنا بالاستحباب في هذا النوع لأن اللحن الخفي الذي لا يعرفه إلا مهرة القراء من تكرير الراءات ، وتطنين النونات ، وتغليظ اللامات في غير محلها ، وترقيق الراءات في غير موضعها كما سيأتي بيانها لا يُتَصَوَّرُ أن يكون فرض عين يترتب العقاب على فاعلها لما فيه من حرج عظيم وقد قال تعالىٰ : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج : ٧٨] و﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾(١) [البقرة : ٢٨٦] .

[٢٩] (وهُـوَ أيضـاً حِلْيَـةُ التِّـلاوَةِ وزِينَـــــةُ الأَداءِ والقِـــــرَاءَةِ)

بالإشباع فيهما ، وجاز الوقف عليهما .

و« هُوَ » بضم الهاء ، ولا يجوز إسكانها للوزن .

وقوله « أيضاً » أي مع كونه حتماً ، وأبعد الشارح الرومي في قوله [٢٩] : (أي كمخارج الحروف والصفات لأنهما داخلان في تعريف التجويد) .

ثم الـ« حلية » بمعنى الزينة هـٰهنا ، وإن كانت أَخَصَّ منها عرفاً حيث يختصُّ بالصفة(٢) ، فالمعنىٰ أنه صفة مستحسنة للقراءة كالحلي للمرأة .

---

(١) في « د » زيادة : « وهو الحق الذي يعض عليه بالنواجذ ولا يعدل عنه إلى غيره إلا المذامذ » ، قال في « القاموس » : مَذَذَ : كذب ، وهو مِذْيِذٌ : كذاب . اهـ مادة : مذذ .
(٢) في « ج » : تختص بالصيغة .

والفرق بين الثلاثة[1] أنَّ **التلاوة** قراءة القرآن متتابعة كالدراسة والأوراد الموظفة ، **والأداء** : الأخذ عن الشيوخ ، والقراءة أعم ، ذكره ابن المصنف [١٧] .

[كيفية أخذ القراءة عن الشيوخ] :

والأخذ عن الشيوخ على نوعين :

أحدهما : أن يسمع من لسان المشايخ وهو طريقة المتقدمين .

وثانيهما : أن يقرأ في حضرتهم وهم يسمعونها ، وهذا مسلك المتأخرين .

واختلف أيهما أولىٰ ، والأظهر أن الطريقة الثانية بالنسبة إلى أهل زماننا أقرب إلى الحفظ ، نعم الجمع بينهما أولى ، وبهذا تبين بطلان قول الشارح المصري : (والحق أن الأداء القراءة بحضرة الشيوخ عقيب الأخذ من أفواههم لا الأخذ نفسه) .

[مراتب التجويد والقراءة] :

ثم التجويد على ثلاث مراتب :

ترتيل ، وتدوير ، وحدر .

فالترتيل : هو تَؤُدةٌ وتأنٍّ ، وهو مختار[2] ورش ....

(١) في « ب » : التلاوة والأداء .

(٢) لربما أوهمت كلمة (اختيار) أو (مختار) معنىً مشكلاً على بعض الطلبة ، لذلك نقول : في النصف الثاني من القرن الأول الهجري ، والنصف الأول من القرن الثاني الهجري كانت مرحلة نشوء الاختيار في القراءات ، حيث قام كل فردٍ من القراء في تلكم الفترة بالنظر فيما رویٰ من حروفٍ قرائيةٍ مختلفة ، واختار من بينها حروفه على أساس من مقياس معين انتهجه في الموازنة والاختيار ، وهذا الأمر قد يرجع إلى مستوىٰ وثاقة السند ، وقد يرجع إلى قوة الوجه في العربية ، وقد يرجع إلى مطابقة الرسم ، وربما يرجع إلى عوامل أخرىٰ ، ثم بعد اختياره يتبناه فينسبُ إليه ، ويسمىٰ اختياره وحرفه . =

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

وعاصم[1] وحمزة .

والحدر : هو الإسراع ، وهو مختار قالون[2] . . . .
وابن كثير وأبي عمرو[3] .

= وفي ضوئه نستطيع أن نعرف الاختيار بأنه الحرف الذي يختاره القارىء من بين مروياته مجتهداً في اختيار .

فنافع مثلاً قرأ على سبعين من التابعين واختار مما قرأه ورواه عنهم ما اتفق عليه اثنان وترك ما سواه ، وهكذا سائر القراء .

وعبارة القرطبي التالية تعطينا صورة واضحة عما قلت ، قال في تفسيره : « وهذه القراءات المشهورة هي اختيارات أولئك الأئمة القراء ، وذلك أن كل واحد منهم اختار مما روى وعلم وجهه من القراءات ما هو الأحسن عنده والأولىٰ فالتزمه طريقةً ورواه وأقرأ به واشتهر عنه وعرف به ، ونسب إليه ، فقيل : حرف نافع ، وحرف ابن كثير » .

وتَعَرُّفُنَا على معنى الاختيار في القراءات يؤكد لنا أيضاً أن اجتهاد القراء لم يكن في وضع القراءات ـ كما توهم البعض ـ وإنما في اختيار الرواية ، وفرق بين الاجتهاد في اختيار الرواية والاجتهاد في وضع القراءة .

والخطر المجمع عليه عند المسلمين منصبٌ على الاجتهاد في وضع القراءة لا الاجتهاد في اختيار الرواية ، وإليه يشير ابن الجزري بقوله عن نسبة القراءة إلى القارىء بأنها « إضافة اختيار ودوام ولزوم ، لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد » . انظر « النشر » ١/ ٥٢ و« الجامع لأحكام القرآن » ١٥/ ٤٠ ، و« القراءات القرآنية » للفضلي/ ١٠٥ .

(١) هو عاصم بن أبي النجود الكوفي الأسدي بالولاء ، أبو بكر ، أحد القراء السبعة ، تابعي من أهل الكوفة ، كان ثقة في القراءات ، صدوقاً في الحديث ، توفي سنة ١٢٧هـ . اهـ « غاية النهاية » ١/ ٣٤٦ .

(٢) هو عيسى بن مينا بن وردان ، ولد سنة ١٢٠هـ وأخذ القراءة عن نافع عرضاً ، وكان ربيبه ، وهو الذي سماه قالون لجودة قراءته ، وكان أصم لا يسمع البوق ، فإذا قرىء القرآن عليه سمع ، توفي سنة ٢٢٠هـ . اهـ « غاية النهاية » ١/ ٦١٥ .

(٣) هو زبان بن العلاء بن عمار التميمي المازني البصري ، من أئمة القراءة واللغة والأدب ، ولد بمكة سنة ٧٠هـ وكانت عامة أخباره من أعراب أدركوا الجاهلية ، توفي سنة ١٥٤هـ . اهـ « الأعلام » ٣/ ٤١ .

والتدوير : هو التوسط بينهما ، وهو مختار ابن عامر[1] والكسائي[2] .

وهذا كله[3] إنما يتصور في مراتب المدود ، وأما ما ذكره ابن المصنف من

---

(١) هو عبد الله بن عامر بن يزيد اليحصبي كان إماماً عالماً ثقةً قيماً حافظاً لما رواه ، أمَّ بالمسجد الأموي سنين كثيرة ، وكان يأتم به أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، ولد سنة ٢١هـ ، وتوفي سنة ١١٨هـ . اهـ « غاية النهاية » ١/ ٤٢٣ .

(٢) هو علي بن حمزة الكسائي ، أخذ القراءة عن حمزة عرضاً ، وكان أعلم الناس بالنحو ، وأوحدهم بالغريب والقرآن ، له كتب ، منها « معاني القرآن » و« كتاب القراءات » و« متشابه القرآن » توفي سنة ١٨٩هـ . اهـ « غاية النهاية » ١/ ٥٣٥ .

(٣) اعلم أنَّ الحدر مصدر من حَدَر ـ بالفتح ـ يحدُرُ ـ بالضَّم ـ إذا أسرع ، فهو من الحدور الذي هو الهبوط لأن الإسراع من لازمه ، وهو عند المحققين من القراء عبارة عن إدراج القراءة وسرعتها مع مراعاة أحكام التجويد من إظهار وإدغام وقصر ومد ووقف ووصل وغير ذلك إذ مراعاة الوقف والابتداء يزيد القراءة رونقاً وبهاءً ، ومن الواجب في هذه المرتبة أن يحترز القارىء عن بتر حروف المد وذهاب صوت الغنة واختلاس أكثر الحركات وعن التفريط إلى غاية لا تصح بها القراءة ولا توصف بها التلاوة ، ثم هذا النوع من الحدر مذهب من قصر المنفصل كابن كثير وقالون وأبي عمرو من السبعة ويعقوب وأبي جعفر من تتمة العشرة ، وهو مذهب الأصبهاني عن ورش ، وهذا معنى قول المؤلف « وهذا كله إنما يتصور من مراتب المدود » إذ كل نوع من المد تُناسبه مرتبة من هذه المراتب الثلاثة .

وأما التدوير : فهو عبارة عن التوسط بين مرتبتي التحقيق والحدر وهو الذي ورد عن أكثر الأئمة ممن روىٰ مَدَّ المنفصل ولم يبلغ فيه حد الإشباع كابن عامر والكسائي .

وأما الترتيل : فهو مصدر من رَتَّل فلان كلامه إذا أتبع بعضه بعضاً على مُكثٍ وتَفَهُّمٍ من غير عجلة ، وهو الذي نزل به القرآن كما قال تعالىٰ : ﴿ورتلناه ترتيلاً﴾ ، وهذا المرتبة هي المستحسنة والمستحبة في القراءة لما رواه زيد بن ثابت من أن النبي ﷺ قال : « إن الله يحب أن يقرأ القرآن كما أُنزل » أخرجه ابن خزيمة ، وهو الذي أمر الله تعالى به نبيه بقوله : ﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾ قال ابن عباس : بيِّنهُ ، وقال مجاهد : تَأَنَّ فيه ، وقال الضحاك : انبذه حرفاً حرفاً ، كأنَّ الله سبحانه وتعالىٰ يقول : تثبت في قراءتك وتمهل فيها وافصل الحرف من الحرف الذي بعده ولم يقتصر سبحانه على الأمر بالفعل حتى أكَّده بالمصدر اهتماماً به وتعظيماً له ليكون ذلك عوناً على تدبر القرآن وتفهمه ، وبه كان النبي يقرأ ، ففي جامع الترمذي عن يعلىٰ بن مالك أنه سأل أمَّ سلمة عن قراءة النبي ﷺ فإذا هي تنعت وتصف قراءةً مفسَّرةً حرفاً حرفاً . =

أنَّ إسكان المرتِّلِ وتحريكه وتشديدَه ومَدَّه أتم ، وكذلك المتوسط بالنسبة إلى الحادر فهو غير الظاهر وخلافُ المتبادر .

[٣٠] (**وهُـوَ إِعْطَـاءُ الحُـرُوفِ حَقَّهَـا مِـــنْ صِفَـــةٍ لَهَـــا وَمُسْتَحَقَّهَـــا**)

بفتح الحاء عطفاً على « حقَّها » .

و« مِنْ » بيانية لما قبلها ، وهذا تعريف التجويد ، وما سبق نعتٌ له .

[تعريف التجويد] :

أي التجويد هو إعطاءُ الحروف ـ بعد إحسان مخارجها وتمكينها في محايزها ـ حَقَّهَا من كل صفة من صفاتها المتقدمة وإعطاؤها مستحقها من تفخيم وترقيق وسائر أوصافها الآتية .

والفرق بين حق الحروف ومستحقها أن حق الحرف صفته اللازمة له من همس وجهر وشدة ورخاوة وغير ذلك من الصفات الماضية ، ومستحقُّها ما ينشأُ عن هذه الصفات كترقيق المستفل وتفخيم المستعلي ونحو ذلك من ترقيق بعض الراءات وتفخيم بعضها ، وكذا حكم اللامات ، ويدخل في الثاني ما ينشأ من اجتماع بعض الحروف إلى بعض مما حكموا عليه بالإظهار والإدغام والإخفاء والقلب والغنة والمد والقصر وأمثال ذلك ، فالحقُّ صفة اللزوم ، والمستَحَقُّ صفة العروض .

هذا ولا يخفىٰ أنَّ إخراج الحرف من مخرجه أيضاً داخل في تعريف التجويد ، كما صرح به الناظم في كتاب « التمهيد » فكان ينبغي أن يُذكرَ فيه .

وقد أشرنا إلى جواب لطيف في ضمن تعريفه وهو أنَّ الحروف لا تتحقَّقُ إلا باعتبار إخراجها من حيزها ، لكن يبقىٰ فيه إشكال من جهة أن بعض الصفات

= وقالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ يقرأ السورة حتى تكون أطولَ مِنْ أطولِ منها . اهـ بتصرف من « نهاية القول المفيد » ص١٥ وص١٦ مع بعض زيادات .

أيضاً مميزةٌ لها ، لا يقال إنَّ المخارج قد تقدم حكمها ؛ فإنَّا نقول : الصفات أيضاً قد تبين علمها .

والأظهر أن المراد بقوله [٣١] (**وَرَدُّ كُلِّ واحدٍ لأَصْلِهِ**) بيان مخرج كل واحدٍ من الحروف ، فإن معناه أن التجويد هو رَدُّ كل واحد من الحروف[1] لأصله ، أي صرفه إلى أصله من حيزه ومخرجه ، ولكن يَرِدُ عليه أنه كان ينبغي أن يقدم بيان المخرج على الصفة لأن الأول بيان الحقيقة والماهيَّة ، والثاني بيان الصفة والكيفية ، وغاية ما يتكلف في الجواب عنه أن يقال : الواو لمطلق الجمعية لا لإفادة الترتيب بين الجمل المتعاطفة .

(**واللَّفْظُ في نَظِيرِهِ كَمِثْلِه**) المراد بالنظير والمثل هنا واحد ، وكان الأَوْلىٰ أن يقول : واللفظ في شبيهه كمثله ، والكاف زائدة .

والمعنىٰ أنَّ من التجويد أن يتلفظ في اللفظ الثاني مثلما تلفظ[2] بمثله أولاً ، يعني أنه إذا نطق[3] بالحرف مرققاً أو مفخماً أو مشدداً أو مقصوراً أو ممدوداً أو مظهراً أو مدغماً ، وأمثال ذلك وجاء شبيهه مما يقتضي تلك الصفات السابقة فيتلفظ به بلا تفاوت لتكون القراءة على المناسبة والمساواة .

ولا يبعدُ أن يكون النظير على بابه ويراد أن مَدَّه بألف « الرحمٰن » يكون على مقدار مده بياء « الرحيم » وأمثال ذلك .

[٣٢] (**مُكَمِّلاً مِنْ غَيْرِ مَا تَكَلُّفِ**) بكسر الميم ، أي حال كون اللافظ مكمل الصفات حقاً واستحقاقاً ، أو بفتح الميم ، أي حال كون الملفوظ مكمَّلَ الأداءِ مخرجاً وصفةً من غير تكلف وارتكاب مشقة في قراءته بالزيادة على أداء مخرجه والمبالغة في بيان صفته .

و« ما » زائدة لتأكيد النفي .

---

(١) « من الحروف » سقط من « ب » .

(٢) في « ب » : مثلما يتلفظ .

(٣) في « ب » : إذا أراد أن ينطق .

(**بِاللُّطْفِ فِي النُّطْقِ بِلاَ تَعَسُّفِ**) أي وأن يتلفظ في نطقه بالقراءة بلا خروجٍ عن استقامة جادة الأداء إلى طرفي الإفراط والتفريط .

والمعنىٰ أنه ينبغي أن يتحفظ في الترتيل عن التمطيط ، وفي الحدر عن الإدماج والتخليط ؛ فإنَّ القراءة بمنزلة البياض إن قَلَّ صار سمرةً[1] ؛ وإن كثر صار برصاً ، وزاد الإمام حمزة : (وما فوق الجعودة فهو القطط[2] ، وما كان فوق القراءة فليس بقراءة) .

وأما ما ذكره الشيخ زكريا من قوله [٥٢] : (وفي نسخة « باللفظ في النطق ») فلا وجه لصحتها ، فما كان ينبغي له ذكرها إلا مقروناً بالتنبيه على ضعفها .

ثم اعلم أنَّ كتاب الله تعالىٰ يقرأ بالترتيل والتحقيق ، وبالحدر والتخفيف ، والأوَّلُ أولىٰ لظهور المعنىٰ ، والثاني أفضل لتكثير المبنىٰ ، وقد ورد أنه ﷺ قال : (من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أمِّ عبد)[3] ، يعني عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

والمراد بالـ« غضّ » الطري ، فإنه رضي الله عنه كان قد أعطي حظاً عظيماً في تجويد القرآن وتحقيقه وترتيله كما أنزله الله تعالىٰ ، وقد أمره ﷺ أن يُسْمِعَهُ القرآن فقال : أقرأُ عليك القرآن وعليك أنزل ؟! فقال : « نعم ، أحبُّ أن أسمعه من غيري » فقرأ عليه سورة النساء إلى أن وصل إلى قوله : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ٤١] فقال : « حسبك الآن » وكانت عيناه تذرفان[4] .

---

(١) في « أ » : صار مسمراً .

(٢) قال في « القاموس » : الجَعْدُ من الشَّعْرِ خلاف السَّبط ، أو القصيرُ منه ، والقطط : هو القصير من الجعد . اهـ مادة : جعد وقطط ، وما نقله المؤلف عن حمزة في « النشر » ١/ ٢٠٥ .

(٣) رواه ابن ماجه في المقدمة برقم ١٣٨ باب فضل عبد الله بن مسعود ، والحاكم في « المستدرك » ٢/ ٢٢٧ ، وابن أبي شيبة في « المصنف » ١/ ٥٢١ ، والطبراني في « المعجم الكبير » ٩/ ٢٨٨ ، وذكره الناظم في « النشر » ١/ ٢١٢ .

(٤) رواه البخاري في فضائل القرآن برقم ٥٠٤٩ باب من أحب أن يستمع القرآن من غيره ، =

وفي هذا الحديث الوارد في الصحيحين إيماء إلى بيان الطريقين في أخذ القراءة عن الشيوخ ، ولما كان عبد الله من أجلاء علماء القراءة من الصحابة خَصَّه ﷺ بهذه المنقبة

وتجوز القراءة سراً وعلانية ، وبأيهما اقترن نية صالحة كان أعلىٰ وأولى[1] .

وفي « الموطأ »[2] و« سنن النَّسائي »[3] عن حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (اقرؤوا القرآن بلحون العرب[4] وإياكم ولحون أهل الفسق والكبائر »[5] وفي رواية « أهل العشق[6] والكتابين » ، فإنه سيجيء أقوام من بعدي[7] يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة[8] قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم)[9] .

= ومسلم في الصلاة برقم ٨٠٠ باب فضل استماع القرآن ، وأبو داود في العلم برقم ٣٦٦٨ باب في القصص ، والترمذي في التفسير برقم ٣٠٢٤ و٣٠٢٥ باب : ومن سورة النساء ، وأحمد في « المسند » ١/ ٣٨٠ و٤٣٣ ، وابن ماجه في الزهد برقم ٤١٩٤ باب الحزن والبكاء .

(١) في « أ » : أعلى وأغلىٰ .

(٢) « الموطأ » للإمام مالك بن أنس الأصبحي ، ألف كتابه مرتباً على الأبواب الفقهية ، وقد توخّىٰ فيه القوي من أحاديث أهل الحجاز ، ولم يقتصر فيه على المرفوع بل أدخل به ما كان من أقوال الصحابة والتابعين ، وقد بناه على نحو عشرة آلاف حديث من مائة ألف حديث كان يحفظها ، طبع مراراً في مجلدين كبيرين .

(٣) « سنن النسائي » للحافظ أحمد بن شعيب النسائي ، كتاب رتب على أبواب الفقه ، وهو أقل السنن أحاديث ضعيفة ، ولم يخرج في كتابه عن راوٍ أجمع النقاد على تركه ، طبع مراراً في ثمانية أجزاء .

(٤) « بلحون العرب » سقط من « أ » .

(٥) في « ب » : « والكتابين » .

(٦) في « ج » : الفسق .

(٧) في « ب » : « قوم بعدي » .

(٨) من قوله « بالقرآن ترجيع . . . » إلى « مفتونة » سقط من « أ » .

(٩) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » ٧/ ٢٢٧ برقم ٧٢٢٣ ، وقال الهيثمي في « مجمع =

والمراد بـ« ألحان العرب » القراءة بالطباع[1] والأصوات السليقة ، وبـ« ألحان أهل الفسق » الأنغام المستفادة من القواعد الموسيقية ، والأمر محمولٌ على الندب ، والنهي محمول على الكراهة إن حصل معه المحافظة على صحة ألفاظ الحروف ، وإلا فمحمول على التحريم ، والقوم الذين لا تجاوز حناجرَهم قراءتُهم الذين لا يتدبرونه ولا يعملون به ، ومن جملة العمل به الترتيل والتلاوة حق تلاوته .

ونقل الزيلعي[2] من الأئمة الحنفية أنه لا يحل التطريب فيه ولا الاستماع إليه لأن فيها تشبهاً بفعل الفسقة في حال فسقهم وهو التغني ، ولا يعكر عليه قوله ﷺ : (ليس منا من لم يتغن بالقرآن)[3] لأن المراد بالتغني به الاستغناء على ما اختاره سفيان بن عيينة[4] ونقله عنه شارح « المصابيح »[5] ، أو المراد به تحسين الصوت وتزيينه على وفق التجويد وتبيينه لقوله ﷺ : (زينوا القرآن بأصواتكم)[6] .

= الزوائد » ٧/١٦٩ : فيه راوٍ لم يسمَّ ، وبقية ـ أيضاً ـ يعني مدلس ، وأورده في « مجمع البحرين » ٣٤٧٨ ، ولم أجده في سنن النسائي وموطأ مالك بروايتي الحسن ويحيى الليثي .

(١) في « ب » : بالطبائع .

(٢) هو عثمان بن علي بن محجن فخر الدين الزيلعي ، فقيه حنفي ، قدم القاهرة سنة ٧٠٥هـ ، فأفتىٰ ودَرَّسَ وتوفي فيها سنة ٧٤٣هـ ، له كتب ، منها « تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق » و« بركة الكلام على أحاديث الأحكام » . اهـ « الدرر الكامنة » ٢/٤٤٦ .

(٣) رواه البخاري في التوحيد باب رقم ٤٤ ، وورواه أبو داود في الصلاة برقم ١٤٤١ باب استحباب الترتيل في القراءة ، وأحمد في « المسند » ١/١٧٢ و١٧٥ ، ١٧٩ ، وابن ماجه في إقامة الصلاة برقم ١٣٣٧ ، باب حسن الصوت بالقرآن ، والدارمي في الصلاة برقم ١٤٩٨ باب التغني بالقرآن ، وكذا هو عند الحاكم من حديث عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٤) هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي ، أبو محمد ، محدث الحرم المكي ، من الموالي ، ولد بالكوفة سنة ١٠٧ وسكن مكة ، كان حافظاً للحديث ، ثقةً ، واسع العلم ، كبير القدر ، توفي بمكة سنة ١٩٨هـ . اهـ« ميزان الاعتدال » ١/٣٩٧ .

(٥) انظر « شرح السنة » للبغوي ٣/ ٣٤ ، وكتابه شرح لكتاب « مصابيح السنة » ، وهو مطبوع .

(٦) رواه أبو داود في الصلاة برقم ١٤٦٨ باب استحباب الترتيل في القراءة ، النسائي في =

ومن القراءة المنهية ما أحدثه الجماعة الأزهرية حيث يجتمعون فيقرؤون بصوت واحد ويُقَطِّعونَ القرآن[1] فيأتي أحدهم ببعض الكلمة والآخر ببعضها ، ويحذفون حرفاً ويزيدون آخر ، ويحركون الساكن ويسكنون المتحرك وأمثالها ، ويمدون تارةً ويقصرون أخرىٰ في غير محالِّها[2] مراعاة للأصوات خاصةً دون أحوالها مع أنَّ الغرض الأهمَّ من القراءة إنما هو تصحيح مبانيها لظهور معانيها ليعمل بما فيها كما قال الله تعالىٰ : ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص : ٢٩] نعم إذا اجتلبت المباني على أسماع السامع والتالي في أعلى معارضها وأجلىٰ جهات النطق بها كان تلقي القلوب وإقبال النفوس عليها زائداً في الحلاوة على ما لم يبلغ ذلك المبلغ منها ، فحينئذٍ ينتج اكتساب أوامره واجتناب زواجره والرغبة في وعده ، (والرهبة من وعيده)[3] ، وتلك فائدة جسيمة وعائدة عظيمة ، وهذا معنىٰ قوله ﷺ : (زينوا القرآن بأصواتكم) أي أظهروا زينتها بحسن أصواتكم ، وهذا لا ينافي ما ورد من قوله ﷺ : (زينوا أصواتكم بالقرآن)[4] .

وبما تحرر وتقرر من البيان تبيَّن حكمة شرع[5] الإنصات لقراءة القرآن وجوباً في الصلاة وندباً في غيرها ، وحسنُ أدب الأئمة في السكوت على التمام من الكلام لما في ذلك من سرعة وصول المعاني إلى الأفهام .

= الصلاة برقم ١٠١٦ ، ١٠١٧ باب تزيين القرآن بالصوت ، والدارمي برقم ٣٥٠٣ في فضائل القرآن ، باب التغني بالقرآن ، وأحمد في « المسند » ٤/ ٢٨٣ ، و٢٨٥ ، و٢٩٦ ، و٣٠٤ ، وابن ماجه برقم ١٣٤٢ ، والحاكم ١/ ٥٧٥ ، وإسناده جيد .

(١) في « ب » : القراءة .

(٢) في « ب » : محلها .

(٣) ما بين القوسين سقط من « أ » .

(٤) رواه الحاكم ١/ ٧٦٢ ، وعبد الرزاق ٢/ ٤٨٥ ، وذكره في مجمع الزوائد ٧/ ١٧٠ ، وفي رواية عند الطبراني في الكبير ١١/ ٨١ : « أحسنوا . . . » .

(٥) في « ب » : إشراع .

هذا ويؤيد الأخير[1] ما رواه الترمذي[2] وصححه عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة ، والحسنةُ بعشر أمثالها . . .)[3] ولأن عثمان رضي الله عنه وغيرَه قرؤوا القرآن في ركعة[4] ، ويقوي الأول ما ورد في حديث : (من قرأ القرآن أقل من ثلاث لم يفهمه)[5] ومال إلى هذا القول ابن مسعود وابن عباس وغيرهم من الصحابة رضوان الله تعالىٰ عليهم أجمعين .

هذا وقال المصنف رحمه الله : (رُوِّينا بسند صحيح عن أبي عثمان النهدي[6] قال : صلىٰ بنا ابن مسعود رضي الله عنه بـ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ووالله لوَددت أنه قرأ سورة البقرة من حسن صوته وترتيله ، وهذه سنة الله تبارك وتعالىٰ فيمن يقرأ القرآن مجوداً مصححاً كما أنزل ، تَلْتَذُّ الأسماع بتلاوته

---

(١) يعني قول المؤلف قبل قليل « والثاني أفضل لتكثير المبنى » أي قراءة القرآن بالحدر أفضل لتحصيل الأجر الأوفر لكثرة الحروف .

(٢) هو محمد بن عيسىٰ بن سورة بن موسى الترمذي ، من أئمة علماء الحديث وحفاظه ، ولد سنة ٢٠٩هـ ، تتلمذ للبخاري وشاركه في بعض شيوخه ، وكان يضرب به المثل في الحفظ ، توفي سنة ٢٧٩هـ ، من تآليفه « سنن الترمذي » و« العلل » في الحديث ، و« الشمائل النبوية » . اهـ « الأعلام » ٤/ ١٠٥ .

(٣) تتمة الحديث « لا أقول آلم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » رواه الترمذي في فضائل القرآن برقم ٢٩١٠ باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر ، والدارمي برقم ٣٣٥٩ ، قال الذهبي : حسنه الترمذي فلم يحسن . اهـ انظر « الفتح » ٩/ ٦٦ .

(٤) أورده النووي في « التبيان في آداب حملة القرآن » ، ص٤٨ .

(٥) رواه البخاري برقم ٥٠٥٢ ، والترمذي ٢٩٤٩ ، والنسائي في « الكبرىٰ » ٧/ ٨٠ ، وابن ماجه برقم ١٣٤٧ ، وابن خزيمة برقم ٢١٠٥ ، وابن حبان ٣٦٤٠ ، والدارمي ١/ ٣٥٠ ، وأحمد برقم ٦٨٤١ ، وإسناده صحيح على شرط الشيخين ، وأما لفظ « لم يفهمه » فلم أجده عند أحمد ، وإنما الروايات دائرة بين « لم يفقهه » و« فهو راجز » .

(٦) عبد الرحمن بن مُلٍّ البصري ، مخضرم معمر أدرك الجاهلية والإسلام ، أسلم زمن عمر وتوفي سنة ١٠٠هـ . « طبقات ابن سعد » ٧/ ٩٧ و« سير أعلام النبلاء » ٤/ ١٧٥ .

وتخشع القلوب عند قراءته حتى يكاد أن يسلب العقل عن حالته . . .) .

قال : (ولقد أدركنا من شيوخنا من لم يكن له حسن صوت ولا معرفة بالألحان إلا أنه كان جيد الأداء قيماً باللفظ والبناء ، فكان إذا قرأ أطرب المسامع وأخذ من القلوب بالمجامع ، وكان الخلق يزدحمون عليه ويجتمعون للاستماع إليه . . .) قال : (وأخبرني جماعة من شيوخي وغيرهم أخباراً بلغت التواتر عن شيخهم الإمام تقي الدين محمد بن أحمد الصائغ[1] المصري رحمة الله تعالىٰ عليه وبركاته وكان أستاذاً في التجويد أنه قرأ يوماً في صلاة الصبح ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ [النمل : ٢٠] وكرر هذه الآية فنزل طائر على رأس الشيخ ليستمع قراءته حتىٰ أكملها فنظروا إليه فإذا هو هدهد) قال : (وبلغنا عن الأستاذ الإمام أبي علي[2] البغدادي[3] المعروف بـ« سبط الخياط » صاحب « المبهج »[4] وغيره في القراءات أنه كان قد أعطي من ذلك حظاً عظيماً وأنه أسلم على يده جماعة من اليهود والنصارىٰ من سماع قراءته وحسن صوته)[5] اهـ .

(١) وهو محمد بن أحمد بن عبد الخالق المصري الشافعي ، تقي الدين ، أبو عبد الله ، المعروف بـ« ابن الصائغ » ت٧٢٥ ، وترجمته في « غاية النهاية » ٢/ ٦٥ ، ٦٧ ، « طبقات الشافعية » لابن قاضي شهبة ٢/ ٧٨٢ ، و« شذرات الذهب » ٨/ ١٢٣ ، ١٢٤ ومن تلاميذه محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي الحسن القاهري الدمشقي الزمردي الأديب الحنفي ، شمس الدين أبو عبد الله الشهير بابن الصائغ الحنفي النحوي ، وتوفي (٧٧٦هـ) ومن تلاميذه شمس الدين بن الجزري المصنف للجزرية توفي سنة (٨٣٣هـ) اهـ . انظر « كشف الظنون » ٢/ ١٣٢٩ ، و« بغية الوعاة » ١/ ١٥٥ ، و« شذرات الذهب » ٨/ ٤٢٧ .

(٢) في النسخة المطبوعة من النشر (أبي محمد عبد الله بن علي . . .) وهو الصواب .

(٣) عبد الله بن علي شيخ القراء في عصره ، وكان عالماً بالنحو واللغة ، من مؤلفاته : « الإيجاز في القراءات السبع » ، و« الاختيار في القراءات السبع » . ولد سنة ٤٦٤ وتوفي سنة ٥٤١ « معرفة القراء الكبار » ١/ ٤٩٥ .

(٤) « المبهج » في القراءات الثمان وقراءة ابن محيصن والأعمش واختيار خلف واليزيدي للإمام الكبير الثقة البغدادي المعروف بـ« سبط الخياط » ، وهو مطبوع .

(٥) « النشر في القراءات العشر » لابن الجزري ١/ ٢١٣ .

وفي الحديث عن زيد بن ثابت عن النبي ﷺ أنه قال : « إنَّ الله يحب أن يقرأ القرآن كما أُنزل » أخرجه ابن خزيمة في صحيحه[1] ، ويؤيده قوله تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ [البقرة : ١٢١] .

وفي صحيح البخاري عن أنس أنه سُئِلَ عن قراءة رسول الله ﷺ فقال : (كانت قراءته مَدّاً ـ أو مداء ـ بسم الله الرحمٰن الرحيم ، يمد « الله » ويمد « الرحمٰن » ويمد « الرحيم »)[2] .

أما الأولان فمدُّهما طبيعي قدر ألف ، وأما الأخير فمده عارض بالسكون فيجوز فيه ثلاثة أوجه : **الطول** ، وهو مقدار ثلاث ألفات ، **والتوسط** ، وهو قدر ألفين ، **والقصر** ، وهو قدر ألف .

وقال قاضيخان[3] في « فتاواه » : (لو قرأ القرآن في صلاته بالألحان إن غَيَّرَ الكلمة تفسد صلاته لما عرف ، فإن كان ذلك في حرف المد واللين لا تفسد ، إلا إذا فحش)[4] اهـ . وفيه بحث ؛ إذْ فُحْشُ امتداد حروف المد لا يغير المعنىٰ أبداً .

قال : (وعند الشافعي الخطأ في غير الفاتحة لا يفسد الصلاة ؛ لأنَّ الكلام عنده لا يقطع الصلاة إذا لم يكن متعمداً ، وهذا ليس بمتعمد لأنه يريد قراءة القرآن ، وإنما تفسد الصلاة بالخطأ في الفاتحة لأنه عنده لا تجوز الصلاة بدون الفاتحة ، وإنَّ قراءة القرآن بالألحان في غير الصلاة اختلفوا في جوازه ، وعامة

---

(١) لم أجده في القسم المطبوع من ابن خزيمة ، وقد ذكره السيوطي في « جمع الجوامع » برقم ٥٢٢٥ ، والبرهان فوري في « كنز العمال » برقم ٣٠٦٩ ، وسنده ضعيف .

(٢) رواه البخاري في فضائل القرآن برقم ٥٠٤٦ باب مد القراءة ، وأحمد في « المسند » ٣/ ١٢٧ ، ١٩٨ ، وهو في « مصابيح السنة » للبغوي برقم ١٢٠٧ .

(٣) هو حسن بن منصور بن أبي القاسم فخر الدين المعروف بـ« قاضي خان » الآوزجندي الفرغاني ، فقيه حنفي من كبارهم ، توفي سنة ٥٩٢هـ ، له كتب ، منها « الفتاوى » و« الأمالي » و« الواقعات » . اهـ « الفوائد البهية » ٦٤ .

(٤) انظر « فتاوى قاضيخان » ١/ ٨٢ .

المشايخ على منعه ، وكرهوا الاستماع أيضاً لأنه تشبه بالفسقة بما يفعلونه في فسقهم ، وكذا الترجيع في الأذان)[1] اهـ .

ولعل محل اختلاف الجواز ما لم يغير المبنىٰ والمعنىٰ ، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

ثم رأيت في « شرح منية المصلي »[2] : (رجل يقرأ ويلحن يجب على السامع أن يرده إلىٰ الصواب إن علم أنه لا يقع بسبب ذلك عداوةٌ وضغن ، وإلا فهو في سعة من تركه)[3] .

---

(١) المرجع السابق نفسه ، وللترجيع في الأذان معنيان أحدهما : تمويج الصوت ، أو رفع توتر الصوت ثم خفضه وإعادة الرفع والخفض في المد الواحد ، وهو المقصود هنا ، وثانيهما : إعادة الشهادتين جهراً بعد الإسرار بهما ، وهو غير واردٍ عند الحنفية لأنَّ سيدنا بلالاً رضي الله عنه لم يرجع وكذا ابن أم مكتوم ولم يرد في حديث عبد الله بن زيد ، وهو سنة عند الشافعي ومالك وأحمد لثبوت ذلك عند الستة إلا البخاري من حديث أبي محذورة رضي الله عنه ، قال النووي : وحجة الجمهور هذا الحديث الصحيح والزيادة مقدمة مع أنَّ حديث أبي محذورة هذا متأخر عن حديث عبد الله بن زيدٍ ، فإن حديث أبي محذورة سنة ثمان من الهجرة بعد حنين ، وحديث ابن زيد في أول الأمر ، وانضم إلى هذا كله عمل أهل مكة والمدينة وسائر الأمصار وبالله التوفيق . اهـ

وقال الحنفية : إن ذلك كان تعليماً لأبي محذورة فظنه ترجيعاً وكان حديث عهدٍ في الإسلام فأخفىٰ كلمتي الشهادة حياءً من قومه ففرك النبي ﷺ أذنه وأمره أن يعود فيرفع صوته ليعلم أنه لاحياء من الحق ، والله أعلم بالصواب . اهـ انظر « المنهاج » للنووي ٤/٣٠٣ ، و« مغني المحتاج » للشربيني ١/٢١١ ، و« مراقي الفلاح » للشرنبلالي ص٢١٩ ، و« حاشية الطحطاوي » على المراقي ص١٠٦ .

(٢) « حلية المجلي وبغية المهتدي شرح منية المصلي » المنية تأليف سديد الدين محمد بن محمد الكاشغري المتوفىٰ سنة ٧٠٥هـ هي مختصر في الصلاة وأحكامها ، أخذها من الهداية ، والمحيط وشرح الإسبيجابي والغنية والمتلقط والذخيرة وفتاوىٰ قاضيخان وجامعيه ، وأما الحلية : فتسمىٰ مختصر غنية المتملي في شرح منية المصلي أو شرح الحلبي ، أو حلبي صغير ، تأليف إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الحلبي المتوفي سنة ٩٥٦هـ . اهـ فهرس مخطوطات الفقه الحنفي .

(٣) انظر « حلية المجلي » للحلبي ص٢١٨ .

ويكره الترجيع والتلحين بقراءة القرآن عند عامة المشايخ لأنه تشبه بفعل الفسقة ، وهذا إذا كان لا يغير الحروف ، أما اللحن المغير فحرام بلا خلاف وهو الغاية في المدعىٰ .

[٣٣] (وليْـسَ بَيْنَـهُ وبيـنَ تـركِـهِ   إلا رِيَـاضَـةَ امـرِئٍ بِفَكِّـهِ)

اسم « ليس » قولُه « بينه » فإنه ظرف لمقدر هو اسمٌ حقيقة وهو « فرقٌ » . و« إلا » بمعنىٰ غير ، و« رياضة » خبر ليس ، و« بِفَكِّهِ » متعلق برياضة .

والمعنىٰ : ليس بين التجويدِ وتركه فرقٌ ـ بمعنىٰ فارق ـ إلا مداومةُ امرىءٍ على التكرارِ وسماعه من ألفاظ المشايخ الحذاق الأبرار لا مجرد اقتصار على النقل من الكتب المدونة أو اكتفاء بالعقل المختلف الأفكار .

والفكان ملتقى الشِّدقين من الجانبين على ما قاله ابن المصنف وغيره ، وهو[١] بالكسر ويفتح ، ودالُه مهملة : جانب الفم ، وجمعه الأشداق كما في « الصحاح »[٢] .

وقال بعض الشراح : (إنَّ الفكَّ اللَّحْيُ) وهو موافق لما في « الصحاح » و« القاموس »[٣] ، والمراد به منبت اللحية .

قال خالد [٥٣] : (يريد به فكيه) يعني الإضافة للجنس .

وقال ابن المصنف [١٨] : (أي بفمه ، وهذا من إطلاق الجزء والمراد به الكل) . اهـ وتبعه غيره ، ويرده تفسيرُ « القاموس » للفك بـ« منبت اللحىٰ » فإنه ليس من أجزاء الفم أصلاً .

والأظهر أن المراد به ذكر المحل وإرادة الحالِّ وهو اللسان المعتبر للبيان .

---

(١) أي الشدق .

(٢) « الصحاح » لإسماعيل بن محمد الجوهري (ت٣٩١) ، وكتابه من أقدم ما صنف في العربية من معجمات الألفاظ ، وهو معجم مرتب حسب أواخر الكلمات ، طبع مراراً طبعات عديدة ، والمعلومة المنقولة عنه في مادة : شدق .

(٣) « الصحاح » مادة : فكك ، و« القاموس » مادة : فكك ولحي .

هذا ولله دَرُّ الناظم حيث قال : (ولا أعلم سبباً لبلوغ نهاية الإتقان والتجويد ووصول غاية التصحيح والتسديد[1] مثل رياضة الألسن والتكرار على اللفظ المتلقىٰ من فم المحسن)[2] اهـ .

[الترقيق والتفخيم] :

وإذا عرفت أنَّ التجويد ما ذكره أرباب التدقيق[3] والتأييد [٣٤] (فَرَقِّقَنْ) بالنون المؤكدة المخففة (مُسْتَفِلاً مِنْ أَحْرُفِ) بالنقل والحذف ، ويجوز من غير نقل أيضاً ، و« من » بيانية للذات الموصوفة بنعت الاستفالة ، وهي ما عدا الحروف السبعة المستعلية المجتمعة في « خُصَّ ضغطٍ قظ » فلا يجوز تفخيم شيء من الحروف المستفلة[4] إلا اللام من اسم « الله » الواقعة بعد الفتحة أو الضمة ، وإلا الراء علىٰ تفصيل سيأتي بيانه في أثناء هذه المقدمة ، وأما الحروف المستعلية فمفخمة كلها من غير استثناء شيء منها[5] .

(وحاذرن) بالنون المخففة المؤكدة في بعض النسخ المصححة ، وهو الملائم للمطابقة بين المتعاطفين على أنه لا يحتاج إلى تقدير عامل مع إفادة المبالغة من صيغة الأمر على بناء المفاعلة التي هي موضوعة للمبالغة .

فالمعنىٰ احذر البتة (تفخيمَ لَفْظِ الأَلِفِ) وفي نسخة بالتنوين في « حاذرن » ، والتقدير : كن حاذراً من تفخيمها خصوصاً الألف من بين الحروف المستفلة إلا أنها مقيدة بما إذا كانت بعد حرف مستفل ؛ لأنها إذا كانت بعد حرفٍ مستعلٍ فإنها تكون تابعة له في التفخيم بناءً على القاعدة

---

(١) في « ب » : والتشديد .
(٢) « النشر في القراءات العشر » ١/ ٢١٣ .
(٣) في « ج » و« د » : التوفيق .
(٤) في « أ » : المستعلية ، وهو خطأ ظاهر .
(٥) يراعى أن الحروف المستعلية غير المطبقة وهي : الغين والقاف والخاء إذا كسرت أو سكنت بعد كسر تكون في أدنى درجات التفخيم .

المقررة من أنَّ **الألف ملازمة للحرف الذي قبلها بدليل وجودها بوجوده وعدمها بعدمه** ، ولذلك لا يكون قبل الألف إلا مفتوح ، فحيث كانت الألف مع حرف مستعلٍ أو شبهه مما يستحقُّ التفخيم استعلت الألف للزومها له ففخمت ، وحيث كانت مع حرف مستفل استفلت الألف للزومها له فرققت .

والمراد بشبه الحرف المستعلي الراء المفتوحة لأنها تخرج من طرف اللسان وما يليه من الحنك الأعلىٰ ، والحنك الأعلى(١) محلُّ حروف الاستعلاء ، وبهذا المبنىٰ تحقق الشبه بين الراء وحروف الاستعلاء في المعنىٰ ، كذا قرره ابن المصنف وغيره ، ثم قال : (ولا اعتبار بقول من قال ينبغي المحافظة على ترقيق الألف خصوصاً إذا جاءت بعد حرف الاستعلاء ، فإن الذي ذكرناه هو الحق ، وقول الناظم رحمه الله محمول على ما ذكرناه وبه نأخذ) [١٩] يعني ولو كان لفظه مطلقاً لكنه ينبغي أن يعتبر مقيداً جمعاً بين قوله وقول غيره من المحققين ، وقد قال المصنف في « نشره » : (إن الألف إذا وقعت بعد حرف التفخيم تفخم إتباعاً لما قبلها نحو : ﴿طال﴾ ، و﴿قال﴾ ، و﴿العصا﴾ ، لأن الألف لا حيز لها حتى توصف بالترقيق والتفخيم ، فتكون تابعةً لما اتصلت به)(٢) اهـ

وبه يعلم ضعف ما مشىٰ عليه المصنف في « التمهيد » وجزم به شيخه ابن الجندي(٣) حيث قال : (إن تفخيمها بعد حرف الاستعلاء خطأ)(٤) اهـ .

---

(١) قوله : « والحنك الأعلى » سقط من « أ » ، وفي « ج » : « من الحنك الأعلى وهو محل . . . » .

(٢) « النشر في القراءات العشر » لابن الجزري ١/ ٢١٥ .

(٣) هو عبد الله بن أيْدُغْدِي بن عبد الله الشمسي الشهير بـ« ابن الجندي » شيخ مشايخ القراء بمصر ، أستاذ كامل ناقد ثقة ، ولد سنة ٦٩٩ وله شرح على الشاطبية ، توفي سنة ٧٦٩هـ . اهـ « غاية النهاية » لابن الجزري ١/ ١٨٠ .

(٤) إن كلام ابن الجزري في « النشر » مؤيد لما في « التمهيد » ، ولا معنىٰ لقول المؤلف بضعف ما مشىٰ عليه ابن الجزري في « التمهيد » ؛ لأنه بيَّنَ في « النشر » معنىٰ ترقيق الألف بعد=

فلا ينبغي حمل كلامه هذا علىٰ إطلاقه كما جوزه بعض الشراح ؛ فإن المصنف صنف « التمهيد » أولا في سن البلوغ ، والعمدة على تصنيفه « النشر » فإنه وقع آخراً ، وهو الحق كما جزم به القسطلاني(١) .

وقال الشارح الرومي [٣٣] : (لَمَّا اشتهر عند بعض الأعاجم ـ لاسيما الأروام ـ تفخيم الألف حيث يصيرونها كالواو أَمَرَ بالتحرز عن مثل هذا التفخيم لا عن تفخيمه مطلقاً لما سبق من أنَّ الألف بعد الحرف المستعلي تفخم اتفاقاً) .

ثم قال : (وإنما حملنا كلامه(٢) علىٰ ذلك بناءً على أنَّ تقدير كلامه(٣) أن يقال : يجب ترقيق الألف إذا كان بعد حرف مستفل ، كما فعله ولد المصنف في شرحه مما لا تساعده العبارة ، فَحَمْلُ كلامه على هذا التقييد لا يخلو عن التعقيد) .

= الحروف مطلقاً فقال : « وما وقع من كلام بعض أئمتنا ـ يعني شيخه ابن الجندي ـ من إطلاق ترقيقها فإنما يريدون التحذير مما يفعله بعض العجم من المبالغة في لفظها إلى أن يصيروها كالواو ، أو يريدون التنبيه على ما هي مرققة فيه ، وأما نصُّ بعض المتأخرين على ترقيقها بعد الحروف المفخمة فهو شيء وهم فيه ولم يسبقه إليه أحد ، وقد رَدَّ عليه الأئمة المحققون من معاصريه . . . » اهـ ، وبهذا يتبين لك صحة ما في « التمهيد » ، وقد أسعف المؤلف نفسه بقوله : « فلا ينبغي حمل كلامه هذا على إطلاقه كما فعله بعض الشراح » وما نقلته لك من « النشر » هو معنىٰ قول الشارح الرومي الذي ذكره المصنف في الأعلى : « لَمَّا اشتهر عن بعض الأعاجم لا سيما الأروام تفخيم الألف حيث يصيرونها كالواو أمر بالتحرز عن مثل هذا التفخيم » والله أعلم ، وسيذكر المؤلف ما نقلته لك عن ابن الجزري بعد قليل عند استشكال الشارح المصري لكلام شيخ الإسلام .

(١) هو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني المصري ، أبو العباس ، شهاب الدين ، من علماء الحديث والقراءات ، له كتب منها « لطائف الإشارات لفنون القراءات » و« شرح صحيح البخاري » و« الكنز » في التجويد ، و« شرح البردة » ، توفي سنة ٩٢٣هـ . « الضوء اللامع » ٢/ ١٠٣ .

(٢) في « أ » : كلامهم .

(٣) في « ب » : على تقرير كلامه .

قلت : وكذا حمل التفخيم الذي ضده الترقيق المعروفين[١] عند أهل التحقيق على التفخيم العرفي اللغوي عند العامة بعيد عن اصطلاح الخاصة .

وأما الإطلاق والتقييد فقد وقع في كلام الفصحاء والبلغاء مما لا ينكره أحد من العقلاء .

ثم قال : (وأما السكوت عن التحرز عن تفخيمه إذا كان بعد حرف مستفل فذلك أمر ظاهرٌ لا يحتاج إلى التصريح بذكره ؛ إذ يعرف كل من له أدنىٰ دراية أن الحروف إذا فخمت تفخم حركتها وإذا رققت رققت ، فكذا ما يكون تابعاً لحركتها ـ أعني الألف ـ وهذا من الظهور بحيث لا يساعد اللسان خلافه فلا حاجة إلى التعرض لأمثاله) .

قلت : أما قوله (إنه أمر ظاهر) فليس يقول به الأكابر ، وعلى تقدير ظهوره عند الخاصة لا بد من تقريره وتحريره في مقام تعليم العامة ، فالقول قول ابن المصنف عند المنصف دون المتعسِّف .

وقد أبعد شارح حيث قال : (الظاهر أنَّ مراده بالألف الهمزة مطلقاً مصدَّرَةً كانت أو متوسطة أو متأخرة ؛ إذ الألف القائمة لازمة[٢] لفتحة ما قبلها فتلزمُ صفته أيضاً من ترقيقٍ وتفخيم لها) . اهـ .

ووجه البعد لا يخفىٰ ؛ إذ الهمزة حيزها محقق وهي حلقية ، والألف جوفية هوائية فلا يصح إطلاق أحدهما على الآخر إلا على طريقة مجازية دون إرادةٍ حقيقية مع أنه لا فائدة حينئذٍ لذكرها مع دخولها في عموم ما قبلها وإنما حَذَّرَ من تفخيم الألف لانفتاح الفم عند التلفظ بها ، وذلك يؤدي إلىٰ تسمين الحرف وتفخيمه .

وقال الشارح المصري : (وما علل به شيخ الإسلام ـ يعني زكريا ـ تبعاً لابن المصنف بقوله : وذلك لأنها لازمة. . .الخ فيه بحث ؛ فإننا لا نُسَلِّمُ أنَّ

---

(١) في « ب » : المعروف .

(٢) في « ب » : ملازمة .

الألف لازمة لفتحة ما قبلها بل هي لازمة للألف لأنها توجد بوجود الألف ، وتَعْدِمُ الألف بعدمها ولا عكس ؛ بدليل قولهم « ضَرَبَ ضَرْباً » ، فظهر أن فتحة ما قبل الألف في « ضرباً » وهي الباء لا تعدم بعدم الألف ، ولا توجد الألف بوجودها ، وإلا لم يقولوا « ضَرَبَ » من غير ألف) . اهـ

ولا يخفىٰ أنَّ قوله هذا مبني على تحريف المبنىٰ وتصحيف المعنىٰ ؛ إذ المراد بقولهم (إنَّ الألف لازمة للحرف الذي قبلها بدليل وجودها بوجوده وعدمها بعدمه) أنَّ الألف بذاتها لا يمكن تحقق وجودها إلا بوجود حرفٍ قبلها ، إذ لا يتصور ألف من غير تقدم حرفٍ عليها ، غايته أنَّ حركة ذلك الحرف الذي قبلها لا تكون إلا فتحة دون أختيها ، فتسقط علته التي ذكرها من أصلها .

وأما قول الجعبري : (إياك وتفخيم الألف المصاحبة لِلاَّم كالصلاة والطلاق وطال فإنه لحنٌ. . .)[1] فمحمول على قراءة غير ورش ؛ إذِ اللاَّم مرققة في هذه الأمثلة عند الجمهور ، ولا وجه لتفخيم الألف حينئذٍ بعد ترقيق اللام التي هي من حروف الاستفالة فصحت القاعدة السابقة أنَّ الألف تتبع ما قبلها في تفخيمها وترقيقها ، وأما إدخال « طال » فوهمٌ منه[2] ؛ لأنه ليس من الأمثلة التي فيها الألف مصاحبة للاَّم بل هي مصاحبة للطاء ، وهي من حروف الاستعلاء فتفخم تبعاً للطاء البتة ، وإنما الكلام في لامه على قاعدة ورش من أنَّ الطاء إذا تقدمت على اللام واتصلت بها سواء فتحت أو سكنت تفخم ، وأما إذا فُصِل بينهما بالألف كـ« طال » و« يصَّالَحَا » فهل تفخم اللام أو ترقق ؟ فوجهان ، والمفخم مفضل عند الأعيان .

---

(١) انظر « كنز المعاني » للجعبري ص١١٣ .

(٢) يمكن الاستغناء عن كل ما ذكر من وهم الجعبري والتفصيل في كيفية وهمه بأن نقول : إنما مَثَّلَ بـ« طال » ولم يعتد بالألف فاصلة جرياً على مذهب من لم يعتد بها من رواة ورش ، ومما يؤيد ذلك أنَّ هذا اللفظ مظنَّة وقوع القراء بخطأٍ به فيفخموا لامه .

وأما قول المصري : (وكذلك لا يجوز تفخيم الألف الواقعة بعد الراء ، وإن كانت الراء عند الناظم شبه المستعلي ، لتصريحه في « تمهيده » بالتحذير من ذلك) فمدفوع بما سبق من أنَّ المعتبر ما اختاره في « النشر » فتدبر[1] .

وأما قوله : (وفيه تصريح أيضاً بأنه لا بُدَّ من تفخيمها إذا كانت بعد اللاَّم المفخمة نحو : ﴿إِنَّ اللهُ﴾ ، و﴿الصَّلَاةَ﴾ ، و﴿الطَّلَاقِ﴾ في مذهب ورش)[2] قال : (وبعض الناس يتبعون الألف اللام يعني يفخمونها وليس بجيد)[3] فهو الصواب المطابق لما قدمناه في هذا الباب .

وأما قوله : (وما ذكره الشيخ زكريا تبعاً لابن المصنف من قوله « لأنها تخرج من طرف اللسان . . . » إلخ . لا يصلح تعليلاً لما فُهِمَ من كلامه من كون الراء شبهاً للمستعلي لأنه يستلزم أن تكون النون واللام شبيهتين له لوجود العلة المذكورة ولم يقل به أحد لا هو ولا غيره) فمردود لأنَّ العلة لا تستلزم أن تكون مطردة مع أنَّ القوم اعتبروا تفخيم الراء في حالة واحدة وهي الواقعة قبل الألف مع إجماعهم[4] على أنَّ النون واللاَّم إذا وقعتا قبل الألف لا تفخمان .

والحاصل : أنَّ الصحيح بل الصواب هو الذي مشىٰ عليه الناظم في « النشر » حيث قال : (وأما الألف فالصحيح أنها لا توصف[5] بترقيق ولا تفخيم بل بحسب ما تقدمها فإنَّها تتبعه ترقيقاً وتفخيماً ، وما وقع في كلام بعض أئمتنا من إطلاق ترقيقها فإنما يريدون التحذير مما يفعله بعض العجم من

---

(١) حذر ابن الجزري في « التمهيد » من تفخيم الألف بعد اللام المفخمة ، فإن كان المقصود مطلق التفخيم فالكلام غير صحيح ، وإن كان المقصود المبالغة في التفخيم جداً حتى تصبح كالواو فكان ينبغي تحديده ، وعبارته في « النشر » أدق وأوضح ، وسيذكرها الشارح قريباً .

(٢) قوله : « في مذهب ورش » تخصيص بعد التعميم ؛ لأن قوله « إن الله » عام عند جميع القراء ورش وغيره بالتفخيم ، وقوله « الصلاة والطلاق » خاص بورش .

(٣) هاتان العبارتان موجودتان في « التمهيد » ١٤٩ .

(٤) في « أ » : اجتماعهم .

(٥) في « أ » : أنها توصف ، وفيه سقط من الناسخ .

المبالغة في لفظها إلىٰ أن يصيروها كالواو ، وأما نَصُّ بعض المتأخرين على ترقيقها بعد الحروف المفخمة فهو شيء وَهِمَ فيه ولم يسبقه إليه أحد ، وقد رَدَّ عليه الأئمة المحققون من معاصريه)[1] .

وأما قول المصري : (النون في قوله « فرقِن » و« حاذرن » نون التأكيد الخفيفة ورسما بالألف وفاقاً لرسم قوله تعالىٰ : ﴿وَلَيَكُونًا﴾ بيوسف ، و﴿لَنَسْفَعًا﴾ بإقرأ) فمدفوع[2] ؛ إذ خطان لا يقاسان : رسم المصحف والعروض .

وأما قوله : (ويحتمل أن يكون حاذرن اسم فاعل من حاذرت الشيء بمعنىٰ تحذَّرت) فخطأ ؛ لأن اسم الفاعل من « حاذر » إنما يكون « محاذراً » لا « حاذرن »[3] ، وإنما يصح كونه اسم فاعل من « حَذِرَ » الثلاثي المجرد .

[٣٥] (وَهَمْزَ أَلْحَمْدُ أَعُوذُ إِهْدِنَا) بحذف العاطف فيهما على قبيلِ التعداد في بيان الأمثلة .

وقَطَعَ همزة وصل « الحمدُ » ضرورةً ، ورفَعَ « الحمد » حكايةً ، ويجوز إعرابه لو ثبت روايةً .

ونَصْبُ « هَمْزَ » على تقدير : فرقِن همزَ الحمد .

ويجوز جره على تقدير : وحاذرن تفخيم همزِ الحمد .

وأما ما جعله الشارح اليماني من قوله : (كهمز الحمد) أصلاً ، ثم قال : (وفي بعض النسخ « وهمز » بالواو) فغير مقبول لأنه مخالف للأصول

---

(١) « النشر » لابن الجزري ١/ ٢١٥ .

(٢) تكتب نون التوكيد الخفيفة على هيئة التنوين إذا سبقها فتح ويوقف عليها بالإبدال ألفاً نحو : رَقِّقاً ، حَاذِرَاً ، وقد تكتب بالنون ويوقف عليها بالإبدال ألفاً ، أما إذا سبقها ضم أو كسر فتكتب بالنون ويوقف عليها بحذف نون التوكيد وإعادة ما حذف لأجلها من واو أو ياء ، فيوقف على اضربُن يا رجال (اضربوا) ، وعلى اضربِن يا امرأة : اضربي . « شرح ابن عقيل » ٢/ ٣١٩ ، و« شرح قطر الندى » ١٥٣ .

(٣) « لا حاذرن » سقط من « أ » .

المصححة والنسخ المعتبرة المشروحة ، وإن كان لكاف[1] التشبيه وجهٌ في العربية ؛ إذ يصح أن يقال : التقدير رقّقن مستفلاً كهمز الحمدُ ، وحاذرن تفخيم لفظ الألف كتفخيم همز الحمد .

وعلى كل تقدير فالكلام تتميم وتخصيص بعد تعميم ، وإنما حَذَّر من تفخيم الهمزة بخصوصها وأمر بترقيقها بعد دخولها في الحروف المستفلة ومعرفة حكمها في الجملة لئلا تنقلب عيناً بانقلاب صفتها كما هو مسموع عن بعض الجهلة عند قراءتها ، فالمراد إيجاب ترقيقها مطلقاً سواء جاورها مرقق كالحمدُ وأعُوذُ وإهدنا ، أو مفخم كاسم « الله » ، أو جاورها رخو كالهاء من « اهدنا » ، أم متوسط بين الشدة والرخوة كاللام من « الحمد » ، والعين من « أعوذ » ، أم جاورها متحد معها في أصل مخرجها كالعين من « أعوذُ » أيضاً ، أو لا ، إلا أنه لما كانت هذه الأمثلة مظان التقصير في ترقيقها خَصَّ ذكرها حذراً من تفخيمها .

قال في « النشر » : (فإن كان ـ أي الملاقي للهمزة ـ حرفاً مجانسها أو مقاربها كان التحفظ بسهولتها أشد وبترقيقها آكد نحو : أعوذ ، اهدنا ، أعطىٰ ، أحطنا ، أحق ، فكثير من الناس ينطق بها في ذلك كالمتهوع)[2] انتهىٰ ، يقال : تهوَّع القيء إذا تكلفه .

(اللهِ ثمَّ لامَ للهِ لَنَا) « الله » بالجر ، أي همزَ اللهِ في الابتداء ، أو وصلاً حالة النداء لمجاورتها اللام المفخمة في الأداء .

ثم « لام » فيها الوجهان السابقان في « الهمز »[3] ، وأمر بترقيق اللام الأولى من « لله » لكسرتها الموجبة لترقيق لام الجلالة ، ولام « لنا » لمجاورتها النون كما قاله ابن المصنف وغيره .

---

(١) في « أ » : وإن كان لكان التشبيه .

(٢) المرجع السابق ١/٢١٦ .

(٣) وهما النصب على التقدير : ورققن لام لله ، والجر على تقدير : وحاذرن تفخيم لام لله .

[٣٦] (وَلْيَتَلَطَّفْ وعلَى الله وَلاَ الض) أمر بترقيق لامي « وليتلطف » لمجاورة الأولىٰ الياء الرخوة ، ولمجاورة الثانية الطاء المستعلية .

وأما ما قاله بعضهم من جواز تفخيم اللام الثانية لوقوعها بين تاء وطاء فمردود كما قطع به الجعبري وفاقاً لغيره من المحققين .

وترقيقِ اللام الأولىٰ من « على الله » لمجاورتها لام الجلالة المفخمة ، وكذا اللام الأولىٰ من قوله : ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ لمجاورتها الضاد المستعلية .

وإنما قطع المصنف الكلمة للضرورة ، وإلا فلا يجوز مثل هذا إلا في حالة الاضطرار ، لا في حالة الاختيار[١] لا قراءةً ولا كتابةً .

وأما قول المصري : (إنما وقف على الضاد الساكنة من « ولا الضالين » لأنها بدل عن لام التعريف أي بقلبه ضاداً عند إرادة إدغامه) فغير مفيد لوجه الاعتذار عن المصنف لأنه بعد الإدغام يصير ضاداً مشدداً لا يجوز فكه مع أنَّ القلب لا يصح إلا عند اجتماعه مع الضاد دون انفكاكه عنه على أنَّ الوقف على لام التعريف وقطعه عن مدخوله لا يصح لا كتابةً ولا قراءةً بلا خلاف بين أرباب الدراية والرواية ، فيتعين أن يكون فَعَلَ[٢] هذا للضرورة ، فلا يصح مقابلة قوله هذا بقوله : (وقيل لضرورة النظم) .

ثم قاعدة ورش في تفخيم اللام محله « الشاطبية » وغيرها من كتب القراءات الموضوعة للوجوه الخلافية ، والشيخ إنما التزم في مقدمته الأمور الضرورية الوفاقية[٣] .

(والميمَ مِنْ مَخْمَصَةٍ وَمِنْ مَرَضْ) لمجاورة الميمين الأوليين للحرفين المفخمين ، وكذا الميم الأخيرة .

---

(١) في « أ » : لا حاجة الاختيار .

(٢) في « أ » : فعله .

(٣) انظر خلاصة بحث اللام لورش في كتاب « صرف العنان » للشيخ عبد الغني النابلسي عند بحث اللامات في الحاشية .

هذا وقول خالد [٥٤] : (أمر بترقيق الهمزة عند مجاورة الحاء في « الحمد ») ثم تعليله بأن اللام لما كانت ساكنة صارت كأنها معدومة بعيدٌ جداً .

ثم قوله تبعاً لابن المصنف [٢٢] : (أمر بالمحافظة علىٰ سكون اللام الأولىٰ من قوله « وليتلطف ») أبعد مما قاله أولاً ؛ لأن الكلام هنا في الترقيق والتفخيم لا في التسكين والتحريك كما لا يخفىٰ علىٰ ذوي التحقيق ، والله ولي التوفيق .

وقال اليماني : (أي رقق اللام الثانية لأنَّ اللام الأولىٰ مرققة لا محالة) قلت : وكذا اللَّام الثانية[١] مرققة لا محالة ، نعم كون الثانية لمجاورتها الحروف المفخمة يصعب ترقيقها فيتأكد الاهتمام بحالها .

[٣٧] (وباءَ بَرْقٍ بَاطلٍ بِهِمْ بِذِي) أي رقق باء « برق » لمجاورتها الراء المفخمة لا سيما وبعدها القاف المستعلية ، وكذا باء « باطل » لأجل الطاء المستعلية من غير اعتبار كون الألف فاصلة ؛ فإنها لا يؤمن معها السراية .

وأما قول الشيخ زكريا [٥٦] : (وباء باطل لمجاورتها الألف المدية) ففيه بحث حيث يشعر بأنها ترقق لمجاورتها ما هو مرقق ، فيلزم أن يكون ما قبل الألف تابعاً لها في الترقيق مع أنه سبق عن الجمهور في بيان التحقيق أنها هي التابعة له حيث ترقق بعد المستفل وتفخم بعد المستعلي ، نعم في « التمهيد » ما يقتضي أنها متبوعة لا تابعة حيث قال : (إذا وقع بعد الباء ألف وجب على القارىء أن يرقق اللفظ بها لاسيما إن وقع بعدها حرف استعلاء أو إطباق ، نحو قوله تعالىٰ : « باغٍ ، وباسط ، والأسباط ، والباطل ، وبالغ »)[٢] .

وأما عبارته الصحيحة في « النشر » فصريحة بترقيق الباء حيث وقع بعدها

---

(١) من قوله : « لأن اللام الأولى . . . » إلى هنا سقط من « أ » ، « ب » .

(٢) انظر « التمهيد في علم التجويد » ص١١٨ وص١١٩ .

حرف مفخم نحو : « بَطَلَ ، والبغي ، وَبَصَلِهَا » ، ثم قال فيه : (فإن حال بينهما ألف كان التحفظ بترقيقها أبلغ نحو : ﴿بالغ﴾ ، و﴿باطل﴾ ، و﴿باغ﴾ ، و﴿الأسباط﴾ ، فكيف إذا وليها حرفان مفخمان نحو : ﴿البرق﴾ ، و﴿البقرة﴾)(١) .

وكذا رقِّقْ باء « بهم » و« بذي » وإن كان بعدها الحروف المستفلة لعموم الحكم في المسألة .

وأما قول ابن المصنف [٢٢] : (أي بَيِّن باء « بهم » و« بذي » لمجاورتهما حرفاً خفياً وهو الهاء والذال) فمحل بحث ؛ إذ ليس الكلام في التبيين بل سوق العبارة في الترقيق ، وهو لا ينافي ما ذكره من التعليل في التحقيق حتى يقال جعله من باب :

. . . . علفتها تبناً وماءً بارداً(٢)

تقديره : وسقيتها ماءً بارداً ، مع أنَّ أمر البيان لا يختص بحرف ولا حركة كما لا يخفىٰ على الأعيان ، مع أن الذال ليست من الحروف الخفية المجتمعة للأربعة في تركيب « هاوي » ، فالأحسن ما علله الشيخ زكريا بقوله [٥٧] : (لمجاورتها الرخوة) ، إلا أنَّ فيه بحثاً للمصري حيث قال : (مجاورة الرخوة لا تقتضي الترقيق ، وإلا لاقتضت مجاورة الشِّدة ضده) .

قلت : قد تكون العلة مطردة لا منعكسة ، نعم الأَولىٰ أن يعلل ترقيق الباء في « بهم » لمجاورتها حرفاً خفياً وهو الهاء ، وفي « بذي » لمجاورتها حرفاً

---

(١) انظر « النشر في القراءات العشر » لابن الجزري ١/ ٢١٦ .

(٢) البيت لم أعثر على قائله ، وكذا أنشده السادة النحاة ولم ينسبوه لقائل ، وصدره :

لما حططت الرحل عنها وارداً . . . .

وصرح الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد بأن صدره مصنوع ، وكذا العجز في الرواية الثانية التي تجعل الشاهد صدراً للبيت وهي :

علفتها تبناً وماءً بارداً حتىٰ شَتَتْ هَمَّالةً عيناها

ضعيفاً كما قال المصنف في « النشر » : (وليحذر بترقيقها من ذهاب شدتها كما يفعله كثير من المغاربة لاسيما إن كان حرفاً خفياً وهو الهاء نحو : ﴿بهم﴾ ، و﴿به﴾ ، و﴿بها﴾ ، و﴿بالغ﴾ ، و﴿باسط﴾ ، أو ضعيفاً نحو : ﴿بذي﴾ ، و﴿بثلاثة﴾، و﴿بساحتهم﴾ ، وإن سكنت كان التحفظ بما فيها من الشدة والجهر أشد)[1] . وإلى ذلك أشار الناظم بقوله :

(**واحْرِصْ**) وفي نسخة « فاحرص » (**على الشِّدَّةِ والجَهْرِ الذِيْ**) وإنما لم يقل « اللَّذينِ » لوزن المبنىٰ أو لاتحاد مؤداهما في المعنىٰ ، أو التقدير مثله في المعطوف .

والأظهر أن يقال : التقدير : واحرص على كل واحدٍ من الشِّدَّة والجهر الذي [٣٨] (**فيها وَفي الجِيْمِ كَحُبِّ الصَّبْرِ**) بالإضافة إما للوزن أو لأدنىٰ ملابسة وهي كونهما[2] مثالين للباء الموحدة .

والظاهر أنَّ كلمة « كحب » محكية على ما ورد في الآية إما بكمالها أو بإرادة كاف التشبيه فيها لقوله تعالىٰ ﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

وأما « الصَّبر » فعطفٌ عليه من غير عاطف ، وإنما أمر بالحرص على إتيان صفة الشدة والجهر الكائنين في الباء والجيم لئلا تشتبه الباء بالفاء ، والجيم بالشين كقوله تعالىٰ : ﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ و﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر : ٣] .

(**رَبْوَةٍ اجْتُثَّتْ وَحَجِّ الفَجْرِ**) بالإضافة أيضاً لما سبق ، ولا تصح فيه الحكاية كما توهم المصري ؛ إذ لم يعرف لفظ « حج » منكراً مجروراً في القرآن .

والمعنىٰ: وكباء « ربوة » وجيم البقية، و« ربوة » بفتح الراء لابن عامر وعاصم[3] وهي في الموضعين ﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ ﴾ [البقرة: ٢٦٥] و﴿ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ﴾ [المؤمنون: ٥٠]

---

(١) « النشر في القراءات العشر » ١/ ٢١٦ .
(٢) في « ج » و« د » : كونها .
(٣) وقرأ الباقون بضم الراء ، وهما لغتان . « النشر » ٢/ ٢٣٢ .

ويجوز ضم تنوين « ربوة » وكسرها كما قرىء بهما في قوله تعالىٰ ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ ﴾[1] [إبراهيم : ٢٦] .

و« الحجُّ » جاء معرفاً باللام ومجرداً عنها ، قال الله تعالىٰ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ ﴾ [آل عمران : ٩٧] و﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴾ [البقرة : ١٩٧] والمراد هذه الأمثلة وأمثالها من الآيات ، وخُصَّ الجيم بالذكر من بين حروف الجهر والشدة أيضاً لإخراج أهل مصر والشام إياها من دون مخرجها فينتشر بها اللسان فيمزجونها بالشين وكذا بعض أهل اليمن يمزجونها بالكاف لارتفاع اللسان في مخرجها سيما إذا أتىٰ بعدها بعض الحروف المهموسة فإن التحفظ على جهرها وشدتها يكون أتم وألزم ، والله أعلم وأحكم .

[مراتب القلقلة] :

[٣٩] (وَبيِّنَنْ) بالنون الخفيفة (مُقَلْقَلاً) بفتح القاف الثانية وكسرها[2] (إنْ سَكَنَا) بألف الإطلاق ، أي بَيِّنْ بياناً تاماً سكون حرفٍ مقلقل من حروف القلقلة المتقدمة المجموعة في « قطب جد » إن سكن الحرف المقلقل بسكون أصلي لازم لا يختلف حالُهُ أصلاً لا وقفاً ولا وصلاً نحو : ﴿يقْطَعون﴾ ، و﴿فطْرة﴾ ، و﴿ربْوةٍ﴾ ، و﴿الفجْر﴾ ، و﴿يدْخلون﴾ .

(وإنْ يَكُنْ) أي السكون (في الوَقْفِ كَانَ) أي المقلقل أو المتقلقل (أَبْيَنَا) بألف الإطلاق ، أي أكثر بياناً وأظهر عياناً من القلقلة عند سكونه لغير الوقف نحو : ﴿برق﴾ ، و﴿محيط﴾ ، و﴿كسب﴾ ، و﴿حَرَجْ﴾ ، و﴿المهاد﴾ .

---

(١) قرأ بكسر التنوين أبو عمرو وعاصم وحمزة ويعقوب وابن ذكوان بخلفٍ عنه ، والباقون بضمه ، وهو الوجه الثاني لابن ذكوان . «النشر» ٢/ ٢٢٥ ، وهذه لطيفة من المؤلف حيث أتىٰ بهذا المثال لوجهين ، الأول : الاستشهاد لجواز ضم تنوين « ربوة » وكسره ، والثاني : لبيان موضع الكلمة التي جاء بها لفظ « اجتثت » الذي نبه عليه الناظم .

(٢) بكسر القاف أي حالة كون اللافظ مقلقلاً الحرف الساكن ، وبفتحها أي حالة كون الملفوظ من صفاته القلقلة .

والظاهر أنَّ المراد بسكونه في الوقف أعم من أن يكون عارضياً في الوقف أم أصلياً ليستقيم تمثيل ابن المصنف في الباء بقوله : ﴿فارغبْ﴾ .

وأما قول المصري : (أو عارضاً لوقفٍ نحو : ﴿ومن لم يتب﴾ ، و﴿إن يسرق﴾) فغفلة عن قواعد العربية لأنه عارض لجازم لا للوقف ، فهو في حكم سكون اللاَّزم فلازم العالم .

وأما قوله : (وقَيَّد شيخ الإسلام ـ يعني زكريا ـ المصراع الأول بغير الوقف[1] بناءً علىٰ أنَّ تبيين القلقلة في الوقف معلومٌ من المصراع الثاني ، وما ذكرناه أولىٰ لأنَّ الأصل الإطلاق) . فليس في محله ؛ إذ كلام شيخ الإسلام في مقام النظام لمن يتأمل في المرام لأنَّ الكلام إنما هو في السكون الأصلي مطلقاً والعارضِ وقفاً ، ولا يختلف الحكم حينئذٍ في الأول إن تقف علىٰ تلك الكلمة التي فيها سكون أصلي أو تدرجها ، فتأمل يظهر لك وجهِ الخلل .

ثم لاشك أنه إذا تكرر حرف القلقلة مدغماً يكون[2] المبالغة في القلقلة متعيناً نحو : ﴿الحقُّ﴾ ، و﴿تبَّ﴾ ، و﴿الحجُّ﴾ ، و﴿صَدٌّ﴾ .

ثم اعلم أنَّ الأظهر كون « مقلقلاً » بالفتح[3] على أنه نعت لحرف مقدر ، وأما تقديم ابن المصنف الكسر على أنه حال من فاعل « بَيِّنْ » فيحتاج إلى مفعول مقدر ، أي بَيِّن الحرف حال كونك مقلقلاً ، ولا يخفىٰ أنَّ الأُولىٰ هي الأَولىٰ ، ويلائمه عطفُ المصنف رحمه الله على « مُقَلْقَلاً » قولَه : [٤٠](**وَحَاءَ حَصْحَصَ أَحَطْتُ الحَقُّ**) بإشباع ضمة القاف رعايةً للقافية ، ورفعِه بناءً على الحكاية كما في آية[4] ، مع أنه مجرور كما في القاعدة العربية من حيث إنه

---

(١) في « ب » : بالمصراع الأول لغير الوقف .
(٢) « د » : « تكون » .
(٣) أي بفتح القاف الثانية .
(٤) أي كما ورد مرفوعاً في نحو قوله تعالىٰ : ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة : ٩١] .

وما قبله معطوفان على « حصحص » المضاف إليه بحذف العاطف .

والمعنىٰ : وبَيِّنْ ترقيق حاء نحو ﴿حَصْحَصَ﴾ الشاملة للأولىٰ والثانية ، وحاء ﴿أَحَطْتُ﴾ ، وحاء ﴿الحَقُّ﴾ لمجاورتها حروف الاستعلاء المفخمة حذراً من تفخيم الحاء حال المقاربة .

قال في « النشر » : (والحاء تجب العناية بإظهارها إذا وقع بعدها مجانسها أو مقاربها لاسيما إذا سكنت نحو : ﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ ﴾ [الزخرف : ٨٩] ﴿وَسَبِّحْهُ﴾ [الإنسان : ٢٦] فكثيراً ما يقلبونها في الأول عيناً ويدغمونها ، وكذلك يقلبون الهاء في ﴿سبحه﴾ حاءً لضعف الهاء وقوة الحاء فتجذبها فينطقون بحاء مشددة ، وكل ذلك لا يجوز إجماعاً ، وكذلك يجب الاعتناء بترقيقها إذا جاورها حرف الاستعلاء نحو : ﴿أَحَطتُ﴾ [النمل : ٢٢] و﴿الحقُّ﴾ فإن اكتنفها حرفان كان ذلك أوجب نحو : ﴿حَصْحَصَ﴾ [يوسف : ٥١])[١] انتهى كلامه .

(وَسِينَ مُسْتَقِيم) بكسر الميم بلا تنوين ضرورةً (يَسْطُو يَسْقُو) بحذف العاطف فيهما ، أي بَيِّن انفتاح السين المهملة واستفالها لاسيما حال ضعفها بسكونها مع مجيء القاف ولو بواسطة[٢] بعدها لئلا تنقلب صاداً حال نطقها .

ثم إيراد « مستقيم » نكرة لتشمل المَعرَّفة ، وجَرُّه يصح إعراباً وحكايةً لوروده في القرآن ﴿ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى : ٥٢] .

وأغرب المصري في قوله : (« مستقيم » بفتح الميم من غير تنوين على الحكاية لأنه كذلك في سورة الفاتحة) . اهـ .

ولا يخفىٰ وجه الغرابة لأنه ليس كذلك في الفاتحة ؛ فإن الموجود فيها مُعَرَّف باللام كما لا يخفىٰ على من له إلمام بمراتب الكلام .

---

(١) « النشر في القراءات العشر » لابن الجزري ١/ ٢١٧ و٢١٨ .

(٢) يعني ولو حال بين السين والحرف المستعلي ألف نحو : ﴿غساقاً﴾ وكذا نحو : ﴿تساقط﴾ خصوصاً في قراءة من فتح التاء وشدد السين وفتح القاف .

وكذلك سين « يسطون » و« يسقون » من قوله تعالىٰ : ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾ [الحج : ٧٢] و﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص : ٢٣] لمجاورتهما الطاء والقاف ، وهما من الحروف المستعلية والشديدة مع كون السين(١) مستفلة رخوة ، وكذا مثال هذه الكلمات في الآيات البينات .

ثم حذف النون من المثالين الأخيرين من باب الضرورة الشعرية ، وإلا فلا يجوز قطع الكلمة عند القراء لا حال الاختيار(٢) ولا حال الاضطرار ، وكذا لا يستحسن قطع الكلمة في الكتابة بأن يكتب النون في المثالين المذكورين في أول سطر وما قبلها في آخر سطر ، فاحفظ هذه القاعدة فإنها كثيرة الفائدة .

[بَابُ الراءات وأحكامها]

[٤١] (**وَرَقِّقِ الرَّاءَ**) أي الذي أصلها التفخيم (**إِذَا مَا كُسِرَتْ**) نحو : «رزق» .

ولفظ « ما » بعد « إذا » زائد ، ومفهومه أنها تفخم إذا ضمت أو فتحت نحو : « رَبٌّ ، ورُؤيا » .

(**كذاك**) أي مثل الراء المكسورة ترقق إذا وقعت (**بَعْدَ الكَسْرِ حَيْثُ سَكَنَتْ**) أي الراء ، ومفهومه أنها تفخم إذا كانت ساكنة بعد ضمة أو فتحة ، والأمثلة : ﴿قرآن﴾ ، و﴿قَرْنَ﴾ ، و﴿قَرْية﴾(٣) .

[٤٢] (**إن لم تكُنْ**) أي الراء الساكنة الموجودة بعد الكسرة واقعةً (**مِنْ قَبْلِ حَرْفِ اسْتِعلاَ**) بالقصر كوقف حمزة لا ضرورة ، وجزاء الشرط محذوف دَلَّ عليه ما قبله ، ومفهومه أنَّ حرف الاستعلاء إذا كان قبله راء فإنها تفخم كـ : ﴿مرصاداً﴾ ، و﴿إرصاداً﴾ ، و﴿قرطاسٍ﴾ ، و﴿فِرقَة﴾ ، وليس غيرها في القرآن .

---

(١) في « أ » : مع كون الهاء ، وهو خطأ ظاهر .
(٢) في « أ » : لا حال الاختيار ولا حال الاختبار ولا حال الاضطرار .
(٣) صحفت في « أ » و« ج » إلى « ومرية » .

(**أَوْ كانَتِ الكسرةُ ليسَتْ أَصْلاً**) أي أصلية لا عارضية ولا منفصلة ؛ لأن الأصل هو الاتصال فإنهما تفخمان كـ﴿ارجعي﴾ و﴿ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ﴾ و﴿أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ﴾ وليس المراد أن الكسرة لا تكون موجودةً أصلاً على ما يتوهم .

قال الرومي [٣٧] : (« أو كانت » عطف على الجملة الشرطية السابقة) اهـ.

وهو موافق للقواعد العربية ، ولكنه غير مطابق للقواعد القرآنية فإنَّ الكسرة إذا لم تكن أصلية توجبُ تفخيم الراء بعدها لا ترقيقها المفهوم من ظاهر نظم عبارة الجزرية ، فالوجه أن تكون عاطفة على مدخول لم الجازمة ، ولَمَّا لم تكن « لم » تدخل على الصيغة الماضية يُقَدَّرُ لها ما في معناها ليؤديَ مؤداها من إفادة النفي فيقال : التقدير « أو ما كانت » على ما أشار إليه الشيخ زكريا ، وبه تمام نظام مرام الكلام ، فترقيق الراء التي بعد كسرة مشروطٌ بعدم كون حرف الاستعلاء بعدها ، وبعدم كون الكسرة عارضية ؛ فإنها إذا وُجدَ حرف الاستعلاء بعدها تفخم ، وكذا إذا كانت الكسرة عارضية أو منفصلة فإنها تفخم ، فالقيدان عدميان مانعان كما أشار إليه ابن المصنف إلا أن مآل كلام زكريا إلى أنَّ الثاني قيد إثبات لأنَّ نفي النفي يفيد الإثبات ، فيصير التقدير : أو كانت الكسرة أصلية فيؤخذ حينئذٍ حكم العارضية بالمفهوم من الشرطية .

وأما قول اليماني(١) : (« أو كانت » عطف على مقدر تقديره : تفخم الراء إذا كانت من قبل حرف استعلاء أو كانت كسرة ما قبلها ليست أصلاً ، أي عارضيَّة) فهو أقرب إلىٰ المبنىٰ ، فإنه من باب العطف على المعنىٰ كما لا يخفىٰ .

وأما ما اختاره المصري من أنَّ « ما » المقدرة عطف علىٰ « لم تكن » فبعيد جداً حيث لا دلالة على هذا المقدر بشيءٍ أبداً .

أقول : ولو قال المصنف : « أو لم تكن الكسرة ليست أصلاً » لخلص .

---

(١) في « ب » : اليمني .

ثم كان الأظهر أن يقول : « أو كانت الكسرة أصلاً ووصلاً » ، أي أصلية لا عارضية ، ووصلية لا فصلية فيوافق الشاطبي من جة القيدين في قوله [٣٥٢] :

وما بَعْدَ كسرٍ عارضٍ أو مُفَصَّلٍ ففَخِّمْ فهذا حكمُهُ مُتَبَذِّلا

وكان يفيد بالأصل أن لا يكون عارضاً وبالوصل أن لا يكون منفصلاً ، فرحم الله من أنصف ولم يتعسَّف .

ثم الأولىٰ أن يكون الكلام بالواو الحالية دون « أو » الترددية لئلا يتوهم التنويع الموهم بأنَّ الكسرة الأولىٰ يراد بها مطلقاً فتأمل فإنه موضع زلل .

والعجب من ابن المصنف ومن تبعه من الشراح الكرام حيث لم يتقيدوا بِحَلِّ هذا المقام من جهة المبنىٰ ، واكتفوا بما ذكروه من حاصل المعنىٰ .

والحاصل أنَّ ترقيق الحرف إنحافه ، أي جعله في المخرج نحيفاً وفي الصفة ضعيفاً ، وضده التفخيم ، فإنه بمعنىٰ التَّسْمين والتجسيم ، فهو والتغليظ واحد ، إلا أنَّ استعمال الأكثر في الراء أن يكون ضد الترقيق هو التفخيمَ ، وفي اللام التغليظ كما في قراءة ورش من طريق الأزرق[1] .

وقد عَبَّرَ قوم عن الترقيق في الراء بالإمالة بين اللفظين كما فعله الداني وبعض المغاربة إلا أنه تجوُّز ؛ لأنَّ الإمالة[2] أن ينحوَ بالفتحة إلى الكسرة وبالألف إلىٰ الياء ، والترقيق إنحاف صوت الحرف ، فيمكن التلفظ بالراء مرققة غير ممالة ، ومفخمة ممالة وإن كان لا يجوز روايةً مع الإمالة إلا الترقيق ، وأيضاً لو كان الترقيق إمالةً لم يدخل مع المضموم[3] والساكن وإلا

---

(١) هو يوسف بن عمرو بن يسار أبو يعقوب المدني المعروف بـ« الأزرق » ثقة محقق ضابط ، أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن ورش ، وهو الذي خلفه في القراءة بمصر ، توفي سنة ٢٤٠هـ . اهـ « غاية النهاية » لابن الجزري ٢/ ٤٠٢ .

(٢) في « ب » : إذ الإمالة للحركة .

(٣) في « ب » : على المضموم .

لكانت الراء المكسورة ممالة وذلك خلاف إجماعهم[1] كذا ذكره المصري .

والتحقيق ما قاله في « النشر » من أنَّ تغليظ اللام تسمينها لا تسمينُ حركتها ، والتفخيم مرادفه إلا أنَّ التغليظ في اللام والتفخيم في الراء والترقيق ضدهما ، وقد يطلق عليه الإمالة مجازاً لكن الصحيح هو الفرق بينهما بأن الترقيق في الحرف دون الحركة ، والإمالة في الحركة دون الحرف .

ثم الأصل في الراء التفخيم على ما عليه الجمهور ، واختاره المكي[2] ، وقال جماعة : ليس للراء أصل في التفخيم ولا في الترقيق وإنما يعرض ذلك بسبب حركتها فترقق مع الكسرة لتسفلها ، وتفخم مع الفتحة والضمة لتصعدهما ، فإذا سكنت جرت على حكم المجاور لها ، وأيضاً فقد وجدناها ترقق مفتوحةً ومضمومةً إذا تقدمها كسرة أو ياء ساكنة[3] ، فلو كانت في نفسها مستحقة للتفخيم لبَعُدَ أن يبطل ما تستحقه في نفسها بسبب خارجٍ عنها كما كان ذلك في حروف الاستعلاء ، إلا أن المعتمد هو الأول ولهذا لَم يتعرض الناظم لذكر أسباب تفخيمها ، وقد صَرَّح الشاطبي رحمه الله بهذا المضمون في قوله [٣٥٨] :

وفيما عدا هذا الذي قَدْ وَصَفْتُهُ على الأصلِ بالتفخيمِ كُنْ مُتَعَمِّلاَ

[مواضع ترقيق الراء] :

فلا ترقق إلا لموجب وذلك إذا كانت مكسورة كسرة لازمة مثل : ﴿رِجَالٌ﴾ ﴿وَٱلْغَـٰرِمِينَ﴾ ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ و﴿بِٱلصَّبْرِ﴾[4] أو عارضةً مثل : ﴿وَأَنذِرِ

---

(١) في « د » زيادة : على الفرق بينهما بأن الترقيق في الحرف دون الحركة والإمالة في الحركة دون الحرف .

(٢) « الكشف عن وجوه القراءات السبع » لمكي ١/ ٢٠٩ .

(٣) وذلك في رواية ورش .

(٤) يعني أثناء وصلها بما بعدها بالنسبة للأمثلة الأخيرة : والفجر ، عشر ، بالصبر ، فإن وقف عليها بالسكون فتفخم اعتداداً بالمفتوح الذي قبل الباء والشين والجيم ، أما إن وقف عليها بالروم فترقق .

﴿ٱلنَّاسَ﴾ و﴿وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ﴾ على قراءة ورش[1] ، **تامةً** نحو : ﴿رِزْقاً﴾ ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ﴾ أو **مبعضةً بالاختلاس** نحو : ﴿أَرِني﴾[2] ، أو **ممالةً أوّلاً** نحو : ﴿رأىٰ﴾[3] أو **وسطاً** نحو : ﴿الذكرىٰ﴾[4] أو **طرفاً** نحو : ﴿عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[5] أو **وصلاً** نحو : ﴿ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾[6] ، **منونةً** نحو : ﴿ذِكْرًا﴾[7] أو **غير منونة** نحو : ﴿البشرىٰ﴾[8] سكنَ ما قبلها كما تقدم مثالها ، أو تحرك ما قبلها بأي حركة ، سواء وقع بعد الراء حرف مستفل كما سبق أو مستعلٍ كما في ﴿الرِّقَاب﴾ و﴿رِزْقاً﴾ سواء كان في الاسم أو الفعل ، **وكذلك إذا كانت الراء ساكنة بعد الكسرة فإنها ترقق إذا كان سكونها لازماً** نحو : ﴿فِرْعَونَ﴾ و﴿مِرْية﴾ **أو عارضاً**[9] نحو : ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾[10] على قراءة الإسكان ، تكون الراء متوسطة كما سبق أو متطرفة، وصلاً ووقفاً نحو: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ إن كان قبلها

---

(١) يعني بنقل كسرة الهمزة في (إن) إلى الراء الساكنة في (وانحر) فتكسر الراء وصلاً .

(٢) نحو قوله تعالى : ﴿رب أرني أنظر إليك﴾ في رواية الدوري عن أبي عمرو باختلاس حركة الراء ، وهو الإتيان بثلثي الحركة ، وكيفية لفظها تؤخذ من أفواه القراء المتقين .

(٣) نحو قوله تعالىٰ : ﴿فلما رءا قميصه﴾ في قراءة من أمالها وهم حمزة والكسائي وخلف وابن ذكوان وشعبة ، ويشمل قوله « أو ممالة » ما قرب من الإمالة وهو التقليل وقرأ به ورش في هذا اللفظ .

(٤) يعني في قراءة أبي عمرو وحمزة الكسائي وخلف بالإمالة ، وبالتقليل لورش .

(٥) في قراءة أبي عمرو ودوري الكسائي ، ولورش بالتقليل .

(٦) عند وصل « ذكرىٰ » مع ما بعدها تسقط الألف لالتقاء الساكنين عند جميع القراء ، وبالتالي تذهب معها الإمالة في مذهب من أمال للعلة المذكورة إلا السوسي فلها فيها وجهان ، الأول : كالجمهور ، والثاني : بالإمالة وأما في الوقف فهي ممالة عند من أمالها من القراء وهم أبو عمرو وحمزة الكسائي وخلف وبتقليلها لورش .

(٧) لعله قصد بذلك ترقيقها عند ورش في أحد وجهيه فيها لكسر ما قبل الساكن قبلها ، وإلا فهي مفخمة عند الباقين .

(٨) يعني في قراءة من أمالها وهم أبو عمرو والكوفيون عدا عاصم وقللها ورش .

(٩) خرج ما كان عارضاً منفصلاً ، أو عارضاً للابتداء نحو : ﴿أم ارتابوا﴾ .

(١٠) يعني في قراءة أبي عمرو بإسكان الراء ، ووجه الإسكان هو التخفيف لثقل توالي الحركات .

كسرة متصلة حقيقةً أو حكماً[1] لازمة كما تقدم وليس بعدها حرف استعلاء متصل احترازاً عن نحو ﴿أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾ و﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ﴾ و﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ مباشراً بأن لا يكون بين الكسرة والراء حركة أخرىٰ في الفعل نحو : ﴿استغفرْ﴾ والاسم العربي نحو : ﴿الإرْبة﴾ والأعجمي نحو : ﴿فرْعون﴾ .

وجمله الكلام وزبدة المرام أن **شرط المؤثر أن تكون كسرة متصلة لازمة** ، ووجه اشتراط اللزوم والاتصال في الترقيق هو تقوية السبب ليتمكن من إخراجها عن أصلها ، فالمتصل اللازم ما كان على حرف أصلي وهو ظاهر ، أو ينزل منزلة الأصلي كـ﴿محراب﴾ و﴿مرفقاً﴾ بكسر الميم الزائدة[2] على أصل الكلمة لأنها من جمله مِفعَال ومِفْعَلْ .

قال ابن شريح : (وكثير من القراء يفخم الساكنة بعد الميم الزائدة نحو : ﴿مِرْفقاً﴾)[3] .

وأما المتصل العارض فهو ما دخل على كلمة الراء ولم ينزل منزلة الجزء منها وهو الذي لا يخلُّ إسقاطه بها كما في باء الجر ولامه وكهمزة الوصل نحو : ﴿اركبوا﴾ و﴿ارتابوا﴾ في الابتداء .

وأما المنفصلة العارضة فهي ما كانت في كلمة منفصلة مستقلة[4] إعراباً وعروضها للساكنين وصلاً نحو : ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ و﴿لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ أو للبناء نحو : ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب﴾ بكسر التحتية[5] فإنَّ أصله « يا بنيِّيْ »[6] ، أو للإتباع

---

(١) مثل (بِرزق) حيث اتصلت الباء المكسورة بلفظ « رزق » .

(٢) هذا قيد احترازي من قراءة من قرأ بفتح الميم من (مرفقاً) فتفخم الراء حينئذٍ وهي قراءة نافع وأبي جعفر وابن عامر .

(٣) نقله عنه ابن الجزري في « النشر » ٢/ ١٠٤ وعلق عليه بأن الصواب فيه الترقيق .

(٤) « مستقلة » ساقطة من « ب » و« د » .

(٥) أي بكسر الياء ، وهي قراءة الجمهور سوى حفص ، وهذا الكسر دليل على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين .

(٦) بثلاث ياءات ، الأولىٰ : ياء التصغير ، والثانية : لام الكلمة (أصلها الواو ثم قلبت ياء)=

نحو ﴿ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴾ فإن أصله « ربي » فكسر الباء لمناسبة الياء ومتابعتها في البناء .

وأما المنفصلة اللازمة قبل راء ساكنة فهو ما كانت في كلمة أخرىٰ لازمة البناء على الكسر نحو : ﴿ ٱلَّذِى ٱرۡتَضَىٰ ﴾ عند الكل ، و﴿ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٍ ﴾ [مريم : ٢٨] لورش[1] ، قال النويري[2] : (ولا ثاني له)[3] .

وقال ابن المصنف [٢٤] وتبعه غيره[4] : (والمنفصلة اللازمة لم تجيء في القرآن قبل راء ساكنة) لكن فيه نظر ظاهر لوجود ما سبق ، اللهمَّ إلا أن يريد المتفق عليها[5] وأنه جعل كسرة « الذي » اتباعاً ، ولذا فُتِحَ في « اللذان » لكنه يخالف ما ذكره شراح « الشاطبية » في قوله [٣٥٢] :

وما بَعْدَ كَسْرٍ عَارِضٍ أو مُفَصَّلٍ ... فَفَخِّمْ فَهَذَا حُكْمُهُ مُتَبَذِّلا

أنَّ العارض ما حقه السكون فيكسر ابتداءً نحو : ﴿امرأة﴾ ، أو لالتقاء الساكنين نحو ﴿ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ ﴾ والمنفصل ما كان الكسر في حرف منفصلٍ من الكلمة نحو : ﴿ ٱلَّذِى ٱرۡتَضَىٰ ﴾ .

= والثالثة : ياء الإضافة ، فأدغمت ياء التصغير فيما بعدها لأن ما أول المثلين فيه مسكن فلا بدَّ من إدغامه ، وبقيت الثالثة غير مدغم فيها ؛ لأن المشدد لا يدغم لأنه واجب الحركة ، والمدغم واجب السكون فحذفت الثالثة . . . » انظر « الأشباه والنظائر » للسيوطي ١/ ٢٠ .

(١) ذلك أن مذهب ورش ترقيق الراء المفتوحة إذا وقعت بعد كسر أو بعد ساكن قبله كسر أصلي متصل ، وفي هذا المثال انفصلت الكسرة عن السكون فامتنع الترقيق .

(٢) هو محمد بن محمد أبو قاسم محب الدين النويري ، فقيه مالكي عالم بالقراءات ولد في مصر سنة ٨٠١هـ وتعلم في القاهرة ، توفي بمكة سنة ٨٥٧هـ ، من كتبه « شرح طيبة النشر » و« شرح الدرة المضية » . اهـ « الضوء اللامع » ٩/ ٢٤٦ .

(٣) انظر « شرح طيبة النشر » للنويري ٣/ ١٨٤ ، والظاهر أنه يوجد موضع ثان وهو ﴿ فِى ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ﴾ [يوسف : ٣٠] . وقد اشكلت عبارة « ولا ثاني له » على محقق الشرح فقرأها : ولا يأتي له ، وأثبتها في الحاشية دون المتن .

(٤) مثل : طاش كبري زاده انظر شرحه ص٣٨ .

(٥) « عليها » ساقطة من « أ » و« ب » .

وأما المنفصلة اللازمة قبل راء متحركة فإنما جاءت على قواعد ورش من نحو : ﴿بِرَسول﴾ ﴿ولِرَسول﴾[1] .

وهذا كله حكم الراء وصلاً ، أما وقفاً فلا يستفاد من « الجزرية » ، وقد بَيَّنَتْهَا « الشاطبية » ، ومجمل أحكامها في الوقف أنها إن وقفت بالرَّوم فهو كالوصل في جميع الأحوال إلا أنَّ في نحو : ﴿قديرٌ﴾ ترقق لورش وتفخم للجمهور .

وإن وقفت بالسكون وكان قبلها حرف ممال فمرققة كـ﴿النارِ﴾ وكذا إذا كان قبلها كسرة نحو : ﴿قد قُدِرَ﴾ و﴿مُسْتَقِرٌّ﴾ ﴿ولا نَاصِرٍ﴾ أو ياء ساكنة نحو : ﴿غَيْر﴾ ، و﴿خَيْر﴾ ، و﴿ضَيْر﴾ .

ثم الساكن بين الراء وبين الكسرة ليس بمانع من الترقيق نحو : ﴿الشِّعرَ﴾ و﴿ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ ﴾ و﴿بِكْرٌ﴾ سواء كانت الراء في الوصل مكسورة أو مفتوحة أو مضمومة كما مَثَّلْنَا فإنها في الوقف بالسكون ولو مع الإشمام تكون مرققة ، وقد نظمت حكم وقف الراء وقلت :

وفَخِّمِ الرَّاء زمانَ الوقفِ … إن لم تكنْ بَعدَ مُمَالِ الحرفِ
أو بعد كسرٍ أو سكونِ الياءِ … رقِّقْها عندَ سائرِ البناءِ

ولا يخفىٰ أنَّ قولي « بعد كسرٍ » بإطلاقه يعُمُّ ما يكون بفصلٍ وبدونه فيشمل نحو ﴿الشِّعْر﴾ و﴿الذكْر﴾ .

---

(١) إنما كان حرف الجر منفصلاً في هذه الأمثلة ونحوها لأن حرف الجر منفصلٌ تقديراً عن الكلمة التي دخل عليها إذ الجار ومجروره كلمتان مستقلتان ، حرف واسم ، فهما وإن اتصلا لفظاً وخطاً منفصلان حكماً وتقديراً ، وحكم الراء في المثالين اللذين أوردهما الشارح ونحوهما التفخيم لورش كسائر القراء .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

[ما حصل الخلاف فيه من الراءات] :

ثم اعلم أنَّ الساكن الحاجز بين الكسرة والراء إذا كان صاداً نحو : ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ﴾ [يوسف : ٩٩] أو طاءً نحو : ﴿عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِ﴾ [سبأ : ١٢] فقد اختلف في ذلك أهل الأداء ، فمن اعتَدَّ بحرف الاستعلاء فَخَّمَ كأبي عبد الله بن شريح ومن تبعه ، وهو قياس مذهب ورش من طريق المصريِّين ، ومن لا يَعتدُّ به رقق كما نَصَّ عليه أبو عمرو الداني في كتاب الراءات من « جامع البيان » وهو الأشبه بمذهب الجماعة ، ويدلُّ عليه إطلاق الشاطبي وعدم التفاته إلى الخلاف ، لكن المصنف اختار في ﴿مِصۡرَ﴾ التفخيم ، وفي ﴿عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِ﴾ الترقيق نظراً فيهما للوصل وعملاً بالأصل .

[٤٣] (**والخُلْفُ في فِرْقٍ لكسرٍ يُوْجَدُ**) أي والاختلاف ثابت في تفخيم راء قوله تعالى : ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ﴾ [الشعراء : ٦٣] وترقيقِها لكسر يوجد في قافها فيكون وجه الترقيق أنَّ حرف الاستعلاء قد انكسرت صولته المفخمة لتحركه بالكسر المناسب للترقيق ، أو لكسرٍ يوجد فيما قبله وما بعده فيكون وجهُ الترقيق ضعفَ الراء بوقوعها بين كسرتين ولو سكن وقفاً لعروضه .

وأما وجه التفخيم فضعفُ الكسرة لتقابل المانع القوي وهو حرف الاستعلاء .

قال الداني : (والوجهان جيدان) ، **الترقيق** وبه قطع مكي والصقلي(١) وابن شريح وادَّعوا فيه الإجماع ، **والتفخيم** وبه قطع الداني في « التيسير »(٢) ،

---

(١) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عتيق بن الفحام الصقلي ، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالإسكندرية علماً ومعرفة ، له كتاب : «التجريد في القراءات السبع» ، توفي سنة ٥١٦هـ . « معرفة القراء الكبار » ١/ ٤٧٢ .

(٢) « التيسير في القراءات السبع » لأبي عمرو الداني ، وهو من أهم كتب القراءات ، نَظَمَ ما به من القراءات وأصولها الإمام الشاطبي في قصيدته المعروفة ، وكلام الداني في « التيسير » ص٥٧ .

كذا ذكره ابن المصنف ، وقال الداني في غير « التيسير » : (والمأخوذ به فيه الترقيق) ، نقله النويري في « شرح الطيبة »[1] فهو أولىٰ بالعمل إفراداً وبالتقديم جمعاً .

وقال المصنف في « نشره » : (والقياس إجراء الوجهين في ﴿ فِرْقَةٍ ﴾ [التوبة : ١٢٢] حال الوقف لمن أمال هاء التأنيث ، ولا أعلمُ نصاً فيها)[2] .

قلت : وهو قياس مع الفارق لأن الإمالة فيها مع ضعفها ليست محض كسرة فيضعف تأثيرها لاسيما وهي عارضة حال وقفها .

[وجوب إخفاء التكرير في الراء] :

(وَأَخْفِ تَكْرِيراً إذا تُشَدَّدُ) بالإشباع فيه وفيما قبله ، فما في بعض النسخ بصيغة الجمع لا وجه له .

والمعنىٰ إذا كانت الراء مشددة فأخفِ تكريرها ، قال مكي : (لا بد في القراءة من إخفاء التكرير ، وواجب على القارىء أن يخفيَ تكرير الراء ومتىٰ أظهره فقد جعل من الحرف المشدَّدِ حروفاً ومن المخفف حرفين)[3] .

فقوله « إذا تُشَدَّدُ » ليس بقيد ، بل إما على سبيل الاهتمام والاعتناء أو من باب الحذف للاكتفاء[4] .

والحاصل أنك إذا قلت مثل ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ فلا تترك لسانك أن تضطرب بالراء بل احفظها من مخرجها لئلا تكون لافظاً في موضع الراء الواحدة المشددة براءات متعددة .

---

(١) « شرح طيبة النشر » للنويري ٣/ ١٧٩ .

(٢) « النشر » ٢/ ١٠٤ ، وإمالة هاء التأنيث وقفاً قراءة الكسائي ، ضمن قيود وقواعد مخصوصة .

(٣) « الرعاية في التجويد » لمكي بن أبي طالب القيسي ص١٢٢ .

(٤) أي كما سبق التمثيل بقوله تعالىٰ : ﴿سرابيل تقيكم الحر﴾ أي والبرد .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

[بابُ اللاَّمَاتِ وأَحْكَامٍ مُتفرِّقَة]

[٤٤] (**وَفَخِّمِ اللاَّمَ مِنِ اسْمِ اللهِ**) أي لا من غير « الله » إلا في قاعدة ورش لبعض اللامات المخصوصة .

(**عن فتحٍ أو ضَمٍّ**) بالنقل ، أي بعد أحدهما (**كعَبْدُ اللهِ**) بفتح الدال وضمها ليصح مثالاً على وفق العمل القرآني ، ولا يبعد أن يقرأ بالجر على وفق المحل الإعرابي ، والمرادُ به أنه يفخم بعد أحدهما .

ثم اللام أصلها الترقيق عكس الراء عند أهل التحقيق فلا تفخم إلا لموجب ، ومن ثمة كان المانع في الراء عن التفخيم أو الترقيق سبباً لأحدهما في اللاَّم ، فهي من اسمِ « الله » تعالىٰ وإن زيد عليه ميم وصار « اللهمَّ » إذا تقدمتها فتحة محضة أو ضمة كذلك فإنها تكون مفخمة نحو : ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ ابتداءً ، و﴿سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ﴾ وصلاً ، و﴿لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾ و﴿قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ﴾ و﴿قَالُواْ ٱللَّهُمَّ﴾ لمناسبة الفتح والضم التفخيم المناسب للفظ « الله » من التعظيم لكونه الاسم الأعظم عند الجمهور المعظم .

فإن تقدمتها كسرة مباشرة بأن لم تكن بين الكسرة واللام حركة أخرىٰ وهي محضة غير ممالة متصلة اتصالاً صورياً رسمياً نحو : « لله ، وبالله » ، فإن الاتصال الحقيقي غير متصور في الحرف الذي يوجد قبل الجلالة ، أو منفصلة عارضة ولازمة فإنها تكون مرققة نحو : ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ﴾ و﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ و﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ﴾ و﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ و﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ﴾ و﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ .

ولم يذكر في المتن حكم ترقيقها إحالةً على أصلها أو اكتفاءً بمفهوم منطوق حكمها على ما هو المعتبر عندنا في الرواية ، وعند الشافعي رحمه الله حتى في أدلة الدراية .

ثم هذه اللام إن وقعت بعد ترقيق خال من ممال الكسرة فهي على تفخيمها نحو ﴿يُبَشِّرُ ٱللَّهُ﴾ في قراءة ورش ، أو بعد إمالة كبرىٰ ـ أي محضة ـ وذلك في

قراءة السوسي فوجهان نحو : ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْـرَةً﴾[1] ، **التفخيم** وبه قرأ أبو العباس[2] ، **والترقيق** وبه قرأ عبد الباقي[3] ، وإطلاق المصنف مما يؤيد الأول[4] فتأمل .

ثم اعلم أن اجتماع اللاَّمين على أربعة أقسام :

١ـ مرققتين نحو : ﴿عَلَى ٱلدِّينِ﴾[5] .

٢ـ ومفخمتين نحو : ﴿أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ في قراءة ورش عند بعضهم[6] .

٣ـ ومرققة فمفخمة نحو : ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ﴾ .

٤ـ ومفخمة فمرققة نحو : ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ في قراءة ورش ، فأعط كل ذي حقٍ حقه خصوصاً المختلفتين خوف السراية .

هذا ، وقيل إنما فخمت اللام من لفظ الجلالة فرقاً بينه وبين سائر

---

(١) علة من فخَّم أن الألف حذفت فامتنعت الإمالة ، وعلة الإمالة عند من أمال الدلالة على أنَّ الألف المحذوفة بعدها تمال له ـ أي السوسي ـ عند الوقف على أصل قاعدته ، قال أبو شامة : (وشرط ما يمليه السوسي من هذا الباب أن لا يكون الساكن تنويناً ، فإن كان تنويناً لم يُمَلْ بلا خلاف نحو : قرىً ، ومفترىً) .

(٢) هو أحمد بن سعيد بن أحمد بن نفيس الطرابلسي ، إمام ثقة كبير ، انتهىٰ إليه عُلُوُّ الإسناد ، قرأ عليه رجال كثيرون ، توفي سنة ٤٥٣هـ . اهـ « غاية النهاية » ١/ ٥٦ .

(٣) هو عبد الباقي بن فارس بن أحمد الحمصي ثم المصري ، مقرىء معمر قرأ القراءات على والده ، قرأ عليه ابن الفحام وابن سليمة وغيرهما ، توفي نحو سنة ٤٥٠هـ . « غاية النهاية » ١/ ٣٥٧ .

(٤) لأن منظومته مقتصرة على تبين الأحكام برواية حفص عن عاصم .

(٥) كان الأولى ذكر مثال لاماه مظهرتان مثل : ﴿ضَلَلْنا﴾ ، و﴿جعل لكم﴾ ، و﴿لِلْغيبِ﴾ ، و﴿قال له﴾ .

(٦) لا تصح هذه القراءة لأحدٍ من القراء الذين تواترت قراءتهم وصحت ، فالتفخيم وقع عندهم لورش في اللام الواقعة بعد حروف الاطباق إلا الضاد ضمن الشروط المعرفة عندهم ، فعلىٰ ذلك لا تجوز القراءة بتفخيم اللام بعد الضاد لأحد ، وقد ذكر ذلك أبو شامة في (إبراز المعاني) ص٢٦٢ فقال : واعتبر قوم الضاد المعجمة أيضاً نحو ﴿أضللتم﴾ و﴿ضللنا﴾ . . . وكل هذا قياس على رواية ضعيفة نقلاً ولغةً ، والله أعلم .

اللامات ، ولعل مراده أنَّ التفخيم إنما هو لمجرد التعظيم ، وهو لاينافي ما ذكر من أنَّ وجه تفخيمها فيما ذكر هو نقل الخلف عن السلف وتوارثِهم ذلك كابراً عن كابر من غير نكير مكابر .

[وجوب العناية بتفخيم حروف الاستعلاء وخصوصاً المطبق منها] :

[٤٥] (**وَحَرْفَ الِاسْتِعْلَاءِ**) بحذف همزة الوصل في الدرج ونصبِ « حرفَ » على أنه مفعول مقدم لقوله (**فَخِّمْ**) ويجوز رفعه على تقدير : « فخمه » ، نحو قوله تعالىٰ : ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ ﴾ [يس : ٣٩] على القراءتين[١] .

ثم المراد بـ« حرف الاستعلاء » أعم من أن يكون مطبقاً أو غير مطبق ، ولذا قال (**واخْصُصَا**) بضم الصاد وبالألف المبدلة من النون المخففة (**لِاطْبَاقَ**) بنقل الحركة والاكتفاء بها عن همزة الوصل ، ونُصِبَ على أنه مفعول لما قبله .

(**أَقْوَىٰ**) صفة لموصوف محذوف ، والمعنىٰ اخْصُصْ حروف الإطباق بتفخيم أقوىٰ من تفخيم سائر حروف الاستعلاء (**نَحْوُ قَالَ**) بالرَّفع وجُوِّزَ نصبُه (**والعَصَا**) بالألف لا بالياء كما في بعض النسخ .

والحاصل أنه أمر بتفخيم حروف الاستعلاء السبعة المتقدمة المجتمعة في كلمات « خُصَّ ضَغْطٍ قِظْ » ، مثل : ﴿قائماً ، والظالمين ، وخالدين ، والصَّادقين ، والضَّالين ، والغارمين ، والطَّامة﴾ ، وأمر بتخصيص حروف الإطباق الأربعة من جملتها **الصاد والطاء** مهملتين ومعجمتين ، وبينهما عموم وخصوص مطلق ؛ إذ كل مطبقة مستعلية ، ولا كل مستعلية مطبقة ، فأتىٰ بمثالين ، مثال لحرف الاستعلاء غير المطبق وهو القاف في « قال » ، ومثال لحرف الاستعلاء المطبق وهو الصاد في « العصا » .

قال ابن المصنف [٢٥] وتبعه غيره[٢] : (والألف واللام للعهد ، أي العصا

---

(١) الأُولى بالرفع وهي لنافع وابن كثير وأبي عمرو وروح ، والثانية بالنصب للباقين .
(٢) انظر « شرح المقدمة الجزرية » لطاش كبري زاده ص٤١ .

المذكورة في قوله : ﴿ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ﴾) [الشعراء : ٦٣] اهـ . وفيه بحث لا يخفىٰ ، فإنَّ الحكم شامل له ولغيره أيضاً من قوله تعالىٰ حكايةً عن موسىٰ : ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ ﴾ [طه : ١٨] وقوله تعالىٰ : ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ ﴾ [الأعراف : ١٠٧] وأيضاً قوله تعالىٰ : ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ ﴾ [طه : ١٢١] ، فالصحيح أنَّ اللّام للجنس الاستغراقي الشامل لِمَادَّتي هذا اللفظ من الواوي واليائي ، وأما صاد غير هذا البناء فيعلم حكمه من قوله « نحو العصا » إذ هو معطوف على « قال » بكل حال ، نعم لو قال : « مع عصا » بالألف أو الياء لطابق ألفاظ التنزيل ، وهو أوفق في مقام التمثيل .

وأما قول زكريا [٦٣] : (لكونها أقوىٰ) فلا دلالة على تقديره في المبنىٰ ، فلا تتعدىٰ على ما قدمناه في المعنىٰ ، غايته أن الباء في « أقوىٰ » محذوفة على حد قول القائل :

تمرون الديار . . . .(١)

أي تمرون بها .

ثم اعلم أنَّ في إتيان المثالين المتقدمين نكتة بديعة وحكمة منيعة وهي أنَّ الصاد المهملة مع قوتها أضعف حروف الإطباق لأنه مهموس ، والقاف أقوىٰ من باقي حروف الاستعلاء .

هذا وحروف الاستعلاء بحسب القوة والضعف الناشئين من اختلاف أحوالها ثلاثة أضرب عند ابن الطحان(٢) الأندلسي :

---

(١) البيت لجرير بن عطية الخطفي ، وهو في ديوانه ص٥١٢ ، وهو من شواهد المغني رقم ١٥٣ و٨٥٤ ، وأيضاً في ابن عقيل ١/ ١٨٨ ، وفي الخزانة ٣/ ٦٧١ ، وهو بتمامه :

تمــرون الــديــارَ ولــم تعــوجــوا ... كــلامكــم علــيَّ إذنْ حــرامُ

والأصل في ذلك أن الفعل اللازم يصل إلى مفعوله بحرف جر نحو : مررت بزيد ، وقد يحذف ضرورةً فيصل إلى مفعوله بنفسه كما في البيت المذكور .

(٢) هو عبد العزيز بن علي الإشبيلي ، قارىء مجود ، له شعر حسن ، ولد سنة ٤٩٨هـ ورحل=

الأول : ما يتمكن فيه التفخيم وهو ما كان مفتوحاً .

الثاني : ما كان دونه وهو المضموم .

الثالث : ما كان دونه أيضاً وهو المكسور .

وعند المصنف رحمه الله تعالىٰ على خمسة :

١ـ ما كان بعده ألف .

٢ـ ثم ما كان مفتوحاً من غير ألف بعدها ، وهذان النوعان مندرجان تحت جنس أول الثلاثة .

٣ـ ثم ما كان مضموماً .

٤ـ ثم ما كان ساكناً .

٥ـ ثم ما كان مكسوراً .

[٤٦] (وَبيِّنِ الإِطْبَاقَ مِنْ أَحَطْتُ مَعْ بَسَطْـتَ والخُلْـفُ بِنَخْلُقْكُـمْ وَقَـعْ)

أمر ببيان صفة إطباق الطاء من قوله تعالىٰ حكايةً عن الهدهد : ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ [النمل : ٢٢] ومن قوله تعالىٰ : ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ﴾ [المائدة : ٢٨] لئلا تشتبه الطاء المطبقةُ المستعلية الجهرية بالتاء المنفتحةِ المستفلة المهموسة المدغمة كما هو أصل القاعدة في إدغام الحروف المتقاربة ، وكذا الحكم في قوله تعالىٰ : ﴿فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر : ٥٦] ، ثم أخبر أنَّ الاختلاف وَقع بين أهل الأداء من المشايخ في إبقاء صفة استعلاء القاف مع الإدغام في قوله تعالىٰ : ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [المرسلات : ٢٠] وفي ذهابها معه مع اتفاقهم على الإدغام .

= إلى مصر والشام وحلب ، وانتهىٰ إليه التفوق في القراءات في عصره ، توفي في حلب سنة ٥٦٠هـ ، من كتبه « نظام الأداء في الوقف والابتداء » و« مقدمة في مخارج الحروف » و« مقدمة في القراءات » . اهـ « الأعلام » ٤/ ٢٢ ، وفي كتابه : « الإنباء في تجويد القرآن » ص٤٨ ما يفيد المعنى الذي ذكره الشارح .

قال ابن المصنف [٢٥] : (وكلاهما جائزان وذهابها أولىٰ) .

وقال الناظم في كتاب « التمهيد » : (والأول مذهب المكي وغيره ، والثاني مذهب الداني ومن والاه) ، ثم قال : (قلت : كلاهما حسن ، وبالأول أخذ البصريون[١] ، وبالثاني أخذ الشاميون ، واختياري الثاني وفاقاً للداني)[٢] .

وقال في « النشر » : (الإدغام المحض أصح رواية وأوجَهُ قياساً)[٣] .

أقول : ولذا لم يلتفت الشاطبي لهذا الخلاف أصلاً ، ولعله أراد بالقياس إجماعهم على إدغام القاف في الكاف للسوسي إدغاماً محضاً مع وجود تحرك القاف وتعدد الكلمتين ، فمع السكون واتحاد الكلمة بالأَوْلَىٰ[٤] .

ثم اعلم أنَّ الإدغام على قسمين :

تام : وهو إدراج الأول في الثاني ذاتاً وصفة مثل : ﴿ قَالَت طَّآئِفَةٌ ﴾ .

وإدغام ناقص : وهو إدراج الأول في الثاني ذاتاً لا صفةً ، وإدغام ﴿أَحَطتُ﴾ ونظائره من قبيل الناقص ، وأيضاً قوة الطاء وضعف التاء يمنع الإدغام الكامل ، ولولا التجانس لم يَسُغِ الإدغام أصلاً ؛ لأن القوي لا يدرج في الضعيف ، بخلاف العكس نحو : ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ﴾ حيث أجمعوا فيه على الإدغام الكامل كما أجمعوا في نحو : ﴿أحطت﴾ على الناقص[٥] .

ثم ما وقع في عبارة بعضهم من إظهار القاف في ﴿نخلقكم﴾ فذلك خطأ

---

(١) في « التمهيد » : « أخذ عليّ المصريون » .
(٢) « التمهيد » ص١٥٠ .
(٣) « النشر » ١/ ٢٩٩ .
(٤) أي كما في قوله تعالىٰ : ﴿وخلق كل شيء﴾ فالقاف منفصلة عن الكاف ومتحركة ، ومع ذلك فقد أدغمها السوسي إدغاماً محضاً دون إبقاء صفة استعلاء القاف مع وجود الداعي هنا ـ وهو انفصالهما عن بعضهما وتحرك القاف ـ أكثر من هناك ؛ لأنها متصلة مجزومة في ذلك المثال ، أي قوله تعالى ﴿ألم نخلقكم﴾ والله أعلم .
(٥) من قوله : « كما أجمعوا . . . » سقط من « أ » .

محض ، اللهمَّ إلا أن يحمل على إظهار صفة استعلائها لا على إظهار الحرف ذاته ، فَعُلِمَ أنَّ ما ذُكر ليس بإدغام محض ولا إظهار محض بل حالة بينهما ، فهو بالإخفاء أشبه ، فيكون نظير ما قال الشاطبي رحمه الله [١٥٦] :

وإِدْغَـامُ حـرفٍ قبلـه صَـحَّ سَـاكِـنٌ عَسيـرٌ وبـالإخفـاء طَبَّـقَ مَفْصِـلا

وإنما وقع الخلاف في القاف دون الطاء لأن الإطباق أقوىٰ من الاستعلاء ، فيجب إبقاء الأول دون الثاني .

وأما ما ذكر الرومي [٤٢] من أنهم فرقوا بين ﴿ بَسَطتَ﴾ و﴿ نَخْلُقكُّم﴾ بأنَّ إعطاء صفة الاستعلاء في الأول بزيادة الطاء قبل التاء المشددة وفي الثاني بلا زيادة القاف فلم نره في الكتب المنسوبة إليهم ولا سمعناه من المشايخ الذين قرأنا عليهم وحققنا وجوه القراءة لديهم .

ثم ما ذكره من تلقاء نفسه[١] من وجه الفرق بينهما فممَّا لا يلتفت إليه ولا يعوَّلُ عليه[٢] ، ثم رأيت منشأ وهْمِهِ كلام ابن الحاجب من غير فهمه حيث

---

(١) في « أ » : ثم ذِكْرُهُ من تلقاء نفسه .

(٢) فيما يلي عبارة الشارح الرومي بتمامها ليظهر من خلالها وجه مناقشته ، قال الرومي : (. . . لكن فرقوا بين ﴿بسطت﴾ و﴿نخلقكم﴾ بأن إعطاء صفة الاستعلاء في الأول بزيادة الطاء قبل التاء المشددة ، وفي الثاني ـ يعني « نخلقكم » ـ بلا زيادة القاف ، وهذا الفرق قد خفي عليَّ وجهه ولم أجد فيما وصل إلينا من الكتب ما يفي بتوضيحِهِ فلنذكر ما خطر بالخاطر الفاتر من غير الرجوع إلى شيء من الدفاتر ، والمرجوُّ من الملك الوهاب أن يجعل ذلك راجعاً جارياً على سنن الصواب ، إنه ميسِّرُ كل صعاب والفاتح لمغلقات الأبواب ، فأقول وبالله التوفيق : إنَّ مخرجَ الطاء والتاء لما اتحدَ وانحصر الفرق بينهما في صفة الاستعلاء والإطباق الحاصلتين في الطاء لزم من زيادة صفة الاستعلاء والإطباق في التاء المدغم كونُ الطاءِ تاءً بعينها فيزول الإدغام ، بخلاف القاف مع الكاف فإنهما لما تخالفا في المخرج والصفة لم يلزم من زيادة صفة الاستعلاء على الكاف المدغم أن يصير بعينها القاف فلا يزول الإدغام فلذلك احتيج في زيادة الاستعلاء والإطباق في مثل « بسطت » إلى زيادة طاء أخرىٰ قبل التاء المشدَّدة دون « نخلقكم » إذ يكفي فيه إعطاء صفة استعلاء الكاف فتأمل والتوفيق من الله) . اهـ .

استشكل الإدغام بأنَّ الإطباق صفة للمطبق ولا يتأتىٰ إلا به ، فلو بقي الإطباق مع الإدغام للزم اجتلاب طاء أخرىٰ لتدغم في التاء غير الطاء التي قام بها وصف الإطباق ، وفي ذلك جمع بين ساكنين ، فإن نحو : ﴿ فَرَّطتُ ﴾ [الزمر : ٥٦] بالإطباق ليس فيه إدغام حقيقةً ولكنه لما اشتدَّ التقارب وأمكن النطق بالثاني بَعْدَ الأول من غير نقل اللسان أطلقنا عليه الإدغام مجازاً لكون ذلك النطق كالنطق بالمثل بعد المثل على ما ذكره الجَارْبُرْدي وغيره[1] .

وفُرِّق بين الإطباق والغنة بأن الغنة لا تتوقف على النون لأنها من مخرجٍ غير مخرجه ، فإن النون من الفم ، والغنة من الخيشوم بخلاف الإطباق فإنه مع المطبق ، فإخراجه لا يتأتّىٰ إلا به .

وأما ما ذكره المصري بقوله : (وأجيب[2] بأن القراء نَصُّوا على أنَّ في نحو : ﴿ فَرَّطتُ ﴾ تشديداً[3] ولا يمتنع[4] إبقاء الإطباق في الطاء قائماً بمحض صوت الطاء ؛ لأن الطاء لم يستكمل إدغامه في التاء ، ولا يلزم اجتلاب طاء أخرىٰ ولا جمع بين ساكنين ، وعلى هذا فقياسه على الغنة مستقيم)اهـ . فلا يخفىٰ ما فيه من المصادرة بل ما في معارضته من المكابرة[5] .

ثم قوله : (إذا سكنت الطاء وأتىٰ بعدها تاء وجب إدغامها إدغاماً غير

---

(١) انظر « شرح الكافية » للجاربردي ص١١٤ .

(٢) في « ب » : وأحسبُ .

(٣) في « ب » هنا زيادة : « متوسطاً مع بقاء صفة الإطباق ، ولو كان على ما ذكر ابن الحاجب لم يكن فيه تشديد» .

(٤) في « أ » : يمنع .

(٥) المصادرة : هي جعلُ نتيجة الدليل نفس مقدمةٍ من مقدمتيه مع تغيير في اللفظ يوهم فيه المستدل التغاير بينهما في المعنىٰ ، ، الغرض منها إيهام المستدل خصمه بمغايرة النتيجة للمقدمة ، فهي وظيفة ممنوعة غير مقبولة في الاستدلال .

وأما المكابرة فهي المنازعة لا لإظهار الحق والصواب ولا لإلزام الخصم بل لإظهار الفضل ، وذلك كمنع البديهيات وعدم التسليم فيها أو نقض الدليل بلا شاهد ونحوه . اهـ انظر « ضوابط المعرفة » للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص٤٥١ وص٤٥٤ .

مستكمل بل يبقىٰ معه صفة الإطباق لقوة الطاء وضعف التاء ، فيتعين على المجود أن يوفيها حقها لاسيما إذا كانت مشددة نحو : ﴿اطَّيرنا﴾ و﴿أن يَطَّوَّف﴾) . ففيه أنَّ المثالين الأخيرين ليسَا مما نحن فيه بل من قبيل ﴿وَدَّت طائفة﴾ حيث أجمعوا على أنه من الإدغام الكامل ، وأنَّ أصلهما « اتْطيَّرْنا » و« يَتْطَوَّف » فأُعِلاَّ بإعلالٍ حُقِّقَ في محلهما ، فهو من باب إدغام الأضعف في الأقوىٰ ليصير مثله في القوة ، بخلاف نحو : ﴿أحطت﴾ فإنه من باب إدغام الأقوىٰ في الأضعف فيمتنع اندراجه فيه بالكلية ، وبه يحصل الفرق في هذه القضية على قواعد العربية .

وقال بعضهم : ومن العرب من يبدل التاء طاءً ثم يدغم إدغاماً مستكملاً فيقول : « أحطتُ » و« فَرَّطْتُ » بطاء واحدة مشددة مدغمة ، قال شريح[1] : (وهذا مما يجوز في كلام الخلق[2] لا في كلام الخالق عز وجل) . اهـ ؛ لأن كلام الله لا يجوز فيه التصرف على خلاف ما ثبت عن رسول الله ﷺ بالطرق المتواترة في القراءات المشتهرة ، وأما في كلام المخلوقين فيتوسع بكل ما جاء من اللغة ، وبهذا يتبين أنه لم يرد في لغةٍ إبدال الطاء تاءً وإدغامها فيها فيجب الاحتراز عنها .

[تنبيهات] :

[٤٧] (**واحْرِصْ**) بكسر الراء (**على السُّكُوْنِ في جَعَلْنَا**) أي في لام « جعلنا » إذ كل سكون لا بُدَّ من الحرص على بيانه وكذا الحركة إلا أنه خَصَّ لام « جعلنا » لئلا تصير مدغمة ولا متحركة فحينئذٍ يتغير المعنىٰ باختلاف المبنىٰ كما لا يخفىٰ ، ونحوه « أنزلنا » وكذا « قلنا » مما فيه اللام ساكنة

---

(١) لم يبين المؤلف من هو المراد ، ولعله شريح بن محمد الرعيني الإمام المقرىء والأديب المحدث ، المتوفى سنة ٥٣٧هـ ، أو : شريح بن يزيد أبو حيوة الحضرمي الحمصي القارىء المتوفى سنة ٢٠٣هـ ، وكلاهما مترجم له في « غاية النهاية » ١/ ٣٢٤ و٣٢٥ .

(٢) في « ب » : المخلوق .

وبعدها نون ، فيجب التحفظ بإظهارها مع رعاية سكونها .

قال المصري : (لا كما يفعله بعض الأعاجم من قصد قلقلتها) .

قلت : اللام ليست من حروف القلقلة ؛ فإنَّ حروفها « قطب جدٍ » لا حروف القلقلة سبعة كما توهَّمَ المصري من الذهول والغفلة[1] .

(**أَنْعَمْتَ وَالمَغْضُوبِ مَعْ ضَلَلْنَا**) أي وكذا كن حريصاً على بيان سكون نون ﴿أنعمت﴾ وميمها ، وغين ﴿المغضوب﴾ ، واللاَّم الثانية من ﴿ضَلَلْنَا﴾ ليتحرز من تحريكها كما يفعله[2] جهلة القراء فإن ذلك من فظيع اللحن عند العلماء .

و« ضَلَلْنَا » بالضاد ثابت في القرآن عند قوله تعالىٰ : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة : ١٠] ، وأما « ظَلَلْنَا » بالظاء المشالة فلم يوجد فيه مخففة ، ولا ضرورةَ بالإتيان بها والقولِ بتخفيفها للوزن ، ولا يغرنك كثرةُ النسخ عليها وإشارةُ بعض الشرَّاح إليها .

واقتصر ابن المصنف على نون ﴿أنعمت﴾ وتبعه الشُّرَّاح ، فالحكم يشمل والمنخنقة الميم على حسب التعميم ، نعم في معنىٰ نون « أنعمت » كل نون ساكنة وبعدها حرف من حروف الحلق كـ﴿ينأون﴾ ، و﴿مَنْ آمَنَ﴾ ، و﴿منه﴾ ، و﴿إنْ هُوَ﴾ ، و﴿تَنْحِتُون﴾ ، و﴿مَنْ حَادَّ﴾ ، و﴿يَنْعِقُ﴾ ، و﴿من عِلْمٍ﴾[3] ، و«ينغِضُون» ، و﴿عذابٌ غليظ﴾ ، و﴿المُنْخَنِقَة﴾ ، و﴿من خوف﴾ ونحو ذلك .

ثم لا يسكت[4] على النون سكتة لطيفة كأنه يريد بها إيضاح إظهارها وأنها

---

(١) لا يفهم من كلام الشارح المصري جعل حروف القلقلة سبعة ، بل التنبيه إلى خطأ شائع يقع فيه بعض الجهلة من الأعاجم وغيرهم ، وهو قلقلة اللام الساكنة .

(٢) في « أ » : كما فعله .

(٣) سقطت من « ب » .

(٤) في « ب » : لا يسكت .

لا غنة فيها ، فإن ذلك خطأ محض لا يفعله إلا الجهلة من القراء .

وفي معنىٰ غين[1] « المغضوب » ﴿ضِغْثًا﴾ و﴿بَغْيًا﴾ و﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا﴾ و﴿أغنىٰ﴾ و﴿يغشىٰ﴾ ، وعلل المصنف في « التمهيد » إظهار الغين الساكنة عند الشين من ﴿يغشىٰ﴾ بقوله : (لئلا يقرب من لفظ الخاء لاشتراكهما في الهمس والرخاوة)[2]

[٤٨] وخَلِّصِ انْفِتاحَ مَحْذُوْراً عَسَىٰ   خَوْفَ اشْتِبَاهِهِ بِمَحْظُوراً عَصَىٰ

أي بَيِّنْ ومَيِّزْ صفة الانفتاح عن الإطباق في نحو : ﴿محذوراً﴾ عند قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء : ٨٧] وفي نحو : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء : ٧٩] لئلا يشتبه الذال بالظاء في قوله : ﴿ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء : ٢٠] والسين بالصاد في قوله تعالىٰ : ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه : ١٢١] فإنَّ كلاً من الذال والظاء من مخرج واحد ، وكذلك السين والصاد ، وإنما يتميز كلٌّ من الآخر بتمييز الصفة ، فالذال[3] والسين منفتحتان ، والظاء والصاد مطبقتان فينبغي أن يخلص كلُّ واحدٍ من الآخر بانفتاح الفم وإطباقه وما يترتب عليهما من ترقيق الأوَّلَيْن وتفخيم الآخرين ، وكذا حكم كل حرف مع غيره إذا كانا متحدي المخرج مختلفَي الصفة .

ثم الضمير في « اشتباهه » راجع إلى الحرف المنفتح بقرينة المقام ، وتقديره : خوف اشتباه كل واحدٍ من « محذوراً » و« عسىٰ » بـ« محظوراً » و« عصىٰ » أو خوف اشتباه المذكور ، كذا ذكره الشراح على اختلاف اختيار كلٍ منهم .

والأظهر أن ضميره راجع إلى الانفتاح ، أي مخافة اشتباه انفتاح « محذوراً » و« عسىٰ » بإطباق « محظوراً » و« عصىٰ » ووجه الأظهريَّةِ أنَّ محل

---

(١) في « ب » : غير المغضوب .

(٢) انظر « التمهيد في علم التجويد » لابن الجزري ص١٤٧ .

(٣) في « ب » : فإن الذال .

الاحتياج في صحة الحمل إلى التقدير هو الثاني دون الأول فتأمل .

[٤٩] (وَرَاعِ شِدَّةً) أي كائنةً (بِكَافٍ) أي في كافٍ (وَبِتَا) بالقصر على وقف حمزة في الهمزة لا كما قال الرومي[٤٤] إنها للضرورة .

(كَشِرْكِكُمْ وَتَتَوَفَّىٰ فِتْنَتَا) بألف الإطلاق أو بإبدال التنوين ألفاً وقفاً على ما جاء في لغة .

« وَرَاعِ » أمرٌ من المراعاة، والمفاعلة إذا لم تكن للمقابلة فهي[١] للمبالغة .

وقول الرومي[٤٤] : (أمرٌ من الرعاية) فيه نوع مساهلة حيث لم يراعِ فيه القاعدة المميزة بين المجرد والمزيد الفارقة للطالب المريد .

فأمر بمراعاة الشدة في الكاف والتاء نحو : ﴿نكتل﴾ و﴿يتلو﴾ خصوصاً عند ورود تكرارها نحو قوله تعالى : ﴿ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ [فاطر : ١٤] و﴿ تَتَوَفَّـٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ [النحل : ٣٢] و﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً ﴾ [الأنفال : ٢٥] وذلك لأن الشدة تمنع الصوت أن يجري معهما مع ثباتهما في موضعهما قويَّيْنِ فاحذَرْ أن تُتبِعَهما ركاكة .

والحاصل أنَّ كل حرف ينبغي أن تراعىٰ فيه صفاته المتقدمة من جهر وهمس وشدة ورخوة وغير ذلك بعد تمكينه من مخرجه ، فاحفظ هذه القاعدة الكلية وقس عليها الأمثلة الجزئية ولو لم ينصَّ عليها صاحب الجزرية .

هذا وقد قال في « التمهيد » : (إذا تكررت الكاف من كلمة أو كلمتين فلا بُدَّ من بيان كُلٍّ منهما لئلا يقرب اللفظ من الإدغام لتكلف اللسان بصعوبة التكرير نحو قوله تعالىٰ : ﴿ مَّنَاسِكَكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٠٠] و﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾ [طه : ٣٥] على مذهب المُظْهِر[٢])[٣] .

---

(١) في « ب » : للمفاعلة ، وهي ساقطة من « أ » .

(٢) يعني في قراءة غير أبي عمرو في لفظ ﴿مناسككم﴾ وغير أبي عمرو ورُوَيْس في ﴿إنك كنت﴾ لأن هذين المستثنين قرأا بالإدغام في هذين الموضعين .

(٣) انظر « التمهيد في علم التجويد » لابن الجزري ص١٥١ .

وكذا الحكم في تاء ﴿ تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ و﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً ﴾[١] وشبه ذلك فتراعى الشدة التي فيها لئلا تصير رخوة كما ينطق بها بعض الناس ، وربما جعلت سيناً إذا كانت ساكنة نحو : ﴿فتنة﴾ ﴿ ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ ﴾ [المائدة : ٢٧] ولذلك أدخلها سيبويه في جملة حروف القلقلة ، وتتأكد المراعاة فيها إذا تكررت نحو : ﴿ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴾ [النازعات : ٧] و﴿تتوفاهم﴾ لصعوبة اللفظ بالمكرر على اللسان .

وقال مكي في « الرعاية » : (هو بمنزلة الماشي يرفع رجله مرتين أو ثلاث مرات ويردها كل مرة إلى الموضع الذي رفعها منه)[٢] .

وقال المصري : (وهذا ظاهر ألا ترىٰ أنَّ اللسان إذا تَلَفَّظَ بالتاء الأولىٰ رجع إلى موضعه ليتلفظ بالثانية ، وذلك صعب فيه تكلف ، ولكن لا يخفىٰ أنَّ قوله « أو ثلاث مرات » زائد ؛ لأنه ليس في الكلام تكرارها ثلاث مرات[٣] كما نقل وليس فيه ما هو بمنزلة رفعِ رجلٍ ثلاث مرات بل مرتين) .

أقول : بل هو غير زائد إذ قد يوجد التكرار ثلاث مرات لا في كلمة بل في كلمات متواليات كما في قوله تعالىٰ : ﴿ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ وصلاً ، وكذا قوله تعالىٰ : ﴿ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴾ ولا يشترط في إثبات تكرار التاء[٤] أن لا يكون بينهما فصل ، ولذا عُدَّ في أمثلة التكرار قوله : ﴿فتنة﴾ كما سبق في كلام المصنف ، إلا أنَّ قوله[٥] : (وربما جعلت سيناً إذا كانت ساكنة نحو : فتنة) فيه بحث ؛

---

(١) أورد المؤلف هذا المثال ليبينَ أنَّ ما تكررت فيه التاء ولو مفصولة بفاصل سواء تكررت بكلمة أو كلمتين فهو داخل في الحكم المذكور كما سيأتي بيان ذلك في كلام المؤلف بعد قليل .

(٢) انظر « الرعاية » لمكي بن أبي طالب القيسي ص٩٥ .

(٣) في « أ » : لأن الكلام في تكرارها ثلاث مرات ، وفي « ج » : لأنه ليس الكلام في تكرارها ثلاث مرات .

(٤) في « ب » : ولا يشترط إتيان تكرار التاء ، وفي « ج » : ولا يشترط لإتيان .

(٥) الظاهر عود الضمير إلى ابن الجزري ، والجملة بهذا اللفظ ليست موجودة في «التمهيد» ، وفيه عبارة منقولة عن شريح تشبهها (انظر : التمهيد / ١٢٥) ، وقد سبق للشارح ذكر هذه=

إذ الظاهر المتبادر أنها تصير دالاً إذا لم يراع فيها صفة الشدة[1] والهمس لاتحاد مخرجهما والتمييز بينهما باعتبار صفتهما ، وأما السين والدال فبينهما قرب المخرج ، والله أعلم .

ثم مما يجب الاعتناء بالتاء خصوصاً إذا كان بعدها[2] طاء ساكنة أو ظاء نحو قوله تعالىٰ : ﴿ ۞أَفَتَطْمَعُونَ﴾ و﴿ تَطْهِيرًا﴾ و﴿ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾[3] .

[الإدغام والإظهار] :

[٥٠] (وَأَوَّلَيْ مِثْلٍ وجِنسٍ إن سَكَنْ أَدْغِمْ كَقُل رَّبِّ وَبَل لاَّ وَأَبِنْ)

[4] أمر من الإبانة بمعنى الإظهار ، ومتعلقه سيأتي في البيت الآتي ، وموافقة الحركة فيما قبل النون التزام ما لا يلزم[5] في شعر العرب وإن التزمه العجم ، والضمير المستكن في « سكن » راجع إلى الأول في قوله « أَوَّلَيْ » ـ بالتثنية ـ المضاف إلى « مثلٍ وجنسٍ » ، وحذفُ نونه بالإضافة ، ونصبه بالياء على أنه مفعول مقدم لقوله « أدغم » .

وأما قول الرومي [٤٥] في بيان إعرابه من أنَّ[6] (« أَوَّلَيْ » مبتدأ مضاف إلىٰ « مثل » ، و« جنس » عطف على « مثل » ، و« إن سكن » جملة شرطية جزاؤها « أدغم » ، والجملة الشرطية مع جزائها خبر المبتدأ) فخطأ فاحش ؛

= العبارة قبل قليل ضمن كلامه .

(١) تشترك التاء والدال في صفة الشدة .

(٢) في « ب » : إذا كانت أو كان بعدها .

(٣) في « أ » : ولا تطغوا ، ولا تظلمون .

(٤) في « ب » زيادة : قال شارحه .

(٥) التزام ما لا يلزم في شعر العرب هو أن يجيء قبل حرف الروي ما في معناه من الفاصلة ما ليس بلازم في التقفية كالتزام حرفٍ أو حركة أو أحدهما يحصل الرويّ أو السجع بدونه ، والمصنف في هذا البيت لم يلتزم بذلك ، فحركة ما قبل النون في « سكَن » الفتح ، وحركة ما قبل النون في « وأبِن » الكسر . انظر « جواهر البلاغة » للهاشمي ص٢٥١ .

(٦) « أنَّ » سقطت من « ب » .

لأنه لو كان مبتدأً لرفعَ بالألف وقيل : أوّلا مثلٍ وجنس ، وكأنَّهُ تصحف عليه كتابة الياء بقراءة الألف .

والمثالان نشر مشوش[(١)] ؛ لأنَّ « بل لاَّ » مثال المثلين ، و« قل رَّبِّ » مثال الجنسين[(٢)] .

وقول زكريا [٦٧] : (ولو سكوناً عارضاً) إنما يتمُّ في الإدغام الكبير كما قرأ به السوسي[(٣)] ، والظاهر أنَّ المصنف أراد به الإدغام المتفق عليه من الإدغام الصغير .

ثم اعلم أنَّ الحرفين إذا التقيا بأن لا يكون حاجز بينهما **إما أن يكونا مثلين** بأن اتفقا مخرجاً وصفة كالباء والباء ، والتاء والتاء ، والياء والياء ، **وإما أن يكونا متجانسين** بأن اتفقا مخرجاً واختلفا صفةً كالدال والتاء والطاء ، وكذا الذال والظاء والثاء ، **وإما أن يكونا متقاربين** بأن تقاربا مخرجاً وصفةً كالدال والسين ، والتاء والثاء ، والضاد والشين[(٤)] ، فإذا عرفت ذلك فاعلم أنهم اختلفوا في **اللام والرَّاء والنون** أنهما من مخرج واحد وهو اختيار الفراء ، أو لكل واحد منها مخرج على حدة إلا أنَّ بينهما قرب المخرج وعليه الجمهور من النحاة[(٥)] وهو مختار سيبويه ، واختاره المصنف تبعاً للشاطبي رحمه الله ، لكن

---

(١) اللف والنشر : هو ذكر متعدد على وجه التفصيل أو الإجمال ثم ذكر ما لكل من آحاده من غير تعيين ، فإن كان النشر على ترتيب اللف سمي مرتباً ، وإلا سمي مشوشاً . انظر « علم البديع » د . البسيوني فيود ص١٧٥ .

(٢) سيأتي تعليق الشارح على جعلهما من المتجانسين بعد قليل .

(٣) كقوله تعالى : ﴿قد جَعَلَ رَبك﴾ للمتجانسين ، و﴿يعلمُ مَا جَرَحْتُم﴾ للمتماثلين ، فاللام والميم الأولين من المثالين متحركان ، ولكن لما أردنا إدغام كلٍّ منهما بما بعده وجب إسكانه قبل ذلك ، فهذا السكون يعدُّ عارضاً حينئذٍ وهو الذي عناه الشيخ زكريا .

(٤) ما ذكره الشارح من أمثلة للحروف المتقاربة في المخرج لم يراع فيه كونها تدغم عند حفص أو تظهر .

(٥) انظر « الكامل » للمبرد ١/ ١٩٣ ، و« المفصل » ٣٩٤ ، و« الكتاب » ٤/ ٤٣٣ .

كلامه هنا خلاف ما سبق[1] عنه أوّلاً فإنه جعل اللام والراء من قبيل الجنسين ، فلو قال : « وقرب » موضع « جنسٍ » لشمل المذهبين كما عَبَّر به الشاطبي في إدغام المتقاربين .

وأما ما اعتذر عنه[2] المصري بقوله : (ولعل الناظم نظر إلىٰ أنَّ المتقارب داخلٌ في المتجانس بخلاف عكسه) . فلا يصح للاتفاق على عكسه .

والحاصل أنه إذا التقى المثلان أو الجنسان وسكن الأول منهما أدغم الأول في الثاني نحو : ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ﴾ و﴿قُل لَّهم﴾ و﴿هل لَّكم﴾ و﴿قل رَّبِّ﴾ و﴿ بَلْ رَانَ﴾ عند من لم يسكت علىٰ اللام ، وكذا سائر الحروف نحو ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ﴾ و﴿ اذْهَب بِّكِتَابِي﴾ و﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ و﴿ أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ وأمثالهم .

ثم اعلم أنَّ ما ذكره المصنف في المثلين فهو على عمومه عند جميع القراء ، وأما ما أطلقه في المتجانسين فليس على ظاهره مما يتوهم فيه من اتفاق أهل الأداء[3] فإنَّ منهما ما اتفقوا عليه ، ومنهما ما اختلفوا فيه كما يعرف مما ذكره الولي الشاطبي في باب حروفٍ قربت مخارجها ، من جملتها الراء عند اللام عكس ما ذكره المصنف رحمه الله من إدغام اللام في الراء ، فإنهما مع كونهما من المتجانسين أو المتقاربين اختلف حكمهما حيث وقع الاختلاف في الثاني دون الأول ، فتأمل .

نعم إذا كان الأول من المتماثلين حرف مد فإنه يظهر بلا خلاف عند الياء والواو كما أشار إليه في قوله : وأبِنْ [٥١] (في يَوْمٍ) بترك التنوين ضرورة[4]

---

(١) في « ب » : يوهم خلاف ما سبق. . .

(٢) سقطت من « ب » .

(٣) في « ب » : « الآراء » بدل الأداء .

(٤) لا ضرورة في المثال لوجود آية فيها لفظ « يوم » غير منون ، وذلك في قوله تعالى ﴿ فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ [القمر : ١٩] .

(مَعْ قَالُوا وَهُمْ) فإنَّ المدية من نحو: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥] ونحوه: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ﴾ [الناس: ٥] والواو المدية من نحو: ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الشعراء: ٩٦] ونحو: ﴿ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر: ٣] لا تدغمان[١] في مثلهما بالمعنىٰ الأعم إذ لا يتصور اجتماع المدَّيَّيْن حتى يقال لا يدغم، فافهم، ولذا قالوا في التعليل: محافظةً على المد لئلا يذهب بالإدغام بخلاف ما إذا كان الأول من المتماثلين حرف اللين فإنه يدغم كما هو داخل تحت الحكم العام نحو: ﴿ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟﴾ [الأنفال: ٧٢]، فقوله «أَبِنْ» بحسب المعنىٰ استثناء من القاعدة المتقدمة في المبنى[٢].

وأما قول الرومي [٤٦]: (اللهمَّ إلا أن يكون المتماثلان أو المتجانسان[٣] حرف مد) فغير صحيح.

ثم قوله:

.... وَقُــــلْ نَعَـــــمْ سَبِّحْــهُ لا تُــزِغْ قُلُــوْبَ فَــالْتَقَــمْ

استثناء من إدغام المتجانسين، فيجب إظهار اللاَّم الساكنة عند النون نحو: ﴿قل نعم﴾ مع أنهما متجانسان أو متقاربان؛ لأن النون لا يدغم فيها شيء مما أدغمت هي فيه من حروف «يرملون» كذا أطلقوه ومرادهم سوىٰ النون.

وأما قول الرومي [٤٦]: (ولم تدغم اللام الساكنة في النون مع تقاربهما أو تجانسهما بناء على أنَّ النون لمَّا لم يدغم فيها ما يدغم في اللام[٤] من الحروف

---

(١) لا تدغمان، سقطت من «أ»، و«ب»، و«ج» وهي ثابتة في «د».

(٢) من قوله: «استثناء...» إلى هنا سقط من «أ».

(٣) في نسخة الشارح الرومي المطبوعة «إلا أن يكون الأول من المتماثلين أو المتجانسين» وفي نسخة «ج»: «إلا أن يكون المتماثلين والمتجانسين» ويبدو أن في نقل الشارح عن الرومي سهواً إذ لو كان كلام الرومي كما نقله الشارح لكان خبر «يكون»: «حرفي» بالتثنية، ولأن العبارة المصحفة عن الرومي ظاهرة الخطأ.

(٤) في «أ»: «لما لم يدغم...»، وفي «ب»: «لما لم يدغم فيها ما يدغم في اللام»، =

كالميم والواو والياء حصل بين اللام والنون وَحْشَةٌ ونفرة بذلك ، فلم تدغم[1] اللام فيها إلا ما روي عن الكسائي من إدغام « هل » و« بل » خاصةً في الإدغام الصغير نحو : ﴿ بَلْ نَتَّبِعُ ﴾ [البقرة : ١٧٠] و﴿ هَلْ نُنَبِّئُكُم ﴾ [الكهف : ١٠٣]) اهـ . فهو خطأ ظاهر ؛ لأن النون تدغم في اللّام كما تدغم في الميم والواو والياء كما سيأتي في باب أحكام النون الساكنة[2] .

قال الناظم في « التمهيد » : (فإن قلت : لِمَ أدغمت اللام الساكنة في نحو : ﴿النار﴾ و﴿الناس﴾ وأظهرت في قوله ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ وكُلٌ منهما واحد ؟

قلت : لأن هذا فعل قد أُعِلَّ بحذف عينه فلم يُعَلَّ ثانياً بحذف لامه لئلا يصير في الكلمة إجحاف[3] ، و« ال » حرف مبني على السكون لم يحذف منه شيء ولم يُعَلَّ بشيء فلذلك أدغم ، ألا ترىٰ أنَّ الكسائي ومن وافقه أدغم اللاَّم من « هل » و« بل » في نحو قوله : ﴿هَلْ تَعْلَمُ﴾ و﴿بلْ نَحن﴾ ولم يدغمها في ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ و﴿قُلْ تَعَالَوا﴾)[4] .

وكذا يجب بيان الحاء الساكنة عند الهاء في قوله : ﴿ فَسَبِّحْهُ ﴾ [الطور : ٤٩] لقاعدة أنَّ الحلقي لا يدغم في أدخل منه ، والهاء أدخل من الحاء ، بخلاف الهاء في الهاء نحو : ﴿ مَالِيَه (٢٨) هَلَكَ ﴾ [الحاقة : ٢٨-٢٩] وإنما خصَّ الناظم ببيان « فسبحه » وإظهاره لأنَّ كثيراً من الناس يقع في إدغامه بناءً على قرب المخرجين ولا يعلمون أنَّ الحاء أقوىٰ من الهاء ، والقاعدة أنَّ **الأقوىٰ لا يدغم في الأضعف**[5] .

= وفي « د » : « لما لم تدغم فيما لم يدغم في اللام » ، وفي « ج » : « لما لم تدغم في اللام » وما أثبتاه من « ب » هو الصواب .

(١) في « ب » : فلم يدغموا .

(٢) هذا التعقيب من الشارح يدل على وجود خطأ في نسخة الرومي التي نقل عنها .

(٣) في المطبوعة من كتاب «التمهيد» زيادة : « إذ لم يبق منها إلا حرف واحد » .

(٤) انظر « التمهيد في علم التجويد » للإمام ابن الجزري ص١٥٣ .

(٥) وقع إدغام حرف قوي في حرف أضعف منه ، مثل إدغام القاف في الكاف في (نخلقكم)=

وكذا يجب بيان الغين عند القاف في قوله : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ [آل عمران : ٨]، قال ابن المصنف [٢٧] : (لتغايرهما فإن الغين حلقية والقاف لهوية)[٢٧] . وفيه أنَّ بينهما قرب المخرج فلا ينافي تغايرهما ، فالأَوْلىٰ أن يقال : لأنَّ حروف الحلق بعيدة من الإدغام لصعوبتها .

وقد ذكر المصنف في « التمهيد » أنَّ الغين إذا لقيت حرفاً حلقياً وجب بيانها نحو : ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا﴾ [الأعراف : ١٢٦] و﴿أَبْلِغْهُ﴾ [التوبة : ٦] وكذا القاف نحو : ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾ لأن مخرج الغين قريب من مخرج العين قبله ، والقاف بعده فيخشىٰ أن يتبادر اللفظ إلى الاختفاء والإدغام[١] . اهـ .

وكذا يجب بيان اللام عند التاء في قوله تعالىٰ : ﴿فالتقمه﴾ لبُعْدِ مخرجهما وهو ينافي الإدغام ، وأما لام التعريف في التاء فلكثرة استعمالها[٢] ، ولعل هذا وجه استثنائها لئلا تشتبه بها ويجري عليها حكمها ، وبهذا يفرق أيضاً بين ﴿قل نعم﴾ وبين ﴿النعيم﴾ ثم الفرق أيضاً باعتبار أنَّ « الْتَقَم » كلمة واحدة فيحصل بإدغامها إجحاف بالبنية[٣] ولا كذلك في كلمتين من نحو : ﴿التوبة﴾ .

ثم الحروف من حيث هي قسمان : **قمرية وشمسية** ، وكل منهما أربعة عشر حرفاً .

فالقمرية يجمعها قولك : « إبْغِ حَجَّكَ وَخَفْ عَقِيْمَهُ » فتظهر لام التعريف عندها .

= وإدغام الدال في السين في نحو (قد سمع) عند من أدغم ، وإدغام الراء في اللام في نحو : (واغفر لنا) عند من أدغم .

(١) انظر « التمهيد في علم التجويد » لابن الجزري ص١٤٧ .

(٢) هو جواب عن سؤال : لِمَ أدغمتم لام التعريف في التاء مع تباعد المخرجين فخرجتم عن الأصل الذي هو الإظهار كما في غير لام التعريف ؟ .

(٣) في « ب » : في البنية .

والشمسية ما عداها ، وتدغم لام التعريف فيها ، وقد نظم الحروف القمرية بعضهم في أوائل قوله :

أ ب و ي خ ح م ج ع ف غ ق ك هـ[1]

ألا بَلْ وَهَلْ يروي خبيرٌ حديثَ مَنْ جَلا عن فؤادي غُمّةً قد كَسَتْ هَمَا

والأمثلة : « الأحد ، البر ، الولي ، اليقين ، الخبير ، الحليم ، المؤمن ، الجليل ، العليم ، الفتاح ، الغفار ، القهار ، الكبير ، الهادي » وتسميته شمسية وقمرية من باب تسمية الكل باسم الجزء وهو لام الشمس والقمر .

وسبب الإظهار في الأول تباعد المخرجين ، وسبب الإدغام في الثاني تقارب المخرجين وإن تفاوتا في غير اللام للتماثل فيها .

[تعريف الإدغام] :

ثم إنَّ الإدغام عبارة عن خلط الحرفين وإدخال أحدهما في الآخر ـ مأخوذٌ من إدغام اللجام في فم الفرس ـ **فيصيران حرفاً واحداً مشدداً يرتفع اللسان عنه ارتفاعةً واحدة** ، وهو يؤذن بحرفين ، فصارت الشدة والامتزاج في السمع كالحرف الواحد ، وإلا فهما حرفان في الحقيقة وعوض عنه التشديد وهو حبس الصوت في الحيز بعنف ، وليس التشديد عوضاً عن الحرف المدغم بل عما فاته من الاستقلال[2] في التلفظ ، فإنك إذا أصغيت إلى لفظك سمعت ساكناً مشدداً ينتهي إلى مخفف ، فقول بعضهم : « هو أن يرتفع لسانك بالحرفين دفعة واحدة » إنما يصح على سبيل التقريب ؛ لأن الناطق بالحرف المدغم ناطق بحرفين أولهما ساكن وثانيهما متحرك ، وفائدته تخفيف اللفظ لثقل عود

(١) إنما أعرض المؤلف عن ذكر الحروف الشمسية نظماً ونثراً لكونها تفهم من الضد ، وقد جمعها صاحب التحفة في أوائل كلمات هذا البيت :

طِبْ ثمَّ صِلْ رحماً تفزْ ضِفْ ذَا نِعَمْ دَعْ سوء ظَنٍّ زُرْ شَريفاً للكَرَمْ

(٢) في « أ » : الاستعلاء ، وفي « ج » و« د » : الاستيلاء .

اللسان إلى المخرج الأول أو مقاربه ، فاختار العرب الإدغام طلباً للخفة ؛ لأنَّ النطق بذلك أسهل من الإظهار كما يشهد به الحسُّ والمشاهدة ، ولذلك شَبَّهَ النحاة الإظهار بمشي المقيد ؛ لأن الإنسان إذا نطق بحرف وعاد إلى مثله أو إلى مقاربه يكون كالراجع إلى حيث فارق أو إلىٰ قريب من حيث فارق ، وشبَّهَهُ بعضهم بإعادة الحديث مرتين .

وكيفية ذلك أن يصير الحرف الذي يراد إدغامه من جنس الحرف الذي يدغم فيه إذا لم يكونا مثلين في أصلهما ، فإذا صار مثله حصل حينئذٍ مثلان ، وإذا حصل مثلان وجب الإدغام حكماً إجماعياً ، فإن جاء نصٌّ بإبقاء صفة من صفات الحرف المدغم فليس ذلك الإدغام بإدغام صحيح ، بل هو إخفاء صريح كما سبق تحقيقه[1] .

[تعريف الإظهار] :

وأما الإظهار فهو عبارةٌ عن ضِدِّ الإدغام ، وهو أن يؤتىٰ بالحرفين المميَّزين جنساً واحداً منطوقاً بكل واحدٍ منهما على صورته مستوفياً بكل صِفتِهِ مخلصاً إلى كمال بنيته .

وليحترز عن إدغام نحو : ﴿أَخْـرِجْ قَوْمَكَ﴾ [إبراهيم : ٥] لبعد مخرج الجيم عن القاف .

ثم اعلم أنَّ ذال « إذ » ودال « قد » وتاء التأنيث الساكنة ولام « هل » و« بل » لا شك في إدغامها عند اجتماعها لأمثالها ، وأما عند مجانسها ومقاربها ففي أكثرها خلاف بين القراء كما بينه الولي الشاطبي ، وفي بعضها وقع اتفاق لهم ، ولا بد من معرفتها[2] فقلت نظماً على منوال كلام الناظم

---

(١) عند شرح قول الناظم : وبين الإطباق من أحطتُ . . . إلخ .

(٢) في « ب » : وفي بعضها اتفاق لهم لا بد من معرفتها .

يمكن أن يُنَظَّمَ في سلك[1] نظمه :

وأَدْغِمَـنَّ ذالَ « إذ » فـي الظَّـاءِ ودالَ « قَـدْ » بعينـه فـي التَّـاءِ

وتـاءَ تـأنيـثٍ بـدالٍ وبِطَـا ولامَ « هَلْ » و« بَلْ » كذا عند الرَّا

والأمثلة : ﴿ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ ﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ ﴾ ﴿ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ ﴾ ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ ﴾ ﴿ بَلْ رَانَ ﴾ « هل رأيتم » وهذا التمثيل غير موجود في التنزيل[2] .

[بابُ الضَّادِ والظَّاءِ]

[٥٢] (**والضَّادُ باسْتِطَالَةٍ ومخرَجِ**) بالإشباع ، و« الضاد » منصوب ويجوز رفعه ، والعامل فيه قوله (**مَيِّزْ**) ، أي ميزها بصفة استطالتها وإخراجها من مخرجها (**مِنَ الظَّاءِ**) فإنَّ الضاد من حافة اللسان ، والظاء من رأس اللسان (**وكلُّها تجي**) بحذف الهمزة على قاعدة حمزة لا كما قال الرومي [٤٦] إنه للضرورة .

وضميره راجع إلى الكل ، والتأنيث باعتبار المعنىٰ وهو الجماعة ، أو إلى الظاءات .

[تعريف الاستطالة] :

ثم الاستطالة هي الامتداد من أول حافة اللسان إلىٰ آخرها كما قال الجعبري[3] ، وقد انفرد الضاد بالاستطالة حتى يتصل بمخرج اللام لما فيه من قوة الجهر والإطباق والاستعلاء ، وليس في الحروف ما يعسر على اللسان مثله ، وألسنة الناس فيه مختلفة ، فمنهم من يخرجه ظاءً ، ومنهم من يخرجه

---

(١) في « ب » : « في سلكه » .

(٢) تمثيله بـ﴿بل ران﴾ في حال القراءة بالإدراج أي بغير سكت ، وأما لام« هل » فلم توجد في القرآن قبل الراء وإنما يتصور وجودها في نثر الكلام كما مثل به المؤلف ، وأما اللام فقد أتت بعدها نحو : ﴿هل لكم﴾ ، والله الموفق .

(٣) « كنز المعاني » للجعبري ١٠٩/ب .

دالاً مهملة أو معجمة ، ومنهم من يخرجه طاء مهملة كالمصريين ومنهم من يشمُّه ذالاً[١] ، ومنهم من يشربُها[٢] بالظاء المعجمة لكن لما كان تمييزه عن الظاء مشكلاً بالنسبة إلىٰ غيره أمر الناظم بتمييزه عنه نطقاً ثم بَيَّنَ ما جاء في القرآن بالظاء لفظاً .

والمعنىٰ أن جميع موادِّ الظاءات المشالة وهي تسعة وعشرون ظاءً من الكلمات الواردة في القرآن مجموعةٌ باعتبار أصولها في الأبيات الستة الآتية كذا قيل .

وأما قول زكريا [٧٠] : « في سبعة أبيات »[٣] فغير ظاهر[٤] .

وإنما ضَبَطَ الظاء لكونها أقل من الضاد ، فهو أقرب إلى ضبط المراد .

ويتعلق بـ« تجي » قوله [٥٣] (**في الظَّعنِ ظِلِّ الظُّهْرِ**) بفتح الأول وكسر الثاني وضم الثالث ، و(**عُظْمُ الحِفْظِ**) بضم العين (**أَيقِظْ وأَنْظِرْ**) بفتح الهمزة وكسر الثالث منهما .

و(**عَظْمُ ظَهْرِ اللَّفْظِ**) بفتح العين والظاء الأولىٰ ، وحَذْفُ العاطف غالباً للضرورة .

فالظعن منحصرٌ[٥] في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ [النحل : ٨٠] وهو بفتح العين لنافع وابن كثير وأبي عمرو[٦] ، ومعناه الرحلة من مكان إلىٰ آخر ، ضد الإقامة .

وبابُ **الظِّلِّ** جميعه كيفما تصرف ، وأول ما جاء منه في سورة النساء

---

(١) من قوله : « مهملة أو معجمة . . . » سقط من « أ » ، « ب » .

(٢) في « أ » : « يشير بها » ، وفي « ب » : « يشوبها » ويلاحظ تأنيث الضمير بعد تذكيره .

(٣) في « أ » و« د » : أبواب .

(٤) هي سبعة أبيات وليست ستة .

(٥) في « ب » : فإنَّ الظعن منحصرة .

(٦) وافقهم من العشرة أبو جعفر ويعقوب، والباقون بالإسكان ، وهما لغتان مثل : النَّهْر والنَّهَر.

﴿ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴾ ووقع منه في القرآن اثنان وعشرون موضعاً ، والظاهر أنه أربعة وعشرون منها اثنان في البقرة وهي قوله : ﴿ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ ﴾ [البقرة: ٥٧] وقوله ﴿ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ ﴾ [البقرة : ٢١٠] وكأنَّ ابن المصنف ومن تبعه في عَدِّ اثنين وعشرين غفل عن موضعين في البقرة بدليل قولهم : وأولها في سورة النساء ﴿ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴾ .

ومنه الظُّلَّة ﴿كأنه ظُلَّة﴾ في الأعراف ، و﴿يوم الظُّلة﴾ في الشعراء ، ومنه قوله تعالىٰ : ﴿ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ ﴾ [يس : ٥٦] بضم الظاء وفتح اللام[1] كما قرأ حمزة والكسائي ، ومنه قوله تعالىٰ : ﴿ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ ﴾[2] [البقرة : ٥٧] .

وباب الظُّهْرِ ، وهو وقت انتصاف النهار ، في سورة النور ﴿ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ ﴾ وفي سورة الروم ﴿ وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ﴾ أي تدخلون في الظهيرة .

وبابُ العُظْم بمعنىٰ العظمة كيفما تصرف فيه ، وأول ما جاء منه في القرآن ﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [البقرة : ٧] ووقع منه في القرآن مئة موضع وثلاثة مواضع .

وباب الحفظ وما تصرَّف منه ، وأول ما جاء منه في البقرة ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ ﴾ ووقع في اثنين وأربعين موضعاً ، وقال المصري : (في أربعٍ وأربعين)[3] .

وأيقظ من اليقظة ضد النوم ، وليس في القرآن منه إلا في الكهف ﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞ ﴾ .

وباب أَنْظِرْ ، وهو من الإنظار بمعنى التأخير والإمهال ، ووقع منه في القرآن اثنان وعشرون موضعاً أولها ﴿ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴾ [البقرة : ١٦٢] كذا ذكره ابن المصنف وتبعه غيره لكنه يحتمل أن يكون صيغة

---

(١) أي وحذف الألف بعد اللاَّم ، وافقهما على القراءة بصيغة الجمع خلف العاشر .

(٢) وفي « أ » و« ج » : ﴿وظللنا عليهم﴾ [الأعراف : ١٦٠] وكلاهما صحيح على اختلاف السور ، ويلاحظ نصه على هذا اللفظ قبل قليل .

(٣) هي أربعة وأربعون موضعاً (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . مادة حفظ) .

المجهول من الإنظار وأن يكون من النَّظَر كما فُسِّر بهما ، فالمثال المتفق عليه ﴿ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الأعراف : ١٤] .

ومن المختلف قوله تعالىٰ : ﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ [الحديد : ١٣] فقرأ حمزة من الإنظار(١) ، والباقون من النَّظر .

ثم اعلم أن مادة « النظر والإنظار والانتظار » متحدة في أصل اللغة والاختلاف إنما هو بحسب(٢) الأبواب الواردة ، وإنما غاير المصنف بينها للإيضاح لا سيما وهو قد خفي على بعض الشراح .

وباب **العَظْم** قد وقع في أربعة عشر موضعاً جمعاً وفرداً ، وقال المصري : « خمسة عشر »(٣) ، وأوله ﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾ في البقرة [٢٥٩] .

وباب **الظَّهْر** من الآدمي كقوله تعالىٰ : ﴿ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ [الزخرف : ١٣] أول ما جاء في البقرة [١٠١] ، ومن غيره(٤) كقوله تعالىٰ : ﴿ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾ [الزخرف : ١٣] ووقع منه في القرآن أربعة عشر موضعاً ، وقال المصري : (ستة عشر)(٥) .

وأما قول خالد[٧٠] : (وقع في القرآن موضع واحد) فخطأ فاحش(٦) .

واللَّفظُ لم يجىء منه إلا حرفٌ بقاف ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ ﴾ .

[٥٤] (ظَاهِرْ) بكسر الهاء وسكون الراء ضرورةً ، أو تنزيلاً للوصل منزلة

---

(١) أي بهمزة قطع مفتوحة مع كسر الظاء .
(٢) سقط من « ب » .
(٣) هي خمسة عشر موضعاً (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مادة عظم) .
(٤) أي من غير الآدمي .
(٥) هي خمسة عشر موضعاً (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مادة ظهر) .
(٦) وقع الخطأ عند الشيخ خالد في بعض النسخ الخطية ، ففي إحداها « وقع منه في القرآن موضع واحد » وفي الطبعة المصرية « وقع منه في القرآن أربعة عشر موضعاً » .

رقمه
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الوقف ، وقد يكسر على ارتكاب زحاف .

(**لَظَىٰ شُوَاظِ**) بالجر غير منون (**كَظْمٍ**) بالتنوين مجروراً (**ظَلَمَا**) فعل ماض من الظُّلم ، وألفه للإطلاق ، وفي نسخة : ظُلْماً ـ بضم فسكون ـ فألفه مبدل من التنوين وقفاً ، ونصبه على الحكاية .

(**أُغْلُظ**) بضم الهمزة واللاَّم (**ظَلاَمٍ**) بفتح الظاء وكسر الميم (**ظُفْرٍ**) بالتنوين مجروراً (**انْتَظِرْ ظَمَا**) بالألف كوقف حمزة ، لا قُصِرَ للوزن[1] كما قيل .

والمعنىٰ أنَّ كلَّ ما جاء من لفظ « **ظاهر** » ـ وهو ضد الباطن ، وهو ستة ، ويأتي بمعنى العلو وهو ثلاثة نحو : ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [التوبة : ٣٣] وبمعنى النصر والعون نحو : ﴿ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [البقرة : ٨٥] ـ **فجميعه بالظاء** ، ونحو : ﴿ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ ﴾ في الأنعام [١٢٠] وهو أول ما جاء ، ونحو قوله تعالىٰ : ﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ ﴾ [التحريم : ٤] وبمعنىٰ الاطلاع أيضاً نحو : ﴿ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ [التحريم : ٣] ﴿ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الجن : ٢٦] كذا ذكره شارح ، والظاهر أنهما متعديا « ظهر » فتدبر .

وأغرب زكريا في قوله [٧٢] : (وبمعنى الظفر وقع منه في القرآن ثلاثة مواضع : قوله تعالىٰ في براءة ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ ﴾ [٨] وقوله في الكهف : ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ ﴾ [٢٠] وقوله في التحريم : ﴿ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ [٣]) اهـ .

ومن غرابته إدخال ما في التحريم في سلك ما تقدم ، والفرق أنَّ « أظهره » هنا بمعنىٰ أطلعه لا بمعنىٰ أظفره ، ولا بمعنىٰ ظفر ، كما يدلُّ تعدية الأوَّلَين بـ« على » وتعدية الأخير بنفسه في المفعول الأول ، فتأمَّل .

قال ابن المصنف [٢٨] : (و« ظاهر » مشترك بين هذا المعنىٰ وبين الذي

---

(١) في « ب » : للوقف .

بمعنىٰ الظهار الذي هو الحلف)اهـ . وتبعه الشُّرَّاح[1] .

وأقول : الظاهر أن الظهار من مادة « الظهر » لا من مادة « الظاهر » ؛ لأن الظهار هو أن يقول الرجل لامرأته : أنتِ عليَّ كظهر أمي ، وقد جاء في موضع من الأحزاب [٤] وموضعين من المجادلة [٢ و٣] ، ومحل بيان اختلاف قراءتها الكتب المبسوطة فيها .

ثم اعلم أنَّ الظهر والبطن مادتهما متحدة مع الظاهر والباطن في الحقيقة بحسب أصل اللغة على احتمال أيهما[2] هو السابق منهما ، إلا أنه لَمَّا غاير الناظم بينهما وجب على الشراح أن يتبعوه فيما بَينهما .

وباب لظىٰ في سورة المعارج ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴾ وهو اسم من أسماء جهنم ، أو طبقة من طبقاتها ، وفي الليل ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴾ أي تَتَلَهَّبُ وتتوقد ، فهذا يدل على أنَّ أصلِ هذه المادة بمعنى الاشتعال الذي هو من الصفة اللازمة للنار .

وأما قول ابن المصنف [٢٨] ومن تبعه من الشراح : (إن أصله[3] اللزوم والإلحاح ، يقال : ألظَّ بكذا إذا لزمه وألحَّ به ، ومنه قوله ﷺ : « أَلِظُّوا بياذا الجلال والإكرام »[4] . أي ألزموا أنفسكم وأَلِحُّوا بكثرة الدعاء بهما ، وسميت جهنم بها للزومها العذاب على من يدخلها ، قال الله تعالىٰ : ﴿وَمَا هُم

---

(١) « الحواشي الأزهرية » للشيخ خالد ص٧٠ ، و« شرح المقدمة الجزرية » للرومي ص٤٨ .

(٢) في « أ » : أن أيهما .

(٣) في « ب » : إنه .

(٤) رواه البخاري في « التاريخ الكبير » (٢/ ١/ ٢٨٠) والترمذي في قول « يا حي يا قيوم » برقم ٣٥٢٤ ، وقال : حديث غريب ، والطبراني في الكبير برقم ٤٥٩٤ ، وأحمد في « المسند » برقم ١٧٥٩٦ وقال محققه : إسناده صحيح (١٣٨/٢٩) والحاكم في « المستدرك » (١/ ٤٩٨ـ٤٩٩) وصحَّحه ووافقه الذهبي ، ورواه القضاعي في « مسند الشهاب » ٦٩٣ ، وابن منده وابن عساكر ، وقال في (المجمع) ١٠/ ١٥٨ : فيه يحيىٰ بن عبد الحميد وهو ضعيف ، ورواه النسائي في « السنن الكبرىٰ » في النعوت والتفسير .

بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ﴾[1] [المائدة : ٣٧] أجارنا الله وأبعدنا عنها) اهـ . فخطأ ظاهر ؛ لأنَّ مادة « لظَىٰ » و« أَلَظَّ » مختلفان ؛ إذ الأول معتل اللام ، والثاني مضاعف بلا كلام .

وأما قول المصري : (إلا أن يكون من باب ما أبدل منه أحد حروف التضعيف ياءً نحو : « يتمطىٰ » في قول من جعل أصله يتمطط) فغير مستقيم ؛ إذ الصحيح ما في « القاموس » من أنَّ « اللظىٰ ـ كالفتىٰ ـ النار أو لهبُها ، ولَظِيَتْ ـ كرضِيَتْ ـ والتَظَتْ وتلظَّتْ : تَلَهَّبَتْ »[2] هذا في المعتل .

وذكر في الأجوف أنَّ (اللظَّ : اللزومُ والإلحاحُ ، وأَلَظَّ : لازَمَ وداوَم)[3] . اهـ فافترقا في المبنىٰ والمعنىٰ فلا يصح وضعُ أحدهما مكان الآخر .

وأما « مَطَّهُ أي مَدَّه ، وتَمَطَّطَ تمدَّدَ » وكذا « مطىٰ بالقوم مَدَّ بهم في السير وتمطَّى النهارُ وغيره امتدَّ وطال » كذا في « القاموس » أيضاً ، فاتحدا معنىً وإن اختلفا مبنىً ، فيصحُّ إبدال إحدىٰ الطائين ياءً كما في « تَقَضَّىٰ » بمعنىٰ « تقضَّض » بخلاف الأول فتأمل .

وأما شُوَاظُ فجاء[4] في سورة الرحمٰن ﴿يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ﴾ [٣٥] وهو لهب لا دخان معه ، وقيل معه دخان ، وقرأ المكي[5] بكسر شينه .

وأما **باب الكَظْم** وهو اجتراع الغيظ وابتلاع الغضب وعدم إظهاره باحتماله وترك المؤاخذة به فوقع منه ستة ألفاظ أولها ما في آل عمران ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ .

---

(١) في « ب » : ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة : ١٦٧] وكلاهما صحيح .
(٢) انظر « القاموس المحيط » مادة : لظي .
(٣) المرجع السابق ، مادة : لظظ .
(٤) سقط من « ب » .
(٥) أي : ابن كثير .

وأما باب **الظُّلْم**[1] وهو وضع الشيء في غير موضعه أو التعدي في ملك غيره أو علىٰ نفسه فوقع منه مئتان واثنان وثمانون موضعاً أوله في البقرة ﴿ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [٣٥] .

وأما **الغِلْظَة** ضد الرقة وما تصرَّف منها فثلاثة عشر موضعاً أولها ما في آل عمران ﴿ غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ .

وأما **الظُّلْمةُ** وهي ضد النور فوقعت في مئة موضع ، كذا ذكره ابن المصنف [٢٩] وتبعه زكريا [٧٢] ، وفي شرح الرومي [٤٩] والمصري في ستة وعشرين موضعاً وهو الصواب أولها في البقرة ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [١٧] .

وأما **الظُّفُر** ـ بضمتين ويجوز إسكان الفاء لغةً وقرىء بها[2] ـ فليس إلا في سورة الأنعام ﴿ كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ [١٤٦] وإلا فقد قرىء شاذاً بالسكون وهو لغة كما في « القاموس »[3] .

قال ابن المصنف وأتباعه [٢٩] : (وسَكَّنَ الناظم الفاء من « ظُفُر » ضرورةً) يعنى لأنه وقع في القرآن بضم الفاء .

وقال الرومي [٤٨] : (ولم يقصد ذكرها في القرآن بعينه بل قصد الإشارة إلى ذلك) . اهـ وبُعْدُهُ لا يخفىٰ .

وأما باب **الانتظار** وهو الارتقاب للشيء فأربعة عشر موضعاً أولها في الأنعام ﴿ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ .

وأما **الظَّمأُ** وهو العطش فثلاثة أحرف ، في سورة براءة ﴿ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ وفي طه ﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ﴾ وفي النور ﴿ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ .

[٥٥] (**أَظْفَرَ ظَنّاً**) بالنصب حكايةً (**كَيْفَ جَا**) بالقصر ضرورة ، وهو قيد

---

(١) في « أ » : وأما الظلم .

(٢) قرأ بضم الفاء جميع القراء إلا الحسن البصري فبسكونها ، وقراءته شاذة .

(٣) « القاموس المحيط » مادة : ظَفَرَ .

للثاني أو لقوله (وعَظْ) وهو بفتح فسكون .

وفي أصل خالد[1] : « وعِظْ بالواو العاطفة وكسر العين على أنه أمر حاضر » .

وضبطه الرومي بفتحتين على أنه فعل ماض سكن آخره ضرورة من العظة والوعظ بمعنىٰ التذكير والنصيحة .

(سِوَىٰ) بكسر السين ، ويجوز ضمه مقصوراً أيضاً وفتحه ممدوداً ، وهو استثناء منقطع ، أي لكن (عِضِينَ) بالضاد لما سيأتي من بيان المراد .

(ظَلَّ النَّحْلِ) الكائن فيها (زُخْرُفٍ) بحذف العاطف ، أي : وفي زخرف ، وفي نسخة بالنصب على الحكاية أو علىٰ نزع الخافض (سَوَا) بالقصر على لغةٍ وقراءة[2] ، أي حالة كونهما في السورتين مستويتين وهو قوله تعالىٰ : ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ في السورتين .

وجعل الرومي [٤٩] « زخرفاً » نصباً على أنه مفعول « سَوا » بناء على أنه فعل بمعنىٰ « ساوىٰ » ، أي لفظ « ظَلَّ » الواقع في سورة النحل سَوَا « ظَلَّ » الواقع في سورة الزخرف بمعنىٰ ساواه في التلفظ بالظاء ، ولا يخفىٰ ما فيه من التكلف في المبنىٰ والتعسف في المعنىٰ ، والغريب أنه أتى بهذا المعنى العجيب وهو أنَّ « سَوَا » في المصراع الثاني بمعنى العَدْل ، ثم اعترض على ابن المصنف بقوله : (ولا حاجة إلىٰ حمل الثاني على الفتح ثم العذر عن قصره بما فعله حمزة وهشام في حالة الوقف) [٥٠] .

وأمَّا أَظْفَرَ فمن الظَّفَر ـ بفتحتين ـ بمعنى الفوز والنصر فليس إلا في سورة الفتح ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ﴾ [٢٤] .

وأما باب الظن بمعنىٰ ترجيح أحد الأمرين[3] أو الشك ، ومنه قوله :

---

(١) أي نسخة المقدمة التي اعتمد عليها الشارح خالد الأزهري .

(٢) هي قراءة حمزة وهشام إذا وقفا على (سواء) بالقصر .

(٣) في « ب » : الطرفين .

﴿ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ﴾ [الفتح : ١٢] وقد يطلق على اليقين ، ومنه قوله تعالىٰ ﴿ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾ [الكهف : ٥٣] ، وقد يأتي بمعنى التهمة كما في ﴿بظنين﴾[1] [التكوير : ٢٤] فكيف ورد ماضياً أو مضارعاً أو وصفاً أو مصدراً[2] فهو بالظاء ، وأول ما جاء منه في البقرة ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ [٤٦] ، وعبارة ابن المصنف موهمة أنه بمعنى التهمة وليس كذلك ؛ فإنه هٰهنا بمعنى العلم واليقين لا بمعنى الحسبان والتخمين ؛ فإنه لا ينفع في أمر الدين .

ثم اعلم أنَّ اصطلاح الفقهاء أن **الظنَّ هو التردد بين أمرين سواء استويا أو رجَحَ أحدهما على الآخر** ، وأما عند المتكلمين **فالشكُّ تجويز أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر ، والظنُّ تجويز أمرين أحدهما أرجح من الآخر والمرجوح هو الوهم** ، ووقع منه في القرآن سبعة وستون موضعاً .

وأما باب **الوعظ** بمعنى التخويف من العذاب والترغيب في الثواب فكله ـ باعتبار جميع ما يتصرف منه ـ بالظاء تسعة مواضع ، كذا قيل ، والصواب خمسة وعشرون وأول ما جاء منه في البقرة ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ لكن قوله تعالىٰ في سورة الحجر : ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾ ليس منه فإنه بالضاد بلا خلاف ، وهو جمع عضة على أنَّ أصلها إما « عِضَهَة » ثم حذفت الهاء الأصلية كما في « شفة » بدليل أنها تجمع علىٰ « عِضاه » مثل « شِفاه » ، وإما « عِضَوَة » ثم حذفت الواو ، فعلى الأول معناها الكذب والبهتان ، وعلى الثاني معناها التفرق ، أي فرقوا فيه القول وقالوا : هو شعر وكهانة وسحر ، أو متفرقين فيه فآمنوا ببعضه وكفروا بباقيه .

وقال شارح : عضين جمع عِضَةَ بمعنى الجزء من الشيء ، ومنه أعضاء الإنسان .

---

(١) يعني في قوله تعالىٰ : ﴿وما هو على الغيب بضنين﴾ في قراءة من قرأ بالظاء وهم ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس .

(٢) أمثلة ذلك ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ ﴿وتظنون بالله﴾ ﴿الظانين بالله﴾ ﴿ظن السوء﴾ لف ونشر مرتب .

وقال زكريا [٧٤] : (بمعنىٰ فرقة) .

وأما باب ظَلَّ إذا كان بمعنىٰ « دام » أو « صار » فجاء في تسعة مواضع استوعبها المصنف ، ففي النحل ﴿ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا ﴾ ومثله في الزخرف .

قال ابن المصنف [٣٠] : (وإلى المثلية أشار بقوله « سوا » ، وأصله « سواء » بالمد ، ففعل به كما فعل حمزة وهشام فيه حالة الوقف) . يعني من حذف الهمزة وتجويز المد والقصر .

قال اليمني : (أي سواء في كونهما بالظاء وغيرهما بالضاد كقوله تعالىٰ : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا ﴾ [السجدة : ١٠] بمعنىٰ غِبنَا ، ومنه ﴿ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا ﴾ [الأعراف : ٣٧] و﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ [طه : ٥٢] وكذا الضلالة ضد الهداية بالضاد ، وكذا الضلال بمعنى الهلاك كقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴾ [القمر : ٤٧] أو بمعنى البطلان كقوله تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ ﴾ [الكهف : ١٠٤] و﴿ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد : ١] ، أو بمعنى التحير نحو : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا ﴾ [الضحى : ٧]) .

وقال خالد [٧٢] : (ولكونهما بمعنىً أشار إلى ذلك بقوله « سواء ») .

أقول : الصواب أنه لما كان التركيب في الجملتين مستوياً[1] بحسب المبنىٰ والمعنىٰ فقال : « سواء » .

والحاصل : أنَّ « سِوى » الأول مقصور من أصله ، و« سَوا » الثاني ممدود لكن قصِرَ لوزنه .

وقال الرومي [٤٩] : (و« سِوىٰ » إذا كان بمعنىٰ « غير » كما في المصراع الأول ، أو بمعنى العدل كما في آخر المصراع الثاني يكون فيه ثلاث لغات :

إن ضممت السين أو كسرت قصرتَ فيهما جميعاً ، وإن فتحت مددت ، ولا بُدَّ أن يحمل هٰهنا على الضم أو على الكسر فيهما لتتعادل الكلمتان) .

قلت : الصواب أنَّ الأول مكسور أو مضموم ، والثاني مفتوح سواءٌ أريد

---

(١) في « أ » : مستوعباً ، وهو خطأ .

به[1] المصدر بمعنى التسوية أو يقصد به الوصف ، أي مستوٍ كقوله تعالىٰ : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [البقرة : ٦] أو أريد[2] به الفعل الماضي كما اختاره الرومي على ما سبق بل يترتب[3] على مختاره أن يكتب « سوىٰ » بالياء كما لا يخفىٰ على أرباب الرسوم بالمبنىٰ .

ولا يبعد أن يقال : المراد به سواء أريد بـ« ظَلَّ » في الموضعين معنىٰ[4] « دام » أو « صار » ، فإنه بالظاء المشالة لا محالة .

وأما قول ابن المصنف [٣٠] : (و« النحل » في البيت مخفوض ، و« زخرفاً » منصوب ، وكلاهما على الحكاية) .

فلعله محمولٌ على ما عنده من الرواية ، وإلا فلا يجوز جر « النحل » على الإضافة مع أنَّ وجه الحكاية يحتاج إلى تكلف في مقام الدراية ، رزقنا الله الهداية في البداية والنهاية .

[٥٦] وظَلْـتَ ظَلْتُـم وبِـرُومٍ ظَلُّـوا كـالحِجْـرِ ظَلَّـت شُعَـرَا نَظَـلُّ

بإشباع اللام وقصر همزة « شُعَرَا » يعني **الثالث** من ظَلَّ بمعنىٰ « دام » في سورة طه ﴿ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفًاۖ ﴾ [٩٧] **والرابع** في سورة الواقعة ﴿ فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ ﴾ [٦٥] وأصلهما : ظَلَلْتَ وَظَلَلْتم ـ باللاَّمين ـ فحذف الثاني منهما تخفيفاً .

والخامس في الروم : ﴿ لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ ﴾ [٥١] .

والسادس في الحجر : ﴿ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ﴾ [١٤] وإليه أشار[5] بقوله « كالحجر » .

---

(١) في « ب » : أريد منه .
(٢) في « أ » : أو يريد به .
(٣) « بل » سقطت من « أ » .
(٤) « معنى » سقط من « أ » .
(٥) في « ب » : أشار المصنف .

والسابع في الشعراء : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ ﴾ [٤] .

والثامن فيها : ﴿ فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾ [٧١] .

والتاسع في الشورىٰ : ﴿ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ﴾ [٣٣] ، وإليه أشار بقوله :

[٥٧] (**يظْلَلْنَ مَحْظُوراً مَعَ المحتَظِرِ**) بكسر الظاء (**وكُنْتَ فَظًّا وجميعُ النَّظَرِ**) .

يجوز في لفظ « جميع » أنواع الإعراب ، والجرُّ أظهر فتدبر(١) .

وأما باب **الحَظْر** بمعنى المنع والحَجْر فمنه في القرآن حرفان ، أولهما في سبحان : ﴿ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [٢٠] ، والثاني في القمر : ﴿ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴾ [٣١] أي كالنبات اليابس المتكسر ، والمحتظر صاحب الحظيرة ، أي كانوا كهشيم يجمعه صاحب الحظيرة وهي التي تعمل للغنم من أغصان شجر وشوك يمنعها البرد والريح ويمنعها من الخروج ودخول غيرٍ(٢) عليها .

وقيل : المتخذ حظيرةً علىٰ زرعه يمنع الداخل .

وما عداهما من الضاد ؛ لأنه من الحضور ضد الغيبة .

وأما **الفَظَاظَةُ** وهي الجفاء والغلاظة ففي القرآن موضع واحد في آل عمران ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا ﴾ [١٥٩] ولم يذكره ابن المصنف .

وليس منه قوله : ﴿ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] وقوله : ﴿ ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا ﴾ [الجمعة : ١١] أي تفرقوا .

وأما باب **النظر** بجميع أنواع تصرفه فستة وثمانون موضعاً ، أولها قوله تعالىٰ في البقرة : ﴿وأنتم تنظرون﴾ لكن استثنىٰ منه ثلاثة مواضع ـ قد يتوهم

---

(١) أما الرفع فعلىٰ أنه مبتدأ ، خبره محذوف ، أي وجميع النظر كائن كذلك ، وأما الجر فعلىٰ أنه معطوف على « المحتظر » ، وأما النصب فبإضمار أخصُّ ، وكأنَّ الجر أظهر من غيره لعدم احتياجه إلىٰ تقدير محذوف .

(٢) « د » : « غيره » .

أنها منه في بادىء النظر ـ بقوله : [٥٨] (إلا بِوَيلٍ هَلْ وَأُوْلَىٰ نَاضِرَة) أي إلا قوله تعالىٰ : ﴿نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ [٢٤] في سورة ويل للمطففين ، وقوله سبحانه وتعالىٰ : ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [١١] في سورة هل أتىٰ علىٰ الإنسان ، وقوله : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ في سورة القيامة ، فإنَّ هذه الثلاثة بالضاد من النضارة وهي الحسن والبهجة .

و« نَضَّرَ » ككرَّم وفرَّح ، و« نَضِرَ » بمعنىٰ نَعِمَ ، والتشديد للتعدية أو للتقوية ، وروي بهما حديث « نَضَّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها وأداها كما سمعها »(١) واحترز بالأولىٰ عن الثانية وهو قوله تعالىٰ : ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ فإنها بالظاء .

ثم النظر بالظاء سواء كان بمعنى الرؤية نحو : ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [آل عمران : ١٤٣] و﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف : ١٩٨] وهذا يتعدىٰ بـ« إلىٰ » ، أو بمعنى الفكر لكنه متعدٍ بـ« في » نحو قوله تعالىٰ : ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الأعراف : ١٨٥] فقول زكريا : (« وجميع النظر » بمعنىٰ الرؤية) [٧٥] فيه نظر .

(وَالغَيْظُ لاَ الرَّعْدُ وَهُوْدُ قَاصِرَة) أي جميع مواد الغيظ وهو غضب كامنٌ للعجز ، وأصله فوران حرارة القلب ، فوقع منه في القرآن أحد عشر موضعاً ، أولها في آل عمران : ﴿عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [١١٩] ويشبه هذا اللفظ في المبنىٰ لكنه مغاير له في المعنىٰ حرفان ، أحدهما في سورة هود : ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ [٤٤] وثانيهما في سورة الرعد ، ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ [٨] فكلاهما بالضاد لأنَّ معناهما النقصان ، وهو لازمٌ ومتعدٍ لا مِنَ الغيظ ، فأشار

---

(١) رواه أبو داود في العلم برقم ٣٦٦٠ باب فضل نشر العلم ، والترمذي في العلم برقم ٣٦٥٦ باب في الحث على تبليغ السماع ، وابن ماجه في المناسك برقم ٣٠٥٦ باب الخطبة يوم النحر ، والبزار برقم ١٤١ و١٤٢ ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١/ ١٣٧ : رجاله موثوقون بشرط أن يكون شيخ سليمان هو سعيد بن الربيع فإذا كان كذلك فرجاله رجال الصحيح . اهـ .

باستثنائهما منقطعاً بقوله : « لا الرعد وهود » أي ليس الواقع فيهما من هذا الباب فإن ضادهما قاصرة ، أو حال كون ضادهما(١) قاصرة لا ظاء مشالة ، فالمعنى قصر ألف ظائهما فصارا ضاداً في تلفظهما ، وذلك لأن الضاد بخط الكوفي لا بد لها من ألف قصيرة دون ألف الظاء فإنها طويلة في الكتابة تفرقةً بينهما في الكلمات المركبة ، وأما بخط غيرهم على حسب العرف فالفرق بينهما بزيادة المركز في الضاد وتركها في الظاء كما لا يخفىٰ على من يعرف تحقيق حروف الهجاء(٢) .

وأما ما ذكره الرومي من أن الناظم عبر عن معنى النقصان بالقصورِ فقصورٌ عن درج المبنىٰ ودرك المعنىٰ .

وأما قول زكريا [٧٦] : (قاصرة عليهما) فإشارة إلىٰ أن القصر بمعنى الحصر ، أي النفي منحصر فيهما ومقتصر عليهما .

[٥٩] (**والحَظُّ لاَ الحَضُ**) بالجر فيهما ، ويجوز الرفع خصوصاً في ثانيهما(٣) .

(**عَلَى الطَّعَام**) أي وباب الحظ بمعنى النصيب فسبعة(٤) ألفاظ ، أوّلها(٥) في آل عمران ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي ٱلْآخِرَةِ ﴾ [١٧] ويشبهه في المبنىٰ وخالفه في المعنىٰ ثلاثة أحرف لا رابع لها ، **الأول** قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ [٣٤] في الحاقة ، **والثاني** قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ

---

(١) في « ب » : أو حال كونهما قاصرة .

(٢) في معظم الخطوط تُتبع الصاد والضاد بسن ، وفي بعضها إما أن لا يكتب السن مطلقاً وإما أن يجعل ضمن الحرف لا بعده ، وعبر الشارح هنا عن السن بالألف القصيرة ، وتوصف الصاد بالقاصرة لقصر السن الذي يقفوها ، وتوصف الظاء بالمشالة لطول ألفها .

(٣) أما الجر فبالعطف على الحظ ، وأما الرفع فعلىٰ الابتداء .

(٤) في « ب » : فتسعة ، والصحيح ما أثبتاه فوق .

(٥) « أولها » سقطت من « أ » و« ب » .

﴿ٱلْمِسْكِينِ﴾ على وجوه قراءته الثلاثة[1] في سورة الفجر ، **والثالث** : ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [٣] في سورة الماعون ، فإنها من الحض بمعنى التحريض على فعل الشيء .

واللام في « الطعام » للجنس إذا أشير إلى ما في القرآن تلويحاً ، أو للعوض عن المضاف إليه ، أي على طعام المسكين إذا أريد به ذكر ما في القرآن تصريحاً ، والأول أظهر فتأمل وتدبر .

(**وَفي ظَنِينٍ الخِلاَفُ سَامِي**) بإثبات الياء كقراءة ابن كثير في نحو : ﴿باقي﴾ و﴿واقي﴾ ، ولا يبعد أن يكون بإشباع كسرة الميم بعد حذف تنوينها .

أي وفي قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ في سورة التكوير المكتوب في مصحف الإمام بالضاد ، وخلاف القراء باختلاف القراءة مشهورٌ شهرة حالٌّ مرتفعٌ ظاهرٌ في القراءات السبع المتواترة ، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالظاء على أنه فعيل بمعنىٰ مفعول من « ظننتُ فلاناً » اتهمته ، وعليه رسم ابن مسعود رضي الله عنه وقراءته ، أي وما محمد ﷺ بمتهم فيما يوحيه الله سبحانه إليه من تحريف أو تصحيف أو تغيير بزيادة أو نقصان ، وهذا تأكيد لقوله تعالىٰ : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم : ٣] ، والباقون قرؤوا بالضاد على أنه فعيل بمعنىٰ فاعل مِن ضَنَّ به يضِنُّ ـ بكسر ضاده وفتحه ـ بخِلَ ، وهو رسم الإمام[2] وسائر المصاحف العثمانية ، وعليه رسم ما في النظم على ما في الأصول المعتمدة .

وأما قول المصري : (وفي إيثار الناظم ذكر « ظنين » بالظاء إيماءٌ إلى

---

(١) الأولىٰ قراءة نافع وابن كثير وابن عامر بفتح التاء وضم الحاء ، والثانية قراءة أبي عمرو ويعقوب كالأولىٰ لكن بياء الغيب ، والثالثة بالتاء والحاء المفتوحتين بعدهما ألف ، وهي قراءة الباقين (عاصم وحمزة والكسائي وأبي جعفر وخلف) .

(٢) سيأتي تعريف بالمصحف الإمام في مطلع باب المقطوع والموصول من الكلمات تحت عنوان : « تعريف مصحف الإمام » إن شاء الله .

اختياره الظاء على الضاد في القراءة ، وهو اختيار المحقق الجعبري على أنَّ نفي المحقق أولىٰ من نفي المقدر) فمحل بحثٍ ونظرٍ ظاهر ؛ إذِ الترجيح في المعنىٰ لا يغير رسم المبنىٰ!! أي وما محمد ﷺ ببخيل على الناس في بيان الوحي من الله سبحانه وتعالىٰ إليه ، وهو تحقيق لقوله : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ . . . ﴾ [المائدة : ٦٧] الآية .

[٦٠] (وَإِنْ تَلاَقَيَا) أي الضاد والظاء (البَيَانُ) أي فالبيان لكلٍ منهما لا لأحدهما من الآخر كما قال زكريا[٧٧] ؛ لأن المراد بيان مخرج كُلٍّ منهما وصفتهما لا انفصال أحدهما من الآخر عند نطقهما كما يوهم كلامه حيث عَلَّلَ أيضاً بقوله : (لئلا يختلط أحدهما بالآخر فتبطل صلاته) .

(لاَزِمُ) أي على القارىء ، ولا يحتاج إلى تقدير « فقل البيان » كما قال[1] زكريا[٧٧] ، بل الفاء مقدرة بناء على حذفها ضرورةً كما في قوله :

مَنْ يفعلِ الحَسَنَاتِ اللهُ يشكُرُهَا[2] . . . .

أي فالله يجازيها .

والمعنىٰ : الزمْ[3] بيان مخرجهما وصفتهما ليمتاز كل منهما ، ولا يجوز الإدغام لبُعْدِ مخرجهما[4] ، قال خالد [٧٧] : (سواء كان بينهما فاصل أَوْ لاَ) .

ولعله أراد الفرق بين المثالين في قوله : (أَنْقَضَ ظَهْرَكَ يَعَضُّ الظَّالِمُ) فإن المثال الثاني بحسب الأصل بينهما فصل وهو لام التعريف ، إلا أنه لما أُدغِمَ وصار ظاءً[5] مشددة فيصدق عليه التلاقي بينهما حقيقة في اللفظ حال الوصل ،

---

(١) « ج » و« د » : « قاله » .
(٢) تقدم ذكر الشاهد وشرحه عند قول المصنف : من لم يجود القُرَانَ آثمُ . . . إلخ .
(٣) في « ب » : لزوم ، وفي « ج » : لزم .
(٤) من قوله : « وصفتهما . . . » إلى هنا سقط من « ب » .
(٥) في « أ » : ضاداً ، والصحيح ما ذكرناه .

وحكماً في الأصل نَظَراً إلى الفصل ، ومِثْلُ المثال الثاني ﴿ بَعْضَ ٱلظَّالِمِينَ ﴾[1] [الأنعام : ١٢٩] .

[حُكْمُ صَلاَةِ من أبدَلَ الضَّادَ أو الظَّاءَ أحدَهما مِنَ الآخرِ أو بحرفٍ غيرِهِ] :

قال اليمني : (فلو قرأ بالإدغام تفسد الصلاة) . يعني في ﴿ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ .

وقال ابن المصنف [٣٢] وتبعه الرومي [٥٥] : (وليحترز من عدم بيانهما فإنه لو أبدل ضاداً بظاء أو بالعكس بطلت صلاته[2] لفساد المعنىٰ) .

وقال بحرق : (فلو أبدل ضاداً بظاء عامداً بطلت صلاته على الأصح لفساد المعنىٰ) .

وقال المصري : (فلو أبدل ضاداً بظاء في الفاتحة لم تصح قراءته بتلك الكلمة) .

أقول : وفيه خلاف طويل الذيل في هذا المبنىٰ .

وخلاصة المرام ما ذكره ابن الهمام من (أن الفصل إن كان بلا مشقة كالطاء مع الصاد فقرأ « الطالحات » مكان « الصالحات » تفسد ، وإن كان بمشقة كالظاء مع الضاد ، والصاد مع السين ، والطاء مع التاء قيل : تفسد ، وأكثرهم[3] لا تفسد)[4] .

وذكر صاحب « المنية » أنه (إذا قرأ الظاء مكان الضاد المعجمتين أو على القلب فتفسد صلاته وعليه أكثر الأئمة ، وروي عن محمد بن سلمة[5]

---

(١) في « أ » و« ب » و« د » : بـ﴿ يعض الظالم ﴾ .

(٢) زاد في « ب » : على الأصح ، ولعله تداخل عليه مع النقل التالي عن بحرق .

(٣) في « ب » : وأكثرهم على أنه لا تفسد .

(٤) انظر « فتح القدير » لابن الهمام ١/ ٢٢٧ .

(٥) هو محمد بن سلمة بن عبد الله المرادي المصري الفقيه ، كان ثبتاً في الحديث ، وذكره النسائي في مجلسه فوثقه بالتأكيد ، روى عنه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم ،=

لا تفسد ؛ لأن العجم لا يميزون بين هذه الأحرف ، وكان القاضي الإمام الشهيد يقول : الأحسن فيه أن يقال : إن جرىٰ على لسانه ولم يكن مميزاً وكان في زعمه أنه أدى الكلمة على وجهها لا تفسد صلاته ، وكذا روي عن محمد بن مقاتل(1) وعن الشيخ الإمام إسماعيل الزاهدي(2))(3) .

قال الشارح(4) : (وهذا معنىٰ ما ذكر في « فتاوى الحجة »(5) أنه يفتىٰ في حق الفقهاء بإعادة الصلاة ، وفي حق العوام بالجواز)(6) .

أقول : هذا تفصيل حسن في هذا الباب ، والله أعلم بالصواب .

وفي « فتاوىٰ قاضيخان » : (إن قرأ ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ﴾ بالظاء أو بالذال تفسد صلاته ، ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ بالظاء المعجمة أو الدال المهملة لا تفسد ، ولو بالذال المعجمة تفسد)(7) .

[٦١] (وَاضْطُرَّ مَعْ وَعَظْتَ مَعْ أَفَضْتُمُ) بالإشباع ، ونحوه ﴿وَخُضْتُمْ﴾ [التوبة : ٦٩] ، أي وبيان الضاد والظاء لازم إذا وقعا قبل طاء أو تاء خوفاً من إدغامهما

= وتوفي سنة ٢٤٨هـ . اهـ « تهذيب التهذيب » ٩/ ١٩٣ .

(١) هو محمد بن مقاتل المروزي أبو الحسن الكسائي ، سكن بغداد ومات بها ، وروىٰ عن ابن المبارك والداروردي وهشيم ووكيع ومبارك ، قال عنه الخليلي : متفق عليه مشهور بالأمانة والعلم ، وكان آخر من حدث عنه ابن جرير الطبري ، توفي سنة ٢٢٦هـ . اهـ « تهذيب التهذيب » ٩/ ٤٦٩ .

(٢) لعله إسماعيل بن الحسن بن علي الزاهد ، كان إمام وقته في الفروع والأصول ، توفي سنة ٤٠٢هـ . « خزانة الأدب » للبغدادي (١١/ ١٦٦) و« الفوائد البهية في تراجم الحنفية » ٨٠ .

(٣) انظر « منية المصلي » للكاشغري ص٢٧ ، باب زلة القاري .

(٤) يعني بذلك شارح كتاب « منية المصلي » في كتابه « حلية المجلي » وهو إبراهيم بن محمد الحلبي المتوفىٰ سنة ٩٥٦هـ .

(٥) ذكره في « كشف الظنون » ٢/ ١٢٢٢ بلا ترجمة أو تعريف .

(٦) انظر « غنية المتملي » للحلبي ص٤٧٨ .

(٧) « فتاوىٰ قاضيخان » ١/ ١٤٣ ، ولعله بنى فساد الصلاة على ما يترتب من تغيير المعنى إلى ما لا يليق .

حيث لا يجوز لاختلاف مخارجهما .

وأما قول زكريا [٧٧] : (ويلزم بيان الضاد من الطاء في قوله تعالىٰ : ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ [البقرة : ١٧٣] مع بيان الطاء من التاء . . الخ) فليس في محله ؛ إذ لا اشتباه بين الضاد والطاء المهملة ، ولا بين الظاء المشالة والتاء الفوقية حتى يسلك في مسلك ما سبق من التمييز والبيان بين الضاد والظاء المعجمتين .

وقد أصاب الشيخ خالد حيث قال هنا [٧٧] : (رجع الناظم إلى ما كان بصدده من الأحكام المتعلقة بالتجويد) .

(وَصَفِّ) أمر من التصفية ، أي خَلِّصْ (هَا) بالقصر ضرورةً (جِبَاهُهُمْ) بالضم حكايةً (عَلَيْهِمُ) بالإشباع ، ونحوه ﴿إليهم﴾ .

والمعنىٰ بَيِّن الهاء من أختها ومن الياء ببيانهما وتمييز شأنهما ؛ لأن الهاء حرف خفي فينبغي الحرص على بيانه ، وكذلك الحكم في ﴿اهدنا﴾ و﴿أَلْهَـٰكُمُ﴾ .

[أحكامُ النُّونِ والميمِ المشدَّدتينِ والميمِ السَّاكِنة]

[٦٢] وَأَظْهِـرِ الغُنَّـةَ مِـنْ نُـونٍ وَمِـنْ   مِيـمٍ إِذَا مَـا شُـدِّدا وَأَخْفِيَـنْ

بالنون المخففة لتأكيد الأمر بالإخفاء ، و« ما » بعد « إذا » زائدة .

والمعنىٰ بالغ في إظهار الغنة الصادرة من نون وميم مشددتين نحو : ﴿إِنَّ﴾ و﴿ثُمَّ﴾ ، وإنما قدرنا المبالغة لأن الغنة صفة لازمة للنون والميم تحركتا أو سكنتا ، ظاهرتين أو مخفاتين أو مدغمتين ، إلا أنها في الساكن أكمل من المتحرك ، وفي المخفىٰ أزيد من المظهر ، وفي المدغم أوفىٰ من المخفىٰ ، وقد عرفتَ أنَّ الغنة مخرجها الخيشوم .

ثم كل من النون والميم المشددتين يشمل المدغمتين الواقعتين في كلمة أو كلمتين ، وغيرَ المدغمتين الحاصلتين في كلمة ، **فالنون المدغمة في كلمة** كـ(الجنَّة) ، و(النَّاس) ، و(إنَّا) ، **والمدغمة في كلمتين** نحو : ﴿مِّن

نَّصِرِينَ﴾ [آل عمران : ٩١] ﴿إِن نَّقُولُ﴾ [هود : ٥٤] وإنما جعلت ﴿إِنَّا﴾ كلمةً وإن كانت في الأصل « إنْ نَا » فإنهما لكمال امتزاجهما وعدم قابلية انفصالهما لا وصلاً ولا وقفاً عُدَّتَا كلمةً واحدة ، وكذا الكلام في ﴿النَّاس﴾ و﴿النَّار﴾ وأمثالهما .

وأما **النون المشددة بغير المدغم** فنحو : ﴿ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ [النساء : ٥٨] .

ثم **الميم المدغمة في كلمة** نحو : ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ﴾ [الأعراف : ١٤٢] و﴿ هَمَّ قَوۡمٌ﴾ [المائدة : ١١] ، **والمدغمة في كلمتين** نحو : ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ﴾ [البقرة : ٢٤٩] و﴿مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [يونس : ٢٧] .

وأما الميم المشددة بغير الإدغام نحو : (لَمَّا) ، و(ثُمَّ) ، و(ثَمَّ)[١] ، وكذا ﴿أَمَّا﴾ بالفتح ، و﴿إِمَّا﴾ بالكسر ففي بعض المواضع مدغمة نحو : ﴿ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم﴾ [البقرة : ٣٨] إذ أصله « إن » الشرطية أدغمت في « ما » المزيدة للتأكيد ، وفي بعضها مشددة بغير إدغام نحو قوله تعالىٰ : ﴿ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد : ٤] فاعرف التفصيل وإن وقع إجمالاً في كلام ابن المصنف ، ولعل هذا مراد خالد حيث قال [٧٨] : (وفيه بحث يعرف بالتأمل) . ولا يبعد أن مراده ما فهمه المصري حيث قال : (وفيه بحث ؛ إذ التشديد مستلزم للإدغام) . لكنه غير صحيح ؛ إذ الأمر بالعكس فإن الإدغام مستلزم للتشديد بخلاف عكسه ، وإنما يتبين لك الفرق بينهما بحسب[٢] بنية أصولها[٣] .

[٦٣] (**المِيمَ إِنْ تَسْكُنْ بِغُنَّةٍ لَدَىٰ بَاءٍ عَلَى المُخْتَارِ مِنْ أَهْلِ الأَدَا**)

بالقصر وقفاً[٤] ، و« الميم » منصوب على أنه مفعول لقوله السابق : « أخفين » ، ويتعلق به قوله : « بغنة » و« على المختار » ، وأما قوله : « لدىٰ باءٍ » فظرف لقوله : « إن تسكن » .

---

(١) في « ب » : وثمة .
(٢) « بحسب » سقطت من « ب » .
(٣) في « ج » : « أصولهما » .
(٤) أي كما في وقف حمزة وهشام على الهمز .

فأمر بإخفاء الميم إذا سكنت وأتت الباء بعدها بناء على القول المختار من أقوال أهل الأداء ، فالمضاف محذوف[1] لأن المراد معروف ، وهذا القول هو المعول ، وعند الجمهور عليه العمل ، وهو مذهب ابن مجاهد[2] وغيره ، وبه قال الداني واختاره الناظم كما صرح به في كتاب « التمهيد » حيث قال : (وبالإخفاء آخذ. . . ثم قال شيخنا ابن الجندي : واختلف في الميم الساكنة إذا لقيت باءً ، والصحيح إخفاؤها مطلقاً)[3] ، وإلىٰ إظهارها ذهب المكي وابن المنادي[4] وتبعه يار محمد السمرقندي[5] .

واشتهر عند العامة أن حروف « بوف » تظهر عندها الميم ، أي الأصلية .

ثم اعلم أن سكون الميم أعم من أن تكون أصلية نحو : ﴿ أَم بِظَـٰهِرٍ ﴾ [الرعد : ٣٣] أو عارضة السكون كقوله تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١٠١] ومن قوله سبحانه : ﴿ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٨] ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم ﴾ [المائدة : ٤٨] ، ونقل زكريا[٧٩] أنه قيل بإدغامها[6] ، والله أعلم .

---

(١) أي الذي هو لفظ « أقوال » كما قدره المؤلف : على المختار من أقوال أهل الأداء .

(٢) هو أحمد بن موسى التميمي أبو بكر بن مجاهد ، من كبار علماء القراءات وأعلاهم شأناً وإتقاناً في عصره ، كان فطناً ذكياً ، له كتاب « السبعة » و« الياءات » و« الهاءات » ت(٣٢٤هـ) . اهـ « غاية النهاية » ١/ ١٣٩ .

(٣) « التمهيد في علم التجويد » لابن الجزري ص١٥٦ .

(٤) هو أحمد بن جعفر بن محمد البغدادي المعروف بـ« ابن المنادي » الإمام المشهور ، حافظ ثقة متقن محقق ضابط ، قرأ على أبي الحسن بن عباس وعبيد الله بن محمد بن أبي محمد اليزيدي وكثيرين غيرهما ، توفي سنة (٣٣٦هـ) . اهـ « غاية النهاية » لابن الجزري ١/ ٤٤ وفي « د » : ابن المناوي .

(٥) هو محمد بن محمود بن محمد السمرقندي ، عالم بالقراءات وله مؤلفات في التجويد ، ونص ابن الجزري في ترجمته على وقوعه في السهو في أحكام الميم الساكنة ، توفي سنة ٧٨٠هـ « غاية النهاية » ٢/ ٢٦٠ ، « هدية العارفين » ٢/ ١٠٦ . وفي « أ » و« ب » : إياز بدل يار ، وهو لفظ فارسي معناه : الصديق، المحب، الرفيق «المعجم الذهبي فارسي عربي» د. محمد التونجي .

(٦) العلة في ترجيح الإخفاء على الإظهار والإدغام المحض ما نقله في « نهاية القول المفيد » : « ووجه إخفاء الميم عند الباء أنهما لما اشتركا في المخرج وتجانسا في الانفتاح والاستفال=

[٦٤] (وَأَظْهِرَنْهَا) أي أظهر الميم البتة (عِنْدَ بَاقِي الأَحْرُفِ) بالإشباع ، والمراد منها غير الميم فإن حكمها علم من إدغام المثلين نحو : ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ﴾ [التوبة : ٧٥] .

(وَاحْذَرْ لَدَىٰ وَاوٍ وَفَا) بالقصر للوزن (أَنْ تَخْتَفِي) بأن المصدرية ، والضمير للميم ، ومحله[١] النصب على أنه مفعول « احذر » فتدبر .

أي أظهر الميم الساكنة عند سائر الأحرف مما عدا الميم والباء الموحدة سواء وقعا في كلمة نحو : ﴿أنعمت﴾ أو في كلمتين نحو : ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ﴾ ثم أمر بالحذر عن إخفاء الميم قبل الواو والفاء مع أن حكمهما[٢] علم مما قبلهما في ضمن باقي الأحرف تصريحاً لدفع توهم من تَوَهَّمَ أنها تخفىٰ عندهما كما تخفىٰ عند الباء كما يفعله جهلة القراء ، وإنما نشأ ذلك من اتحاد مخرجها بالواو وقربها من الفاء فيسبق اللسان لذلك إلى الإخفاء .

وأما قول بحرق : (لاتحاد المخرج ولذا أظهرها بعضهم عند الباء أيضاً) فتعليل غير صحيح ؛ لأن ترتب[٣] الإظهار على اتحاد المخرج غير صحيح[٤] .

ثم إذا أظهرت فليُتَحَفَّظْ بإسكانها وليُتَحَرَّزْ[٥] عن تحريكها كما يفعله العامة في نحو : ﴿عَلَيْهِمْ وَلَا﴾ [الفاتحة : ٧] ﴿هُمْ فِيهَا﴾ [البقرة : ٨١] ، واجتمعا في قوله تعالىٰ : ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَـٰنِهِمْ﴾ [البقرة : ١٥] .

= ثِقَلَ الإظهار والإدغام المحض فذهبت الغنة فعدل إلى الإخفاء » . اهـ .

(١) الضمير في « محله » يرجع إلى المصدر المؤول من (أن تختفي) ومحله النصب على أنه مفعول لـ« احذر » .

(٢) في « أ » و« ب » : « حكمها » .

(٣) في « ب » : لأن ترتيب .

(٤) في « أ » : غير صريح ، والصحيح ما ذكرنا .

(٥) « ج » : « فليُستحفظ من إسكانها وليحترز » .

[تعريف الإخفاء] :

ثم اعلم أن **الإخفاء حال بين الإظهار والإدغام** ، وهو عارٍ عن التشديد بل يسكن الحرف كما في المدغم إلا أنه يفرَّق بينهما بأن المخفىٰ مخفف والمدغم مشدد، وإنما يكون إذا لم يكن هناك قرب مخرج حتى يدغم ولا بعدٌ حتى يظهر .

ثم إنَّ الإخفاء على مراتب[(١)] ، فكل ما هو أقرب يكون الإخفاء أزيد ، وما قرب إلىٰ البعد يكون الإخفاء دون ذلك ، وتظهر فائدته في تفاوت التشديد وتفاوت الغنة ، نعم الإخفاء لا يكون بدون غنة ، فقوله « بغنة » للإيضاح بأمرها والاهتمام بإظهارها ولدفع وَهْمِ تركها لوقوعها في مقابل نقيضها .

وأما قول الرومي [٥٦] : (و« بغنة » متعلقة بـ« تسكن ») فوهم ومُوهمٌ أن يكون قيداً للسكون ، فالصحيح ما قدمناه .

وكما أن الإخفاء له مراتب كذلك الإظهار يكون قوياً وغير قوي ، ولذا قال :

. . . . واحــذَرْ لَـدَىٰ واوٍ وفَـا أَنْ تَخْتَفِــي

فالمعنىٰ أنك إذا لم تظهرها عندهما كمالَ إظهارها يخشىٰ إخفاؤها في أدنىٰ مراتبها .

ثم قال بعضهم : إن النون آصل في الغنة من الميم لقربها من الخيشوم ، وأما قول المصري : (وإنما لم يذكر التنوين لأنه نون حقيقة[(٢)] في المخرج والصفة ، وإنما الفرق بينهما عدم ثبات التنوين في الوقف وفي صورة الخط ، وأنه لا يكون زائداً على هجاء الكلمة) . فليس في محله ؛ إذ الكلام في النون المشددة والمدغم ، ولا يتصور[(٣)] أنه في نون التنوين ، مع أن سيبويه وأتباعه

---

(١) في « ب » و« ج » : ثم للإخفاء أيضاً مراتب ، وفي « د » : ثم إن الإخفاء أيضاً مراتب .
(٢) في « أ » : خفيفة .
(٣) في « أ » : ولا يتصوران .

لم يذكروا في حروف الغنة إلا النون والميم ، وسيأتي بعد ذلك حكم النون[1] عند الحروف الهجائية على حسب أقسامها ، فقد قال سيبويه في ذكر الحروف التي بين الشدة والرخوة : (ومنها حرف يجري معه الصوت ، وإن ذلك الصوت غنة من الأنف ، وإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجرِ معه صوت وهو النون ، وكذلك الميم)[2] ، وقال نصر بن علي الشيرازي[3] : (ومنها حرف[4] الغنة وهي النون والميم سميتا بذلك لأن فيهما غنة تخرج من الخياشيم وهي الصوت المحصور فيها كأصوات الحمام والقمارىٰ)[5] .

وأما تقييد الشاطبي التنوين والنون والميم مع الغنة : حيث سَكَنَّ ولا إظهار[6] ، فبيان للحالة التي تصحب الغنةُ فيها لهذه الأحرف ، لا أنَّ هذه الحروف ليست لازمة للغنة إذ لا تنفك عنها ولذلك قال : شرطها أنَّ تكنَّ

---

(١) في « أ » : النونين . وفي « ج » : حكم التنوين والنون الساكنة .

(٢) انظر « الكتاب » لإمام النحو سيبويه ٣/ ١٢٥ .

(٣) هو نصر بن علي الشيرازي الفارسي الفسوي ، ابن أبي مريم ، خطيب شيراز وعالمها وأديبها في عصره ، توفي سنة ٥٦٥هـ ، له كتب ، منها « تفسير القرآن » و« الموضح » في توجيه القراءات الثمان . اهـ « غاية النهاية » ٢/ ٣٣٧ ، و« إرشاد الأريب » ٧/ ٢١٠ ، و« الأعلام » ٨/ ٥٦ .

(٤) في « ب » : حرفا الغنة وهو . . . إلخ .

(٥) القمارىٰ جمع قُمْرِىٰ ، غير مصروف ، طائر حسن الصوت مشهور ، والأنثى قمرية . اهـ انظر « حياة الحيوان الكبرىٰ » للدميري ٢/ ١٩٩ .

(٦) هذه إشارة إلى ما قاله الإمام الشاطبي [١١٥٢] في باب مخارج الحروف :

وغُنَّةُ تنوينٍ ونونٍ وميمٍ أنْ سَكَنَّ ولا إظهار في الأنف يجتلىٰ

قال القاضي عند شرحه لهذا البيت : « يعني أنَّ مخرج غنة التنوين والنون والميم في الأنف إن كنَّ ساكنات ولم يَكُنَّ مظهرات بل كنَّ مدغمات أو مخفيات ، فإذا كانت هذه الأحرف متحركة أو كانت ساكنة مظهرة فإن مخرج التنوين والنون من طرف اللسان ، ومخرج الميم الشفتان ، والتنوين وإن كان نوناً ساكنة ولكن لما تميَّز بعدم إثباته خطاً ووقفاً أُفرد بالذكر » .

سواكن وأن تكنَّ مخفيات أو مدغمات إلا في موضع نصوا على الإدغام فيه بغير غنة ، واختلف في ذلك علىٰ ما سيأتي بيانه في أحكام النون الساكنة والتنوين ، فإن كنَّ مظهرات أو متحركات فلا غنة ـ أي ظاهرة ـ لما سبق من أنهما لا يخلوان عنها البتة في كل حالة ، فالعمل في النون للسان وفي الميم للشفتين على ما تقدم ، وكان يجزئه أن يشترط عدم الإظهار ؛ إذ يلزم من ذلك أن يكنَّ سواكن .

هذا وقال الشيخ أبو عمرو في شرح هذه الغنة المسماة بالنون المخفاة : (هذه النون ليست التي قد مَرَّ ذكرها ، فإن تلك من الفم وهذه من الخيشوم)[1] .

ثم قال : (وشرط هذه أن يكون بعدها حرف من حروف الفم ليصح إخفاؤها ، فإن كان بعدها حرف من حروف الحلق أو كانت آخر الكلام وجب أن تكون الأُولىٰ ، فإذا قلت : « منك وعنك » ، فمخرج هذه النون من الخيشوم وليست تلك النون في التحقيق ، فإذا قلت : « من خلق ، ومَنْ آمن » ، فهذه هي النون التي مخرجها من الفم ، وكذلك إذا قلت : « أمكنَ وزَيَّنَ » ، مما يكون آخر الكلام وجب أن تكون هي النون الأولىٰ أيضاً ، فافهم)[2] والله أعلم .

[باب أَحكامُ النُّونِ السَّاكِنَةِ والتَّنوِيْنِ]

[٦٥] (وَحُكْمُ تنوِينٍ وَنُونٍ) أي ساكن (يُلْفَىٰ) بصيغة المجهول من الإلفاء ، أي يوجد أحدهما في الكلام مقروناً بأحد حروف الهجاء .

(إِظْهَارٌ ٱدْغَامٌ وَقَلْبٌ إِخْفَا) أخبار متعددة[3] لقوله« حُكْمُ » أتىٰ في بعضها بالعاطف وفي بعضها بغيره إيماءً إلى الجواز ، وإشارةً إلى الإيجاز ،

---

(١) انظر « جامع البيان في القراءات السبع » لأبي عمرو الداني ٥٩/ ب .
(٢) المرجع السابق ٦٤/أ .
(٣) في « أ » : معدودة .

فـ« يُلْفَىٰ » صفة للنونين ، ومفعوله الثاني مقدرٌ كما قررناه .

وأما إعراب الرومي [٥٧] بقوله : (« يُلْفَىٰ » خبر المبتدأ ، ونائب فاعله مفعوله الأول ضميرٌ راجع إلى الـ« حُكْم » ، ومفعوله الثاني محذوف ، أي يوجد حكم التنوين والنون على أربعة أقسام ، وقوله « إظهارٌ » خبر مبتدأ محذوف تقديره : أي الحكم المذكور إظهار . . . الخ) . فلا يخفىٰ على أولي النهىٰ أنه تطويل خارج عن تحقيق المبنىٰ وتدقيق المعنىٰ وإن كانَ مأخَذَه ظاهرُ عبارة ابن المصنف لكن مراده بيان حَلِّهِ ، ومما يردُّ إعرابه[١] أنَّ « حكمُ تنوين » مبتدأ ، ونُكِّرَ لأنه مضاف إلى النكرة ، وكل مضاف إلى النكرة نكرة[٢] ، وإنما سَوَّغ[٣] كونه مبتدأ وصفُهُ بالجملة .

ثم قوله « إظهارٌ ٱدغام » إنما يستقيم الوزن بنقل حركة الهمزة إلى التنوين كما في قاعدة ورش .

[الفرق بين النون والتنوين] :

ثم الفرق بين النونين أنَّ **التنوين نون ساكنة زائدة لغير توكيد تلحق آخر الاسم ، لفظاً في الوصل لا وقفاً ولا خَطّاً ، وأنَّ النون الساكنة تثبت لفظاً وخطاً ووصلاً ووقفاً وتكون في الاسم والفعل والحرف ، متوسطة ومتطرفة .**

ثم أنواع التنوين ثمانية أو عشرة ، منها أربعة جاءت في التنزيل مختصة بالأسماء وهي :

١ـ **تنوين التمكين** : وهو ما يدل على أمكنية الاسم لكونه منصرفاً من كمال حركات الإعراب فيه لفظاً أو تقديراً نحو: «اسم الله»[٤] و﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢] .

---

(١) في « أ » : « ومما يراد على إعرابه » وفي « ب » و« د » : « ومما يُرَادُ إعرابه » .

(٢) قوله : « وكل مضاف إلى النكرة نكرة » سقط من « ب » .

(٣) في « أ » و« ج » : وإنما يسوغ .

(٤) هذه شبه جملة لا تنوين فيها ، لأن الإضافة نابت مناب التنوين .

٢ـ **وتنوين المقابلة** : نحو : ﴿مسلماتٍ﴾ و﴿ومؤمناتٍ﴾ ، فإنَّ التنوين فيهما قابَلَ النون في ﴿مسلمين﴾ و﴿مؤمنين﴾ .

٣ـ **وتنوين العوض** : نحو : ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف : ٤١] فإن التنوين فيه عوض عن الياء المحذوفة ، ومنه : ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ﴾ [الواقعة : ٨٤] فإنَّ تنوينه عوض عن الجملة المحذوفة ، أي : وأنتم حين إذ بلغت الحلقوم[١] ، وإنما حركت الذال لالتقاء الساكنين ، ومنه تنوين « كُلٍّ » فإنه عوض عن المضاف إليه ، أي « وكلّهم » .

٤ـ **وتنوين التناسب** : نحو : ﴿سَلَاسِلاً وَأَغْلَالاً﴾ [الإنسان : ٤] فإنه صرف « سلاسلاً » عن بعض القراء[٢] لمناسبة « أغلالاً » .

قال خالد [٨٠] : (فإن قلت : قد أَخَلَّ الناظم بقيد السكون في قوله : « ونون » . قلت : هو معلوم من قرينة قوله « وحكم تنوين » لأن الاشتراك في الحكم يقتضي التسوية في الوصف غالباً ، ومن المعلوم أنَّ التنوين واجب السكون) .

وبقيد قوله « غالباً » خرج ما يرد على جوابه بدونه وعدم التسوية بينهما في كثير من الأوصاف على ما بيناه .

وإذا عرفت مجملاً أنَّ أحكامها أربعة فاعلمها مفصَّلة .

[٦٦] (**فَعِنْدَ حَرْفِ الحَلْقِ**) بالإضافة الجنسية ، أي عند الحروف الحلقية (**أَظْهِرْ**) أي النونين ، والمعنىٰ فأظهرهما عندها[٣] .

(**وَادَّغِم**) بتشديد الدَّال ، وهو من باب الافتعال ، ولغة في تخفيفها من باب الإفعال .

---

(١) أي إذا بلغت الروحُ الحلقوم .

(٢) هم نافع وهشام وشعبة والكسائي وأبو جعفر .

(٣) في « أ » : والمعنىٰ : أظهرهما .

وأما ما ضبط في بعض النُّسَخ بضم همزة « أظهر » وضم الدال فغير ظاهر ، وإن ذهب إليه ابن المصنف [٣٣] وتبعه الرومي [٥٨] وذكره المصري وَوَجَّهَهُ بأنَّ نائبَ الفاعل (في اللَّامِ وَالرَّا) بخلاف الشيخ زكريا [٨٠] فإنه اقتصر على ما اخترناه ، ويؤيده عطف قوله « وأدغمنْ بغنةٍ » عليه .

والمعنىٰ وأدغمها في اللام والرا ـ بالقصر للوزن ـ (لاَ بِغُنَّةٍ لَزِمْ) قال خالد [٨١] : (أي إدغاماً لازماً بغير غنة ، وفي بعض النسخ « أتم » مكان « لزِم » يعني إدغاماً تاماً مستكملاً للتشديد ، وبهذا التقرير يندفع ما توهمه ابن الناظم حيث جعل « لزِم » صفة لـ« غنة »)(١) .

والمعنىٰ أنه نعت لمصدر محذوف ، والأظهر أن التقدير : لا تدغم إدغاماً مقروناً بغنة ، وأنَّ قوله « لزم » جملة مستأنفة مبيِّنة أن الحكم السابق من الإدغام فيهما لزم جميع أفرادهما من غير استثناء عنهما بخلاف قوله :

[٦٧] (وَأَدْغِمَنْ بِغُنَّةٍ فِي يُومِنُ إلاَّ بِكِلْمَةٍ كَدُنْيَا عَنْوَنُوا)

وفي نسخة « صنونوا » وهو أولىٰ لورود أصله في التنزيل من قوله : ﴿ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾ [الرعد : ٤] بخلاف مجيء العنوان على ما سيأتي له من البيان .

ثم قوله « وأدغمن » بالنون الخفيفة المؤكدة ، ومفعوله مقدر ، أي النونين .

ويقرأ « يومن » بإشباع النون ولا يكتب بالواو في آخره كما في بعض النسخ ، ولا يهمز « يومن » بل يقرأ بالإبدال لتحصيل الواو في أصل الكلمة ، وسبق حكم الهمزة(٢) ، ولذا قال الشاطبي : « بينمو »(٣) .

---

(١) في سوق المؤلف عبارة الشيخ خالد في هذا المكان مقصد هام سيأتي بيانه بعد قليل إن شاء الله تعالى .

(٢) أي أن اللفظ أصله (يؤمن) بالهمز وأبدلت همزته واواً حسب قاعدة الإبدال .

(٣) قال الشاطبي في « حرز الإماني » [٢٨٦ و٢٨٧] : =

ثم الاستثناء من حروف « يومن » أي إلا الواقع منها بكلمة كـ« دنيا » و« صنوان » ولم يجيء غيرهما منها في كلمة واحدة من الميم والنون[1] ، وإلا فكان القياس كذلك فيهما لو وجد لاشتراك[2] العلة بينهما .

وأما قول الرومي [٥٨] من أنَّ الاستثناء من « أدغمن » فلا يصح بظاهره إلا أن يتكلف بل يتعسف[3] .

وأما قول زكريا [٨١] : (إلا أن يكون الحرفان بكلمة) فصحيح بحسب المعنىٰ إلا أنه غير صحيح في حَلِّ المبنىٰ .

[الإظهار] :

والحاصل أن الناظم رحمه الله أمر بإظهار النونين عند حروف الحلق الستة المتقدمة في المخارج وهي : **الهمزة** ، **والهاء** ، **والعين** ، **والحاء** ، **والغين** ، **والخاء** ، بحسب ترتيبها في مخارجها الثلاثة من الأقصىٰ والأوسط والأدنىٰ ، ويجمعها أوائل قولك :

☆ أَخي هَاكَ عِلْماً حَازَهُ غَيْرُ خَاسِر ☆

وهو لمجيئها مرتبة في المبنىٰ مع قطع النظر عن المعنىٰ أحسن موقعاً[4] من

= وكلهـمُ التنـويـنَ والنُّـونَ أدغَمُـوا … بـلا غنـةٍ فـي الـلاَّم والـرَّا ليجمُـلاَ
وكـلٌّ بينمـو أدغمـوا مـعَ غنـةٍ … وفـي الـواوِ واليـا دونهـا خَلَـفٌ تَـلاَ

(١) أي أنه لم تقع النون الساكنة قبل أحد حروف الادغام بغنة في كلمة واحدة إلا مع الياء والواو دون الميم والنون ، ومثَّل المصنف بلفظ : « دنيا » وكان الأولى تحليته باللام « الدنيا » كما ورد في التنزيل ، و﴿ صنوان﴾ ولم يرد إلا في [الرعد: ٤] مرتين . وبقي لفظان هما : ﴿قنوان﴾ في [الأنعام: ٩٩] . و﴿بنيان﴾ في [التوبة: ١٠٩] ، و[الصف: ٤] .

(٢) « أ » و« ب » : « لوجود اشتراك » ، و« د » : « لو وجد الاشتراك » .

(٣) « ب » : بتكلف وتعسف .

(٤) في « أ » : موقفاً .

قول الشاطبي [٢٨٩] رحمه الله :

. . . . أَلاَ هَـاجَ حُكْـمٌ عَـمَّ خَـالِيْـهِ غُفَّـلاَ

قال المصري : وجمعت في بيتٍ أيضاً وهو قوله :

همــزٌ وهَــاءٌ ثــم حــاءٌ وعينهــا وخــاءٌ وغيــن يــا أخــي تــأَمَّــلاَ

قلت : تأملنا فوجدنا أن حَقَّ الترتيب أن يقول :

فهمــزٌ وهــاءٌ ثــم عيــنٌ وحــاؤهــا وغيــنٌ وخــاءٌ ثــم كــن مُتَــأَمِّــلاَ

والأمثلة : ﴿ينْأَون﴾ ﴿منْ آمن﴾ ﴿عادٍ إِذ﴾ وإنما يتأتى المثالان لغير من ينقل(١) ، و﴿ينْهَون﴾ ﴿منْ هَاجر﴾ ﴿إنِ امروٌ هَلك﴾ ﴿أنْعَمت﴾ ﴿منْ عِلم﴾ ﴿حقيقٌ عَلىٰ﴾ ﴿وانْحَر﴾ ﴿منْ حَادَّ﴾ ﴿نارٌ حَامية﴾ ﴿فسينْغِضون﴾ ﴿منْ غِلٍّ﴾ ﴿ماءٍ غَير آسن﴾ ﴿والمنْخَنقة﴾ ﴿إنْ خِفتم﴾ ﴿يومئذٍ خَاشعة﴾ .

ووجه الإظهار رعاية غاية بعد المخرج مع تنوع الحلق من أدناه وأوسطه وأقصاه .

قال في « التمهيد » : (وقد ذكر بعض القراء في كتبهم أن الغنة باقية فيهما ، وذكر شيخ الداني فارس بن أحمد(٢) في مصنف له أن الغنة ساقطة منهما إذا أظهرا ، وهو مذهب النحاة وبه صرحوا في كتبهم ، وبه قرأت على

---

(١) يعني المثالين الأخيرين ، وأما الأول فلا نقل فيه لوقوع الهمز في وسط الكلمة ، والنقل هو نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها مع ذهاب الهمزة ، وهو مذهب ورش عن نافع فلما حذفت الهمزة وصارت النون متحركة ذهب حكم الإظهار لذهاب مستلزماته .

(٢) هو فارس بن أحمد بن موسى بن عمران أبو الفتح الحمصي الضرير ، نزيل مصر ، الأستاذ الكبير الضابط الثقة ، ولد بحمص سنة ٣٣٣هـ ، رحل وقرأ على عبد الباقي بن الحسن وعلي بن عبد الله الجلاَّء وكثيرين غيرهم ، وكان حافظاً ضابطاً حسن التأدية ، توفي بمصر سنة ٤٠١هـ . « غاية النهاية » ٦/٢ .

كل شيوخي ما عدا قراءة يزيد[1] والمسيبي[2])[3]اهـ .

وأقول : يمكن أنِ يكون النزاع لفظياً ؛ لأن من قال ببقائها أراد في الجملة لعدم انفكاك أصل الغنة عن النون ، ومن قال بسقوطها أراد عدم ظهورها .

ثم اعلم أنَّ القراء السبعة أجمعوا على إظهار النونين عند حروف الحلق جميعها ، وإنما روىٰ أبو جعفر إخفاءَها عند الخاء والغين من طريق « الطيبة »[4] إلا في ثلاث كلمات وهي : ﴿المُنْخَنِقَة﴾ بالمائدة ، استثناها بعض أهل الأداء ، و﴿إن يكنْ غَنياً﴾ بالنساء ، و﴿فسينْغِضون﴾ بالإسراء[5] .

---

(١) هو يزيد بن القعقاع أبو جعفر المخزومي المدني ، أحد القراء العشرة ، تابعي مشهور معروف القدر ، روىٰ ابن جماز عنه أنه كان يصوم يوماً ويفطر يوماً كصيام داود ، وكان من المفتين المجتهدين ، توفي بالمدينة سنة ١٣٢هـ . « غاية النهاية » ٢/ ٣٨٣ .

(٢) هو إسحاق بن محمد المسيبي المخزومي المدني ، قرأ على نافع بن أبي نعيم ، وهو من جُلَّة أصحابه المحققين ، أخذ عنه القراءة ولده محمد ، وخلف البزار ، وتوفي سنة ٢٠٦هـ . « معرفة القراء الكبار » ١/ ١٢١ ، وفي نسخ المنح الفكرية التي عندنا « المسيب » دون ياء النسبة ، والتصحيح من « التمهيد » .

(٣) « التمهيد في علم التجويد » لابن الجزري ص١٦٦ .

(٤) والدرة أيضاً .

(٥) قال الإمام ابن الجزري في « طيبة النشر » في باب أحكام النون والتنوين :

أظهِرْهُمَا عِند حروف الحَلقِ عنْ ... كُلٍ وفي غينٍ وخا أَخْفَىٰ ثَمَن
لا منخنق ينغض يكن بعضٌ أبىٰ ... .

فأشار بالثاء من قوله « ثَمَنْ » إلى قراءة أبي جعفر بالإخفاء عند الخاء والغين ، ثم ذكر ما استثني له منهما .

وقال في الدرة :

. . . . . وبِخَا وغينِ الاخفا ... سِوى يُنْغِض يكنْ منخنقْ أَلا

والهمزة في الدرة رمز لأبي جعفر .

وقال مكي نصر في « نهاية القول المفيد » : ووجه الإخفاء عندهما ـ الغين والخاء ـ قربهما من حرفي أقصىٰ اللسان وهما القاف والكاف ، ووجه الإظهار العلة المشتركة وهي بُعْدُ مخرج حروف الحلق من مخرج النون وإجراء الحروف الحلقية مجرىٰ واحدٍ .

ثم لا يخفىٰ وجه تقديم الإظهار فإنه الأصل ، وثنىٰ بالإدغام لأنه ضد الإظهار المتقدم ، والشيء يحمل على ضده كما يحمل على نقيضه ؛ إذِ الضدُّ أقرب حضوراً بالبال ولمساواته له أيضاً في عدة الحروف ، ثم ذكر القلب لأنه نوع من الإدغام وحرف واحد قريب إلى الضبط ، ثم ذكر الإخفاء حفظاً للإحصاء ، ولأنه حالة بين الإظهار والإدغام فيتوقف على تحقيقهما(١) ، والله أعلم .

[الإدغام] :

ثم أمر بإدغام كلٍ من النونين في اللام والراء من غير إظهار غنة نحو : ﴿من ربهم﴾ و﴿بشراً رَسولاً﴾ و﴿أنْ لو﴾ و﴿هدًى للمتقين﴾ **ووجه إدغامهما فيهما تلاصق مخرجهما عند الجمهور واتحادهما عند جمع**(٢) ، ثم نفي الغنة عنهما مبالغة في تخفيفهما لأن في بقائها ثقلاً ما .

قال الرومي [٥٨] : (أوْ لإتباع الصفة الموصوف ، أو لتنزلهما بشدة المناسبة منزلة المثلين النائب أحدهما مناب الآخر) . وفيه أنَّ الغنة باقية في حقيقة المثلين من الميمين والنونين فلا وجه لنفيهما فيما ينزل منزلتهما .

قال ابن المصنف [٣٤] : (وإلى عدم الغنة أشار بقوله : « لا بغنة لزم » أي لا بغنة لازمة بل منفكة عنها) .

فما سبق لخالد من إسناد الوهم إلى ابن الناظم مبنيٌّ على عدم الفهم ، نعم ذكر زكريا أنَّ في نسخة : « أتم » ، فيفيد جواز إدغامهما في ذلك بغنة وبه قرأ جماعة(٣) ، لكن المشهور الأول وعليه العمل .

---

(١) في « أ » ، « ب » : تحققها . وفي « د » : تحققهما .

(٢) هو قول سيبويه وقطرب والجرمي ومن وافقهم كما مَرَّ آنفاً بيان ذلك عند مخرج الراء .

(٣) ورد إدغام اللام والراء بغنة من طريق « طيبة النشر » لقالون وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وحفص وأبي جعفر ويعقوب . انظر « طيبة النشر » ص٥٠ .

والأظهر أن لا يجعل « أتم » صفة لـ« غنة »[1] لئلا يتوهم جوازها في قراءة أو رواية لما صَرَّح الشاطبي رحمه الله من الاتفاق بقوله [٢٨٦] :

وكُلُّهُمُ التنوينَ والنُّونَ أَدْغَمُوا ... بِلاَ غُنَّةٍ فِي الَّلامِ وَالرَّا لِيَجْمُلاَ

بل يجعل صفةً لإدغام[2] مقدر كما سبق في « لزم » ، أو خبراً لمبتدأ محذوفٍ هُوَ « هو »[3] ، وهو أفعل التفضيل ، أي وذلك الإدغام أتم ، والحكم أعم ، وهو الملائم ؛ لأن الإدغام إذا لم يكن مقروناً بالغنة فلا شك أنه أكمل وأتم مما توجد فيه الغنة ، إذْ هي كنوعٍ فَصَلَ بين الحرفين .

ثم أمر الناظم بإدغامهما مقروناً بغنة في حروف « يومن » وهي أربعة أحرف :

الياء والواو والميم والنون نحو : ﴿ وَإِن يَرَوْاْ ﴾ و﴿ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ ﴾ و ﴿ مِن وَالٍ ﴾ و﴿ إِيمَانًا وَعَلَىٰ ﴾ و﴿ عن مَن ﴾ و﴿ سُنبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ﴾ و﴿ إِن نَّحْنُ ﴾ و﴿ مَلِكًا نُّقَاتِلْ ﴾ .

ثم اعلم أنَّ خلفاً راوي حمزة من القراء السبعة يدغمهما في الواو والياء بلا غنة ، فإطلاق المصنف رحمه الله بناء على قراءة العامة .

ثم اتفقوا على أن الغنة مع الواو والياء غنة المدغم ، ومع النون غنة المدغم فيه ، واختلفوا مع الميم فذهب ابن كيسان النحوي[4] وابن مجاهد المقري

---

(١) قولهُ : « غنة » سقط من « أ » .

(٢) « أ » ، « ب » ، « د » : الإدغام .

(٣) « هو » الثانية سقطت من « ب » ، وفي « ج » : وهو : هو .

(٤) هو محمد بن أحمد بن إبراهيم ، عالم بالعربية نحواً ولغةً ، من أهل بغداد ، توفي سنة ٢٩٩هـ ، من كتبه « تلقيب القوافي وتلقيب حركاتها » و« غريب الحديث » و« معاني القرآن » . اهـ « إرشاد الأريب » ٦/ ٢٨٠ ، و« شذرات الذهب » ٢/ ٢٣٢ ، و« الأعلام » ٥/ ٣٠٨ .

وغيرهما إلى أنها غنة النون أو التنوين[١] تغليباً للأصالة ، وذهب الجمهور إلى أنها غنة الميم كالنون في أنه غنة المدغم فيه ، وهو اختيار الداني والمحققين ، وهو الصحيح لأن الأُولىٰ قد ذهبت بالقلب فلا فرق بين « مِن مَنْ » وبين « أَم مَّن » .

أقول : ولا يبعد أن يقال بغنتهما إلا في الواو والياء فإنه لا غنة فيهما بالأصالة وإنما توجد فيهما عند المقارنة فيفيد أن الغنة في النون والميم أقوىٰ من الغنة في الواو والياء ولذا وقع خلفٌ فيهما ، وجاء التأكيد بإظهار غنة النون والميم المدغمتين على ما سبق بيانهما ، ولا بُدَّ أن تكون الغنة في النونين أظهر من غيرهما .

ثم وجه الإدغام في النون هو التماثل ، وفي الميم التجانس[٢] في الغنة والجهر والانفتاح والاستفال وبعض الشدة[٣] ، **وفي الواو والياء هو التجانس في الانفتاح والاستفال والجهر ومشابهة الغنة المد[٤]** ، ومن ثَمَّ أُعرب بالنون في الأفعال الخمسة كما أُعرب بحروف المد في الأسماء الستة .

[ما خرج عن الإدغام لوقوع حرفيه بكلمة واحدة] :

أما إذا اجتمعت النون الساكنة مع الواو والياء في كلمة نحو : ﴿الدُّنيا﴾ و﴿بنيانٌ﴾ و﴿قِنْوانٌ﴾ و﴿صِنْوانٌ﴾ ولا خامس لهذه الأربعة أظهرت لئلا يلتبس بالمضاعف إذا أدغمت ، وهو ما تكرر أحد أصوله نحو : « صِوَّان » و« دُيَّا » كذا ذكره ابن المصنف[٥] ، وفيه أن المراد بالمضاعف هنا هو المضاعف[٦] الثلاثي وهو ما اتحد عين الفعل ولامه من حروف أصوله كمَدَّ وَعَدَّ ، فيصير

---

(١) في « ب » : غنة الميم . وسقط « أو التنوين » من « ج » و« د » .
(٢) قوله « التجانس » أي الاشتراك .
(٣) أي التوسط حيث يتصف كل من النون والميم بصفة التوسط بين الشدة والرخاوة .
(٤) أي مشابهة الغنة التي في النون والتنوين المد واللين الذي في الواو والياء .
(٥) في « ب » : كذا ذكره المصنف ، وهو خطأ .
(٦) « هنا هو المضاعف » سقط من « أ » .

وزن « صِوَّان » فِعْلان ، ووزن « دُيَّا » فُعْلَىٰ ، ليكون مضاعف الافتعال فإنه يصير باقياً على كونه أجوف[1] ، ومع هذا فقد يقال إنه لفيف لكن في الجملة لا يخلو عن الشبهة ، ولذا قال الشاطبي [٢٨٨] رحمه الله :

. . . . مَخَـافَـةَ إِشْبَـاهِ المُضَـاعَـفِ أَثْقَـلاَ

وأما قول الرومي [٢٤] : (ونحو « عنونوا » فإنه إذا أدغم يصير « عَوَّنوا » فيصير « عمموا ») فخطأ ظاهر ؛ إذ « عمموا » لاشك أنه مضاعف ، و« عَوَّنوا » علىٰ حاله أجوف ، غايته أنه انتقل من باب « فعلل » إلى باب التفعيل ، فتأمَّل في حروف الأصيل .

ثم اعلم أنَّ حكم اللام والراء إذا كانتا مع النونين في كلمة كذلك يجب إظهارهما معهما لئلا يشتبه بمضاعفهما ، إلا أنه لَمَّا لم يقع شيء منه في القرآن في كلمة لم يحتج إلى استثنائه ، وأما في كلمتين وهو قوله : ﴿ مَنْۜ رَاقٍ ﴾ [القيامة : ٢٧] فالجمهور على إدغامه ، وإنما سكت حفص حال الوصل على نونه وكذا على لام ﴿ بَلْۜ رَانَ ﴾ [المطففين : ١٤] خوف اشتباهه بالمضاعف حيث يصير « مَرَّاق » و« بَرَّان » فيتوهم أن يكون الأول مبالغة مارِق ، والثاني تثنيه البَرّ ، والمراد بالمضاعف هنا معناه اللغوي دون الاصطلاحي فتدبر ، وسيجيء وجه سكته على غيرهما في باب الوقف إن شاء الله تعالىٰ .

ثم اعلم أنه لم يتأتَّ للناظم أن يأتي بمثال الواو من القرآن فأتىٰ بلفظ « عنونوا » من عُنْوَان الكتاب بضم العين وبكسرها ، وهو ظاهرُ ختمِه الدالُّ على ما في طَيِّه ، ولذا قيل : الظاهر عنوان الباطن ، وما أحسن ملاءمة هذا المعنىٰ بخصوص هذا المبنىٰ من الانتقال منه إلى المدَّعىٰ .

قال ابن المصنف [٣٤] : (وهو من تعنين الكتاب لختمه) .

---

(١) زاد في « ب » : ووزن « رئيا » فِعْلاً ، وفي « ج » : فيكون وزن صوّان : فعَّان ، ليكون مضاعف الافعال فإنه يصير باقياً على كونه أجوف ، ووزن ديًّا : فُعًّا .

وقال الرومي [٥٨] : (من عنوان الكتاب لختمه) .

والظاهر ما قال صاحب « القاموس » عن الكتاب : (وعَنَّنَهُ وعنونه وعَنَّاه كَتَبَ عنوانه)[١] ، ولا يخفىٰ أن أصل الكلمة مضاعفة ففيه من الفائدة أن في تصويرها إشارةً إلىٰ أنَّ الواو أعم من أن تكون أصليةً أو زائدة .

ثم اعلم أنَّ القراء اختلفوا في نون ﴿ يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾ و﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ﴾ حال الوصل[٢] كما بَيَّنَهُ الشاطبي [٢٨١] بقوله :

ع ف حق ب

وَيٰسِنَ أَظْهِرْ عَنْ فتىً حقه بَدَا ونونَ وفيهِ الخلفُ عن ورشِهِمْ خَلاَ[٣]

وكذا في نون ﴿طسٓمٓ﴾ عند الميم ، فأظهرها حمزة دون غيره .

[القلب] :

[٦٨] (**والقَلْبُ عِنْدَ البَا**) بقصرها للوزن (**بِغُنَّةٍ كَذَا**) أي وقلب النونين ميماً عند ملاقاتهما الباء كما قال الشاطبي [٢٩٠] :

وَقَلْبُهُمَا مِيْماً لَدى البَا . . . .

حال كونها مقرونة بغنة كما هو شأن الميم الساكنة عند الباء من إخفائها لديها مع الغنة كما سبق عن أجلاء أرباب القراءة في نحو قوله : ﴿ وَهُم بِرَبِّهِمۡ﴾ [الأنعام : ١٥٠] و﴿ أَنۢبِئۡهُم﴾ [البقرة : ٣٣] و﴿ أَنۢ بُورِكَ﴾ [النمل : ٨] و﴿ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الحديد : ٦] .

---

(١) « القاموس المحيط » للفيروز آبادي ، مادة : عَنَنَ .

(٢) حاصل الخلاف في ذلك أن ورشاً وابن عامر وشعبة والكسائي ويعقوب وخلفاً أدغموا النون في الواو ، هذا ما في سورة يسٓ ، وأما ما في القلم فكما في يسٓ إلا أن لورش الوجهين فيه أعني الإدغام والإظهار ، وأما أبو جعفر فإنه يسكت على يا وسين ونون سكتة لطيفة فيلزم منها الإظهار .

(٣) العين من « عن » رمز لحفص ، والفاء من «فتىً» رمز لحمزة ، والحاء والقاف من « حقه » رمز لابن كثير وأبي عمرو ، والباء من « بدا » رمز لقالون ، ثم قوله « ونون » أي و﴿نٓ والقلم﴾ من سورة القلم كائنةٌ على الخلاف السابق إلا أن ورشاً له وجهان : الإدغام والإظهار .

ووجه القلب عسر الإتيان بالغنة في النون والتنوين مع إظهارهما ثم إطباق الشفتين لأجل الباء ، ولم يدغم لاختلاف نوع المخرج وقلة التناسب فيتعين الإخفاء ويتوصل إليه بالقلب ميماً لتشاركه الباء مخرجاً والنونُ غُنَّةً .

وقال سيبويه في تعليل ذلك ، أي في وجه تخصيص قلبهما ميماً من بين سائر الحروف : (لأنهم يقلبون النون ميماً في قولهم « العَنْبَر ، ومَنْ بَدَا لك[١] » فلما وقع مع الباء الحرف الذي يفرون إليه من النون[٢] لم يُقِرُّوه[٣] ، وجعلوه بمنزلة النون إذ كانا حرفي غنة ، ولم يجعلوا النون باءً لبعدها في المخرج من الباء ولأنها ليست فيها غنة أي في الباء ، ولكنهم أبدلوا مكانها من أشبه الحروف بالنون وهي الميم[٤])[٥] .

ثم قوله « كذا » من متعلقات المصراع الآتي ، أي وكذلك بغنةٍ (**الإِخْفَا لَدَىٰ بَاقِي الحُرُوْفِ أُخِذَا**) بصيغة المجهول ، وألفه للإطلاق ، والتقدير : أخذ به أي بالإخفاء .

ولا يبعد أن يقال : أُخذ بهما أي بالقلب والإخفاء ، أو بما ذكر من مجموع ما تقدم ، أي عُمِلَ بها ، والله أعلم .

---

(١) « ج » : ومن بذلك .

(٢) في « ب » : يفرون إليه من بين سائر الحروف .

(٣) « ج » : لم يقرؤوه .

(٤) انظر « الكتاب » لإمام النحو سيبويه ٤/٤٥٣ ، والعبارة فيه قريبة مما ذكره المؤلف وليست مطابقة .

(٥) قال مكي بن أبي طالب القيسي في تعليل القلب : « والعلة في إبدال النون الساكنة والتنوين ميماً عند الباء أن الميم مؤاخية للباء لأنها من مخرجها ، ومشاركةٌ لها في الجهر والشدة ، وهي أيضاً مؤاخية للنون في الغنة والجهر ، فلما وقعت النون قبل الباء ولم يمكن إدغامها بها لبعد المخرجين ولا أن تكون هي ظاهرة لشبهها بأخت الباء وهي الميم أبدلت منها ميماً لمؤاخاتها النون والباء ، ألا ترىٰ أنهم لم يدغموا الميم في الباء مع قرب المخرجين والمشاركة في الهمس والجهر في نحو قوله : ﴿وهم بربهم﴾ » اهـ « الرعاية » لمكي بن أبي طالب ص١٧٣ .

ولا يبعد أن يكون الألف للتثنية ، والضمير راجع إلى الحكمين من القلب والإخفاء في هذا البيت .

وقد أبعد الرومي حيث قال [٥٩] : (و« أُخِذا » مبني للمفعول تثنية « أُخِذ » ونائبُ فاعله ضمير راجع إلى النونين) ثم قال : (ويجوز أن يكون مفرداً ويكون الألف للإطلاق ، ونائب فاعله راجع إلى النون ، فتكون الألف واللام في « القلب » عوضاً من النون الساكنة فقط ، وعدمُ التعرض لحال التنوين لمشاركته للنون في الحكم المذكور) .

وهو غايةٌ من التكلف ونهاية في التعسف مع أنَّ الإسناد غير صحيح إلا أن يقدر مضاف ويقال : إخفاؤهما ، فتأمل فإنه موقع زلل .

ثم قول الناظم « الاخفا » بقصر الهمزة ضرورةً ، وبنقل حركة الهمزة إلى اللاَّم والاكتفاء بها عن همزة الوصل لغةً وقراءةً كما سبق تحقيقه في «الاَضراس»(١) ، والتقدير : إخفاؤهما ، لا « لِاخْفَاءُ لهما » كما ذكره زكريا [٨٢] .

[الإِخْفَاءُ] :

والحاصل أن الناظم أخبر أن النون الساكنة والتنوين كما قُلِبَا ميماً عند الباء وأخفيا بغنةٍ ، كذلك أُخِذَ إخفاؤهما بغنة عند باقي الحروف الخمسة عشر ، وهي ما عدا الحروف السابقة للأحكام الثلاثة ، وقد جمعها بعض الفضلاء في أوائل هذه الكلمات :

ض ز ف ث ت س د ش

ضَحِكَتْ زَينبُ فأبدتْ ثَنَايَا … تَرَكتْني سَكْرَانَ دُونَ شَرَابِ

ط ظ ق ذ ج ك ص

طَوَّقتني ظلماً قَلاَئِدَ ذُلٍّ … جَرَّعتْني جُفُونُهَا كأسَ صَابِ

---

(١) أي عند قول المصنف : « إذ وليا الأضراس من أيسرَ أو يمناها » .

واعلم أن الجيم من « جفونها » مكررة لإقامة الوزن ، ولذا لم تُمَيَّز كغيرها بالأحمر[1] ، فهو كما قال الشاطبي [٤٨] :

ورُبَّ مكــانٍ كَــرَّرَ الحــرفَ قَبْلَهَــا   لِمَـا عَـارضٍ والأمـرُ ليـس مُهَـوِّلا

والأمثلة : ﴿منْضُود﴾ ﴿منْ ضَعفٍ﴾ ﴿عذاباً ضِعفاً﴾ ﴿يَنْزِل﴾ ﴿فإنْ زَللتم﴾ ﴿نفساً زَكيَّةً﴾ ﴿ينْفِقُ﴾[2] ﴿فإنْ فَاءوا﴾ ﴿سَفَرٍ فَعدة﴾ و﴿منْثُوراً﴾ ﴿فمنْ ثَقُلتْ﴾ ﴿أزواجاً ثَلاثة﴾ ﴿وكنْتُم﴾ ﴿إنْ تُبتم﴾ ﴿جناتٍ تَجري﴾ و﴿ما نَنْسخ﴾ ﴿أنْ سَيكون﴾ ﴿ورجلاً سَلماً﴾ ﴿وعنْدَه﴾ ﴿ومنْ دَخله﴾ ﴿عملاً دُون ذلك﴾ ﴿وينْشِىء﴾[3] ﴿فمنْ شَهد﴾ ﴿شيءٍ شَهيد﴾ ﴿وما ينْطِق﴾ ﴿فإنْ طِبن﴾ ﴿صعيداً طَيباً﴾ ﴿وانْظُر﴾ ﴿إنْ ظَنَّا﴾ ﴿ظِلاً ظَليلاً﴾ ﴿وينْقَلب﴾ ﴿وإنْ قِيل﴾ ﴿بتابعٍ قِبلتهم﴾ ﴿ولتنْذِر﴾ ﴿منْ ذَا الذي﴾ ﴿ظلٍ ذِي ثلاث﴾ و﴿تنْجيكم﴾ ﴿وإنْ جَنحوا﴾ ﴿ولكلٍّ جَعلنا﴾ و﴿أنْكالاً﴾ ﴿منْ كَان﴾ ﴿زرعاً كِلتا﴾ و﴿ينْصُركم﴾ ﴿ولمنْ صَبرَ﴾ ﴿عملاً صَالحاً﴾ .

ووجه الإخفاء تراخي باقي حروف الهجاء عن مناسبة حروف الإدغام ومباينتها لحروف الإظهار فأخفيت[4] ، فإن الإخفاء حالة بين الإظهار والإدغام الذي لا تشديد معه ، وإن إخفاء الحرف نفسه عند غيره لا في غيره بخلاف الإدغام .

قال اليمني : (وحقيقة الإخفاء أن يذهب ذات النون من اللفظ مع بقاء صفة الغنة) .

---

(١) لأن المؤلف كان يضع أحرف أوائل كلمات البيت باللون الأحمر .

(٢) زاد في « ب » تتمة الآية ﴿. . . كيف يشاء﴾ .

(٣) في « ب » : وينشُرُ .

(٤) قال مكي بن أبي طالب : « والعلة في إخفاء النون الساكنة والتنوين عند ما ذكرنا أنَّ النون قد صار لها مخرجان : مخرج لها ومخرج لغنتها فاستعت في المخرج فأحاطت عند اتساعها بحروف الفم فشاركتها بالإحاطة فخفيت عندها » « الرعاية » ص١٧٤ .

وقال الرومي [٦٠] : (المراد هنا إخفاء الحرف لا إخفاء الحركة . . . ثم كل ما ذكر من أول هذا الباب إلىٰ هنا إن كانا من كلمة فالحكم عام في الوصل والوقف[١] ، وإن كانا من كلمتين فالحكم مختص بالوصل) فافهم ، والله أعلم .

فإن قلت : وجود الغنة مع الإدغام في الواو والياء يمنع أن يكون إدغاماً فينبغي أن يكون إخفاءً كما صرَّح به السخاوي[٢] حيث قال : (واعلم أنَّ حقيقة ذلك إخفاء لا إدغام ، وإنما يقولون له إدغام مجازاً وإلا فهو في الحقيقة إخفاء على مذهب من يبقي الغنة ويمنع تمحض[٣] الإدغام ، لكن لا بُدَّ من تشديد يسير فيها . . . قال : وهو قول الأكابر حيث قالوا : الإخفاء ما بقيت معه الغنة)[٤] .

أجيب : بأن الإدغام مع الغنة في الواو والياء غير كامل من أجل الغنة الباقية معه ، وهو عند من أذهب الغنة[٥] إدغام كامل ، ويوضح[٦] ذلك ما قاله الناظم في « النشر » : (فإن قلت : الصحيح من أقوال الأئمة أنه إدغام ناقص من أجل صوت الغنة الموجودة معه فهو بمنزلة صوت الإطباق الموجود مع الإدغام في ﴿أحطتُ﴾ و﴿بسطت﴾ والدليل على أن ذلك إدغام وجود التشديد فيه إذ

---

(١) قوله : « والوقف » سقط من « ب » .

(٢) في « ب » : السجاوندي ، وهو خطأ ، والسخاوي : هو علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري السخاوي الشافعي ، عَلَمُ الدين ، ولد سنة ٥٥٨هـ ، كان عالماً بالقراءات والأصول واللغة والتفسير ، سكن دمشق وتوفي فيها سنة ٦٤٣هـ ودفن في قاسيون ، له كتب منها « جمال القراء وكمال الإقراء » و« هداية المرتاب في متشابهات الكتاب » و« فتح الوصيد في شرح القصيد » شرح للشاطبية . اهـ « بغية الوعاة » ٣٤٩ ، « غاية النهاية » ١/٥٦٨ ، « الأعلام » ٤/٣٣٢ .

(٣) في « ب » : من يبقي الغنة بمحض الإدغام .

(٤) « فتح الوصيد » للسخاوي ١/٤٥٣ ، وما فيه يخالف النص الذي هنا في عدة كلمات .

(٥) يعني في قراءة خلف عن حمزة كما أشير إليه آنفاً .

(٦) « ب » : وتوضيح .

التشديد ممتنع مع الإخفاء ، قلتُ : قال الحافظ أبو عمرو : فمن أبقىٰ غنة النون والتنوين مع الإدغام لم يكن ذلك إدغاماً صحيحاً في مذهبه ؛ لأن حقيقة باب الإدغام الصحيح أن لا يبقىٰ فيه من الحرف المدغم أثر إذا كان لفظه ينقلب إلى اللفظ المدغم فيه ويصير مخرجه من مخرجه ، بل هو في الحقيقة كالإخفاء الذي يمتنع فيه الحرف من القلب لظهور صوت المدغم وهو الغنة ، ألا ترىٰ أنَّ من أدغم النون والتنوين ولم يبقِ غنتهما قلبهما حرفاً خالصاً من جنس ما يدغمان فيه ، فعدمت الغنة بذلك رأساً في مذهبه ؛ إذ غير ممكن أن تكون منفردةً في غيْر حرفٍ أو مخالطةً لحرفٍ لا غنة فيه ، لأنها مما تختص به النون والميم لا غير)[١] .

فإن قيل : هَلاَّ أدغمت النون الساكنة فيهما بغنةٍ إذا كانتا في كلمة ليحصل الفرق بينهما وبين المضاعف ؟

أجيب : بأنها لما كانت فارقةً فرقاً خفياً لم يدركه العامة لم يكن الفرق معتبراً فمنع الإدغام حذراً من اللبس ظاهراً .

هذا وقد قال بعض المحققين في أحكام النون الساكنة والتنوين : (التحقيق أنها ثلاثة : إظهار وإدغام محض وغيره وسبق بيانه ، وإخفاء مع قلبٍ ودونه) .

قال المصنف في « النشر » : (فلا فرق حينئذٍ بين ﴿ أَنۢ بُورِكَ ﴾ [النمل : ٨] و﴿ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران : ١٠١] إلا أنه لم يختلف في إخفاء الميم المقلوبة عند من ذكر ولا في إظهار الغنة في ذلك)[٢] بخلاف الميم الساكنة كما تقدم ، ثم قال : (وما وقع في كتب بعض متأخري المغاربة من حكاية الخلاف في ذلك فوهم ، ولعله انعكس عليهم من الميم الساكنة عند الباء ، والعجب أن شارح

---

(١) « النشر في القراءت العشر » للإمام ابن الجزري ٢/ ٢٨ .

(٢) « النشر في القراءات العشر » لابن الجزري ٢/ ٢٦ .

أرجوزة ابن بَرِّي[1] في قراءة نافع[2] حكىٰ ذلك عن الداني وإنما حكىٰ ذلك الداني في الميم الساكنة لا المقلوبة ، واختار مع ذلك الإخفاء)[3] . انتهى كلامه .

[بَابُ أَحْكَام المَدِّ]

[٦٩] (**وَالمَدُّ لاَزِمٌ وَوَاجبٌ أَتَىٰ**) أي المد (**وَجَائِزٌ وَهْوَ**) أي المد (**وَقَصْرٌ ثَبَتَا**) بألف التثنية ، أي ثبت كلاهما إذِ الكلام في المدِّ الجائز .

والمدُّ لغةً : الزيادة .

واصطلاحاً : إطالة الصوت بحرف مدي من حروف العلة .

والقصر لغةً : الحبس .

واصطلاحاً : ترك المد ، وهو الأصل إذِ المدُّ لا بُدَّ له من وجود سبب يتفرع عليه .

وقال الجعبري : (المدُّ طول زمان صوت الحرف ، واللين أقله ، والقصر عدمهما)[4] .

وقدم الناظم المد على القصر مع أنَّ القصر هو الأصل لأنه هو المقصود بالذكر لأنه يبحث فيه القراء .

وأما قول المصري : (إذ لا فائدة في ذكر حكم القصر) فخروجٌ عن الحد ؛ إذ فيه الفوائد أيضاً من غير الحصر مع أنَّ الأشياء إنما تتبين بأضدادها .

---

(١) هو علي بن محمد بن الحسين الرباطي ، أبو الحسن ، عالم بالقراءات ، من أهل « تازة » ، ولد سنة ٦٦٠هـ ، له كتب منها « الدرر اللوامع في أصل مَقرأ الإمام نافع » أرجوزة ، توفي سنة ٧٣٠هـ . اهـ « انباه الرواة » ٦/٣٧ ، و« معجم الأدباء » ٣/٥٦ ، و« الأعلام » ٥/٥ .

(٢) لم يبين المؤلف الشارح المقصود ، ولأرجوزة « الدرر اللوامع » شروح عديدة معظمها لا يزال مخطوطاً .

(٣) النشر ٢/٢٦ .

(٤) « كنز المعاني شرح حرز الأماني » للجعبري ٦٧/أ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

[حروف المد] :

ثم اعلم أنَّ حروف المد ثلاثة :

الألف ، وهي لا تكون إلا ساكنة ، ولا توجد حركة ما قبلها إلا من جنسها وهو الفتحة .

والياء الساكنة إذا كان قبلها كسرة .

والواو الساكنة إذا وقع قبلها ضمة .

أما إذا كان قبل الواو والياء الساكنتين فتحة فتسميان حروف اللين ، وإذا كانتا متحركتين فاختصتا بحروف العلة .

والحاصل : أن العلة[1] أعم من المد واللين ، والألفُ دائماً مَدٌّ بخلاف أخويها ، ثم قيل بتباين حرفي المد واللين وعدم صدق أحدهما على الآخر في التمكن لكن من المحققين من جعل بينهما عموماً وخصوصاً مطلقاً مع قوله بذلك الفرق السابق ، قاطعاً بصدق حروف اللين على حروف المد من غير عكس .

[تقسيم المد إلىٰ أصلي وفرعي] :

ثم المد نوعان :

أصلي : وهو اللازم لحروف المد الذي لا ينفك عنها ، بل ليس لها وجودٌ بعدمه لابتناء بنيتها عليه ، ويسمىٰ مداً ذاتياً وطبيعياً ، وامتداده قدر ألف ، واجتمعت الثلاثة في كلمة ﴿أُوْتِيْنَا﴾[2] فالحروف الثلاثة شرط لمطلق المد .

وفرعي : وهو ما يكون فيه سبب للزيادة على مقدار المد الأصلي .

والمراد بالقصر هو ترك مد تلك الزيادة لا ترك أصل المد لما تقدم فافهم .

---

(١) في « ب » : أنَّ الغنة ، وهو خطأ ظاهر .

(٢) التمثيل بـ(نوحيها) أولى ؛ لأن في الواو في مثاله مد بدل .

ثم السبب لزيادة المد إما همز أو سكون ، والهمز إما أن يوجد مع حروف المد في كلمة أو في كلمتين .

والسكون إما لازم أو عارض ، فالأقسام أربعة : لازم وواجب وجائز وعارض ، وسيأتي تعريف كُلٍّ في محله مع ما يتعلق بحكمه .

قال ابن المصنف [٣٥] : (وإلى الأربعة أشار في البيت) .

قلت : المصنف ما ذكر سابقاً في مقام الإجمال إلا ثلاثة ، وأما فيما سيأتي من بيان التفصيل فذكر الأربعة ، وكأنه أدرج هنا العارض في ضمن الجائز لاشتراكهما في حكم جواز المد والقصر في الجملة أو بالنسبة إلى اختلاف أهل القراءة .

[المَدُّ اللاَّزِم] :

[٧٠] (**فَلاَزِمٌ إِنْ جَاءَ بَعْدَ حَرْفِ مَدّ**) بتشديد دالٍ يوقف عليه بالسكون كما في قوله : ﴿وتَبَّ﴾ و﴿حجّ﴾ ونحوهما ، ويخفف[١] للوزن .

(**سَاكِنُ حَالَيْنِ وَبِالطُّوْلِ يُمَدّ**) أي يزاد[٢] حرف المد ، والمراد بالطول قدر ثلاث ألفات علىٰ خلافٍ في اعتبار المد الأصلي معهما أو بدونه ، فـ« لازم » خبر لمبتدأ مقدر ، أي فالمدُّ لازم ، وقولُه : « ساكن حالين » فاعلُ « جاء » ، وهو بالإضافة ، أي ساكن في حالي الوصل والوقف ، وقيل : هو الذي لا يخلو عن السكون ، والمؤدَّىٰ واحد والمعنىٰ متحد .

وأما العارض الذي يقابله فهو أن يكون سكونه عارضاً لأجل وقفٍ أو إدغامٍ كما سيأتي .

والحاصل أن الفاء لتفصيل ما أُجملَ أوَّلاً فأخذ يبين كل نوع من أنواع المد مفصلاً ، فأخبر أن **المد اللازم هو الذي جاء بعد أحد حروف المد حرف ساكن**

---

(١) في « ب » : وتخفيفاً . وفي « ج » : وتخففت .

(٢) في « أ » : يزداد .

لازم سكونه في الحالين لا يختلف حاله باعتبار اختلاف الوصل والوقف ، فلا يضرُّ كون سكونه عارضاً عند الإعلال نحو : « دَابَّة » ، فإنها في الأصل كانت « دابِبَة » على وزن « فاعلة » ، فسكنت الباء الأولىٰ وأدغمت في الثانية فلا يسمىٰ سكونه عارضاً عند القراء .

ثم السكون **إما مدغم** نحو : ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ و﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي﴾ [الأنعام : ٨٠] و﴿هَٰذَانِّ﴾ [الحج : ١٩] و﴿وَٱلَّذَانِّ﴾ [النساء : ١٦] عند من شدد نونهما[١] ، و﴿ءَآلذَّكَرَيۡنِ﴾ [الأنعام : ١٤٣ـ١٤٤] في وجه الإبدال دون التسهيل ، وهذا لازم كلمي ، ويسمَّىٰ لازماً مشدَّداً .

وإما غير مدغم كما في فواتح السور من « صٓ » و« قٓ » ونحوهما ، وهذا لازم حرفي باعتبار أصلٍ كُلِّي ، ويسمَّىٰ لازماً مخففاً ، ويلحق به نحو : ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ﴾ في موضعي يونس [٥١ و٩١] ، وكذا ﴿اللآّئي﴾ [الطلاق : ٤] و﴿محيَايْ﴾ [الأنعام : ١٦٢] في قراءة من أسكن ياءهما[٢] .

واختلف في « الٓمٓ » في فاتحة البقرة وكذا في فاتحة آل عمران وقفاً هل مَدُّ اللاَّم لكونه مشدداً أكثر أو مَدُّ الميم لأنه في محل الوقف أظهر ؟ والجمهور على التساوي على ما صرَّح به الجعبري[٣] .

ثم اعلم أنَّ القراء أجمعوا على مد اللازم بقسميه مَدّاً مشبعاً قدراً واحداً من غير إفراط ، فقد قال الناظم في « النشر » : (لا أعلم بينهم في ذلك خلافاً سلفاً ولا خلفاً إلا ما ذكره الأستاذ الجاجاني في كتابه « حلية القراء »

---

(١) وهو ابن كثير ، وكان ينبغي على المؤلف أن يقول : « عند من شدد نونهم » حتى يدخل في ذلك لفظ ﴿أتحاجُّونِّي﴾ لأن بعض القراء قرأ بتخفيف النون وهم نافع وأبو جعفر وابن عامر بخلفٍ عن هشام .

(٢) قرأ البزي وأبو عمرو (اللاَّيْ) بإبدال الهمزة ياءً ساكنة فتمد الألف لأجلها ، وقرأ قالون وأبو جعفر وورش بخلفٍ عنه (محيايْ) بسكون الياء ، والمد فيهما من باب اللازم ، وفي « د » هنا زيادة : « لأنه اعتبر فيه اللفظ اعتباراً بالاعتداد بالعارض » .

(٣) « كنز المعاني شرح حرز الأماني » للجعبري ٧٢/ ب .

اتصالاً[١] عن أبي بكر بن مهران[٢] حيث قال : والقراء مختلفون في مقداره ، فالمحققون منهم على أنه الإشباع ، والأكثرون على إطلاق تمكين المد فيه)[٣] .

ثم اختلفوا أيضاً في تفاوت بعض ذلك على بعض ، فذهب كثير إلىٰ أن مَدَّ المدغم منه[٤] أشبع تمكيناً من المظهر من أجل الإدغام مثل « دآبّة » بالنسبة إلى « محياي » عند من أسكن ، وينقص عند هٰؤلاء مَدُّ ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾[٥] و﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ عند من أظهربالنسبة إلىٰ من أدغم[٦] ، وذهب بعضهم إلى عكس ذلك وهو أنَّ مَدَّ غير المدغم فوق المدغم ، وقال : لأنَّ المدَّ يتحصل ويتقوىٰ بالحرف المدغم فيه لحركته فكأنَّ الحركة في المدغم فيه حاصلة في المدغم فقوي بتلك الحركة وإن كان الإدغام يخفي الحرف .

وذهب الجمهور إلى التسوية بين مد المدغم والمظهر في ذلك كله إذِ الموجب للمد هو التقاء الساكنين ، والتقاؤهما موجود في كُلٍّ فلا حاجة

---

(١) العبارة في النشر : « ما ذكره الأستاذ أبو الفخر حامد بن علي بن حسنويه الجاجاني في كتابه حلية القراء نصاً » وترجمته في « غاية النهاية » ١/ ٢٠٢ ، وفي « ج » : « الخاقاني » بدل الجاجاني .

(٢) هو أحمد بن الحسين بن مهران الأستاذ أبو بكر الأصبهاني ثم النيسابوري ، قرأ على مشايخ كثيرين ، منهم أحمد بن بويان وأبو بكر النقاش ، وله كتب في هذا العلم منها : « الغاية » و«الشامل» ، توفي سنة ٣٨١هـ . « غاية النهاية » ١/ ٤٩ .

(٣) عبارة « النشر » : « والقراء مختلفون في مقداره ، فالمحققون يمدون على قدر أربع ألفات ، ومنهم من يمد على قدر ثلاث ألفات ، والحادرون يمدون عليه قدر ألفين ، إحداهما الألف التي بعد المحرك ، والثانية المدة التي أدخلت بين الساكنين لتعدل » ١/ ٣١٧ .

(٤) في « ب » : المدغم فيه .

(٥) هكذا في جميع النسخ التي عندنا ولعل المراد ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ ؛ لأنه يريد أن يذكر المثالين لِلأزم الحرفي الذي وقع فيه الخلاف بين القراء من حيث الإدغام والإظهار حتى يبين أمكنية المد عند من أدغم أكثر ممن أظهر .

(٦) سبق ذكر مذاهب القراء إدغاماً وإظهاراً في هذين الموضعين .

للتفصيل في ذلك كله ، وهذا هو التحقيق فلا يعدل عنه ، وبه صَرَّح أبو عمرو الداني رحمه الله .

وأما ما ذكره ابن المصنف وتبعه غيره هنا من نوع الجائز في الإدغام نحو : ﴿الرحيم مَلِكِ﴾ و﴿فيه هدًى﴾ كما هو قراءة أبي عمرو برواية السوسي ، وكذا ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ﴾ [البقرة : ٢٦٧] ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ﴾ [المائدة : ٢] على رواية البزي عن ابن كثير[١] فليس في محله ، إذ كلام المصنف على حسب مرامه إنما هو في ساكن حالين ، والأمثلة المذكورة ليست كذلك ؛ إذ لا إدغام[٢] عند الوقف على الكلمة الأولىٰ منهما فحقها أن تذكر في المد الجائز لجواز مدها وقصرها كما اختلف القراء فيها ، أو في المد العارض لأن العارض كما يكون في الوقف يكون عارضاً في الوصل ، وكذا[٣] ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ﴾ في الوصل عند الكل[٤] ، و﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ﴾ عند الناقل وهو ورش مطلقاً وحمزة وقفاً من المد الجائز أو العارض ؛ لأنه إن اعتبر فيه اللفظ اعتباراً بالاعتداد بالعارض جرىٰ فيه وجوه سكون الوقف من الطول والتوسط والقصر ، لكن صرحوا بأن التوسط ضعيف ، ولعل هذا وجه اقتصار زكريا على ما عداه ، وإن اعتُبِر الأصل وعدم الاعتداد بالعارض وهو الأكثر فالإشباع .

وأغرب المصري حيث جعل نحو : ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١﴾ بالإدغام عند حمزة ، ونحو : ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾[٥] [المؤمنون : ١٠١] ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ﴾[٦] [البقرة :

---

(١) أي بتشديد التاء فيلزم من ذلك اجتماع ساكنين يلزم عنهما مد الحرف الأول إذا كان حرف مد ، وقد وقع ذلك في أفعال مخصوصة معدودة يرجع إليها في كتب القراءات .

(٢) في « أ » إذ الإدغام في الوقف على الكلمة . . الخ ، وهو خطأ ، وفي « ج » : « لعدم الإدغام . . . » .

(٣) في « ب » : وكذا الميم .

(٤) إذ القراءة بنقل حركة الهمزة إلى الميم مع إسقاط الهمزة وصلاً للجميع .

(٥) بإدغام الباء في الباء إدغاماً كبيراً كما في رواية السوسي ورويس .

(٦) بتشديد التاء ويلزم منه مد الألف قبلها .

[٢٦٧] من المد اللازم وقال : (خلافاً لبعضهم حيث جعله من القسم الجائز ، والمعتمد الأول) .

وهذا زللٌ منه وخطل(١) فإنه ذهب إلىٰ خلاف(٢) ما صرحوا به ، فما ذكرناه هو المعول(٣) .

ثم اعلم أنَّ أهل الأداء اتفقوا على إشباع المد للساكن اللازم في فواتح السور التي وجد فيها حرف المد والسكون ، ولذا قال الشاطبي [١٧٨] رحمه الله :

وَفي نحو طَٰه القَصْرُ إِذْ لَيْسَ سَاكِنٌ ⁂ وَمَا في أَلِفْ من حرف مَدٍّ فَيُمْطَلاَ

واختلفوا في قدر مد غير الفواتح ، فمنهم من مَدَّ قدر ألفين كالفواتح وهو اختيار الناظم ، وإليه أشار بقوله : « وبالطول يُمَدْ » ، كذا ذكره ابن المصنف [٣٦] مجملاً ، وينبغي أن يكون كلامه محمولاً على أنَّ المراد بـ« قدر ألفين » زيادة على المد الأصلي ليصح إطلاق الطول عليه ، فإنَّ أقل الطول ثلاث ألفات ، والتوسط قدر ألفين ليبقىٰ قدر ألفٍ للقصر .

ثم قال [٣٦] : (ومنهم من مَدَّ قدر ألف واختاره الأهوازي(٤) والسخاوي في قوله :

والمَـدُّ مـن قبـل المسَكَّـنِ دون مـا ⁂ قـد مُـدَّ للهمـزاتِ بـاستيقَـانِ(٥))

---

(١) في « ب » : وخلل .
(٢) قوله : « خلاف » سقط من « ب » و« ج » .
(٣) نص أئمة القراءة على أن المد لحمزة في ﴿والصافات صفاً﴾ لازم ، وأن المد للسوسي في نحو : ﴿ولا تيمموا﴾ لازم كذلك ، والمد في نحو : ﴿فلا أنساب بينهم﴾ لرويس لازم وللسوسي جائز (انظر : إيضاح الرموز : ١٠٨ و٣٠٩ و٦١٧) .
(٤) هو الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد بن هرمز الأهوازي ، صاحب المؤلفات ، وشيخ القراء في عصره وأعلاهم إسناداً ، إمام كبير محدث ، ولد سنة ٣٦٢هـ بالأهواز وقرأ بها على شيوخ العصر ، ثم قدم دمشق واستوطنها وتوفي فيها سنة ٤٤٠هـ . « غاية النهاية » ١/ ٢٢٠ .
(٥) انظر « عُمدة المفيد وعُدة المُجيد » للسخاوي ، البيت (٨) .

أقول : ومن المعلوم أنَّ أقل مَدِّ الهمزات ثلاثة إجماعاً ، فمراده بقدر ألف غير ما في حرف المد من المد الطبيعي .

ثم وجه المد اللازم أنه تقرر في علم التصريف أنه لا يجمع في الوصل بين الساكنين ، فإذا أدَّىٰ الكلام إليه حُرِّك أو حذف أو زيد في المد ليُقَدَّرَ محركاً ، وهذا موضع الزيادة ، ولذلك قال الخاقاني[1] :

مَـــدَدتُّ لأَنَّ السَّـــاكنيـــن تَـــلاَقَيَـــا فَصَارَا كَتَحْرِيْكٍ كَذَا قَالَ ذُو الخُبْرِ

هذا ويسمىٰ مد العدل أيضاً لأنه يعدل حركةً ، ولتساوي القراء في قدر مده .

قال ابن المصنف [٣٦] : (ويسمىٰ مد الحجز لأنه فصل بين الساكنين) .

وجعله خالد [٨٧] في شرحه مد الحجز كقوله تعالىٰ : ﴿أَأَنذرتهم﴾ و﴿أَإِذا﴾ سمي بذلك لدخول الألف بين الهمزتين حاجزة بينهما ومبعدة إحداهما عن الأخرىٰ عند[2] بعض القراء ممن يدخل الألف بين الهمزتين كراهة تواليهما متحركتين ، سواء كانتا متفقتين أو مختلفتين[3] .

ثم اعلم أن لفظ « عين » في فاتحتي سورة مريم والشورىٰ لما كانت ياؤه لينيّة غير مَدِّية وإن كان سكون النون لازماً اختلف القراء في مقدار مدها ، فقال ابن المصنف [٣٦] : (فيه الإشباع والتوسط) وتبعه زكريا [٨٤] .

---

(١) أبو مزاحم موسى بن عبيد الله ، إمام مقرىء مجوّد ، ورائيته في التجويد أول ما نُظم فيه ، توفي سنة ٣٢٥ ، والبيت المستشهد به المذكور هنا في قصيدته رقم ٤٣ (انظر : قصيدتان في تجويد القرآن للخاقاني والسخاوي ، ص٧ و٩ و٢٧) .

(٢) في « ب » : وهذا عند .

(٣) عند توالي همزتين في كلمة واحدة فإن كانت الثانية مفتوحة أو مكسورة يدخل ألفاً قبلها قالون وأبو عمرو وهشام وأبو جعفر ، بخلفٍ عن هشام في المكسورة إلا في سبعة مواضع تعرف في مكانها ، وإن كانت الثانية مضمومة يدخل ألفاً قبلها قالون وأبو جعفر وأبو عمرو وهشام بخلفٍ عن الأخيرين . انظر (فتح الوصيد ١/ ٣٥١ و٣٥٤) .

والمحققون من شراح « الشاطبية » على جواز القصر أيضاً كما أشار إليه الشاطبي بقوله [١٧٧] :

ومُـدَّ لَـهُ عِنْـدَ الفَـوَاتـح مُشْبِعَـاً وَفي عَينٍ الوَجْهَانِ والطُّولُ فُضِّلاَ

لأنَّ الوجهين وقعا مبهمين يحتمل القصر والتوسط ويحتمل الطول مع أحدهما فيتحصل جواز الوجوه الثلاثة ، **فوجه الإشباع** أنه قياس مذاهبهم في الفصل بين الساكنين ، وهو أعم من اعتبار حرف اللين والمد مع ما فيه من المناسبة لما جاوره من المدود كـ« صاد » في مريم ، و« سين » في الشورىٰ .

ووجه التوسط هو التفرقة بين ما يكون حركة ما قبله من جنسه وبين ما لا يكون لتوجد مزية لحرف المد على اللين .

ووجه القصر أنَّ المد من خواص حرف المد فينتفي بانتفائه مع أنَّ القصر هو الأصل ، وهذه ثلاثة أوجه صرح الناظم بها في « طيبته » فقال[١] :

. . . . ونحـوُ عيـنٍ فـالثَّـلاثـةُ لَهُـم

فَثَبْتُ الأوجه من الطريقين فلا يعبأُ بقول مخالفهما[٢] .

ثم اعلم أنه حيث قيل بالقصر في كلمة فلا يخرج بها عن المد الأصلي الذي لا يقوم ذات الحرف إلا به ولا يتوقف على وجود سبب مده ، فالمخرج عنه مخطىء لأنه لا يتوصل إليه إلا بإسقاط حرف من القرآن .

[المدّ المتصل] :

[٧١] (**وَوَاجِبٌ إنْ جَاءَ قَبْلَ هَمْزَةِ**) بالإشباع (**مُتَّصِلاً إنْ جُمِعَا بِكِلْمَةِ**)

---

(١) « طيبة النشر في القراءات العشر » لابن الجزري ص٤٣ .

(٢) المنصوص عليه عند شراح الشاطبية ومن يقرأ من طريقها : جواز المد والتوسط فقط في « عين » وامتناع القصر ، وقد نص على هذا غير واحدٍ من الأئمة المحققين ، انظر على سبيل المثال : « إبراز المعاني » ١/٣٣٦ و٣٤٠ ، و« التيسير » ١٧٦ و« غيث النفع » ٣٢١ ، و« البدور الزاهرة » ٢٥٠ .

المشهور على ما في النسخ المحررة والأصول المعتبرة بكسر همزة « إنْ » على أنها للشرط .

قال اليمني : (والأَوْلَىٰ أن يكون بفتح الهمزة وتكون الباء مقدرة) .

قلت : لم يتجه وجه الأَوْلَىٰ مع أنَّ النسخة الأُولىٰ مستقيمة في المعنىٰ وغير محتاجة إلىٰ تقديرٍ في المبنىٰ .

قال : (وفي بعض النسخ « إِذْ جُمِعَا » فيكون تعليلاً للاتِّصَال) .

قلت : إنْ صحت « إذ » ولم يكن تصحيفاً لـ« إنْ » فحينئذٍ ينبغي أن يكون للظرفية ؛ إذ لم يستحسن تقديم التعليلية .

أي والمد واجب إن جاء حرف المد قبل الهمزة حال كون حرف المد متصلاً بها بأن اجتمعا في كلمة واحدة كما مثَّله الشاطبي بقوله [١٧٠] :

كجِـيءَ وعـنْ سـوءٍ وشَـاءَ اتِّصَـالُـهُ . . . .

ومنه قوله تعالىٰ : ﴿هاؤم﴾ لا ﴿هٰؤلاء﴾[١] فتنبه لهذا الأمر اللُّغوي فإنَّ الاعتبار بالاتصال الأَصلي لا بالاتصال الكَتبي ولا بالانفصال الرسمي ، ومنه ﴿النبيء﴾ عند من هَمَز[٢] ، ويُسَمَّىٰ هذا المدُّ **مَدَّ المتصل** لما ذكر .

وله محل اتفاق ومحل اختلاف ، أما الأول فاتفق القراء جميعهم من السبعة والعشرة وغيرهم على اعتبار أثر الهمزة إذا كانت بعد المد بخلافه إذا كان الهمز قبل حرف المد كـ﴿آمَنَ﴾ و﴿أوتي﴾[٣] و﴿إيمان﴾ و﴿ٱلْآخِرَةُ﴾ فإنه من مختصات رواية ورش ، ويجوز له فيه المد والتوسط والقصر ، ويسمَّىٰ مَدَّ

---

(١) يقصد الشارح بهذا التنبيه المد الأول في (هؤلاء) فإنه مد منفصل ، أما المد الثاني وهو في الألف التي بعد اللام فمد متصل .

(٢) يعني في قراءة نافع بهمز هذا اللفظ وأمثاله ، قال الشاطبي في بيان ذلك [٤٥٨] :

وجمعـاً وفـرداً فـي النبـيءِ وفـي النُّبُـو ءَةِ الهمـزَ كـلٌ غيـرَ نـافـعٍ أبْـدَلاَ

(٣) « ج » و« د » : و﴿ ٱؤْتُمِنَ﴾ [البقرة : ٢٨٣] ، والبدل فيه حال الابتداء فقط .

البدل ، وكذا يجوز له الوجهان في نحو : ﴿شَيء﴾ و﴿السَّوء﴾ مما يقع الهمز بعد أحد حرفي اللين وصلاً ، ويجوز فيه الأوجه الثلاثة له ولغيره وقفاً ، ولم يتعرض الناظم لهما ؛ لأنَّ غرضه في هذه المقدمة بيان ما اتفق عليها لا ما اختلف فيها لأنها موضوعة للمبتدئين ، على أنَّ مد البدل اقتصر على قصره ابن مجاهد وعليه العراقيون واختاره بعض المحققين كالجعبري من أنَّ حرف المد الذي وقع بعد همزة متصلة محققة أو مخففة بالإبدال أو التسهيل أو النقل[١] الجائز مقصورٌ لكل القراء وجهاً واحداً ، إلا أنَّ ورشاً من طريق الأزرق ورد عنه ثلاثة[٢] طرق :

القصر ، وهو مذهب ابن غلبون[٣] .

والتوسط ، وهو مذهب أبي عمرو الداني ومكي .

والطول ، وهو مذهب الهذلي[٤] فيما رواه عن شيخه أبي عمرو وضَبَطَه بالإشباع المفرط[٥] .

وذهب الجمهور إلى الإشباع من غير إفراط وهو قدر ثلاث ألفات ، وممن

---

(١) أما المتصلة المحققة فهي كثيرة نحو : ﴿أوتيته﴾ و﴿لإيلاف﴾ ، وأما المخففة بالإبدال فنحو : ﴿من السماء ءاية﴾ وأما المخففة بالتسهيل فنحو : ﴿ءألهتنا﴾ ، وأما النقل فنحو : ﴿الآخرة﴾ و﴿الإيمان﴾ ونحوه .

(٢) في « أ » و« ب » و« د » : « ثلاث » .

(٣) هو الإمام أبو الحسن طاهر بن الإمام أبي الطيب عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون الحلبي نزيل مصر ، من كتبه « التذكرة » في القراءات الثمان ، توفي في ذي القعدة سنة ٣٩٩هـ . « غاية النهاية » ٢/ ١٠٤ .

(٤) هو يوسف بن علي بن جبارة أبو القاسم الهذلي ، الأستاذ الكبير الرحال ، والعَلَمُ الشهير الجوَّال ، ولد في حدود سنة ٣٩٠ وطاف البلاد في طلب القراءات ، ولم يعلم في التاريخ أحدٌ رَحَلَ أكثر منه لجمع هذا العلم ، وجملة الذين أخذ عنهم هذا العلم ثلاثمائة وخمسة وستون شيخاً من شتى البقاع ، له كتب ، منها « الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها » ، توفي سنة ٤٦٥هـ . « غاية النهاية » ٢/ ٦٥٧ .

(٥) انظر « الكامل » للإمام الهذلي ص١٣٥ مخطوط في مكتبة المسجد النبوي .

روىٰ ذلك الصفراوي[1] في « إعلانه »[2] والشاطبي في قصيدته[3] .

وأما الثاني وهو تفاوت الزيادة في مراتب المد فالذي نقله السخاوي عن شيخه الإمام الشاطبي أنه كان يرىٰ في هذا النوع مرتبتين :

طولىٰ لورش وحمزة ، **ووسطىٰ** للباقين .

قال ابن المصنف [٣٧] : (وكان الناظم[4] يأخذ به إذا قرأ من طريق الشاطبية) .

أقول : وفي الطولىٰ خلاف هل هو مقدار خمس ألفات أو أربع ؟ وكذا في الوسطىٰ هل هو مقدار أربع أو ثلاث ؟

ومنشأُ الخلاف إدخال المد الأصلي فيه وتركه ، فالنزاع لفظي لا حقيقي[5] .

قال ابن المصنف [٣٧] : (وإذا اعتبرت مراتب القراء في الترتيل والتوسط والحدر تلخَّص منها أربع مراتب ، فيكون أطولهم في هذا النوع حمزة وورش ، ثم عاصم ، ثم ابن عامر والكسائي ، ثم أبو عمرو وابن كثير وقالون) .

أقول : وقد جمعها الشيخ عبد الله الجزري[6] في بيتين فقال :

---

(١) هو عبد الرحمن بن عبد المجيد الصفراوي ، الأستاذ المقرىء ، كان إماماً كبيراً مفتياً على مذهب مالك ، انتهت إليه رياسة العلم ببلده ، ولد سنة ٥٤٤هـ وقرأ على كثيرين من أهل هذا الفن عرضاً وسماعاً ، وألف كتاب « الإعلان » ، مات رحمه الله سنة ٦٣٦هـ . اهـ « غاية النهاية » ١/ ٣٧٣ ، و« النشر » ١/ ٧٨ ، و« الأعلام » ٣/ ٣١٤ .

(٢) « الإعلان » في القراءات السبع للإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل بن عثمان بن يوسف الصفراوي المتوفىٰ سنة ٦٣٦هـ .

(٣) قصيدته المعروفة والمشهورة « حرز الأماني ووجه التهاني » في القراءات السبع .

(٤) قوله : « وكان الناظم » سقط من « ب » .

(٥) « ب » و« ج » : لا تحقيقي .

(٦) لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدي من المراجع .

ج ف ن ر ك

وأطـولُهـم مَـدَّاً بهـا جـود فـاضـلِ ودونَهمـــا نـــورٌ ودونـــه رُم كَـــلاَ

ح ب

وأقصَــرُ مـن هٰـذيـن حـافَـةُ بحـره بخلفهما والقصرَ لا تعدُ مُطوِلاَ[1]

لكن قوله « بخلفهما » إنما أراد في المد المنفصل لهما ، وقد أوضح المراتب بعضهم بقوله :

ج ف ن ر ك

بمـدٍّ بقـدرِ الخمـسِ جُـودٌ وفـاضِـلُ والأَربـعِ نَجْـمٌ والثـلاثِ رِضَـاً كَـلاَ

ب د ح

والاثنـــانِ بِـــرٌ دَارِمٌ ثُـــمَّ حَـــامِـــدٌ مراتبُ مَدٍّ جَاءَ في الهَمْزِ مُسْجَلاَ

ثم تفصيله ما ذكره المصنف في « التقريب »[2] حيث قال : (فالمتصل اتفق جمهور القراء علىٰ مده قدراً واحداً مشبعاً من غير إفحاش ، وذهب آخرون

---

(١) هذه الرموز مأخذها من « حرز الأماني » للإمام الشاطبي ، حيث رمز لكل قارىءٍ وكلِّ راوٍ من القراء السبعة برمز خاص له ، وفيما يلي جدول الرموز تسهيلاً لفهم الأبيات السابقة والآتية :

أ	نافع	ح	أبو عمرو	ن	عاصم	ر	الكسائي
ب	قالون	ط	الدوري	ص	شعبة	س	أبو الحارث
ج	ورش	ي	السوسي	ع	حفص	ت	الدوري
د	ابن كثير	ك	ابن عامر	ف	حمزة	وتوجد رموز	
هـ	البزي	ل	هشام	ض	خلف	أخرى لاجتماع	
ز	قنبل	م	ابن ذكوان	ق	خلاد	قارئين أو أكثر	

وناظم هذه الأبيات لم يذكر بها رمز ابن كثير وهو (د) وسيذكره في الأبيات التالية .

(٢) « تقريب النشر في القراءات العشر » للإمام المحقق ابن الجزري ، كتاب هذَّب ولخص فيه كتابه الكبير « النشر » فحذف منه الأسانيد والانفرادات التي طال سندها عن القارىء في الأصل .

إلىٰ تفاضل مراتبه. . .)[1] كما تقدم ، وهذه طريقة صاحب « التيسير » وغيره ، وبه قرأت علىٰ عامة مشايخي .

وبعضهم لم يجعل سوىٰ مرتبتين ، وهو اختيار أبي بكر بن مجاهد وصاحب « العنوان »[2] والشاطبي وبه كان يقرأ وبه آخُذُ غالباً .

وقال أيضاً في « التقريب » بعد ذكر اختلاف مراتب القراء في المد المنفصل على ما سبق بيانه : (وهذا بناء على ما عليه أكثر أهل الأداء من المشارقة والمغاربة ، وذهب آخرون إلىٰ أنَّ وراء القصر مرتبتين[3] ، طولىٰ لحمزة والأزرق ، ووسطىٰ لمن بقي كما هو اختيار الشاطبي ومن معه في المتصل ، وبه آخذ اختصاراً)[4] .

وأما المد اللازم نحو : ﴿دابّة﴾ فكلهم يقرؤون على نهجٍ واحد على المختار ، هكذا نقل عن الجزري مطلقاً ، والله أعلم .

وأما ما نقله أبو شامة من جواز قصر المتصل نقلاً عن الهذلي فمردود بما صَرَّح به الناظم في « النشر » حيث قال : (وهذا شيء لم يقله الهذلي[5] ولا ذكره العراقي ، وإنما ذكر العراقي التفاوت في مده فقط) ثم قال الناظم : (وقد تتبعته فلم أجده في قراءة صحيحة ولا شاذة ، بل رأيت النص بمده عن ابن مسعود رضي الله عنه يرفعه إلى النبي ﷺ « أنَّ ابن مسعودٍ كان يُقرِئُ رجلاً فقرأ الرجل ﴿ ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة : ٦٠] مرسلة ، فقال ابن مسعود : ما هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ ، فقال : كيف أقرأكها يا أبا

---

(١) « تقريب النشر في القراءات العشر » لابن الجزري ص١٠٨ .

(٢) هو إسماعيل بن خلف بن سعيد بن عمران أبو طاهر النحوي المقرىء الأنصاري صاحب كتاب « العنوان » إمام عالم ، أقرأ الناس بجامع عمرو بن العاص بمصر ، قرأ عليه كثيرون منهم أولاده ، توفي سنة ٤٥٥ هـ « غاية النهاية » ١/ ١٦٤ .

(٣) من قوله : « وهو اختيار أبي بكر. . . » إلى هنا سقط من « أ » .

(٤) « تقريب النشر في القراءات العشر » لابن الجزري ص١٠٨ .

(٥) من قوله : « فمردود بما. . . » إلى هنا سقط من « أ » .

عبد الرحمٰن[1] ؟ فقال أقرأنيها ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ﴾ فمدَّها[2] قال الناظم : (وهذا حديثٌ جليلٌ حجةٌ ونص في هذا الباب رجال إسناده ثقات ، رواه الطبراني في معجمه الكبير)[3] .

[مراتب المدود] :

ثم اعلم أنَّ القراء[4] اختلفوا في مقدار هذه المراتب عند من يقول بها ، فقيل أول الرُّتب ألف وربع ، قال زكريا [٨٥] : (وهذا عند أبي عمرو وقالون وابن كثير) ثم ألف ونصف ، ثم ألف وثلاثة أرباع ، ثم ألفان .

وقيل : أولها ألف ونصف ، ثم ألفان ، ثم ألفان ونصف ، ثم ثلاث ألفات ، وهذا هو الذي اختاره الجعبري[5] .

وقيل : أولها ألف ، ثم ألفان ، ثم ثلاث ، ثم أربع ، قال الرومي [٦٤] : (وهذا مذهب الجمهور) ولا يخفىٰ عليك أنَّ المراد بالألف ما عدا الألف الذي هو المد الأصلي للإجماع على ذلك .

وأما معرفة مقدار المدات المقدرة بالألفات فأن تقول مرةً أو مرتين أو زيادة وتمد صوتك بقدر قولك : ألف ألف ، أو كتابتها ، أو بقدر عقد أصابعك في امتداد صوتها ، وهذا كله تقريب لا تحديد للشأن ؛ إذ لا يضبطه إلا المشافهة والإدمان .

ثم وجه المد أنَّ حرف المد ضعيف خفي ، والهمزةُ حرفٌ قويٌ صعبٌ ، فزيد في حرف المد تقويةً للضعيف عند مجاورة القويّ .

---

(١) في « أ » : يا أبا عبد الله .

(٢) رواه الطبراني في الكبير برقم ٨٦٧٧ ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٧/ ١٥٥ ، رجاله ثقات .

(٣) « النشر في القراءات العشر » لابن الجزري ١/ ٣١٦ .

(٤) في « ب » : العلماء .

(٥) « كنز المعاني » للجعبري ص٥٢/ ب .

وقيل : ليتمكن من التلفظ بالهمزة على حقها من شدتها وجهرها .

ثم لا يخفىٰ أنَّ المد ليس حرفاً ولا حركة بل زيادة على كمية حرف المد إلا أنها عارضة لا تقوم إلا بها كالحركة عليها ، وسيجيء زيادة بيانٍ لها .

[المَدُّ المنفصل] :

[٧٢] (**وَجَائِزٌ إِذَا أَتَىٰ مُنْفَصِلاً**) أي والمدُّ جائز إذا جاء حرف المد قبل الهمزة حال كون حرف المد منفصلاً عن الهمزة بأن اجتمعا في كلمتين ، وهو أن يكون حرف المد في آخر الكلمة الماضية والهمزة في أول الكلمة الآتية ، وقد جمع الشاطبي أمثلته في قوله [١٧٠] :

. . . . وَمَفْصُوْلُهُ فِي أُمِّهَا أَمْرُهُ إِلَىٰ

منبهاً على أنَّ المعتبر في حرف المد أن يكون ملفوظاً لا أن يكون مكتوباً .

ومن اللطافة ما أشار إليه في العبارة من أنَّ حصول الجمع بين المثالين يولد مثالاً ثالثاً وهو وقوع حرف[1] الألف قبل الهمزة[2] فتأمل فإنه عليه المعوَّل .

[سبب تسمية المنفصل جائزاً] :

وإنما سمي هذا المد جائزاً لاختلاف القراء فيه ، فإنَّ ابن كثير والسوسي يقصرانه بلا خلاف ، **وقالون والدوري** يقصرانه ويمدَّانه ، **والباقون** يمدونه بلا خلاف .

وتفاوت هذا المد المنفصل في الزيادة كتفاوتهم فيها كما مَرَّ في المد المتصل ، وقد يقال سمي جائزاً لأنه إنما يجوز مده إذا وصل بين الكلمتين في القراءة ، وأما إذا وقف على الكلمة الأولىٰ فلا مَدَّ أصلاً كما لا يخفىٰ .

---

(١) قوله : « حرف » سقط من « ب » .

(٢) أي أن الإمام الشاطبي مثل للمد المنفصل بمثالين هما : (في أمها) للياء ، و(أمره إلى) للواو ولما جمع بين المثالين لم يحتج إلى التمثيل للألف لحصول المثال الثاني في (أمها أمره) وإن لم يقع هذا التركيب في القرآن .

وقيل : سمي جائزاً لجواز زوال سببه فيجوز قصره حينئذٍ كما بيَّناه .

وأما قول المصري : (فالجائز ما كان مده جائزاً عند جميع القراء مع جواز القصر ، وقيل : ما جاز مده عند جميع القراء ، والعبارة الأُولىٰ أَوْلىٰ) فلا يخفىٰ أن كليهما لا يصح عند أرباب المبنىٰ وأصحاب المعنىٰ كما سبق من أنَّ المد المنفصل يجب قصره عند بعض فلا يجوز مده عندهم ، ويجب مده عند آخرين فلا يجوز قصره عندهم ، وإنما جاز الوجهان عند بعضهم .

ثم يجوز حمل الجائز في كلامه على أحد نوعيه وهو المد العارض لكن إطلاقه في مقام الفرق بين الواجب واللازم[1] خطأ مع أنَّ مؤدىٰ العبارتين في كلامه متحد ، فلله درُّ القائل :

عباراتنا شَتَّىٰ وحسنك واحدٌ وكلٌّ إلىٰ ذاك الجمال يشير

فالرجلُ كحاطبِ[2] ليلٍ لا يعرف[3] ما يقع بين يديه من حصول نيل ، **فوجه المد اعتبار اتصالهما لفظاً في الوصل** واعتبار العارض كاللازم ، ولما روي أنه سئل أنس رضي الله عنه عن قراءة النبي ﷺ فقال : « كان يَمُدُّ صوته مَدّاً »[4] .

وهذا الخبر عام في المتصل والمنفصل وغيرهما من أنواع المد ، كذا ذكره ابن المصنف [٣٨] ، لكن ينبغي أن يفصل ويحمل كلُّ موضع من محالِّ المد على مقداره اللائق به ، حتىٰ يشمل المدَّ الأصلي والفرعي والاتفاقي والاختلافي .

وأما وجه القصر فهو إلغاء أثر الهمزة لعدم لزومه باعتبار حال الوقف ، فإنَّ العارض بمنزلة المعدوم .

---

(١) في « ب » بين الواجب والجائز ، وهو خطأ .

(٢) « ج » : حاطب .

(٣) « ب » : لا يفرق .

(٤) رواه ابن ماجه في إقامة الصلاة برقم ١٣٥٣ باب ما جاء في القراءة بصلاة الليل ، وابن حنبل في مسنده ٣/ ١٣١ ، ١٩٢ ، ٢٨٩ ، وابن أبي شيبة ٢/ ٥٢٠ في كتاب الصلوات ، باب في قراءة القرآن ، وأورده البرهان فوري في « كنز العمال » برقم ١٨٦٨٤ ، وهو في « مصابيح السنة »برقم ١٢٠٧ .

وأما ما نقل أبو علي الأهوازي عن الحلواني[1] والهاشمي[2] كلاهما عن القواس[3] عن ابن كثير في جميع ما كان من كلمتين تجويز البتر وهو حذف الألف والواو والياء فقال أبو عمرو الداني : (هذا مكروه قبيح لا يعول عليه ولا يؤخذ به إذ هو لحن لا يجوز بوجه ولا تحل القراءة به) قال : (ولعلهم أرادوا حذف الزيادة بحرف المد وإسقاطَها فعبروا عن ذلك بحذف حرف المد وإسقاطه مجازاً) .

(**أَوْ عَرَضَ السكونُ وقفاً مُسْجَلاَ**) « أو » للتنويع لا للترديد ، عاطفة لما بعدها على قوله : « أتىٰ » .

أي والمد جائز أيضاً إذا عرض السكون حال كون السكون ذا وقفٍ أو موقوفاً عليه .

ومعنىٰ « مسجلاً » مطلقاً ، بأن يكون الوقف بالإسكان سواء يكون معه الإشمام أم لا ، بخلاف ما إذا كان الوقف بالرَّوم فإنه حينئذٍ حكمه حكم الوصل ، وسيأتي بيان الرَّومِ والإشمام في محلهما مع اختلاف محالِّهما .

وأما عطف الشيخ زكريا « وقفاً » على قوله « أو إدغاماً »[4] أي صاحب

---

(١) هو أحمد بن يزيد بن أزداد أبو الحسن الحلواني ، إمام كبير عارف صدوق متقن ضابط خصوصاً في رواية قالون وهشام ، قرأ على قراء كثيرين ، ومثلهم رووا عنه ، توفي سنة ٢٥٥هـ . « غاية النهاية » ١/ ١٤٩ .

(٢) هو سليمان بن داود البغدادي ، أبو أيوب ، ضابط ثقة مشهور قرأ على إسماعيل بن جعفر ، توفي سنة ٢١٩ هـ « غاية النهاية » ١/ ٣١٣ .

(٣) هو أحمد بن محمد بن علقمة بن نافع المكي المعروف بـ« القواس » ، إمام مكة في القراءة ، قرأ على وهب بن واضح ، وقرأ عليه كثيرون توفي رحمه الله سنة ٢٤٠هـ . « غاية النهاية » ١/ ١٢٣ .

(٤) عبارة الشيخ زكريا[٨٥] : (أو عرض السكون وقفاً) أو إدغاماً (مسجلاً) أي مطلقاً. . . إلخ » ومعنىٰ قوله « أو إدغاماً » أي نحو قوله تعالى : ﴿الرحيم مَلِك﴾ و﴿هارون نبياً﴾ في رواية السوسي عن أبي عمرو فيجوز في حرف المد الواقع قبل الادغام الأوجه الثلاثة على ما سيأتي بعد قليل لعروض سكونها بسبب الإدغام .

إدغام فلا دلالة عليه في كلام المصنف أصلاً إلا أنه كالمستدرك عليه أورده فصلاً .

ويعتذر عن المصنف بأنه إنما حَصَّل[١] هذه المقدمة لما اتفق عليه الأمة وذهب إليه أكثر الأئمة .

ثم الأمثلة في الوقف العارض نحو : ﴿الرَّحيْمِ﴾ و﴿نَستعِيْنُ﴾ و﴿الصِّرَاطَ﴾ فيجوز في كلٍ منها لكل القراء ثلاثة أوجه : الطول ، والتوسط ، والقصر ، **فوجه الطول** حمله على اللازم بجامع اللفظ .

ووجه **التوسط** اعتبار سكون الوقف العارض مع حَطِّهِ عن سكون اللازم ، أو التعادل بين الحالين رعايةً للجانبين .

ووجه **القصر** مع ما ذكر فيما سبق أن الوقف يجوز فيه التقاء الساكنين مطلقاً فاستغنىٰ عن المد .

أقول : وهذه الأوجه الثلاثة تجوز في السكون العارض عند الجميع أيضاً ولو كان بعد حرف اللين نحو : ﴿لا خوف﴾ و﴿لا خير﴾[٢] إلا أنَّ الطول أفضل ثم التوسط ، وهذا في حرف[٣] المد ، وأما في حرف اللين فالقصر أولىٰ ثم التوسط[٤] .

وقال زكريا [٨٦] : (وفي نحو : ﴿ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ ﴾ في قراءة أبي عمرو أي برواية السوسي ، ونحو : ﴿ وَلَا تَيَمَّمُواْ ﴾ في قراءة البزي[٥] يجوز ثلاثة أوجه) .

أقول : فكأنهم قاسوا العارض في الوصل على العارض في الوقف فأعطي

---

(١) في « ب » : إنما جعل .

(٢) « ج » : « لا ضير » .

(٣) « ج » : « حروف » وفي التي تليها كذلك .

(٤) من قوله : « وهذا في حرف المد . . . » إلى هنا سقط من « ب » .

(٥) أي بتشديد التاء فيلزم عن ذلك اعتبار الأوجه الثلاثة في الألف التي قبلها للساكنين .

له حكمه ، فالشرط أن لا يقف على الكلمة الأولىٰ سواء وقف على الأخرىٰ أو وصلها بما بعدها .

فإن قلت : إنَّ ما يفهم من قول الناظم « وجائز » أن المد جائز ، وكذا قصره بحكم مفهومه أو باعتبار أن أحد الجائزين مد والآخر منهما قصر ، فالتوسط أمر زائد لا يؤخذ منه ولا يشير إليه ما يدلُّ عليه .

فالجواب أن المراد بالمد هو المد الزائد على القصر ، وهو أعمُّ من أن يكون طولاً أو توسطاً ، ولهذا نَصَّ المؤلف على الأول في المد اللازم المتصل[1] بقوله : (وبالطول يُمَدْ) لئلا يتوهم مطلق المد الشامل له ولغيره ، أو نأخذه من عموم القصر الذي هو نقيض[2] المد ما يكون قصراً حقيقياً أو إضافياً كما يستفاد من صنيع الشاطبي رحمه الله في قوله [١٨٠] :

بِطُـولٍ وَقَصْـرٍ وَصْـلُ وَرْشٍ وَوَقْفُـهُ . . . .

فإن الإجماع على أنَّ مراده بـ« قصر » هو التوسط ، لكن لو قال بدله : « وَوَسِّط » لكان صريحاً على المقصود .

ثم اعلم أنَّ هٰهنا دقيقة[3] وهي أنَّ إدخال الألف بين الهمزتين علىٰ ما هو المقدر عند بعض القراء وإن كان حرف مد فليس بموجب لزيادة الامتداد وإن وقع بعده سبب من همز محقق أو مسهَّل كرواية هشام[4] عن إمام الشام[5] في

---

(١) لفظ « اللازم » سقط من « أ » ، « ج » .

(٢) في « أ » : الذي يقتضي .

(٣) في « ب » : دقة .

(٤) هو هشام بن عمار ، بن نصير السُّلمي ، قاضٍ ، من القراء المشهورين ، من أهل دمشق ، ولد فيها سنة ١٥٣هـ ، قال الذهبي : خطيبها ومقرئها ومحدثها وعالمها ، توفي فيها سنة ٢٤٥هـ ، وكان فصيحاً بليغاً . « غاية النهاية » ٢/ ٣٥٤ ، و« ميزان الاعتدال » ٣/ ٢٥٥ ، و« الأعلام » ٨/ ٨٧ .

(٥) في « ب » : عن الإمام الشامي . وهو عبد الله بن عامر ، من القراء السبعة ، تقدمت ترجمته سابقاً .

نحو ﴿أَأَنتم﴾ بخلاف إبدال الهمزة الثانية ألفاً حيث يتولد منه المد اللازم .

والفرق أن أصل هذه الألف موجود في بنية الكلمة بخلاف الأولىٰ فإنه ليس له ثبوت في الرسم أصلاً ، وبهذا يتبين أن صورة الألف إنما هي الهمزة الثانية وأن الأولىٰ هي الساقطة خلافاً لمن خالف في هذه القاعدة(١) .

ثم اعلم أن الألف مركب من فتحتين ، والواو مركب من ضمتين ، والياء مركب من كسرتين فإذا أشبعت الفتحة(٢) يتولد منها ألف ، وإذا أشبعت الضمة يتولد منها الواو ، وإذا أشبعت الكسرة يتولد منها الياء ، كذا ذكره الشارح اليمني .

وفيه إيماء إلىٰ أن هذه الحركات هي أصول هذه الحروف .

ومختار الشاطبي أن القضية منعكسة حيث قال [٣٧٥] :

أَوْ اُمَّــاهُمَــا واوٌ ويــاءٌ . . . .

ويؤيده ما ذكروه من أنَّ الحروف ذات ، والحركة عارضة في محلها(٣) .

ثم اعلم أن الفرق المذكور بين اللازم والواجب اصطلاحي ، أما باعتبار المعنى اللغوي وكذا العرفي فلا فرق بينهما ، فإنه لا يجوز قصر أحدهما عند جميع القراء ، فلو قُرِئَ بالقصر يكون لحناً جلياً وخطأً فاحشاً لما ثبت عن النبي ﷺ بالطرق المتواترة ، وكذا إذا زاد في المد الأصلي والطبيعي على حده(٤) العرفي من قدر ألف بأن جعله قدر ألفين أو أكثر كما يفعله أكثر الأئمة من الشافعية والحنفية في الحرمين الشريفين في الحرم المحترم ، فإنه قبيح

---

(١) المعمول به عند علماء الضبط أنه إذا كانت الهمزتان من كلمةٍ متفقتين في الحركة مثل (ءَأنتم) فالألف صورة للهمزة الثانية ، وإذا كانت الهمزة الثانية مضمومة أو مكسورة نحو : (أَأُنزل ، أءِله) فالألف صورة للهمزة الأولى (دليل الحيران ٣٧٢ و٣٧٤) .

(٢) في « ب » : أشبعت بالفتحة .

(٣) انظر هذا البحث مع الخلاف فيه مفصلاً بأدلته في « الرعاية » لمكي بن أبي طالب ص٧٧ .

(٤) لفظ : « حده » سقط من « أ » .

محرَّم لاسيما وقد يقتدي بهم بعض الجهلة ، ويستحسن ما صدر عنهم من القراءة .

وأما إذا قصر المنفصل جاز لكن ينبغي أن لا يقع تركيب وتلفيق في قراءته بأن يمد في موضع ويقصر في موضع فإنه مكروه ، وأما إذا كان في نَفَسٍ واحد فهو أشد كراهة .

ثم اعلم أن الزيادة علىٰ المقدار[1] الوارد في حد المد أيضاً ممنوع ، **فمذهب الجمهور** أنَّ قدر المد الأطول خمس ألفات ، وقدر المد الطويل أربع ألفات ، وقدر المد المتوسط ثلاث ألفات ، وقدر المد فوق القصر ألفان .

ومذهب العراقيين أن قدر المد الطويل أربع ألفات ، ثم ينقص النصف في كل مرتبة حتىٰ ينتهي إلىٰ مرتبة القصر وهي ألف واحد .

ومذهب الصقلي أن المد الطويل ألفان ، ثم ينقص في كل مرتبة ربع ألف[2] ، لكن الجعبري رَدَّ المذهب الأول في المتصل والمنفصل معاً حيث قال : (ولا تحصيل لمن قال غايتهما خمسة للخروج عن الحد) واختار المذهب الثاني حيث قال : (وهذا أعدل وبه قرأت)[3] .

أقول : والأَولىٰ أن يكون[4] مراد الجمهور بالخمس بناء على إدخال المد الأصلي ، ومراد غيرهم بالأربع ما عداه ، فالخلاف لفظي لا حقيقي .

والحاصل أنه لا يجوز الزيادة علىٰ مقدار خمس ألفات إجماعاً ، فما يفعله بعض الأئمة وأكثر المؤذنين فمن أقبح البدعة وأشد الكراهة .

وأما تقدير الهذلي الطويل بست ألفات وذلك في « كامله » لورش فيما رواه

---

(١) في « أ » : قدر ، وفي « ب » : مقدار .

(٢) نص في التجريد ، ص١٣٦ على أن المد الطويل بمقدار ألفين ، أما النقص منها بمقدار ربع ألف فلم ينص عليه في باب المد .

(٣) « كنز المعاني » للجعبري ص٥٢/ب .

(٤) في « ب » : أن يقال ، وفي « ج » : أن يقول .

الحَدَّاد[1] وابن نَفيس[2] وابن سفيان[3] وابن غلبون فنسبوه في ذلك إلى الوهم كما قاله المصنف رحمه الله في « نشره »[4] ، والله أعلم .

ثم لما عرفت أن الهمزة والسكون هو السبب لزيادة المد فلا وجه لمن مَدَّ ﴿معايش﴾ و﴿داود﴾ إذ ليس بعد ألفهما إلا الياء والواو المتحركان ، وهما ليسا من أسباب المد .

وأما ما ذكر خالد [٨٧] من أنَّ أقسام المد أربعة عشر ، وكذا عَدُّ غيره تسعة وعشرين فكلها مندرجة فيما ذكر إجمالاً ، وإنما اختلف باختلاف الأسماء ، فـ« كل الصيد في جوف الفرا »[5] كما ورد عن سيد الورى .

هذا وقد أطلق الشاطبي في الفرش المد وأراد به حرفه كقوله [٩٢٧] :

وفي حاذرون المَدُّ. . . . .

واستَعْمَلَ القَصْرَ فيه أيضاً وأراد به حذف حرفه كقوله [١٠٩٩] :

وقل لابثين القصر. . . . .

---

(١) لعله إدريس بن عبد الكريم ، أبو الحسن البغدادي الحداد المقرىء ، أقرأَ الناس ورُحِلَ إليه من البلاد لإتقانه وعلوِّ إسناده ، توفي رحمه الله يوم الأضحى سنة ٢٩٢هـ ، وله ثلاث وتسعون سنة . اهـ« غاية النهاية » ١/ ١٥٤ ، و« شذرات الذهب » ٢/ ٢١٠ .

(٢) هو أبو العباس أحمد بن سعيد الطرابلسي ثم المصري ، إمام معمَّر عالي الإسناد ، من شيوخه عبد المنعم بن غلبون ، ومن تلاميذه : ابن الفحام وابن شريح والهذلي ، توفي سنة ٤٥٣ . « معرفة القراء الكبار » ١/ ٤١٦ .

(٣) هو محمد بن سفيان القيرواني ، أبو عبد الله ، مقرىء من أهل القيروان ، توفي بالمدينة سنة ٤١٥هـ ، ودفن بالبقيع ، له كتاب « الهادي » في القراءات . اهـ« غاية النهاية » ٢/ ١٤٧ .

(٤) « النشر في القراءات العشر » لابن الجزري ١/ ٣٢٦ .

(٥) في القاموس: « الفَرَأُ ، كجبل وسَحَاب: حمار الوحش، أو فَتِيُّهُ»، جمعه أَفْراء وفِرَاء. . . ، و(كل الصيد في جوف الفرا) بغير همزٍ لأنه مثل ، والأمثال موضوعةٌ على الوقف ، أي كلُّهُ دونه » اهـ ، مادة : فَرَأ .

وذكر ابن عبد البر في « الاستذكار » ٧/ ١٠٤ ، أنه من كلام النبي ﷺ لأبي سفيان بن الحارث ، وقيل لأبي سفيان بن حرب .

ثم اعلم أنَّ الشارح المصري ذكر أنَّ الساكن العارض بقسميه للقراء فيه ثلاثة مذاهب :

الأول : الإشباع كاللازم لاجتماع الساكنين اعتداداً بالعارض ، وهو اختيار الشاطبي لجميع القراء ، فهذا قد يُتوهَّمُ منه أنَّ من طريق « الشاطبية » ليس لكل القراء إلا المد ، وليس كذلك ؛ لقوله في « الشاطبية » [١٧٦] :

وَعَنْ كُلِّهِم بِالمَدِّ مَا قَبْلَ سَاكِنٍ . . . .

أي من السكون اللازمي لمقابلته بقوله :

. . . . وعندَ سكون الوَقْفِ وَجْهَانِ أُصِّلا

مع ما فيه من الإشارة إلىٰ أنَّ الوجهين أصلان وهما المد والقصر .

وهناك وجه فرع يتفرع عليهما من عدم اعتبارهما هو التوسط فيما بينهما ليعتدل الأمر بالحط عن درجة الأولىٰ ، وبالرفع في درجة الأخرىٰ .

ثم اعلم أنَّ أسباب المد منها **لفظي** كما تقدم ، ومنها **معنوي** وهو قصد المبالغة في النفي ، وهو سبب قوي مقصود عند العرب ، وإن كان أضعف من السبب اللفظي عند القراء ، ومنه **مد التعظيم** في نحو : ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد : ١٩] و﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ [الأنبياء : ٨٧] وهو قد ورد عن أصحاب القصر في المنفصل لهذا المعنىٰ ، كما نَصَّ على ذلك أبو معشر الطبري[١] وأبو القاسم الهذلي وابن مَهْرَان وغيرهم .

ويقال له أيضاً **مد المبالغة** ، قال ابن مهران : (وإنما سمي بمد المبالغة لأنه طلب للمبالغة في نفي إلٰهيَّة سوى الله سبحانه وتعالىٰ) ، قال : (وهذا

(١) هو عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد بن علي بن محمد ، أبو معشر الطبري القطان الشافعي ، إمام عارف ، شيخ أهل مكة ، قرأ على أبي القاسم الزيدي وأبي عبد الله الكارزيني وغيرهما ، توفي بمكة سنة ٤٧٨هـ . « غاية النهاية » ١/ ٤٠١ ، والمعلومة في كتابه « التلخيص » ، ص١٦٤ .

مذهب معروف عند العرب لأنها تمد عند الدعاء وعند الاستغاثة)[1] .

وقد استحب العلماء المحققون مد الصوت بـ« لا إله إلا الله » إشعاراً بما ذكرناه[2] ، ومما يدل على ذلك ما روي في الحديث عن ابن عمر مرفوعاً إلى النبي ﷺ : « من قال لا إله إلا الله ومَدَّ بها صوته أسكنه الله تعالىٰ دار الجلال داراً سمَّىٰ بها نفسه فقال : ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن : ٢٧] ورزقه النظر إلىٰ وجهه »[3] .

وفي الحديث عن أنس « من قال لا إلٰه إلا الله ومَدَّها هدمت له أربعة آلاف ذنب »[4] .

قال الناظم في « النشر » : (وكلا الحديثين ضعيفان إلا أنه يعمل بهما في فضائل الأعمال)[5] .

أقول : وعلىٰ تقدير صحته وجواز العمل بروايته ليس فيه إلا تقوية لمذهب القائل بمد المنفصل ، ولا يلزم منه أن يكون مده وجهاً لمن يجوِّزُ قصر المنفصل ، ولهذا ما عَرَّج عليه الشاطبي وجمهور القراء ، وإنما هو من طريق المصنف ، وكذا ما جاء من مد المبالغة للنفي في نحو : ﴿لا ريب﴾ التي للتبرئة عن حمزة ، فإنه لا يصح من طريق « الشاطبية » وعامة أهل القراءة ، بل هي رواية شاذة عند أهل الدراية[6] .

---

(١) قاله ابن مهران في كتاب « المدات » ونقله عنه ابن الجزري في النشر ١/ ٣٤٥ .

(٢) قال الشيخ الإمام محيي الدين النووي رحمه الله في « الأذكار » : (ولهذا كان المذهب الصحيح المختار استحباب مد الذاكر قوله : « لا إله إلا الله » لما ورد فيه من التدبر ، وأقوال السلف وأئمة الخلف مشهورة في مد هذا) ، والله أعلم .

(٣) أورده ابن حبان في المجروحين ٢/ ١٦٨ ، وابن القيسراني في « تذكرة الموضوعات » ص٨٥٥ .

(٤) ذكره ابن حجر في «لسان الميزان» ٦/ ١٦٩ .

(٥) « النشر في القراءات العشر » لابن الجزري ١/ ٣٤٥ .

(٦) ثبت المد عن حمزة من طريق «النشر» في لا النافية للجنس ومقداره عنده أربع حركات . « النشر » ١/ ٣٤٥ ، و« إيضاح الرموز » ١٢٣ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

[بَابُ الوَقْفِ وَالابتِدَاءِ]

[٧٣] (وبَعْدَ تَجْوِيدِكَ لِلحُرُوفِ) بالإشباع ، أي وبعد معرفة تحسينك للحروف مفردةً ومرتبةً وموصولةً وموقوفةً .

وتعميمنا أولىٰ من تخصيص المصري لها بحروف الهجاء واعتراضه على ابن المصنف في تفسيره إياها بالكلمات فإنه عدول عن الظاهر .

(لا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ الوُقوفِ) أي لا بُدَّ لك من معرفة أماكن الوقف [٧٤] (والإبتداءِ وهْيَ تُقسَمُ إلىٰ) بحذف همزة « ال » وكسر(١) لامه لالتقاء الساكنين(٢) ، وبسكون هاء « وهْي » الراجعة إلى الوقوف ، و« تقسم » بصيغة المجهول مخففاً .

وفي نسخة ضُبطَ بكسر هاء « وهي » وسكون يائها ، و« تقسم » بتشديد سينها ، والظاهر أنه غير موزون إلا بقصر « الابتداء » .

(تَام وكَافٍ حَسَنٌ تَفَضُّلاَ) بضم الضاد ، تمييز كما اختاره الرومي [٦٥] ، وبفتحها جملة مستأنفة كما أشار إليه ابن المصنف بقوله [٣٨] : (أي تُبيِّنُ تقسيم الوقوف) . فألفه للإطلاق ، وخففت ميم « تام » ضرورة ، وفي نسخة :

. . . . . وَهْــــي تُقْسَـــــمُ إِذَنْ ثَـــلاَثَـــةً تَـــامٌ وَكَـــافٍ وَحَسَـــنْ

فمعنىٰ « إذن » أي حينئذٍ ، فهو ظرف لـ(تقسم) كما صَرَّح به الرومي [٦٦] .

وقال الشيخ زكريا [٦٩] وتبعه المصري : (زائدة) ، وفيه أنَّ « إذن » الزائدة لا تكون منونة .

ونصب « ثلاثةً » على المفعولية من « تقسم » ، وحذف « إلىٰ » لدلالة الحال عليها ، وقوله : « تام » مخفف ، خبر مبتدأ محذوف هو « هي » ،

---

(١) « أ » ، « ب » ، « ج » : وسكون ، والمثبت من « د » .
(٢) في « أ » ، « ب » ، « د » : « لانتقاله » .

و« كافٍ » بكسر فاءٍ منون ، وهو مرفوع ، لكن علامة رفعه مقدرة كإعراب « قاضٍ » مرفوعاً ، و« حَسَن » بالسكون وقفاً ، وهذه النسخة هي أصل الشيخ زكريا وخالد الأزهري .

قال ابن المصنف [٣٨] : (« الوقوف » جمع وقف ، وجَمعُهَا باعتبار تنوعها) يعني في محل واحد من الإسكان والروم والإشمام (وَوُحِّدَ الابتداء لأنه غير متنوع ، أي كذلك) .

والأظهر أنَّ « الوقوف » مصدر كالابتداء ، ففي « القاموس » : (وقف يقف وقوفاً : دام قائماً. . . والموقف محل الوقوف)[١] ، ولا يبعد أن يقدرَ مضاف فيقال : معرفة مواضع الوقف ومحال الابتداء ، فالمعنى معرفة المواقف والمبادىء ، أو يرادَ بهما المعنى المصدري ، أي معرفة كيفية الوقف والابتداء .

ثم قال ابن المصنف [٣٨] : (والوقف عن الشيء ترك الإتيان به ، ولهذا سمي في الاصطلاح وقفاً لأنه وقف عن الحركة أي تركها) .

وفيه أن هذا الحد غير جامع لأنه لم يشمل الكلمة التي يكون آخرها ساكناً من أصلها كـ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ و« إن » و« في » ونحوها ، فالأولىٰ أن يقال : لأنه وَقَفَ على الكلمة ولم يتعدَّها .

[٧٥] (**وَهْيَ لِمَا تَمَّ فإنْ لَمْ يُوجَدِ**) بالإشباع (**تَعَلُّقٌ أو كَانَ مَعْنَىً فابْتَدِيْ**) أي وهذه المواقف المذكورة إنما تكون لما تَمَّ معناه لا لما كَمُلَ مبناه .

والحاصل أن هذه الوقوف للفظٍ تم الكلام عليه من حصول ركني الجملة من المسند والمسند إليه ، ثم يقسم ذلك التمام إلىٰ ما فَصَّله في مقام المرام بقوله :

« فإن لم يوجد » لما تَمَّ من الكلام « تعلقٌ » بما بعده لا مبنىً ولا معنىً ، أو يوجد له تعلق به معنىً لا مبنىً فابتدىء أنت بما بعده في القسمين المذكورين إذا

---

(١) « القاموس المحيط » للفيروزآبادي ، مادة : وقف .

وقفت على ما قبله في الصنفين المسطورين .

فقوله « ابتدىء » عطفٌ علىٰ مقدر ، أي قف حينئذٍ[1] على ما تَمَّ فابتدىء بما بعده .

قال الرومي [٦٦] : (هو أمرٌ حذفت الهمزة من آخره ثم أشبع الدال للوزن) .

وفيه أنه لا وجه لحذفها مجاناً ، فالصواب أنه أبدل الهمزة الساكنة ياءً على قاعدة حمزة وهشام وقفاً[2] ، فينبغي أن يكتب بالياء بعد الدال ليكون دالاً على الإعلال .

[٧٦] **(فالتَّامُ فالكَافي وَلَفْظَاً فَامْنَعَنْ إلا رُؤُوسَ الآيِ جَوِّز فالحَسَنْ)**

الفاء الأولىٰ للتفصيل أو للتفريع ، وما بعدها للترتيب في التنويع ، وفيه لفٌّ ونشرٌ مرتب في الصنيع ، وتقدير الكلام : وقل أما الوقف على الأول منهما فالتام ، وسمي به لتمام المبنىٰ وانقطاع ما بعده عنه في المعنىٰ .

وأما الوقف على الثاني فالكافي ، سُمِّي به للاكتفاء في الوقف عليه ، والابتداء بما بعده كالتمام .

و« لفظاً » عطفٌ على « معنىً » في البيت السابق ، أي وإن كان فيه تعلقٌ بما بعده لفظاً ومعنىً ، لأنه يلزم من اللفظ تعلق المعنىٰ بخلاف عكس المبنىٰ كما سيأتي في تحقيق التعلق .

وقوله « فَامْنَعَنْ » بالنون الساكنة المخففة دخلت على الأمر للتأكيد ، والفاءِ[3] لأنه جواب للشرط المقدر ، والمعنىٰ : فامنع الابتداء حينئذٍ بما بعده

---

(١) « حينئذ » سقط من « ب » .

(٢) من قوله : « مجاناً . . . » إلى هنا سقط من « أ » ، وقد تقدم الكلام على وقف حمزة وهشام سابقاً بالإجمال ، وأحلنا تفصيله إلى الكتب المختصة .

(٣) قوله « والفاء » عطف على « بالنون » ، أي : فامنعن ، بالنون الساكنة والفاء .

بل ابتدىء بما قبله ، إلا رؤوس الآي التي فيها التعلق اللفظي ، فيجوز الابتداء بما بعدها لورود الحديث بالوقوف على ﴿العالمين﴾ والابتداء بـ﴿الرحمٰن﴾ ، ولأن رؤوس الآي بمنزلة فواصل السجع في النثر ، وفي مرتبة القوافي بالشعر من حيث إنها محالُّ التَّوَقف .

وقوله « فالحسن » بالفاء بناء على أنه جواب « إن » المقدرة ، أي وإن كان التعلق لفظاً فوقفه الحسن ، أو فاسْم وقفه الحسن .

فإذا عرفت ذلك فاعلم أن الوقف على ما فيه التعلق اللفظي مطلقاً ، سُمِّيَ بالحسنِ لحُسْنِ الوقف عليه وإن كان تفصيلٌ بالابتداء بما بعده ، فقوله ﴿الحمد﴾ مثلاً لفظٌ غير تام فلا يدخل تحت أنواع الوقوف المستحسنة .

وأما ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فوقفه حسن لكن لا يحسن الابتداء بما بعده[1] ، فلابد أن يعيد ما قبله كله أو بعضه .

وأما ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فوقفه حسن أيضاً لكن يحسن الابتداء بما بعده لكونه من رؤوس الآي على خلافٍ في أن الوقف على مثله أولىٰ أو وصله بما بعده من أصله أعلىٰ ؟ وسيجيء تحقيقه ، وكذلك الوقف على ﴿الرحيم﴾ .

وأما الوقف على ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ فكافٍ ، وكذلك الوقف على ﴿نستعينُ﴾ فلا خلاف أن الوقف عليهما هو الأولىٰ .

قال ابن المصنف [٣٨ و٣٩] : (والوقف التام عند تمام القصص ، وأكثر ما يكون موجوداً في الفواصل ورؤوس الآي كقوله تعالىٰ : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة : ٥]) . زاد الشيخ زكريا [٩٢] : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ وفيه بحث ، والله هو المعين .

وقد يوجد قبل انقضاء الفاصلة كقوله تعالىٰ : ﴿ وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ﴾ [النمل : ٣٤] .

---

(١) في « أ » زيادة : « لكونه حسن » .

قال ابن المصنف [٣٩] : (وهذا الوقف تام لأنه انقضاء كلام بلقيس ، وهو رأس آية) . يعني قوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ ابتداء كلام من اللهِ شهادةً علىٰ ما ذَكَرَتْهُ ، وفيه أن له تعلقاً معنوياً فلا يكون وقفه تاماً بل كافياً .

وقال بعض المفسرين : إن قوله تعالىٰ : ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أيضاً من كلامها تأكيداً لما قبلها ، فالوقف على ﴿أذلة﴾ كاف ، وعلى ﴿يفعلون﴾ تام ، وقد يقال إنه كاف أيضاً لأن ما بعده من جملة مقولها فله تعلق معنوي[١] بما قبله .

ثم قال [٣٩] : (وقد يوجد بعد انقضاء الفاصلة بكلمة كقوله تعالىٰ : ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝١٣٧ وَبِٱلَّيْلِ﴾ [الصافات] لأنه معطوف على المعنىٰ ، أي بالصبح والليل ، يعني فيهما) وفيه البحث السابق ؛ إذ من جملة التعلق المعنوي قوله ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فهو وقف تام ، وما قبله كاف .

ثم قال [٣٩] : (وأما التعلق من جهة المعنىٰ دون اللفظ فنحو قوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ﴾ [النساء : ٢٣] والابتداء بما بعد ذلك في الآية كلها) وفيه أن الظاهر أن ما بين المعطوف والمعطوف عليه تعلق لفظي ، فهو من قبيل الوقف الحسن .

ثم قال[٣٩] : (وكذلك القطع[٢] على الفواصل في سورة الجن والمدثر والتكوير والانفطار والانشقاق وما أشبههن) .

وفيه أن رؤوس آيِ هذه السور مختلفة الصور ، فبعضها تام وبعضها كاف وبعضها حسن عند من له إلمام بالمباني العربية والمعاني التفسيرية ، خصوصاً في فواصل سورة الجن ، فإنَّ أرباب الوقوف جعلوا الخلاف في جواز وقفها بناءً على كسر الهمزة[٣] بعد الواو فيها وتعيين الوصل علىٰ فتحها .

---

(١) « معنوي » سقط من « أ » .

(٢) المراد بالقطع هنا الوقف .

(٣) قرأ ابن عامر والكوفيون سوى شعبة (وأن) الواقعة بعد الواو وقبل الضمير المتصل وهي ثلاث عشرة آية بفتح الهمزة ، وافقهم أبو جعفر في : ﴿وأنه تعالى﴾ و﴿وأنه كان يقول﴾ =

ثم قال [٣٩] : (وكذلك مثل الوقف على : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾) [البقرة : ٢] .

وفيه أن وقوع اختلاف أرباب الوقوف ينافيه ، فبعضهم وقف علىٰ ﴿لا ريب﴾ بناء على أنَّ خبر « لا » محذوف لحذفه كثيراً بلا شك[١] ، وأنَّ قوله « فيه » خبر مقدم لقوله : ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي هدايةٌ وباعثةُ عنايةٍ للمؤمنين .

وبعضهم وقف علىٰ « فيه » بناء على أنه خبر « لا » وأنَّ « هدىً » خبر مبتدأ محذوف تقديره : هو هدًى ، أو ذو هدايةٍ ، أو سَمَّىٰ[٢] بالمصدر للمبالغة ، ومثل هذا التركيب يسمىٰ عند أرباب الوقوف معانقة أو مراقبة ، بمعنىٰ أنه إذا وقف على الأول يصل في الثاني أو بالعكس ، فلا يجوز وقفهما ولا وصلهما[٣] ، وأمثال ذلك في القرآن مواضع جمعها بعضهم .

ثم اعلم أن الوقف على رؤوس الآي سنة لما ذكره ابن المصنف بروايته عن أبيه بسنده المتصل إلىٰ أم سلمة رضي الله عنها : « كان إذا قرأ قطع آية آية ، يقول : (بسم الله الرحمٰن الرحيم) ، ثم يقف ، ثم يقول : (الحمد لله رب العالمين) ، ثم يقف ، ثم يقول : (الرحمٰن الرحيم) ، ثم يقف »[٤] .

قال [٤٠] : (ولهذا الحديث طرق كثيرة ، وهو أصل في هذا الباب) .

= و﴿وأنه كان رجال﴾ ، ﴿وأنه لما﴾ ووافقهم في الموضع الأخير الباقون سوى نافع وشعبة ، والباقون في جميع المواضع بالكسر (إيضاح الرموز/ ٧١١) .

(١) رفض ابن الجزري في « النشر » هذا القول ، واستدلَّ عليه بعدم صحة مثل هذا الوقف في سورة السجدة ﴿تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين * أم يقولون افتراه..﴾ فلا ريب بعدم تحصيل فائدة إذا ابتُدِىء بـ« فيه » من هذه السورة ، ومثلها سورة البقرة وأشباهها . « النشر في القراءات العشر » لابن الجزري ١/ ٢٢٣ .

(٢) « د » : « وسمّى » .

(٣) لا يصح الوقف على كلا الموضعين لعدم الإفادة حال الوقف على الموضع الثاني بعد الوقف على الأول ، أما وصلهما فلا شيء فيه وقد نص عدد من الأئمة على جوازه .

(٤) رواه أبو داود في كتاب الحروف والقراءات ، والترمذي في كتاب القراءات ، وأحمد في المسند .

أقول : فظاهر هذا الحديث أن رؤوس الآي يستحب الوقوف عليها سواء وجد تعلق لفظي أم لا ، وهو الذي اختاره البيهقي[(١)] .

وقال أبو عمرو : (هو أحبُّ إليَّ)[(٢)] لكنه خلاف ما ذهب إليه أرباب الوقوف كالسجاوندي[(٣)] وصاحب « الخلاصة »[(٤)] وغيرهما من أن رؤوس الآية وغيرها في حكم واحد من جهة تعلق ما بعده بما قبله وعدم تعلقه ، ولذا جعلوا رمز « لا » ونحوه فوق الفواصل[(٥)] كما كتبوها فوق غيرها مع اتفاقهم على جواز الابتداء بعد رؤوس الآي ، بخلاف ما سواها مما لا يكون علامة الوقف[(٦)] فوقها ، وحملوا الحديث الوارد على بيان الجواز ، وعلى تعليم الفواصل فإنه من باب التوقيف لعدم اطلاع غيره ﷺ بل فرقوا في رؤوس الآي بحسب اختلاف القراء المقتضي لاختلاف الإعراب الموجب للتعلق وعدمه ، فوقفوا في سورة إبراهيم على قوله تعالىٰ : ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم : ١] إذا قرؤوا لنافع[(٧)] والشامي برفع ما بعده ، ووصلوا على قراءة غيرهما بجره ، وأمثال ذلك كثيرة في القرآن يعرفها أرباب الوقوف من الأعيان .

وقد اعتنىٰ قراء العجم بهذا الشأن ، وأهمل أمره قراء العرب في هذا

---

(١) أحمد بن الحسين بن علي ، من أئمة الحديث ، له كتاب « السنن الكبرى » وغيره توفي سنة ٤٥٨هـ . « شذرات الذهب » ٣/ ٣٠٤ .

(٢) « المكتفى في الوقف والابتداء » للداني ص١١٠ .

(٣) هو الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن طيفور السجاوندي الغزنوي مفسر لغوي قارىء ، له كتب منها « الوقف والابتداء » و« عين المعاني » في التفسير ، توفي سنة ٥٦٠ . « إنباه الرواة ٣/ ١٥٣ ، و« غاية النهاية » ٢/ ١٥٧ .

(٤) لم أعثر على هذا الكتاب فيما بين يدي من المراجع ، وهو مذكور في « كشف الظنون » بلا ترجمة .

(٥) يعني أواخر الآيات كما في قوله تعالىٰ : ﴿ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك﴾ وقوله : ﴿ويومئذٍ يفرح المؤمنون * بنصر الله﴾ وقوله ﴿فويل للمصلين * الذين هم . . .﴾ ونحوه .

(٦) في « أ » : الوقوف .

(٧) « ب » : إذا قرأ النافع .

الزمان ، حتى ذكر مولانا نور الدين عبد الرحمٰن الجامي[1] قدس سره السامي بطريق اللَّطافة أن قُرَّاء مصر والشام تركوا مراعاة وقوف الكلام فكان قضاتهم لما ضيقوا أوقاف كل مكان رفعوا أيضاً وقوف القرآن .

[معنى التعلق اللفظي والمعنوي]

هذا والتعلق اللفظي هو أن يكون ما بعده متعلقاً بما قبله من جهة الإعراب كأن يكون صفةً أو معطوفاً بشرط أن يكون ما قبله كلاماً تاماً .

وأما التعلق المعنوي فهو أن يكون تعلقه من جهة المعنىٰ فقط دون شيء من تعلقات الإعراب كالإخبار عن حال المؤمنين في أول سورة البقرة مثلاً فإنه لا يتمُّ إلا إلىٰ قوله : ﴿ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ ، ثم أحوال الكافرين تتمُّ عند قوله : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ، ثم تمام أحوال المنافقين عند قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٠] حيث لم يبق لما بعده تعلق بما قبله لا لفظاً ولا معنىً .

وقد اعتنىٰ أبو عمرو الداني برسالة مستقلة مستوعبة لأنواع الوقف من التام والكافي والحسن في جميع السور .

وأما قول الأزهري [٩٧] : (والمختار أن التام والكافي حسن ، والحسن جائز ، وكذا حكم الابتداء) . فخروج عن اصطلاح القراء وتحقيق العلماء ومبنيٌّ على عدم التمييز بين مراتب الوقف والابتداء .

[٧٧] وَغَيْرُ مَا تَمَّ قبيحٌ وَلَهُ ... يُوقَفُ مُضْطَرّاً وَيُبْدَا قَبْلَهُ

« يُبْدَأُ » بصيغة المجهول ، وسكن همزته ضرورةً ثم أبدل ألفاً .

وقال اليمني : (الهمزة في[2] « يُبْدَأ » ساكنة على نية الوقف كما في رواية قنبل بـ﴿سَبَأْ﴾)[3] .

---

(١) عالم في النحو ، له كتاب : «الفوائد الضيائية» في شرح كافية ابن الحاجب ، توفي ٨٩٨هـ وفي « ب » : الشامي بدل الجامي .

(٢) من قوله : « يبدأ بصيغة . . . » إلى هنا سقط من « أ » .

(٣) أي من قوله تعالى : ﴿وجئتك من سبأ﴾ و﴿لقد كان لسبأ﴾ فقد قرأ قنبل عن ابن كثير بإسكان=

وَضَبْطُ الرومي بصيغة الفاعل حيث قال [٦٩] : (وَيَبْدَأُ القارىء) لكنه خلاف الظاهر للاحتياج إلى القول بحذف الفاعل ولو بقرينة المقام مع ما يفوته من المناسبة بين « يبدأ » و« يوقف » على ما فيه من نظام المرام .

وفي أصل زكريا : « الوقف مضطراً » بفتح همزة « ال » للابتداء وقال [٩٣] : (التقدير : للقارىء الوقف على ذلك) وفي نسخة : يُوْقَفُ ، أي ولأجل قبح الوقف على ذلك يوقف عليه مضطراً. . .) الخ ، وأنت تعلم أن نسخة المضارع أحسن من المصدر ، وهو كذلك في النُّسَخ باعتبار الأكثر .

ومعنى البيت مجملاً : أنَّ غير ما تَمَّ من الكلام قبُحَ الوقف عليه عند القراء الفخام حال الاختيار دون وقت الاختبار والانتظار والاضطرار ، فالمراد بالاضطرار أعمُّ من الحقيقي والحكمي في الاعتبار .

وقوله « مضطراً » حال من الواقف بناء على نسخة « الوقف » ، ومن « الوقف » على نسخة « يوقف » .

ولا يبعد أن يكون المضطر مصدراً للعلة ، والأظهر أنه صفة مصدر محذوف ، أي يوقف وقفاً مضطراً لِعَيٍّ(١) أو حَصْرٍ(٢) أو غيرهما ، لكن حينئذٍ يبدأ بما قبل موضع الوقف من الكلمة التي وقف عليها .

وبيان تفصيله بحسب تمثيله أن الوقف على ﴿الحمد﴾ قبيح ، وكذا على ﴿بسم الله﴾ كما صَرَّح به ابن المصنف [٤٠] .

وأما ما سبق من المصري أن الوقف علىٰ ﴿بسم الله﴾ قبيح ، وعلىٰ ﴿الرحمن﴾ كذلك ، وعلى ﴿الرحيم﴾ تام ، فخطأ قبيح منه ؛ فإن الوقف على

= الهمزة وصلاً بنية الوقف .

(١) العيُّ : ضد البيان ، وعييَ بأمره إذا لم يهتدِ لوجهه ، والمعاياة أن تأتي بشيء لا يهتدى له . اهـ « مختار الصحاح » مادة : عيا .

(٢) حَصَرَهُ ضيَّق عليه ، والحصرُ : العيُّ ، وهو أيضاً ضيق الصدر ، يقال : حصِرَ صدره ، أي : ضاق . اهـ « مختار الصحاح » مادة : حصر .

كلٌّ من الجلالة والرحمٰن حسن لأنه مع متعلقه من الفعل أو الاسم المقدر كلامٌ تامٌ كما ورد في أحاديثه عليه الصلاة والسلام من الاكتفاء على ﴿بسم الله﴾ في ابتداء الطعام ونحوه من المواضع الكرام ، وإنما يقبح الوقف على « بسم » لأنه لا يعلم إلىٰ أيِّ شيءٍ أضفته ، وكذلك الوقف على المضاف دون المضاف إليه ، والصفة دون الموصوف ، والرافع دون المرفوع ، والناصب دون المنصوب[1] ، والمنصوب دون الناصب ، ولا على المعطوف دون ما عطفته عليه ، ولا على « إنَّ » وأخواتها دون اسمها ، ولا على اسمها دون خبرها ، ولا على « ظننت » وأخواتها دون منصوباتها ، ولا على صاحب الحال دونها ، ولا على المستثنىٰ منه دون الاستثناء ، ولا على المفسَّر دون المفسِّر ، ولا على « الذي » و« ما » و« مَنْ » دون صلاتهنَّ ، ولا على صِلاتهنَّ دون معمولاتهنَّ ، ولا على الفعل دون مصدره ، ولا علىٰ مصدره دون آلته ، ولا على حروف الاستفهام دون ما استفهم بها عنه ، ولا على حرف الشرط دون المشروط ، ولا على المشروط دون الجزاء ، ولا على الأمر دون جوابه **إلا أن يكون القارىء مضطراً فإنه يجوز له الوقف حال اضطراره كانقطاع نفسٍ ونحوه** ، لكن إذا وقف يبتدىء من الكلمة التي وقف عليها ، يعني إذا حَسُنَ الابتداء بها ، كذا ذكره ابن المصنف [٤١] ، ولعله مبني على أن التمام عنده ما يحسُنُ السكوت عليه من الكلام ، وأما على الظاهر المتبادر من كلام الناظم وتقسيمه إلىٰ أنواع التعلق فمعنىٰ التمام استيفاء الكلام للمسند والمسند إليه .

ثم يَرِدُ على ابن المصنف في إطلاق أمثلته إذا وقع شيء منها في رؤوس الآي فإنه ليس الوقف عليها بقبيح إجماعاً وإنما اختلفوا في الوجه الأولىٰ .

وكذا يَرِدُ على قوله « ولا المعطوف دون ما عطفته عليه » ماسبق من أن[2] الوقف على قوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ﴾ [النساء : ٢٣] هو الكافي ،

---

(١) « والناصب دون المنصوب » سقط من « ب » .

(٢) في « أ » و« د » ما سبق منه أنَّ .

ويمكن دفعه بأنه أراد عطف المفرد كقوله : ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ [التوبة : ٦٢] .

وكذا يَرِدُ علىٰ قوله : « وعلى الموصوف دون الصفة » ما تقدم من حُسْنِ الوقف علىٰ « بسم الله » وكذا على ﴿الحمدُ لله﴾ .

ثم قال [٤١] : (واعلم أنَّ من الوقف القبيح الوقف علىٰ « غير » من ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وعلى « إله » من ﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ كما يفعله جهلة القراء ويستدلون بِرَقْم السجاوندي على ما قبل هذه الكلمات « لا » أي لا وقف ، فليت شعري هل نهاك عن الوقف على رؤوس الآي الذي هو سنة وأمرك بالوقف عل المضاف دون المضاف إليه[١] من « غير » و« إله ») . يعني وتخالف السنة وأئمة الوقوف في القراءة فتقف تارةً بعد تمام الآية[٢] وتارةً قبلها لكون كتابة « لا » على رأس آية[٣]!! ؟

وأما ما نقل بعضهم من الرواية عن بعض من ليس له الدراية أن الوقف علىٰ ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ غيرُ جائز بل حرام وكفر وأمثالُ ذلك ، فهذا نقل باطل ليس فيه[٤] وجه طائل ، وكذا ما ذكره بعضهم من أنَّ الوقف علىٰ ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾ [الطارق : ١١] مبطلٌ للصلاة وكفرٌ في خارجها تعمُّداً فمن أقبح الروايات ؛ لأنه مخالف لإجماع أرباب القراءات وقواعدهم المأخوذة من الأصول العربية لاسيما وقد وردت الأحاديث النبوية بخصوص رؤوس الآي القرآنية .

ثم قال [٤١] : (وأقبح من هذا الوقفُ علىٰ قوله ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟﴾ ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟﴾ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ ﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى﴾ ﴿فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟﴾ ﴿ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ﴾ ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ﴾ ﴿ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ ﴿ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ﴾ ﴿ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ﴾ والابتداء

---

(١) في « ب » : دون ما أضيف إليه .

(٢) في « ب » : الآي .

(٣) في « ب » : على رؤوس الآية .

(٤) في « ب » : وليس منه .

بقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ ﴾ [آل عمران : ١٨١] و﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة : ١٧] و﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [المائدة : ٦٤] و﴿ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣٠] و﴿ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾(١) [الأنبياء : ٢٦] و﴿ وَلَدَ ٱللَّهُ ﴾ [الصافات : ١٥٢] و﴿ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ [يس : ٢٢] و﴿ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ ﴾ [الأنبياء : ٢٩] و﴿ ٱللَّهُ غُرَابًا ﴾ [المائدة : ٣١] و﴿ ٱللَّهُ بَشَرًا ﴾ [الإسراء : ٩٤] لأنَّ المعنىٰ يختَلُّ بل يستحيل بفصل ذلك عما قبله) .

قلت : أما الابتداء في المثالين الأخيرين فإنه يشتبه على العوام حيث لا يميزون بين المنصوب والمرفوع في حكم الكلام ونظام المرام ، وأما في سائر الأمثلة فالوقف ليس بقبيح فضلاً عن أن يكون أقبح(٢) ، وإنما القبيح في غاية القبح هو الابتداء بما بعده لما يتفرع على الابتداء من توهُّمِ الإنشاء ، وسيأتي تحقيق أساس ذلك البناء .

ومن هذا القبيل الوقف علىٰ نحو ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ ﴾ والابتداء بقوله ﴿ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ .

ثم قال [٤١] : (ومثله في القبح الوقف على قوله : ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] و﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ وَلِلَّهِ ﴾ [النحل : ٦٠] و﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ ﴾ [البقرة : ٢٦] و﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ﴾ [النحل : ٣٧] و﴿ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ ﴾ [النحل : ٣٨] وشبهه لأن المعنىٰ يفسد بفصل ذلك عما بعده) .

أقول : وإنما قال « ومثله » وفَصَلَهُ عما قبله لأن الوقف على هذه المواضع قبيح جداً لما يترتب عليه من قبح العطف(٣) أو ترك المفعول(٤) ، وأما الابتداء بما بعده فليس بقبيح(٥) ، بخلاف الأمثلة التي قبله ، فقوله[٤١] : (ومن انقطع

---

(١) في جميع النسخ التي عندنا (الله) والتصويب كما في الآية الكريمة .
(٢) وجه قبح الوقف عدم تمام المعنى ، وتعلق الموقوف عليه بما بعده .
(٣) يعني في المثالين الأولين .
(٤) يعني في الأمثلة الثلاثة الأخيرة .
(٥) يقبح الابتداء بما له تعلق بما قبله .

نفسه علىٰ ذلك وجب عليه أن يرجع إلىٰ ما قبله ويصلَ الكلام بعضه ببعض فإن لم يفعل أَثم) إنما يستقيم في الأمثلة الأولىٰ ، وأما ما في الأمثلة الثانية فينبغي أن يعود فالعودُ أحمد[١] .

ثم قال [٤١] : (وكان ذلك ـ أي الابتداءُ في القسم الأول والوقفُ في الثاني ـ من الخطأ العظيم الذي لو تعمده متعمد لخرج بذلك عن دين الإسلام لكون اعتقاد ذلك افتراءً على الله عز وجل وجهلاً به سبحانه) .

وأقول : وأما قول قاضيخان من علمائنا الحنفية في « فتاواه » : (وإن غَيَّرَ المعنىٰ تغييراً فاحشاً بأن قرأ ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [فاطر : ٢٨] برفع الهاء[٢] ونصب « العلماء » أو قرأ ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾ [التوبة : ٣] بكسر لام « الرسول » وما أشبه ذلك مما لو تعمد به يكفر ، وإذا قرأ خطأً فسدت صلاته في قول المتقدمين)[٣] . فسهوٌ صَدَر عنه من الغفلة عن معرفة القراءة الشاذة ووجوه القواعد العربية ؛ إذ نصبُ « العلماء » روي عن أبي حنيفة رحمه الله تعالىٰ إمام الفقهاء ، وَوَجَّهَهُ بأن « يخشىٰ » بمعنىٰ يُعَظِّم على قاعدة التجريد ، فإن الخشية خوف مقرون بالتعظيم .

وَوَجْهُ كسر « رسوله » المقروء في الشواذ أيضاً بأن واوه للقسم ، أو جَرُّه للجوار[٤] كما ذكره صاحب « الكشاف »[٥] .

---

(١) الظاهر تساوي أمثلة المجموعتين في التزام الابتداء بما قبل الموقوف عليه لسلامة المعنى .

(٢) في « ب » : برفع الله .

(٣) انظر « فتاوى قاضيخان » ١/٢٢٨ .

(٤) هاتان القراءتان شاذتان ، ولم تصح الأولى منهما عن أبي حنيفة ولا عن غيره ، وتوجيههما فيه تكلف وتمحل ظاهر ، والقراءة بنصب (العلماء) مخالفة لرسم المصاحف العراقية حيث رسمت فيها بالواو بعد الهمزة (العلمؤا) ولا تحتمل على هذا الرسم إلا الرفع . « النشر » لابن الجزري ١/١٦ وفيه الجزم بوضع القراءة على أبي حنيفة ، و« المقنع » للداني ص٥٧) .

(٥) هو محمود بن عمر بن محمد الزمخشري جار الله ، أبو القاسم ، من أئمة العلم بالدين واللغة والأدب ، ولد في « زمخشر » سنة ٤٦٧هـ وسافر إلىٰ مكة فأقام بها زمناً فلقب بـ« جار الله »=

ثم قال[1] : (وإن وصل في غير موضعه أو فَصَلَ في غير موضعه فإن لم يتغير المعنىٰ تغيراً فاحشاً بأن وقف على الشرط وابتدأ بالجزاء فقرأ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [البينة : ٧] ووقف ثم ابتدأ بـ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ ﴾ ، أو فَصَلَ بين الصفة والموصوف نحو إن قرأ ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا ﴾ [الإسراء : ٣] ووقف ثم ابتدأ بقوله : ﴿شكوراً﴾ فمثل هذا لا يحسن ولا يفسد صلاته ؛ لأن موضع الوصل والفصل لا يعرفها إلا العلماء ، وإن تغير المعنىٰ تغيراً فاحشاً نحو أن يقرأ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ويقف ثم يبتدىء بقوله : ﴿إلا هو﴾ ، أو قرأ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ ﴾ [التوبة : ٣٠] ويقف ثم يبتدِىء بقوله ﴿ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ ونحو ذلك ، قال عامة العلماء لا تفسد صلاته ، وقال بعضهم تفسد) .

وفي « الخلاصة » : (لو وقف على قوله : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ ﴾ ثم ابتدأ بقوله : ﴿ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ لا تفسد صلاته بالإجماع) .

أقول : ولعل وجهه ما روي عن عبد الله بن المبارك[2] وأبي حفص الكبير البخاري[3] ومحمد بن مقاتل وغيرهم من أنَّ عدم فساده لما فيه من ضرورة سبق اللسان .

ثم قال في « الخلاصة » : (ولو لم يقف عند قوله : ﴿ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ [غافر : ٦] بل وصل بقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ ﴾ لا تفسد لكنه قبيح) .

= ثم عاد إلى الجرجانية بخوارزم فتوفي بها سنة ٥٣٨هـ ، كتبه كثيرة ، منها « الكشاف » في التفسير ، و« أساس البلاغة » و« المقامات » « الأعلام » ٧/ ١٧٨ .

(١) قائل هذا القول هو الإمام قاضيخان في « الفتاوىٰ » ١/ ٢٢٩ .

(٢) هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء التميمي الحافظ ، شيخ الإسلام ، صاحب التصانيف والرحلات ، أفنىٰ عمره بالأسفار حاجاً ومجاهداً وتاجراً ، ولد سنة ١١٨هـ ، جمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس ، مات قرب الفرات سنة ١٨١هـ ، من كتبه « الجهاد » و« الرقائق » « الأعلام » ٤/ ١١٥ .

(٣) هو أحمد بن حفص ، من كبار علماء الحنفية أخذ عن محمد بن الحسن ، وله اختيار وترجيح في المذهب (من مقدمة حاشية ابن عابدين ١/ ٣٧) .

ولا يخفىٰ أن أرباب الوقوف جعلوا الميم الذي هو علامة الوقف اللازم علىٰ قوله : ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ لأن في وصله إيهام أن يكون ما بعده صفة لما قبله ، وهو يغير المعنىٰ تغيراً فاحشاً ؛ لأن قصد ذلك المعنىٰ يكون كفراً ، وبهذا التقرير وما سبق به من التحرير تبين معنىٰ قول الناظم النحرير :

[٧٨] (وَلَيسَ في القُرْآنِ مِنْ وقفٍ وَجَبْ) وفي نسخة « يجب » ، و« مِنْ » زائدة مؤكدة للمبالغة في النفي ، فيجوز وصل الكلمات من أولها إلىٰ آخرها في القرآن العظيم ولا يكون فاعله تاركاً لواجبٍ عليه بمعنىٰ أنه يأثم بترك الوقف لديه ، وإنما ينبغي له بالوجوب الاصطلاحي ، ويستحب له باللزوم العرفي مراعاة الوقوف القرآنية ، لما ورد أن علياً كرم الله وجهه سئل عن قوله تعالىٰ : ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل : ٤] فقال : (الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف)[١] ، ولما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : (لقد عشنا برهةً من دهرنا وإنَّ أحدنا ليؤتىٰ الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة على النبي ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها وأمرها وزجرها وما ينبغي أن يوقف عنده منها)[٢] .

قال الناظم : (ففي كلام عليٍّ رضي الله عنه دليل على وجوب تعلمه ومعرفته ، وفي كلام ابن عمر رضي الله تعالىٰ عنهما برهان علىٰ أنَّ تعلمه إجماع من الصحابة رضي الله عنهم ، وصحَّ بل تواتر عندنا تعلمه والاعتناء به من السلف الصالح . . .)[٣] .

قال : (ومن ثَمَّ اشترط كثير من أئمة الخلف على المجيز أن لا يجيز أحداً إلا بعد معرفته الوقف والابتداء)[٤] .

---

(١) انظر « النشر في القراءات العشر » ١/ ٢٢٥ ، و« شرح طيبة النشر » لابن الناظم ص٣٥ وص٣٦ وص٤٢ ، و« لطائف الإشارات لفنون القراءات » للقسطلاني ص٢٢٠ .

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى ١/ ١٢٠ .

(٣) انظر « النشر في القراءات العشر » للإمام ابن الجزري ١/ ٢٢٥ .

(٤) المرجع السابق ١/ ٢٢٥ .

وقال الإمام أبو زكريا : (الوقف في الصدر الأول من الصحابة والتابعين وسائر العلماء مرغوبٌ فيه من مشايخ القراء والأئمة والفضلاء ، مطلوبٌ فيما سلف من الأعصار ، واردةٌ به الأخبار الثابتة والآثار الصحيحة ، ففي الصحيحين[١] أن أم سلمة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله ﷺ يقطِّع قراءته يقول : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ثم يقف . . .) الحديث[٢] .

وروي أن رجلين أتيا إلى النبي ﷺ فتشهد أحدهما وقال : من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما ، ووقف ، فقال النبي ﷺ : « قم بئس الخطيب أنت »[٣] .

قال بعضهم : إنما قال ذلك[٤] لقبح لفظه ، وكان من حقه أن يقف على « رَشد » أو على « غوىٰ » أو يصل الجميع ، فانظر كيف قبُحَ[٥] لفظه وإن كان مراده الخير لا الشر .

ولا يخفىٰ أن قوله : (وما ينبغي أن يوقف عنده منها) لا يبعد أن يراد بها الآيات المتشابهة في معناها ، فليس في الحديث الثاني نصٌّ على الوقف المصطلح عليه .

(**وَلاَ حَرَامٌ غيرُ مَالَهُ سَبَبْ**) يجوز رفع « حرام » على أنه معطوف على محل « من وقفٍ » لأنه اسم ليس ، وجَرُّهُ[٦] للعطف على لفظه كما قُرِئ بالوجهين

---

(١) في « ب » : الصحيح ، والحديث ليس في الصحيحين ولا في أحدهما .

(٢) تقدم تخريجه قبل قليل .

(٣) رواه أبو داود في كتاب الصلاة باب الرجل يخطب على قوس ، وهو في صحيح مسلم في كتاب الجمعة برقم ٢٠٠٧ وفي آخره : « ومن يعصهما فقد غوى » دون الوقف على : « يعصهما » وأخرجه أبو جعفر النحاس عن عبد الله بن عمر في « القطع والائتناف » ص٨٧ .

(٤) في « أ » : بذلك .

(٥) في « ب » : كيف كُرِهَ قُبحُ لفظه .

(٦) أي ويجوز أيضاً جره ، وتقدير الكلام : يجوز رفع « حرام » وجرُّه .

في قوله تعالىٰ : ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾[1] [فاطر : ٣] وقوله سبحانه : ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[2] [هود : ٥٠] لكن الجمهور بالرفع ، وأما « غير » في البيت فتابع لـ« حرام » في إعرابه ، وجُوِّزَ نصبه حالاً ، ويمكن نصبه على الاستثناء أيضاً .

وحاصل معنى البيت بكماله أنه ليس في القرآن وقف واجب يأثم القارىء بتركه ، ولا وقف حرام يأثم بوقفه ، لأنهما لا يدلان على معنىً فيختل بذهابهما إلا أن يكون لذلك سبب يستدعي تحريمه ، وموجب يقتضي تأثيمه ، كأن يقصد الوقف على ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المائدة : ٧٣] و﴿إِنِّي كَفَرْتُ﴾ [إبراهيم : ٢٢] ونحوهما كما سبق من غير ضرورة ، إذ لا يقصد ذلك مسلم واقف على معناه ، وإذا لم يقصد فلا يحرم[3] عليه لا الوصل ولا الوقف في مبناه ، وأما غير الواقف على معناه ففي الأمر سعة عليهم إذْ لا يتصور القصد لديهم ، لكن الأحسن مع عدم القصد أن يتجنب الوقف على مثل ذلك مطلقاً للإيهام على خلاف المرام لاسيما إذا كان مستمعٌ في ذلك المقام .

ثم اعلم أن المتأخرين من علمائنا اتفقوا على أنَّ الخطأ إن كان في الإعراب لا يفسد الصلاة مطلقاً وإن كان مما اعتقاده كفر ؛ لأن أكثر الناس لا يميزون بين وجوه الإعراب .

قال قاضيخان : (وما قاله المتأخرون أوسع ، وما قاله المتقدمون أحوط ؛ لأنه لو تعمد يكون كفراً ، وما يكون كفراً لا يكون من القرآن)[4] .

قال ابن الهمام[5] : (فيكون متكلماً بكلام الناس الكفار ، وهو مفسد كما

---

(١) وقرأها بالجر حمزة والكسائي وخلف وأبو جعفر ، والباقون بالرفع .
(٢) وقرأها بالجر الكسائي وأبو جعفر ، والباقون بالرفع .
(٣) في « ب » : فلا حرمة .
(٤) انظر « فتاوى قاضيخان » ١/ ١٤٠ .
(٥) كمال الدين محمد بن عبد الواحد ، من أئمة الحنفية وله دراية بأصول الدين والتفسير والحساب والمنطق ، من أشهر مؤلفاته : « فتح القدير » في شرح الهداية ، توفي سنة ٨٦١هـ في القاهرة . « الضوء اللامع » ٨/ ١٢٧ـ ١٣٢ .

لو تكلم بكلام الناس ساهياً مما ليس بكفر ، فكيف وهو كفر)[1] .

قال شارح « المنية » : (ولا تقاس مسألة زلة القاري بعضها ـ مما ليس مذكوراً عن الأئمة المتقدمين أو المتأخرين ـ على بعضٍ مما هو مذكور إلا بعلمٍ كاملٍ في اللغة والعربية والمعاني ونحو ذلك مما يحتاج إليه التفسير ، ليعلم ما اعتقاده كفرٌ وما هو بعيد فاحشاً أو غير فاحش . . . ثم قال : وأما الحكم في قطع بعض الكلمة عن بعض بأن أراد أن يقول : « الحمدُ لله » ، فقال : « أل » فانقطع نفَسُه ، أو نسي الباقي ثم تذكر فقال : « حمدُ لله » ، أو لم يتذكر فترك الباقي وانتقل إلى كلمة أخرىٰ فقد كان الشيخ الإمام شمس الأئمة الحلواني[2] يفتي بالفساد في مثل ذلك ، وعامة المشايخ قالوا : لا تفسد لعموم البلوىٰ في انقطاع النفس والنسيان)[3] .

أقول : وفيه بحث ؛ لأن المثال المذكور لا يصلح أن يكون لقطع بعض الكلمة عن بعضٍ على وجه الحقيقة ؛ فإن لام التعريف كلمة مستقلة لكن لكمال امتزاجها بمدخولها تعد كلمة واحدة ، ولا يستحسن قطعها عما بعدها ، وكذا فصلُ ما بعدها عنها لاتصالها رسماً ، فالمثال اللائق فيما نحن فيه أن يقول : « الحمْدُ للهِ » بأن يقف على الميم[4] ويبتدأ بالدال فتأمل في تحقيق تصور المثال .

قال : (وأما الوقف في غير موضعه والابتداء في غير موضعه[5] فلا يوجب

---

(١) « فتح القدير » لابن الهمام ١/٢٢٧ .

(٢) هو عبد العزيز بن أحمد بن نصر البخاري ، ونسبته إلى عمل الحلواء ، فكان يلقب أيضاً بالحلوائي وكان من كبار علماء الحنفية في وقته ، له عدة كتب منها : « المبسوط » ـ وهو غير كتاب السرخسي ـ و« النوادر » و« الفتاوى » توفي سنة ٤٤٨هـ (الأعلام ٤/١٣ ومقدمة حاشية ابن عابدين ١/٣٨) .

(٣) انظر « حلبي صغير » مختصر غنية المتملي ص٢١٦ .

(٤) قوله : « بأن يقف على الميم » سقط من « أ » .

(٥) قوله : « والابتداء في غير موضعه » سقط من « أ » .

ذلك فساد الصلاة أيضاً لعموم البلوىٰ بانقطاع النفَس وحصول النسيان وعدم معرفة المعنىٰ في حق العوام ، وانتفاء القصد المذموم بالنسبة إلى الخواص عند عامة علمائنا ، وعند بعض العلماء تفسد إن تغير المعنىٰ تغيراً فاحشاً نحو أن يقرأ : ﴿لا إله﴾ ووقف وابتدأ بقوله : ﴿إلا الله﴾ وهذا مثال الوقف ، أو قرأ : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ ووقف وابتدأ بقوله : ﴿ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ ﴾ [النساء : ١٣١] أو قرأ : ﴿ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ ﴾ وابتدأ بقوله : ﴿ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾ [الممتحنة : ١] وأمثال ذلك مما تقدم فالصحيح عدم الفساد في ذلك)[١] والله أعلم .

ثم قال : (ولو وصل حرفاً من آخر كلمةٍ بكلمةٍ أخرىٰ بأن قرأ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ بوصل كاف « إياك » بالنون ، أو قرأ ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾[٢] وما أشبه ذلك فإن صلاته لا تفسد على قول العامة من العلماء)[٣] .

قال قاضيخان : (وإن تعمد ذلك)[٤] ، وفي « شرح التهذيب » : (هو الصحيح ؛ لأن من ضرورة وصل الكلمة بالكلمة اتصال آخر الأولىٰ بأول الثانية) .

قال في « فتاوى الحجة » : (المصلي إذا وصل في الفاتحة ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ لا ينبغي أن يقف على « إياك » ثم يقول « نعبد » ، بل الأَولىٰ والأصح أن يصل ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾) .

قال صاحب « المنية » : (وعلىٰ قول بعض المشايخ تفسد صلاته)[٥]

---

(١) انظر « حلبي صغير » مختصر غنية المتملي ص٤٧ .
(٢) فتصبح الأولى : « إيّا كنعبد وإيّا كنستعين » وتصبح الثانية : « إنا أعطينا كالكوثر » .
(٣) المرجع السابق ص٤٨ .
(٤) انظر « فتاوى قضيخان » ١/ ١٤١ .
(٥) « منية المصلي » للكاشغري ص٤٧ .

والظاهر أن مراد هذا القائل إنما هو عند السكت علىٰ « إيا » ونحوها ، وإلا فلا ينبغي لعاقلٍ أن يتوهم فيه الفساد فضلاً عن العالم .

هذا وبعض المشايخ فصَّلوا وقالوا : إن علم القارىء أن القرآن كيف هو ، أي علم أن الكاف من الكلمة الأولىٰ لا من الثانية إلا أنه جرىٰ على لسانه هذا الوصل لا تفسد صلاته ، وإن كان في اعتقاده أن القرآن كذلك ، أي أن الكاف مثلاً من الكلمة الثانية تفسد صلاته ؛ لأن ما قرأ ليس بقرآن نظراً إلىٰ ما أراده .

والصحيح قول العامة ؛ لأن هذه كلها تكلفات باردة ، وإذا اتسق اللفظ فلا عبرة بالإرادة .

أقول : وما اشتهر على لسان بعض الجهلة من القراء : في سورة الفاتحة للشيطان كذا من الأسماء في مثل هذه التراكيب[1] من البناء فخطأ فاحش وإطلاق قبيح ، ثم سكتهم على نحو دال « الحمد » وكاف « إياك » وأمثالها غلط صريح .

[الفرق بين الوقف والسكت] :

ثم اعلم أن الوقف هو قطع الصوت عند آخر الكلمة مقدار زمن التنفس .

والسكت قطع الصوت زماناً أقصر من زمن التنفس .

[أقسام الوقف] :

ثم الوقف **اختياري** : وهو أن يُقْصَد لذاته من غير عروض سبب في جهاته .

واضطراري : وهو ما يعرض بسبب حصر وعجز ونسيان لما بعده من كلماته .

واختباري : وهو ما يمتحنه الأستاذ بقوله : كيف تقف على هذا اللفظ بعينه ؟ لعلم مهارته في وجوه قراءته .

---

(١) في « ب » : هذا التركيب .

وانتظاري : وهو أن يقف على كلمة ليعطف عليها غيرها حين جمعه لاختلاف رواياته .

ثم اعلم أن الوقف قد يكون كافياً علىٰ إعرابٍ وتفسير ، وغير كافٍ على آخر نحو قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٧] فإنه كاف على أن ما بعده مستأنف ، وهو قول ابن عباس وعائشة وابن مسعود وغيرهم رضي الله عنهم ومذهب أبي حنيفة وأكثر أهل العلم وذهب إليه الفراء والأخفش وأبو حاتم[١] وغيرهم .

قال عروة[٢] : (والراسخون في العلم لا يعلمون التأويل ولكن يقولون آمنا به) .

وعند غيرهم الوقف كاف علىٰ ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ﴾ فإنه عندهم معطوف عليه ، وهو رواية عن ابن عباس ، واختاره ابن الحاجب ومن تبعه ، **والمعتمد هو الأول** وعند أرباب الوقف هو المعول ، ولذا رمزوا فوق لفظ الجلالة حرف الميم بالحمرة للإيماء إلى أن الوصل موهم لمعنىً فيه خلل من حيث الاعتقاد .

وأما جَعْلُ المصري الوقف على الجلالة تاماً فغير تام ؛ لأن ما بعده له تعلق معنوي بما قبله بل عند المحققين من أرباب التفسير إثبات تعلق المعنىٰ في جميع الآيات ولو ما بين القصص وبين السور من سائر الكلمات .

والحاصل أن الناظم جعل الوقوف على ثلاث مراتب تبعاً لأبي عمرو الداني ، وأما السجاوندي[٣] وكذا من تبعه لم يفرق بين التام والكافي لكنه

---

(١) هو سهل بن محمد بن عثمان الجشمي السجستاني ، كان من كبار العلماء باللغة والشعر ، من أهل البصرة ، وكان المبرد يلازم القراءة عليه ، له كتب كثيرة ، منها « المعمرين » و« ما تلحن فيه العامة » و« المختصر » في النحو على مذهب الأخفش ، توفي سنة ٢٤٨ . اهـ « الأعلام » ٣/ ١٤٣ .

(٢) هو عروة بن الزبير بن العوام ، كان من العباد عالماً بالتفسير والقراءة ، كان يختم كل أربع ليال ختمة ويصوم الدهر ، توفي سنة ٩٥هـ (غاية النهاية ١٠/ ٥١١) والعبارة المنقولة عنه في تفسير الطبري ٣/ ١٨٣ .

(٣) تنظر رموزه ومدلولاتها في كتابه : «الوقف والابتداء» ص١٠٥ـ١١٧ .

جعلهما على مراتب من وقفٍ مطلق ورمزه الطاء حيث لم يجوز فيه الوصل ، ومن وقفٍ جائز وَصْلُهُ والأَولىٰ وقفه ورمزه الجيم ، ومن وقف يجوز وصله ووقفه أولىٰ ورمزه الزاي ، وجعل لطول الكلام وقفاً سماه مرخصاً ورمزه الصاد ، وجعل بعض أنواع المطلق وقفاً لازماً ورمزه الميم وذلك لما كان في وصله حصول خلل في المعنىٰ نحو قوله تعالىٰ : ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [البقرة :] فإن حال الوصل قد يتوهم أن قوله « يخادعون » قيد للنفي لكونه وصفاً أو حالاً ، والصواب أنه استئناف .

ونحو قوله سبحانه : ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾ [يونس : ٦٥] و﴿. . . إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ [يس : ٧٦] فإن وصله موهمٌ أن القول هو ما بعده وليس كذلك ، بل القول مقدر ، أي فينا أو فيك أو في كتابنا .

ثم الجملة استئنافية معللة لنفي الحزن وتسلية له ﷺ وتهديد لهم .

وقد يكون الاختلاف باختلاف القراءة ، فنحو قوله تعالىٰ : ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة : ٢٨٤] وقف كافٍ على قراءة من رفع ﴿فيغفر﴾ و﴿يعذب﴾ ، وَوَقفٌ حسن لمن يجزمهما(١) ، لكن لا يستحسن الوقف عليه لعدم حسن الابتداء بما بعده ، وقس على هذا ما وقع في القرآن مثله .

وقد جاءني سؤال عن بعض فضلاء اليمن في الفرق بين قوله تعالىٰ : ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف : ٦٥] وبين قوله سبحانه : ﴿۞وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [هود : ٦١] حيث جعل رمز الوقف على الأول مطلقاً وعلى الثاني لازماً مع أنَّ ما بعدهما ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ بلا تفاوت في الموضعين .

فقلت : لأن الأول علم جامد لا يصلح أن يكون ما بعده وهو قوله : ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ وصفاً له بخلاف الثاني فإنه علم مشتق

(١) قرأ بالرفع عاصم وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب ، والباقون بالجزم .

وقع في صورة النكرة فقد يتوهم أن ما بعده نعت له .

ومن تحقيق أرباب هذا الفن وتدقيق نظرهم في التعبير أن السجاوندي جعل رمز الوقف على قوله تعالىٰ حكايةً عن موسىٰ عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ﴾ [الشعراء : ٢٤] مطلقاً ، وعلى قوله سبحانه وتعالىٰ في الدخان : ﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ﴾ [الدخان : ٧] لازماً مع اتحاد ما بعدهما بقوله تعالىٰ : ﴿ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾[1] وقد جاء صاحب « الخلاصة » وجعل رمزهما مطلقاً من غير فرقٍ بينهما بل اعترض على من مَيَّز باختلاف رمزهما .

وأقول : الصواب هو الأول ؛ لأن الوصل في الآية الأولىٰ ليس بموهم لخلل في المعنىٰ ، بخلاف الآية الثانية ؛ لأن ما قبلها فيه خطاب للنبي ﷺ حيث قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ فلو وصل لربما يتوهم أن الخطاب في ﴿كنتم﴾ له ﷺ على طريق التعظيم ، أو له ولأمته على جهة التغليب ، وقد عرضت هذه الدقيقة على مشايخي في الحرمين الشريفين أعني شيخ القراء بالمدينة السكينَة مولانا المغفور له أبي الحرم المدني ، وشيخ القراء بمكة الأمينة أستاذنا المبرور سراج الدين عمر الشواقي[2] اليمني ، فاستحسنا ما ذكرته غاية التحسين لما تبين الفرق لهما على وجه التبيين .

وقد اعتنىٰ بعضهم برسالة مختصة في الوقف اللازم والعوام يحسبونه أنه واجب ووصله حرام ويغفلون أنه مقيد بما ذكره الناظم من سببِ قصدٍ لمخالفة المرام .

وقد صُنف كتبٌ في الوقوف القرآنية بعضها مُدَلَّلٌ ببيان إعراب المباني وإغراب[3] المعاني والمصاحف المصححة المقروءة على قراء العجم مرموزة في مشتبهات[4] المثاني .

---

(١) « الوقف والابتداء » للسجاوندي ص٣٠٩ و٣٩٤ .

(٢) في « د » : « الشوافي » .

(٣) في « ج » و« د » : وإعراب .

(٤) في « أ » : مشبِّهات .

فإن قلتَ : ما وجه أرباب الوقوف أنهم كتبوا « لا » في بعض المواضع ولم يستغنوا[(١)] بعدم كتابة الرمز الدالِّ على نفي الوقف في أكثرها ؟

قلت : لأن تلك المواضع كانت مظنة أنها محل وقف وانقطاع لها عما بعدها فنبهوا على خلاف ما يتوهم من ظواهرها .

هذا وقد وقع اختلاف بين الكوفي والبصري في بعض رؤوس الآي فجُعِلَ رمز آية الكوفي « لب » ، وعلامةُ خَمْسِهم الهاء ، وعشرهم رأس العين أو حرف الياء ، ورمزُ آية البصري « تب » ، وخَمسهم « خب » ، وعشرهم « عب » ، فقوله ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾ في الفاتحة آية للكوفي ، و﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ آية للبصري ، مع الإجماع على أن سورة الفاتحة سبع آيات ، وأما البسملة من سائر السور فليست بآية اتفاقاً ، وكذا ﴿الم﴾ البقرة آية عند الكوفي خلافاً للبصري ، وتفصيل ذلك يطول ويصير للملول ، والعاقل يكفيه الإشارة .

ثم اعلم أنه قد يقع الوقف كافياً علىٰ إعراب وحسناً على آخر نحو قوله تعالىٰ : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ٢] فإنه إن جعلت[(٢)] الموصول بعده نعتاً له فالوقف حسن ، وإن جعلته مرفوعاً أو منصوباً على القطع أو مبتدأ فوقفه كاف .

وبمراعاة هذه الملاحظات في إعراب الآيات وسائر الكلمات يحصل الفهم والدراية ويتضح منهاج الهداية ومعراج الرواية فتلتذُّ به التلاوة على وجه الغاية والنهاية ، وأما إذا لم يلاحظ الإعراب والمعنىٰ فقد يقع الواقف في خطأ المبنىٰ كما إذا وقف على قوله تعالىٰ : ﴿ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ ﴾ [النساء : ١١] وكذا الوقف علىٰ ﴿ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [النساء : ٤٣] وكذا علىٰ ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾ [الماعون : ٤] وإن كان رأس آية ، ولا يقاس هذا على[(٣)] نحو :

---

(١) في « ب » : يكتفوا .

(٢) في « ب » : وإن جعلت .

(٣) في « ب » : ولا يقاس على هذا .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ لما بينهما من الفرق الجلي المعنوي .

وأما قول المصري : (الوقف على ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة : ٧] قبيح ، والابتداء بـ« الله » أقبح) فليس بصحيح ؛ لأن الوقف على ﴿ختم الله﴾ حسن ، إلا أنه يبدأ بما قبله ، والابتداء بـ« ختم » أحسن من الابتداء بالجلالة[(١)] .

ثم قوله : (وقد يكون الوقف قبيحاً والابتداء به جيداً نحو قوله تعالىٰ : ﴿ مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ هَـٰذَا﴾ فإن الوقف على « هذا » قبيح لفصله بين المبتدأ والخبر ولأنه يوهم أن الإشارة إلى « مرقدنا » وليس ذلك عند أئمة التفسير) . ففيه تنبيه حسن إلا أن الأقبح منه وصل « مرقدنا » ، فإن وقفه عند أرباب الوقوف لازم[(٢)] لما سبق ، وإن وصل « هذا » بما بعده لحصول توهم ما تقدم .

واختار حفص[(٣)] عن عاصم السكت على « مرقدنا » ، وهو وقفة لطيفة من غير تنفس لحصول هذا المعنىٰ ولدفع توهم ذلك المبنىٰ ، ولأن « هذا » وما بعده مع ما قبله داخلان في أجزاء مقولهم فلا يحسن القطع بالكلية بين مقولهم ، فتأمل فإنه موضع تحقيق ومحل تدقيق .

كما اختار السكت أيضاً على قوله في سورة الكهف ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ [الكهف : ١] ، وغيرُه جعل وقفه مطلقاً مع أنه من رؤوس الآي ، ويتبين لك وجه

---

(١) ليست كل عبارة المصري غير صحيحة ، فالوقف على ﴿ختم الله﴾ يمكن أن يعد حسناً كما هو الوقف في ﴿الحمد لله﴾ ، ويمكن أن يعد قبيحاً لعدم تمام المعنى ، أما الابتداء بلفظ الجلالة في هذه الآية فهو ابتداء ظاهر القبح .

(٢) أو تام .

(٣) هو حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي بالولاء ، أبو عمر ، ويعرف بحفيص ، قارىء أهل الكوفة ، نزل بغداد وجاور بمكة ، وكان أعلم أصحاب عاصم بقراءته ، وهو ابن امرأته (ربيبه) ، ومن طريقه قراءة أهل المشرق ومعظم الناس حالياً ، توفي سنة ١٩٠هـ . « غاية النهاية » ١/ ٢٥٤ .

سكته وسبب العدول عن وقفه مما حكاه بعضهم[1] من أنه سمع شيخاً يعرب لتلامذته « قيماً » من قوله تعالىٰ : ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا﴾ صفة لـ« عوجاً » ، فقلت : يا هذا! كيف يكون العوج قيماً ؟! وترحمتُ علىٰ من وقف من القراء على ألف التنوين في « عوجاً » وقفةً لطيفةً دفعاً لهذا الوهم ، وإنما « قيماً » حال إما من اسم محذوف هو وعامله ، أي أنزله قيماً ، وإما من « الكتاب » وجملة النفي معطوفة على الأول ومعترضة على الثاني على ما ذكره « المغني »[2] .

[بَابُ المَقْطُوعِ وَالمَوْصُولِ]

[٧٩] (**واعْرِفْ لِمَقْطُوعٍ ومَوْصُولٍ وَتَا**) أي كن عارفاً بها وعالماً بمواضع اختلافها ، وقُدِّمَ المقطوعُ لأنه الأصل الموضوعُ (**في مُصْحَفِ الإمَامِ فِيمَا قَدْ أَتَىٰ**) والمراد بالتاء تاء التأنيث التي كتبت بالتاء المجرورة وحقها على القياس أن تكتب بالتاء المربوطة ، فالجمهور يقفون عليها بالتاء متابعةً للرسم العثماني ، وبعضهم يقفون بالهاء كما فصله الشاطبي بناءً على قواعد كتابة العربية ، فخرج بما قررنا نحو : ﴿قالت﴾ و﴿المؤمنات﴾ فإنه لا خلاف فيهما رسماً ووقفاً عند جميع القراء .

[تعريفُ المُصْحَفِ الإمامِ] :

والمراد بمصحف الإمام هو مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي اتخذه لنفسه يقرأ فيه كما قاله[3] الشيخ زكريا [٩٥] ، وليس هو بخطه كما توهمه[4] بعضهم علىٰ ما ذكره الشيخ خالد [٩٨] ، ولعله أراد

---

(١) في « أ » ، « ب » : بعضه .

(٢) « مغني اللبيب عن كتب الأعاريب » للعلامة ابن هشام ٥٨٩/٢ ، وقد تقدم التعريف به موسعاً في أول الكتاب .

(٣) في « ب » : قال .

(٤) في « ج » : توهم .

الشارح[1] اليمني حيث قال : (والمراد بمصحف الإمام في البيت ما كتبه أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه لنفسه على الخصوص)اهـ .

وهو وهمٌ ؛ إذ هو أمر زيد بن ثابت كاتب الوحي وغيره بأن يكتبوا المصاحف المتعددة وأرسلها إلىٰ مواضع مختلفة واختار واحداً منها لنفسه ولأهل المدينة وما بقي منها شيء .

والأظهر أن المراد بمصحف الإمام جنسه الشامل لما اتخذه لنفسه في المدينة ولما أرسله إلىٰ مكة والشام والكوفة والبصرة وغيرها .

ولام « لمقطوع » زيدَ لتأكيد التعدية والتقوية ، وقُصِرَ « تا » كوقف حمزة ، وهو مجرور للعطف على مثله فيما قبله ، وقد أبعد الشيخ زكريا حيث قطعه عما قبله وقال [٩٥] : (واعرف تاء التأنيث. . .)الخ ، وكذا قول المصري : (إنه يحتمل أن يكون بمعنىٰ « على » والتقدير : اعرف الوقف على المقطوع والموصول) ليس في محله ؛ لأن المراد هٰهنا معرفة المقطوع والموصول رسماً ، وإنما يترتب عليه علم[2] الوقف والوصل فرعاً .

وأما قول ابن المصنف [٤٢] وتابعه الرومي [٧١] : (إنها[3] بمعنىٰ « في » كقوله تعالىٰ : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾) [الأنبياء : ٤٧] فليس في محله ، ولذا قال المصري : (ولا معنىٰ لقول القائل : واعرف في مقطوع) لكني أقول : يمكن أن يقال : التقدير واعرف المرسوم في مقطوع وموصول وتاءٍ كائنة في مصحف الإمام فيما قد وصل رسمه إلينا من طريق علمائنا الأعلام .

والحاصل أنه لا عبرة بكتابة مصحف العوام .

ثم اعلم أن الناظم أتىٰ بجملة من المرسوم ، وهو كثير[4] صُنف فيه كتاب

---

(١) في « أ » : الشيخ اليمني .
(٢) في « ب » : يترتب عليه الوقف .
(٣) الضمير في « إنها » يرجع إلى اللام في « لمقطوع » .
(٤) في « ب » : ثم اعلم أن ما ذكره الناظم من جملة المرسوم هو كثير .

« المقنع »[1] لأبي عمرو الداني ، ونظمه الشاطبي في « الرائية » وهي مشروحة مبسطة ، وإنما اختار هذه المواضع المذكورة لما يترتب عليها[2] من المنافع المسطورة ، أما في المقطوع فإنه يجوز الوقف على الكلمة الأولىٰ وكذا الابتداء بالثانية ، بخلاف الموصول فإنه لا يجوز فيه كلاهما ، وأما تاء التأنيث فلما تقدم ، والله أعلم .

ومما يجب التنبيه عليه أنه سئل مالك رحمه الله : هل تكتب[3] المصاحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ؟ فقال : لا ، إلا على الكتابة الأولىٰ .

وقال أبو عمرو الداني : (ولا مخالف في ذلك من علماء الأمة)[4] ، وهذا معنىٰ قول الشاطبي في « الرائية » :

وقـالَ مَـالِـكٌ القُـرآنُ يكتَـبُ بِـالـ ـكتابِ الأَولِ لا مُسْتَحْدِثاً سُطِرَا[5]

[بحث « أن لا »] :

[٨٠] (**فَاقْطَعْ بِعَشرِ كَلِمَاتٍ « أَن لاَّ »**) ضبط بتنوين « كلمات » وإضافتها ، والثاني يحتاج إلىٰ تقدير ، أي اقطع « أن » في عشرِ كلماتِ « أن لاَّ » .

والأول أسلس في المبنىٰ وأحسن في المعنىٰ ؛ فإن « أن لا » مفعول « اقطع » أو خبر مبتدإٍ محذوف ، تقديره : هي « أن لا » حال كونها مقارنةً (**مَعْ مَلْجأً وَلاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ**) فالأول قوله تعالىٰ في التوبة : ﴿أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [١١٨] والثاني قوله في هود : ﴿وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [١٤] ، وفتح « ملجأً » على الحكاية ، ويجوز جره منوناً على الإعراب أو للضرورة .

---

(١) « المقنع في رسم مصاحف الأمصار » للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ، جمع فيه جملة المرسوم في المصاحف الأربعة المعتمدة من المكي والبصري والكوفي والمدني ، وبين فيه المقطوع والموصول وغيره .

(٢) في « ب » : عليه .

(٣) في « ب » : هل نكتب .

(٤) المقنع للداني ص١٠ .

(٥) « عقلية أتراب القصائد » للإمام الشاطبي ، بيت رقم ٣٨ .

وفي نسخة : « ملجأً أَنْ لاَّ إِلَـٰهَ إلاَّ » ، وهي أولىٰ كما لا يخفىٰ .

قال ابن المصنف [٤٢] : (اتفقت المصاحف العثمانية على قطع نون « أن » الناصبة للفعل ، و« أن » الناصبة للاسم[1] عن « لا » النافية في عشرة مواضع) . وتبعه الشيخ زكريا [٩٥] والرومي [٧٢] أيضاً ، والظاهر أن يقال : نون المفتوحة المخففة[2] عن « لا » النافية الداخلة على الاسم كما تقدم ، والناصبة الداخلة على الفعل كما في قوله :

[٨١] (**وَتَعْبُدُوا يَاسِينَ ثَانِيْ هُوْدَ لاَ**) أي ﴿ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَـٰنَۖ ﴾ [٦٠] الواقعة في سورة ياسين .

ونصب « ياسين » على الظرفية ، وكان حقه أن يقول : وثانيَ هود ـ بالنصب ـ فحذف العاطف وسكن الياء ضرورة ، والمراد به قوله تعالىٰ : ﴿ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ ﴾ [٢٦] ، واحترز بثانيها عن أولها[٢] فإنه موصول بلا خلاف .

ثم قوله « لا » مُتَعَلَّقُهُ بقوله : (**يُشْرِكْنَ تُشرِكْ يَدْخُلَنْ تَعْلُوا عَلَىٰ**) أي ﴿ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا ﴾ في الممتحنة[١٢] ، و﴿ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا ﴾ في الحج[٢٦] ، و﴿ أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ ﴾ في نٓ [٢٤] ، وخفف نون « يدخُلَنْ » وقطعت عما بعدها من ضميرها المتصل بها رسماً لضرورة الوزن ، و﴿ وَأَن لَّا تَعۡلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ ﴾ في الدخان [١٩] ، وبقيد « علىٰ » بالألف احترز مما في سورة النمل ﴿ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ ﴾ [٣١] بتشديد الياء .

[٨٢] (**أن لا يَقُولُوا لاَ أَقُولَ**) أي ﴿ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ ﴾ في الأعراف [١٦٩] علىٰ خلافٍ في الخطاب والغيبة[3] ، و﴿ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ﴾ [١٠٥]

---

(١) في « ب » وشرح ابن المصنف المطبوع : والناصبة للاسم . . . .

(٢) في « ب » : نون « أن » المخففة المفتوحة .

(٣) قوله : « على خلاف في الخطاب والغيبة » غير مثبت في « د » . والقراء العشرة متفقون على القراءة بصيغة الغيبة ، ولعل حذفها تصرف من الطابع حيث أجمعت النسخ المخطوطة الثلاث على إثباتها . =

فيها أيضاً في أول السورة[1] ، وأُخِّرَ للضرورة .

و« لا أقول » عطف على « لا يقولوا » بحذف العاطف ، لا أنَّ « أنْ » حذف للضرورة كما توهم المصري .

وقال الرومي [٧٢] : (قوله : « أن لا يقولوا » عطفٌ على ما سبق ، وكرر « أن لا » هٰهنا لطول العهد ، وقوله : « لا أقولَ » عطفٌ علىٰ « أن لا يقولوا » بحسب المعنىٰ فتقديره : أن لا أقول ، وإنما ذَكَرَ « لا » وحذف « أن » للوزن ، لكن يجعلُ « لا أقول » منصوباً ليدل علىٰ تقدير « أن ») .

ولا يخفىٰ أن لا معنىٰ لطول العهد أصلاً في ذكر « أن لا » فإنه على أصله وصلاً وفصلاً ، والصواب ما قدمناه من أنَّ « لا أقولَ » عطف علىٰ « لا يقولوا » كما هو صحيح المبنىٰ فلا يحتاج عطفه على « أن لا يقولوا » بحسب المعنىٰ ، وبهذا تمت العشرة .

والمفهوم من إفادة الحصر أن كلما جاء « أن لا » من غيرها تكون موصولة اتفاقاً نحو : ﴿أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ [طه : ٨٩] و﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝٣٨﴾ [النجم : ٣٨] إلا في سورة الأنبياء من قوله : ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ [٨٧] فإنهم اختلفوا في قطعها ووصلها ، ويمكن إدراجها تحت عموم قوله سابقاً : « ولا إلٰه إلا » ، أو يقال : لعل مختار الشيخ أنه موصول .

وقد ذهب الشيخ زكريا إلى ظاهر كلام المصنف حيث قال [٩٦] : (وما عدا العشرة موصول) .

نعم قال اللبيب : (والوصل أشهر) ، فالقطع هو الأولىٰ لأنه الأصل من انفصال إحدى الكلمتين عن الأخرىٰ ، ووجه الوصل هو التقوية وقصد الامتزاج وتنزيله منزلة المحذوف لأن النون لما أُدغمت بلا غنة فكأنها ذهبت بالكلية لفظاً فسقطت رسماً ، فيجري عليها حكم نون ﴿جُنَّة﴾ المدغمة من أنها لم ترسم

---

(١) في « ب » : في الأعراف أيضاً .

فإنها لكمال اتصالها عدت كلمة واحدة واعتبرت تلك الحالة .

ثم المراد بالوصل وصلٌ اعتباري وهو أن يوجد هناك حذف حرف لا وصل صوري ؛ لاستحالة اتصال الهمزة بالنون في الكتابة ، ثم قال :

[بحث « إنْ مَا » و« عنْ مَا »] :

(**« إنْ مَا » ☆ بالرَّعدِ والمفتوحَ صِلْ و« عَنْ مَا »**) أي وكذا اتفقوا أيضاً على قطع « إن » الشرطية عن « ما » المؤكدة في قوله تعالىٰ : ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ بالرعد [٤٠] ، واتفقوا على وصل ميم « أم » بـ« ما » الاسمية حيث جاءت نحو : ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ﴾ بالأنعام[١٤٣] ، و﴿أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٥٩] و﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [٨٤] كلاهما بالنمل ، لكن عبارة الناظم قاصرة عن ذلك لعدم تقدم « أم » هنالك .

وأما قول ابن المصنف [٤٢] في هذه الأمثلة : (إنهم اتفقوا على وصل « أن » المفتوحة بـ« ما » الاسمية) فموهمٌ لذكرهم هذه الأمثلة في مقابل « إن » المكسورة مع « ما » ، والتحقيق ما قدمناه ، ثم احترز بقيد « الرعد » المفيد للحصر من غير ما جاء في سائر السور من قوله تعالىٰ : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ في البقرة [٣٨] ، ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ﴾ بالأنفال [٥٨] ، ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾ بمريم [٢٦] ، ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ بيونس [٤٦] وغافر[١] [٧٧] ، فقوله « والمفتوحَ صل » أراد به « أمَّا » المفتوح الهمز ولو كان أصله « أمْ مَا » لا « أنْ مَا » ، وإنما ذكره بعده استطراداً ولِمَا بينهما من نسبة اللفظ اشتباهاً .

ذكر المصري أنه قال في « المقنع » [٧٦] : (وقوله : ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ﴾ هي في المصحف حرف واحد ومعناها أم الذي) .

قلت[٢] : (وأطلق الناظم الحكم فيه ولم يقيده بموضع وهو الصواب ؛

---

(١) موضع غافر (فإما) بالفاء .

(٢) هو كلام الشارح المصري يدلي فيه برأيه بعد ذكره لما في كتاب « المقنع » .

لاتفاق المصاحف عليه ، وأفهم كلام « المقنع » تقييده بـ﴿أما اشتملت﴾ وليس كذلك) .

أقول[1] : التخطئة خطأ فاحش على إمام الكل في هذا الفن ، وإنما نشأ هذا من قصور فهم القائل لأن قوله : ﴿أما اشتملت﴾ أول ما وقع في القرآن ، وقد بينه بتعليله الشامل له ولغيره حيث قال : « معناه أم شيء »[2] فـ« كلُّ الصَّيد في جوف الفرا »[3] فافهم بلا امترا .

واتفقت المصاحف أيضاً على قطع « عن » عن « ما » الموصولة في قوله تعالىٰ : ﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ﴾ في الأعراف [١٦٦] ، وإليه أشار بقوله :

[٨٣] (**نُهُوا اقْطَعُوا « مِنْ مَلكت » رُوْمُ النِّسَا**) ففي غير الأعراف تكون موصولة كما في قوله تعالىٰ : ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة : ٧٤] و﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ [المائدة : ٧٣] و﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل : ١] و﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [النبأ : ١] و﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ [المؤمنون : ٤٠] .

هذا وقد ضبط « روم » بالرفع والنصب وهو الأولىٰ ليكون نصبه على نزع الخافض ، ويؤيده ما في نسخة صحيحة وهي أصل الشيخ زكريا[٩٧] : « نُهُوا اقطعوا مما برومٍ والنسا » .

[بحث « مِنْ مَا »]:

والمعنىٰ أن المصاحف اتفقت على قطع « من » الجارة عن « ما » الموصولة نحو : ﴿مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ﴾ بالروم [٢٨] ، ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ﴾ بالنساء [٢٥] ، وقُدِّم الروم لأجل الوزن ، والخطاب في

---

(١) كلام المؤلف علي القاري .

(٢) لم أجد هذا القول عند الداني بعد البحث .

(٣) تقدم شرحه ونسبته .

« اقطعوا » للقراء ولكتَبَةِ[1] المصاحف ، ومفعوله « عن ما نهوا » وما بعده معطوف على ما قبله بحذف العاطف .

(خَلْفُ المُنَافِقِينَ « أَمْ مَنْ » أَسَّسَا) بألفِ الإطلاق معروفاً ومجهولاً كما قرىء بهما في السبعة[2] ، والأكثر على الأول .

أقول : « خُلْفُ » ضُبِطَ بالرفع ، أي خلفُ ما في المنافقين ثبت كما ذكره الشيخ زكريا [٩٧] ، وبالنصب على أنه ظرف لـ« اقطعوا » بتقدير مضاف ، أي مع خلف المنافقين .

والمعنىٰ : اختلفت المصاحف في قطع ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم ﴾ في المنافقين [١٠] ، بخلافِ ما عدا هذه الثلاثة فإنه موصول اتفاقاً نحو : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة : ٣] و﴿ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ [البقرة : ٢٣] ، وأما قوله : ﴿ مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ﴾ [النور : ٣٣] و﴿ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ [السجدة : ٨] وشبهه فمقطوع ، ولعله قيده بقوله « ملكت »[3] لهذا .

وكذا لا خلاف في نحو : ﴿ مِمَّن مَّنَعَ ﴾ [البقرة : ١١٤] و﴿ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ ﴾ [يونس : ١٧] ونحو ذلك في أنَّ « مِنْ » موصولة بـ« مَنْ » الموصولة .

[بحث « أَمْ مَنْ »] :

ثم قوله « أَمْ مَنْ أَسَّسَا » معطوف على مفعول « اقطعوا » بحذف العاطف ، والجملة بينهما معترضة .

---

(١) في « ب » : أو لكتبة .

(٢) قرأ نافع وابن عامر (أُسِّسَ) [التوبة : ١٠٩] في الموضعين بالبناء للمجهول و(بنيانُه) بالرفع ، وقرأ الباقون بالبناء للفاعل ونصب (بنيانَه) . « تحبير التيسير » ١٢١ .

(٣) أي في نسخة المؤلف التي هي بلفظ (. . . من ملكت رومُ النِّسَا * خُلفُ المنافقين. . .) حيث إن الناظم سرد المثالين بقوله : « من ملكت » أي الآيتين اللتين جاء بهما لفظ « ملك » مقروناً بتاء التأنيث ، وعطف عليه ما في المنافقين بذكر سورته أيضاً لأنه موضع ليس فيه لفظ « مَلَكَ » فاكتملت الثلاثة ، وفي نسخ أخرى للمقدمة : « من ما بروم والنسا » .

والمعنىٰ أنهم اتفقوا علىٰ قطع « أَمْ » عن « مَنْ » الاستفهامية في ﴿أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ﴾ في التوبة [١٠٩] ، و﴿أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ في فصلت [٤٠] ، و﴿ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ بالنساء [١٠٩] ، و﴿أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ﴾ في الذِّبح [١١] ـ بكسر الذال ـ وهو الصافات لقوله تعالىٰ فيها : ﴿ وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [١٠٧] كما قال :

[٨٤] (**فُصِّلَتِ النِّسَا وذبحٍ « حيثُ مَا »**) وقَصْرُ « النساء » ضرورةٌ ، وكذا حذف العاطف فيها ، وقد أغرب المصري حيث قال : (أبعد المصنف في الدِّلالة بقوله : « وذبحٍ » ، ولو قال : « فُصِّلت النِّسَا خلقنا حيثُ ما » لكان أقرب كعادته ولعدم نظيره)اهـ وغرابةُ تعبيره لا تخفىٰ(١) .

وأما قول الرومي [٧٤] : (إنَّ « النساء » عطف على « فصلت » بحسب المعنىٰ) فلا معنىٰ له ؛ إذ يصح من حيث المبنىٰ .

واتفقوا على وصل ما عدا الأربعة نحو : ﴿ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾ [يونس : ٣٥] و﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [النمل : ٦٠] و﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [النمل : ٦٢] فوجه الفصل كونه الأصل ، ووجه الوصل التقوية ، ووجه الخُلفِ(٢) الجمع .

[بحث « حيث ما »] :

ثم قوله : « حيث ما » معطوف المحل علىٰ مفعول « اقطعوا » ، والمعنىٰ أنهم اتفقوا على قطع « حيث » عن « ما » في موضعي البقرة ولم يأتِ غيرهما ، وهما قوله تعالىٰ : ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ﴾ [١٤٤] ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا﴾ [١٥٠] وقد دَلَّ إطلاق النظم على إرادة شمولهما

---

(١) اقتراح الشارح المصري باستعمال لفظ (خلقنا) المقارن لـ« أم من » في سورة الصافات ، بدلاً من لفظ (وذبح) الذي استخدمه الناظم جيّد ، وفيه موافقة لعادة الناظم في ذكر كلمة قريبة في الآية للكلمة المتحدث عنها ، ولا التباس فيه لعدم نظيره كما قال ، إلا أنه لم يعجب الشارح وعده غريباً .

(٢) أي الجمع بين الوصل والفصل .

وفاقاً للشاطبي في « الرائية »[1] ، وقد نَصَّ « المقنع » [٧٨] على موضعي البقرة .

[بحث « أن لم »] :

(وَ « أَن لَّم » المفتُوحَ كَسْرَ « إن مَّا ») بنصب « المفتوحَ » على أنه مفعول تقديره : واقطعوا « أَنْ لَمْ » المفتوح همزته وهو « أن » المصدرية عن « لم » الجازمة أينما وقعت لإطلاق حكمه نحو : ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ ﴾ في الأنعام [١٣١] ، ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ في البلد [٧] ، وقيد بالمفتوح احترازاً عن المكسور فإن بعضه مقطوع وبعضه موصول كما سيأتي[2] .

[بحث « أَنَّ ما » و« إنَّ ما »] :

و« كسرَ إنَّ ما » منصوب أيضاً على المفعولية ، أي اقطعوا « إنَّ » المكسورة عن « ما » الموصولة بالأنعام فقط نحو : ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ ﴾ [١٣٤] ، ولهذا قال :

[٨٥] (الأنْعَامَ والمفتوحَ يَدْعُونَ معا) إعلال « الأنعام » سبق في « الأضراس »[3] وهو منصوب على نزع الخافض ، و« المفتوحَ » منصوب .

أي اقطعوا « أنَّ ما » المفتوح[4] همزته من قوله تعالىٰ : ﴿ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ في الحج [٦٢] ، ﴿ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ [٣٠] في لقمان ، على خلافٍ في خطابهما وغيبتهما[5] ، وهذا معنىٰ قوله : « معاً » أي في الموضعين جميعاً ، وحذف تنوينه وقفاً .

---

(١) قال الإمام الشاطبي رحمه الله في « الرائية » : وحيث ما فاقطعوا . . . .
(٢) من قوله : « وقيد بالمفتوح . . . » إلى هنا سقط من « أ » .
(٣) يعني عند قول الناظم : « إذا وليا * الاضراسَ من أيسرَ أو يمناها » .
(٤) في « ب » : المفتوحة .
(٥) قرأ بتاء الخطاب نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة وأبو جعفر ، والباقون بياء الغيب .

(وَخُلْفُ الأَنْفَالِ) بالنقل (وَنَحْلٍ وَقَعَا) بألف الإطلاق نظراً إلى إفراد لفظ الخلف أو بألف التثنية نظراً إلىٰ وقوع الخلف في السورتين ، والتقدير : وخُلْفُ ما فيهما وقع في رسوم المصاحف ، وهو بمنزلة الاستثناء من مفهوم كلامه السابق لفاً ونشراً مشوشاً من « أنَّ » المكسور والمفتوح مع « ما »[1] .

والحاصل أنهم اختلفوا في وصل « إنَّ ما » المكسور وقطعه في قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ في النحل [٩٥] ، والوصل أثبت كما في « الرائية »[2] ، والباقي موصول اتفاقاً نحو : ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ﴾ [طه : ٦٩] [﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴾ [الذاريات : ٥]][3] ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴾ [المرسلات : ٧] ﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [النساء : ١٧١] ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ﴾ [الرعد : ٧] ﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [الكهف : ١١٠] وكذا اختلفوا في وصل « أنما » المفتوح وقطعه في قوله تعالى : ﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ ﴾ بالأنفال [٤١] ، والوصلُ أثبت كما في « الرائية »[4] ، واتفقوا على وصل ما عداه نحو : ﴿ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [الكهف : ١١٠] و﴿ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [ص : ٧٠] و﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [المائدة : ٩٢] .

ثم اعلم أنَّ في كلامه ما لا يخفىٰ من الإيهام والإبهام ، فإنه أوهَمَ أنَّ كلاً منهما مفتوحة ، وأبهم المكسورة مع أنَّ في النحل ثمانية مواضع غير هذه مكسورة .

قال بحرق : (وإنما تعينت لكونها اسمية وما عداها فعلية ﴿ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ

---

(١) في « أ » : من المكسورة والمفتوحة مع « ما » .

(٢) قال الشاطبي رحمه الله في « الرائية » [٢٥١] :

وإنَّ مـا عنـد حـرف النحـل جـاء كـذا . . . .

فأشار بقوله : «كذا» إلى السابق في البيت قبله : «والوصل أثبِتَ في الأنفال . . .» .

(٣) سقط من « ب » .

(٤) قال الإمام الشاطبي رحمه الله في « الرائية » [٢٥٠] :

. . . . والـوَصْـلُ أُثْبِـتَ فـي الأنفـال مختبـرا

ٱللَّهُ﴾ [النحل : ٩٢] ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ﴾ [النحل : ١٠٠] ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ﴾) [النحل : ٤٠] اهـ .

وخَطَؤُه مما لا يخفىٰ ؛ لأنَّ كلاً من المثالين الأخيرين اسمية ، ولا يفيده وقوع الجملة الفعلية بعدهما من قوله : ﴿إذا أردناه﴾ [النحل : ٤٠] ومن قوله : ﴿يتولونه﴾ [النحل : ١٠٠] إلا بتكلف لا يخلو من تعسف في الجملة ، نعم لو قال : وما عداها عرفية لكان تفرقة منه خفية .

[بحث « كُلِّ ما »] :

[٨٦] (وَ« **كُلِّ مَا** » **سَأَلْتُمُوهُ وَاخْتُلِفْ**) بكسر « كل » على الحكاية ، وإلا فهو منصوب على المفعولية ، أي اقطعوا لفظ « كل » عن « ما » في ﴿كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ في سورة إبراهيم [٣٤] .

واختلف أرباب الرسوم في غيره ، فوقع الاختلاف في كُلَّ ما (**رُدُّوا كَذَا قُلْ** « **بِئْسَمَا** » **والوَصْلَ صِفْ**) فـ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ﴾[1] بالنساء [٩١] مختلفٌ في فصله وقطعه ، وكذا وقع الاختلاف في ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ في الأعراف [٣٨] ، و﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً﴾ بالمؤمنين[2] [٤٤] ، و﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ﴾ بالملك [٨] كما نَصَّ أبو عمرو الداني في « المقنع » [٧٤] على الخلاف في هذه الثلاثة[3] .

ففي هذا قصورٌ من الناظم للكلام عن مقام المرام ، حتىٰ قال ابن المصنف [٤٤] : (وعبارة الناظم لا تفهم الخلاف في[4] هذه الثلاثة) .

وأما قول الرومي [٧٥] : (ولعله سكت عنها اكتفاءً بذكر واحد منها

---

(١) قوله : « إلىٰ الفتنة » سقط من « أ » .

(٢) في « أ » : بالموضعين ، وهو خطأ .

(٣) ذكر الداني في المقنع موضعي : النساء وإبراهيم ، وأشار إلى الخلاف في موضع النساء ، ثم ذكر باقي المواضع مجملة نقلاً عن مصحف عبد الله أنها بالقطع فالداني لم ينص على الخلاف في هذه الثلاثة ، ونص عليه الناظم في النشر (٢/ ١٤٩) .

(٤) في أ : « إلى » .

ولِاشتهار ما عداه عندهم[1]) . فعذر بارد ، وعن حضور الفهم شارد ، فنظمت فقلت :

وَجَــاءَ أُمــةً وأُلْقــي دَخَلَــتْ   فـي وَصْلِهَـا وَقَطْعِهَـا فـاختَلَفَتْ[2]

فما عدا الخمسة اتفقوا على وصله نحو : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ [البقرة : ٨٧] ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم﴾ [النساء : ٥٦] ﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ﴾ [المائدة : ٦٤] .

هذا ومن المعلوم **أنَّ خطَّين لا يقاسان : خَطُّ العروض وخَطُّ المصحف** ، وإنما يُتَّبعُ الرسم تعبداً وتبركاً واقتداءً بالصحابة الكرام كتابةً وقراءةً .

وقد نبَّه الزجاجي[3] على أنَّ « كلما » إن كانت ظرفاً كتبت موصولة ، أو شرطاً فمقطوعة ، فهي إن لم تحتمل الظرفية كقوله تعالىٰ : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ [إبراهيم : ٣٤] فمقطوعة ، أي قطعاً ، وإن احتملتها وعدمها كالمواضع المذكورة آنفاً ففيها خلاف ، وإن تعينت للظرفية فموصولة .

قلت : فكأنما أخذ هذه القاعدة المذكورة من ضمن رسوم « كلما » المسطورة ، وأما ما عداها نحو : ﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم﴾ [البقرة : ٢٠] فموصول .

[بحثُ « بئسَ مَا »] :

ثم قال : « كذا قل بئسما » أي ﴿ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ﴾ بالبقرة [٩٣] مختلفٌ أيضاً في وصله وقطعه ، ثم جزم بقوله : « والوصل صف » [٨٧] (**خَلَفْتُمُونِي واشْتَرَوا « في مَا » اقْطَعَا**) أي صف الوصل في ﴿ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ﴾ بالأعراف [١٥٠] ، و﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ بالبقرة [٩٠] اتفاقاً ،

---

(١) في « أ » : عنده .

(٢) المعمول به بالقطع في موضعي النساء والمؤمنون ، وبالوصل في موضعي الأعراف والملك .

(٣) هو عبد الرحمـٰن بن إسحاق النهاوندي الزجاجي ، شيخ العربية في عصره، ولد في « نهاوند » ونشأ في « بغداد » وسكن « دمشق » وتوفي في « طبرية » سنة ٣٣٧هـ ، له كتب ، منها : « الجمل الكبرى » و« الإيضاح في علل النحو » و« الأمالي » . « وفيات الأعيان » ١/ ٢٧٨ .

ومفهوم كلامه أنَّ ما عدا هذه الثلاثة مقطوع بلا خلاف وهو حيثما وقع « بئسما » مقروناً باللام ، وهي خمسة : ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ بالبقرة [١٠٢] ، ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [٦٢] ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ [٦٣] ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [٧٩] ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [٨٠] بالمائدة ، أو مقروناً بالفاء ، وهو موضعان : ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [١٨٧] في موضعي آل عمران[١] ، فالمجموع سبعة لا ستة كما توهم المصري .

[بحث « في ما »] :

ثم قوله : « في ما اقطعا » ابتداء كلام ، وأصله : اقطعن ، قلبت النون المخففة ألفاً حال الوقف لا ضرورة الوزن كما ذكره اليمني .

و« فيما » مفعول مقدم ، والمعنىٰ : اقطع « في » عن « ما » الموصولة في أحد عشر موضعاً كما بينه بقوله :

. . . . أُوْحِي أَفَضْتُمُ اشْتَهَتْ يَبْلُو مَعَا
[٨٨] ثَانِيْ فَعَلْنَ وقعت رُوْمٌ كِلاَ تَنْزِيْلَ شُعَرَا وَغَيْرِهَا صِلاَ

أي صِلَن ، أَمَر بالوصل مؤكداً بالنون المخففة المبدلة ألفاً حال الوقف ، أراد قوله تعالىٰ : ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾[٢] بالأنعام [١٤٥] ، و﴿فِي مَآ أَفَضْتُمْ﴾ بالنور [١٤] ، و﴿فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ﴾ بالأنبياء [١٠٢] ، و﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ بالمائدة [٤٨] ، و﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ آخر الأنعام [١٦٥] ، وإليهما أشار بقوله « معاً » ، و﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾ ثاني البقرة [٢٤٠] ، وإليه[٣] أشار بقوله[٤] : « ثاني فعلن » احترازاً من أوله وهو قوله : ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ ، و﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا

(١) في آل عمران موضع واحد فقط ، فتخطئة الشارح لغيره خطأ منه عفا الله عنه .
(٢) زاد في « ب » : على طاعم يطعمه .
(٣) في أ : وإليهما .
(٤) من قوله : « بقوله معاً . . . » إلى هنا سقط من « أ » .

لَا تَعْلَمُونَ ﴾ بالواقعة [٦١]، و﴿ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ بالروم [٢٨] ، و﴿ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [٣] و﴿ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [٤٦] كلاهما بالزمر ، وإليه أشار بقوله : « كلا تنزيل » ، وقوله : ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴾ بالشعراء [١٤٦] .

ثم الضمير في قوله : « وغيرها صلا » راجعٌ إلىٰ سورة الشعراء لكونها أقرب مذكور ولأنه المطابق لكتب الرسم والموافق لما صَرَّح به الشاطبي في قوله [٢٤٩] :

وفي سوى الشُّعَراءِ بالوَصْلِ بعضُهُمْ . . . .

وفي نسخة : « وغير ذي صلا » ، وفي أخرىٰ : « وغيره صِلا » بالتذكير فهو راجع إلىٰ لفظ « الشعراء » ، والمعنى : فما عدا الشعراء صله لاختلاف وقع فيه ، بخلاف الشعراء فإنه لا خلاف في قطعه ، وبخلاف ما عدا المذكورات ، فإنه لا خلاف في[1] وصله سواء كان « ما » خبرية أو استفهامية نحو : ﴿ فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ في أول البقرة [٢٣٤] كما فهم من قيد ثاني البقرة ، ونحو : ﴿ فِيمَ كُنتُمْ ﴾ [النساء : ٩٧] و﴿ فِيمَ أَنتَ ﴾ [النازعات : ٤٣] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [البقرة : ١١٣] فتحصل أن ما في سورة الشعراء هو الحرف المتفق على قطعه كما صَرَّح به ابن المصنف [٤٥] ، وسائر المذكورات قد اختلفوا في وصلها وقطعها ، وإنما حكم عليها بالقطع أولاً ثم جوَّز وصلها آخراً إشعاراً بأن القطع هو الأَولىٰ لأنه هو الأصل في رسم المبنىٰ ، فقول خالد الأزهري [١٠٣] : (وأما ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴾ في الشعراء [١٤٦] فهو من المختلف فيه فذكره مع المتفق عليه سهوٌ منه)[2] فخطأ فاحش صدر عنه حيث عكس القضية .

---

(١) من قوله : « قطعه وبخلاف . . . » إلى هنا سقط من « ب » .

(٢) وهذا الخطأ وقع عند الشيخ زكريا الأنصاري أيضاً كما في « الدقائق المحكمة » ص١٠١ .

وأما قول ابن المصنف [٤٥] : (أي وغير هذه الأحد عشر موضعاً صلهُ بلا خلاف) [٤٥] فيفهم منه أن المواضع الأحد عشر كلها ليس فيها خلاف ، وليس كذلك لما تقدم ولما صُرِّح أيضاً من أنَّ قطع « في » عن « ما » الموصولة في عشرة مواضعَ بخلاف ، وفي موضع بلا خلاف ، ولا يفهم من عبارة الناظم ؛ لأنهَ لم يذكره صريحاً ولا إشارةً . اهـ

فتبين لك أن ضمير « غيرها » إلىٰ جميع المذكورات خطأ ظاهر ، ويترتب عليه فسادٌ باهر ، وقد غفل عنه ابن المصنف أيضاً .

وأما قول الرومي [٧٦] : (وقد جزم الناظم في جميعها بالقطع ، والمشهور الاختلاف في العشرة الأولىٰ منها ، والجزمُ في الحادي عشر فقط اللهمَّ إلا أن يترجح عنده جانب القطع فيها أيضاً) فغلط منه ، وكأنه تبع خالداً في نقله وقلد ابن المصنف في مرجع ضمير « غيرها » .

وأما الشيخ زكريا فقد استراح في هذا المقام واكتفىٰ بتحصيل المرام حيث قال : (وهذه الأحد عشر فيها الخلاف إلا الأخير فمتفق على قطعه)[1] لكن غفل عن موضع حله إذ قال [١٠١] : (« وغير ذي » أي المواضع الأحد عشر) فتأمل[2] .

ثم قوله [١٠٢] : (« صلا » أي صلها) غير صحيح ؛ لأن مفعول صِلْ « غيرَها » .

وقد تبين لك اضطراب كلام الشيخ زكريا في هذا المحل ، وقد وقع في الوهل من جهة الحل ، ولهذا اعترض المصري عليه بقوله : (إنه أجرى

(١) لم أجد هذا الكلام عند الشيخ زكريا ، وإنما في النسخة المطبوعة ما يوافق كلام الأزهري السابق المذكور قبل قليل ، ولعل نسخة كتاب الشيخ زكريا التي معنا مختلفة عن التي مع المؤلف ملا علي القاري .

(٢) لعل الشيخ زكريا أراد المواضع الأحد عشر دون النظر إليها من حيث كونها حصل فيها الخلاف دون الأخير أم لا ، لسبق ذكر الخلاف فيها .

الخلاف في التي في الشعراء وجزم بالقطع في العشرة وهو مخالف لما في « المقنع » [٧٢]) اهـ[1] .

ولا يخفىٰ أنه ليس مخالفاً للمقنع لا باعتبار أول كلامه ولا بالنسبة إلىٰ آخر مرامه[2] ، فتأمل فإنه موضع زلل ، والله سبحانه هو الملهم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب .

[٨٩] « **فَأَيْنَمَا » كَالنَّحْلِ صِلْ وَمُخْتَلِفْ في الشُّعَرَا الأَحْزَابِ والنِّسَا وُصِفْ**

بصيغة المجهول ، أي صف الاختلاف في السور الثلاثة .

قال اليمني : (وفي بعض النسخ « اتُّصِفْ » والمعنىٰ واحد) .

أقول : وفيه أنَّ المبنىٰ مختلف ؛ لأن الفعل اللاَّزم لا يبنىٰ مجهولاً .

ثم قوله : « مختلف » اسم فاعل ، والتقدير : مختلف رسمه ، أو الرسم مختلف .

وقوله : «وُصِفْ» الجملة استئنافية ، وأغرب بَحْرق حيث قال : («ومختلف» حال ، أي وُصِفَ لنا مختلفاً) .

وقُصِرَ « الشعراء » و« النساء » ضرورةً ، وفي نسخة بدل الشعرا « الظُّلَّة » وهي أصلُ الشيخ زكريا لما جاء في السورة ﴿عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِۚ﴾ [١٨٩] .

[بحث « أين ما »] :

أي اتفقت المصاحف علىٰ وصل قوله تعالىٰ : ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾ بالبقرة [١١٥] ، وكذلك ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ بالنحل [٧٦] ، فالفاء في الآية الأولىٰ من نفسها .

---

(١) يتبين من هذا النقل وما قبله الاختلاف بين نسخ شرح زكريا الأنصاري في هذا الموضع .

(٢) إن كانت عبارة الشيخ زكريا هي (وهذه الأحد عشر فيها الخلاف إلا الأخير فمتفق على قطعه) فليست مخالفة لما في المقنع ، وليست موجودة في النسخة المطبوعة من الشرح ، وإن كانت موافقة لما قاله خالد الزهري وهي كذلك في النسخة المطبوعة ، فهي مخالفة لما في «المقنع» .

وقوله : « كالنحل » بالعطف على المعنىٰ أو على أصل المبنىٰ لئلا يلزم التشبيه من جميع الوجوه كما لا يخفىٰ .

ثم تصرف[1] الأولىٰ للبقرة لأنها في الإطلاق أول سورة ، وهي أول ما وقع فيها .

وقال اليمني : (وعُلِمَ كونه في سورة البقرة من الفاء في « أينما » لأن « أينما » بالفاء لم يقع في غيرها[2] ، والمعنىٰ صل بالبقرة كوصلك بالنحل) .

وأما قوله : ﴿ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ في الشعراء [٩٢] ، وقوله ﴿ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ ﴾ بالأحزاب [٦١] ، و﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ في النساء [٧٨] فأكثر المصاحف على قطع « أين » عن « ما » ، كذا ذكره الشراح ، والمفهوم من « الرائية » [٢٥٦] أنَّ وصل النساء قليل ، ويستوي الأمران في الأحزاب والشعراء[3] ، وأما ما بقي فمتفق على قطعه نحو قوله : ﴿ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ ﴾ [البقرة : ١٤٨] ، وقوله : ﴿ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٧] ـ وفي بعض نسخ ابن المصنف ﴿ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ [الشعراء : ٩٢] وهو وَهمٌ أو سبق قلم[4] ـ و﴿ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ [غافر : ٧٣] و﴿ أَيْنَ مَا كَانُواْ ﴾ [المجادلة : ٧] **فوجه القطع الأصل ، ووجه الوصل شبهة التركيب للجزم** ، وهو معنىٰ قول ابن قتيبة[5] لأنها أحدثت باتصالها معنًى لم يكن مع مناسبة النون الميم بخلاف « حيث » كما قال الجعبري[6] .

---

(١) في « أ » : يصرف .

(٢) في « أ » : لم يقع غيرها .

(٣) المعمول به هو الوصل في سورة النساء والأحزاب ، والقطع في سورة الشعراء « دليل الحيران » ٣٠٠ .

(٤) لما سبق بيانه قبل قليل أن موضع الشعراء مختلف فيه .

(٥) هو عبد الله بن مسلم الدينوري النحوي اللغوي الكاتب نزيل بغداد ، كان ثقة فاضلاً ديناً من مصنفاته : « إعراب القرآن ومعانيه ومشكله » ، توفي سنة ٢٦٧هـ ، « تاريخ بغداد » (١٠/ ١٧٠) و« طبقات المفسرين » للداووي (١/ ٢٥١) .

(٦) « كنز المعاني » ١٤٠/ ب .

[٩٠] (وَصِلْ « فَإِلَّمْ » هودَ « أَلَّنْ » نَجْعَلاَ) بألف الإطلاق ، وهو معطوف بالعاطف المقدر على « فإِلَّمْ هُودَ » وهو منصوب على الإضافة لكونها علم السورة ، أو على نزع الخافض واعتبار الظرفية .

[بَحْثُ « فإن لَّمْ »] :

والمعنىٰ أنَّ المصاحف اتفقت على وصل « إن » الشرطية بـ« لم » في قوله تعالىٰ : ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ ﴾ بهود [١٤] ، وعلى قطع ما عداه نحو : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ ﴾ [البقرة : ٢٤] ﴿ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ ﴾ [المائدة : ٧٤] ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ ﴾ [القصص : ٥٠] **فوجه القطع هو الأصل ، ووجه الوصل اتحاد عمل « إن » و« لم »** .

[بَحْثُ « أَن لَّنْ »] :

وكذلك اتفقوا على وصل « أن » المصدرية بـ« لن » الناصبة في موضعين :

قوله تعالىٰ : ﴿ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾ بالكهف [٤٨] ، و﴿ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾ بالقيامة [٣] ، وعلى قطع ما سواهما نحو : ﴿ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ ﴾ [الفتح : ١٢] و﴿ أَن لَّن نَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ ﴾ [الجن : ٥] و﴿ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾(١) [البلد : ٥] ، وأما قوله : ﴿ أَلَّن تُحْصُوهُ ﴾ [المزمل : ٢٠] فقال بعضهم موصول ، وقال آخرون مفصول على ما في « المقنع » [٧٦] ، ولعل الشيخ اختار الفصل الذي هو الأصل ، ولهذا لم يتعرض لبيان الخلاف فيه ، **فوجه القطع الأصل** مع التنبيه على أنَّ العمل للثاني ، **ووجه الوصل التقوية مع مجانسة الإدغام**(٢) ، وهذا معنىٰ قوله : (**نَجْمَعَ « كيلا » تَحزَنُوا تَأْسَوا عَلَىٰ**) فـ« نجمع » عطفٌ على «نجعلا» ، و« كيلا » عطفٌ على « فإلَّم »، و« تأسَوا » عطفٌ على « تحزنوا »، و« على » يتعلقُ بـ« تأسَوا » .

---

(١) في « ب » : ﴿ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ [الأنبياء : ٨٧] وكلاهما صحيح التمثيل به .
(٢) المعمول به في هذا الموضع القطع .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

[بحث « كيلا »] :

والمعنىٰ أنَّ المصاحف اتفقت على وصل « كي » بـ« لا » في أربعة مواضع :

﴿ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ بآل عمران [١٥٣] ، ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ بالحديد [٢٣] ، ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ بالحج [٥] ، ﴿ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ﴾ الثاني من الأحزاب [٥٠] ، ولهذا احترز بقوله « عليك » من أوله لأنَّهُ مُتعَلِّقُ ﴿على المؤمنين﴾ ، واتفقت على قطع ماعداها وهو الأول من الأحزاب : ﴿ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ ﴾ [٣٧] و﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ ﴾ بالحشر [٧] ، و﴿ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ بالنحل [٧٠] ، فوجه القطع الأصل ، ووجه الوصل التقوية مع تحقيق عدم الحجز ، وهذا معنىٰ قوله :

[٩١] حَـجٌّ عَلَيْـكَ حَـرَجٌ وَقَطْعُهُـمْ « عن مَّن » يشاء مَن تولىٰ « يَوْمَ هُمْ »

أي ثالثها موضع حجٍ ، أي ما وقع في سورة الحج ، ورابعها الذي بعد ﴿عليك حرج﴾ كما سبق .

[بَحْثُ « عَن مَّنْ »] :

ثم قوله : « وقطعهم » مبتدأ ، أي مقطوع أرباب الرسوم واتفاقهم على قطع « عن من » الموصولة في موضعين وهما : قوله تعالىٰ : ﴿وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ﴾ بالنور [٤٣] ، و﴿ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ بالنجم [٢٩] ، وليس ثَمَّ غيرهما كما نبه عليه ابن المصنف [٤٦] وتبعه الأزهري [١٠٦] ، وقد قال في « المقنع » [٨٠] : (وليس في القرآن غيرهما) .

قال الجعبري : (أي لا مفصولاً ولا موصولاً)(١) .

وأما قول الشيخ زكريا [١٠٤] وتبعه الرومي [٧٩] بأنَّ ما عداهما موصول فوهمٌ منهما .

---

(١) الظاهر أن هذه العبارة للجعبري من شرحه على العقيلة ، لأن حرز الأماني تخلو من باب المقطوع والموصول .

[بَحْثُ « يَومَ هُم »] :

وكذا اتفقت المصاحف على قطع « يوم » عن « هم » المرفوع المحل وحده في موضعين : ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ﴾ بغافر [١٦] ، و﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ في الذاريات [١٣] ، واتفقت على وصل « يوم » بـ« هم »[١] المجرورة المحل نحو : ﴿ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات : ٦٠] ﴿ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾ [الطور : ٤٥] ، **فوجه القطع أنَّ « هم » مرفوع بالابتداء منفصل فيناسبه الفصل مع كونه هو الأصل ، ووجه الوصل أن « هم » المجرور متصل حكماً فيلائمه الوصل .**

وقد أغرب اليمني حيث قال : (وقطع لفظ « هم » الساكن الميم وقفاً ووصلاً ثابت أيضاً في السورتين . . .) قال : (وإنما قيدنا بالساكن الميم احترازاً من ﴿يومِهِمُ الذي﴾ فإنه موصول) . اهـ . ووجه غرابته أنَّ هذا فرق عام لفظي لا حكم خاص حقيقي مع أنَّ ميم الأوَّلَين ليس ساكناً في الوصل عند الكل ، بل فيه خلافٌ لبعضهم[٢] ، وأما في الوقف فلا فرق أصلاً .

[بَحْثُ « مَالِ »] :

[٩٢] (وَ« مَالِ هَذَا » وَالَّذِينَ هَـٰؤُلاَ) أي وثبت قطعهم ، أو وكذا قطعهم لام الجر عن مجرورها في أربعة مواضع : ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ ﴾ في الكهف [٤٩] ، و﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ ﴾ في الفرقان [٧] ، فالمراد بـ« هذا » جنس هذا الواقع بعد « مال » ، ﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ بالمعارج [٣٦] ، ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ ﴾ بالنساء [٧٨] ، وعلى وصل لام الجر بمجرورها فيما عداها نحو : ﴿ فَمَا لَكُمْ ﴾ [الأحزاب : ٤٩] و﴿ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا ﴾ [يوسف : ١١] و﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ ﴾ [الليل : ١٩] **فوجه قطع لام الجر هو التنبيه على أنها كلمة برأسها ، ووجه وصلها بما بعدها تقويتها لأنها [على**

---

(١) « ب » : على وصل « يومهم » .

(٢) وهم الذين يقرؤون بصلة ميم الجمع : قالون بخلاف عنه ، وابن كثير ، وأبو جعفر .

حرف واحد ولأنها][1] غير مستقلة ولأنها تكتب موصولة بما دخلت عليه غالباً كما هو قاعدة كتابة العربية .

ثم « ما » في هذه الأربعة[2] للاستفهام ، فالجمهور يقفون اختباراً أو اضطراراً لا اختياراً على اللام اتباعاً للرسم ، وأبو عمرو يقف في هذه الأربعة على « ما » ، والكسائي يقف على « ما » في رواية ، وعلى اللاَّم في الأخرىٰ[3] .

وفي نسخةٍ بعد « ها » : « ولا » لأنها[4] من تتمة المسألة السابقة ، و« لا » متعلقة بالقضية اللاحقة وهي قوله :

[بَحْثُ « لاَتَ حِيْنَ »] :

(تَحينَ في الإِمامِ صِلْ ووُهِّلاَ) بألف الإطلاق وبضم الواو وتشديدها مكسوراً .

أي ضُعِّفَ وغلِّط قائله ونسب إلى الوهل والوهم ناقله .

وفي أكثر النسخ : « وقيل لا » كما نصَّ عليه الرومي [٧٩] واختاره الأزهري [١٠٧] ، أي وقيل لا وصلَ ، أو المعنىٰ : لا تصل بل اقطع التاء عن « حين » ، لكن تعبيره بـ« قيل » مشعر بتضعيفه وهو خلاف ما عليه الجمهور ، فالصواب الأول وهو مختار الشيخ زكريا [١٠٦] وعليه المعوَّل فتكتب مفصولة من الحاء

---

(١) « على حرف واحد ولأنها » سقط من « ب » .

(٢) يعني الأربعة الأُوَل التي ثبت قطعها وهي في سورة الكهف والفرقان والنساء والمعارج .

(٣) قال الإمام الشاطبي رحمه الله في بيان مذهب أبي عمرو البصري والكسائي :

ومالِ لدىٰ الفُرقانِ والكهفِ والنِّسَا ... وسالَ على ما حجَّ والخلفُ رُتِّلاَ

فأشار بالحاء من كلمة « حجَّ » إلى أبي عمرو البصري ، ثم عقبه بالخلف للكسائي الذي رمز له بالراء من كلمة « رتلا » ، وقد تقدم جدول يوضح هذه الرموز عند الكلام على المد وأقسامه .

(٤) أي أن « ها » من تتمة الكلام على مال ، و« لا » متعلقة بما بعدها ، حسب هذه النسخة .

على هذه الصورة ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص : ٣] لا على هذه الكيفية « لا تحين » .

واعلم أنَّ أبا عبيد[١] قال : (رسم في الإمام يعني مصحف عثمان رضي الله عنه الخاص به « لا تحين »)[٢] نَصَّ على أن التاء متصلة بـ« حين » .

وفي رسم المصاحف الحجازية والشامية والعراقية التاء منفصلة عن «حين» خطّاً ومتصلة بـ« لا » حكماً ، وذلك لأن « لات » في قول الأكثرين هي « لا » النافية[٣] دخلت عليها التاء علامةً لتأنيث الكلمة كما دخلت على « رُبَّ » و« ثَمَّ » لذلك ، فقيل : ربة وثمة ، فهي زائدة متعلقة بما قبلها لا بما بعدها ، والمعنىٰ : ليست تلك المدة حين الفرار .

واختلف القراء فالكسائي يقف بالهاء لأصالتها ، والباقون يقفون بالتاء تبعاً لرسمها ، فأجمعوا على أنه لا يجوز الوقف على « لا » ولا الابتداء بـ« تحين » ، وبهذا يظهر صحة نسخة « وَوُهِّلا » ، وإنما خالفهم أبو عبيد حيث قال : (الوقف عندي علىٰ « لا » والابتداء بقوله : « تحين ») فتكون قراءة شاذة لأنها مخالفة لقواعد العربية في المبنىٰ والمعنىٰ وإنْ وَجَّهَ قراءته بقوله : (لأني نظرتها في الإمام فوجدتها « تحين ») ، قال : (وهذا التاء تزاد في « حين » فيقال : هذا تحين كان كذا ، وأنشد[٤] شعراً :

العاطفونَ تَحين مَا مِنْ عَاطِفٍ والمطعمونَ زمانَ أينَ المُطْعِمُ)

---

(١) هو القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي ، من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه ، ولد في هراة سنة ١٥٧هـ وتعلم فيها ، وكان مؤدِّبا ، رحل إلى بغداد فولي القضاء بطرسوس ، وحج بعدها فتوفي بمكة سنة ٢٢٤هـ ، له كتب كثيرة ، منها « أدب القاضي » و« فضائل القرآن » و« المقصور والممدود » . « تذكرة الحفاظ » (٢/ ٥) ، و« تهذيب التهذيب » (٧/ ١٥) و« الأعلام » (٥/ ١٧٦) .

(٢) « اختلاف الحديث » لأبي عبيد ٤/ ٢٥٠ و٢٥١ .

(٣) في « ب » : الناهية .

(٤) في « ب » : وأنشدوا ، بواو الجماعة وحذف لفظ « شعراً » ، وفي «ج» : وأنشد .

قال الناظم في « النشر » : (إني رأيتها مكتوبةً في المصحف[1] الذي يقال له الإمام ، مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه « لا » مقطوعة ، والتاء موصولة ، ورأيت به أثر الدم وتتبعت فيه ما ذكره أبو عبيد فرأيته كذلك ، وهذا المصحف هو اليوم بالمدرسة الفاضلية بالقاهرة المحروسة)[2] .

وقال القسطلاني : « الأكثرون على خلاف ذلك وحملوا ما حكاه أبو عبيد على أنه مما خرج في خط المصحف عن القياس »[3] .

وأما قول المصري : (فحيث صح النقل عن أبي عبيد أنه وجد ذلك كذلك في مصحف الإمام فيكون كافياً في حكم المرسوم فيكون حكمه كحكم غيره إذ لا فرق) فمدفوعٌ بأن الفرق هو مخالفته للجمهور مع مخالفته لسائر المصاحف، فغايته أنَّ وَصْلَهُ شاذ حيث لم يثبت التواتر في نقله .

[٩٣] (**وَوَزَنُوهُمُ وَكَالُوهُمْ صِلِ**) بالإشباع ، أي كتب أرباب الرسوم ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ﴾ [المطففين : ٣] موصولَين أي حكماً ؛ لأنهم لم يكتبوا بعد الواو ألفاً ، فَعَدَمُ الألف يدل على أنَّ الواو غير منفصلة فتكون موصولة ، بخلاف قوله تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ في سورة الشورىٰ [٣٧] ، فإن الألف تكتب بعد الواو فيجوز الوقف علىٰ « غضبوا » وكذا الابتداء بقوله : « هم » .

قال ابن الأنباري[4] : (قال أبو عمرو وعاصم وعلي ـ يعني الكسائي ـ والأعمش[5] ـ أي من الأربعة عشر ـ : « كالوهم » حرف واحد أي حكماً ،

---

(١) في « ب » زيادة : العثماني .

(٢) « النشر في القراءات العشر » لابن الجزري ٢/ ١٥٠ ، ١٥١ .

(٣) انظر « لطائف الإشارات لفنون القراءات » للقسطلاني ٢/ ١٠٥ .

(٤) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار ، من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة ، ومن أكثر الناس حفظاً للشعر والأخبار ، ولد في الأنبار سنة ٢٧١هـ ، وتوفي ببغداد سنة ٣٢٨هـ ، له كتب كثيرة ، منها « الزاهر » في اللغة ، و« إيضاح الوقف والابتداء » و« الأضداد » اهـ « وفيات الأعيان » ١/ ٥٠٣ .

(٥) هو سليمان بن مهران الأسدي بالولاء ، تابعي مشهور ، أصله من بلاد « الري » ، ولد سنة =

والأصل : كالوا لهم ، فحذف الألف على حد : كلتك طعاماً ، فحذفت الّلام وأوقع الفعل على « هم » فصارا حرفاً واحداً ، لأن الضمير المتصل مع ناصبه كلمة واحدة .

وكان عيسىٰ بن عمرو[1] يقول : « كالوهم أوْ وَزَنوهم » كلمتان ، أي كُلٌّ منهما ، وكان يقف على « كالو » و« وزنو » ويبتدىء بـ« هم » ، والمعنىٰ أنه كان يجوِّز الوقف على الواو والابتداء بقوله « هم » لا أنه كان يفعل اختياراً ، بخلاف بقية القراء أجمع ، فإنهم لا يجوزون الوقف على الواو أصلاً ، ولذا[2] قال أبو عبيد : والاختيار الأول ، فإن مختار الجمهور هو المعوَّل)[3] .

ثم اعلم أنَّ في معنى « وزنوهم » نحو : ﴿رزقناهم﴾ و﴿أعطيناك﴾ و﴿أنزلناه﴾ و﴿أنلزمكموها﴾ و﴿أورثتموها﴾ وأمثال ذلك .

(**كَذَا مِنَ « أَلْ » وَ« هَا » وَ« يَا » لاَ تَفْصِلِ**) بالإشباع ، أي لا تفصل مدخول لام التعريف من « أل » ولو قمرية لا كتابةً ولا قراءة ، وكذا مدخول هاء التنبيه وياء النداء وإن كانت كلمات مستقلة لقلة الامتزاج بينهما في الصورة نحو : ﴿الحمد﴾ ، ﴿والحق﴾ ، و﴿الأرض﴾ ، و﴿الآخرة﴾ ، ونحو : ﴿يا أيها﴾ ، و﴿يا آدم﴾ ، و﴿يا بنيَّ﴾ ، ونحو : ﴿هٰأنتم﴾ ، و﴿هـٰؤلاء﴾ ، و﴿هذا﴾ ، وأمثال ذلك فلا يوقف على « أل » و« يا » و« ها » ولا يبتدأ : حمد ، وحق ، وأرض ، وآخرة ، وآدم ، وبني ، وأنتم ، وأولاء ، وذا ، في

= ٦١هـ في الكوفة ، وتوفي بها سنة ١٤٨هـ ، كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض يروي نحو ١٣٠٠ حديثاً . « وفيات الأعيان » ١/ ٢١٣ .

(١) هو غالباً عيسى بن عمر الثقفي بالولاء ، من أئمة اللغة ، وهو شيخ الخليل وسيبويه وابن العلاء ، وهو أول من هذب النحو ورتبه ، وعلى طريقته مشىٰ سيبويه والخليل ، وهو من أهل البصرة ، له أكثر من سبعين مؤلفاً احترقت ، توفي سنة ١٤٩هـ . « وفيات الأعيان » ١/ ٣٩٣ . وفي جميع النسخ التي عندنا كُتب اسمه : « عيسى بن عمرو » .

(٢) في « ب » : ولهذا .

(٣) « إيضاح الوقف والابتداء » لابن الأنباري ١/ ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ .

الأمثلة المذكورة وأمثالها كما يفعله كثير من جهلة القراء وقفاً عليها وبدءاً بما بعدها .

وقد أخطأ الرومي حيث قال في إعراب البيت [٨٠] : (وإضافة الياء إلى الضمير العائد إلىٰ « أل » للمناسبة بينهما في التعريف) فإنَّ الصواب أن « ها » عطف على « يا » وليست تلك الواو علامة ضمة الهمزة ، وفي نسخة بالعكس وهو الأَولىٰ كما اخترنا لما فيه من دفع التوهم كما لا يخفىٰ ، وأيضاً « مِنْ » في البيت ليست زائدة كما قررناه خلافاً للرومي [٨٠] .

ثم قول الناظم « كذا » محمولٌ على التشبيه المعنوي بين قوله « صلِ » و« لا تفصِلِ » لأن مرادهما[1] واحد وإن كان بين الأمر والنهي كلام صوري .

ومما يجب التنبيه عليه أنَّ « نِعِمَّا » و« مهما » و« ربما » موصول[2] في جميع المصاحف .

قال ابن الأنباري : (حدثنا خلف قال : قال الكسائي : « نِعِمَّا » حرفان ، أي كلمتان لأنَّ معناه نِعْمَ الشيء ، وكتبا بالوصل ، أي كلمة واحدة)[3] .

ثم قال ابن الأنباري عن الكسائي : (ومن قطع لم يخطًأ)[4] أي في اللفظ بناءً على الأصل ، وإن أخطأ من حيث إنه خالف[5] الرسم .

ثم كل كلمة على حرف واحد متصلة إما أولاً وإما آخراً بخلاف الواو العاطفة نحو : ﴿ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [النساء : ١٣٦] ﴿ وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ، و﴿حينئذٍ﴾ [الواقعة : ٨٤] و﴿يومئذٍ﴾ [الحاقة : ١٨] موصولات ، و﴿مِمَّن﴾ [البقرة : ١٤٣] كله موصول، و﴿ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا﴾ [هود : ٢٨] كذلك ، و﴿أن يُمِلَّ هُو﴾ [البقرة: ٢٨٢]

---

(١) في ب : مؤداهما .
(٢) في أ : موصولة .
(٣) « إيضاح الوقف والابتداء » لابن الأنباري ١/ ٣٣٦ .
(٤) المرجع السابق ١/ ٣٣٦ .
(٥) في « ب » : مخالف .

مفصول ، وكتبوا ﴿ابن أمَّ﴾ في الأعراف مفصولاً ، وصورة ﴿يبنؤمَّ﴾ بطه حرفُ النداءِ موصولٌ بالباء ، وكتبوا صورة الهمزة واواً متصلة بالنون ، ومن المعلوم أنَّ في المنفصلين يجوز الوقف على آخر كُلٍّ منهما ، بخلافِ المتصلين فإنه لا وقف إلا في آخر الثانية .

و﴿ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ ﴾ و﴿ وَيْكَأَنَّهُۥ ﴾ في موضعي القصص [٨٢] يوصل فيهما الياء بالكاف كما قال الداني في « مقنعه » [٨١] والشاطبي في « عقيلته » [٢٥٨] ، لكن وقف أبو عمرو على الكاف ، والكسائي على الياء ، والجمهور على آخرهما على وفق رسمهما(١) ، ومعناه : تَنَدَّمْ وتَنَبَّهْ على الخطأ ، فأما ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ ﴾ [العنكبوت : ٥٦] و﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الزمر : ٥٣] فياء الإضافة ثابتة فيهما اتفاقاً كما اتفقوا على حذفها في ﴿ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ﴾ في الزمر [١٠] ، واختلفوا في قوله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ﴾ في الزخرف [٦٨] .

وحذفُ ياء الإضافة أيضاً بعد نون الوقاية كثير نحو قوله تعالىٰ : ﴿ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [البقرة : ٤٠] ﴿ وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة : ١٥٢] و﴿ إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ [يس : ٢٣] وكذا من غير نون الوقاية كقوله ﴿مَتَابِ﴾ و﴿مَآبِ﴾ ، ومحلُّ بسطها كتب الرَّسم .

ومنها ﴿واخشون﴾ فهي محذوفة بالمائدة في الأولىٰ وهي التي بعدها ﴿اليومَ﴾ [٣] ، وثابتة في البقرة وهي قوله تعالىٰ : ﴿ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ ﴾ [١٥٠]

---

(١) قال الإمام الشاطبي في « حرز الأماني » مبيناً مذاهب القراء في ذلك :

وقِفْ وَيْكَأَنَّهْ وَيْكَأَنَّ بِرَسْمِهِ ... وبالياء قف رفقاً وبالكاف حُلِّلاَ

فقوله « برسمه » يشمل جميع القراء ، ثم استثنىٰ منهم الكسائي الذي يقف على الياء ورمز له بالراء من « رفقاً » ، واستثنىٰ بعده أبا عمرو الذي يقف على الكاف ورَمَزَ له بالحاء من « حُلِّلاَ » ، وقد تقدم جدول لبيان رموز القراء سابقاً . والراجح عند الجميع الوقف على الكلمة بتمامها .

إجماعاً فيهما كتابةً وقراءةً ، وأما الثانية في المائدة وهي التي بعدها ﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾ [٤٤] فمحذوفة رسماً ويثبتها أبو عمرو وصلاً[(١)] .

ومن المحذوفات ما يكون من أصل الكلمة نحو قوله : ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء : ١٤٦] و﴿ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ﴾ [الأنعام : ٥٧] على قراءة الضاد المعجمة[(٢)] ، و﴿ نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بيونس [١٠٣] ، و﴿ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ ﴾ [طه : ١٢] و﴿ وَادِ ٱلنَّمْلِ ﴾ [النمل : ١٨] إلا أنَّ الكسائي يقف فيه بالياء[(٣)] ، و﴿ بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ ﴾ في الروم [٥٣] إلا أنَّ حمزة والكسائي يقفان بالياء[(٤)] ، و﴿ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات : ١٦٣] ﴿ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴾ [القمر : ٥] ﴿ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ ﴾ [الرحمن : ٢٤] ﴿ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴾ [التكوير : ١٦] ، وأما قوله : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ ﴾ [الشورى : ٣٢] فمحذوفة أيضاً لكن أثبتها نافع وأبو عمرو وصلاً ، وابن كثير في الحالين[(٥)] .

ثم قوله تعالىٰ : ﴿ ذَا ٱلْأَيْدِ ﴾ [ص : ١٧] وكذا ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ ﴾ [الذاريات : ٤٧] فصحيح الآخر لأنَّ وزنه فَعْل ، فمعنى « الأيد » القوة ، بخلاف ﴿ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى ﴾ [ص : ٤٥] لأنه جمع « يدٍ » أصلها « يديٌ » ، أو جمع « أيدٍ » .

وأما ﴿هادٍ﴾ [الرعد : ٧ ، ٣٣] و﴿والٍ﴾ [الرعد : ١١] و﴿باقٍ﴾ [النحل : ٩٦] و﴿واقٍ﴾ [الرعد : ٣٤ و٣٧] فمحذوف الياء ، إلا أنَّ ابن كثير يثبتها وقفاً[(٦)] .

---

(١) « تحبير التيسير » لابن الجزري ص١٠٨ ، ووافقه من بقية العشرة أبو جعفر ، وأثبتها يعقوب في الحالين .

(٢) هي قراءة أبي عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف بضاد معجمة مكسورة ، وحذفت الياء بعدها ، انظر « تحبير التيسير » لابن الجزري ص١٠٩ .

(٣) يعني الذي في سورة النمل فقط ، انظر : « تحبير التيسير » لابن الجزري ص١٥٧ ، ووافقه من بقية العشرة يعقوب .

(٤) قرأها حمزة ﴿تهدي العمي﴾ بالفعل المضارع ونصب « العميَ » في النمل والروم ، وفي سورة النمل اتفقوا على إثبات الياء وقفاً ، وأثبتها في الروم حمزة والكسائي ويعقوب ، انظر : « تحبير التيسير » لابن الجزري ص١٥٦ .

(٥) وافقهم من تتمة العشرة أبو جعفر وصلاً ، ويعقوب في الحالين ، انظر : « تحبير التيسير » ص١٧٧ .

(٦) « تحبير التيسير » لابن الجزري ص١٣١ .

و﴿المهتدي﴾ بالأعراف [١٧٨] ثابتة ، وفي غيره محذوفة لكن فيه الخلاف كما سبق في ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ﴾ ، وأمثال ذلك كثير محله الشاطبية الصغرى[١] من جهة الرسم ، والكبرى[٢] من جهة اختلاف القراء .

وحذفت الواو من لام الفعل من غير جازم في أربعة مواضع : ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾ [الإسراء : ١١] ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ [الشورى : ٢٤] و﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر : ٦] و﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق : ١٨] وليس منه ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى﴾ [التحريم : ٤] كما في بعض مصاحف العوام فإنه خطأ عظيم في هذا المقام ، وأما ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام : ٥٧] فالحذف اتفاقاً على خلافٍ في كونه جمعاً أو مفرداً أريدَ به الجنس .

ثم اعلم أنه كان مكي[٣] يقول في نحو : ﴿يقضِ الحقَّ﴾[٤] [الأنعام : ٥٧] وبابه : (لا ينبغي للقارىء أن يقف عليه لأنه إن وقف على الرسم خالف الأصل ، وإن وقف على الأصل خالف الرسم) .

قال الحافظ أبو عمرو الداني : (وكان أبو حاتم سهل بن محمد[٥] وغيره من النحويين لا يجيزون الوقف على ذلك إلا بِردٍّ ما حذف وهو القياس في العربية وقال : إنَّ الأئمة على خلاف ذلك ، والقراءة سنة متبعة) .

وفيه بحث لا يخفىٰ إذ لم يثبت القراءة بالوقف عن الصحابة في مثل تلك الكلمة لا مقطوعة ولا موصولة ، وإنما ثبت على خلاف القياس رسم الكتاب ، فالتحقيق ما قاله المكي حيث لا ضرورة في العدول عن الدراية من غير ثبوت الرواية .

قال المصري : (فإن قلت كيف يوقف على نحو : ﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ﴾ ؟

---

(١) يعني بذلك « عقيلة أتراب القصائد » لأنها تتعلق بالرسم وأبياتها أقل من غيرها .
(٢) يعني بذلك « حرز الأماني ووجه التهاني » فهي متعلقة بالقراءات وأبياتها أكثر من غيرها .
(٣) هو مكي بن أبي طالب القيسي ، تقدمت ترجمته سابقاً .
(٤) وذلك بقراءة من قرأ بالضاد المعجمة المكسورة .
(٥) تقدمت ترجمته .

قلت : يوقف على ذلك بردِّ الياء لأنها حذفت من الكتابة لكراهة الجمع بين صورتين متفقتين واكتفاءً[1] بالكسرة التي قبلها ، وما حذف لذلك لم يحذف في الوقف بل بردِّ[2] ما حذف ، والله أعلم) .

قلت : يَرِدُ عليه أنَّ هذا خلاف ما أجمع عليه القراء[3] ، وكان اختيار بعض النحاة في هذا[4] الاقتفاء[5] على أنَّ عروض الساكن في الوقف لا يرفع حكم كسر ما قبلها ، ولذا جوَّز النحاة أيضاً اجتماعَ الساكنين حينئذٍ حيث لم يعتدُّوا بالعارض .

[بَابُ التَّاءَاتِ]

[٩٤] (وَرَحْمَتُ الزُّخْرُفِ بِالتَّا زَبَرَهْ) برفع « رحمت » ونصبها ، أي رسم عثمان رضي الله عنه ، أو كَتَبَ أهل الرسم بالتاء المجرورة لفظ « رحمتُ » في سورة الزخرف .

وكذا في (الأَعْرافِ رُومِ هُوْدَ كَافَ البَقَرَهْ) بحذف العاطف في الكل للوزن ، وبالنقل والاكتفاء بحركة اللام عن همزة الوصل في « الاعراف » ، وضُبِطَ « هودَ » و« كافَ » بالفتح لأنهما اسما سورتين .

وأما قول الرومي [٨٢] : (وإضافة الأعراف إلى الروم ، والكاف إلى البقرة لفظاً لأدنى ملابسة) . فمحمول على عدم الملاحظة لما قدمناه من حسن المقابلة .

---

(١) « ج » : اكتفاءً .
(٢) « ج » : يرد .
(٣) في دعوى الإجماع نظر ، ومما يرده ما سبق من المؤلف من ذكر الخلاف في ألفاظ عديدة ، مثل : (يُؤْتِ) و(يَقْضِ) وغيرهما ، وقد اختار عدد من القراء في نحو : ﴿يحيِ الأرض﴾ الوقف بياء واحدة بعد الحاء اتباعاً للرسم ، واختار عدد آخر من القراء الوقف بياءين ، لأن الياء الأخيرة أصلية وقد زال موجب حذفها وهو الساكن الذي بعدها . انظر : « النجوم الطوالع » ١٣٠ ، و« هداية القاري » ٥٥٧ ، و« المنير » ٢٦٠ .
(٤) من قوله : « عليه أن هذا. . . » إلى هنا ، سقط من « أ » .
(٥) د : الاكتفاء .

ثم اعلم أنَّ هاء التأنيث في المصحف الكريم ينقسم إلىٰ ما رسم بالهاء وهو المسمَّىٰ بالتاء المربوطة ، وإلىٰ ما رسم بالتاء وهو المسمىٰ بالتاء المجرورة .

فأما ما رسم بالهاء فإن الوقف عليه بالهاء مما اتفق عليه القراء ، وهو الموافق لقاعدة[1] الكتابة العربية .

وأما ما رسم بالتاء فإنه مما اختلف في الوقف عليه ، فابن كثير وأبو عمرو والكسائي يقفون بالهاء[2] كسائر الهاءات الداخلة على الأسماء من نحو : « فاطمة وقائمة » إجراءً لهاء التأنيث على سنن واحد وهي لغة قريش ، ويترتب عليه أيضاً إمالة الكسائي ، وكذا جواز الرَّوم والإشمام وعدمهما للكل ، والباقون يقفون بالتاء تغليباً لجانب الرسم وهي لغة طيِّء .

فلا بُدَّ للقارىء من معرفة ما رسم بالتاء والهاء ليتحرىٰ في جميعها الصواب في الأداء ، وقد خصَّ الناظم ما رسم من ذلك بالتاء لقلته ، ويعرف ما عداها لكثرته ، ومجموع ما ذكره من ﴿رَحْمَت﴾ سبعة ، لأنها في الزخرف موضعان ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [٣٢] ، والعموم يفهم من إطلاق الناظم ومن الإضافة الجنسية ، وفي الأعراف ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [٥٦] وفي الروم ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ [٥٠] وفي هود ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ﴾ [٧٣] وفي مريم ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ [٢] وفي البقرة ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [٢١٨] وما عدا هذه السبعة بالهاء نحو قوله تعالىٰ : ﴿لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر : ٥٣] .

[٩٥] (**نِعْمَتُهَا ثَلَاثُ نَحْلٍ إِبْرَهَمْ**) بفتح الراء والهاء بلا ألف لغة في « إبراهيم » كما صرَّح به صاحب « القاموس »[3] ، فلا يحتاج إلىٰ قول برهان

---

(١) في « ب » : لقواعد .

(٢) « يقفون بالهاء » سقط من « ب » .

(٣) « القاموس المحيط » للفيروز آبادي ، مادة : برهم .

الدين الحلبي[1] في شرحه للمقدمة : (حذف منه الألف والياء لأنه اسم أعجمي ، والعرب إذا عربته تخالف بين ألفاظه للخفة ، وينضم إلى ذلك ضرورة الوزن) . اهـ

وفي جعلِهِ مُعرَّباً نظرٌ لا يخفىٰ ، والمراد به سورته .

و« ثلاثُ » بالرفع عطف على « نعمتها » بحذف العاطف ، والمفهوم من كلام الشيخ زكريا [١١٠] أنهما منصوبان حيث قال : (وزبَرَ بالتاء أيضاً « نعمتَهَا »)[2] .

ولا يصح قول الرومي [٨٢] : (إنه نصب على الظرفية) ؛ إذ ليس في الكلام ما يصلح أن يكون ظرفاً له ، وجَعْلُهُ ظرفاً لقوله : « نعمتها » مخلٌّ بالمعنىٰ ؛ لأن ضمير « نعمتها » راجع إلى البقرة .

والحاصل أن لفظ « نعمت » رسم بالتاء في أحد عشر موضعاً : في البقرة ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم ﴾ [٢٣١] وفي النحل ثلاثة[3] مواضع : ﴿ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ [٧٢] ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ [٨٣] ﴿ وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ [١١٤] وفي إبراهيم موضعان : ﴿ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا ﴾ [٢٨] ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [٣٤] وإليهما أشار بقوله :

(مَعاً أَخيرَاتٌ عُقُودُ الثَّانِ هَمْ) ضبط « أخيراتٍ » بالنصب على الحال من مجموع[4] « ثلاث نحلٍ » ، وموضعي إبراهيم احتراز من أوائل النحل وأول إبراهيم ، وبالرَّفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، أي وهنَّ أخيرات .

---

(١) سبق أن من شراح المقدمة : رضي الدين محمد بن إبراهيم الحلبي المعروف بابن الحنبلي ، المتوفى سنة ٩٧١ ، ومنهم برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحمن بن أحمد الأنصاري من علماء القرن التاسع ، ولعل الشارح أخطأ في أحد طرفي الاسم أو أن المراد شارح آخر غير هذين .

(٢) حيث جعل « نعمتها » مفعولاً للفعل « زَبَرَ » وعليه يكون « ثلاثَ » منصوباً مثله .

(٣) في « أ » و« ب » : ثلاث .

(٤) في « ب » : من محمول .

وقال ابن المصنف [٥٠] : (« أخيرات » صفة لـ« ثلاث النحل » وموضعي إبراهيم الأخيرين)اهـ . ولا يخفىٰ أنَّ « الأخيرين » في قوله ليس في محله .

واحترز به عما في أول النحل ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [١٨] وعما في أول إبراهيم ﴿ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ [٦] .

ثم ضبط « عقود الثان » بضم الدال وفتحها ، والضم هو الأتم على أنه عطف على « ثلاث » .

والمراد بالعقود سورة المائدة ، ووقع « نعمت » فيها في موضعين ، والمراد هنا هو الثاني(١) المقرون بـ« هَمَّ » بتشديد الميم الساكن وقفاً ، أي بقوله « هَمْ » ، يعني في قوله : ﴿ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ ﴾ [١١] ، وأمّا ما في نسخة بدل « هَمْ » « ثَمْ » ـ بفتح المثلثة ـ أي هناك كما نقله الشيخ زكريا [١١١] فهو تصحيف للمبنىٰ وتحريف للمعنىٰ .

وأغرب من هذا ما ذكره اليمني من أنَّ في بعض النسخ « ثُمَّ » بضم الثاء ، أي ثُمَّ لقمان .

[٩٦] (**لُقْمَانُ ثمَّ فاطرٌ كالطُّورِ**) برفع « لقمان » و« فاطر » ، وفي نسخة بنصبهما على منوال ما سبق في « عقود » ، ولعل وجه النصب على نزع الخافض ، أو على أنه مفعول « زَبَرَ » كما تقدم ، وكذا قوله (**عِمْرانَ لَعْنَتَ بِهَا والنُّورِ**) إلا أنَّ قوله : « لعنت » مبتدأ منقطع عما قبله ، و« النور » مجرور عطفاً على الضمير المجرور في « بها » الراجع إلىٰ « عمران » ـ المراد به سورته ـ من غير تأكيد بالمنفصل على مذهب البعض من الكوفيين وجمعٍ من البصريِّين وهو مختار المتأخرين من القراء والمفسرين كما حققناه في الحاشية المسماة بالجمالين للجلالين(٢) عند قوله تعالىٰ : ﴿ تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ [النساء : ١] حيث قرأ حمزة بالجر .

---

(١) في « ب » : والمراد هنا الثاني .
(٢) في « أ » : حققناه في حاشية الجلالين .

والحاصل أنه في لقمان عند قوله تعالىٰ : ﴿ فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ ﴾ [٣١] وفي فاطر ﴿ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ [٣] وفي الطور ﴿ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ ﴾ [٢٩] وفي آل عمران ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً ﴾ [١٠٣] مكتوب بالتاء المجرورة، ولم يرتب بين السور للضرورة ، وما عدا هذه المواضع المذكورة فكل « نعمة » بالهاء مسطورة نحو قوله تعالىٰ : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى : ١١] .

ثم أخبر أن لفظ « لعنت » مرسوم بالتاء في موضعين : في آل عمران ﴿ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [٦١] وفي النور ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ [٧] .

هذا وعبارة الناظم قاصرة عن المراد بما في سورة آل عمران حيث أطلقها ولم يقيد بما يُفْهِمُ المقصود منها ؛ إذ جاء فيها أيضاً : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ ﴾ [٨٧] وهو بالتاء المربوطة ، فليس المراد عموم ما فيها كما سبق في « رحمت » الزخرف مع أنه المتبادر من إطلاقها ، فرحم الله الشاطبي حيث تفطن بها وقيدها في « الرائية » بقوله [٢٧٠] :

. . . . فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ ابْتُدِرَا

مع الإشعار بأنه هو الواقع في أولها ، ثم ما عدا هذين فبالهاء كقوله تعالىٰ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٦١] .

[٩٧] (وَامْرَأَتٌ يُوسُفَ عِمْرَانَ الْقَصَصْ) بتنوين « امرأتٌ » على أنه مبتدأ[١] ، وبنصب « يوسف » و« عمران » على الظرفية ، أي الكائنة فيها ، وكذا « القصص » وسكن بالوقف ، والمفهوم من شرح الشيخ زكريا أنَّ « امرأة » منصوبة مضافة حيث قدَّر « وزَبَرَ » فتدبر .

وقال اليمني : (مرفوع بالابتداء ، وخبره محذوف تقديره : ومنها امرأت ، أي ومن الكلمات المرسومة بالتاء كلمة « امرأت » ، وقوله « يوسف »

---

(١) في « ب » : خبر مبتدأ .

مبتدأ ، خبره محذوف ، أي[1] محلها سورة يوسف ، وقوله « عمرانَ القصص » معطوفان على « يوسف » ، وحرف العطف محذوف للوزن) .

وأغرب الرومي حيث جعل « امرأت » مضافة إلىٰ « يوسف » وهو مضاف إلى « عمران » ، وهو إلى القصص بناءً على أن الإضافة لأدنىٰ ملابسة . اهـ

ووجه الغرابة لا يخفىٰ على ذوي النهىٰ .

ويستفاد عموم موضعي يوسف مما قدمناه في « رحمت » الزخرف ، فتدبر .

(تَحْرِيمَ مَعْصِيَتٌ بِقَدْ سَمِعْ يُخَصّ) فـ« تحريم » منصوب أيضاً على الظرفية أو على المفعولية ، والمراد به سورة التحريم ، و« معصيت » منونةٌ لكونها مبتدأ ، وجُوِّز جره حكاية لأنها وردت في القرآن مجرورة ، و« يُخَصّ » بصيغة المجهول ، ويجوز تذكيره باعتبار لفظ « قد سمع » وتأنيثه باعتبار سورته .

والمعنىٰ أنَّ « امرأت » مرسومة بالتاء في سبعة مواضع : ﴿ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ ﴾ [٣٠] و﴿ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ ﴾ [٥١] كلاهما بيوسف ، و﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ﴾ في آلِ عمران [٣٥] ، و﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ ﴾ في القصص [٩] ، و﴿ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ﴾ [١٠] و﴿ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ﴾ [١١] في التحريم ، وما سواها بالهاء .

والقاعدة الكلية أن المرأة المذكورة مع زوجها مرسومة بالتاء[2] ، وغيرها بخلافها[3] كما في قوله تعالىٰ : ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ ﴾ [النساء : ١٢٨] .

ثم أخبر أن لفظ « معصيت » مخصوص بموضعي قد سمع ﴿ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾ [٨] ﴿ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾ [٩]

---

(١) من قوله : « تقديره ومنها . . . » إلى هنا سقط من « أ » .

(٢) الأدق أن يقال : أن المرأة المضافة إلى زوجها مرسومة بالتاء ؛ لئلا يعترض بقوله تعالى : ﴿وإن امرأة خافت من بعلها﴾ فهي هنا مذكورة مع زوجها ومرسومة بالهاء .

(٣) في « أ » و« ب » : بخلاف .

ولا ثالث لهما ، ويستفاد العموم من إطلاقها .

[٩٨] (**شَجَرَتَ الدُّخَانِ سُنَّتْ فَاطِرِ**) بجر « الدخان » على أنَّ الإضافة بمعنىٰ « في » ، ويجوز نصبه على الظرفية بنزع الخافض ، وأسكن تاء « سنت » ضرورةً ، وهي مضافة إلىٰ « فاطر » .

(**كُلاًّ والاَنْفَالِ وَأُخْرَىٰ غَافِرِ**) فقوله : « كلاً » حال من « سنت » الواقعة في فاطر ، و« الاَنْفَالَ » بالنقل عطف على « فاطر » ، و« أخرىٰ » أي وسُنَّتْ أخرىٰ هي في غافر، فـ« أخرىٰ » في محل جر، و« غافر » بدله، وفي بعض الأصول: « وحرفِ غافر » بالجر مضافاً .

والمعنىٰ وكذلك قوله : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴾ في سورة الدخان [٤٣] مرسومة بالتاء ، بخلاف غيرها كقوله تعالىٰ : ﴿ لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ ﴾ [الصافات : ٦٣ ، ٦٤] .

وكذلك « سنت » في خمسة مواضع مرسومة بالتاء ، ثلاثة في فاطر ﴿ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [٤٣] وإلىٰ هذه الثلاثة أشار بقوله « كلاً » ، وفي الأنفال ﴿ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [٣٨] وفي غافر ﴿ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [٨٥] وهي آخر السورة ، لكن قول ابن المصنف [٥١] : (« أخرىٰ غافر » أي آخرها) غير مستقيم ؛ للفرق بين الآخر والأخرىٰ كما لا يخفىٰ على ذوي النهىٰ ، ومع ذلك فهو بيان لمحله لا احتراز عن أوله أو آخره لعدم تحقق تعدده .

ثم ما عدا هذه الخمسة بالهاء كقوله تعالىٰ : ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا ﴾ [الإسراء : ٧٧] ، ثم كان حقه أن يذكر « سنت » أولاً لكونها من الألفاظ المكررة ثم يذكر « شَجَرَتَ الدخان » فإنها من الكلمات المفردة ، والاعتذار عنه ارتكابُ الضرورة .

[٩٩] (**قُرَّتُ عَيْنٍ جَنَّتٌ في وَقَعَتْ**) أي وكذلك رسم بالتاء قوله تعالىٰ حكايةً عن امرأت فرعون : ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ﴾ في القصص [٩] .

وبالإضافة إلىٰ لفظ « عين » احترزَ عن المضاف إلى أعين في قوله تعالىٰ ﴿ قُـرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ في الفرقان [٧٤] ، و﴿ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ في السجدة [١٧] .

و[١]﴿ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ في سورة الواقعة [٨٩] التي أولها ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ﴾ بخلاف غيرها نحو : ﴿ جَنَّـةُ ٱلْخُـلْدِ ﴾ [الفرقان : ١٥] .

(فِطْرَتْ بَقِيَّتْ) بسكون التاء فيهما (وابْنَتٌ) بالتنوين (وَكَلِمَتْ) ولو قال : « مع كلمت » لكان أكثر سلاسة .

أي وكذا رسم بالتاء ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ﴾ بالروم [٣٠] ، و﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ في هود [٨٦] ، ولعله اكتفىٰ باللفظ عن القيد بعدم التنوين أو لوجودهما كذلك في هود ، فخرج بـ« بقيت » البقية المنونة في قوله تعالىٰ : ﴿ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَـرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ ﴾ [البقرة : ٢٤٨] و﴿ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ ﴾ [هود : ١١٦] .

و﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ﴾ في التحريم [١٢] ولم يقع غيرها ، و﴿ وَتَـمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ في الأعراف [١٣٧] لقوله : [١٠٠] (أَوْسَطَ الأعرافِ) بالنصب على الظرفية ، وغيرها بالهاء نحو قوله تعالىٰ : ﴿ وَجَعَـلَ كَـلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَـرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَـلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَـا ﴾ [التوبة : ٤٠] ، لكن « كلمت » التي في الأنعام بالتاء أيضاً إلا أنه مندرج في ضمن قوله : (وَكُلُّ مَا اخْتُلِفْ ☆ جَمْعَاً وَفَرْدَاً فِيهِ بِالتَّاءِ عُرِفْ) بصيغة المجهول فيهما ، فهذه قاعدة كلية تحتها أفراد جزئية ، وهي كل ما اختلف القراء في إفراده وجمعه قراءةً فإنه يكون في رسم القرآن بالتاء كتابةً ، والمراد أنَّ مفرده أيضاً بالتاء ؛ إذ لا خلاف أن[٢] الجمع المؤنث السالم يكون بالتاء سواء فيه الرسوم القرآنية وقواعد كتابة العربية ، ولذا أجمع القراء في الوقف عليها بالتاء .

واختلفوا في مفردها ومجموعها في اثني عشر موضعاً ، وذلك قوله

---

(١) أي وكذلك رسم بالتاء لفظ « جنت » من قوله تعالى . . . إلخ .
(٢) في « ب » : في أن الجمع .

تعالىٰ : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ في الأنعام [١١٥] ، قرأها بالتوحيد عاصم وحمزة والكسائي(١) ، وكذلك ﴿ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ ﴾ أول يونس [٣٣] ، قرأها بالإفراد غير نافع وابن عامر(٢) ، واختلف المصاحف في ثاني يونس ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٩٦] ، وكذلك ﴿ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ في الطَّول [غافر : ٦] ، والقياس فيهما التاء إذ قرأهما غير نافع وابن عامر بالتوحيد ، و﴿ ءَايَـٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ في سورة يوسف [٧] قرأها ابن كثير بالإفراد(٣) ، و﴿ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ ﴾ [١٠] و﴿ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ ﴾ [١٥] كلاهما في يوسف أيضاً قرأهما غير نافع بالتوحيد(٤) ، و﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ في العنكبوت [٥٠] قرأها بالإفراد ابن كثير وأبو بكر وحمزة والكسائي(٥) ، و﴿ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَـٰتِ ﴾ في سبأ [٣٧] قرأها بالتوحيد حمزة(٦) ، و﴿ فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ﴾ في فاطر [٤٠] قرأها بالإفراد ابن كثير وأبو عمرو وحفص وحمزة(٧) ، و﴿ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا ﴾ في فصلت [٤٧] قرأها بالتوحيد ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر وحمزة والكسائي(٨) ، و﴿ جِمَـٰلَتٌ صُفْرٌ ﴾ [المرسلات : ٣٣] قرأها بالإفراد ـ أي صورةً وإلا فهو جمعٌ حقيقةً ـ حفص وحمزة والكسائي(٩) .

---

(١) وافقهم من بقية العشرة يعقوب وخلف العاشر ، انظر « تحبير التيسير » لابن الجزري ص١١١ .

(٢) وغير أبي جعفر من تتمة العشرة ، انظر « تحبير التيسير » لابن الجزري ص١٢٢ .

(٣) « تحبير التيسير » لابن الجزري ص ١٢٦ .

(٤) وافقه من تتمة العشرة أبو جعفر كما في « تحبير التيسير » ص١٢٦ .

(٥) وافقهم أيضاً خلف من بقية العشرة ، وكلٌ على أصله وقفاً لرسمها بالتاء ، وأبو بكر هو شعبة راوي عاصم «تحبير التيسير» ١٦٠ .

(٦) « تحبير التيسير » لابن الجزري ص١٦٦ .

(٧) أيضاً تبعهم خلف من تتمة العشرة كما في المرجع السابق ص١٦٧ .

(٨) وافقهم يعقوب وخلف العاشر ، المرجع السابق ص١٧٦ .

(٩) وافقهم خلف العاشر كما في « تحبير التيسير » لابن الجزري ص١٩٦ وقد سقط منه اسم =

ثم اعلم أنهم اختلفوا في التاء الموجودة في الوصل والهاء الموجودة في الوقف أيتهما الأصل للأخرىٰ ؟

فذهب سيبويه وجماعة إلىٰ أنَّ التاء هي الأصل مستدلين بجريان الإعراب عليها دون الهاء ، وبأن الوصل هو الأصل والوقفُ عارض ، قالوا : وإنما أبدلت هاءً في الوقف فرقاً بينها وبين التاء التي في « عفريت » و« ملكوت » ، وقال ابن كيسان[1] : بل فرقاً بينها وبين تاء التأنيث اللاحقة للفعل نحو : خرجتْ وضربتْ .

وذهب آخرون إلىٰ أن الهاء هي الأصل ولهذا سميت هاء التأنيث لا تاء التأنيث ، وإنما جعلوها تاءً في الوصل لأنها حينئذٍ يتعاقبها الحركات ، والهاء ضعيفة تشبه حروف العلة لخفائها فقلبوها إلىٰ حرف يناسبها مع كونه[2] أقوىٰ منها وهو التاء .

ومما يجب التنبيه عليه أن قوله : ﴿يا أبتِ﴾ [يوسف : ٤] مرسوم بالتاء والشامي يفتحها ويقف عليها بالهاء ووافقه ابن كثير[3] ، وكذلك ﴿هَيْهَاتَ﴾ [المؤمنون : ٣٦] مرسوم بالتاء ووقف عليها البزي والكسائي بالهاء ، وكذا ﴿مَرْضَاتِ﴾ [البقرة : ٢٠٧] و﴿لات﴾ [ص : ٣] و﴿اللَّات﴾ [النجم : ١٩] و﴿ذاتَ﴾ [النمل : ٦٠] وقف عليها الكسائي بالهاء[4] ، وقد نظمتها في بيتٍ وقلت :

والـلاَّتَ مـع لاتَ كـذا مـرضـاتِ ويـا أبـتِ وذاتَ مـع هيهـاتِ

= « حفص » مع القارئين بالجمع .

(١) هو محمد بن أحمد بن إبراهيم ، أبو الحسن ، المعروف بـ« ابن كيسان » عالم بالعربية نحواً ولغةً ، أخذ عن المبرد وثعلب ، له كتب عديدة ، منها « المهذب » في النحو ، و« غريب الحديث » و« معاني القرآن » توفي سنة ٢٩٩هـ . « شذرات الذهب » ٢/ ٢٣٢ .

(٢) في « ب » : مع كونها .

(٣) أي أنه وافقه في الوقف عليها بالهاء ، وكذلك يعقوب ووافقه أبو جعفر وصلاً ووقفاً .

(٤) « تحبير التيسير » لابن الجزري ص٧٧ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

[بَابُ هَمْزِ الوَصْلِ]

[١٠١] (**وَابْدَأْ بِهَمْزِ الوَصْلِ مِنْ فِعْلٍ بِضَمْ**) أي مع ضم الهمزة لكن لا مطلقاً في جميع الأحوال بل كما قال : (**إِنْ كَانَ ثَالِثٌ مِنَ الفِعْلِ يُضَمْ**) بصيغة المجهول خبر كان ، أي مضموماً .

اعلم أن الهمزة في أول الكلمة إما همزة قطع وهي التي تثبت وصلاً وبدءاً ، وإما همزة وصل وهي التي تثبت في الابتداء وتسقط في الدَّرج .

قال ابن المصنف [٥٣] : (ووقوع همزة القطع في الكلام أكثر من وقوع همزة الوصل فلذلك حصر الناظم مواضع همزة الوصل ليعلم بذلك أن ما عداها همزة قطع)اهـ . وفيه بحث لا يخفىٰ ؛ إذِ[١] الظاهر أن همزة الوصل أكثر وجوداً من[٢] همزة القطع في الكلام إلا أن الضابط في همزة الوصل أقرب وأظهر فلذا اختار بيانها ، ومن المعلوم أنَّ الابتداء لا يمكن[٣] إلا بمتحرك ، فأول الكلمة إن كان متحركاً فظاهر ، وإن كان ساكناً فيحتاج إلىٰ همزة الوصل .

وسميت همزة وصل لأنها يتوصل بها إلى النطق بالساكن ولذا سَمَّاها الخليل سلم اللسان .

ثم همزة الوصل توجد في الأسماء والأفعال والحروف ومن شأنها أنها لا تكون في مضارع مطلقاً ولا في ماضٍ ثلاثي كأَمَرَ[٤] ، أو رباعي كأكرم ، بل في الخماسي كانطلق ، والسداسي كاستخرج ، **وحكمها في الماضي المعروف الكسر لا غير ، وأما في المجهول فلا يكون إلا مضموماً ، وأما الأمر الحاضر ففيه تفصيل** كما ذكره الناظم .

---

(١) في « ب » : والظاهر .
(٢) في « ب » : أكثر من وقوع .
(٣) في « ب » : يكون .
(٤) في « أ » : كما مر .

وقَدَّمَ حكم الأفعال لأن همزة الوصل في الأفعال بالأصالة ، **وأمر بالابتداء بهمزة الوصل مضمومةً من فعل الأمر إذا كان ثالثه مضموماً ضماً لازماً لا عارضاً** كما سيأتي نحو : (انظر) ، و(اعبد) ، وإنما عَدَلَ عن الكسرة إلى الضمة ـ مع أنَّ الأُولىٰ هي الأَولىٰ ـ لكونها الأكثر في همزات[1] الوصل لئلا يلزم الخروج من الكسرة إلى الضمة والحال أن لا عبرة بالساكن بينهما حيث إنه ليس بحاجز ولمناسبة عين الفعل .

وأما إن كان ثالثه مكسوراً كسراً لازماً أي أصلياً ، أو مفتوحاً فابتدِئْ بها مكسورةً على أصلها نحو : (اضِرب) و(اذهب) و(اعلم)[2] ، وأشار إلىٰ ذلك بقوله :

[١٠٢] **(وَاكْسِرْهُ حَالَ الكَسْرِ وَالْفَتْحِ وَفِي) أي واكسر الهمزة حال كسر ثالث الفعل أو فتحه** ، أما وجه كسره في مكسوره فهو لمناسبةٍ بينهما كما في ضمه مع مضمومه ، وأما وجه كسره في مفتوحه فالحمل له على مكسوره كنظيره في إعراب المثنىٰ والجمع كذا ذكره الشيخ زكريا [١٦٦] .

والأظهر : لدفع الاشتباه في بعض الصور باعتبار بعض الصيغ ، ولأن همزة القطع غالباً تكون مفتوحة فلا بُدَّ من ظهور المغايرة .

وأما إذا كان ثالث الفعل مضموماً ضماً غير لازم بأن يكون عارضاً لإعلال كُسِرَت أيضاً نحو : ﴿اِمشوا﴾ ، فإن أصله : اِمشيوا ، نُقِلَتْ ضمة الياء إلى الشين بعد سلب حركتها فالتقىٰ ساكنان فحذفت الياء فصار ﴿اِمشُوا﴾ ، وكذا قوله : ﴿ائتوني﴾[3] .

وقد ذهب ابن المصنف [٥٣] وتبعه الشراح إلى أنَّ حَصْرَ[4] تصوير الأمثلة

---

(١) في « ب » : همزة .

(٢) واعلم سقط من « ب » .

(٣) يلزم من الابتداء به إبدال همزة القطع ياءً .

(٤) في « د » : إلى حَصْرِ .

مختصٌ بالأمر من الثلاثي[1] المجرد ، ولعلهم غفلوا عن أنه[2] كذلك حكم الأمر مطلقاً والماضي من الثلاثي المزيد ما عدا باب الإفعال فإن همزته مطلقاً قطعية سواء كان ذلك الفعل الماضي معلوماً أو مجهولاً نحو : ﴿اجتمعت﴾ و﴿اجْتُثَّت﴾ و﴿اسْتكبَرَ﴾ و﴿اؤتُمِنَ﴾ و﴿اشْتَرىٰ﴾ و﴿ أَتَّخَذْنَهُمْ سِخْرِيًّا﴾ [ص : ٦٣] لمن قرأ بالإخبار[3] ، ونحو : ﴿انطَلِقُوا﴾ و﴿اسْتَغْفِرُوا﴾ ، وبذلك التعميم أشار الناظم حيث قال : « ثالث من الفعل » ولم يقل عين الفعل ، فافهم .

وقال الشيخ زكريا [١١٥] : (« وابدأْ » وجوباً) ولعله أشار إلى الخلاف الواقع في ﴿قلِ ادعوا﴾ حال الوصل كما بينه الشاطبي رحمه الله بقوله [٤٩٥] :

ف ن ح

وَضَمُّكَ أُوْلَى السَّاكِنَيْنِ لِثَالِثٍ ... يُضَمُّ لُزُومَاً كَسْرُه في نَدٍ حَلاَ[4]

ثم قول الناظم « وفي » حرف جر مدخولها قوله : (**الأَسْمَاءِ غيرِ اللَّامِ كَسْرُهَا وَفي**) بتشديد الياء سكن وقفاً أو خُفِّفَ ، فهو فعيل بمعنىٰ وافٍ ، أي تام .

والمعنىٰ كسر الهمزة فيها تام بخلافها في لام التعريف فإنها تفتح طلباً للخفة فيما يكثر دوره .

و« غير » إما مجرور على أنه نعتُ « الأسماء » أو منصوب على الاستثناء ، والمراد باللام لام التعريف ، و« كسرها » مرفوع على أنه مبتدأ ، وضميرها[5]

---

(١) في « ب » : بالأمر الثلاثي ، وفي « ج » : مختصة بالأواخر من الثلاثي .

(٢) في « ب » : عن كونه .

(٣) يعني بكسر الهمزة ابتداءً وإسقاطها درجاً ، وهي قراءة أبي عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف . « تحبير التيسير » ص١٧١ .

(٤) أشار بحرف الفاء من « في » إلىٰ حمزة ، وبالنون من « ندٍ » إلى عاصم ، وبالحاء من « حَلاَ » إلى أبي عمرو البصري وأخبر أنهم يقرؤون هذا الساكن الأول بالكسر ، وافقهم من بقية العشرة يعقوب البصري ، ويفهم من ذلك أن الباقين يقرؤون بالضم .

(٥) في « ب » : وضميره .

راجع إلى الهمزة في أول الأسماء ، وخبره « وفيٌّ » .

و« في الأسماء » متعلقٌ بـ« كسرُها » ، واللام في « الاَسْمَاءِ » متحركة بحركة الوصل منقولةٌ إليها من الهمزة بعدها حيث أدرجت الهمزة واكتفي بحركة اللام عن همزة الوصل .

والمعنىٰ أن همزة الوصل في الأسماء كلها مكسورة غير همزة لام التعريف فإنها تكون مفتوحة دائماً طلباً للخفة فيما يكثر دوره .

واستثناء لام التعريف من الأسماء استثناء منقطع لأنها حرف لا اسم ، ومن ثمة قال ابن المصنف [٥٤] : (ليس مستثنىً منها بل من قوله : « واكسره » يعني من ضميره ، أي واكسر الهمز فيما ذكر غير همزة أل المعرفة[١]) . وفيه بُعْدٌ من حيث اللفظ كما قال الشيخ زكريا [١١٧] .

[١٠٣] (ابْنٍ مَعَ ابْنَةِ امْرِئٍ وَاثْنَيْنِ وَامْـــرَأَةٌ وَاسْـــمٍ مَـــعَ اثْنَتَيْـــنِ)

فقوله « ابن » بالجر بدلاً من « الاَسماء » كما قاله الشيخ زكريا [١١٧] ، أو عطف بيان وهو الأظهر ، فالمرادُ من « الأسماء » الآتيةُ .

وأمـا قـول الـرومـي [٨٦] : (« وفـي الاَسمـاء » خبـر مقـدم لقـولـه : « كسرها » ، و« في ابنٍ » عطف علىٰ قوله « في الاَسماء ») ، فليس في محله بل خطأ من جهة المبنىٰ وكذا من طريقة المعنىٰ ، أما المبنىٰ فلأنه يلزم منه عيب في كلام الناظم وهو الإيطاء[٢] ، بخلاف ما قدمناه في تحقيق

---

(١) في نسخة ابن المصنف المطبوعة : غير همز لام التعريف .

(٢) الإيطاء : هو إعادة اللفظة ذاتها بلفظها ومعناها ، وهو عيب من عيوب القافية يوحي بضعف طبع الشاعر وقلة مادته حيث قصر فكره عن أن يأتي بقافية أخرى وأجازوا إعادة اللفظة ذاتها بمعناها بعد سبعة أبيات ، وإنما يجوز إعادة اللفظ بمعنىً مختلف نحو : « إنسان » للرجل ولناظر العين ، وقد اشتهرت أبيات عند البيانيين مما تكرر فيه اللفظ واختلف المعنىٰ وهي :

قــامَــت تُهَــادي طفلــةٌ جَلَّلَــتْ ... هــودجهــا بــالــرخــم والعقــلِ
قلــتُ أمــا للصــبِّ مــن مُهْجــةٍ ... يَفْــدِيْ بِهَــا بِــاللُّطــفِ ذا العقــلِ=

المبنىٰ[1] ، وأما المعنىٰ فلأن الأسماء المكسورة الهمزة محصورة عند المصنف في الأسماء المذكورة ، فلا يصح التعاطف بينهما على الطريقة المسطورة ، وأيضاً لا يصح حمل الأسماء على العموم ويكون العطف من قبيل التخصيص ؛ لأن جميع همزات الاسم ليست موصولة ولا كلها مكسورة ، وكأن الشيخ أراد بالأسماء ما فيه الهمزة المكسورة السماعي فلا يَرِدُ عليه القياسي وهو كل مصدر بعده ألفٌ فِعْلُهُ أربعة أحرفٍ فصاعداً كالانفعال والافتعال والاستفعال مما ورد في القرآن أو لم يرد ، أو لأنه اكتفىٰ بما يفهم من كسر همزة في الفعل وكسر همزته في مصدره بالقياس .

وأما تفسير اليمني « الأَسماءَ » بالمصادر من نحو : ﴿ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ ﴾ [آل عمران : ٧] و﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ ﴾ [آل عمران : ١٩٠] و﴿ ٱنتِقَامٍ ﴾ [آل عمران : ٤] فليس في محلهِ لما سبق من تحقيق المرام .

وأما سائر الأسماء فمختلفة الأوائل ، فمنها مفتوحة كآدم ، أو مكسورة كإبراهيم ، أو مضمومة كأُجاج ، وقد يقال إن هذا كله يندفع بأن الضمير في « اكسره » إلىٰ همزة الوصل لا إلى الهمز مطلقاً .

ثم ما اختاره ابن الناظم [٥٤] من أنَّ التعريف باللام وحده ، والهمزة زائدة إذ لو كانت مقصودة لم تحذف كما لا تحذف همزة « أم » وأن هو مذهب سيبويه وأكثر النحاة خلافاً لما ذهب إليه الخليل من أنَّ « أل » حرف ثنائي تفيد التعريف لأنها من خصائص الأسماء وتفيد معنىً فيها وهي بمنزلة « قد » و« هل » في الأفعال وذلك ثنائي فكذلك هذه .

= قالت بلىٰ في الحبِّ طال البلىٰ ... ما لقتيل العشقِ من عقلِ

فأراد بالعقل الأول الزخرفة التي توضع على الهودج ، وبالثاني العقل الحقيقي المعروف ، والأخير الدِّية التي هي جزاء القتل . اهـ « ميزان الذهب » للهاشمي ص٢٠١ مع بعض الزيادات .

(١) في ج : البناء .

أقول : ولعل وجه حذف همزه كثرة استعماله .

والحاصل أن الناظم يريد همزة الوصل في السماعي وهو عشرة أسماء وقد ذَكَر سبعةً منها لورودها في القرآن لا أنه ترك باقيها لضرورة النظم كما قاله المصري وسبقه الرومي [٨٨] .

منها « **ابن** » ، وأصله بَنَوٌ بفتحتين لقولهم في تكسيره أبناء ، و« أَفْعَال » في الأصل جمعُ « فَعَل » نحو : نَبَأ وَأَنْبَاء ، وخَبَر وأخبار ، فَأُعلَّ بأن استثقل الضمة على الواو فحذفت اللام لالتقاء الساكنين ، وأُسكن الأول وأدخلت عليه همزة الوصل .

ومنها « **ابنة** » ، وأصلها بَنَوة كشجرة ، وهي مؤنثة « ابن » فحكمها حكمه .

ومنها « **امرؤٌ** » للمذكر ، و« **امرأة** » للمؤنث ، وفيها لغة أخرىٰ : مُرْءٌ ومَرَأَة[١] ، وإنما أدخلوا الهمزة عليهما ـ وإن كانا تامين ـ من حيث أنَّ لامهما همزة ، ويلحقهما التخفيف فيقال : مُرْوٌ ومَرَةٌ ، فجريا مجرى ابن وابنة .

ومنها « **اثنان** » للمذكر ، و« **اثنتان** » للمؤنث ، وأصلهما : ثَنَيَان وثَنَيَتَان كَجَمَلاَن وشَجَرَتان[٢] بدليل قولهم في النسبة « ثنوي » فحذفت اللام وأسكنت الثاء وجيء بهمزة الوصل .

ومنها « **اسم** » ، وأصله : سَمَوٌ ، بوزن قَنَوٌ وصنوٌ فحذفت الواو لاستثقالهم تعاقب الحركات الإعرابية عليها ، ونقل سكون الميم إلى السين لتعاقب تلك الحركات عليها وأُتي بهمزة الوصل ، وهذا مذهب البصريين .

وفيه أن العلة المذكورة منقوضة بـ« دلو » اللهمَّ إلا أن يقال بأن استعمال الاسم أكثر من الدلو ، واطراد العلة غير لازم .

---

(١) انظر « القاموس المحيط » مادة : مرأ ، و« مختار الصحاح » مادة : مرا .
(٢) « كجملان وشجرتان » سقط من « ب » .

وأما مذهب الكوفيين أنَّ أصله : وَسْمٌ ، أي علامةٌ لأن الاسم علامة للمسمىٰ ويعرف هو به .

والمختار مذهب البصريين لقولهم في تكسيره : أسماء لا أوسام ، وفي تصغيره : سُمَيّ لا وُسَيم ، وعند إسناد الضمير المرفوع المتصل المتحرك : سَمَّيْتُ ، لا وَسَمْتُ كوَعَدتُّ[1] .

قال ابن الناظم [٥٤] : (ومنها « است » ، وأصله : سَتَه كجَمَل لتكسيره على أستاه ، وأهمله الناظم لأن البيت لم يسعه) .

قلت : الصواب في الاعتذار أن يقال : لعدم وروده في الكتاب[2] لا سيما وذكره مستهجن عند أولي الألباب .

وأما قول خالد [١١٦] : (وينبغي أن يزيد « ال » الموصولة ، و« ايم » لغة في « أيمُن » ، فإن قالوا : هي أيمن فحذفت اللام ، قلنا : و« ابنم » هو ابن فزيدت الميم[3] ، وحكمها مع ما ذكرنا الكسر ومع لام التعريف الفتح) .

فالجواب : أن لام التعريف يشمل نوعيه ، و« ايم » لم يجيء في القرآن العظيم ، وكذا « ابنم » مع أنه عُلِمَ حُكْمُهُ من « ابن » فإن الميم زائدة للتوكيد والمبالغة كما في « رزقم » بمعنىٰ الأرزق[4] ، ومراد المصنف بيان ما في الكتاب ، والله أعلم بالصواب .

وأما قول ابن المصنف [٥٥] وقد تبعه الرومي [٨٧] : (لو قال الناظم مكان

---

(١) لزيادة الإحاطة بهذا الخلاف راجع إن شئت أول بحث من كتاب « الإنصاف في مسائل الخلاف » لابن الأنباري ٦/١ ، ففيه ما يثلج صدرك ويرويك .
(٢) في « ب » : القرآن .
(٣) في « أ » : فحذفت .
(٤) في « ج » و« د » : زرقم بمعنى الأزرق ، وفي « الطرازات المعلمة » : زرقم بمعنى أزرق ص٢٤٠ .

« كسرها » : « وايمنٌ وفيّ » لوَفَىٰ) فمدفوعٌ كما لا يخفىٰ على أرباب الوفاء لعدم وجود الاستيفاء .

وقال الشيخ زكريا [١١٦] : (ذكر ابن الناظم هنا فوائد لا يفتقر إليها المشروح) .

قلت : وهو كذلك ، ولذلك أعرضت عما فيه من المغلوق والمفتوح .

[بَابُ الوَقْفِ عَلَىٰ أَواخِرِ الكَلِمِ]

[١٠٤] (**وَحَاذِرِ الوَقْفَ بِكُلِّ الحَرَكَهْ**) الجار متعلق بـ« الوقف » وهو مفعول « حاذر » ، أمرٌ بمعنى احذر على المبالغة فإن المفاعلة إذا لم تصح منها المغالبة[١] فهي للمبالغة .

والمعنى احذر الوقف بتمام الحركة كما يفعله جهَّال القراء في نحو : ﴿وتبَّ﴾ [المسد : ١] .

ثم اعلم أن الوقف في **اللغة** : مصدر وَقَفْتُ الدابة حبستها فوقفت هي وقوفاً ، فهو لازم ومتعد ، والفرق بينهما بالمصدر كرجع رَجْعَاً ورجوعاً ، وصَدَّ صَدّاً وصدوداً .

واصطلاحاً : قطع الكلمة عما بعدها إن كان بعدها شيء ، وإلا فيسمىٰ قطعاً ، كذا ذكروه ، ولا يبعد أن يسمى وقفاً أيضاً[٢] ؛ لأن بعض القرآن يتعلق ببعض ، ويستحبُّ الحال والمرتحل فيصدق الوقف على أواخر السور وعلى آخر القرآن ، غايته أنَّ بسملة الفاتحة مبتدأة حكماً كما عرفَ في محله[٣] .

---

(١) في « أ » : المبالغة ، وفي « ب » : إذا لم يصح مبالغةً فهو للمبالغة ، وفي « ج » : إذا لم يصح فيها . . . .

(٢) في « أ » و« ب » و« د » : ولا يدعى أو يسمى وقفاً .

(٣) الفرق بين الوقف والقطع أن الوقف بنيّة استئناف القراءة في الحال ، والقطع هو الكف عن القراءة والانتقال منها إلى شيء آخر ، فليس بعده قراءة مباشرة ، ولعل مراد الشارح من هذه العبارة تسمية كل من الوقف والقطع وقفاً ، بهدف الإشعار بسرعة العود إلى القراءة ، وأشار=

[أنواع الوقف] :

ثم أنواع الوقف ثلاثة[1] :

أولها : الإسكان المحض ، وهو الأصل لأن الغرض من الوقف هو الاستراحة ، وسلبُ الحركة أبلغ في تحصيل الراحة .

وثانيها : الرَّوم ، وهو إتيان بعض الحركة بصوت خفيٍّ وكأنه يضعف صوتها لِقِصَرِ زمانها فيسمعها القريب المصغي دون البعيد لأنها غير تامة ، والمراد بالبعيد أعم من أن يكون حقيقةً أو حكماً فيشمل الأصم والقريب إذا لم يكن مصغياً .

وثالثها : الإشمام ، وهو أن تضم شفتيك بعد الإسكان إشارةً إلى الضم وتترك بينهما بعض انفراجٍ ليخرج النفَس ، فيراهما المخاطب مضمومتين فيعلم أنك أردت بضمهما الإشارة إلى حركة آخر الكلمة الموقوف عليها ، فهو شيء يختص بإدراك العين دون الأُذن لأنه ليس بصوت يسمع ، وإنما هو تحرُّكُ عضوٍ فلا يدركه الأعمىٰ ، والرَّوم يدركه الأعمىٰ والبصير لأن فيه مع بعض الحركة صوتاً ما يكادُ الحرف أن يكون به متحركاً[2] .

واشتقاقه من الشم كأنك أشممت الحرف رائحة الحركة بأن هيأتَ العضو للنطق بها .

والمراد من الإشمام هو الفرق بين ما هو متحرك في الأصل فأسكن للوقف وبين ما هو ساكن في كل حال .

= إلى حديث الحال المرتحل وهو الذي يشرع في ختمة جديدة فور انتهائه من ختم القرآن .

(١) في « أ » و« ب » و« د » : ثلاث .

(٢) قال الشاطبي رحمه الله في بيان كيفية الروم والإشمام وموضوعهما :

ورَوْمُـكَ إسمـاعُ المحـرَّك واقفـاً	بصـوتٍ خفـيٍّ كـلُّ دَانٍ تَنَـوَّلاَ
والإِشْمَـامُ إطبـاقُ الشِّفَـاهِ بُعَيـدَ مَـا	يُسَكَّـنُ لا صَـوْتٌ هُنَـاكَ فَيَصْحَـلاَ
وفعلُهمـا فـي الضَّـمِّ والـرَّفـعِ وَارِدٌ	ورومُـك عِنْـدَ الكسـرِ والجَـرِّ وُصِّـلاَ

فإذا عرفت ذلك عرفت أن قول الناظم : (**إلاّ إذَا رُمْتَ فبعضُ الحركه**) استثناء مفرغ من أعم الأحوال ، والـ« بعض » مضاف إلى الحركة ، وهو مفعول لفعل مقدر ، أي واحذر الوقف بتمام الحركة في جميع حركات الوقف وأنواعِ حركات الكلمات الموقوف عليها من الرفع والنصب والجر والضم والفتحِ والكسر نحو : ﴿نستعينُ﴾ و﴿قيلَ﴾ و﴿العالمينَ﴾ و﴿الصراطِ﴾ و﴿الرحيمُ﴾ و﴿يَسْرِ﴾ **إلا إذا رُمْتَ وقفَ الرَّوم فَأْتِ ببعض الحركة ، لكن محلُّه إذا كانت الكلمة الموقوف**[1] **عليها مرفوعة أو مضمومة أو مخفوضة أو مكسورة ، بخلافِ ما إذا كانت مفتوحة أو منصوبة** ، ولهذا قال :

[١٠٥](**إلا بِفتحٍ أو بنَصْبٍ**) وفي نسخة : « وبنصبٍ » .

(**وَأَشِمْ**) أي قف بالإشمام (**إشَارَةً بالضَّمِّ في رَفْعٍ وَضَمْ**) أي للإشارة إلى ضم الحركة من الكلمة الموقوف عليها في رفعٍ وضم ، أي إذا كانت تلك الكلمة مرفوعة أو مضمومة ، بخلاف ما إذا كانت منصوبة أو مفتوحة أو مخفوضة أو مكسورة .

والمغايرة بين أنواع الإعراب لإفادة عموم الحكم بين[2] الحركات الإعرابية وبين الحركات البنائية ، فإن الرفع والنصب والجر من ألقاب الإعراب ، والضم والفتح والكسر من ألقاب البناء فيستوي في الأحكام المذكورة المنون وغيره والمعرب والمبني من الاسم ونحوه .

[الفَرْقُ بينَ الرَّوْمِ والاِخْتِلاَسِ] :

ثم اعلم أنَّ الرَّوم والاختلاس يشتركان في التبعيض إلا أنَّ الرَّوم أخَصُّ من حيث إنه لا يكون في الفتح والنصب ، ويكون في الوقف دون الوصل ، والثابتُ من الحركة أقلُّ من الذاهب ، والاختلاس أعمُّ لكونه يتناول الحركات

---

(١) في « ب » : الموقوفة .

(٢) في « ب » : عموم الحكم بينه وبين .

الثلاث كما في ﴿لا يهدِّي﴾ [يونس: ٣٥] و﴿نِعِمَّا﴾ [النساء: ٥٨] و﴿يأمُرُكم﴾ [البقرة: ٦٧] عند بعض القراء في الأمثلة الثلاثة(١) ، ولا يختص بالآخر وهو محل الوقف ، والثابت من الحركة أكثر من الذاهب وذلك أن يأتي بثلثيها ، وهذا لا يضبط إلا بالمشافهة بالسماع من أفواه أرباب أداء القراءة .

ثم اعلم أن الروم والإشمام لا يدخلان في هاء التأنيث ولا في ميم الجمع ولا في الحركة العارضية كما بينه الشاطبي رحمه الله بقوله [٣٧٣] :

وَفي هَاءِ تأنيثٍ ومِيمِ الجَمْيعِ قُلْ   وعَارِضِ شَكْلٍ لَمْ يَكُونَا لِيَدْخُلاَ

أما هاء التأنيث فإنها تنقسم إلى ما رسم بالهاء نحو : ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ [النحل : ٨٩] ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ﴾ [الشعراء : ٢٢] وإلى ما رسم بالتاء نحو : ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَ﴾ [البقرة : ٢١٨] و﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة : ٢٣١] فما رسم بالهاء لا يوقف عليه إلا بالهاء الساكنة ؛ إذِ المرادُ بالرَّوم والإشمام بيان حركة الحرف الموقوف عليه حالة الوصل ولم يكن على الهاء حركة في الأصل ؛ إذ هي مبدلة من التاء ، والتاء معدومة في الوقف .

وأما ما رسم بالتاء فإن الروم والإشمام يدخلان فيه على مذهب من وقف بالتاء لأنها تاء محضة وهي التي كانت في الوصل ، ولذا قال الشاطبي :

وفي هَاءِ تَأْنيثٍ. . . . .

ولم يقل : وفي تاء تأنيث .

وأما ميم الجمع نحو : ﴿عليهم﴾ و﴿إليكم﴾ فهي تنقسم إلى ما تحرك في الوصل للجميع نحو : ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران : ١٣٩] ونحوه مما يقع قبل السكون ، وإلى ما تحرك بالضم أو الكسر موصولاً لبعض القراء ويسكن لبعضهم .

---

(١) حيث قرىء باختلاس فتحة الهاء في المثال الأول ، واختلاس كسرة العين في المثال الثاني ، واختلاس ضمة الراء في المثال الثالث ، وتفصيل من قرأ بالاختلاس والإتمام والإسكان مذكور في كتب القراءات ، انظر : « تحبير التيسير » : ١٢٢ و٩٦ و٨٧ .

فأما النوع الأول فلا يدخله روم ولا إشمام لأن حركته عارضة كحركة[١] ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ [إبراهيم : ٤٤] و﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [البينة : ١] **والغرض من الروم والإشمام إنما هو بيان حركة الموقوف عليه حالة الوصل باعتبار الأصل .**

وأما النوع الثاني فعند من يقرأ بالإسكان فلا يدخلان فيه على قراءته لأنهما إنما يدخلان في المتحرك ، ومن قرأ بالضم والصلة لم يدخل أيضاً على قراءته روم ولا إشمام عند الحافظ أبي عمرو الداني وأبي القاسم الشاطبي[٢] رحمهما الله تعالىٰ ؛ لأن ميم الجمع لا حركة لها في الأصل وإنما حركتها عارضة لأجل واو الصلة أو لالتقاء الساكنين .

وقال مكي : (يدخلان عليه لأن حركتها بنائية كهاء الكناية)[٣] .

وفرّق الداني بين ميم الجمع وهاء الكناية بأن[٤] الهاء محركة قبل الصلة بخلاف الميم يعني بدليل قراءة الجماعة فعوملت حركة الهاء في الوقف معاملة سائر الحركات ، ولم يكن للميم حركة فعوملت بالسكون فهي كالذي يتحرك[٥] لالتقاء الساكنين[٦] .

وهنا قول ثالث فيه تفصيل ذكره الشاطبي في قوله [٣٧٤] :

وفي الهَاءِ للإِضْمَارِ قَوْمٌ أَبَوْهُمَا . . . البيتين[٧]

---

(١) في « ب » زيادة : « وأنذر الذين » والظاهر أنه سهو من الكاتب .
(٢) انظر « التيسير في القراءات السبع » للداني ص٥٤ ، و« حرز الأماني » للشاطبي ص٣٠ .
(٣) « التبصرة في القراءات السبع » ص١٠٩ باب الوقف على أواخر الكلم .
(٤) في « ب » : لأن .
(٥) في « ج » : تحرك .
(٦) انظر : « جامع البيان في القراءات السبع » للداني ص١٠٤/أ .
(٧) تتمة هذين البيتين :

. . . . ومــن قَبْلِــه ضــمٌّ أو الكَسْــرُ مُثِّــلا
أَوُ اُمَّــاهُمَــا واوٌ ويــاءٌ وبعضهــم يَــرَىٰ لَهُمَــا فــي كــلِّ حَــالٍ مُحَلِّــلاَ

وحاصله أنه إن وقع قبلها[1] ضمة أو كسرة أو واو أو ياء نحو : ﴿لا نخلفُه﴾ و﴿بمزحزحِه﴾ و﴿عقلُوه﴾ و﴿لا ريب فيه﴾ فبعضٌ يجيز الروم والإشمام وبعضٌ يمنعهما ، فوجه الجواز إجراؤه على القاعدة ، ووجه المنع استثقال الخروج من ثقيل إلى مثلِهِ والإشارةُ إليه في موضع الاستراحة .

وأما إن انضمت الهاء بعد فتحة أو ألف نحو : ﴿لَهُ﴾ و﴿ناداه﴾ دخله الروم والإشمام بلا خلاف[2] لعدم العلة المانعة منهما .

وأما الحركة العارضة وهو ما حُرِّك لساكنٍ بعده متصل أو منفصل نحو : ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ﴾ [البقرة : ٢٣٧] ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ [إبراهيم : ٤٤] و﴿يومئذٍ﴾ [الحاقة : ١٦] و﴿حينئذٍ﴾[3] [الواقعة : ٨٤] و﴿قُلْ أُوحِىَ﴾ [الجن : ١] و﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ [المؤمنون : ١] و﴿مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾[4] [الرحمن : ٥٤] فلا يجوز في هذا روم ولا إشمام ؛ لأن الحركة إنما عرضت لساكنٍ لقيه حال الوصل وزالت عند الوقف لذهاب المقتضىٰ فلا يعتد بها فلا وجه للروم والإشمام بخلاف نحو : ﴿ملءُ﴾ و﴿دفءٌ﴾ إذا ألقيت حركة الهمزة على ما قبلها في قراءة حمزة وهشام[5] حيث قرأا بالروم والإشمام فيهما ؛ لأنها حركة الهمزة وهي تدلُّ عليها فكأن الهمزة ملفوظٌ بها كما صرَّح به مكي[6] ، فنظمت هذه الأحكام التي في حكم المستثنىٰ من المرام فقلت :

وهـاءُ تـأنيـثٍ وَعَـارضُ الكـلامِ   مُمتنـعُ الـرَّومِ مَـعَ الإشْمَـامِ

ولا يخفىٰ أن العارض من الحركة يشمل حركة ميم الجمع فلا يحتاج إلى الفرق .

---

(١) في أ ، ب : قبل ، والمراد قبل هاء الكناية .
(٢) أي على مذهب دخول الروم والإشمام هاء الكناية .
(٣) حركة الذال في هذين المثالين عارضة للتخلص من التقاء الساكنين وهما الذال والتنوين .
(٤) الأمثلة الثلاثة الأخيرة على القراءة بالنقل ، وحركة النقل عارضة .
(٥) انظر « تحبير التيسير » لابن الجزري ص٦٠ .
(٦) انظر « التبصرة في القراءات السبع » لمكي بن أبي طالب ، باب وقف حمزة وهشام .

هذا وفي النظم إيطاء[1] بتكرار « الحركة » وهو عيب ، فلو قال : « وبعضٌ بركة » برفع « بعض » على أنَّ تنوينه[2] بدل من المضاف إليه ، أي وبعضٌ من الحركة بركة وكفاية .

وقد ختم المصنف رحمه الله مباحث علم التجويد بمباحث الوقف إيماءً إلى حسن المقطع ، ولقد أحسن في ذلك وأجاد فيما أفاد ، والله الهادي إلى الرشاد والملهم إلى السداد .

[١٠٦] (**وَقَد تَقَضَّىٰ نَظْمِيَ المُقَدِّمَه**) بفتح ياء الإضافة على استعمال لغةٍ[3] ، لا كما قال المصري إنه للضرورة .

والـ« نظم » مصدر ، ويحتمل أن يراد به المعنى المفعول ، واللام في « المقدمة » للعهد الذي تقدم ، وبينها وبين ما يجيء من لفظ « تَقْدِمة » صنعة الجناس نحو قوله تعالىٰ : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ ﴾ [الروم : ٤٣] على ما هو محرر مقرر في صنع البديع .

(**مِنِّي لِقَارِىءِ القُرانِ تَقْدِمَه**) « تقضَّىٰ » أصله : تقضَّض ، فأبدلوا من الضاد الأخير ياءً لاستثقالهم ثلاث ضادات متواليات ، مشتقٌ من « انقَضَّ الحائط » سقط .

والمراد انقضىٰ نظمي المقدمة ، وفي بعض النسخ « وقد انقضىٰ » والأول أصح ، كذا ذكره الرومي [٩٠] ، لكن كون « تَقَضَّىٰ » مضاعفاً غير صحيح بل هو ناقص ، ففي « الصحاح » : (تَقَضَّىٰ وانقضىٰ بمعنىً واحد)[4] وإن كان بابهما مختلفاً ، نعم باب التَّفَعُّل أصله للتكلف فمعناه الانقضاء شيئاً فشيئاً ، والظاهر

---

(١) في « ب » : وفي هذا النظم وقع أيضاً . . . وفي « ج » : وفي النظم وقع . . . ، وقد تقدم تعريف الإيطاء قريباً .

(٢) في « أ » : التنوين .

(٣) في « ب » : على لغة .

(٤) « الصحاح » للجوهري ، مادة : قضي .

أن المراد هنا مجرد الانتهاء ، أي وقد انتهىٰ نظمي لهذه المقدمة في علم تجويد القراءة ، وهي مِنِّي لقارىء القرآن تحفة متقدمة وهدية متوصلة(١) ، فجزاه الله عنا خير الجزاء والمثوبة .

فـ« تَقْدِمَة » مبتدأ مؤخر ، وقال اليمني : (حال كونها تقدمة) .

قلت : فـ« مِنِّي » بها متعلقة .

ويجوز أن يكون « قارىء القرآن » مفرداً مراداً به الجنس ، أو جمعاً حذف نونه للإضافة .

[١٠٧] (**والحَمْدُ للهِ لَهَا خِتَامُ**) بكسر الخاء ، وجملة « الحمد لله » مما يختم به للمقدمة ليكون الشكر أولاً وآخراً على جزيل النعمة وجميل المنة ، وليكون ختامه مسكاً كما قال الله تعالىٰ في حقِّ رحيق الجنة : ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ﴾ [المطففين: ٢٥ـ ٢٦] أي آخر ما يجدون رائحة المسك بعد تمام الشرب في مقام اللذة .

وأصل الختام الطين الذي يختم به الإناء للعصمة أو الحرمة ، ففيه تلويح إلىٰ تأكيد ختم المقدمة وتلميح إلى ذكر صاحب ختم النبوة ، ولذا قال :

(**ثُمَّ الصَّلاَةُ بَعْدُ والسَّلاَمُ**) أي ثم الصلاة على خاتم الأنبياء بعد حمد الله تعالىٰ لها ختام وكذا السلام ، ويحتمل أن يكون « السلام »(٢) عطفاً على « الصلاة » وخبرهما محذوف لأنه معلوم بقرينة المقام لتعيُّنِه عليه السلام بهذا المرام ، ولذا جاء في نسخة بعد قوله « والسلام » [١٠٨] (**عَلَى النَّبيِّ أحمدٍ وآلِهِ**) بتنوين « أحمدٍ » للضرورة ، وفي نسخة بدله لفظ « المصطفى » وهو أولىٰ كما لا يخفىٰ .

---

(١) في « أ » : متصلة .

(٢) سقط من « ب » .

(وصَحْبِهِ وتَابِعي مِنْوَالِهِ) بكسر الميم ، أي طريقه وحاله في أفعاله وأقواله ، وفي بعض النسخ[1] :

علـى النبـيِّ المصطفـىٰ المختـارِ وآلـــهِ وصحبِـــهِ الأطهـــار

وحاصله أن الصلاة والسلام لها ختام كما أن الحمد لله سبحانه لها ختام .

ولا يبعد أن يقال : الصلاة والسلام للحمد ختام ، ففيه إيماء إلى معنىٰ كلمتي التوحيد المطلوب وجودهما عند الخاتمة لأرباب التأييد .

ويحتمل أن يكون قوله : « والسلام » كلاماً مبتدأً مالُه تمام اكتفاءً بالمرام كما هو عادة بعض الكرام من ختم كتابهم بلفظ « والسَّلام » كما قيل :

وكنـتُ ذخـرتُ أفكـاري لـوقـتٍ فكـان الـوقـتُ وقتـك[2] والسـلام
وكنـتُ أُطـالـبُ[3] الـدُّنيـا لحـرٍّ فـأنـتَ الحُـرُّ وانقَطَـعَ الكَـلاَم

وسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين[4] ، وعلى ملائكتك المقربين ، وعلى أهل طاعتك أجمعين ، والحمدُ لله رب العالمين[5] .

---

(١) وفي بعض النسخ ختمت المنظومة بِـ :

أبيـــاتهـــا قـــافٌ وزايٌ فـــي العـــددْ مـن يُحسنِ التَّجـويـد يظفـرْ بـالـرَّشَـدْ

وفي بعضها أثبت هذا البيت قبل بيت : والحمد لله . . . ، وقد يكون من زيادات بعض الشراح أو غيرهم وفي هذا البيت ذكر عدد أبيات المقدمة وهو (١٠٧) حيث أن القاف تساوي مئة والزاي تساوي سبعة في حساب الجُمَّل .

(٢) في ج : وقت .

(٣) في « ب » و« د » : كطالب .

(٤) في « أ » : وسلامٌ على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

(٥) في نسخة « أ » زيادة : « وقد تم الفراغ من هذه النسخة الشريفة في يوم الثاني من رمضان المبارك بعد الظهر قبل العصر من يد أفقر العباد خضر بن الحاجي علي القنوي غفر الله له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ، رحمةُ الله لمن نظر فيه ودعا لكاتبه » .

وفي نسخة (ج) زيادة : « الحمد لله على الإتمام ، وعلى النبي أفضل الصلاة =

. . . .

* * *

= والسلام ، وعلى آله وأصحابه الكرام ، ما دام الليالي والأيام ، تمت الكتاب بعون الله الملك الوهاب شرح المقدمة الجزرية المعروفة بالأرجوزة في علم التجويد للعالم المحقق والنحرير المدقق ، رئيس المحدثين المتأخرين ، والمجودين المقتفين لكلام الباري ، ملا علي القاري ، أسكنه الله في جنانه بإحسانه ، وتغمده بغفرانه ، لازال سحاب الفضل عليه فائض ، آمين يا رب العالمين ، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وأصحابه وأتباعه أجمعين ، بيد الفقير الحقير الراجي إلى رحمة الله محمد أكرم بن الحافظ أمان الله بن شيخ عبد الباري بن شيخ أبي الفضل بن مخدوم فتح الله بن مخدوم عثمان بن مخدوم نصير الدين ، وهما من تلاميذ المخدوم حسام الدين المتقي الملتاني وهو من تلاميذ المخدوم بير بهاء الدين زكريا الملتاني في يوم الأربعاء وقت الظهر والتاريخ الثالث من الشهر ذي الحجة في الرابع والعشرين ومئة وألف سنة من هجرة النبوية عليه أفضل الصلاة وأكمل التحية نفعنا الله بها وبجميع المؤمنين نفعاً عظيماً ، وجعل الله إيماننا إيماناً مستقيماً .

وفي نسخة « د » زيادة : قال شارحه الملا علي بن سلطان القاري رحمه الله ذاكراً من أخذ عنه القراءات من مشايخه الأجلة الأثقات :

وأما سندي في تحقيق القراءات ، وتدقيق الروايات ، فعلى المشايخ العظام ، والقراء الكرام ، من أجلِّهم في هذا الفن الشريف وأكملهم ، شيخ القراء بمكة الغراء ، وحيد عصره ، وفريد دهره ، العالم العامل ، والصالح الكامل ، الشيخ سراج الدين عمر اليمني الشوافي ، بلغه الله سبحانه المقام العالي الوافر ، وجزاه عني وعن سائر المسلمين الجزاء الكافي ، وقد قرأ على جماعة قرؤوا على الإمام العلامة محمد بن القطان خطيب المدينة المنورة وإمامها ، وهو قرأ على الشيخ زين الدين عبد الغني الهيتمي المصري ، وهو على خاتمة القراء والمحدثين الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن محمد الجزري ، قُدّس سره السري ، وهو أخذ عن شمس الدين بن الكياني ، عن اللبان ، عن التقي الصالح كمال الدين العباسي ، عن الإمام وليّ الله أبي القاسم الشاطبي ، عن ابن نجاح ، عن ابن هذيل ، عن أبي عمرو الداني ، وسنده مذكور في كتابه التيسير ، منتهياً إلى البشير النذير صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأحبابه ، وعلى الأئمة المجتهدين في أنواع علوم الدين ، وعلى إخوانه من النبيين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

(اللمعة[۱] الأولى)

التجويد فى اللغة : التَّحسين و التجميل والاتيان بالجيد۔

وفى الأصطلاح : هـوأداء كل حرف من مخرجه مع مراعاة جميع صفاته اللازمة والعارضة۔

حقيقة التجويد : لـلتـجـويد جزء ان فقط ،معرفة مخارج الحروف ومعرفة صفات الحروف۔[۲]

(اللمعة الثانية)

لـمـاكـانـت تلاوة القرآن الكريم تلاوة مجودة أمرا واجبا على كل من يـريد أن يقرأ شيئًا من القرآن الكريم ،اذن فيصبح اللحن فيه حرامًا،وعلى هذا ينبغى لقارئ القرآن الكريم أن يعرف اللحن لتجنبه۔

اللحن فى اللغة: ألخطأ والميل عن الصواب۔

وفى الأصطلاح : هـو خـطـأ الذى يقع فيه القارئ أثناء التلاوة لمخالفة قواعدالتجويد والأداء، يسمى لحنًا۔واللحن ينقسم الى قسمين :

[۱] أللحن الجلى[۱] [۲] أللحن الخفى

---

[۱] اللمعة بمعنى الضوء ،النور.

[۲] موضوع علم التجويد: احوال الحروف الهجائية والكلمات القرآنية.

غايته : صيانة اللسان عن الخطأ واللحن فى تلاوة القرآن الكريم.

ثمرته: الفوز بسعادة الدارين.

حكمه : تعلمه به فرض كفاية والعمل به فرض عين .

فضله وأهميته: هو من أجلّ العلوم وأشرفها لتعلقه بكلام الله.

مقامها فى علوم الاخرى: هـو أشـرف العلوم فى علوم الأخرى لتعلق بكلمات الأشرف الكتاب والتصحيح الحروف،والكلمات مقدم على المعانى۔

[۱] تعريف اللحن الجلى لغةً: ألخطأ الظاهر الواضح

واصطلاحًا: فهو خطأ يعرض للفظ ويختلّ به المعنى والاعراب

واللَّحن الجلی علی أربع صُورٍ:

[١] **تبدیل الحرف بالحرف:** هو أن یقرأ: الهمدُ لله بدلًا من :الحمدُ للّٰه،والتارک مکان والطارق۔

[٢] **زیادة الحرف:** کمد الحرکات الثلاثة ،نحو: الحمدُوُ للّٰهی بدلًا من : اَلْحَمْدُلِلّٰهِ،اِیَّاکَا مکان اِیَّاکَ۔

[٣] **نقصان الحرف:** کحذف بعض الحروف ،بأن قرأ وَلَمْ یَلَدْ مکان وَلَمْ یُوْلَدْ

[٤] **تغییر الحرکات والسکنات:** کتبدیل حرکة بحرکة ،نحوأن یقرأ :اَهْدِنَا مکان اِهْدِنَا،اَنْعَمْتُ مکان اَنْعَمْتَ۔

حکمه: هو محرَّم علی الاطلاق ، ویأثم القاری بفعله،وقد یکون سببًا لفساد الصلاة ان کان تغیُّرالمعنی۔

تعریف اللحن الخفی: وهو خطأ یعرض للفظ ولا یختل به المعنی ولا الاعراب ،سمی خفیًا،لأنه یخفی علی کثیر من الناس، مثاله : الصراط حیث یجب تفخیم الراء (لوجود الفتحة ،والقاعدة أن الراء تفخم اذا کان علیها الفتحة أو الضمة)ولکنه لایفخمها بل یرققها،فهذا هو اللحن الخفی، وهکذا ألّلام من اسم اللّٰه ان وقعت بعد الفتح أو الضم ، قرئ مفخمًا، فالقارئ قرأ مرققًا،نحو:أللّٰه الصمد۔

حکمه: أنه مکروه ومعیب عند أهل الفن ، ویجب الاجتناب عنه۔

(اللمعة الثالثة)

اذا اراد القارئ أن یتلو کتاب اللّٰه ولو اٰیةً منه فینبغی له أن یقول:''أعوذ باللّٰه من الشیطٰن الرجیم''لقوله تعالٰی: (فَاِذَا قَرَأْتَ الْقُرْاٰنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّیْطٰنِ الرَّجِیْمِ) أما البسملة أی بسم اللّٰه الرَّحمٰن الرَّحیم، ففیها وجوه :

[١] **ابتداء التلاوة من أوّل السورة :** فعلیه البسملة،مثاله: أعوذباللّٰه من الشیطٰن الرجیم ☆ بسم اللّٰه الرَّحمٰن الرَّجیم ☆ الحمد للّٰه رب العلمین۔

[٢] **بدأ السورة فى أثناء التلاوة :** فعليه البسملة،سوى البراءة،لأن البسملة فيها غيرمكتوبة،مثاله: **أعوذبالله من الشيطٰن الرجيم ☆ وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكٰفِرِيْنَ☆** بسم اللّٰه الرَّحمٰن الرَّحيم☆ **اللّٰه لا اله الا هو الحى القيوم.**

[٣] **ابتداء التلاوة من أوّل السورة البراءة :** فله الاختيار،ان شاء أن يقرأ وان شاء لم يقرأ۔

[٤] **ابتداء التلاوة من أجزاء السورة :** أى اذا بدأ القارئ قرءته بأوساط السور،فعليه الاختيار،ان شاء بسمل ،وهو الافضل ،وان شاء ترك البسملة ،مثاله:أعوذبالله من الشيطٰن الرجيم ☆ **سَيَقُوْلُ السُّفَهَآءُ مِنَ النَّاسِ.**

(اللمعة الرابعة)
فى بيان المخارج

المخارج جمع مخرج على وزن مَفْعَل

المخرج لغةً : موضع الخروج

تعريف المخرج اصطلاحًا : هو الموضع الذى ينشأ منه الحرف اواسم لموضع خروج الحرف وتمييزه عن غيره۔[١]

المخرج الأوّل : ألجوف: وهو الخلاء الداخل فى الحلق والفم،وتخرج منه ثلاثة أحرف وهى:

---

[١] فائدة المخارج: ألمخارج للحرف بمثابة الموازين تعرف بها مقاديرها،فتتميز عن بعضها۔
اختلف العلماء فى عدد مخارج الحروف على ثلاثة مذاهب :
المذهب الاول: ان عدد المخارج ستة عشرمخرجًا وهو مذهب سيبويہ والشاطبیؒ
المذهب الثانى :ان عدد المخارج أربعة عشرمخرجًا وهو مذهب قطربؒ والفراءؒ
المذهب الثالث :ان عدد المخارج سبعة عشرمخرجًا وهو قول امام خليل الفراهيدى النحوى وهو الذى اختاره ابن الجزرىؒ وهذا المذهب الجمهور

[١] ألالف الساكنة المفتوح ماقبلها نحو: "قال"
[٢] ألواو الساكنة المضموم ماقبلها،نحو: "المغضوب"
[٣] أليـاء السـاكنة المكسور ماقبلها،نحو: " نستعين"-وهذه الحروف الثلاثة يقال لها مدّة،هوائية،جوفية-[١]

المخرج الثانى :أقصى الحلق،أى أبعد ه عن الفم وأقربه الى جهة الصدر،ويخرج منه حرفان: وهما ألهمزة والهاء-[٢]

المخرج الثالث : وسط الحلق، وهو مابين أقصى الحلق وأدنى الحلق ،ويخرج منه العين والحاء-[٣]

المخرج الرابع :أدنى الحلق،أى أقربه الى جهة الفم،ويخرج منه الغين والخاء،[٤] وتسمى هذه الحروف الستة(أى ألهمزة والهاء والعين ،والحاء والغين والخاء) حروفًا حلقية لخروجها من الحلق-

المخرج الخامس :أقصى اللسان أى أصل اللسان مما يلى الحلق مع ما يحاذيه من الحنك الأعلٰى، ويخرج منه القاف

المخرج السادس : أقصى اللسان مما يلى الحلق مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى ايضًا الا ان مخرجها أقرب الى مقدم الفم من مخرج القاف ويخرج منه الكاف،ويسمى هذان الحرفان لهوية، لخروجها من قرب اللهاة، واللّهاة هى لحمة مُثْبِتَةٌ بآخراللسان بين الحلق والفم-[٥]

---

[١] تسمى مدية ؛لامتداد الصوت بها-وتسمى هوائية؛لانها تنتهى بانقطاع هواء الفم -وتسمى جوفية ؛لخروجها من الجوف
[٢]الا ان الهمزة ادخل من الهاء مما يلى الصدر وقيل: الهمزة والهاء فى مرتبة واحدة
[٣] والعين اقرب الى اقصى الحلق من الحاء-وقيل:مخرج الحاء قبل مخرج العين، وقيل: هما سواء
[٤] ان الغين ادخل من الخاء، وقيل: ان مخرج الخاء قبل مخرج الغين
[٥] ورب قائل يقول: لم جُعِل اقصى اللسان مخرجين لحرفين،ولمُ يُجعل مخرجاواحدا لحرفين كأقصى الحلق؟ويجاب: بأن هناك فرقا بين أقصى اللسان وأقصى الحلق فان اقصى اللسان فيه طول،وبين موضعَىْ القاف والكاف بعد، ولذا اعتبر كل من الموضعين مخرجا خاصًا لحرف خاص، بخلاف اقصى الحلق ففيه قصر،وبين موضعى الهمزة والهاء قرب شديد،فلذلك اعتبراقصى الحلق مخرفا واحدا لحرفين-

المخرج السابع : وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى،ويخرج منه ثلاثة حروف ،وهى : الجيم والشين فالياء غيرالمدية أى كانت متحركة أو لينًا،وتسمى هذه الحروف شجُرية، لخروجها من شجُرالفم أى وسط الفم۔

﴿بيان الأسنان﴾

اعلم أن عدد الأسنان للانسان عامًا اثنان وثلاثون، وهى على اربعة انواع: الثنايا، الرباعيات ،الأنياب، الأضراس

[١] الثنايا وهى أربعة أسنان فى مقدَّم الفم ، اثنتان من فوق، تسمى الثنايا العليا،واثنتان من تحت ، تسمى الثنايا السفلىٰ۔

[٢]الرباعيات أوالقواطع(لقيامها بقطع الطعام)،وهى أربعة أسنان بجوار الثنايا ،وفى كل جانب واحد۔

[٣] الأنياب أو الكواسر(لكسر الأشياء)وهى أربعة أسنان بجوار الرباعيات وفى كل جانب واحد۔

[٤] ثم الأضراس عشرون سنًا،وهى على ثلاثة أنواع:

[١]الضواحك وهى أربعة أسنان تلى الأنياب،وفى كل جانب واحد۔

[٢]الطواحن (لقيامها بطحن الطعام وتجزيه عند المضغ)وهى اثنتاعشرة سِنًّابجوارالضواحك، ستة من فوق وستة من تحت،وفى كلِ جانب ثلاثة۔

[٣]النواجذ (لقيامها باستمساك ما يدخل فى الفم من الطعام)وهى أربعة أسنان فى آخر الفم بعد الطواحن،وفى كل جانب واحد،ويقال لها ضرس العقل والحلم ۔[١]

---

[١]ويقال للضواحك والطواحن والنواجذ أضراسًا(وذلك لقوتها وشدتها)

أسماء أجزاء اللسان : رأس اللسان ، طرف اللسان ، حافة اللسان ، أصل اللسان أو أقصى اللسان ، ظهراللسان ، وسط اللسان.

المخرج الثامن : مخرج الضاد، ويخرج من حافة اللسان مما يلى الأضراس العليامن الجانب الأيمن أو الأيسر، وخروجهٗ من الحافة اليُسرٰى أسهل وأكثر،ومن الجانبين معًاصحيحًا،لكن أعز وأعسر، ويقال للضاد حافية، لخروجها من حافة اللسان۔

تنبيه : لما كان حرف الضاد المعجمة من الحروف التى يكثرفيهااللحن بسبب كون اخراجه عسيرا،لاينطلق اللسان به الى بعد رياضة،فقد اهتم العلماء بالتنبيه على مراعاة تصحيح التلفظ به،والاهتمام بتحقيق مخرجه وتمكين صفاته،ويجب الاحتراز عن تلفظه دالًامفخمةً أو مرققةً ، لأنه غير صحيح،وكذلك لايجوز تلفظه مثل الظاء ،وهكذا ورد فى كتب التجويد والقراء ات۔

المخرج التاسع : مخرج اللام ، وهى تخرج من طرف اللسان مع أدنى الحافة ومايحاذيه من لثة الأسنان العلياأى الثنايا الرباعى والانياب والضواحك ۔[١]

المخرج العاشر: مخرج النون ، وهى تخرج من طرف اللسان وما يليه من لثة الاسنان العلياأى الثنايا الرباعى والأنياب ، وهو أسفل من مخرج اللام قليلاً۔

المخرج الحادى عشر : مخرج الراء ، وهى تخرج من طرف اللسان مع ظهره ومايحاذيه من لثة الاسنان العلياأى الثنايا الرباعى،وهو أسفل من مخرج النون قليلاً،ويقال لهذه الحروف الثلاثة طرفية أو ذلقية ، لخروجها من طرف اللسان أو ذلق اللسان۔

المخرج الثانى عشر : مخرج الطاء والدال والتاء ، وهى تخرج من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، وتسمى هذه الحروف الثلثة نطعية، لخروجها من قرب نطع الفم أى غاره۔[٢]

---

[١] وخروجها من الايمن أسهل وأكثراستعمالاومن الجانبين يمكن

[٢] أى جلد سقف الجزء الأمامى من الحنك الأعلى

المخرج الثالث عشر : مخرج الظاء والذال والثاء ، وهى تخرج من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا،وتسمى هذه الحروف الثلثة اللثوية لخروجها من قرب اللثة [۱]

المخرج الرابع عشر : مخرج الصاد والزاء والسين ، وهى تخرج من طرف اللسان مع مابين الأسنان العلياوالسفلٰى، قريبة الى السفلٰى مع انفراج قليل بينهما،ويقال لهذه الحروف الصفيرية ، لمشابهة أصواتهابأصوات العصافير ، وتسمى أيضًا أسلية ، لخروجهامن أسلة اللسان أى طرفه۔

المخرج الخامس عشر : مخرج الفاء ، وتخرج من بطن الشفة السفلٰى مع أطراف الثنايا العليا۔

المخرج السادس عشر : وهو ما بين الشفتين معًا ، ويخرج منه الباء والميم والواو غيرالمدية ، الّا أن الباء والميم يخرجان بانطباق الشفتين كاملاً، والواو بانضمامهمادون اطباق۔[۲]ويقال لهذه الحروف الثلاثه والفاء شفويه،لخروجها مع الشفة

المخرج السابع عشر : الخيشوم،وهو أقصى الأنف من الداخل ويخرج منه الغنة،والمراد من الغنة النون المخفى والنون المدغم بادغام ناقص،نحو:من يقول،انفسكم،من يعتصم باللّٰه۔ وسوف يأتى بيان الغنة فى اللمعة التاسعة والعاشرة عند قواعد النون والميم

معرفة مخرج الحرف : اذا اردت معرفة مخرج الحرف فسكن أو شدده وزد فى أوله همزة،فحيث انتهى بك الصوت فهومخرجه،مثل:[أقْ،أبْ]

---

[۱] وهى اللحم الذى ينبت فيه الاسنان

[۲] وانضمامهما فى الواو المدية أقل من انضمامهما فى الواو غير المديةاللسان.

(اللمعة الخامسة)

فی بیان صفات الحروف

الصفات جمع صفة،[١] وهی الشئ الزائد عن الأصل،أو ماقام بالشئ من المعانی حسیًاکان کالبیاض والسواد أو معنویاکالعلم للانسان،فالانسان قدیکون عالمًا وقدلایکون۔

تعریف الصفة فی الاصطلاح : کیفیة ثابتة للحرف عند النطق به من جهرواستعلاء وقلقلة وغیرها۔وهی تنقسم الی قسمین : اللازمة والعارضة

فاللازمة : مالاتنفك عن الحروف أبدًا أی لاتفارقه بحال من الأحوال کالقلقلة والشدة،وتسمی أیضًاذاتیةوممیّزةومقوّمة۔

والعارضة : ماتوجد فی بعض الحروف فی وقتٍ دون وقتٍ[٢] کالتفخیم والترقیق،وتسمی أیضًامحسِّنة و مزینة ومحلِّیة۔

وتنقسم هذه الصفات السبع عشر الی قسمین [٣]

[١] قسم له ضد وتسمی الصفات المتضادة [٢] قسم لا ضد له وتسمی الصفات غیر المتضادة

الصفات المتضادة : وهی عشر صفات،تنقسم الی خمس مجموعات،فی کلّ مجموعة صفتان متضادتان، أی اذا وجدت صفة فی حرف منهما امتنع علیه ضدها،ولابد للحرف من أن یتصف باحداهما،وهذه الصفات هی :

[١-٢]الهمس وضده الجهر[٣-٤]الشدّة وضده الرخوة وبینهما التوسط

[٥-٦]الاستعلاء وضده الاستفال [٧-٨]الاطباق وضده الانفتاح

[٩ و ١٠] الاذلاق وضده الاصمات

---

[١]الصفات تعتبر بمثابة المعاییر للحروف، فتمیز بینها حتی یعرف القوی من الضعیف وخاصة تلك التی تخرج من مخرج واحد کالطاء والتاء،فلولا الاطباق والقلقلة فی الطاء لما استطعت أن تمیز بینهما،فلهذا فوائد الصفات ثلاثة: الاول:تمییز الحروف المشترکة فی المخرج۔الثانی:معرفة القوی من الضعیف ۔الثالث: تحسین لفظ الحروف المختلفة المخارج

[٢]أی تعرض للحرف فی بعض الأحوال وتنفك عنه فی البعض الأخر لسبب من الاسباب کالتفخیم والترقیق والاظهار والادغام ونحوذلك

[٣]اختلف العلماء فی عدد صفات الحروف،فانها بعضهم الی أربع وأربعین صفة ، وبعضهم الی أربع وثلاثین صفة ،وبعضهم الی أربع عشرة صفة، وبعضهم زاد علی ما ذکر وبعضهم نقص،ولکن عند الجمهور سبع عشرة صفة وهو الذی اختار ابن الجزری فی المقدمة۔

الهمس وضده الجهر

الهمس : وهو الخفاء،أى صوتٌ خفى،والحروف التى تتصف بهذه الصفة تسمى مهموسة،والمراد من الهمس جريان النفس عند النطق بالحرف ،لضعف الاعتماد على مخرجه ويوجد نوع انخفاض فى الصوت،وهذه الحروف عشرة،ومجموعها:فَحَثَّهٗ شَخْصٌ سَكَتْ.

الجهر : الظهوروالاعلان،أى الصوت القوى،والحروف التى تتصف بهذه الصفة تسمى مجهورة،والمراد من الجهر انحباس جرى النفس عند النطق بالحرف لقوة الاعتماد على مخرجه ويوجد فيه صوت قوى،وحروفه تسعة عشر حرفًا ما عدا الحروف المهموسة،ومجموعها:عَظُمَ وَزْنُ قَارِئُ ذِیْ غَضٍّ جَدُّ طَلَب.

الشدة وضده الرخوة وبينهما التوسط

الشدة : هى الغلظة والقوة،والحروف التى تتصف بهذة الصفة تسمى شديدة،والمراد من الشدة عدم جريان الصوت عند النطق بالحرف لكمال قوة الاعتماد على مخرجه ويكون فيه شدة وغلظة،وهى ثمانية حروف،ومجموعها: أَجِدُکَ قَطَبْتَ

الرخاوة : أى اللين،والحروف التى تتصف بهذه الصفة تسمى حروف الرخوة،والمراد من الرخوة جريان الصوت عند التلفظ به لضعف الاعتماد على مخرجه ويوجد فيه نوع رفق ولين،وحروفها ستة عشر ما عدا حروف الشدة والمتوسطة،ومجموعها:خَسُّ حَظٍّ شَصُّ هَزٍّ وَضِغْثٌ يَّافَذ.

التوسط: الاعتدال ،والحروف التى تتصف بهذة الصفة تسمى متوسطة أو بينية،والمراد من التوسط لاينحبس الصوت كاملاً فى المخرج كما فى الشدة، ولا يجرى كاملًاكما فى الرخوة ، بل يكونان فى حال بين الانحباس والجَرْى وهى خمسة حروف،ويجمعها: لِنْ عُمَرَ.

فان قيل: الهمس جريان الصوت وهو يستلزم جريان النفس،والشدة احتباس الصوت وهو يستلزم احتباس النفس،فبين الهمس والشدة تناقض،فكيف تكون الكاف والتاء شديدتين مهموستين؟

قلت : الشدة فى وقت والهمس فى وقت آخر،فشدتهما باعتبار الابتداء وهمسهما باعتبار الانتهاء،فينحبس صوتهما بالكلية بل نفسهما ايضاابتداء،ثم ينفتح مخرجهما ويجرى فيهما نفس يسير،ليحصل الهمس،وشرط التناقض أن يكون الزمن متحدا،وهنا قد اختلف،فلم يكن تناقض

الاستعلاء وضده الاستفال

الاستعلاء : الارتفاع والعلو، والحروف التى تتصف بهذه الصفة تسمى مستعلية،والمراد من الاستعلاء ارتفاع اقصى اللسان عند النطق بالحرف الى الحنك الاعلى فيرتفع الصوت معه،وحروفها سبعة هى:**خُصَّ ضَغْطٍ قِظْ.**

الاستفال : أى الانخفاض،والحروف التى تتصف بهذه الصفة تسمى مستفلة،والمراد من هذه الصفة، انخفاض اللسان عن الحنك الاعلى عند النطق بالحرف الى قاع الفم فينخفض معه الصوت ،وحروفها:اثنان وعشرون ومجموعها:**اُنْشُرْ حَدِيْثَ عِلْمِکَ سَوْفَ تُجَهِّزْ بَذَا**

الاطباق وضده الانفتاح

الاطباق : أى الالصاق ،والحروف التى تتصف بهذه الصفة تسمى مطبقة،والمراد من الاطباق الصاق أكثراللسان الى الحنك الاعلى عند النطق بالحرف،وهى أربعة حروف:ص،ض،ط،ظ.[١]

الانفتاح : أى الافتراق،والحروف التى تتصف بهذه الصفة تسمى منفتحة،والمراد من هذه الصفة، افتراق اللسان عن الحنك الاعلى بحيث يخرج الريح من بينهما عندالنطق بالحرف، وحروفه خمسة وعشرون ماعدا الحروف المطبقة ومجموعها: **مَنْ اَخَذَ وَجَدَ سَعَةً فَزَكَا حَقَّ لَهُ شُرْبُ غَيْثٍ.**

---

[١]صفة الاطباق أبلغ وأخص من الاستعلا،لان الاطباق يرتفع به اللسان الى الحنك وينطبق كله أو جزء منه،أما فى الاستعلا فيرتفع اللسان بحروفه ولاينطبق بالحنك الاعلى

الاذلاق وضده الاصمات

الاذلاق : أى حدة اللسان أو طرف الشئ،والحروف المتصفة بهذه الصفة تسمى مذلقة،والمراد من الاذلاق سرعة النطق بالحرف لخروجه من طرف اللسان كاللام والراء والنون ومن الشفة كالفاء والباء والميم ،وهى ستة حروف،ومجموعها:فَرَّمِنْ لُبِّ.

الاصمات :أى المنع،والحروف المتصفة بهذه الصفة تسمى مصمته،والمراد من هذه الصفة ثقل الحرف وعدم سرعة النطق به لخروجه بعيدا عن ذلق اللسان والشفة .وحروفها ثلاثة وعشرون ومجموعها:جُزْغَشَّ سَاخِطٍ صَدَّ ثِقَةٍ اِذْ وَعْظُهُ يَحُضُّكَ.

واعلم أن كل صفة من هذه الصفات العشرة تضاد الأخرى ويوصف الحرف باحدى الصفتين المتضادتين ، فان لم يكن فى احدى هذه الصفات كان فى الصفة المتضادة لها

الصفات غير المتضادة

وهى سبع صفات :[١] الصفير[٢] القلقلة[٣] اللين[٤] الانحراف [٥] التكرير [٦] التفشى [٧] الاستطالة

الصفير : والحروف المتصفة بهذه الصفة تسمى صفيرية،والمراد من الصفير هى صوت زائد يشبه صوت الطائر يخرج من بين الشفتين عند النطق بحروفه الثلاثة التى هى:(الصاد،والزاء ،والسين) فالصاد تشبه صوت الاوز،والزاء صوت النحل والسين صوت الجراد أ و العصفور[١]

القلقلة : أى الاضطراب والتحرك ، والمراد من القلقلة اضطراب الصوت عند النطق بالحرف ساكنًا،حتى يسمع له نبرة قوية،أى صوت عال،وحروفها خمسة، مجموعها:قُطُبُ جَدٍّ.[٢]

---

[١]وعلى هذا فينبغى لك أن تظهر صفير السين أكثر من الزاء ،وتظهر الزاء أكثر من الصاد.

[٢] مراتب القلقلة أربع :أعلى [١] الساكن الموقوف عليه المشدد،نحو:[بِالْحَقِّ] ثم [٢] الساكن الموقوف عليه المخفف ،نحو[مُحِيْطٌ]ثم [٣] الساكن الموصول، نحو[يَجْمَعُ] ثم[٤] المتحرك مطلقا، نحو[طَبَعَ]

اللين : أى ألرفق والسهولة ،والمراد من هذه الصفة خروج الحرف من مخرجه بسهولة وعدم كلفة على اللسان ،وهما حرفان: الواو والياء الساكنتان المفتوح ما قبلهما ،نحو:خَوْف،صَيْف۔

الانحراف :أى الميل عن الشئ و العدول عنه،والحروف المتصفة بهذه الصفة تسمى الحروف المنحرفة،وهما حرفان :اللام والراء ،والمراد من هذه الصفة ،ميل الحرف بعدخروجه عن مخرجه حتى يتصل بمخرج غيره،فاللام فيها انحراف وميل الى طرف اللسان، والراء فيها انحراف الى ظهراللسان وميل قليل الى جهة اللام۔

التكرير : الأعادة ،والمراد من التكرير ارتعاد رأس اللسان عند النطق بالحرف،وهو صفة لازمة للراء ، والمقصود اخفاء التكرير بحيث لايتبين للسامع ،لا اعدام هذه الصفة بالكلية ۔

التفشّى :أى الانتشار،والمراد من هذه الصفة انتشار الريح فى الفم عند النطق بالشين

الاستطالة:أى الامتداد،والمراد من الاستطالة امتداد الصوت من أول احدى حافتى اللسان الى أخرها،وحرف الاستطالة : هو الضاد

فوائد متنوعة

الفائدة الاولٰى : فان قيل لن هذه الصفات السبع الاخيرة (أى غير المتضادة)اذا لم توجد فى حرف فان أضدادها توجد فيه،فمثلًا اذا كانت الضاد متصفة بالاستطالة وغيرها متصفة بعدم الاستطالة،اذًا لافرق بين الصفات المتضادة وغيرها،فكيف يصح تقسيم الصفات الى المتضادة وغيرها؟

قلنانسلم بأن الأمر كذلك،الاّ أن لكل صفة ولضدها من الصفات المتضادة اسمًا معينًا،فيصدق على كل حرف اما صفة أو ضدها،فلايخلو كل حرف عن الصفة المتضادة،وأما الصفات غير المتضادة اذالم يكن لضدها اسمًا معينًا،فلايعتبر ضد الصفة،فاتّضح الفرق بيّنًا۔

الفائدة الثانية : لابدّ للمسلم أن يتمرن على أداء كلمات القرآن الكريم وفق هذه المخارج التى ذكرناها الدى أستاذ ماهر فى التجويد،فان لم يجده ،فلابأس بان يستفيد من الكتاب۔

الفائدة الثالثة : وماقلنا فى تعريف الصفات اللازمة ان لم تؤد الصفات اللازمة لم يبق الحرف حرفا،وهذا على أوجه مختلفة :

الأوّل: أن يتبدل الحرف بحرف اٰخر

الثانى: ان يبقى الحرف على حاله ، ولكن يحدث فيه نقص عيب

الثالث : لايبقى الحرف عربيا بل ينقلب الى حرف مخترع وهذه الوجوه كلها توجد عند عدم الاهتمام بأداها من مخارجها الصحيحة،فمثل هذه الامور قدتكون سببا لفساد الصلاة،لذلك يجب على المرء أن يراجع الاستاذ فى مثل هذه المواقع۔

(اللمعة السادسة)

فى بيان الصفات المحسنة،المحلية،المزينة،العارضة

تعريف الصفات العارضة: وهى التى توجد فى بعض الحروف فى وقتٍ دون وقتٍ،أى تعرض للحرف فى بعض الأحوال وتنفك عنه فى البعض الأخر لسبب من الاسباب كالتفخيم والترقيق والاظهار والادغام ونحوذلك[١]

وهذه الصفات لاتوجد فى جميع الحروف بل توجد فى ثمانية حروف فقط،ومجموعهاهى:''أويرملان''

[١] اللّام [٢]الرّاء [٣]الميم الساكنة والمشددة

[٤]النون الساكنة والمشددة،والتنوين داخل فيها،لأنّه ينطق نونًا ولو أنه لايكتب مثل النون،مثل:بٌ،فانّهٗ ينطق بُنْ [٥]الالف اذا كان ماقبلها مفتوحًا

[٦]الياء الساكنة اذا كان ماقبلها مكسورًا او مفتوحًا

[٧]الواو الساكنة اذا كان ماقبلها مضمومًا او مفتوحًا[٨]الهمزة

---

[١]وهى اثناعشر صفات:[١]التفخيم [٢]الترقيق [٣]الاظهار [٤]الادغام [٥]الاخفاء [٦]الاقلاب [٧]المد [٨] التسهيل [٩]الابدال [١٠]الحذف [١١]الامالة [١٢]الغنه

(اللمعة السابعة)

فى قواعد اللاّم

اعلم أن اللاّم تفخم[١] من لفظة الجلالة(اللّٰه) فى حالتين:

[١] اذا وقعت بعد الفتح،نحو:قال اللّٰه

[٢] اذا وقعت بعد الضم،نحو:عبداللّٰه

وترقق اذا وقعت بعد الكسر،نحو:بسم اللّٰه۔

وأما ماعدا اللام من لفظ الجلالة، فانها ترقق دائمًا،سواء كانت مفتوحةً،مثل:"مَا وَلّٰهُمْ"أو مضمومةً،مثل:"كُلُّهٗ" أو مكسورة،مثل: ذٰلِك

ملاحظة: هذه القاعدة التى ذكرناها تنطبق على كلمة "أَللّٰهُمَّ"أيضًا،لأن فى بدايتها لفظ الجلالة۔

(اللمعة الثامنة)

فى قواعد الرّاء

ترقق الراء فى الحالات التالية:

[١]اذا كانت الراء مكسورة مخففة،نحو:[رِحْلَةٌ] [٢]اذا كانت الراء مكسورة مشددة،نحو:[الرِّجال]

[٣] اذا كانت الراء ساكنة بعد كسرة اصلية ومتصلة،نحو:[شِرْعَة]

[٤] اذا كانت الرء ساكنة بعد ياء ساكنة فى حالة الاسكان والاشمام[خَبِيْر، ضَيْر]

[٥] اذا كانت الراء ساكنة بعدحرف الساكن سوى الياء،وكان قبل الساكن كسر[حِجْر]وذلكِ فى حالة الوقف

[٦]ترقق الراء الممالة،وهى توجد فى موضع واحد من القرآن الكريم عند الامام حفصؒ،أى [بسم اللّٰه مَجْرِيهَا] تمال الفتحة الى الكسرة والالف الى الياء،فتشابه الفتحة بالكسرة المجهولة۔

[٧]الراء المرامة أى التى وقف عليه مع الروم،فهى تقرأ حسب حركتها،ان كانت مكسورة،فترقق

تفخمّ الراء فی الحالات التالية:

[١]اذا كانت الراء مفتوحة مخففة ،نحو: [رَبُّک] [٢]اذا كانت الراء مضمومة مخففة،نحو:[رُبَمَا]

[٣]اذا كانت الراء مفتوحة مشددة،نحو:[الرَّحْمٰن] [٤]اذا كانت الراء مضمومة مشددة،نحو:[اَلرُّسُلُ]

[٥] اذا كانت الراء ساكنة بعد فتح،نحو:[بَرْقٌ] [٦] اذا كانت الراء ساكنة بعد ضمّ ،نحو:[يُرْزَقُوْنَ]

[٧]اذا كانت الراء ساكنة بعد كسر عارض،نحو:[اَمِ ارْتَابُوا]

[٨] اذا كانت الراء ساكنة بعد كسر اصلى منفصل، نحو:[رَبِّ ارْجِعُوْن]

[٩] اذاكانت الراء ساكنة بعد كسر اصلى متصل،وبعدها حرف مفتوح من حروف الاستعلاء فی كلمة واحدة [١]،نحو:[قِرْطَاسٍ،فِرْقَةٍ،اِرْصَادًا،لَبِالْمِرْصَاد]

[١٠،١١] اذا كانت الراء ساكنة بعدحرف الساكن سوى الياء،وكان قبل الساكن فتح أو ضم ،نحو:[لَيْلَةُ الْقَدْرِ،الْاُمُوْرُ]

[١٢]اذاكانت الراء ساكنة بعد ياء ساكنة ، فی حالة الروم ان ضمت،نحو:[قَدِيْرٌ]

ملاحظة : ان الرَّاء المشددة تعتبر راء واحذة ، وتقرأ حسب حركتها ،ترقق فی حالة الكسر،نحو:[دُرِّیٌّ] وتفخم فی حالة الفتح والضم،نحو:نحو:[سِرًّا،مَرُّوْا]۔

ملاحظة: فی كلمة[اُدْخُلُوْا مِصْرَ]،[عَيْنَ الْقِطْرِ]اختلف أهل الاداء فی الوقف عليهما، فمنهم مَن اعتدّ بحرف الاستعلاء ،ففخم الراءَ فی اللفظين، ومنهم مَن لم يعتدّ به، فرقّقها فيهما،والمختا رفی [مِصْرَ]التفخيم وفی [الْقِطْرِ] الترقيق،نظراً لحال الوصل

ملاحظة: يجوز الأمران فی راء [فِرْقٍ] أی تفخم لاجل حرف الإستعلاء بعد الراء الساكنة،وترقق لضعف حرف الاستعلاء من الكسرة ،والثانی أولٰى بالعمل

[١] ولو جاءت الحروف المستعلية كلمة أخرى، فان الراء ترقق،نحو: [اَنْذِرْ قَوْمَكَ]

الفائدة : تفخم الرّاء فی کلمة [إِذَا يَسْرِ] فی الوقف عند البعض،نظرا الی قبل الساکن فتح ،وترقق عند البعض نظرا الی الاصل وهی الیاء المحذوفة والی الوصل[۱]

(اللمعة التاسعة)

فی قواعدالمیم المشددة والساکنة

اذا وقعت النون والمیم مشددتین وجب الغنة فیهما،ویسمی کل منهما حرف غنة،مثل :أَنَّ،ثُمَّ

تعریف الغنة لغة: صوت أرن

واصطلاحا: صوت لذيذ يخرج من الخيشوم وقيل أنه شبيه بصوت الغزالة اذا ضاع ولدها۔ ومقدار الغنة : قدر الألف

للمیم الساکنة ثلاثة أحکام

[۱] ادغام المتماثلین الصغیر [۲] الاخفاء الشفوی

[۳] الاظهار الشفوی

الادغام : اذا وقعت المیم المتحرکة بعد المیم الساکنة،سواء فی کلمة أو کلمتین ،وجب الاغام مع الغنة،نحو:[الٓمّٓ ،إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُوْن] ویسمی ذلك ادغام المتماثلین الصغیر۔

الاخفاء : اذا وقعت الباء بعد المیم الساکنة، ولا یکون ذالك الا فی کلمتین،جاز اخفاء المیم الساکنة مع مراعاة الغنة،نحو:[مَنْ يَّعْتَصِمْ بِاللّٰه]ویسمی ذلك اخفاء شفویًا.

تنبیه : والمراد من الاخفاء هنا: یکون اخفاء المیم الساکنة عند الباء بانطباق الشفتین للمیم واظهار غنتها،والنطق بالباء بعدها من غیر فصل.

---

[۱] اعلم ان للتفخیم مراتب : ومن أعلی مراتبه تفخیم الحرف المفخم المفتوح الذی یلیه ألف، مثل :[طَالَ] ثم المفتوح الذی لیس بعده ألف، مثل : [انطَلقوا]، ثم ما کان مضموما ، مثل:[محیطٌ]ثم ما کان مکسورا،مثل: [ظِلٍّ، قِرطاس]

الاظهار: اذا وقع بعد الميم الساكنة حرف من حروف الهجاء سوى الباء والميم فى كلمة أو كلمتين،وجب الاظهارفيها،نحو:[أَنْعَمْتَ،اَلَمْ تَرَ كَيْفَ]ويسمى اظهارا شفويًا۔

قاعدة البوف: ان قاعدة "البوف" التى اشتهرت بين الناس أنه لايميزون فى الاخفاء والاظهار بين الباء والواو والفاء،بل يُطبّقون على الجميع القاعدة المذكورة،فالبعض يعملون بالاخفاء فى الحروف الثلاثة،والبعض بالاظهار،والبعض تظهر رائحة الحركة فى سكون الميم ،نحو:[عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّآلِّيْن]وهذه كلها أمورخلاف القاعدة،فالقول الأول والثالث خاطئ،والقول الثانى ضعيف۔

(اللمعة العاشرة)

فى قواعدالنون الساكنة والتنوين

للنون الساكنة والتنوين أربعة أحكام :

[١]الاظهار [٢]الادغام [٣]الاقلاب [٤]الاخفاء

الاظهار[١] :اذا وقعت بعد النون الساكنة والتنوين حرف من حروف الحلقية،وجب الاظهار،مثاله:أَنْعَمْتَ ،سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ،ويسمى الاظهارالحلقى،وحروف الحلقى ستة،كما جمعها الشاعر فى قوله:

فهمز وهاء ثم عين وحاء ها فغين وخاء ياأخى تأملا

الادغام [٢]:

وحروفه: ستة،وجمعها فى كلمة[يَرْمَلُوْنَ]

وهذا الادغام على قسمين: [١]ادغام مع الغنة [٢]ادغام بلاغنة

فالأربعة منها تدغم مع الغنة ويجمعهافى كلمة[يَنْمُوْ]،نحو:[مَنْ يَّقُوْل، مِنْ وَّالٍ،مِنْ نِّعْمَةٍ، مِنْ مَّآءٍ] ويسمى ادغام مع الغنة۔

---

[١] الاظهارلغة: البيان والايضاح واصطلاحا: اخراج الحرف من مخرجه من غير غنة كاملة

[٢] الادغام لغة: ادخال الشئ فى الشئ واصطلاحا: ادخال حرف ساكن فى حرف متحرك بحيث يصيران حرفا واحدا مشددا

أما اللام والراء فانهما يدغمان بدون غنة، نحو:[مِنْ رَّبِّكَ، مِنْ لَّدُنْهُ]ويسمى ادغام بلاغنة۔

والمراد من الادغام : اذا وقع بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من حروف [يرملون]، وجب الادغام

شرط الادغام : أن تكون النون الساكنة والتنوين فى آخر الكلمة الاولى وحرف الادغام فى أول الكلمة التالية۔

الاظهار المطلق : هو أن يقع بعد النون الساكنة ياء أو واو فى كلمة واحدة ،يسمى اظهارًا مطلقًا،ولم يقع فى القران الا أربع كلمات:[صنوان،قنوان،الدنيا،بنيان]۔

الاقلاب[١]: والمراد من الاقلاب:اذا وقعت الباء بعد النون الساكنة أوالتنوين،سواء من كلمة أو كلمتين وجب الاقلاب أى تُقْلَبُ النون الساكنة أوالتنوين ميمًا،ثم اخفاء هذه الميم مع الغنة،مثل:[مِنْ بَعْدِ،سَمِيْعٌ بَصِيْر،أَنْبِئْهُمْ]

فائدة: يضعون البعض ميمًا صغيرة فى المصاحف للتسهيل،نحو:[مِنْ م بَعْدِ..سَمِيْعٌ بَصِيْر]۔

الاخفاء[٢]: والمراد من الاخفاء اذا وقعت النون الساكنة أ التنوين قبل حرف من حروف الخمسة عشر الباقية ،سواء من كلمة أو كلمتين ،يجب الاخفاء مع الغنة ،نحو:[أَنْذَرْتَهُمْ،قَوْمًا ظَلَمُوْا]ويسمى اخفاء حقيقيًا،وحروف الاخفاء خمسة عشرحرفا،مجموعة فى أوائل كلمات هذا البيت :

صف ذاثناكم جاد شخص قد سما دم طيبازدفى تقى ضع ظالما

---

[١] الاقلاب لغة : تحويل الشئ عن وجهه

واصطلاحا: قلب النون الساكنة أوالتنوين ميمًامخفاةبغنة،وله حرف واحد:هوالباء

[٢] الاخفاء لغة : الستر

واصطلاحًا: اخراج النون الساكنة أو التنوين من مخرجه عاريًا خاليًا عن التشديد مع بقاء الغنة بحيث لاادغام فيه ولا اظهارأى مابين الاظهاروالادغام

(اللمعة الحادى عشر)

فى قواعد المد والقصر

المد لغةً : الزيادة والاطالة

واصطلاحًا : اطالة الصوت بحرف المد أو اللين عند وجود السبب وضده القصر

القصر لغة : الحبس والمنع

واصطلاحًا: اثبات حرف المد أو اللين من غير زيادة فيه لعدم وجود السبب

حروف المد واللين: حروف المد ثلاثة:[۱] الالف الساكنة(المفتوح ماقبلها) [۲] الواو الساكنة (المضموم ماقبلها) [۳] الياء الساكنة (المكسور ماقبلها) وحروف اللين اثنان: الواو والياء الساكنتان (المفتوح ماقبلهما) [۱]

أقسام المد

المد ينقسم على قسمين: [۱] مد اصلى [۲] مد فرعى

المد الأصلى: هو أن لا يقع بعد حرف من حروف المد سكون ولا همز۔ نحو: [نُوْحِيْهَا] ويسمى مدًا أصليا؛لأنه لاتقوم ذاتُ حرف المد الّا به، ولا يتوقَّف على سبب من أسباب المد، ويسمى مدًا طبيعيًا،لأن صاحب الطبيعة السليمة لايزيده ولا لاينقصه عن حركتين۔

ومقدار المد الأصلى:حركتان أى قدر الألف ،والحركة مقدارقبض الاصبع أو بسطه بالاعتدال

المد الفرعى: هو أن يقع بعد حرف من حروف المد سكون أو همز۔

أسباب المد الفرعى: أسبابه اثنان:الهمزة والسكون [۲]

---

[۱]واعلم أن الألف المقصورة الفوقية والتحتية والضمة المعكوسة فى حكم المد،لأن صوت الألف المقصورة الفوقية مثل الألف الممدودة،نحو: [مُوْسٰى]وصوت الألف المقصورة التحتية مثل الياء الممدودة،نحو:[رَبِّهٖ]وصوت الضمة المعكوسة مثل الواو الممدودة،نحو: [لَهٗ]وهنا نكتفى بذكر كلمة المدة،ولانذكر هذه الاسماء الطويلة خوفًا من التطويل والاطناب.

[۲] الهمزة سواء كان قبله أم بعده ، والسكون سواء كان أصليا أم عارضا

ثم المد الفرعى على أربعة أقسام :

[١] المـد المتصل [٢] المد المنفصل وسببهما الهمزة [٣] المد اللازم [٤] المد العارض للسكون، وسببهما السكون۔

أحكام المد الفرعى

وللمد الفرعى ثلاثة أحكام: [١] الوجوب : فهوخاص بالمد المتصل فقط۔ [٢] ألـجواز: فهو خاص بالمد المنفصل والمد العارض للسكون [٣] اللزوم: وهو خاص بالمد اللازم فقط۔

المدالمتصل: وهو أن يأتى بعد حرف المد همزٌ متصلٌ به فى كلمة واحدة،نحو:[سَوَاءٌ ، سُوْءُ، سِيْئَتْ] وسُمِّيَ متصلًا ؛ لاتصال حرف المد بالهمزة فى كلمة واحدة، وسمى واجبًا؛لاجماع القراء على مده أكثرمن حركتين۔

ومقدا ره : يمد بمقدارأربع أو خمس حركات،وهذا المقدارزيادة على مقدار الطبيعى اتفاقا۔

المدالمنفصل: وهو أن يأتى بعد حرف المد همزٌ منفصلٌ عنه فى كلمة أخرى[١] نحو: [إِنَّآ أَعْطَيْنٰكَ،اَلَّذِیْٓ أَطْعَمَهُمْ،قَالُوْٓا اٰمَنَّا] وسمى منفصلًا،لأن حرف المد فى آخرالكلمة ،والهمزة فى أول الكلمة التى بعدها، وسمى جائزا،لجواز مده۔

ومقداره : يمد بمقدارأربع أو خمس حركات۔

المداللازم: هوأن يأتى بعد حرف المد أو اللين ساكن أصلى ووصلًا وقفًا سواء كان ذلك فى كلمة أو حرف،نحو:[الحآقّة، ءٰآلْئٰنَ،الٓمّٓ ،كٓهٰيٰعٓصٓ][٢]

ومقدار مده: ثلاث الفات۔

---

[١] أى أن يأتى حرف المد فى ا خر الكلمة والهمز فى أول الكلمة التى بعدها،وذلك فى حالة الوصل فقط، أما عند الوقف فان سبب المد يزول،ويعود المد طبيعيًا

[٢]سمى مدا لازما للزوم مده ست حركات من غيرتفاوت وأيضا للزوم سببه وهو السكون وصلا ووقفا

فالمداللازم على أربعة أقسام

[١]المد اللازم الكلمى المخفف[٢]المداللازم الكلمى المثقل
[٣]المداللازم الحرفى المخفف[٤]المداللازم الحرفى المثقل۔

[١]**المداللازم الكلمى المخفف**: وهو أن يأتى بعد حرف المد سكون أصلى فى كلمة خاليًا من التشديد،نحو:(ءَ آلْئٰنَ)ويسمى مدا كلميًامخففًا[١]

[٢]**المداللازم الكلمى المثقل**:هو أن يأتى بعد حرف المد سكون أصلى مدغم أى مشدد فى كلمة،نحو:[اَلْحَآقَّةُ]ويسمى مدا كلميًا مثقِلاً۔[٢]

[٣] **المداللازم الحرفى**[٣] **المخفف**: هو أن يأتى بعد حرف المد سكونٌ أصلىٌ فى حرف من أحرف الهجاء خاليًا عن التشديد،نحو:[صٓ، قٓ]ويسمى مدًا حرفيًا مخففًا۔[٤]

[٤]**المداللازم الحرفى المثقل**: هو أن يأتى بعد حرف المد سكونٌ أصلىٌ فى حرف من أحرف الهجاء بشرط أن يكون فيه تشديد،نحو:[الٓمّٓ ،الٓمّٓرٰ]ويسمى مدًا حرفيًا مثقلاً۔[٥]

---

[١] سمى كلميًا؛ لاجتماع المد مع السكون فى كلمة، ومخففًا لانتفاء الادغام فيه

[٢] سمى كلميًا؛ لاجتماع المد مع السكون فى كلمة، ومثقّلاً لكونه مدغمًا،لان أصله حرفين، الاول الساكن و الثانى متحرك، فان ادغم ساكنه فيما بعده كان مثقلاً وان لم يدغم فهو مخفف

[٣] الحروف التى وردت فى فواتح السور،أربع عشر حرفا،تجمعها [نَصٌّ حَكِيْمٌ قَاطِعٌ لَهٗ سِرٌّ]،وهى تنقسم الى ثلاثة أقسام.

[١] فمنهاما كان هجاؤه على حرفين، وهى خمسة مجموعها[حَىٌّ طَهُرَ]وفى هذا القسم يمد مدا طبيعيا فقط۔

[٢] ومنهاما كان هجاؤه على ثلاثة أحرف، أوسطهاحرف مد أو حرف لين،وهى ثمانية أحرف،يجمعها [نَقَصَ عَسَلُكُمْ]وفى هذا القسم يمد مدامشبعا مقداره ست حركات ماعدا [عين]،أما فى العين فانه يجوز فيه الطول والتوسط

[٣] ومنهاما كان هجاؤه على ثلاثة أحرف،ليس أوسطها حرف مد ولا لين، وهو حرف اَلِفْ فقط،وليس فيه مد أصلا

[٤] سمى حرفيًا؛ لاجتماع المد و السكون فى حرف من أحرف المقطعات، ومخففًا لانتفاء الادغام فيه

[٥] سمى حرفيًا؛ لاجتماع المد و السكون فى حرف من أحرف المقطعات، ومثقلاً لكونه مدغما

المداللازم اللين: وهو أن يأتى بعد حرف اللين سكونٌ أصلىٌ فى حرف من أحرف الهجاء، توجد لهذه القاعدة مثالان فقط: العين فى[كٓهٰيٰعٓصٓ]مريم، و[حٰمٓ عٓسٓقٓ] شورى، ومقداره: الطول وهو الأفضل، والتوسط

المدالعارض للسكون: هو أن يقع بعد حرف المد ساكنٌ عارضٌ لأجل الوقف، نحو:[العٰلمِيْنَ، الرحِيْمِ، نستعِيْنُ]ويجوز فيه ثلاثة أوجه: الطول أى ثلاث ألفات وهو الأفضل، ثم التوسط أى ألفان، ثم القصر أى ألف واحد

المدالعارض اللين: هو أن يقع بعد حرف اللين ساكنٌ عارضٌ لأجل الوقف، نحو:[خَوْفْ، اَلْبَيْتْ]ويجوز فيه ثلاثة أوجه: القصر وهو الأفضل، ثم التوسط، ثم الطول-[١]

مراتب التفخيم فى الألف: اعلم ان للتفخيم مراتب، ومن أعلى مراتبه: الالف من لفظ جلالة[اللّٰه]، [٢] ثم بعد الطاء، [٣] ثم بعد الضاد، [٤] ثم بعد الصاد، [٥] ثم بعد الظاء، [٦] ثم بعد القاف، [٧] ثم بعد الغين[٨] ثم بعد الخاء[٩] ثم بعد الراء

(اللمعة الثانية عشرة)

فى قواعدالهمزة

تعريف الهمزة الوصل [٢]: هى التى تثبت فى الابتداء وتسقط فى الوصل لاعتماد الحرف الساكن حينئذ على ماقبله، نحو: جاء فى

[١] المد فى حروف المد هو الاصل والاقوى، والمد فى حرف اللين، انما هو للتشبيه، ولذا يكون المد ضعيفا فى حرف اللين

[٢] **همزة الوصل فى الاسماء**: يبدأ بهمزة الوصل مكسورة فى تسعة أسماء، اثنان قياسية، وهى فى مصدر الفعل الماضى الخماسى والسداسى، نحو: [ابتغاء، استكبارا] وسبعة سماعية: وهى: ابن، ابنة، امرءة، اثنين، اثنتين، اسم

[٢] **همزة الوصل فى الأفعال**: توجد فى الفعل الماضى الخماسى والسداسى، نحو:[اِشْتَرٰى، اِنْطَلَقَ، اِسْتَكْبَرَ، اِسْتَسْقٰى] والأمر من الماضى الثلاثى والخماسى والسداسى، نحو:[اُذْكُرْ، اِضْرِبْ، اِنْتَظِرْ، اِسْتَغْفِرْ]

حكمها: تُضمّ همزة الوصل اذا كان ثالث حروف الفعل مضمومًا ضمًّا أصليًا، نحو:[اُذْكُرْ]وتُكسَر همزة الوصل اذا كان ثالثُ حروف الفعل مكسورًا، نحو:[اِضْرِبْ]أو مفتوحًا، نحو:[اِذْهَبْ] أو مضمومًا ضمًّا عارضًا، نحو:[اُقْضُوْا]نظرا الى اصله، فان اصله كان [اِقْضِيُوْا]

[٣] **همزة الوصل فى الحروف**: تدخل على حرف اللام من "ال" التعريف فقط-نحو: [الشمس، الرحمن، القمر]

حكمها: تُفتح دائمًا-

قاعدة: اذا وقعت همزة الوصل بين همزة الاستفهام ولام التعريف، فلا تحذف همزة الوصل، لئلا يلتبس الاستفهامُ بالخبر، بل تبدل الفا، نحو:[آلْئٰن]

سورۃ الحجرات قوله تعالٰی:[بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوْقُ]عند الوصل تقرأ السين مفتوحة فی[بِئْسَ] وتحذف الهمزتان وتقرأ اللام التعريف مكسورا متصلاً بالسين فی كلمة[الِاسْمِ]۔

وعند الابتداء وجهان: [۱]الابتداء بهمزة الوصل مفتوحة وكسر اللام،"أَلِسْم"

[۲]الابتداء بلام مكسورة من غير همزة وصل قبلها"لِسْم"

تعريف الهمزة القطع : هی التی تثبت فی الابتداء والوصل والخط

القاعدة لهمزة القطع : التحقيق دائمًا،حينما وقعت ،سواء جاءت همزة واحدة أو همزتين ،مثل:[أَرَدْنَا، ءَ اَنْذَرْتَهُمْ]الّا فی الهمزة الثانية من قوله تعالٰی:[ءَ أَعْجَمِیٌّ]يجب فيهاالتسهيل بين بين أی بين الهمزة والألف،وليس لحفصؒ وجه اٰخرالا هذا الوجه

(اللمعة الثالث عشر)

فی قواعدالوقف

الوقف والابتداء من أهم ابواب التجويد التی ينبغی القارئ أن يهتم بها،فقد وردأنّ سيدنا عليًا رضی اللّٰه عنه سئل عن قوله تعالٰی:"ورتل القران ترتيلا "فقال:هوتجويد الحروف ومعرفة الوقوف، وهو (أی الوقف)حلية التلاوة وزينة القارئ

الوقف لغةً : الحبس والكف

تعريفه اصطلاحًا: قطع الصوت والنفس علٰی اٰخر الكلمة القرآنية زمنًايُتَنَفَّسُ فيه القارئ عادةً بنية استيناف القراءة۔[۱]

مواضعه: ويكون الوقف فی رؤوس الآی، وفی أوساطها،وهكذا يجوز الوقف علی الرموز التی وضعت فی المصاحف۔

موانع الوقف : لايجوزالوقف فی وسط الكلمة،ولا فی كلمة موصولة بأخرىٰ ، كذلك لايجوز الابتداء منها ولا الاعادة منها ،.فلا يصح الوقف علی "أين"من قوله تعالٰی :" أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ"

[۱] السكت : فهو قطع الصوت من غير تنفس زمنًا دون زمن الوقف عادة بنية قصد القراءة ـ

القطع: الكف عن القراءة بقصد الانتهاء منها۔

اقسام الوقف:

ألوقف علی أربعة أقسام: [۱] اختباری [۲] اضطراری

[۳] انتظاری [٤] اختیاری

[۱] **الوقف الاختباری**: وھو أن یقف القارئ علی کلمة لیست محلًا للوقف عادة ویکون ذالك فی مقام الاختبار أو التعلیم من حیث کما فی کلمة " الأیدی "من قوله تعالٰی: [واذکر عبدنا ابرٰھیم واسحق ویعقوب أولی الایدی] فیوقف علیها بالاثبات، أما فی قوله تعالٰی:[واذکر عبدنا داود ذا الأید] فیوقف علیها بالحذف

[۲] **الوقف الاضطراری**: وھو مایَعْرِض للقارئ أثناء قرأته بسبب ضرورة، کالعطاس،أو ضیق نفس،أو نسیان ونحوھایضطره للوقف

[۳] **الوقف الانتظاری**: وھوالوقف علی الکلمة القرآنیة بقصد استیفاء ما فی الآیة من اوجه الخلاف حین القرأة بجمع الروایات۔

[٤] **الوقف الاختیاری**[۱]: أن یقف القارئ علی الکلمة باختیاره وارادته من غیر عروض سبب من الاسباب

---

[۱] للوقف الاختیاری علی أربعة أقسام: [۱] الوقف التام: ھوالوقف علی ما تمّ معناه، ولم یتعلق بما بعده لفظًا ولا معنًی، کالوقف علی [أولٰئك ھم المفلحون] والابتداء بقوله [ان الذین کفروا]

[۲] الوقف الکافی: وھو الوقف علی ما تمّ فی نفسه ،وتعلّق بما بعده معنًی لالفظاً، ویحسن الوقف علیه والابتداء بما بعده، کالوقف علی [لایؤمنون] والابتداء بقوله: [ختم اللّٰه علی قلوبھم]

[۳] الوقف الحسن: ھوالوقف علی ماتمّ فی ذاته ،وتعلق بما بعده لفظاً ومعنًی ، کالوقف علی [الحمد للّٰه] والابتداء بقوله:[رب العلمین] لایحسن البدء بما بعده الّا اذا کان الوقف علی رأس آیة، فانه یجوز الوقف علی نھایة الایات والبدء بأول الایة الأخری مطلقاً، نحو: الوقف علی[الحمدللّٰه رب العلمین] والابتداء بقوله[الرحمن الرحیم]

[٤] الوقف القبیح: ھو الوقف علی ما لم یتم معناه لتعلقه بما بعده لفظاً ومعنًی ،کالوقف علی المضاف دون المضاف الیه،نحو: الوقف علی[بسم] من بسم اللّٰه أو یفھم منه معنًی ولکن یوھم معنًی غیر ما أراد اللّٰه تعالٰی، کالوقف علی [ان اللّٰه لایستحی]

Scanned by CamScanner

الوقف على أواخر الكلمة ينقسم على خمسة أقسام

الوقف بالسكون: انقطاع الصوت مع التنفس على الحرف الساكن الموقوف عليه،نحو:[وَانۡحَرۡ،فَحَدِّثۡ]

الوقف بالاسكان: هواعدام الحركة بالكلية عن الحرف الموقوف عليه ،نحو:[اَلۡعٰلَمِيۡنَ،اَلرَّحِيۡمِ،نَسۡتَعِيۡنُ]

الوقف بالروم: هو النطق ببعض الحركة وعرفه بعضهم : وهوالاتيان بثلث الحركة بحيث يسمعه القريب دون البعيد،ولايجوز الا فى الضم أوالكسر،نحو:[اَلرَّحِيۡمِ،نَسۡتَعِيۡنُ]

الوقف بالاشمام: هو ضَمُّ الشفتين بلاصوتٍ بُعَيد اِسكان الحرف دون تراخٍ على أن يترك بينهما فرجة لخروج النفس ، بحيث يراه المبصر دون الأعمى،ولايجوزالّا فى الرفع والضم،نحو:[نَسۡتَعِيۡنُ،حَيۡثُ]

الوقف بالابدال:تبديل تنوين الفتحة بالألف وتبديل التاء المربوطة بالهاء الساكنة،نحو:[رَحِيۡمًا،رَحۡمَةٌ]

موانع الروم والاشمام

هناك حالات يمتنع الروم والاشمام ،ولايوقف عليها الا بالسكون المحض،وهى :

[١]ماكان ساكنًا سكونًا اصليًا،نحو[فلا تَنۡهَرۡ]لان الروم والاشمام يكونان فى المتحرك دون الساكن

[٢] لايجوز الروم والاشمام فى تاء المربوطة المدوّرة،نحو:[اَلۡقَارِعَةُ،بِرَبۡوَةٍ]

[٣]لايجوزالروم والاشمام على الحركة العارضة،نحو:[وَلَقَدِ اسۡتُهۡزِئَ]

[٤]لايجوزالروم والاشمام فى النصب والفتحة،نحو:[العٰلَمِيۡنَ]

ملاحظة: الكلمة الموقوف عليها اذا كانت منونةً،ووقفت عليها بالروم والاشمام سواء كانت مرفوعة أم مجرورة،فانه يجب حذف تنوينها عند الوقف،نحو:[قَدِيۡرٌ،بِعَذَابٍ أَلِيۡمٍ]

Scanned by CamScanner

ملاحظة: أن يكون آخرُ الكلمة حرفاً مشدداً، جاز فى الحرف المشدد الروم والاشمام عند الوقف، نحو: [عَدُوٌّ، نَبِیٌّ]

ملاحظة: فى المد العارض للسكون أو اللين عند الوقف بالروم لا يمد مطلقاً، نحو: [اَلرَّحِيْمِ، نَسْتَعِيْنُ، خَوْفٍ]

اثبات حروف المد وحذفها عند الوقف

حروف المد اذا لم يكن مرسومًا فى آخر الكلمة، فانه يحذف عند الوقف، وما كان مرسومًا، فانه يثبت عند الوقف، لان الوقف تابع للرسم

ألألفات ألتى تثبت وقفًا وتسقط وصلاً

فى القرآن الكريم سبع ألفات التى تثبت وقفاوتسقط وصلاً، وهذاالكلمات الآتية:

[١][لٰكِنَّا][الكهف]، [٢-٤][اَلظُّنُوْنَا]، [اَلرَّسُوْلَا]، [اَلسَّبِيْلَا][الاحزاب]، [٥][سَلٰسِلَا][الدهر][٦][قَوَارِيْرًا][الأولى فى سورة الدهر]، [٧][اَنَا]فى جميع المواضع

تنبيه: يجوزفى [سَلٰسِلَا] لدى الوقف عليها وجهان: [١] باثبات الألف: [سَلٰسِلَا]، [٢] باسقاط الألف، فتقرأ[سَلٰسِلْ]

يستثنى من هذه القاعدة الكلمات الآتية:

ألألفات ألتى تثبت رسمًا وتسقط فى الحالين

فى القرآن الكريم تسع ألفات التى تثبت رسمًا، ولكن لاينطق فى الحالين، وهذه الكلمات الآتية:

[١][أَوْيَعْفُوَا][البقرة]، [٢][أَنْ تَبُوْءَا][المائدة]، [٣][لِتَتْلُوَا][الرعد]، [٤][لَنْ نَّدْعُوَا][الكهف]، [٥][لِيَرْبُوَا][الروم]، [٦][لِيَبْلُوَا]، [٧][نَبْلُوَا][محمد]، [٨][ثَمُوْدَا][هود، الفرقان، العنكبوت، النجم]، [٩][قَوَارِيْرَا][الثانية فى سورة الدهر]

ففى هذه الكلمات كلها لايُنطق بالألف فى جميع الأحوال، أى لافى حالة الوصل ولا فى حالة الوقف۔

(اللمعة الرابع عشر)

فی فوائد مهمة

الفائدة الأولٰی: ادغام الطاء فی التاء فی الکلمات الآتیة : [لَئِنۡ بَسَطۡتَّ][اَحَطۡتُّ][مَافَرَّطۡتُّمۡ][مَافَرَطۡتُّ] ادغام ناقص لادخال المدغم فی المدغم فیه ذاتاً لا صفة،بحیث ابقاء صفة الاستعلاء والاطباق فی الطاء

أما فی قوله تعالٰی:[اَلَمۡ نَخۡلُقۡکُّمۡ]هو ادغام القاف فی الکاف ،یجوز فیه الادغام الناقص والتام کلاهما،ولکن الادغام التام أولٰی،أی ادخال لاقاف فی الکاف ادخالا کاملاً، بحیث لایظهر شئ من صفاتها کالاستعلاء أو القلقلة

الفائدة الثانیة : وفی (نٓ والقلم)(یٰسٓ والقرآن)یعمل بالاظهار،وان کان الادغام فیهما ثابت لقاعدة[یرملون]

الفائدة الثالثة : کلمة [لاتَأۡمَنَّا][یوسف] هوضم الشفتین اشارة الی الضم عند اداء النون المشددة۔

الفائدة الرابعة : وورد عن حفص عن عاصم أنه کا ن یسکت سکتة لطیفة من غیر تنفس بقدرحرکتین فی حالة الوصل فی أربعة مواضع،وهی :

[السکتة الاولٰی] علی الالف المبدلة من التنوین فی[عِوَجًا] ثم یقول[قَیِّمًا][کهف]

[السکتة الثانیة] علی الالف من لفظ [مِنۡ مَّرۡقَدِ نَا]ثم یقول [هذا ما وعد] [یٰسٓ]

[السکتة الثالثة] علی النون من لفظ [مَنۡ] ثم یقول [رَاق][القیامة] ویلزم من السکت اظهار النون الساکنة عند الراء

[السکتة الرابعة] علی اللام من لفظ [بَلۡ] ثم یقول [رَانَ][المطففین] ویلزم من هذا السکت أیضا اظهار اللام عند الراء

فهذه مجموع ماتوجد من السکتات فی القرآن الکریم ولاسکتة غیرها لافی سورة الفاتحة ولافی غیرها۔

الفائدة الخامسة:الضمة والکسرة غیرمجهولتین فی النطق فی کلام العرب، بل هما معروفتین، وصورة أدائهما:فی الکسرأن یخرج صوت الکسرة دقیقًا مع انخفاضٍ کاملٍ،وفی الضمه: أن یخرج صوت الضمة دقیقا مع انضمام

الشفتين ،وتعلموا طريقة النطق بالكلمتين من أستاذ بارع فى التجويد۔

الفائدة السادسة : اذاوقف على الواو المشددة أوالياء المشددة فانه يستحس تمديد التشديد بقوة،ليبقى التشديدبعده،نحو:عَدُوٌّ وعَلَى النَّبِيِّ۔

الفائدة السابعة : توجد الامالة فى موضع واحد من القرآن الكريم عند الامام حفصؒ ،وهو [بسم اللّٰه مَجْرِيهَا]أى تمال الفتحة الى الكسرة والالف الى الياء،فتشابه الفتحة بالكسرة المجهولة۔

الفائدة الثامنة : ذكر النون الخفيفة فى القران مرتين:[١][لَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِيْنَ] [يوسف][٢][لَنَسْفَعًابِالنَّاصِيَةِ][العلق]فاذا وقف على "لِيَكُوْنًا أَوْ لَنَسْفَعًا" هذه النون تتبدل بالالف،لأن رسمها فى صورة الالف۔

الفائدة التاسعة : أربع كلمات فى القرآن الكريم تكتب بالصادويوضع عليها [س]صغيرة،واليك قاعدتها:

فالأولٰى: فى سورة البقرة:[يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ] تقرأ بالسين فقط،أى[يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ]

والثانية فى سورة الاعراف:[فِى الْخَلْقِ بَصْطَةً]تقرأ بالسين فقط،أى[فِى الْخَلْقِ بَسْطَةً]

والثالثة فى سورة الطور:[أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُوْنَ]يجوز فيها النطق بالسين أو الصاد،أى[أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُوْنَ]و[أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُوْنَ]

الرابعة فى سورة الغاشية:[بِمُصَيْطِرٍ]تقرأ بالصاد فقط۔

الفائدة العاشرة:نرى فى عدة مواضع من القرآن الكريم تكتب [لَا]وتقرأ[لَ]،فهذا الأمر يجب التيقظ له والاهتمام به عندالتلاوة۔

الأول:[لاَ اِلَى اللّٰهِ تُحْشَرُوْنَ][ال عمران]الثانى:[وَلاَ أَوْضَعُوْا][التوبة]

الثالث:[أَوْلاَ أَذْبَحَنَّهٗ][النمل]الرابع:[لاَ اِلَى الْجَحِيْمِ][الصفت]

الخامس:[لاَ أَنْتُمْ أَشَدُّ][الحشر]وكذلك ورد فى اٰل عمران: [أَفَائِنْ]فانها تنطق [أَفَئِنْ]وفى بعض االمواضع تكتب [مَلاَئِهٖ] وتنطق [مَلَئِهٖ] وفى الكهف يكتب [لِشَائْ] وينطق [لِشَىْ]وجاء فى عدة مواضع [نَبَائْ] وينطق [نَبَإْ]

ملاحظة:القواعد التی ذکرناها فی هذاالکتاب معظمها لم یختلف فیها أحد من أهل العلم،والتی فیها اختلاف اخترنا منها قواعد الامام حفصؒ،وهوالذی نتلو القرآن الکریم وفق روایته،فقد تلقی کتاب الله تعالی وفق هذه الروایة عن الامام عاصم التابعیؒ،وهو عن زربن حبیش الاسدی وعبدالله حبیب السلمی رضی الله عنهما،وهما عن عثمان وعلی وزیدبن ثابت وعبدالله بن مسعود وأبی بن کعب رضی الله عنهمؓ،وهم عن رسول الله صلی الله علیه وسلم۔

تم بحمد الله

ترجمة المؤلف رحمہ اللہ تعالیٰ

ولادته ومكان ميلاده وأسرته

هو الأمام العالم الربانى ،المتكلم ،الفقيه، المفسر، المحدث، مجدد طريق السلوك والاحسان ،المرشد الكبير، حكيم الأمة ومصلحها ، الداعية الى الله على بصيرة واتقان ومعرفة : ألشيخ أشرف على بن السيد عبد الحق التهانوى،ولد رحمه اللّٰه تعالىٰ فى الخامس من ربيع الثانى سنة ثمانين ومائتين بعد الألف فى أسرة كريمة ذات شرف ومجد وسيادة، يبلغ نسبها الى أمير المؤمنين سيدنا عمربن الخطاب رضى الله عنه، فى قرية "تهانه بهون" من أعمال مظفرنكر[الهند]وان هذه المنطقة قد أنجبت علماء ورجالا عظماء فى الدين -

بداية تعلمه والتحاقه بدارالعلوم ديوبند

حفظ رحمه الله تعالى القران الكريم فى صباه لدى الحافظ حسين على رحمه الله تعالى فى [ميرته] وتعلم مبادئ الفارسية والعربية على أساتذة مهرة بررة وجاز هذه الفترة الابتدائية تلوح على محياه آثار النجابة والسعادة-

ولما بلغ الخامس عشر من عمره سافر من قريته الى دارالعلوم ديوبند ، وهى أكبر مركز للعلوم الاسلامية وأكبر منبع للعلوم النبوية ،وتلقى جميع العلوم العربية والعلوم النقلية والعقلية لدى أساتذة أجلة: الشيخ ملامحمود،أستاذ شيخ الهند محمود الحسن، الشيخ محمد يعقوب النانوتوى وغيرهم ان هؤلاء الافذاذ من الرجال كانوا حقا جبال العلوم ، فأثروا فى تكوين شخصية الامام التهانوى تأثيرا بليغا، وأقبل الامام التهانوىؒ على تلقى العلوم والاستفادة من هذه المناهل الصافية بكل جهد واخلاص

تدريسه

ولما تخرّج الامام التهانوى رحمه الله فى سنة: ۱۳۰۰ھ من دارالعلوم بديوبند، طلب أصحاب مدرسة "فيض عام" ببلدة كانفور وهى

مدرسة شهيرة بهذه البلد، ومن أكبر مدرسيها الشيخ أحمد حسن الأمروهي، وكان متفوقا في جميع العلوم ،مقبولا ومحببها لدى الطلاب، فقد بدأ رحمه الله حياته العلمية التدريسية بكل جد واخلاص، وسرعان ما اشتهر فيما بين الطلاب بغزير علمه وحسن تدريسه وقوة خطابه، على رغم أنه تولى وظيفة شيخ محنك، وهو في مقتبل شبابه ، كما أنه قام بالوعظ والارشاد ، فكانت تقام له حلقات الوعظ في مجالس يحضرها عامة المسلمين،وهكذا قضى رحمه الله يدرس ،ويؤلف، ويعظ،خمسة أشهر تقريباً، فاراد أصحاب المدرسة أن يحث الناس على جمع التبرعات وتقديمها الى المدرسة في مجالس وعظه،فأبى رحمه الله أشد الاباء ،وقال انما يهمّ ذلك أصحاب المدرسة ، ويقومون به هم، وأما أنا فأقوم بوظيفتي التدريسية فقط، وكان رحمه الله يحسبه ذلك منافياللغيرة الدينية ، فما انكف أصحاب المدرسة ، بل أخذوا يتناجون فيما بينهم ، فاستقال عن المدرسة وأراد الرجوع الى موطنه، ولما رجع الى كانفور التمس منه بعض شخصياتها البارزة الاقامة بكانفور، فأسس مدرسة أخرى بها باسم "جامع العلوم" ومكث هناك يدرس ويفيد ويعظ: طوال أربع عشرة سنة، ثم انتقل الى "تهانه بهون" حسب أمرشيخه امدادالله رحمه الله تعالى

بيعته للسلوك

وفي شوال سنة ١٣٠١ھ سافر الى الحجاز ، فحج وزار البيت الحرام ، وأخذ التجويد والقرأة على القارى عبدالله المهاجر المكى رحمه الله تعالى في مكة المكرمة ،وصحب الشيخ الكبير امداد الله التهانوى المهاجر الى مكة المكرمة زمانا،وقد أراد الشيخ أن يصحبه ستة شهور، ولكن والده أبى ذلك، ولم يصبر عن مفارقته، فرجع مع والده الى الهند، واشتغل بالتدريس في كانفور الى ان قدرالله له السفر مرة ثانية في سنة ١٣١٠ھ ، وصحب الشيخ عدة شهور،ثم رجع الى الهند واشتغل في جامع العلوم بكانفور، يدرس ويفيد الى ان اراد ان يرجع الى وطنه "تهانه بهون"

فاستشار شيخه ، فسّر بذلك سرورا عظيما، وكتب اليه "رجوعك الى تهانه بهون فيه الخير ان شاء الله ، وأرجو أنك يستفيد منك خلق كثير ظاهرا وباطنا ، فاغمُرْ مسجدنا ومدرستنا من جديد، واننى دائما أدعو الله لك"

وبالجملة فقد مكث الامام التهانوى رحمه الله فى كانفور مدة أربع عشرة سنة، يفيد الناس بدروسه ومواعظه وتصانيفه، ثم حببت اليه الخلوة، وأراد أن يعمر زاوية شيخه امداد الله رحمه الله بتهانه بهون محل نشر الايمان والمعرفة والتقوى

تلاميذه

وتخرج لديه خلق كثير،منهم الشيخ محمد اسحاق البردوانى رحمه الله ،الشيخ ظفرأحمد العثمانى رحمه الله ،الشيخ رشيد الكانفورى رحمه الله، الشيخ أحمد على الفتحبورى رحمه الله ، الشيخ صادق اليقين الكرسوى رحمه الله، وغيرهم

تأليفاته

كان حكيم الأمة المجدد التهانوى رحمه الله تعالىٰ أكثر الناس تأليفا فى عصره، ولايوجد فى هذا القرن من يجاريه أو يدانيه فى كثرة المؤلفات، فانه قد ترك نحو ألف كتاب مطبوع ما بين صغير وكبير، وليس موضوع دينى يحتاج اليه المسلمون فى هذا العصر الا وله فيه كتاب أو رسالة أو موعظة مطبوعة

وفاته رحمه الله تعالىٰ

كان رحمه الله قد أصيب ببعض أمراض البطن قبل وفاته بعدة سنوات ، وكان قد نحف وضعف جسمه ، الى أن أصيب بالاسهال بيوم الاثنين ، الخامس عشر من رجب ، سنة ألف وثلاثمائة واثنتين وستين[١٣٦٢ه]وغشى على بعد صلاة المغرب ، ولم يفق طول ساعة وربع تقريبا، وكان لتنفسه صوت يسمع، وفى أثناء ذلك شاهد الحضور أن نورا ساطعا قويا جدا يخرج من بين كفه اليمنى الظاهرة، وقد وافته المنية فى ليلة السابع عشر من رجب ، سنة ألف وثلاثمائة واثنتين وستين رحمه الله تعالىٰ

المصادر والمراجع

١......: التمهيد فى علم التجويد، للإمام ابن الجزرىؒ
٢......: أحكام قراءة القرآن الكريم، للشيخ محمود خليل الحصرى،تحقيق: محمد طلحه بلال ،المكتبة ،دار البشائر الاسلامية بالمكة
٣......: أحكام التلاوة والتجويد الميسرة،للشيخ عماد على جمعة
٤......: العقد المفيد فى علم التجويد، للشيخ صلاح صالح يوسف،تحقيق: الشيخ محمد سعيد فقير الأفغانى،المكتبة الاسلامية،عمان
٥......: التحديد فى الاتقان والتجويد،للشيخ أبى عمرو عثمان بن سعيد الدانى الاندلسى،تحقيق: غانم قدورى ،دار عمار،عمان
٦......: الأنباء فى أصول الأداء ،للشيخ الاصبح السماتى المعروف بابن الطحان،تحقيق :الدكتورحاتم صالح الضامن
٧......: البيان فى أحكام تجويد القران،للشيخ حسام الدين سليمالكيلانى،السورية
٨......: الواضح فى أحكام التجويد، للشيخ محمد عصام مفلح القضاة،تحقيق:الدكتور أحمد خالد شكرى، الدكتور أحمد محمد القضاة،دار النفائس،بيروت
٩......: البرهان فى تجويد القران ،للشيخ محمدصادق القمحاوى،المكتبة الثقافية،بيروت
١٠......: المخلص المفيد فى علم التجويد،للشيخ محمد أحمدمعبد،دار السلام ،بالمدينة المنورة
١١......: المنير الجديد فى أحكام التجويد،للشيخ على سليمان
١٢......: غاية المريد فى علم التجويد، للشيخ عطيه قابل نصر
١٣......: هداية القارئ الى تجويد كلام البارئ،للشيخ عبدالفتاح المرصفى،المكتبة :طيبة،مدينه منورة
١٤......: تيسير الرحمن فى تجويد الرحمن، للشيخ سعادعبدالحميد،دار التقوى،الجامع الازهر

تنبيهات

الأول: ما جعلناه من قبل المُسْنَد من الصحابي إذا وقع من تابعي فهو مرفوع أيضاً لكنه مُرْسَل فقد يُقبَل إذا صَحّ السند إليه وكان من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير واعتضد بمُرْسَل آخر ونحو ذلك.

الثاني: كثيراً ما يذكر المفسرون لنزول الآية أسباباً متعددة وطريق الاعتماد في ذلك أنْ تنظر إلى العبارة فإنْ عَبّر أحدهم بقوله: نزلت في كذا، والآخر نزلت في كذا وذكر أمراً آخر فقد تقدم أن هذا يُراد به التفسير لا ذكر سبب النزول فلا منافاة بين قولهما إذا كان اللفظ يتناولهما كما بينته في كتاب «الإتقان» وحينئذ فحق مثل هذا أن لا يورد في تصانيف أسباب النزول وإنما يذكر في تصانيف أحكام القرآن.. وإنْ عَبّر واحد بقوله «نزلت في كذا» وصرّح الآخر بذكر سبب خلافه فهو المعتمد، كما قال ابن عمر في قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾[1]، إنها نزلت رخصة في وطء النساء في أدبارهن، وصَرّح جابر بذكر سبب خلافه فاعتمد حديث جابر.

وإنْ ذكر واحد سبباً وآخر سبباً غيره فقد تكون نزلت عُقَيْب تلك الأسباب كما سيأتي في آية اللعان، وقد تكون نزلت مرتين كما سيأتي في آية الروح وفي خواتيم النحل وفي قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا﴾[2] الآية ومما يُعْتمد في الترجيح النظر إلى الإسناد وكون راوي أحد السببين حاضر القصة أو من علماء التفسير كابن عباس وابن مسعود وربما كان في إحدى القضيتين فتلافوهم الراوي فقال نزلت، كما سيأتي في سورة الزُمُر.

الثالث: أشهر كتاب في هذا الفن الآن كتاب الواحدي، وكتابي هذا يتميز عليه بأمور.

أحدها: الإختصار.

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٢٣).
(٢) سورة التوبة: الآية (١١٣).

ثانيها: الجمع الكثير فقد حوى زيادات كثيرة على ما ذكر الواحدي وقد ميزتها بسورة [ك] رمزاً عليها.

ثالثها: عزوه كل حديث إلى من خرّجه من أصحاب الكتب المُعْتَبرة كالكتب الستة والمُستدرك وصحيح ابن حبان وسنن البيهقي والدارقطني ومسانيد أحمد والبزار وأبي يعلى ومعاجم الطبراني وتفاسير ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي الشيخ وابن حبان والفريابي وعبد الرزاق وابن المنذر وغيرهم، وأما الواحدي فتارة يورد الحديث بإسناده وفيه مع التطويل عدم العلم بمخرج الحديث فلا شكّ أن عزوه إلى أحد الكتب المذكورة أَوْلى من عزوه إلى تخريج الواحدي لشهرتها واعتمادها وركون الأنفس إليها، وتارة يورده مقطوعاً فلا يدري هل له إِسناد أو لا.

رابعها: تمييز الصحيح من غيره والمقبول من الحق المردود.

خامسها: الجمع بين الروايات المتعارضة.

سادسها: تنحية ما ليس من أسباب النزول.

وهذا آخر المقدمة، ومن هنا نشرع في المقصود بعون الملك المعبود.

* * *

مقدمة

لمعرفة أسباب النزول فوائد، وأخطأ من قال لا فائدة له لجريانه مجرى التاريخ.. ومن فوائده الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال.

قال الواحديّ: لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها.

وقال ابن دقيق العيد: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن.

وقال ابن تيمية: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإنّ العلم بالسبب يورث العلم بالمُسبّب.

وقد أشكل على جماعة من السلف معاني آيات حتى وقفوا على أسباب نزولها فزال عنهم الإشكال، وقد بسطت أمثلة ذلك في النوع التاسع من كتاب الإتقان في علوم القرآن؛ وذكرت له فوائد أُخَر مع مباحث وتحقيقات لا يحتملها هذا الكتاب.

قال الواحديّ: ولا يحلّ القول في أسباب نزول الكتاب إلاّ بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها.

وقد قال محمد بن سيرين: سألت عبيدة عن آية من القرآن فقال: اتق الله وقل سداداً، ذهب الذين يعلمون فيم أُنزل القرآن.

وقال غيره: معرفة سبب النزول أمر يحصل للصحابة بقرائن تحتفّ بالقضايا وربما لم يجزم بعضهم فقال: أحسب هذه الآية نزلت في كذا، كما قال الزبير في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(1) الآية.

وقال الحاكم في «علوم الحديث»: إذا أخبر الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا فإنه حديث مُسْنَد.

ومشى على هذا ابن الصلاح وغيره ومثّلوه بما أخرجه مسلم عن جابر قال:

---

(1) سورة النساء: الآية (٦٥).

كانت اليهود تقول من أتى امرأته مِنْ دُبُرها في قُبُلها جاء الولد أحول.. قال: فأنزل الله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾[1] الآية.

وقال ابن تيمية: قولهم نزلت الآية في كذا يُراد به تارة أنها سبب النزول ويُراد به تارة أنّ ذلك داخل في الآية وإن لم يكن السبب كما تقول عنى بهذه الآية كذا.

وقد تنازع العلماء في قول الصحابي نزلت هذه الآية في كذا هل يجري مجرى المُسْنَد كما لو ذكر السبب الذي أُنزلت لأجله أو يجري مجرى التفسير، منه الذي ليس بمُسند فالبخاري يدخله في المُسْنَد وغيره لا يدخله فيه، وأكثر المسانيد على هذا الإصطلاح كمُسْنَد أحمد وغيره بخلاف ما إذا ذكر سبباً نزلت عقبه فإنّهم كلهم يُدخلون مثل هذا في المُسْنَد.. أ.هـ.

وقال الزركشي في «البرهان»: قد عُرِفَ من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال: نزلت هذه الآية في كذا فإنه يريد بذلك أنها تتضمن هذا الحكم لا أن هذا كان السبب في نزولها فهو من جنس الإستدلال على الحكم بالآية لا من جنس النقل لما وقع.

قُلت: والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه ليخرج ما ذكره الواحدي في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة[2] فإنّ ذلك ليس من أسباب النزول في شيء بل هو من باب الأخبار به عن الوقائع الماضية كذكر قصة قوم نوح وعاد وثمود وبناء البيت ونحو ذلك.. وكذلك ذكره في قوله واتخذ الله إبراهيم خليلاً فليس ذلك من أسباب نزول القرآن كما لا يخفى.

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٢٣).

(٢) قلت: ما ذكره الواحدي هو: «نزلت في قصة أصحاب الفيل وقصدهم تخريب الكعبة وما فعل الله تعالى بهم من إهلاكهم وصرفهم عن البيت وهي معروفة» ـ انتهى من أسباب النزول للواحدي (٢٥٩).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وفقنا لأداء أفضل الطاعات، ووفقنا على كيفية اكتساب أكمل السعادات، وهدانا إلى قولنا: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) من كل المعاصي والمنكرات ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ نشرع في أداء كل الخيرات والمأمورات ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الذي له ما في السموات ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بحسب كل الذوات والصفات ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ على أصحاب الحاجات وأرباب الضرورات ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ في إيصال الأبرار إلى الدرجات، وإدخال الفجار في الدركات ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ في القيام أداء جملة التكليفات، ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ بحسب كل أنواع الهدايات ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ في كل الحالات والمقامات ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ من أهل الجهالات والضلالات.

والصلاة على محمدٍ المؤيد بأفضل المعجزات والآيات، وعلى آله وصحبه بحسب تعاقب الآيات وسلم تسليما.

أما بعد: فهذا كتابٌ مشتملٌ على شرح بعض ما رزقنا الله تعالى من علوم سورة الفاتحة، ونسأل الله العظيم أن يوفقنا لإتمامه، وأن يجعلنا في الدارين أهلا لإكرامه وإنعامه، إنه خير موفقٍ ومعينٍ، وبإسعاف الطالبين قمينٌ، وهذا الكتاب مرتب على مقدمة وكتب.

أما المقدمة ففيها فصولٌ:

الفصل الأول

في التنبيه على علوم هذه السورة على سبيل الإجمال

علوم الفاتحة اعلم أنه مر على لساني في بعض الأوقات أن هذه السورة الكريمة يمكن أن يستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف مسألةٍ، فاستبعد هذا بعض الحساد، وقومٌ من أهل الجهل والغي والعناد، وحملوا ذلك على ما ألفوه من أنفسهم من التعلقات الفارغة عن المعاني، والكلمات الخالية عن تحقيق المعاقد والمباني، فلما شرعت في تصنيف هذا الكتاب، قدمت هذه المقدمة لتصير كالتنبيه على أن ما ذكرناه أمرٌ ممكن الحصول، قريب الوصول، فنقول وبالله التوفيق:

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً

قال الشيخُ الفقيهُ، الإمامُ العالمُ، العامِلُ، المحدِّثُ، أبو عبد الله محمدُ بنُ أحمدَ بنِ أبي بكر بنِ فَرْح، الأنصاريُّ، الخزرجيُّ، الأندلسيُّ، ثم القُرْطُبيُّ، تغمَّده اللهُ برحمته، وأسكنه فَسِيحَ جنَّته:

الحمدُ لله المبتدىءِ بحمد نفسِه قبل أن يَحمَده حامد، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، الرَّبُّ الصَّمَدُ الواحد، الحيُّ القيُّومُ الذي لايموت، ذو الجلالِ والإكرام، والمواهبِ العِظام، والمتكلمُ بالقرآن، والخالقُ للإنسان، والمُنعِمُ عليه بالإيمان، والمُرسِلُ رسولَه بالبيان، محمداً ﷺ، ما اختلفَ المَلَوان، وتعاقبَ الجديدان[1]، أرسلَه بكتابه المبين، الفارقِ بين الشكِّ واليقين، الذي أعجزَتِ الفُصحاءَ مُعارَضَتُه، وأعيَتِ الألبَّاءَ[2] مُناقَضَتُه، وأخرسَتِ البلغاءَ مُشاكَلَتُه[3]، فلا يأتون بمثله، ولو كان بعضُهم لبعض ظهيراً. جعلَ أمثالَه عِبراً لمن تَدَبَّرَها، وأوامرَه هُدًى لِمَنِ استَبصَرَها، وشرحَ فيه واجباتِ الأحكام، وفَرَقَ فيه بين الحلالِ والحرام[4]، وكرَّرَ فيه المواعظَ والقَصَصَ للأفهام، وضربَ فيه الأمثالَ، وقَصَّ[5] فيه غيبَ الأخبار، فقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]. خاطبَ به أولياءَه، ففهموا، وبَيَّنَ لهم فيه مُرادَه، فعلموا. فَقَرَأَةُ[6] القرآن حَمَلَةُ سِرِّ الله

---

(١) الجديدان: الليل والنهار، وكذلك المَلَوان.

(٢) في (ظ): الألباب.

(٣) في (د) و(ز): وأعيت الألبَّاء مشاكلته، وأخرست البلغاء مناقضته.

(٤) في (ز): وقرر فيه رموز الحلال والحرام.

(٥) في النسخ الخطية: ونصَّ، والمثبت من (م).

(٦) في (ظ): فقرّاء.

المَكْنُون، وحَفَظَةُ عِلمِهِ المخزُون، وخلفاءُ أنبيائه وأُمناؤه، وهم أهلُه وخاصَّتُه، وخِيرتُه وأصفياؤه، قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ للهِ أهلِينَ مِنَّا». قالوا: يارسولَ الله، مَن هُم؟ قال: «هُم أهلُ القُرآن، أهلُ الله وخَاصَّتُه». أخرجه ابن ماجه في «سننه»، وأبو بكر البَزَّار في «مسنده»[1].

فما أَحَقَّ مَن عَلِمَ كتابَ الله أن يَزدَجِرَ[2] بنواهِيه، ويَتَذَكَّرَ[3] ما شُرِحَ له فيه، ويخشى اللهَ ويتَّقيه، ويراقبَه ويَستَحييه. فإنه قد حُمِّلَ أعباءَ الرُّسل، وصار شهيداً في القيامة على مَنْ خالفَ من أهلِ المِلل، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

ألا وإنَّ الحُجَّةَ على مَنْ عَلِمَه فأغفلَه، أوكَدُ منها على مَنْ قَصَّرَ عنه وجَهِلَه. ومَن أوتيَ عِلمَ القرآن فلم ينتفع، وزَجَرَته نواهيه فلم يَرتَدع، وارتكبَ من المآثم قبيحاً، ومن الجرائم فُضُوحاً، كان القرآنُ حُجَّةً عليه، وخَصماً لَدَيه، قال رسول الله ﷺ: «القرآنُ حُجَّةٌ لكَ، أو عليك». خرَّجه مسلم[4].

فالواجبُ على مَن خَصَّه الله بحفظ كتابه أن يتلوَه حقَّ تلاوتِه، ويَتَدَبَّرَ حقائقَ عبارته، ويَتفهَّمَ عجائبَه، ويتبيَّنَ غرائبَه، قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩]. وقال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]. جعلَنا الله ممَّن يرعاه حَقَّ رعايتِه، ويَتَدَبَّرُه حقَّ تدبُّرِه، ويقومُ بقِسطِه، ويُوفي بشرطِه، ولا يلتمسُ الهُدَى في غيره، وهدانا لأعلامه الظاهرة، وأحكامِه

(١) سنن ابن ماجه (٢١٥)، وهو من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفيه: «أهلين من الناس»، وهو حديث حسن. وليس الحديث في القسم المطبوع من مسند البزار، وهو في مسند أحمد (١٢٢٧٩).
وأبو بكر البزار: هو أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري، ومسنده المذكور (والمسمى بالبحر الزخار) طبع منه أجزاء. توفي سنة (٢٩٢هـ). السير ١٣/ ٥٥٤.

(٢) في (ظ): ينزجر.

(٣) في (ز) و(ظ): يذكر.

(٤) صحيح مسلم (٢٢٣)، وهو قطعة من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، وهو في مسند أحمد (٢٢٩٠٢).

القاطعةِ الباهرة، وجمعَ لنا به خَيْرَي[١] الدنيا والآخرة، فإنه أهلُ التقوى وأهلُ المغفرة.

ثم جَعل إلى رسوله ﷺ بيانَ ما كان فيه[٢] مُجمَلاً، وتفسيرَ ما كان منه مُشكِلاً، وتحقيقَ ما كان له[٣] مُحتَمِلاً، ليكونَ له مع تبليغ الرسالة ظهورُ الاختصاص به، ومنزلةُ التفويض إليه، قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

ثم جَعَلَ إلى العلماء بعد رسول الله ﷺ استنباطَ ما نبَّه على معانيه، وأشارَ إلى أصوله، ليتوصَّلوا بالاجتهاد فيه إلى عِلم المراد، فيمتازوا بذلك عن غيرهم، ويختصُّوا بثوابِ اجتهادهم. قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]. فصار الكتابُ أصلاً، والسنةُ له بياناً، واستنباطُ العلماء[٤] إيضاحاً وتِبْياناً. فالحمد لله الذي جعل صدورَنا أوعِيةَ كتابه، وآذانَنا مواردَ سُننِ نبيِّه، وهِمَمَنا مصروفةً إلى تعلُّمِهما، والبحثِ عن معانيهما وغرائبِهما، طالبين بذلك رِضا ربِّ العالمين، ومندرجين[٥] به إلى علم المِلَّة والدِّين.

وبعد: فلما كان كتابُ الله هو الكفيلَ بجميع علومِ الشرع، الذي استقلَّ بالسُّنَّة والفَرْض، ونزلَ به أمينُ السماء إلى أمين الأرض، رأيتُ أن أشتغلَ به مَدَى عُمُري، وأستفرغَ فيه مُنَّتِي[٦]، بأن أكتبَ فيه تعليقاً وجيزاً، يتضمَّن نُكَتاً من التفسير واللغات، والإعرابِ والقراءات، والردَّ على أهل الزَّيغ والضلالات، وأحاديثَ كثيرةً شاهدةً لما نذكرُه من الأحكام ونزولِ الآيات، جامعاً بين معانيها، ومُبَيِّناً ما أشكلَ منها[٧]، بأقاويل السلف، ومَن تَبِعَهم من الخَلَف.

---

(١) في (د) و(ز) و(م): خير، والمثبت من (ظ).
(٢) في (م): منه، وفي (د) و(ز): ما كان صفة منه.
(٣) في (ظ): فيه، وفي (م): منه.
(٤) في (م): واستنباط العلماء له.
(٥) في (م): ومتدرجين.
(٦) المُنَّة، بالضم: القوة. القاموس (منن).
(٧) في (ظ) و(م): معانيهما... منهما.

وعملتُه تذكرةً لنفسي، وذخيرةً ليوم رَمْسِي[1]، وعملاً صالحاً بعد موتي. قال الله تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣]. وقال تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥]. وقال رسولُ الله ﷺ: «إذا ماتَ الإنسانُ انقَطَعَ عنه[2] عملُه إلا مِن ثلاث: صدقةٍ جارية، أو عِلمٍ يُنتَفَعُ به، أو وَلَدٍ صالحٍ يَدعُولَهُ»[3].

وشرطي في هذا الكتاب: إضافةُ الأقوال إلى قائليها، والأحاديثِ إلى مُصنِّفيها، فإنه يقال: من بركة العِلم أن يُضافَ القولُ إلى قائله[4]. وكثيراً ما يجيء الحديثُ في كتبِ الفقه والتفسير مُبهماً، لا يَعرِفُ مَن أخرجَه إلا مَن اطَّلعَ على كتبِ الحديث، فيَبقَى مَن لا خِبرةَ له بذلك حائراً، لا يَعرِف الصحيحَ من السقيم، ومعرفةُ ذلك علمٌ جسيم، فلا يُقبَلُ منه الاحتجاجُ به، ولا الاستدلالُ، حتى يُضيفَه إلى مَن خرَّجه من الأئمة الأعلام، والثقاتِ المشاهير من علماء الإسلام. ونحن نُشيرُ إلى جُمَلٍ من ذلك في هذا الكتاب، واللهُ الموفقُ للصواب.

وأُضرِبُ عن كثير من قصص المفسِّرين، وأخبارِ المؤرخين، إلَّا مالا بُدَّ منه، ولا غِنًى عنه للتبيين، واعتَضتُ من ذلك تبيينَ آيِ الأحكام، بمسائلَ تُسفر عن معناها، وتُرشد الطالبَ إلى مقتضاها، فَضَمَّنتُ كلَّ آية تتضمَّن حُكماً ـ أو حُكمين فما زاد ـ مسائلَ يتبيَّنُ[5] فيها ما تحتوي عليه من أسباب النزول، والتفسيرِ الغريب، والحُكمِ، فإن لم تتضمن حُكماً، ذكرتُ ما فيها منَ التفسير والتأويل. هكذا إلى آخر الكتاب.

وسمَّيتُه بـ «**الجامع لأحكام القرآن، والمبيِّن لما تضمَّنه من السُّنةِ وآيِ الفُرقان**».

جعلَه اللهُ خالصاً لوجهه، وأن ينفعني به ووالديَّ، ومَن أراده، بمنِّه، إنه سميعُ الدعاء، قريبٌ مجيبٌ، آمين.

---

(١) في القاموس: الرَّمس: الدَّفن، والقبر.

(٢) قوله: عنه، ليس في المطبوع.

(٣) أخرجه أحمد (٨٨٤٤)، ومسلم (١٦٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) لكن المصنف رحمه الله لم يلتزم بشرطه هذا، فقد يترك ذلك في بعض الحالات، كما سنشير إليه، على حسب ما يمكننا الوقوف عليه.

(٥) في (م): نبيِّن.

باب ذِكر جُمَلٍ من فضائل القرآن، والترغيبِ فيه، وفضلِ طالبِه وقارئِه، ومستمعِه، والعاملِ به

اِعلم أنَّ هذا البابَ واسعٌ كبير، أَلَّفَ فيه العلماءُ كُتباً كثيرةً، نذكُر من ذلك نُكتاً تدلُّ على فضله، وما أعدَّ اللهُ لأهله، إذا أخلصوا الطلبَ لوجهه، وعَمِلوا به.

فأوَّلُ ذلك أن يَستشعرَ المؤمنُ من فضلِ القرآن أنه كلامُ ربِّ العالَمين، غيرُ مخلوق، كلامُ مَن ليس كَمِثْلِه شَيءٌ، وصِفَةُ مَن ليس له شبيهٌ ولا نِدٌّ، فهو مِن نُور ذاتِهِ جلَّ وعزَّ، وأنَّ القراءةَ أصواتُ القُرَّاء ونَغَماتُهم، وهي أكسابُهم[١] التي يُؤمَرون بها في حال إيجاباً في بعضِ العبادات، ونَدباً في كثير منَ الأوقات، ويُزجَرُون عنها إذا جَنُبُوا[٢]، ويُثابون عليها، ويُعاقَبون على تركها. وهذا مما أَجمع عليه المسلمون أهلُ الحقِّ، ونَطَقَت به الآثارُ، ودلَّ عليها المستفيضُ منَ الأخبار، ولا يتعلَّق الثوابُ والعقابُ إلا بما هو من أكسابِ العباد، على ما يأتي بيانُه.

ولولا أنه سبحانه جَعَلَ في قلوب عبادِه منَ القُوَّة على حَملِه ما جعلَه، ليتدبَّروه وليعتبروا به، وليتذكَّروا مافيه من طاعته وعبادته، وأداءِ حقوقه وفرائضه، لَضَعُفَت ولَاندَكَّت بِثِقَله، أو لَتَضعضَعَت له. وأنَّى تُطِيقُه! وهو يقول ـ تعالى جَدُّه وقولُه الحقُّ ـ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١] ؟! فأين قُوَّةُ القُلوبِ من قوَّة الجبال ؟! ولكنَّ الله تعالى رَزَقَ عبادَه منَ القوَّة على حمله ما شاء أن يرزقَهم، فضلاً منه ورحمة.

وأما ما جاء من الآثار في هذا الباب:

فأوَّلُ ذلك ما خرَّجه الترمذيُّ، عن أبي سعيد قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يقول الربُّ تبارك وتعالى: مَنْ شَغَلَه قراءةُ القُرآن عن مَسألتي[٣]، أعطيتُه أفضَلَ ما أُعطِي

---

(١) في (د) و(ز): اكتسابهم، وفي (ظ): اكتابهم، والمثبت من (م).

(٢) في (م): أجنبوا، وهما بمعنى، واضطربت العبارة في (د) و(ز).

(٣) في (م): من شغله القرآن وذكري عن مسألتي.

السَّائلين». قال: وفَضلُ كلامِ الله على سائرِ الكلام، كفَضلِ اللهِ على خَلْقِه. قال: هذا حديثٌ حسنٌ غريب[(١)].

وروى أبو محمد الدَّارِميُّ السَّمَرْقَنْديُّ[(٢)] في «مسنده» عن عبد الله قال: السَّبعُ الطُّوَل مِثلُ التوراة، والمِئونَ مِثلُ الإنجيل، والمَثاني مِثلُ الزَّبور، وسائرُ القرآنِ بعدُ فَضْلٌ[(٣)].

وأسند عن الحارث[(٤)]، عن عليٍّ رضي الله عنه ـ وخرَّجه الترمذيُّ[(٥)] ـ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ستكونُ فِتَنٌ كقِطَعِ الليلِ المُظلِم». قلت: يارسولَ الله، وما المَخرجُ منها؟ قال: «كتابُ الله تبارك وتعالى، فيه نَبأُ مَن قَبلَكُم، وخبرُ ما بَعدَكُم، وحُكْمُ ما بَينَكم، هو الفَصْلُ، ليس بالهَزْل، مَن تَرَكَهُ مِن جَبَّارٍ، قَصَمَه اللهُ، ومَنِ ابتَغَى الهُدَى في غيره، أضلَّه اللهُ، هو حَبْلُ اللهِ المتينُ، ونورُه المبينُ، والذِّكْرُ الحكيمُ، وهو الصراطُ المستقيمُ، وهو الذي لا تَزيغُ به[(٦)] الأهواءُ، ولا تَلتَبِسُ به الألسنةُ، ولا تَتشعَّبُ معه[(٧)] الآراءُ، ولا يَشبَعُ منه العلماءُ، ولا يَملُّه الأتقياءُ، ولا

---

(١) سنن الترمذي (٢٩٢٦) بنحوه، وفي إسناده عطية العوفي، وهو ضعيف. وفيه أيضاً محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني، وهو ضعيف جداً. وذكر الذهبي هذا الحديث في الميزان ٣/ ٥١٥ وقال: حسَّنَه الترمذي، فلم يُحسِن. وقوله: فضلُ كلام الله على سائر الكلام، كفضل الله على خلقه، ذكره البخاري في خلق أفعال العباد ص١٩ ومحمد بن نصر المروزي (كما في مختصر قيام الليل ص٧٥) من قول أبي عبد الرحمن السُّلمي، وزاد ابنُ نصر نسبته إلى شهر بن حوشب. وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٩/ ٦٦: بيَّن العسكري أنها من قول أبي عبد الرحمن السُّلمي.

(٢) عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل، التميمي، صاحب التصانيف، توفي سنة (٢٥٥هـ). السير ١٢/ ٢٢٤.

(٣) سنن الدارمي (٣٤٠٠)، وأخرج الإمام أحمد نحوه في المسند (١٦٩٨٢) من حديث واثلة بن الأسقع مرفوعاً، وإسناده حسن.
وسيتكلم المصنف على السبع الطول، والمثاني، آخر الباب الأول من سورة الفاتحة، وفي تفسير الآية (٨٧) من سورة الحجر: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾.

(٤) سنن الدارمي (٣٣٣١) و(٣٣٣٢). الحارث: هو ابنُ عبد الله الأعور، الهمداني.

(٥) سنن الترمذي (٢٩٠٦)، وهو في مسند أحمد (٧٠٤).

(٦) في (ظ): فيه.

(٧) في (د) و(ز): به.

يَخلُقُ(١) عن(٢) كثرة الردِّ، ولا تنقضي عجائبُه، وهو الذي لم تَنتَهِ الجنُّ إذ سَمِعَتْه أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١]، من عَلِمَ عِلمَه سَبَق، ومَن قال به صَدَق، ومَن حَكَمَ به عَدَل، ومَن عَمِلَ به أُجِر، ومَن دَعا إليه هُدِيَ إلى صراط مستقيم» خُذها إليك يا أعوَر(٣).

الحارث: رماه الشعبيُّ(٤) بالكذب، وليس بشيء، ولم يَبِنْ مِن الحارث كذِب، وإنما نُقِمَ عليه إفراطُه في حبِّ عليٍّ وتفضيلُه له على غيره. ومن هاهنا - والله أعلم - كذَّبه الشعبيُّ(٥)، لأن الشعبيَّ يذهَبُ إلى تفضيل أبي بكر، وإلى أنه أوّلُ مَن أسلم. قال أبو عمر بنُ عبد البرِّ(٦): وأظنُّ الشعبيَّ عُوقب لقوله في الحارث الهَمدانيِّ: حدَّثني الحارثُ، وكان أحدَ الكذّابين.

وأسند أبو بكر محمدُ بنُ القاسم بنِ بشار بن محمد الأنباريُّ(٧) النحويُّ اللغويُّ في كتاب «الردِّ(٨) على مَن خالف مصحفَ عثمان»، عن عبد الله بن مسعود قال: قال

---

(١) قال النووي في التبيان في الفصل العاشر منه: يَخلُق، بضم اللام، ويجوز فتحها، والياء فيهما مفتوحة، ويجوز ضم الياء مع كسر اللام، يقال: خَلُقَ الشيءُ، وخَلَقَ، وخَلِقَ، وأَخلَقَ: إذا بَلِيَ.

(٢) في (م): على.

(٣) حديث ضعيف، فقد أعلَّه الترمذي بقوله: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال. وانظر علل الدارقطني ٣/ ١٣٧.

(٤) هو عامر بنُ شراحيل بن عبد، أبو عمرو الهمداني، رأى عليًّا رضي الله عنه وصلى خلفه، وروى عن عدد من الصحابة. توفي سنة (١٠٤هـ). السير ٤/ ٢٩٤.

(٥) وكذَّبه أيضا أبو إسحاق، وعلي ابنُ المديني، وضعَّفه أبو زرعة، وأبو حاتم، وابنُ عدي، والدارقطني. وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال في موضع آخر: ليس به بأس. ووثَّقه ابنُ مَعِين، وأحمد بن صالح المصري. كذا في التهذيب ٢/ ٢٦٤.

(٦) في جامع بيان العلم ص٤٤٥ وتمام القصة فيه. وابنُ عبد البرِّ: هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرِّ، أبو عمر، النَّمَرِيُّ، الأندلسيُّ، القُرطبيُّ، المالكيُّ، صاحب التمهيد و الاستذكار وغيرهما. توفي سنة (٤٦٣هـ). السير ١٨/ ١٥٣.

(٧) كذا نسبه القرطبي، والذي في أغلب المصادر: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن، وهو من أئمة القراءة والأدب، توفي سنة (٣٢٨هـ). السير ١٥/ ٢٧٤. وكتابُ الردّ الذي ذكره المصنف له لم يصلنا، وقد ذكره ابن النديم في الفهرست ص٨٢، وياقوت في معجم الأدباء ١٨/ ٣١٣، والداودي في طبقات المفسرين ٢/ ٢٢٩، وغيرهم.

(٨) في النسخ الخطية: الرد له، والمثبت من (م).

رسولُ الله ﷺ: «إنَّ هذا القرآنَ مأدُبَةُ الله، فتعلَّموا من مَأدُبَتِهِ ما استطعتُم، إنَّ هذا القرآنَ حَبْلُ الله، النورُ المبينُ[١]، والشفاءُ النافعُ، عِصمةٌ لمن[٢] تمسَّك به، ونجاةٌ لمن[٢] اتَّبعه، لا يَعْوَجُّ فيُقوَّم، ولا يزيغُ فيُستَعتب، ولا تنقضي عجائبُه، ولا يَخلَق عن كثرة الرَّدِّ، فاتلوه، فإنَّ الله يأجُركم على تلاوته بكل حرف عشرَ حسنات، أما إني[٣] لا أقول: «الم» حرفٌ، ولا أُلْفِيَنَّ أحدَكم واضعاً إحدى رِجلَيه يَدَعُ أن يقرَأ سورةَ البقرة، فإنَّ الشيطانَ يَفِرُّ من البيتِ الذي تُقرَأُ فيه سورةُ البقرة، وإنَّ أصفَرَ البيوتِ لَجوفٌ أصفرُ من[٤] كتاب الله»[٥].

وقال أبو عبيد في «غريبه»[٦] عن عبد الله قال: إن هذا القرآنَ مَأدُبَةُ الله، فمن دخَلَ فيه فهو آمِن. قال: وتأويل الحديث أنه مَثَلٌ، شَبَّه القرآنَ بصنيعٍ صنعَه اللهُ عزَّ وجلَّ للناس، لهم فيه خيرٌ ومنافع، ثم دعاهم إليه. يقال: مَأدُبة ومَأدَبة، فمن قال: مَأدُبة، أرادَ الصنيعَ يصنعُه الإنسانُ، فيدعو إليه الناسَ. ومَن قال: مَأدَبَة، فإنه يذهَبُ

(١) في (م): وهو النور المبين.
(٢) في (د) و(ز) و(م): من، والمثبت من (ظ).
(٣) في (ظ): ألا إني، وفي (د): أما أنا.
(٤) في (م): وإن أصفر البيوت من الخير البيت الصفر من. . .
(٥) اختلف في رفعه ووقفه، والصواب أنه موقوف من قول ابن مسعود رضي الله عنه فيما ذكر الدارقطني وغيره. وقوله: «اتلوه، فإن الله يأجركم بكل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول: الم حرف» له حكم المرفوع، لأنه مما لايقال بالرأي، وسيكرره المصنف بنحوه قريباً (ص١٤). وقوله: «إن الشيطان يفرُّ من البيت الذي تقرأُ فيه سورةُ البقرة» له شاهد صحيح من حديث أبي هريرة رفعه: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، فإن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة» أخرجه مسلم (٧٨٠)، وهو عند أحمد (٧٨٢١). وسنورد بعض أهم مصادر الحديث إجمالاً (دون تفصيل فيمن أخرجه بتمامه، أو مقطَّعاً، أو مرفوعاً، أو موقوفاً، بغية الاختصار)، فهو عند عبد الرزاق في مصنفه (٥٩٩٣) و (٥٩٩٨) و (٦٠١٧)، وأبي عبيد في فضائل القرآن ص٢١ و ٢٥و ٢٦ و ٣٢، وابن أبي شيبة ١٠/ ٤٦١ و ٤٦٢ و ٤٨٢ ـ ٤٨٣ و ٤٨٤ و ٤٨٦، والدارمي (٣٣٠٧) و (٣٣٠٨) و (٣٣١٥) و (٣٣٢٢) و (٣٣٧٥) و (٣٣٧٧) و (٣٣٧٩)، والترمذي (٢٩١٠)، والنسائي في الكبرى (١٠٧٣٣ ـ ١٠٧٣٥)، والدارقطني في العلل ٥/ ٣٢٦، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١٤٥).
(٦) غريب الحديث ٤/ ١٠٧ ـ ١٠٨. وأبو عبيد: هو القاسم بن سلَّام، وله من الكتب أيضاً: الأموال، وفضائل القرآن، والطَّهور، وغيرها. توفي بمكة سنة (٢٢٤هـ). السير ١٠/ ٤٩٠.

به إلى الأدب، يجعلُه «مَفْعَلَة» من الأدَب، ويحتجُّ بحديثه الآخر: «إن هذا القرآنَ مَأدَبةُ الله عزَّ وجلَّ، فتعلَّموا من مَأدَبته». وكان الأحمر[١] يجعلُهما[٢] لغتين بمعنًى واحد، ولم أسمع أحداً يقول هذا غيرَه. والتفسيرُ الأولُ أعجبُ إليَّ.

وروى البخاريُّ عن عثمانَ بنِ عفَّان، عن النبيِّ ﷺ قال: «خَيرُكم مَن تَعَلَّمَ القُرآنَ وعَلَّمَهُ»[٣].

وروى مسلمٌ، عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ المؤمنِ الذي يَقرَأُ القُرآنَ مَثَلُ الأُترُجَّة، رِيحُها طيِّب، وطَعْمُها طَيِّبٌ، ومَثَلُ المؤمنِ الذي لا يقرَأُ القرآنَ مَثَلُ التمرة، لا ريحَ لها، وطَعْمُها حُلْوٌ[٤]، ومَثَلُ المنافقِ الذي يقرَأ القرآنَ مَثَلُ الرَّيْحانة، ريحُها طيِّبٌ، وطَعْمُها مُرٌّ، ومَثَلُ المنافق الذي لا يقرَأُ القرآنَ، كَمَثَل الحَنظَلة، لا ريحَ لها، وطَعْمُها مُرٌّ». وفي رواية: «مَثَلُ الفاجِر» بدل «المنافق»[٥].

وقال البخاريُّ: «مَثَلُ المؤمنِ الذي يقرَأُ القرآنَ، ويعملُ به كالأُتْرُجَّة[٦]، طَعْمُها طَيِّبٌ، ورِيحُها طيِّبٌ، ومَثَلُ المؤمنِ الذي لا يقرَأُ القرآنَ كمَثَل التمرة» وذكر الحديث[٧].

وذكر أبو بكر الأنباريُّ: وقد أخبرنا أحمدُ بنُ يحيى الحلوانيُّ، حدثنا يحيى بن عبد الحميد، حدثنا هشيم (ح) وأنبأنا إدريسُ، حدثنا خَلَفٌ، حدثنا هُشَيم، عن العوَّام بن حَوْشَب، أن أبا عبد الرحمن السُّلَميَّ، كان إذا ختَم عليه الخاتِمُ القرآنَ،

---

(١) هو عليُّ بن المبارك، وقيل: عليُّ بن الحسن، شيخ العربية، تلميذ الكسائي. توفي سنة (١٩٤هـ). سير أعلام النبلاء ٩/ ٩٢.

(٢) في (ظ): يجعلها.

(٣) صحيح البخاري (٥٠٢٧)، وهو في مسند أحمد (٤١٢).

(٤) في (ظ): طيب.

(٥) صحيح مسلم (٧٩٧)، وهو في مسند أحمد (١٩٥٤٩). قوله: الأترجّة، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٩/ ٦٦: هو بضم الهمزة والراء، بينهما مثناة ساكنة، وآخره جيم ثقيلة، وقد تخفف، ويزاد قبلها نون ساكنة، ويقال بحذف الألف مع الوجهين.

(٦) في (م): يقرأ القرآن كمثل الأترجة.

(٧) صحيح البخاري (٥٠٥٩).

أجلَسه بين يديه، ووضَع يده على رأسه، وقال له: ياهذا، اتقِ الله، فما أعرِفُ أحداً خيراً منك إنْ عَمِلْتَ بالذي عَلِمْتَ.

وروى الدارميُّ، عن وَهْب الذِّمارِيِّ[١] قال: مَنْ آتاهُ اللهُ القرآنَ، فقام به آناءَ الليل، وآناءَ النهار، وعَمِلَ بما فيه، وماتَ على الطاعة، بعثَه اللهُ يومَ القيامة مع السَّفَرَةِ والأحكام. قال سعيدٌ[٢]: السَّفَرة: الملائكة، والأحكامُ: الأنبياء[٣].

وروى مسلم عن عائشةَ قالت: قال رسول الله ﷺ: «الماهِرُ بالقرآنِ مع السَّفَرَةِ الكِرام البَرَرَة، والذي يقرَأُ القرآنَ ويَتَتَعْتَعُ فيه، وهو عليه شاقٌّ، له أجران»[٤]. التَّتَعْتُعُ: التردُّدُ في الكلامِ عِيًّا وصعوبة، وإنما كان له أجرانِ من حيثُ التلاوةُ، ومن حيثُ المشقَّةُ. ودرجاتُ الماهر فوق ذلك كلِّه، لأنه قد كان القرآنُ مُتَعْتَعاً عليه، ثم تَرَقَّى عن ذلك إلى أن شُبِّه بالملائكة. والله أعلم[٥].

وروى الترمذيُّ عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ قرَأَ حَرْفاً مِن كتابِ الله، فله به حَسَنةٌ، والحَسَنةُ بعَشر أمثالها، لا أقول «الم» حَرْفٌ، ولكن ألِفٌ حَرْفٌ، ولامٌ حَرْفٌ، ومِيمٌ حَرْفٌ». قال: حديثٌ حَسنٌ صحيح، غريب من هذا الوجه، وقد رُوِيَ موقوفاً[٦].

وروى مسلم عن عُقبةَ بن عامر قال: خرَج علينا رسولُ الله ﷺ ونحن في الصُّفَّة، فقال: «أيُّكم يُحِبُّ أن يَغدُوَ كلَّ يوم إلى بُطْحانَ، أو إلى العَقيق، فيأتيَ منه بناقتين كَوْمَاوَيْن في غير إثم، ولا قطيعةِ[٧] رَحِم؟». فقلنا: يارسول الله، كلُّنا نحبُّ ذلك، قال: «أفلا يغدُو أحدُكم إلى المسجد، فيَعلَمَ، أو يَقرَأَ آيتَينِ من كتابِ الله عزَّ وجلَّ،

(١) هو وهب بن منبّه، أبو عبد الله، الصنعاني، يروي الكثير من الإسرائيليات، مات سنة (١١٠هـ). وقيل: سنة (١١٤). السير ٤/ ٥٤٤.

(٢) في النسخ الخطية: سعد، وهو خطأ، وهو سعيد بن عبد العزيز التنوخي، أحد رجال السند.

(٣) هو في سنن الدارمي (٣٣٦٩) بأتم منه، وهو مقطوع.

(٤) صحيح مسلم (٧٩٨)، وهو أيضاً عند البخاري (٤٩٣٧)، وفي مسند الإمام أحمد (٢٤٢١١).

(٥) المفهم ٢/ ٤٢٥.

(٦) سنن الترمذي (٢٩١٠)، وقد ذكره المصنف مطولاً ص١١ ـ ١٢.

(٧) في (م): قطع.

خيرٌ له من ناقتين، وثلاثٌ خيرٌ له من ثلاث، وأربعٌ خيرٌ له من أربع، ومِن أعدادِهنَّ من الإبل»(١).

وعن أبي هريرةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عن مُسلم كُربَةً من كُرَبِ الدُّنيا، نَفَّسَ الله عنه كُربةً من كُرَبِ يومِ القيامة، ومَن يَسَّرَ على مُعْسِر، يَسَّرَ اللهُ عليه في الدنيا والآخرة، ومَن سَتَرَ مسلماً، سَتَرَه اللهُ في الدنيا والآخرة، واللهُ في عَونِ العبد ما كانَ العبدُ في عَونِ أخيه، ومَن سلَكَ طريقاً يَلتَمِسُ فيه عِلماً، سَهَّلَ الله له طريقاً إلى الجنة، وما اجتَمَعَ قومٌ في بيت من بيوتِ الله، يتلُون كتابَ الله، ويَتَدارَسُونه بينهم، إلا نَزَلَت عليهمُ السكينةُ، وغَشِيَتهُم الرحمةُ، وحفَّتهمُ الملائكةُ، وذَكَرَهمُ اللهُ فيمَن عنده، ومَن بَطَّأَ(٢) به عَمَلُه، لم يُسرِعْ به نَسَبُه»(٣).

وروى أبو داودَ، والنسائيُّ، والدارميُّ، والترمذيُّ، عن عقبةَ بن عامر قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «الجاهِرُ بالقُرآن كالجاهِر بالصَّدَقة، والمُسِرُّ بالقرآن كالمُسِرِّ بالصَّدَقة». قال الترمذيُّ: حديث حسن غريب(٤).

وروى الترمذيُّ، عن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ قال: «يَجِيءُ صاحبُ القرآن(٥) يومَ القيامة، فيقول: يارَبِّ حَلِّهِ، فيُلبَسُ تاجَ الكرامة، ثم يقول: يارَبِّ زِده، فيُلبَسُ حُلَّةَ الكرامة، ثم يقول: يارَبِّ ارْضَ عنه، فيَرضى عنه، فيقال له: اقرَأ، وارقَ، ويُزاد بكلِّ آية حَسَنة». قال: حديث صحيح(٦).

وروى أبو داود عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يُقال لصاحبِ

(١) صحيح مسلم (٨٠٣)، وهو في مسند أحمد (١٧٤٠٨). قوله: بُطحان والعقيق: هما واديان بظاهر المدينة. وقوله: «كوماوَيْن»: هو مثنى كوماء، يعني الناقة العظيمة السَّنام.

(٢) في (م): أبطأ.

(٣) صحيح مسلم (٢٦٩٩)، وهو في مسند أحمد (٧٤٢٧).

(٤) سنن أبي داود (١٣٣٣)، والسنن الصغرى للنسائي ٣/ ٢٢٥ و ٥/ ٨٠ والكبرى (١٣٧٨) و (٢٣٥٣) وسنن الترمذي (٢٩١٩)، ولم نجده عند الدارمي، وهو في مسند أحمد (١٧٣٦٨).

(٥) كذا في النسخ الخطية، وتحفة الأحوذي ٨/ ٢٢٧. ووقع في مطبوع الترمذي وعارضة الأحوذي ١١/ ٣٧ وتحفة الأشراف ٩/ ٤٢٨: يجيء القرآن.

(٦) سنن الترمذي (٢٩١٥).

القرآن: اقْرَأ، وارْتَقِ، ورتِّل كما كنتَ تُرتِّلُ في الدنيا، فإنَّ منزلَتَك عند آخرِ آية تقرؤها»(١).

وأخرجه ابنُ ماجه في «سننه» عن أبي سعيد الخُدريِّ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يُقال لصاحبِ القرآنِ إذا دخَلَ الجنةَ: اقرَأ، واصْعَد، فيَقرَأُ، ويَصعَدُ بكلِّ آية درجة، حتى يقرَأَ آخِرَ شيء معه»(٢).

وأسند أبو بكر الأنباريُّ عن أبي أمامةَ الحمصيِّ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن أُعطِيَ ثُلُثَ القرآن، فقد أُعطيَ ثُلثَ النبوَّة، ومَن أُعطيَ ثُلُثي القرآن، فقد أُعطيَ ثُلُثي النبوَّة، ومَن قَرَأَ القرآنَ كلَّه، فقد أُعطيَ النبوَّةَ كلَّها، غيرَ أنه لا يُوحَى إليه، ويُقال له يوم القيامة: اقْرَأ، وارْقَ، فيَقرَأُ آية، ويصعدُ درجة، حتى يُنجِزَ ما معه من القرآن، ثم يقال له: اقبِض، فيَقبِضُ، ثم يقال له: اقبض، فيقبض(٣)، ثم يقال له: أتدري ما في يديك؟ فإذا في يده اليمنى الخُلْدُ، وفي اليُسرىٰ النعيمُ»(٤).

حدثنا إدريسُ، عن خَلَف(٥)، حدثنا إسماعيلُ بنُ عيَّاش، عن تمَّام، عن

---

(١) سنن أبي داود (١٤٦٤)، وهو في مسند أحمد (٦٧٩٩).

(٢) سنن ابن ماجه (٣٧٨٠)، وهو في مسند أحمد (١١٣٦٠).

(٣) قوله: «ثم يقال له: اقبض، فيقبض» لم يكرر في (م) و(د)، وهو ثابت في (ظ) و(ز) والمصادر، وجاء عند الأنباري وغيره: فيقبض بيده، بزيادة لفظ: «بيده» في الموضعين.

(٤) هو عند أبي بكر الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ١/ ١١، وعنده: «من قرأ» بدل: «من أُعطيَ» في كل المواضع. وأخرجه أيضاً ابن حبان في المجروحين ١/ ١٨٧ ـ ١٨٨، وابن عدي في الكامل ٢/ ٤٤٠ ـ ٤٤١، وأبو الفضل الرازي في فضائل القرآن (٥٠)، والبيهقي في شُعب الإيمان (٢٥٨٩)، وابن الجوزي في الموضوعات ١/ ١٨٣، من طريق بشر بن نمير، عن القاسم، عن أبي أمامة، به. وبشرُ بن نُمير، قال فيه ابن حبان: منكر الحديث جداً. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابع عليه، وهو ضعيف. وقال ابن الجوزي: هذا الحديث لا يصحُّ عن رسول الله ﷺ.
وأخرجه الآجري في أخلاق حملة القرآن (١٤)، والرازي (٤٩)، من طريق مسلمة بن عُلَيّ الخُشني، عن زيد بن واقد، عن مكحول، عن أبي أمامة. ومسلمة بن عُلَي متروك، ومكحول لم يثبت له سماع من أبي أمامة.

(٥) تحرف في النسخ و(م) إلى: حدثنا إدريس بن خلف، والصواب ما أثبتناه. إدريس: هو ابن عبد الكريم الحدَّاد، شيخ ابن الأنباري، وخَلَف: هو ابن هشام بن ثعلب البغدادي، أحد القراء العشرة، وأحد الرواة عن سُليم، عن حمزة. طبقات القراء ١/ ١٥٤ و٢٧٢ ـ ٢٧٣.

الحسن قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن أَخَذَ ثُلُثَ القرآنِ وعَمِلَ به، فقد أَخَذَ أمرَ ثُلُثِ[١] النبوَّة، ومَن أَخَذَ نِصفَ القرآن، وعَمِلَ به، فقد أَخَذَ أمرَ نِصفِ[٢] النُّبوَّة، ومَن أَخَذَ القرآنَ كُلَّه، فقد أَخَذَ النبوَّةَ كلَّها»[٣].

قال: وحدثنا محمدُ بنُ يحيى المَروَزيُّ، أخبرنا محمد ـ وهو ابن سعدان ـ حدثنا الحُسين[٤] بنُ محمد، عن حفص، عن كثير بن زاذان، عن عاصم بن ضَمرة، عن عليٍّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن قَرَأَ القرآنَ وتلاه وحَفِظَهُ، أدخلَه اللهُ الجنةَ، وشَفَّعَهُ في عَشَرَة من أهلِ بيتِهِ، كُلٌّ قد وَجَبت له النار»[٥].

وقالت أمُّ الدَّرداء[٦]: دخلتُ على عائشةَ رضي الله عنها، فقلت لها: ما فَضلُ مَن قَرَأَ القرآنَ على مَن لم يقرأه ممَّن دخلَ الجنة؟ فقالت عائشةُ رضي الله عنها: إنَّ عددَ آيِ القرآنِ على عَدَدِ دَرَج الجنة، فليس أحدٌ دخَلَ الجنةَ أفضلَ ممن قَرَأَ القرآن. ذكره أبو محمد مكيٌّ[٧].

وقال ابنُ عباس: مَن قَرأَ القرآنَ واتَّبعَ ما فيه، هداه الله من الضَّلالة، ووقاه يومَ القيامة سوءَ الحساب، وذلك بأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ

---

(١) في (ظ): ثلث أمر.

(٢) في (د) و(ز): أخذ نصف.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٥٩٢)، وهو مرسل. تمّام: هو ابن نَجيح الأسَدي. والحَسَن: هو البصري.

(٤) في (د) و(ز): الحسن.

(٥) إسناده ضعيف. حفص ـ وهو ابنُ سليمان الأسدي، القارىء، صاحب عاصم ـ ضعيف الحديث، وكثير بن زاذان: مجهول. وأخرجه أحمد (١٢٦٨)، والترمذي (٢٩٠٥)، وابن ماجه (٢١٦). قال الترمذي: ليس إسناده بصحيح. اهـ. وقد رُوي من وجه آخر عن عائشة، وهو منكر. تاريخ بغداد ٤/ ٨١ و٤٣٠ و١١/ ٣٩٥.

(٦) هُجيمة بنت حيي الأوصابية الحميرية، الدمشقية، وهي أم الدرداء الصغرى، اشتهرت بالعلم والعمل والزُّهد، وليس لها صحبة، ماتت بعد سنة (٨١هـ). السير ٤/ ٢٧٧.

(٧) في الرعاية ص٦٤، ومكي: هو ابن أبي طالب، أبو محمد القيسي، القيرواني، ثم القرطبي، المقرىء، صاحب التصانيف، توفي سنة (٤٣٧هـ). السير ١٧/ ٥٩١.
وأخرجه ابن أبي شيبة ١٠/ ٤٦٦، وابن نصر المروزي كما في مختصر قيام الليل ص٧٤، والآجري في أخلاق حملة القرآن (١١)، من طريق أم الدرداء، به.

﴿وَلَا يَشْقَىٰ﴾[١] [طه: ١٢٣]. قال ابن عباس: فضَمِنَ الله لمن اتَّبعَ القرآنَ ألَّا يَضِلَّ في الدُّنيا، ولا يَشقَى في الآخرة. ذكره مكيٌّ أيضاً[٢].

وقال الليث[٣]: يُقال: ما الرحمةُ إلى أحد بأسرعَ منها إلى مستمع القُرآن، لقول الله جلَّ ذِكرُه: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]. و«لَعَلَّ» من الله واجبةٌ[٤].

وفي «مُسنَد» أبي داودَ الطَّيَالسيِّ[٥] - وهو أولُ مُسنَد أُلِّفَ في الإسلام[٦] - عن عبدِ الله بنِ عمرو، عن رسولِ الله ﷺ قال: «مَن قامَ بِعَشرِ آيات، لم يُكتَب من الغافلين، ومَن قامَ بمئة آية، كُتِبَ من القانتين، ومن قامَ بألفِ آية، كُتِبَ من المُقَنطِرِين»[٧].

والآثار في معنى هذا الباب كثيرة، وفيما ذكرنا كفاية، والله الموفق للهداية.

باب كيفية التلاوة لكتاب الله تعالى، وما يُكره منها وما يحرم، واختلاف الناس في ذلك

روى البخاريُّ عن قتادةَ[٨] قال: سألتُ أنَساً عن قراءةِ رسولِ الله ﷺ، فقال: كان

(١) الرعاية ص٦٤، وأخرجه عبد الرزاق (٦٠٣٣)، وابن أبي شيبة ١٠/ ٤٦٧، وابن نصر المروزي كما في مختصر قيام الليل ص٧٦، والحاكم ٢/ ٣٨١. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) في الرعاية ص٦٤ و٦٥، وأخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ٣٧١، وابن نصر المروزي ص٧٦، وأبو الفضل الرازي في فضائل القرآن (٨٤).

(٣) ابنُ سعد بنِ عبد الرحمن، أبو الحارث الفهمي، عالم الديار المصرية، مات سنة (١٧٥هـ). السير ٨/ ١٣٦.

(٤) الرعاية ص٦٦.

(٥) سليمان بن داود بن الجارود، الفارسي، ثم الأسدي، الحافظ، مات سنة (٢٠٤هـ). السير ٩/ ٣٧٨.

(٦) في هذا الكلام نظر؛ قال السيوطي في تدريب الراوي ١/ ١٩٠: قيل: الذي حمل قائلَ هذا القولِ عليه تقدُّمُ عصر أبي داود في أعصار مَنْ صَنَّفَ المسانيد، فظنَّ أنه هو الذي صنَّفه، وليس كذلك، فإنما هو من جمع بعض الحفاظ الخُراسانيِّين، جمعَ فيه ما رواه يونس بن حبيب خاصة عنه، ويشبه هذا مسند الشافعي، فإنه ليس تصنيفَه، وإنما لقطه بعض الحفاظ النيسابوريِّين من مسموع الأصمّ من الأمّ، وسمعه عليه.

(٧) لم نجده في مسند الطيالسي، وأخرجه أبو داود السجستاني (١٣٩٨)، وابن خزيمة (١١٤٤)، وابن حبان (٢٥٧٢)، والبيهقي في شُعب الإيمان (٢١٩٤)، وهو حديث حسن.

(٨) هو ابنُ دِعامة، أبو الخطاب السدوسي، البصري، الضرير، قدوة المفسرين والمحدثين. مات سنة (١١٧هـ). السير ٥/ ٢٦٩.

يَمُدُّ مَدًّا. [ثم] قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، يمدُّ بسم الله، ويمدُّ بالرحمن، ويمدُّ بالرحيم(١).

وروى الترمذيُّ عن أمِّ سَلَمةَ قالت: كان رسولُ الله ﷺ يُقَطِّعُ قراءتَه(٢)، يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ثم يقفُ، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ثم يقف، وكان يقرأ(٣): ﴿مَلِكِ يومِ الدِّين﴾. قال: حديث غريب(٤). وأخرجه أبو داودَ بنحوه(٥).

ورُوِيَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «أحسنُ الناسِ صَوتاً مَن إذا قرأَ(٦)، رأيتَه يخشى الله تعالى»(٧).

ورُوِي عن زياد النُّمَيرِيِّ أنه جاء مع القرَّاء إلى أنس بن مالك، فقيل له: اقرأ، فرفعَ صوتَه وطرَّب، وكان رفيعَ الصوت، فكشف أنسٌ عن وجهه ـ وكان على وجهه

---

(١) صحيح البخاري (٥٠٤٥) و(٥٠٤٦) وفيه: «يمدُّ ببسم الله» واستدركنا لفظة «ثم» منه. وهو في مسند أحمد (١٢١٩٨). وذكر الحافظ ابن حجر في الفتح ٩/ ٩١ أن المرادَ بمد القراءة المدُّ الأصلي (يعني الطبيعي).

(٢) في (ظ): القراءة.

(٣) في (م): يقرؤها.

(٤) سنن الترمذي (٢٩٢٧)، وهو في مسند أحمد (٢٦٤٥١) و(٢٦٥٨٣).

(٥) سنن أبي داود (٤٠٠١).

(٦) في (ظ): قرأ القرآن.

(٧) حديث ضعيف. أخرجه عَبد بنُ حُميد في المنتخب (٨٠٢)، والبزار (٢٣٣٦) (زوائد)، وابن نَصر المَروَزي ـ كما في مختصر قيام الليل ص٥٩ ـ والطبراني في الأوسط (٢٠٩٥)، وابن عدي في الكامل ٢/ ٦٩٣، وتمَّام الرازي في فوائده (١٣١٩) (الرَّوض البسام)، وأبو الفضل الرازي في فضائل القرآن (٢٤)، والخطيب في تاريخ بغداد ٣/ ٢٠٨ من حديث ابن عمر. وأخرجه ابنُ ماجه (١٣٣٩)، والآجُرِّي في أخلاق حَمَلَة القرآن (٨٩) من حديث جابر. وأخرجه ابن عدي ٢/ ٦٩٣، وأبو نُعَيم في الحِلية ٤/ ١٩، والبيهقي في شُعب الإيمان (٢١٤٥) من حديث ابن عباس. وأخرجه أبو نُعيم أيضاً في أخبار أصبهان ٢/ ٥٨ من حديث عائشة، وأخرجه ابنُ المبارك في الزهد (١١٣)، وعبد الرزاق (٤١٨٥)، وابن سلاَّم في فضائل القرآن ص٨٠، وسعيد بن منصور في تفسيره (٤٧)، وابن أبي شيبة ١٠/ ٤٦٤، والدارمي (٣٤٨٩)، وابن عدي ٢/ ٦٩٣، والبيهقي (٢١٤٦) من حديث طاووس مرسلاً. وأخرجه ابن المبارك (١١٤)، والآجري (٩٠) من حديث الزهري مرسلاً. قال ابن عدي: والصحيح مرسل عن طاووس.

خِرقةٌ سوداء ـ فقال: ياهذا، ما هكذا كانوا يفعلون ! وكان إذا رأى شيئاً يُنكره، كشفَ الخِرقة عن وجهه[(١)].

ورُوي عن قيس بن عُبَاد[(٢)] أنه قال: كان أصحابُ رسول الله ﷺ يكرهون رفعَ الصوتِ عندَ الذِّكرِ[(٣)].

وممن رُوي عنه كراهةُ رفعِ الصوت عند قراءةِ القرآن: سعيدُ بنُ المُسيِّب[(٤)]، وسعيدُ بنُ جُبَير[(٥)]، والقاسمُ بنُ محمد[(٦)]، والحسنُ[(٧)]، وابنُ سِيرِين[(٨)]، والنَّخَعيُّ[(٩)]، وغيرُهم[(١٠)].

وكَرِهه مالكُ بنُ أنس، وأحمدُ بنُ حنبل، كلُّهم كرهَ رَفعَ الصوتِ بالقرآن، والتَّطريبَ فيه.

ورُويَ عن سعيد بن المسيّب أنه سمع عمرَ بنَ عبد العزيز يَؤُمُّ الناس، فَطرَّبَ في قراءته، فأرسلَ إليه سعيدٌ يقول: أصلحكَ الله، إنَّ الأئمةَ لا تقرأُ هكذا. فترك عمرُ التطريبَ بعدُ[(١١)].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ١٠/ ٤٦٦، وزياد النُّميري ـ وهو ابن عبد الله ـ ضعيف.

(٢) القيسي، البصري، قدم المدينة في خلافة عمر. وهو من رجال التهذيب.

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢٤٧)، وابن أبي شيبة ١٠/ ٥٣٠.

(٤) أبو محمد القرشي، المخزومي، عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه، مات سنة (٩٤هـ). السير ٤/ ٢١٧.

(٥) أبو محمد الأسدي، الوالبي، مولاهم، الكوفي، الحافظ، المفسر، قتله الحجاج سنة (٩٥هـ). السير ٤/ ٣٢١.

(٦) هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، القرشي، التيمي، المدني، الحافظ، أحد فقهاء المدينة. مات سنة (١٠٦هـ). السير ٥/ ٥٣.

(٧) ابن أبي الحسن يسار، أبو سعيد البصري، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، كان سيد أهل زمانه علماً وعملاً، مات سنة (١١٠هـ). السير ٤/ ٥٦٣.

(٨) محمد، أبو بكر الأنصاري، البصري، مولى أنس بن مالك، مات سنة (١١٠هـ). السير ٤/ ٦٠٦.

(٩) إبراهيم بن يزيد بن قيس، أبو عمران النخعي، اليماني، ثم الكوفي، فقيه العراق. مات سنة (٩٦هـ). السير ٤/ ٥٢٠.

(١٠) فضائل القرآن لابن سلّام ص٨٢ ـ ٨٤، ومصنف ابن أبي شيبة ١٠/ ٥٣٠.

(١١) مصنف عبد الرزاق ٢/ ٤٨٤.

ورُوي عن القاسم بنِ محمد أن رجلاً قرأ في مسجد النبيِّ ﷺ، فَطَرَّب، فأنكرَ ذلك القاسمُ، وقال: يقول اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤١ ـ ٤٢] الآية(١).

ورُوِيَ عن مالك أنه سُئل عن النَّبْر في قراءة القرآن(٢) في الصلاة، فأنكر ذلك، وكَرِهه كراهةً شديدة، وأنكر رَفعَ الصوت به.

ورَوى ابنُ القاسم(٣) عنه، أنه سُئِلَ عن الألحان في الصلاة، فقال: لا يُعجبُني، وقال: إنَّما هو غِناءٌ يَتَغَنَّوْنَ به ليأخذوا عليه الدَّراهم.

وأجازت طائِفةٌ رفعَ الصوت بالقرآن، والتطريبَ به؛ وذلك لأنه إذا حَسَّنَ الصوتَ به، كان أوقعَ في النفوس، وأسمعَ في القلوب.

واحتجُّوا بقوله عليه السلام: «زَيِّنُوا القرآنَ بأصواتِكم» رواه البَراء بن عازب. أخرجه أبو داود والنَّسائي(٤). وبقوله عليه السلام: «ليس منَّا من لم يتغنَّ بالقرآن». أخرجه مسلم(٥). وبقول أبي موسى للنبي ﷺ: لو أعلمُ(٦) أنك تستمِعُ لقراءتي لَحَبَّرْتُهُ لك تَحْبيراً(٧). وبما رواه عبدُ الله بن مُغَفَّل قال: قرأ رسولُ الله ﷺ عامَ الفَتح في مسير له سورةَ الفتح على راحلته، فَرَجَّعَ في قراءته(٨).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ١٠/٤٦٦.

(٢) يعني رفع الصوت به.

(٣) هو عبد الرحمن بن القاسم أبو عبد الله العُتَقي مولاهم، المصري، صاحب مالك، عالم الديار المصرية ومفتيها، توفي سنة (١٩١هـ). سير أعلام النبلاء ٩/ ١٢٠.

(٤) سنن أبي داود (١٤٦٨)، والسنن الصغرى للنسائي ٢/ ١٧٩، وهو في مسند أحمد (١٨٤٩٤)، وهو حديث صحيح.

(٥) ليس في صحيح مسلم، وأخرجه البخاري (٧٥٢٧) من حديث أبي هريرة. وأخرجه أحمد (١٤٧٦)، وأبو داود (١٤٦٩) من حديث سعد بن أبي وقاص.

(٦) في (ظ): علمتُ.

(٧) قطعة من حديث أخرجه ابن حبان (٧١٩٧). وأصل الحديث في صحيح البخاري (٥٠٤٨)، ومسلم (٧٩٣)، وأخرجه أحمد (٨٦٤٦) من حديث أبي هريرة.

(٨) أخرجه أحمد (١٦٧٨٩)، والبخاري (٥٠٤٧)، ومسلم (٧٩٤)، وسيذكر المصنف معنى الترجيع في القراءة ص٣٠.

وممن ذهبَ إلى هذا أبو حنيفة وأصحابُه، والشافعيُّ، وابنُ المبارك[١]، والنَّضْرُ بنُ شُمَيل[٢]، وهو اختيارُ أبي جعفر الطبري[٣]، وأبي الحسن بن بَطّال[٤]، والقاضي أبي بكر بن العربي[٥]، وغيرِهم.

قلت: القولُ الأوَّل أصحُّ لما ذكرناه، ويأتي.

وأما ما احتجّوا به من الحديث الأول، فليس على ظاهره، وإنما هو من باب المقلوب، أي: زَيِّنُوا أصواتكم بالقرآن.

قال الخَطابي[٦]: وكذا فسَّره غيرُ واحد من أئمة الحديث: زَيِّنُوا أصواتكم بالقرآن، وقالوا: هو من باب المقلوب، كما قالوا: عَرَضتُ الناقةَ على الحَوض، وإنما هو: عرضتُ الحَوضَ على النَّاقة[٧]. قال: ورواه مَعمَر، عن منصور، عن طلحة، فقدَّم الأصوات على القرآن، وهو الصحيح.

قال الخطَّابي: ورواه طلحة، عَن عبد الرحمن بن عَوْسَجة، عن البَرَاء أنَّ رسول الله ﷺ قال: «زيِّنوا القرآنَ بأصواتكم»[٨]. أي: الهَجُوا بقراءته، واشغَلُوا به

(١) هو عبد الله بن المبارك، أبو عبد الرحمن الحنظلي، المروزي، الحافظ، عالم زمانه، توفي سنة (١٨١هـ). السير ٨/ ٣٧٨.

(٢) أبو الحسن المازني، البصري، الحافظ، نزيل مرو وعالمُها، توفي سنة (٢٠٤هـ) السير ٩/ ٣٢٨.

(٣) محمد بن جرير، صاحب التفسير، والتاريخ، وتهذيب الآثار. توفي سنة (٣١٠هـ). السير ١٤/ ٢٦٧.

(٤) هو علي بن خلف بن بطّال القرطبي، يعرف بابن اللَّجّام، شارح صحيح البخاري، توفي سنة (٤٤٩هـ). السير ١٨/ ٤٧.

(٥) هو محمد بن عبد الله بن محمد ابن العربي، الأندلسي، الإشبيلي، المالكي، له: عارضة الأحوذي في شرح جامع الترمذي، وأحكام القرآن. توفي سنة (٥٤٣هـ). السير ٢٠/ ١٩٧.

(٦) في معالم السنن ١/ ٢٩٠. والخطَّابي: هو أبو سليمان، حَمْدُ بنُ محمد بن إبراهيم، البُستي، الحافظ، اللغوي، صاحب التصانيف. توفي سنة (٣٨٨هـ). السير ١٧/ ٢٣.

(٧) اضطربت العبارة في (ز)، ووقعت مقلوبة في (م) والتذكار للمصنف ص١٤٨. والمثبت من (ظ) و(د)، وهو الموافق لمعالم السنن ١/ ٢٩٠، وانظر الصحاح واللسان (عرض).

(٨) كذا قال القرطبي، وهو وهم منه رحمه الله، فإن الخطابي بعد أن أشار إلى رواية طلحة، وذكر أن فيها تقديم الأصوات على القرآن، أخرج روايته، فقال: أخبرناه محمد بن هاشم، حدثنا الدَّبَري، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن منصور، عن طلحة، عن عبد الرحمن بن عوسجة، عن البراء أن رسول الله ﷺ قال: «زيِّنوا أصواتكم بالقرآن». فجعلهما القرطبي روايتين، وقال أيضاً: «زيِّنوا القرآن بأصواتكم»، وصوابُه في هذا الموضع لفظ: «زيِّنوا أصواتكم بالقرآن».

أصواتَكُم، واتَّخِذوه شعاراً وزينة.

وقيل: معناه الحَضُّ على قراءة القرآن والدُّؤوب عليه. وقد رُويَ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «زَيِّنُوا أصواتَكم بالقرآن»(١).

ورُويَ عن عمر أنه قال: حَسِّنُوا أصواتَكم بالقرآن(٢).

قلتُ: وإلى هذا المعنى يرجعُ قولُه عليه السلام: «ليس منَّا مَن لم يَتَغَنَّ بالقرآن». أي: ليس منَّا من لم يُحَسِّن صَوتَه بالقرآن، كذلك تأوَّلَه عبدُ الله بنُ أبي مُلَيكَةَ(٣). قال عبد الجبار بنُ الوَرد: سمعتُ ابنَ أبي مُلَيكَة يقول: قال عُبيد الله(٤) بن أبي يزيد: مرَّ بنا أبو لُبابة(٥)، فاتَّبعناه حتى دخلَ بيتَه، فإذا رجلٌ رَثُّ الهيئة، فسمعتُه يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ليس منَّا مَن لم يَتَغَنَّ بالقرآن». قال: فقلتُ لابنِ أبي مُلَيكة: يا أبا محمد، أرأيتَ إذا لم يكن حَسَنَ الصوت؟ قال: يُحَسِّنُهُ ما استطاع. ذكره أبو داود(٦).

وإليه يرجع أيضاً قولُ أبي موسى للنبيِّ ﷺ: إنِّي لو علمتُ أنَّك تستمعُ لقراءتي، لَحَسَّنتُ صوتي بالقرآن، وزيَّنتُه به(٧)، ورتَّلتُه. وهذا يدلُّ أنه كان يَهُذُّ في قراءته(٨) مع حُسنِ الصوت الذي جُبِل عليه. والتَّحبيرُ: التزيين والتَّحسين. فلو علم

(١) لم نجده بهذا اللفظ من حديث أبي هريرة، إنما أخرجَ ابنُ حبان (٧٥٠) حديثَ أبي هريرة بلفظ حديث البراء المذكور أعلاه: «زينُوا القرآنَ بأصواتكم». وأخرجَ عبد الرزاق عن معمر (٤١٧٦) لفظَ: «زَيِّنُوا أصواتكم بالقرآن» من حديث البراء أيضاً، وأخرجه كذلك الحاكم في المستدرك ١/ ٥٧١ و٥٧٢.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٠/ ٤٦٤.

(٣) هو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مُليكة، أبو بكر وأبو محمد، القرشي، التيمي، المكي، القاضي، توفي سنة (١١٧هـ). السير ٥/ ٨٨.

(٤) وقع في (م): عبد الله، وفي (ز): عبد الحق، والمثبت من (ظ) و(د)، وهو الصواب.

(٥) هو أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري، صحابي مختلف في اسمه، فقيل: اسمه بَشِير، وقيل: رفاعة، مات في خلافة علي رضي الله عنه، وقيل غير ذلك. الإصابة ١١/ ٣٢٢.

(٦) سنن أبي داود (١٤٧١).

(٧) لفظة: به، من (د) و(ز).

(٨) أي: يسرع فيها. القاموس (هذَّ).

أنَّ النبيَّ ﷺ كان يسمعُه، لَمَدَّ في قراءته، ورتَّلَها، كما كان يقرأُ على النبيِّ ﷺ، فيكون ذلك زيادة في حُسن صوتِه بالقراءة. ومعاذ الله أن يتأوَّل على رسول الله ﷺ أن يقول: إن القرآن يُزَيَّن بالأصوات، أو بغيرها، فَمن تأوَّلَ هذا، فقد واقع أمراً عظيماً أن يُحوجَ القرآنَ إلى من يُزَيِّنُهُ، وهو النُّور والضِّياء، والزَّيْنُ[١] الأعلى لمن أُلبِسَ بهجتَه، واستَنارَ بضيائه.

وقد قيل: إن الأمرَ بالتَّزيين اكتسابُ القراءات وتزيينُها بأصواتنا، وتقدير ذلك أي: زيِّنوا القراءةَ بأصواتكم؛ فيكون القرآن بمعنى القراءة، كما قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ [الإسراء: ٧٨] أي: قراءةَ الفجر، وقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨] أي: قراءته. وكما جاء في صحيح مسلم عن عبد الله بن عَمرو قال: إنَّ في البحر شياطينَ مَسْجُونةً، أوثقَها سليمانُ عليه السلام، يُوشِكُ أن تَخرُجَ، فتقرأ على النَّاسِ قُرآناً[٢]. أي: قراءةً.

وقال الشاعر في عثمان رضي الله عنه:

ضَحَّوْا بأشمَطَ عُنوانُ السجودِ به ... يُقَطِّعُ الليلَ تَسبِيحاً وقُرآنا[٣]

أي: قراءة، فيكون معناه على هذا التأويل صحيحاً، إلاَّ أن يُخرِجَ القراءةَ ـ التي هي التلاوةُ ـ عن حدِّها ـ على ما نبيِّنه ـ فيمتنِع.

وقد قيل: إنَّ معنى «يتغنَّى به»: يستغني به، من الاستغناء الذي هو ضِدُّ الافتقار، لا من الغِناء؛ يقال: تغنَّيتُ وتغانيت، بمعنى: استغنيتُ. وفي «الصحاح»: تَغَنَّى الرجلُ، بمعنى استَغنَى، وأغناهُ الله. وتَغَانَوا، أي: استَغنَى بعضُهم عن بعض. قال

(١) في النسخ الخطية: الدين، والمثبت من (م).

(٢) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه ١/ ١٢. وهو موقوف على ابن عمرو رضي الله عنهما، وكان قد رَوَى عن أهل الكتاب، كما ذكر الذهبي في السير ٣/ ٨١، وقال أبو العباس القرطبي في المفهم ١/ ١٢٠: هذا ونحوه لا يُتوصَّل إليه بالرأي والاجتهاد، بل بالسمع، والظاهر أن الصحابة إنما تستند في هذا للنبي ﷺ، مع أنه يحتمل أن يُحدِّثَ به عن بعض أهل الكتاب.

(٣) البيت لحسان بن ثابت، وهو في ديوانه ص٤٦٩. قوله: الأشمط، يعني المختلط سوادُ شعرِه ببياض.

المغيرة بن حَبناء التمِيمي(١) وأجاد(٢):

كـلانـا غَـنِـيٌّ عـن أخـيـهِ حَـيـاتَـه ... ونـحـن إذا مِـتـنَـا أشـدُّ تَـغـانِـيـا(٣)

وإلى هذا التأويل ذهبَ سفيان بن عُيَينَةَ، ووَكيع بنُ الجرَّاح(٤)، ورواه سفيان عن سعد بن أبي وَقاص(٥).

وقد رُوي عن سفيان أيضاً وجه آخر، ذكره إسحاق بن رَاهَوَيه(٦)، أي: يستغني به عماسواه من الأحاديث.

وإلى هذا التأويل ذهب البخاري محمد بن إسماعيل لإتباعه الترجمة بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾(٧) [العنكبوت: ٥١]. والمرادُ الاستغناءُ بالقرآن عن علم أخبار الأمم. قاله أهل التأويل.

وقيل: إن معنى يتغنى به: يتحزَّن به، أي: يَظهرُ على قارئه الحُزنُ ـ الذي هو ضدُّ السُّرور ـ عند قراءته وتلاوته، وليس من الغُنية؛ لأنه لو كان من الغُنية لقال: يَتَغانى

---

(١) من شعراء الدولة الأموية، له مدائح في المهلَّب بن أبي صُفرة وطلحة الطلحات. الشعر والشعراء ١/ ٤٠٦ و الأغاني ١٣/ ٨٤.

(٢) قوله: وأجاد، من (ظ).

(٣) نسبه صاحب اللسان إلى المغيرة بن حَبناء، ونسبه المبرِّد في الكامل ١/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧ إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ونقله عنه البغدادي في شرح أبيات المغني ٤/ ٢٦٦، وذكر في ٤/ ٢٧٠ أن هذا البيت وقع في عدة أشعار لشعراء. وأوردهم.

(٤) أخرجه عنهما أبو داود (١٤٧٢). وسفيان بن عيينة: هو أبو محمد الهلالي، الكوفي، ثم المكي، انتهى إليه علو الإسناد، توفي سنة (١٩٨هـ). السير ٨/ ٤٥٤.
ووكيع بن الجراح: هو أبو سفيان الرؤاسي، محدث العراق، له كتاب الزهد. توفي سنة (١٩٧هـ). السير ٩/ ١٤٠.

(٥) رواية سفيان لحديث سعد بن أبي وقاص عند أبي داود (١٤٧٠)، ورواية وكيع لحديث سعد عند أحمد (١٤٧٦)، وجاء أيضاً تفسير سفيان للتغني بالاستغناء في صحيح البخاري إثر روايته لحديث أبي هريرة (٥٠٢٨): «ما أذن الله لشيء....».

(٦) هو إسحاق بن إبراهيم، أبو يعقوب، سيد الحفاظ، صاحب المسند، وراهويه لقبٌ لُقِّب به أبوه، لأنه ولد في طريق مكة، توفي سنة (٢٣٨هـ). السير ١١/ ٣٥٨.

(٧) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، ولفظ الترجمة: باب من لم يتغن بالقرآن. وينظر الفتح ٩/ ٦٨.

به، ولم يقل: يتغنَّى به. ذهب إلى هذا جماعة من العلماء، منهم الإمام أبو [حاتم] محمد بنُ حِبَّان البُستي[(١)].

واحتجوا بما رواه مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير عن أبيه قال: رأيتُ رسول الله ﷺ يُصلِّي، ولصدرِه أزيزٌ كأزيز المِرجَل من البكاء[(٢)]. الأزيز، بزايين: صَوتُ الرعد وغَلَيانُ القِدر. قالوا: ففي هذا الخبر بيانٌ واضحٌ على أن المراد بالحديث التحزُّن. وعَضَدُوا هذا أيضاً بما رواه الأئمة عن عبد الله قال: قال لي[(٣)] النبي ﷺ: «اقرأ عليَّ». فقرأتُ عليه سورةَ النساء، حتَّى إذا بلغتُ[(٤)]: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [الآية: ٤١] فنظرتُ إليه، فإذا عيناه تَدْمَعان[(٥)].

فهذه أربعُ تأويلات، ليس فيها ما يدلُّ على القراءة بالألحان والترجيع فيها.

وقال أبو سعيد بنُ الأعرابي[(٦)] في قوله ﷺ: «ليس منَّا مَن لَم يَتَغَنَّ بالقرآن» قال: كانت العرب تُولَعُ بالغِناء والنَّشيد في أكثر أقوالها، فلمَّا نزلَ القرآنُ، أحبُّوا أن يكون القرآنُ هِجِّيراهم[(٧)] مكان الغِناء، فقال: «ليس منَّا من لم يتغنَّ بالقرآن»[(٨)].

التَّأويل الخامس: ما تأوَّله مَنِ استَدَلَّ به على التَّرجيع والتَّطريب، فذكر عمرُ بن شَبَّة[(٩)] قال: ذكرتُ لأبي عاصم النَّبِيل[(١٠)] تأويلَ ابنِ عُيَينَة في قوله: «يتغنَّى»:

---

(١) في صحيحه بإثر الحديث (٧٥١) (الإحسان). وابنُ حِبَّان: هو الإمام الحافظ شيخ خراسان، توفي بسجستان سنة (٣٥٤هـ). سير أعلام النبلاء ١٦/ ٩٢.

(٢) أخرجه أحمد (١٦٣٢١)، وأبو داود (٩٠٤)، والنسائي ٣/ ١٣، وهو حديث صحيح.

(٣) لفظة: لي، من (ز) و(ظ).

(٤) في (د): حتى بلغت.

(٥) أخرجه أحمد (٣٦٠٦)، والبخاري (٤٥٨٢)، ومسلم (٨٠٠).

(٦) أحمد بن زياد، أبو سعيد، المحدِّث، نزيل مكة وشيخ الحرم، صنف المعجم في الحديث، وطبقات النساك وغيرهما، توفي سنة (٣٤٠هـ). سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٠٧.

(٧) يعني دأبهم وشأنهم.

(٨) نقل الخطابي كلام ابن الأعرابي هذا في معالم السنن ١/ ٢٩١.

(٩) أبو زيد النميري البصري النحوي، الحافظ، نزيل بغداد، له تاريخ المدينة وأخبار الكوفة وغيرهما، توفي سنة (٢٦٢هـ). السير ١٢/ ٣٦٩.

(١٠) هو الضَّحَّاك بن مَخْلَد البصري، أجلُّ شيوخ البخاري وأكبرهم، توفي سنة (٢١٢هـ). السير ٩/ ٤٨٠.

يستغني، فقال: لم يصنَع ابنُ عُيَينَة شيئاً.

وسُئلَ الشافعيُّ عن تأويلِ ابنِ عُيَينَةَ، فقال: نحن أعلمُ بهذا، لو أراد النبيُّ ﷺ الاستغناء، لقال: مَن لم يَسْتَغْنِ، ولكن لمَّا قال: «يتغنَّى[(١)]»، علمنا أنَّه أراد التغنِّي.

قال الطبري: المعروفُ عندنا في كلام العرب أن التغني إنما هو الغِناء الذي هو حُسنُ الصوت بالتَّرجيع. وقال الشاعر:

تَغَنَّ بالشِّعرِ مهما كُنتَ قائلَه ... إنَّ الغِناء لهذا[(٢)] الشِّعر مِضمارُ[(٣)]

قال: وأمَّا ادِّعاءُ الزَّاعمِ أنَّ «تغنَّيتُ» بمعنى «استَغنَيتُ» فليس في كلام العرب وأشعارِها، ولا نعلمُ أحداً من أهل العلم قاله. وأمَّا احتجاجُه بقولِ الأعشى[(٤)]:

وكنتُ امرأً زَمَناً بالعِراق ... عفيفَ المُناخِ طَويلَ التَّغَنّ[(٥)]

وزعم أنه أراد الاستغناء، فإنَّهُ غلَطٌ مِنه، وإنَّما عَنَى الأعشى في هذا الموضع الإقامةَ، من قولِ العَرب: غَنِيَ فلانٌ بمكان كذا، أي: أقام، ومنه قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ [الأعراف: ٩٢]. وأما استشهاده بقوله:

ونحنُ إذا مِتْنَا أشدُّ تَغانيا

فإنَّه إغفالٌ منه، وذلك أنَّ التَّغانيَ تفاعلٌ من نَفْسَين، إذا استغنى كلٌّ واحد منهُما عن صاحبه، كما يقال: تضاربَ الرَّجُلان: إذا ضربَ كلٌّ واحد منهما صاحبَه. ومن قال هذا في فعل الاثنين، لم يجز أن يقول مثله في الواحد، فغير جائز أن يقال: تغانى زيد، وتضاربَ عمرو. وكذلك غيرُ جائز أن يُقال: تغنى، بمعنى: استغنى.

قلت: ما ادَّعاهُ الطبري من أنَّه لم يَرد في كلام العرب تغنَّى بمعنى: استغنى، فقد

---

(١) في (م): يتغن، وفي (ظ): يتغنى به.

(٢) في (م): بهذا.

(٣) قائله حسان، كما في شرح الحماسة للمرزوقي ١/ ١٠، وهو في اللسان وتاج العروس (غنى).

(٤) هو ميمون بن قيس، أبو بصير، شاعر جاهلي قديم، أدرك الإسلام في آخر عمره، ولم يسلم، ويُسمَّى صنَّاجة العرب. الشعر والشعراء ١/ ٢٥٧.

(٥) ديوانه ص٧٥، قوله: المُناخ، يعني محل الإقامة.

ذكره الجوهريُّ[١] كما ذكرنا، وذكره الهَرَوي[٢] أيضاً.

وأمَّا قوله: إنَّ صيغة فاعل إنما تكون من اثنين، فقد جاءت من واحد في مواضعَ كثيرة، منها قولُ ابن عمر: وأنا يومَئذ قد ناهزتُ الاحتلام[٣]. وتقول العرب: طارقتُ النعلَ، وعاقبتُ اللِّصَّ، ودَاوَيتُ العليل. وهو كثير، فيكون «تَغَانَى» منها. وإذا احتَمَلَ قولُه عليه الصلاة والسلام: «يتغنَّ» الغِناءَ والاستغناءَ، فليس حملُه على أحدِهما بأولى من الآخر، بل حملُه على الاستغناء أولَى، لو لم يكن لنا تأويلٌ غيره، لأنَّه مرويٌّ عن صحابي كبير، كما ذكر سفيان. وقد قال ابنُ وَهْب[٤] في حقِّ سفيان: ما رأيتُ أحداً[٥] أعلَمَ بتأويل الأحاديث من سفيانَ بن عُيَيْنَة. ومَعلومٌ أنَّه رأى الشافعيَّ وعاصَرَه.

وتأويلٌ سادس: وهو ماجاء من الزِّيادة في صحيح مسلم عن أبي هريرة أنَّه سمع رسولَ الله ﷺ يقول: «ما أذِنَ اللهُ لِشَيء ما أذِنَ لنبيٍّ حَسَنِ الصَّوتِ يتغنَّى بالقرآن يَجهَرُ به»[٦].

قال الطبريُّ: ولو كان كما قال ابنُ عُيَينة، لم يكن لذِكرِ حُسنِ الصَّوتِ والجهرِ به معنى.

---

(١) إسماعيل بن حماد، أبو نصر الفارابي، مصنف كتاب الصحاح، وأحد من يضرب به المثل في ضبط اللغة، قيل: إنه اختلط في آخر عمره، ومات متردياً من سطح داره بنيسابور في حدود سنة أربع مئة. السير ١٧/ ٨٠.

(٢) في غريب الحديث ٢/ ١٦٩ ـ ١٧٢.

(٣) كذا وقع في النسخ: ابن عمر، ولم نجد هذا القول له فيما بين أيدينا من مصادر، وسيكرره المصنف عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء: ٤٣]. وهذا القولُ مرويٌّ عن ابن عباس فيما أخرجه أحمد (٣١٨٥)، والبخاري (٧٦)، ومسلم (٥٠٤) من حديثه قال: أقبلتُ راكباً على أتان، وأنا يومئذ قد ناهزتُ الاحتلام، ورسولُ الله ﷺ يصلي بالناس بمنى، فمررتُ بين يدي الصف، فنزلتُ، فأرسلتُ الأتان ترتع، ودخلتُ في الصف، فلم ينكر ذلك عليَّ أحد.

(٤) هو عبد الله بن وَهْب بن مسلم، أبو محمد الفِهري مولاهم، المصري الحافظ، لقي بعض صغار التابعين، له: الجامع، وتفسير غريب الموطأ، توفي سنة (١٩٧هـ). السير ٩/ ٢٢٣.

(٥) قوله: أحداً، من (ز) و(ظ).

(٦) صحيح مسلم (٧٩٢) (٢٣٣)، وعنى المصنف بالزيادة قولَه: يجهر به. والحديث في صحيح البخاري (٥٠٢٣) بلفظ: «لم يأذنِ اللهُ لشيء ما أذنَ لنبيٍّ أن يتغنى بالقرآن». وقال صاحبٌ له: يريد: يجهرُ به. وهو في مسند أحمد (٧٨٣٢).

قلنا: قوله: «يَجهَرُ به» لا يخلو[١] أن يكون من قول النبيِّ ﷺ، أو من قول أبي هريرة، أو غيرِه، فإن كان الأوّل ـ وفيه بُعدٌ ـ فهو دليلٌ على عَدمِ التَّطريب والتَّرجيع، لأنَّه لم يقُل: يُطَرِّبُ به، وإنما قال: يَجهَرُ به، أي: يُسمِعُ نفسَه ومَن يليه، بدليل قوله عليه السلام للَّذي سمعَهُ وقد رفع صوتَه بالتَّهليل: «أيُّها الناس، اربَعُوا على أنفسِكم، فإنَّكُم لستُم تدعُونَ أصمَّ ولا غائباً» الحديث، وسيأتي[٢]. وكذلك إن كان من صحابيٍّ أو غيره، فلا حُجَّةَ فيه[٣] على ما رَامُوه. وقد اختار هذا التأويلَ بعضُ علمائنا[٤]، فقال: وهذا أشبَهُ، لأن العرب تُسمِّي كلَّ مَن رفع صوته ووالَى به غانياً، وفِعلَه ذلك غِناءً، وإن لم يُلحِّنْهُ بتلحين الغِناء. قال: وعلى هذا فسَّرهُ الصَّحابي، وهو أعلم بالمقال، وأقعَدُ بالحال.

وقد احتَجَّ أبو الحسن بن بَطّال لمذهب الشافعي، فقال: وقد رفعَ الإشكالَ في هذه المسألة ما رواه ابنُ أبي شيبة قال: حدثنا زيدُ بنُ الحُبَاب، قال: حدثنا موسى بن عُلَي بن رَباح، عن أبيه، عن عُقبةَ بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «تَعلَّمُوا القرآنَ، وغَنُّوا به، واكتُبوه، فوالذي نفسي بيدِه لَهُوَ أشدُّ تَفَصِّياً من المخَاض من العُقُل»[٥].

قال علماؤنا[٦]: وهذا الحديث، وإن صَحَّ سنَدُه، فيردُّه ما يُعلَمُ[٧] على[٨] القَطع والبتاتِ[٩] من أنَّ قراءةَ القرآن بَلَغَتْنا متواتِرةً عن كافة المشايخ، جِيلاً فجيلاً إلى العصر الكريم، إلى رسولِ الله ﷺ، وليس فيها تلحينٌ، ولا تَطريبٌ، مع كثرة

---

(١) في (ظ): لا يخلو إما.

(٢) أخرجه أحمد (١٩٥٢٠)، والبخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري، وسيذكره المصنف عند تفسير الآية (٥٥) من سورة الأعراف.

(٣) في (ظ): لهم.

(٤) المفهم ٢/ ٤٢٣.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ٢/ ٥٠٠، وفيه: «واتلوه»، بدل: «وغنُّوا»، وهو في مسند أحمد (١٧٣١٧)، وفيه: وتَغَنَّوا. وهو حديث صحيح. قوله: تفصِّياً أي: خروجاً. النهاية (فصى).

(٦) المفهم ٢/ ٤٢٢.

(٧) في (ظ): نعلم.

(٨) في (د) و(ز): من.

(٩) في (ظ): البيان، وفي (ز) و(د): الثبات، والمثبت من (م).

المتعمِّقين في مخارج الحروف، وفي المدِّ والإدغام والإظهار، وغير ذلك من كيفيَّةِ القراءات.

ثم إنَّ في التَّرجيع والتَّطريب هَمْزَ ما ليس بمهموز، ومدَّ ما ليس بممدود، فترجعُ الألِفُ الواحدة ألفات، والواو الواحدة واوات، والشُّبهةُ الواحِدةُ شُبُهات[١]، فيؤدي ذلك إلى زيادة في القرآن، وذلك ممنُوع، وإن وافقَ ذلك موضعَ نَبْر وهَمْز، صيَّروهما[٢] نَبَرات وهَمَزَات. والنَّبرةُ حيثُما وقعت من الحروف، فإنما هي همزةٌ واحدة لا غير، إمَّا ممدودةٌ وإمَّا مقصورة.

فإن قيل: فقد روى عبدُ الله بنُ مُغَفَّل قال: قرأ رسولُ الله ﷺ في مسير له سورةَ الفتح على راحلتِه، فرجَّعَ في قراءته، وذكره البخاري، وقال في صفة التَّرجيع: آ،آ،آ، ثلاث مرات[٣]. قلنا: ذلك محمولٌ على إشباع المَدِّ في موضعِه. ويحتمل أن يكون حِكَايةَ صَوتِهِ عند هَزِّ الرَّاحِلَة. كما يعتري رافعَ صوتِه إذا كان راكباً من انضغاطِ صوتِه وتقطيعِه لأجل هَزِّ المركوبِ. وإذا احتمل هذا، فلا حُجَّةَ فيه.

وقد خَرَّج أبو محمد عبدُ الغني بنُ سعيد الحافظُ[٤] من حديث قتادة، عن عبد الرَّحمن بن أبي بَكْرة[٥]، عن أبيه قال: كانت قراءةُ رسولِ الله ﷺ المدَّ، ليس فيها ترجِيع[٦].

---

(١) يريد: الحروف، كما صرح به ص١٠٨، باب ذكر معنى السورة والآية.

(٢) في (ز) و(ظ) و(م): صيروها، والمثبت من (د).

(٣) صحيح البخاري (٥٠٤٧) و(٧٥٤٠)، وسلف ص٢١ ـ ٢٢.

(٤) محدِّثُ الديار المصرية، له كتاب المؤتلف والمختلف، توفي سنة (٤٠٩هـ). السير ١٧/ ٢٦٨.

(٥) تحرف في (ظ) و(د) و(م) إلى: أبي بكر، والمثبت من (ز)، وهو الصواب.

(٦) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٧٤٤)، وابنُ عدي في الكامل ٧/ ٢٥٤٤ (في ترجمة الوليد بن القاسم الهمداني)، وفي إسناده عمر بن موسى، المعروف بابن وجيه. قال ابن عدي: يضع الحديث. وأورده الذهبي في ميزانه ٤/ ٣٤٤ (في ترجمة الوليد المذكور) وقال: تفرَّد به عمر، وهو متهم. وحسَّنه السيوطي في الجامع الصغير! فتعقبه المناوي في «الفيض» ٥/ ١٧٣ بقوله: وليس كما ظنَّ، فقد قال الهيثمي [في المجمع ٢/ ٢٦٦]: فيه عمر بن وجيه، وهو ضعيف. اهـ وقد وجَّه ابن الأثير هذه الرواية في النهاية ٢/ ٢٠٢، فقال: وجهُه أنه لم يكن حينئذ راكباً، فلم يحدث في قراءته الترجيع. قلنا: وقد صحَّ من حديث أنس رضي الله عنه أن قراءة النبي ﷺ كانت مدًّا، فيما أخرجه أحمد (١٢٢٨٣)، والبخاري (٥٠٤٦) وغيرهما، وسلف ص ١٨ ـ ١٩.

وروى ابنُ جُرَيج[١]، عن عطاء[٢]، عن ابن عبَّاس قال: كان لرسول الله ﷺ مؤذِّنٌ يُطرِّبُ، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الأذانَ سَهْلٌ سَمْحٌ، فإذا كان أذانُكَ سمحاً سَهلاً، وإلَّا، فلا تُؤذِّن». أخرجه الدارقُطني[٣] في «سُننه»[٤]. فإذا كان النبيُّ ﷺ قد منعَ ذلك في الأذان، فأحرى ألا يُجوِّزَه في القرآن الذي حفظَهُ الرَّحمن، فقال ـ وقولُه الحقُّ ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. وقال تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

قُلتُ: وهذا الخِلافُ إنَّما هو ما لم يُفهم معنى القُرآن، بترديد الأصواتِ، وكثرةِ الترجيعات، فإن زادَ الأمر على ذلك حتى لا يُفهم معناهُ، فذلك حرامٌ باتفاق، كما يفعل القرَّاء بالدِّيار المصريَّة الذين يقرؤون أمام الملوك والجنائز، ويأخذون على ذلك الأجور والجوائز، ضلَّ سَعيُهُم، وخابَ عملُهم، فيستحلُّون بذلك تغييرَ كتابِ الله، ويُهوِّنُونَ على أنفسهم الاجتِراءَ على الله، بأن يَزيدُوا في تنزيله ما ليس فيه، جهلاً بدينهم، ومُروقاً عن سُنَّة نبيِّهم، ورفضاً لسيرِ الصَّالحين فيه من سَلَفِهم، ونُزوعاً إلى ما يُزيِّنُ لهم الشيطانُ من أعمالهم ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]، فهم في غَيِّهم يَتردَّدُون، وبكتاب الله يتَلاعَبُون، فإنَّا لله وإنَّا إليه رَاجِعون، لكن قد أخبَر الصَّادقُ أنَّ ذلك يكون، فكان كما أخبر ﷺ: ذكر الإمامُ الحافظُ أبو الحسن[٥] رَزِين[٦]، وأبو عبد الله التِّرمذي الحكيم في «نوادر الأصول»[٧]، من حَديث حُذيفة أنَّ

(١) عبد الملك بن عبد العزيز بن جُريج، أبو الوليد القرشي، الإمام، وهو أول من دوَّن العلم بمكة. توفي سنة (١٥٠هـ). السير ٦/ ٣٢٥.

(٢) هو عطاء بن أبي رباح، أبو محمد القرشي، مفتي الحرم، مات سنة (١١٥هـ). السير ٥/ ٧٨.

(٣) علي بن عمر بن أحمد، أبو الحسن البغدادي، الحافظ، صاحب التصانيف، منها: السنن، والعلل، مات سنة (٣٨٥هـ). السير ١٦/ ٤٤٩.

(٤) ٢/ ٨٦، وفي إسناده إسحاق بن أبي يحيى الكَعبي الراوي عن ابن جُرَيج، قال الذهبي في الميزان ١/ ٢٠٥: هالكٌ يأتي بالمناكير عن الأثبات، وذكر له هذا الحديث.

(٥) في (م): أبو الحسين، وهو خطأ.

(٦) هو رَزِينُ بنُ معاوية بن عمَّار، العَبدريُّ، الأندلسيُّ، السَّرَقُسطي، المحدِّثُ، له كتاب تجريد الصحاح. توفي سنة (٥٣٥هـ). السِّيَر ٢٠/ ٢٠٤.

(٧) ص٣٣٤، والحكيم الترمذي: هو محمد بن علي بن الحسن، له مصنفات وحكم ومواعظ، قدم نيسابور وحدث بها سنة (٢٨٥هـ)، توفي نحو سنة (٣٢٠)هـ. السير ١٣/ ٤٣٩.

رسولَ الله ﷺ قال: «اقرؤُوا القرآنَ بلُحُون العرب وأصواتِها، وإيَّاكم ولُحُونَ أهلِ العِشْق[١]، ولُحونَ[٢] أهلِ الكتابَين، وسَيَجيءُ بعدي قَومٌ يُرَجِّعُون بالقُرآنِ ترجيعَ الغِناء والنَّوح، لا يُجاوِزُ حَناجِرَهم، مَفتُونَةٌ قلوبُهُم، وقُلوبُ الذين يُعجِبُهم شأنُهم». اللُّحونُ: جَمعُ لَحْن، وهو التَّطرِيبُ، وتَرجِيعُ الصَّوتِ، وتحسينُه، بالقراءة والشِّعر والغِناء[٣].

قال علماؤنا: ويُشبِهُ أن يكونَ هذا الذي يفعلُه قراءُ زمانِنا بين يَدَي الوُعَّاظِ، وفي المجالس، من اللُّحونِ الأعجمية التي يقرؤون بها ما نَهى عنه رسولُ الله ﷺ.

والترجيعُ في القراءَةِ: ترديدُ الحروف، كقراءة النصارى. والترتيلُ في القراءة: هو التَّأنِّي فيها، والتَّمهُّلُ، وتَبيِينُ الحروف والحركاتِ، تشبيهاً بالثَّغر المُرَتَّل، وهو المُشَبَّه بنَوْر الأُقحُوان، وهو المطلوب في قراءة القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

وسُئلت أمُّ سَلَمةَ عن قراءة رسول الله ﷺ وصَلاتِه، فقالت: مالكم وصَلاتَه؟ ثم نَعَتَت قراءتَه، فإذا هي تَنْعَتُ قراءَةً مُفَسَّرةً حَرفاً حَرفاً. أخرجه النسائي وأبو داود والترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب[٤].

بابُ تحذيرِ أهلِ القرآنِ والعلم من الرِّياء وغيرِه

قال الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

روى مُسلمٌ عن أبي هُريرةَ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ أوَّلَ النَّاسِ يُقضَى عليه يَومَ القِيامَةِ رَجُلٌ استُشهِدَ، فأُتِيَ به، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَها. قال: فما عَمِلتَ

---

(١) في فضائل أبي عبيد، وشُعب الإيمان، والعلل المتناهية: الفِسق.

(٢) في (ظ): وترجيع.

(٣) حديث ضعيف، وأخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص٨٠، والطبراني في الأوسط (٧٢١٩)، وابنُ عدي في الكامل ٢/ ٥١٠ ـ ٥١١، والبيهقي في شُعب الإيمان (٢٦٤٩) و(٢٦٥٠)، وابنُ الجوزيِّ في العلل المتناهية (١٦٠). وقال: هذا حديثٌ لا يصحُّ.

(٤) سنن النسائي ٢/ ١٨١ و٣/ ٢١٤، وسنن أبي داود (١٤٦٦)، وسنن الترمذي (٢٩٢٣)، وهو في المسند (٢٦٥٢٦).

فيها ؟ قال: قاتلتُ فيك حتَّى استُشهِدتُ. قال: كَذَبتَ، ولَكِنَّك قَاتَلتَ ليقال[١]: جَرِيءٌ، فقد قِيل. ثُمَّ أُمِرَ به، فَسُحِبَ على وَجهِهِ حَتَّى أُلقِيَ في النَّار.

ورجُلٌ تَعَلَّمَ العِلمَ وعَلَّمَهُ، وَقَرأَ القُرآنَ، فأُتِيَ به، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَها. قال: فما عَمِلتَ فيها ؟ قال: تَعلَّمتُ العِلمَ وَعَلَّمته، وَقَرأتُ فيك القُرآنَ. قال: كَذَبتَ، ولَكنَّك تَعلَّمتَ العِلمَ لِيُقالَ: عالِمٌ، وقرأتَ القُرآنَ لِيُقالَ: هُو[٢] قارِىءٌ، فقد قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ به، فَسُحِبَ على وَجهِهِ حَتَّى أُلقِيَ في النَّار.

ورجلٌ وَسَّعَ اللهُ عليه، وأعطاهُ مِن أصنافِ المالِ كُلِّه، فَأُتِيَ به، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعرَفَها، قال: فما عَمِلتَ فيها ؟ قال: ماتَرَكتُ مِن سَبِيل تُحبُّ أن يُنفَقَ فيها إلا أَنفَقتُ فيها لك. قال: كَذَبتَ، وَلَكنَّك فَعَلتَ لِيُقال: هو جَوادٌ، فقد قِيل. ثُمَّ أُمِرَ به، فَسُحِبَ على وَجهِهِ، ثُمَّ[٣] أُلقِيَ في النَّار»[٤].

وقال التِّرمِذي في هذا الحديث: ثُمَّ ضَرَبَ رسولُ الله ﷺ على رُكبتي، فقال: «يا أبا هُريرة، أُولئك الثَّلاثَةُ أَوَّلُ خَلقِ الله، تُسَعَّرُ بهم النَّارُ يَومَ القِيامة»[٥]. أبو هريرة: اسمُه عبدُ الله، وقيل: عبدُ الرَّحمن، وقال: كُنِّيتُ أبا هُريرةَ لأنِّي حَمَلتُ هِرَّة في كُمِّي، فرآني رسولُ الله ﷺ فقال: «ما هذه» ؟ قلتُ: هِرَّة، فقال: «يا أبا هُرَيرَة»[٦].

قال ابنُ عبدِ البَرِّ: وهذا الحديثُ فيمَن لَم يُرِد بِعمَلِه وعِلمِه وَجهَ الله تعالى[٧].

ورُوِيَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن طَلَبَ العِلمَ لِغَيرِ الله، أو أرادَ به غَيرَ الله، فَليَتَبَوَّأ مَقعَدَهُ مِنَ النَّار»[٨].

---

(١) في (م): لأن يقال.

(٢) كلمة هو، ليس في (د).

(٣) في (ظ): حتى.

(٤) صحيح مسلم (١٩٠٥)، وهو في المسند برقم (٨٢٧٧).

(٥) سنن الترمذي (٢٣٨٢).

(٦) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة أبي هريرة ١٢/ ١٧١ (بهامش الإصابة).

(٧) جامع بيان العلم وفضله ص ٢٤٠.

(٨) أخرجه الترمذي (٢٦٥٥)، والنسائي في الكبرى(٥٨٧٩)، وابن ماجه (٢٥٨)، وابن عدي في الكامل ٥/ ١٨٢٧ من طريق خالد بن دُرَيك عن ابن عمر. قال الترمذي: حديث حسن غريب. اهـ وإسناده منقطع، فقد ذكر المِزِّي في تهذيب الكمال أن خالد بن دُرَيك روى عن عبد الله بن عمر ولم يدركه.

وخرَّجَ ابنُ المُبارك في «رقائقه»(١) عن العَبَّاس بنِ عبدِ المُطَّلب قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يَظهَرُ هذا الدِّينُ حتَّى يُجاوِزَ البِحار، وحَتَّى تُخاضَ البِحارُ بالخَيل في سبيل الله تبارَكَ وتعالى، ثُمَّ يَأتي أقوامٌ يقرؤون القُرآنَ، فإذا قَرؤوه قالُوا: مَن أقرَأُ مِنَّا؟ مَن أعلَمُ مِنَّا؟» ثمَّ التفتَ إلى أصحابه، فقال: «هل تَرَونَ في أولئكم مِن خَير؟» قالوا: لا. قال: «أُولئكَ مِنكم، وأولئِكَ مِن هَذه الأُمَّة، وأولئك هُم وَقُودُ النَّار».

وروى أبو داود والتِّرمذيُّ عن أبي هُريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن تَعَلَّمَ عِلماً مِمَّا يُبتَغى به وَجهُ الله، لا يَتَعَلَّمُهُ إلَّا لِيُصِيبَ به عَرَضاً من الدُّنيا، لم يَجِد عَرْفَ الجَنَّةِ يومَ القيامة». يعني ريحَها. قال التِّرمذي: حديثٌ حسن(٢).

ورَوَى عن أبي هُريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «تَعَوَّذُوا باللهِ من جُبِّ الحَزَن» قالوا: يارسولَ الله، وما جُبُّ الحَزَن؟ قال: «وَادٍ في جَهَنَّم، تتعوَّذُ منه جَهَنَّمُ في كُلِّ يَوم مئةَ مَرَّة». قيل: يارسولَ الله، ومَن يَدخُلُهُ؟ قال: «القُرَّاءُ المراؤون بأعمالهم». قال: هذا حديث غريب(٣).

وفي كتاب أسَدِ بن مُوسى(٤) أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ في جَهَنَّمَ لَوادِيا، إنَّ جَهَنَّمَ لَتَتَعَوَّذُ من شَرِّ ذلك الوادي كُلَّ(٥) يوم سَبعَ مَرَّات، وإنَّ في ذلك الوادي لَجُبًّا، إنَّ جهنم وذلك الوادي، لَيَتعوَّذُون بالله مِن شَرِّ ذلك الجُبِّ(٦)، وإنَّ في ذلك(٧) الجُبِّ

---

(١) الزهد والرقائق (٤٥٠)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٨٥ - ١٨٦ وقال: فيه موسى بن عُبيدة الرَّبَذي، وهو ضعيف.

(٢) سنن أبي داود (٣٦٦٤)، وليس في سنن الترمذي كما ذكر المصنف، انظر تحفة الأشراف ١٠/ ٧٧-٧٨. وهو في المسند برقم (٨٤٥٧).

(٣) سنن الترمذي (٢٣٨٣)، وفي إسناده أبو معان (ويقال: أبو معاذ) وهو مجهول، وعمار بن سيف وهو ضعيف. تنزيه الشريعة ٢/ ٣٨٥.

(٤) هو أبو سعيد القرشي الأموي، ذو التصانيف، ويقال: هو أول من صنف المسند. توفي سنة (٢١٢هـ). السير ١٠/ ١٦٢.

(٥) في (م): في كل.

(٦) في (ظ) زيادة: سبع مرات.

(٧) في (م): وإن في الجبّ.

لَحَيَّةً، وإن جهنم والواديَ والجُبَّ لَيتعوَّذُون بالله من شَرِّ تلك الحَيَّةِ سبعَ مرَّات، أَعَدَّها الله للأشقياء مِن حَمَلَةِ القرآن، الذين يَعصُونَ الله»[١].

فَيَجِبُ على حامل القرآن وطالبِ العِلم أن يَتَّقِيَ الله في نفسه، ويُخلِصَ العملَ لله. فإن كانَ تَقَدَّمَ له شيءٌ ممَّا يَكرهُ، فَلْيُبَادِرِ التوبةَ والإنابةَ، وليَبتَدِىءِ الإخلاصَ في الطلب[٢] وعمله. فالذي يلزمُ حاملَ القرآن من التَّحفُّظِ أكثرُ ممَّا يلزمُ غيرَه، كما أنَّ له من الأجرِ ما ليس لغيره، روى التِّرمذي عن أبي الدَّرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنزلَ الله في بَعضِ الكُتُبِ ـ أو أَوحَى إلى بعض الأنبياء ـ: قُل للَّذين يَتفَقَّهُون لِغير الدِّين، ويتَعَلَّمون لِغيرِ العَمَل، ويطلُبون الدُّنيا بعمل الآخرة، يَلبَسُون للناس مُسُوكَ الكِباش، وقُلُوبُهم كقلوب الذِّئاب، أَلسِنَتُهم أحلَى من العَسَل، وقلوبُهم أَمَرُّ من الصَّبر، إيَّايَ يُخادِعون وبي يَستَهزؤون؟! لأُتِيحَنَّ لهم فِتنَةً تَذَرُ الحليمَ فيهم حَيرَان»[٣].

وخرَّج الطَّبري في كتاب «آداب النُّفوس»[٤]: حدَّثنا أبو كُرَيب محمَّد بنُ العَلاء، حدَّثنا المُحاربي، عن عَمرو بن عامر البَجَليِّ، عن ابن صَدَقة، عن رجل من أصحاب النبيِّ ﷺ، أو مَن حدَّثه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تُخادِعِ الله، فإنَّه مَن يُخَادِعِ الله، يَخدَعْهُ الله، ونَفسَه يَخدَعُ لو يَشعُر». قالوا: يارسولَ الله، وكيف يُخادَعُ الله؟ قال: «تَعمَلُ بما أَمَرك اللهُ به، وتطلُبُ به غيرَه، واتَّقُوا الرِّياءَ فإنَّه الشِّركُ، وإنَّ المُرائي يُدعَى

---

(١) وذكره مكي في الرعاية ص ٧٤، وقد نقل الحافظ ابن حجر في تهذيبه عن ابن يونس قوله في أسد بن موسى: حدَّث بأحاديث منكرة، وأحسبُ الآفة من غيره.

(٢) في (د): التوبة.

(٣) لم يخرجه الترمذي، إنما أخرج نحوه (٢٤٠٤) من حديث أبي هريرة، وفي إسناده يحيى بن عبيد الله، وهو متروك الحديث، وبرقم (٢٤٠٥) من حديث ابن عمر، وفي إسناده حمزة بن أبي محمد، وهو ضعيف. وأما حديث أبي الدرداء (الذي أورده المصنف) فقد أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ص ٢٢٩، وفي إسناده عثمان بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن أبي وقاص، وهو متروك الحديث أيضاً. ومثل هذه الطرق لا تتقوَّى ببعضها، فالحديث ضعيف.

(٤) ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٧٤ أن للطبري كتاب ترتيب العلماء، ابتدأه بآداب النفوس، ولم يتمَّه، وذكر له صاحب هدية العارفين ٢٧/٦ كتاب الآداب الحميدة والأخلاق النفيسة، ولعله هو.

يومَ القيامة على رؤوس الأشهاد بأربَعَةِ أسماء يُنسَبُ إليها: يا كافر، ياخاسر، ياغادر، يافاجر، ضَلَّ عَمَلُك، وبَطَلَ أجرُكَ، فلا خَلاقَ لك اليَوم، فالتَمِس أجرَكَ ممَّن كُنتَ تَعمَلُ له يامُخادِع»[١].

وروى عَلقَمَةُ[٢]، عن عبد الله بن مَسعُود قال: كيفَ أنتُم إذا لَبِسَتْكُم[٣] فِتنةٌ يَربُو فيهاالصَّغِير، ويَهرَمُ الكَبِير، وتُتَّخَذُ سُنَّةٌ مُبتَدَعَةٌ، يجري عليها النَّاسُ، فإذا غُيِّرَ منها شَيءٌ قيل: قد غُيِّرتِ السُّنَّة. قيل: متَى ذلك يا أبا عبد الرَّحمن؟ قال: إذا كَثُر قُرَّاؤكم، وقَلَّ فُقَهاؤكم، وكَثُرَ أُمَراؤكم، وقَلَّ أُمَناؤكم، والتُمِسَتِ[٤] الدُّنيا بعَمَلِ الآخِرة، وتُفُقِّه لِغَيرِ الدِّين[٥].

وقال سُفيانُ بنُ عُيَينَة: بلَغنا عن ابن عَبَّاس أنَّه قال: لو أنَّ حَمَلَةَ القُرآن أخذُوه بحَقِّه وما يَنبَغِي، لأَحَبَّهُمُ الله، ولَكِنْ طَلَبُوا به الدُّنيا، فأَبغَضَهُمُ الله، وهانُوا على النَّاس[٦].

ورُوِي عن أبي جعفر محمَّد بن عليٍّ[٧] في قول الله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ

---

(١) المحاربي ـ وهو عبد الرحمن بن محمد ـ وثقه ابن معين والنسائي، وقال أبو حاتم: يروي عن المجهولين أحاديث منكرة. (كذا في التهذيب). وعمرو بن عامر البجلي؛ قال الحافظ في التقريب: مقبول. اهـ يعني حيث يُتابَع، وإلا فليِّن الحديث. وابنُ صدقة ـ وهو صخر ـ لم يُذكر له روايةٌ عن الصحابة، وذكره ابن حبان في الثقات ٨/ ٣٢٢ وقال: يروي المقاطيع. وقد أورد السيوطي هذاالخبر في الدر المنثور ١/ ٣٠، وضعَّفه.

(٢) هو علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي، أبو شبل، فقيه الكوفة ومقرئها، روى عن كثير من الصحابة، توفي سنة (٦٢هـ) وقيل غير ذلك. السير ٤/ ٥٣.

(٣) في (د) و(ز): لبستم.

(٤) في (د): والتمستم.

(٥) أخرجه الدارمي (١٨٦)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١٢٣)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ص٢٢٨ من طريق علقمة، عن ابن مسعود. وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة ١٥/ ٢٤، والدارمي (١٨٥)، والحاكم في المستدرك ٤/ ٥١٤ ـ ٥١٥ من طريق شقيق بن سلمة، عن ابن مسعود، وهو صحيح إليه.

(٦) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ص ٢٢٨.

(٧) هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو جعفر الباقر، مات سنة بضع عشرة ومئة. السير ٤/ ٤٠١.

﴿وَالْغَاوُونَ﴾ [الشعراء: ٩٤] قال: قَومٌ وَصَفُوا الحقَّ والعَدلَ بألسنتهم، وخالفوه[١] إلى غيره[٢].

وسيأتي لهذا الباب مَزيدُ بيان في أثناء الكتاب، إن شاء الله تعالى.

باب ما ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذَ نفسَه به، ولا يغفلَ عنه

فأولُ ذلك أن يُخلِصَ في طَلَبِه لله جَلَّ وعَزَّ، كما ذكرنا، وأن يأخُذَ نفسَه بقراءةِ القرآن في ليله ونهارِه، في الصلاة، أو في غير الصلاة، لئلا ينساه. روى مسلمٌ عن ابنِ عمر أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنما مَثَلُ صاحِبِ القرآنِ كَمَثَلِ صاحِبِ الإبلِ المُعَقَّلَةِ، إن عاهَدَ عَلَيها، أمسَكَها، وإن أطلَقَها ذَهَبَت، وإذا قامَ صاحبُ القرآن، فقرأه بالليل والنهار، ذَكَره، وإذا لم يقم به، نَسِيَه»[٣].

وينبغي له أن يكونَ لله حامداً، وَلِنِعَمِه شاكراً، وله ذاكراً، وعليه مُتوكِّلاً، وبه مُستعيناً[٤]، وإليه راغباً، وبه مُعتَصِماً، وللموتِ ذَاكراً، وله مُستعدًّا.

وينبغي له أن يكونَ خائفاً من ذنبه، راجياً عَفوَ ربِّه، ويكونَ الخوفُ في صحته أغلَبَ عليه، إذ لا يَعلمُ بما يُختَمُ له، ويكونَ الرجاءُ عند حضورِ أجَلِه أقوى في نفسه، لِحُسنِ الظَّنِّ بالله، قال رسول الله ﷺ: «لا يَموتَنَّ أحَدُكُم إلا وهو يُحسِنُ بالله الظَّنَّ»[٥]. أي أنه يرحمُه ويغفرُ له.

وينبغي له أن يكون عالماً بأهل زمانِه، مُتَحَفِّظاً من سلطانه، ساعياً في خلاصِ نفسِه، ونجاةِ مُهجَتِه، مقدِّماً بين يديه ما يَقدِرُ عليه من عَرَض دنياه، مُجاهِداً لنفسه في ذلك ما استطاع.

وينبغي له أن يكونَ أهمَّ أمورِه عندَه الوَرَعُ في دينه، واستعمالُ تقوى الله ومراقبتُه فيما أمره به، ونهاه عنه.

---

(١) في (د): وخالفوا.

(٢) ذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم ص ٢٣٨.

(٣) صحيح مسلم (٧٨٩)، وهو في مسند أحمد (٤٦٦٥).

(٤) في (د): مستغيثاً.

(٥) أخرجه أحمد (١٤٤٨١)، ومسلم (٢٨٧٧) وغيرهما من حديث جابر رضي الله عنه.

وقال ابنُ مسعود: ينبغي لقارىء القُرآنِ أن يُعرفَ بِلَيلِهِ إذا الناسُ نائمون، وبِنهارِه إذا الناسُ مُفطِرُون[١]، وببكائِه إذا الناسُ يَضحَكون، وَبِصَمتِه إذا الناسُ يَخُوضُون، وبخشوعه[٢] إذا الناسُ يَختالُون، وبِحُزنِه إذا الناسُ يَفرَحُون[٣].

وقال عبد الله بنُ عمرو[٤]: لا ينبغي لحاملِ القرآنِ أن يَخُوضَ معَ مَن يخُوضُ، ولا يجهلَ مع مَن يَجهَلُ، ولكن يعفُو ويصفحُ، لِحقِّ القرآن، لأنَّ في جوفه كلامَ الله تعالى[٥].

وينبغي له أن يأخذَ نفَسه بالتَّصاون عن طُرُق الشُّبُهات، ويُقِلَّ الضحك والكلامَ في مجالس القرآنِ وغيرها بما لا فائدة فيه، ويأخذَ نفسَه بالحِلم والوَقار.

وينبغي له أن يتواضعَ للفقراء، ويَتجنَّبَ التَّكبُّر والإعجابَ، ويَتجافَى عن الدنيا وأبنائها إن خاف على نفسه الفتنة، ويتركَ الجِدال والمِراء، ويأخذَ نفسَه بالرِّفق والأدب.

وينبغي له أن يكونَ ممَّن يُؤمَنُ شَرُّه، ويُرجَى خَيرُه، ويُسلَمُ مِن ضَرِّه، وألا يَسمَع ممَّن نَمَّ عندَه، ويُصاحِبَ مَن يُعاونُه على الخير، ويَدُلُّه على الصِّدقِ ومكارم الأخلاق، ويَزِينُه ولايَشِينُه.

وينبغي له أن يتعلمَ أحكامَ القرآن، فيفهمَ عن الله مُرادَه، وما فَرَضَ عليه، فينتفعَ بما يقرأُ، ويعملَ بما يتلُو، فما أقبحَ لحاملِ القُرآن أن يَتلُوَ فرائضَه وأحكامَه عن ظَهرِ قلب، وهو لا يَفهَمُ ما يتلُو، فكيف يعملُ بما لا يَفهَمُ معناه ؟! وما أقبحَ أن يُسألَ عن فِقهِ ما يتلوه ولا يَدرِيه! فما مَثَلُ مَن[٦] هذه حالتُه إلَّا كَمَثَلِ الحمار يَحمِلُ أسفَاراً.

وينبغي له أن يعرفَ المَكِّيَّ منَ المَدَنِيِّ، لِيُفرِّقَ بذلك بين ما خاطب الله به عبادَه

---

(١) في (م): مستيقظون، وهو خطأ.
(٢) في (م): وبخضوعه.
(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص٥٢، وأحمد في الزهد ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ والآجري في أخلاق حملة القرآن (٣٩) والبيهقي في شعب الإيمان (١٨٠٧).
(٤) في (د): عمر.
(٥) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٥٣ بنحوه أطول منه.
(٦) في النسخ الخطية: فما من، والمثبت من (م).

في أوَّلِ الإسلام، وما نَدَبَهم إليه في آخِرِ الإسلام، وما افترضَ اللهُ في أولِ الإسلام، وما زادَ عليه منَ الفرائض في آخِره. فالمَدَنيُّ هو الناسخُ للمكِّيِّ في أكثرِ القرآن، ولا يمكنُ أن يَنسَخَ المَكِّيُّ المَدَنيَّ؛ لأن المنسوخَ هو المتقدِّمُ في النزول قبل الناسخ له.

ومِن كمالِهِ أن يَعرِفَ الإعرابَ والغَرِيبَ، فذلك مما يُسَهِّلُ عليه معرفةَ ما يقرأ، ويُزِيلُ عنه الشكَّ فيما يتلُو. وقد قال أبو جعفر الطبريُّ[(١)]: سمعتُ الجَرمِيَّ[(٢)] يقول: أنا منذ ثلاثينَ سنةً أُفتي الناسَ في الفقه من كتاب سِيبويه، قال محمد بنُ يزيد[(٣)]: وذلك أن أبا عمر الجَرمِيَّ كان صاحبَ حديث، فلما عَلِمَ كتابَ سيبويه، تَفَقَّه في الحديث، إذ كان كتاب سيبويه يُتعلَّمُ منه النظرُ والتفسير.

ثم ينظر في السنن المأثورة الثابتة عن رسول الله ﷺ، فبها يصلُ الطالبُ إلى مراد الله عزَّ وجلَّ في كتابه، وهي تفتحُ له أحكام القرآن فتحاً، وقد قال الضَّحَّاك[(٤)] في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [آل عمران: ٧٩] قال: حَقٌّ على كلِّ مَن تَعَلَّمَ القُرآنَ أن يكونَ فَقِيهاً.

وذكر ابنُ أبي الحواريِّ[(٥)] قال: أتينا فُضَيلَ بنَ عِياض[(٦)] سنة خمس وثمانين ومئة ونحن جماعة، فَوَقَفنا على الباب، فلم يَأذَن لنا بالدخول، فقال بعض القوم: إن كان خارجاً لشيء، فسيخرجُ لتلاوة القرآن، فأمَرْنا قارئاً فقرأ، فاطَّلعَ علينا من كُوَّة، فقلنا: السلامُ عليك ورحمةُ الله، فقال: وعليكم السلام، فقلنا: كيف أنت يا أبا عليٍّ؟

---

(١) أحمد بن محمد بن رستم الطبري النحوي، كان متصدرا لإقراء النحو. له: غريب القرآن والمقصور والممدود وغيرهما. إنباه الرواة ١/ ١٢٨، وذكر أنه سُمع منه ببغداد سنة (٣٠٤هـ).

(٢) هو صالح بن إسحاق البصري، أبو عمر الجَرمي، إمام العربية، صاحب التصانيف، له: الأبنية، والعروض، وغريب سيبويه وغير ذلك، توفي سنة (٢٢٥هـ). السير ١٠/ ٥٦٠، وقد ذكره الزبيدي في طبقات النحويين واللغويين ص٧٤ ـ ٧٥ وذكر له هذه القصة.

(٣) أبو العباس المبرد، البصري، إمام النحو، صاحب الكامل. مات سنة (٢٨٦هـ). السير ١٣/ ٥٧٦، طبقات النحويين واللغويين ص١٠١.

(٤) ابنُ مُزاحم الهلالي، أبو محمد، صاحب التفسير، كان من أوعية العلم، وليس بالمجوّد لحديثه، وهو صدوق في نفسه، توفي سنة (١٠٢هـ) وقيل غير ذلك. السير ٤/ ٥٩٨.

(٥) أحمد بن عبد الله بن ميمون، شيخ أهل الشام، أصله من الكوفة، توفي سنة (٢٤٦هـ). السير ١٢/ ٨٥.

(٦) هو أبو علي التميمي، اليربوعي، الخراساني، توفي سنة (١٨٧هـ). السير ٨/ ٤٢١.

وكيف حالُك ؟ فقال: أنا مِنَ الله في عافية، ومنكم في أذًى، وإنَّ ما أنتم فيه حَدَثٌ في الإسلام، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ما هكذا كنَّا نطلبُ العِلمَ، ولكنَّا كنَّا نأتي المَشيخَةَ، فلا نَرَى أنفسَنا أهلاً للجلوس معهم، فنجلسُ دونَهم، ونَستَرِقُ السَّمعَ، فإذا مَرَّ الحديثُ سألناهم إعادتَه، وقَيَّدناه، وأنتم تطلبون العِلمَ بالجهل، وقد ضَيَّعتُم كتابَ الله، ولو طلبتُم كتابَ الله، لوجدتُم فيه شِفاءً لما تريدون. قال: قلنا[١]: قد تَعَلَّمنا القرآن، قال: إنَّ في تعلُّمكم القرآنَ شُغلاً لأعماركم، وأعمارِ أولادِكم. قلنا: كيف يا أبا عليٍّ ؟ قال: لَن تَعَلَّمُوا القرآنَ حتى تعرفوا إعرابَه، ومُحْكَمَه من مُتَشابِهِه، وناسِخَهُ مِن مَنسُوخِه، إذا عرفتُم ذلك، استَغنَيتُم عن كلام فُضَيل وابنِ عُيَينَة. ثم قال: أعوذُ بالله السميعِ العليمِ من الشيطان الرجيم[٢]، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧ ـ ٥٨].

قلت: فإذا حَصلَت هذه المراتبُ لقارىء القرآن، كان ماهراً بالقرآن، وعالِماً بالفُرقان، وهو قريبٌ على مَن قَرَّبَه الله عليه[٣]، ولا ينتفعُ بشيء مما ذكرنا[٤] حتى يُخلِصَ النيةَ فيه لله ـ جلَّ ذِكرُه ـ عند طلبه، أو بعدَ طلبه، كما تقدَّم. فقد يبتدئُ الطالبُ للعلم يريدُ به المباهاةَ والشرفَ في الدنيا، فلا يزالُ به فَهمُ العلم حتى يتبيَّنَ أنه على خطأ في اعتقاده، فيتوبَ من ذلك، ويخلصَ النيةَ لله تعالى، فينتفعَ بذلك، ويَحسن حالُه. قال الحسن: كنا نطلبُ العلمَ للدنيا، فَجَرَّنا إلى الآخرة. وقاله سفيان الثَّوري[٥]. وقال حبيب بنُ أبي ثابت[٦]: طَلَبنا هذا الأمرَ وليس لنا فيه نِيَّة، ثم جاءتِ النيةُ بعدُ[٧].

(١) في (د): قالوا كنا، وفي (ظ): قالوا فعلنا.

(٢) في (د) و(ظ): أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

(٣) في (م): قرّبه عليه.

(٤) في (ظ): علم.

(٥) هو سفيان بن سعيد بن مسروق، أبو عبد الله، الكوفي، إمام الحفاظ، توفي سنة (١٢٦هـ). السير ٧/ ٢٢٩.

(٦) أبو يحيى القرشي، الأسدي مولاهم، فقيه الكوفة، توفي سنة (١١٩هـ). السير ٥/ ٢٩٠.

(٧) المحدث الفاصل للرامهرمزي ص١٨٣، والجامع لأخلاق الراوي (٦٩٨) و(٧٧٧)...(٧٨٢)، وجامع بيان العلم ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

باب ماجاء في إعراب القرآن وتعليمه والحثّ عليه وثوابِ مَن قَرأَ القرآنَ مُعرَباً

قال أبو بكر بنُ الأنباري[١]: جاء عن النبيِّ ﷺ وعن أصحابه وتابعيهم ـ رضوانُ الله عليهم ـ من تفضيلِ إعرابِ القرآن، والحضّ على تعليمِه، وذمّ اللَّحنِ وكراهيتِهِ، ما وجبَ به على قُرَّاء[٢] القرآن أن يأخذُوا أنفسهم بالاجتهاد في تعلُّمه[٣].

من ذلك ما حدثنا سليمان بن يحيى[٤] الضَّبِّيُّ قال: حدثنا محمد ـ يعني ابنَ سعدان[٥] ـ قال: حدثنا أبو معاوية، عن عبد الله بن سعيد المَقبُري، عن أبيه، عن جدِّه، عن أبي هريرة أن النبيَّ ﷺ قال: «أعرِبُوا القُرآنَ، والتَمِسُوا غَرائِبَه»[٦].

حدثني أبي قال: حدثنا إبراهيم بنُ الهيثم قال: حدثنا آدمُ ـ يعنى ابنَ أبي إياس ـ قال: حدثنا أبو الطَّيِّب المَرْوَزيُّ قال: حدثنا عبد العزيز بنُ أبي رَوَّاد، عن نافع، عن ابن عمرَ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قَرأَ القُرآنَ، فلم يُعرِبْهُ، وُكِّلَ به مَلَكٌ، يَكتُبُ له كما أُنزلَ بكلِّ حَرف عَشرَ حَسَنات، فإنْ أَعرَبَ بَعضَه، [ولم يُعربْ بعضَه][٧]، وُكِّلَ به مَلَكانِ، يكتُبانِ له بكلِّ حرف عشرينَ حسنة، فإن أَعربَه، وُكِّلَ به أربعةُ أملاك، يكتُبُون له بكلِّ حَرف سَبعينَ حَسَنة»[٨].

(١) في كتابه إيضاح الوقف والابتداء ١/ ١٤، وقد نقل عنه المصنف ما أورده في هذا الباب.
(٢) في (ظ): أهل.
(٣) في (ز) و(ظ): تعليمه.
(٤) في النسخ الخطية و (م): يحيى بن سليمان، والتصويب من الإيضاح ١/ ١٥، وترجمته في تاريخ بغداد ٩/ ٦٠، وطبقات القراء ١/ ٣١٧.
(٥) في (د) و(ز) و(م): ابن سعيد، وهو خطأ. والمثبت من (ظ). وترجمته في تاريخ بغداد ٥/ ٣٢٤، وطبقات القراء ٢/ ١٤٣.
(٦) إسناده ضعيف جداً. عبد الله بن سعيد المقبري متروك الحديث. وأخرجه أيضاً أبو عبيد في فضائل القرآن ص٢٠٨، وابنُ أبي شيبة في المصنف ١٠/ ٤٥٦، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٣٩، وقال: صحيح الإسناد على مذهب جماعة من أئمتنا ولم يخرجاه، فتعقبه الذهبي بقوله: بل أجمع على ضعفه.
(٧) ما بين حاصرتين من مصادر الحديث.
(٨) إسناده تالف. أبو الطيب المروزي (وهو الحربي) قال ابن حبان في المجروحين ٣/ ١٦٠: يروي عن عبد العزيز بن أبي روَّاد الأعاجيب، لا يجوز الاحتجاج به بحال. ثم أخرج له هذا الحديث، ونقل=

ورَوَى جُوَيبِر، عن الضَّحَّاك قال: قال عبد الله بنُ مسعود: جَوِّدُوا القرآنَ، وزَيِّنُوه بأحسنِ الأصواتِ، وأعرِبُوه، فإنه عَرَبيٌّ، واللهُ يحبُّ أن يُعرَبَ به.

وعن مجاهد[1]، عن ابن عمر قال: أعرِبُوا القرآنَ.

وعن محمد بن عبد الرحمن بن زيد[2] قال: قال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما: لَبَعضُ إعرابِ القرآنِ، أَحَبُّ إلينا مِن حِفظِ حروفِه.

وعن الشعبي قال: قال عمر رحمه الله: مَن قَرَأَ القُرآنَ، فأَعرَبَه، كانَ له عند الله أجرُ شَهِيد.

وقال مكحول[3]: بلغني أنَّ مَن قَرَأَ بإعراب، كان له مِنَ الأجرِ ضِعفانِ ممَّن قرأ بغير إعراب.

وروى ابنُ جُرَيج، عن عطاء، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أَحِبُّوا[4] العَرَبَ لثلاث: لأنّي عربيٌّ، والقرآنَ عَربيٌّ، وكلامَ أهلِ الجنة عَرَبيٌّ»[5].

وروى سفيان، عن أبي حمزة قال: قيل للحسن في قوم يَتَعَلَّمونَ العربيَّة، قال: أحسَنُوا، يتعلَّمون لغةَ نبيِّهم ﷺ[6].

وقيل للحسن: إن لنا إماماً يَلحَنُ، قال: أَخِّروه.

= الذهبي في ميزان الاعتدال ٤/ ٥٤١ قول ابن معين فيه: كان في الحديث كذَّاباً. وأخرجه أيضاً أبو الفضل الرازي في فضائل القرآن (١١٠).

(١) هو مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، شيخ القراء والمفسرين، أخذ القرآن والتفسير والفقه عن ابن عباس، توفي سنة (١٠٢هـ) وقيل غير ذلك. السير ٤/ ٤٤٩.

(٢) في إيضاح الوقف والابتدا ص٢٠: عن زيد.

(٣) أبو عبد الله بن أبي مسلم، الدمشقيُّ، عالم أهل الشام، من أقران الزهري، توفي سنة (١١٣هـ) وقيل غير ذلك. السير ٥/ ١٥٥.

(٤) في (د) و(ظ): أحبُّ.

(٥) أخرجه العقيلي في الضعفاء ٣/ ٣٤٨، والحاكم في المستدرك ٤/ ٨٧، وفي معرفة علوم الحديث ص ١٦١ - ١٦٢، وابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٣٤٨. قال العقيلي: منكر لا أصل له، وقال الحاكم: حديث صحيح، فتعقبه الذهبي بقوله: هو من رواية العلاء بن عمرو الحنفي وليس بعمدة.. وأظن الحديث موضوعاً، وأورد الحديث أيضاً في ميزان الاعتدال ٣/ ١٠٣ وقال: هذا موضوع، قال أبو حاتم: هذا كذب.

(٦) سفيان: هو الثوري، وأبو حمزة: لعله الأعور، واسمه ميمون، والحسن: هو البصري.

وعن ابنِ أبي مُلَيكَةَ قال: قَدِمَ أعرابيٌّ في زمان عمرَ بنِ الخطَّاب رضي الله عنه، فقال: مَن يُقرِئُني مما أُنزل على محمد ﷺ؟ قال: فأقرأَهُ رجلٌ «براءة»، فقال: «أن الله بريءٌ من المشركين ورسوله» بالجرِّ، فقال الأعرابيُّ: أَوَقد بَرِئَ الله مِن رسوله؟! فإن يكنِ الله بَرِئَ من رسولِهِ، فأنا أبرأُ منه، فبلغَ عُمرَ مقالةُ الأعرابيِّ، فدعاه، فقال: يا أعرابيُّ، أتبرأُ من رسول الله ﷺ؟! فقال: يا أمير المؤمنين، إني قَدِمتُ المدينةَ، ولا عِلمَ لي بالقرآن، فسألتُ: مَن يُقرِئُني؟ فأقرأني هذا سورةَ براءة فقال: «أن الله بريءٌ من المشركين ورسوله»، فقلت: أوَقد بَرِئَ اللهُ مِن رَسولِهِ؟! إن يكنِ اللهُ بَرِئَ من رسولِهِ، فأنا أبرأُ منه، فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابيُّ، قال: فكيف هي يا أميرَ المؤمنين؟ قال: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾، فقال الأعرابيُّ: وأنا والله أبرأُ مما بَرِئَ الله ورسولُه منه. فأمر عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه ألا يُقرِئَ الناسَ إلا عالمٌ باللغةِ، وأمرَ أبا الأسودِ، فوضَع النَّحو.

وعن عليِّ بنِ الجَعد[1] قال: سمعتُ شُعبةَ[2] يقول: مَثَلُ صاحِبِ الحديثِ الذي لا يعرفُ العربية، مَثَلُ الحمار، عليه مِخلاةٌ، لا عَلَفَ فيها.

وقال حمَّاد بنُ سَلَمة[3]: مَن طَلَبَ الحديثَ، ولم يتعلَّمِ النَّحو ـ أو قال: العربية ـ فهو كَمَثَلِ الحمارِ، تُعلَّقُ عليه مِخلاةٌ، ليس فيها شعير[4].

قال ابنُ عَطِيَّة: إعرابُ القرآنِ أصلٌ في الشَّريعة، لأنَّ بذلك تَقومُ[5] معانيه التي هي الشَّرع[6].

---

(١) هو أبو الحسن البغدادي، الجوهري، مُسند بغداد، توفي سنة (٢٣٠هـ). السير ١٠/ ٤٥٩.

(٢) هو شعبة بن الحجاج، أبو بسطام الأزدي العتكي مولاهم، الواسطي، عالم أهل البصرة. توفي سنة (١٦٠هـ). السير ٧/ ٢٠٢.

(٣) أبو سلمة البصري، الإمام، النحوي، ابن أخت حُميد الطويل، توفي سنة (١٦٧هـ). السير ٧/ ٤٤٤.

(٤) أخرج الأخبار السالفة ابنُ الأنباري في الوقف والابتداء ١/ ١٥ ـ ٦١ ونقلها المصنف عنه كما صرح به أول الباب.

(٥) في (ظ): ذلك يقوم.

(٦) المحرر الوجيز (تفسير ابن عطية) ١/ ٤٠، ومؤلفه: هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي، كان إماماً في الفقه والتفسير والعربية. توفي سنة (٥٤١هـ) وقيل: (٥٤٢). السير ١٩/ ٥٨٧.

قال ابنُ الأنباريّ[١]: وجاء عن أصحابِ النبيِّ ﷺ وتابعيهم رضوانُ الله عليهم من الاحتجاجِ على غريب القرآن ومُشكِلِه باللغةِ والشِّعر، ما بَيَّنَ صحةَ مذهبِ النَّحوِيين في ذلك، وأوضحَ فسادَ مَذهبِ مَن أنكرَ ذلك عليهم.

من ذلك ما حدَّثنا عُبَيدُ بنُ عبد الواحد بنِ شَريك البزاز قال: حدَّثنا ابنُ أبي مريم قال: أنبأنا ابنُ فَرُّوخ قال: أخبرني أسامة قال: أخبرني عكرمة أنَّ ابنَ عباس قال: إذا سألتموني عن غَريبِ القرآنِ، فالتَمِسُوه في الشِّعر، فإن الشِّعر ديوانُ العرب.

وحدثنا إدريس بنُ عبد الكريم قال: حدثنا خَلَفٌ قال: حدثنا حمَّاد بنُ زيد، عن عليِّ بن زيد بن جُدعان قال: سمعتُ سعيدَ بنَ جُبَير ويوسفَ بنَ مِهرانَ يقولان: سمعنا ابنَ عباس يُسألُ عن الشيء من القرآن، فيقول فيه كذا وكذا، أما سمعتم الشاعر يقول فيه كذا وكذا[٢].

وعن عكرمة، عن ابن عباس، وسأله رجلٌ عن قوله الله جلَّ وعزَّ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤] قال: لا تَلبَس ثيابَك على غَدر، وتَمثَّلَ بقول غَيلانَ الثَّقفيِّ[٣]:

فإنِّي بحَمدِ الله لا ثَوبَ غادِرٍ ... لَبِستُ ولا مِن سَوأة أَتقَنَّعُ[٤]

وسأل رجل عِكرِمَةَ عن الزَّنِيم، فقال[٥]: هو ولدُ الزِّنى، وتمثَّلَ ببيت شعر:

زَنِيمٌ ليس يُعرفُ مَن أبوه ... بَغِيُّ الأمِّ ذو حَسَبٍ لئيم[٦]

وعنه[٧] أيضاً: الزَّنيم: الدَّعِيُّ الفاحش اللئيم، ثم قال:

---

(١) في الوقف والابتداء ١/ ٦١. وما بعدها، مما نقله عنه المصنف حتى آخر الباب.

(٢) في (م): يُسألُ عن الشيء بالقرآن، فيقول فيه هكذا وهكذا، أما سمعتم الشاعر يقول كذا وكذا. والمثبت من النسخ، غير قوله: فيقول فيه كذا وكذا، فمن إيضاح الوقف والابتداء ص٦٢.

(٣) هو غَيلانُ بنُ سَلَمة بن معتب بن مالك الثقفي، أسلم بعد فتح الطائف، ولم يهاجر، وهو شاعر مقلّ، وقد روى عنه ابنُ عباس شيئاً من شعره. الأغاني ١٣/ ٢٠٠، والإصابة ٨/ ٦٣.

(٤) ذكره ابنُ قتيبة في تفسير غريب القرآن ص٤٩٥ عند الآية ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، وكذا الطبري ٢٣/ ٤٠٦، والماوردي ٦/ ١٣٦، وابن منظور في اللسان (طهر).

(٥) في (ظ) و(م): قال.

(٦) ذكره الطبري عند تفسير قوله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ ٢٣/ ١٦٤.

(٧) أي: عن عكرمة، والخبر في الإيضاح ص٦٥: عن عكرمة عن ابن عباس.

زَنِيمٌ تداعاهُ الرِّجالُ زِيادةً كما زِيد في عَرضِ الأدِيم أكارِعُه[(١)]

وعنه في قوله تعالى: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٨] قال: ذواتا ظلٍّ وأغصان، ألم تسمع إلى قول الشاعر:

ما هاجَ شوقَكَ من هَدِيلِ حمامةٍ تَدعُو على فَنَنِ الغُصونِ حَماما
تَدعُو أبا فَرْخَيْنِ صادَفَ طائراً ذا مِخْلَبَيْنِ من الصُّقُور قَطاما[(٢)]

وعن عكرمة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٤] قال: الأرض. قال[(٣)] ابن عباس: وقالَ أُمَيَّةُ بنُ أبي الصَّلت[(٤)]:

عِندَهُم لحمُ بحرٍ ولحمُ ساهِرة

قال ابنُ الأنباريِّ: والرواة يروون هذا البيت:

وفيها لحمُ ساهِرة وبَحر وما فاهُوا به لهُمُ مُقِيمُ[(٥)]

وقال نافع بن الأزرق[(٦)] لابن عباس: أخبرني عن قول الله جلَّ وعزَّ: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ

(١) كذا في النسخ الخطية، وإيضاح الوقف والابتداء ١/ ٦٥ (والكلام منه)، ووقع في حاشيته وفي المصادر الآتية: الأكارع. وقد ذكره المبرد في «الكامل» ٣/ ١١٤٦، وابن عطية في تفسيره ٥/ ٣٤٨ ونسباه إلى حسان بن ثابت، وذكره ابن إسحاق (كما في سيرة ابن هشام ١/ ٣٦١)، وابن بري (كما في اللسان) (زنم) ونسباه إلى الخطيم التميمي.

(٢) ذكرهما الطبري في التفسير ٢٢/ ٢٤٠، والماوردي في النكت والعيون ٥/ ٤٣٨، ونسبهما الأصفهاني في الأغاني ١٤/ ٢٦٢ لثابت قطنة. وعندهما: صادف ضارياً، وأورد الأول منهما ابن منظور في اللسان (هدل) عن ابن بري.

(٣) في (م): قاله، وهو خطأ.

(٤) شاعر جاهليٌّ أدرك الإسلام ولم يُسلِم. قال ابنُ قُتيبة في الشعر والشعراء ص٤٥٩: قد كان قرأ الكتب المتقدمة من كتب الله عز وجل، ورغب عن عبادة الأوثان، وكان يخبر بأن نبياً يُبعث قد أظلَّ زمانه، ويؤمِّل أن يكون ذلك النبي، فلما بلغه خروج رسول الله ﷺ وقصتُه، كفرَ حَسَداً له. وذكر البغدادي في خزانته ١/ ٢٥٢ أنه مات في السنة التاسعة، وقال: لم يختلف أصحاب الأخبار أنه مات كافراً. اهـ. وقد أنشد الشَّريدُ بنُ سُوَيد رسولَ الله ﷺ مئة بيت من شعر أمية. كما في صحيح مسلم (٢٢٥٥). فقال رسول الله ﷺ: «إن كادَ لَيُسلِمُ».

(٥) البيت في ديوانه ص ١٢١. وذكره الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٣٢، والطبري في تفسيره ٢٤/ ٧٤، والماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٩٦، وسيكرر المصنف هذا البيت وما سلف من الأبيات قبله في المواضع من الآيات المذكورة.

(٦) من رؤوس الخوارج، وإليه تنسب طائفة الأزارقة، وكان قد خرج في أواخر دولة يزيد بن معاوية. له أسئلة عن ابن عباس، أخرج الطبراني بعضها في الكبير. لسان الميزان ٦/ ١٤٤.

سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ما السِّنة؟ قال: النُّعاس، قال زُهير بنُ أبي سُلمَى[(١)]:

لاسِنَةٌ في طَوالِ اللَّيلِ[(٢)] تأخُذُهُ ولا ينامُ ولا في أمرِه فَنَدُ

باب ماجاء في فضل تفسير القرآنِ وأهلِهِ

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: وأما ما جاء في فضل التفسير عن الصحابة والتابعين:

فمن ذلك أن عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه ذكر جابرَ بنَ عبد الله، ووصفَه بالعلم، فقال له رجل: جُعلتُ فداءك، تصف جابراً بالعلم، وأنت أنت! فقال: إنه كان يعرف تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥].

وقال مجاهد: أَحَبُّ الخلق إلى الله تعالى أعلمُهم بما أُنزل.

وقال الحسن: والله ما أَنزلَ الله آيةً إلا أَحَبَّ أن يُعلم فيما[(٣)] أُنزلت، وما يَعني بها.

وقال الشعبيُّ: رَحَلَ مسروق[(٤)] إلى البصرة في تفسير آية، فقيل له: إن الذي يُفسِّرُها رَحَلَ إلى الشام[(٥)]، فتَجَهَّزَ، ورَحَلَ إلى الشام حتى عَلِمَ تفسيرَها[(٦)].

وقال عكرمة[(٧)] في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٠٠]: طلبتُ اسمَ هذا الرجلِ أربعَ عَشرةَ سنة حتى وجدتُه[(٨)].

---

(١) شاعر جاهلي، لم يدرك الإسلام، وكان من المقدَّمين على سائر الشعراء. الشعر والشعراء ١/ ١٤١.

(٢) في إيضاح الوقف والابتداء ١/ ٧٨: في طوال الدهر.

(٣) في (د) و(ز): أعلم فيمن.

(٤) ابن الأجدع، أبو عائشة الوادعي، الهمداني، الكوفي، عداده في كبار التابعين وفي المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي ﷺ، توفي سنة (٦٢هـ) وقيل: سنة (٦٣هـ). السير ٤/ ٦٣.

(٥) في (د): رجل بالشام.

(٦) أورد ابن عطية هذه الأخبار في تفسيره ١/ ٤٠.

(٧) أبو عبد الله القرشي مولاهم، المدني، البربري الأصل، الحافظ المفسر، لازم ابن عباس وأخذ عنه العلم، توفي سنة (١٠٥هـ). السير ٥/ ١٢.

(٨) أورده ابنُ عبد البر في الاستيعاب في ترجمة ضمرة بن العيص بن ضمرة (بهامش الإصابة ٥/ ٢٠٢-٢٠٣).

وقال ابنُ عبد البَرّ: هو ضَمرَةُ[١] بنُ حَبِيب، وسيأتي[٢].

وقال ابن عباس: مَكَثتُ سَنَتَين[٣] أُريد أن أسألَ عُمرَ عن المرأتين اللتَينِ تَظاهَرَتا على رسول الله ﷺ، ما يمنعني إلا مهابتُه، فسألتُه، فقال: هي حفصة وعائشة.

وقال إياس بن معاوية[٤]: مَثَلُ الذين يقرؤون القرآنَ وهم لا يعلمون تفسيرَه، كمَثَل قوم جاءهم كتابٌ من مَلِكِهِم ليلاً، وليس عندَهم مصباح، فتداخَلَتهُم رَوْعَة، ولا يَدْرُون ما في الكتاب، ومَثَلُ الذي يعرفُ التفسيرَ كَمَثَلِ رجل جاءهم بمصباح، فقرؤوا ما في الكتاب.

باب ما جاء في حامل القرآن، ومَن هو، وفيمن عاداه

قال أبو عمر[٥]: رُويَ من وجوه فيها لِينٌ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مِن تَعظيم جَلالِ الله إكرامُ ثلاثة: الإمام المُقسِطِ، وذي الشَّيبةِ المُسلمِ، وحاملِ القرآن غيرِ الغالي فيه، ولا الجافي عنه»[٦].

وقال أبو عمر: وحَمَلَةُ القرآنِ هم العالِمونَ بأحكامِه، وحَلالِهِ وحَرامِه، والعامِلُون بما فيه. ورَوَى أنسٌ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «القُرآنُ أفضَلُ من كلِّ شيء، فَمَن

---

(١) في (ز) و(ظ): ضميرة.

(٢) سيذكر المصنف الاختلاف في اسمه عند تفسير الآية المذكورة من سورة النساء، وينظر الإصابة ٥/ ١٩٧ ترجمة ضمرة بن ابي العيص.

(٣) في (ظ): سنين، وفي صحيح البخاري (٤٩١٣) وصحيح مسلم (١٤٧٩): مكثت سنة.

(٤) أبو واثلة قاضي البصرة، كان يُضرب به المَثَلُ في الدهاء والعقل، توفي سنة (١٢١هـ). السير ٥/ ١٥٥. وقد أورد ابن عطية قوله في المحرر الوجيز ١/ ٤٠.

(٥) هو ابنُ عبد البر، ولعل قوله هذا في كتابه البيان عن تلاوة القرآن، الذي ذكره هو في الاستذكار ٨/ ٢٤ و٢٦، والذهبي في السير ١٨/ ١٥٩.

(٦) أخرجه من حديث أبي موسى الأشعري: البخاريُّ في الأدب المفرد (٣٥٧)، وأبو داود (٤٨٤٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٦٨٥) و(١٠٩٨٦)، وحسَّنه الذهبي في ميزان الاعتدال ٤/ ٥٦٥، والنووي في التبيان ص٣٤. وأخرجه الطبراني في الأوسط (٦٧٣٢)، وابنُ عدي في الكامل ٤/ ١٥٩٦، والبيهقي في الشعب (٢٦٨٧) من حديث جابر. وأخرجه البيهقي في الشعب أيضاً من حديث ابن عمر موقوفاً. وأخرجه الفريابي في فضائل القرآن (٩١) من حديث طلحة بن عبيد الله بن كَرِيز مرسلاً.

وَقَّرَ القرآنَ، فقد وَقَّرَ الله، ومَنِ استَخَفَّ بالقرآن، استَخَفَّ بحقِّ الله تعالى، حَمَلَةُ القُرآنِ هم المحفُوفُون[1] برحمةِ الله، المُعظِّمون كلامَ الله، المُلبَسون نورَ الله، فَمن وَالَاهم فقد وَالَى الله، ومن عاداهم فقدِ استخفَّ بحقِّ الله تعالى»[2].

باب ما يلزمُ قارىءَ القرآنِ وحاملَه من تعظيم القرآنِ وحُرمَتِه

قال الترمذيُّ الحكيمُ أبو عبد الله في «نوادر الأصول»[3]: فَمِن حُرمَةِ القرآن ألَّا يَمَسَّه إلا طاهراً.

ومِن حُرْمَتِه أن يقرأه وهو على طهارة.

ومِن حُرْمَتِه أن يَستاكَ ويتخلَّلَ، فيُطَيِّبَ فاهُ، إذ هو طريقُه. قال يزيد بن أبي مالك[4]: إن أفواهَكم طُرُقٌ من طُرقِ القرآن، فَطَهِّرُوها ونَظِّفُوها ما استطعتُم.

ومن حُرْمَتِه أن يستويَ له قاعداً إن كان في غير صلاة، ولا يكون متكئاً[5].

ومِن حُرْمَتِه أن يَتَلَبَّسَ له[6]، كما يَتَلَبَّسُ للدخول على الأمير، لأنه مُناجٍ.

ومِن حُرْمَتِه أن يستقبلَ القِبلَةَ لقراءته. وكان أبو العالية[7] إذا قرأ اعتَمَّ، ولبسَ وارتَدَى، واستقبلَ القِبلَةَ.

---

(١) في مصادر الحديث: المخصوصون.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦/ ٤٢ (في ترجمة داود بن محمد المعيوفي الحجوري) وفي إسناده أكثرُ من علة، وأورده ابن عراق الكناني في تنزيه الشريعة ١/ ٢٩٤، وقال: فيه علي بن الحسن السامي. اهـ. وعليٌّ هذا؛ قال ابن حبان في المجروحين: لا يحل كتابة حديثه إلا على سبيل التعجب، وقال ابن عدي في الكامل ٥/ ١٨٥٤: ضعيف جداً. وانظر كشف الخفا ١/ ٢٠.

(٣) في الأصل (٢٥٣) منه، ص ٣٣٣.

(٤) يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك الهمداني، قاضي دمشق في عهد هشام بن عبد الملك، توفي سنة (١٣٠هـ). السير ٥/ ٤٣٧، وقوله هذا الذي أورده له المصنف ليس في المطبوع من نوادر الأصول، وهو في الرعاية لمكي ص٨٢.

(٥) قوله: ومن حرمته أن يستوي له قاعداً... إلى هذا الموضع، ليس في (م).

(٦) لفظة: له، ليست في (م).

(٧) هو رُفَيعُ بنُ مِهران، أبو العالية الرِّياحي البصري، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد موت النبي ﷺ بسنتين، مات سنة تسعين. تهذيب الكمال ٩/ ٢١٤.

ومن حُرْمَتِه أن يتمضمضَ كلَّما تنخَّع. روى شعبةُ، عن أبي حمزة[١]، عن ابن عباس: أنه كان يكون بين يديه تَوْر[٢]، إذا تَنَخَّع مَضمَضَ، ثم أخَذَ في الذِّكر، وكان كلَّما تنخَّعَ مَضمَضَ.

ومِن حُرْمَتِهِ إذا تثاءَبَ أن يُمسِكَ عن القراءة، لأنه إذا قرأ، فهو مُخاطِبٌ ربَّه ومُناجٍ، والتثاؤبُ من الشيطان.

قال مجاهد: إذا تَثاءَبتَ وأنتَ تقرأُ القرآن، فأمسِك عن القرآن[٣] تعظيماً حتى يذهبَ تثاؤبُك. وقاله عكرمة. يريدُ أنَّ في ذلك الفعل إجلالاً للقرآن.

ومن حُرْمَتِهِ أن يستعيذَ بالله عند ابتدائهِ للقراءةِ من الشيطانِ الرجيم، ويقرأ «بسم الله الرَّحمن الرَّحيم» إن كانَ ابتدأ قراءته من أولِ السورةِ، أو من حيثُ بلغَ.

ومن حُرْمَتِه إذا أخذَ بسورة، لم يشتغل بشيء حتى يَفرَغَ منها إلا من ضرورة[٤].

ومِن حُرْمَتِه إذا أخذَ في القراءة، لم يَقطَعها ساعة فساعة بكلامِ الآدميين من غير ضرورة.

ومِن حُرْمَتِه أن يَخلُوَ بقراءتِهِ حتى لا يقطعَ عليه أحدٌ بكلام، فيخلِطَه بجوابه، لأنه إذا فعل ذلك، زالَ عنه سلطانُ الاستعاذةِ الذي استعاذ في البَدء.

ومِن حُرْمَتِه أن يقرأه على تُؤَدَة وتَرسِيل[٥] وترتيل.

ومن حُرْمَتِه أن يستعملَ فيه ذِهنَه وفَهمَه حتى يَعقِلَ ما يُخاطَبُ به.

ومن حُرْمَتِه أن يقفَ على آيةِ الوَعدِ، فيرغَبَ إلى الله تعالى، ويسألَه من فضلِه، وأن يقفَ على آيةِ الوَعيد، فيستجيرَ بالله منه.

ومن حُرْمَتِه أن يقفَ على أمثاله، فَيمتَثِلَها.

ومن حُرْمَتِه أن يلتمسَ غَرائبَه.

---

(١) هو عمران بن أبي عطاء الأسدي، أبو حمزة القصاب، الواسطي، قال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب: صدوق له أوهام.

(٢) التَّور إناء يُشرب فيه.

(٣) في (ز) و(د): القراءة.

(٤) قوله: ومن حرمته إذا أخذ بسورة... إلى هذا الموضع، ليس في (م).

(٥) التَّرسِيلُ في القراءة: الترتيل. القاموس (رسل).

ومن حُرْمَتِه أن يُؤدِّيَ لكلِّ حرف حقَّه من الأداءِ، حتى يبرزَ الكلامُ باللفظ تماماً، فإنَّ له بكلِّ حرف عَشرَ حسنات.

ومن حُرْمَتِه إذا انتهَت قراءتُه، أن يُصدِّقَ ربَّه، ويَشهَدَ بالبلاغِ لرسولهِ ﷺ، ويَشهدَ على ذلك أنه حقٌّ، فيقولَ: صَدَقتَ ربَّنا، وبَلَّغتْ رُسُلُك، ونحن على ذلك من الشاهدين، اللهمَّ اجعَلنا من شهداءِ الحقِّ، القائمين بالقِسط. ثم يدعوَ بدعوات.

ومِن حُرْمَتِه إذا قرأه ألا يَلتَقِطَ الآيَ من كلِّ سورة، فيقرأَها، فإنه رُويَ لنا عن رسول الله ﷺ أنه مَرَّ ببلال وهو يقرأُ من كلِّ سورة شيئاً، فأمَرَه أن يقرأَ السورةَ كلَّها[1]. أو كما قال عليه السلام.

ومِن حُرْمَتِه إذا وَضَعَ المصحفَ[2] ألا يتركَه منشوراً، وألا يضعَ فوقَه شيئاً من الكُتبِ، حتى يكونَ أبداً عالياً لسائرِ الكتبِ، عِلماً كان أو غيرَه.

ومن حُرْمَتِه أن يضعَه في حِجرِه إذا قرأه، أو على شيء بين يديه، ولا يضعَه بالأرض.

ومن حُرْمَتِه ألا يمحوَه من اللَّوح بالبُصاق، ولكن يغسِلُه بالماء.

ومِن حُرْمَتِه إذا غَسلَه بالماء، أن يَتَوَقَّى النجاساتِ من المواضعِ والمواقع التي تُوطَأُ، فإنَّ لتلك الغُسالة حُرمةً، وكان مَن قَبلَنا مِنَ السلفِ، منهم مَن يستشفي بغُسَالَتِه.

ومِن حُرْمَتِه ألا يتخذَ الصحيفةَ إذا بَلِيَت ودَرَسَت وقايةً للكتب، فإنَّ ذلك جفاءٌ عظيم، ولكن يمحوها بالماء.

ومِن حُرْمَتِه ألا يُخلِيَ يوما من أيامه من النظرِ في المصحف مَرَّة، وكان أبو موسى [الأشعريُّ] يقول: إني لأستحيي ألا أنظرَ كلَّ يوم في عهدِ ربي مَرَّة.

ومِن حُرْمَتِه أن يُعطِيَ عينَيه حظَّهما منه، فإنَّ العينَ تؤدي إلى النفس، وبين النفس

---

(١) في النسخ الخطية: أن يقرأ على السور، والمثبت من (م)، وفي نوادر الأصول ص٣٣٣ (والكلام منه): يقرأ السور كلها، وأخرج الخبر ابن أبي شيبة في المصنف ٢/ ٥٣٢ و١٠/ ٥٥١. ٥٥٢ عن سعيد بن المسيب وزيد بن يُثيع مرسلاً وفيه: السورة على نحوها.

(٢) في النسخ الخطية: الصحيفة، والمثبت من (م).

والصَّدر حجابٌ، والقرآنُ في الصدر، فإذا قرأه عن ظهرِ قلب، فإنما يُسمِعُ أُذنَه، فتؤدِّي إلى النفس، فإذا نَظَرَ في الخطِّ، كانت العينُ والأذنُ قد اشترَكتا في الأداءِ، وذلك أوفرُ للأداء، وكانت العين قد أخذت حظَّها[١] كالأذن. رَوَى زيدُ بنُ أسلمَ[٢]، عن عطاء بن يَسار[٣]، عن أبي سعيد الخُدريِّ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أعطُوا أعيُنَكم حَظَّها من العبادةِ». قالوا: يارسول الله، وما حظُّها من العبادة؟ قال: «النَّظَرُ في المصحفِ، والتفكُّرُ فيه، والاعتبارُ عند عجائبِهِ»[٤]. ورَوَى مكحولٌ، عن عُبادةَ بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضَلُ عبادةِ أُمتي قراءةُ القرآن نظراً»[٥].

ومِن حُرْمَتِهِ ألا يتأوَّلَه عندما يَعرِضُ له شيءٌ من أمر الدنيا. حدثنا عمرو بنُ زياد الحنظليُّ قال: حدثنا هُشَيمُ بنُ بَشِير، عن المغيرة، عن إبراهيم قال: كان يكره أن يُتأوَّلَ شيءٌ من القرآن عندما يَعرِضُ له شيءٌ من أمر الدنيا[٦]. والتأويلُ: مثلُ قولك للرجل إذا جاءك: ﴿جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٠]، ومثل قوله تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤] هذا عند حضور الطعام، وأشباهِ هذا.

ومِن حُرْمَتِهِ ألا يقال: سورة كذا، كقولك: سورةُ النحل، وسورة البقرة، وسورة النساء، ولكن يقال: السورة التي يُذكر فيها كذا.

قلت: هذا يعارضُه قولُه ﷺ: «الآيتانِ مِن آخِرِ سورةِ البقرةِ، مَن قَرَأَ بهما في ليلة

---

(١) في (د) و(ز) و(م): وكان قد أخذت العين حظها، والمثبت من (ظ).

(٢) أبو عبد الله العدوي، العمري، المدني، الفقيه، حدث عن جمع من الصحابة، وله تفسير رواه عنه ابنه عبد الرحمن، توفي سنة (١٣٦هـ). السير ٥/ ٣١٦.

(٣) المدني، مولى ميمونة، كان فقيهاً واعظاً ثبتاً، وهو أخو سليمان بن يسار، توفي سنة (١٠٣هـ)، ويقال: قبل المئة. السير ٤/ ٤٤٨.

(٤) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (١٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٢٢٢) وقال: إسناده ضعيف. وضعفه أيضا الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ٤/ ٤٢٤.

(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٠٢٢) (دون قوله: نظراً) من حديث النعمان بن بشير، ونسبه الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ١/ ٢٧٣ إلى أبي نعيم في فضائل القرآن من حديث النعمان بن أنس، وضعفه.

(٦) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص٥٨ عن هشيم، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٠/ ٥١٥ عن جرير، عن مغيرة بنحوه. هُشَيم: هو ابنُ بشير، ومُغيرة: هو ابنُ مِقسَم الضَّبِّي.

كَفَتَاه». خرَّجه البخاريُّ ومُسلم، من حديث عبد الله بن مسعود[١].

ومِن حُرْمَتِه ألا يُتلَى منكوساً، كفعل مُعلِّمي الصِّبيان، يلتمسُ أحدُهم بذلك أن يُرِيَ الحِذقَ من نفسه والمَهارَة، فإن تلك مَجانَة[٢].

ومِن حُرْمَتِه ألا يُقعِّرَ في قراءته، كفعلِ هؤلاء الهمزِيِّين المبتدعين، المتنطِّعين في إبرازِ الكلام من تلك الأفواه المنتِنة تكلُّفاً، فإن ذلك مُحدَثٌ، ألقاه إليهمُ الشيطانُ فقَبِلُوه عنه[٣].

ومِن حُرْمَتِه ألا يقرأه بألحانِ الغِناءِ، كلحونِ أهلِ الفِسق[٤]، ولا بترجيعِ النَّصارى، ولا نَوحِ الرَّهبانيَّة، فإنَّ ذلك كلَّه زَيغٌ. وقد تقدَّم[٥].

ومن حُرْمَتِه أن يجلل تخطيطَه إذا خطَّه. وعن أبي حُكَيمَة أنه كان يكتبُ المصاحف بالكوفة، فمر عليٌّ رضي الله عنه، فنظرَ إلى كتابتهِ، فقال له: أجْلُ[٦] قَلمَكَ، فأخذتُ القلمَ فقَطَطتُه[٧] من طَرَفِهِ قَطًّا، ثم كتبتُ وعليٌّ رضي الله عنه قائمٌ ينظرُ إلى كتابتي، فقال: هكذا، نَوِّرْه كما نوَّرَه الله عزَّ وجلَّ[٨].

---

(١) صحيح البخاري (٤٠٠٨)، وصحيح مسلم (٨٠٧).

(٢) من المُجون، وهو قلة الحياء وخلط الجدّ بالهزل، ووقع في (م): مخالفة.

(٣) في (د) و(ظ): فتلقوه عنه، والمثبت من (م)، ومن قوله: ومن حرمته ألا يقعر في قراءته... إلى هذا الموضع، لم يرد في المطبوع من نوادر الأصول. والمقصود بالهمزيين مَن يَغلُون في تلاوتهم لحمزة، وقد نقل الذهبي في تاريخ الإسلام ٦/ ١٧٥ عن الإمام حمزة قوله: إن لهذا التحقيق حدًّا ينتهي إليه، ثم يكون قبيحاً، وعنه قال: إنما الهمز رياضة، فإذا حسَّنها الرجل سَهَّلَها. اهـ. ثم ذكر الذهبي أن الإجماع انعقد على ثبوت قراءة حمزة وصحتها، وقال: وبالجملة إذا رأيتَ الإمامَ في المحراب لَهِجا بالقراءات، وتَتَبَّع غريبها، فاعلم أنه فارغٌ من الخشوع، مُحِبٌّ للشهرة والظهور، نسأل الله السلامة في الدين. وانظر جمال القراء لعلم الدين السخاوي ٢/ ٥٦٥ ـ ٥٧٤.

(٤) في (ظ): العشق.

(٥) ص٣١ ـ ٣٢.

(٦) في نوادر الأصول ص٣٣٤ (والكلام منه): اجلل.

(٧) في (ظ) ونوادر الأصول ص٣٣٤: فقططت.

(٨) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٢٤٣، وابن أبي شيبة في المصنف ١٠/ ٥٤٣ـ٥٤٤، والدولابي في الكنى ١/ ١٥٥، والبيهقي في الشعب (٢٦٦٣). أبو حُكَيمة ـ بالتصغير كما في تبصير المنتبه ١/ ٤٥٠ ـ هو عِصمة البصري. وجاء عند الدولابي: فقططتُ من قلمي ثم كتبت أجلى من ذلك... وترجم له أبو عبيد بقوله: باب كتابة المصاحف، وما يستحب من عظمها، ويكره من صغرها. اهـ. وقوله: فقططتُهُ، يعني قَطَعَهُ عرضاً.

ومن حُرْمَتِه ألا يَجهَرَ بعضٌ على بعض في القراءة، فيفُسدَ عليه، حتى يُبغِّضَ إليه ما يسمع، ويكونَ كهيئةِ المُغالبةِ.

ومِن حُرْمَتِه ألا يُمارِيَ، ولا يجادلَ فيه في القراءات، ولا يقولَ لصاحبه: ليس هكذا هو، ولعله أن تكونَ تلك القراءةُ صحيحةً جائزةً من القرآن، فيكونَ قد جحدَ كتابَ(١) الله.

ومِن حُرْمَتِه ألا يقرأ في الأسواقِ، ولا في مواطن اللَّغَط واللَّغو، ومَجمَعِ السفهاء، ألا تَرَى أنَّ الله تعالى ذَكَرَ عبادَ الرَّحمن، وأثنى عليهم، بأنَّهم إذا مَرُّوا باللغو مَرُّوا كِراماً؟! هذا لمرورِه بنفسهِ، فكيف إذا مَرَّ بالقرآن الكريمِ تلاوةً بين ظَهرانَي أهلِ اللَّغو ومجمعِ السفهاء؟!

ومِن حُرْمَتِه ألا يَتوسَّدَ المصحفَ، ولا يَعتمِدَ عليه، ولا يَرمِيَ به إلى صاحبه إذا أرادَ أن يُناوِلَه.

ومِن حُرْمَتِه ألا يُصَغِّرَ المصحفَ. روى الأعمش، عن إبراهيم، عن علي رضي الله عنه قال: لا يُصغَّرُ المصحف(٢).

قلت: ورُوي عن عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه أنه رأى مصحفاً صغيراً في يد رجل، فقال: مَن كتبَه؟ قال: أنا، فضربَه بالدِّرَّة، وقال: عَظِّمُوا القرآن(٣). ورُوي عن رسول الله ﷺ أنه نهى أن يقال: مُسَيْجِد، أو مُصَيْحِف(٤).

ومِن حُرْمَتِه: ألا يخلطَ فيه ما ليس منه.

ومِن حُرْمَتِه ألا يُحَلَّى بالذَّهبِ، ولا يُكتبَ بالذَّهب، فتُخلَطَ به زينةُ الدنيا. وروى مغيرةُ، عن إبراهيم(٥)، أنه كان يكرهُ أن يُحَلَّى المصحفُ، أو يُكتَبَ بالذهبِ، أو

(١) في (ظ): كلام.

(٢) أخرج نحوه أبو عبيد في فضائل القرآن ص٢٤٤.

(٣) أخرجه أبو عبيد في الفضائل ص٢٤٣.

(٤) لم يصح مرفوعاً، فيما ذكر ابن عدي في الكامل ١/ ٣٢٥، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٠/ ٥٤٤، وابن أبي داود في المصاحف ١٥٢ - ١٥٣، والبيهقي في الشعب من قول مجاهد، وأخرجه ابن أبي داود أيضاً في المصاحف ص١٥٣ من قول إبراهيم النخعي. وينظر ميزان الاعتدال ١/ ٢٠٠، و٣/ ٣٠٨ - ٣٠٩ ترجمة إسحاق بن نجيح الملطي، وعيسى بن إبراهيم بن طهمان.

(٥) مغيرة: هو ابنُ مِقسَم الضَّبِّي، وإبراهيم: هو ابن يزيد النخعي.

يعلَّم عند رؤوس الآي، أو يُصَغَّرَ. وعن أبي الدرداء قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا زَخْرَفتُم مَساجِدَكم وحَلَّيتُم مَصاحِفَكم، فالدَّبارُ عليكم»[١]. وقال ابن عباس وقد رأى مصحفاً زُيِّنَ بفضَّة: تُغْرُونَ به السارقَ، وزِينتُه في جوفه.

ومن حُرْمَتِه ألا يُكتبَ على الأرض، ولا على حائط، كما يُفعل بهذه[٢] المساجد المُحْدَثَة. حدثنا محمد بنُ علي الشَّقيقيُّ، عن أبيه، عن عبد الله بن المبارك، عن سفيانَ، عن محمد بن الزبير قال: سمعتُ عمرَ بن عبد العزيز يحدثُ قال: مرَّ رسولُ الله ﷺ بكتاب في أرض، فقال لشابٍّ من هُذَيل: «ما هذا؟» قال: من كتاب الله، كتبه يهوديٌّ، فقال: «لعنَ اللهُ مَن فعلَ هذا، لا تضعوا كتابَ اللهِ إلا مَوضِعَه»[٣]. قال محمدُ بن الزبير: رأى عمرُ بنُ عبد العزيز ابناً له يكتبُ القرآنَ على حائط، فضربَه.

ومن حُرْمَتِه أنه إذا اغتَسَلَ بكتابته مُستشفياً من سَقَم، ألا يَصُبَّه على كُناسَة، ولا في موضع نجاسة، ولا على موضع يُوطَأ، ولكن ناحية من الأرض في بُقعة، لا يطؤه الناس، أو يَحفِرَ حَفِيرة في موضع طاهر حتى ينصبَّ من جسده في تلك الحَفيرة، ثم يَكبِسُها، أو في نهرٍ كبير يختلطُ بمائه، فيجري.

ومِن حُرْمَتِه أن يَفتَتِحَه كلَّما ختمَه، حتى لا يكونَ كهيئة المهجور، وكذلك كان رسولُ الله ﷺ إذا ختمَ، يقرأ من أوَّل القرآنِ قَدرَ خَمسِ آيات، لئلا يكونَ في هيئة المهجور[٤]. وروى ابنُ عباس قال: جاء رجلٌ، فقال: يارسولَ الله، أيُّ العمل أفضلُ؟ قال: «عليك بالحالِّ المُرتَحِل». قال: وما الحالُّ المُرتَحِلُ؟ قال: «صاحِبُ القرآن، يَضرِبُ من أوَّلِه حتى يَبلُغَ آخِرَه، ثم يَضرِبُ في أوَّله، كلَّما حَلَّ ارتَحَلَ»[٥].

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٧٩٧)، وأبو عبيد في فضائل القرآن ص٢٤٢، وابن أبي داود في المصاحف ص١٥٠ عن أبي الدرداء موقوفاً. قال الشوكاني في الفوائد المجموعة ص٢٥: لا يصح رفعه. اهـ. قوله: الدَّبار، بالفتح: الهلاك. النهاية (دبر).

(٢) في (م): به في.

(٣) إسناده ضعيف جداً. محمد بن الزبير - وهو الحنظلي - متروك، ثم إن الخبر مرسل، فعمر بن عبد العزيز - أمير المؤمنين - من التابعين.

(٤) ذكر نحوه مكي في الرعاية ص٥٦.

(٥) أخرجه الترمذي (٢٩٤٨)، وأبو نعيم في الحلية ٢/ ٢٦٠، وأبو الفضل الرازي في فضائل القرآن (٨٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٠٠١). قال الترمذي: حديث حسن غريب... وإسناده ليس بالقوي. =

قلتُ: ويستحبُّ له إذا ختم القرآنَ أن يَجمَعَ أهلَه:

ذكر أبو بكر الأنباري: أنبأنا إدريسُ، حدثنا خَلَف، حدثنا وكيعٌ، عن مِسعَر، عن قتادةَ، أن أنسَ بن مالك كان إذا ختم القرآنَ، جمع أهلَه، ودعا[1]. وأخبرنا إدريسُ، حدثنا خَلَفٌ، حدثنا جريرٌ، عن منصور، عن الحَكَم قال: كان مجاهدٌ وعَبْدَةُ بنُ أبي لُبابَةَ[2] وقومٌ يَعرِضُون المصاحفَ، فإذا أرادُوا أن يَختِمُوا، وجَّهُوا إلينا: أُحضُرُونا، فإنَّ الرحمةَ تَنزِلُ عند خَتمِ القرآن[3]. وأخبرنا إدريسُ، حدثنا خَلَفٌ، حدثنا هُشَيم، عن العوَّام، عن إبراهيم التَّيميِّ قال: مَن خَتَمَ القرآنَ أوَّلَ النهار، صَلَّت عليه الملائكةُ حتى يُمسِيَ، ومَن خَتَمَ أوَّلَ الليل، صَلَّت عليه الملائكةُ حتى يُصبِحَ. قال: فكانوا يَستحبُّون[4] أن يَختِمُوا أوَّلَ الليل، وأوَّلَ النهار[5].

ومِن حُرْمَتِه ألا تَكتُبَ التعاويذَ منه، ثم تَدخُلَ به في الخلاء، إلا أن يكونَ في غلاف من أدَم، أو فِضَّة، أو غيره، فيكونَ كأنَّه في صدرك.

ومِن حُرْمَتِهِ إذا كتبَه وشَرِبَه، سَمَّى اللهَ على كل نَفَس، وعَظَّمَ النيةَ فيه، فإنَّ اللهَ يُؤتيهِ على قَدْرِ نيَّته. روى ليث، عن مجاهد قال: لا بأس أن يكتبَ القرآنَ، ثم يسقيَه[6] المريضَ. وعن أبي جعفر قال: مَن وَجَدَ في قلبه قساوة، فَليَكتُب «يس» في جامٍ بزعفران، ثم يشربه[7].

= وأخرجه الترمذي من وجه آخر عن ابن عباس مرسلاً، وقال: وهذا عندي أصح.

(١) أخرجه في فضائل القرآن أبو عبيد ص٤٨، والفريابي (٨٥) (٨٦)، وابن الضُّريس (٨٤). وإسناده صحيح.

(٢) أبو القاسم الأسدي، ثم الغاضري مولاهم، الكوفي التاجر، أحد الأئمة، نزل دمشق، توفي في حدود سنة (١٢٧هـ). السير ٥/ ٢٢٩.

(٣) أخرجه في فضائل القرآن أيضاً أبو عُبيد ص ٤٧ ـ ٤٨، والفريابي في (٨٧) و(٨٨) و(٨٩)، وابنُ الضُّريس (٨١)، وهو أثر صحيح.

(٤) في (د): يستحسنون.

(٥) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص٤٩، والدارمي في السنن (٣٤٧٧)، وابن الضُّريس في فضائل القرآن (٥٠).

(٦) في (م): تكتب... تسقيه.

(٧) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٤٦٨) وقال بإثره: وكان إبراهيم يكره ذلك، ولو صحَّ الحديثُ لم يكن للكراهة معنى، إلا أن في صحته نظراً، والله أعلم. اهـ. أبو جعفر: هو الباقر. وقوله: جام: هو إناء من فضة.

قلتُ: ومن حُرْمَتِه ألا يقال: سورة صغيرة. وكره أبو العالية أن يقال: سورةٌ صغيرة، أو كبيرة، وقال لمن سمعه قالها: أنت أصغرُ منها، وأما القرآنُ، فكلُّه عظيم. ذكره مكيٌّ رحمه الله[١].

قلتُ: وقد روى أبو داود ما يُعارضُ هذا من حديث عَمرِو بنِ شُعَيب[٢]، عن أبيه، عن جدِّه، أنه قال: مامِنَ المُفَصَّلِ سُورةٌ، صغيرةٌ ولا كبيرةٌ، إلا قد سمعتُ رسولَ الله ﷺ يَؤُمُّ بها الناسَ في الصلاة[٣].

باب ماجاء من الوعيد في تفسير القرآن بالرأي والجُرأة على ذلك، ومراتب المفسرين

رُوِيَ عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: ما كان رسولُ الله ﷺ يُفسِّرُ من كتاب الله إلا آياً بعدد، عَلَّمَهُ إيَّاهنَّ جبريلُ[٤].

قال ابنُ عطية: ومعنى هذا الحديثِ في مُغيَّبات القرآن، وتفسيرِ مُجمَلِهِ، ونحو هذا مما لا سبيلَ إليه إلا بتوقيف[٥] من الله تعالى، ومن جملةِ مُغَيَّباته ما لم يُعلِمِ اللهُ به، كوقت قيامِ الساعة، ونحوِها مما يُستَقرَأُ من ألفاظه، كعدد النَّفَخات في الصور، وكرتبةِ خَلقِ السماوات والأرض[٦].

رَوى الترمذيُّ، عن ابن عباس، عن النبيِّ ﷺ قال: «اتَّقُوا الحديثَ عليَّ إلا ما

---

(١) الرعاية ص٨٣.

(٢) هو عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي، أبو إبراهيم، ويقال: أبو عبد الله. ورواية أبيه عن جده إنما يعني بها جدَّه الأعلى عبد الله بن عمرو لا محمد بن عبد الله. تهذيب التهذيب ٣/ ٢٧٩.

(٣) سنن أبي داود (٨١٤). قوله: المفصَّل؛ ذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٢/ ٢٥٩ أنها من سورة ق إلى آخر القرآن على الصحيح، وذكر الإمام النووي في شرح مسلم ٦/ ١٠٦ أنه سمي مفصلاً لقصر سوره، وقرب انفصال بعضهن من بعض.

(٤) أخرجه أبو يعلى (٤٥٢٨)، والبزار (٢١٨٥) (زوائد). وإسناده ضعيف، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٣٠٧ وقال: فيه راو لم يتحرر اسمه عند واحد منهما، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٥) في (م): بتوفيق، وهو خطأ.

(٦) المحرر الوجيز ١/ ٤١.

علمتُم، فَمَن كَذَبَ عَلَيَّ مُتعمِّداً، فَلْيَتبوَّأ مَقْعَدَه مِنَ النَّار، ومَن قالَ في القرآن برأيه، فَلْيتبوَّأ مَقعَدَه مِنَ النَّار»[١]. ورَوَى أيضاً عن جُنْدُب[٢] قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن قالَ في القرآن[٣] برأيه، فأصابَ، فقد أخطأ». قال: هذا حديثٌ غريبٌ، وأخرجه أبو داود، وتُكُلِّمَ في أحد رواته[٤]. وزاد رَزِين: ومَن قال برأيه، فأخطأ، فقد كفرَ.

قال أبو بكر محمدُ بن القاسم بنِ بشار بنِ محمد الأنباريُّ النَّحويُّ اللغويُّ في كتاب «الردّ»: فُسِّرَ حديثُ ابنِ عباس تفسيرَين: أحدهما: مَن قالَ في مُشكِلِ القرآنِ بما لايَعرِفُ مِن مَذهبِ الأوائل من الصحابة والتابعين، فهو مُتعرِّضٌ لِسَخَطِ الله. والجوابُ الآخَر ـ وهو أثبتُ القولَين وأصحُّهما معنى ـ: مَن قالَ في القرآن قولاً يعلَمُ أنَّ الحقَّ غيرُه، فَليتبوَّأ مَقعَدَهُ من النار. ومعنى يَتَبَوَّأ: يَنزِلُ ويَحُلُّ. قال الشاعر[٥]:

وبُـوِّئَـتْ فـي صَـمـيـمِ مَـعْـشَـرِهـا فَـتَـمَّ فـي قَـومِـهـا مُـبَـوَّؤُهـا

وقال في حديث جُنْدُب: فحملَ بعضُ أهلِ العلمِ هذا الحديثَ على أنَّ الرأيَ معنيٌّ به الهَوَى، مَن قالَ في القرآن قولاً يُوافِقُ هواه، لم يأخُذْه عن أئمَّةِ السَّلَف، فأصابَ، فقد أخطأ، لِحُكمه على القرآن بما لا يعرفُ أصلَه، ولا يقفُ على مذاهب أهلِ الأثر والنَّقل فيه.

وقال ابنُ عطية: ومعنى هذا أن يُسأل الرجلُ عن معنًى من[٦] كتاب الله عزَّ وجلَّ،

---

(١) سنن الترمذي (٢٩٥١) وقال: حديث حسن. وفيه: «اتقوا الحديث عني...». وهو في المسند برقم (٢٩٧٤). وسيذكره المصنف مختصراً ص ١٢٦. وقوله: «مَن كَذَبَ عليَّ متعمِّداً، فليتبوأ مقعدَه من النار» من الأحاديث المتواترة. فتح الباري ١/ ٢٠٣، والأزهار المتناثرة (٢).

(٢) هو جندب بن عبد الله بن سفيان، أبو عبد الله البجلي العلقي، الصحابي، نزل الكوفة والبصرة، وعاش إلى حدود سنة (٧٠هـ). السير ٣/ ١٧٤.

(٣) في (د): بالقرآن.

(٤) سنن الترمذي (٢٩٥٢)، وسنن أبي داود (٣٦٥٢)، وفي إسناده سهيل بن أبي حزم (مِهران أبو عبد الله) القُطَعي، ضعَّفه البخاري وأبو حاتم الرازي والنسائي.

(٥) هو إبراهيم بن هَرْمة القُرشي، من شعراء الدولتين. الأموية والعباسية. السير ٦/ ٢٠٧، والبيت في ديوانه ص٥٧. وأورده الخليل في العين ٨/ ٤١١، وابن فارس في معجم مقاييس اللغة ١/ ٣١٢ باب الباء والواو (بوأ)، وابن منظور في اللسان (بوأ).

(٦) في (م): في.

فَيَتَسوَّرَ[١] عليه برأيه دون نظر فيما قال العلماءُ، واقتَضَته قوانينُ العلم، كالنحو والأصول. وليس يدخلُ في هذا الحديث أن يُفسِّرَ اللغويون لغتَه، والنَّحويون نحوَه، والفقهاءُ معانيَه، ويقولَ كلُّ واحد باجتهاده المبنيِّ على قوانينِ علم ونَظَر، فإنَّ القائلَ على هذه الصفة ليس قائلاً بمجرَّدِ رأيِه[٢].

قلتُ: هذا صحيحٌ. وهو الذي اختاره غيرُ واحد من العلماء، فإنَّ مَن قال فيه بما سَنَحَ في وَهمه، وخَطَر على باله، من غير استدلال عليه بالأصول، فهو مخطىءٌ، وإنَّ مَنِ استَنبَطَ معناه بحَملِهِ على الأصول المُحكَمَةِ المتَّفَقِ على معناها، فهو ممدوحٌ.

وقال بعضُ العلماء: إنَّ التفسيرَ موقوفٌ على السماع، لقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]. وهذا فاسدٌ، لأن النهيَ عن تفسير القرآن لا يَخلُو: إمَّا أن يكونَ المرادُ به الاقتصارَ على النقل والمسموع، وتَركَ الاستنباط، أو المرادُ به أمراً آخرَ. وباطلٌ أن يكونَ المرادُ به ألا يَتَكلَّمَ أحدٌ في القرآن إلا بما سَمِعَه، فإنَّ الصحابةَ رضي الله عنهم قد فسَّروا[٣] القرآنَ، واختلفوا في تفسيره على وجوه، وليس كلُّ ماقالوه سمعوه من النبيِّ ﷺ، فإنَّ النبيَّ ﷺ دعا لابن عباس، وقال: «اللَّهمَّ فَقِّهْهُ في الدِّينِ، وعَلِّمْهُ التأويلَ»[٤]. فإن كان التأويلُ مسموعا كالتنزيل، فما فائدةُ تخصيصه بذلك؟! وهذا بيِّنٌ لا إشكالَ فيه، وسيأتي لهذا مزيدُ بيان في سورة النساء إن شاء الله تعالى[٥].

وإنما النَّهيُ يُحمَلُ على أحدِ وجهين:

أحدهما: أن يكونَ له في الشيء رأيٌ، وإليه مَيلٌ من طبعه وهواه، فيتأوَّلَ القرآنَ على وَفقِ رأيِه وهواه، ليحتجَّ على تصحيح غرضه، ولو لم يكُن له ذلك الرأيُ والهوى، لكان لا يلوحُ له من القرآن ذلك المعنى.

---

(١) في (ظ): فيتبور.

(٢) المحرر الوجيز ١/ ٤١.

(٣) في (م): قرؤوا.

(٤) أخرجه البخاري (١٤٣) دون قوله: «وعلمه التأويل»، من حديث ابن عباس، وأخرجه مسلم من حديثه (٢٤٧٧) بلفظ: «اللهم فَقِّههُ»، وأخرجه بتمامه أحمد (٢٣٩٧).

(٥) في تفسير الآية المذكورة منها.

وهذا النوعُ يكون تارةً مع العلم، كالذي يحتجُّ ببعض آياتِ القرآنِ على تصحيح بِدعَتِه، وهو يعلمُ أن ليس المرادُ بالآية ذلك، ولكنَّ مقصودَه أن يَلبِسَ على خَصمِه. وتارة يكونُ مع الجهل، وذلك إذا كانت الآيةُ مُحتمِلة، فيميلُ فهمُه إلى الوجه الذي يوافقُ غَرَضَه، ويُرجِّحُ ذلك الجانبَ برأيه وهواه، فيكون قد فسَّر برأيه، أي رأيُه حملَه على ذلك التفسير، ولولا رأيُه لما كان يترجَّح عنده ذلك الوجهُ. وتارة يكون له غرضٌ صحيح، فيطلبُ له دليلاً من القرآن، ويستدلُّ عليه بما يَعلم أنه ما أُريد به، كمن يدعو إلى مجاهدة القلب القاسي، فيقول: قال الله تعالى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه: ٢٤] ويشير إلى قلبه، ويومىءُ إلى أنه المرادُ بفرعون.

وهذا الجنسُ قد يستعملُه بعضُ الوعَّاظ في المقاصد الصحيحة تحسيناً للكلام، وترغيباً للمستمع، وهو ممنوعٌ، لأنه قياسٌ في اللغة، وذلك غيرُ جائز. وقد تستعملُه الباطنيَّةُ في المقاصد الفاسدة، لتغرير الناس ودعوتهم إلى مذاهبهم الباطلة، فينزِّلون القرآنَ على وَفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعاً أنها غيرُ مُرادَة. فهذه الفنونُ أحدُ وَجهَي المنع من التفسير بالرأي.

الوجه الثاني: أن يتسارعَ إلى تفسير القرآنِ بظاهر العربية، من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلقُ بغرائب القرآن، وما فيه من الألفاظ المُبهَمَةِ والمُبدَلة، وما فيه من الاختصار، والحذفِ والإضمار، والتقديم والتأخير، فمن لم يُحكِم ظاهرَ التفسير، وبادرَ إلى استنباط المعاني بمجرَّد فَهمِ العربية، كَثُرَ غَلَطُه، ودخلَ في زُمرةِ مَن فَسَّر القرآنَ بالرأي.

والنقلُ والسماع لابُدَّ له منه في ظاهر التفسير أوَّلاً ليتَّقيَ به مواضعَ الغَلَط، ثم بعد ذلك يتَّسعُ الفهمُ والاستنباط.

والغرائبُ التي لا تُفهم إلا بالسماع كثيرةٌ، ولا مَطمَعَ في الوصول إلى الباطن قبلَ إحكام الظاهر، ألا ترى أنَّ قولَه تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ [الإسراء: ٥٩] معناه: آية مُبصِرَة، فظلموا أنفسَهم بقتلها. فالناظرُ إلى ظاهر العربية يظنُّ أنَّ المرادَ به أنَّ الناقةَ كانت مُبصِرة، ولا يدري بماذا ظلَمُوا، وأنهم ظلموا غيرَهم وأنفسَهم، فهذا من الحذف والإضمار. وأمثالُ هذا في القرآن كثيرٌ، وما عدا هذين الوجهين، فلا يتطرَّقُ النهيُ إليه. والله أعلم.

قال ابن عطية[١]: وكان جِلَّةٌ من السلف الصالح، كسعيد بن المسيب، وعامر الشعبيِّ، وغيرِهما، يُعظِّمون تفسيرَ القرآن، ويتوقَّفُون عنه تورُّعاً، واحتياطاً لأنفسهم، مع إدراكهم وتقدُّمهم.

قال أبو بكر الأنباريُّ: وقد كان الأئمةُ من السلف الماضي يتورَّعون عن تفسير المُشكِلِ من القرآن، فبعضٌ يُقَدِّرُ أنَّ الذي يُفسِّره لا يوافقُ مُرادَ الله عزَّ وجلَّ، فَيُحجِمُ عن القول. وبعضٌ يُشفِقُ من أن يُجعَلَ في التفسير إماماً يُبنَى على مذهبه، ويُقتفَى طريقُه، فلعلَّ متأخِّراً أن يُفسِّرَ حرفاً برأيه، ويُخطىءَ فيه، ويقولَ: إمامي في تفسير القرآن بالرأي فلانٌ الإمامُ من السَّلَف.

وعن ابن أبي مُلَيكَةَ قال: سُئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن تفسير حرف من القرآن، فقال: أيُّ سماءٍ تُظِلُّني، وأيُّ أرض تُقِلُّني، وأين أذهَبُ، وكيف أصنعُ، إذا قلتُ في حرف من كتاب الله بغير ما أرادَ تبارك وتعالى[٢].

قال ابنُ عطية: وكان جِلَّةٌ منَ السَّلَف كثيرٌ عددُهم يُفَسِّرون القرآنَ، وهم أبْقَوْا على المسلمين في ذلك رضي الله عنهم. فأما صَدرُ المفسِّرين والمؤيَّد فيهم، فعليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه، ويتلُوه عبدُ الله بنُ عباس، وهو تَجرَّدَ للأمر وكمَّله، وتَبِعَهُ[٣] العلماءُ عليه، كمجاهد، وسعيد بنِ جُبير، وغيرِهما. والمحفوظُ عنه في ذلك أكثرُ من المحفوظ عن عليٍّ. وقال ابنُ عباس: ما أخذتُ من تفسير القرآن، فعن عليِّ بن أبي طالب. وكان عليٌّ رضي الله عنه يُثنِي على تفسير ابنِ عباس، ويَحُضُّ على الأخذِ منه[٤]، وكان ابنُ مسعود[٥] يقول: نِعم تَرجَمانُ القرآنِ عبدُ الله بنُ عباس[٦]. وقال عنه عليٌّ رضي الله عنه: ابنُ عباس؛ كأنما ينظرُ إلى الغَيب من سِتر رقيق.

---

(١) المحرر الوجيز ١/ ٤١.

(٢) أورده البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٧٩)، وهو منقطع. ابن أبي مُليكة ـ وهو عبد الله بن عبيد الله ـ ليس له رواية عن أبي بكر.

(٣) في (د): وتفقه.

(٤) في (م): عنه.

(٥) في (م): ابن عباس، وهو خطأ.

(٦) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢/ ٣٦٦، والطبري في تهذيب الآثار (٢٦٨) (مسند ابن عباس).

ويتلوه عبدُ الله بنُ مسعود، وأُبَيُّ بنُ كَعب، وزيدُ بنُ ثابت، وعبدُ الله بنُ عَمرو بنِ العاص. وكلُّ ما أُخِذَ عن الصحابة، فَحَسنٌ مقدَّمٌ(١)، لشهودهم التنزيلَ، ونزولِهِ بلغتهم.

وعن عامر بن واثلةَ(٢) قال: شَهِدتُ عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه يخطُبُ، فسمعتُه يقولُ في خُطبته: سلوني، فوالله، لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتُكم به، سلُوني عن كتاب الله، فوالله، ما من آية إلا أنا أعلمُ أبِلَيلٍ نزلَت أم بنهار، أم في سَهلٍ نزلَت أم في جَبَل، فقامَ إليه ابنُ الكَوَّاء، فقال: يا أميرَ المؤمنين، ما الذَّاريات ذَرْواً؟ وذكر الحديث(٣).

وعن المِنهال بن عمرو قال: قال عبدُ الله بنُ مسعود: لو أعلمُ أحداً أعلمَ بكتاب الله مني تَبلُغه المَطِيُّ، لأتيتُه، فقال له رجلٌ: أما لَقِيتَ عليَّ بنَ أبي طالب؟ فقال: بلى، قد لَقِيتُه(٤).

وعن مسروق قال: وجدتُ أصحابَ محمد ﷺ مِثلَ الإخاذ: يُروِي الواحدَ، والإخاذُ يُروِي الاثنين، والإخاذُ لو وردَ عليه الناسُ أجمعون لأصْدَرَهم، وإنَّ عبدَ الله بنَ مسعود من تلك الإخاذ(٥). ذكر هذه المناقبَ أبو بكر الأنباريُّ في كتاب «الرَّدّ»، وقال: الإخاذُ عند العرب: الموضع الذي يَحبِسُ الماءَ، كالغدير.

---

(١) المحرر الوجيز ١/ ٤١.

(٢) هو أبو الطفيل الليثي، الكناني، الحجازي، آخر من رأى النبي ﷺ في حجة الوداع، توفي بمكة سنة (١١٠هـ). السير ٣/ ٤٦٧.

(٣) أخرجه بتمامه ومختصراً عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٢٤١، وابن سعد في الطبقات ٢/ ٣٣٨، والطبري في التفسير ٢١/ ٤٨١، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧، والضياء المقدسي في المختارة ٢/ ١٧٦. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. ابن الكوَّاء: هو عبد الله؛ قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان ٣/ ٣٢٩: له أخبار كثيرة مع علي، وكان يلزمه ويُعييه في الأسئلة، وقد رجع عن مذهب الخوارج، وعاود صحبة علي.

(٤) قوله: عن المنهال بن عمرو قال: قال عبد الله، فيه نظر، فقد ذكر ابن سعد الخبر في الطبقات ٦/ ٢٠٢ وقال: المنهال، وليس بابن عمرو، سمع عبد الله يقول: لو أن أحداً أعلم... فذكره. والمنهال بن عمرو، من رجال البخاري وأصحاب السنن، وروايته عن كبار التابعين. وقد أخرج الخبر بأتم منه البخاري (٥٠٠٢)، ومسلم (٢٤٦٣) من طريق مسروق، عن عبد الله، دون ذكر الرجل.

(٥) قال ابن الأثير في النهاية: جمعهُ أُخُذ، مثل كتاب وكتب، وقيل: هو جمع الإخاذة. قال: يعني أن فيهم الصغير والكبير، والعالم والأعلم.

قال أبو بكر: حدثنا أحمدُ بنُ الهيثم بن خالد، حدثنا أحمدُ بنُ عبد الله بن يونس، حدثنا سلَّام، عن زيدِ العَمِّي، عن أبي الصدِّيق الناجي، عن أبي سعيد الخُدريِّ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أرحمُ أمتي بها أبو بكر، وأقواهم في دين الله عمرُ، وأصدقُهم حياءً عثمانُ، وأقضاهم عليٌّ، وأفرضُهم زيدٌ، وأقرؤهم لكتاب الله عزّ وجلّ أُبَيُّ بن كعب، وأعلمُهم بالحلال والحرام معاذُ بن جَبَل، وأمينُ هذه الأمة أبو عبيدةَ بنُ الجرَّاح، وأبو هريرةَ وِعاءٌ من العلم، وسلمانُ بحرٌ من علم لا يُدرَك، وما أظَلَّتِ الخَضْراءُ، ولا أقلَّتِ الغَبْراءُ ـ أو قال: البطحاء ـ من ذي لَهجَة أصدَقَ من أبي ذرٍّ»(١).

قال ابن عطية: ومن المبرِّزين في التابعين: الحسنُ البصريُّ، ومجاهدٌ، وسعيدُ بنُ جُبير، وعَلقَمَةُ. قرأ مجاهدٌ على ابنِ عباس قراءةَ تَفَهُّمٍ، ووقوفٍ عند كلِّ آية. ويتلوهم عِكرمةُ، والضَّحَّاكُ، وإن كان لم يلقَ ابنَ عباس، وإنما أخَذَ عن ابنِ جُبير. وأما السُّدِّي(٢)، فكان عامرٌ الشَّعبِيُّ يَطعُنُ عليه، وعلى أبي صالح، لأنه كان يراهما مُقَصِّرَيْنِ في النَّظَر(٣).

---

(١) في هذا الحديث تفصيل، فإن إسناده ضعيف جدا. سلَّام ـ وهو ابنُ سَلْم الطويل ـ متروك الحديث، وزيد العَمِّي ضعيف. وقد أخرجه العقيلي في «الضعفاء الكبير» ٢/ ١٥٩ من طريق سلام بالإسناد الذي أورده المصنف. وقوله منه: «أرحم أمتي بها أبو بكر...» إلى قوله: «وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»: أخرجه أحمد (١٢٩٠٤)، والترمذي (٣٧٩١) (دون قوله: وأقضاهم علي)، وابن ماجه (١٥٤) (١٥٥) من حديث أنس بن مالك. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.
وقوله منه: «وما أظلَّت الخضراء...»: أخرجه أحمد (٦٥١٩)، والترمذي (٣٨٠١) وحسَّنه، وابن ماجه (١٥٦) من حديث عبد الله بن عمرو، وأخرجه أيضاً أحمد (٢١٧٢٦) و(٢٧٤٩٣) من حديث أبي الدرداء. وأما قوله: «وأبو هريرة وعاء من العلم، وسلمانُ بحر من علم لا يُدرك» فضعيف.
وقد أخرج البخاري (٢٧٤٤)، ومسلم (٢٤١٩) من حديث أنس مرفوعاً: «إنَّ لكل أمة أميناً، وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح». وانظر ما ذكره البيهقي في السنن ٦/ ٢١٠، والحافظ ابن حجر في الفتح ٧/ ٩٣ حول وصل الحديث وإرساله. وقد أخرج البخاري (٤٤٨١) عن ابن عباس قال: قال عمر رضي الله عنه: أقرؤنا أُبيّ، وأقضانا علي.

(٢) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة، أبو محمد الحجازي، وهو السُّدِّي الكبير، المفسِّر، مات سنة (١٢٧هـ) السير ٥/ ٢٦٤.

(٣) المحرَّر الوجيز ١/ ٢٤. أبو صالح: هو باذام ـ ويقال: باذان ـ مولى أم هانئ بنت أبي طالب.

قلتُ: وقال يحيى بن مَعِين[(١)]: الكَلبيُّ[(٢)] ليس بشيء. وعن يحيى بن سعيد القَطَّان[(٣)]، عن سفيانَ قال: قال الكلبيُّ: قال أبو صالح: كلُّ ما حدَّثتُك كَذِبٌ. وقال حَبِيبُ بنُ أبي ثابت: كنا نسميه الدرُوغزَن[(٤)]. يعني أبا صالح مولى أمِّ هانيء. والدرُوغزَن: هو الكذابُ بلغة الفُرس.

ثم حمل تفسيرَ كتاب الله تعالى عدولُ كلِّ خَلَف، كما قال ﷺ: «يَحمِلُ هذا العِلمَ مِن كُلِّ خَلَف عُدُولُه، يَنفُونَ عنه تَحرِيفَ الغالِين، وانْتِحالَ المُبْطِلِين، وتأويلَ الجاهلين». خرَّجه أبو عمر وغيره[(٥)].

قال الخطيبُ أبو بكر أحمدُ بن علي البغدادي[(٦)]: وهذه شهادةٌ من رسول الله ﷺ بأنهم أعلامُ الدِّين، وأئمةُ المسلمين، لحفظهم الشريعةَ من التحريفِ، والانتحالِ للباطل، وردِّ تأويل الأبلَهِ الجاهلِ، وأنه يجبُ الرجوعُ إليهم، والمعوَّلَ في أمر الدِّين عليهم، رضي الله عنهم.

قال ابن عطية: وألَّفَ الناسُ فيه، كعبدِ الرزاق[(٧)]، والمُفَضَّل[(٨)]، وعليِّ بن أبي طلحة[(٩)]،

---

(١) أبو زكريا، البغدادي، الحافظ، المجتهد، مات في طريق الحج سنة (٢٣٣هـ). السير ١١/ ٧١.

(٢) محمد بن السائب بن بشر، أبو النضر الكوفي، النسَّابة المفسر. قال ابن عدي في الكامل: رضُوه في التفسير، وأما في الحديث ففيه مناكير.

(٣) التميمي البصري، أمير المؤمنين في الحديث، مات سنة (١٩٨هـ). السير ٩/ ١٧٥.

(٤) في (ظ): الدروغي. وهي نسبة إلى دروغ، بالفارسية، وتعني الكذب، ولم تجود اللفظة في (د) و(ز)، والمثبت من (م).

(٥) أخرجه أبو عمر بن عبد البر في التمهيد ١/ ٥٩، والخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث ص١١ و٢٩ من حديث أبي هريرة وغيره، ونقل الخطيب البغدادي تصحيحه عن الإمام أحمد.

(٦) صاحبُ تاريخ بغداد وغيره من التصانيف، التي بلغَ عددُها ستة وخمسين مصنفاً. توفي سنة (٤٦٣هـ). سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٧٠.

(٧) هو ابنُ همَّام، أبو بكر الصنعاني، صاحب المصنف، توفي سنة (٢١١هـ). ذكره الداودي في طبقات المفسرين ١/ ٢٩٦، وترجمته في سير أعلام النبلاء ٩/ ٥٦٣.

(٨) هو ابنُ سَلَمة، أبو طالب، توفي بعد التسعين ومئتين، ذكره الداودي في طبقات المفسرين ٢/ ٣٢٨، وله ترجمة في السير ١٤/ ٣٦٢.

(٩) قال الحافظ ابن حجر في ترجمته في تهذيب التهذيب: روى عن ابن عباس، ولم يسمع منه، وقال: نقل البخاري من تفسيره رواية معاوية بن صالح، عنه، عن ابن عباس شيئاً كثيراً في التراجم وغيرها، ولكنه لا يسميه. مات سنة (١٤٣هـ).

والبخاري، وغيرهم. ثم إنَّ محمد بنَ جَرِير رحمه الله، جَمَعَ على الناس أشتاتَ التفسير، وقَرَّبَ البعيدَ منها، وشَفَى في الإسناد. ومن المُبَرِّزين من المتأخرين أبو إسحاق الزَّجَّاج[(١)]، وأبو عليٍّ الفارسيُّ[(٢)]. وأما أبو بكر النقَّاشُ[(٣)]، وأبو جعفر النحاسُ[(٤)]، فكثيراً ما استدركَ الناسُ عليهما. وعلى سَنَنِهما مكيُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه. وأبو العباس المَهدَوِيّ[(٥)] متقنُ التأليف، وكلُّهم مجتهدٌ مأجورٌ، رحمهم الله، ونَضَّرَ وجوهَهم[(٦)].

باب تبيين الكتاب بالسنة، وما جاء في ذلك

قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]. وفَرَضَ طاعتَه في غير آية من كتابه، وقَرَنَها بطاعته عزَّ وجلَّ، فقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

ذكر ابنُ عبد البَرِّ في كتاب «العلم» له، عن عبد الرحمن بن يزيد[(٧)]: أنه رأى مُحْرِماً عليه ثيابُه، فنهى المُحرِمَ، فقال: ايتني بآية من كتاب الله تَنزِعُ ثيابي، قال:

---

(١) إبراهيم بن محمد بن السري البغدادي، النحوي، صاحب التصانيف، منها معاني القرآن. مات سنة (٣١١هـ)، ذكره الداودي في طبقات المفسرين ١/٧، وترجمته في السير ١٤/ ٣٦٠.

(٢) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، صاحب الحجة وغيره من التصانيف، مات سنة (٣٧٧هـ). السير ٣٧٩/١٦.

(٣) محمد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلي، له شفاء الصدور في التفسير، مات سنة (٣٥١هـ)، ذكره الداودي في طبقات المفسرين ٢/ ١٣١.

(٤) أحمد بن محمد بن إسماعيل المصري النحوي، صاحب إعراب القرآن وغيره من التصانيف، مات سنة (٣٣٨هـ)، أورده الداودي في طبقات المفسرين ١/ ٦٨، وله ترجمة في السير ١٥/ ٤٠١.

(٥) أحمد بن عمار المهدوي، نسبة إلى المهدية بالمغرب، توفي بعد (٤٣٠هـ). ذكره الداودي في طبقات المفسرين ١/ ٥٢.

(٦) المحرر الوجيز ١/ ٤٢.

(٧) النخعي، الفقيه، حدث عن عمر وعثمان، وثقه ابن معين، مات بعدالثمانين وقد شاخ. السير ٤/ ٧٨.

فقرأ عليه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾. وعن هشام بنِ حُجَير[(١)] قال: كان طاوسٌ[(٢)] يُصَلِّي ركعتين بعدَ العصر، فقال ابنُ عباس: اترُكهُما، فقال: إنما نهى عنهما أنْ تُتَّخذا سنة، فقال ابن عباس: قد نهى رسولُ الله ﷺ عن صلاة بعدَ العصر، فلا أدري، أتُعَذَّبُ عليهما[(٣)] أم تُؤجَرُ؟ لأن الله تعالى قال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦][(٤)].

وروى أبو داودَ، عن المِقدام بن مَعدِي كَرِب[(٥)]، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا وإني قد أُوتِيتُ الكتابَ ومثلَه مَعَه، ألا يُوشِكُ رجلٌ شَبعانُ على أرِيكَتِهِ يقول: عليكُم بهذا القرآن، فما وَجَدتُم فيه من حلالٍ، فأحِلُّوه، وما وَجَدتُم فيه من حرام، فحَرِّمُوه، ألا لا يَحِلُّ لكم[(٦)] الحمارُ الأهليُّ، ولا كُلُّ ذي ناب من السِّباع، ولا لُقَطَةُ معاهَد إلا أن يَستغنيَ عنها صاحبُها، ومَن نَزَلَ بقوم فعليهم أن يَقرُوه، فإن لم يَقرُوه، فله أن يُعقِبَهم بمثلِ قِراهُ»[(٧)].

قال الخطابي[(٨)]: قوله: «أُوتيتُ الكتابَ ومثلَه معه»: يَحتَمِلُ وجهَين من التأويل:

أحدُهما: أن معناه: أنه أُوتِيَ من الوَحي الباطنِ غيرِ المتلوِّ مثلَ ما أُعطيَ من الظاهر المتلوِّ.

والثاني: أنه أُوتِيَ الكتابَ وَحياً يُتلَى، وأُوتِيَ من البيانِ مثلَه، أي: أُذِنَ له أن يُبَيِّنَ ما في الكتاب، فيَعُمَّ ويَخُصَّ، ويزيدَ عليه، ويُشَرِّعَ ما [ليس له] في الكتاب [ذكرٌ]، فيكونَ [ذلك] في وجوب العمل به، ولزوم قبوله، كالظاهر المتلوِّ من القرآن.

---

(١) المكي، ضعّفه جماعة، وقوّاه آخرون، وروى له البخاري ومسلم. تهذيب التهذيب ٤/ ٢٦٧.
(٢) ابن كيسان، أبو عبد الرحمن الفارسي، ثم اليمني، الحافظ، الفقيه، مات سنة (١٠٦هـ). السير ٥/ ٣٨.
(٣) في (ظ): عليها.
(٤) جامع بيان العلم ص٤٩٢.
(٥) الصحابي، يكنى أبا كريمة، وقيل غير ذلك، نزيل حمص، توفي سنة (٨٧هـ). السير ٣/ ٤٢٨.
(٦) في (د): لكم أكل.
(٧) سنن أبي داود (٤٦٠٤)، وأخرجه أيضاً أحمد في المسند(١٧١٧٤).
(٨) في معالم السنن ٤/ ٢٩٨، وما بين حاصرتين منه.

وقوله: «يُوشِكُ رجلٌ شبعانُ» الحديث. يُحَذِّرُ بهذا القول من مخالفة السُّنن التي سَنَّها[١] مما ليس له في القرآن ذِكر، على ما ذهبت إليه الخوارجُ والروافضُ، فإنهم تعلَّقوا بظاهرِ القرآن، وتركوا السننَ التي قد ضَمَّنَت بيانَ الكتاب. قال: فتحيَّروا وضلُّوا. قال: والأريكةُ: السرير، ويقال: إنه لا يُسَمَّى أريكةً حتى يكون في حَجَلة[٢]. قال: وإنما أرادَ بالأريكة[٣] أصحابَ التَّرفُّهِ والدَّعَةِ، الذين لزموا البيوت، ولم يطلبوا العِلمَ من مظانِّه.

وقوله: «إلا أن يستغنيَ عنها صاحبُها» معناه: أن يتركَها صاحبُها لمن أخَذَها؛ استغناءً عنها، كقوله: ﴿فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُۚ﴾ [التغابن: ٦]. معناه: تركَهم الله استغناءً عنهم.

وقوله: «فله أن يُعْقِبَهُم بمثل قِراهُ». هذا في حال المضطرِّ الذي لا يجد طعاماً، ويخافُ التَّلَفَ على نفسه، فله أن يأخذَ من مالهم بِقَدرِ قِراه عِوَضَ ما حَرَمُوه من قِراه. و«يُعقِبُهم» يُروى مُشدَّداً ومُخفَّفاً، من المعاقبة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ [النحل: ١٢٦] أي: فكانت الغلبةُ لكم، فغنمتُم منهم، وكذلك لهذا أن يغنمَ من أموالهم بقَدرِ قِراه[٤].

قال: وفي الحديث دَلالةٌ على أنه لا حاجةَ بالحديث إلى أن يُعرضَ على الكتاب، فإنه مهما ثبتَ عن رسول الله ﷺ كان حجةً بنفسه. قال: فأما ما رواه بعضُهم أنه قال: «إذا جاءكم الحديثُ، فاعْرِضُوه على كتاب الله، فإن وافقَه، فخذُوه، وإن لم يُوافقه، فرُدُّوه»، فإنه حديثٌ باطلٌ، لا أصلَ له[٥].

---

(١) في (د): بيّنها.

(٢) في مختار الصحاح: الحَجَلة ـ بفتحتين ـ واحدة حِجال العروس، وهي بيت يُزَيَّنُ بالثياب والأسرَّة والستور.

(٣) في معالم السنن ٤/٢٩٨: وإنما أراد بهذه الصفة. وهو الأشبه.

(٤) من قوله: ويعقبهم يروى مشددا ومخففا، إلى هذا الموضع، ليس في المعالم.

(٥) إلى هذا الموضع من كلام الخطابي في المعالم، ونقل بعده عن ابن معين قوله: هذا حديث وضعته الزنادقة. اهـ وقال الشافعي في الرسالة (٦١٨): ما روى هذا أحدٌ يثبت حديثُه في شيء صغر ولا كبر، وقال ابن عبد البر في جامع بيان العلم ص٤٩٥: هذه الألفاظ لا تصح عنه ﷺ عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه، ونقل عن عبد الرحمن بن مهدي قوله: الزنادقة والخوارج وضعوا ذلك الحديث.

ثم البيانُ منه ﷺ على ضربين: بيانٌ لمُجمَل في الكتاب، كبيانه للصَّلوات الخمس، في مواقيتها، وسجودِها وركوعِها، وسائرِ أحكامِها، وكبيانه لمقدار الزكاة ووقتِها، وما الَّذي تُؤخَذُ منه من الأموال، وبيانِه لمناسِك الحجِّ؛ قال ﷺ إذ حَجَّ بالناس: «خُذُوا عَنِّي مَناسِكَكُم»[(١)]. وقال: «صلُّوا كما رأيتُموني أصلِّي». أخرجه البخاريُّ[(٢)].

وروى ابنُ المبارك، عن عِمرانَ بن حُصَين أنه قال لرجل: إنكَ امرؤٌ[(٣)] أحمقُ، أتجد الظُّهر في كتاب الله أربعاً، لا يُجهر فيها بالقراءة؟! ثم عدَّدَ عليه الصلاةَ والزكاةَ، ونحوَ هذا، ثم قال: أتجدُ هذا في كتاب الله مفسَّراً؟! إنَّ كتابَ الله تعالى أَبهَمَ هذا، وإن السُّنةَ تفسِّر هذا.

وروى الأوزاعيُّ[(٤)]، عن حسانَ بن عطيَّةَ[(٥)] قال: كان الوحيُ ينزلُ على رسول الله ﷺ، ويحضرُه جبريلُ بالسُّنَّة التي تفسِّرُ ذلك.

وروى سعيدُ بنُ منصور[(٦)]: حدثنا عيسى بنُ يونُس، عن الأوزاعيِّ، عن مكحول قال: القرآنُ أحوجُ إلى السُّنَّة من السُّنَّة إلى القرآن.

وبه عن الأوزاعيِّ، قال: قال يحيى بنُ أبي كثير[(٧)]: السُّنةُ قاضيةٌ على الكتاب، وليس الكتاب بقاضٍ على السُّنَّة. قال الفضلُ بنُ زياد[(٨)]: سمعتُ أبا عبد الله ـ يعني أحمدَ بن حَنبل ـ وسُئلَ عن هذا الحديث الذي رُوي أن السُّنَّةَ قاضيةٌ على الكتاب،

---

(١) من قوله: ثم البيان منه ﷺ على ضربين... إلى هذا الموضع، من كلام ابن عبد البر في جامع بيان العلم ص٤٩٤ ـ ٤٩٥. والحديث أخرجه أحمد في المسند (١٤٤١٩)، ومسلم (١٢٩٧) من حديث جابر بلفظ: «لتأخذوا مناسككم»، وأخرجه باللفظ الذي أورده المصنف البيهقيُّ في السنن ٥/ ١٢٥، وابن عبد البر في التمهيد ٧/ ٢٧٢.

(٢) صحيح البخاري (٦٣١) من حديث مالك بن الحويرث، وهو في المسند (٢٠٥٣٠).

(٣) في (م): رجل.

(٤) عبد الرحمن بن عمرو، أبو عمرو، عالم أهل الشام، مات سنة (١٥٧هـ). السير ٧/ ١٠٧.

(٥) المحاربي، مولاهم، الدمشقي، الفقيه العابد، مات بعد سنة (١٢٠هـ). السير ٥/ ٤٦٦.

(٦) أبو عثمان الخراساني، أحد أئمة الحديث، له كتاب السنن، توفي سنة (٢٢٧هـ). السير ١٠/ ٥٨٦.

(٧) أبو نصر الطائي، مولاهم، اليمامي، الحافظ، توفي سنة (١٢٩هـ). السير ٦/ ٢٧.

(٨) أبو العباس القطان، البغدادي، من أصحاب الإمام أحمد، وله عنه مسائل جياد. طبقات الحنابلة للنابلسي ص١٨٥.

فقال: ما أجسُرُ على هذا أن أقولَه، ولكنّي أقول: إن السُّنَّةَ تُفسِّرُ الكتاب وتُبيِّنُه[١].

وبيانٌ آخرُ: وهو زيادةٌ على حكم الكتاب، كتحريم نكاحِ المرأةِ على عَمَّتها وخالتها، وتحريمِ الحُمُرِ الأهليَّة، وكلِّ ذي ناب من السِّباع، والقضاءِ باليمين مع الشاهِد، وغير ذلك، على ما يأتي بيانُه إن شاء الله تعالى.

باب كيفية التعلُّم والفِقهِ بكتاب اللهِ تعالى، وسنَّةِ نبيِّهِ ﷺ، وما جاء أنَّه سَهُلَ على مَن تَقدَّمَ العملُ به دونَ حفظِه

ذكر أبو عَمرو الدَّاني[٢] في كتاب «البيان» له بإسناده، عن عثمانَ وابنِ مسعود وأُبَيٍّ، أنَّ رسول الله ﷺ كان يُقرِئُهم العَشر، فلا يُجاوِزُونها إلى عَشر أخرى حتى يَتَعَلَّموا ما فيها من العمل، فيعلِّمُنا[٣] القرآنَ والعمَلَ جميعاً[٤].

وذكر عبدُ الرزَّاق، عن مَعمَر، عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السُّلَميِّ قال: كنا إذا تَعلَّمنا عَشرَ آياتٍ مِنَ القُرآن، لم نتعلَّم العَشرَ التي بعدَها حتى نعرفَ حلالَهاوحرامَها، وأمْرَها ونَهْيَها[٥].

وفي «موطأ» مالك: أنه بلغَه أنَّ عبدَ الله بنَ عمر مكثَ على سورة البقرة ثماني سنينَ يتعلَّمُها[٦].

وذكر أبو بكر أحمدُ بنُ عليٍّ بن ثابت الحافظُ[٧] في كتابه المسمى[٨]: «أسماء مَن

(١) من قوله: وروى ابن المبارك عن عمران بن حصين... إلى هذا الموضع، من كلام ابن عبد البر في جامع بيان العلم ص٤٩٥ ـ ٤٩٦.

(٢) هو عثمان بن سعيد بن عثمان الأموي مولاهم، الأندلسي، ثم القرطبي ثم الداني، إليه المنتهى في تحرير علم القراءات، مصنف التيسير وجامع البيان وغير ذلك. توفي سنة (٤٤٤هـ). السير ١٨/ ٧٧.

(٣) في (ز) و(ظ): فتعلمنا.

(٤) أخرج الحاكم في المستدرك ١/ ٥٥٧، والبيهقي في شعب الإيمان (١٩٥٣) عن ابن مسعود قال: كنا إذا تعلمنا من النبي ﷺ عشر آيات من القرآن لم نتعلم من العشر التي أنزلت بعدها حتى نتعلم مافيه. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٥) مصنف عبد الرزاق (٦٠٢٧).

(٦) الموطأ١/ ٢٠٥.

(٧) هو الخطيب البغدادي، وكتابه المذكور «الرواة عن مالك» ذكره الذهبي في السير ١٨/ ٢٩٠.

(٨) في النسخ الخطية: المسمى في ذكر، والمثبت من (م).

رَوى عن مالك»: عن مِرْدَاس بنِ محمد أبي بلال الأشعريِّ[١] قال: حدثنا مالكٌ، عن نافع، عن ابن عمرَ قال: تَعَلَّمَ عُمرُ البقرةَ في اثنتي عشرةَ سنة، فلما ختمَها، نَحَر جَزُوراً[٢].

وذكر أبو بكر الأنباريُّ: حدثني محمدُ بنُ شَهْرَيار، حدثنا حسينُ بنُ الأسود[٣]، حدثنا عُبيد الله بنُ موسى، عن زياد بن أبي مسلم أبي عمر[٤]، عن زياد بن مِخراق قال: قال عبدُ الله بنُ مسعود: إنَّا صَعُبَ علينا حفظُ القرآن[٥]، وسَهُلَ علينا العملُ به، وإنَّ مَن بَعدَنا يَسهُلُ عليهم حِفْظُ القرآن، ويَصعُبُ عليهم العملُ به.

حدثنا إبراهيمُ بنُ موسى، حدثنا يوسفُ بنُ موسى، حدثنا الفَضْلُ بنُ دُكَيْن، حدثنا إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ بن المهاجر، عن أبيه، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: كان الفاضلُ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ في صدر هذه الأمة لا يحفظُ من القرآن إلا السورةَ، أو نحوَها، ورُزِقُوا العملَ بالقرآن، وإنَّ آخِرَ هذه الأمةِ يقرؤونَ القرآنَ، منهم الصبيُّ والأعجمي[٦]، ولا يُرزَقونَ العملَ به[٧].

حدثني حسنُ بنُ عبد الوهَّاب أبو محمد بن أبي العنبر، حدثنا أبو بكر بنُ حماد المقرىءُ، قال: سمعتُ خَلَفَ بنَ هشام البزَّار يقول: ما أظنُّ القرآنَ إلا عاريَّةً في أيدينا، وذلك أنا روينا أن عمرَ بنَ الخطاب حفظَ البقرةَ في بضعَ عَشْرةَ سنة، فلما حَفِظَها، نَحَرَ جَزُوراً شكراً لله، وإن الغلامَ في دهرنا هذا يجلسُ بين يديَّ، فيقرأُ ثُلُثَ القرآن، لا يُسقِطُ منه حرفاً، فما أحسبُ القرآنَ إلا عاريَّةً في أيدينا.

---

(١) ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ٤/٥٠٧ وقال: ضعفه الدارقطني.
(٢) وأخرجه أيضاً البيهقي في شعب الإيمان (١٩٥٧).
(٣) هو الحسين بن علي بن الأسود، نسبه إلى جدّه. قال الحافظ في التقريب: صدوق يخطىء كثيراً.
(٤) في النسخ و(م): أبي عمرو، والتصويب من تهذيب الكمال، وهو زياد بن مسلم أو ابن أبي مسلم أبو عُمر الفراء البصري، صدوق فيه لين.
(٥) في (م): ألفاظ القرآن.
(٦) في (م): والأعمى.
(٧) وأخرجه الآجري في أخلاق حملة القرآن (٣٥). إسماعيل بن إبراهيم بن المهاجر وأبوه ضعيفان.

وقال أهلُ العلم بالحديث: لا ينبغي لطالب الحديث أن يقتصرَ على سماع الحديث وكَتبِه، دونَ معرفتِه وفَهمِه، فيكون قد أتعبَ نفسَه من غير أن يظفَرَ بطائل، وليكُن تَحفُّظه للحديث على التدريج، قليلاً قليلاً مع الليالي والأيام.

وممن وردَ عنه ذلك من حفَّاظ الحديث: شعبةُ، وابنُ عُلَيَّةَ(١)، ومَعمَرٌ(٢). قال مَعمَرٌ: سمعتُ الزُّهريَّ(٣) يقولُ: مَن طَلَبَ العِلمَ جُملةً، فاتَهُ جُملةً، وإنما يُدرَكُ العلمُ حديثاً وحديثين(٤)، والله أعلم.

وقال معاذُ بنُ جَبَل: اعلموا ماشئتُم أن تعلموا، فلن يأجُرَكم الله بعلمه حتَّى تعمَلوا(٥).

وقال ابنُ عبد البَرّ: ورُويَ عن النبيِّ ﷺ مثلُ قولِ معاذ من رواية عبَّاد بن عبد الصمد [عن أنس]. وفيه زيادة: إن العلماءَ هِمَّتُهم الدِّرايةُ(٦)، وإن السفهاءَ هِمَّتُهم الرِّوايةُ. ورُوِي موقوفاً، وهو أولى من رواية من رواه مرفوعاً، وعبَّادُ بنُ عبد الصمد ليس ممن يُحتجُّ به(٧).

ولقد أحسنَ القائلُ في نظمه في فضل العلم، وشرفِ الكتابِ العزيز والسُّنة الغرَّاء فقال(٨):

إنَّ العلومَ وإن جَلَّتْ مَحاسنُها ... فتاجُها ما به الإيمانُ قد وَجَبا
هو الكتابُ العزيزُ اللهُ يَحفَظُهُ ... وبعدَ ذلك عِلمٌ فَرَّجَ الكُرَبا

---

(١) هو إسماعيل بن إبراهيم، أبو بشر الكوفي، الحافظ، وعُلَيَّة أمه. مات سنة (١٩٣هـ). السير ٩/ ١٠٧.

(٢) ابن راشد، أبو عروة، الأزدي، نزيل اليمن، الحافظ، توفي سنة (١٥٣هـ) السير ٧/ ٥.

(٣) هو محمد بن مسلم بن شهاب، أبو بكر القرشي، حافظ زمانه، توفي سنة (١٢٤هـ) السير ٥/ ٣٢٦.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي (٤٤٩).. (٤٥٣)، وجامع بيان العلم ص ١٣٨.

(٥) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٦٢)، والدارمي (٢٦٠)، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٢٣٦، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ص٢٤٤.

(٦) في جامع بيان العلم ص٢٤٥: الوعاية.

(٧) جامع بيان العلم ص ٢٤٥، وما بين حاصرتين زيادة منه. عباد بن عبد الصمد؛ قال الذهبي في ميزان الاعتدال ٢/ ٣٦٩: واه، ونقل عن الشافعي قوله فيه: منكر الحديث، وذكر عن ابن حبان أن له عن أنس نسخة أكثرُها موضوعة.

(٨) قوله: فقال، من (ظ).

فذاك فاعلَم حديثَ المصطفى فَبِهِ ... نورُ النبوّةِ سَنَّ الشَّرعَ والأدَبا
وبعدَ هذا علومٌ لا انتهاءَ لها ... فاختَر لنفسك يامَن آثَرَ الطَّلَبا
فالعلمُ كَنزٌ تَجِده في مَعادِنِه ... ياأيها الطالبُ ابحَث وانظُرِ الكُتُبا
واتلُ بفهمِ كتابَ الله فيه أتَت ... كلُّ العلومِ تَدَبَّرْه تَرَ العَجَبا
واقرأ هُدِيتَ حديثَ المصطفى وَسَلَنْ[١] ... مولاكَ ماتَشتَهي يقضي لك الأَرَبا
مَن ذَاقَ طَعماً لِعِلمِ الدِّينِ سُرَّ به ... إذا تَزَيَّدَ منه قالَ واطَرَبا

باب معنى قولِ النبيِّ ﷺ:
«إنَّ هذا القُرآنَ أُنزِلَ على سَبعَةِ أحرُف، فاقرَؤوا ماتَيَسَّرَ منه»

رَوَى مسلمٌ عن أُبيِّ بنِ كَعب، أن النبيَّ ﷺ كان عند أَضاةِ بني غِفار، فأتاهُ جبريلُ عليه السلام، فقال: إنَّ اللهَ يَأمُرُكَ أن تَقرَأَ أُمَّتُكَ القرآنَ على حَرف، فقال: «أسألُ اللهَ مُعافَاتَه ومَغفِرَتَهُ، وإنَّ أمَّتي لا تُطِيقُ ذلك». ثم أتاه الثانيةَ، فقال: إنَّ اللهَ يأمُرُكَ أن تَقرَأَ أُمَّتُكَ القُرآنَ على حَرفَينِ، فقال: «أسألُ اللهَ مُعافاتَه ومَغفِرَتَهُ، وإنَّ أمَّتي لا تُطِيقُ ذلك». ثم جاءَه الثالثةَ، فقال: إن الله يأمُرُكَ أن تَقرَأَ أُمَّتُك القُرآنَ على ثلاثة أحرف، فقال: «أسألُ الله معافاتَه ومَغفِرَتَهُ، وإنَّ أُمَّتي لا تُطيقُ ذلك». ثم جاءَه الرابعة، فقال: إن الله يأمُرُكَ أن تَقرَأَ أُمَّتُكَ القُرآنَ على سَبعَةِ أحرُف، فأَيُّما حَرف قرؤوا عليه، فقد أصابوا[٢].

وروى الترمذيُّ عنه، قال: لَقِيَ رسولُ الله ﷺ جبريلَ، فقال: «ياجِبرِيلُ، إني بُعِثتُ إلى أمَّة أُمِّيَّة، منهم العجوزُ، والشيخُ الكبيرُ، والغُلامُ، والجاريةُ، والرجلُ الذي لا يقرأُ كتاباً قطُّ، فقال لي: يامحمدُ، إنَّ القرآنَ أُنزلَ على سبعة أحرف». قال: هذا حديثٌ حسن صحيحٌ[٣].

وثبتَ في الأُمهات: البخاريِّ، ومسلم، والموطأ، وأبي داود، والنسائي،

(١) في (ز): ثم سل.

(٢) صحيح مسلم (٨٢١)، وهو في مسند أحمد (٢١١٧٢). قوله: أضاة بني غِفار؛ قال ابن الأثير في النهاية (آض): الأضاة بوزن الحصاة: الغدير، وجمعها أَضًى وإضاء، كأَكَم وإكام.

(٣) سنن الترمذي (٢٩٤٤). ولفظة «حسن» ليست في (م).

وغيرها من المصنَّفات والمسنَدات، قصةُ عمرَ مع هشام بنِ حَكِيم[١]، وسيأتي بكماله في آخر الباب مبيَّناً إن شاء الله تعالى[٢].

وقد اختلف العلماءُ في المراد بالأحرف السَّبعة على خمسة وثلاثين قولاً، ذكرها أبو حاتم محمدُ بنُ حِبَّانَ البُستيُّ[٣]، نذكر منها في هذا الكتاب خمسةَ أقوال:

الأول: وهو الذي عليه أكثرُ أهل العلم، كسفيانَ بنِ عُيَينَة، وعبدِ الله بنِ وَهْب، والطَّبَريِّ، والطَّحاويِّ[٤]، وغيرِهم، أن المرادَ سبعةُ أوجُه مِنَ المعاني المتقاربة بألفاظ مختلفة، نحو: أقبِل، وتَعالَ، وهَلُمَّ[٥].

قال الطحاويُّ: وأَبيَنُ ماذُكِرَ في ذلك حديثُ أبي بَكرَةَ[٦] قال: جاء جبريلُ إلى النبيِّ ﷺ، فقال: اِقرَأ على حَرف، فقال ميكائيل: اِستَزِدهُ، فقال: اِقرأ على حَرفَين، فقال ميكائيل: اِستَزِدهُ. حتى بلغَ إلى سبعة أحرف، فقال: اِقرأ، فكُلٌّ شافٍ كافٍ، إلا أن تَخلِطَ آيةَ رحمة بآيةِ عذاب، أو آيةَ عذاب بآية رحمة، على نحو: هَلُمَّ، وتَعالَ، وأقبِلْ، واذهَبْ، وأسرِعْ، وعَجِّلْ[٧].

وروى وَرقاءُ، عن ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن أُبي بن كعب أنه كان يقرأ ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا﴾ [الحديد: ١٣]: للذينَ آمنوا أمهِلُونا، للذينَ آمنوا أَخِّرُونا، للذين آمنوا ارقُبُونا. وبهذا الإسناد عن أُبي، أنه كان يقرأ ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٠]: مَرُّوا فيه، سَعَوا فيه[٨].

---

(١) الصحابي ابن الصحابي حكيمِ بنِ حِزام، توفي أول خلافة معاوية. السير ٣/ ٥١.

(٢) ص ٨١، فصل في ذكر معنى حديث عمر وهشام، ونذكر تخريجه ثمة.

(٣) ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في الفتح ٩/ ٢٣ ما أورده المصنف عن ابن حبان في عدد الأقوال في الأحرف السبعة، وقال: لم أقف على كلام ابن حبان في هذا بعد تتبعي مظانه من صحيحه.

(٤) هو أحمد بن محمد بن سلامة، أبو جعفر، الأزدي، الحافظ، له شرح مشكل الآثار ومعاني الآثار، وغير ذلك، مات سنة (٣٢١هـ) السير ١٥/ ٢٧.

(٥) تفسير الطبري ١/ ٤٥.

(٦) نُفيع بن الحارث، الثقفي، الطائفي، مولى النبيِّ ﷺ، وكان من فقهاء الصحابة. مات سنة (٥١هـ). السير ٣/ ٥.

(٧) شرح مشكل الآثار (٣١١٨). وفيه: اقرأه، بدل: اقرأ. وقد نقل المصنف كلام الطحاوي بواسطة ابن عبد البر في التمهيد ٨/ ٢٩٠.

(٨) التمهيد ٨/ ٢٩١.

وفي البخاري ومسلم: قال الزُّهريُّ: إنما هذه الأحرفُ في الأمر الواحد، ليس يختلفُ في حلال ولا حرام[١].

قال الطحاوي: إنَّما كانت السَّبعةُ[٢] للنَّاس في الحروفِ لعجزهم عن أخذِ القرآن على غير لُغاتِهم[٣]، لأنَّهم كانوا أمِّيِّين، لايكتبُ إلا القليلُ منهم، فلما كان[٤] يَشُقُّ على كل ذي لغة أن يتحوَّل إلى غيرها من اللغات، ولو رامَ ذلك، لم يتهيَّأ له إلا بمشقَّة عظيمة، فوُسِّعَ لهم في اختلافِ الألفاظ إذ كان المعنى متَّفِقاً، فكانوا كذلك حتَّى كثُر منهم مَن يكتبُ، وعادَت لغاتُهم إلى لسانِ رسول الله ﷺ، فقرؤوا[٥] بذلك على تحفُّظ ألفاظِه، فلم يَسَعهُم حينئذ أن يقرؤوا بخلافِها[٦].

قال ابنُ عبد البَر: فبانَ بهذا أنَّ تلك السَّبعَةَ الأحرفِ إنَّما كان في وقت خاصٍّ لضرورة دَعَت إلى ذلك، ثمَّ ارتفعت تلك الضَّرورةُ، فارتفعَ حُكمُ هذه السَّبعةِ الأحرفِ، وعاد مايُقرأ به القرآنُ إلى[٧] حرف واحد[٨].

وروى أبو داود عن أُبَيٍّ قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «يا أُبَيُّ، إنِّي أُقرِئتُ القرآنَ، فقيلَ لي: على حرف، أو حرفين؟ فقال المَلَك الذي معي: قُل: على حرفين. [قلت: على حرفين]، فقيل لي: على حرفَين أو ثلاثة؟ فقال المَلَك الذي معي: قُل: على ثلاثة. [قلت: على ثلاثة] حتَّى بلغ سبعةَ أحرُف، ثمَّ قال: ليس

---

(١) ليس هو في صحيح البخاري، وذكره مسلم بإثر الحديث (٨١٩)، وذكره أيضاً الطبري ١/ ٢٧، والطحاوي بإثر الحديث (٣١١٦).

(٢) في (ظ) و(م): السعة، والمثبت من (د) و(ز)، وهو الموافق لشرح مشكل الآثار والتمهيد. (تنظر التعليقات الثلاثة التالية).

(٣) في (ظ): لغتهم.

(٤) في التمهيد ٨/ ٢٩٤: «فكان»، بدل: «فلما كان»، وهو الأشبه.

(٥) في (م): فقدروا.

(٦) كلام الطحاوي هذا قاله في شرح مشكل الآثار ٨/ ١٢٥ و ١١٧ - ١١٨، وقد نقله عنه ابن عبد البَر في التمهيد ٨/ ٢٩٤، ونقله المصنف هنا عن ابن عبد البر.

(٧) في (م): على.

(٨) التمهيد ٨/ ٢٩٤.

منها[١] إلا شافٍ كافٍ، إن قُلتَ: سميعاً عليماً، عزيزاً حكيماً، ما لم تَخلِطْ آيةَ عذابٍ برحمَة، أو آيةَ رحمةٍ بعذاب»[٢].

وأسند ثابتُ بن قاسم[٣] نحوَ هذا الحديث، عن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ، وذكر من كلامِ ابن مسعود نحوه[٤].

قال القاضي ابنُ الطَّيِّب[٥]: وإذا ثَبتَت هذه الرِّوايةُ ـ يريدُ حديثَ أُبَيّ ـ حُمِل على أنَّ هذا كان مُطلَقاً، ثم نُسِخ، فلا يجوز للنَّاس أن يُبدِّلوا اسماً لله تعالى في موضع بغيره ممَّا يوافقُ معناه أو يُخالِفُ[٦].

القولُ الثاني: قال قومٌ: هي سبعُ لغات في القرآن على لغاتِ العرب[٧]، يَمَنِها ونِزارِها، لأنَّ رسول الله ﷺ لم يَجهَلْ شيئاً منها، وكان قد أُوتِيَ جَوامِعَ الكَلِم، وليس معناه أن يكونَ في الحرفِ الواحدِ سبعةُ أوجُه، ولكنَّ هذه اللُّغاتِ السَّبعَ مُتفرِّقةٌ في القرآن، فبعضُه بلغةِ قريش، وبعضُه بلغةِ هُذَيل، وبعضُه بلغةِ هَوَازِن، وبعضُه بلغةِ اليمَن.

قال الخطَّابي: على أنَّ في القرآنِ ما قَد قُرِىء بسبعةِ أوجُه، وهو قولُه: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ﴾ [المائدة: ٦٠]، وقولُه: ﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ﴾ [يوسف: ١٢]. وذكر

(١) في (ظ): فيها.

(٢) سنن أبي داود (١٤٧٧) وما بين حاصرتين منه، وفيه: مالم تختم آية عذاب برحمة...

(٣) ثابت بن قاسم بن ثابت بن حزم بن عبد الرحمن العوفي، من أهل سَرَقُسطة، حدّث بكتاب أبيه المسمى الدلائل (وهو في شرح الحديث). توفي سنة (٣٥٢هـ). كذا في تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٠٠. وجاء في ترجمة أبيه قاسم بن ثابت ١/ ٣٦١ صاحب الدلائل: بلغ فيه الغاية من الإتقان، ومات قبل إكماله (سنة ٣٠٢هـ)، فأكمله أبوه ثابت بعده. وانظر جذوة المقتبس ص٣٣١.

(٤) حديث أبي هريرة أخرجه أحمد (٨٣٩٠)، وكلام ابن مسعود أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص٢٠٧، والطبري ١/ ٤٦.

(٥) في النسخ الخطية: أبو الطيب، والمثبت من (م)، وهو الإمام القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد، البصري، ثم البغدادي، المعروف بابن الباقلاني، صاحب الانتصار للقرآن وغيره من التصانيف، كان يضرب المثل بفهمه وذكائه. مات سنة (٤٠٣هـ). السير ١٧/ ١٩٠.

(٦) من قوله: وأسند ثابت بن قاسم، إلى هذا الموضع، من كلام ابن عطية في تفسيره ١/ ٤٤.

(٧) في (م): لغات العرب كلها.

وجوهاً، كأنَّه يذهبُ إلى أنَّ بعضَه أُنزلَ على سبعةِ أحرف، لا كُلَّه[١].

وإلى هذا القول ـ بأنَّ القرآن أُنزل على سبعةِ أحرُف، على سبعِ لُغات ـ ذهبَ أبو عُبيد القاسمُ بنُ سلَّام، واختاره ابنُ عطيَّة[٢]. قال أبو عُبيد: وبعضُ الأحياءِ أسعدُ بها وأكثرُ حظًّا فيها من بعض، وذكر حديثَ ابنِ شهاب عن أنس، أنَّ عُثمان قالَ لهم حين أمَرَهُم أن يكتبوا المصاحِفَ: ما اختلفتُم أنتم وزيد، فاكتبوه بلُغةِ قُريش، فإنه نزل بِلُغَتِهم[٣]. ذكره البخاري[٤]. وذكرَ حديثَ ابنِ عبَّاس قال: نزلَ القُرآن بِلُغَة الكَعبَين: كعبِ قُريش، وكعبِ خُزاعة، قيلَ: وكيف ذلك؟ قال: لأنَّ الدَّارَ واحدةٌ. قال أبو عُبيد: يعني أنَّ خُزاعة جيرانُ قريش، فأخذوا بِلُغَتِهم[٥].

قال القاضي ابنُ الطَّيِّب[٦] رضي الله عنه: معنى قولِ عثمانَ: فإنَّه نزلَ بلسان قُريش، يريد مُعظَمَهُ وأكثرَه، ولم تَقُم دِلالَةٌ قاطِعةٌ على أنَّ القرآن بأسرِهِ مُنزلٌ بلُغة قُريش فقط، إذ فيه كلماتٌ وحروفٌ هي خِلافُ لُغةِ قُريش، وقد قالَ الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]، ولم يقُل: قُرَشِياً، وهذا يدلُّ على أنَّه مُنزلٌ بجميع لسانِ العرَب، وليس لأحد أن يقولَ: إنه أرادَ قُريشاً من العَرب دون غيرها، كما أنَّه ليس له أن يقولَ: أرادَ لُغةَ عَدنانَ دون قَحطانَ، أو ربيعةَ دون مُضَرَ، لأنَّ اسمَ العرب يتناول جميعَ هذه القبائلِ تناولاً واحداً.

وقال ابنُ عبد البَرِّ: قولُ مَن قال: إنَّ القُرآن نزلَ بِلُغة قُريش، معناهُ عندي: في الأغلبِ. والله أعلم. لأنَّ غيرَ لُغةِ قُريش موجودةٌ في صحيحِ القراءات، من تحقيقِ الهَمَزَاتِ ونحوِها، وقُريشٌ لا تَهمِزُ[٧].

---

(١) ليس هذا الكلام كلُّه للخطابي، إنما نقل الخطابيُّ عن ابن الأنباري كلامه في الآيتين المذكورتين، ثم قال: وذكر وجوهاً...، كأنه يذهب (يعني ابن الأنباري) في تأويل الحديث... الخ. انظر معالم السنن ١/ ٢٩٣.

(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد ص٢٠٣، والمحرر الوجيز ١/ ٤٦.

(٣) في فضائل القرآن ص٢٠٣: فاكتبوه بلسان قريش، فإنه نزل بلسانهم.

(٤) صحيح البخاري (٤٩٨٧).

(٥) فضائل القرآن ص٢٠٤.

(٦) في النسخ الخطية: أبو الطيب، والمثبت من (م).

(٧) التمهيد ٨/ ٢٨٠.

وقال ابن عطيَّة: معنى قولِ النبيِّ ﷺ: «أُنزِلَ القرآنُ على سَبعَةِ أحرُف» أي: فيه[١] عبارةُ سبع قبائِلَ، بِلُغةِ جُملَتِها نزلَ القرآن، فيعبر عن المعنى فيه مَرَّة بعبارة قريش، ومَرَّة بعبارة هُذَيل، ومَرَّة بغير ذلك، بحسبِ الأفصح، والأوجَزِ في اللفظ. ألا ترى أنَّ «فَطَر» معناه عند غير قريش: ابتدأ، فجاءت في القرآن، فلم تَتَّجِهْ لابن عباس، حتَّى اختَصَمَ إليه أعرابيَّان في بئر، فقال أحدُهما: أنا فَطَرْتُها، قال ابنُ عبَّاس: ففهمتُ حينئذ موقع[٢] قوله تعالى: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١]. وقال أيضاً: ما كنتُ أدري معنى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩] حتى سمعتُ بنتَ ذي يَزَن تقول لزوجها: تَعالَ أُفاتِحْكَ، أي: أُحاكِمْكَ.

وكذلك قال عمرُ بنُ الخطاب، وكان لا يفهمُ معنى قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: ٤٧] أي: على تَنَقُّص لهم.

وكذلك اتَّفَقَ لقُطبَةَ بنِ مالك[٣]، إذ سَمِعَ النبيَّ ﷺ يقرأ في الصَّلاة: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ [ق: ١٠]. ذكره مُسلمٌ في باب القراءة في صلاة الفجر[٤] إلى غير ذلك من الأمثلة[٥].

القولُ الثالث: أنَّ هذه اللُّغاتِ السَّبعةَ إنَّما تكون في مُضَر. قاله قومٌ، واحتجُّوا بقول عثمان: نزلَ القُرآنُ بِلُغةِ مُضَر، وقالوا: جائزٌ أن يكونَ منها لقُريش، ومنها لِكنانَة، ومنها لأسَد، ومنها لهُذَيل، ومنها لتَمِيم[٦]، ومنها لِضَبَّة، ومنها لِقَيس، قالوا: هذه قبائلُ مُضَرَ تستوعِبُ سبعَ لُغات على هذه المراتِبِ، وقد كان ابنُ مسعود يُحبُّ أن يكون الذين يكتُبون المصاحِفَ من مُضَر[٧]. وأنكر آخرونَ أن تكونَ كُلُّها في[٨] مُضَرَ، وقالوا: في مُضَرَ شَواذُّ لا يجوزُ أن يُقرَأَ القرآنُ بها، مثلُ كَشكَشَةِ قَيس،

(١) في (ز): في.

(٢) في (م): موضع.

(٣) الثعلبي، ويقال: الذبياني، من أهل الكوفة، وهو عم زياد بنِ عِلاقة، وهو ممن أخرج لهم مسلم في الصحابة دون البخاري. الإصابة ٨/ ١٦٥.

(٤) صحيح مسلم (٤٥٧)، وهو عند أحمد (١٨٩٠٣).

(٥) المحرر الوجيز ١/ ٤٦ ـ ٤٧، وانظر إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ١/ ٧١ ـ ٧٢.

(٦) في (د) و(ظ) و(م): لتيم، ولم ترد في (ز)، و المثبت من التمهيد ٨/ ٢٧٧.

(٧) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص٢٠٥.

(٨) في (م): من.

وعَنْعَنَةِ[١] تميم. فأمَّا كَشكَشَةُ قيس، فإنَّهم يجعلون كافَ المؤنَّثِ شِيناً، فيقولون في ﴿جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤]: «جعل رَبُّشِ تحتشِ سَرِيًّا». وأمَّا عَنْعَنَةُ تميم، فيقولون [في أن: عن، فيقولون: «عَسَى اللهُ عن يأتيَ بالفتح»، وبعضهم يُبدلُ السينَ تاءً، فيقولُ] في النَّاسِ: النَّات، وفي أكيَاس: أكيَات[٢]. قالوا: وهذه لُغَاتٌ يُرغَبُ عن القرآن بها، ولا يُحفَظُ عن السَّلَفِ فيها شيءٌ.

وقال آخرون: أمَّا بدل[٣] الهمزَةِ عَيناً، وبدل حروفِ الحَلق بعضِها من بعض، فمشهورٌ عن الفُصحاء، وقد قرأ به الجِلَّةُ، واحتَجُّوا بقِرَاءةِ ابنِ مسعود: «لَيَسجُنُنَّهُ عتَّى حِين». ذكرَها أبو داود[٤]، وبقولِ ذي الرُّمَّة[٥]:

فعيناكِ عيناها وجِيدُكِ جِيدُها ... ولَونُكِ إلا عَنَّها غيرُ طائِلِ

يريدُ: إلا أنَّها.

القولُ الرَّابع: ما حكاهُ صاحبُ «الدَّلائِل»[٦] عن بعضِ العلماء، وحكى نحوَهُ القاضي ابنُ الطَّيِّب[٧] قال: تَدَبَّرتُ وجُوهَ الاختلافِ في القراءَةِ، فوجدتُها سبعة:

منها: ما تَتَغيَّرُ حركَتُه، ولا يزولُ معناه ولا صورَتُه، مثل: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨] وأطهَرَ[٨]، ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾ [الشعراء: ١٣] ويَضيقَ[٩].

---

(١) تحرف في النسخ الخطية و(م) (في الموضعين) إلى: تمتمة، ونقله الزرقاني في مناهل العرفان ١/ ١٧٥. وعَنعَنَةُ تميم: إبدالهم العين من الهمزة كما سيمثّل له المصنف.

(٢) وهو الوتم في لغة اليمن، كما في المزهر للسيوطي ١/ ٢٢٣.

(٣) في (م) (في الموضعين): إبدال.

(٤) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد ٨/ ٢٧٨ من طريق أبي داود السجستاني، (وليس هو في سننه). وقراءة ابن مسعود هذه ذكرها أيضاً ابن خالويه في القراءات الشاذة ص٦٣. وقد نقل المصنف القول الثالث بتمامه من التمهيد ٨/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨، وما بين حاصرتين منه.

(٥) هو غَيلان بن عقبة بن بُهيش، أبو الحارث، من فحول الشعراء، مات بأصبهان سنة (١١٧هـ). سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٧، والبيت في ديوانه ٢/ ١٣٤١.

(٦) هو قاسم بن ثابت السَّرَقُسطي، سلفت ترجمته ص٧٤.

(٧) في الانتصار ص ٢٥٢ ـ ٢٥٥ مخطوط نشرة سزكين.

(٨) بالنصب، وهي قراءة شاذة، ذكرها ابن خالويه في كتابه ص ٦٠، وابن جني في المحتسب ١/ ٣٢٥، ونقل أبو حيان في البحر المحيط ٥/ ٢٤٧ عن سيبويه قوله: هو لحن.

(٩) بالنصب، عطف على «يكذبون» في الآية قبلها، وهي قراءة يعقوب من العشرة. انظر النشر ٢/ ٣٣٥.

ومنها: مالا تَتَغيَّرُ صُورَتُه، ويتغيَّرُ معناه بالإعراب، مثل: ﴿رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سبأ: ١٩]، و[ربُّنا] بَاعَدَ[1].

ومنها: ما تَبقى صورتُه، ويتغيَّرُ معناه باختلافِ الحروف، مثل قوله: ﴿نُنشِزُهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] ونُنشِرُها[2].

ومنها: ما تَتَغيَّرُ صورتُه، ويبقى معناه: ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥] وكالصُّوفِ المَنفُوش[3].

ومنها: ماتتغيَّرُ صورتُه ومعنَاهُ، مثل: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٩]: وطَلعٍ مَنضُود[4].

ومنها: بالتَّقديم والتَّأخير، كقوله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق: ١٩]: وجاءت [سكرةُ] الحقِّ بالمَوت[5].

ومنها: بالزِّيادةِ والنُّقصان، مثل قولِهِ: «تِسعٌ وتسعُونَ نَعجَةً أنثى»[6]، وقولِهِ: «وأمَّا الغُلامُ فكان كافِراً وكان أبَواه مؤمنَين»[7]، وقولِهِ: «فإنَّ اللهَ مِن بَعدِ إكراهِهِنَّ لهنَّ غفورٌ رحيم»[8].

القولُ الخامس: أنَّ المرادَ بالأحرُفِ السَّبعَةِ معاني كتاب الله تعالى، وهي أمرٌ

---

(١) أي على جهة الخبر، وهي قراءة يعقوب من العشرة. انظر النشر ٢/ ٣٥٠.

(٢) من: أنشَرَ، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو من السبعة، وأبي جعفر ويعقوب من العشرة. انظر السبعة ص ١٨٩، والتيسير ص ٨٢، والنشر ٢/ ٢٣١. وذكر ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦ لأبان عن عاصم: نَنشُرُها، بفتح النون، ونسبها صاحب إتحاف فضلاء البشر ص٢٠٨ للحسن.

(٣) نسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٧٨ لابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) ذكر ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٥١، أن علياً رضي الله عنه قرأها على المنبر، فقيل له: أفلا نغيره في المصحف؟ قال: ما ينبغي للقرآن أن يُهاج، أي: لا يغير.

(٥) نسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٤٤ لأبي بكر الصديق وأبي رضي الله عنهما.

(٦) المحرر الوجيز ١/ ٤٣ وقد حكاه ابن عطية عن صاحب الدلائل وابن الطيّب الباقلاني، ونسب ابن خالويه لابن مسعود رضي الله عنه في القراءات الشاذة ص ١٣٠ قراءة: ولي نعجة أنثى. وانظر التمهيد ٨/ ٢٩٥.

(٧) ذكرها ابن عطية في تفسير الآية (٨٠) المذكورة من سورة الكهف، ونسبها لأبيّ، وانظر البحر المحيط ٦/ ١٥٤.

(٨) نسبها ابن جني في المحتسب ٢/ ١٠٨ لابن عباس، وسعيد بن جبير. وذكرها ابن عطية في تفسيره ٤/ ١٨٢، ونسبها لابن مسعود وجابر وسعيد بن جبير.

ونَهيٌ، ووَعدٌ ووَعيدٌ، وقَصَصٌ، ومُجادَلَةٌ وأمثالٌ. قال ابنُ عطيَّة: وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّ هذا لا يُسمَّى أحرُفاً، وأيضاً؛ فالإجماعُ على أن التَّوسِعَةَ لم تَقع في تحليلِ حلال[١]، ولا في تغييرِ شيء من المعاني. وذكر القاضي ابنُ الطَّيِّب في هذا المعنى حديثاً عن النبيِّ ﷺ، ثمَّ قال: ولكن ليست هذه هي التي أجاز لهم القراءةَ بها، وإنَّما الحرفُ في هذه بمعنى الجهةِ والطريقة، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾ [الحج: ١١] فكذلك معنى هذا الحديثِ على سبعِ طرائقَ من تحليل وتحريم، وغيرِ ذلك[٢].

وقد قيل: إنَّ المرادَ بقوله عليه السلام: «أُنزل القرآنُ على سَبعَةِ أحرف» القراءاتُ السَّبعُ التي قرأَ بها القُرَّاءُ السَّبعةُ، لأنَّها كلَّها صَحَّت عن رسولِ الله ﷺ. وهذا ليسَ بشيء، لظهورِ بُطلانِه على ما يأتي.

فصل

قال كثيرٌ من علمائنا، كالدَّاوُدِي[٣]، وابنِ أبي صُفْرة[٤]، وغيرِهما: هذه القراءاتُ السَّبعُ التي تُنسبُ لهؤلاء القرَّاءِ السبعةِ، ليست هي الأحرفَ السَّبعةَ التي اتَّسعتِ الصحابةُ في القراءة بها، وإنَّما هي راجعةٌ إلى حرف واحد من تلك السَّبعةِ، وهو الذي جمعَ عليه عثمانُ المصحفَ، ذكره ابنُ النَّحاس وغيرُه. وهذه القراءاتُ المشهورةُ هي اختياراتُ أولئك الأئمةِ القرَّاء، وذلك أنَّ كلَّ واحد منهم اختارَ ـ فيما رَوى، وعَلِمَ وجهَهُ من القراءات ـ ما هو الأحسَنُ عندهَ والأولى، فالتزمَه طريقةً، ورواه وأقرأَ به، واشتهرَ عنه، وعُرِفَ به، ونُسِبَ إليه، فقيل: حرفُ نافع، وحرفُ ابنِ كَثير، ولم يمنع واحدٌ منهم اختيارَ الآخَر، ولا أنكرَه، بل سوَّغَه وجَوَّزه، وكلٌّ واحد من هؤلاء السبعةِ رُوي عنه اختياران، أو أكثر، وكلٌّ صحيح. وقد أجمعَ المسلمون

---

(١) في المحرر الوجيز ١/ ٤٣: أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال، ولا تحليل حرام.

(٢) المحرر الوجيز ١/ ٤٣ ـ ٤٤، وفيه كلام ابن الباقلاني السالف.

(٣) لعله أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي الأسدي؛ ذكره القاضي عياض في ترتيب المدارك ٤/ ٦٢٣ وقال: من أئمة المالكية بالمغرب، والمتَّسمين بالعلم، المجيدين للتأليف... توفي بتلمسان سنة (٤٠٢هـ).

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن أبي صفرة أخو أبي القاسم المهلب، سمع من الأصيلي، وكان من كبار أصحابه، وتوفي بالقيروان. ترتيب المدارك ٤/ ٧٥٢، و٢/ ٢٠١، وإكمال المعلم ٣/ ١٩٠.

في هذه الأعصار على الاعتماد على ما صَحَّ عن هؤلاء الأئمةِ مما رَوَوه ورأوهُ من القراءات، وكتبوا في ذلك مصنَّفات، فاستَمرَّ الإجماعُ على الصَّواب، وحصلَ ما وعدَ اللهُ به من حفظ الكتاب، وعلى هذا الأئمةُ المتقدِّمون، والفضلاءُ المحقِّقون، كالقاضي أبي بكر بن الطَّيِّب، والطَّبريِّ، وغيرِهما[١].

قال ابنُ عطيَّة: ومَضَتِ الأعصارُ والأمصارُ على قراءة السَّبعةِ، وبها يُصَلَّى، لأنَّها ثبتت بالإجماع. وأما شاذُّ القراءات[٢]، فلا يُصَلَّى به، لأنَّه لم يُجمِعِ الناسُ عليه، أما أنَّ المرويَّ منه عن الصحابة رضي الله عنهم، وعن علماء التابعين، فلا يُعتَقَدُ فيه إلا أنَّهم رَوَوْه. وأمَّا ما يُؤثَرُ عن أبي السَّمَّال[٣] ومَن قارنَه، فإنَّه لا يُوثَقُ به[٤].

قال غيرُه: أمَّا شاذُّ القراءة عن المصاحف المتواترة، فليست بقرآن، ولا يُعمَلُ بها على أنَّها منه، وأحسَنُ مَحامِلِها أن تكونَ بيانَ تأويلِ مذهَبِ مَن نُسبت إليه، كقراءة ابنِ مسعود: «فصيامُ ثلاثةِ أيام مُتَتابعات»[٥]. فأما لَو صَرَّح الراوي بسماعها من رسول الله ﷺ، فاختلفَ العُلماءُ في العمل بذلك على قولين: النَّفي والإثبات، وجهُ النَّفي[٦]: أنَّ الراويَ لم يروه في مَعرِض الخبر، بل في مَعرِض القرآن، ولم يُثبت، فلا يَثبت. والوجه الثاني: أنَّه وإن لم يَثبت كونُه قرآناً، فقد ثبتَ كونُه سنَّةً، وذلك يُوجِبُ العملَ، كسائر أخبارِ الآحاد.

فصل في ذكر معنى حديثِ عُمر وهشام

قال ابنُ عطيَّة[٧]: أباحَ اللهُ تعالى لنبيِّه عليه السلامُ هذه الحروفَ السَّبعةَ،

---

(١) من قوله: قال كثير من علمائنا... هو كلام أبي العباس القرطبي في المفهم ٢/ ٤٥٠.

(٢) في النسخ الخطية: القرآن، والمثبت من المحرر الوجيز ١/ ٤٨.

(٣) في النسخ الخطية: ابن السماك، والمثبت من المحرر الوجيز ١/ ٤٨، وهو قعنب بن أبي قعنب العدوي البصري، ذكره ابن الجزري في طبقات القراء ٢/ ٢٧ وقال: له اختيار في القراءة شاذ عن العامة، وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ٤/ ٥٣٤ وقال: لا يُعتمد على نقله، ولا يوثق به.

(٤) المحرر الوجيز ١/ ٤٨، وفيه: قاربَه، بدل: قارنه.

(٥) أخرجها عبد الرزاق في المصنف (١٦١٠٢) (١٦١٠٣) (١٦١٠٤)، والطبري في التفسير ٨/ ٦٥٢. وقال: ذلك خلاف ما في مصاحفنا.

(٦) في (ز) و(ظ): النافي.

(٧) في المحرر الوجيز ١/ ٤٧.

وعارضَه بها جبريلُ عليه السلامُ في عَرَضَاته على الوجه الذي فيه الإعجازُ، وجودةُ الرَّصف[١]، ولم تقعِ الإباحةُ في قوله عليه السلام: «فاقرؤوا ما تيسَّرَ منه» بأن يكون كلُّ واحد من الصَّحابة إذا أرادَ أن يُبَدِّلَ اللَّفْظةَ من بعض هذه اللُّغاتِ، جَعَلَها من تلقاءِ نفسِه، ولو كان هذا، لذهبَ إعجازُ القرآن، وكان مُعرَّضاً أن يُبدَّلَ هذا وهذا، حتَّى يكون غيرَ الذي نزلَ من عند الله، وإنَّما وقعت الإباحَةُ في الحروف السَّبعة للنبيِّ ﷺ ليوسَّعَ بها على أُمَّتِه، فأقْرأَ مَرَّةً لأُبَيٍّ بما عارضَه به جبريلُ، ومَرَّةً لابن مسعود بما عارضَه به أيضاً، وعلى هذا تجيءُ قراءةُ عمرَ بنِ الخطاب لسورة الفرقان، وقراءةُ هشام بنِ حَكِيم لها، وإلا، فكيف يستقيمُ أن يقولَ النبيُّ ﷺ في كلِّ قراءة منهما وقد اختلفا: «هكذا أقرأني جبريلُ» ؟ هل ذلك إلا أنَّه أقرأه مَرَّةً بهذه، ومَرَّةً بهذه ؟ وعلى هذا يُحملُ قولُ أنس حين قرأ: «إن ناشِئةَ اللَّيلِ هي أشدُّ وَطْأً وأصْوَبُ قِيلاً»، فقيل له: إنَّما تُقرأ: «وأقوَمُ قِيلاً»، فقال أنس: وأصوَبُ قِيلاً، وأقوَمُ قِيلاً، وأهيأ، واحدٌ[٢]. فإنَّما معنى هذا أنَّها مرويَّةٌ عن النبي ﷺ، وإلا، فلو كان هذا لأحد من الناس أن يَضَعَه، لَبَطَل معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

روى البخاريُّ ومسلمٌ وغيرُهما عن عمرَ بنِ الخطاب قال: سمعتُ هشامَ بنَ حَكِيم يقرأ سورةَ الفُرقانِ على غير ما أقرؤُها، وكان رسولُ الله ﷺ أقرَأَنِيها، فَكِدتُ أن أَعجَلَ عليه، ثم أمهَلتُه حتَّى انصرفَ، ثم لَبَّبتُه بردائه، فجئتُ به رسولَ الله ﷺ، فقلتُ: يارسول الله، إنِّي سمعتُ هذا يقرأ سورةَ الفرقان على غيرِ ما أقرَأتَنِيها ! فقال رسول الله ﷺ: «أرسِلْه. اِقْرأ». فقرأ القراءة التي سمعتُه يقرأ، فقال رسولُ الله ﷺ: «هكذا أُنزِلَت». ثمَّ قال لي: «اِقْرأ»، فقرأتُ، فقال: «هكذا أُنزِلَت، إنَّ هذا القُرآنَ أُنزِلَ على سَبعَةِ أحرُف، فاقرؤوا ما تَيَسَّرَ منه»[٣].

قلتُ: وفي معنى حديثِ عُمر هذا ما رواه مسلم عن أُبَيِّ بنِ كعب قال: كنتُ في المسجد، فدخلَ رجلٌ يصلِّي، فقرأ قراءةً أنكرتُها عليه، ثمَّ دخلَ آخرُ، فقرأ قراءة

---

(١) في النسخ الخطية: الوصف. والمثبت من (م).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٤٧ و٢٣/ ٣٧٣، وابن جني في المحتسب ٢/ ٣٣٦.

(٣) صحيح البخاري (٤٩٩٢)، و صحيح مسلم (٨١٨). وهو في المسند (٢٧٧).

سِوَى قراءةِ صاحبِه، فلمَّا قَضَينا الصلاةَ، دَخَلنا جميعاً على رسول الله ﷺ، فقلتُ: إنَّ هذا قَرَأَ قراءةً أنكَرتُها عليه، ودَخَلَ آخَرُ، فقرأ سِوَى قراءةِ صاحبِه، فأمَرَهما النبيُّ ﷺ فقَرَأا، فحسَّنَ النبيُّ ﷺ شأنَهما، فَسُقِطَ في نفسي من التَّكذيب، ولا إذ كنتُ في الجاهليَّة، فلما رأى النبيُّ ﷺ ماقد غَشِيَني، ضَرَبَ في صدري، فَفِضْتُ عَرَقاً، وكأنَّما أنظرُ إلى الله تعالى فَرَقاً، فقال[١]: «يا أُبَيُّ، أُرسِلَ إليَّ أن أقرأَ القرآنَ على حَرف، فَرَدَدتُ إليه: أن هَوِّنْ على أمَّتي، فَرَدَّ إليَّ الثانيةَ: اِقرَأْه[٢] على حَرفَين، فَرَدَدتُ إليه: أن هَوِّنْ على أمَّتي، فَرَدَّ إليَّ الثالثةَ: اِقرَأْهُ على سبعةِ أحرُف، ولك[٣] بكلِّ رَدَّةٍ رَدَدتُكَها مسألةٌ تَسأَلُنِيها، فقلتُ: اللَّهمَّ اغفِر لأمتي، اللَّهم اغفِر لأمتي، وأخَّرتُ الثالثةَ ليوم يَرغَبُ إليَّ فيه الخلقُ كُلُّهم، حتَّى إبراهيمُ عليه السَّلام»[٤].

قولُ أُبَيٍّ رضي الله عنه[٥]: فسُقِطَ في نفسي، معناه: اعتَرَتني حَيرةٌ ودَهشَةٌ، أي: أصابتهُ نَزغَةٌ من الشيطان ليشوِّشَ عليه حالَه، ويُكدِّرَ عليه وقتَه، فإنه عَظُمَ عليه من اختلاف القراءاتِ ماليس عظيماً في نفسه، وإلا، فأيُّ شيء يلزمُ من المحال والتَّكذيب من اختلاف القراءات، ولم يلزم ذلك ـ والحمد لله ـ في النَّسخ الذي هو أعظم، فكيفَ بالقراءة؟

ولمَّا رأى النبيُّ ﷺ ما أصابه من ذلك الخاطر، نَبَّهَهُ، بأن ضرب[٦] في صدره، فأعقَبَ ذلك بأنِ انشرحَ صدرُه، وتَنَوَّرَ باطنُه، حتَّى آلَ به الكَشفُ والشَّرحُ إلى حالةِ المُعَاينة. ولمَّا ظهر له قُبحُ ذلك الخاطر، خافَ من الله تعالى، وفاضَ بالعَرَق استحياءً من الله تعالى، فكان هذا الخاطرُ من قبيل ما قال فيه النبيُّ ﷺ حين سألوه: إنَّا نَجِدُ في أنفُسنا ما يَتَعاظَمُ أحَدُنا أن يَتَكَلَّمَ به، قال: «وقد وَجَدتُموه؟!». قالوا:

(١) في (م): فقال لي.
(٢) في (ظ): أن اقرأه.
(٣) في (م): فلك.
(٤) صحيح مسلم (٨٢٠)، وهو في المسند برقم (٢١١٧١).
(٥) الكلام من هذا الموضع إلى آخر الباب، من المفهم ٢/ ٤٥١ ـ ٤٥٢ بتصرف يسير.
(٦) في (م): ضربه.

نعم، قال: «ذلك صريح الإيمان». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة[١]. وسيأتي الكلام عليه في سورة الأعراف إن شاء الله تعالى[٢].

بابُ ذِكرِ جمعِ القرآن، وسببِ كَتْبِ عثمانَ المصاحفَ، وإحراقِه ما سواها، وذِكرِ مَن حَفِظَ القرآنَ من الصحابة رضي الله عنهم في زمن النبيِّ ﷺ

كان القرآنُ في مدَّة النبيِّ ﷺ متفرِّقاً في صدور الرجال، وقد كتبَ الناسُ منه في صُحُف، وفي جَرِيد، وفي لِخاف وظُرَر، وفي خَزَف، وغير ذلك. قال الأصمعيُّ[٣]: اللِّخاف: حجارةٌ بِيضٌ رِقاق، واحدتُها لَخْفَة. والظُّرَرُ: حجرٌ، له حدٌّ كحدِّ السكين، والجمع ظِرارٌ؛ مثلُ رُطَب ورِطاب، ورُبَع ورِباع، وظِرَّان أيضاً، مثلُ صُرَد وصِردان[٤].

فلما استَحَرَّ القتلُ بالقُرَّاء يومَ اليمامة في زمن الصدِّيق رضي الله عنه، وقُتِلَ منهم في ذلك اليوم - فيما قيل - سبعُ مئة، أشار عمرُ بنُ الخطاب على أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بجمع القرآن، مخافةَ أن يموتَ أشياخُ القرَّاء، كأُبَيٍّ، وابنِ مسعود، وزيد، فندبا زيدَ بنَ ثابت إلى ذلك، فجمَعَه غيرَ مرتَّب السُّوَر، بعد تعب شديد، رضي الله عنه[٥].

روى البخاري عن زيد بنِ ثابت قال: أرسلَ إليَّ أبو بكر مقتلَ أهلِ اليمامةِ، وعندَه عُمرُ، فقال أبو بكر: إنَّ عمرَ أتاني، فقال: إنَّ القَتلَ قدِ استَحَرَّ يومَ اليمامةِ بالناس، وإني أخشَى أن يَستَحِرَّ القتلُ بالقُرَّاء في المواطن، فيذهبَ كثيرٌ من القرآن، إلا أن تَجمعوه، وإني لأرى أن تَجمعَ القرآنَ. قال أبو بكر: فقلتُ لعمر: كيف أفعلُ

---

(١) صحيح مسلم (١٣٢).

(٢) عند قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ (الآية: ٢٠٠).

(٣) عبد الملك بن قُريب، أبو سعيد الأصمعي البصري، اللغوي الأخباري، توفي سنة (٢١٥هـ) وقيل غير ذلك. سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٧٥.

(٤) الرُّبَع: الفصيل يُنتَجُ في الربيع، وهو أول النتاج، والصُّرَد: طائر أكبر من العصفور، ضخم الرأس والمنقار، وكانوا يتشاءمون به. (المعجم الوسيط).

(٥) المحرر الوجيز ١/ ٤٩.

شيئاً لم يَفعَلْه رسولُ الله ﷺ ؟! فقال: هو واللهِ خيرٌ. فلم يَزَل يُراجِعُني حتى شرحَ اللهُ لذلك صدري، ورأيتُ الذي رأى عمرُ.

قال زيدٌ: وعندَه عمرُ جالسٌ لا يَتكلَّمُ، فقال لي أبو بكر: إنك رجلٌ شابٌّ عاقلٌ، ولا نتَّهمُك، كنتَ تَكتُبُ الوحيَ لرسولِ اللهِ ﷺ، فتَتَبَّعِ القرآنَ، فاجْمَعْه. فواللهِ، لو كلَّفَني نقلَ جبلٍ من الجبال، ما كان أثقلَ عليَّ مما أمرني به من جمعِ القرآن. قلتُ: كيف تَفعلانِ شيئاً لم يَفعَلهُ رسولُ الله ﷺ ؟! فقال أبو بكر: هو واللهِ خيرٌ. فلم أزَل أراجِعُه حتى شرحَ اللهُ صَدرِي للذي شرحَ له صَدرَ أبي بكر وعمرَ، فقمتُ، فَتَتَبَّعتُ القرآنَ أجمعُه من الرِّقاع، والأكتاف، والعُسُبِ، وصُدورِ الرجال، حتى وجدتُ من سورة التوبة آيتين مع خُزيمةَ الأنصاريِّ[(١)]، لم أجِدهما مع غيره: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] إلى آخرها. فكانت الصُّحُفُ التي جُمِعَ فيها القرآنُ عند أبي بكر حتى توفَّاه الله، ثم عند عمرَ حتى توفَّاه الله، ثم عند حفصةَ بنتِ عمر.

وقال اللَّيثُ: حدثني عبدُ الرحمن بنُ خالد[(٢)]، عن ابن شِهاب، وقال: مع أبي خُزيمةَ الأنصاريِّ. وقال أبو ثابت: حدثنا إبراهيمُ، وقال: مع خُزيمة، أو أبي خُزَيـمـةَ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[(٣)].

وقال الترمذيُّ في حديثه عنه: فوجَدتُ آخِرَ سورة براءةَ مع خُزيمةَ بنِ ثابت: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾. قال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ[(٤)].

---

(١) هو خُزيمة بن ثابت، أبو عمارة، الخطمي، ذو الشهادتين، شهد أحداً وما بعدها، واستشهد يوم صفّين سنة (٣٧هـ). سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٨٥.

(٢) تحرف في النسخ و(م) إلى: غالب.

(٣) صحيح البخاري (٤٦٧٩)، وهو في المسند(٥٧). الليث: هو ابنُ سَعد، وابنُ شِهاب: هو الزُّهري، وأبو ثابت: هو محمد بن عُبيد الله المدني، وإبراهيم: هو ابنُ سَعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عَوف.

(٤) سنن الترمذي (٣١٠٣).

وفي «البخاري»: عن زيد بن ثابت قال: لما نَسَخْنا الصُّحُفَ في المصاحف، فَقَدْتُ آية من سورة الأحزاب، كنتُ أسمَعُ رسولَ الله ﷺ يقرؤها، لم أجِدها مع أحد إلا مع خُزيمةَ الأنصاري، الذي جعلَ رسولُ الله ﷺ شهادتَه بشهادة رجلَين: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] [١].

وقال الترمذيُّ عنه: فقدتُ آيةً من سورة الأحزاب، كنتُ أسمعُ رسولَ الله ﷺ يقرؤها: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ فالتمستُها، فوجدتُها عند خُزيمةَ بن ثابت، أو أبي خُزيمةَ، فألحقتُها في سورتها[٢].

قلتُ: فسقَطَتِ الآيةُ الأولى من آخِر «براءَة» في الجمع الأوَّل، على ما قاله البخاريُّ والترمذيُّ، وفي الجمع الثاني فُقِدَتْ آيةٌ من سورة الأحزاب. وحكى الطبريُّ: أنَّ آيةَ «براءة» سَقَطَت في الجمع الأخير، والأوَّل أصحُّ[٣]، والله أعلم.

فإن قيل: فما وجهُ جمعِ عثمانَ للناسِ[٤] على مُصْحَفِه، وقد سبقَه أبو بكر إلى ذلك، وفرَغَ منه؟.

قيل له: إنَّ عثمانَ رضي الله عنه لم يَقصِد بما صنعَ جَمعَ الناسِ على تأليف المصحف، ألا ترى كيف أرسلَ إلى حَفصَةَ أن أرسِلي إلينا بالصُّحُف نَنسَخُها في المصاحف، ثم نَردُّها إليكِ؟ على ما يأتي. وإنما فعلَ ذلك عثمانُ، لأنَّ الناسَ اختلفوا في القراءات بسبب تفرُّق الصحابة في البلدان، واشتدَّ الأمرُ في ذلك، وعَظُمَ اختلافُهم وتَشَتُّتُهم[٥]، ووقعَ بين أهل الشام والعراق ما ذكره حذيفةُ رضي الله عنه، وذلك أنهم اجتمعوا في غَزوة إرمِينِيَة، فقرأت كُلُّ طائفة بما رُوِيَ لها، فاختَلَفوا، وتَنازَعوا، وأظهرَ بعضُهم إكفارَ بعضٍ[٦]، والبراءةَ منه، وتلاعَنوا، فأشفَقَ حذيفةُ مما

(١) صحيح البخاري (٤٧٨٤)، وهو في مسند أحمد (٢١٦٤٠).
(٢) سنن الترمذي (٣١٠٤).
(٣) المحرر الوجيز ١/ ٤٩. وانظر تفسير الطبري ١/ ٥٤ ـ ٥٦.
(٤) في (م): الناس.
(٥) في (م): وتشبثهم.
(٦) في المحرر الوجيز ١/ ٤٧: فاختلفوا وتنازعوا حتى قال بعضُهم لبعض: أنا كافر بما تقرأ به.

رَأى منهم، فلما قَدِم حُذَيفَةُ المدينةَ ـ فيما ذكر البخاريُّ والترمذي[١] ـ دخل إلى عثمانَ قبل أن يَدخُلَ إلى بيته، فقال: أدرِكْ هذه الأمةَ قبل أن تَهلِكَ ! قال: فيماذا ؟ قال: في كتاب الله، إني حضرتُ هذه الغزوةَ، وجَمَعَت ناساً من العراق والشام والحجاز. فوصفَ له ما تقدَّم، وقال: إني أخشى عليهم أن يختلفُوا في كتابهم، كما اختلف اليهودُ والنصارى[٢].

قلت: وهذا أدلُّ دليل على بطلان مَن قال: إنَّ المرادَ بالأحرف السبعة قراءاتُ القُرَّاء السبعة، لأنَّ الحقَّ لا يُختلَفُ فيه.

وقد روى سُوَيدُ بنُ غَفَلَةَ[٣]، عن عليِّ بنِ أبي طالب أنَّ عثمان قال: ما تَرَونَ في المصاحف ؟ فإنَّ الناسَ قد اختلفوا في القراءة، حتى إنَّ الرجلَ لَيقول: إنَّ قراءتي خيرٌ من قراءتك، وقراءتي أفضلُ من قراءتك. وهذا شبيهٌ بالكفر ؟ قلنا: ما الرأيُ عندك يا أميرَ المؤمنين ؟ قال: الرأيُ عندي أن يجتمعَ الناسُ على قراءة، فإنكم إذا اختلفتُم اليومَ، كان مَن بَعدَكم أشَدَّ اختلافاً، قلنا: الرأيُ رأيُك يا أميرَ المؤمنين. فأرسلَ عثمانُ إلى حَفصَةَ أن أرسِلي إلينا بالصُّحُف نَنسَخُها في المصاحف، ثم نَرُدُّها إليك. فأرسلَت بها إليه، فأمرَ زيدَ بنَ ثابت، وعبدَ الله بنَ الزُّبير، وسعيدَ بنَ العاصي[٤]، وعبدَ الرحمن بنَ الحارث بنِ هشام[٥]، فنسخُوها في المصاحف. وقال عثمانُ للرَّهط القُرَشِيِّين: إذا اختلفتم أنتم وزيدُ بنُ ثابت في شيء من القرآن، فاكتُبُوه بلسان قريش، فإنما نزلَ بلسانهم، ففعلوا. حتى إذا نَسَخُوا الصُّحُفَ في المصاحف، ردَّ عثمانُ الصُّحُفَ إلى حفصةَ، وأرسلَ إلى كلِّ أُفق بمصحف مما نَسَخُوا، وأمرَ بما سوى ذلك من القرآن في كلِّ صحيفة أو مصحف أن يُحرقَ[٦].

---

(١) صحيح البخاري (٤٩٨٧)، وسنن الترمذي (٣١٠٤).

(٢) من قوله: ووقع بين أهل الشام والعراق... إلى هذا الموضع، من المحرر الوجيز ١/ ٤٧.

(٣) أبو أمية، الجُعفي الكوفي، أسلَم في حياة النبي ﷺ، وقدم المدينة حين فرغوا من دفن رسول الله ﷺ، وشهد اليرموك، مات سنة (٨١هـ). السير ٤/ ٦٩.

(٤) الأموي، كان له عند موت النبي ﷺ تسع سنين، وَلِيَ إمرة الكوفة لعثمان، وإمرةَ المدينة لمعاوية، مات سنة (٥٧هـ). السير ٣/ ٤٤٤.

(٥) المخزومي، رأى النبي ﷺ، مات في خلافة معاوية بالمدينة، سنة (٤٣هـ) السير ٣/ ٤٨٤.

(٦) أخرجه مختصراً ابن أبي داود في المصاحف ص٢٢، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر العسقلاني في الفتح ٩/ ١٨.

وكان هذا من عثمانَ رضي الله عنه بعد أن جمعَ المهاجرين والأنصارَ، وجِلَّةَ أهلِ الإسلام، وشاورَهم في ذلك، فاتفقُوا على جَمعِهِ بما صحَّ، وثبتَ من[(١)] القراءات المشهورةِ عن النبيِّ ﷺ، واطِّراحِ ما سواها، واستَصوَبُوا رأيَه، وكان رأياً سَديداً مُوفَّقاً، رحمة الله عليه وعليهم أجمعين.

وقال الطبري فيما رَوى: إن عثمانَ قَرَنَ بزيد أبَانَ بنَ سعيد بنِ العاصي[(٢)] وحدَه، وهذا ضعيفٌ[(٣)]. وما ذكره البخاريُّ والترمذيُّ وغيرُهما أصحُّ.

وقال الطبري أيضاً: إن الصُّحُفَ التي كانت عند حفصةَ، جُعلت إماماً في هذا الجمع الأخير[(٤)]. وهذا صحيحٌ.

قال ابن شهاب: وأخبرني عبيدُ الله بن عبد الله، أنَّ عبدَ الله بن مسعود كره لزيد بن ثابت نَسخَ المصاحفِ، وقال: يامعشرَ المسلمين، أُعْزَلُ عن نَسخِ المصاحف، ويتولاها[(٥)] رجلٌ، والله، لقد أسلمتُ وإنه لَفي صُلب رجل كافر! يُريد زيدَ بنَ ثابت. ولذلك قال عبدُ الله بنُ مسعود: يا أهلَ العراق، اكتُمُوا المصاحفَ التي عندَكم وغُلُّوها، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١]، فَالْقَوُا اللهَ بالمصاحف. خرَّجه الترمذي[(٦)]. وسيأتي الكلام في هذا في سورة آل عمران، إن شاء الله تعالى[(٧)].

---

(١) في (م): في.

(٢) هو أبو الوليد الأموي، أسلم قبل الفتح، واستعمله النبي ﷺ على البحرين، استُشهد يوم أجنادين. السير ١/ ٢٦١.

(٣) تفسير الطبري ١/ ٥٤ ـ ٥٥، وفي إسناده عُمارة بنُ غَزيَّة. قال الخطيب ـ فيما نقله عنه الحافظ في الفتح ٩/ ١٩ ـ: ووهم عُمارةُ في ذلك، لأن أبان قُتل بالشام في خلافة عمر، ولا مدخل له في هذه القصة.

(٤) تفسير الطبري ١/ ٥٦، ونقله المصنف عنه بواسطة ابن عطية في المحرر الوجيز ١/ ٤٩..

(٥) في (م): ويتولاه.

(٦) سنن الترمذي (٣١٠٤). ابنُ شِهاب: هو الزُّهرِي، وعُبيد الله بنُ عبد الله: هو ابنُ عُتبةَ بنِ مسعود. وقال الترمذي بعده: قال الزُّهري: فبلغني أن ذلك كَرِهَه من مقالة ابنِ مسعود رجالٌ من أفاضل أصحابِ النبي ﷺ.

(٧) لم يذكر المصنف في تفسير الآية المذكورة التأويلَ الذي ذهب إليه عبد الله بنُ مسعود رضي الله عنه. قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على المسند (٣٩٢٩): كان هذا من ابن مسعود... خشية اختلافهم، فغضب ابن مسعود، وهذا رأيُه، ولكنه رحمه الله أخطأ خطأ شديداً في تأويل الآية على ما =

قال أبو بكر الأنباريُّ: ولم يكن الاختيارُ لزيد من جهة أبي بكر وعمر وعثمانَ على عبد الله بن مسعود في جمع القرآن ـ وعبدُ الله أفضلُ من زيد، وأقدمُ في الإسلام، وأكثرُ سوابقَ، وأعظمُ فضائلَ ـ إلا لأن[1] زيداً كان أحفظَ للقرآن من عبد الله، إذ وَعاه كلَّه ورسولُ الله ﷺ حَيٌّ، والذي حَفِظَ منه عبدُ الله في حياة رسولِ الله ﷺ نَيِّفٌ وسبعون سورة، ثم تَعلَّمَ الباقيَ بعدَ وفاةِ الرسولِ ﷺ، فالذي ختمَ القرآنَ وحفظَه ورسولُ الله ﷺ حيٌّ، أولى بجمع المصحف، وأحقُّ بالإيثار والاختيار. ولا ينبغي أن يَظنَّ جاهلٌ أنَّ في هذا طعناً على عبد الله بن مسعود، لأن زيداً إذا كان أحفظَ للقرآن منه، فليس ذلك مُوجِباً لتقدمته عليه، لأنَّ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كان زيدٌ أحفظَ منهما للقرآن، وليس هو خيراً منهما، ولا مساوياً لهما في الفضائل والمناقب.

قال أبو بكر: وما بدا من عبد الله بن مسعود من نكير ذلك، فشيءٌ نَتَجَهُ الغضب، ولا يُعمَل به، ولا يُؤخذ به، ولا يُشكُّ في أنه رضي الله عنه قد عَرَفَ بعد زوالِ الغضبِ عنه حُسنَ اختيار عثمانَ، ومَن معه من أصحاب رسول الله ﷺ، وبقيَ على موافقتهم، وتركَ الخلافَ لهم. فالشائعُ الذائعُ المتعالَمُ عند أهل الرواية والنقل أنَّ عبدَ الله بنَ مسعود تعلَّم بقيَّةَ القرآنِ بعد وفاةِ رسول الله ﷺ. وقد قال بعضُ الأئمة: مات عبدُ الله بنُ مسعود قبلَ أن يَختِمَ القرآنَ. قال يزيدُ بنُ هارون[2]: المُعَوِّذَتان بمنزلة البقرة وآلِ عمران، مَن زعمَ أنهما ليستا من القرآن، فهو كافرٌ بالله[3] العظيم، فقيلَ له: فقولُ عبد الله بن مسعود فيهما؟ فقال: لا خلافَ بين المسلمين في أنَّ عبدَ الله بن مسعود مات وهو لا يَحفَظُ القرآنَ كلَّه.

قلتُ: هذا فيه نظرٌ، وسيأتي[4].

وروى إسماعيلُ بن إسحاقَ وغيره، قال حمَّادٌ: أظنُّه عن أنس بن مالك قال: كانوا يختلفون في الآية، فيقولون: أقرأها رسولُ الله ﷺ فلانَ بنَ فلان، فعسى أن

= أوّل، فإنَّ الغُلول هو الخيانة، والآيةُ واضحةُ المعنى في الوعيد لمن خان أو اختلس من المغانم.

(١) في النسخ الخطية: أن، والمثبت من (م).

(٢) أبو خالد الواسطي، ثقة متقن، توفي في خلافة المأمون سنة (٢٠٦هـ). سير أعلام النبلاء ٩/٣٥٨.

(٣) في (ظ): بالقرآن.

(٤) ص ٩٥.

يكونَ من المدينة على ثلاثِ ليال، فُيرسَلُ إليه، فُيجاء به، فيقال: كيف أقرأَكَ رسولُ الله ﷺ آيةَ كذا وكذا ؟ فيكتُبون كما قال[١].

قال ابنُ شِهاب: واختلفوا يومئذ في «التابوت»، فقال زيدٌ: «التابوه». وقال ابنُ الزُّبير وسعيد بن العاصي: «التابوت»، فرُفع اختلافُهم إلى عثمان، فقال: اكتبوه بالتاء، فإنه نَزَلَ بلسان قريش. أخرجه البخاري والترمذي[٢].

قال ابن عطية[٣]: قرأه زيد بالهاء، والقرشيون بالتاء، فأثبتوه بالتاء، وكُتبتِ المصاحفُ على ما هو عليه غابِرَ الدهر، ونَسخَ منها عثمانُ نُسَخاً. قال غيره: قيل: سبعة، وقيل: أربعة، وهو الأكثر، ووجَّه بها إلى الآفاق، فوجَّه للعراق والشام ومصر بأمَّهات، فاتخذَها قُرَّاءُ الأمصار مُعتمَدَ اختياراتِهم، ولم يخالِف أحدٌ منهم مصحفَه على النحو الذي بلغَه، وما وُجدَ بين هؤلاء القُرَّاء السبعةِ من الاختلاف في حروف يَزيدُها بعضُهم، ويَنقُصُهابعضُهم، فذلك لأنَّ كلاً منهم اعتمدَ على ما بلغَه في مصحفه ورواه، إذ قد كان عثمانُ كتب تلك المواضعَ في بعض النسخ، ولم يكتُبها في بعض، إشعاراً بأنَّ كلَّ ذلك صحيحٌ، وأنَّ القراءةَ بكلٍّ منها جائزةٌ.

قال ابنُ عطية: ثم إنَّ عثمانَ أمرَ بما سواها من المصاحف أن تُحرقَ، أو تُخرقَ - تُروى بالحاء غير منقوطة، وتُروى بالخاء على معنى - ثم تُدفنَ، وروايةُ الحاء غير منقوطة أحسن[٣].

وذكر أبو بكر الأنباري في كتاب «الردّ» عن سُوَيدِ بنِ غَفَلَةَ قال: سمعتُ عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه يقول: يامعشرَ الناس، اتقوا الله، وإيَّاكم والغُلُوَّ في عثمانَ وقولَكم: حرق[٤] المصاحف، فوالله ما حَرقَها إلا عن ملأ منَّا أصحابَ

---

(١) أخرجه أبو عمرو الداني في المقنع ص٧، وقد اختصر القرطبي إسنادَه. حماد: هو ابن زيد، وأخرج ابنُ أبي داود في المصاحف ص٢١ . ٢٢ نحوَه من وجه آخر.

(٢) لم يخرجه البخاري، وإنما أخرجه الترمذي (٣١٠٤)، ونقل الحافظ ابن حجر في الفتح ٩/ ٢٠ عن الخطيب أن هذه الزيادة رواها ابن شهاب - وهو الزُّهري - مرسلة.

(٣) المحرر الوجيز ١/ ٤٩.

(٤) في (م): حرَّاق.

محمد ﷺ[١]. وعن عُميربن سعيد قال: قال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه: لو كنتُ الواليَ وقتَ عثمان، لفعلتُ في المصاحف مثلَ الذي فعل عثمان[٢].

قال أبو الحسن بنُ بطّال: وفي أمرِ عثمانَ بتحريق الصُّحُف والمصاحف حين جمعَ القرآنَ جوازُ تحريقِ الكتبِ التي فيها أسماءُ الله تعالى، وأنَّ ذلك إكرامٌ لها، وصيانةٌ عن الوطء بالأقدام، وطرحِها في ضِياع من الأرض.

روى مَعمَرٌ، عن ابن طاوس، عن أبيه، أنه كان يَحرِقُ الصُّحُفَ إذا اجتمعَت عنده الرسائلُ فيها «بسم الله الرحمن الرحيم». وحرقَ عروةُ بنُ الزُّبير[٣] كتبَ فقه كانت عندَه يومَ الحَرَّة. وكرِهَ إبراهيمُ أن تُحرَقَ الصُّحُفُ إذا كان فيها ذكرُ الله تعالى[٤]. وقولُ من حرقها أولى بالصواب، وقد فعلَه عثمان.

وقد قال القاضي أبو بكر لسان الأمة[٥]: جائزٌ للإمام تحريقُ الصُّحُف التي فيها القرآن، إذا أدَّاه الاجتهادُ إلى ذلك.

فصل

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: وفي فعل عثمانَ رضي الله عنه ردٌّ على الحُلُولية[٦] والحَشْوِيَّة[٧] القائلين بقِدَمِ الحروف والأصوات، وأنَّ القراءةَ والتلاوةَ قديمةٌ، وأنَّ

---

(١) أخرجه ابن شبَّة في تاريخ المدينة ٣/ ٩٩٤ - ٩٩٥ مطولاً.

(٢) وأخرج هذين الأثرين ابنُ أبي داود في المصاحف ص٢٢ و٢٣، وأخرج الثاني منهما أبو عمرو الداني في المقنع ص٨.

(٣) أبو عبد الله القرشي، أحدُ الفقهاء السبعة، أبوه الزبير بن العوام حواريُّ رسول الله ﷺ، توفي سنة (٩٤هـ). السير ٤/ ٤٢١.

(٤) أخرج الآثار الثلاثة عبدُ الرزاق في مصنفه ١١/ ٤٢٥ (٢٠٩٠١) (٢٠٩٠٢) (٢٠٩٠٣).

(٥) هو أبو بكر ابنُ الطيب الباقلاني، وسلفت ترجمته ص٧٤، وقد لقَّبه بلسان الأمة القاضي عياض في ترتيب المدارك ٤/ ٥٨٥.

(٦) هم القائلون: إن الله حالٌّ في كل شيء، مُتَّحِدٌ به، حتى جوَّزوا أن يطلق على كل شيءٍ أنه الله! تعالى الله عما يقولون علوّاً كبيراً.
وينظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٢/ ٣٦٤ وما بعدها.

(٧) الحَشْوِيَّة - بسكون الشين؛ نسبة إلى الحَشْو - طائفة من المبتدعة؛ لُقِّبُوا بهذا اللقب؛ لاحتمالهم كل حَشْوٍ رُوِيَ من الأحاديث المختلفة، أو لأن منهم المجسِّمة، والجسم محشوّ. المستصفى للغزالي ٢/ ٤٦٢، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، ودائرة المعارف الإسلامية (حشو).
وقد يطلق بعض المبتدعة هذا اللقب على المخالف لهم. وقيل: إن أول من أطلق هذا اللقب عمرو بن=

الإيمانَ قديمٌ، والروحَ قديم. وقد أجمعتِ الأمةُ، وكُلُّ أمة من النصارى واليهود والبراهمة، بل كلُّ مُلحِد وموحِّد، أنَّ القديمَ لا يُفعَل، ولا تتعلقُ به قدرةُ قادر بوجه ولا بسبب، ولا يجوز العدمُ على القديم، وأنَّ القديمَ لا يصيرُ مُحدَثاً، والمُحدَثَ لا يصيرُ قديماً، وأنَّ القديمَ ما لا أوَّلَ لوجوده، وأنَّ المُحدَثَ هو ما كانَ بعدَ أن لم يكن، وهذه الطائفةُ خَرَقَت إجماعَ العقلاء من أهل المِلل وغيرِهم، فقالوا: يجوز أن يصيرَ المُحْدَثُ قديماً، وأنَّ العبدَ إذا قرأ كلامَ الله تعالى، فعلَ كلاماً لله قديماً، وكذلك إذا نَحتَ حروفاً من الآجُرِّ والخشب، أو صاغَ أحرفاً من الذهب والفضة، أو نسجَ ثوباً، فنقشَ عليه آيةً من كتاب الله، فقد فعل هؤلاء كلامَ الله قديماً، وصار كلامُه منسوجاً قديماً، ومنحوتاً قديماً، ومَصُوغاً قديماً. فيقال لهم: ما تقولون في كلام الله تعالى، أيجوزُ أنْ يذابَ ويُمحى ويُحرقَ؟ فإن قالوا: نعم، فارقوا الدِّينَ، وإن قالوا: لا، قيل لهم: فما قولُكم في حروف مصوَّرة آية من كتاب الله تعالى من شَمَع، أو ذهب، أو فضة، أو خشب، أو كاغَد، فوقَعَت في النار، فذابَت واحترقَت، فهل تقولون: إنَّ كلامَ الله احترق؟ فإن قالوا: نعم، تركوا قولَهم، وإن قالوا: لا، قيل لهم: أليس قلتُم: إنَّ هذه الكتابةَ كلامُ الله وقد احترقت، وقلتُم: إن هذه الأحرفَ كلامُه وقد ذابَت؟! فإن قالوا: احترقتِ الحروفُ، وكلامُه تعالى باقٍ، رَجَعوا إلى الحقِّ والصواب، ودَانُوا بالجواب، وهو الذي قاله النبيُّ ﷺ مُنبِّهاً على ما يقول[1] أهلُ الحق: «لو كان القرآنُ في إهاب، ثم وقعَ في النار، ما احترَقَ»[2]. وقال الله عز وجل: «أنزلتُ عليك كتاباً لا يَغسِلُه الماءُ، تقرؤه نائماً ويقظانَ» الحديث. أخرجه مسلم[3].

= عُبيد المعتزلي على عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. توضيح المقاصد في شرح قصيدة ابن القيم لابن عيسى ٢/ ٧٦-٨٠.

(١) في (ظ): يقوله.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٧٣٦٥) من حديث عقبة بن عامر، وإسناده ضعيف، ونقل البغوي في شرح السنة ٤/ ٤٣٧ عن الإمام أحمد قوله: معناه: لو كان القرآن في إهاب، يعني في جلد، في قلب رجل، يُرجى لمن القرآن محفوظ في قلبه أن لا تمسَّه النار. ونقل عن أبي عبد الله البوشنجي قوله: معناه: أن من حمل القرآن وقرأه، لم تمسَّه النار يوم القيامة. وانظر جمال القراء للسخاوي ١/ ١٥٣ ـ ١٥٥.

(٣) صحيح مسلم (٢٨٦٥). وهو قطعة من حديث عِياض بن حمار المجاشعي، وأخرجه أحمد (١٧٤٨٤). قال النووي في شرح صحيح مسلم ١٧/ ١٩٨: معناه: محفوظ في الصدور، لايتطرق إليه الذهاب، بل يبقى على ممر الأزمان. يكون محفوظاً لك في حالتي النوم واليقظة، وقيل: تقرأه في يسر وسهولة.

فثبت بهذا أنَّ كلامَه سبحانه ليس بحرف، ولا يُشبه الحروفَ. والكلامُ في هذه المسألة يطول، وتتميمُها في كتب الأصول، وقد بيَّنَّاها في «الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى».

فصل

وقد طعن الرافضةُ ـ قبَّحهم الله تعالى ـ في القرآن، وقالوا: إنَّ الواحدَ يكفي في نقل الآيةِ والحرفِ، كما فعلتُم، فإنكم أثبتُّم بقول رجل واحد ـ وهو خُزيمةُ بنُ ثابت وحدَه ـ آخرَ براءة[١]، وقولَه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

فالجوابُ: أن خُزيمةَ رضي الله عنه لمَّا جاء بها تَذَكَّرَها كثيرٌ من الصحابة، وقد كان زيدٌ يعرفها[٢]، ولذلك قال: فقدتُ آيتَينِ من آخر سورةِ التوبة. ولو لم يعرفها[٣]، لم يَدرِ هل فَقَدَ شيئاً أو لا، فالآيةُ إنما ثَبتَت بالإجماع، لا بخزيمةَ وحدَه.

جوابٌ ثان: إنما ثَبتَت بشهادة خُزيمةَ وحدَه لقيام الدليل على صِحَّتها في صفة النبيِّ ﷺ، فهي قرينة تُغني عن طلب شاهد آخرَ، بخلاف آية الأحزاب، فإنَّ تلك ثبتَت بشهادة زيد وأبي خُزيمةَ، لسماعهما إيَّاها من النبيِّ ﷺ. قال معناه المهلب[٤]، وذكر أنَّ خُزيمةَ غيرُ أبي خُزيمةَ، وأنَّ أبا خُزيمةَ الذي وُجدَت معه آيةُ التوبة معروفٌ من الأنصار، وقد عَرَفه أنسٌ، وقال: نحن وَرِثناه، والتي في الأحزاب وُجدَت مع خُزيمةَ بنِ ثابت، فلا تَعارضَ، والقصةُ غيرُ القصة، لا إشكالَ فيها ولا التباس.

وقال ابنُ عبد البَر: أبو خُزيمةَ لا يُوقَفُ على صحة اسمه، وهو مشهورٌ بكُنيته، وهو أبو خُزيمةَ بنُ أوس بن زيد بن أَصْرم بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار، شهد بدراً وما بعدها من المشاهد، وتُوفِّي في خلافةِ عثمانَ بنِ عفان، وهو أخو مسعود بنِ أوس[٥]. قال ابنُ شِهاب، عن عُبَيد بنِ السبَّاق، عن زيدِ بنِ ثابت: وجدتُ آخِرَ التوبة

---

(١) في (م): سورة براءة.

(٢) في (م): لما جاء بهما تذكرهما وقد كان زيد يعرفهما.

(٣) في (م): يعرفهما.

(٤) هو أبو القاسم المهلب بن أحمد بن أبي صُفرة أسيد بن عبد الله الأسدي الأندلسي، ولي قضاء المريَّة. توفي سنة (٤٣٥هـ). سير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٧٩.

(٥) هو أبو محمد الأنصاري، شهد بدراً وما بعدها من المشاهد، قيل: توفي في خلافة عمر. الاستيعاب ١٠/ ٧٩ (بهامش الإصابة).

مع أبي خُزَيمةَ الأنصاري. وهو هذا، ليس[١] بينه وبين الحارث بنِ خُزيمةَ[٢] أبي خزيمة نسبٌ إلا اجتماعُهما في الأنصار، أحدُهما أوسيٌّ، والآخَرُ خَزرَجِيٌّ[٣].

وفي «مسلم» و«البخاري»، عن أنس بن مالك قال: جمعَ القرآنَ على عهد النبيِّ ﷺ أربعةٌ، كلُّهم من الأنصار: أُبَيُّ بنُ كعب، ومعاذُ بنُ جَبَل، وزيدُ بنُ ثابت، وأبو زيد. قلتُ لأنس: مَن أبو زيد؟ قال: أحدُ عمومتي[٤].

وفي «البخاري» أيضاً، عن أنس قال: ماتَ النبيُّ ﷺ ولم يجمعِ القرآنَ غيرُ أربعة: أبو الدرداء، ومعاذُ بن جبل، وزيد، وأبو زيد، ونحن وَرِثْناه[٥].

وفي أُخرى قال: مات أبو زيد ولم يَترك عَقِباً، وكان بَدرِيًّا[٦]، واسمُ أبي زيد: سَعدُ بنُ عُبَيد[٧].

قال ابنُ[٨] الطَّيِّب رضي الله عنه: لا تدلُّ هذه الآثارُ على أنَّ القرآنَ لم يَحفَظه في حياة النبيِّ ﷺ، وأنه لم[٩] يجمعه غيرُ أربعة من الأنصار، كما قال أنسُ بن مالك، فقد ثبتَ بالطرق المتواترة أنه جمعَ القرآنَ عثمانُ، وعليٌّ، وتَميمٌ الداريُّ[١٠]، وعُبادةُ بنُ الصامت، وعبدُ الله بنُ عَمرو بنِ العاص.

فقولُ أنس: لم يجمعِ القرآنَ غيرُ أربعة، يَحتَمِلُ أنه لم يجمعِ القرآنَ، وأخذَه تَلَقِّياً[١١]

---

(١) في (م): وليس.

(٢) شهد بدراً وما بعدها، ومات بالمدينة سنة (٤٠هـ). الاستيعاب ٢/ ٢٣٤.

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر ١١/ ٢١٤ (بهامش الإصابة)، وقول زيد بن ثابت أخرجه البخاري ضمن حديث جمع القرآن (٤٩٨٦)، وانظر كلام الحافظ في الفتح ٨/ ٣٤٥ و٩/ ١٥.

(٤) صحيح البخاري (٣٨١٠)، وصحيح مسلم (٢٤٦٥)، وهو في مسند أحمد (١٣٩٤٢).

(٥) صحيح البخاري (٥٠٠٤).

(٦) صحيح البخاري (٣٩٩٦).

(٧) ذكر الحافظ في الفتح ٧/ ١٢٨ أن الأرجح في اسمه: قيس بن السكن، وذكر أيضاً في ٩/ ٥٣ أن ابن أبي داود روى بإسناد على شرط البخاري إلى ثمامة عن أنس أن أبا زيد الذي جمع القرآن اسمه قيس بن السكن قال: وكان رجلاً منا من بني عدي بن النجار، أحد عمومتي، ومات ولم يدع عقباً، ونحن ورثناه.

(٨) وقع في هذا الموضع وفي المواضع السالفة في (ظ): أبو، وهو خطأ.

(٩) في (م): ولم.

(١٠) أبو رقية، صاحب رسول الله ﷺ، وفد سنة تسع وأسلم، حدث عنه النبي ﷺ بقصة الجسّاسة، توفي سنة (٤٠هـ). سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٤٢.

(١١) في (م): تلقيناً.

من في رسول الله ﷺ، غيرُ تلك الجماعة، فإنَّ أكثرَهم أخذَ بعضَه عنه، وبعضَه عن غيره، وقد تظاهرتِ الرواياتُ بأنَّ الأئمةَ الأربعةَ جمعُوا القرآنَ على عهد النبيِّ ﷺ لأجل سَبقِهم إلى الإسلام، وإعظامِ الرسول ﷺ لهم.

قلت: لم يذكر القاضي عبدَ الله بنَ مسعود وسالماً مولى أبي حُذيفة[١] رضي الله عنهما فيما رأيت، وهما ممَّن جمعَ القرآن.

روى جريرٌ، عن عبد الله بن يزيدَ الصُّهباني، عن كُمَيْل قال: قال عمرُبن الخطاب: كنتُ مع رسول الله ﷺ، ومعه أبو بكر، ومن شاء الله، فمرَرنا بعبد الله بنِ مسعود وهو يُصلِّي، فقال رسولُ الله ﷺ: «مَن هذا الذي يقرأُ القرآن؟» فقيل له: هذا عبدُ الله بنُ أُمِّ عَبد، فقال: «إنَّ عبدَ الله يَقرأُ القرآنَ غَضًّا كما أُنْزِلَ»[٢] الحديث.

قال بعضُ العلماء: معنى قوله: «غَضًّا كما أُنزل» أي: إنه كانَ يقرأُ الحرفَ الأوَّلَ الذي أُنزِل عليه القرآنُ دون الحروفِ السبعة التي رُخِّصَ لرسول الله[٣] ﷺ في قراءته عليها بعد معارضة[٤] جبريلَ عليه السلام القرآنَ إيَّاه في كلِّ رمضان.

وقد روى وكيعٌ وجماعةٌ معه، عن الأعمش، عن أبي ظَبْيان قال: قال لي عبدُ الله بنُ عباس: أيَّ القراءتين تقرأ؟ قلتُ: القراءةَ الأولى؛ قراءةَ ابنِ أُمِّ عَبْد، فقال لي: بل هي الآخِرةُ[٥]، إنَّ رسولَ الله ﷺ كان يَعرِضُ القرآنَ على جبريلَ في كلِّ عام مرَّة، فلما كان العامُ الذي قُبِضَ فيه رسولُ الله ﷺ، عَرَضَه عليه مرَّتين، فحضَرَ ذلك عبدُ الله، فعَلِمَ ما نُسِخَ من ذلك، وما بُدِّل[٦].

---

(١) أبو حذيفة: هو ابنُ عتبة بن ربيعة، القرشي، قيل: اسمه مِهشَم، أحدُ السابقين، وقد أسلم قبل دخولهم دار الأرقم، استشهد هو ومولاه سالم يوم اليمامة سنة اثنتي عشرة. ومولاه سالم، هو ابنُ معقل، أصلُه من اصطخر، وهو من السابقين الأولين، وهو الذي أرضعته سهلة بنتُ سهيل زوجة أبي حذيفة لتظهر عليه، وخُصَّا بذلك الحكم عند جمهور العلماء. السير ١/ ١٦٤ ـ ١٦٧.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٣١٧ من الطريق التي ذكرها المصنف، لكن قال فيه: عن علي قال: كنتُ مع النبي ﷺ... الحديث. وكذا ذكره الحافظ ابن حجر في إتحاف المهرة ١١/ ٦٠٠. فلعلَّ قوله أعلاه: عمر بن الخطاب، خطأً، أو وهم. وقد أخرجه أحمد في المسند (١٧٥) من طريق إبراهيم النخعي، عن علقمة، عن عمر بن الخطاب، وأخرجه أيضاً (٤٢٥٥) من طريق عاصم، عن زر، عن ابن مسعود.

(٣) في النسخ الخطية: رسول الله، والمثبت من (م).

(٤) في النسخ الخطية: معارضته، والمثبت من (م).

(٥) في (ظ): لا بل الآخرة.

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (٣٤٢٢)، وإسناده صحيح.

وفي «صحيح» مسلم عن عبد الله بنِ عَمرو قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «خُذُوا القرآنَ من أربعة: من ابنِ أمِّ عبد. فبدأ به. ومعاذِ بنِ جَبَل، وأُبَيِّ بنِ كَعب، وسالم مَولى أبي حُذَيفةَ»(١).

قلتُ: هذه الأخبارُ تدلُّ على أنَّ عبدَ الله جمعَ القرآنَ في حياة رسول الله ﷺ، خلافَ ما تقدَّم(٢). والله أعلم.

وقد ذكر أبو بكر الأنباري في كتاب «الرَّد»: حدثنا محمدُ بن شَهرَيار، حدثنا حسينُ بنُ الأسود، حدثنا يحيى بنُ آدمَ، عن أبي بكر، عن أبي إسحاقَ قال: قال عبدُالله بن مسعود: قرأتُ من في رسول الله ﷺ ثنتين وسبعين سورة - أوثلاثاً وسبعين سورة - وقرأتُ عليه من البقرة إلى [قوله تعالى]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

قال أبو إسحاق: وتعلَّم عبدُ الله بقيَّةَ القرآن من مُجَمِّعِ بنِ جارِيَةَ الأنصاريِّ.

قلت: فإن صَحَّ هذا، صحَّ الإجماعُ الذي ذكره يزيدُ بن هارون، فلذلك لم يذكُره القاضي أبو بكر بنُ الطَّيِّب مع مَنْ جمع القرآنَ وحَفِظَه في حياة النبيِّ ﷺ. والله أعلم.

قال أبو بكر الأنباري: حدثني إبراهيمُ بن موسى الجَوْزي(٣)، حدثنا يوسفُ بن موسى، حدثنا مالك بن إسماعيلَ، حدثنا زهيرٌ، عن أبي إسحاقَ قال: سألتُ الأسودَ: ما كان عبدُ الله يصنعُ بسورة الأعراف؟ فقال: ما كان يَعلَمُها(٤) حتى قَدِم الكوفةَ. قال: وقد قال بعضُ أهلِ العلم: مات عبدُ الله بن مسعود رحمه الله قبلَ أن يتعلَّمَ المعوِّذَتَيْن. فلهذه العلةِ لم تُوجدا في مصحفه، وقيل غيرُ هذا على ما يأتي بيانُه آخِرَ الكتاب، عند ذكر المعوِّذتين، إن شاء الله تعالى.

قال أبو بكر: والحديثُ الذي حدثناه إبراهيمُ بن موسى، حدثنا يوسفُ بن موسى، حدثنا عُمر بن هارون الخُراساني، عن ربيعةَ بن عثمان، عن محمد بن كعب القُرَظِيِّ قال: كان ممَّن ختمَ القرآنَ ورسولُ الله ﷺ حيٌّ: عثمانُ بنُ عفان، وعليُّ بنُ أبي

---

(١) صحيح مسلم (٢٤٦٤)، وهو عند أحمد (٦٧٩٠).

(٢) ص ٨٨.

(٣) في (م): الخوزي، وهو خطأ، انظر السير ١٤/ ٢٣٤.

(٤) في (د): تعلَّمها.

طالب، وعبدُ الله بنُ مسعود، رضي الله عنهم، حديثٌ ليس بصحيح عند أهل العلم، إنما هو مقصورٌ على محمد بن كعب، فهو مقطوع، لا يُؤخذ به، ولا يُعوَّلُ عليه.

قلت: قوله عليه السلام: «خُذُوا القرآنَ من أربعة: من ابنِ أُمِّ عَبد» يدلُّ على صِحَّته، ومما يبيِّنُ لك ذلك أنَّ أصحابَ القراءات من أهل الحجاز والشامِ والعراقِ، كلٌّ منهم عَزَا قراءَتَه التي اختارها إلى رجل من الصحابة، قرأها على رسول الله ﷺ، لم يستثن من جملة القرآنِ شيئاً، فأسندَ عاصمٌ[(١)] قراءتَه إلى عليٍّ وابنِ مسعود، وأسندَ ابنُ كثير[(٢)] قراءتَه إلى أُبَيٍّ، وكذلك أبو عمرو بنُ العلاء[(٣)]؛ أسندَ قراءتَه إلى أُبَيٍّ، وأما عبدُ الله بنُ عامر[(٤)]، فإنه أسنَدَ قراءتَه إلى عثمان، وهؤلاء كلُّهم يقولون: قرأْنا على رسول الله ﷺ، وأسانيدُ هذه القراءات متصلةٌ، ورجالُها ثقاتٌ. قاله الخَطَّابي[(٥)].

باب ما جاء في ترتيب سُوَر القرآن وآياته، وشَكْلِه ونَقْطِه، وتَحْزِيبِه، وتعشيرِه، وعددِ حروفِه، وأجزائِه[(٦)]، وكلماتِه، وآيِهِ

قال ابنُ الطَّيِّب: إن قال قائلٌ: قد اختلفَ السَّلَفُ في ترتيبِ سُوَرِ القرآن، فمنهم مَن كتبَ في مُصحفه السورَ على تاريخ نزولها، وقَدَّم المكيَّ على المدنيِّ، ومنهم مَن جَعَلَ في أوَّل مصحفه: ﴿ٱلْحَمْدُ﴾، ومنهم مَن جعلَ في أوَّله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾، وهذا أوَّلُ مصحف عليٍّ رضي الله عنه. وأما مصحفُ ابن مسعود؛ فإنَّ أوَّلَه: ﴿مَٰلِكِ

---

(١) هو عاصم بنُ أبي النَّجود بَهدَلة (وقيل: بهدلة أمُّه) أبو بكر الأسدي، شيخ الإقراء بالكوفة، وأحد القُرَّاء السبعة. توفي آخر سنة (١٢٧هـ). سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٥٦.

(٢) هو عبد الله بن كثير، مقرئ مكة، أحد القُرَّاء السبعة، أبو معبد الكناني. توفي سنة (١٢٠هـ). السير ٥/ ٣١٨.

(٣) البصري، أحد القراء السبعة، اختلف في اسمه على أقوال، أشهرها زبَّان، كان أعلم الناس بالقراءات والعربية والشعر وأيام العرب، مدحه الفرزدق وغيره، توفي سنة (١٥٤هـ)، وقيل (١٥٧هـ). السِّيَر ٦/ ٤٠٧.

(٤) أبو عمران اليَحصُبي، الدمشقي، مقرىء الشام، أحد القُرَّاء السبعة، توفي سنة (١٢٨هـ). السِّيَر ٥/ ٢٩٢.

(٥) في أعلام الحديث ٣/ ١٨٥٥.

(٦) في (ظ): وأحزابه، وهو تكرار.

﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ ثم البقرة، ثم النساء، على ترتيب مختلف. وفي مصحف[١] أُبَيٍّ كان أوَّلُه: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ [ثم البقرة] ثم النساء، ثم آل عمران، ثم الأنعام، ثم الأعراف، ثم المائدة، ثم كذلك على اختلاف شديد.

قال القاضي أبو بكر بنُ الطَّيِّب: فالجواب أنه يَحتمل أن يكونَ ترتيبُ السور على ما هي عليه اليومَ في المصحف كان على وجه الاجتهاد من الصحابة[٢].

وذكر ذلك مكيٌّ رحمه الله في تفسير سورة براءة[٣]، وذكر أنَّ ترتيبَ الآيات في السور، ووضعَ البَسملة في الأوائل، هو من النبيِّ ﷺ، ولما لم يأمُر بذلك في أوَّل سورة براءة، تُركت بلا بسملة. هذا أصحُّ ما قيل في ذلك، وسيأتي[٤].

وذكر ابنُ وَهْب في «جامعه» قال: سمعتُ سليمانَ بنَ بلال[٥] يقول: سمعتُ ربيعةَ[٦] يُسأل: لم قُدِّمتِ البقرةُ وآلُ عمران، وقد نزلَ قبلَهما بضعٌ وثمانون سورة، وإنما نزلتا بالمدينة؟ فقال ربيعةُ: قد قُدِّمتا، وأُلِّف القرآنُ على علم ممَّن أَلَّفه، وقد اجتمعوا على العلم بذلك، فهذا مما ننتهي إليه، ولانَسألُ[٧] عنه.

وقد ذكر سُنَيْدٌ[٨] قال: حدثنا مُعتَمِرٌ، عن سلَّام بنِ مسكين، عن قتادةَ قال: قال ابنُ مسعود: مَن كان منكم متأسِّياً، فَليتأسَّ بأصحاب رسول الله ﷺ، فإنهم كانوا أبرَّ هذه الأمةِ قلوباً، وأعمقَها علماً، وأقلَّها تَكلُّفاً، وأقومَها هَدياً، وأحسنَها حالاً، اختارهم اللهُ لصحبة نبيِّه ﷺ، وإقامة دينه، فاعْرِفوا لهم فضلَهم، واتَّبِعُوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهُدَى المستقيم.

---

(١) في (م): ومصحف.

(٢) الانتصار (١٦٥ ـ ١٦٦ مخطوط) بتصرف واختصار، وما بين حاصرتين منه.

(٣) لعله ذكر ذلك في كتابه «الهداية إلى بلوغ النهاية» في معاني القرآن وأنواع علومه في سبعين جزءًا، ذكره صاحب هدية العارفين ٦/ ٤٧١.

(٤) في أول سورة براءة.

(٥) القرشي التيمي مولاهم، المدني، المفتي الحافظ، توفي سنة (١٧٢هـ). السير ٧/ ٤٢٥.

(٦) هو ابنُ أبي عبد الرحمن، أبو عثمان، ويقال: أبو عبد الرحمن القرشي، المشهور بربيعة الرأي، مفتي المدينة، توفي سنة (١٣٦هـ) السير ٦/ ٨٩. ولم نجد قول ابن وهب في جامعه الذي بين أيدينا.

(٧) في (ظ): تسأل.

(٨) هو ابنُ داود المِصِّيصي، من رجال التهذيب.

وقال قومٌ من أهل العلم: إنَّ تأليفَ سُوَر القرآن على ما هو عليه في مُصحفنا كان عن توقيف من النبيِّ ﷺ، وأمَّا ما رُوي من اختلاف مُصحفِ أُبَيٍّ وعليٍّ وعبدِ الله، فإنما[1] كان قبلَ العَرضِ الأخير، وإنَّ رسولَ الله ﷺ رتَّبَ لهم تأليفَ السور بعد أن لم يكُن فعلَ ذلك.

روى يونسُ، عن ابنِ وَهْب قال: سمعتُ مالكاً يقول: إنما أُلِّف القرآنُ على ما كانوا يسمعونه من رسول الله ﷺ.

وذكر أبو بكر الأنباريُّ في كتاب «الردّ» أنَّ الله تعالى أنزلَ القرآنَ جملة إلى سماء الدُّنيا، ثم فُرِّقَ على النبيِّ ﷺ في عشرين سنة، وكانت السورةُ تَنزِلُ في أمر يحدُثُ، والآيةُ جواباً لمستخبرٍ يَسأل، ويُوقِفُ جبريلُ رسولَ الله ﷺ على موضع السورة والآية، فاتِّساقُ السُّور كاتِّساق الآيات والحروف، فكلُّه عن محمد خاتم النبيِّين عليهم السلام، عن ربِّ العالمين، فمَن أخَّرَ سورة مُقدَّمة، أو قَدَّمَ أخرى مُؤخَّرة، فهو كمن أفسدَ نَظْمَ الآيات، وغيَّر الحروفَ والكلماتِ، ولا حُجَّةَ على أهل الحقِّ في تقديم البقرةِ على الأنعام ـ والأنعامُ نزلَت قبلَ البقرة ـ لأنَّ رسولَ الله ﷺ أُخِذَ عنه هذا الترتيبُ، وهو كان يقول: «ضَعُوا هذه السورةَ موضعَ كذا وكذا من القرآن»[2]. وكان جبريلُ عليه السلام يَقِفُ على مكان الآيات.

حدثنا حسنُ بن الحُبَاب، حدثنا أبو هشام، حدثنا أبو بكر بنُ عيَّاش، عن أبي إسحاقَ، عن البراء قال: آخِرُ ما نزلَ من القرآن[3]: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦][4].

قال أبو بكر بنُ عيَّاش: وأخطأ أبو إسحاقَ، لأنَّ محمدَ بنَ السائب حدثنا عن أبي صالح[5]، عن ابن عباس قال: آخِرُ ما نزلَ من القرآن: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ

(١) في النسخ الخطية: إنما، والمثبت من (م).
(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣٩٩) من حديث عثمان بن عفان مطولاً.
(٣) قوله: من القرآن، ليس في (ظ).
(٤) أبو هشام ـ وهو محمد بن يزيد الرفاعي ـ ضعيف، لكن الحديث صحيح، فقد أخرجه من وجه آخر البخاري (٤٣٦٤)، ومسلم (١٦١٨).
(٥) في النسخ الخطية و(م): عن أبي السائب، وهو خطأ.

إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]. فقال جبريلُ للنبيِّ عليهما السلام: يا محمدُ، ضَعْها في رأس ثمانين ومئتين من البقرة(١).

قال أبو الحسن بنُ بطَّال: ومَن قالَ بهذا القولِ، لا يقولُ: إنَّ تلاوةَ القرآن في الصلاة والدرس يجب أن تكونَ مرتَّبةً على حسب الترتيب الموقَّف عليه في المصحف، بل إنما يجب تأليفُ سُوَرِهِ في الرسم والخطِّ خاصَّة، ولا يُعلَمُ أنَّ أحداً منهم قال: إنَّ ترتيبَ ذلك واجبٌ في الصلاة، وفي قراءة القرآن ودرسه، وأنه لا يَحِلُّ لأحد أن يَتلقَّنَ الكهفَ قبلَ البقرة، ولا الحجَّ قبل(٢) الكهف. ألا ترى قولَ عائشةَ رضي الله عنها للذي سألها: لا يَضرُّكَ أيَّهُ قرأتَ قبلُ(٣)؟

وقد كان النبيُّ ﷺ يقرأ في الصلاة السورةَ في ركعة، ثم يقرأ في ركعة أخرى بغير السورة التي تليها.

وأما مارُوي عن ابن مسعود وابن عمر، أنهما كَرِها أن يُقرأَ القرآنُ منكوساً، وقالا: ذلك منكوسُ القلب(٤)؛ فإنما عَنَيا بذلك مَن يقرأُ السورةَ منكوسة، ويَبتدئُ من آخرها إلى أوَّلها، لأنَّ ذلك حرامٌ محظورٌ، ومن الناس مَن يتَعاطى هذا في القرآن والشِّعر، لِيُذَلِّلَ لسانَه بذلك، ويَقدِرَ على الحفظ، وهذا حظَره اللهُ تعالى، ومنعَه في القرآن؛ لأنه إفسادٌ لِسُوَرِه، ومخالفةٌ لما قُصِدَ بها.

ومما يدلُّ على أنه لا يجب إثباتُه في المصاحف على تاريخ نزوله، ما صحَّ وثبتَ أنَّ الآياتِ كانت تَنزِلُ بالمدينة، فتُوضَعُ في السورة المكيَّة. ألا ترى قولَ عائشةَ رضي

(١) محمد بن السائب: هو الكلبي، وقد تكلموا فيه، وأبو صالح (وهو باذام ـ ويقال باذان ـ مولى أم هانىء) ضعيف. والكلبي معروف بروايته عنه، وقد أخرجه الفرَّاء في معاني القرآن ١/ ١٨٣ عن أبي بكر بن عياش، بهذا الإسناد. وكذلك أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٧/ ١٣٧ من طريق سفيان الثوري، عن الكلبي بنحوه. وقد صحَّ هذا الحديث من طرق أخرى فيما أخرجه الطبري في التفسير ٥/ ٦٧ وغيرُه. وجمع الحافظ ابن حجر في الفتح ٨/ ٢٠٥ بين هذه الرواية والرواية السالفة بأن الآيتين نزلتا جميعاً، فيصدق أن كلاً منهما آخر بالنسبة لما عداهما.

(٢) في النسخ الخطية: بعد، والمثبت من (م).

(٣) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٤٩٩٣).

(٤) أثر صحيح، وأخرجه عبد الرزاق (٧٩٤٧)، وابن أبي شيبة ١٠/ ٥٦٤، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٣١٢) و(٢٣١٣) من طريقين عن الأعمش، عن أبي وائل شقيق بن سلمة، عن عبد الله بن مسعود.

الله عنها: وما نزلَت سورةُ البقرة والنساء إلا وأنا عنده[١]؟ يعني بالمدينة. وقد قُدِّمَتا في المصحف على ما نزلَ قبلَهما من القرآن بمكة. ولو أُلِّفوه[٢] على تاريخ النزول، لوجب أن يَنتقِضَ ترتيبُ آياتِ السُّوَر.

قال أبو بكر الأنباريُّ: حدثنا إسماعيلُ بن إسحاق القاضي، حدثنا حجَّاج بن مِنهال، حدثنا همَّامٌ، عن قتادةَ قال: نزلَ بالمدينة من القرآن: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، وبراءة، والرَّعد، والنَّحل، والحجّ، والنور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحُجُرات، والرحمن، والحديد، والمجادلة، والحَشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، ويا أيها النبيُّ لِمَ تُحَرِّمُ إلى رأس العَشر، وإذا زُلزلت، وإذا جاء نصرُ الله. هؤلاء السُّوَرُ نزلنَ[٣] بالمدينة، وسائرُ القرآن نزل بمكة[٤].

قال أبو بكر: فمَن عَمِلَ على تركِ الأثر، والإعراضِ عن الإجماع، ونظَمَ السُّوَرَ على منازلها بمكةَ والمدينة، لم يَدرِ أينَ تقعُ الفاتحةُ، لاختلاف الناس في موضع نزولِها، ويضطرُّ إلى تأخير الآية التي في رأس خمس وثلاثين ومئتين من البقرة إلى رأس الأربعين، ومن أفسَدَ نَظمَ القرآن، فقد كفرَ به، وردَّ على محمد ﷺ ما حكاه عن رَبِّه تعالى.

وقد قيل: إنَّ عِلَّةَ تقديمِ المدنيِّ على المكِّيِّ هو أنَّ الله تعالى خاطَبَ العربَ بلغتها، وما تعرِفُ من أفانين خطابها ومحاورتها، فلما كان فَنٌّ من كلامِهم مبنيًّا على تقديمِ المؤخَّر، وتأخيرِ المقدَّم، خُوطبوا بهذا المعنى في كتاب الله تعالى، الذي لو فقدوه من القرآن، لقالوا: ما بالُه عَرِيَ من هذا الباب الموجود في كلامنا، المُستَحلَى من نِظامنا. قال عَبِيدُ بنُ الأبرص[٥]:

---

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٤٩٩٣).

(٢) في (ظ): أبقوه.

(٣) في (ظ): نزلت.

(٤) وأورده كذلك السيوطي في الإتقان ١/ ١١ ـ ١٢ عن ابن الأنباري.

(٥) شاعر جاهلي قديم، من المعمَّرين، شهد مقتل حُجر أبي امرىء القيس. الشعر والشعراء ١/ ٢٦٧، وذكره ابن سلَّام الجُمحي في الطبقة الرابعة من طبقاته ١/ ١٣٨، وقال: قديم، عظيم الذكر، عظيم الشهرة، وشعره مضطرب ذاهب. والبيتان في ديوانه ص٢٤.

أن بُـدِّلَـتْ أهـلَـهـا وُحـوشـاً[١] وغَـيَّـرتْ حـالَـهـا الـخُـطـوبُ
عَـيـنـاكَ دَمـعُـهُـمـا سَـرُوبُ كـأنَّ شَـأنَـيـهـمـا شَـعِـيـبُ

أراد: عيناكَ دمعُهما سَروبُ لأنْ تَبدَّلَت من أهلها وُحوشاً، فقَدَّمَ المؤخَّر، وأخَّرَ المقدَّمَ. ومعنى سَروب: منصبٌّ على وجه الأرض من كثرته[٢]، ومنه السارِب، للذاهب على وجهِه في الأرض. قال الشاعر[٣]:

أنَّـى سَـرَبـتِ وكُـنـتِ غـيـرَ سَـرُوبِ

وقوله: شَأنَيهما؛ الشأنُ: واحدُ الشؤون، وهي مَوَاصِلُ قبائلِ الرأس ومُلتقاها[٤]، ومنها يجيءُ الدمع[٥]. شَعِيب: مُتفرِّق.

فصل[٦]

وأما شَكْلُ المصحف ونَقْطُه، فَرُوِيَ أنَّ عبدَ الملك بنَ مروان[٧] أمرَ به وعَمِلَه، فتجرَّد لذلك الحجَّاجُ[٨] بواسِط، وجدَّ فيه، وزادَ تحزيبَه[٩]، وأمرَ ـ وهو والي العراق ـ

(١) اضطربت النسخ في هذا الشطر من البيت، فوقع في (ظ): لأن تبدَّلت من أهلها وحوشاً (وعليه شرحَ المصنف)، وفي (د): أن يبدل من أهلها...، وفي (م): أن بدلت منهم...، وما أثبتناه من ديوانه ص٢٤. وقد اختلفت المصادر في روايته، فوقع في جمهرة أشعار العرب لابن أبي الخطاب القرشي ص ٤٦٠: أإن تبدَّلت من أهلها...، وأعاده ص ٤٦٢: أن بدلت من أهلها. وفي شرح القصائد العشر للتبريزي ص ٣٢٥: وبُدِّلت من أهلها...، وفي المعلقات العشر للشنقيطي ص ١٧٠: وبُدِّلَت منهم... ونقل شارح ديوانه ص ٢٤ عن ابن كناسة قوله: لم أرَ أحداً يُنشد هذه القصيدة على إقامة العَروض.

(٢) قوله: من كثرته، ليس في (م).

(٣) هو قيس بنُ الخَطِيم، من الأوس، أدرك الإسلام ولم يسلم، ذكره ابن سلَّام في طبقاته ١/ ٢١٥. وتمام البيت: وتُقَرِّبُ الأحلامُ غيرَ قريب. وهو في ديوانه ص٥٥.

(٤) في (د) و(ظ): وملتقاهما.

(٥) في (د) و(ظ): الدموع.

(٦) هذا الفصل بتمامه من المحرر الوجيز ١/ ٥٠.

(٧) ابن الحكم بن أبي العاص، الأموي، الخليفة، من رجال الدهر ودهاة الرجال، مات سنة (٨٦هـ). السير ٤/ ٢٤٦.

(٨) ابن يوسف الثقفي، توفي سنة (٩٥هـ). السير ٤/ ٣٤٣.

(٩) في (ظ): تجزئته.

الحسنَ ويحيى بنَ يَعمَرَ[١] بذلك، وألَّفَ إثرَ ذلك بوَاسِط كتاباً في القراءات، جمعَ فيه ماروِي من اختلاف الناس فيما وافق الخطَّ، ومشى الناسُ على ذلك زماناً طويلاً، إلى أن ألَّفَ ابنُ مجاهد كتابَه[٢] في القراءات.

وأسندَ الزُّبيديُّ في كتاب «الطبقات»[٣] إلى المبرِّد أنَّ أوَّلَ من نَقَطَ المصحفَ أبو الأسود الدُّؤلي[٤]، وذكر أيضا أنَّ ابنَ سِيرِينَ كان له مُصحفٌ، نَقَطَهُ له يحيى بنُ يَعمَرَ[٥].

فصل

وأما وضعُ الأعشار، فقال ابن عطيَّة: مرَّ بي في بعض التواريخ أنَّ المأمون العباسي[٦] أمر بذلك، وقيل: إنَّ الحجَّاجَ فعل ذلك[٧].

وذكر أبو عمرو الدَّاني في كتاب «البيان»[٨] له عن عبد الله بن مسعود، أنه كَرِه التَّعشيرَ في المصحف، وأنه كان يَحُكُّه. وعن مجاهد أنه كره التعشيرَ والطِّيبَ في المصحف.

وقال أشهبُ[٩]: سمعتُ مالكاً، وسُئِلَ عن العُشُور التي تكون في المصحف بالحُمرة وغيرها من الألوان، فكرهَ ذلك، وقال: تَعشِيرُ المصحف بالحِبر لا بأسَ به.

---

(١) هو أبو سليمان العَدواني البصري المقرىء، قاضي مرو، مات قبل سنة (٩٠هـ). السير ٤/ ٤٤١.

(٢) في (د): كتاباً، وابن مجاهد: هو أحمد بن موسى بن العباس، أبو بكر البغدادي، المحدث النحوي شيخ المقرئين، توفي سنة (٣٢٤هـ). السير ١٥/ ٢٧٢.

(٣) ص٢١، والزُّبيدي: هو محمد بن الحسن بن عبيد الله، أبو بكر الأندلسي، إمام النحو، توفي سنة (٣٧٩هـ). السير ١٦/ ٤١٧.

(٤) ظالم بن عمرو، كان معدوداً في الفقهاء والشعراء والمحدِّثين، وهو أول من تكلم في النحو، مات سنة (٦٩هـ). السير ٤/ ٨١.

(٥) المصدر السالف ص ٢٩.

(٦) هو عبد الله بن هارون الرشيد، أبو العباس، الخليفة، مات سنة (٢١٨هـ) السير ١٠/ ٢٧٢.

(٧) المحرر الوجيز ١/ ٥٠.

(٨) لعله البيان في عد آي القرآن، ذكره صاحب هدية العارفين ٦/ ٦٥٣. وقد أخرج أبو عمرو الدَّاني هذه الآثار أيضاً (التي سيوردها المصنف عنه) في كتابه المحكم في نقط المصاحف ص١٤ ـ ١٧. وفيه بدل أشهب: ابنُ وهب، وابن القاسم، وعبد الله بنُ عبد الحكم. وانظر فضائل القرآن لأبي عبيد ص ٢٤٠. ٢٤٢، والمصنَّف لابن أبي شيبة ١٠/ ٥٤٨. ٥٤٩، والمصاحف لابن أبي داود ص ١٣٨. ١٣٩.

(٩) ابنُ عبد العزيز بن داود بن إبراهيم، مفتي مصر، يقال: اسمه مسكين، وأشهب لقب له، سمع مالك بنَ أنس، مات سنة (٢٠٤هـ). «السير» ٩/ ٥٠٠.

وسُئل عن المصاحف يُكتَبُ فيها خَواتِمَ السُّوَرِ في كلِّ سورة ما فيها من آية، قال: إني أكرهُ ذلك في أمّهات المصاحف أن يُكتَبَ فيها شيء، أو يُشكَلَ، فأما ما يَتعلَّمُ به الغِلمان من المصاحف، فلا أرى بذلك بأساً. قال أشهبُ: ثم أخرج إلينا مُصحفاً لِجَدِّه، كَتَبَهُ إذ كتبَ عثمانُ المصاحفَ، فرأينا(١) خواتِمَهُ من حِبر، على عمل السلسلة في طول السطر، ورأيتُه معجومَ الآي بالحِبر.

وقال قتادة: بدؤوا فنقَطوا، ثم خَمَّسوا، ثم عَشَّروا.

وقال يحيى بنُ أبي كثير: كان القرآنُ مجرَّداً في المصاحف، فأوَّلُ ما أحدثوا فيه النَّقْطُ على الباء والتاء والثاء، وقالوا: لابأسَ به، هو(٢) نورٌ له، ثم أحدَثوا نَقْطاً عند منتهى الآي، ثم أحدثوا الفواتِحَ والخواتيمَ(٣).

وعن أبي حمزةَ(٤) قال: رأى إبراهيمُ النَّخَعِيُّ في مُصحفي فاتحةَ سورة كذا وكذا، فقال لي: أُمحُهُ، فإنَّ عبدَ الله بن مسعود قال: لا تَخْلِطُوا في كتاب الله ماليس فيه.

وعن أبي بكر السَّرَّاج(٥) قال: قلتُ لأبي رَزِين(٦): أأكتبُ في مُصحفي سورةَ كذا وكذا؟ قال: إني أخافُ أن ينشأ قومٌ لا يعرِفونه، فيظنُّونه من القرآن.

قال الدَّاني رضي الله عنه: وهذه الأخبارُ كلُّها تُؤْذِنُ بأنَّ التعشيرَ والتخميسَ وفواتِحَ السور ورؤوسَ الآي من عمل الصحابة رضي الله عنهم، قادَهم(٧) إلى عمله الاجتهادُ. وأرى أنَّ من كَرِه ذلك منهم ومن غيرهم، إنما كَرِه أن يُعملَ بالألوان، كالحُمْرةِ والصُّفْرة وغيرِهما، على أنَّ المسلمين في سائر الآفاق قد أطبقوا على جواز ذلك واستعماله في الأمهات وغيرها. والحرَجُ والخطأ مرتفعان عنهم فيما أطبقوا عليه إن شاء الله تعالى.

---

(١) في (د): فرأينا قرآناً.

(٢) في (د): ثم هو.

(٣) قال أبو عمرو في المحكم ص١٧: وهذا يدل على التوسعة في ذلك.

(٤) ميمون الأعور الكوفي، صاحب إبراهيم النخعي، من رجال التهذيب.

(٥) هو الزبرقان بن عبد الله الأسدي، كما ذكر ابن أبي داود في المصاحف ص١٣٨، من أهل الكوفة، وذكره ابن حبان في الثقات ٦/ ٣٤١.

(٦) لعله مسعود بن مالك، الكوفي، وهو من رجال التهذيب، وانظر غاية النهاية في طبقات القراء ٢/ ٢٩٦.

(٧) في (د): فأداهم، ولم تجوّد اللفظة في (ظ).

فصل

وأما عددُ حُروفِه وأحزابه(١)، فروى سلَّام(٢) أبو محمد الحِمَّاني، أن الحجَّاجَ بنَ يوسف جمع القُرَّاءَ والحُفَّاظَ والكُتَّاب، فقال: أخبِروني عن القرآن كلِّه: كم من حرفٍ هو ؟. قال: وكنتُ فيهم، فحسَبنا، فأجمَعنا على أنَّ القرآن ثلاثُ مئة ألفِ حرفٍ، وأربعون ألفَ حرف، وسبعُ مئة حرف، وأربعون حرفاً. قال: فأخبِروني إلى أيِّ حرف ينتهي نصفُ القرآن ؟ فإذا هو في الكهف: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ [١٩] في الفاء. قال: فأخبِروني بأثلاثه، فإذا الثُّلثُ الأوَّلُ رأسُ مئة من براءة، والثلثُ الثاني رأسُ مئة ـ أو إحدى ومئة ـ من «طسم» الشعراء، والثُّلثُ الثالثُ ما بقي من القرآن. قال: فأخبروني بأسباعه على الحروف، فإذا أوَّلُ سُبع في النساء: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ﴾ [٥٥] في الدال، والسُّبعُ الثاني في الأعراف: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ﴾(٣) [١٤٧] في التاء، والسُّبعُ الثالثُ في الرَّعد: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [٣٥] في الألف من آخِر ﴿أُكُلُهَا﴾، والسُّبعُ الرابعُ في الحجِّ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾[٣٤] في الألف، والسُّبعُ الخامسُ في الأحزاب: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ [٣٦] في الهاء، والسُّبعُ السادسُ في الفتح: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾[٦] في الواو، والسُّبعُ السابعُ ما بقي من القرآن.

قال سلَّامٌ أبو محمد: عملناه في أربعة أشهر، وكان الحجَّاجُ يقرأُ في كلِّ ليلة رُبعاً، فأوَّلُ رُبعه خاتِمةُ الأنعام، والرُّبعُ الثاني في الكهف: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ [١٩] في الفاء(٤). والربعُ الثالثُ خاتمةُ الزُّمَر، والربعُ الرابعُ مابقي من القرآن(٥). وفي هذه الجملة خلافٌ مذكورٌ في كتاب «البيان» لأبي عمرو الدَّاني، من أراد الوقوفَ عليه، وجدَه هناك.

---

(١) في (م): وأجزائه.

(٢) قال ابنُ أبي داود في المصاحف ص١١٩: إنما هو راشد. اهـ وهو ابنُ نَجيح الحِمَّاني، من رجال التهذيب.

(٣) في النسخ وعند ابن أبي داود: أولئك حبطت، وهو خطأ.

(٤) قوله: في الفاء، ليس في (م).

(٥) أخرجه ابنُ أبي داود في المصاحف ص ١١٩ ـ ١٢٠.

فصل

وأما عددُ آي القرآن في المدنيِّ الأوَّل[١]، فقال محمدُ بن عيسى[٢]: جميعُ عدد آي القرآن في المدني الأوَّل ستةُ آلاف آية.

قال أبو عمرو: وهو العدد الذي رواه أهلُ الكوفة عن أهل المدينة، ولم يُسَمُّوا في ذلك أحداً بعينه يُسندونه إليه.

وأما المدنيُّ الأخير، فهو في قول إسماعيلَ بن جعفر[٣] ستةُ آلاف آية، ومئتا آية، وأربعَ عَشْرةَ آية.

وقال الفضلُ[٤]: عددُ آي القرآن في قول المكيِّين ستةُ آلاف آية، ومئتا آية، وتسعَ عَشْرةَ آية.

قال محمدُ بن عيسى: وجميعُ عددِ آيِ القرآن في قول الكوفيِّين ستةُ آلاف آية، ومئتا آية، وثلاثون وستُّ آيات، وهو العددُ الذي رواه سُليم[٥] والكِسائيُّ[٦]، عن حمزةَ[٧]، وأسنده الكِسائي إلى عليٍّ رضي الله عنه.

---

(١) نقل السيوطي في الإتقان ص ٦٧ عن أبي عبد الله الموصلي أن لأهل المدينة في عدد آي القرآن عددَين، الأول: لأبي جعفر يزيد بن القعقاع (وهو من العشرة)، وشيبة بن نصاح مولى أم سَلَمة وختن أبي جعفر. والثاني: لإسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري، وسيرد ذكره.

(٢) محمد بن عيسى بن إبراهيم، أبو عبد الله الأصبهاني، إمام في القراءات، وله اختيار في القراءة، صنف كتاب الجامع في القراءات، وكتاباً في العدد، وغيرهما. مات سنة (٢٥٣هـ). طبقات القراء ٢/ ٢٢٣.

(٣) هو إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير، الإمام الحافظ، أبو إسحاق الأنصاري، كان مقرىء المدينة في زمانه. توفي سنة (١٨٠هـ). السير ٨/ ٢٣٠، وطبقات القراء ١/ ١٦٣.

(٤) هو الفضل بن شاذان بن عيسى، أبو العباس الرازي، قال الداني: لم يكن في دهره مثل علمه وفهمه وعدالته وحسن اطلاعه، مات في حدود (٢٩٠هـ). طبقات القراء ٢/ ١٠.

(٥) هو سُليم بن عيسى بن سليم، أبو عيسى ـ ويقال: أبو محمد ـ الحنفي مولاهم الكوفي المقرىء، عرض القرآن على حمزة، وهو أخصُّ أصحابه، توفي سنة (١٨٨هـ)، وقيل غير ذلك. طبقات القراء ١/ ٣١٨ وانظر السير ٩/ ٣٧٥.

(٦) أبو الحسن عليُّ بنُ حمزة شيخُ القراءة والعربية، اختار قراءة اشتهرت وصارت إحدى السَّبع، مات بالري سنة (١٨٩هـ). السير ٩/ ١٣١، وطبقات القراء ١/ ٥٣٥.

(٧) هو ابن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، أبو عمارة، التيمي، مولاهم، الكوفي، الزيات، شيخ القراء. توفي سنة (١٥٦هـ). انظر السير ٧/ ٩٠.

قال محمد: وجميعُ عددِ آي القرآن في عدد البصريين ستةُ آلاف، ومئتان، وأربعُ آيات، وهو العددُ الذي مضى عليه سلفُهم حتى الآن.

وأما عددُ أهل الشام، فقال يحيى بنُ الحارث الذِّماري[١]: ستةُ آلاف ومئتان، وستٌّ وعشرون. وفي رواية: ستةُ آلاف ومئتان وخمسٌ وعشرون، نقصَ آية.

قال ابن ذَكوان[٢]: فظننتُ أنَّ يحيى لم يعدَّ ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾.

قال أبو عمرو: فهذه الأعدادُ التي يتداولُها الناسُ تأليفاً، ويعدُّون بها في سائر الآفاق قديماً وحديثاً.

وأما كلماتُه؛ فقال الفضلُ بنُ شاذان: جميعُ كلمات[٣] القرآن ـ في قول عطاء بن يسار ـ سبعةٌ وسبعون ألفاً، وأربعُ مئة، وتسعٌ وثلاثون كلمة. وحروفهُ ثلاثُ مئة ألف، وثلاثةٌ وعشرون ألفاً، وخمسةَ عشرَ حرفاً.

قلت: هذا يُخالف ما تقدَّم عن الحِمَّاني قبل هذا.

وقال عبدُ الله بن كثير، عن مجاهد قال: هذا ما أَحصَينا من القرآن، وهو ثلاثُ مئة ألف حرف، وأحدٌ وعشرون ألفَ حرف، ومئة وثمانون حرفاً، وهذا يخالف ما ذكره قبل هذا عن الحِمَّاني من عدد[٤] حروفه.

باب ذكر معنى السورة والآية والكلمة والحرف

معنى السُّورةِ في كلام العرب: الإبانةُ لها من سُورة أخرى، وانفصالُها عنها، وسُمِّيت بذلك لأنه يرتفعُ فيها من منزلة إلى منزلة. قال النَّابغةُ[٥]:

أَلَـــم تَـــرَ أنَّ اللهَ أعـــطَـــاكَ سُـــورةً ... تَـرىَ كُـلَّ مَـلْـك دُونَـهـا يَـتَـذَبْـذَبُ

---

(١) أبو عمرو الغساني الذِّماري، ثم الدمشقي، شيخ المقرئين إمام جامع دمشق، مات سنة (١٤٥هـ). السير ٦/ ١٨٩.

(٢) عبد الله بن أحمد، أبو عمرو، القرشي الدمشقي، شيخ الإقراء بالشام، وإمام جامع دمشق. توفي سنة (٢٤٢هـ). طبقات القراء ١/ ٤٠٤.

(٣) في النسخ الخطية: كلام، والمثبت من (م).

(٤) في (م): عدّ.

(٥) زياد بن معاوية الذبياني، يكنى أبا أمامة، والنابغة لقب له، من فحول الشعراء. والبيت في ديوانه ص ١٨. وانظر الشعر والشعراء ١/ ١٥٧.

أي: منزلةَ شرَف، ارتفعتَ إليها عن مَنزِل الملوك.

وقيل: سُمِّيت بذلك لِشَرَفِها وارتفاعِها، كما يُقال لما ارتفعَ من الأرض: سُور.

وقيل: سُمِّيت بذلك لأنَّ قارئها يُشرِفُ على ما لم يكن عنده، كسُورِ البناء. كلُّه بغير همز.

وقيل: سُمِّيت بذلك لأنها قُطِعَت من القرآن على حِدَة، من قول العرب للبقيَّة: سُؤر، وجاء في أسآرِ الناس، أي: بقاياهم، فعلى هذا يكون الأصلُ: سُؤرة بالهمزة، ثم خُفِّفَت، فأُبدلت واواً، لانضمام ما قبلَها.

وقيل: سُمِّيت بذلك لتمامها وكمالها، من قول العرب للناقة التامَّة: سُورة.

وجمعُ سُورة: سُوَر، بفتح الواو. وقال الشاعر:

سُودُ المَحاجِرِ لا يَقرَأنَ بالسُّوَرِ[1]

ويجوز أن يُجمع على: سُوْرَات، وسُوَرَات.

وأما الآيةُ، فهي العلامةُ، بمعنى أنها علامةٌ لانقطاع الكلامِ الذي قبلَها من الذي بعدَها وانفصالِه، أي: هي بائنةٌ من أختها ومنفردةٌ. وتقولُ العربُ: بيني وبين فلان آيةٌ، أي: علامةٌ، ومن ذلك قولهُ تعالى: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

وقال النابغة[2]:

تَوَهَّمْتُ آياتٍ لها فَعَرَفْتُها ... لِستَّةِ أعوامٍ وذا العامُ سابِعُ

وقيل: سُمِّيَت آية، لأنها جماعةُ حروف من القرآن، وطائفةٌ منه، كما يقال: خرج القومُ بآيَتِهم[3]، أي: بجماعتهم. قال بُرْجُ بنُ مُسْهِر الطائي[4]:

خَرَجْنا من النَّقْبَينِ لا حَيَّ مِثْلُنا ... بآيَتِنا[5] نُزْجي اللِّقاحَ المَطافِلا

---

(١) قائله الراعي، أبو جندل، عُبيد بن حُصَين النُّميري، من شعراء العصر الأموي. وصدر البيت: هنَّ الحرائرُ لَا ربَّاتُ أحمرة. وهو في ديوانه ص ١٢٢. وينظر الشعر والشعراء ١/ ٤١٥. ونُسب البيت أيضاً للقتَّال الكلابي، وهو في ديوانه ص ٥٣، وسيرد البيت بتمامه عند تفسير الآية (٢٠) من سورة المؤمنون.

(٢) ديوانه ص ٧٩.

(٣) في (م): بآياتهم.

(٤) ابن الجُلاس، أحدُ بني جَديلة، ثم أحدُ بني طَريف، من معمَّري الجاهلية. ينظر المؤتلف والمختلف للآمدي ص٨٠، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ١/ ٦٨١، والبيت في إصلاح المنطق لابن السكيت ص٣٣٧، والتنبيهات لعلي بن حمزة البصري ص٣٠٨، وانظر اللسان (أيا)، وخزانة الأدب ٦/ ٥١٥.

(٥) في (م): بآياتنا.

وقيل: سُمِّيَت آيةً، لأنها عَجَبٌ، يَعجِزُ البشرُ عن التكلُّم بمثلها[(١)].

واختلف النَّحويون في أصل «آية»، فقال سيبويه[(٢)]: أَيَيَة على فَعَلَة، مثل: أَكَمَة، وشَجَرَة، فلما تحرَّكت الياءُ، وانفتحَ ما قبلَها، انقلَبَت ألفاً، فصارَت آية، بهمزة بعدَها مدَّة.

وقال الكِسائيُّ: أصلُها آيِيَة، على وزن فاعلة، مثلُ آمِنة، فقُلِبَتِ الياء ألفاً، لتحرُّكها وانفتاحِ ماقبلها، ثم حذفَت، لالتباسِها بالجمع[(٣)].

وقال الفرَّاء[(٤)]: أصلُها أيِّيَة؛ بتشديد الياء الأولى، فقُلِبَت ألفاً كراهةً للتشديد، فصارَت آية[(٥)].

وجمعُها آيٌ، وآياتٌ، وآياءٌ. وأنشدَ أبو زيد[(٦)]:

لم يُبْقِ هذا الدَّهرُ من آيائِه غيرَ أثافِيه وأَرْمِدائِهِ[(٧)]

وأما الكلمةُ، فهي الصورةُ القائمةُ بجميع مايختلطُ بها من الشُّبُهات، أي: الحروف. وأطولُ الكَلِم في كتاب الله عزَّ وجلَّ مابلغَ عَشَرَةَ أحرف، نحو قوله تعالى: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ [النور: ٥٥]، و﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ [هود: ٢٨]، وشبههما. فأما قولُه: ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ [الحجر: ٢٢]، فهو عشرةُ أحرف في الرسم، وأحدَ عشرَ في اللفظ.

وأقصَرُهُنَّ ما كان على حَرفَين، نحو: ما، ولا، ولك، وله، وما أشبه ذلك. ومن حروف المعاني ما هو على كلمة واحدة، مثلُ همزة الاستفهام، وواو العطف، إلا أنه لا يُنطقُ به مفرداً.

---

(١) وقع قوله: وقيل سميت آية لأنها عجب ... إلى هذا الموضع في (د) قبل قوله: قال برج بن مسهر.

(٢) عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي، البصري، إمام النحو، مات سنة (١٨٠هـ). السير ٨/ ٣٥٢.

(٣) الذي نقله ابن عطيَّة في تفسيره ١/ ٥٧ عن الكسائي في تعليله هو قوله: حذفت الياء الأولى مخافة أن يلتزم فيها من الإدغام ما لزم في «دابَّة». وينظر البحر المحيط ١/ ١٦٠، والدر المصون ١/ ٣٠٨.

(٤) يحيى بن زياد، أبو زكريا، الكوفي النحوي، له معاني القرآن، والمذكر والمؤنث، وغيرهما، مات بطريق الحج سنة (٢٠٧هـ). السير ١٠/ ١١٨.

(٥) المنقول عن الفرَّاء (كما في المصادر السالفة) أنها فَعْلَة، بسكون العين، ثم أبدلت الياء الساكنة ألفاً، استثقالاً للتضعيف.

(٦) سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري، النحوي، صاحب كتاب النوادر، مات سنة (٢١٥هـ). السير ٩/ ٤٩٤.

(٧) هو في أدب الكاتب ص٥٨٧، والمنصف ٢/ ١٤٣، وينظر اللسان (رمد، أيا).

وقد تكون الكلمةُ وحدَها آيةً تامَّة، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾، ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾. ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾. وكذلك ﴿الٓمٓ﴾ و﴿الٓمٓصٓ﴾ و﴿طه﴾ و﴿يسٓ﴾ و﴿حمٓ﴾ في قول الكوفيِّين، وذلك في فواتح السُّور، فأما في حَشْوِهنَّ، فلا.

قال أبو عمرو الدَّاني: ولا أعلم كلمة هي وحدَها آية إلا قولَه في «الرَّحمن»: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ [٦٤] لاغير[1].

وقد أتت كلمتانِ متصلتان، وهما آيتان، وذلك في قوله: ﴿حمٓ ۝ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى: ١ و٢]. على قول الكوفيِّين لاغير.

وقد تكون الكلمةُ في غير هذا الآيةَ التامَّةَ، والكلامَ القائمَ بنفسه، وإن كان أكثرَ أو أقلَّ، قال الله عز وجل: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [الأعراف: ١٣٧]. قيل: إنما يعني بالكلمة هاهنا قولَه تبارك وتعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٥] إلى آخر الآيتين، وقال عز وجل: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفتح: ٢٦]؛ قال مجاهد: لا إله إلا الله، وقال النبيُّ ﷺ: «كلمتانِ خفيفتانِ على اللسان، ثقيلتانِ في الميزان، حبيبتانِ إلى الرحمن: سبحان اللهِ وبحمده، سبحان الله العظيم»[2]. وقد تُسمِّي العربُ القصيدةَ بأسرها، والقصةَ كلَّها كلمة، فيقولون: قال قُسٌّ[3] في كلمته كذا، أي: في خطبته. وقال زُهيرٌ في كلمته كذا، أي: في قصيدته. وقال فلانٌ في كلمته، يعني في رسالته، فتُسمِّي[4] جملةَ الكلام كلمة، إذ كانت الكلمةُ منها، على عادتهم في تسميتهم الشيءَ باسم ما هو منه، وما قاربَه وجاورَه، وكان بسبب منه، مجازاً واتِّساعاً.

وأما الحرف، فهو الشُّبهةُ القائمةُ وحدَها من الكلمة، وقد يُسمَّى الحرفُ كلمة، والكلمةُ حرفاً، على ما بيَّنَّاه من الاتِّساع والمجاز.

---

(١) وذكره السيوطيُّ في الإتقان ١/ ٦٦.

(٢) أخرجه أحمد (٧١٦٧) والبخاري (٧٥٦٣)، ومسلم (٢٦٩٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) هو قُس بن ساعدة بن عمرو بن إياد، خطيبُ العرب وشاعرُها وحكيمها في عصره، يقال: إنه أول من علا على شَرَف، وخطب عليه، وأولُ من قال في كلامه: أما بعد، وأول من اتكأ عند خطبته على سيف أو عصا، أدركه الرسول ﷺ، ورآه بعكاظ. الأغاني ١٥/ ٢٤٦، وينظر الأوائل للعسكري ١/ ٨٤.

(٤) في (د): فسمي.

قال أبو عمرو الدَّاني: فإن قيل: فكيف يُسمَّى ماجاء من حروفِ الهجاء في الفواتح على حرف واحد، نحو ﴿صٓ﴾ و﴿قٓ﴾ و﴿نٓ﴾ حرفاً أو كلمة؟ قلتُ: كلمة لاحرفاً، وذلك من جهة أنَّ الحرفَ لا يُسكَتُ عليه، ولا ينفردُ وحدَه في الصورة، ولا ينفصلُ مما يَختلِطُ به، وهذه الحروفُ مسكوتٌ عليها، منفردةٌ منفصلةٌ، كانفرادِ الكَلِم وانفصالها، فلذلك سُمِّيت كلماتٍ لا حروفاً.

قال أبو عمرو: وقد يكون الحرفُ في غير هذا المَذهبَ والوجهَ، قال الله عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١] أي: على وَجهٍ ومَذهب، ومن ذلك قولُ النبيِّ ﷺ: «أُنزِلَ القرآنُ على سبعةِ أحرف»[١] أي: سبعة أوجه من اللغات، والله أعلم.

باب هل ورد في القرآن كلماتٌ خارجةٌ عن لغات العرب، أو لا

لاخلافَ بين الأمة[٢] أنه ليس في القرآن كلامٌ مركَّبٌ على أساليبِ غيرِ العرب، وأنَّ فيه أسماءً أعلاماً لِمن لسانُه غيرُ لسان العرب، كإسرائيلَ، وجبريلَ، وعمرانَ، ونوح، ولوط.

واختلفوا هل وقعَ فيه ألفاظٌ غيرُ أعلام[٣] مفردةٌ من غير كلام العرب؟

فذهب القاضي أبو بكر بن الطَّيِّب والطبريُّ[٤] وغيرُهما إلى أنَّ ذلك لا يُوجد فيه، وأنَّ القرآنَ عربيٌّ صريحٌ، وما وُجد فيه من الألفاظ التي تُنسب إلى سائر اللُّغات إنما اتَّفق فيها أن تواردَت اللُّغاتُ عليها[٥]، فتكلَّمَت بها العربُ والفُرسُ والحبشةُ وغيرُهم.

وذهبَ بعضُهم إلى وجودها فيه، وأنَّ تلك الألفاظَ لِقلَّتها لا تُخرِجُ القرآنَ عن كونه عربيًّا مُبيناً، ولا رسولَ الله عن كونه مُتكلِّماً بلسان قومه. فالمِشكاةُ: الكَوَّةُ، ونشأ:

(١) سلف تخريجه ص ٧١.
(٢) في (م): الأئمة.
(٣) في (د): وقع فيه أعلام.
(٤) تفسير الطبري ١/ ١٤ ـ ٢٠.
(٥) قوله: عليها من (م).

قامَ من الليل، ومنه: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ [المزمل: ٦]، و﴿يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ﴾ [الحديد: ٢٨] أي: ضِعْفَين، و﴿فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ﴾ [المدثر: ٥١]، أي: الأسد، كلُّه بلسان الحبشة. والغَسَّاقُ: البارِدُ المُنتنُ، بلسان التُّرك، والقِسطاسُ: الميزانُ، بلغة الرُّوم، والسِّجِّيلُ: الحجارةُ والطين، بلسان الفُرس، والطُّورُ: الجبلُ، واليَمُّ: البحرُ، بالسُّريانية، والتَّنُّور: وَجْهُ الأرض، بالعجمية.

قال ابن عطية: فحقيقةُ العبارة عن هذه الألفاظ أنها في الأصل أعجمية، لكن استعملتها العربُ، وعَرَّبَتها، فهي عربيةٌ بهذا الوجه. وقد كان للعرب العاربة التي نزل القرآنُ بلسانها[1] بعضُ مخالطة لسائر الألسنةِ بتجارات، وبرحلَتَي قريش، وكسفرِ مُسافر بن أبي عمرو[2] إلى الشام، وكسفر عمرَ بن الخطاب، وكسفر عمرو بنِ العاصي وعُمارة بن الوليد[3] إلى أرض الحبشة، وكسفرِ الأعشى إلى الحِيرة، وصُحبته لنصاراها، مع كونه حُجَّةً في اللُّغة، فعَلِقت العربُ بهذا كلِّه ألفاظاً أعجمية غيَّرت بعضَها بالنقص من حروفها، وجَرَت إلى تخفيف ثِقَلِ العُجْمَة، واستعملَتها في أشعارها ومحاوراتها، حتى جرت مَجرى العربيِّ الصحيح[4]، ووقع بها البيانُ، وعلى هذا الحدِّ نزل بها القرآنُ. فإن جَهِلَها عربيٌّ مَا، فكَجَهله الصريحِ بما في لغة غيره، كما لم يَعرِف ابنُ عباس معنى «فاطر»[5] إلى غير ذلك.

قال ابن عطية[6]: وما ذهب إليه الطبريُّ رحمه الله من أنَّ اللُّغتين اتفقتا في لفظة لفظة، فذلك بعيدٌ، بل إحداهما أصلٌ، والأخرى فرعٌ في الأكثر[7]، لأنَّا لا[8] ندفع أيضاً جوازَ الاتفاق قليلاً شاذًّا.

(١) في (د): بلغاتها.
(٢) يكنى أبا أمية، كان سيداً جواداً، وهو أحدُ شعراء قريش، وكان يناقضُ عُمارة بن الوليد، وله شعر ليس بالكثير. الأغاني ٩/ ٤٩ ـ ٥٥.
(٣) الجاهلي المخزومي، أحد مَن دعاعليهم النبي ﷺ، ومات كافراً. الإصابة ٨/ ٢٤.
(٤) في المحرر الوجيز (والكلام منه) ١/ ٥١: الصريح.
(٥) سلفت هذه القصة ص ٧٦.
(٦) المحرر الوجيز ١/ ٥١.
(٧) قوله: في الأكثر، من المحرر الوجيز.
(٨) في (ز) و(ظ): لا أنا، وفي (د): لأنا، والمثبت من المحرر الوجيز.

قال غيره: والأوَّلُ أصحُّ.

وقوله: هي أصلٌ في كلام غيرهم، دَخيلةٌ في كلامهم، ليس بأولى من العكس، فإنَّ العربَ لا يخلُو أن تكونَ تخاطَبَت بها، أو لا، فإن كان الأوَّل، فهي من كلامهم، إذ لا معنى للغتهم وكلامِهم إلا ما كان كذلك عندَهم، ولا يَبعُدُ أن يكونَ غيرُهم قد وافقَهم على بعض كلماتهم، وقد قال ذلك الإمام الكبير أبو عبيدة(١).

فإن قيل: ليست هذه الكلماتُ على أوزان كلام العرب، فلا تكون منه.

قلنا: ومَن سلَّم لكم أنكم حصرتُم أوزانَهم حتى تُخرجوا هذه منها؟ فقد بحث القاضي عن أصول أوزان كلام العرب، وردَّ هذه الأسماءَ إليها على الطريقة النَّحوية.

وأما إن لم تكن العربُ تخاطَبَت بها، ولا عَرَفَتها، استحالَ أن يُخاطِبَهم اللهُ بما لا يَعرِفون، وحينئذ لا يكون القرآنُ عربيًّا مبِيناً، ولا يكون الرسولُ مُخاطِباً لقومه بلسانهم. والله أعلم.

باب ذكرِ نُكت في إعجاز القرآن، وشرائط المعجزة وحقيقتها

المعجزةُ واحد(٢) معجزات الأنبياءِ الدَّالة على صدقهم، صلواتُ الله عليهم، وسُمِّيَت مُعجِزةً لأنَّ البشرَ يَعجِزُون عن الإتيان بمثلها.

وشرائِطُها خمسةٌ، فإن اختلَّ منها شرطٌ، لا تكون معجزة:

فالشرطُ الأوَّل من شروطها: أن تكونَ مما لا يَقدِرُ عليها إلا اللهُ سبحانه. وإنما وجبَ حصولُ هذا الشرطِ للمعجزة، لأنه لو أتى آتٍ في زمانٍ يَصِحُّ فيه مجيءُ الرُّسُل، وادَّعى الرسالةَ، وجعلَ معجزتَه أن يتحرَّكَ ويسكُن، ويقومَ ويقعُدَ، لم يكن هذا الذي ادَّعاه معجزةً له، ولا دالاً على صدقه، لقدرة الخلق على مثله، وإنما يجبُ أن تكونَ المعجزاتُ كفَلْقِ البحر، وانشقاقِ القمر، وما شاكلَها مما لا يقدرُ عليها البشر.

---

(١) معمر بن المثنى التيمي البصري النحوي، صاحب التصانيف، قال المبرِّد: كان هو والأصمعي متقاربين في النحو، وكان أبو عبيدة أكمل القوم، مات سنة (٢٠٩هـ)، وقيل غير ذلك. السير ٩/ ٤٤٥.

(٢) في (م): واحدة.

والشرطُ الثاني: هو أن تَخرِقَ العادةَ. وإنما وجبَ اشتراطُ ذلك، لأنه لو قال المدَّعي للرسالة(١): آيتي مجيءُ الليل بعدَ النهار، وطلوعُ الشمسِ من مَشرِقها، لم يكُن فيما ادَّعاه معجزة، لأنَّ هذه الأفعالَ، وإن كان لا يَقدِرُ عليها إلا اللهُ، فلم تُفعَل من أجله، وقد كان قبلَ دَعواه على ما هي عليه في حين دَعواهُ، ودعواه في دلالتها على نبوَّته، كدعوى غيره، فبانَ أنه لا وجهَ له لاستشهاده بها(٢) يَدُلُّ على صِدقه. والذي يَستَشهِدُ به الرسولُ عليه السلام له وجهٌ يَدُلُّ على صِدقِه، وذلك أن يقولَ: الدليلُ على صدقي أن يَخرِقَ اللهُ تعالى العادةَ من أجل دعواي عليه الرسالةَ، فيَقلِبَ هذه العصا ثُعباناً، ويَشُقَّ الحجرَ، ويُخرِجَ من وَسطِه ناقة، أو يُنبعَ الماءَ من بين أصابعي، كما يُنبِعُه من العين، أو ما سوى ذلك من الآيات الخارقة للعادات، التي يَنفرِدُ بها جبَّارُ الأرضِ والسماوات، فتقومُ له هذه العلاماتُ مقامَ قولِ الربِّ سبحانه ـ لو أسمَعَنا كلامَه العزيزَ وقال ـ: صَدَقَ، أنا بعثتُه.

ومثالُ هذه المسألةِ ـ ولله ولرسوله المَثَلُ الأعلى ـ ما لو كانت جماعةٌ بحضرة ملك من ملوك الأرض، وهم بمرأى أو مسمعٍ منه، فقال أحد رجاله والملكُ يَسمَعُهُ(٣): الملكُ ـ أيها الجماعة(٤) ـ يأمُرُكم بكذا وكذا، ودليلُ ذلك أنَّ الملكَ يُصدِّقُني بفعل من أفعاله، وهو أن يُخرِجَ خاتِمَهُ من يده قاصداً بذلك تصديقي، فإذا سمع الملكُ كلامَه لهم، ودعواه فيهم، ثم عَمِلَ ما استَشهَدَ به على صِدقه، قام ذلك مقامَ قوله ـ لو قال ـ: صَدَقَ فيما ادَّعاه عليَّ. فكذلك إذا عَمِلَ اللهُ عملاً لا يَقدِرُ عليه إلا هو، وخَرَقَ به العادةَ على يدي(٥) الرسول، قام ذلك الفعلُ مقامَ كلامه تعالى لو أسمَعَناه(٦) وقال: صَدَقَ عبدي في دعوى الرسالةِ، وأنا أرسلتُه إليكم، فاسمعوا له وأطيعوا.

---

(١) في (ظ): مدعي الرسالة.
(٢) قوله: لاستشهاده بها، من (د) و(ز)، وفي (ظ): لا وجه يدل ...
(٣) في (م): وقال أحد رجاله وهو بمرأى منه والملك يسمعه.
(٤) في (م): الملك يأمركم أيها الجماعة.
(٥) في (م): يد.
(٦) في (د): سمعناه.

والشرطُ الثالثُ: هو أن يَستَشهِدَ بها مُدَّعي الرسالةِ على الله عزَّ وجلَّ، فيقولَ: آيتي أن يَقلِبَ الله سُبحانه هذا الماءَ زَيتاً، أو يُحرِّكَ الأرضَ عند قولي لها: تزلزلي، فإذا فعلَ اللهُ سبحانه ذلك، حصل المُتَحدَّى به.

الشرطُ الرابعُ: هو أن تقعَ على وَفقِ دعوى المتحدِّي بها، المُستَشهِدِ بكونها معجزةً له. وإنما وجبَ اشتراطُ هذا الشرطِ؛ لأنه لو قال المدَّعي للرسالة: آيةُ نبوَّتي ودليلُ حُجَّتي أن تَنطِقَ يدي، أو هذه الدَّابَّةُ، فنَطَقَت يدُه، أو الدَّابَّةُ، بأن قالت: كذبَ، وليس هو بنبي، فإنَّ هذا الكلامَ الذي خَلَقَه اللهُ تعالى دالٌّ على كَذِبِ ذلك المدَّعي للرسالة؛ لأنَّ ما فعلَه اللهُ لم يَقَع على وَفقِ دعواه. وكذلك ما يُروَى أنَّ مُسَيلِمَةَ الكذَّابَ ـ لعنه الله ـ تَفَلَ في بئر ليَكثُرَ ماؤُها، فغارَت البئرُ، وذهبَ ماكانَ فيها من الماء[1]، فما فعلَ اللهُ سبحانَه من هذا، كان من الآياتِ المُكَذِّبةِ لمن ظَهرَت على يديه، لأنها وقَعت على خلافِ ما أراده المُتَنَبِّئُ الكذَّابُ.

والشرطُ الخامسُ من شروط المعجزة: ألا يأتيَ أحدٌ بمثل ما أتى به المُتحدِّي على وجهِ المعارضة، فإن تَمَّ الأمرُ المتحدَّى به، المُستَشهَدُ به على النبوَّة، على هذا الشرطِ، مع الشروط المتقدمة، فهي معجزةٌ دالَّةٌ على نُبوَّةِ مَن ظَهرَت على يده، فإن أقامَ الله تعالى مَن يُعارِضُه حتى يأتيَ بمثل ما أتى به، ويَعْمَلَ مثلَ ما عَمِلَ، بَطَلَ كونُه نبيًّا، وخَرَجَ ما ظَهرَ على يديه[2] عن كونه مُعجِزاً، ولم يَدُلَّ على صِدقه، ولهذا قال المولى سبحانه: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ [الطور: ٣٤]، وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود: ١٣]. كأنه يقول: إن ادَّعيتُم أنَّ هذا القرآنَ من نَظم محمد ﷺ وعملِه، فاعمَلُوا عَشرَ سُورٍ من جنس[3] نَظمِهِ، فإذا عَجَزتُم بأسركم عن ذلك، فاعلموا أنه ليس مِن نَظْمِهِ، ولا مِن عَمَلِه.

لا يقال: إنَّ المعجزاتِ المقيَّدةَ بالشروط الخمسةِ لا تظهر إلا على أيدي

(١) أورد الطبريُّ هذه القصة في تاريخه ٣/ ٢٨٤ـ ٢٨٥ ضمن خبر مسيلمة.

(٢) قوله: ما ظهر على يديه، ليس في (م).

(٣) في (ظ): حسن.

الصادقين، فهذا المسيح[١] الدَّجَّال - فيما رويتُم عن نبيِّكم ﷺ - يظهر على يديه من الآيات العِظام، والأمورِ الجِسام، ما هو معروفٌ مشهورٌ.

فإنَّا نقول: ذلك يدَّعي الرسالةَ، وهذا يدَّعي الرُّبوبيَّةَ، وبينهما من الفُرقان مابين البُصَراءِ والعُميانِ، وقد قام الدليلُ العقليُّ على أنَّ بِعثةَ بعضِ الخَلقِ إلى بعض غيرُ مُمتنعَة، ولا مُستحيلة، فلم يَبعُد أن يُقيمَ الله تعالى الأدلَّةَ على صِدق مخلوق أتى عنه بالشرع والمِلَّةِ.

ودلَّت الأدلَّةُ العقليَّةُ أيضاً على أنَّ المسيح الدَّجَّال فيه التصويرُ والتغييرُ[٢] من حال إلى حال، وثبت أنَّ هذه الصفاتِ لا تليقُ إلا بالمُحدَثات، تعالى ربُّ البريَّات عن أن يُشبِهَ شيئاً، أو يُشبِهَهُ شيءٌ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

فصل

إذا ثبتَ هذا، فاعلَمْ أنَّ المعجزاتِ على ضربَيْن:

الأول: ما اشتَهَرَ نقلُه وانقرضَ عصرُه بموت النبيِّ ﷺ.

والثاني: ما تواترتِ[٣] الأخبارُ بصحته وحصولِه، واستفاضَت بثبوته ووجوده، ووقع لسامعها العلمُ بذلك ضرورة.

ومن شرطه أن يكونَ الناقلون له خَلقاً كثيراً وجمًّا غَفِيراً، وأن يكونوا عالِمين بما نقلوه عِلماً ضرورياً، وأن يستويَ في النقل أوَّلُهم وآخِرُهم ووسطُهم في كَثرةِ العدد، حتى يستحيلَ عليهم التواطؤُ على الكذب. وهذه صفةُ نقلِ القرآن، ونقلِ وجودِ النبيِّ عليه الصلاة والسلام، لأنَّ الأمةَ رضي الله عنها لم تَزَل تنقُلُ القرآنَ خَلَفاً عن سَلَف، والسَّلَفُ عن سَلَفِهِ، إلى أن يتَّصِلَ ذلك بالنبيِّ عليه السلام، المعلومِ وجودُه بالضرورة، وصِدقُه بالأدلَّةِ المُعجِزات، والرسولُ أخذَه عن جبريلَ عليه السلام، عن ربِّه عزَّ وجلَّ، فنقَلَ القرآنَ في الأصل رسولانِ معصومانِ من الزيادة والنُّقصان، ونقلَه

---

(١) في (د) و(م): المسيخ (بالخاء المعجمة). ويقال له كذلك، وسيذكر المصنف الأقوال في تسميته بذلك، عند تفسير قوله تعالى من سورة آل عمران: ﴿ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ الآية ٤٥.

(٢) في النسخ الخطية: والتغير، والمثبت من (م).

(٣) في النسخ الخطية: تواردت، والمثبت من (م).

إلينا بعدَهم أهلُ التواتر، الذين لا يجوزُ عليهم الكذبُ فيما ينقُلونه ويسمَعونه، لكَثرةِ العدد، ولذلك وقع لنا العلمُ الضروريُّ بصدقهم فيما نقلوه، من وجودِ محمد ﷺ، ومن ظهورِ القرآن على يديه، وتحدِّيه به.

ونظيرُ ذلك من عِلمِ الدنيا: عِلمُ الإنسانِ بما نُقِلَ إليه من وجود البُلدان، كالبَصرة والشام، والعراقِ وخُراسان، والمدينةِ ومكَّةَ، وأشباهِ ذلك من الأخبار الكثيرة الظاهرة[(١)] المتواترة. فالقرآنُ معجزةُ نبيِّنا ﷺ الباقيةُ بعدَه إلى يوم القيامة. ومُعجزةُ كلِّ نبيٍّ انقرضَت بانقراضه، أو دخلَها التبديلُ والتغييرُ، كالتوارة والإنجيل.

ووجوهُ إعجاز القرآن العظيم[(٢)] عشرة:

منها: النَّظمُ البديعُ المخالِفُ لكلِّ نَظم معهود في لسان العرب وفي غيرها؛ لأنَّ نَظمَه ليس من نَظم الشعر في شيء، وكذلك[(٣)] قال ربُّ العزَّة الذي تَولَّى نَظمَه: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩]. وفي «صحيح» مسلم: أن أُنيساً أخا أبي ذَرٍّ قال لأبي ذَرٍّ: لَقِيتُ رجلاً بمكَّةَ على دِينك، يَزعُمُ أنَّ الله أرسلَه، قلتُ: فما يقول الناسُ؟ قال: يقولون: شاعرٌ، كاهنٌ، ساحرٌ. وكان أُنيسٌ أحدَ الشعراء، قال أُنيس: لقد سمعتُ قولَ الكَهَنَةِ، فما هو بقولهم، ولقد وضعتُ قولَه على أقراء الشِّعر[(٤)]، فلم يَلتَئِم على لسان أحد بعدي أنه شعر، والله إنه لصادقٌ، وإنهم لكاذبون[(٥)].

وكذلك أقَرَّ عُتبةُ بنُ رَبيعةَ أنه ليس بسِحر ولا شِعر، لَمَّا قرأ عليه رسولُ الله ﷺ: «حم» فُصِّلَت، على ما يأتي بيانُه هناك[(٦)]. فإذا اعترفَ عُتبةُ ـ على موضعِه من اللسان، وموضعِه من الفصاحة والبلاغة ـ بأنه ما سَمِعَ مثلَ القرآن قَطُّ، كان في هذا القولِ مُقِرًّا بإعجاز القرآنِ له، ولضُرَبائه من المتحقِّقين بالفصاحة، والقُدرة على

---

(١) في (ظ): المتظاهرة.

(٢) في (م): الكريم.

(٣) في (د): ولذلك.

(٤) في النسخ الخطية: الشعراء، والمثبت من (م).

(٥) صحيح مسلم (٢٤٧٣)، وعنده: فما يلتئم. وهو في مسند أحمد (٢١٥٢٥).

(٦) أخرج قصة عتبة بن ربيعة ابنُ إسحاق فيما ذكر ابن هشام ١/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤، ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥، وسترد القصة في أول تفسير سورة فصلت.

التكلُّمِ بجميع أجناسِ القَولِ وأنواعِه.

ومنها: الأسلوبُ المخالِفُ لجميع أساليب العرب.

ومنها: الجَزالةُ التي لا تصحُّ من مخلوق بحال، وتأمَّل ذلك في سورة ﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ إلى آخرها، وقوله سبحانه: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧] إلى آخر السورة. وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ﴾ [إبراهيم: ٤٢] إلى آخر السورة.

قال ابن الحَصَّار[١]: فَمَن عَلِمَ أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى هو الحقُّ، عَلِمَ أنَّ مثلَ هذه الجَزالةِ لا تصحُّ في خطاب غيره، ولا يصحُّ من أعظم ملوك الدنيا أن يقولَ: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ [غافر: ١٦]، ولا أن يقولَ: ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ [الرعد: ١٣].

قال ابنُ الحَصَّار: وهذه الثلاثةُ من النَّظم، والأسلوب، والجَزالة، لازِمةٌ كلَّ سورة، بل هي لازِمةٌ كلَّ آية. وبمجموع هذه الثلاثةِ يتميَّزُ مسموعُ كلِّ آية وكلِّ سورة عن سائر كلام البشر، وبها وقع التَّحدِّي والتعجيزُ. ومع هذا، فكلُّ سورة تنفرِدُ بهذه الثلاثةِ، من غير أن ينضافَ إليها أمرٌ آخرُ من الوجوه العشرة. فهذه سورةُ الكوثر ثلاثُ آيات قِصار، وهي أقصرُ سورة في القرآن، وقد تضمَّنَت الإخبارَ عن مُغيَّبَين:

أحدهما: الإخبار عن الكَوثر، وعِظَمِهِ وسَعتِه، وكَثرةِ أوانيه، وذلك يدُلُّ على أنَّ المصدِّقين به أكثرُ من أتباع سائر الرُّسُل.

والثاني: الإخبار عن الوليد بن المُغيرة، وقد كان عند نزول الآية ذا مال وولد، على ما يقتضيه قوله الحق: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ۝١١ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودٗا ۝١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا﴾ [المدثر]. ثم أهلكَ اللهُ سبحانه مالَه وولدَه، وانقطعَ نسلُه[٢].

ومنها: التصرُّفُ في لسان العرب على وجه لا يستقلُّ به عربيٌّ، حتى يقعَ منهم الاتفاقُ من جميعهم على إصابته في وضعِ كلِّ كلمة وحرف موضعَه[٣].

---

(١) عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد، أبو المطرِّف، القرطبي المالكي، تفقه بأبي عمر الإشبيلي. توفي سنة (٤٢٢) سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٧٣.

(٢) في (د): وقطع نسلَه.

(٣) في (ظ): في موضعه.

ومنها: الإخبارُ عن الأمور التي تَقدَّمَت من[(١)] أوّلِ الدنيا إلى وقت نزولِه من أمّيٍّ ما كان يَتلُو من قبله من كتاب، ولا يَخُطُّه بيمينه، فأخبرَ بما كان من قَصصِ الأنبياء مع أممها، والقرونِ الخالية في دهرها، وذكَرَ ما سألَه أهلُ الكتاب عنه، وتحدَّوه به، من قصةِ أهل الكهف، وشأنِ موسى والخَضِرِ عليهما السلام، وحالِ ذي القرنين، فجاءهم - وهو أميٌّ من أمَّة أُمّيَّة، ليس لها بذلك علمٌ - بما عرَفوا من الكتب السالفة صِحَّتَه، فتحقَّقُوا صِدقَه.

قال القاضي ابنُ الطَّيِّب[(٢)]: ونحن نعلَمُ ضرورة أنَّ هذا مما لا سبيلَ إليه إلا عن تعلُّم، وإذا كان معروفاً أنه لم يكن ملابِساً لأهلِ الآثار، وحَمَلَةِ الأخبار، ولا متردِّداً إلى التعلُّم[(٣)] منهم، ولا كان ممن يقرأ، فيجوز أن يقعَ إليه كتابٌ، فيأخُذَ منه، عُلِمَ أنه لا يصِلُ إلى علمِ ذلك إلا بتأييد من جهةِ الوَحي.

ومنها: الوفاءُ بالوعدِ المُدرَكِ بالحِسِّ في العِيان، في كلِّ ما وعدَ اللهُ سبحانه، وهو ينقسمُ[(٤)] إلى: أخباره المطلقة، كوعده بنصرِ رسوله عليه السلام، وإخراج الذين أخرجوه من وطنه. وإلى وعد مقيَّد بشرط، كقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]، و﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٥]، وشبه ذلك.

ومنها: الإخبارُ عن المُغيَّبات في المستقبل التي لا يُطَّلَعُ عليها إلا بالوحي. فمن ذلك: ماوعد اللهُ نبيَّه عليه السلام، أنه سَيُظهِرُ دينَه على الأديان بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣] الآية، ففعلَ ذلك. وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا أغزَى جيوشَه، عرَّفَهم ما وعدَهم اللهُ في إظهار دينِه، ليَثِقوا بالنصر، وليَسْتَيقِنوا بالنُّجح. وكان عمرُ يفعلُ ذلك[(٥)]، فلم يزل الفتحُ يتوالى شرقاً وغرباً، برًّا وبحراً. قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ

(١) في (د) و(م): في.
(٢) في إعجاز القرآن ص ٥١.
(٣) في (م): المتعلم.
(٤) في (د) و(ز): وهي تنقسم، وفي (م): وينقسم، والمثبت من (ظ).
(٥) من قوله: فمن ذلك ما وعد الله نبيه، إلى هذا الموضع، من إعجاز القرآن للباقلاني ص ٤٨.

فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥]، وقال: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]، وقال: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧]، وقال: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم].

فهذه كلُّها أخبارٌ عن الغيوب التي لا يَقِفُ عليها إلا رَبُّ العالمين، أو من أوقفه عليها ربُّ العالمين، فدَلَّ على أنَّ الله تعالى قد أوقف عليها رسولَه، لتكونَ دلالة على صدقه.

ومنها: ما تضمَّنه القرآنُ من العلم، الذي هو قِوامُ جميعِ الأنام في الحلال والحرام، وفي سائر الأحكام.

ومنها: الحِكَمُ البالغةُ التي لم تَجْرِ العادةُ بأن تصدُرَ في كَثرتِها وشَرَفِها من آدميٍّ.

ومنها: التناسبُ في جميع ما تضمَّنه ظاهراً وباطناً من غير اختلاف. قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

قلت: فهذه عَشرةُ أوجه، ذكرها علماؤنا رحمةُ الله عليهم.

ووجهٌ حادي عشرَ قاله النَّظَّامُ(١) وبعضُ أهل(٢) القَدَرية، أنَّ وجهَ الإعجاز هو المنعُ من معارضته، والصَّرْفَةُ عند التحدِّي بمثله. وأنَّ المنعَ والصَّرْفةَ هو المعجزةُ دون ذات القرآن، وذلك أنَّ الله تعالى صَرَفَ هِمَمَهم عن معارضته، مع تحدِّيهم بأن يأتوا بسورة من مِثله. وهذا فاسدٌ؛ لأنَّ إجماعَ الأمة قبل حدوثِ المخالف أنَّ القرآنَ هو المُعجِزُ، فلو قلنا: إن المنعَ والصَّرْفةَ هو المُعجِزُ، لخرجَ القرآنُ عن أن يكونَ مُعجِزاً، وذلك خلافُ الإجماع. وإذا كان كذلك، عُلِمَ أن نفسَ القرآن هو المُعجِزُ؛ لأنَّ فصاحتَه وبلاغتَه أمرٌ خارقٌ للعادة، إذ لم يُوجَد قطُّ كلامٌ على هذا الوجهِ، فلما لم يكن ذلك الكلامُ مألوفاً مُعتاداً منهم، دلَّ على أنَّ المنعَ والصَّرفةَ لم يكن معجِزاً.

واختلف مَن قال بهذه الصَّرفَة على قولين:

---

(١) إبراهيم بن سيار، أبو إسحاق البصري، شيخ المعتزلة، تكلم في القدر، وانفرد بمسائل، مات سنة بضع وعشرين ومئتين. السير ١٠/ ٥٤١.

(٢) ليست في (م).

أحدهما: أنهم صُرِفوا عن القُدرة عليه، ولو تعرَّضوا له، لَعجَزوا عنه.

الثاني: أنهم صُرِفوا عن التعرُّضِ له، مع كونه في مقدورهم، ولو تعرَّضوا له، لجاز أن يَقدِرُوا عليه.

قال ابن عطية: وجهُ الإعجاز[1] في القرآن، إنما هو بِنَظمِه وصِحَّةِ معانيه، وتوالي فصاحةِ ألفاظِه. ووجهُ إعجازِه أنَّ الله تعالى قد أحاطَ بكلِّ شيء عِلماً، وأحاطَ بالكلام كلِّه عِلماً، فَعَلِمَ بإحاطته أيَّ لفظة تصلُحُ أن تليَ الأولى، وتُبيِّنَ المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أوَّلِ القرآن إلى آخره، والبشرُ معهم الجهلُ والنِّسيانُ والذُّهولُ، ومعلومٌ ضرورةً أنَّ بَشَراً لم يكن محيطاً قطُّ، فبهذا جاء نَظمُ القرآنِ في الغاية القُصوى من الفصاحة.

وبهذا النظرِ يَبطُلُ قولُ مَن قال: إنَّ العربَ كان في قُدرتها أن تأتيَ بمثل القرآن في الغاية القُصوى من الفصاحة، فلما جاء محمدٌ ﷺ، صُرِفوا عن ذلك، وعَجَزوا عنه.

والصحيحُ أنَّ الإتيانَ بمثل القرآن لم يكُن قَطُّ في قُدرةِ أحد من المخلوقين.

ويَظهَرُ لك قصورُ البشر في أنَّ الفصيحَ منهم يصنعُ[2] خُطبة، أو قصيدة، يَستفرِغُ فيها جُهدَهُ، ثم لا يزال يُنَقِّحُها حَولاً كاملاً، ثم تُعطَى لآخَرَ بعدَه، فيأخذُها بقريحة جامة[3]، فيبدِّلُ فيها ويُنقِّحُ، ثم لا تزالُ كذلك[4] فيها مواضعُ للنظر والبَدَلِ. وكتابُ الله تعالى لو نُزِعَت منه لَفظَةٌ، ثم أُدِيرَ لسانُ العرب أن يُوجَدَ أحسنُ منها، لم يُوجَد[5].

ومن فصاحةِ القرآنِ أنَّ الله تعالى جلَّ ذِكرُه ذَكَرَ في آية واحدة أمرَيْن، ونَهْيَيْن، وخَبَرَيْن، وبِشارَتَيْن، وهو قولُه تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧] الآية.

وكذلك فاتحة سورة المائدة: أمرَ بالوفاء، ونَهَى عن النَّكْثِ، وحلَّلَ تحليلاً

---

(١) في (م) والمحرر الوجيز: التحدي.

(٢) في (م): يضع.

(٣) كذا في المحرر الوجيز (والكلام منه)، وفي (ظ): جامدة، وفي (د): جامعة، ولم نتبينها في (ز).

(٤) في (م): بعد ذلك.

(٥) المحرر الوجيز ١/ ٥٢ باختلاف يسير.

عامًّا، ثم استثنى استثناءً بعدَ استثناءٍ، ثم أخبرَ عن حِكمته وقُدرته، وذلك مما لا يَقدِرُ عليه إلا الله سبحانه.

وأنبأ سبحانه عن الموت، وحَسرةِ الفَوت، والدارِ الآخرة وثوابِها وعقابِها، وفوزِ الفائزين، وتردِّي المجرمين، والتحذيرِ من الاغترار[1] بالدنيا، ووصفها بالقِلة بالإضافة إلى دار البقاء بقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ﴾ [آل عمران: ١٨٥] الآية.

وأنبأ أيضاً عن قَصص الأوَّلين والآخِرين، ومآلِ المُترَفين، وعواقبِ المُهلَكين، في شَطرِ آية، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وأنبأ جَلَّ وعزَّ عن أمرِ السفينة وإجرائها، وإهلاكِ الكَفَرةِ، واستقرارِ السفينة واستوائها، وتوجيهِ أوامرِ التسخيرِ[2] على[3] الأرض والسماء، بقوله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآۚ﴾ إلى قوله: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٤١ ـ ٤٤] إلى غير ذلك.

فلما عَجزَتْ قريشٌ عن الإتيانِ بمثله، وقالت: إنَّ النبيَّ ﷺ تَقوَّلَه، أنزلَ الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾ [الطور: ٣٣ ـ ٣٤] ثم أنزلَ تعجيزاً أبلغَ من ذلك، فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود: ١٣]. فلما عَجزوا، حَطَّهم عن هذا المِقدار إلى مثلِ سُورة من السُّوَر القصار، فقال جلَّ ذِكرُه: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣]. فأُفحِمُوا عن الجواب، وتَقَطَّعَت بهم الأسبابُ، وعَدَلوا إلى الحروب والعِناد، وآثروا سَبْيَ الحَريم والأولاد. ولو قَدَروا على المعارضة، لكانَ أهوَنَ كثيراً، وأبلغَ في الحُجَّة، وأشدَّ تأثيراً. هذا مع كونهم أربابَ البلاغةِ واللَّحنِ، وعنهم تُؤخَذُ الفَصاحةُ واللَّسَنُ.

---

(١) في النسخ الخطية: التغرير، والمثبت من (م).

(٢) في (د): للتسخير.

(٣) في (م): إلى.

فبلاغةُ القرآن في أعلى طبقات الإحسان، وأرفعِ درجاتِ الإيجازِ والبيان، بل تجاوزَت حدَّ الإحسان والإجادة، إلى حيِّزِ الإرباءِ والزيادة. هذا رسولُ الله ﷺ مع ما أُوتي من جوامع الكَلِم، واختصَّ به من غرائب الحِكَم، إذا تأمَّلتَ قولَه ﷺ في صفةِ الجِنان، وإن كان في نهاية الإحسان، وَجَدْتَه مُنحطًّا عن رُتبة القرآن، وذلك في قوله عليه السلام: «فيها ما لاعَينٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قلبِ بَشَر»[(١)] فأينَ ذلك من قوله عز وجل: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١]. وقوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]. هذا أعدَلُ وَزْناً، وأحسنُ تركيباً، وأعْذَبُ لَفظاً، وأقلُّ حروفاً، على أنه لا يُعتبر إلا في مِقدار سورة، أو أطولِ آية؛ لأنَّ الكلامَ كلما طالَ، اتَّسعَ فيه مجالُ المُتصرِّف، وضاقَ المقالُ على القاصِر المُتَكلِّف، وبهذا قامتِ الحُجَّةُ على العرب، إذ كانوا أربابَ الفصاحةِ، ومَظِنَّةَ المعارضة، كما قامت الحُجَّةُ في مُعجزة عيسى عليه السلام على الأطباء، ومُعجزةِ موسى عليه السلام على السَّحَرةِ، فإنَّ الله سبحانه إنَّما جعلَ مُعجزاتِ الأنبياء عليهم السلام بالوجهِ الشَّهيرِ أبرعَ ما يكون في زمان النبيِّ الذي أراد إظهارَه، فكان السِّحْرُ في مدة[(٢)] موسى عليه السلام قد انتهى إلى غاية[(٣)]، وكذلك الطِّبُّ في زمن عيسى عليه السلام، والفصاحةُ في زمن محمد ﷺ[(٤)].

باب التنبيه على أحاديثَ وُضعت في فضل سُور القرآن وغيرها[(٥)]

لا التفاتَ لِمَا وَضَعَه الواضعون، واختلقَه المختلِقون، من الأحاديثِ الكاذبة، والأخبارِ الباطلة، في فضل سُوَرِ القرآن، وغير ذلك من فضائلِ الأعمال، وقد ارتكَبَها جماعةٌ كثيرةٌ، اختلفَت أغراضُهم ومقاصِدُهم في ارتكابها. فمن[(٦)] قوم من الزَّنادقة مثلِ

---

(١) أخرجه أحمد (٨١٤٣)، والبخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة.

(٢) في (م): زمان.

(٣) في (م): غايته.

(٤) من قوله: قامت الحجة على العرب ... من المحرر الوجيز ١/ ٥٣.

(٥) في (م): وغيره.

(٦) في (د): فمنهم.

المغيرةِ بنِ سعيد الكوفيِّ[(١)]، ومحمدِ بن سعيد الشاميِّ[(٢)] المصلوبِ في الزندقة، وغيرِهما، وضَعوا أحاديثَ، وحدَّثوا بها، ليُوقِعُوا بذلك الشَّكَّ في قلوب الناس، فممَّا رواه محمدُ بنُ سعيد، عن أنس بنِ مالك في قوله ﷺ: «أنا خاتمُ النبيين[(٣)]، لا نبيَّ بعدي، إلا ماشاء الله»[(٤)] فزاد هذا الاستثناءَ، لِمَا كان يدعو إليه من الإلحادِ والزندقةِ.

قلتُ: وقد ذكره ابنُ عبد البرِّ في كتاب «التمهيد»[(٥)] ولم يتكلَّم عليه، بل تأوَّلَ الاستثناءَ على الرؤيا! فالله أعلم.

ومنهم قومٌ وضَعُوا الحديثَ، لِهَوًى يَدعُونَ الناسَ إليه. قال شيخٌ من شيوخ الخوارج بعد أن تاب: إنَّ هذه الأحاديثَ دِينٌ، فانظُروا ممن تأخُذُون دِينكم، فإنَّا كنَّا إذا هَوِينا أمراً، صَيَّرناه حديثاً[(٦)].

ومنهم جماعةٌ وضعوا الحديثَ حِسْبَة كما زعموا، يدعون الناسَ إلى فضائل الأعمال، كما رُوي عن أبي عِصْمَةَ نوح بن أبي مريم المَرْوَزِيِّ[(٧)]، ومحمد بن عُكَّاشة الكِرماني[(٨)]، وأحمدَ بنِ عبد الله الجُويبارِي[(٩)]، وغيرِهم[(١٠)].

---

(١) هو أبو عبد الله البجلي الرافضي الكذاب، قُتل في حدود العشرين ومئة. ميزان الاعتدال ٤/ ١٦٠.

(٢) ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ٣/ ٥٦١ وقال: من أهل دمشق، هالك، وكان من أصحاب مكحول.

(٣) في (م): الأنبياء.

(٤) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٢٠٦، وابن عراق في تنزيه الشريعة ١/ ٣٢١.

(٥) ١/ ٣١٤.

(٦) أخرجه الرامهرمزي في المحدث الفاصل (٤٤٣)، والخطيب في الكفاية في علم الرواية ص ١٢٣. وأخرج مسلم في مقدمة صحيحه، والخطيب في الكفاية ص١٢٢، عن محمد بن سيرين قوله: إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم.

(٧) ولي قضاء مرو في خلافة المنصور، وامتدت حياته، قال البخاري: منكر الحديث، مات سنة (١٧٣هـ). ميزان الاعتدال ٤/ ٢٨٠.

(٨) ويقال: محمد بن إسحاق العكاشي، كذاب، قال سهل بن السري الحافظ: وضع أحمد الجويباري ومحمد بن تميم ومحمد بن عكاشة على رسول الله ﷺ أكثر من عشرة آلاف حديث، وقال ابن عساكر: بلغني أنه كان حيًّا سنة (٢٢٥هـ). لسان الميزان ٥/ ٢٨٦.

(٩) ويقال: الجوباري، وجوبار من عمل هراة، يعرف بستّوق، روى عن ابن عيينة وطبقته، قال ابن حبان: دجال من الدجاجلة، وقال الذهبي: يُضرب المثل بكذبه. ميزان الاعتدال ١/ ١٠٦.

(١٠) نقل نحو هذا الكلام الحافظُ ابنُ حجر في لسان الميزان ٥/ ٢٨٨ عن الحاكم (في ترجمة محمد بن عكاشة).

قيل لأبي عِصمةَ: من أين لك عن عِكرمةَ، عن ابن عباس في فضل سُوَرِ القرآن سورةً سورة؟ فقال: إني رأيتُ الناسَ قد أعرَضُوا عن القرآن، واشتغلُوا بفقه أبي حنيفةَ، ومَغَازي محمد بنِ إسحاقَ[١]، فوضعتُ هذا الحديثَ حِسبَةً[٢].

قال أبو عمرو عثمانُ بن الصلاح في كتاب «علوم الحديث»[٣] له: وهكذا الحديثُ الطويلُ الذي يُروَى عن أُبَيِّ بن كعب، عن النبيِّ ﷺ في فَضل[٤] القرآنِ سورةً سورة[٥]. وقد بحثَ باحثٌ عن مَخْرَجِه حتى انتهى إلى من اعترفَ بأنه وجماعةٌ وضعوه[٦]. وإنَّ أثر الوَضع عليه لَبَيِّنٌ. وقد أخطأ الواحديُّ المفسِّرُ[٧]، ومن ذَكَره من المفسرين، في إيداعه تفاسيرَهم.

ومنهم قومٌ من السُّؤَّال والمُكْدِينَ[٨]، يَقِفُون في الأسواق والمساجد، فيضعُون على رسول الله ﷺ أحاديثَ بأسانيدَ صِحاح قد حَفِظُوها، فيذكُرون الموضوعاتِ بتلك الأسانيد.

قال جعفرُ بن محمد الطيالسيُّ[٩]: صلَّى أحمدُ بنُ حنبل ويحيى بنُ مَعِين في

---

(١) هو أبو بكر القرشي المطلبي مولاهم، المدني، الحافظ الأخباري، صاحب السيرة النبوية، وأول مَن دوَّن العلم بالمدينة، مات سنة (١٥٠هـ). سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٣.

(٢) ذكره الخليلي في الإرشاد ٣/ ٩٠٣، والسيوطي في تدريب الراوي ١/ ٢٨٢، والصنعاني في توضيح الأفكار ٢/ ٨١.

(٣) ص١٠٠ ـ ١٠١، وابن الصلاح: هو عثمان بن عبد الرحمن الكردي الشهرزوري الشافعي، كان ذا فصاحة وعلم نافع، توفي سنة (٦٤٣هـ). السير ٢٣/ ١٤٠.

(٤) في (ظ): فضائل.

(٥) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ١٧٣ ـ ١٧٤، ثم قال: وقد فَرَّقَ هذا الحديثَ أبو إسحاق الثعلبي، وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك، ولا أعجبُ منهما، لأنهما ليسا من أصحاب الحديث، وإنما عجبتُ من أبي بكر بن أبي داود كيف فرَّقَه على كتابه الذي صنفه في فضائل القرآن وهو يعلم أنه حديث محال! وانظر اللآلىء المصنوعة ١/ ٢٠٥، وتنزيه الشريعة ١/ ٢٨٥.

(٦) موضوعات ابن الجوزي ١٧٤ ـ ١٧٥.

(٧) أبو الحسن علي بنُ أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، مات سنة (٤٦٨هـ). السير ١٨/ ٣٣٩.

(٨) أي: الملحِّين في المسألة.

(٩) أبو الفضل البغدادي، الحافظ، كان مشهوراً بالحفظ والإتقان، توفي سنة (٢٨٢هـ). السير ١٣/ ٣٤٦.

مسجد الرُّصَافةِ، فقامَ بين أيديهما قَاصٌّ، فقال: حدثنا أحمدُ بنُ حنبلٍ ويحيى بنُ معين قالا: حدثنا[١] عبدُ الرزاق قال: حدثنا مَعْمَرٌ، عن قَتادة، عن أنس قال: قال رسولُ الله ﷺ: مَن قال: لا إله إلا الله، يُخلَقُ من كلِّ كلمة منها طائرٌ مِنقارُهُ من ذهب، وريشُه مَرْجان. . وأخذَ في قصة نحو من عشرين ورقة، فجعلَ أحمدُ ينظُرُ إلى يحيى، ويحيى ينظُرُ إلى أحمدَ، فقال: أنتَ حدَّثتَه بهذا ؟! فقال: والله ما سمعتُ به إلا هذه الساعةَ، قال: فسكتا جميعاً حتى فَرَغَ من قَصَصِه، فقال له يحيى: مَن حدَّثَك بهذا الحديثِ ؟ فقال: أحمدُ بنُ حنبل ويحيى بنُ مَعِين، فقال: أنا ابنُ مَعِين، وهذا أحمدُ بنُ حنبل، ما سَمِعنا بهذا قطُّ في حديثِ رسول الله ﷺ، فإن كانَ ولا بُدَّ من الكذب، فعلى غيرِنا ! فقال له: أنت يحيى بنُ مَعِين ؟! قال: نعم، قال: لم أزَل أسمعُ أنَّ يحيى بنَ مَعِين أحمقُ، وما عَلِمتُه إلا هذه الساعةَ، فقال له يحيى: وكيف علمتَ أني أحمقُ ؟ قال: كأنه ليس في الدنيا يحيى بنُ مَعِين وأحمدُ بنُ حنبل غيركما، كتبتُ عن سبعةَ عشرَ أحمدَ بن حنبل غير هذا. قال: فوضعَ أحمدُ كُمَّهَ على وجهِه وقال: دَعهُ يقوم[٢]، فقام كالمُستهزِىء بهما[٣].

فهؤلاء الطوائف كَذَبةٌ على رسول الله ﷺ، ومَن يَجري مَجراهم.

يُذكَر أنَّ الرشيدَ[٤] كان يُعجِبُهُ الحَمَامُ، واللَّهوُ به، فأُهدِيَ إليه حمامٌ وعنده أبو البَخترِي القاضي[٥]، فقال: روى أبو هريرةَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «لا سَبَقَ إلا في خُفٍّ، أو حافر، أو جَناح». فزاد: «أو جَناح»، وهي لفظةٌ وضَعَها للرشيد، فأعطاه جائزة سَنِيَّة، فلما خرج، قال الرشيدُ: واللهِ لقد علمتُ أنه[٦] كذَّابٌ. وأمرَ بالحَمَام أن

---

(١) في (م): أنبأنا (في الموضعين).

(٢) في (ظ): يقول.

(٣) أخرج هذه القصة ابن حبان في المجروحين ١/ ٨٥، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي ٢/ ٢٣٩ - ٢٤٠ من طريق إبراهيم بن عبد الواحد البكري، عن جعفر بن محمد الطيالسي، وذكَرَها المِزِّي في تهذيب الكمال (ترجمة يحيى بن معين)، والذهبي في ميزان الاعتدال ١/ ٤٧، وفي السير ١١/ ٨٦ و ٣٠٠. قال الذهبي: هذه الحكاية اشتهرت على ألسنة الجماعة، وهي باطلة، أظن البلدي (يعني البكري) وضعها.

(٤) هارون بن محمد، أبو جعفر، الخليفة العباسي، كان من أنبل الخلفاء، وأحشم الملوك، ذا حجٍّ وجهاد، وغزو وشجاعة، ورأي، توفي سنة (١٩٣هـ). السير ٩/ ٢٨٦.

(٥) وَهْب بن وَهب بن كثير بن زَمعة، ولاه الرشيد القضاء. تاريخ بغداد ١٣/ ٤٥١، وميزان الاعتدال ٤/ ٣٥٣.

(٦) في النسخ الخطية: أنك، والمثبت من (م).

يُذبَحَ، فقيل له: وماذنبُ الحمَام ؟! قال: من أجلِه كُذِبَ على رسول الله ﷺ(١).
فترك العلماءُ حديثَه لذلك، ولغيره من موضوعاته، فلا يَكتُبُ العلماءُ حديثَه بحال.

قلتُ: فلو اقتصرَ الناسُ على ماثبت في الصِّحاح والمسانيد، وغيرِهما من المصنفات التي تداولها العلماءُ، ورواها الأئمةُ الفقهاءُ، لكان لهم في ذلك غُنْيةٌ، وخَرجوا عن تحذيره ﷺ حيث قال: «اتَّقوا الحديثَ عنِّي إلا ما عَلِمتُم، فمن كَذَبَ عليَّ مُتعمِّداً، فَلْيَتَبَوَّأ مَقْعَدَهُ من النار» الحديث(٢). فتخويفُه ﷺ أمَّتَه بالنار على الكذب دليلٌ على أنه كان يعلمُ أنه سيُكذَبُ عليه. فحذارِ مما وضعَه أعداءُ الدين، وزنادقةُ المسلمين، في باب الترغيب والترهيب، وغير ذلك.

وأعظمُهم ضَرَراً أقوامٌ من المنسوبين إلى الزُّهد، وضعوا الحديثَ حِسْبَةً فيما زَعَموا، فتقبَّلَ(٣) الناسُ موضوعاتِهم، ثقة منهم بهم، ورُكوناً إليهم، فضَلُّوا وأَضلُّوا.

باب ما جاء من الحُجَّة في الرَّدِّ على مَن طعنَ في القرآن، وخالفَ مصحفَ عثمانَ بالزيادة والنقصان

لاخلافَ بين الأمة، ولا بين الأئمة أهلِ السُّنَّة، أنَّ القرآنَ اسمٌ لكلام الله تعالى الذي جاء به محمدٌ ﷺ معجزة له، على ما تقدَّم(٤)، وأنه محفوظٌ في الصدور، مقروءٌ بالألسنة، مكتوبٌ في المصاحف، معلومةٌ على الاضطرار سُوَرُهُ وآياتُه، مُبرَّأةٌ من

---

(١) نقل الخطيب البغدادي في تاريخه ١٣/ ٤٥٥ عن الإمام أحمد قوله: ماروى هذا إلا ذاك الكذاب أبو البَختَرِي. وذكر له الخطيب أيضاً أنه دخلَ على هارون الرشيد وهو يطيِّر الحمام، فحدَّثه أن النبي ﷺ كان يطيِّر الحمام، فقال له الرشيد: اخرج عني. ثم قال: لولا أنه رجلٌ من قريش لعزلتُه. اهـ. وقد رُويت القصة أيضاً (التي أوردها المصنف) عن غياث بن إبراهيم النخعي في دخوله على المهدي، كما في تاريخ بغداد ١٢/ ٣٢٤، وميزان الاعتدال ٣/ ٣٣٨. قال ابن القيم في المنار المنيف ١/ ١٠٦: أحاديث الحَمَام لا يصح منها شيء.
وقد أخرج حديث أبي هريرة (يعني دون قوله: أو جناح) الإمام أحمد في المسند (٧٤٨٢)، وغيرُه، ونقل الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير ٤/ ١٦١ تصحيحه عن ابن القطان وابن دقيق العيد.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٦٧٥) و(٢٩٧٤)، والترمذي (٢٩٥١) من حديث ابن عباس. وقد ذكره المصنف بأطول منه ص ٥٧. باب ما جاء من الوعيد في تفسير القرآن بالرأي.

(٣) في النسخ الخطية: فيقبل، والمثبت من (م).

(٤) في (م): على نحو ماتقدم.

الزيادة والنقصان حروفُه وكلماتُه، فلا يُحتاجُ في تعريفه بحدٍّ، ولا في حَصره بعدٍّ، فمن ادَّعى زيادةً عليه، أو نقصاناً منه، فقد أبطلَ الإجماعَ، وبَهَتَ الناسَ، ورَدَّ ماجاء به الرسولُ ﷺ من القرآن المُنزَل عليه، وردَّ قولَه تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، وأبطلَ آيةَ رسولِه عليه السلام، لأنه إذ ذاك يصيرُ القرآنُ مَقدوراً عليه حين شِيبَ بالباطل، ولمَّا قُدِرَ عليه، لم يكُن حُجَّةً ولا آية، وخرج عن أن يكونَ مُعجِزاً[١].

فالقائلُ بأنَّ القرآنَ فيه زيادةٌ ونُقصانٌ، رادٌّ لكتابِ الله، ولِمَا جاء به الرسولُ، وكان كمن قال: الصلواتُ المفروضاتُ خمسون صلاة، وتزوُّجُ تسع من النساء حلالٌ، وفرضَ اللهُ أياماً مع شهر رمضان، إلى غير ذلك مما لم يَثبُت في الدِّين، فإذا رُدَّ هذا بالإجماع، كان الإجماعُ على القرآن أثبتَ وآكدَ، وألزمَ وأوجبَ.

قال الإمام أبو بكر محمدُ بنُ القاسم بن بشار بن محمد الأنباريُّ: ولم يَزَل أهلُ الفضلِ والعقلِ يَعرِفون مِن شَرَفِ القرآنِ وعُلُوِّ منزلتِه، ما يُوجِبُه الحقُّ والإنصافُ والدِّيانةُ، ويَنفُونَ عنه قولَ المُبطِلين، وتَمْوِيهَ المُلحِدين، وتحريفَ الزائغين، حتى نَبَغَ[٢] في زماننا هذا زائغٌ زاغَ عن المِلَّةِ، وهجمَ على الأمَّة، بما يُحاولُ به إبطالَ الشريعة، التي لا يزالُ اللهُ يؤيِّدُها، ويُثبِّتُ أُسَّها، ويُنمِّي فرعَها، ويَحرُسُها من معايب أولي الحَيْف[٣] والجَوْر، ومكايدِ أهل العداوةِ والكفرِ. فزعم أنَّ المُصْحفَ الذي جمعَه عثمانُ رضي الله عنه ـ باتفاق أصحابِ رسول الله ﷺ على تصويبه فيما فعَل ـ لا يَشتَمِلُ[٤] على جميع القرآن، إذ كان قد سَقَطَ منه خمسُ مئة حرف، قد قرأتُ ببعضها، وسأقرأُ ببقيتها، فمنها: «والعصرِ ونوائبِ الدَّهر»[٥] فقد سقطَ من القرآن على جماعة المسلمين[٦]: «ونوائبِ الدَّهر». ومنها: «حتى إذا أخذتِ الأرضُ

---

(١) قوله: وخرج عن أن يكون معجزاً، من (م).

(٢) أي: ظهر، ووقع في (د) و(م): نبع، وفي (ظ): تبع، ولم تنقط في (ز)، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) في (م): الجنَف.

(٤) في (ز): لا يجتمع.

(٥) ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٧٩، وانظر فضائل القرآن لأبي عبيد ص ١٨٩.

(٦) في (د): من المسلمين.

زُخرُفَها وازَّيَّنَت وظَنَّ أهلُها أنهم قادرون عليها أتاها أمرُنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تَغْنَ بالأمس وما كان اللهُ لِيُهلِكَها إلا بذنوب أهلها»(١). فادَّعى هذا الإنسانُ أنه سقطَ على أهل الإسلام من القرآن: «وما كان اللهُ ليُهلِكَها إلا بذنوب أهلها» وذكر مما يدَّعي حروفاً كثيرة.

وادَّعى أنَّ عثمانَ والصحابةَ رضي الله عنهم زادوا في القرآن ماليس فيه، فقرأ في صلاة الفرضِ والناسُ يسمعون: «اللهُ الواحدُ الصمد»(٢)، فأسقطَ من القرآن: «قل هو»، وغيَّر لفظَ «أحد»، وادَّعى أنَّ هذا هو الصوابُ، والذي عليه الناسُ هو الباطلُ والمُحَالُ، وقرأ في صلاة الفرض: «قُل للذين كفروا لا أعبدُ ما تعبدون»(٣) وطَعَنَ على(٤) قراءة المسلمين.

وادعى أنَّ المُصحفَ الذي في أيدينا اشتملَ على تصحيفِ حروف(٥) مُفسِدَة مُغيِّرة، منها: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، فادَّعى أنَّ الحِكمةَ والعِزَّةَ لا يُشاكِلان المغفرةَ، وأنَّ الصوابَ: «وإن تَغفِر لهم فإنك أنت الغفورُ الرحيمُ»(٦). وترامَى به الغَيُّ في هذا وأشكالِه حتى ادَّعى أنَّ المسلمين يُصَحِّفون: ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩]، والصوابُ الذي لم يُغيَّر عنده: «وكان عبداً للهِ وجيهاً»(٧)، وحتى قرأ في صلاة مُفترَضة على ما أخبرنا جماعةٌ سَمِعُوه وشَهِدُوه(٨): «لا تُحرِّك به لسانَك، إنَّ علينا جمعَه وقراءتَه، فإذا قرأناه فاتَّبع

---

(١) أخرجها أبو عبيد في الفضائل ص١٧٣، والطبري في التفسير ١٢/ ١٥٢ وذكرها ابن عطية ٣/ ١١٥، وأبو حيان في البحر ٥/ ١٤٤ وقال: ولا يحسنُ أن يقرأ أحد بهذه القراءة، لأنها مخالفةٌ لخط المصحف الذي أجمع عليه الصحابة والتابعون.

(٢) ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٨٢، ونسبها لعبد الله والأعمش.

(٣) نقلها أيضاً ابن عادل الحنبلي في اللباب ٢٠/ ٥٣٠ عن ابن الأنباري.

(٤) في (م): في.

(٥) في (ظ): وحروف.

(٦) نقل الذهبي في معرفة القراء الكبار ١/ ٥٤٩ عن عبد الرحمن بن عبد الله الفرائضي قوله: استُتِيبَ ابن شَنَبوذ على قراءة هذه الآية. اهـ. وذكرها كذلك أبو حيان في البحر ٤/ ٦٢ وقال: ليست من المصحف.

(٧) ذكرها ابن جني في المحتسب ٢/ ١٨٥ عن ابن مسعود، وانظر كتاب ابن خالويه ص ١٢٠.

(٨) في (ظ): وشهروه.

قراءَته، ثم إنَّ علينا نبأ به». وحكى لنا آخرون عن آخَرين، أنهم سَمِعُوه يقرأ: «ولقد نصركم اللهُ ببدر بسيف عَليٍّ وأنتم أذِلَّةٌ»(١). وروى هؤلاء أيضاً لنا عنه قال: «هذا صراط علي مستقيم»(٢). وأخبرونا أنه أدخلَ في آية من القرآن مالا يُضاهي فصاحةَ رسولِ الله ﷺ، ولا يدخُلُ في لسان قومه الذين قال اللهُ عز وجل فيهم: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤]، فقرأ: «أليس قلتَ للناس» في موضع: ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦]، وهذا لا يُعرَفُ في نحو المُعرِبين، ولا يُحمل على مذاهب النَّحْويين؛ لأنَّ العربَ لم تَقُل: ليس قُمتَ، فأمَّا: لستَ قمتَ، بالتاء، فشاذٌّ قبيحٌ، خبيثٌ رديء، لأنَّ «ليس» لا تجحَدُ الفعلَ الماضي، لم(٣) يُوجَد مثلُ هذا إلا في قولهم: ليس خلق اللهُ مثله(٤)، وهو لغةٌ شاذَّةٌ، لا يُحمَلُ كتابُ الله عليها.

وادَّعى أنَّ عثمانَ رضي اللهُ عنه لما أسندَ جَمْعَ القرآن إلى زيد بن ثابت، لم يُصِب؛ لأنَّ عبدَ الله بن مسعود وأُبَيَّ بنَ كعب كانا أولَى بذلك من زيد، لقول النبيِّ ﷺ: «أقرأُ أمَّتي أُبَيُّ بن كعب»(٥)، ولقوله عليه السلام: «مَن سَرَّهُ أن يقرأ القرآنَ غَضًّا كما أُنزِلَ، فَليقرَأْهُ بقراءة ابنِ أُمِّ عَبد»(٦)، وقال هذا القائلُ: لي أن أخالفَ مُصحفَ عثمانَ كما خالفه أبو عمرو بن العلاء، فقرأ: ﴿إنَّ هَٰذَين﴾ [طه: ٦٣]، ﴿فأصَّدَّقَ وأكونَ﴾ [المنافقون: ١٠]، ﴿فَبشِّرْ عباديَ، الذين﴾ [الزمر: ١٧] بفتح الياء(٧)، ﴿فما

---

(١) هي قراءة واضحة البطلان.

(٢) قرأ يعقوب، وهو من العشرة: هذا صراطٌ عليٌّ مستقيم، انظر النشر ٢/ ٣٠١. وذكرها ابن جنّي في المحتسب ٢/ ٣، وقال: عليٌّ ـ هنا ـ كقولهم: كريم، وشريف، وليس المرادُ علوَّ الشخوص والنُّصْبة. اهـ ومن الواضح أن المصنف رحمه الله يقصد تقييداً آخر للفظ، كما هو ظاهر سياق كلامه في الردّ على الزائغين عن الملَّة.

(٣) في (م): ولم.

(٤) في (م): أليس قد خلق الله مثلهم.
وقال صاحب النحو الوافي ١/ ٥٥٩: اشترطَ الكوفيون للقياس على هذا الأسلوب دخولَ «قد» على خبر «ليس» مجاراة للمثال المسموع، ولأن «قد» تُقَرِّبُهُ من الحال.

(٥) سلف نحوه ص٦٢ ضمن حديث.

(٦) أخرجه أحمد في المسند (٤٢٥٥) وغيرُه بلفظ: «من أحبَّ ...» وانظر ما سلف ص ٩٤ ـ ٩٥.

(٧) قراءة أبي عمرو في الموضع الثالث هي من رواية السوسي وصلاً، واختلف عنه وقفاً بين الحذف والإثبات. وانظر قراءته في الآيات المذكورة في السبعة ص ٤١٩، ٦٣٧، ٥٦١، والتيسير ص ١٥١، =

آتانيَ الله﴾ [النمل: ٣٦] بفتح الياء[١]. والذي في المُصحفِ: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ﴾ بالألف[٢]، ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن﴾ بغير واو[٣]، ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾، ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ بغير ياء[٤] في الموضعين[٥]. وكما خالف ابنُ كَثير ونافعٌ وحمزةُ والكِسائيُّ مُصحفَ عثمانَ، فقرؤوا: ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣] بإثبات نونين، يفتحُ الثانيةَ بعضُهم، ويُسَكِّنُها بعضُهم[٦]، وفي المصحف نونٌ واحدة[٧]. وكما خالف حمزةُ المُصحفَ، فقرأ: ﴿أَتُمِدُّونِّي بمال﴾ [النمل: ٣٦] بنون واحدة، ووقف على الياء[٨]، وفي المُصحف نونانِ، ولا ياء بعدَهما[٩]. وكما خالف حمزةُ أيضاً المُصحفَ، فقرأ: ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ﴾ [هود: ٦٨] بغير تنوين[١٠]، وإثباتُ الألف يُوجِبُ التنوين[١١]. وكلُّ هذا الذي شَنَّعَ به على القُرَّاء ما يلزمُهم به خِلافٌ للمصحف.

= ٢١١، ١٨٩ على الترتيب.

(١) وقرأها كذلك من السبعة نافع وعاصم في رواية حفص وصلاً، واختلف عن قالون وأبي عمرو وحفص وقفاً بين الحذف والإثبات. وقرأ ورش بالحذف وقفاً. ذكره ابن مجاهد في السبعة ص٤٨٢، والداني في التيسير ص ١٧٠.

(٢) ذكره أبو عمرو الداني في التيسير ص ١٥١، والمقنع ص ١٥.

(٣) التيسير ص ٢١١، والمقنع ص ١١٣.

(٤) في (د) و(ز) و(م): ياءين، والمثبت من (ظ).

(٥) التيسير ص ١٧٠ و١٨٩، والمقنع ص ٣٢.

(٦) لم يذكر المصنف بقية القراء السبعة ـ وهم أبو عمرو البصري، وابن عامر الشامي، وعاصم ـ مع أنهم اتفقوا جميعاً على قراءتها بنونين؛ قرأ الكسائي وعاصم في رواية حفص عنه بإسكان الثانية، وتخفيف الجيم، وقرأ الباقون بفتح الثانية وتشديد الجيم. انظر السبعة ص ٣٣٠، والتيسير ص ١٢٣.

(٧) لكن أبا عمرو الداني ذكر في المقنع ص٩١ عن أبي عبيد أنه رأى في مصحف عثمان رضي الله عنه الحرفين اللذين في يونس: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا﴾ و﴿نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بنونين، وذكر أيضاً ص٨٥ فيما اتفقت على رسمه مصاحف أهل الأمصار، أنها بنونين.

(٨) قرأ حمزة بنون واحدة مشدَّدة، فأدغمَ النون الأولى في الثانية، مع المدِّ المشبع، وأثبت الياء وصلاً ووقفاً، وكذلك قرأها يعقوب من العشرة. السبعة في القراءات ص٤٨٢، والتيسير ص ١٧٠، والنشر ٢/ ٣٣٨.

(٩) ذكره أبو عمرو الداني في المقنع ص ٩١.

(١٠) هي أيضا قراءة عاصم من السبعة في رواية حفص، وقراءة يعقوب من العشرة. السبعة ص٣٣٧، والتيسير ص ١٢٥، والنشر ٢/ ٢٨٩.

(١١) قال ابن الجزري في النشر ٢/ ٢٩٠: كلُّ مَنْ نَوَّنَ وقف بالألف، ومَنْ لم يُنَوِّنْ وقف بغير ألف وإن كانت مرسومة.

قلتُ: قد أشرنا إلى العدِّ فيما تقدَّم(١) مما اختلفَت فيه المصاحفُ، وسيأتي بيانُ هذه المواضعِ في مواضعها من هذا الكتاب، إن شاء اللهُ تعالى.

قال أبو بكر: وذكر هذا الإنسانُ أنَّ أُبَيَّ بنَ كَعب هو الذي قرأ: «كأن لم تَغنَ بالأمس، وما كان اللهُ لِيُهلِكَها إلا بذنوب أهلها». وذلك باطلٌ(٢)؛ لأنَّ عبدَ الله بنَ كثير قرأ على مجاهد، ومجاهدٌ قرأ على ابن عباس، وابنُ عباس قرأ القرآنَ على أُبَيِّ بن كعب: ﴿حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ [يونس: ٢٤] في رواية. وقرأ أُبَيٌّ القرآنَ على رسول الله ﷺ. وهذا الإسنادُ مُتَّصِلٌ بالرسول عليه السلام، نقلَه أهلُ العدالةِ والصِّيانة، وإذا صحَّ عن رسول الله ﷺ أمرٌ، لم يُؤخَذ بحديث يُخالِفُه. وقال يحيى بنُ المبارك اليزيديُّ(٣): قرأتُ القرآنَ على أبي عمرو بنِ العلاء، وقرأ أبو عمرو على مجاهد، وقرأ مجاهدٌ على ابن عباس، وقرأ ابنُ عباس على أُبَيِّ بن كعب، وقرأ أُبَيٌّ على النبيِّ ﷺ، وليس فيها: «وما كان اللهُ لِيُهلِكَها إلا بذنوب أهلِها»(٤). فمن جَحَدَ أنَّ هذه الزيادةَ أنزلَها اللهُ تعالى على نبيِّه عليه السلام، فليس بكافر ولا آثم: حدثني أبي، حدثنا نَصرُ بنُ داود الصَّاغاني(٥)، نبَّأنا أبو عُبيد قال: ما يُروَى من الحروف التي تُخالِفُ المُصحفَ الذي عليه الإجماعُ، من الحروف التي يَعرِفُ(٦) أسانيدَها الخاصَّةُ دون العامَّةِ، مما(٧) نقلوا فيه عن أُبَيٍّ: «وما كان اللهُ لِيُهلِكَها إلا بذنوب أهلها»، وعن ابن عباس: «ليس عليكم جُناحٌ أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج»(٨)، ومما يَحكُون عن عمرَ بن الخطاب أنه قرأ: «غيرِ

(١) ص ١٠٥.

(٢) أخرجه الطبري في التفسير ١٢/ ١٥٢، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ١١٥، وأبو حيان في البحر ٥/ ١٤٤، وقال: ولا يحسن أن يقرأ أحد بهذه القراءة، لأنها مخالفة لخط المصحف الذي أجمع عليه الصحابة والتابعون. وانظر ما جاء آخر هذا الباب.

(٣) أورده ابن الجزري في طبقاته ٢/ ٣٧٥، وقال: نحوي مقرىء علامة كبير، عُرف باليزيدي لصحبته يزيد بن منصور الحميري خال المهدي، فكان يؤدب ولده ... توفي سنة (٢٠٢) بمرو.

(٤) في (ظ): إلا بذنوبها.

(٥) هو من أجلِّ أصحاب أبي عبيد، فيما نقله ابن الجزري في طبقاته ٢/ ٣٣٥ عن أبي عمرو الداني.

(٦) في (ظ): تعرف.

(٧) في (م): فيما.

(٨) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص١٦٤ وقال ص١٩٥: هذه الحروف وأشباه لها كثيرة قد صارت=

المغضوب عليهم وغير الضالين»[١]، مع نظائرَ لهذه الحروفِ كثيرة، لم يَنقُلها أهلُ العلم على أنَّ الصلاةَ بها تَحِلُّ، ولا على أنها مُعارَضٌ بها مُصحفُ عثمان، لأنها حروفٌ لو جَحَدَها جاحدٌ أنها من القرآن، لم يكن كافراً، والقرآنُ الذي جمعَه عثمانُ بموافقة الصحابة له، لو أنكرَ بعضَه مُنكِرٌ، كان كافراً، حُكمُه حكمُ المرتدِّ، يُستتاب، فإن تاب، وإلا ضُرِبَت عنقُه.

وقال أبو عُبيد: لم يَزَل صَنيعُ عثمانَ رضي الله عنه في جمعه القرآنَ يُعتدُّ له بأنه من مناقبه العِظام، وقد طَعَنَ عليه فيه بعضُ أهل الزَّيغ، فانكشفَ عَوارُه، ووَضَحَت فَضائِحُه.

قال أبو عُبيد: وقد حُدِّثتُ عن يزيدَ[٢] بنِ زُرَيع، عن عِمرانَ بنِ حُدَير[٣]، عن أبي مِجلَز قال: طَعَنَ قومٌ على عثمانَ رحمه الله ـ بحُمقهم ـ جَمْعَ القرآن، ثم قرؤوا بما نُسِخ.

قال أبو عُبيد: يذهَبُ أبو مِجلَز[٤] إلى أنَّ عثمانَ أسقطَ الذي أسقطَ بعلم، كما أثبتَ الذي أثبتَ بعلم[٥].

قال أبو بكر: وفي قول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] دلالةٌ على كُفرِ هذا الإنسانِ، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ قد حَفِظَ القرآنَ من التغيير والتبديل، والزيادةِ والنقصان، فإذا قرأ قارئٌ: «تَبَّت يَدَا أبي لهب وقد تَبَّ، ما أغنى عنه مالُه وما كَسَبَ، سيصلى ناراً ذاتَ لهب، ومُرَيَّتُه حمالةُ الحطب، في جِيدها حبلٌ من ليف» فقد كَذَبَ على الله جل وعلا، وقَوَّلَه مالم يَقُل، وبدَّل كتابَه وحرَّفه، وحاولَ ماقد حَفِظه منه، ومنعَ من اختلاطه به، وفي هذا الذي أتاه توطئةُ الطريقِ لأهل الإلحاد، لِيُدخِلُوا في القرآن ما يَحُلُّون به عُرى الإسلام، ويَنسُبونَه إلى قوم كهؤلاء

= مفسرة للقرآن. وانظر البحر ٢/ ٩٤.

(١) أخرجه أبو عبيد في الفضائل ص ١٦٢.

(٢) في فضائل القرآن ص١٩٤: حدثنا يزيد.

(٣) تحرف في (ز) و(م) إلى: جرير.

(٤) لاحق بن حُمَيد بن سعيد السَّدوسي، البصري، الأعور، مشهور بكنيته، ثقة، روى له الجماعة، مات سنة مئة، وقيل غير ذلك. تقريب التهذيب.

(٥) ما نقله المصنف عن ابن الأنباري عن أبي عبيد مما سلف، هو بنحوه في فضائل القرآن له ص١٩٣ ـ ١٩٥.

القومِ الذين أحالُوا هذا بالأباطيل[١] عليهم. وفيه إبطالُ الإجماعِ الذي به يُحرَسُ الإسلام، وبثباته تُقامُ الصلواتُ، وتُؤدَّى الزكَواتُ، وتُتحرَّى المتعبَّدات.

وفي قولِ الله تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١] دلالةٌ على بِدعة هذا الإنسانِ وخروجِه إلى الكفر؛ لأنَّ معنى ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾: منْعُ الخلق من القُدرة على أن يَزيدوا فيها، أو يَنقُصوا منها، أو يُعارضوها بمثلها، وقد وجدنا هذا الإنسانَ زاد فيها: «وكفى اللهُ المؤمنين القتالَ بعليٍّ وكان الله قويًّا عزيزاً». فقال في القرآن هُجْراً، وذكر عليًّا في مكان لو سَمِعَه يذكُره فيه، لأمضى عليه الحدَّ، وحَكَمَ عليه بالقتل. وأسقطَ من كلام الله «قل هو» وغيَّر «أحد» فقرأ: اللهُ الواحدُ الصمدُ. وإسقاطُ ما أسقَطَه نَفْيٌ له وكُفرٌ، ومَن كَفرَ بحرف من القرآن، فقد كَفَرَ به كلِّه، وأبطلَ معنى الآيةِ؛ لأنَّ أهلَ التفسير قالوا: نزلتِ الآيةُ جواباً لأهل الشِّرك، لمَّا قالوا لرسول الله ﷺ: صِف لنا ربَّك، أمِن ذهب، أم مِن نحاس، أم من صُفْر؟ فقال اللهُ جلَّ وعَزَّ ردًّا عليهم: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[٢]. ففي «هو» دلالةٌ على موضع الردِّ، ومكان الجواب. فإذا سَقَطَ، بطلَ معنى الآيةِ، ووَضَحَ الافتراءُ على الله عزَّ وجلَّ، والتكذيبُ لرسول الله ﷺ.

ويُقال لهذا الإنسان ومَن يَنتَحِلُ نُصْرتَه: أخبِرونا عن القرآن الذي نقرؤه، ولا نعرِفُ نحن ولا مَن كان قبلَنا من أسلافنا سواه: هل هو مُشتَمِلٌ على جميع القرآن من أوَّله إلى آخِره، صحيحُ الألفاظِ والمعاني، عارٍ من[٣] الفساد والخَلَلِ؟ أم هو واقعٌ على بعض القرآن، والبعضُ الآخَرُ غائبٌ عنَّا كما غابَ عن أسلافنا والمتقدِّمين من أهل مِلَّتنا؟ فإن أجابوا بأنَّ القرآنَ الذي معنا مُشتَمِلٌ على جميع القرآنِ، لا يسقُطُ منه شيءٌ، صحيحُ اللَّفظ والمعاني، سَليمُها من كلِّ زَلَلٍ وخَلَلٍ، فقد قَضَوا على أنفسهم

(١) في (ظ) و(ز): بالبواطيل.

(٢) أخرجه أبو يعلى (٣٣٤١)، والبيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٢٨٣، وفي الأسماء والصفات (٦٠٥) من طريق ديلم بن غزوان، عن ثابت البُناني، عن أنس. وأخرجه أيضا الطبري ١٣/ ٤٨٠، والعقيلي في الضعفاء ٣/ ٢٣٢ من طريق علي بن أبي سارة، عن ثابت، عن أنس. وقال: ولا يتابع (أي: علي بن أبي سارة) عليه من جهة تثبت. وقال أيضا: ولا يتابعه إلا من هو مثله أو قريب منه. وسيذكره المصنف في تفسير الآية المذكورة من سورة الرعد، عن الحسن، وسيذكر نحوه عن أبي بن كعب في تفسير سورة الإخلاص.

(٣) في (م): عن.

بالكفر حين زادوا فيه: «فليس له اليومَ هاهنا حميمٌ، وليس له شرابٌ إلا من غِسلين، من عَين تجري من تحت الجحيم» فأيُّ زيادة في القرآن أوضَحُ من هذه، وكيف تُخلَطُ[١] بالقرآن، وقد حرسَه اللهُ منها، ومنعَ كلَّ مُفتَرٍ ومُبْطلٍ من أن يُلْحِقَ به مثلَها ؟! وإذا تُؤُمِّلَتْ وبُحِثَ عن معناها، وُجِدَتْ فاسدةً غيرَ صحيحة، لاتُشاكِلُ كلامَ البارىء تعالى، ولا تختلط[٢] به، ولا تُوافِقُ معناه، وذلك أنَّ بَعدَها: ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ فكيف يُؤكَلُ الشرابُ ؟! والذي أتى به قبلَها: «فليس له اليومَ هاهنا حميمٌ، وليس له شرابٌ إلا من غِسلين، من عين تجري من تحت الجحيم، لا يأكلُه إلا الخاطئون». فهذا متناقِضٌ يُفسِدُ بعضُه بعضاً، لأنَّ الشرابَ لا يُؤكَلُ، ولا تقول العربُ: أكلتُ الماءَ، لكنَّهم يقولون: شَربتُه، وذُقتُه، وطَعِمْتُه. ومعناه ـ فيما أنزل اللهُ تبارك وتعالى ـ على الصِّحة في القرآن، الذي مَن خالفَ حَرفاً منه كفرَ: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: ٣٦] لا يأكلُ الغِسلينَ إلا الخاطئون، أو لا يأكُلُ الطعامَ إلا الخاطئون. والغِسلين: ما يخرُجُ من أجوافهم من الشَّحم، وما يتعلَّقُ به من الصَّديدِ وغيره، فهذا طعامٌ يُؤكَلُ عند البَلِية والنِّقمة، والشرابُ مُحالٌ أن يُؤكَلَ.

فإنِ ادَّعى هذا الإنسانُ أنَّ هذا الباطلَ الذي زاده من قوله: «مِن عين تجري من تحت الجحيم» ليس بعدَها: ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ ونفى هذه الآيةَ من القرآن، لِتَصِحَّ له زيادتُه، فقد كفر لَمَّا جَحَدَ آية[٣] من القرآن. وحسبُك بهذا كلِّه رَدًّا لقوله، وخِزياً لِمَقَالِه.

وما يؤثَرُ عن الصحابة والتابعين أنهم قرؤوا بكذا وكذا، إنما ذلك على جِهة البيان والتفسير، لا أنَّ ذلك قرآنٌ يُتلَى، وكذلك ما نُسِخَ لفظُه وحُكمُه، أو لفظُه دون حُكمِه، ليس بقرآن، على ما يأتي بيانُه عند قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ [البقرة: ١٠٦] إن شاء الله تعالى.

---

(١) في النسخ الخطية: يخلط، والمثبت من (م).
(٢) في (م): تخلط.
(٣) في (ز): أنه.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي نزَّلَ الفُرقانَ على عَبدِه[1] ليكونَ للعالَمينَ نذيرًا، فتَحدَّى بأقصرِ سُورةٍ من سُوَرِه مَصاقِعَ[2] الخُطباءِ من العَرَبِ العَرْباءِ[3] فلم يَجِدْ به قديرًا، وأفحَمَ مَن تصدَّى لمعارضتِه من فُصحاءِ عدنانَ وبُلغاءِ قحطانَ حتَّى حَسِبوا أنَّهم سُحِّرُوا تَسْحيرًا، ثمَّ بيَّنَ للنَّاسِ ما نُزِّلَ إليهم حَسَبما عَنَّ لهم من مَصالحِهم ليدَّبَّرُوا آياتِه ولِيتذكَّرَ أُولو الألبابِ تذكيرًا، فكَشَفَ قِناعَ الانْغِلاقِ عن آياتٍ مُحْكَماتٍ هنَّ أمُّ الكتابِ وأُخَرَ متشابهاتٍ هنَّ رموزُ الخطابِ تأويلًا وتفسيرًا، وأَبْرَزَ غَوامِضَ الحقائقِ ولَطائفَ الدَّقائقِ؛ لِتَنجَليَ لهم خفايا المُلكِ والملَكوتِ، وخبايا قُدْسِ الجبروتِ[4]؛ ليتفكَّرُوا فيها تفكيرًا، ومهَّدَ لهم قواعِدَ الأحكامِ وأوضاعَها من نصوصِ الآياتِ وأَلْماعِها؛ ليُذْهِبَ عنهم الرِّجسَ ويطهِّرَهم تطهيرًا، فمَن كانَ له قلبٌ أو ألقَى السَّمْعَ وهو شهيدٌ،

---

(١) في نسخة الخيالي: «نزل على عبده الكتاب».

(٢) في هامش نسخة الطبلاوي: «من الصقع بضم الصاد وهو الناحية، ويقال: مصقع؛ لخوضه في أساليب الكلام كمن يخوض في ناحية من النواحي».

(٣) في هامش نسخة الطبلاوي: «العرباء: صفة للعرب، ومعنى العرباء: أي المبالغون في الكلام العربي. العرب العاربة: هم الخُلَّص، أخذ من لفظه فأكد به كقولك: ليل لائلٌ».

(٤) في هامش نسخة الطبلاوي: «المراد بالمُلك: الأجسام من حيث الاصطلاح والمعارف، وبالملكوت: المعاني، وبقدس الجبروت التأثيرات والتأثرات، وقد يعني بالجبروت: عوالم الأرواح، وبالملكوت: عوالم الأجساد».

فهو في الدَّارينِ حَميدٌ وسَعيدٌ، ومَن لم يَرفعْ إليهِ رَاسَه، وأَطْفأَ نِبْراسَه، يَعِشْ ذَمِيمًا ويَصلَى سَعيرًا.

فيا وَاجبَ الوُجودِ، ويا فائِضَ الجُودِ، ويا غايةَ كُلِّ مَقصُودٍ، صلِّ عليه صَلاةً تُوازِي غَناءَه، وتُجازي عَناءَه، وعلى مَن أعانَه وقرَّرَ تِبْيانَه تقريرًا، وأَفِضْ عَلَينا مِن بَرَكاتِهِمْ، واسْلُكْ بنا مَسالِكَ كَراماتِهِمْ، وسلِّم علينا وعليهم تسليمًا كثيرًا.

وبعدُ:

فإنَّ أعظمَ العلومِ مِقدارًا، وأرفَعَها شَرَفًا ومَنارًا[١]، علمُ التَّفسيرِ الَّذي هو رَئيسُ العلومِ الدِّينيَّةِ ورَاسُها، ومَبْنَى قواعدِ الشَّرعِ وأساسُها، لا يَليقُ لتَعاطيهِ والتَّصدِّي للتَّكلُّمِ فيه إلَّا مَن بَرعَ في العُلومِ الدِّينيَّة كلِّها أصولِها وفُروعِها، وفاقَ في الصِّناعاتِ العَربيَّةِ والفنونِ الأدبيَّةِ بأنواعِها.

ولطالَ ما أُحدِّثُ نَفْسي بأنْ أصنِّفَ في هذا الفنِّ كتابًا يَحتوي على صَفْوةِ ما بَلَغَني من عُظماءِ الصَّحابةِ وعُلماءِ التَّابعينَ، ومَن دُونَهم من السَّلَفِ الصَّالحينَ، ويَنْطَوي على نُكتٍ بارعةٍ ولطائفَ رائعةٍ، استنبَطْتُها أنا ومَن قَبْلي من أفاضِلِ المتأخِّرينَ، وأماثلِ المحقِّقينَ، ويُعْرِبُ عن وُجُوهِ القراءاتِ المشهورةِ المعزيَّةِ[٢] إلى الأئمَّةِ الثَّمانيةِ المشهورينَ[٣]، والشَّواذِّ المرويَّةِ عن القُرَّاءِ المُعتبَرينَ.

---

(١) في هامش نسخة الطبلاوي: «المنار: علَم الطريق، ثم قيل لكل ذي قَدْر مشهود».

(٢) قوله: «المعزية» بالياء لغة، يقال: «عزوتَه إلى أبيه وعزيتَه» إذا نسبتَه إليه، كما في «الصحاح» (٦/ ٢٤٢٥).

(٣) هم السبعة المشهورون، ويعقوبُ الحضرميُّ. انظر: «حاشية الأنصاري» (١/ ٣٠).

إلَّا أنَّ قصورَ بِضاعَتي يُثبِّطُني عن الإقدامِ، ويَمنعُني عن الانتصابِ في هذا المَقَامِ، حتَّى سَنَحَ لي بعدَ الاستخارةِ ما صَمَّمَ به عَزْمي على الشُّروعِ فيما أَردْتُه، والإتيانِ بما قصَدْتُه، ناويًا أنْ أُوْسِمَه بعدَ أنْ أُتمِّمَه بـ:

«أنوارُ التنزيلِ وأسرارُ التأويلِ»

فها أنا الآنَ أَشْرَعُ وبحُسْنِ توفيقِه أقولُ، وهو الموفِّقُ لكلِّ خيرٍ ومُعْطي[1] كلِّ سُولٍ.

* * *

---

(١) في نسخة الخيالي: «والمعطي».

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة تفسير ابن كثير

قال الشيخ الحافظ (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير) رحمه الله تعالى ورضي عنه :

الحمد لله الذي افتتح كتابه بالحمد فقال: ﴿ الحمد لله رب العالمين﴾ وافتتح خلقه بالحمد فقال: ﴿ الحمدُ للهِ الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ وجعلَ الظُّلماتِ والنُّورَ ﴾ واختتمه بالحمد فقال بعد ذكر مآل أهل الجنة وأهل النار: ﴿ وقُضِيَ بينَهم بالحقّ، وقيل الحمدُ لله ربِّ العالمين﴾ فله الحمد في الأُولى والآخرة، أي في جميع ما خلق وما هو خالق، هو المحمود في ذلك كله، ولهذا يُلهمُ أهل الجنة تسبيحه وتحميده كما يُلْهمون النَّفَس ﴿ دَعواهم فيها سبحانَكَ اللّهم وتحيَّتُهمْ فيها سلامٌ، وآخرُ دعواهُمْ أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين﴾ .

والحمد لله الذي أرسل رسله ﴿ مُبَشرينَ ومُنْذرينَ لئلّا يكونَ للنَّاس على اللهِ حجةٌ بعد الرسل﴾ وختمهم بالنبي الأمي، العربي المكي، الهادي لأوضح السبل، أرسله لجميع خلقه من الإنس والجن، من لدنْ بعثته إلى قيام الساعة كما قال تعالى: ﴿ قلْ يا أيُّها الناسُ إني رسولُ اللهِ إليكم جميعاً﴾ وقال تعالى: ﴿ لِأُنْذرَكُمْ به ومَنْ بَلَغ ﴾ وقال رسول الله ﷺ: « بعثتُ إلى الأحمر والأسود » فهو صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى جميع الثقلين: الإنس، والجن، مبلغاً لهم عن الله عزّ وجلّ ما أوحاه إليه من الكتاب العزيز ﴿ الذي لا يأتيهِ الباطلُ من بين يديه ولا من خلفهِ تنزيلٌ من حكيمٍ حميد﴾ .

فالواجب على العلماء الكشفُ عن معاني كلام الله، وتفسير ذلك، وطلبُه من مظانه، وتعلُّم ذلك وتعليمُه كما قال تعالى: ﴿ وإذْ أخذَ اللهُ ميثاقَ الذين أوتوا الكتابَ لَتُبيننُّه للنَّاسِ ولا تكتمونه، فنبذوه وراءَ ظهورهم، واشتروا به ثمناً قليلاً، فبئس ما يشترون﴾ فذمّ الله أهل الكتاب بإعراضهم عن كتاب الله، وإقبالهم على الدنيا وجمعها .

فعلينا أن ننتهي عمّا ذمهم الله تعالى به، وأن نأتمر بما أمرنا به، من تعلّم كتاب الله المُنزل إلينا وتعليمه، وتفهمه وتفهيمه قال تعالى: ﴿ ألمْ يأْنِ للذين آمنوا أن تخشعَ قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾ ؟ الآية .

ففي ذكره تعالى لهذه الآية تنبيهٌ على أنه تعالى كما يحيي الأرضَ بعد موتها كذلك يُحيي القلوبَ بالإيمان، ويلينها بعد قسوتها من الذنوب والمعاصي، والله المؤمل المسئول أن يفعل بنا هذا، إنه جواد كريم .

فإن قال قائل : فما أحسنُ طرق التفسير ؟

فالجواب : إنَّ أصح الطرق في ذلك أن يفسَّر القرآنُ بالقرآن ، فما أُجمل في مكانٍ فإنه قد فُسّر في موضع آخر .

فإن أعياك ذلك فعليك بالسنّة ، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له قال تعالى : ﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبيّن لهم الذي اختلفوا فيه ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ .

ولهذا قال رسول الله ﷺ « ألا إني أوتيتُ القرآنَ ومثلَه معه »(١) يعني السنّة المطهرة .

والغرض أنك تطلب تفسير القرآن من القرآن ، فإن لم تجده فمن السنّة ، وإذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة ، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة ، فإنهم أدرى بذلك ، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام ، والعلم الصحيح ، والعمل الصالح ، لا سيّما علماؤهم وكبراؤهم كالخلفاء الراشدين ، والأئمة المهتدين المهديين ، وعبدالله بن مسعود ، فقد قال ابن مسعود : « والذي لا إله غيره ، ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت ، وأين نزلت ، ولو أعلمُ أحداً أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته »(٢) .

وقال أبو عبدالرحمن السلمي : « حدثّنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ وكانوا إذا تعلّموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل ، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً » .

ومنهم (عبدالله بن عباس) الحبرُ البحرُ ، ابن عم رسول الله ﷺ وترجُمانُ القرآن ببركة دعاء رسول الله ﷺ له حيث قال : « اللهمَّ فقّهه في الدين ، وعلّمه التأويل » .

وقد قال عبدالله بن مسعود : « نعم ترجمان القرآن ابنُ عباس » .

وقد مات ابن مسعود رضي الله عنه في سنة اثنتين وثلاثين على الصحيح ، وعمِّر بعده ابن عباس ستاً وثلاثين سنة ، فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود ؟

ولهذا غالب ما يرويه (السُّدي) الكبير في تفسيره عن هذين الرجلين (ابن مسعود) و (ابن عباس) ولكنْ في بعض الأحيان ينقل عنهم ما يحكونه من أقاويل أهل الكتاب ، التي أباحها رسول الله ﷺ حيث قال : « بلّغوا عنّي ولو آية ، وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »(٣) .

ولكنَّ هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد ، وهي على ثلاثة أقسام :

أحدها : ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح .

والثاني : ما علمنا كذبه ممّا عندنا مما يخالفه فذاك مردود .

والثالث : ما هو مسكوت عنه ، لا من هذا القبيل ، ولا من هذا القبيل ، فلا نؤمن به ولا نكذبه ، وتجوز حكايته لما تقدم ، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمرٍ ديني .

---

(١) هذا جزء من حديث أخرجه أبو داود عن المقدام بن معدي كرب .

(٢) رواه ابن جرير الطبري عن مسروق عن عبدالله بن مسعود . (٣) رواه البخاري عن عبدالله بن عمرو بن العاص .

(**فصل**) : إذا لم تجد التفسير في القرآن، ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة إلى أقوال التابعين كـ (مجاهد بن جبر) فإنه كان آية في التفسير فقد قال: « عرضتُ المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها » .

ولهذا قال (سفيان الثوري) : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبُك به ... وكـ (سعيد بن جبير) و (عكرمة مولى ابن عباس) و (عطاء بن أبي رباح) و (الحسن البصري) و (مسروق بن الأجدع) و (سعيد بن المسيّب) و(قتادة) و (الضحاك) وغيرهم من التابعين ومن بعدهم، فتذكر أقوالهم في الآية فيقع في عبارتهم تباينٌ في الألفاظ، يحسبها من لا علم عنده اختلافاً فيحكيها أقوالاً ، وليس كذلك فليتفطن اللبيب لذلك والله الهادي .

فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام لما روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من قال في القرآن برأيه، أو بما لا يعلم، فليتبوأ مقعده من النار »[1] ولقوله ﷺ : « من قال في كتاب الله برأيه فأصاب فقد أخطأ[2] » أي لأنه قد تكلّف ما لا علم له به، وسلك غير ما أمر به، لأنه لم يأت الأمر من بابه، كمن حكم بين الناس على جهل فهو في النار ، ولهذا تحرّج جماعة من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به، فقد روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : « أيُّ سماء تظلني، وأيُّ أرضٍ تقلّني، إذا أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم » .

وروى أنس عن عمر بن الخطاب أنه قرأ على المنبر ﴿ وفاكهةً وأبّاً ﴾ فقال : هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبُّ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر .

وروى ابن جرير بسنده عن عبيد الله بن عمر قال : لقد أدركت فقهاء المدينة وإنهم ليعظمون القول في التفسير ، وعن هشام بن عروة قال : ما سمعتُ أبي يؤول آية من كتاب الله قطُّ، وسأل محمدُ بن سيرين (عبيدة السلماني) عن آية من القرآن فقال : ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أُنزل القرآن، فاتق الله وعليك بالسداد .

فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم فيه، فأما من تكلّم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه، ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير ، ولا منافاة لأنهم تكلموا فيما علموه، وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل أحد، فإنه كما يجب السكوت عمّا لا علم له به، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه لقوله تعالى: ﴿ لتبيننَّه للنَّاس ولا تكتمونه ﴾ ولما جاء في الحديث الشريف « من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار »[3] .

---

(١) رواه ابن جرير بسنده عن ابن عباس وأخرجه الترمذي والنسائي .

(٢) رواه أبو داود والترمذي والنسائي .

(٣) أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي هريرة .

(مقدمة مفيدة تذكر في أول التفسير قبل الفاتحة)

قال أبو بكر بن الأنباري: نزل في المدينة من القرآن (البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، وبراءة، والرعد، والنحل، والحج، والنور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحجرات، والرحمن، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، وعشر من التحريم، وإذا زلزلت، وإذا جاء نصر الله) هؤلاء السور نزلت في المدينة وسائر السور بمكة.

فأما عدد آيات القرآن العظيم فستة آلاف آية، ثم اختلف فيما زاد على ذلك.

وأما التحزيب والتجزئة فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين كما في الربعات بالمدارس وغيرها.

فصل

واختلف في معنى السورة مما هي مشتقة؟ **فقيل**: من الارتفاع[1]، فكأن القارئ يتنقل بها من منزلة إلى منزلة، **وقيل**: لشرفها وارتفاعها كسور البلد لإحاطته بمنازله ودوره، **وقيل**: سميت سورة لكونها قطعة من القرآن وجزءاً منه.

وأما الآية: فأصل معناها العلامة، سميت بذلك لانقطاع الكلام الذي قبلها عن الذي بعدها وانفصالها، أي هي بائنة عن أختها ومنفردة قال تعالى: ﴿إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت﴾.

وقيل: سميت آية لأنها عجب يعجز البشر عن التكلم بمثلها.

وأما الكلمة: فهي اللفظة الواحدة، وقد تكون على حرفين مثل «ما» و «لا» ونحو ذلك وقد تكون أكثر، وأكثر ما تكون عشرة أحرف مثل ﴿أنلزمكموها﴾ و﴿فأسقيناكموه﴾ وقد تكون الكلمة الواحدة آية مثل ﴿والضحى﴾ ومثل ﴿والفجر﴾.

فصل

قال القرطبي: أجمعوا على أنه ليس في القرآن شيء من التراكيب الأعجمية، وأجمعوا أن فيه أعلاماً من الأعجمية كـ (إبراهيم) و (نوح) و (لوط) واختلفوا: هل فيه شيء من غير ذلك بالأعجمية؟ فأنكر ذلك الباقلاني والطبري وقالا: ما وقع فيه مما يوافق الأعجمية فهو من باب ما توافقت فيه اللغات فتكلمت بها العرب والفُرس والحبشة وغيرهم[2].

---

(١) قال النابغة: ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

(٢) انظر التحقيق الذي ذكرناه في كتابنا «التبيان في علوم القرآن» صفحة /٢٢٥/ تحت عنوان (هل في القرآن الكريم ألفاظ غير عربية)؟

مقدمة ابن كثير(١)

قال الشيخ الإمام الأوحد، البارع الحافظ المتقن، عماد الدين أبو الفداء(٢) إسماعيل بن الخطيب أبى حفص عمر بن كَثير البصروى الشافعى، رحمه الله تعالى، ورضى عنه:

الحمد لله الذى افتتح كتابه بالحمد فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٢ـ٤]، وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا . قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا . مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا . وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا . مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ١ـ٥]، وافتتح خَلْقه بالحمد، فقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، واختتمه بالحمد، فقال بعد ذكر مآل أهل الجنة وأهل النار: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥]؛ ولهذا قال [الله](٣) تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠]، كما قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سبأ: ١].

فله الحمد فى الأولى والآخرة، أى فى جميع ما خلق وما هو خالق، هو المحمود فى ذلك كله، كما يقول المصلى: «اللهم ربنا لك الحمد، ملء السموات وملء الأرض، وملء ما شئت من شىء بعد»(٤)؛ ولهذا يُلْهَم أهل الجنة تسبيحه وتحميده كما يُلْهَمون النَّفَس، أى يسبحونه ويحمدونه عدد أنفاسهم؛ لما يرون من عظيم نعمه عليهم، وكمال قدرته وعظيم سلطانه، وتوالى مِنَنه ودوام إحسانه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ . دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ٩، ١٠].

والحمد لله الذى أرسل رسله ﴿مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وختمهم بالنبى الأمى العربى المكى الهادى لأوضح السبل، أرسله إلى جميع خلقه من الإنس والجن، من لدن بعثته إلى قيام الساعة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ

---

(١) بعدها فى جـ: «رب يسر ولا تعسر» وفى ط: «رب يسر وأعن يا كريم».

(٢) فى جـ: «قال الشيخ العالم العلامة الأوحد الحافظ، المجتهد القدوة، علامة العلماء، وارث الأنبياء، بركة الإسلام، حجة الأعلام، محيى السنة، ومن عظم الله به علينا المنة عماد الدين أبو الفضل».

(٣) زيادة من جـ.

(٤) هذا اقتباس من حديث رواه مسلم فى صحيحه برقم (٧٧١) من حديث البراء بن عازب، رضى الله عنه.

إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿ **لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ**﴾ [الأنعام: ١٩].

فمن بلغه هذا القرآن من عرب وعَجَم، وأسودَ وأحمرَ، وإنس وجان، فهو نذير له؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ**﴾ [هود: ١٧]. فمن كفر بالقرآن ممن ذكرنا [1] فالنار موعده، بنص الله تعالى، وكما قال تعالى: ﴿**فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ. وَأُمْلِي لَهُمْ**﴾ [القلم: ٤٤، ٤٥].

وقال رسول الله ﷺ: «بُعثتُ إلى الأحمر والأسود» [2]. قال مجاهد: يعنى: الإنس والجن. فهو، صلوات الله وسلامه عليه، رسول الله إلى جميع الثقلين: الإنس والجن، مُبَلِّغاً لهم عن الله ما أوحاه إليه من هذا الكتاب العزيز الذى ﴿**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ [فصلت: ٤٢].

وقد أعلمهم فيه عن الله تعالى أنه نَدَبهم إلى تَفَهُّمه، فقال تعالى: ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ [ص: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ [محمد: ٢٤].

فالواجب على العلماء الكشف عن معانى كلام الله، وتفسير ذلك، وطلبه من مظانه، وتَعلُّم ذلك وتعليمه، كما قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ**﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [آل عمران: ٧٧].

فذم الله تعالى أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتاب الله إليهم، وإقبالهم على الدنيا وجمعها، واشتغالهم بغير ما أمروا به من اتباع كتاب الله.

فعلينا ـ أيها المسلمون ـ أن ننتهى عما ذمَّهم الله تعالى به، وأن نأتمر بما أمرنا به، من تَعَلُّم كتاب الله المنزل إلينا وتعليمه، وتفهمه وتفهيمه، قال الله تعالى: ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ. اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [الحديد: ١٦، ١٧]. ففى ذكره تعالى لهذه الآية بعد التى قبلها تنبيه على أنه تعالى كما يحيى الأرض بعد موتها، كذلك يلين القلوب بالإيمان بعد قسوتها من الذنوب والمعاصى، والله المؤمل المسؤول أن يفعل بنا ذلك، إنه

---

(١) فى جـ: «ذكرناه».

(٢) رواه مسلم فى صحيحه برقم (٥٢١) من حديث جابر ،رضى الله عنه.

جواد كريم.

فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟

فالجواب: إن أصح الطرق فى ذلك أن يُفَسَّر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِل فى مكان فإنه قد فُسِّر فى موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى، رحمه الله: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن. قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا**﴾ [النساء: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [النحل: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿**وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [النحل: ٦٤].

ولهذا قال رسول الله ﷺ: «ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه»[١] يعنى: السنة. والسنة أيضاً تنزل عليه بالوحى، كما ينزل[٢] القرآن؛ إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن، وقد استدل الإمام الشافعى، رحمه الله[٣]، وغيره من الأئمة على ذلك بأدلة كثيرة ليس هذا موضع ذلك.

والغرض أنك تطلب تفسيرَ القرآن منه، فإن لم تجدْه فمن السنة. كما قال رسولُ الله ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «بم تحكم؟». قال: بكتاب الله. قال: «فإن لم تجد؟». قال: بسنة رسول الله. قال: «فإن لم تجد؟». قال: أجتهد برأيى. قال: فضرب رسول الله ﷺ فى صدره، وقال: «الحمد لله الذى وفَّق رَسُولَ رسولِ الله لما يرضى رسول الله»[٤]. وهذا الحديث فى المساند[٥] والسنن بإسناد جيد، كما هو مقرر فى موضعه.

وحينئذ، إذا لم نجد التفسير فى القرآن ولا فى السنة، رجعنا فى ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التى اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة والخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، وعبد الله بن مسعود، رضى الله عنه[٦].

قال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير[٧]: حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا جابر بن نوح، حدثنا الأعمش، عن أبى الضُّحَى، عن مسروق، قال: قال عبد الله ـ يعنى ابن مسعود ـ: والذى لا إله غيره، ما نزلت آية من[٨] كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت؟ وأين نزلت؟ ولو أعلم مكان أحد أعلم

---

(١) رواه الإمام أحمد فى المسند (٤/ ١٣١) وأبو داود فى السنن برقم (٤٦٠٤) من حديث المقدام بن معدى كرب، رضى الله عنه.

(٢) فى ب: «كما ينزله عليه». (٣) فى ب: «رحمة الله عليه».

(٤) رواه الإمام أحمد فى المسند (٥/ ٢٣٠) وأبو داود فى السنن برقم (٣٥٩٢) والترمذى فى السنن برقم (١٣٢٨) من طرق عن شعبة عن أبى عون عن الحارث بن عمرو عن ناس من أصحاب معاذ عن معاذ به، وقال الترمذى: «هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده عندى بمتصل، وأبو عون الثقفى اسمه محمد بن عبيد الله». وللشيخ ناصر الألبانى مبحث ماتع بين فيه كلام العلماء فى نقد الحديث. انظر: السلسلة الضعيفة برقم (٨٨١).

(٥) فى جـ: «المسانيد».

(٦) فى ب: «عنهم». (٧) فى ب: «جرير الطبرى». (٨) فى ب: «فى».

بكتاب الله منى تناله المطايا لأتيته[١]. وقال الأعمش أيضاً، عن أبى وائل، عن ابن مسعود قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن[٢].

وقال أبو عبد الرحمن السلمى: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبى ﷺ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعا [٣].

ومنهم الحبر البحر عبد الله بن عباس، ابن عم رسول الله ﷺ، وترجمان القرآن وببركة دعاء رسول الله ﷺ له حيث قال: «اللهم فقهه فى الدين، وعلمه التأويل»[٤].

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا وَكِيع، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن مُسْلم قال[٥]: قال عبد الله ـ يعنى ابن مسعود ـ: نعْم ترجمانَ القرآن ابنُ عباس[٦]. ثم رواه عن يحيى بن داود، عن إسحاق الأزرق، عن سفيانَ، عن الأعمش، عن مسلم بن صُبَيْح أبى الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود أنه قال: نعم الترجمان للقرآن ابن عباس[٧]. ثم رواه عن بُنْدَار، عن جعفر ابن عَوْن، عن الأعمش[٨]، به كذلك.

فهذا إسناد صحيح إلى ابن مسعود: أنه قال عن ابن عباس هذه العبارة. وقد مات ابن مسعود، رضى الله عنه، فى سنة اثنتين وثلاثين على الصحيح، وعُمِّر بعده ابن عباس ستاً وثلاثين سنة، فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود؟.

وقال الأعمش عن أبى وائل: استخلف علىّ عبد الله بن عباس على الموسم، فخطب الناس، فقرأ فى خطبته سورة البقرة، وفى رواية: سورة النور، ففسرها تفسيراً لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا[٩].

ولهذا غالب ما يرويه إسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير فى تفسيره، عن هذين الرجلين: عبد الله بن مسعود وابن عباس، ولكن فى بعض الأحيان ينقل عنهم ما يحكونه من أقاويل أهل الكتاب، التى أباحها رسول الله ﷺ حيث قال: «بَلِّغوا عنى ولو آية، وحَدِّثوا عن بنى إسرائيل ولا حَرَج، ومن كذب عَلَىَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» رواه البخارى عن عبد الله[١٠]؛ ولهذا كان عبد الله بن عمرو يوم اليرموك قد أصاب زاملتين من كتب أهل الكتاب، فكان يحدث منهما بما فهمه

(١) تفسير الطبرى (١/ ٨٠) وجابر بن نوح ضعيف لكنه توبع، فرواه البخارى فى صحيحه برقم (٥٠٠٢) عن عمر بن حفص عن أبيه عن الأعمش به.
(٢) رواه الطبرى فى تفسيره (١/ ٨٠) من طريق الحسين بن واقد عن الأعمش به.
(٣) رواه الطبرى فى تفسيره (١/ ٨٠) من طريق جرير عن عطاء عن أبى عبد الرحمن السلمى.
(٤) رواه الإمام أحمد فى المسند (١/٣٢٧، ٢٦٦، ٣١٤) وأصله فى صحيح البخارى برقم (٧٥).
(٥) فى ب: «كذا قال».
(٦) تفسير الطبرى (١/ ٩٠).
(٧) تفسير الطبرى (١/ ٩٠) ورواه الحاكم فى المستدرك (٥٣٧/٣) من طريق سفيان به.
(٨) تفسير الطبرى (١/ ٩٠) ورواه أبو خيثمة فى العلم برقم (٤٨) من طريق جعفر بن عون به.
(٩) رواه الطبرى فى تفسيره (١/ ٨١) والفسوى فى تاريخه (١/ ٤٩٥) من طريق الأعمش به.
(١٠) صحيح البخارى برقم (٣٤٦١).

من هذا الحديث من الإذن فى ذلك.

ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد، لا للاعتضاد، فإنها على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح [(١)].

والثانى: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته لما تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر دينى؛ ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب فى هذا كثيراً، ويأتى عن المفسرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكرون فى مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعدّتهم، وعصا موسى من أى الشجر كانت؟ وأسماء الطيور التى أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذى ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التى كلَّم الله منها موسى، إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى فى القرآن، مما لا فائدة فى تعيينه تعود على المكلفين فى دنياهم ولا دينهم. ولكن نَقْلُ الخلاف عنهم في ذلك جائز، كما قال تعالى: **﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾** [الكهف: ٢٢]، فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب فى هذا المقام وتعليم ما ينبغى فى مثل هذا، فإنه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال، ضعف القولين الأولين وسكت عن الثالث، فدل على صحته إذ لو كان باطلا لرده كما ردهما، ثم أرشد على أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته، فقال فى مثل هذا: **﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾**، فإنه ما يعلم بذلك إلا قليل من الناس، ممن أطلعه الله عليه؛ فلهذا قال: **﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾** أى: لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته، ولا تسألهم عن ذلك فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب. فهذا أحسن ما يكون فى حكاية الخلاف: أن تستوعب الأقوال فى ذلك المقام، وأن تنبه على الصحيح منها وتبطل الباطل، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته؛ لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته، فتشتغل به عن الأهم فالأهم. فأما من حكى خلافاً فى مسألة ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص، إذ قد يكون الصواب فى الذى تركه. أو يحكى الخلاف ويطلقه ولا ينبه على الصحيح من الأقوال، فهو ناقص أيضاً. فإن صحح غير الصحيح عامداً فقد تعمد الكذب، أو جاهلا فقد أخطأ، وكذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته، أو حكى أقوالا متعددة لفظاً ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين معنى، فقد ضيع الزمان، وتكثر بما ليس بصحيح، فهو كلابس ثوبى زور، والله الموفق للصواب.

[قال سفيان بن عيينة عن عبد الله بن أبى يزيد: كان ابن عباس إذا سئل عن الآية فى القرآن قال به، فإن لم يكن وكان عن رسول الله ﷺ أخبر به، فإن لم يكن فعن أبى بكر وعمر، رضى الله عنهما، فإن لم يكن اجتهد برأيه][(٢)].

---

(١) فى جـ: «صحيح للاعتقاد».

(٢) زيادة من ط، ب.

فصل

إذا لم تجد التفسير فى القرآن ولا فى السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة فى ذلك إلى أقوال التابعين، كمجاهد بن جَبْر[١]، فإنه كان آية فى التفسير، كما قال محمد بن إسحاق: حدثنا أبان بن صالح، عن مجاهد، قال: عَرَضْتُ المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه، وأسأله عنها[٢].

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا طَلْق بن غنام، عن عثمان المكى، عن ابن أبى مُلَيْكَة قال: رأيت مجاهداً سأل ابن عباس عن تفسير القرآن، ومعه ألواحه، قال: فيقول له ابن عباس: اكتب، حتى سأله عن التفسير كله[٣]. ولهذا كان سفيان الثورى يقول: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به[٤].

وكسعيد بن جُبَيْر، وعِكْرِمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبى رباح، والحسن البصرى، ومسروق ابن الأجدع، وسعيد بن المسيب، وأبى العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، والضحاك بن مُزاحم، وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم، فتذكر أقوالهم فى الآية فيقع فى عباراتهم تباين فى الألفاظ، يحسبها من لا علم عنده اختلافاً فيحكيها أقوالا، وليس كذلك، فإن منهم من يعبّر عن الشىء بلازمه أو بنظيره، ومنهم من ينص على الشىء بعينه، والكل بمعنى واحد فى كثير من الأماكن، فليتفطن اللبيب لذلك، والله الهادى.

وقال شعبة بن الحجاج وغيره: أقوال التابعين فى الفروع ليست حجة، فكيف تكون حجة فى التفسير؟ يعنى: أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم، وهذا صحيح، أما إذا أجمعوا على الشىء فلا يرتاب فى كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون بعضهم حجة على بعض، ولا على من بعدهم، ويرجع فى ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة فى ذلك.

فأما تفسير القرآن بمجرد الرأى فحرام، لما رواه محمد بن جرير، رحمه الله، حيث قال: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا سفيان، حدثنى عبد الأعلى، هو ابن عامر الثعلبى، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبى ﷺ قال: «من قال فى القرآن برأيه، أو بما لا يعلم، فليتبوأ مقعده من النار»[٥].

وهكذا أخرجه الترمذى والنسائى، من طرق، عن سفيان الثورى، به. ورواه أبو داود، عن مُسَدَّد، عن أبى عَوَانة، عن عبد الأعلى، به[٦]. وقال الترمذى: هذا حديث حسن.

---

(١) فى جـ، ط: «جبير».

(٢) رواه الطبرى فى تفسيره (١/ ٩٠).

(٣) تفسير الطبرى (١/ ٩٠).

(٤) رواه الطبرى فى تفسيره (١/ ٩١) من طريق أبى بكر الحنفى سمعت سفيان فذكره.

(٥) تفسير الطبرى (١/ ٧٧).

(٦) سنن الترمذى برقم (٢٩٥٢) وسنن النسائى الكبرى برقم (٨٠٨٤) وسنن أبى داود برقم (٣٦٥٢)، والحديث مداره على عبد الأعلى ابن عامر قال أبو زرعة: ضعيف، وتركه ابن مهدى.

وهكذا رواه ابن جرير ـ أيضاً ـ عن يحيى بن طلحة اليربوعى، عن شريك، عن عبد الأعلى، به مرفوعا[١]. ولكن رواه محمد بن حميد، عن الحكم بن بشير، عن عمرو بن قيس المُلائى، عن عبد الأعلى، عن سعيد، عن ابن عباس، فوقفه[٢]. وعن محمد بن حميد، عن جرير، عن ليث، عن بكر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس من قوله[٣]، فالله أعلم.

وقال ابن جرير: حدثنا العباس بن عبد العظيم العَنْبَرِى، حدثنا حَبَّان بن هلال، حدثنا سهيل أخو حزم، حدثنا أبو عمران الجَوْنى، عن جُنْدب؛ أن رسول الله ﷺ قال: «من قال فى القرآن برأيه فقد أخطأ»[٤].

وقد روى هذا الحديث أبو داود، والترمذى، والنسائى من حديث سهيل بن أبى حزم القُطعى، وقال الترمذى: غريب، وقد تكلم بعض أهل العلم فى سهيل[٥].

وفى لفظ لهم: «من قال فى كتاب الله برأيه، فأصاب، فقد أخطأ» أى: لأنه قد تكلف ما لا علم له به، وسلك غير ما أمر به، فلو أنه أصاب المعنى فى نفس الأمر لكان قد أخطأ؛ لأنه لم يأت الأمر من بابه، كمن حكم بين الناس على جهل فهو فى النار، وإن وافق حكمه الصواب فى نفس الأمر، لكن يكون أخف جُرْماً ممن أخطأ، والله أعلم، وهكذا سمى الله القَذَفة كاذبين، فقال: ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النور: ١٣]، فالقاذف كاذب، ولو كان قد قذف من زنى فى نفس الأمر؛ لأنه أخبر بما لا يحل له الإخبار به، ولو كان أخبر بما يعلم؛ لأنه تكلف ما لا علم له به، والله أعلم.

ولهذا تَحَرَّج جماعة من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به، كما روى شعبة، عن سليمان، عن عبد الله بن مرة، عن أبى مَعْمَر، قال: قال أبو بكر الصديق، رضى الله عنه: أىّ أرض تقلّنى؟ وأى سماء تظلنى؟ إذا قلت فى كتاب الله ما لا أعلم[٦].

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: حدثنا محمد[٧] بن يزيد، عن العَوَّام بن حَوْشَب، عن إبراهيم التَّيْمِى؛ أن أبا بكر الصديق سئل عن قوله: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١]، فقال: أى سماء تظلنى، وأى أرض تقلنى؟ إذا أنا قلت فى كتاب الله ما لا أعلم. منقطع[٨].

وقال أبو عبيد أيضاً: حدثنا يزيد، عن حميد، عن أنس؛ أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر:

(١) تفسير الطبرى (١/ ٧٧).
(٢) تفسير الطبرى (١/ ٧٨) ورواه وكيع عن عبد الأعلى فوقفه، رواه ابن أبى شيبة فى المصنف (١٠/ ٥١٢).
(٣) تفسير الطبرى (١/ ٧٨).
(٤) تفسير الطبرى (١/ ٧٩).
(٥) سنن أبى داود برقم (٣٦٥٢) وسنن الترمذى برقم (٢٩٥٣) وسنن النسائى الكبرى برقم (٨٠٨٦).
(٦) رواه الطبرى فى تفسيره (١/ ٧٨).
(٧) فى ب: «محمود».
(٨) فضائل القرآن (ص ٢٢٧) ورواه ابن أبى شيبة فى المصنف (١٠/ ٥١٣) عن محمد بن عبيد عن العوام بن حوشب به.

﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١]، فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبّ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر[١].

وقال عَبْد بن حُمَيْد: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن ثابت، عن أنس، قال: كنا عند عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، وفى ظهر قميصه أربع رقاع، فقرأ: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ فقال: ما الأب؟ ثم قال: إن هذا لهو التكلف[٢]، فما عليك ألا تدريه[٣].

وهذا كله محمول على أنهما، رضى الله عنهما، إنما أرادا استكشاف علم كيفية الأب، وإلا فكونه نبتاً من الأرض ظاهر لا يجهل، لقوله: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا. وَعِنَبًا﴾ الآية [عبس: ٢٧، ٢٨].

وقال ابن جرير: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن عُلَيَّة، عن أيوب، عن ابن أبى مُلَيْكَة: أن ابن عباس سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها، فأبى أن يقول فيها[٤]. إسناده[٥] صحيح.

وقال أبو عبيد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، عن ابن أبى مليكة، قال: سأل رجل ابن عباس عن ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥] فقال له ابن عباس: فما ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]؟ فقال له الرجل: إنما سألتك لتحدثنى. فقال ابن عباس: هما يومان ذكرهما الله تعالى فى كتابه، الله أعلم بهما. فكره أن يقول فى كتاب الله ما لا يعلم[٦].

وقال ـ أيضاً ـ ابن جرير: حدثنى يعقوب ـ يعنى ابن إبراهيم ـ حدثنا ابن عُلَيَّة، عن مَهْدى بن ميمون، عن الوليد بن مسلم، قال: جاء طَلْق بن حبيب إلى جُنْدُب بن عبد الله، فسأله عن آية من القرآن؟ فقال: أحرِّج عليك إن كنت مسلماً إلا ما قمتَ عنى، أو قال: أن تجالسنى[٧].

وقال مالك، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب: إنه كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن، قال: إنا لا نقول فى القرآن شيئاً[٨].

وقال الليث، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب: إنه كان لا يتكلم إلا فى المعلوم من القرآن[٩].

وقال شعبة، عن عمرو بن مُرَّة، قال: سأل رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن فقال: لا

(١) فضائل القرآن (ص ٢٢٧) ورواه ابن أبى شيبة فى المصنف (١٠/ ٥١٢) عن يزيد به، ورواه الحاكم فى المستدرك (٢/ ٥١٤) من طريق يزيد عن حميد به، وقال: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

(٢) فى جـ: «التكلف يا عمر».

(٣) ورواه ابن سعد فى الطبقات (٣/ ٣٢٧)، ورواه البخارى فى صحيحه برقم (٧٢٩٣) عن سليمان بن حرب به مختصراً ولفظه: «نهينا عن التكلف».

(٤) تفسير الطبرى (١/ ٨٦).

(٥) فى ب: «إسناد».

(٦) فضائل القرآن (ص ٢٢٨).

(٧) تفسير الطبرى (١/ ٨٦).

(٨) رواه الطبرى فى تفسيره (١/ ٨٥) من طريق ابن وهب عن مالك به.

(٩) رواه الطبرى فى تفسيره (١/ ٨٦) من طريق ابن وهب عن مالك به.

تسألني عن القرآن، وسل من يزعم أنه لا يخفى عليه منه شيء، يعني: عكرمة[١].

وقال ابن شَوْذَب: حدثني يزيد بن أبي يزيد، قال: كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام، وكان أعلم الناس، فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكت، كأن لم يسمع[٢].

وقال ابن جرير: حدثني أحمد بن عبدة الضَّبِّيُّ، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا عبيد الله بن عمر، قال: لقد أدركتُ فقهاء المدينة، وإنهم ليعظِّمون القول في التفسير، منهم: سالم بن عبد الله، والقاسم ابن محمد، وسعيد بن المسيب، ونافع[٣].

وقال أبو عبيد: حدثنا عبد الله بن صالح، عن الليث، عن هشام بن عُرْوَة، قال: ما سمعت أبي تأوَّل آية من كتاب الله قط[٤].

وقال أيوب، وابن عَوْن، وهشام الدَّسْتوائي، عن محمد بن سيرين: سألت عَبِيدة السلماني، عن آية من القرآن فقال: ذهب الذين كانوا يعلمونَ فيم أنزل[٥] القرآن؟ فاتَّقِ الله، وعليك بالسداد[٦].

وقال أبو عبيد: حدثنا معاذ، عن ابن عون، عن عبد الله بن مسلم بن يسار، عن أبيه، قال: إذا حدثت عن الله فقف، حتى تنظر ما قبله وما بعده[٧].

حدثنا هُشَيْم، عن مُغيرة، عن إبراهيم، قال: كان أصحابنا يتقون التفسير ويهابونه[٨].

وقال شعبة عن عبد الله بن أبي السَّفْر، قال: قال الشعبي: والله ما من آية إلا وقد سألت عنها، ولكنها الرواية عن الله عز وجل[٩].

وقال أبو عبيد: حدثنا هشيم، حدثنا عمر بن أبي زائدة، عن الشعبي، عن مسروق، قال: اتقوا التفسير، فإنما هو الرواية عن الله[١٠].

فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به؛ فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً، فلا حرج عليه؛ ولهذا روى عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة؛ لأنهم تكلموا فيما علموه، وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل أحد؛ فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به، فكذلك يجب القول فيما

(١) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٨٧) وابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٥١١) من طريق محمد بن جعفر عن شعبة به.
(٢) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٨٦) عن العباس بن الوليد عن أبيه عن ابن شوذب به.
(٣) تفسير الطبري (١/ ٨٥).
(٤) فضائل القرآن (ص ٢٢٩).
(٥) في جـ: «نزل».
(٦) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٨٦) من طريق ابن علية عن أيوب وابن عون به.
(٧) فضائل القرآن (ص ٢٢٩).
(٨) فضائل القرآن (ص ٢٢٩) ورواه أبو نعيم (٤/ ٢٢٢) من طريق جرير عن المغيرة به.
(٩) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٨٧) من طريق سعيد بن عامر عن شعبة به.
(١٠) فضائل القرآن (ص ٢٢٩).

سئل عنه مما يعلمه، لقوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، ولما جاء فى الحديث المروى من طرق: «من سئل عن علم فكتمه، أُلْجِم يوم القيامة بلجام من نار»(١).

فأما الحديث الذى رواه أبو جعفر بن جرير:

حدثنا عباس بن عبد العظيم، حدثنا محمد بن خالد بن عَثْمة، حدثنا جعفر بن محمد بن الزبيرى، حدثنى هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: ما كان النبى ﷺ يفسر شيئاً من القرآن إلا آيا تُعد، علمهن إيَّاه جبريل، عليه السلام. ثم رواه عن أبى بكر محمد بن يزيد الطرسوسى، عن مَعْن بن عيسى، عن جعفر بن خالد، عن هشام، به.(٢)

فإنه حديث منكر غريب، وجعفر هذا هو ابن محمد بن خالد بن الزبير بن العوام القرشى الزبيرى، قال البخارى: لا يتابع فى حديثه، وقال الحافظ أبو الفتح الأزدى: منكر الحديث.

وتكلَّم عليه الإمام أبو جعفر بما حاصله أن هذه الآيات مما لا يعلم إلا بالتوقيف عن الله تعالى، مما وقفه عليها جبريل. وهذا تأويل صحيح لو صح الحديث؛ فإن من القرآن ما استأثر الله تعالى بعلمه، ومنه ما يعلمه العلماء، ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها، ومنه ما لا يعذر أحد فى جهله، كما صرح بذلك ابن عباس، فيما قال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا مُؤَمَّل، حدثنا سفيان، عن أبى الزناد [عن الأعرج](٣)، قال: قال ابن عباس: التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله(٤).

قال ابن جرير: وقد روى نحوه فى حديث فى إسناده نظر:

حدثنى يونس بن عبد الأعلى الصدفى، أنبأنا ابن وهب قال: سمعت عمرو بن الحارث يحدث عن الكلبى، عن أبى صالح، مولى أم هانئ، عن عبد الله بن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: «أنزل القرآن على أربعة(٥) أحرف: حلال وحرام، لا يعذر أحد بالجهالة به. وتفسير تفسره [العرب، وتفسير

---

(١) جاء من حديث أبى هريرة، ومن حديث أنس، وأبى سعيد الخدرى، رضى الله عنهم. أما حديث أبى هريرة، فرواه أحمد فى المسند (٢/٢٦٣) وأبو داود فى السنن برقم (٣٦٥٨) والترمذى فى السنن برقم (٢٦٤٩) وابن ماجة فى السنن برقم (٢٦١) من طريق على ابن الحكم عن عطاء عن أبى هريرة، وقال الترمذى: «حديث حسن». وأما حديث أنس، فرواه ابن ماجة فى السنن برقم (٢٦٤) من طريق يوسف بن إبراهيم عن أنس، وقال البوصيرى فى الزوائد (١/١١٧): «هذا إسناد ضعيف». وأما حديث أبى سعيد، فرواه ابن ماجة فى السنن برقم (٢٦٥) من طريق محمد بن داب عن صفوان بن سليم عن عبد الرحمن بن أبى سعيد عن أبى سعيد، وقال البوصيرى فى الزوائد (١/١١٨): «هذا إسناد ضعيف».

(٢) تفسير الطبرى (١/ ٨٤) ورواه أبو يعلى فى مسنده (٨/٢٣) من طريق معن القزاز عن فلان بن محمد بن خالد، عن هشام بن عروة به، ورواه البزار فى مسنده برقم (٢١٨٥) «كشف الأستار» عن محمد بن المثنى، عن محمد بن خالد بن عثمة، عن حفص - أظنه ابن عبد الله - عن هشام عن أبيه به.

(٣) زيادة من نسخة مساعدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٤) تفسير الطبرى (١/ ٧٥).

(٥) فى هـ، ب: «سبعة» والمثبت من جـ، والطبرى.

تفسره][1] العلماء. ومتشابه لا يعلمه إلا الله، عز وجل، ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب»[2].

والنظر الذى أشار إليه فى إسناده هو من جهة محمد بن السائب الكلبى؛ فإنه متروك الحديث؛ لكن قد يكون إنما وهم فى رفعه. ولعله من كلام ابن عباس، كما تقدم، والله أعلم بالصواب.

(١) زيادة من جـ، والطبرى.
(٢) تفسير الطبرى (١/ ٧٦).

كتاب فضائل القرآن

قال البخارى، رحمه الله:

كيف نزول الوحى وأول ما نزل:

قال ابن عباس: المهيمن الأمين القرآن، أمين على كل كتاب قبله: حدثنا عبيد الله بن موسى عن شيبان عن يحيى عن أبى سلمة قال: أخبرتنى عائشة وابن عباس قالا: لبث النبى ﷺ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن، وبالمدينة عشرا(١).

ذكر البخارى، رحمه الله، كتاب «فضائل القرآن» بعد كتاب التفسير؛ لأن التفسير أهم ولهذا بدأ به، [ونحن قدمنا الفضائل قبل التفسير وذكرنا فضل كل سورة قبل تفسيرها ليكون ذلك باعثا على حفظ القرآن وفهمه والعمل بما فيه والله المستعان](٢).

وقول ابن عباس فى تفسير المهيمن إنما يريد به البخارى قوله تعالى فى المائدة بعد ذكر التوراة والإنجيل: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]. قال الإمام أبو جعفر بن جرير، رحمه الله:

حدثنا المثنى، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنى معاوية عن على ـ يعنى ابن أبى طلحة ـ عن ابن عباس فى قوله: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ قال: المهيمن: الأمين. قال: القرآن أمين على كل كتاب قبله(٣). وفى رواية: شهيدا عليه(٤). وقال سفيان الثورى وغير واحد من الأئمة عن أبى إسحاق السبيعى، عن التميمى، عن ابن عباس: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ قال: مؤتمنا(٥). وبنحو ذلك قال مجاهد والسدى وقتادة وابن جريج والحسن البصرى وغير واحد من أئمة السلف. وأصل الهيمنة: الحفظ والارتقاب، يقال إذا رَقَب الرجل الشىء وحفظه وشهده: قد هيمن فلان عليه، فهو يهيمن هيمنة وهو عليه مهيمن، وفى أسماء الله تعالى: المهيمن، وهو الشهيد على كل شىء، والرقيب: الحفيظ بكل شىء.

وأما الحديث الذى أسنده البخارى: أنه، عليه السلام، أقام بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن، وبالمدينة عشرا، فهو مما انفرد به البخارى دون مسلم، وإنما رواه النسائى من حديث شيبان وهو ابن عبد الرحمن، عن يحيى وهو ابن أبى كثير، عن أبى سلمة عنها(٦).

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: حدثنا يزيد عن داود بن أبى هند، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا فى ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك فى عشرين سنة، ثم

---

(١) صحيح البخارى برقم (٤٩٧٨، ٤٩٧٩).

(٢) جاء فى م: «فجرينا على منواله وسننه مقتدين به» وما أثبته من ط، جـ.

(٣) تفسير الطبرى (١٠/ ٣٧٩) ط. المعارف.

(٤) تفسير الطبرى (١٠/ ٣٧٧) ط. المعارف.

(٥) رواه الطبرى فى تفسيره (١٠/ ٣٧٨) ط. المعارف.

(٦) سنن النسائى الكبرى برقم (٧٩٧٧).

قرأ ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾ [الإسراء: ١٠٦]. هذا إسناد صحيح[(١)]. أما إقامته بالمدينة عشرا فهذا ما لا خلاف فيه، وأما إقامته بمكة بعد النبوة فالمشهور ثلاث عشرة سنة؛ لأنه، عليه الصلاة والسلام، أوحى إليه وهو ابن أربعين سنة، وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح، ويحتمل أنه حذف ما زاد على العشرة اختصارا فى الكلام؛ لأن العرب كثيرا ما يحذفون الكسور فى كلامهم، أو أنهما إنما اعتبرا قرن جبريل، عليه السلام، به عليه السلام. فإنه[(٢)] قد روى الإمام أحمد أنه قرن به، عليه السلام، ميكائيل فى ابتداء الأمر، يلقى إليه الكلمة والشىء، ثم قرن به جبريل.

ووجه مناسبة هذا الحديث بفضائل القرآن: أنه ابتدئ بنزوله فى مكان شريف، وهو البلد الحرام، كما أنه كان فى زمن شريف وهو شهر رمضان، فاجتمع له شرف الزمان والمكان؛ ولهذا يستحب إكثار تلاوة القرآن فى شهر رمضان؛ لأنه ابتدئ نزوله فيه؛ ولهذا كان جبريل يعارض به رسول الله ﷺ فى كل سنة فى شهر رمضان، فلما كان فى السنة التى توفى فيها عارضه به مرتين تأكيدا وتثبيتاً.

وأيضا فى هذا الحديث بيان أنه من القرآن مكِّى ومنه مدنى، فالمكى: ما نزل قبل الهجرة، والمدنى: ما نزل بعد الهجرة، سواء كان بالمدينة أو بغيرها من أى البلاد كان، حتى ولو كان بمكة أو عرفة. وقد أجمعوا على سور أنها من المكى وأخر أنها من المدنى، واختلفوا فى أخر، وأراد بعضهم ضبط ذلك بضوابط فى تقييدها عسر ونظر، ولكن قال بعضهم: كل سورة فى أولها شىء من الحروف المقطعة فهى مكية إلا البقرة وآل عمران، كما أن كل سورة فيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فهى مدنية وما فيها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾. فيحتمل أن يكون من هذا ومن هذا، والغالب أنه مكى. وقد يكون مدنيا كما فى البقرة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا[(٣)] رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢٠]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨].

قال أبو عبيد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا من سمع الأعمش يحدث عن إبراهيم بن علقمة: كل شىء فى القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فإنه أنزل بالمدينة، وما كان ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ فإنه أنزل بمكة[(٤)]. ثم قال: حدثنا على بن معبد، عن أبى المليح، عن ميمون بن مهران، قال: ما كان فى القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ و﴿يَا بَنِى آدَمَ﴾ فإنه مكى، وما كان: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فإنه مدنى[(٥)].

ومنهم من يقول: إن بعض السور نزل مرتين، مرة بالمدينة ومرة بمكة، والله أعلم. ومنهم من يستثنى من المكى آيات يدعى أنها من المدنى، كما فى سورة الحج وغيرها.

والحق فى ذلك ما دل عليه الدليل الصحيح، فالله أعلم. وقال أبو عبيد: حدثنا عبد الله بن

---

(١) فضائل القرآن (ص ٢٢٢) ورواه الحاكم فى المستدرك (٢/ ٢٢٢) من طريق يزيد بن هارون به، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٢) فى ط: «فكأنه».

(٣) فى م: «اتقوا» وهو خطأ.

(٤، ٥) فضائل القرآن (ص ٢٢٢).

صالح، عن معاوية بن صالح بن على بن أبى طلحة، قال: نزلت بالمدينة سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، والتوبة، والحج، والنور، والأحزاب، والذين كفروا، والفتح، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والحواريون، والتغابن، و﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ و﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ والفجر، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ و﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ و ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ و﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ و﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ وسائر ذلك بمكة[(١)].

وهذا إسناد صحيح عن ابن أبى طلحة مشهور، وهو أحد أصحاب ابن عباس الذين رووا عنه التفسير، وقد ذكر فى المدنى سورا فى كونها مدنية نظر، وفاته الحجرات والمعوذات.

الحديث الثانى: وقال البخارى: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا معتمر قال: سمعت أبى عن أبى عثمان قال: أنبئت أن جبريل، عليه السلام، أتى النبى ﷺ وعنده أم سلمة، فجعل يتحدث، فقال النبى ﷺ: «من هذا؟» أو كما قال، قالت: هذا دحية الكلبى، فلما قام قلت: والله ما حسبته إلا إياه، حتى سمعت خطبة النبى ﷺ يُخبر خَبَر جبريل. أو كما قال، قال أبى: فقلت لأبى عثمان: ممن سمعت هذا؟ فقال: من أسامة بن زيد. وهكذا رواه أيضا فى علامات النبوة عن عباس بن الوليد النرسى، ومسلم فى فضائل أم سلمة عن عبد الأعلى بن حماد [ومحمد بن عبد الأعلى][(٢)] كلهم عن معتمر بن سليمان به[(٣)].

والغرض من إيراد هذا الحديث هاهنا أن السفير بين الله وبين محمد ﷺ جبريل عليه السلام وهو ملك كريم ذو وجاهة وجلالة ومكانة كما قال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ . مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ . وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ الآيات[التكوير: ١٩ ـ ٢٢]. فمدح الرب تبارك وتعالى عبديه ورسوليه جبريل ومحمداً ﷺ وسنستقصى الكلام على تفسير هذا الكتاب[(٤)] فى موضعه إذا وصلنا إليه إن شاء الله تعالى وبه الثقة.

وفى الحديث فضيلة عظيمة لأم سلمة، رضى الله عنها ـ كما بينه مسلم رحمه الله ـ لرؤيتها لهذا الملك العظيم، وفضيلة أيضا لدحية بن خليفة الكلبى، وذلك أن جبريل، عليه السلام، كان كثيرا ما يأتى رسول الله ﷺ على صورة دحية وكان جميل الصورة، رضى الله عنه، وكان من قبيلة أسامة بن زيد بن حارثة الكلبى، كلهم ينسبون إلى كلب بن وبرة وهم قبيلة من قضاعة، وقضاعة قيل: إنهم من عدنان، وقيل: من قحطان، وقيل: بطن مستقل بنفسه، والله أعلم.

---

(١) فضائل القرآن (ص ٢٢١).

(٢) زيادة من جـ، م.

(٣) صحيح البخارى برقم (٤٩٨٠)، (٣٦٣٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٥١).

(٤) فى جـ. «المكان».

الحديث الثالث: حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا الليث بن سعيد المقبرى، عن أبيه، عن أبى هريرة، رضى الله عنه، قال: قال النبى [١] ﷺ: «ما من الأنبياء نبى إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أوتيت وحيا أوحاه الله إلىّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»[٢].

ورواه أيضا فى [كتاب] [٣] الاعتصام عن عبد العزيز بن عبد الله ومسلم والنسائى عن قتيبة جميعا، عن الليث بن سعد، عن سعيد بن أبى سعيد، عن أبيه ـ واسمه كيسان المقبرى ـ به.

وفى هذا الحديث فضيلة عظيمة للقرآن المجيد على كل معجزة أعطيها نبى من الأنبياء، وعلى كل كتاب أنزله، وذلك أن معنى الحديث: ما من نبى إلا أعطى من المعجزات ما آمن عليه البشر، أى: ما كان دليلا على تصديقه فيما جاءهم به واتبعه من اتبعه من البشر، ثم لما مات الأنبياء لم يبق لهم معجزة بعدهم إلا ما يحكيه أتباعهم عما شاهده فى زمانه، فأما الرسول الخاتم للرسالة محمد ﷺ فإنما كان معظم ما آتاه الله وحيا منه إليه منقولا إلى الناس بالتواتر، ففى كل حين هو كما أنزل، فلهذا قال: «فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا»، وكذلك وقع، فإن أتباعه أكثر من أتباع الأنبياء لعموم رسالته ودوامها إلى قيام الساعة، واستمرار معجزته؛ ولهذا قال الله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، ثم تقاصر معهم إلى عشر سور منه فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣] ثم تحداهم إلى أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨]، وقصر التحدى على هذا المقام فى السور [٤] المكية كما ذكرنا وفى المدنية أيضا كما فى سورة البقرة، حيث يقول تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤] فأخبرهم بأنهم عاجزون عن معارضته بمثله، وأنهم لايفعلون ذلك فى المستقبل أيضا، وهذا وهم أفصح الخلق وأعلمهم بالبلاغة والشعر وقريض الكلام وضروبه، لكن جاءهم من الله مالا قبل لأحد من البشرية من الكلام الفصيح البليغ، الوجيز، المحتوى على العلوم الكثيرة الصحيحة النافعة، والأخبار الصادقة عن الغيوب الماضية والآتية، والأحكام العادلة والمحكمة، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً﴾ [الأنعام: ١١٥].

وقال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبى، حدثنا محمد بن إسحاق قال: ذكر محمد بن كعب القرظى عن الحارث بن عبد الله الأعور قال: قلت: لآتين أمير المؤمنين، فلأسأله عما سمعت العشية [قال] [٥]: فجئته بعد العشاء، فدخلت عليه، فذكر الحديث. قال: ثم

---

(١) فى جـ: «رسول الله».
(٢) صحيح البخارى برقم (٤٩٨١)، (٧٢٧٤).
(٣) زيادة من جـ.
(٤) فى جـ، ط: «السورة».
(٥) زيادة من جـ، ط.

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أتانى جبريل فقال: يامحمد، أمتك مختلفة بعدك». قال: «فقلت له: فأين المَخْرَج ياجبريل؟» قال: فقال: «كتاب الله به يَقْصِم الله كلَّ جبار، من اعتصم به نجا، ومن تركه هلك، مرتين، قول فَصْل وليس بالهزل، لا تخلقه الألسن، ولاتفنى عجائبه، فيه نبأ من كان قبلكم، وفصل ما بينكم، وخبر ما هو كائن بعدكم» هكذا رواه الإمام أحمد(١). وقال أبو عيسى الترمذى: حدثنا عبد بن حميد، حدثنا حسين بن على الجعفى، حدثنا حمزة الزيات، عن أبى المختار الطائى، عن ابن أخى الحارث الأعور، عن الحارث الأعور، قال: مررت فى المسجد فإذا الناس يخوضون فى الأحاديث فدخلت علَى علىّ فقلت: يا أمير المؤمنين، ألا ترى الناس قد خاضوا فى الأحاديث؟ قال: أو قد فعلوها؟ قلت: نعم. قال: أما إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنها ستكون فتنة» فقلت: ما المَخْرج منها يارسول الله؟ قال: «كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحُكْم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهَزْل، من تركه من جبار قَصَمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تَلْتَبِس به الألسنة، ولايشبع منه العلماء، ولا يَخْلَق عن كثرة الرد، ولاتنقضى عجائبه، هو الذى لم تنته الجن إذْ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا . يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ [الجن: ١، ٢]، من قال به صَدَق، ومن عمل به أجِر، ومن حكم به عَدَل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم». خذها إليك يا أعور، ثم قال: هذا حديث غريب لانعرفه إلا من حديث حمزة الزيات، وإسناده مجهول وفى حديث الحارث مقال(٢).

قلت: لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات، بل قد رواه محمد بن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظى، عن الحارث الأعور، فبرئ حمزة من عهدته، على أنه وإن كان ضعيف الحديث إلا أنه إمام فى القراءة والحديث، مشهور من رواية الحارث الأعور وقد تكلموا فيه، بل قد كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده، أما إنه تعمد الكذب فى الحديث فلا، والله أعلم.

وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين على، رضى الله عنه، وقد وَهِم بعضهم فى رفعه، وهو كلام حسن صحيح على أنه قد روى له شاهد عن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ.

قال الإمام العلم أبو عبيد القاسم بن سلام فى كتابه فضائل القرآن: حدثنا أبو اليقظان، حدثنا عمار بن محمد الثورى أو غيره عن أبى إسحاق الهجرى، عن أبى الأحوص، عن عبد الله بن مسعود، عن النبى ﷺ قال: «إن هذا القرآن مأدبة الله تعالى فتعلموا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله عز وجل، وهو النور المبين، والشفاء النافع، عصْمَة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لا يعوج فيقوم، لا يزيغ فيستعتب، ولاتنقضى عجائبه، ولا يَخْلَق عن كثرة الرد، فاتلوه، فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات، أما إنى لا أقول لكم الـم حرف، ولكن ألف عشر، ولام عشر، وميم عشر»(٣). وهذا غريب من هذا الوجه، وقد رواه محمد بن فضيل عن أبى إسحاق

(١) المسند (١/ ٩١).

(٢) سنن الترمذى برقم (٢٩٠٦).

(٣) فضائل القرآن (ص ٢١) ورواه الحاكم فى المستدرك (١/ ٥٥٥) من طريق الهجرى به.

الهجرى، واسمه إبراهيم بن مسلم، وهو أحد التابعين، ولكن تكلموا فيه كثيرا.

وقال أبو حاتم الرازى: لين ليس بالقوى. وقال أبو الفتح الأزدى: رفَّاع كثير الوهم. قلت: فيحتمل، والله أعلم، أن يكون وهم فى رفع هذا الحديث، وإنما هو من كلام ابن مسعود، ولكن له شاهد من وجه آخر، والله أعلم.

وقال أبو عبيد أيضا: حدثنا حجاج عن إسرائيل عن أبى إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود قال: لا يسأل عبد عن نفسه إلا القرآن، فإن كان يحب القرآن فإنه يحب الله ورسوله(١).

الحديث الرابع: قال البخارى: حدثنا عمرو بن محمد، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبى، عن صالح بن كيسان، عن ابن (٢)شهاب، قال: أخبرنى أنس بن مالك أن الله تابع الوحى على رسوله ﷺ قبل وفاته حتى توفاه أكثر ما كان الوحى، ثم توفى رسول الله ﷺ بعد. وهكذا رواه مسلم عن عمرو بن محمد هذا ـ وهو الناقد ـ وحسن الحلوانى وعبد بن حميد والنسائى عن إسحاق ابن منصور الكوسج، أربعتهم عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهرى به(٣).

ومعناه: أن الله تعالى تابع نزول الوحى على رسول الله ﷺ شيئاً بعد شىء كل وقت بما يحتاج إليه، ولم تقع فترة بعد الفترة الأولى التى كانت بعد نزول الملك أول مرة بقوله: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ**﴾[العلق: ١] فإنه استلبث الوحى بعدها حينا يقال: قريبا من سنتين أو أكثر، ثم حمى الوحى وتتابع، وكان أول شىء نزل بعد تلك الفترة ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنذِرْ**﴾ [المدثر: ١، ٢].

الحديث الخامس: حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان عن الأسود بن قيس قال: سمعت جندبا يقول: اشتكى النبى ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين، فأتته امرأة فقالت: يا محمد، ما أرى شيطانك إلا تركك، فأنزل الله تعالى: ﴿**والضحى.وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ .مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ**﴾ [الضحى: ١ـ٣](٤).

وقد رواه البخارى فى غير موضع أيضا، ومسلم والترمذى والنسائى من طرق أخر(٥)، عن سفيان ـ وهو الثورى ـ وشعبة بن الحجاج كلاهما عن الأسود بن قيس العبدى، عن جندب بن عبد الله البجلى، به. وسيأتى الكلام على هذا الحديث فى تفسير سورة الضحى إن شاء الله تعالى.

والمناسبة فى ذكر هذا الحديث والذى قبله فى فضائل القرآن: أن الله تعالى له برسوله عناية

(١) فضائل القرآن (ص ٢١).
(٢) فى ط، جـ: «أبى».
(٣) صحيح البخارى برقم (٤٩٨٢) وصحيح مسلم برقم (٣٠١٦).
(٤) صحيح البخارى برقم (٤٩٨٣).
(٥) صحيح البخارى برقم (١١٢٥، ٤٩٥٠، ٤٩٥١) وصحيح مسلم برقم (١٧٩٧) وسنن الترمذى برقم (٣٣٤٥) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٨١).

عظيمة ومحبة شديدة، حيث جعل الوحى متتابعا عليه ولم يقطعه عنه؛ ولهذا إنما أنزل عليه القرآن مفرقا ليكون ذلك فى أبلغ العناية والإكرام.

قال البخارى، رحمه الله: نزل القرآن بلسان قريش والعرب، قرآنا عربيا، بلسان عربى مبين، حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب[(١)]، عن الزهرى: أخبرنى أنس بن مالك قال: فأمر عثمان بن عفان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوها فى المصاحف، وقال لهم: إذا اختلفتم أنتم وزيد فى عربية من عربية القرآن، فاكتبوها بلسان قريش، فإن القرآن نزل بلسانهم، ففعلوا[(٢)].

هذا الحديث قطعة من حديث سيأتى قريبا والكلام عليه ومقصود البخارى منه ظاهر، وهو أن القرآن نزل بلغة قريش، وقريش خلاصة العرب؛ ولهذا قال أبو بكر بن أبى داود: حدثنا عبد الله بن محمد بن خلاد، حدثنا يزيد، حدثنا شيبان، عن عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: لا يملى فى مصاحفنا هذه إلا غلمان قريش أو غلمان ثقيف. وهذا إسناد صحيح[(٣)]. وقال أيضا: حدثنا إسماعيل بن أسد، حدثنا هوذة، حدثنا عوف، عن عبد الله بن فضالة، قال: لما أراد عمر أن يكتب الإمام أقعد له نفرا من أصحابه وقال: إذا اختلفتم فى اللغة فاكتبوها بلغة مضر، فإن القرآن نزل بلغة رجل من مضر ﷺ[(٤)]، وقد قال الله تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر:٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥]، وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل:١٠٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ الآية [فصلت:٤٤]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك.

ثم ذكر البخارى، رحمه الله، حديث يعلى بن أمية أنه كان يقول: ليتنى أرى رسول الله ﷺ حين ينزل عليه الوحى. فذكر الحديث الذى سأل عمن أحرم بعمرة وهو متمطخ بطيب وعليه جبة، وقال: فنظر رسول الله ﷺ ساعة ثم فجأه الوحى، فأشار عمر إلى يعلى أى: تعال، فجاء يعلى، فأدخل رأسه فإذا هو محمر الوجه يغط كذلك ساعة، ثم سرى عنه، فقال: «أين الذى سألنى عن العمرة آنفا؟» فذكر أمره بنزع الجبة وغسل الطيب.

وهذا الحديث رواه جماعة[(٥)] من طرق عديدة[(٦)]، والكلام عليه فى كتاب الحج، ولا تظهر مناسبة ما بينه وبين هذه الترجمة، ولا يكاد، ولو ذكر فى الترجمة التى قبلها لكان أظهر وأبين، والله أعلم.

---

(١) فى جـ: «سفيان».

(٢) صحيح البخارى برقم (٤٩٨٤).

(٣) المصاحف (ص ١٧).

(٤) المصاحف (ص١٧).

(٥) ط، جـ: «الجماعة».

(٦) صحيح البخارى برقم (٤٩٨٥)، وبرقم (١٨٤٧، ١٧٨٩) وصحيح مسلم برقم (١١٨٠) وسنن أبى داود برقم (١٨١٩، ١٨٢٠) وسنن الترمذى برقم (٨٣٦) وسنن النسائى (٥/ ١٣٠).

جمع القرآن

قال المؤلف، رحمه الله(١) : فائدة جليلة حسنة: ثبت فى الصحيحين عن أنس قال: جمع القرآن على عهد النبى ﷺ أربعة، كلهم من الأنصار؛ أبى بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد. فقيل له: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتى. وفى لفظ للبخارى عن أنس قال: مات النبى ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة؛ أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، ونحن ورثناه.

قلت: أبو زيد هذا ليس بمشهور؛ لأنه مات قديما، وقد ذكروه فى أهل بدر، وقال بعضهم:سعيد ابن عبيد. ومعنى قول أنس: «ولم يجمع القرآن». يعنى من الأنصار سوى هؤلاء، وإلا فمن المهاجرين جماعة كانوا يجمعون القرآن كالصديق، وابن مسعود، وسالم مولى أبى حذيفة وغيرهم.

قال الشيخ أبو الحسن الأشعرى، رحمه الله: قد علم بالاضطرار أن رسول الله ﷺ قدم أبا بكر فى مرض الموت ليصلى بالناس، وقد ثبت فى الخبر المتواتر أن رسول الله ﷺ قال: «ليؤم القوم أقرؤهم»(٢)، فلو لو لم يكن الصديق أقرأ القوم لما قدمه عليهم. نقله أبو بكر بن زنجويه فى كتاب فضائل الصديق عن الأشعرى.

وحكى القرطبى فى أوائل تفسيره عن القاضى أبى بكر الباقلانى أنه قال ـ بعد ذكره حديث أنس ابن مالك هذا ـ: فقد ثبت بالطرق المتواترة أنه جمع القرآن عثمان، وعلى، وتميم الدارى، وعبادة بن الصامت، وعبد الله بن عمرو بن العاص. فقول أنس: «لم يجمعه غير أربعة» يحتمل لم يأخذه تلقيا من فِيّ رسول الله ﷺ غير هؤلاء الأربعة، وأن بعضهم تلقى بعضه عن بعض. قال: وقد تظاهرت الروايات بأن الأئمة الأربعة جمعوا القرآن على عهد النبى ﷺ لأجل سبقهم إلى الإسلام، وإعظام الرسول لهم(٣).

قال القرطبى: لم يذكر القاضى ابن مسعود وسالما مولى أبى حذيفة، وهما ممن جمع القرآن(٤). [نقلت هذه من على ظهر الجزء الأول من أجزاء المؤلف](٥) .ا. هـ.

حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم بن سعد، حدثنا ابن شهاب، عن عبيد بن السباق، أن زيد بن ثابت قال: أرسل إلى أبو بكر ـ مقتل أهل اليمامة ـ فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبو بكر: إن عمر بن الخطاب أتانى، فقال: إن القتل قد استَحَرَّ بقُرَّاء القرآن، وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن فيذهب كثير من القرآن، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن. فقلت لعمر: كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خير فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لانتهمك، وقد

---

(١) فى م: «قال المؤلف، رحمه الله، فيما وجد على ظهر الجزء الأول من تفسيره» وسيأتى هذا فى ط فى آخر الفائدة.
(٢) رواه مسلم فى صحيحه برقم (٦٧٢) من حديث عقبة بن عمرو، رضى الله عنه.
(٣، ٤) تفسير القرطبى (١/ ٥٧).
(٥) زيادة من ط.

كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علىّ مما أمرنى به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير. فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر، رضى الله عنهما. فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب واللِّخَاف وصدور الرجال، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى لم أجدها مع غيره: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ﴾ [التوبة:١٢٨] حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر، رضى الله عنهم[١].

وقد روى البخارى هذا [الحديث] [٢] فى غير موضع من كتابه، ورواه الإمام أحمد والترمذى والنسائى من طرق عن الزهرى به[٣].

وهذا من أحسن وأجل وأعظم ما فعله الصديق، رضى الله عنه، فإنه أقامه الله بعد النبى ﷺ مقاما لا ينبغى لأحد بعده، قاتل الأعداء من مانعى الزكاة، والمرتدين، والفرس والروم، ونفذ الجيوش، وبعث البعوث والسرايا، ورد الأمر إلى نصابه بعد الخوف من تفرقه وذهابه، وجمع القرآن العظيم من أماكنه المتفرقة حتى تمكن القارئ من حفظه كله، وكان هذا من سر قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] فجمع الصديق الخير وكف الشرور، رضى الله عنه وأرضاه. ولهذا روى غير واحد من الأئمة منهم وكِيع وابن زيد وقبيصة عن سفيان الثورى عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير عن عبد خير، عن على بن أبى طالب، رضى الله عنه، أنه قال: أعظم الناس أجرا فى المصاحف أبو بكر، إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين[٤]. إسناده صحيح.

وقال أبو بكر بن أبى داود فى كتاب المصاحف: حدثنا هارون بن إسحاق، حدثنا عبدة، عن هشام، عن أبيه، أن أبا بكر هو الذى جمع القرآن بعد النبى ﷺ، يقول: ختمه[٥]. صحيح أيضا. وكان عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، هو الذى تنبه لذلك لما استحر القتل بالقراء، أى اشتد القتل وكثر فى قراء القرآن يوم اليمامة، يعنى يوم اليمامة، يعنى يوم قتال مسيلمة الكذاب وأصحابه ومن بنى حنيفة بأرض اليمامة فى حديقة الموت، وذلك أن مسيلمة التف معه من المرتدين قريب من مائة ألف، فجهز الصديق لقتاله خالد بن الوليد فى قريب من ثلاثة عشر ألفاً، فالتقوا معهم[٦]، فانكشف الجيش الإسلامى لكثرة من فيه من الأعراب، فنادى القراء من كبار الصحابة: يا خالد، يقولون: ميزنا من هؤلاء الأعراب فتميزوا [٧] منهم، وانفردوا، فكانوا قريبا من ثلاثة آلاف، ثم صدقوا الحملة، وقاتلوا قتالا شديدا، وجعلوا يتنادون: يا أصحاب سورة البقرة، فلم يزل ذلك دأبهم حتى فتح الله

---

(١) صحيح البخارى برقم (٤٩٨٦).
(٢) زيادة من جـ.
(٣) صحيح البخارى برقم (٤٦٧٩، ٤٩٨٩) والمسند (١/ ١٠) وسنن الترمذى برقم (٣١٠٣) وسنن النسائى الكبرى برقم (٧٩٩٥).
(٤) رواه أبو عبيد فى فضائل القرآن (ص ١٥٦) وابن أبى داود فى المصاحف (ص١١).
(٥) المصاحف (ص ١٢). (٦) فى جـ : «بهم». (٧) فى جـ : «فميزوا».

عليهم وولَّى جيش الكفار [١] فارا، وأتبعتهم السيوف المسلمة فى [أقنيتهم] [٢] قتلا وأسرا، وقتل الله مسيلمة، وفرق شمل أصحابه، ثم رجعوا إلى الإسلام، ولكن قتل من القراء يومئذ قريب من خمسمائة، رضى الله عنهم، فلهذا أشار عمر على الصِّديق بأن يجمع القرآن؛ لئلا يذهب منه شىء بسبب موت من يكون يحفظه من الصحابة بعد ذلك فى مواطن القتال، فإذا كتب وحفظ صار ذلك محفوظا فلا فرق بين حياة من بلغه أو موته، فراجعه الصديق قليلا ليثبت فى الأمر، ثم وافقه، وكذلك راجعهما زيد بن ثابت فى ذلك ثم صارا [٣] إلى ما رأياه، رضى الله عنهم أجمعين، وهذا المقام من أعظم فضائل زيد بن ثابت الأنصارى؛ ولهذا قال أبو بكر بن أبى داود: حدثنا عبد الله بن محمد بن خَلاَّد، حدثنا يزيد، حدثنا مبارك بن فضالة، عن الحسن؛ أن عمر بن الخطاب سأل عن آية من كتاب الله فقيل: كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة، فقال: إنا لله، فأمر بالقرآن فجمع فكان أول من جمعه فى المصحف[٤].

هذا منقطع، فإن الحسن لم يدرك عمر، ومعناه: أشار بجمعه فجمع؛ ولهذا كان مهيمنا على حفظه وجمعه كما رواه ابن أبى داود حيث قال: حدثنا أبو الطاهر [٥] ،حدثنا ابن وهب، حدثنا عمر ابن طلحة الليثى، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، أن عمر لما جمع القرآن كان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شاهدان[٦].

وذلك عن أمر الصديق له فى ذلك، كما قال أبو بكر بن أبى داود: حدثنا أبو الطاهر، حدثنا ابن وهب، أخبرنى ابن أبى الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: لما استحر القتل بالقراء يومئذ فرق أبو بكر، رضى الله عنه، أن يضيع، فقال لعمر بن الخطاب ولزيد بن ثابت: فمن جاءكما بشاهدين على شىء من كتاب الله فاكتباه [٧]. منقطع حسن.

ولهذا قال زيد بن ثابت: وجدت آخر سورة التوبة، يعنى قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ**﴾ إلى آخر الآيتين [التوبة:١٢٨، ١٢٩] مع أبى خزيمة الأنصارى، وفى رواية: مع خزيمة بن ثابت الذى جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادتين لم أجدها مع غيره فكتبوها عنه لأنه جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادتين فى قصة الفرس التى ابتاعها رسول الله ﷺ من الأعرابى، فأنكر الأعرابى البيع، فشهد خزيمة هذا بتصديق رسول الله ﷺ، فأمضى شهادته وقبض الفرس من الأعرابى. والحديث رواه أهل السنن [٨] وهو مشهور، وروى أبو جعفر الرازى عن الربيع عن أبى العالية أن أبيّ ابن كعب أملاها عليهم مع خزيمة بن ثابت[٩].

وقد روى ابن وهب عن عمرو [١٠] بن طلحة الليثى، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن يحيى

---

(١) فى جـ: «الكفر». (٢) فى ط: «أخفيتهم». (٣) فى ط: «صاروا».
(٤) المصاحف (ص١٦).
(٥) فى جـ: «الظاهر».
(٦) المصاحف (ص١٧).
(٧) المصاحف (ص١٢).
(٨) سنن أبى داود برقم (٣٦٠٧) وسنن النسائى (٣٠٢/٧).
(٩) رواه أحمد فى المسند (١٣٤/٥) من طريق عمر بن شقيق عن أبى جعفر به.
(١٠) فى ط: «عمر».

ابن عبد الرحمن بن حاطب؛ أن عثمان شهد بذلك أيضاً [١].

وأما قول زيد[بن ثابت] [٢]: «فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب واللِّخاف وصدور الرجال» وفى رواية: «من العسب والرِّقاع والأضلاع»، وفى رواية: «من الأكتاف والأقتاب وصدور الرجال».

أما العُسُب فجمع عسيب. قال أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهرى: وهو من السعف فويق الكَرَب لم ينبت عليه الخوص، وما نبت عليه الخوص فهو السعف.

واللِّخاف: جمع لَخْفَة وهى القطعة من الحجارة مستدقة، كانوا يكتبون عليها وعلى العسب وغير ذلك، مما يمكنهم الكتابة عليه مما يناسب ما يسمعونه من القرآن من رسول الله ﷺ.

ومنهم من لم يكن يحسن الكتابة أو يثق بحفظه، فكان يحفظه، فتلقاه زيد بن ثابت من هذا من عسيبه، ومن هذا من لخافه، ومن صدر هذا، أى من حفظه وكانوا أحرص شيء على أداء الأمانات وهذا من أعظم الأمانة؛ لأن رسول الله ﷺ أودعهم ذلك ليبلغوه إلى من بعده كما قال [الله] [٣] تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[المائدة: ٦٧]، ففعل، صلوات الله وسلامه عليه، ما أمر به؛ ولهذا سألهم فى حجة الوداع يوم عرفة على رؤوس الأشهاد والصحابة أوفر ما كانوا مجتمعين، فقال: «إنكم مسؤولون عنى فما أنتم قائلون[٤]؟». فقالوا: نشهد أنك قد بَلَّغت وأدَّيت ونصحت، فجعل يشير بأصبعه إلى السماء، وينكبها عليهم ويقول: «اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد». رواه مسلم عن جابر [٥]. وقد أمر أمته أن يبلغ الشاهد الغائب وقال: «بَلِّغوا عنى ولو آية» [٦] يعنى: ولو لم يكن مع أحدكم سوى آية واحدة فليؤدها إلى من وراءه، فبلَّغوا عنه ما أمرهم به، فأدوا القرآن قرآنا، والسنة سنة، لم يلبسوا هذا بهذا؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «من كتب عنى سوى القرآن فليمحه» [٧] أى: لئلا يختلط بالقرآن، وليس معناه: ألا يحفظوا السنة ويرووها، والله أعلم.

فلهذا نعلم بالضرورة أنه لم يبق من القرآن مما أداه الرسول ﷺ إليهم إلا وقد بلغوه إلينا، ولله الحمد والمنة، فكان الذى فعله الشيخان أبو بكر وعمر، رضى الله عنهما، من أكبر المصالح الدينية وأعظمها، من حفظهما كتاب الله فى الصحف؛ لئلا يذهب منه شيء بموت من تلقاه عن رسول الله ﷺ، ثم كانت تلك الصحف عند الصديق أيام حياته، ثم أخذها عمر بعده محروسة معظمة مكرمة، فلما مات كانت عند حفصة أم المؤمنين، رضى الله عنها، حتى أخذها منها أمير المؤمنين عثمان بن عفان، رضى الله عنه، كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

قال البخارى، رحمه الله: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم، حدثنا ابن شهاب، عن

(١) رواه ابن أبى داود فى المصاحف (ص١٧). (٢، ٣) زيادة من م.
(٤) فى ط، جـ: «مجيبون».
(٥) صحيح مسلم برقم (١٢١٨).
(٦) رواه البخارى فى صحيحه برقم (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو، رضى الله عنهما.
(٧) رواه مسلم فى صحيحه برقم (٢٢٩٩) من حديث أبى سعيد، رضى الله عنه.

أنس بن مالك، حدثه أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان بن عفان رضى الله عنهما وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة. فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد ابن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما أنزل بلسانهم. ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن فى محل صحيفة أو مصحف أن يحرق. قال ابن شهاب الزهرى: فأخبرنى خارجة ابن زيد بن ثابت: سمع زيد بن ثابت قال: فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، التمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصارى: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ**﴾ [الأحزاب: ٢٣]، فألحقناها فى سورتها فى المصحف(١).

وهذا ـ أيضا ـ من أكبر مناقب أمير المؤمنين عثمان بن عفان، رضى الله عنه، فإن الشيخين سبقاه إلى حفظ القرآن أن يذهب منه شىء وهو جمع الناس على قراءة واحدة؛ لئلا يختلفوا فى القرآن، ووافقه على ذلك جميع الصحابة، وإنما روى عن عبد الله (٢) بن مسعود شىء من التغضب بسبب أنه لم يكن ممن كتب المصاحف وأمر أصحابه بغل مصاحفهم لما أمر عثمان بحرقه ماعدا المصحف الإمام، ثم رجع ابن مسعود إلى الوفاق حتى قال على بن أبى طالب، رضى الله عنه: لولم يفعل ذلك عثمان لفعلته أنا. فاتفق الأئمة (٣) أبو بكر وعمر وعثمان وعلى، رضى الله عنهم، على أن ذلك من مصالح الدين، وهم الخلفاء الذين قال رسول الله ﷺ: «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى»(٤). وكان السبب فى هذا حذيفة بن اليمان، رضى الله عنه لما (٥) كان غازيا فى فتح أرمينية وأذربيجان، وكان قد اجتمع هناك أهل الشام والعراق وجعل حذيفة يسمع منهم قراءات على حروف شتى، ورأى منهم اختلافا وافتراقا، فلما رجع إلى عثمان أعلمه وقال لعثمان: أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى.

وذلك أن اليهود والنصارى مختلفون فيما بأيديهم من الكتب، فاليهود بأيديهم نسخة من التوراة، والسامرة يخالفونهم فى ألفاظ كثيرة ومعان أيضا، وليس فى توراة السامرة حرف الهمزة ولا حرف الياء، والنصارى ـ أيضا ـ بأيديهم توراة يسمونها العتيقة وهى مخالفة لنسختى اليهود والسامرة، وأما

---

(١) صحيح البخارى برقم (٤٩٨٧، ٤٩٨٨).

(٢) فى ط، جـ: «عبد الرحمن».

(٣) فى ط، جـ: «الأربعة».

(٤) رواه أحمد فى المسند (٤/١٢٦) وأبو داود فى السنن برقم (٤٦٠٧) والترمذى فى السنن برقم (٢٦٧٦) وقال الترمذى: «حديث حسن صحيح».

(٥) فى ط، جـ: «فإنه».

الأناجيل التى بأيدى النصارى فأربعة: إنجيل مرقس، وإنجيل لوقا وإنجيل متى، وإنجيل يوحنا، وهى مختلفة ـ أيضا ـ اختلافا كثيرا، وهذه الأناجيل الأربعة كل منها لطيف الحجم منها ما هو قريب من أربع عشرة ورقة بخط متوسط، ومنها ما هو أكثر من ذلك إما بالنصف أو بالضعف، ومضمونها سيرة عيسى وأيامه وأحكامه وكلامه وفيه شىء قليل مما يدعون أنه كلام الله، وهى مع هذا مختلفة، كما قلنا، وكذلك التوراة مع ما فيها من التبديل والتحريف، ثم هما منسوخان بعد ذلك بهذه الشريعة المحمدية المطهرة.

فلما قال حذيفة لعثمان ذلك أفزعه وأرسل إلى حفصة أم المؤمنين أن ترسل إليه بالصحف التى عندها مما جمعه الشيخان ليكتب ذلك فى مصحف واحد، وينفذه إلى الآفاق، ويجمع الناس على القراءة به وترك ما سواه، ففعلت حفصة وأمر عثمان هؤلاء الأربعة وهم زيد بن ثابت الأنصارى، أحد كتاب الوحى لرسول الله ﷺ، وعبد الله بن الزبير بن العوام القرشى الأسدى، أحد فقهاء الصحابة ونجبائهم علما وعملا وأصلا وفضلا، وسعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية القرشى الأموى، وكان كريما جوادا ممدحا، وكان أشبه الناس لهجة برسول الله ﷺ وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشى المخزومى، فجلس هؤلاء النفر يكتبون القرآن نسخا، وإذا اختلفوا فى وضع الكتابة على أى لغة رجعوا إلى عثمان، كما اختلفوا فى التابوت أيكتبونه بالتاء والهاء، فقال زيد بن ثابت: إنما هو التابوه. وقال الثلاثة القرشيون: إنما هو التابوت فتراجعوا [(١)] إلى عثمان فقال: اكتبوه بلغة قريش، فإن القرآن نزل بلغتهم.

وكان عثمان ـ والله أعلم ـ رتب السور فى المصحف، وقدم السبع الطوال وثنى بالمئين؛ ولهذا روى ابن جرير وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث غير واحد من الأئمة الكبار، عن عوف الأعرابى، عن يزيد الفارسى، عن ابن عباس قال: قلت لعثمان بن عفان: ماحملكم أن عمدتم إلى الأنفال وهى من المثانى وإلى براءة وهى من المئين، فقرنتم بينها ولم تكتبوا بينها سطر «بسم الله الرحمن الرحيم»، ووضعتموها فى السبع الطوال؟ ماحملكم على ذلك؟ فقال عثمان: كان رسول الله مما يأتى عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشىء دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هذه الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا، فإذا أنزلت عليه الآية فيقول: ضعوا هذه الآية فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أول ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، وحسبت أنها منها وقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر «بسم الله الرحمن الرحيم» فوضعتها فى السبع الطوال[(٢)].

---

(١) فى ط: «فترافعوا».

(٢) تفسير الطبرى (١/١٠٢) وسنن أبى داود برقم (٧٨٦) وسنن الترمذى برقم (٣٠٨٦) وسنن النسائى الكبرى برقم (٨٠٠٧) ويزيد الفارسى مجهول وقد انفرد بهذا الحديث.

ففهم من هذا الحديث أن ترتيب الآيات والسور أمر توقيفى متلقى عن الرسول ﷺ، وأما ترتيب السور فمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان، رضى الله عنه؛ ولهذا ليس لأحد أن يقرأ القرآن إلا مرتبا؛ فإن نكسه أخطأ خطأ كبيرا. وأما ترتيب السور فمستحب اقتداء بعثمان، رضى الله عنه، والأولى إذا قرأ أن يقرأ متواليا كما قرأ عليه، الصلاة والسلام، فى صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين وتارة بسبح وهل أتاك حديث الغاشية، فإن فرق جاز، كما صح أن رسول الله ﷺ قرأ فى العيد بقاف واقتربت الساعة، رواه مسلم عن أبى واقد [١] فى الصحيحين عن أبى هريرة، رضى الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى صلاة الصبح يوم الجمعة: الم ٓالسجدة، وهل أتى على الإنسان[٢].

وإن قدم بعض السور على بعض جاز أيضا، فقد روى حذيفة أن رسول الله ﷺ قرأ البقرة ثم النساء ثم آل عمران. أخرجه مسلم[٣].

وقرأ عمر فى الفجر بسورة النحل ثم بيوسف. ثم إن عثمان رد المصحف إلى حفصة، فلم تزل عندها حتى أرسل إليها مروان بن الحكم يطلبها فلم تعطه حتى ماتت، فأخذها من عبد الله بن عمر فحرقها لئلا يكون فيها شيء يخالف المصاحف التى نفذها عثمان إلى الآفاق، مصحفا إلى أهل مكة، ومصحفا إلى البصرة، وآخر إلى الكوفة، وآخر إلى الشام، وآخر إلى اليمن، وآخر إلى البحرين، وترك عند أهل المدينة مصحفا، رواه أبو بكر بن أبى داود عن أبى حاتم السجستانى، سمعه يقوله[٤]. وصحح القرطبى أنه إنما نفذ إلى الآفاق أربعة مصاحف. وهذا غريب، وأمر بما عدا ذلك من مصاحف الناس أن يحرق لئلا تختلف قراءات الناس فى الآفاق، وقد وافقه الصحابة فى عصره على ذلك ولم ينكره أحد منهم، وإنما نقم عليه ذلك أولئك الرهط الذين تمالؤوا عليه وقتلوه، قاتلهم الله، وفى ذلك جملة ما أنكروه مما لا أصل له، وأما سادات المسلمين من الصحابة، ومن نشأ فى عصرهم ذلك من التابعين، فكلهم وافقوه.

قال أبو داود الطيالسى وابن مهدى وغُنْدَر عن شعبة، عن عَلْقَمة بن مَرْثَد، عن رجل، عن سُوَيد ابن غفلة، قال علىّ حين حرق عثمان المصاحف: لو لم يصنعه هو لصنعته[٥].

وقال أبو بكر بن أبى داود: حدثنا أحمد بن سِنَان، حدثنا عبد الرحمن، حدثنا شعبة عن أبى إسحاق[٦]، عن مصعب بن سعد بن أبى وقاص، قال: أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك، أو قال: لم ينكر ذلك منهم أحد[٧]. وهذا إسناد صحيح.

وقال أيضا: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الصواف، حدثنا يحيى بن كثير، حدثنا ثابت بن عمارة

---

(١) صحيح مسلم برقم (٨٩١).
(٢) صحيح البخارى برقم (٨٩١) وصحيح مسلم برقم (٨٨٠).
(٣) صحيح مسلم برقم (٧٧٢).
(٤) المصاحف لابن أبى داود (ص٤٣).
(٥) رواه ابن أبى داود فى المصاحف (ص١٩).
(٦) فى جـ: «أبى مصعب».
(٧) المصاحف (ص١٩).

الحنفى، قال: سمعت غنيم بن قيس المازنى قال: قرأت القرآن على الحرفين جميعا، والله ما يسرنى أن عثمان لم يكتب المصحف، وأنه ولد لكل مسلم كلما أصبح غلام، فأصبح له مثل ماله. قال: قلنا له: يا أبا العنبر، ولم؟ قال: لو لم يكتب عثمان المصحف لطفق الناس يقرؤون الشعر(١).

حدثنا يعقوب بن سفيان، حدثنا محمد بن عبد الله، حدثنى عمران بن حدير، عن أبى مِجْلَز قال: لولا أن عثمان كتب القرآن لألفيت الناس يقرؤون الشعر. حدثنا أحمد بن سنان قال: سمعت ابن مهدى يقول: خصلتان لعثمان بن عفان ليستا لأبى بكر ولا لعمر: صبره نفسه حتى قتل مظلوماً، وجمعه الناس على المصحف(٢).

وأما عبد الله بن مسعود فقد قال إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن حميد (٣) بن مالك قال: لما أمر عثمان بالمصاحف ـ يعنى بتحريقها ـ ساء ذلك عبد الله بن مسعود وقال: من استطاع منكم أن يغلّ مصحفاً فليغلل، فإنه من غلّ شيئاً جاء بما غل يوم القيامة.

ثم قال عبد الله: لقد قرأت القرآن من فِىّ رسول الله ﷺ سبعين سورة وزيد صبى، أفأترك ما أخذت من فِىّ رسول الله ﷺ(٤).

وقال أبو بكر: حدثنا عبد الله بن محمد بن النعمان، حدثنا سعيد بن سليمان(٥)، حدثنا ابن (٦) شهاب، عن الأعمش، عن أبى وائل، قال: خطبنا ابن مسعود على المنبر فقال: ﴿**وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ [آل عمران: ١٦١]، غلوا مصاحفكم، وكيف تأمروننى أن أقرأ على قراءة زيد بن ثابت، وقد قرأت القرآن من فِىّ رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة، وإن زيد بن ثابت ليأتى مع الغلمان له ذؤابتان، والله ما نزل من القرآن شىء إلا وأنا أعلم فى أى شىء نزل، وما أحد أعلم بكتاب الله منى، وما أنا بخيركم، ولو أعلم مكانا تبلغه الإبل أعلم بكتاب الله منى لأتيته. قال أبو وائل: فلما نزل عن (٧) المنبر جلست فى الحلق، فما أحد ينكر ما قال(٨). أصل هذا مخرج فى الصحيحين (٩) وعندهما: ولقد علم أصحاب محمد أنى أعلمهم بكتاب الله. وقول أبى وائل: : «فما أحد ينكر ما قال»، يعنى: من فضله وعلمه وحفظه، والله أعلم.

وأما أمره بغَلّ المصاحف وكتمانها، فقد أنكره عليه غير واحد. قال الأعمش عن إبراهيم، عن علقمة، قال: قدمت الشام فلقيت أبا الدرداء، فقال: كنا نعد عبد الله جبانا(١٠)، فما باله يواثب الأمراء(١١). وقال أبو بكر بن أبى داود: باب رضا عبد الله بن مسعود بجمع عثمان المصاحف بعد ذلك: حدثنا عبد الله بن سعيد ومحمد بن عثمان العجلى قالا: حدثنا أبو أسامة ، حدثنى الوليد بن قيس، عن عثمان بن حسان العامرى، عن فُلفُلة الجعفى قال: فزعت فيمن فزع إلى عبد الله فى

(١، ٢) المصاحف (ص ١٩).
(٣) فى جـ: «عمير».
(٤) المصاحف (ص٢١).
(٥) فى جـ: «سلمان». (٦) فى ط، جـ: «أبو». (٧) فى جـ: «من».
(٨) المصاحف (ص٢٣).
(٩) صحيح البخارى برقم (٥٠٠٠) وصحيح مسلم برقم (٢٤٦٢).
(١٠) فى المصاحف: «حنانا». (١١) المصاحف (ص٢٥).

المصاحف، فدخلنا عليه، فقال رجل من القوم: إنا لم نأتك زائرين، ولكنا جئنا حين راعنا هذا الخبر، فقال: إن القرآن أنزل على نبيكم من سبعة أبواب، على سبعة أحرف ـ أو حروف ـ وإن الكتاب قبلكم كان ينزل ـ أو نزل ـ من باب واحد على حرف واحد(١). وهذا الذى استدل به أبو بكر، رحمه الله، على رجوع ابن مسعود فيه نظر، من جهة أنه لا يظهر من هذا اللفظ رجوع عما كان يذهب إليه، والله أعلم.

وقال أبو بكر أيضا: حدثنا عمى، حدثنا أبو رجاء، حدثنا إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن مصعب بن سعد قال: قام عثمان فخطب الناس فقال: [يا] (٢) أيها الناس عهدكم بنبيكم منذ ثلاث عشرة وأنتم تمترون فى القرآن، وتقولون: قراءة أبى وقراءة عبد الله، يقول الرجل: والله ما تقيم قراءتك وأعزم على كل رجل منكم ماكان معه من كتاب الله لما جاء به، فكان الرجل يجىء بالورقة والأديم فيه القرآن حتى جمع من ذلك كثرة، ثم دخل عثمان فدعاهم رجلاً رجلاً فناشدهم: لسمعت رسول الله ﷺ أمله عليك فيقول: نعم، فلما فرغ من ذلك عثمان قال: من أكتبُ الناس؟ قالوا: كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت. قال: فأى الناس أعرب؟ قالوا: سعيد بن العاص. قال عثمان: فليملْ سعيد، وليكتب زيد. فكتب زيد مصاحف ففرقها فى الناس، فسمعت بعض أصحاب رسول الله ﷺ يقولون(٣): قد أحسن(٤). إسناده (٥) صحيح.

وقال أيضا: حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن زيد، حدثنا أبو بكر، حدثنا هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن كثير بن أفلح قال: لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثنى عشر رجلا من قريش والأنصار، فيهم أبىّ بن كعب وزيد بن ثابت، قال: فبعثوا إلى الربعة التى فى بيت عمر فجىء بها، قال: وكان عثمان يتعاهدهم، وكانوا إذا تدارؤوا فى شىء أخره. قال محمد: فقلت لكثير ـ وكان فيهم فيمن يكتب ـ: هل تدرون لم كانوا يؤخرونه؟ قال: لا. قال محمد: فظننت ظنا إنما كانوا يؤخرونها لينظروا أحدثهم عهدا بالعرضة الأخيرة فيكتبونها على قوله(٦). صحيح أيضا.

قلت: الربعة هى الكتب المجتمعة، وكانت عند حفصة، رضى الله عنها، فلما جمعها عثمان، رضى الله عنه، فى المصحف، ردها إليها، ولم يحرقها فى جملة ما حرقه مما سواها، إلا أنها هى بعينها الذى كتبه، وإنما رتبه، ثم إنه كان قد عاهدها على أن يردها إليها، فما زالت عندها حتى ماتت، ثم أخذها مروان بن الحكم فحرقها وتأول فى ذلك ما تأول (٧) عثمان، كما رواه أبو بكر بن أبى داود:

حدثنا محمد بن عوف، حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، عن الزهرى، أخبرنى سالم بن عبد الله:

---

(١) المصاحف (ص ٢٥).

(٢) زيادة من جـ، ط.

(٣) فى ط، جـ: «يقول».

(٤) المصاحف (ص ٣١).

(٥) فى جـ، ط: «إسناد».

(٦) المصاحف (ص٣٣).

(٧) فى ط: «أول».

أن مروان كان يرسل إلى حفصة يسألها الصحف التى كتب منها القرآن، فتأبى حفصة أن تعطيه إياها. قال سالم: فلما توفيت حفصة ورجعنا من دفنها أرسل مروان بالعزيمة إلى عبد الله بن عمر ليرسلن إليه بتلك الصحف، فأرسل بها إليه عبد الله بن عمر فأمر بها مروان فشققت، وقال مروان: إنما فعلت هذا لأن ما فيها قد كتب وحفظ بالمصحف، فخشيت إن طال بالناس زمان [١] أن يرتاب فى شأن هذه الصحف مرتاب أو يقول: إنه كان شىء منها لم يكتب [٢]. إسناد صحيح.

وأما ما رواه الزهرى [٣] عن خارجة عن أبيه فى شأن آية الأحزاب وإلحاقهم إياها فى سورتها، فذكره [٤] لهذا بعد جمع عثمان فيه نظر، وإنما هذا كان حال جمع الصديق الصحف كما جاء مصرحاً به فى غير هذه الرواية عن الزهرى، عن عبيد بن السباق، عن زيد بن ثابت، والدليل على ذلك أنه قال: «فألحقناها [٥] فى سورتها من المصحف» وليست هذه الآية ملحقة فى الحاشية فى المصاحف العثمانية. فهذه الأفعال [٦] من أكبر القربات التى بادر إليها الأئمة الراشدون أبو بكر وعمر، رضى الله عنهما، حفظا على الناس القرآن، جمعاه لئلا يذهب منه شىء وعثمان، رضى الله عنه، جمع قراءات الناس على مصحف واحد ووضعه على العرضة الأخيرة التى عارض بها جبريل رسول الله ﷺ فى آخر رمضان من عمره، عليه الصلاة والسلام، فإنه عارضه به عامئذ مرتين؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ لفاطمة ابنته لما مرض: «وما أرى ذلك إلا لاقتراب أجلى». أخرجاه فى الصحيحين[٧].

وقد روى أن علياً، رضى الله عنه، أراد أن يجمع القرآن بعد رسول الله ﷺ مرتبا بحسب نزوله أولاً فأولاً، كما رواه [٨] ابن أبى داود حيث قال: حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسى، حدثنا ابن فضيل، عن أشعث، عن محمد بن سيرين قال: لما توفى النبى ﷺ أقسم على ألا يرتدى برداء إلا لجمعة حتى يجمع القرآن فى مصحف ففعل، فأرسل، إليه أبو بكر، رضى الله عنه، بعد أيام: أكرهت إمارتى يا أبا الحسن؟ فقال: لا والله إلا أنى أقسمت ألا أرتدى برداء إلا لجمعة. فبايعه ثم رجع[٩]. هكذا رواه وفيه انقطاع، ثم قال: لم يذكر المصحف أحد إلا أشعث[١٠]، وهو لين الحديث[١١]، وإنما رووا[١٢]: حتى أجمع القرآن، يعنى أتم حفظه، فإنه يقال للذى يحفظ القرآن: قد جمع القرآن.

قلت: وهذا الذى قاله أبو بكر أظهر، والله أعلم، فإن عليا لم ينقل عنه مصحف على ما قيل ولا غير ذلك، ولكن قد توجد مصاحف على الوضع العثمانى، يقال: إنها بخط على، رضى الله عنه، وفى ذلك نظر، فإنه فى بعضها: كتبه على بن أبى طالب، وهذا لحن من الكلام[١٣]؛ وعلى،

---

(١) فى جـ: «الزمان».
(٢) المصاحف (ص٣٢).
(٣) رواه ابن أبى داود فى المصاحف (ص٣٧) عن الزهرى.
(٤) فى جـ: «فذكر». (٥) فى ط، جـ: «وألحقناها». (٦) فى جـ: «الآيات».
(٧) صحيح البخارى برقم (٦٢٨٥، ٦٢٨٦) وصحيح مسلم برقم (٢٤٥٠).
(٨) فى جـ: «روى».
(٩) المصاحف (ص١٦).
(١٠) فى جـ: «الأشعث». (١١) فى جـ، ط: «وهو ابن الحرث». (١٢) فى جـ، ط: «رواه».
(١٣) وقد ذكر «كوركيس عواد» فى كتابه «أقدم مخطوطات فى العالم» بعض هذه المصاحف وأماكنها وأرقامها فى إيران وطاشقند، ولايشك عاقل أنها ليست من خط على، رضى الله عنه.

رضى الله عنه، من أبعد الناس عن ذلك فإنه كما هو المشهور عنه هو أول من وضع علم النحو، فيما رواه عنه أبو الأسود ظالم بن عمرو الدؤلى، وأنه قسم الكلام إلى اسم وفعل وحرف، وذكر أشياء أخر تممها أبو الأسود بعده، ثم أخذه الناس عن أبى الأسود فوسعوه ووضحوه، وصار علما مستقلا.

وأما المصاحف العثمانية الأئمة فأشهرها اليوم الذى فى الشام بجامع دمشق عند الركن شرقى المقصورة المعمورة بذكر الله، وقد كانت قديماً بمدينة طبرية ثم نقل منها إلى دمشق فى حدود ثمان عشرة وخمسمائة، وقد رأيته كتابا عزيزا جليلا عظيما ضخما بخط حسن مبين قوى بحبر محكم فى رق أظنه من جلود الإبل، والله أعلم، زاده الله تشريفا وتكريما وتعظيما(١).

فأما عثمان، رضى الله عنه، فما يعرف أنه كتب بخطه هذه المصاحف، وإنما كتبها زيد بن ثابت فى أيامه، ربما وغيره، فنسبت إلى عثمان لأنها بأمره وإشارته، ثم قرئت على الصحابة بين يدى عثمان، ثم نفذت إلى الآفاق، رضى الله عنه، وقد قال أبو بكر بن أبى داود:

حدثنا على بن حرب الطائى، حدثنا قريش (٢) بن أنس، حدثنا سليمان التيمى، عن أبى نضرة، عن أبى سعيد مولى بنى (٣) أسيد، قال: لما دخل المصريون على عثمان ضربوه بالسيف على يده فوقعت على: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٧]، فمد يده فوقعت: والله إنها لأول يد خطت المفصل(٤).

وقال أيضا: حدثنا أبو طاهر، حدثنا ابن وهب قال: سألت مالكا عن مصحف عثمان، فقال لى: ذَهَب. يحتمل أنه سأله عن المصحف الذى كتبه بيده، ويحتمل أن يكون سأله عن المصحف الذى تركه فى المدينة، والله أعلم.

قلت: وقد كانت الكتابة فى العرب قليلة جداً، وإنما أول ما تعلموا ذلك ما (٥) ذكره هشام بن محمد بن السائب الكلبى وغيره: أن بشر بن عبد الملك أكيدر دومة تعلم الخط من الأنبار، ثم قدم مكة فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية أخت أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية فعلمه حرب بن أمية وابنه سفيان، وتعلمه عمر بن الخطاب من حرب بن أمية، وتعلمه معاوية من عمه سفيان بن حرب، وقيل: إن أول من تعلمه من الأنبار قوم من طيئ من قرية هناك يقال لها: بقة، ثم هذبوه ونشروه فى جزيرة العرب فتعلمه الناس. ولهذا قال أبو بكر بن أبى داود: حدثنا عبد الله بن محمد الزهرى، حدثنا سفيان عن مجاهد عن الشعبى قال: سألنا المهاجرين من أين تعلمتم الكتابة؟ قالوا: من أهل الحيرة. وسألنا أهل الحيرة: من أين تعلمتم الكتابة؟ قالوا: من أهل الأنبار(٦).

قلت: والذى كان يغلب على زمان السلف الكتابة المكتوفة ثم هذبها أبو على مقلة الوزير، وصار

(١) ذكر «كوركيس عواد» فى كتابه المتقدم ذكره (ص٣٤) أن مصحفاً فى متحف الآثار الإسلامية بتركيا مكتوب على الرق كتب فى آخره أنه مصحف، عثمان، رضى الله عنه، وهو فى هذا المتحف برقم (٤٥٧).

(٢) فى جـ: «يونس».

(٣) فى ط، جـ: «أبى».

(٤) لم أجد هذا الأثر والذى بعده فى المصاحف.

(٥) فى ط، جـ: «كما».

(٦) المصاحف (ص٩).

له فى ذلك منهج وأسلوب فى الكتابة، ثم قربها على بن هلال البغدادى المعروف بابن البواب وسلك الناس وراءه. وطريقته فى ذلك واضحة جيدة. والغرض أن الكتابه لما كانت فى ذلك الزمان لم تحكم جيدا، وقع فى كتابة المصاحف اختلاف فى وضع الكلمات من حيث صناعة الكتابة لا من حيث المعنى، وصنف الناس فى ذلك، واعتنى بذلك الإمام الكبير أبو عبيد القاسم بن سلام، رحمه الله، فى كتابه فضائل القرآن(١)، والحافظ أبو بكر بن أبى داود، رحمه الله، فبوبا على ذلك(٢)، وذكر قطعة صالحة هى من صناعة القرآن، ليست مقصدنا ههنا؛ ولهذا نص الإمام مالك، رحمه الله، على أنه لاتوضع المصاحف إلا على وضع كتابة الإمام، ورخص فى ذلك غيره، واختلفوا فى الشكل والنقط فمن مرخص ومن مانع، فأما كتابة السور وآياتها والتعشير والأجزاء والأحزاب فكثير (٣) فى مصاحف زماننا، والأولى اتباع السلف الصالح.

ثم قال البخارى: ذكر كُتَّاب النبى ﷺ. وأورد فيه من حديث الزهرى، عن ابن السباق، عن زيد ابن ثابت، أن أبا بكر الصديق قال له: وكنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ وذكر نحو ما تقدم فى(٤) جمعه للقرآن(٥)، وقد تقدم، وأورد حديث زيد بن ثابت فى نزول: ﴿ لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥] (٦)، وسيأتى الكلام عليه فى سورة النساء إن شاء الله تعالى، ولم يذكر البخارى أحداً من الكتّاب فى هذا الباب سوى زيد بن ثابت، وهذا عجب، وكأنه لم يقع له حديث يورده سوى هذا، والله أعلم.

وموضع هذا فى كتاب السيرة عند ذكر كتّابه عليه السلام.

ثم قال البخارى، رحمه الله:

أنزل القرآن على سبعة أحرف

حـدثنا سعيد بن عفير، حدثنا الليث، حـدثنى عقيل عن ابن شهاب قال: حدثنى عبيد الله بن عبد الله؛ أن عبد الله بن عباس حدثه: أن رسول الله ﷺ قال: «أقرأنى جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف»(٧).

وقد رواه ـ أيضاً ـ فى بدء الخلق، ومسلم من حديث يونس، ومسلم ـ أيضا ـ من حديث معمر، كلاهما عن الزهرى بنحوه(٨)، ورواه ابن جرير من حديث الزهرى به(٩)، ثم قال الزهرى: بلغنى أن تلك السبعة الأحرف إنما هى فى الأمر الذى يكون واحدا لا تختلف فى حلال ولا فى حرام.

---

(١) فضائل القرآن (ص٢٣٧ ـ ٢٤٣).
(٢) المصاحف (ص١٤٥ ـ ١٧٦).
(٣) فى ط، جـ: «فكثر».
(٤) فى جـ: «من».
(٥) صحيح البخارى برقم (٤٩٨٩).
(٦) صحيح البخارى برقم (٤٩٩٠).
(٧) صحيح البخارى برقم (٤٩٩١).
(٨) فى جـ: «نحوه».
(٩) صحيح البخارى برقم (٣٢١٩) وصحيح مسلم برقم (٨١٩) وتفسير الطبرى (١/ ٢٩).

وهذا مبسوط فى الحديث الذى رواه الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام حيث قال:

حدثنا يزيد ويحيى بن سعيد كلاهما عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك، عن أبىّ بن كعب قال: ما حاك فى صدرى شىء منذ أسلمت، إلا أننى قرأت آية وقرأها آخر غير قراءتى فقلت: أقرأنيها رسول الله ﷺ فقال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فأمن رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، أقرأتنى آية كذا وكذا؟ قال: «نعم»، وقال الآخر: أليس تقرأنى آية كذا وكذا؟ قال: «نعم». فقال: «إن جبريل وميكائيل أتيانى فقعد جبريل عن يمينى وميكائيل عن يسارى، فقال جبريل: اقرأ القرآن على حرف، فقال ميكائيل: استزده، حتى بلغ سبعة أحرف وكل حرف شاف كاف»[(١)].

وقد رواه النسائى من حديث يزيد ـ وهو ابن هارون ـ ويحيى بن سعيد القطان كلاهما عن حميد الطويل، عن أنس، عن أبىّ بن كعب بنحوه[(٢)]. وكذا رواه ابن أبى عدى ومحمود[(٣)] بن ميمون الزعفرانى ويحيى بن أيوب كلهم عن حميد به[(٤)]. وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن مرزوق، حدثنا أبو الوليد، حدثنا حماد بن سلمة، عن حميد، عن أنس، عن عبادة بن الصامت، عن أبىّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف» فأدخل بينهما عبادة بن الصامت[(٥)].

وقال الإمام أحمد بن حنبل، رحمه الله: حدثنا يحيى بن سعيد عن إسماعيل بن أبى خالد، حدثنى عبد الله بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، عن أبىّ بن كعب، قال: كنت فى المسجد فدخل رجل فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فقمنا جميعا، فدخلنا على رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل هذا فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه، فقال لهما النبى ﷺ: «اقرآ»، فقرآ، فقال: «أصبتما». فلما قال لهما النبى ﷺ الذى قال كبُر علىّ ولا إذا كنت فى الجاهلية، فلما رأى الذى غشينى ضرب فى صدرى ففضضت عرقاً، وكأنما أنظر إلى [رسول][(٦)] الله فرقاً فقال: «يا أبىّ، إن ربى أرسل إلىّ أن اقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه أن هون على أمتى، فأرسل إلىّ أن اقرأه على حرفين، فرددت إليه أن هوّن على أمتى، فأرسل إلىّ أن اقرأه على سبعة أحرف، ولك بكل ردة مسألة تسألنيها». قال: «قلت: اللهم اغفر لأمتى، اللهم اغفر لأمتى، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلىّ فيه الخلق حتى إبراهيم عليه السلام». وهكذا رواه مسلم من حديث إسماعيل بن أبى خالد به[(٧)].

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا محمد بن فضيل، عن إسماعيل بن أبى خالد، عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبى ليلى، عن أبيه، عن جده، عن أبىّ بن كعب، قال: قال

---

(١) فضائل القرآن (ص ٢٠١).

(٢) سنن النسائى الكبرى برقم (٧٩٨٦).

(٣) فى ط، جـ: «محمد».

(٤) رواه الطبرى فى تفسيره (١/ ٣٣).

(٥) تفسير الطبرى (١/ ٣٤).

(٦) زيادة من جـ.

(٧) المسند (٥/ ١٢٧) وصحيح مسلم برقم (٨٢٠).

رسول الله ﷺ: «إن الله أمرنى أن أقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت: خفف عن أمتى، فقال[١]: اقرأه على حرفين، فقلت: اللهم ربّ خفف عن أمتى، فأمرنى أن أقرأه على سبعة أحرف من سبعة أبواب الجنة كلها شافٍ كافٍ»[٢].

وقال ابن جرير: حدثنا يونس عن ابن وهب: أخبرنى هشام بن سعد، عن عبيد الله بن عمر، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، عن أبىّ بن كعب، أنه قال: سمعت رجلا يقرأ فى سورة النحل قراءة تخالف قراءتى، ثم سمعت آخر يقرؤها بخلاف ذلك، فانطلقت بهما إلى رسول الله ﷺ فقلت: إنى سمعت هذين يقرآن فى سورة النحل فسألتهما: من أقرأكما[٣]؟ فقالا: رسول الله ﷺ، فقلت: لأذهبن بكما إلى رسول الله ﷺ إذ خالفتما ما أقرأنى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ لأحدهما: «اقرأ». فقرأ، فقال: «أحسنت» ثم قال للآخر: «اقرأ». فقرأ، فقال: «أحسنت». قال أبىّ: فوجدت فى نفسى وسوسة الشيطان حتى احمر وجهى، فعرف ذلك رسول الله ﷺ فى وجهى، فضرب يده فى صدرى ثم قال: «اللهم أخسئ[٤] الشيطان عنه، يا أبىّ، أتانى آت من ربى فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت: رب، خفف عنى، ثم أتانى الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين[٥] فقلت: رب، خفف عن أمتى، ثم أتانى الثالثة، فقال: مثل ذلك وقلت له مثل ذلك، ثم أتانى الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف، ولك بكل ردة مسألة، فقلت: يارب، اللهم اغفرلأمتى، يارب، اغفر لأمتى، واختبأت الثالثة شفاعة لأمتى يوم القيامة»[٦]. إسناده صحيح.

قلت: وهذا الشك الذى حصل لأبىّ فى تلك الساعة هو، والله أعلم، السبب الذى لأجله قرأ عليه رسول الله ﷺ قراءة إبلاغ وإعلام ودواء لما كان حصل له سورة ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى آخرها لاشتمالها على قوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً. فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [البينة: ٢، ٣]، وهذا نظير تلاوته سورة الفتح حين أنزلت مرجعه، عليه السلام، من الحديبية على عمر بن الخطاب، وذلك لما كان تقدم له من الأسئلة لرسول الله ﷺ ولأبى[٧] بكر الصديق، رضى الله عنهما، فى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧].

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، عن ابن أبى ليلى، عن أبىّ بن كعب أن رسول الله ﷺ كان عند أضاة بنى غفار، فأتاه جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف، قال: «أسأل الله معافاته ومغفرته، فإن أمتى لا تطيق ذلك». ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين. قال:

---

(١) فى ط، جـ: «قال».
(٢) تفسير الطبرى (١/ ٣٧).
(٣) فى ط، جـ: «أقرأهما».
(٤) فى جـ: «أذهب».
(٥) فى ط، جـ: «حرف واحد».
(٦) تفسير الطبرى (١/ ٤١).
(٧) فى ط، جـ: «ثم لأبى».

«أسأل الله معافاته ومغفرته، فإن أمتى لا تطيق ذلك». ثم جاءه الثالثة قال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف قال: «أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتى لا تطيق ذلك». ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا[(١)].

وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائى من رواية شعبة به، وفى لفظٍ لأبى داود عن أبىّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبىّ، إنى أقرئت القرآن فقيل لى: على حرف أو حرفين؟ فقال الملك الذى معى: قال على حرفين. قلت: على حرفين. فقيل لى: على حرفين أو ثلاثة؟ فقال الملك الذى معى: قل على ثلاثة. قلت: على ثلاثة. حتى بلغ سبعة أحرف ثم قال: ليس منها إلا شاف كاف إن قلت: سميعا عليما، عزيزا حكيما، ما لم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب»[(٢)].

وقد روى ثابت بن قاسم نحوا من هذا عن أبى هريرة عن النبى ﷺ[(٣)] ومن كلام ابن مسعود، رضى الله عنه، نحو ذلك.

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين بن على الجعفى، عن زائدة، عن عاصم، عن زر، عن أبى قال: لقى رسول الله ﷺ جبريل عند أحجار المراء، فقال رسول الله ﷺ لجبريل: «إنى بعثت إلى أمة أميين فيهم الشيخ العاسى، والعجوز الكبيرة، والغلام، فقال: مرهم فليقرؤوا القرآن على سبعة أحرف»[(٤)].

وأخرجه الترمذى من حديث عاصم بن أبى النَّجُود، عن زر، عن أبىّ بن كعب، به[(٥)]، وقال: حسن صحيح.

وقد رواه أبو عبيد عن أبى النضر، عن شيبان، عن عاصم بن أبى النجود، عن زر، عن حذيفة أن رسول الله ﷺ لقى جبريل عند أحجار المراء، فذكر الحديث[(٦)]، والله أعلم.

وهكذا رواه الإمام أحمد عن عفان، عن حماد، عن عاصم، عن زر، عن حذيفة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «لقيت جبريل عند أحجار المراء، فقلت: يا جبريل، إنى أرسلت إلى أمة أمية؛ الرجل، والمرأة، والغلام، والجارية، والشيخ الفانى، الذى لم يقرأ كتاب قط فقال: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف»[(٧)].

وقال أحمد أيضا: حدثنا وَكِيع وعبد الرحمن، عن سفيان، عن إبراهيم بن مهاجر، عن رِبْعى ابن حِراش: حدثنى من لم يكذبنى ـ يعنى حذيفة ـ قال: لقى النبى ﷺ جبريل عند أحجار المراء

---

(١) تفسير الطبرى (١/ ٤٠).

(٢) صحيح مسلم برقم (٨٢٠) وسنن أبى داود برقم (١٤٧٨) وسنن النسائى (٢/ ١٥٣).

(٣) ورواه أحمد فى المسند (٢/ ٣٣٢، ٤٤٠) من طريق محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة، رضى الله عنه.

(٤) المسند (٥/ ١٣٢) ورواه ابن حبان فى صحيحه برقم (٧٣٩) «موارد» من طريق زائدة به مثله.

(٥) سنن الترمذى برقم (٢٩٤٤).

(٦) فضائل القرآن لأبى عبيد (ص ٢٠٢).

(٧) المسند (٥/ ٣٩١، ٤٠٠).

فقال: إن أمتك يقرؤون القرآن على سبعة أحرف، فمن قرأ منهم على حرف فليقرأ كما علم، ولا يرجع عنه. وقال عبد الرحمن: إن فى أمتك الضعيف، فمن قرأ على حرف فلا يتحول منه إلى غيره رغبة عنه[(١)]. وهذا إسناد صحيح ولم يخرجوه.

حديث آخر فى معناه عن سليمان بن صرد: قال ابن جرير: حدثنا إسماعيل بن موسى السدىّ، حدثنا شريك عن أبى إسحاق، عن سليمان بن صرد ـ يرفعه ـ قال: «أتانى ملكان، فقال أحدهما: اقرأ. قال: على كم؟ قال: على حرف. قال: زده، حتى انتهى إلى سبعة أحرف»[(٢)]. ورواه النسائى فى اليوم والليلة عن عبد الرحمن بن محمد بن سلام عن إسحاق الأزرق عن العوَّام بن حَوْشَب، عن أبى إسحاق، عن سليمان بن صرد قال: أتى أبىّ بن كعب رسول الله ﷺ برجلين اختلفا فى القراءة، فذكر الحديث[(٣)].

وهكذا رواه أحمد بن مَنِيع عن يزيد بن هارون، عن العوام بن حوشب به، ورواه أبو عبيد عن يزيد بن هارون، عن العوام، عن أبى إسحاق، عن سليمان بن صرد، عن أبىّ أنه أتى النبى ﷺ برجلين، فذكره[(٤)].

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق، عن فلان العبدى ـ قال ابن جرير: ذهب عنى اسمه ـ عن سليمان بن صرد، عن أبىّ بن كعب قال: رحت إلى المسجد، فسمعت رجلا يقرأ فقلت: من أقرأك؟ قال: رسول الله ﷺ، فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ، فقلت: استقرئ هذا. قال: فقرأ، فقال: «أحسنت». قال: قلت: إنك أقرأتنى كذا وكذا! فقال: «وأنت قد أحسنت». فقلت: قد أحسنت قد أحسنت. قال: فضرب بيده على صدرى ثم قال: «اللهم أذهب عن أبىٍّ الشك». قال: ففضت عرقا، وامتلأ جوفى فرقا. قال: ثم قال: «إن الملكين أتيانى، فقال أحدهما: اقرأ القرآن على حرف، وقال الآخر: زده. قال: قلت: زدنى. فقال[(٥)]: اقرأه على حرفين، حتى بلغ سبعة أحرف فقال: اقرأه على سبعة أحرف»[(٦)].

وقد رواه أبو عبيد عن حجاج، عن إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن شتير[(٧)] العبدى، عن سليمان بن صرد[(٨)] عن أبىّ، عن النبى ﷺ بنحو ذلك[(٩)]، ورواه أبو داود عن أبى داود الطيالسى، عن همام، عن قتادة، عن يحيى بن يَعْمَر، عن سليمان بن صرد، عن أبى بن كعب بنحوه[(١٠)].

---

(١) المسند (٥/ ٣٨٥، ٤٠١).

(٢) تفسير الطبرى (١/ ٣٠).

(٣) سنن النسائى الكبرى برقم (١٠٥٠٦).

(٤) فضائل القرآن لأبى عبيد (ص ٢٠١).

(٥) فى ط، جـ: «قال».

(٦) تفسير الطبرى (١/ ٣٢).

(٧) فى فضائل أبى عبيد: «صقير».

(٨) فى ط، جـ:«حدد».

(٩) فضائل القرآن (ص ٢٠٢).

(١٠) سنن أبى داود برقم (١٤٧٧).

فهذا الحديث محفوظ من حيث الجملة عن أبىّ بن كعب، والظاهر أن سليمان بن صرد الخزاعى شاهد على ذلك، والله أعلم.

حديث آخر عن أبى بكرة: قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدى، عن حماد بن سلمة، عن على بن زيد، عن عبد الرحمن بن أبى بكرة، عن أبيه، عن النبى ﷺ قال: «أتانى جبريل وميكائيل، عليهما السلام، فقال جبريل: اقرأ القرآن على حرف واحد، فقال ميكائيل: استزده، فقال: اقرأ على سبعة أحرف، كلها شاف كاف، ما لم تختم آية رحمة بآية عذاب(١) أو آية عذاب برحمة»(٢).

وهكذا رواه ابن جرير عن أبى كُرَيب، عن زيد بن الحباب، عن حماد بن سلمة به، وزاد فى آخره كقولك: هلم وتعال(٣).

حديث آخر عن سمرة: قال الإمام أحمد: حدثنا بَهْز وعفان كلاهما عن حماد بن سلمة، حدثنا قتادة، عن الحسن، عن سمرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرف». إسناد صحيح، ولم يخرجوه(٤).

حديث آخر عن أبى هريرة: قال الإمام أحمد: حدثنا أنس بن عياض، حدثنى أبو حازم، عن أبى سلمة ـ لا أعلمه إلا عن أبى هريرة ـ أن رسول الله ﷺ قال: «نزل القرآن على سبعة أحرف، مراء فى القرآن كفر ـ ثلاث مرات ـ فما علمتم منه فاعملوا وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه». ورواه النسائى عن قتيبة عن أبى ضمرة أنس بن عياض به(٥).

حديث آخر عن أم أيوب: قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان عن عبيد الله وهو ابن أبى يزيد ـ عن أبيه، عن أم أيوب ـ يعنى امرأة أبى أيوب الأنصارية ـ أن رسول الله ﷺ قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، أيها قرأت جزاك(٦)»(٧). وهذا إسناد صحيح ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة.

حديث آخر عن أبى جهيم: قال أبو عبيد: حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن يزيد بن خصيفة، عن مسلم بن سعيد مولى الحضرمى(٨)، وقال غيره: عن بسر بن سعيد، عن أبى جهيم الأنصارى؛ أن رجلين اختلفا فى آية من القرآن، كلاهما يزعم أنه تلاقاها من رسول الله ﷺ، فمشيا جميعا حتى أتيا رسول الله ﷺ، فذكر أبو جهيم أن رسول الله ﷺ قال: «إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف، فلا

---

(١) فى ط، جـ: «ما لم تختم آية رحمة بعذاب».
(٢) المسند (٥/ ٤١).
(٣) تفسير الطبرى (١/ ٤٢).
(٤) المسند (٥/ ١٦).
(٥) المسند (٢/ ٣٠٠) وسنن النسائى الكبرى برقم (٨٠٩٣).
(٦) فى ط: «أجزأه».
(٧) المسند (٦/ ٤٣٣، ٤٦٢).
(٨) فى فضائل أبى عبيد: «مولى ابن الحضرمى».

تماروا، فإن مراء فيه كفر»[١]. هكذا رواه أبو عبيد على الشك[٢]، وقد رواه الإمام أحمد على الصواب، فقال: حدثنا أبو سلمة الخزاعى، حدثنا سليمان بن بلال، حدثنى يزيد بن خصيفة، أخبرنى بسر بن سعيد، حدثنى أبو جهيم؛ أن رجلين اختلفا فى آية من القرآن فقال هذا: تلقيتها من رسول الله ﷺ وقال هذا: تلقيتها من رسول الله ﷺ فسألا النبى ﷺ فقال: «القرآن يقرأ على سبعة أحرف، فلا تماروا فى القرآن، فإن مراءً فى القرآن كفر»[٣]. وهذا إسناد صحيح ـ أيضا ـ ولم يخرجوه.

ثم قال أبو عبيد: حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث، عن يزيد بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، عن بسر[٤] بن سعيد، عن أبى قيس ـ مولى عمرو بن العاص ـ أن رجلا قرأ آية من القرآن، فقال له عمرو ـ يعنى ابن العاص ـ: إنما هى كذا وكذا، بغير ما قرأ الرجل، فقال الرجل: هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ [فخرجا إلى رسول الله ﷺ][٥] حتى أتياه، فذكرا ذلك له، فقال رسول الله ﷺ: «إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف، فأىّ ذلك قرأتم أصبتم، فلا تماروا فى القرآن، فإن مراء فيه كفر»[٦]. ورواه الإمام أحمد عن أبى سلمة الخزاعى، عن عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة، عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد، عن بسر[٧] بن سعيد، عن أبى قيس مولى عمرو بن العاص به نحوه، وفيه: «فإن المراء فيه كفر أو إنه الكفر به[٨]». وهذا ـ أيضا ـ حديث جيد[٩].

حديث آخر عن ابن مسعود: قال ابن جرير: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، حدثنا ابن وهب، أخبرنى حيوة بن شريح، عن عقيل بن خالد، عن سلمة بن أبى سلمة بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن ابن مسعود، عن النبى ﷺ أنه قال: «كان الكتاب الأول نزل من باب واحد وعلى حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب وعلى سبعة أحرف: زاجر، وآمر، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال، فأحلوا حلاله، وحرّموا حرامه، وافعلوا ما أمرتم به، وانتهوا عما نهيتم عنه، واعتبروا بأمثاله، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا: آمنا به كل من عند ربنا»[١٠]. ثم رواه عن أبى كُرَيْب عن المحاربى، عن ضمرة بن حبيب، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن ابن مسعود من كلامه[١١] وهو أشبه[١٢]. والله أعلم.

---

(١) فضائل القرآن (ص ٢٠٢).

(٢) قال الشيخ أحمد شاكر فى حاشيته على الطبرى (١/ ٤٤): «قوله: على الشك، إنما للحديث طريقان: الأول: إسماعيل بن جعفر يرويه عن يزيد عن مسلم بن سعيد، وسليمان يرويه عن يزيد عن بسر ـ أخو مسلم، فأشار أبو عبيد أثناء الإسناد إلى الرواية الأخرى دون أن يذكر إسنادهما».

(٣) المسند (٤/ ١٧٠).

(٤) فى جـ: «بشر».

(٥) زيادة من جـ، ط.

(٦) فضائل القرآن (ص ٢٠٢).

(٧) فى جـ: «بشر».

(٨) فى ط: «آية الكفر».

(٩) المسند (٤/ ٢٠٤).

(١٠) تفسير الطبرى (١/ ٦٨).

(١١) تفسير الطبرى (١/ ٦٩).

(١٢) قال الشيخ أحمد شاكر: «وهو الصحيح، حيث صرح بذلك الطبرى بقوله: وروى عن ابن مسعود من قبله، أما الإسناد السابق فقد قال ابن عبد البر: حديث لا يثبت؛ لأنه من رواية أبى سلمة بن عبد الرحمن عن ابن مسعود، ولم يلق ابن مسعود».

فصل

قال أبو عبيد: قد تواترت[(١)] هذه الأحاديث كلها عن الأحرف السبعة إلا ما حدثنى عفان، عن حماد بن سلمة، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة بن جندب، عن النبى ﷺ قال: «نزل القرآن على ثلاثة أحرف»[(٢)].

قال أبو عبيد: ولا نرى المحفوظ إلا السبعة لأنها المشهورة، وليس معنى تلك السبعة أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه، وهذا شيء غير موجود، ولكنه عندنا أنه نزل سبع لغات متفرقة فى جميع القرآن من لغات العرب، فيكون الحرف الواحد منها بلغة قبيلة والثانى بلغة أخرى سوى الأولى، والثالث بلغة أخرى سواهما، كذلك إلى السبعة، وبعض الأحياء أسعد بها وأكثر حظا فيها من بعض، وذلك بين فى أحاديث تترى، قال: وقد روى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال: نزل القرآن على سبع لغات، منها خمس بلغة العجز من هوازن[(٣)].

قال أبو عبيد: والعجز هم بنو أسعد[(٤)] بن بكر، وجشم بن بكر، ونصر بن معاوية، وثقيف هم عليا[(٥)] هوازن الذين قال أبو عمرو بن العلاء: أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم يعنى دارم. ولهذا قال عمر: لا يملى فى مصاحفنا إلا غلمان قريش أو ثقيف[(٦)].

قال ابن جرير: واللغتان الأخريان: قريش وخزاعة رواه قتادة عن ابن عباس، ولكن لم يلقه[(٧)].

قال أبو عبيد: وحدثنا هُشَيْم عن حصين بن عبد الرحمن، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس؛ أنه كان يسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر. قال أبو عبيد: يعنى: أنه كان يستشهد به على التفسير[(٨)]. حدثنا هُشَيْم عن أبى بشر، عن سعيد أو مجاهد، عن ابن عباس فى قوله: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ [الانشقاق: ١٧]، قال: ما جمع وأنشد:

قد اتسقن لو يجدن سائقا[(٩)]

حدثنا هُشَيْم، أنبأنا[(١٠)] حصين، عن عكرمة، عن ابن عباس فى قوله: ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٤]، قال: الأرض، قال: وقال ابن عباس: قال أمية بن أبى الصلت:

عندهم لحم بحرٍ ولحم ساهرة[(١١)]

---

(١) فى جـ: «توارد».

(٢) فضائل القرآن (ص ٢٠٣) ورواه من طريق البيهقى فى السنن الكبرى (٢/ ٣٨٥).

(٣) فضائل القرآن (ص ٢٠٤).

(٤) فى ط: «سعد».

(٥) فى ط: «علياء».

(٦) فضائل القرآن (ص ٢٠٤).

(٧) تفسير الطبرى (١/ ٦٦).

(٨) فضائل القرآن (ص ٢٠٥).

(٩) فضائل القرآن (ص ٢٠٦).

(١٠) فى ط، جـ: «عن».

(١١) فضائل القرآن (ص ٢٠٦)، وكتب بين قوسين:

وفيها لحم ساهر وبحر وما فاهوا به لهم مقيم

حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: كنت لا أدرى ما ﴿ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [فاطر: ١]، حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها. يقول: أنا ابتدأتها[١]. إسناد جيد أيضا.

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير الطبرى، رحمه الله، بعد ما أورد طرفا مما تقدم: وصح وثبت أن الذى نزل به القرآن من ألسن العرب البعض منها دون الجمع[٢]، إذا كان معلوما أن ألسنتها ولغاتها أكثر من سبع بما يعجز عن إحصائه ثم قال: وما برهانك على ما قلته دون أن يكون معناه ما قاله مخالفوك، من أنه نزل بأمر وزجر، وترغيب وترهيب، وقصص ومثل، ونحو ذلك من الأقوال فقد علمت قائل ذلك من سلف الأمة وخيار الأئمة؟ قيل له: إن الذين قالوا ذلك لم يدعوا أن تأويل الأخبار التى تقدم ذكرها، هو ما زعمت أنهم قالوه فى الأحرف السبعة، التى نزل بها القرآن دون غيره فيكون ذلك لقولنا مخالفا، وإنما أخبروا أن القرآن نزل على سبعة أحرف، يعنون بذلك أنه نزل على[٣] سبعة أوجه، والذى قالوا من ذلك كما قالوا، وقد روينا بمثل الذى قالوا من ذلك عن رسول الله ﷺ وعن جماعة من الصحابة، من أنه نزل من سبعة أبواب الجنة، كما تقدم. يعنى كما تقدم فى رواية عن أبىّ بن كعب وعبد الله بن مسعود: أن القرآن نزل من سبعة أبواب الجنة[٤].

قال ابن جرير: والأبواب السبعة من الجنة هى المعانى التى فيها من الأمر والنهى، والترغيب والترهيب، والقصص والمثل، التى إذا عمل بها العامل وانتهى إلى حدودها المنتهى، استوجب بها الجنة.

ثم بسط القول فى هذا بما حاصله: أن الشارع رخص للأمة التلاوة على سبعة أحرف، ثم لما رأى الإمام أمير المؤمنين عثمان بن عفان، رضى الله عنه، اختلاف الناس فى القراءة، وخاف من تفرق كلمتهم ـ جمعهم على حرف واحد، وهو هذا المصحف الإمام، قال: واستوثقت له الأمة على ذلك بالطاعة، ورأت أن فيما فعله من ذلك الرشد والهداية، وتركت القراءة الأحرف الستة التى عزم عليها إمامها العادل فى تركها طاعة منها له، ونظر منها لأنفسها وعن بعدها من سائر أهل ملتها، حتى درست من الأمة معرفتها، وتعفت آثارها، فلا سبيل اليوم لأحد إلى القراءة بها لدثورها وعفو آثارها. إلى أن قال: فإن قال من ضعفت معرفته: وكيف جاز لهم ترك قراءة اقرأهموها رسول الله ﷺ وأمرهم بقراءتها؟ قيل: إن أمره إياهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض، وإنما كان أمر إباحة ورخصة؛ لأن القراءة بها لو كانت فرضا عليهم لوجب أن يكون العلم بكل حرف من تلك الأحرف السبعة عند من يقوم بنقله الحجة، ويقطع خبره العذر، ويزيل الشك من قراءة الأمة، وفى تركهم نقل ذلك كذلك أوضح الدليل على أنهم كانوا فى القراءة بها مخيرين. إلى أن قال: فأما ما كان من اختلاف القراءة فى رفع حرف ونصبه وجره وتسكين حرف وتحريكه، ونقل حرف إلى آخر مع اتفاق

---

(١) فضائل القرآن (ص ٢٠٦).
(٢) فى ط: «الجميع».
(٣) فى ط، جـ: «من».
(٤) تفسير الطبرى (١/٤٧).

الصورة فى معنى قول النبى ﷺ: «أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف» بعزل؛ لأن المراء فى مثل هذا ليس بكفر، فى قول أحد من علماء الأمة، وقد أوجب ﷺ بالمراء فى الأحرف السبعة الكفر، كما تقدم(١).

الحديث الثانى: قال البخارى، رحمه الله: حدثنا سعيد بن عفير، حدثنا الليث، حدثنا عقيل، عن ابن شهاب قال: أخبرنى عروة بن الزبير: أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن عبد القارئ حدثاه(٢) أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرأنيها رسول الله ﷺ، فكدت أساوره فى الصلاة، فتبصرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ. فقلت: كذبت، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إنى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها! فقال رسول الله ﷺ: «أرسله، اقرأ يا هشام»، فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: «كذلك أنزلت»، ثم قال: «اقرأ يا عمر»، فقرأت القراءة التى أقرأنى، فقال رسول الله ﷺ: «كذلك أنزلت. إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه»(٣).

وقد رواه الإمام أحمد والبخارى ـ أيضا ـ ومسلم وأبو داود والنسائى والترمذى من طرق عن الزهرى(٤)، ورواه الإمام أحمد ـ أيضا ـ عن ابن مهدى، عن مالك، عن الزهرى، عن عروة، عن عبد الرحمن بن عبدٍ، عن عمر، فذكر الحديث بنحوه(٥).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا حرب بن ثابت، حدثنا إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة، عن أبيه، عن جده قال: قرأ رجل عند عمر فغير عليه فقال: قرأت على رسول الله ﷺ فلم يغير علىّ قال: فاجتمعا عند النبى ﷺ، فقرأ الرجل على النبى ﷺ فقال له: «قد أحسنت». قال: فكأن عمر وجد من ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «يا عمر، إن القرآن كله صواب، ما لم يجعل عذاب مغفرة أو مغفرة عذابا»(٦).

وهذا إسناد حسن. وحرب بن ثابت هذا يكنى بأبى ثابت، لا نعرف أحداً جرحه.

وقد اختلف العلماء فى معنى هذه السبعة الأحرف وما أريد منها على أقوال: قال أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى القرطبى المالكى فى مقدمات تفسيره: وقد اختلف العلماء فى المراء بالأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولا، ذكرها أبو حاتم محمد بن حبان البستى، ونحن نذكر منها خمسة أقوال.

---

(١) تفسير الطبرى (١/ ٤٩).

(٢) فى ط، جـ: «أخبراه».

(٣) صحيح البخارى برقم (٤٩٩٢).

(٤) المسند (١/ ٢٤) وصحيح البخارى برقم (٢٤١٩) وصحيح مسلم برقم (٨١٨) وسنن أبى داود برقم (١٤٧٥) وسنن النسائى (٢/ ١٥٠) وسنن الترمذى برقم (٢٩٤٣).

(٥) المسند (١/ ٤٠).

(٦) المسند (٤/ ٣٠).

قلت: ثم سردها القرطبى، وحاصلها ما أنا مورده ملخصا:

فالأول ـ وهو قول أكثر أهل العلم، منهم سفيان بن عيينة، وعبد الله بن وهب، وأبو جعفر بن جرير، والطحاوى ـ: أن المراد سبعة أوجه من المعانى المتقاربة بألفاظ مختلفة نحو: أقبل وتعال وهلم. وقال الطحاوى: وأبين ما ذكر فى ذلك حديث أبى بكرة قال: جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال: اقرأ على حرف، فقال ميكائيل: استزده فقال: اقرأ على حرفين، فقال ميكائيل: استزده، حتى بلغ سبعة أحرف، فقال: اقرأ فكل شاف كاف إلا أن تخلط آية رحمة بآية عذاب، أو آية عذاب بآية رحمة، على نحو هلم وتعال وأقبل واذهب واسرع وعجل.

وروى عن ورقاء عن ابن أبى نَجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن أبىّ بن كعب: أنه كان يقرأ: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣]: «للذين آمنوا أمهلونا» «للذين آمنوا أخرونا» «للذين آمنوا ارقبونا»، وكان يقرأ: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٠]: «مروا فيه» «سعوا فيه». قال الطحاوى وغيره: وإنما كان ذلك رخصة أن يقرأ الناس القرآن على سبع لغات، وذلك لما كان يتعسر على كثير من الناس التلاوة على لغة قريش، وقرأه رسول الله ﷺ لعدم علمهم بالكتابة والضبط وإتقان الحفظ وقد ادّعى الطحاوى والقاضى الباقلانى والشيخ أبو عمرو بن عبد البر أن ذلك كان رخصة فى أول الأمر، ثم نسخ بزوال العذر وتيسير الحفظ وكثرة الضبط وتعلم الكتابة.

قلت: وقال بعضهم: إنما كان الذى جمعهم على قراءة واحدة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، رضى الله عنه، أحد الخلفاء الراشدين المهديين المأمور باتباعهم، وإنما جمعهم عليها لما رأى من اختلافهم فى القراءة المفضية إلى تفرق الأمة وتكفير بعضهم بعضاً، فرتب لهم المصاحف الأئمة على العرضة الأخيرة التى عارض بها جبريل رسول الله ﷺ فى آخر رمضان من عمره، عليه الصلاة والسلام، وعزم عليهم ألا يقرؤوا بغيرها، وألا يتعاطا الرخصة التى كانت لهم فيها سعة، ولكنها أفضت إلى الفرقة والاختلاف، كما ألزم عمر بن الخطاب الناس بالطلاق الثلاثة المجموعة حين تتابعوا فيها وأكثروا منها، قال: فلو أنا أمضيناه عليهم، فأمضاه عليهم. وكان كذلك ينهى عن المتعة فى أشهر الحج لئلا ينقطع زيارة البيت فى غير أشهر الحج. وقد كان أبو موسى يفتى بالتمتع فترك فتياه اتباعا لأمير المؤمنين وسمعا وطاعة لأئمة المهديين.

القول الثانى: أن القرآن نزل على سبعة أحرف، وليس المراد أن جميعه يقرأ على سبعة أحرف، ولكن بعضه على حرف وبعضه على حرف آخر. قال الخطابى: وقد يقرأ بعضه بالسبع لغات كما فى قوله: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠] و﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ [يوسف: ١٢]. قال القرطبى: ذهب إلى هذا القول أبو عبيد، واختاره ابن عطية. قال أبو عبيد: وبعض اللغات أسعدُ به من بعض، وقال القاضى الباقلانى: ومعنى قول عثمان: إنه نزل بلسان قريش، أى: معظمه، ولم يقم دليل على أن جميعه بلغة قريش كله، قال الله تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢]، ولم يقل: قرشيا. قال: واسم العرب يتناول جميع القبائل تناولا واحدا، يعنى حجازها ويمنها، وكذلك قال الشيخ أبو عمر بن

عبدالبر، قال: لأن غير لغة قريش موجودة فى صحيح القراءات بتحقيق الهمزات، فإن قريشا لا تهمز. وقال ابن عطية: قال ابن عباس: ما كنت أدرى ما معنى: ﴿ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [فاطر: ١]، حتى سمعت أعربيا يقول لبئر ابتدأ حفرها: أنا فطرتها.

القول الثالث: أن لغات القرآن السبع منحصرة فى مضر على اختلاف قبائلها خاصة؛ لقول عثمان: إن القرآن نزل بلغة(١) قريش، وقريش هم بنو النضر بن الحارث على الصحيح من أقوال أهل النسب، كما نطق به الحديث فى سنن ابن ماجه وغيره.

القول الرابع ـ وحكاه الباقلانى عن بعض العلماء ـ: أن وجوه القراءات ترجع إلى سبعة أشياء، منها ما تتغير حركته ولا تتغير صورته ولا معناه مثل: ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي ﴾ [الشعراء: ١٣] و «يضيقَ»، ومنها ما لا تتغير صورته ويختلف معناه مثل: ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ [سبأ: ١٩] و «باعَدَ بين أسفارنا»، وقد يكون الاختلاف فى الصورة والمعنى بالحرف مثل: ﴿ نُنشِزُهَا ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، و«نَنشُرُها»(٢)، أو بالكلمة مع بقاء المعنى [مثل](٣): ﴿ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ [القارعة: ٥]، أو «كالصوف المنفوش» أو باختلاف الكلمة بالتقدم والتأخر مثل: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ [ق: ١٩]، أو «سكرة الحق بالموت»، أو بالزيادة مثل «تسع وتسعون نعجة أنثى»، «وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين»(٤). «فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور».

القول الخامس: أن المراد بالأحرف السبعة معانى القرآن وهى: أمر، ونهى، ووعد، ووعيد، وقصص، ومجادلة، وأمثال. قال ابن عطية: وهذا ضعيف؛ لأن هذه لا تسمى حروفا، وأيضا فالإجماع أن التوسعة لم تقع فى تحليل حلال(٥)، ولا فى تغيير شىء من المعانى، وقد أورد القاضى الباقلانى فى هذا حديثاً، ثم قال: وليست هذه هى التى أجاز لهم القراء(٦) بها(٧).

فصل

قال القرطبى: قال كثير من علمائنا كالداودى وابن أبى صفرة وغيرهما: هذه القراءات السبع التى تنسب لهؤلاء القراء السبعة ليست هى الأحرف السبعة التى اتسعت الصحابة فى القراءة بها، وإنما هى راجعة إلى حرف واحد من السبعة وهو الذى جمع عليه عثمان المصحف. ذكره ابن النحاس وغيره.

قال القرطبى: وقد سوغ كل واحد من القراء السبعة قراءة الآخر وأجازها، وإنما اختار القراءة المنسوبة إليه لأنه رآها أحسن والأولى(٨) عنده. قال: وقد أجمع المسلمون فى هذه الأمصار على الاعتماد على ما صح عن هؤلاء الأئمة فيما رووه ورأوه من القراءات، وكتبوا فى ذلك مصنفات واستمر الإجماع على الصواب وحصل ما وعد الله به من حفظ الكتاب(٩).

قال البخارى، رحمه الله:

---

(١) فى جـ: «بلسان». (٢) فى جـ: «ينشرها». (٣) زيادة من ط.
(٤) كذا فى جـ، ط. (٥) فى جـ: «حرام». (٦) فى جـ: «القراءة».
(٧) تفسير القرطبى (١/ ٤٢ ـ ٤٧).
(٨) فى م: «وأولى».
(٩) تفسير القرطبى (١/ ٤٦).

تأليف القرآن

حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا هشام بن يوسف: أن ابن جريج أخبرهم قال: وأخبرنى يوسف ابن ماهك قال: إنى لعند عائشة أم المؤمنين، رضى الله عنها، إذ جاءها عراقى فقال: أى الكفن خير؟ قالت: ويحك! وما يضرك، قال: يا أم المؤمنين، أرينى مصحفك، قالت: لم؟ قال: لعلى أؤلف القرآن عليه، فإنه يقرأ غير مؤلف، قالت: وما يضرك أيه قرأت قبل، إنما أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شىء: ولا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإنى لجارية ألعب: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦]، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده، قال: فأخرجت له المصحف فأملت عليه آى السور(١). وهكذا رواه النسائى من حديث ابن جريج به(٢)، والمراد من التأليف ههنا ترتيب سوره. وهذا العراقى سأل أولا عن أى الكفن خير، أى: أفضل، فأخبرته عائشة، رضى الله عنها، أن هذا لا ينبغى أن يعتنى بالسؤال عنه ولا القصد له ولا الاستعداد، فإن فى هذا تكلفا لا طائل تحته، وكانوا فى ذلك الزمان يصفون أهل العراق بالتعنت فى الأسئلة، كما سأل بعضهم عبد الله بن عمر عن دم البعوض يصيب الثوب فقال عبد الله بن عمر: انظروا أهل العراق، يسألون عن دم البعوضة، وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ !(٣). ولهذا لم تبالغ معه عائشة، رضى الله عنها، فى الكلام لئلا يظن أن ذلك أمر مهم، وإلا فقد روى أحمد وأهل السنن من حديث سمرة وابن عباس عن رسول الله ﷺ قال: «البسوا من ثيابكم البياض، وكفنوا فيها موتاكم، فإنها أطهر وأطيب»(٤) وصححه الترمذى من الوجهين.

وفى الصحيحين عن عائشة، رضى الله عنها، أنها قالت: كفن رسول الله ﷺ فى ثلاثة أثواب بيض سحولية، ليس فيها قميص ولا عمامة(٥). وهذا محرر فى باب الكفن من كتاب الجنائز.

ثم سألها عن ترتيب القرآن فانتقل إلى سؤال كبير، وأخبرها أنه يقرأ غير مؤلف، أى: غير مرتب السور. وكأن هذا قبل أن يبعث أمير المؤمنين عثمان، رضى الله عنه، إلى الآفاق بالمصاحف الأئمة المؤلفة على هذا الترتيب المشهور اليوم، وقبل الإلزام به، والله أعلم.

ولهذا أخبرته: أنك لا يضرك بأى سورة بدأت، وأن أول سورة نزلت فيها ذكر الجنة والنار،

---

(١) صحيح البخارى برقم (٣٩٩٣).
(٢) سنن النسائى الكبرى برقم (٧٩٨٧).
(٣) رواه البخارى فى صحيحه برقم (٣٧٥٣).
(٤) حديث ابن عباس فى المسند (١/ ٢٣١، ٢٤٧) وسنن أبى داود برقم (٣٨٧٨) وسنن النسائى (٨/ ١٤٩) وسنن الترمذى برقم (٩٩٤) وسنن ابن ماجة برقم (١٤٧٢)، وحديث سمرة فى المسند (٥/ ٢٠) وسنن الترمذى برقم (٢٨١١) وسنن النسائى (٨/ ٢٠٥).
(٥) صحيح البخارى برقم (١٢٦٤) وصحيح مسلم برقم (٩٤١).

وهذه إن لم تكن «اقرأ» فقد يحتمل أنها أرادت اسم جنس لسور المفصل التى فيها الوعد والوعيد، ثم لما انقاد الناس إلى التصديق أمروا ونهوا بالتدريج أولا فأولا، وهذا من حكمة الله ورحمته. ومعنى هذا الكلام: أن هذه السورة أو السور التى فيها ذكر الجنة والنار ليس البداءة بها فى أوائل المصاحف، مع أنها من أول ما نزل، وهذه البقرة والنساء من أوائل ما فى المصحف، وقد نزلت عليه فى المدينة وأنا عنده.

فأما ترتيب الآيات فى السور فليس فى ذلك رخصة، بل هو أمر توقيفى عن رسول الله ﷺ، كما تقدم تقرير ذلك؛ ولهذا لم ترخص له فى ذلك، بل أخرجت له مصحفها، فأملت عليه آى السور، والله أعلم. وقول عائشة: لا يضرك بأى سورة بدأت، يدل على أنه لو قدم بعض السور أو أخر، كما دل عليه حديث حذيفة وابن مسعود، وهو فى الصحيح أنه، عليه السلام، قرأ فى قيام الليل بالبقرة ثم النساء[١] ثم آل عمران[٢]. وقد حكى القرطبى عن أبى بكر بن الأنبارى فى كتاب الرد أنه قال: فمن أخرّ سورة مقدمة أو قدم أخرى مؤخرة كمن أفسد نظم الآيات وغير الحروف والآيات[٣]، وكان مستنده اتباع مصحف عثمان، رضى الله عنه، فإنه مرتب على هذا النحو المشهور، والظاهر أن ترتيب السور فيه منه ما هو رجع إلى رأى عثمان، وذلك ظاهر فى سؤال ابن عباس له فى ترك البسملة فى أول براءة، وذكره الأنفال من الطول، والحديث فى الترمذى وغيره بإسناد جيد وقوى. وقد ذكرنا عن على أنه كان قد عزم على ترتيب القرآن بحسب نزوله.

ولقد حكى القاضى الباقلانى: أن أول مصحفه كان: «اقرأ باسم ربك الأكرم» وأول مصحف ابن مسعود: ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾ ثم البقرة، ثم النساء على ترتب مختلف، وأول مصحف أبىّ: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ** ﴾، ثم النساء، ثم آل عمران، ثم الأنعام، ثم المائدة، ثم كذا على اختلاف شديد، ثم قال القاضى: ويحتمل أن ترتيب السور فى المصحف على ما هو عليه اليوم من اجتهاد الصحابة، رضى الله عنهم ، وكذا ذكره مكى فى تفسير سورة براءة قال: فأما ترتيب الآيات والبسملة فى الأوائل فهو من النبى ﷺ.

وقال ابن وهب فى جامعه: سمعت سليمان بن بلال يقول: سئل ربيعة: لم قدمت البقرة وآل عمران، وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة؟ فقال: قدمتا وألف القرآن على علم ممن ألفه، وقد أجمعوا على العلم بذلك، فهذا مما ينتهى إليه ولا يسأل عنه. قال ابن وهب: وسمعت مالكا يقول: إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبى ﷺ[٤].

قال أبو الحسن بن بطال: إنا نجد[٥] تأليف سوره فى الرسم والخط خاصة ولا يعلم أن أحداً منهم

---

(١) فى جـ: «بالنساء».

(٢) رواه مسلم فى صحيحه برقم (٧٧٢).

(٣) تفسير القرطبى (١/ ٦٠).

(٤) ذكره القرطبى فى تفسيره (١/ ٥٩، ٦٠).

(٥) فى ط، جـ: «إنما يجب».

قال: إن ترتيب ذلك واجب فى الصلاة وفى قراءة القرآن ودرسه، وأنه لا يحل لأحد أن يقرأ الكهف قبل البقرة، ولا الحج قبل[١] الكهف، ألا ترى إلى قول عائشة: ولا يضرك أيه قرأت قبل. وقد كان النبى ﷺ يقرأ فى الصلاة السورة فى ركعة، ثم يقرأ فى الركعة الأخرى بغير السورة التى تليها.

وأما ما روى عن ابن مسعود وابن عمر أنهما كرها أن يقرأ القرآن منكوسا[٢]. وقالا: إنما ذلك منكوس القلب، فإنما عنيا بذلك من يقرأ السورة منكوسةً فيبتدئ بآخرها إلى أولها، فإن ذلك حرام محذور.

ثم قال البخارى: حدثنا آدم، عن شعبة، عن أبى إسحاق قال: سمعت عبد الرحمن بن يزيد قال: سمعت ابن مسعود يقول فى بنى إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادى[٣]. انفرد البخارى بإخراجه والمراد منه ذكر ترتيب هذه السور فى مصحف ابن مسعود كالمصاحف العثمانية، وقوله: «من العتاق الأول» أى: من قديم ما نزل، وقوله: «وهن من تلادى» أى: من قديم ما قنيت وحفظت. والتالد فى لغتهم: قديم المال والمتاع، والطارف حديثه وجديده، والله أعلم.

وحدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة، حدثنا أبو إسحاق: سمع البراء بن عازب يقول: تعلمت ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ قبل أن يقدم النبى ﷺ[٤]. وهذا متفق عليه، وهو قطعة من حديث الهجرة، والمراد منه أن ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ مكية نزلت قبل الهجرة، والله أعلم.

ثم قال: حدثنا عبْدَان، عن أبى حمزة، عن الأعمش، عن شقيق قال: قال عبد الله: لقد علمت النظائر التى[٥] كان النبى ﷺ يقرأهن اثنين اثنين فى كل ركعة، فقام عبد الله ودخل معه علقمة، وخرج علقمة فسألناه فقال: عشرون سورة من أول المفصل على تأليف ابن مسعود، آخرهن من الحواميم حم الدخان وعمّ يتساءلون.

وهذا التأليف الذى عن ابن مسعود غريب مخالف لتأليف عثمان، رضى الله عنه، فإن المفصل فى مصحف عثمان، رضى الله عنه، من سورة الحجرات إلى آخره وسورة الدخان، لا تدخل فيه بوجه، والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد:

حدثنا عبد الرحمن بن مهدى، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الطائفى، عن عثمان بن عبد الله ابن أوس الثقفى عن جده أوس بن حذيفة قال: كنت فى الوفد الذين أتوا النبى ﷺ فذكر حديثا فيه: أن رسول الله ﷺ كان يسمر معهم بعد العشاء فمكث عنا ليلة لم يأتنا، حتى طال ذلك علينا بعد العشاء. قال: قلنا: ما أمكثك عنا يا رسول الله؟ قال: «طرأ على حزب من القرآن، فأردت ألا أخرج حتى أقضيه». قال: فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ حين أصبحنا، قال: قلنا: كيف تحزبون القرآن؟

(١) فى ط، جـ: «بعد».
(٢) فى جـ: «مقلوباً».
(٣) صحيح البخارى برقم (٤٩٩٤).
(٤) صحيح البخارى برقم (٤٩٩٥).
(٥) فى ط: «الذى».

قالوا: نحزبه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشرة سورة، وثلاث عشرة سورة، وحزب المفصل من قاف حتى يختم[(١)].

ورواه أبو داود وابن ماجة من حديث عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الطائفى به[(٢)]، وهذا إسناد حسن.

فصل

فأما نقط المصحف وشكله، فيقال: إن أول من أمر به عبد الملك بن مروان، فتصدى لذلك الحجاج وهو بواسط، فأمر الحسن البصرى ويحيى بن يعمر ففعلا ذلك، ويقال: إن أول من نقط المصحف أبو الأسود الدؤلى، وذكروا أنه كان لمحمد بن سيرين مصحف قد نقطه له يحيى بن يعمر[(٣)]، والله أعلم.

وأما كتابة الأعشار على الحواشى فينسب إلى الحجاج أيضا، وقيل: بل أول من فعله المأمون، وحكى أبو عمرو الدانى عن ابن مسعود أنه كره التعشير فى المصحف، وكان يحكه[(٤)]، وكره مجاهد ذلك أيضا.

وقال مالك: لا بأس به بالحبر، فأما بالألوان المصبغة فلا. وأكره تعداد آى السور فى أولها فى المصاحف الأمهات، فأما ما يتعلم فيه الغلمان فلا أرى به بأسا.

وقال قتادة: بدؤوا فنقطوا، ثم خمسوا، ثم عشروا. وقال يحيى بن أبى كثير: أول ما أحدثوا النقط على الباء والتاء والثاء، وقالوا: لا بأس به، هو نور له، أحدثوا نقطاً عند آخر الآى، ثم أحدثوا الفواتح والخواتم.

ورأى إبراهيم النخعى فاتحة سورة كذا، فأمر بمحوها وقال: قال ابن مسعود: لا تخلطوا بكتاب الله ما ليس فيه. قال أبو عمرو الدانى: ثم قد أطبق المسلمون فى ذلك فى سائر الآفاق على جواز ذلك فى الأمهات وغيرها.

ثم قال البخارى، رحمه الله:

كان جبريل يعرض القرآن على النبى ﷺ

قال مسروق عن عائشة، عن فاطمة، رضى الله عنها، أسر إلىّ رسول الله ﷺ: أن جبريل كان يعارضنى بالقرآن كل سنة وأنه عارضنى العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلى. هكذا ذكره معلقا وقد أسنده فى موضع آخر[(٥)].

ثم قال: حدثنا يحيى بن قزعة، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن الزهرى، عن عبد الله بن عبيد الله،

---

(١) المسند (٤/٩).

(٢) سنن أبى داود برقم (١٣٩٣) وسنن ابن ماجة برقم (١٣٤٥).

(٣) رواه ابن أبى داود فى المصاحف (ص ١٦٠).

(٤) رواه أبو عبيد فى فضائل القرآن (ص ٢٤٠).

(٥) صحيح البخارى (٩/٤٣) «فتح».

عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وأجود ما يكون في شهر رمضان؛ لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة، وهذا الحديث متفق عليه(١)، وقد تقدم الكلام عليه في أول الصحيح وما فيه من الحكم والفوائد، والله أعلم.

ثم قال: حدثنا خالد بن يزيد، حدثنا أبو بكر، عن أبي حصين، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: كان يعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه، وكان يعتكف كل عام عشرا فاعتكف عشرين في العام الذي قبض.

ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجة من غير وجه عن أبي بكر ـ وهو ابن عياش ـ عن أبي حصين، واسمه عثمان بن عاصم، به(٢). والمراد من معارضته له بالقرآن كل سنة: مقابلته على ما أوحاه إليه عن الله تعالى، ليبقى ما بقي، ويذهب ما نسخ توكيداً، أو استثباتاً وحفظاً؛ ولهذا عرضه في السنة الأخيرة من عمره، عليه السلام، على جبريل مرتين، وعارضه به جبريل كذلك؛ ولهذا فهم، عليه السلام، اقتراب أجله وعثمان، رضي الله عنه، جمع المصحف الإمام على العرضة الأخيرة، وخصّ بذلك رمضان من بين الشهور؛ لأن ابتداء الإيحاء كان فيه؛ ولهذا يستحب دراسة القرآن وتكراره فيه، ومن ثم اجتهاد الأئمة فيه في تلاوة القرآن، كما تقدم ذكرنا لذلك.

القراء من أصحاب النبي ﷺ

حدثنا حفص بن عمر، حدثنا شعبة، عن عمرو، عن إبراهيم، عن مسروق: ذكر عبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود، فقال: لا أزال أحبه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله، وسالم، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب»، رضي الله عنهم(٣).

وقد أخرجه البخاري في المناقب في غير موضع، ومسلم والنسائي من حديث شعبة، عن عمرو ابن مرة به(٤).

وأخرجاه والترمذي والنسائي ـ أيضا ـ من حديث الأعمش عن أبي وائل، عن مسروق به(٥). فهؤلاء الأربعة اثنان من المهاجرين الأولين عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة، وقد كان سالم هذا من سادات المسلمين وكان يؤم الناس قبل مقدم النبي ﷺ في المدينة، واثنان من الأنصار معاذ بن جبل، وأبيّ بن كعب، وهما سيدان كبيران، رضي الله عنهم أجمعين.

ثم قال: حدثنا عمر بن حفص، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا شقيق بن سلمة قال: خطبنا

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٩٩٧) وصحيح مسلم برقم (٢٣٠٨).
(٢) صحيح البخاري برقم (٤٩٩٨) وسنن أبي داود برقم (٢٤٦٦) وسنن النسائي الكبرى برقم (٧٩٩٢) وسنن ابن ماجة برقم (١٧٦٩).
(٣) صحيح البخاري برقم (٤٩٩٩).
(٤) صحيح البخاري برقم (٣٨٠٦، ٣٧٥٨) وصحيح مسلم برقم (٢٤٦٤) وسنن النسائي الكبرى برقم (٧٩٩٦).
(٥) صحيح البخاري برقم (٣٧٦٠) وصحيح مسلم برقم (٢٤٦٤) وسنن الترمذي برقم (٣٨١٠) وسنن النسائي الكبرى برقم (٧٩٩٧).

عبد الله فقال: والله لقد أخذت من فى رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبى ﷺ أنى من أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم. قال شقيق: فجلست فى الحلق أسمع ما يقولون، فما سمعت راداً يقول غير ذلك(١).

حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة قال: كنا بحمص، فقرأ ابن مسعود سورة يوسف فقال رجل: ما هكذا أنزلت، فقال: قرأت على رسول الله ﷺ فقال: «أحسنت» ووجد منه ريح الخمر، فقال: أتجترئ أن تكذب بكتاب الله وتشرب الخمر؟! فجلده الحد(٢).

حدثنا عمر بن حفص، حدثنا أبى، حدثنا الأعمش، حدثنا مسلم، عن مسروق قال: قال عبد الله: والله الذى لا إله غيره، ما أنزلت (٣) سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، ولو أعلم أحدا أعلم منى تبلغه الإبل لركبت إليه(٤).

وهذا كله حق وصدق، وهو من إخبار الرجل بما يعلم عن نفسه ما قد يجهله غيره، فيجوز ذلك للحاجة، كما قال تعالى إخبارا عن يوسف لما قال لصاحب مصر: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، ويكفيه مدحا وثناء قول رسول الله ﷺ: «استقرئوا القرآن من أربعة»، فبدأ به.

وقال أبو عبيد: حدثنا مصعب بن المقدام عن سفيان عن الأعمش عن إبراهيم، عن علقمة، عن عمر عن النبى ﷺ قال: «من أحب أن يقرأ القرآن غضّا كما أنزل فليقرأه على حرف ابن أم عبد»(٥). وهكذا رواه الإمام أحمد، عن أبى معاوية، عن الأعمش به مطولا، وفيه قصة(٦)، وأخرجه الترمذى والنسائى من حديث أبى معاوية وصححه الدارقطنى(٧)، وقد ذكرته فى مسند عمر(٨)، وفى مسند الإمام أحمد - أيضا - عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ومن أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد»(٩)، وابن أم عبد هو عبد الله بن مسعود، وكان يعرف بذلك.

ثم قال البخارى: حدثنا حفص بن عمر، حدثنا همام، حدثنا قتادة قال: سألت أنس بن مالك: من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ؟ قال: أربعة، كلهم من الأنصار: أبىّ بن كعب، ومعاذ بن

---

(١) صحيح البخارى برقم (٥٠٠٠).
(٢) صحيح البخارى برقم (٥٠٠١).
(٣) فى جـ: «ما نزلت».
(٤) صحيح البخارى برقم (٥٠٠٢).
(٥) فضائل القرآن (ص٢٢٥).
(٦) المسند (١/٢٥، ٢٦).
(٧) سنن الترمذى برقم (١٦٩) وسنن النسائى الكبرى برقم (٨٢٥٦).
(٨) مسند عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - للمؤلف (ص١٧١ - ١٧٣) وقال: «وهذا الحديث لا يشك أنه محفوظ، وهذا الاضطراب لا يضر صحته، والله أعلم».
(٩) المسند (٢/٤٤٦).

جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد. ورواه مسلم من حديث همام[١].

ثم قال البخارى: تابعه الفضل، عن حسين بن واقد، عن ثمامة، عن أنس [٢].

حدثنا معلى بن أسد، حدثنا عبد الله بن المثنى قال: حدثنى ثابت البنانى وثمامة عن أنس بن مالك قال: مات النبى ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد. قال: ونحن ورثناه[٣].

فهذا الحديث ظاهره أنه لم يجمع القرآن من الصحابة سوى هؤلاء الأربعة فقط، وليس هذا هكذا، بل الذى لاشك فيه أنه جمعه غير واحد من المهاجرين أيضا، ولعل مراده: لم يجمع القرآن من الأنصار؛ ولهذا ذكر الأربعة من الأنصار، وهم أبى بن كعب فى الرواية الأولى المتفق عليها وفى الثانية من أفراد البخارى: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، وكلهم مشهورون إلا أبا زيد هذا، فإنه غير معروف إلا فى هذا الحديث، وقد اختلف فى اسمه فقال الواقدى: اسمه قيس بن السكن بن قيس بن زعواء بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار[٤].

وقال ابن نمير: اسمه سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أمية من الأوس. وقيل: هما اثنان جمعا القرآن، حكاه أبو عمر بن عبد البر، وهذا بعيد وقول الواقدى أصح لأنه خزرجى؛ لأن أنساً قال: ونحن ورثناه، وهم من الخزرج، وفى بعض ألفاظه[٥]: وكان أحد عمومتى. وقال قتادة عن أنس: افتخر الحيان الأوس والخزرج، فقالت الأوس: منا غسيل الملائكة حنظلة بن أبى عامر، ومنا الذى حمته الدبُرُ عاصم بن ثابت، ومنا الذى اهتز لموته العرش سعد بن معاذ، ومنا من أجيزت شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت .

فقالت الخزرج: منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ: أبىّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد.

فهذا كله يدل على صحة قول الواقدى، وقد شهد أبو زيد هذا بدرا، فيما ذكره غير واحد. وقال موسى بن عقبة عن الزهرى: قتل أبو زيد قيس بن السكن يوم جسر [٦] أبى عبيدة على رأس خمس عشرة [٧] من الهجرة، والدليل على أن [٨] من المهاجرين من جمع القرآن أن الصديق، رضى الله عنه، قدّمه رسول الله ﷺ فى مرضه [٩] إماما على المهاجرين والأنصار، مع أنه ﷺ قال: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله» [١٠] ،فلولا أنه كان أقرؤهم لكتاب الله لما قدّمه عليهم. هذا مضمون ما قرره

---

(١) صحيح البخارى برقم (٥٠٠٣) وصحيح مسلم برقم (٢٤٦٥).
(٢) فى جـ: «أنس بن مالك».
(٣) صحيح البخارى برقم (٥٠٠٤).
(٤) انظر: الإصابة (٣/ ٢٤٠).
(٥) فى ط: «الألفاظ».
(٦) فى ط: «خيبر». (٧) فى ط: «عشرة سنة». (٨) فى ط: «أنه».
(٩) فى جـ، ط: «زمنه».
(١٠) رواه مسلم فى صحيحه برقم (٦٧٢) من حديث أبى مسعود الأنصارى.

الشيخ أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعرى، وهذا التقرير لا يُدفع ولاشك [1] فيه، وقد جمع الحافظ ابن السمعانى فى ذلك جزءاً، وقد بسطت تقرير ذلك فى كتاب مسند الشيخين، رضى الله عنهما. ومنهم عثمان بن عفان وقد قرأه فى ركعة ـ كما سنذكره ـ وعلى بن أبى طالب يقال: إنه جمعه على ترتيب ما أنزل، وقد قدمنا هذا. ومنهم عبد الله بن مسعود، وقد تقدم عنه أنه قال: ما من آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت[2]؟ وفيم نزلت؟ ولو علمت أحدا أعلم منى بكتاب الله تبلغه المطى لذهبت إليه. ومنهم سالم مولى أبى حذيفة، كان من السادات النجباء والأئمة الأتقياء وقد قتل يوم اليمامة شهيدا. ومنهم الحبر البحر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله[3] ﷺ وترجمان القرآن، وقد تقدم عن مجاهد أنه قال: قرأت القرآن على ابن عباس مرتين، أقفه عند كل آية وأسأله عنها. ومنهم عبد الله بن عمرو، كما رواه النسائى وابن ماجة من حديث ابن جريج عن عبد الله بن أبى مُلَيْكة، عن يحيى بن حكيم بن صفوان، عن عبد الله بن عمرو قال: جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «اقرأه فى شهر». وذكر تمام الحديث[4].

ثم قال البخارى: حدثنا صدقة بن الفضل، حدثنا يحيى، عن سفيان، عن حبيب بن أبى ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال عمر: علىٌّ أقضانا، وأُبىّ أقرأنا، وإنا لَنَدع من لحن أُبىٍّ، وأُبىّ يقول: أخذته من فى رسول الله ﷺ، فلا أتركه لشىء قال الله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ [البقرة: ١٠٦][5].

وهذا يدل على أن الرجل الكبير قد يقول الشىء يظنه صوابا وهو خطأ فى نفس الأمر؛ ولهذا قال الإمام مالك: ما من أحد إلا يؤخذ من قوله ويرد إلا قول صاحب هذا القبر، أى: فكله مقبول، صلوات الله وسلامه عليه. ثم ذكر البخارى فضل فاتحة الكتاب وغيرها، وسنذكر فضل كل سورة عندها ليكون ذلك أنسب. ثم قال:

نزول السكينة والملائكة عند القراءة

وقال الليث: حدثنى يزيد بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، عن أسيد بن الحضير قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوطة عنده، إذ جالت الفرس، فسكت فسكنت، ثم قرأ فجالت[6]، فسكت فسكنت، ثم قرأ فجالت الفرس، فانصرف، وكان ابنه يحيى قريبا منها، فأشفق أن تصيبه، فلما اجتره رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدث النبى ﷺ فقال: «اقرأ يا بن حضير، اقرأ يا بن حضير». قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريبا، فرفعت رأسى وانصرفت إليه، فرفعت رأسى إلى السماء فإذا مثل الظُّلَّة، فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتى لا أراها قال: « أو تدرى[7] ما ذاك؟». قال: لا، قال: «الملائكة دَنَتْ لصوتك، ولو قرأت لأصبحت

---

(١) فى ط: «ولا يشك». (٢) فى ط: «أنزلت». (٣) فى ط: «الرسول».
(٤) سنن النسائى الكبرى برقم (٨٠٦٤) وسنن ابن ماجة برقم (١٣٤٦).
(٥) صحيح البخارى برقم (٥٠٠٥).
(٦) فى جـ، ط: «فجالت الفرس». (٧) فى ط: «وتدرى».

ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم». قال ابن الهاد: وحدثنى هذا الحديث عبد الله بن خباب عن أبى سعيد الخدرى عن أسيد بن الحضير[(١)].

هكذا أورد البخارى هذا الحديث معلقا، وفيه انقطاع فى الرواية الأولى، فإن محمد بن إبراهيم ابن الحارث التيمى المدنى تابعى صغير لم يدرك أسيدا لأنه مات سنة عشرين، وصلى عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضى الله عنهما. ثم فيه غرابة من حيث إنه قال: وقال الليث: حدثنى يزيد بن الهاد ولم أره بسند متصل عن الليث بذلك، إلا ما ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى الأطراف أن يحيى بن عبد الله بن بكير رواه عن الليث كذلك[(٢)].

وقد رواه الإمام أبو عبيد فى فضائل القرآن فقال: حدثنا عبد الله بن صالح ويحيى بن بُكيْر، عن الليث، عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى، عن أسيد ابن حضير، فذكر الحديث إلى آخره، ثم قال: [قال][(٣)] ابن الهاد: وحدثنى عبد الله بن خباب، عن أبى سعيد، عن أسيد بن حضير بهذا[(٤)].

وقد رواه النسائى فى فضائل القرآن، عن محمد بن عبد الله بن [عبد][(٥)] الحكم عن شعيب بن الليث، وعن على بن محمد بن على، عن داود بن منصور، كلاهما عن الليث، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبى هلال، عن يزيد بن عبد الله، وهو ابن الهاد، عن عبد الله بن خباب، عن أبى سعيد، عن أسيد، به[(٦)]. ورواه يحيى بن بكير، عن الليث كذلك أيضا، فجمع بين الإسنادين. ورواه فى المناقب عن أحمد بن سعيد الرباطى، عن يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه، عن يزيد بن الهاد، عن عبد الله بن خباب، عن أبى سعيد، أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ فى مربده، الحديث. ولم يقل: عن أسيد، ولكن ظاهره أنه عنه، والله أعلم[(٧)].

وقال أبو عبيد: حدثنى عبد الله بن صالح، عن الليث، عن ابن شهاب، عن ابن كعب بن مالك، عن أسيد بن حضير: أنه كان على ظهر بيته يقرأ القرآن وهو حسن الصوت، ثم ذكر مثل هذا الحديث أو نحوه[(٨)]:

حدثنا قبيصة، عن حماد بن سلمة، عن ثابت البنانى، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، عن أسيد ابن حضير قال: قلت: يا رسول الله، بينما أنا أقرأ البارحة بسورة، فلما انتهيت إلى آخرها سمعت

---

(١) صحيح البخارى برقم (٥٠١٨).
(٢) انظر: تحفة الأشراف للمزى (١/٧٢).
(٣) زيادة من ط.
(٤) فضائل القرآن (ص ٢٦).
(٥) زيادة من ط.
(٦) سنن النسائى الكبرى برقم (٨٠٧٤).
(٧) سنن النسائى الكبرى برقم (٨٢٤٤).
(٨) فضائل القرآن (ص ٢٧) .

وجبة من خلفي، حتى ظننت أن فرسي تطلق، فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ أبا عتيك» [مرتين][(١)] قال: فالتفت إلى أمثال المصابيح ملء بين السماء والأرض، فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ أبا عتيك». فقال: والله ما استطعت أن أمضي فقال: «تلك الملائكة نزلت لقراءة القرآن، أما إنك لو مضيت لرأيت الأعاجيب»[(٢)].

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق سمع البراء يقول: بينما رجل يقرأ سورة الكهف ليلة إذ رأى دابته تركض، أو قال: فرسه يركض، فنظر فإذا مثل الضبابة أو مثل الغمامة، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «تلك السكينة نزلت للقرآن، أو تنزلت على القرآن»[(٣)]. وقد أخرجه صاحبا الصحيح من حديث شعبة[(٤)]. والظاهر أن هذا هو أسيد بن الحضير، رضي الله عنه، فهذا ما يتعلق بصناعة الإسناد، وهذا من أغرب تعليقات البخاري، رحمه الله، ثم سياق ظاهر فيما ترجم عليه من نزول السكينة والملائكة عند القراءة.

وقد اتفق نحو هذا الذي وقع لأسيد بن الحضير لثابت بن قيس بن شماس كما قال أبو عبيد:

حدثنا عباد بن عباد عن جرير بن حازم، عن عمه جرير بن زيد[(٥)]، أن أشياخ أهل المدينة حدثوه: أن رسول الله ﷺ قيل له: ألم تر ثابت بن قيس بن شماس لم تزل داره البارحة تزهر مصابيح؟ قال: «فلعله قرأ سورة البقرة». قال: فسئل ثابت فقال: قرأت سورة البقرة[(٦)].

وفي الحديث المشهور الصحيح: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه فيما بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحَفَّتْهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده» رواه مسلم عن أبي هريرة[(٧)].

ولهذا قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، وجاء في بعض التفاسير: أن الملائكة تشهده. وقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، فيعرج إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون»[(٨)].

---

(١) زيادة من ط.

(٢) فضائل القرآن (ص ٢٢٧).

(٣) مسند الطيالسي برقم (٧١٤).

(٤) صحيح البخاري برقم (٣٦١٤) وصحيح مسلم برقم (٧٩٥).

(٥) في ط، م: «يزيد».

(٦) فضائل القرآن (ص ٢٧).

(٧) صحيح مسلم برقم (٢٦٩٩).

(٨) صحيح البخاري برقم (٥٥٥) وصحيح مسلم برقم (٦٣٢).

من قال: لم يترك النبى ﷺ إلا ما بين الدفتين

حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا سفيان، عن عبد العزيز بن رفيع قال: دخلت أنا وشداد بن معقل على ابن عباس، فقال له شداد بن معقل: أترك النبى ﷺ من شىء؟ قال: ما ترك إلا ما بين الدفتين. قال: ودخلنا على محمد بن الحنفية فسألناه فقال: ما ترك إلا ما بين الدفتين.

تفرد به البخارى(١)، ومعناه: أنه، عليه السلام، ما ترك مالا ولا شيئا يورث عنه، كما قال عمرو ابن الحارث أخو جويرية بنت الحارث: ما ترك رسول الله ﷺ دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة ولا شيئا(٢). وفى حديث أبى الدرداء: «إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر»(٣). ولهذا قال ابن عباس: وإنما ترك ما بين الدفتين يعنى: القرآن، والسنة مفسرة له ومبينة وموضحة له، فهى تابعة له، والمقصود الأعظم كتاب الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الآية [فاطر: ٣٢]، فالأنبياء، عليهم السلام، لم يخلقوا للدنيا يجمعونها ويورثونها، إنما خلقوا للآخرة يدعون إليها ويرغبون فيها؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ: «لا نورث ما تركنا فهو صدقة»(٤)، وكان أول من أظهر هذه المحاسن من هذا الوجه أبو بكر الصديق، رضى الله عنه، لما سئل عن ميراث النبى ﷺ، فأخبر عنه بذلك، ووافقه على نقله عنه، عليه السلام، غير واحد من الصحابة؛ منهم عمر وعثمان وعلى والعباس وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وأبو هريرة وعائشة وغيرهم، وهذا ابن عباس يقول ـ أيضا ـ عنه عليه السلام، رضى الله عنهم أجمعين.

فضل القرآن على سائر الكلام

حدثنا هُدْبَة بن خالد أبو خالد، حدثنا همام، حدثنا قتادة، حدثنا أنس بن مالك، عن أبى موسى، رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ: «مثل الذى يقرأ القرآن كمثل الأُتْرُجة، طعمها طيب وريحها طيب. والذى لا يقرأ القرآن كالتمرة، طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها»(٥). وهكذا رواه فى مواضع أخر مع بقية الجماعة من طرق عن قتادة به(٦).

ووجه مناسبة الباب لهذا الحديث: أن طيب الرائحة دار مع القرآن وجودا وعدما، فدل على شرفه على ما سواه من الكلام الصادر من البر والفاجر. ثم قال: حدثنا مُسَدَّد، حدثنا يحيى، عن سفيان، حدثنى عبد الله بن دينار، قال: سمعت ابن عمر عن النبى ﷺ قال: «إنما أجلكم فى أجل من خلا

---

(١) صحيح البخارى برقم (٥٠١٩).

(٢) رواه البخارى فى صحيحه برقم (٢٧٣٩، ٤٤٦١).

(٣) رواه أبو داود فى السنن برقم (٣٦٤١) وابن ماجة فى السنن برقم (٢٢٣) وابن حبان فى صحيحه برقم (٨٠) «موارد».

(٤) رواه البخارى فى صحيحه برقم (٣٠٩٣) ومسلم فى صحيحه برقم (١٧٥٨).

(٥) صحيح البخارى برقم (٥٠٢٠).

(٦) صحيح البخارى برقم (٥٤٢٧، ٥٠٥٩) وصحيح مسلم برقم (٧٩٧) وسنن أبى داود برقم (٤٨٣٠) وسنن الترمذى برقم (٢٨٦٥) وسنن النسائى (٨/ ١٢٤، ١٢٥) وسنن ابن ماجة برقم (٢١٤).

من الأمم كما بين صلاة العصر ومغرب الشمس، ومثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالا، فقال: من يعمل لى إلى نصف النهار على قيراط؟ فعملت اليهود فقال: من يعمل لى من نصف النهار إلى العصر؟ فعملت النصارى، ثم أنتم تعملون من العصر إلى المغرب بقيراطين قيراطين، قالوا: نحن أكثر عملا وأقل عطاءً! قال: هل ظلمتكم من حقكم؟ قالوا: لا. قال: فذلك فضلى أوتيه من شئت»(١).

تفرد به من هذا الوجه، ومناسبته للترجمة: أن هذه الأمة مع قصر مدتها فضلَتْ الأمم الماضية مع طول مدتها، كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وفى المسند والسنن عن بَهْزِ بن حكيم، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله»(٢). وإنما فازوا بهذا ببركة الكتاب العظيم الذى شرفه الله تعالى على كل كتاب أنزله، جعله مهيمنا عليه، وناسخا له، وخاتما له؛ لأن كل الكتب المتقدمة نزلت إلى الأرض جملة واحدة، وهذا القرآن نزل منجما بحسب الوقائع لشدة الاعتناء به وبمن أنزله عليه، فكل مرة كنزول كتاب من الكتب المتقدمة، وأعظم الأمم المتقدمة هم اليهود والنصارى، فاليهود استعملهم الله من لدن موسى إلى زمان عيسى، والنصارى من ثمّ إلى أن بعث محمد ﷺ، ثم استعمل أمته إلى قيام الساعة، وهو المشبه بآخر النهار، وأعطى الله المتقدمين قيراطا قيراطا، وأعطى هؤلاء قيراطين قيراطين، ضعفى ما أعطى أولئك، فقالوا: أى ربنا، ما لنا أكثر عملا وأقل أجرا؟ فقال: هل ظلمتكم شيئا؟ قالوا: لا، قال: فذلك فضلى أى: الزائد على ما أعطيتكم أؤتيه من أشاء كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٨، ٢٩].

الوصايا بكتاب الله

حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا مالك بن مِغْوَل، حدثنا طلحة بن مُصَرِّف قال: سألت عبد الله ابن أبى أوفى: أوصى النبى ﷺ؟ قال: لا. فقلت: كيف كتب على الناس الوصية، أمروا بها ولم يوص؟ قال: أوصى بكتاب الله، عز وجل(٣).

وقد رواه فى مواضع أخر مع بقية الجماعة، إلا أبا داود من طرق عن مالك بن مغول به(٤)، وهذا نظير ما تقدم عن ابن عباس: «ما ترك إلا ما بين الدفتين»، وذلك أن الناس كتب عليهم الوصية فى أموالهم كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]. وأما هو ﷺ فلم يترك شيئا يورث عنه، وإنما ترك ماله صدقة جارية من

(١) صحيح البخارى برقم (٥٠٢١).

(٢) المسند (٣/٥) وسنن الترمذى برقم (٣٠٠١) وسنن ابن ماجة برقم (٤٢٨٧، ٤٢٨٨) وقال الترمذى: «حديث حسن».

(٣) صحيح البخارى برقم (٥٠٢٢).

(٤) صحيح البخارى برقم (٢٧٤٠، ٤٤٦٠) وصحيح مسلم برقم (١٦٣٤) وسنن الترمذى برقم (٢١١٩) وسنن النسائى (٦/ ٢٤٠) وسنن ابن ماجة برقم (٢٦٩٦).

بعده، فلم يحتج إلى وصية فى ذلك ولم يوصِ إلى خليفة يكون بعده على التنصيص؛ لأن الأمر كان ظاهرا من إشارته وإيمائه إلى الصديق؛ ولهذا لما هم بالوصية إلى أبى بكر ثم عدل عن ذلك فقال: «يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»[١]، وكان كذلك، وإنما أوصى الناس باتباع كتاب الله تعالى.

من لم يتغنَّ بالقرآن وقول الله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١].

حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، حدثنا عقيل، عن ابن شهاب قال: أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن، عن أبى هريرة، رضى الله عنه، أنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ: «لم يأذن الله لشىء، ما أذن لنبى أن يتغنى بالقرآن»، وقال صاحب له: يريد يجهر به فرد من هذا الوجه. ثم رواه عن على بن عبد الله بن المدينى، عن سفيان بن عيينة، عن الزهرى به[٢]. قال سفيان: تفسيره: يستغنى به، وقد أخرجه مسلم والنسائى من حديث سفيان بن عيينة[٣]، ومعناه: أن الله ما استمع لشىء كاستماعه لقراءة نبى يجهر بقراءته ويحسنها، وذلك أنه يجتمع فى قراءة الأنبياء طيب الصوت لكمال خلقهم وتمام الخشية، وذلك هو الغاية فى ذلك.

وهو، سبحانه وتعالى، يسمع أصوات العباد كلهم برهم وفاجرهم، كما قالت عائشة، رضى الله عنها: سبحان الله الذى وسع سمعه الأصوات[٤]. ولكن استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ الآية [يونس: ٦١]، ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ كما دل عليه هذا الحديث العظيم، ومنهم من فسر الأذن ههنا بالأمر، والأول أولى لقوله: «ما أذن الله لشىء ما أذن لنبى أن يتغنى بالقرآن» أى: يجهر به، والأذن: الاستماع؛ لدلالة السياق عليه، وكما قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ. وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ. وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ. وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ. وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١ ـ ٥] أى: وحق لها أن تستمع أمره وتطيعه، فالأذن هو الاستماع؛ ولهذا جاء فى حديث رواه ابن ماجة بسند جيد عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله ﷺ: «لله أشد أذنا إلى الرجل[٥] الحسن الصوت بالقرآن [يجهر به][٦] من صاحب القينة إلى قينته»[٧].

وقال سفيان بن عيينة: إن المراد بالتغنى: يستغنى به، فإن أراد: أنه يستغنى عن الدنيا، وهو الظاهر من كلامه الذى تابعه عليه أبو عبيد القاسم بن سلام وغيره، فخلاف الظاهر من مراد الحديث؛ لأنه قد فسره بعض رواته بالجهر، وهو تحسين القراءة والتحزين بها[٨].

(١) رواه البخارى فى صحيحه برقم (٧٢١٧) ومسلم فى صحيحه برقم (٢٣٨٧) من حديث عائشة، رضى الله عنها.
(٢) صحيح البخارى برقم (٥٠٢٣)، (٥٠٢٤).
(٣) صحيح مسلم برقم (٧٩٢) وسنن النسائى (٢/ ١٨٠).
(٤) رواه النسائى فى السنن (٦/ ١٦٨) ورواه البخارى فى صحيحه برقم (٧٣٨٥) معلقاً.
(٥) فى ط، جـ: «أذنا الرجل». (٦) زيادة من ابن ماجه.
(٧) سنن ابن ماجة برقم (١٣٤٠).
(٨) نقل الحافظ ابن حجر فى الفتح (٩/ ٧٠) عن ابن الجوزى أربعة أقوال فى معنى يتغنى: تحسين الصوت، الاستغناء، التحزن كما قال الشافعى، التشاغل به. قال: وحكى ابن الأنبارى قولاً خامساً وهو التلذذ والاستحلاء.

قال حرملة: سمعت ابن عيينة يقول: معناه: يستغنى به، فقال لى الشافعى: ليس هو هكذا، ولو كان هكذا لكان يتغانى به، وإنما هو يتحزن ويترنم به، ثم قال حرملة: وسمعت ابن وهب يقول: يترنم به، وهكذا نقل المزنى والربيع عن الشافعى، رحمه الله.

وعلى هذا فتصدير البخارى الباب بقوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١]، فيه نظر؛ لأن هذه الآية الكريمة ذكرت ردا على الذين سألوا عن آيات تدل على صدقه، حيث قال: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ. أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ الآية [العنكبوت: ٥٠، ٥١]. ومعنى ذلك: أو لم يكفهم آية دالة على صدقك إنزالنا القرآن عليك وأنت رجل أمى ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨] أى: وقد جئت فيه بخبر الأولين والآخرين فأين هذا من التغنى بالقرآن وهو تحسين الصوت به أو الاستغناء به عما عداه من أمور الدنيا، فعلى كل تقدير تصدير الباب بهذه الآية الكريمة فيه نظر(١).

فصل

فى إيراد أحاديث فى معنى الباب وذكر

أحكام التلاوة بالأصوات

قال أبو عبيد: حدثنا عبد الله بن صالح، عن قباث بن رزين، عن على بن رباح اللخمى، عن عقبة بن عامر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوما ونحن فى المسجد نتدارس القرآن، فقال: «تعلموا كتاب الله واقتنوه». قال: وحسبت أنه قال: «وتغنوا به، فوالذى نفسى بيده، لهو أشد تفلتا من المخاض من العقل»(٢).

وحدثنا عبد الله بن صالح، عن موسى بن على، عن أبيه، عن عقبة بن عامر عن رسول الله ﷺ مثل ذلك إلا أنه قال: «واقتنوه وتغنوا به»(٣) ولم يشك، وهكذا رواه أحمد والنسائى فى فضائل

---

(١) قال الحافظ ابن حجر فى الفتح (٩/ ٦٨): «أشار بهذه الآية إلى ترجيح تفسير ابن عيينة: يتغنى: يستغنى، كما سيأتى فى هذا الباب عنه، وأخرجه أبو داود عن ابن عيينة ووكيع جميعاً، وقد بين إسحاق بن راهويه عن ابن عيينة أنه استغناء خاص، وكذا قال أحمد عن وكيع: يستغنى به عن أخبار الأمم الماضية، وقد أخرج الطبرى وغيره من طريق عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة قال: جاء ناس من المسلمين بكتب وقد كتبوا فيها بعض ما سمعوه من اليهود، فقال النبى ﷺ: «كفى بقوم ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إليهم إلى ما جاء به غيره إلى غيرهم» فنزل: ﴿أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾. وقد خفى وجه مناسبة تلاوة هذه الآية على كثير من الناس كابن كثير، فنفى أن يكون لذكرها وجه، على أن ابن بطال مع تقدمه قد أشار إلى المناسبة فقال: قال أهل التأويل فى هذه الآية، فذكر أثر يحيى بن جعدة مختصراً قال: فالمراد بالآية: الاستغناء عن أخبار الأمم الماضية، وليس المراد الاستغناء الذى هو ضد الفقر، قال: وإتباع البخارى الترجمة بالآية يدل على أنه يذهب إلى ذلك. وقال ابن التين: يفهم من الترجمة: أن المراد بالتغنى الاستغناء؛ لكونه أتبعه الآية التى تضمن الإنكار على من لم يستغن بالقرآن على غيره، فحمله على الاكتفاء به وعدم الافتقار إلى غيره، وحمله على ضد الفقر من جملة ذلك».

(٢) فضائل القرآن (ص ٢٩).

(٣) فضائل القرآن (ص ٢٩).

القرآن، من حديث موسى بن على، عن أبيه به[١]، ومن حديث عبد الله بن المبارك، عن قباث بن رزين، عن على بن رباح، عن عقبة، وفى بعض ألفاظه: خرج علينا ونحن نقرأ القرآن فسلم علينا، وذكر الحديث. ففيه دلالة على السلام على القارئ.

ثم قال أبو عبيد: حدثنا أبو اليمان، عن أبى بكر بن عبد الله بن أبى مريم، عن المهاصر بن حبيب قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أهل القرآن، لا توسدوا القرآن، واتلوه حق تلاوته آناء الليل والنهار، وتغنوه واقتنوه، واذكروا ما فيه لعلكم تفلحون»[٢] وهذا مرسل.

ثم قال أبو عبيد: قوله: «تغنوه»: يعنى: اجعلوه غناءكم من الفقر، ولا تعدوا الإقلال منه فقرا. وقوله: «واقتنوه»، يقول: اقتنوه، كما تقتنون الأموال اجعلوه مالكم.

وقال أبو عبيد: حدثنى هشام بن عمار، عن يحيى بن حمزة، عن الأوزاعى، حدثنى إسماعيل ابن عبيد الله بن أبى المهاجر، عن فضالة بن عبيد، عن النبى ﷺ قال: «لله أشد أذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته»[٣].

قال أبو عبيد: هذا الحديث بعضهم يزيد فى إسناده يقول: عن إسماعيل بن عبيد الله عن مولى فضالة عن فضالة، وهكذا رواه ابن ماجة، عن راشد بن سعيد بن أبى راشد، عن الوليد، عن الأوزاعى عن إسماعيل بن عبيد الله عن ميسرة مولى فضالة عن فضالة عن النبى ﷺ: «لله أشد أذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن [يجهر به][٤] من صاحب القينة إلى قينته»[٥]. قال أبو عبيد: يعنى: الاستماع. وقوله فى الحديث الآخر: «ما أذن الله لشىء» أى: ما استمع.

وقال أبو القاسم البغوى: حدثنا محمد بن حميد، حدثنا سلمة بن الفضل، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، عن ابن أبى مُلَيْكة، حدثنا القاسم بن محمد، حدثنا السائب قال: قال لى سعد: يا بن أخى، هل قرأت القرآن؟ قلت: نعم. قال: غن به، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «غنوا بالقرآن، ليس منا من لم يغن بالقرآن، وابكوا، فإن لم تقدروا على البكاء فتباكوا»[٦].

وقد روى أبو داود من حديث الليث وعمرو بن دينار كلاهما عن عبد الله بن أبى مُلَيْكة، عن عبيد الله بن أبى نَهِيك، عن سعد بن أبى وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»[٧].

ورواه ابن ماجة من حديث ابن أبى مليكة، عن عبد الرحمن بن السائب، عن سعد بن أبى

---

(١) المسند (٤/ ١٤٦) وسنن النسائى الكبرى برقم (٨٠٣٤).
(٢) فضائل القرآن (ص ٢٩).
(٣) فضائل القرآن (ص ٧٧، ٧٨).
(٤) زيادة من ابن ماجه.
(٥) سنن ابن ماجه برقم (١٣٤٠).
(٦) وفى إسناده محمد بن حميد الرازى وهو متروك.
(٧) سنن أبى داود برقم (١٤٦٩، ١٤٧٠).

وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذا القرآن نزل بحرف، فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، وتغنوا به، فمن لم يتغن به فليس منا»[(١)].

وقال أحمد: حدثنا وَكيع، حدثنا سعيد[(٢)] بن حسان المخزومي، عن ابن أبي مُلَيْكة، عن عبد الله بن أبي نهيك، عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»[(٣)]. [قال وكيع: يعني: يستغني به][(٤)].

ورواه [(٥)] أيضا عن الحجاج وأبي النضر، كلاهما عن الليث بن سعد، وعن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، كلاهما عن عبد الله بن أبي مليكة به[(٦)]. وفي هذا الحديث كلام طويل يتعلق بسنده ليس هذا موضعه، والله أعلم.

وقال أبو داود: حدثنا عبد الأعلى بن حماد، حدثنا عبد الجبار بن الورد، سمعت ابن أبي مُلَيْكة، يقول عبيد الله بن أبي يزيد: مرّ بنا أبو لُبَابة فاتَّبعناه حتى دخل بيته فدخلنا عليه، فإذا رجل رَثُّ البيت، رَثُّ الهيئة، فانتسبنا له، فقال: تجار كسبة، فسمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن». قال: فقلت لابن أبي مليكة: يا أبا محمد، أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت قال: يحسنه ما استطاع. تفرد به أبو داود[(٧)].

فقد فهم من هذا أن السلف، رضي الله عنهم، إنما فهموا من التغني بالقرآن: إنما هو تحسين الصوت به، وتحزينه، كما قاله الأئمة، رحمهم الله، ويدل على ذلك ـ أيضا ـ ما رواه أبو داود حيث قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن طلحة، عن عبد الرحمن بن عَوْسَجة، عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم»[(٨)].

وأخرجه النسائي وابن ماجة من حديث شعبة، عن طلحة وهو ابن مصرف به[(٩)].

وأخرجه النسائي من طرق أخر عن طلحة[(١٠)]، وهذا إسناد جيد.

وقد وثق النسائي، وابن حبان عبد الرحمن بن عوسجة هذا، ونقل الأزدي عن يحيى بن سعيد القطان أنه قال: سألت عنه بالمدينة، فلم أرهم يحمدونه[(١١)].

---

(١) سنن ابن ماجة برقم (١٣٣٧) وقال البوصيري في الزوائد (١/ ٤٣٤): «هذا إسناد فيه أبو رافع واسمه إسماعيل بن رافع، ضعيف متروك».

(٢) في ط، م: «سفيان».

(٣) المسند (٥/ ١٧٢).

(٤) زيادة من جـ، ط.

(٥) في ط: «ورواه أحمد».

(٦) المسند (١/ ١٧٥، ١٧٩).

(٧) سنن أبي داود برقم (١٤٧١).

(٨) سنن أبي داود برقم (١٤٦٨).

(٩) سنن النسائي (٢/ ١٧٩) وسنن ابن ماجة برقم (١٣٤٢).

(١٠) سنن النسائي (٢/ ١٧٩).

(١١) وانظر: تهذيب الكمال للمزي (١٧/ ٣٢٢) وابن حجر ـ رحمه الله ـ اختار توثيقه في التقريب.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: حدثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة قال: نهانى أيوب أن أحدث بهذا الحديث: «زينوا القرآن بأصواتكم». قال أبو عبيد: وإنما كره أيوب فيما نرى، أن يتأول الناس بهذا الحديث الرخصة من رسول الله ﷺ فى الألحان المبتدعة، فلهذا أنهاه أن يحدث به(١).

قلت: ثم إن شعبة روى الحديث متوكلا على الله، كما رُوى له، ولو ترك كل حديث يتأول مبطل لترك من السنة شيء كثير، بل قد تطرقوا إلى تأويل آيات كثيرة وحملوها على غير محاملها الشرعية المرادة، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والمراد من تحسين الصوت بالقرآن: تطريبه وتحزينه والتخشع به، كما رواه الحافظ الكبير بَقِيّ بن مَخْلَد، حيث قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا يحيى بن سعيد الأموى، حدثنا طلحة بن يحيى ابن طلحة، عن أبى بردة بن أبى موسى، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو رأيتنى وأنا أستمع قراءتك البارحة». قلت: أما والله لو علمت أنك تستمع قراءتى لحبرتها لك تحبيرا. ورواه مسلم من حديث طلحة به وزاد: «لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود»(٢). وسيأتى هذا فى بابه حيث يذكره البخارى، والغرض أن أبا موسى قال: لو أعلم أنك تستمع لحبّرته لك تحبيرا، فدل على جواز تعاطى ذلك وتكلفه، وقد كان أبو موسى كما قال، عليه السلام، قد أعطى صوتا حسنا كما سنذكره إن شاء الله، مع خشية تامة ورقة أهل اليمن الموصوفة، فدل على أن هذا من الأمور الشرعية.

قال أبو عبيد: حدثنا عبد الله بن صالح، عن الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، عن أبى سلمة قال: كان عمر إذا رأى أبا موسى قال: ذكرنا ربنا يا أبا موسى، فيقرأ عنده(٣).

وقال أبو عبيد: وحدثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا سليمان التيمى، أنبئت عنه، حدثنا أبو عثمان النهدى قال: كان أبو موسى يصلى بنا، فلو قلت: إنى لم أسمع صوت صنجٍ قط، ولا بربطٍ قط، ولا شيئاً قط أحسن من صوته(٤).

وقال ابن ماجة: حدثنا العباس بن عبد الرحمن(٥) الدمشقى، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنى حنظلة بن أبى سفيان أنه سمع عبد الرحمن بن سابط الجمحى يحدث عن عائشة قالت: أبطأت على رسول الله ﷺ ليلة بعد العشاء، ثم جئت فقال: «أين كنت؟». قلت: كنت أستمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد، قالت: فقام فقمت معه حتى استمع له، ثم التفت إلىّ فقال: «هذا سالم مولى أبى حذيفة، الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثل هذا»(٦). إسناد جيد.

وفى الصحيحين عن جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ فى المغرب بالطور، فما

---

(١) فضائل القرآن (ص ٨١).
(٢) صحيح مسلم برقم (٧٩٣).
(٣) فضائل القرآن (ص ٧٩).
(٤) فضائل القرآن (ص ٧٩). وقال الحافظ ابن حجر: «سنده صحيح».
(٥) فى جـ: «عثمان».
(٦) سنن ابن ماجة برقم (١٣٣٨).

سمعت أحدا أحسن صوتاً أو قال: قراءة منه. وفى بعض ألفاظه: فلما سمعته قرأ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]، خلت أن فؤادى قد انصدع[١]. وكان جبير لما سمع هذا بعدُ مشركا على دين قومه، وإنما قدم فى فداء الأسارى بعد بدر، وناهيك بمن تؤثر قراءته فى المشرك المصر على الكفر! وكان هذا سبب هدايته ولهذا كان أحسن القراءة ما كان عن خشوع القلب، كما قال أبو عبيد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن ليث، عن طاوس قال: أحسن الناس صوتا بالقرآن أخشاهم لله[٢].

حدثنا قبيصة، عن سفيان، عن ابن جريج، عن ابن طاوس، عن أبيه، وعن الحسن بن مسلم، عن طاوس قال: سئل رسول الله ﷺ: أى الناس أحسن صوتاً بالقرآن؟ فقال: «الذى إذا سمعته رأيته يخشى الله»[٣].

وقد روى هذا متصلا من وجه آخر، فقال ابن ماجة: حدثنا بشر بن معاذ الضرير، حدثنا عبد الله بن جعفر المدينى، حدثنا إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع، عن أبى الزبير، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذى إذا سمعتوه يقرأ حسبتموه يخشى الله»[٤]، ولكن عبد الله بن جعفر هذا، وهو والد على بن المدينى، وشيخه ضعيفان، والله أعلم.

والغرض أن المطلوب شرعاً إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة، فأما الأصوات بالنغمات المحدثة المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية والقانون الموسيقائى، فالقرآن ينزه عن هذا ويجل ويعظم أن يسلك فى أدائه هذا المذهب، وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك، كما قال الإمام العلم أبو عبيد القاسم بن سلام، رحمه الله:

حدثنا نعيم بن حماد، عن بَقِيَّة بن الوليد، عن حصين بن مالك الفزارى: سمعت شيخاً يكنى أبا محمد يحدث عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرؤوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين، ويجىء قوم من بعدى يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح، لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم»[٥].

حدثنا يزيد، عن شريك، عن أبى اليقظان عثمان بن عمير، عن زاذان أبى عمر، عن عليم قال: كنا على سطح ومعنا رجل من أصحاب النبى ﷺ. قال يزيد: لا أعلمه إلا قال: عابس الغفارى، فرأى الناس يخرجون فى الطاعون فقال: ما هؤلاء؟ قالوا: يفرون من الطاعون، فقال: يا طاعون خذنى، فقالوا: تتمنى الموت وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يتمنين أحدكم الموت»؟ فقال: إنى أبادر خصالا سمعت رسول الله ﷺ يتخوفهن على أمته: «بيع الحكم، والاستخفاف بالدم، وقطيعة الرحم، وقوم يتخذون القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليس بأفقههم ولا أفضلهم إلا ليغنيهم

(١) صحيح البخارى برقم (٧٦٥، ٤٨٥٤) وصحيح مسلم برقم (٤٦٣).
(٢، ٣) فضائل القرآن (ص ٨٠).
(٤) سنن ابن ماجة برقم (١٣٣٩).
(٥) فضائل القرآن (ص ٨٠) وقال الذهبى فى ترجمة حصين بن مالك فى الميزان (١/ ٥٥٣): «تفرد عنه بقية، ليس بمعتمد، والخبر منكر».

[به][١] غناءً» وذكر خصلتين أخريين[٢].

وحدثنا إبراهيم بن يعقوب، عن ليث بن أبى سليم، عن عثمان بن عمير، عن زاذان، عن عابس الغفارى، عن النبى ﷺ مثل ذلك أو نحوه. وحدثنا يعقوب بن إبراهيم، عن الأعمش، عن رجل، عن أنس بن مالك: أنه سمع رجلا يقرأ القرآن بهذه الألحان التى أحدث الناس، فأنكر ذلك ونهى عنه[٣].

هذه طرق حسنة فى باب الترهيب، وهذا يدل على أنه محذور كبير، وهو قراءة القرآن بالألحان التى يسلك بها مذاهب الغناء، وقد نص الأئمة، رحمهم الله، على النهى عنه، فأما إن خرج به إلى التمطيط الفاحش الذى يزيد بسببه حرفا أو ينقص حرفا، فقد اتفق العلماء على تحريمه، والله أعلم.

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن معمر، حدثنا روح، حدثنا عبيد الله بن الأخنس، عن ابن أبى مُلَيْكة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يَتَغَنَّ بالقرآن»[٤].

ثم قال: وإنما ذكرناه لأنهم اختلفوا على ابن أبى مليكة فيه، فرواه ابن عبد الجبار بن الورد عنه عن أبى لبابة، ورواه عمرو بن دينار والليث عنه عن أبى نَهِيك عن سعد، ورواه عَسْل بن سفيان عنه، عن عائشة[٥]، ورواه نافع مولى ابن عمر عنه، عن ابن الزبير[٦].

اغتباط صاحب القرآن

حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهرى، حدثنى سالم بن عبد الله: أن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا حسد إلا فى[٧] اثنتين: رجل آتاه الله الكتاب فقام به آناء الليل، ورجل أعطاه الله مالاً فهو يتصدق به آناء الليل والنهار»[٨].

انفرد به البخارى من هذا الوجه، واتفقا على إخراجه من رواية سفيان عن الزهرى[٩]، ثم قال البخارى: حدثنا على بن إبراهيم، حدثنا روح، حدثنا شعبة، عن سليمان: سمعت ذَكْوان، عن أبى هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «لا حسد إلا فى اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار»، فسمعه جار له فقال: ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان فعملت مثل ما يعمل، «ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه فى الحق»، فقال رجل: ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان فعملت مثل ما يعمل[١٠].

ومضمون هذين الحديثين: أن صاحب القرآن فى غبطة وهو حسن الحال، فينبغى أن يكون شديد

(١) زيادة من ط.
(٢) فضائل القرآن (ص ٨١) والخصلتين هما: إمرة السفهاء، وكثرة الشرط.
(٣) فضائل القرآن (ص ٨١).
(٤) مسند البزار برقم (٢٣٣٢) «كشف الأستار».
(٥) رواه البزار فى مسنده برقم (٢٣٣٤) «كشف الأستار» والحاكم فى المستدرك (١/ ٥٧٠) وقال الحاكم: «إسناده شاذ».
(٦) رواه البزار فى مسنده برقم (٢٣٣٥) «كشف الأستار».
(٧) فى جـ، ط: «على».
(٨) صحيح البخارى برقم (٥٠٢٥).
(٩) صحيح البخارى برقم (٧٥٢٩) وصحيح مسلم برقم (٨١٥).
(١٠) صحيح البخارى برقم (٥٠٢٦).

الاغتباط بما هو فيه، ويستحب تغبيطه بذلك، يقال: غبطه يغبِطه غبطاً: إذا تمنى ما هو فيه من النعمة، وهذا بخلاف الحسد المذموم وهو تمنى زوال نعمة المحسود عنه، سواء حصلت لذلك الحاسد أو لا وهذا مذموم شرعاً، مهلكٌ، وهو أول معاصى إبليس حين حسد آدم، عليه السلام، على ما منحه الله تعالى من الكرامة والاحترام والإعظام. والحسد الشرعى الممدوح هو تمنى مثل حال ذلك الذى هو على حالة سارة؛ ولهذا قال عليه السلام: «لا حسد إلا فى اثنتين»، فذكر النعمة القاصرة وهى تلاوة القرآن آناء الليل والنهار، والنعمة المتعدية وهى إنفاق المال بالليل والنهار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩]، وقد روى نحو هذا من وجه آخر، فقال عبد الله بن الإمام أحمد: وجدت فى كتاب أبى بخط يده: كتب إلىّ أبو توبة الربيع بن نافع، فكان فى كتابه: حدثنا الهيثم بن حميد، عن زيد بن واقد، عن سليمان بن موسى، عن كثير بن مرة، عن يزيد بن الأخنس، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تنافس بينكم إلا فى اثنتين: رجل أعطاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار، ويتبع ما فيه، فيقول رجل: لو أن الله أعطانى مثل ما أعطى فلانا فأقوم(1) كما يقوم به، ورجل أعطاه الله مالا فهو ينفقه ويتصدق، فيقول رجل: لو أن الله أعطانى مثل ما أعطى فلانا فأتصدق به»(2). وقريب من هذا ما قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن نمير، حدثنا عبادة بن مسلم، حدثنى يونس بن خباب، عن أبى سعيد البخترى الطائى، عن أبى كبشة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ثلاث أقسم عليهن، وأحدثكم حديثا فاحفظوه، فأما الثلاث التى أقسم عليهن: فإنه ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله بها عزا، ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله له باب فقر، وأما الذى أحدثكم حديثا فاحفظوه، فإنه قال: إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقى فيه ربه ويصل رحمه، ويعمل لله فيه حقه»، قال: «فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو يقول: لو كان لى مال عملت بعمل فلان» قال: «فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط فى ماله بغير علم لا يتقى فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعمل لله فيه حقه، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول: لو كان لى مال لفعلت بعمل فلان». قال: «هى نيته فوزرهما فيه سواء»(3).

وقال أيضا: حدثنا وَكِيع، حدثنا الأعمش، عن سالم بن أبى الجعد، عن أبى كبشة الأنمارى قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل هذه الأمة مثل أربعة نفر: رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل به فى ماله ينفقه فى حقه، ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فهو يقول: لو كان لى مثل مال هذا عملت فيه مثل الذى يعمل». قال رسول الله ﷺ: «فهما فى الأجر سواء، ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يخبط فيه ينفقه فى غير حقه، ورجل لم يؤته الله مالا ولا علما فهو يقول: لو كان لى مثل

(١) فى ط، م: «فيقوم به».
(٢) المسند (٤/١٠٥).
(٣) المسند (٤/٢٣١).

هذا غملت فيه مثل الذى يعمل». قال رسول الله ﷺ: «فهما فى الوزر سواء». إسناد صحيح(١).

خيركم من تعلم القرآن وعلمه

حدثنا حجاج بن منْهال، حدثنا شعبة، أخبرنى علقمة بن مَرْثَد، سمعت سعد بن عبيدة، عن أبى عبد الرحمن، عن عثمان بن عفان، عن النبى ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». وأقرأ أبو عبد الرحمن فى إمرة عثمان، رضى الله عنه، حتى كان الحجاج قال:

وذاك الذى أقعدنى مقعدى هذا(٢).

وقد أخرج الجماعة هذا الحديث سوى مسلم من رواية شعبة عن علقمة بن مرثد عن سعد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن وهو عبد الله بن حبيب السلمى ـ رحمه الله(٣).

وحدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن علْقَمة بن مرثد، عن أبى عبد الرحمن السلمى، عن عثمان ابن عفان قال: قال النبى ﷺ: «إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه»(٤).

وهكذا رواه الترمذى والنسائى وابن ماجة من طرقٍ عن سفيان، عن علقمة، عن أبى عبدالرحمن، من غير ذكر سعد بن عبيدة(٥)، كما رواه شعبةً ولم يختلف عليه فيه، وهذا المقام مما حكم لسفيان الثورى فيه على شعبة، وخطأ بُنْدَار يحيى بن سعيد فى روايته ذلك عن سفيان، عن علقمة، عن سعد بن عبيدة، عن أبى عبد الرحمن وقال: رواه الجماعة من أصحاب سفيان عنه، بإسقاط سعد بن عبيدة، ورواية سفيان أصحُ فى هذا المقام المتعلق بصناعة الإسناد، وفى ذكره طول لولا الملالة لذكرناه، وفيما ذكر كفاية وإرشاد إلى ما ترك، والله أعلم.

والغرض أنه، عليه الصلاة والسلام، قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» وهذه من صفات المؤمنين المتبعين للرسل، وهم الكُمل فى أنفسهم، المكملون لغيرهم، وذلك جمع بين النفع القاصر والمتعدى، وهذا بخلاف صفة الكفار الجبارين الذين لا ينفعون، ولا يتركون أحدا ممن أمكنهم أن ينتفع، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ [النحل: ٨٨]، وكما قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦]، فى أصح قولى(٦) المفسرين فى هذا، وهو أنهم ينهون الناس عن اتباع القرآن مع نأيهم وبعدهم عنه، فجمعوا بين التكذيب والصد، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ [الأنعام: ١٥٧]، فهذا شأن(٧) الكفار، كما أن شأن خيار الأبرار أن يكمل فى نفسه وأن يسعى فى تكميل غيره كما قال عليه السلام: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، وكما قال [الله](٨) تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن

---

(١) المسند (٤/ ٢٣٠).

(٢) صحيح البخارى برقم (٥٠٢٧).

(٣) سنن أبى داود برقم (١٤٥٢) وسنن الترمذى برقم (٢٩٠٧) وسنن النسائى الكبرى برقم (٨٠٣٧) وسنن ابن ماجة برقم (٣١١).

(٤) صحيح البخارى برقم (٥٠٢٨).

(٥) سنن الترمذى برقم (٢٩٠٨) وسنن النسائى الكبرى برقم (٨٠٣٨) وسنن ابن ماجة برقم (٣١٢).

(٦) فى جـ: «قول». (٧) فى ط، جـ: «شأن شرار». (٨) زيادة من ط.

دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، فجمع بين الدعوة إلى الله سواء كان بالأذان أو بغيره من أنواع الدعوة من تعليم القرآن والحديث والفقه وغير ذلك، مما يُبتغى به وجه الله، وعمل هو فى نفسه صالحا، وقال قولا صالحا، فلا أحد أحسن حالا من هذا. وقد كان أبو عبد الرحمن السلمى الكوفى ـ أحد أئمة الإسلام ومشايخهم ـ من رغب فى هذا المقام، فقعد يعلم الناس فى[١] إمارة عثمان إلى أيام الحجاج قالوا: وكان مقدار ذلك الذى مكث فيه يعلم القرآن سبعين سنة، رحمه الله، وآتاه الله ما طلبه ودامه. آمين.

قال[٢] البخارى، رحمه الله: حدثنا عمرو بن عون، حدثنا حماد عن أبى حازم، عن سهل بن سعد قال: أتت النبى ﷺ امرأة فقالت: إنها قد وهبت نفسها لله ورسوله، فقال: « ما لى فى النساء من حاجة». فقال رجل: زوّجنيها قال: [«أعطها ثوباً»، قال: لا أجد، قال: «أعطها ولو خاتما من حديد»، فاعتل له، فقال][٣] :«ما معك من القرآن». قال: كذا وكذا. فقال: «قد زوجتكها بما معك من القرآن»[٤].

وهذا الحديث متفق على إخراجه من طرق عديدة، والغرض منه أن الذى قصده البخارى أن هذا الرجل تعلم[٥] الذى تعلمه من القرآن، وأمره النبى ﷺ أن يعلمه تلك المرأة، ويكون ذلك صداقا لها على ذلك، وهذا فيه نزاع بين العلماء، وهل يجوز أن يجعل مثل هذا صداقاً؟ أو هل يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن؟ وهل هذا كان خاصًا بذلك الرجل؟ وما معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «زوجتكها بما معك من القرآن»؟ أبسبب ما معك من القرآن؟ كما قاله أحمد بن حنبل: نكرمك بذلك أو بعوض ما معك، وهذا أقوى، لقوله فى صحيح مسلم: «فعلمها»[٦]، وهذا هو الذى أراده البخارى ههنا وتحرير باقى الخلاف مذكور فى كتاب النكاح والإجارة، والله المستعان.

القراءة عن ظهر قلب

إنما أفرد البخارى فى هذه الترجمة[٧] حديث أبى حازم عن سهل بن سعد، الحديث الذى تقدم الآن، وفيه أنه، عليه السلام، قال لرجل: «فما معك من القرآن؟». قال: معى سورة كذا وكذا، لسور عددها. قال: «أتقرؤهن[٨] عن ظهر قلبك؟». قال: نعم. قال: «اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن»[٩].

وهذه الترجمة من البخارى، رحمه الله، مشعرة بأن قراءة القرآن عن ظهر قلب أفضل، والله أعلم. ولكن الذى صرح به كثيرون من العلماء أن قراءة القرآن من المصحف أفضل؛ لأنه يشتمل على التلاوة والنظر فى المصحف وهو عبادة، كما صرح به غير واحد من السلف، وكرهوا أن يمضى على الرجل يوم لا ينظر فى مصحفه، واستدلوا على فضيلة التلاوة فى المصحف بما رواه الإمام العلم[١٠]

(١) فى جـ: «من».
(٢) فى جـ: «ثم قال».
(٣) زيادة من جـ.
(٤) صحيح البخارى برقم (٥٠٢٩).
(٥) فى جـ: «يعلمها».
(٦) فى جـ: «فتعلمها».
(٧) فى جـ: «هذا الوجه».
(٨) فى جـ: «أتقرأ».
(٩) صحيح البخارى برقم (٥٠٣٠).
(١٠) فى جـ: «العالم».

أبو عبيد فى كتاب[١] فضائل القرآن حيث قال:

حدثنا نعيم بن حماد، عن بقية بن الوليد، عن معاوية بن يحيى، عن سليم بن مسلم، عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن بعض أصحاب النبى ﷺ قال: قال النبى ﷺ: «فضل قراءة القرآن نظرا على من يقرأه ظهرا، كفضل الفريضة على النافلة»[٢] وهذا الإسناد ضعيف[٣]، فإن معاوية بن يحيى هو الصدفى أو الأطرابلسى، وأيهما كان فهو ضعيف.

وقال الثورى عن عاصم، عن زر، عن ابن مسعود قال: أديموا النظر فى المصحف[٤].

وقال حماد بن سلمة، عن على بن زيد، عن يوسف بن ماهك، عن ابن عباس، عن عمر: أنه كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأ فيه[٥].

وقال حماد أيضا: عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، عن ابن مسعود: أنه كان إذا اجتمع إليه إخوانه نشروا المصحف، فقرؤوا، وفسر لهم[٦]. إسناد صحيح.

وقال حماد بن سلمة: عن حجاج بن أرطاة، عن ثوير بن أبى فاختة، عن ابن عمر قال: إذا رجع أحدكم من سوقه فلينشر المصحف وليقرأ[٧]. وقال الأعمش عن خَيْثَمة: دخلت على ابن عمر وهو يقرأ فى المصحف فقال: هذا جزئى الذى أقرأ به الليلة[٨].

فهذه الآثار تدل على أن هذا أمر مطلوب لئلا يعطل المصحف فلا يقرأ منه، ولعله قد يقع لبعض الحفظة نسيان فيتذكر منه، أو تحريف كلمة أو آية أو تقديم أو تأخير، فالاستثبات أولى، والرجوع إلى المصحف أثبت من أفواه الرجال، فأما تلقين القرآن فمن فم الملقن أحسن؛ لأن الكتابة لا تدل على كمال الأداء، كما أن المشاهد من كثير ممن يحفظ من الكتابة فقط يكثر تصحيفه وغلطه، وإذا أدى الحال إلى هذا منع منه إذا وجد شيخا يوقفه على لفظ[٩] القرآن، فأما عند العجز عمن يلقن فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها، فيجوز عند الضرورة ما لا يجوز عند الرفاهية، فإذا قرأ فى المصحف ـ والحالة هذه ـ فلا حرج عليه، ولو فرض أنه قد يحرف بعض الكلمات عن لفظها على لغته ولفظه، فقد قال الإمام أبو عبيد:

حدثنى هشام بن إسماعيل الدمشقى، عن محمد بن شعيب، عن الأوزاعى؛ أن رجلا صحبهم فى سفر قال: فحدثنا حديثا ما أعلمه إلا رفعه إلى رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا قرأ فحرف أو أخطأ كتبه الملك كما أنزل»[١٠].

---

(١) فى ط: «كتابه».

(٢) فضائل القرآن (ص ٤٦).

(٣) فى ط: «وهذا الإسناد فيه ضعف».

(٤) فضائل القرآن (ص ٤٦) وقال ابن حجر: «إسناده صحيح».

(٥) فضائل القرآن (ص ٤٦).

(٦) فضائل القرآن (ص ٤٧).

(٧) فضائل القرآن (ص ٤٦).

(٨) فضائل القرآن (ص ٤٧)

(٩) فى ط: «ألفاظ».

(١٠) فضائل القرآن (ص ٤٧)

وحدثنا حفص بن غياث، عن الشيبانى[١]، عن بكير[٢] بن الأخنس قال: كان يقال: إذا قرأ الأعجمى والذى لا يقيم القرآن كتبه الملك كما أنزل. وقال بعض العلماء: المدار فى هذه المسألة على الخشوع فى القراءة، فإن كان الخشوع عند القراءة على ظهر القلب فهو أفضل، وإن كان عند النظر فى المصحف [٣] فهو أفضل فإن استويا فالقراءة نظرا أولى؛ لأنها أثبت وتمتاز بالنظر فى المصحف قال الشيخ أبو زكريا النووى[٤]، رحمه الله، فى التبيان: والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل.

تنبيه:

إن كان البخارى، رحمه الله، أراد بذكر[٥] حديث سهل للدلالة على أن تلاوة القرآن عن ظهر قلب أفضل منها فى المصحف، ففيه نظر؛ لأنها قضية عين، فيحتمل أن ذلك الرجل كان لا يحسن الكتابة ويعلم ذلك رسول الله ﷺ منه، فلا يدل على أن التلاوة عن ظهر قلب أفضل مطلقا فى حق من يحسن ومن لا يحسن، إذ لو دل هذا لكان ذكر حال رسول الله ﷺ وتلاوته عن ظهر قلب ـ لأنه أمى لا يدرى الكتابة ـ أولى من ذكر هذا الحديث بمفرده.

الثانى: أن سياق الحديث إنما هو لأجل استثبات أنه يحفظ تلك السور عن ظهر قلب؛ ليمكنه تعليمها لزوجته، وليس المراد ههنا: أن هذا أفضل من التلاوة نظرا، ولا عدمه[٦]، والله سبحانه وتعالى أعلم.

استذكار القرآن وتعاهده

حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن نافع، عن ابن عمر؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقَّلة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت» هكذا رواه مسلم والنسائى من حديث مالك [به][٧]. وقال الإمام أحمد[٨]: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا[٩] معمر، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل القرآن إذا عاهد عليه صاحبه فقرأه بالليل والنهار، كمثل رجل له إبل، فإن عقلها حفظها، وإن أطلق عقالها ذهبت، فكذلك صاحب القرآن». أخرجاه، قاله[١٠] ابن الجوزى فى جامع المسانيد، وإنما هو من أفراد مسلم من حديث عبد الرزاق به[١١]، وحدثنا محمد بن عرعرة، حدثنا شعبة، عن منصور، عن أبى وائل،

---

(١) فى جـ: «النسائى». (٢) فى جـ: «بكر».

(٣) فى ط: «المصحف أكثر». (٤) فى ط: «النواوى». (٥) فى ط: «بذكره».

(٦) قال الحافظ ابن حجر فى الفتح (٩/ ٧٨) بعد أن ذكر كلام الحافظ ابن كثير هنا: «ولا يرد على البخارى شىء مما ذكر؛ لأن المراد بقوله: باب القراءة عن ظهر قلب، مشروعيتها أو استحبابها، والحديث مطابق لما ترجم به، ولم يتعرض لكونها أفضل من القراءة نظراً، وقد صرح كثير من العلماء أن القراءة من المصحف نظراً أفضل من القراءة عن ظهر قلب».

(٧) صحيح البخارى برقم (٥٠٣١) وصحيح مسلم برقم (٧٨٩) وسنن النسائى (٢/ ١٥٤).

(٨) المسند (٢/ ٣٥).

(٩) فى ط: «أخبرنا». (١٠) فى جـ: «قال».

(١١) صحيح مسلم برقم (٧٨٩).

عن عبد الله قال: قال النبى ﷺ: «بئس ما لأحدهم أن يقول: نسيت آية كيت وكيت، بل نُسِّىَ، واستذكروا القرآن فإنه أشد تفصيًا من صدور الرجال من النَّعم»(١).

تابعه بشر. هو ابن محمد السختيانى، عن ابن المبارك، عن شعبة.

وقد رواه الترمذى عن محمود بن غيلان، عن أبى داود الطيالسى، عن شعبة به(٢)، وقال: حسن صحيح. وأخرجه النسائى من رواية شعبة(٣).

وحدثنا عثمان، حدثنا جرير، عن منصور مثله. وتابعه ابن جريج عن عبدة، عن شقيق: سمعت عبد الله قال: سمعت النبى ﷺ(٤)، وهكذا أسنده مسلم من حديث ابن جريج به(٥)، ورواه النسائى فى اليوم والليلة من حديث محمد بن جحادة، عن عبدة (٦) وهو ابن أبى لُبَابة به(٧). وهكذا رواه مسلم عن عثمان وزهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم عن جرير به(٨)، وستأتى رواية البخارى له عن أبى نعيم، عن سفيان الثورى، عن منصور به، والنسائى من رواية ابن عيينة عن منصور به، فقد رواه هؤلاء عن منصور به مرفوعا فى رواية هؤلاء كلهم (٩)، وقد رواه النسائى عن قتيبة، عن حماد بن زيد، عن منصور، عن أبى وائل، عن عبد الله موقوفا(١٠)، وهذا غريب وفى مسند أبى يعلى(١١)، فإنما هو نَسِى بالتخفيف(١٢).

حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا أبو أسامة، عن بريد، عن أبى بردة، عن أبى موسى، عن النبى ﷺ قال: «تعاهدوا القرآن، فوالذى نفسى بيده، لهو أشد تَفصِّيًا من الإبل فى عقلها». وهكذا رواه مسلم عن أبى كريب محمد بن العلاء وعبد الله بن برادٍ (١٣) الأشعرى، كلاهما عن أبى أسامة حماد ابن أسامة به(١٤).

وقال الإمام أحمد: حدثنا على بن إسحاق، حدثنا عبد الله بن المبارك، حدثنا موسى بن على:

---

(١) صحيح البخارى برقم (٥٠٣٢).
(٢) سنن الترمذى برقم (٤٩٢٢).
(٣) سنن النسائى (٢/ ١٥٤).
(٤) صحيح البخارى (٩/ ٧٩) «فتح».
(٥) صحيح مسلم برقم (٧٩٠).
(٦) فى جـ: «عبيدة».
(٧) سنن النسائى الكبرى برقم (١٠٥٦٠).
(٨) صحيح مسلم برقم (٧٩٠).
(٩) صحيح البخارى برقم (٥٠٣٩) وسنن النسائى الكبرى برقم (٨٠٤٢).
(١٠) سنن النسائى الكبرى برقم (١٠٥٦٤).
(١١) مسند أبى يعلى (٩/ ٦٩).
(١٢) قال القرطبى: معنى التثقيل: أنه عوقب بوقوع النسيان عليه التفريط فى معاهدته واستذكاره. ومعنى التخفيف: أن الرجل ترك غير ملتفت إليه، وهو كقوله تعالى: ﴿نسوا الله فنسيهم﴾ [التوبة: ٦٧] أى: تركهم فى العذاب أو تركهم من الرحمة.
(١٣) فى جـ: «بردة».
(١٤) صحيح البخارى برقم (٥٠٣٣) وصحيح مسلم برقم (٧٩١).

سمعت أبى يقول: سمعت عقبة بن عامر يقول: [قال رسول الله ﷺ][١]: «تعلموا كتاب الله، وتعاهدوه وتغنوا به، فوالذى نفسى بيده، لهو أشد تفلتا من المخاض فى العقل»[٢].

ومضمون هذه الأحاديث الترغيب فى كثرة تلاوة القرآن واستذكاره وتعاهده؛ لئلا يعرضه حافظه للنسيان[٣]، فإن ذلك خطر كبير، نسأل الله العافية منه، فإنه قال الإمام أحمد:

حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا خالد، عن يزيد بن أبى زياد، عن عيسى بن فائد، عن رجل، عن سعد بن عبادة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أمير عشرة إلا ويؤتى به يوم القيامة مغلولا لايفكه عن ذلك الغل إلا العدل، وما من رجل قرأ القرآن فنسيه إلا لقى الله يوم القيامة يلقاه وهو أجذم»[٤].

هكذا رواه جرير بن عبد الحميد، ومحمد بن فضيل، عن يزيد بن أبى زياد، كما رواه خالد بن عبد الله[٥]. وقد أخرجه أبو داود عن محمد بن العلاء عن ابن إدريس، عن يزيد بن أبى زياد، عن عيسى بن فائد، عن سعد بن عبادة عن النبى ﷺ بقصة نسيان القرآن، ولم يذكر الرجل المبهم[٦].

وكذا رواه أبو بكر بن عياش، عن يزيد بن أبى زياد، وقد رواه شعبة عن يزيد فوهم فى إسناده، ورواه وَكِيع عن أصحابه، عن يزيد، عن عيسى بن فائد، عن النبى ﷺ مرسلاً. وقد رواه الإمام أحمد فى مسنده عن عبادة بن الصامت فقال:

حدثنا عبد الصمد، حدثنا عبد العزيز بن مسلم، حدثنا يزيد بن أبى زياد، عن عيسى بن فائد، عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولا لايفكه منها إلا عدله، وما من رجل تعلم القرآن ثم نسيه إلا لقى الله يوم القيامة أجذم»[٧].

وكذا رواه أبو عوانة، عن يزيد بن أبى زياد، ففيه اختلاف، لكن هذا فى باب الترهيب مقبول ـ والله أعلم ـ لاسيما إذا كان له شاهد من وجه آخر، كما قال أبو عبيد.

حدثنا حجاج، عن ابن جريج قال: حُدثت عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «عرضت على أجور أمتى حتى القذاة والبعرة يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت علىّ ذنوب أمتى فلم أر ذنباً أكبر من آية أو سورة من كتاب الله أوتيها رجل فنسيها». قال ابن جريج: وحُدِّثت عن سلمان الفارسى قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أكبر ذنب توافى به أمتى يوم القيامة سورة من كتاب الله أوتيها رجل فنسيها»[٨].

---

(١) زيادة من ط، والمسند.
(٢) المسند (٤/ ١٤٦).
(٣) فى ط: «إلى النسيان».
(٤) المسند (٥/ ٣٨٥).
(٥) رواه أبو عبيد فى الفضائل (ص١٠٣) من طريق جرير، ورواه ابن أبى شيبة فى المصنف (١٠/ ٤٧٨) من طريق ابن فضيل.
(٦) سنن أبى داود برقم (١٤٧٤).
(٧) المسند (٥/ ٣٢٣).
(٨) فضائل القرآن (ص١٠٣).

وقد روى أبو داود والترمذى وأبو يعلى والبزار وغيرهم من حديث ابن أبى رواد، عن ابن جريج، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «عرضت عليّ أجور أمتى حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت عليّ ذنوب أمتى، فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها»(١).

قال الترمذى: غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه، وذاكرت به البخارى فاستغربه، وحكى البخارى عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى أنه أنكر سماع المطلب من أنس بن مالك.

قلت: وقد رواه محمد بن يزيد الآدمى(٢)، عن ابن أبى رواد، عن ابن جريج عن الزهرى، عن أنس بن مالك، عن النبى ﷺ به. والله أعلم.

وقد أدخل بعض المفسرين هذا المعنى فى قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ . قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا . قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ**﴾ [طه: ١٢٤ ـ ١٢٦]، وهذا الذى قاله هذا ـ وإن لم يكن هو المراد جميعه ـ فهو بعضه، فإن الإعراض عن تلاوة القرآن وتعريضه للنسيان وعدم الاعتناء به فيه تهاون كثير وتفريط شديد، نعوذ بالله منه؛ ولهذا قال عليه السلام: «تعاهدوا القرآن»، وفى لفظ: «استذكروا القرآن، فإنه أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم».

التَّفَصِّى: التخلص يقال: تَفَصَّى فلان من البلية: إذا تخلص منها، ومنه: تفصى النوى من التمرة: إذا تخلص منها، أى: إن القرآن أشد تفلتا من الصدور من النعم إذا أرسلت من غير عقال.

وقال أبو عبيد: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم قال: قال عبد الله ـ يعنى ابن مسعود ـ: إنى لأمقت القارئ أن أراه سمينا نسيا للقرآن(٣).

حدثنا عبد الله بن المبارك، عن عبد العزيز بن أبى رواد قال: سمعت الضحاك بن مزاحم يقول: ما من أحد تعلم القرآن ثم نسيه إلا بذنب يحدثه؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ**﴾ [الشورى: ٣٠]، وإن نسيان القرآن من أعظم المصائب(٤).

ولهذا قال إسحاق بن راهويه وغيره: يُكره لرجل أن يمر عليه أربعون يوما لا يقرأ فيها القرآن، كما أنه يُكره له أن يقرأ فى أقل من ثلاثة أيام، كما سيأتى هذا، حيث يذكره البخارى بعد هذا، وكان الأليق أن يتبعه هذا الباب، ولكن ذكر بعد هذا قوله:

القراءة على الدابة

حدثنا حجاج، حدثنا شعبة، أخبرنى أبو إياس قال: سمعت عبد الله بن مغفل، رضى الله عنه،

---

(١) سنن أبى داود برقم (٤٦١) وسنن الترمذى برقم (٢٩١٦) ومسند أبى يعلى (٧/ ٢٥٣).
(٢) فى جـ: «الأموى».
(٣) فضائل القرآن (ص١٠٤) وفيه انقطاع بين النخعى وابن مسعود.
(٤) فضائل القرآن (ص١٠٤).

قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وهو يقرأ على راحلته سورة الفتح [١].

وهذا الحديث قد أخرجه الجماعة سوى ابن ماجة من طرق، عن شعبة، عن أبى إياس، وهو معاوية بن قرة به[٢]، وهذا ـ أيضا ـ له تعلق بما تقدم من تعاهد القرآن وتلاوته سفرا وحضرا، ولا يكره ذلك عند أكثر العلماء إذا لم يتله القارئ فى الطريق، وقد نقله ابن أبى داود عن أبى الدرداء أنه كان يقرأ فى الطريق، وقد روى عن عمر بن عبد العزيز أنه أذن فى ذلك، وعن الإمام مالك أنه كره ذلك، كما قال ابن أبى داود: وحدثنى أبو الربيع، أخبرنا ابن وهب [قال][٣]: سألت مالكا عن الرجل يصلى فى آخر الليل، فيخرج إلى المسجد، وقد بقى من السورة التى كان يقرأ فيها شيء، فقال: ما أعلم القراءة تكون فى الطريق.

وقال الشعبى: تكره قراءة القرآن فى ثلاثة مواطن: فى الحمام، وفى الحشوش، وفى الرحى وهى تدور. وخالفه فى القراءة فى الحمام كثير من السلف: أنها لا تكره، وهو مذهب مالك والشافعى وإبراهيم النخعى وغيرهم، وروى ابن أبى داود عن على بن أبى طالب: أنه كره ذلك، ونقله ابن المنذر عن أبى وائل شقيق بن سلمة، والشعبى والحسن البصرى ومكحول وقبيصة بن ذؤيب، وهو رواية عن إبراهيم النخعى، ومحكىّ عن أبى حنيفة، رحمهم الله، ، أن القراءة فى الحمام تكره وأما القراءة فى الحشوش فكراهتها ظاهرة، ولو قيل بتحريم ذلك صيانة لشرف القرآن لكان مذهبا، وأما القراءة فى بيت الرحى وهى تدور فلئلا يعلو غير القرآن عليه، والحق يعلو ولا يُعلى، والله أعلم.

تعليم الصبيان القرآن

حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة، عن أبى بشر، عن سعيد بن جبير قال: إن الذى تدعونه المفصل هو المحكم، قال: وقال ابن عباس: توفى رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم[٤].

حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هُشَيْم، أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: جمعت المحكم فى عهد النبى ﷺ فقلت له: وما المحكم؟ قال: «المفصل»[٥].

انفرد بإخراجه البخارى، وفيه دلالة على جواز تعلم الصبيان القرآن؛ لأن ابن عباس أخبر عن سنه حين موت الرسول ﷺ، وقد كان جمع المفصل، وهو من الحجرات، كما تقدم ذلك، وعمره آنذاك عشر سنين. وقد روى البخارى أنه قال: توفى رسول الله ﷺ وأنا مختون [٦]. وكانوا لا يختنون الغلام حتى يحتلم، فيحتمل أنه تجوز فى هذه الرواية بذكر العشر، وترك ما زاد عليها من

---

(١) صحيح البخارى برقم (٥٠٣٤).

(٢) صحيح مسلم برقم (٧٩٤) وسنن أبى داود برقم (١٤٦٧) والشمائل للترمذى برقم (٣٠٢) وسنن النسائى الكبرى برقم (٨٠٦٢).

(٣) زيادة من ط.

(٤) صحيح البخارى برقم (٥٠٣٥).

(٥) صحيح البخارى برقم (٥٠٣٦).

(٦) صحيح البخارى برقم (٦٢٩٩).

الكسر، والله أعلم.

وعلى كل تقدير، ففيه دلالة على جواز تعليمهم القرآن فى الصبا، وهو ظاهر، بل قد يكون مستحبا أو واجبا؛ لأن الصبى إذا تعلم القرآن بلغ وهو يعرف ما يصلى به، وحفظه فى الصغر أولى من حفظه كبيرا، وأشد علوقا بخاطره وأرسخ وأثبت، كما هو المعهود من حال الناس، وقد استحب بعض السلف أن يترك الصبى فى ابتداء عمره قليلا للعب، ثم توفر همته على القراءة، لئلا يلزم أولا بالقراءة فيملها ويعدل عنها إلى اللعب، وكره بعضهم تعليمهم القرآن وهو لا يعقل ما يقال له، ولكن يترك حتى إذا عقل وميز علم قليلا قليلا، بحسب همته ونهمته وحفظه وجودة ذهنه، واستحب عمر ابن الخطاب، رضى الله عنه، أن يلقن خمس آيات خمس آيات، رويناه عنه بسند جيد[١].

نسيان القرآن

وهل يقول: نسيت آية كذا وكذا، وقول الله تعالى:

﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَى. إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعلى:٦، ٧]

حدثنا الربيع بن يحيى، حدثنا زائدة، حدثنا هشام، عن عروة، عن عائشة قالت: لقد سمع النبى ﷺ رجلا يقرأ فى المسجد فقال: «يرحمه الله، لقد أذكرنى كذا وكذا من سورة كذا».

وحدثنى محمد بن عبيد بن ميمون، حدثنا عيسى بن يونس، عن هشام وقال: أسقطتهن من سورة كذا وكذا. انفرد به أيضا. تابعه على بن مسهر وعبدة عن هشام[٢].

وقد أسندهما البخارى فى موضع آخر، ومسلم معه فى عبدة[٣].

وحدثنا أحمد بن أبى رجاء، حدثنا أبو أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، رضى الله عنها، قالت: سمع رسول الله ﷺ رجلا يقرأ فى سورة بالليل فقال: «يرحمه الله، فقد[٤] أذكرنى آية كذا وكذا كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا». ورواه مسلم من حديث أبى أسامة حماد بن أسامة[٥].

الحديث الثانى: حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن منصور، عن أبى وائل، عن عبد الله، رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «بئس ما لأحدهم أن يقول: نسيت آية كيت وكيت، بل هو نُسِّى» ورواه مسلم والنسائى، من حديث منصور به[٦]. وقد تقدم. وفى مسند أبى يعلى: «فإنما هو نُسِىَ»، بالتخفيف، هذا لفظه.

وفى هذا الحديث ـ والذى قبله ـ دليل على أن حصول النسيان للشخص ليس بنقصٍ له إذا كان

(١) مسند الفاروق للمؤلف (١/ ١٧٠).
(٢) صحيح البخارى برقم (٥٠٣٧).
(٣) صحيح البخارى برقم (٦٣٣٥) وصحيح مسلم برقم (٧٨٨).
(٤) فى جـ، ط: «قد».
(٥) صحيح البخارى برقم (٥٠٣٨) وصحيح مسلم برقم (٧٨٨).
(٦) صحيح البخارى برقم (٥٠٣٩) وصحيح مسلم برقم (٧٩٠) وسنن النسائى الكبرى برقم (٨٠٤٢).

بعد الاجتهاد والحرص، وفى حديث ابن مسعود أدب فى التعبير عن حصول ذلك، فلا يقول: نسيت آية كذا، فإن النسيان ليس من فعل العبد، وقد يصدر عنه أسبابه من التناسى والتغافل والتهاون المفضى إلى ذلك، فأما النسيان نفسه فليس بفعله؛ ولهذا قال: «بل هو نُسِّيَ»، مبنى لما لم يسم فاعله، وأدب ـ أيضا ـ فى ترك إضافة ذلك إلى الله تعالى، وقد أسند النسيان إلى العبد فى قوله: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤] وهو، والله أعلم، من باب المجاز السائغ بذكر المسبب وإرادة السبب؛ لأن النسيان إنما يكون عن سبب قد يكون ذنبا، كما تقدم عن الضحاك بن مزاحم، فأمر الله تعالى بذكره ليذهب الشيطان عن القلب كما يذهب عند النداء بالأذان، والحسنة تذهب السيئة، فإذا زال السبب للنسيان انزاح، فحصل الذكر لشىء بسبب ذكر الله تعالى، والله أعلم.

من لم ير بأساً أن يقول:
سورة البقرة، وسورة كذا وكذا

حدثنا عمر بن حفص بن غياث(١)، حدثنا أبى، حدثنا الأعمش، حدثنى إبراهيم، عن علقمة وعبد الرحمن بن يزيد، عن أبى مسعود الأنصارى قال: قال رسول الله ﷺ: «الآيتان من آخر سورة البقرة، من قرأ بهما فى ليلة كفتاه»(٢).

وهذا الحديث قد أخرجه الجماعة من حديث عبد الرحمن بن يزيد وصاحبا الصحيح والنسائى وابن ماجة من حديث علقمة، كلاهما عن أبى مسعود عقبة بن عامر الأنصارى البكرى(٣).

الحديث الثانى: ما رواه من حديث الزهرى، عن عروة، عن المسْوَر وعبد الرحمن بن عبد القارئ، كلاهما عن عمر قال: سمعت هشام بن حكيم [بن حزام](٤) يقرأ سورة الفرقان... وذكرَ الحديث بطوله، كما تقدم، وكما سيأتى(٥).

الحديث الثالث: ما رواه من حديث هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: سمع رسول الله ﷺ قارئا يقرأ من الليل فى المسجد، فقال: «يرحمه الله، لقد أذكرنى كذا وكذا آية، كنت أسقطتهن من سورة كذا وكذا»(٦).

وهكذا فى الصحيحين عن ابن مسعود: أنه كان يرمى الجمرة من الوادى ويقول: هذا مقام الذى أنزلت عليه سورة البقرة(٧). وكره بعض السلف ذلك، ولم يروا إلا أن يقال: السورة التى يذكر فيها كذا وكذا، كما تقدم من رواية يزيد الفارسى عن ابن عباس، عن عثمان أنه قال: إذا نزل شىء من

---

(١) فى جـ: «عتاب».
(٢) صحيح البخارى برقم (٥٠٤٠).
(٣) صحيح البخارى برقم (٤٠٠٨، ٥٠٥١، ٥٠٠٨) وصحيح مسلم برقم (٨٠٧، ٨٠٨) وسنن أبى داود برقم (١٣٩٧) وسنن الترمذى برقم (٢٨٨١) وسنن النسائى الكبرى برقم (٨٠١٨، ٨٠١٩) وسنن ابن ماجة برقم (١٣٦٨، ١٣٦٩).
(٤) زيادة من ط، جـ.
(٥) صحيح البخارى برقم (٥٠٤١).
(٦) صحيح البخارى برقم (٥٠٤٢).
(٧) صحيح البخارى برقم (١٧٤٧) وصحيح مسلم برقم (١٢٩٦).

القرآن يقول رسول الله ﷺ: «اجعلوا هذا فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا»، ولا شك أن هذا أحوط وأولى، ولكن قد صحت الأحاديث بالرخصة فى الآخر، وعليه عملُ الناس اليوم فى ترجمة السور فى مصاحفهم، وبالله التوفيق.

الترتيل فى القراءة

وقول الله[1] عز وجل: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤]، وقوله: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦] أن يهذ كهذ الشعر، يفرق: يفصل، قال ابن عباس: ﴿فَرَقْنَاهُ﴾: فصلناه.

حدثنا أبو النعمان، حدثنا مهدى بن حدثنا واصل[وهو ابن حيان الأحدب][2]، عن أبى وائل، عن عبد الله قال: غدونا على عبد الله. فقال رجل: قرأت المفصل البارحة، فقال: هذا كهذِّ الشعر، إنا قد سمعنا القراءة، وإنى لأحفظ القراءات التى كان يقرأ بهن النبى ﷺ ثمان عشرة سورة من المفصل، وسورتين من آل حم[3].

ورواه مسلم عن شيبان بن فَرُّوخ، عن مهدى بن ميمون، عن واصل ـ وهو ابن حيان الأحدب ـ عن أبى وائل شقيق بن سلمة عن ابن مسعود به[4].

وقال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة، حدثنا ابن لَهِيعة، عن الحارث بن يزيد، عن زياد بن نعيم، عن مسلم بن مِخْراق، عن عائشة أنه ذكر لها أن ناسا يقرؤون القرآن فى الليل مرة أو مرتين، فقالت: أولئك قرؤوا ولم يقرؤوا، كنت أقوم مع النبى ﷺ ليلة التمام، فكان يقرأ سورة البقرة وآل عمران والنساء، فلا يمر بآية فيها تخوف إلا دعا الله واستعاذ، ولا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا الله ورغب إليه[5].

الحديث الثانى: حدثنا قتيبة، حدثنا جرير، عن موسى بن أبى عائشة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦]: كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل بالوحى، وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه. وذكر تمام الحديث كما سيأتى، وهو متفق عليه، وفيه والذى قبله دليل على استحباب ترتيل القراءة والترسل فيها من غير هَذْرَمة ولا سرعة مفرطة، بل بتأمل وتفكر، قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩].

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن[6] سفيان، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله بن عمرو، عن النبى ﷺ: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارْقَ، ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها»[7].

---

(١) فى جـ، ط: «وقوله».
(٢) زيادة من جـ.
(٣) صحيح البخارى برقم (٥٠٤٣).
(٤) صحيح مسلم برقم (٨٢٢).
(٥) المسند (٦/ ٩٢).
(٦) فى ط: «عن».
(٧) المسند (٢/ ١٩٢).

وقال أبو عبيد: حدثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم قال: قرأ علقمة على عبد الله، فكأنه عجل، فقال عبد الله: فداك أبى وأمى، رتل فإنه زين القرآن. قال: وكان علقمة حسن الصوت بالقرآن(١).

وحدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، عن أبى جمرة قال: قلت لابن عباس: إنى سريع القراءة وإنى أقرأ القرآن فى ثلاث فقال: لأن أقرأ البقرة (٢) فى ليلة فأدبرها وأرتلها أحب إلىّ من أن أقرأ كما تقول(٣).

وحدثنا حجاج، عن شعبة وحماد بن سلمة، عن أبى جمرة، عن ابن عباس نحو ذلك، إلا أن فى حديث حماد: أحب إلىّ من أن أقرأ القرآن أجمع هذرمة(٤).

ثم قال البخارى، رحمه الله:

مد القراءة

حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا جرير بن حازم الأزدى، حدثنا قتادة قال: سألت أنس بن مالك عن قراءة النبى ﷺ فقال: كان يمد مدا(٥).

وهكذا رواه أهل السنن، من حديث جرير بن حازم به(٦)، وحدثنا عمرو بن عاصم، حدثنا همام، عن قتادة قال: سئل أنس بن مالك: كيف كانت قراءة النبى ﷺ؟ فقال: كانت مداً، ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم. يمد بسم الله، ويمد بالرحمن، ويمد بالرحيم. انفرد به البخارى من هذا الوجه(٧)، وفى معناه الحديث الذى رواه الإمام أبو عبيد: حدثنا أحمد بن عثمان، عن عبد الله بن المبارك، عن الليث بن سعد، عن ابن أبى مُلَيْكَة، عن يعلى بن مَملك، عن أم سلمة: أنها نعتت قراءة رسول الله ﷺ قراءة مفسرة حرفاً حرفاً (٨).

وهكذا رواه الإمام أحمد بن حنبل، عن يحيى بن إسحاق، وأبو داود عن يزيد بن خالد الرملى، والترمذى والنسائى، كلاهما عن قتيبة، كلهم عن الليث بن سعد به(٩). وقال الترمذى: حسن صحيح.

ثم قال أبو عبيد: وحدثنا يحيى بن سعيد الأموى، عن ابن جريج، عن ابن أبى مُلَيْكَة، عن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته؛ بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين. وهكذا.

---

(١) فضائل القرآن(ص٧٤).
(٢) فى جـ : «القرآن».
(٣، ٤) فضائل القرآن (ص٧٤).
(٥) صحيح البخارى برقم (٥٠٤٥).
(٦) سنن أبى داود برقم (١٤٦٥) وسنن النسائى (٢/ ١٧٩) والشمائل للترمذى برقم (٣٠٨) وسنن ابن ماجة برقم (١٣٥٣).
(٧) صحيح البخارى برقم (٥٠٤٦).
(٨) فضائل القرآن (ص ٧٤).
(٩) المسند (٦/ ٣٠٠) وسنن أبى داود برقم (١٤٦٦) وسنن النسائى (٢/ ١٨١) وسنن الترمذى برقم (٢٩٢٣).

رواه أبو داود والترمذى من حديث ابن جريج[١]. وقال الترمذى: غريب وليس إسناده بمتصل، يعنى: أن عبد الله بن عبيد الله بن أبى مُلَيْكة لم يسمعه من أم سلمة، وإنما رواه عن يعلى بن مَمْلَك، كما تقدم، والله أعلم.

الترجيع

حدثنا آدم بن أبى إياس، حدثنا شعبة، حدثنا أبو إياس قال: سمعت عبد الله بن مغفل قال: رأيت النبى ﷺ وهو على ناقته ـ أو جمله ـ وهى تسير به، وهو يقرأ سورة الفتح قراءة لينة وهو يرجع[٢].

وقد تقدم هذا الحديث فى القراءة على الدابة وأنه من المتفق عليه، وفيه أن ذلك كان يوم الفتح، وأما الترجيع: فهو الترديد فى الصوت كما جاء ـ أيضا ـ فى البخارى أنه جعل يقول: (آ آ آ)، وكان ذلك صدر من حركة الدابة تحته، فدل على جواز التلاوة عليها، وإن أفضى إلى ذلك ولا يكون ذلك من باب الزيادة فى الحروف، بل ذلك مغتفر للحاجة، كما يصلى على الدابة حيث توجهت به، مع إمكان تأخير ذلك الصلاة إلى القبلة، والله أعلم.

حسن الصوت بالقراءة

حدثنا محمد بن خلف أبو بكر، حدثنا أبو يحيى الحمّانى، حدثنا بريد بن عبد الله بن أبى بردة، عن جده أبى بردة، عن أبى موسى الأشعرى، عن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا موسى، لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود»[٣]، وهذا رواه الترمذى عن موسى بن عبد الرحمن الكندى، عن أبى يحيى الحمّانى[٤] ـ واسمه عبد الحميد بن عبد الرحمن ـ وقال: حسن صحيح. وقد رواه مسلم من حديث طلحة بن يحيى بن طلحة، عن أبى بردة، عن أبى موسى[٥]، وفيه قصة، وقد تقدم الكلام على تحسين الصوت عند قول البخارى: من لم يتغن بالقرآن، وذكرنا هنا أحكاما كافية عن إعادتها ههنا، والله أعلم.

من أحب أن يسمع القرآن من غيره

حدثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبى، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم بن عبيدة، عن عبد الله قال: قال لى النبى ﷺ: «اقرأ علىّ القرآن». قلت: عليك أقرأ وعليك أنزل؟! قال: «إنى أحب أن أسمعه من غيرى».

وقد رواه الجماعة إلا ابن ماجه، من طرق عن الأعمش[٦]، وله طرق يطول ذكرها وبسطها، وقد

---

(١) فضائل القرآن (ص ٧٥) وسنن أبى داود برقم (١٤٠٠) وسنن الترمذى برقم (٢٩٢٧).
(٢) صحيح البخارى برقم (٥٠٤٧).
(٣) صحيح البخارى برقم (٥٠٤٨).
(٤) سنن الترمذى برقم (٣٨٥٥).
(٥) صحيح مسلم برقم (٧٩٣).
(٦) صحيح البخارى برقم (٥٠٤٩) وصحيح مسلم برقم (٨٠٠) وسنن أبى داود برقم (٣٦٦٨) وسنن النسائى الكبرى برقم (٨٠٧٥) وسنن الترمذى برقم (٣٠٢٥).

تقدم فيما رواه مسلم من حديث طلحة بن يحيى بن طلحة، عن أبى بردة، عن أبى موسى: أن رسول الله ﷺ قال له: «يا أبا موسى، لو رأيتنى وأنا أستمع لقراءتك البارحة». فقال: أما والله لو أعلم أنك تستمع قراءتى لحَبَّرْتها لك تحبيرا.

وقال الزهرى، عن أبى سلمة: كان عمر إذا رأى أبا موسى قال: ذكرنا ربنا يا أبا موسى. فيقرأ عنده.

وقال أبو عثمان النهدى: كان أبو موسى يصلى بنا، فلو قلت: إنى لم أسمع صوت صنج قط ولا بربط قط، ولا شيئا قط أحسن من صوته.

قول المقرئ للقارئ: حسبك

حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن عبد الله قال: قال لى رسول الله ﷺ: «اقرأ على». فقلت: يا رسول الله، آقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: «نعم»، فقرأت عليه سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، قال: «حسبك الآن» [فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان][١] [٢].

أخرجه الجماعة إلا ابن ماجه، من رواية الأعمش به[٣]، ووجه الدلالة ظاهر، وكذا الحديث الآخر: «اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا».

فى كم يقرأ القرآن

وقول الله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠]

حدثنا على، حدثنا سفيان، قال: قال لى ابن شبرمة: نظرت كم يكفى الرجل من القرآن فلم أجد سورة أقل من ثلاث آيات. فقلت: لا ينبغى لأحد أن يقرأ أقل من ثلاث آيات. قال سفيان: أخبرنا منصور، عن إبراهيم، عن عبد الرحمن بن يزيد، أخبره علقمة عن أبى مسعود، فلقيته وهو يطوف بالبيت، فذكر النبى ﷺ أن من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه[٤].

وقد تقدم أن هذا الحديث متفق عليه، وقد جمع البخارى فيما بين عبد الرحمن بن يزيد وعلقمة عن أبى مسعود وهو صحيح؛ لأن عبد الرحمن سمعه أولا من علقمة، ثم لقى أبا مسعود وهو يطوف فسمعه منه، وعلىّ هذا هو ابن المدينى وشيخه هو سفيان بن عيينة، وما قاله عبد الله بن شبرمة ـ فقيه الكوفة فى زمانه ـ استنباط حسن، وقد جاء فى حديث فى السنن: «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب وثلاث آيات»[٥]، ولكن هذا الحديث ـ أعنى حديث أبى مسعود ـ أصح وأشهر وأخص، ولكن وجه مناسبته

---

(١) زيادة من ط.

(٢) صحيح البخارى برقم (٥٠٥٠).

(٣) صحيح مسلم برقم (٨٠٠) وسنن أبى داود برقم (٣٦٦٨) وسنن النسائى الكبرى برقم (٨٠٧٨) والشمائل للترمذى برقم (٣٠٦).

(٤) صحيح البخارى برقم (٥٠٥١).

(٥) كذا قال الحافظ ابن كثير، ولم أقع عليه فى السنن الأربعة، وقد رواه ابن عدى فى الكامل (٥/٢٩) من طريق عمر بن يزيد المدائنى عن عطاء عن ابن عمر، رضى الله عنه، مرفوعاً بلفظ: «لا تجزئ فى المكتوبة إلا بفاتحة الكتاب وثلاث آيات فصاعدا». والمدائنى منكر الحديث كما قال ابن عدى.

للترجمة التى ذكرها البخارى فيه نظر، والله أعلم[١].

والحديث الثانى أظهر فى المناسبة وهو قوله: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عَوَانة، عن مغيرة، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو قال: أنكحنى أبى امرأة ذات حسب، فكان يتعاهد كنَّتَه فيسألها عن بعلها فتقول: نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشا، ولم يفتش لنا كنفا منذ أتيناه، فلما طال ذلك عليه ذكر للنبى ﷺ، فقال: «ألقنى به»، فلقيته بعد، فقال: «كيف تصوم؟». قلت: كل يوم. قال: «وكيف تختم؟». قال: كل ليلة. قال: «صم كل شهر ثلاثة، واقرأ القرآن فى كل شهر»: قال: قلت: إنى أطيق أكثر من ذلك. قال: «صم ثلاثة أيام فى الجمعة». قلت: أطيق أكثر من ذلك. قال: «أفطر يومين وصوم يوما». قلت: أطيق أكثر من ذلك. قال: «صم أفضل الصوم صوم داود، صيام يوم وإفطار يوم، واقرأ فى كل سبع ليال مرةً»، فليتنى قبلت رخصة رسول الله ﷺ! وذلك أنى كبرت وضعفت، فكان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن بالنهار والذى يقرأ يعرضه بالنهار ليكون أخف عليه بالليل، وإذا أراد أن يتقوى أفطر أياما وأحصى وصام مثلهن، كراهية أن يترك شيئا فارق عليه النبى ﷺ. وقال بعضهم: فى ثلاث وفى خمس وأكثرهم على سبع[٢].

وقد رواه فى الصوم، والنسائى ـ أيضا ـ عن بُنْدَار عن غُنْدَر، عن شعبة، عن مغيرة، والنسائى من حديث حصين، كلاهما عن مجاهد به[٣].

ثم روى البخارى ومسلم وأبو داود من حديث يحيى بن أبى كثير، عن محمد بن عبد الرحمن ـ مولى بنى زهرة[٤] ـ عن أبى سلمة: قال: وأحسبنى قال: سمعت أنا من أبى سلمة، عن عبد الله بن عمرو قال: قال لى النبى ﷺ: «اقرأ القرآن فى شهر». قلت: إنى أجد قوة. قال: «فاقرأه فى سبع ولا تزد على ذلك»[٥]. فهذا السياق ظاهره يقتضى المنع من قراءة القرآن فى أقل من سبع، وهكذا الحديث الذى رواه أبو عبيد:

حدثنا حجاج وعمر بن طارق ويحيى بن بكير، كلهم عن ابن لَهِيعة، عن حبان بن واسع، عن أبيه، عن قيس بن أبى صعصعة؛ أنه قال للنبى ﷺ: يا رسول الله، فى كم أقرأ القرآن؟ فقال: «فى كل خمس عشرة». قال: إنى أجد فى أقوى من ذلك، قال: «ففى كل جمعة»[٦].

وحدثنا حجاج عن شعبة، عن محمد بن ذكوان ـ رجل من أهل الكوفة ـ قال: سمعت عبدالرحمن بن عبد الله بن مسعود يقول: كان عبد الله بن مسعود يقرأ القرآن فى غير رمضان من

---

(١) قال الحافظ ابن حجر فى الفتح (٩/ ٩٥): «وقد خفيت مناسبة حديث أبى مسعود بالترجمة على ابن كثير، والذى يظهر أنها من جهة أن الآية المترجم بها تناسب ما استدل به ابن عيينة من حديث أبى مسعود، والجامع بينهما أن كلاً من الآية والحديث يدل على الاكتفاء بخلاف ما قال ابن شبرمة».

(٢) صحيح البخارى برقم (٥٠٥٢).

(٣) صحيح البخارى برقم (١٩٧٨) وسنن النسائى (٤/ ٢٠٩، ٢١٠).

(٤) فى ط: «أبى هريرة».

(٥) صحيح البخارى برقم (٥٠٥٣) وصحيح مسلم برقم (١١٥٩) وسنن أبى داود برقم (١٣٨٨) لكنه عند أبى داود من طريق أبان العطار عن يحيى بن أبى كثير عن محمد بن إبراهيم عن أبى سلمة، والله أعلم.

(٦) فضائل القرآن (ص ٨٧).

الجمعة إلى الجمعة[١].

وعن حجاج، عن شعبة، عن أيوب: سمعت أبا قِلاَبة، عن أبى المهلب قال: كان أبىّ بن كعب يختم القرآن فى كل ثمان.

وحدثنا على بن عاصم، عن خالد، عن أبى قلابة قال: كان أبىّ بن كعب يختم القرآن فى كل ثمان.

وكان تميم الدارى يختمه فى كل سبع، وحدثنا هُشَيْم، عن الأعمش، عن إبراهيم: أنه كان يختم القرآن فى كل سبع[٢].

وحدثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم قال: كان الأسود يختم القرآن فى كل ست، وكان علقمة يختمه فى كل خمس[٣].

فلو تركنا ومجرد هذا لكان الأمر فى ذلك جليا، ولكن دلت أحاديث أخرجوها[٤] على جواز قراءته فيما دون ذلك، كما رواه الإمام أحمد فى مسنده: حدثنا حسن، حدثنا ابن لَهيعة، حدثنا حبان ابن واسع، عن أبيه، عن سعد بن المنذر الأنصارى؛ أنه قال: يا رسول الله، أقرأ القرآن فى ثلاث؟ قال: «نعم». قال: فكان يقرؤه حتى توفى[٥].

وهذا إسناد جيد قوى حسن، فإن حسن بن موسى الأشيب ثقة متفق على جلالته روى له الجماعة وابن لَهيعة، إنما يخشى من تدليسه وسوء حفظه، وقد صرح ههنا بالسماع، وهو من الأئمة العلماء بالديار المصرية فى زمانه، وشيخه حبان بن واسع بن حبان وأبوه، كلاهما من رجال مسلم، والصحابى لم يخرج له أحد من أهل الكتب الستة، وهذا على شرط كثير منهم، والله أعلم.

وقد رواه أبو عبيد، رحمه الله، عن ابن كثير[٦]، عن ابن لَهيعة، عن حبان بن واسع، عن أبيه، عن سعد بن المنذر الأنصارى أنه قال: يا رسول الله، أقرأ القرآن فى ثلاث؟ قال: «نعم، إن استطعت». قال: فكان يقرؤه كذلك حتى توفى[٧].

حديث آخر: قال أبو عبيد: حدثنا يزيد، عن همام، عن قتادة، عن يزيد بن عبد الله بن الشخير، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يفقه من قرأه فى أقل من ثلاث».

وهكذا أخرجه أحمد وأصحاب السنن الأربعة من حديث قتادة به[٨]. وقال الترمذى: حسن صحيح.

حديث آخر: قال أبو عبيد: حدثنا يوسف بن الغرق، عن الطيب بن سليمان، حدثتنا عمرة بنت

(١) فضائل القرآن (ص ٨٧).
(٢، ٣) فضائل القرآن (ص ٨٨).
(٤) فى ط: «أخر».
(٥) لم أقع عليه فى المطبوع من المسند، وقد ذكره الحافظ ابن حجر فى أطراف المسند (٢/ ٤٦٥).
(٦) فى ط: «بكير».
(٧) فضائل القرآن (ص ٨٨).
(٨) فضائل القرآن (ص ٨٩) والمسند (٢/ ١٨٩، ١٦٥) وسنن أبى داود برقم (١٣٩٤) وسنن الترمذى برقم (٢٩٤٩) وسنن النسائى الكبرى برقم (٨٠٦٧) وسنن ابن ماجة برقم (١٣٤٧).

عبد الرحمن: أنها سمعت عائشة تقول: كان رسول الله ﷺ لا يختم القرآن فى أقل من ثلاث[(١)].

هذا حديث غريب وفيه ضعف، فإن الطيب بن سليمان هذا بصرى، ضعفه الدارقطنى، وليس هو بذاك المشهور، والله أعلم.

وقد كره غير واحد من السلف قراءة القرآن فى أقل من ثلاث، كما هو مذهب أبى عبيد وإسحاق وابن راهويه وغيرهما من الخلف ـ أيضا ـ قال أبو عبيد: حدثنا يزيد، عن هشام بن حسان، عن حفصة، عن أبى العالية، عن معاذ بن جبل أنه كان يكره أن يقرأ القرآن فى أقل من ثلاث[(٢)]. صحيح.

وحدثنا يزيد، عن سفيان، عن على بن بَذِيمة، عن أبى عبيدة قال: [قال][(٣)] عبد الله: من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث فهو راجز. وحدثنا حجاج، عن شعبة، عن على بن بذيمة، عن أبى عبيدة، عن عبد الله مثله سواء[(٤)].

وحدثنا حجاج، عن شعبة، عن محمد بن ذَكْوَان، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه؛ أنه كان يقرأ القرآن فى رمضان فى ثلاث[(٥)]. إسناده صحيح.

وفى المسند عن عبد الرحمن بن شبل مرفوعا: «اقرؤوا القرآن، ولا تغلوا فيه، ولا تجفوا عنه، ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به»[(٦)].

فقوله: «لا تغلوا فيه» أى: لا تبالغوا فى تلاوته بسرعة فى أقصر مدة، فإن ذلك ينافى التدبر غالبا؛ ولهذا قابله بقوله: «ولا تجفوا عنه» أى: لا تتركوا تلاوته.

فصل

وقد ترخص جماعة[(٧)] من السلف فى تلاوة القرآن فى أقل من ذلك؛ منهم أمير المؤمنين عثمان ابن عفان، رضى الله عنه.

قال أبو عبيد: حدثنا حجاج، عن ابن جريج، أخبرنى ابن خَصيفة، عن السائب بن يزيد: أن رجلا سأل عبد الرحمن بن عثمان التيمى عن صلاة طلحة بن عبيد[(٨)] فقال: إن شئت أخبرتك عن صلاة عثمان، رضى الله عنه، فقال: نعم. قال: قلت: لأغلبن الليلة على الحجر، فقمت، فلما قمت إذا أنا برجل مقنع يزحمنى، فنظرت فإذا عثمان بن عفان، فتأخرت عنه، فصلى فإذا هو يسجد سجود القرآن، حتى إذا قلت: هذه هوادى الفجر، أوتر بركعة لم يصل غيرها[(٩)]. وهذا إسناد

---

(١) فضائل القرآن (ص ٨٨، ٨٩).

(٢) فضائل القرآن (ص ٨٩).

(٣) زيادة من ط.

(٤) فضائل القرآن (ص ٨٩).

(٥) فضائل القرآن (ص ٩٠).

(٦) المسند (٣/٤٢٨) من طريق زيد بن سلام عن جده عن أبى راشد عن عبد الرحمن بن شبل به مرفوعاً، وقال الحافظ ابن حجر: «سنده قوى».

(٧) فى ط: «جماعات».

(٨) فى ط: «عبيد الله».

(٩) فضائل القرآن (ص ٩٠).

صحيح.

قال[١]: وحدثنا هُشَيْم، عن منصور، عن ابن سيرين قال: قالت نائلة بنت الفرافصة الكلبية حيث دخلوا على عثمان ليقتلوه: إن يقتلوه أو يدعوه، فقد كان يحيى الليل كله بركعة يجمع فيها القرآن. وهذا حسن أيضا[٢].

وقال ـ أيضا ـ: حدثنا أبو معاوية، عن عاصم بن سليمان، عن ابن سيرين: إن تميما الدارى قرأ القرآن فى ركعة[٣].

حدثنا حجاج بن شعبة، عن حماد، عن سعيد بن جبير: أنه قال: قرأت القرآن فى ركعة فى البيت ـ يعنى الكعبة[٤].

وحدثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة أنه قرأ القرآن فى ليلة، طاف بالبيت أسبوعا، ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بالطول، ثم طاف بالبيت أسبوعا، ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بالمئين، ثم طاف أسبوعا، ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بالمثانى، ثم طاف بالبيت أسبوعا ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بقية القرآن[٥].

وهذه كلها أسانيد صحيحة، ومن أغرب ما ههنا: ما رواه أبو عبيد: حدثنا سعيد بن عُفَيْر، عن بكر بن مضر، أن سليم بن عتر التجيبى كان يختم القرآن فى ليلة ثلاث مرات، ويجامع ثلاث مرات. قال: فلما مات قالت امرأته: رحمك الله، إن كنت لترضى ربك وترضى أهلك، قالوا: وكيف ذلك؟ قالت: كان يقوم من الليل فيختم القرآن، ثم يلم بأهله ثم يغتسل، ويعود فيقرأ حتى يختم ثم يلم بأهله، ثم يغتسل، ويعود فيقرأ حتى يختم، ثم يلم بأهله ثم يغتسل، ويخرج إلى صلاة الصبح[٦].

قلت: كان سليم بن عتر تابعيا جليلا ثقة نبيلا، وكان قاضيا بمصر أيام معاوية وقاصّها، ثم قال أبو حاتم: روى عن أبى الدرداء، وعنه ابن زحر، ثم قال: حدثنى محمد بن عوف، عن أبى صالح كاتب الليث، حدثنى حرملة بن عمران، عن كعب بن علقمة قال: كان سليم بن عتر من خير التابعين[٧].

وذكره ابن يونس فى تاريخ مصر.

وقد روى ابن أبى داود عن مجاهد أنه كان يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء.

وعن منصور قال: كان على الأزدى يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء كل ليلة من رمضان.

وعن إبراهيم بن سعد قال: كان أبى يحتبى فما يحل حبوته حتى يختم القرآن.

قلت: وروى عن منصور بن زاذان: أنه كان يختم فيما بين الظهر والعصر، ويختم أخرى فيما

---

(١) فى ط: «ثم قال».
(٢ ـ ٦) فضائل القرآن (ص ٩١).
(٧) الجرح والتعديل (٤/ ٢١١، ٢١٢).

بين المغرب والعشاء، وكانوا يؤخرونها قليلا.

وعن الإمام الشافعى، رحمه الله: أنه كان يختم فى اليوم والليلة من شهر رمضان ختمتين، وفى غيره ختمة.

وعن أبى عبد الله البخارى ـ صاحب الصحيح ـ: أنه كان يختم فى الليلة ويومها من رمضان ختمة.

ومن غريب هذا وبديعه ما ذكره الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى الصوفى قال: سمعت الشيخ أبا عثمان المغربى يقول: كان ابن الكاتب يختم بالنهار أربع ختمات، وبالليل أربع ختمات.

وهذا نادر جدا. فهذا وأمثاله من الصحيح عن السلف محمول إما على أنه ما بلغهم فى ذلك حديث مما تقدم، أو أنهم كانوا يفهمون ويتفكرون فيما يقرؤونه مع هذه السرعة، والله أعلم.

قال الشيخ أبو زكريا النووى فى كتابه التبيان بعد ذكر طرف مما تقدم: (والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له كمال فهم ما يقرؤه، وكذا من كان مشغولا بنشر العلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل والهَذْرَمة)(١).

ثم قال البخارى، رحمه الله:

البكاء عند القراءة

وأورد فيه من رواية الأعمش، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأ علىّ». قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «إنى أشتهى أن أسمعه من غيرى». قال: فقرأت النساء، حتى إذا بلغت: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا**﴾ [النساء: ٤١]، قال لى: «كفّ أو أمسك»، فرأيت عيناه تذرفان(٢).

وهذا من المتفق عليه كما تقدم، وكما سيأتى إن شاء الله.

من راءى بقراءة القرآن
أو تأكَّل به أو فجر به

حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان، حدثنا الأعمش، عن خَيْثَمة، عن سُوَيد بن غفلة، قال(٣) على، رضى الله عنه: سمعت النبى ﷺ يقول: «يأتى فى آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرَّمِيَّة، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة»(٤).

(١) التبيان (ص ٧٦).

(٢) صحيح البخارى برقم (٥٠٥٥).

(٣) فى ط: «عن».

(٤) صحيح البخارى برقم (٥٠٥٧).

وقد روى فى موضعين آخرين، ومسلم وأبو داود والنسائى، من طرق عن الأعمش به[١]: حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا مالك، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن، عن أبى سعيد الخدرى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، ويقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر فى النصل[٢] فلا يرى شيئاً، وينظر فى القدح فلا يرى شيئا، وينظر فى الريش فلا يرى شيئاً، ويتمارى فى الفوق»[٣].

ورواه فى موضع آخر، ومسلم ـ أيضا ـ والنسائى من طرق عن الزهرى، عن أبى سلمة به[٤].

حدثنا مُسَدَّد بن مسرهد، حدثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن أبى موسى، رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ قال: «مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب، والمؤمن الذى لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القر آن كالحنظلة طعمها مر أو خبيث وريحها مر»[٥].

ورواه فى موضع آخر مع بقية الجماعة من طرق، عن قتادة به[٦].

ومضمون هذه الأحاديث التحذير من المراءاة بتلاوة القرآن التى هى من أعظم القرب، كما جاء فى الحديث: «واعلم أنك لن تتقرب إلى الله بأعظم مما خرج منه»[٧] يعنى: القرآن.

والمذكورون فى حديث على وأبى سعيد هم الخوارج، وهم الذين لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، وقد قال فى الرواية الأخرى: «يحقر أحدكم قراءته مع قراءتهم، وصلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم». ومع هذا أمر بقتلهم لأنهم مراؤون فى أعمالهم فى نفس الأمر، وإن كان بعضهم قد لا يقصد ذلك، إلا أنهم أسسوا أعمالهم على اعتقاد غير صالح، فكانوا فى ذلك كالمذمومين فى قوله: ﴿**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [التوبة: ١٠٩]، وقد اختلف العلماء فى تكفير الخوارج وتفسيقهم ورد روايتهم، كما سيأتى [تفصيله][٨] فى موضعه إن شاء الله.

---

(١) صحيح البخارى برقم (٣٦١١، ٦٩٣٠) وصحيح مسلم برقم (١٠٦٦) وسنن أبى داود برقم (٤٧٦٧) وسنن النسائى (١١٩/٧).

(٢) فى ط: «السهم».

(٣) صحيح البخارى برقم (٥٠٥٨).

(٤) صحيح البخارى برقم (٣٦١٠، ٦٩٣٣) وصحيح مسلم برقم (١٠٦٤) وسنن النسائى الكبرى برقم (٨٥٦٠).

(٥) صحيح البخارى برقم (٥٠٥٩).

(٦) صحيح البخارى برقم (٥٤٢٧)، (٧٥٦٠) وصحيح مسلم برقم (٧٩٧) وسنن أبى داود برقم (٤٨٣٠) وسنن الترمذى برقم (٢٨٦٥) وسنن النسائى (٨/ ١٢٤) وسنن ابن ماجة برقم (٢١٤).

(٧) رواه أحمد فى المسند (٢٦٨/٥) والترمذى فى السنن برقم (٢٩١١) من طريق ليث بن أبى سليم عن زيد بن أرطأة عن أبى أمامة به مرفوعاً، وقال الترمذى: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه».

(٨) زيادة من ط.

والمنافق المشبه بالريحانة التي لها الريح ظاهر وطعمها مر هو المرائي بتلاوته، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء: ١٤٢].

ثم قال البخاري:

اقرؤوا القرآن ما ائتَلَفت عليه قلوبكم

حدثنا أبو النعمان محمد بن الفضل عارم، حدثنا حماد بن زيد، عن أبي عمران الجوني، عن جندب بن عبد الله، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا [عنه][1]»[2].

حدثنا عمرو بن علي بن بحر الفلاّس، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا سلام بن أبي مطيع، عن أبي عمران الجوني، عن جُنْدُب قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا [عنه][3]»[4].

تابعه الحارث بن عُبَيْد وسعيد بن زيد، عن أبي عمران، ولم يرفعه حماد بن سلمة وأبان.

وقال غُنْدَر: عن شعبة، عن أبي عمران قال: سمعت جُنْدُبا. قوله: وقال ابن عون، عن أبي عمران، عن عبد الله بن الصامت، عن عمر قوله. وجندب أصح وأكثر[5] [6].

وقد رواه في موضع آخر، ومسلم كلاهما عن إسحاق بن منصور، عن عبد الصمد، عن همام، عن أبي عمران به[7]، ومسلم ـ أيضا ـ عن يحيى بن يحيى، عن الحارث بن عبيد أبي قدامة، عن أبي عمران به، ورواه مسلم ـ أيضا ـ عن أحمد بن سعيد، عن حبان بن هلال، عن أبان العطار، عن أبي عمران به مرفوعا[8].

وقد حكى البخاري: أن أبان وحماد بن سلمة لم يرفعاه، فالله أعلم.

ورواه النسائي والطبراني من حديث مسلم بن إبراهيم، عن هارون بن موسى الأعور النحوي، عن أبي عمران به.

---

(١) زيادة من ط والبخاري.

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٠٦٠).

(٣) زيادة من البخاري.

(٤) صحيح البخاري برقم (٥٠٦١).

(٥) في النسخ: «أكثر وأصح» والتصويب من البخاري.

(٦) قال الحافظ ابن حجر: «أي أصح سنداً وأكثر طرقاً وهو كما قال، فإن الجم الغفير رواه عن أبي عمران عن جندب إلا أنهم اختلفوا عليه في رفعه ووقفه، والذين رفعوه ثقات حفاظ فالحكم لهم، وأما رواية ابن عون فشاذة لم يتابع عليها».

(٧) صحيح البخاري برقم (٧٣٦٥) وصحيح مسلم برقم (٢٦٦٧).

(٨) صحيح مسلم برقم (٢٦٦٧).

ورواه النسائى ـ أيضا ـ من طرق عن سفيان، عن حجاج بن فرافصة، عن أبى عمران به مرفوعا[١]، وفى رواية عن هارون بن زيد بن أبى الزرقاء، عن أبيه، عن سفيان عن حجاج، عن أبى عمران، عن جُنْدُب موقوفا، ورواه محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، عن إسحاق الأزرق، عن عبد الله بن عون، عن أبى عمران، عن عبد الله بن الصامت، عن عمر قوله.

قال أبو بكر بن أبى داود: لم يخطئ ابن عون فى حديث قط إلا فى هذا، والصواب عن جندب. [ورواه الطبرانى عن على بن عبد العزيز عن مسلم بن ابراهيم وسعيد بن منصور قالا: حدثنا الحارث بن عبيد، عن أبى عمران، عن جندب مرفوعا][٢] [٣].

فهذا مما تيسر من ذكر طرق هذا الحديث على سبيل الاختصار، والصحيح منها ما أرشد إليه شيخ هذه الصناعة[٤] أبو عبد الله البخارى، رحمه الله، من أن الأكثر والأصح: أنه عن جندب بن عبد الله مرفوعا إلى رسول الله ﷺ.

ومعنى الحديث أنه، عليه السلام، أرشد وحض أمته على تلاوة القرآن إذا كانت القلوب مجتمعة على تلاوته، متفكرة فيه، متدبرة له، لا فى حال شغلها وملالها، فإنه لا يحصل المقصود من التلاوة بذلك كما ثبت فى الحديث أنه قال عليه الصلاة والسلام: «اكلفوا من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا»[٥] ،وقال: «أحب الأعمال إلى الله ما داوم عليه صاحبه وإن قل»، وفى اللفظ الآخر: «أحب الأعمال إلى الله أدومها [وإن قل][٦]»[٧] .

ثم قال البخارى: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا شعبة، عن عبد الملك بن ميسرة، عن النزال ابن سبرة، عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ أنه سمع رجلا يقرأ آية سمع النبى ﷺ خلافها، فأخذت بيده فانطلقت إلى النبى ﷺ فقال: «كلاكما محسن فاقرآ» أكبر علمى قال: «فإن من كان قبلكم اختلفوا فأهلكهم الله عز وجل».

وأخرجه النسائى من رواية شعبة به[٨]، وهذا فى معنى الحديث الذى تقدمه، وأنه ينهى عن الاختلاف فى القراءة والمنازعة فى ذلك والمراء فيه كما تقدم النهى عن ذلك، والله أعلم.

وقريب من هذا ما رواه عبد الله بن الإمام أحمد فى مسند أبيه: حدثنا أبو محمد سعيد بن محمد الجرمى، حدثنا يحيى بن سعيد الأموى، عن الأعمش، عن عاصم، عن زر بن حبيش قال: قال عبد الله ابن مسعود: تمارينا فى سورة من القرآن فقلنا: خمس وثلاثون آية، ست وثلاثون آية قال: فانطلقنا

---

(١) سنن النسائى الكبرى برقم (٨٠٩٦).

(٢) زيادة من ط.

(٣) المعجم الكبير (٢/ ١٦٣).

(٤) فى ط: «البضاعة».

(٥) رواه البخارى فى صحيحه برقم (٤٣) ومسلم فى صحيحه برقم (٧٨٥) من حديث عائشة رضى الله عنها.

(٦) زيادة من ط، م.

(٧) رواه مسلم فى صحيحه برقم (٧٨٢) من حديث عائشة رضى الله عنها.

(٨) صحيح البخارى برقم (٥٠٦٢) وسنن النسائى الكبرى برقم (٨٠٩٥).

إلى رسول الله ﷺ فوجدنا عليا بناصية فقلنا له: اختلفنا فى القراءة، فاحمر وجه رسول الله ﷺ، فقال على: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرؤوا كما قد علمتم(١).

وهذا آخر ما أورده البخارى، رحمه الله، فى كتاب(٢) فضائل القرآن، جل منزله، وتعالى قائله، ولله الحمد والمنة.

كتاب الجامع
لأحاديث شتى تتعلق بتلاوة القرآن
وفضائله وفضل أهله
فصل

قال أحمد: حدثنا معاوية بن هشام، حدثنا شيبان، عن فراس، عن عطية، عن أبى سعيد قال: قال نبى الله عليه الصلاة والسلام(٣): «يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة، حتى يقرأ آخر شىء معه»(٤).

وقال أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا حَيْوَة، حدثنا بشير بن أبى عمرو الخولانى؛ أن الوليد بن قيس التجيبى حدثه أنه سمع أبا سعيد الخدرى يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون خلف من بعد الستين سنة، أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا، ثم يكون خلف يقرؤون القرآن لا يعدوا تراقيهم، ويقرأ القرآن ثلاثة: مؤمن ومنافق وفاجر».

قال بشير: فقلت للوليد: ما هؤلاء الثلاثة؟ قال: المنافق كافر به، والفاجر يَتَأكَّل به، والمؤمن يؤمن به(٥).

وقال أحمد: حدثنا حجاج، حدثنا الليث، حدثنى يزيد بن أبى حبيب، عن أبى الخير، عن أبى الخطاب، عن أبى سعيد أنه قال: إن رسول الله ﷺ عام تبوك خطب الناس وهو مسند ظهره إلى نخلة فقال: «ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس؛ إن من خير الناس رجلا عمل فى سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو على قدميه حتى يأتيه الموت، وإن من شر الناس رجلا فاجرا جريئا يقرأ كتاب الله، لا يرعوى إلى شىء منه»(٦).

قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن عمر بن هياج الكوفى، حدثنا الحسين بن عبد الأول، حدثنا محمد بن الحسن الهمدانى، عن عمرو بن قيس، عن عطية، عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: من شغله قراءة القرآن عن دعائى أعطيته أفضل ثواب السائلين».

---

(١) زوائد المسند (١/ ١٠٥، ١٠٦).

(٢) فى ط: «كتابه». (٣) فى ط: «ﷺ».

(٤) المسند (٣/ ٤٠).

(٥) المسند (٣/ ٣٨).

(٦) المسند (٣/ ٣٧، ٥٨).

وقال رسول الله ﷺ: «إن فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»، ثم قال: تفرد به محمد بن الحسن ولم يتابع عليه[(١)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبيدة الحداد، حدثنى عبد الرحمن بن بُدَيْل بن ميسرة، حدثنى أبى، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله أهلِين من الناس». قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «أهْل القرآن هم أهل الله وخاصته»[(٢)].

وقال أبو القاسم الطبرانى: حدثنا محمد بن على بن شعيب السمسار، حدثنا خالد بن خِدَاش، حدثنا جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس بن مالك، رضى الله عنه: كان إذا ختم القرآن جمع أهله وولده فدعا لهم[(٣)].

وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنا محمد بن عباد المكى، حدثنا حاتم بن إسماعيل عن شريك، عن الأعمش، عن يزيد بن أبان، عن الحسن، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «القرآن غنى لا فقر بعده ولا غنى دونه»[(٤)].

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا عبد الله بن المحرر، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل شىء حلية، وحلية القرآن الصوت الحسن»[(٥)]. ابن المحرر ضعيف.

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لَهِيعة، حدثنا بكر بن سوادة، عن وفاء الخولانى، عن أنس بن مالك قال: بينما نحن نقرأ فينا العربى والعجمى والأسود والأبيض، إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «أنتم فى خير تقرؤون كتاب الله وفيكم رسول الله ﷺ وسيأتى على الناس زمان يثقفونه كما يثقف القدح، يتعجلون أجورهم ولا يتأجلونها»[(٦)].

وقد رواه الإمام أحمد ـ أيضا ـ عن حسن، عن ابن لَهِيعة، عن بكر، عن وفاء، عن سهل بن سعد، عن النبى ﷺ فذكره[(٧)].

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا عبد الله بن الجهم، حدثنا عمرو بن أبى قيس، عن عبد ربه بن عبد الله، عن عمر بن نبهان، عن الحسن، عن أنس؛ أن النبى ﷺ قال: «إن البيت الذى يقرأ فيه القرآن يكثر خيره، والبيت الذى لا يقرأ فيه القرآن يقل خيره»[(٨)].

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا الفضل بن الصباح، حدثنا أبو عبيدة، عن محتسب، حدثنى يزيد

---

(١) ورواه الترمذى فى السنن برقم (٢٩٢٦) من طريق محمد بن الحسن الهمدانى به، وقال الترمذى: «هذا حديث حسن غريب».
(٢) المسند (٣/ ١٢٨).
(٣) المعجم الكبير (١/ ٢٤٢) وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٧٢): «رجاله ثقات».
(٤) المعجم الكبير (١/ ٢٥٥) وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٥٨): «رواه أبو يعلى وفيه يزيد بن أبان الرقاشى وهو ضعيف».
(٥) مسند البزار برقم (٢٣٣٠) «كشف الأستار».
(٦) المسند (٣/ ١٤٦).
(٧) المسند (٥/ ٣٣٨).
(٨) مسند البزار برقم (٢٣٢١) «كشف الأستار» وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٧١): «فيه عمر بن نبهان ضعيف».

الرقاشى، عن أنس قال: قعد أبو موسى فى بيت واجتمع إليه ناس، فأنشأ يقرأ عليهم القرآن، قال: فقال رسول الله ﷺ: «أفتستطيع أن تقعدنى حيث لا يرانى منهم أحد؟». قال: نعم. قال: فخرج رسول الله ﷺ فأقعده الرجل حيث لا يراه منهم أحد، فسمع قراءة أبى موسى فقال: «إنه ليقرأ على مزمار من مزامير داود، عليه السلام»(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا مصعب بن سلام، حدثنا جعفر ـ هو ابن محمد بن على بن الحسين ـ عن أبيه، عن جابر بن عبد الله قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل، ثم قال: «أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وإن أفضل الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة» ثم يرفع صوته وتحمر وجنتاه، ويشتد غضبه إذا ذكر الساعة، كأنه منذر جيش. قال: ثم يقول: «أتتكم الساعة هكذا ـ وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى ـ صبحتكم الساعة ومستكم، من ترك مالا فلأهله، ومن ترك دَيْنًا أو ضياعًا فإلىّ وعلىّ»(٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الوهاب ـ يعنى ابن عطاء ـ أنبأنا أسامة بن زيد الليثى، عن محمد ابن المنْكَدِر، عن جابر بن عبد الله قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد، فإذا قوم يقرؤون القرآن فقال: «اقرؤوا القرآن وابتغوا به وجه الله ـ عز وجل ـ من قبل أن يأتى بقوم يقيمونه إقامة القدح، يتعجلونه ولا يتأجلونه»(٣).

قال أحمد ـ أيضا ـ: حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا خالد، حدثنا حميد الأعرج، عن محمد بن المنْكَدِر، عن جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نقرأ القرآن، وفينا العجمى والأعرابى قال: فاستمع فقال: «اقرؤوا فكل حسن، وسيأتى قوم يقيمونه كما يقام القدح، يتعجلونه ولا يتأجلونه»(٤).

وقال أبو بكر البزار: حدثنا أبو كُرَيْب محمد بن العلاء، حدثنا عبد الله بن الأجلح، عن الأعمش، عن المعلى الكندى، عن عبد الله بن مسعود قال: إن هذا القرآن شافع مشفع، من اتبعه قاده إلى الجنة، ومن تركه أو أعرض عنه ـ أو كلمة نحوها ـ زجّ فى قفاه إلى النار»(٥). وحدثنا أبوكريب، حدثنا عبد الله بن الأجلح، عن الأعمش، عن أبى سفيان، عن جابر، عن النبى ﷺ بنحوه(٦).

قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا أحمد بن عبد العزيز بن مروان أبو صخر، حدثنى بكر بن يونس، عن موسى بن على، عن أبيه، عن يحيى بن أبى كثير اليمامى، عن جابر بن عبد الله؛ أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ ألف آية كتب الله له قنطارا، والقنطار مائة رطل، والرطل اثنتا عشرة أوقية،

(١) مسند أبى يعلى (٧/ ١٣٣ ـ ١٣٥) وفيه يزيد الرقاشى ضعيف.
(٢) المسند (٣/ ٣١٠).
(٣) المسند (٣/ ٣٥٧)
(٤) المسند (٣/ ٣٩٧).
(٥) مسند البزار برقم (١٢١) «كشف الأستار».
(٦) مسند البزار برقم (١٢٢) «كشف الأستار».

والوقية ستة دنانير، والدينار أربعة وعشرون قيراطا، والقيراط مثل أحُد، ومن قرأ ثلاثمائة آية قال الله لملائكته: نصب عبدى لى، أشهدكم يا ملائكتى أنِّى قد غفرت له، ومن بلغه عن الله فضيلة فعمل بها إيمانا به ورجاء ثوابه، أعطاه الله ذلك وإن لم يكن ذلك كذلك»(١).

وقال أحمد: حدثنا جرير، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب»(٢).

قال البزار: لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلا من هذا الوجه.

وقال الطبرانى: حدثنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة، حدثنى أبى قال: وجدت فى كتاب أبى بخطه عن عمران بن أبى عمران، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من اتبع كتاب الله هداه الله من الضلالة، ووقاه سوء الحساب يوم القيامة، وذلك أن الله عز وجل يقول: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣]»(٣).

وقال الطبرانى: حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح، حدثنا أبى، حدثنا ابن لَهيعة، عن عمرو بن دينار، عن طاووس، عن ابن عباس؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحسن الناس قراءة من قرأ القرآن يتحزن به»(٤).

وقال ـ أيضا ـ: حدثنا أبو يزيد القراطيسى، حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا عبدة بن سليمان، عن سعيد أبى سعد البقال، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أحسنوا الأصوات بالقرآن»(٥).

وروى ـ أيضا ـ بسنده إلى الضحاك عن ابن عباس مرفوعا: «أشرف أمتى حملة القرآن»(٦).

وقال الطبرانى: حدثنا معاذ بن المثنى، حدثنا إبراهيم بن أبى سويد الذارع(٧)، حدثنا صالح المرى، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى عن ابن عباس قال: سأل رجل رسول الله ﷺ فقال: أى الأعمال أحب إلى الله؟ فقال: «الحال المرتحل». قال: يا رسول الله، ما الحال المرتحل؟ قال: «صاحب القرآن يضرب فى أوله حتى يبلغ آخره، وفى آخره حتى يبلغ أوله»(٨).

---

(١) معجم الشيوخ لأبى يعلى (٧٤) وإسناده ضعيف لعلتين: العلة الأولى: ضعف بكر بن يونس، والعلة الثانية: الانقطاع بين يحيى ابن أبى كثير وجابر.
(٢) المسند (١/ ٢٢٣).
(٣) المعجم الكبير (١٢/ ٤٨) وقال الهيثمى فى المجمع (١/ ١٦٩): «فيه أبو شيبة وهو ضعيف جداً».
(٤) المعجم الكبير (١١/ ٧).
(٥) المعجم الكبير (١٢/ ١٨) وأبو سعد البقال ضعيف، والضحاك لم يسمع من ابن عباس.
(٦) المعجم الكبير (١٢/ ١٢٥) من طريق سعد الجرجانى عن نهشل ـ وكلاهما ضعيف ـ عن الضحاك به.
(٧) فى ط: «الزرع».
(٨) المعجم الكبير (١٢/ ١٦٨) ورواه الحاكم فى المستدرك (١/ ٥٦٨) من طريق صالح المرى به، وقال: «تفرد به صالح المرى، وهو من زهاد أهل البصرة». وتعقبه الذهبى فقال: «صالح متروك».

ذكر الدعاء المأثور
لحفظ القرآن وطرد النسيان

قال [الحافظ][١] أبو القاسم الطبرانى فى معجمه الكبير: حدثنا الحسين بن إسحاق التسترى، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا محمد بن إبراهيم القرشى، حدثنى أبو صالح وعكرمة، عن ابن عباس قال: قال على بن أبى طالب: يا رسول الله، القرآن يتفلت من صدرى، فقال النبى ﷺ: «أعلِّمك كلمات ينفعك الله بهن وينفع من علمته». قال: قال: نعم بأبى وأمى، قال: «صلِّ ليلة الجمعة أربع ركعات تقرأ فى الأولى بفاتحة الكتاب ويس، وفى الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدخان، وفى الثالثة بفاتحة الكتاب والـم تنزيل السجدة، وفى الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل، فإذا فرغت من التشهد فاحمد الله واثن عليه، وصل على النبيين، واستغفر للمؤمنين، ثم قل: اللهم ارحمنى بترك المعاصى أبدا ما أبقيتنى، وارحمنى من أن أتكلف ما لا يعنينى، وارزقنى حسن النظر فيما يرضيك عنى، اللهم بديع السموات والأرض، ذا الجلال والإكرام والعزة التى لا ترام، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تلزم قلبى حفظ[٢] كتابك كما علمتنى، وارزقنى أن أتلوه على النحو الذى يرضيك عنى، وأسألك أن تنور بالكتاب بصرى، وتطلق به لسانى، وتفرج به عن قلبى، وتشرح به صدرى، وتستعمل به بدنى، وتقوينى على ذلك وتعيننى على ذلك[٣]، فإنه لا يعيننى على الخير غيرك، ولا يوفق له إلا أنت، فافعل ذلك ثلاث جمع أو خمسا أو سبعا تحفظه بإذن الله وما أخطأ مؤمنا قط». فأتى النبى ﷺ بعد ذلك بسبع فأخبره بحفظ القرآن والحديث، فقال النبى ﷺ: «مؤمن ورب الكعبة»، علم أبو الحسن[٤]، علم أبو الحسن[٥] » هذا سياق الطبرانى[٦].

وقال أبو عيسى الترمذى فى كتاب الدعوات: حدثنا أحمد بن الحسن، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقى، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا ابن جريج، عن عطاء بن أبى رباح وعكرمة مولى ابن عباس، عن ابن عباس أنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه على بن أبى طالب فقال: بأبى أنت وأمى، تفلت هذا القرآن من صدرى فما أجدنى أقدر عليه، فقال له رسول الله ﷺ: «يا أبا الحسن، أفلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن، وينفع بهن من علمته، ويثبت ما تعلمت فى صدرك؟» قال: أجل يا رسول الله، فعلمنى، قال: «إذا كان ليلة الجمعة فإن استطعت أن تقوم فى ثلث الليل الآخر فإنها ساعة مشهودة، والدعاء فيها مستجاب، وقد قال أخى يعقوب لبنيه: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ [يوسف:٩٨]، يقول: حتى تأتى ليلة الجمعة، فإن لم تستطع فقم فى وسطها، فإن لم تستطع فقم فى أولها فصل أربع ركعات، تقرأ فى الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسورة يس، وفى الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدخان، وفى الركعة الثالثة بفاتة الكتاب والـمَ تنزيل السجدة، وفى الركعة

---

(١) زيادة من ط. (٢) فى المعجم الكبير: «حب».

(٣) فى المعجم الكبير: «عليه».

(٤، ٥) فى المعجم الكبير: «أبا حسن».

(٦) المعجم الكبير (١١/٣٦٧) ورواه من طريق ابن الجوزى فى الموضوعات (٢/١٣٨) وقال: «هذا حديث لا يصح، ومحمد بن إبراهيم مجروح، وأبو صالح لا نعلمه إلا إسحاق بن نجيح وهو متروك».

الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل، فإذا فرغت من التشهد، فاحمد الله وأحسن الثناء على الله، وصل عليّ وأحسن وعلى سائر النبيين، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات، ولإخوانك الذين سبقوك بالإيمان، ثم قل فى آخر ذلك: اللهم ارحمنى بترك المعاصى أبدا ما أبقيتنى، وارحمنى أن أتكلف ما لا يعنينى، وارزقنى حسن النظر فيما يرضيك عنى، اللهم بديع السموات والأرض، ذا الجلال والإكرام والعزة التى لا ترام، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تلزم قلبى حفظ كتابك كما علمتنى، وارزقنى أن أتلوه على النحو الذى يرضيك عنى، اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام والعزة التى لا ترام، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك، أن تنور بكتابك بصرى، وأن تطلق به لسانى، وأن تفرج به عن قلبى، وأن تشرح به صدرى، وأن تغسل به بدنى، فإنه لا يعيننى على الحق غيرك ولا يؤتيه إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، يا أبا الحسن، تفعل ذلك ثلاث جمع أو خمسا أو سبعا تجاب بإذن الله تعالى، والذى بعثنى بالحق ما أخطأ مؤمنا قط». قال ابن عباس: فوالله ما لبث علىٌّ إلا خمسا أو سبعا حتى جاء [علىٌّ][1] رسول الله ﷺ فى مثل ذلك المجلس، فقال: يا رسول الله، والله إنى كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات أو نحوهن، فإذا قرأتُهن على نفسى تَفَلَّتْنَ وأنا أتعلَّم اليوم أربعين آية أو نحوها، فإذا قرأتها على نفسى فكأنما كتاب الله بين عَيْنى، ولقد كنت أسمع الحديث، فإذا رَدَّدْتُه تَفَلَّت، وأنا اليوم أسمع الأحاديث، فإذا تحدثتُ بها لم أخرِم منها حرفا، فقال له رسول الله ﷺ عند ذلك: «مؤمن ورب الكعبة يا أبا الحسن».

ثم قال الترمذى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم. كذا قال، وقد تقدم من غير طريقه. ورواه الحاكم فى مستدركه من طريق الوليد، ثم قال: على شرط الشيخين حيث صرح الوليد بالسماع من ابن جريج، فالله أعلم ـ فإنه فى المتن غرابة بل نكارة[2]، والله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا وَكِيع، حدثنا العمرى، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل القرآن مثل الإبل المعقلة إن تعاهدها صاحبها أمسكها، وإن تركها ذهبت».

ورواه ـ أيضا ـ عن محمد بن عبيد ويحيى بن سعيد، عن عبيد الله العمرى به[3].

ورواه ـ أيضا ـ عن عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر مرفوعاً نحوه[4].

وقال البزار: حدثنا محمد بن معمر، حدثنا حميد بن حماد بن أبى الحوار، حدثنا مِسْعر، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر قال: سئل رسول الله ﷺ: أى الناس أحسن قراءة؟ قال: «من إذا سمعته يقرأ رؤيت أنه يخشى الله، عز وجل»[5].

---

(١) زيادة من الترمذى.

(٢) سنن الترمذى برقم (٣٥٧٠) والمستدرك (١/ ٣١٦، ٣١٧) وأعل بثلاث علل: الأولى: عنعنة ابن جريج. الثانية: تدليس بقية فإنه يدلس تدليس التسوية. الثالثة: سليمان الدمشقى تكلم فيه من جهة حفظه.

(٣) المسند (٢/ ٢٣)، (٢/ ١٧، ٣٠).

(٤) المسند (٢/ ٣٥).

(٥) مسند البزار برقم (٢٣٣٦) «كشف الأستار» وفيه حماد بن حميد ضعيف.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله بن عمرو، عن النبى ﷺ قال: «يقال لصاحب القرآن: اقْرأ وارْقَ ورتِّل كما كنت ترتل فى الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»(١).

وقال أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لَهيعة، حدثنى حيى بن عبد الله، عن أبى عبد الرحمن الحبلى، عن عبد الله بن عمرو قال: جاء رجل إلى النبى(٢) ﷺ فقال: يا رسول الله، إنى أقرأ القرآن فلا أجد قلبى يعقل عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن قلبك حُشِىَ الإيمان، وإن العبد يعطى الإيمان قبل القرآن»(٣).

وبهذا الإسناد: أن رجلا جاء بابن له فقال: يا رسول الله، إن ابنى هذا يقرأ المصحف بالنهار ويبيت بالليل، فقال رسول الله ﷺ: «ما تنقم أن ابنك يظل ذاكرا ويبيت سالما»(٤).

وقال أحمد: حدثنا موسى بن داود، حدثنا ابن لَهيعة، عن حيى، عن أبى عبد الرحمن، عن عبد الله بن عمرو، أن النبى ﷺ قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أى رب، منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعنى فيه»، قال: «فيشفعان»(٥).

وقال أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لَهيعة، حدثنا دراج، عن عبد الرحمن بن جبير، عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أكثر منافقى أمتى قراؤها»(٦).

وقال أحمد: حدثنا وَكيع، حدثنى همام، عن قتادة، عن يزيد بن عبد الله بن الشخير، عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث لم يفقه».

ورواه ـ أيضا ـ عن غُنْدَر، عن شعبة، عن قتادة به(٧). وقال الترمذى: حسن صحيح.

وقال أبو القاسم الطبرانى: حدثنا محمد بن إسحاق بن راهويه، حدثنا أبى، حدثنا عيسى بن يونس، ويحيى بن أبى الحجاج التميمى، عن إسماعيل بن رافع، عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر، عن عبد الله بن عَمْرو، عن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ القرآن فكأنما استُدْرِجَت النبوةُ بين جنبيه، غير أنه لا يُوحَى إليه، ومن قرأ القرآن فرأى أن أحداً أُعْطِىَ أفضل مما أُعْطِىَ فقد عَظَّم ما صَغَّر الله، وصَغَّر ما عظّم الله، وليس ينبغى لحامل القرآن أن يَسْفَه فيمن يَسْفَه، أو يَغْضَب فيمن يَغْضَب، أو يَحْتَدَّ فيمن يَحْتَدُّ، ولكن يعفو ويصفح، لِفضل القرآن»(٨).

(١) المسند (٢/ ١٩٢).
(٢) فى مسند أحمد: «رسول الله».
(٣) المسند (٢/ ١٧٢).
(٤) المسند (٢/ ١٧٣).
(٥) المسند (٢/ ١٧٤).
(٦) المسند (٢/ ١٧٥).
(٧) المسند (٢/ ١٦٤، ١٩٣، ١٩٥).
(٨) قال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٥٩): «فيه إسماعيل بن رافع وهو متروك».

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم، حدثنا عباد بن ميسرة، عن الحَسَن، عن أبى هُرَيرَة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من استمع إلى آية من كتاب الله كُتِبَتْ له حسنةٌ مضاعفةٌ، ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة»[1].

وقال البزار: حدثنا محمد بن حرب، حدثنا يحيى بن المتوكل، حدثنا عَنْبَسة بن مهْران عن الزهرى، عن سَعِيد وأبى سلمة، عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ قال: «مراءٌ فى القرآن كفرٌ». ثم قال: عنبسة: هذا ليس بالقوىّ. وعنده فيه إسناد آخر[2].

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا أبو بكر، حدثنا ابن إدريس، حدثنا المقبرى، عن جدِّه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه[3]»[4].

وقال الطبرانى: حدثنا موسى بن حازم الأصبهانى، حدثنا محمد بن بكير الحضرمى، حدثنا إسماعيل بن عَيَّاش، عن يحيى بن الحارث الذِّمارى، عن القاسم أبى عبد الرحمن، عن فضالة بن عُبَيد، وتَميمٍ الدارىِّ، عن النبى ﷺ قال: «من قرأ عشر آيات فى ليلة كُتِب له قنطار، والقنطار خير من الدنيا وما فيها، فإذا كان يوم القيامة يقول ربك، عز وجل: اقرأ وارقَ بكل آية درجة حتى ينتهى إلى آخر آية معه، يقول ربك: اقبض، فيقول العبد بيده: يارب أنت أعلم. فيقول: بهذه الخلد وبهذه النعيم»[5].

وروى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة معقس بن عمران بن حطان قال: قال: دخلت مع أبى على أم الدرداء، رضى الله عنها، فسألها أبى: ما فضل من قرأ القرآن على من لم يقرأ؟ قالت: حدثتنى عائشة قالت: جُعلت دَرَجُ الجنة على عدد آى القرآن، فمن [6] قرأ ثلث القرآن ثم دخل الجنة كان على الثلث من دَرَجِها، ومن قرأ نصف القرآن كان على النصف من درَجها، ومن قرأ كُلَّه كان فى عِلِّيِّينَ، لم يكن فوقه إلا نبى أو صديق أو شهيد[7].

وقال الطبرانى: حدثنا مَسْعَدَةُ[8] بن سَعْد العطارُ المكى، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحِزَامى، حدثنا إسحاق بن إبراهيم مولى جميع بن حارثة الأنصارى، حدثنا عبد الله بن ماهان الأزدى، حدثنى فائد مولى عُبَيد الله بن أبى رافع، حدثتنى سُكينة بنت الحُسَين بن على، عن أبيها قال: قال رسول الله ﷺ: «حملة القرآن عُرَفاء أهل الجنة يوم القيامة»[9].

وروى الطبرانى من حديث بقيَّة، عن أبى بكر بن أبى مريم، عن المهاصر بن حبيب، عن عبيدة

(١) المسند (٢/ ٣٤١).

(٢) ورواه أبو نعيم فى الحلية (٥/ ١٩٢) من طريق محمد بن حرب الواسطى به، وقال: «غريب من حديث مكحول، لم نكتبه إلا من حديث ابن حرب».

(٣) فى ط: «غرابته».

(٤) مسند أبى يعلى (١١/ ٤٣٦) وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٦٣): «فيه عبد الله بن سعيد بن أبى سعيد المقبرى وهو متروك».

(٥) المعجم الكبير (٢/ ٥٠).

(٦) فى ط: «من».

(٧) تاريخ دمشق (١٧/ ١٠ «المخطوط»).

(٨) فى ط: «مسورة».

(٩) المعجم الكبير (٣/ ١٣٢) وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٦١): «فيه إسحاق المدنى وهو ضعيف».

المليكى، عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول: «يا أهل القرآن، لا توسَّدوا القرآن، واتلوه حَقّ تلاوته من آناء الليل والنهار، وتغنوه وتَقَنَّوه، واذكروا ما فيه لعلكم تفلحون، ولا تستعجلوا ثوابه، فإن له ثَوابَيْن[(١)]»[(٢)].

وفى حديث عقبة بن عامر نحوه، كما تقدم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو سعيد، حدثنا ابن لَهِيعَة، عن مِشْرَح، عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن القرآن جُعِل فى إهابٍ ثم ألقى فى النار ما احترق»[(٣)].

تفرد به. قيل: معناه: أن الجسد الذى يقرأ القرآن [لاتمسه النار][(٤)].

وفى سُنَن ابن ماجه من طريق المغيرة بن نَهِيك، عن عقبة بن عامر مرفوعاً: «من تعلم القرآن [(٥)] ثم تركه فقد عصانى»[(٦)].

وفى حديث رواه أبو يعلى من طريق ليث، عن مجاهد، عن أبى سعيد مرفوعاً: «عليك بتقوى الله، فإنها رأس كل خير، وعليك بالجهاد، فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكْرِ الله وتلاوة القرآن، فإنَّه نورٌ لك فى الأرض وذكرٌ لك فى السماء، واخْزُنْ لسانَكَ إلا من خَيْرٍ، فإنَّك بذلك تَغْلِبَ الشيطان»[(٧)].

وهكذا أذكُرُ آثاراً مرويّةً عن ابن أمِّ عَبْد [(٨)] أحدِ قُرَّاء القرآن مِنَ الصَّحابَةِ المأمورِ بالتلاوة على نحوهم[(٩)]:

روى الطبرانى، عن الدَّبَرِىّ، عن عبد الرزاق، عن مَعْمَرٍ، عن أبى إسحاق، قال ابن مسعود: كل آية فى كتاب الله خيرٌ مما فى السماء والأرض[(١٠)].

ومن طريق شعبة، عن أبى إسحاق، عن مرَّة قال ابن مسعود: من أراد العلم فلْيَتَبوَّأْ من القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين[(١١)].

ومن طريق سُفيان وشعبة، عن ساعد [(١٢)] بن كُهَيل، عن أبى الأحوص، عن عبد الله قال: إنّ هذا القرآن ليس فيه حرف إلاّ له حدٌّ، ولكلِّ حد مَطْلَعٌ [(١٣)].

ومن حديث الثورى، عن إسماعيل بن أبى خالد[(١٤)]، عن سيار أبى الحكم، عن ابن مسعودٍ أنه قال: أعربوا هذا القرآن فإنه عربىٌّ، وسيجىءُ قوم يُثْقِفُونه وليسوا بخياركم[(١٥)].

(١) فى ط: «ثوابا».
(٢) قال الهيثمى فى المجمع (٢/ ٢٥٢): «رواه الطبرانى فى الكبير وفيه أبو بكر بن أبى مريم وهو ضعيف».
(٣) المسند (٤/ ١٥١).
(٤) زيادة من ط.
(٥) فى سنن ابن ماجة: «الرمى».
(٦) سنن ابن ماجه برقم (٢٨١٤).
(٧) مسند أبى يعلى (٢/ ٢٨٤) وليث بن أبى سليم ضعيف.
(٨) فى ط: «عن ابن أم عبد عبد الله بن مسعود». (٩) فى ط: «حرفهم».
(١٠) المعجم الكبير (٩/ ١٤٥).
(١١) المعجم الكبير (٩/ ١٤٦).
(١٢) فى ط: «سلمة».
(١٣) المعجم الكبير (٩/ ١٤٦).
(١٤) فى ط: «إسماعيل بن خالد». (١٥) المعجم الكبير (٩/ ١٥٠).

والثورى، عن عاصم، عن زرٍّ، عن ابن مسعود قال: أديموا النظر فى المصحف، وإذا اختلفتم فى ياءٍ أو تاءٍ فاجعلوها ياءً، ذكّروا القرآن فإنه مذكَّر[١].

وقال عبد الرزاق، عن إسرائيل، عن عبد العزيز بن رفيع، عن شَدَّاد[٢] بن مَعْقِل، سَمِعْتُ ابن مسعود يقول: أول ما تفقدونَ من دينكم الأمانة، وآخر ما يبقى من دينكم الصلاة، وَلَيُصَلِّيَنَّ قومٌ لا خلاقَ لهم، ولينزعنَّ قومٌ من بين أظهركم. قالوا: يا أبا عبد الرحمن، ألسنا نقرأُ القرآن وقد أثبتناه فى مصاحفنا؟ قال: يُسْرَى على القرآن ليلاً فَيُذْهَبُ به من أجواف الرجال فلا يبقى فى الأرض منه شىء - وفى رواية: لا يبقى فى مصحف منه شىءٌ - ويصبح الناسُ فُقَرَاءَ كالبهائم. ثم قرأ عبد الله: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٦][٣].

وقال الطبرانى: حدثنا على بن عبد العزيز، حدثنا أبو نعيم، حدثنى شعبة، عن على بن بذيمة[٤]، عن أبى عبيدة بن عبد الله، عن أبيه قال: من قرأ القرآن فى أقلَّ من ثلاثٍ فهو راجز[٥].

قال هشام عن الحسَنِ: إنه بلغه عن ابن مسعود مثلُ ذلك.

ومن طريق الأعمش، عن أبى وائلٍ قال: كان عبد الله بن مسعود يقل الصوم، فيقال له فى ذلك، فيقول: إنى إذا صُمْتُ ضَعُفْتُ عن القراءة والصلاة، والقراءة والصلاة أحبُّ إلىَّ[٦].

مقدمة مفيدة

قال أبو بكر بن الأنبارى: حدثنا إسماعيل بن إسحاقَ القاضى، عن حجاج بن مِنْهال، عن همام، عن قتادة قال: نزل فى المدينة من القرآن البقرة، وآل عمرانَ، والنساء، والمائدة، والأنفال، وبراءة، والرعد، والنحل، والحج، والنُّور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحجرات، والحديد، والرحمن، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، ويا أيها النبى لِمَ تُحَرِّمُ، وإلى رأس العشر، وإذا زلزلت، وإذا جاء نصرُ الله. هؤلاء السور نزلت بالمدينة، وسائر القرآن نزل بمكة.

فأما عدد آيات القرآن فستة آلاف آية، ثم اختلف فيما زاد على ذلك على أقوال، فمنهم من لم يزد على ذلك، ومنهم من قال: ومائتا آية وأربع آيات، وقيل: وأربع عشرة آية، وقيل: ومائتان وتسع عشرة، وقيل: ومائتان وخمس وعشرون آية، وست وعشرون آية، وقيل: ومائتا آية، وست وثلاثون آية. حكى ذلك أبو عمرو الدانى فى كتاب البيان[٧].

وأما كلماته، فقال الفضل بن شاذان، عن عطاءِ بن يسار: سبع وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة.

وأما حروفُه، فقال عبد الله بن كثير، عن مجاهد: هذا ما أحصينا من القرآن وهو ثلاثُمائة ألفٍ

---

(١) المعجم الكبير (٩/ ١٥٢).

(٢) فى ط: «مقداد».

(٣) المعجم الكبير (٩/ ١٥٢) والمصنف لعبد الرزاق (٥٩٨٠).

(٤) فى ط: «على بن زيد».

(٥) المعجم الكبير (٩/ ١٥٤).

(٦) المعجم الكبير (٩/ ١٩٥).

(٧) تفسير القرطبى (١/ ٦٥).

حرفٍ وواحدٌ وعشرون ألفَ حَرْفٍ ومائةٌ وثمانونَ حرفاً.

وقال الفضل، عن عطاء بن يسار: ثلاثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألفاً وخمسة عشر حرفاً.

وقال سَلاَّم أبو محمد الحمانيّ: إنّ الحجاج جمع القراء والحفاظ والكُتَّاب فقال: أخبرونى عن القرآن كُلِّه كم من حرف هو؟ قال: فحسبناه فأجمعوا أنه ثلاثُمائة ألف حَرْف وأربعون ألفاً وسبعمائة وأربعون حرفاً. قال: فأخبرونى عن نصفه. فإذا هو إلى الفاء من قوله فى الكهف: ﴿ **وَلْيَتَلَطَّفْ** ﴾ [الكهف: ١٩]، وثُلثه الأول عند رأس مائة آية من براءة، والثانى على رأس مائة أو إحدى ومائة من الشعراء، والثالث إلى آخره. وسُبُعُه الأول إلى الدال من قوله: ﴿ **فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ** ﴾ [النساء: ٥٥]. والسُّبُع الثاني إلى الباء من قوله فى الأعراف: ﴿ **حَبِطَتْ** ﴾ [الأعراف: ١٤٧]، والثالث إلى الألف الثانية من: ﴿ **أُكُلُهَا** ﴾ فى الرعد [الرعد: ٣٥]، والرابع إلى الألف من قوله في الحج: ﴿ **جَعَلْنَا مَنْسَكًا** ﴾ [الحج: ٦٧]، والخامس إلى الهاء من قوله فى الأحزاب: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ** ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، والسادس إلى الواو من قوله فى الفتح: ﴿ **الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ** ﴾ [الفتح: ٦]، والسابع إلى آخر القرآن. قال سلام أبو محمد: عملنا ذلك فى أربعة أشهر.

قالوا: وكان الحجاج يقرأ فى كلِّ ليلة ربع القرآن، فالأول إلى آخر الأنعام، والثانى إلى ﴿ **وَلْيَتَلَطَّفْ** ﴾ [الكهف: ١٩]، والثالث إلى آخر الزمر، والرابع إلى آخر القرآن. وقد ذكر الشيخ أبو عمرو الدانى فى كتابه البيان خلافاً فى هذا كله، والله أعلم[(١)].

وأما التحزيب والتجزئة فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين كما فى الربعات فى المدارس وغيرها، وقد ذكرنا فيما تقدم الحديث الوارد فى تحزيب الصحابة للقرآن، والحديث فى مسند أحمدَ وسُنَنِ أبى داودَ وابن ماجَهْ وغيرهما[(٢)] عن أوس بن حُذَيفة أنَّه سَأَلَ أصحابَ رسول الله ﷺ فى حياته: كَيف يُحَزِّبون القرآن؟ قالوا: ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرةَ وثلاثَ عَشْرَةَ، وحزْبُ المُفَصَّل من قاف حتى يختم[(٣)].

قال القرطبى: أجمعوا أنه ليس فى القرآن شىء من التراكيب الأعجمية؟ وأجمعوا أن فيه أعلاماً من الأعجمية كإبراهيم ونوح، ولوط، واختلفوا: هل فيه شىء من غير ذلك بالأعجمية؟ فأنكر ذلك الباقلانى والطبرى وقالا: ما وقع فيه ما يوافق الأعجمية، فهو من باب ما توافقت فيه اللغات[(٤)].

فصل

واختلفوا[(٥)] فى معنى السورة: ممَّ هى مشتقة؟ فقيل: من الإبانة والارتفاع. قال النابغة:

ألم تر أنَّ الله أعطاكَ سورةً ... تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُونها يَتَذَبْذَبُ[(٦)]

فكأن القارئ يتنقل بها من منزلة إلى منزلة. وقيل: لشرفها وارتفاعها كسور البلد. وقيل: سميت

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١/ ٦٤).

(٢) فى ط: «غيرهما».

(٣) المسند (٤/ ٩) وسنن أبى داود برقم (١٣٩٣) وسنن ابن ماجة برقم (٤٣٨).

(٤) تفسير القرطبى (١/ ٦٨).

(٥) فى ط: «واختلف».

(٦) البيت فى تفسير الطبرى (١/ ١٠٥).

سُورَةً لكونها قِطْعةً من القرآن وجزءًا منه، مأخوذ من أسآر الإناء وهو البقية، وعلى هذا فيكون أصلها مهموزاً، وإنما خففت فأبدلت الهمزة واواً لانضمام ما قبلها. وقيل: لتمامها وكمالها لأن العرب يسمون الناقة التامة سُورَةً.

قلت: ويحتمل أن يكون من الجمع والإحاطة لآياتها كما سُمِّى سورُ البلد لإحاطته بمنازله ودُورِه، والله أعلم.

وجمع السورة سُوَرٌ بفتح الواو، وقد تُجمع [(١)] على سُورَاتٍ وسُوْرَات.

وأما الآية فمن العلامَةِ على انقطاع الكلام الذى قبلها عن الذى بعدها وانفصاله، أى: هى بائنة من أختها. قال [(٢)] الله تعالى: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾[البقرة: ٢٤٨]، وقال النابغة:

تَوَهَّمْتُ آيات لها فَعَرَفْتُها لستَّةِ أعوامٍ وذا العامُ سابع[(٣)]

وقيل: لأنها جماعةُ حروفٍ من القرآن وطائفة منه، كما يقال: خرج القوم بآيتهم، أى: بجماعتهم. قال الشاعر[(٤)]:

خَرَجْنَا من النَّقبين لا حَىَّ مثلُنا بآيتنا نُزْجِى اللقاحَ المَطَافلا

وقيل: سُمِّيت آيَةً لأنها عَجَبٌ يَعْجز البشر عن التكلّم بمثلها.

قال سيبويه: وأصلها أَيَيَة مثل أَكَمَة وشَجَرَة، تحرَّكت الياءُ وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً فصارت آية، بهمزة بعدها مدة. وقال الكسائى: آيِيَة على وزن آمنة، فَقُلبت ألفاً، ثم حُذفت لالتباسها.

وقال الفرَّاء: أصلها أَيَّة ـ بتشديد الياء ـ فَقُلِبَت الأولى ألفاً، كراهيةَ التشديد فصارت آية، وجمعُها: آىٌ وآيَاىٌ وآيَاتٌ.

وأما الكلمة فهى اللفظ الواحد، وقد تكون على حرفين مثل: ما ولا وله ولك، وقد يكون أكثر. وأكثر ما يكون [(٥)] عشرة أحرف: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ [النور: ٥٥]، و ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ [هود: ٢٨]، ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ [الحجر: ٢٢]، وقد تكون الكلمة آية، مثل: والفجر، والضحى، والعَصْر، وكذلك: الم، وطه، ويس، وحم ـ فى قول الكوفيين ـ و﴿حم . عسق﴾ عندهم كلمتان. وغيرهم لايسمى هذه آيات بل يقول: هى فواتح السُّوَر. وقال أبو عَمْرو الدانىّ: لا أعلم كلمةً هى وحدها آيةٌ إلا قوله: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ فى سورة الرحمن [الرحمن: ٦٤].

آخر المقدمة

---

(١) فى ط: «يجمع». (٢) فى ط: «ومنه قول».

(٣) البيت فى تفسير القرطبى (١/ ٦٦).

(٤) البيت لبرج بن مسهر الطائى، وهو فى تفسير القرطبى (١/ ٦٦).

(٥) فى ط: «تكون».

فيض المعين على جمع الأربعين في فضل القرآن المبين

بسم الله الرحمن الرحيم

«ربِّ زدني علماً يا كريم»

الحمد لله الذي أنزل الفرقان(١)، ونَزَّل القرآن، وأنعم علينا بالإيمان، وأتمَّ لنا بالإحسان.

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد الخلق، وسند الحق محمد بن عبد الله من بني عدنان، وعلى آلـه الكرام، وأصحابه الفخام في كل زمان ومكان.

(١) في النسخة المخطوطة «نزل الفرقان، وأنزل القرآن» والذي أثبتناه يوافق ما جاء في أوائل سورة آل عمران ﴿نزل عليك الكتاب... وأنزل الفرقان﴾. والفرقان: جنس الكتب السماوية، لأنها فرقان يفرق بها بين الحق والباطل، وقيل: هو القرآن، وكرره بما هو نعت له، ومدح، وقيل غير ذلك.
وقيل هناك فرق بين أنزل، ونزل. فأنزل: تدل على النزول جملة واحدة كما هو حال الكتب السابقة، ونزل: تفيد التنجيم، كما هو حال القرآن الكريم، والأصل أن لا خلاف وأن المعنى واحد، والقرآن الكريم يشهد بـاستعمال اللفـظين للقرآن الكـريم، فقال تعـالى: ﴿وأنزلنـا إليـك الذكر...﴾ وقال: ﴿وأنزل عليك الكتاب..﴾ فـالمعنى واحد، إذ التضعيف للتعدية، كما أن الهمزة للتعدية، والله تعالى أعلم.
البحر المحيط (٢/ ٣٧٨).

أما بعد: فيقول خادمُ كتابِ الله القديم، وحديثِ نبيه الكريم، المحتاجُ إلى بِرِّ ربه الباري علي بن سلطان محمد القاري.

هذه أربعون حديثاً في فضائل القرآن، ومن تلاه على وجه الإحسان بقدر الإمكان.

الحديث الأول

فعن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القرآنَ وعلَّمه».

ـ رواه أحمد، وأصحاب الكتب الستة[1].

---

(١) المسند (١/٦٩) ورواه أحمد من حديث علي رضي الله عنه كما في المسند (١/١٥٣) والبخاري كما في فتح الباري (٩/٧٤) بهذا اللفظ كما أخرجه عن عثمان أيضاً بلفظ: «إن أفضلكم من...»، وأخرجه أبو داود كما في مختصر سننه رقم (١٤٠٢). وأخرجه الترمذي من حديث عثمان، وكذا من حديث علي وقال عنه: لا نعرفه من حديث علي عن النبي ﷺ إلاَّ من حديث عبد الرحمن بن إسحاق. أقول: وحديث علي هذا حديث ضعيف لضعف عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي. انظر: تحفة الأحوذي (٨/٢٢٦).

وأخرجه النسائي ولكن ليس في «المجتبى»، وإنما في السنن الكبرى كما أشار إلى ذلك في «تحفة الأشراف» (٧/٢٥٨). وأخرجه ابن ماجه (رقم / ٢١١ و٢١٢) بلفظ «أفضلكم..».

أقول: والحديث لم يخرجه مسلم. وأخرجه الدارمي (٢/٣١٤) والطيالسي كما في منحة المعبود (٢/٢) كما أخرجه الطبراني في الصغير من حديث أنس وفيه محمد بن سنان القزاز، وثقه الدارقطني، وضعفه جماعة.

وفي رواية لابن ماجه عن سعد، ولفظه: «خياركم»[١].

ورواه ابن أبي داود[٢] عن ابن مسعود، ولفظه: «خياركم من قرأ القرآن وأقرأه»[٣].

---

(١) ابن ماجه رقم (٢١٣). وقال في الزوائد: إسناده ضعيف.

(٢) في المخطوطة: «ابن مردويه» وهو خطأ.

(٣) ذكره الحافظ في الفتح (٩/٧٥) وإسناده ضعيف.

وحديث ابن مسعود أخرجه باللفظ الأول الطبراني في الكبير والأوسط، وقال الهيثمي (٧/١٦٦): وإسناده فيه شريك، وعاصم، وكلاهما ثقة. وفيه ضعف.

المعنى: القرآن الكريم أشرف العلوم، فيكون من تعلمه، وعلمه لغيره أشرف ممن تعلم غير القرآن، وإن علَّمه. ولا شك أنَّ الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه، ولغيره، جامع بين النفع القاصر على نفسه، والنفع المتعدي إلى غيره، ولهذا كان أفضل. قال تعالى: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾ والدعاء إلى الله يقع بأمور شتى من جملتها تعليم القرآن وهو أشرفها.

قال القاري في المرقاة: ولا يتوهم أن العمل خارج عنهما، لأن العلم إذا لم يكن مؤرثاً للعمل ليس علماً في الشريعة، إذ أجمعوا على أن من عصى الله، فهو جاهل.

قال الحافظ في الفتح: فإن قيل: فيلزم ءا ، هذا أن يكون المقرىء أفضل من الفقيه. قلنا: لا. لأن المخاط[٢] بذلك كانوا فقهاء النفوس لأنهم كانوا أهل اللسان، فكانوا يدرون معاني القرآن بالسليقة أكثر مما يدريها من بعدهم بالاكتساب، فكان الفقه لهم سجية، فمن كان في مثل شأنهم شاركهم في ذلك، لا من كان قارئاً، أو مقرئاً محضاً لا يفهم شيئاً من معاني ما يَقرؤه، أو يُقرئه...

الحديث الثاني

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ قرأ حرفاً من كتابِ اللّه، فلهُ(به)[1] حسنةٌ، والحسنةُ بعشرِ أمثالِها، لا أقولُ: «آلم» حرفٌ، ولكنْ، ألفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ».

ـ رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[2].

---

(١) زيادة من سنن الترمذي. انظر: تحفة الأحوذي (٨/٢٢٦ ـ ٢٢٧).

(٢) والذي في الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، ثم ذكر أنه روي من غير هذا الوجه أيضاً. والحديث أخرجه الدارمي أيضاً (٢/٣٠٨).

والمعنى: من قرأ حرفاً من القرآن الكريم جعل الله له من الثواب بذلك الحرف حسنة، ثم يضاعفها الرب تبارك وتعالى بعشر أمثالها، وذلك أقل التضاعف الموعود بقوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة، فله عشر أمثالها، والله يضاعف لمن يشاء﴾.

ولكي لا يُبقي الرسول الكريم الأمر غامضاً، فسَّر معنى الحرف، إذ أن الحرف يطلق ويراد به: حرف الهجاء، والمعاني، والجملة المفيدة، والكلمة المختلف في قراءتها، وعلى مطلق الكلمة. فقال: لا أقول «الم» حرف، ولكن...» الحديث.

الحديث الثالث

وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال:

«إنَّ اللَّهَ تعالى يرفعُ بهذا الكتابِ أقواماً، ويضعُ به آخرين».

ـ رواه مسلم، وابن ماجه[1].

(١) انظر صحيح مسلم (٢/٢٠١)، وابن ماجه (٢١٨).
أقول: والحديث أخرجه الدارمي فضائل القرآن (٢/٣١٩)، وأحمد في المسند (١/٣٥) ولفظ مسلم: عن عامر بن واثلة، أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بعُسْفَانَ، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبْزى. قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولىً من موالينا. قال: فاستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئٌ لكتاب الله عز وجل، وإنه عالم بالفرائض. قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: إن الله... الحديث.

والمعنى: إن الله تعالى يرفع من آمن بهذا القرآن، وعظم شأنه، وتعلمه وعلمه، وعمل بما فيه، حيث أحل حلاله، وحرم حرامه. فيجعلهم شرفاء في الدنيا والآخرة. ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم، والذين أوتوا العلم درجات﴾.
أما الذين لم يؤمنوا به، ولم يخلصوا العمل به، ولم يأتمروا بأوامره، ولم ينتهوا بنواهيه، فيضعهم في أسفل سافلين ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً، ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى، وقد كنت بصيراً، قال: كذلك أتتك آياتنا فنسيتها، وكذلك اليوم تنسى﴾.

الحديث الرابع

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ:

«يقولُ الربُ[1] تباركَ وتعالى: مَنْ شغلَهُ القرآنُ عن ذِكْرِي، ومَسْألَتي، أعطيتُه أفضلَ ما أُعْطي السائلينَ. وفضلُ كلامِ اللَّه تعالى على سائرِ الكلامِ، كفضلِ اللَّهِ تعالى على خَلْقِه».

ـ رواه الترمذي، وقال: حسن غريب[2].

---

(١) في المخطوطة «الله». والذي أثبتناه من الأصل.

(٢) تحفة الأحوذي (٨/٢٤٤ ـ ٢٤٥). قال الحافظ في الفتح (٩/٦٦): رجاله ثقات إلاَّ عطية العوفي ففيه ضعف. وذكر أحاديث أخرى في فضل كلام الله تعالى، وكلها ضعيفة.

وقال المباركفوري: قلت: وفي سنده محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني، وهو أيضاً ضعيف. وقال الحافظ في تهذيب التهذيب (٩/١٢٠ ـ ١٢١) في ترجمته: قال الذهبي: حسن الترمذي حديثه، فلم يحسن. انتهى. والحديث أخرجه الدارمي (٢/٣١٧) والبيهقي في شعب الإيمان.

والمعنى: من اشتغل بقراءة القرآن، ولم يكن لديه متسع للذكر، والدعاء، أعطاه الله تعالى مقصوده ومراده، أفضل مما يعطي أولئك الذين يطلبون حوائجهم، وذلك لأن كلام الله تعالى فائق كل كلام وكان أجر المشتغل به فوق كل أجر.

قال الإمام الشوكاني في تحفة الذاكرين: (٣٢٥ ـ ٣٢٦) والحديث لولا أن فيه ضعفاً لكان دليلاً على أن الاشتغال بالتلاوة عن الذكر، وعن الدعاء يكون لصاحبه هذا الأجر العظيم. انتهى.

الحديث الخامس

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مثلُ المؤمنِ الذي يقرأُ القرآنَ كمثلِ الأُتْرُجَّة[1]، ريحُها طَيِّبٌ، وطعمُها طيِّب، ومثلُ المؤمنِ الذي لا يقرأُ القرآنَ كمثلِ التمرةِ لا ريحَ لها، وطعمُها حلوٌ، ومثلُ المنافقِ الذي يقرأُ القرآنَ كمثلِ الرَّيْحَانَةِ، ريحها طيِّبٌ، وطعمها مرٌّ، ومثلُ المنافقِ الذي لا يقرأُ القرآنَ كمثلِ الحَنْظَلَةِ ليسَ لها ريحٌ وطعمها مرٌّ».

وفي رواية: «مثل الفاجر» بدل «المنافق»[2].

ـ رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه[3].

---

(١) جاء في القاموس: الأترج، والأترجة، والترنجة، والترنج. معروف، وهي أحسن الثمار الشجرية وأنفسها عند العرب. انتهى. وهو ثمر تسميه العامة «كبَّاد».

(٢) في رواية شعبة «المنافق» وفي رواية همام «الفاجر».

(٣) المسند (٤/٣٩٧)، وفتح الباري (٩/٦٦)، ومسلم (٢/١٩٤) ومختصر أبي داود رقم (٤٦٦٣)، وتحفة الأحوذي (٨/١٦٤ ـ ١٦٦) وابن ماجه رقم (٢١٤)، وسنن النسائي (٨/١٢٤ ـ ١٢٥)، والطيالسي كما في منحة المعبود (٢/١٨٨٣). والدارمي (٢/٣١٨).

والمعنى: مثل المؤمن الذي يداوم على تلاوة القرآن، ويعمل بأحكامه،

ويعلمه للآخرين. كمثل الأترجة، فالنظر إليه يسر الناظرين، ورائحته طيبة، فلا يتكلم إلا بخير، وإن عاشرته وعاملته، وجدته على أحسن ما يرام.

وأما المؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به، فشبهه بالتمر، لا تشم لها رائحة، فلا تتلذذ حواسك برائحتها، ولكنها مع ذلك حلوة الطعم لتمثلها بالكتاب عملياً.

أما المنافق الذي يقرأ القرآن، فهو يشبه الريحانة، قد يغش الإنسان برائحتها، فإذا أراد أكلها ذاق المرار، وكذلك المنافق: ﴿ومنهم من يعجبك قوله في الحياة الدنيا، ويشهد الله على ما في قلبه، وهو ألد الخصام﴾ الآية.

وشبه المنافق الذي لا يقرأ القرآن بالحنظلة. فلا الرائحة طيبة، ولا الطعم طيب، نسأل الله العفو، والعافية، وأن يجنبنا الشقاق والنفاق، وسوء الأخلاق.

الحديث السادس

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مثلُ المؤمنِ الذي يقرأُ القرآنَ، كمثل الأُتْرُجَّةِ ريحها طيبٌ، وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأُ القرآن، كمثل التمرةِ لا ريحَ لها، وطعمُها طيِّب، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الرَّيْحانة ريحها طيِّبٌ، وطعمها مرٌّ، ومثل الفاجر الذي لا يقرأُ القرآنَ، كمثلِ الحَنْظَلَةِ طعمها مرٌّ، ولا ريحَ لها، ومثلُ الجليسِ[1] الصالحِ، كمثلِ صاحبِ المِسْكِ، إنْ لَمْ يُصِبْكَ منهُ شيءٌ أصابَكَ مِنْ ريحِهِ، ومثلُ الجليسِ[1] السُّوءِ، كمثلِ صاحِبِ الكِيرِ[2]، إنْ لَمْ يُصِبْكَ مِنْ سَوادِهِ، أصابَكَ مِنْ دُخَانِهِ».

ـ رواه أبو داود[3].

---

(١) في الأصل «جليس».

(٢) الكير: كير الحداد. وهو زق، أو جلد غليظ ذو حافات، وأما المبني من الطين: فهو الكور.

(٣) مختصر أبي داود رقم (٤٦٦٢)، وقال المنذري: وأخرجه النسائي.
أقول: وإسناده صحيح.

والمعنى: كالحديث السابق، يضاف إليه مثل الجليس الصالح، شبهه بصاحب المسك. فهو لا يخلو من فائدة، أقلها تشم منه ريح طيبة. ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله، وكونوا مع الصادقين﴾. وشبه جليس السوء

. . . .

بالحداد الذي ينفخ بالكير، فلا تستفيد منه إلَّا السوء، إما هباب يسود وجهك وثيابك، أو دخان يتأذى به جوفك.

اللهم اجعلنا ممن لا يصاحب إلَّا مؤمناً، ولا يأكل طعامنا إلَّا تقي.

الحديث السابع

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ:

«الماهِرُ بالقرآنِ معَ السَّفَرَةِ الكرامِ البَرَرَةِ، والذي يقرأُ القرآنَ، ويُتَتَعْتَعُ فيه، وهو عليه شاقٌّ، فلهُ أجرانِ»(١).

وفي رواية: «الذي يقرأُ القرآنَ، وهو يَشْتَدُّ عليهِ لهُ أجرانِ»(٢).

ـ رواه البخاري، ومسلم، واللفظ له. وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه(٣).

---

(١) الماهر: هو الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف، ولا يشق عليه القراءة بجودة حفظة واتقانه.

السفرة: جمع سافر، ككاتب وكتبة، زنة ومعنى. فهم الملائكة الموصوفون بقوله: «الكرام البررة». قال ابن الملك: أراد بهم الملائكة الذين يكتبون أعمال العباد، ويحفظونها لأجلهم. ومعنى كونهم معهم: أن يكون في منازلهم ورفيقاً لهم في الآخرة لاتصافه بصفتهم من جهة أنه حامل الكتاب وأمين عليه.

البررة: جمع البار، وهو المحسن. والمطيع.

يتتعتع فيه: أي يتردد، ويتلبد عليه لسانه، ويقف في قراءته لعدم مهارته.

(٢) هذه الرواية عند مسلم.

(٣) فتح الباري (٨/٦٩١) ومسلم (٢/١٩٥) وتحفة الأحوذي (٨/٢١٦) ومختصر أبي داود (١٤٠٤) وابن ماجه (٣٧٧٩).

. . . .

أقول: وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٨/٦ و٩٤ و٩٨ وغيرها) وأخرجه الطيالسي كما في منحة المعبود (١٨٨٤/٢). والدارمي (٣١٩/٢).

والمعنى: أن من اعتنى بالقرآن حتى أصبح ماهراً حافظاً متقناً لتلاوته جعل الله مكانته مع الكرام المقربين إليه من الملائكة، والرسل. ومن يلاقي شدة وعناء ومشقة في تلاوة القرآن، ويصبر على ذلك ويداوم كان له أجران، أجر التلاوة وأجر المشقة. لأن الأجر على قدر المشقة، وأفضل العبادة أحزمها. ولا يعني أن أجره مضاعف على أجر الماهر، والله تعالى أعلم.

الحديث الثامن

وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال:

«قلتُ: يا رسولَ الله أَوْصِني. قال ﷺ: عليك بتقوى الله. فإنَّها رأسُ الأمرِ كلِّه. قلتُ: يا رسول الله زِدْني. قال: عليك بتلاوة القرآن، فإِنَّه نورٌ لك في الأرض، ونورٌ لك في السماء».

- رواه ابن حبان، وصححه في حديث طويل[1]، ورواه ابن الضريس، وأبو يعلى.

عن أبي سعيد: «عليكَ بتقوى الله، فإنَّها جِمَاعُ كلِّ خيرٍ، وعليك بذكرِ اللهِ، وتلاوةِ القرآن، فإنَّه نورٌ لك في الأرض، وذكرٌ لك في السَّماء، واخْزِنْ لسانَكَ إلاَّ مِنْ خيرٍ، فإنَّك بذلك تغلبُ الشيطانَ»[2].

(١) قال المنذري في الترغيب والترهيب (٣/٥٣١): رواه أحمد، والطبراني، وابن حبان في صحيحه، والحاكم، واللفظ له، وقال: صحيح الإسناد.
وانظر: المعجم الكبير للطبراني (٢/ رقم ١٦٥١) قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني، وثقه ابن حبان، وضعفه أبو حاتم وأبو زرعة. انظر: مجمع الزوائد (٤/٢١٦).

(٢) قال الهيثمي في المجمع (٤/٢١٥) رواه أحمد، وأبو يعلى، ورجال أحمد ثقات، وفي إسناد أبي يعلى ليث بن أبي سليم، وهو مدلس. وقال المنذري في الترغيب والترهيب: رواه الطبراني في الصغير. وأبو الشيخ في

. . . .

الثواب، كلاهما من رواية ليث بن أبي سليم. ورواه ابن أبي الدنيا، وأبو الشيخ أيضاً مرفوعاً عليه مختصراً.

انظر: الترغيب والترهيب: (٥٣٢/٣).

والمعنى: في هذين الحديثين وصايا من النبي ﷺ لأصحابه ليلتزموا بها وهي:

١ ـ عليك بتقوى، فإنها رأس الأمر، أو فإنها جماع كل خير.

٢ ـ عليك بتلاوة القرآن. فالالتزام بها يجعل لصاحبها نوراً يضيء له الطريق في الأرض، فلا يقع في مهاوي الردى، والهلاك. ويقبله أهل الأرض، كما يقبله أهل السماء، فيحبه الله تعالى، ويأمر ملائكته بمحبته، ويأمرهم أن يلقوا محبته في قلوب العباد.

٣ ـ واخزن لسانك إلاَّ من خير... فما يكب الناس على وجوههم في النار إلاَّ حصائد ألسنتهم. ومن حفظ لسانه من السوء غلب الشيطان.

٤ ـ وعليك بذكر الله: «ألا بذكر الله تطمئن القلوب»، ومن ذكر الله، لم يغفل عما يريد منه تعالى.

الحديث التاسع

وعن جابر رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال:

«القرآنُ شافِعٌ مُشَفَّعٌ، وماحِلٌ[1] مُصدَّقٌ، من جعلَهُ أمامَهُ قادَهُ إلى الجنَّةِ، ومن جعله خلفَ ظهرِهِ ساقَهُ إلى النَّارِ».

ـ رواه ابن حبان في صحيحه، والبيهقي في شعبه عنه، والبيهقي عن ابن مسعود[2].

---

(١) ماحل: مجادل، ومدافع. وقيل: ساع مصدق من قولهم محل بفلان إذا سعى به إلى السلطان.
يعني: أن من اتبعه وعمل بما فيه فإنه شافع له مقبول الشفاعة، ومصدق عليه فيما يرفع من مساويه إذا ترك العمل به.

(٢) موارد الظمآن رقم (١٧٩٣)، والطبراني في الكبير (١٠/ رقم ١٠٤٥٠) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/١٦٤): وفيه الربيع بن بدر، وهو متروك. وهو من حديث ابن مسعود. وقد أخرجه ابن عدي، وأبو نعيم في الحلية، من حديث ابن مسعود أيضاً. قال الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٤٣١٩): صحيح.
والمعنى: أن من جعله أمامه يقتدي به، ويعمل بما فيه، كان قائداً، ودليلاً له إلى الجنة، أما من تركه وراءه ظهرياً، وهجر تلاوته والعمل به، ساقه إلى النار.

الحديث العاشر

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«اقْـرَأوا القرآنَ، فـإنَّه يـومَ القيـامـةِ شفيعـاً لأصحـابـه..» الحديث[1].

ـ رواه مسلم[2].

---

(١) وتمامه: «.. اقرأوا الزهراوَيْن: البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فِرْقان من طير صوافٌ تحاجان عن أصحابهما؛ اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة» قال معاوية: بلغني أن البطلة: السحرة.

(٢) صحيح مسلم (٢/١٩٧).
أقول: وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٥/٢٤٩ و ٢٥١ وغيرها).
والمعنى: أن القرآن يتشبه يوم القيامة بصورة يراها الإنسان، فيستأذن ربه ليشفعه في صاحبه الذي أسهر ليله، وأذهب نومه.

الحديث الحادي عشر

وعن سهل بن معاذ الجُهَني[1]، عن أبيه رضي الله تعالى عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال:

«مَنْ[2] قرأ القرآن، وعمل بما فيه أُلْبِسَ والداه تاجاً يوم القيامة، ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا، لو كانت فيكم[3]، فما ظنكم بالذي عمل هذا؟».

- رواه أبو داود، والحاكم وقال: صحيح الإسناد[4].

---

(١) قال المنذري: سهل بن معاذ: ضعيف، ورواه عنه زَبَّان بن فايد، وهو ضعيف أيضاً.

(٢) كلمة «من» غير موجودة في المخطوطة، وهي من الأصل.

(٣) جملة «لو كانت فيكم» غير موجودة في المخطوطة، أخذناها من الأصل.

(٤) انظر: مختصر سنن أبي داود رقم (١٤٠٣)، والمستدرك (١/٥٦٨) وتعقبه الذهبي بقوله: زَبَّان ليس بالقوي.

أقول: زبَّان بن فايد. قال فيه ابن حجر في التقريب: ضعيف الحديث مع صلاحه وعبادته. وسهل بن معاذ بن أنس الجهني: لا بأس به إلاّ في روايات زبان عنه. وهذا الحديث من رواية زَبَّان عنه. فهو حديث ضعيف والله تعالى أعلم.

والمعنى: أن ثواب قراءة القرآن لا يقتصر على القارىء نفسه، بل يتجاوزه إلى والديه فيُلْبَسان يوم القيامة تاجاً ضوؤه أحسن من ضوء الشمس. أما الذي قرأه وعمله فيه فأجره أعظم. فليحرص من فاته حفظ القرآن أن يدفع ابنه إلى ذلك، لينال مثل هذا الأجر.

الحديث الثاني عشر

وعن أبي بريدة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ قرأَ القرآنَ، وتعلَّمه، وعمِلَ به، أُلْبس والداه يومَ القيامة تاجاً من نورٍ ضوؤه مثلَ ضوءِ الشَّمْسِ، ويُكْسَ والداه حُلَّتَانِ لا تقومُ بهما الدنيا، فيقولان: لِمَ كُسِينا هذا، فيقالُ: بأَخْذِ ولدِكُما القرآنَ».

ـ رواه الحاكم[1]، وقال صحيح على شرط مسلم[2].

(١) في المخطوطة: «رواه مسلم..» وهو خطأ.

(٢) المستدرك (١/٥٦٨)، ووافقه الذهبي.

وفي هذا الحديث زيادة في الثواب للوالدين، فيكسيان حلتان لا تقوم بهما الدنيا.

الحديث الثالث عشر

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال:

«يَجِيءُ صاحبُ القرآنِ يومَ القيامةِ، فيقولُ القرآنُ: يا ربِّ حَلِّه(١)، فَيُلْبَسُ تاجُ الكرامةِ، ويقولُ: يا ربِّ زِدْهُ، فَيُلْبَس حلَّةُ الكرامةِ، ويقول: يا ربِّ ارْضَ عنه، فَيَرضَى عنه. فَيُقَالُ: اقرأْ، وارْقَ، ويُزْدَادُ بكلِّ آيةٍ حسنةٌ».

ـ رواه الترمذي، وحسنه، وابن خزيمة، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد(٢).

---

(١) أي زينه، من حليته، أحليه، تحلية إذا ألبسته الحلية.

ارق: أي إصعد. أي إصعد على درجات الجنة.

(٢) تحفة الأحوذي (٨/٢٢٧ ـ ٢٢٨). والمستدرك (١/٥٥٢) وعزاه المنذري في الترغيب (٢/٣٥٠) لابن خزيمة أيضاً.

أقول: ورواه الترمذي من حديث أبي هريرة موقوفاً وقال: وهذا أصح عندنا من حديث عبد الصمد عن شعبة ـ أي السابق ـ والله تعالى أعلم.

والحديث فيه بيان ثواب صاحب القرآن يوم القيامة: تاج الكرامة، وحلة الكرامة، ورقيه في درجات الجنة بعد رضاء الله تعالى عنه. وزيادة الحسنات.

الحديث الرابع عشر

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«يُقَالُ لصاحبِ القُرْآنِ[1]: اقْرَأْ، وارْقَ، ورتِّلْ كما كنتَ ترتِّلُ في الدُّنْيا، فإنَّ منزلَتَكَ عندَ آخرِ آيةٍ تقرؤُها»[2].

- رواه الترمذي، وأبو داود، وابن ماجـه، وابن حبان في صحيحه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح[3].

---

(١) صاحب القران: أي من يلازمه في التلاوة والعمل.

(٢) قال الخطابي: جاء في الأثر أن عدد آي القرآن على قدر درج الجنة في الآخرة، فيقال للقارىء ارق في الدرج على قدر ما كنت تقرأ من آي القرآن، فمن استوفى قراءة جميع القرآن استولى على أقصى درج الجنة في الآخرة، ومن قرأ جزءاً منه كان رقيه في الدرج على قدر ذلك، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة.

(٣) تحفة الأحوذي (٨/٢٣٢) ومختصر أبي داود (١٤١٤)، وابن ماجه رقم (٣٧٨٠) من حديث أبي سعيد الخدري. وقال في الزوائد: في إسناده عطية العوفي: وهو ضعيف. وانظر: الترغيب والترهيب (٢/٣٥٠).
أقـول: رواه أحمد في المسنـد (٢/١٩٢) عن عبد الله بن عمـرو. و(٢/٤٧١) عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد، شك في ذلك الأعمش.

الحديث الخامس عشر

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا حَسَدَ إلاَّ على اثْنَتَيْنِ: رجلٍ آتاهُ الله هذا الكتابَ، فقامَ به آناء اللَّيْلِ، وآناء النَّهارِ. ورجلٍ أعطاهُ الله تعالى مالاً، فتصدَّقَ به آناء اللَّيْلِ، وآناءَ النَّهارِ».

ـ رواه البخاري ومسلم(١).

(١) فتح الباري (٩/٧٣) ومسلم (٢/٢٠١).
أقول: ترجم البخاري لهذا الحديث باب «اغتباط صاحب القرآن» كما ترجم من قبل، باب «الاغتباط في العلم والحكمة».
ليدل على أن الحسد المذكور في الحديث إنما هو من الغبطة، وهي: أن يتمنى أن يكون له مثل ما لغيره، من غير أن يزول عنه، والحرص على هذا يسمى منافسة، فإن كان في الطاعة فهو محمود، ومنه قوله تعالى ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾، وإن كان في المعصية فمذموم، ومنه «ولا تنافسوا».
أما الحسد: فهو تمني زوال النعمة عن المنعم عليه، وخصه بعضهم بأن يتمنى ذلك لنفسه. وصاحبه مذموم.

الحديث السادس عشر

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ، قال:

«لا حسدَ إلَّا في اثنتَيْن: رجلٍ علَّمَهُ القرآنَ، فهو يَتْلُوهُ آناءَ اللَّيْلِ، وآناء النَّهارِ، فسمعَهُ جارٌ له، فقالَ: يا لَيْتَنِي أُوتيتُ مثلَ ما أُوتِيَ فلانٌ، فعملْتُ مثلَ ما يَعْمَلُ.

ورجلٍ آتاهُ اللَّهُ مالاً فهو يهلكُهُ في الحِلِّ[1]، فقالَ رجلٌ: لَيْتَني أُوتيتُ مثلَ ما أُوتِيَ فلانٌ، فعملْتُ مثلَ ما يَعملُ».

ـ رواه البخاري[2].

---

(١) في البخاري «في الحق».

(٢) فتح الباري (٩/٧٣).

في هذا الحديث احتراس بليغ في قوله ﷺ: «فهو يهلكه في الحق» كأنه لما أوهم الإنفاق في التبذير من جهة عموم الاهلاك قيده «بالحق» والله تعالى أعلم.

الحديث السابع عشر

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«ثلاثةٌ لا يَهولُهم الفزعُ الأكبرُ، ولا يَنالُهم الحسابُ[1]، هم على كَثِيبٍ من مِسْكٍ حتى يفرغَ من حسابِ الخلائِقِ: رجلٌ قرأَ القرآنَ ابتغاءَ وجهِ اللَّهِ تعالى، وأمَّ به قوماً، وهم راضون.

وداعٍ يدعو إلى الصَّلاةِ ابتغاءَ وجهِ اللَّه عزَّ وجلَّ. وعبدٌ أحسنَ بَيْنَهُ، وبينَ ربِّهِ، وفيما بينَهُ وبينَ مواليهِ».

ـ رواه الطبراني في الأوسط، والصغير بإسناد لا بأس به[2]، وفي الكبير نحوه، وزاد في أوله: قال ابن عمر: لو لم أسمعه من رسول الله إلَّا مرة، ومرة، حتى عدَّ سبعَ مرات لا حدَّثْتُ به. ولفظُ الكبيرِ على ما في الجامع الصغير: «ثلاثـةٌ على كُثْبانِ المسكِ يومَ القيامة، لا يهولُهم الفزعُ، ولا يفزعونَ حتى يفرغَ الناسُ: رجلٌ تعلَّمَ القرآنَ، فقامَ به يطلبُ وجْهَ اللَّهِ، ورجلٌ نادى

---

(١) في المخطوطة «الحسنات» وهو خطأ.

(٢) قال الهيثمي في المجمع (١/٣٢٨): رواه الترمذي باختصار، وقد رواه الطبراني في الأوسط، والصغير، وفيه عبد الصمد بن عبد العزيز المقري، ذكره ابن حبان في الثقات.

في كل يوم وليلة خمس صلوات يطلبُ وجه الله وما عنده، ومملوكٌ لم يمنعْهُ رِقُّ الدُّنْيا عن طاعةِ ربِّه»[٣].

---

(٣) المعجم الكبير (١٢/ رقم ١٣٥٨٤) باللفظ المذكور هنا، وفي الجامع الصغير رقم (٣٤٩٩). وقال الهيثمي في المجمع (١/٣٢٧): قلت: ـ رواه الترمذي بغير سياقه ـ رواه الطبراني في الكبير، وفيه بحر بن كثير السقاء، وهو ضعيف. وقال المناوي: بل متروك. وقال الألباني في ضعيف الجامع (٣٥٧٧): ضعيف.

لا يهولهم: الهول، المخافة من الأمر، لا يدري ما يهجم عليه منه.

الفزع: الفرق، والذعر من الشيء، وفزعه: أخافه وروعه.

الكثيب: الرمل المستطيل المحدودب.

فكما كانوا مطمئنين في الدنيا بذكر الله، يفزعون إليه، فتطمئن قلوبهم، كان الثواب في الآخرة الطمأنينة عندما يخاف الناس، ويفزعون.

الحديث الثامن عشر

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال:

«بعثَ رسولُ اللَّهِ صلى الله تعالى عليه وسلم بَعْثاً، وهمْ ذو عدَدٍ، فاستقرأَهُم، فاستقرأَ كلَّ رجلٍ منهم - يعني ما معه من القرآن - فأتى على رجلٍ من أحدثِهم سِنَّـاً، فقالَ: ما معكَ يا فلانُ؟ قال: معي كذا، وكذا، وسورَةَ البقرةِ. قال: أمعك سورةُ البقرةِ؟ قال: نعم. فقال: اذهبْ، فأنتَ أميرُهم. فقال رجلٌ من أشرافِهم: واللَّه ما منعني أنْ أتعلَّمَ البقرةَ إلَّا خشيةَ ألَّا أقومَ بها. فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: تعلَّموا القرآنَ، واقرأوه، فإنَّ مَثَلَ القرآنِ لِمَنْ تَعَلَّمَهُ، فقرأَهُ، وقامَ به كمثلِ جِرابٍ مَحْشُوٍّ مِسْكاً، يفوحُ ريحُهُ في كلِّ مكانٍ، ومثلُ مَنْ تعلَّمه، فيرقُدُ، وهو في جوفِهِ كمثلِ جِرَابٍ أُوْكِيَ على مِسْكٍ».

- رواه الترمذي، واللفظ له، وقال: حديث حسن، وابن ماجه مختصراً وابن حبان في صحيحه(١).

---

(١) تحفة الأحوذي (٨/١٨٦) وقال الترمذي: وقد روي هذا الحديث عن سعيد المقبري، عن عطاء مولى أبي أحمد، عن النبي ﷺ مرسلاً نحوه. ورواه ابن ماجه (٢١٧) من «تعلموا القرآن...»، وانظر: الترغيب والترهيب (٢/٣٥٢).

أُوْكي: ربط. والوكاء هو الخيط الذي يشد به الأوعية.

وفيه تمثيل أن الذي يقرأ القرآن تصل بركته إلى الآخرين السامعين

. . . .

ويحصل لهم الثواب بالاستماع، وتطمئن قلوبهم فهو كجراب المسك إذا فتح تصل رائحته إلى ما حوله.

أما الذي تعلم القرآن، ولم يقرأه، فهو محروم البركة، وحاجب لها عن الآخرين كجراب المسك المربوط لا تصل رائحته إلى أحد.

الحديث التاسع عشر

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم:

«مَنْ قرأَ القرآنَ، فقد استدرجَ النبوَّةَ بينَ جنبيْهِ، غيرَ أنَّه لا يوحى إليه، لا يَنبغي لصاحبِ القرآنِ أنْ يَجِدَ مع جَدٍّ، ولا يَجْهَلَ مَعَ جَهْلَ، وفي جوفِهِ كلامُ اللَّه تعالى»(١).

ـ رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد(٢).

---

(١) استدرج: أي أخذ في وجودها، غير أنه لا ينزل إليه الوحي، لكنه حصل على تعاليم الله سبحانه وتعالى.
يجد مع جد: وجد عليه وجداً، وموجدة أي غضب، أي ليس له أن يغضب، ويشتم، ويذم مع من يفعل ذلك.
ولا يجهل مع جهل: أي لا يفسق، وعليه أن يتخلق بأخلاق الصالحين، ولا يعصي الله تعالى، ولا يغضبه، ولا تشذ أخلاقه.
جوفه: قلبه.

(٢) المستدرك (١/٥٥٢) ووافقه الذهبي.

الحديث العشرون

وعنه، قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم:

«الصيامُ، والقرآنُ يَشفعانِ للعبد، يقولُ الصيامُ: ربِّ إنِّي منعتُهُ الطعامَ، والشَّرابَ بالنهارِ، فشفِّعْني فيه ـ ويقولُ القرآنُ: منعتُهُ النَّومَ بالليلِ، فشفِّعْني فيه ـ فَيَشْفَعَانِ»[1].

ـ رواه أحمد وابن أبي الدنيا في كتاب الجوع، والطبراني في الكبير، والحاكم، واللفظ له، وقال: صحيح على شرط مسلم[2].

---

(١) يشفعان: يرجوان له الثواب.
فشفعني فيه: أي يستأذنان أن يسمح له بالرجاء فيه، ويأملان العفو له تكرماً من الله تعالى ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلاَّ بإذنه﴾.

(٢) كذا قال المنذري في الترغيب والترهيب (٢/٣٥٣)، وانظر: المسند (٢/١٧٤) أقول: وفيه ابن لهيعة. وقال الهيثمي في المجمع (٣/١٨١): رواه أحمد، والطبراني في الكبير، ورجال الطبراني رجال الصحيح. والمستدرك (١/٥٥٤) ووافقه الذهبي.
وقال الألباني في صحيح الجامع (٣٧٧٦): صحيح.

الحديث الحادي والعشرون

وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنكم لا ترجعون إلى الله تعالى بشيء أفضل مما خرج منه - يعني القرآن - ظهر منه».

- رواه الحاكم، وصححه، ورواه أبو داود في مراسيله[1].

---

(١) كذا قال المنذري في الترغيب والترهيب (٢/٣٥٤) وتمام كلامه: «..عن جبير بن نضير» أقول: وهو عند الترمذي كما في التحفة (٨/٢٣٠) وانظر: المستدرك (١/٥٥٥) ووافقه الذهبي. ورواه أحمد في الزهد. وضعفه الألباني.
أقول: وقد جاء في حديث أبي أمامة الذي أخرجه الترمذي وقال عنه: حديث حسن غريب «..وما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه، يعني القرآن». انظر: تحفة الأحوذي (٨/٢٢٩ - ٢٣٠).
ومعنى «مما خرج منه»: ظهر من الله، ونزل على نبيه، وقيل ما خرج من العبد بوجوده على لسانه محفوظاً في صدره مكتوباً بيده، وقيل: ما ظهر من شرائعه وكلامه، أو خرج من كتابه المبين، وما استفهامية للإنكار، ويجوز كونها، وهو أقرب أي: ما تقرب بشيء مثل. قال أبو النضر - أحد رواة حديث أبي أمامة - يعني القرآن وهذا التفسير أولى عندي - المباركفوري - يعني ضمير منه يرجع إلى الله. والمراد بما خرج منه، ما أنزل على نبيه ﷺ وهو القرآن.

الحديث الثاني والعشرون

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنَّ للَّهَ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ. قالوا: مَنْ هُمْ يا رسولَ الله؟ قالَ: أهلُ القرآنِ هُمْ أهْلُ اللَّهِ، وخاصَّتُهُ».

ـ رواه النسائي، وابن ماجه، والحاكم، وصححه المنذري[1].

---

(١) سنن ابن ماجه رقم (٢١٥) وقال في الزوائد: إسناده صحيح. وأخرجه النسائي في السنن الكبرى في فضائل القرآن. وبمثل إسناد ابن ماجه، كما ذكر ذلك المزي في تحفة الأشراف (١/٩٨). والمستدرك (١/٥٥٦) وقال: قد روي هذا الحديث من ثلاثة أوجه عن أنس هذا مثلها. ووافقه الذهبي على ذلك.

والحديث صححه المنذري كما في الترغيب والترهيب (٢/٣٥٤). كما أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/١٢٧ وغيرها) والدارمي في فضائل القرآن (٢/٣١١). وقال الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١٢٦١): صحيح وعزاه أيضاً: للطيالسي، وأبي نعيم في الحلية، وابن نصر، وابن عساكر.

أهل الله وخاصته: قال المناوي: أي الذين يختصون بخدمته. قال العسكري: هذا على المجاز، والتوسع، فإنه لما قربهم، واختصهم كانوا كأهله، ومنه قيل لأهل مكة: أهل الله، لما كانوا سكان بيته، وما حوله كانوا أهله.

الحديث الثالث والعشرون

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال:

«مَنْ قَرَأَ القرآنَ لَمْ يُرَدّ إلى أَرْذَلِ العُمُرِ، وذلكَ قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قالَ: إلَّا الَّذِينَ قَرَأوا القُرآنَ».

ـ رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد[1].

---

(١) المستدرك (٢/٥٢٨ ـ ٥٢٩) ووافقه الذهبي.

ومعنى لم يرد إلى أرذل العمر: لم يبلغ كبر الهرم، والخرف، والضعف، بل يتكرم الله عليه بنضارة الصحة، وتمام القوة، وكمال العقل.

الحديث الرابع والعشرون

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«أَشْرَافُ أُمَّتي حملةُ القرآنِ، وأَصْحَابُ اللَّيْلِ».

ـ رواه البيهقي في شعب الإيمان، وابن أبي الدنيا[1].

---

(١) عزاه في الجامع الصغير رقم (١٠٦٣) للطبراني في الكبير. ووجدته فيه برقم (١٢٦٦٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦١/٧): وفيه سعد بن سعيد الجرجاني وهو ضعيف. أقول: وفيه نهشل متروك. وأشار السيوطي إلى ضعفه.

كما أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٢٤/٤) و(٨٠/٨) وقال الألباني في ضعيف الجامع (٩٧٢): موضوع، وقال في تخريج المشكاة رقم (١٢٣٩): ضعيف جداً.

وحملة القرآن: حفاظه الحاملون له في صدورهم العالمون تلاوته، العاملون بمقتضاه.

وأصحاب الليل: الذين يحيونه بأنواع العبادة، من صلاة، وذكر، وتلاوة، واستغفار، وتضرع.. وهذا هو الشرف العظيم.

الحديث الخامس والعشرون

وعن عبد الرحمن بن شبل الأنصاري رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ، قال:

«اقْرأُوا القرآنَ، واعملُوا به، ولا تَجْفُوا عنهُ، ولا تَغْلُوا فيهِ، ولا تأكلُوا بهِ، ولا تَسْتَكْثِرُوا بهِ»(١).

ـ رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني، والبيهقي(٢).

---

(١) لا تجفوا عنه: أي تعاهدوه، ولا تبعدوا عن تلاوته.
ولا تغلوا: الغلو تجاوز الحد، والمراد: لا تبذلوا جهدكم في قراءته، وتتركوا غيره من العبادات فالجفاء عنه تقصير، والغلو التعمق فيه، وكلاهما شنيع، وقد أمر الله بالتوسط في الأمور.
ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به: أي لا تجعلوه سبباً للإكثار من الدنيا.

(٢) المسند (٣/٤٢٨)، وقال الهيثمي في المجمع (٤/٩٥): رواه أحمد، وأبو يعلى باختصار، والطبراني في الكبير والأوسط، ورجاله ثقات، وقال في (٧/١٦٧ ـ ١٦٨): رواه أحمد والبزار بنحوه، ورجال أحمد ثقات وقال الشيخ الألباني في الصحيحة رقم (٢٦٠): بل هو إسناد صحيح...

الحديث السادس والعشرون

وعن عُمْرَان بن حُصَيْن رضي الله تعالى عنه:

[أنَّه مرَّ على قارىءٍ يقرأُ، ثمَّ سألَ، فاسْتَرْجَعَ[1]. ثم قالَ: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «مَنْ قرأَ القرآنَ، فليسأَلِ اللَّهِ بهِ، فإنَّه سيجيءُ أقوَامٌ يقرأونَ القرآنَ يسألونَ بهِ النَّاسَ»].

ـ رواه الترمذي وقال: حديث حسن[2].

---

(١) أي قال: «إنا لله، وإنا إليه راجعون» لابتلاء القارىء بهذه المصيبة التي هي السؤال من الناس بالقرآن، أو لابتلاء عمران بمشاهدة هذه الحالة الشنيعة، وهي مصيبة.

فليسأل الله به، أي فليطلب من الله تعالى بالقرآن ما شاء من أمور الدنيا، والآخرة. أو المراد أنه إذا مر باية رحمة فليسألها من الله تعالى، أو بأية عقوبة فيتعوذ إليه بها منها، وإما أن يدعو الله عقيب القراءة بالأدعية المأثورة.

(٢) تحفة الأحوذي (٨/٢٣٤ ـ ٢٣٥)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٤/٤٣٢ ـ ٤٣٣).

الحديث السابع والعشرون

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بالقُرآنِ».

- رواه البخاري، ورواه أحمد، وأبو داود، وابن حبان، والحاكم عن سعد[1].

قال جمهور العلماء: أي لم يحسن صوته. وقال بعضهم: لم يستغن به عن غيره[2].

---

(١) انظر: فتح الباري (١٣/ ٥٠١) كما أورده في (٩/ ٦٨) بلفظ «لم يأذن الله لشيء ما أذن لنبي أن يتغن بالقرآن. وقال صاحب له: يريد يجهر به». والمسند (١/ ١٧٢ وغيرها). وفيه «قال وكيع: يعني يستغني».
ومختصر أبي داود رقم (١٤١٩ و ١٤٢٠) والمستدرك (١/ ٥٧٠) عن سعد، وعن ابن عباس.
ورواه البيهقي في السنن (١٠/ ٢٣٠) من حديث سعد، وأبي هريرة، وأبي لبابة..

(٢) والمراد به ليس من العاملين بسنتنا الجارين على طريقتنا من لم يحسن صوته بالقرآن، لأن ذلك أوقع في النفس، وأوعى للاستماع والإصغاء، بشرط أن لا يؤدي ذلك إلى إخلال بالنظم، بإخفاء حرف أو زيادة حرف فذلك حرام بالاجماع. وقال ابن أبي مليكة: فإن لم يكن حسن الصوت، حسنه ما استطاع.
واختار أبو عبيد تفسير «يتغنى» بيستغني، وقال: إنه جائز في كلام العرب،واختار البخاري تخصيص الاستغناء، وأنه يستغنى به عن غيره

من الكتب، وقيل: المراد من لم يغنه القرآن، وينفعه في إيمانه، ويصدق بما فيه من وعد ووعيد، وغير ذلك.

قال ابن الجوزي: اختلفوا على معنى قوله «يتغنى» على أربعة أقوال: أحدها: تحسين الصوت. والثاني: الاستغناء، والثالث: التحزن ـ قاله الشافعي ـ، والرابع: التشاغل به. تقول العرب: تغنى بالمكان: أقام به.

قال الحافظ: وفيه قول آخر حكاه ابن الأنباري في «الزاهر» قال: المراد به التلذذ، والاستحلاء له، كما يستلذ أهل الطرب بالغناء... وقال أيضاً: وفيه قول آخر حسن: وهو أن يجعله هجيراه، كما يجعل المسافر، هجيراه الغناء. قال ابن الأعرابي: كانت العرب إذا ركبت الإبل تتغنى، وإذا جلست في أفنيتها، وفي أكثر أحوالها، فلما نزل القرآن، أحب النبي ﷺ أن يكون هجيراهم القراءة مكان التغني.. والله تعالى أعلم.

الحديث الثامن والعشرون

وعن بُرَيْدة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ قرأَ القرآنَ يَتَأَكَّلُ بِهِ النَّاسَ، جاءَ يومَ القيامةِ ووجْهُهُ عَظْمٌ ليسَ عليه لَحْمٌ»(١).

ـ رواه البيهقي(٢).

---

(١) يتأكل: يستأكل به. أي جعله ذريعة ووسيلة إلى حكام الدنيا. فمن فعل ذلك عوقب بالخزي يوم القيامة، وجاء بهذا المنظر الدال على الخزي، والمهانة.

(٢) في الشعب. قال المناوي في الفيض (٦/١٩٦): قال ابن أبي حاتم لا أصل لهذا من حديث رسول الله ﷺ. وقال ابن الجوزي: وفيه علي بن قادم: ضعفه يحيى، وأحمد بن ضبير: ضعفه الدارقطني، وأورده الذهبي في المتروكين، وقال: ضعفه ابن معين، وكان شيعياً غالياً.
وقال الألباني في ضعيف الجامع رقم (٥٧٧٥): موضوع.

الحديث التاسع والعشرون

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها، أنه عليه الصلاة والسلام قال:

«قِراءَةُ القرآنِ في الصلاةِ أفضلُ من قراءةِ القُرآنِ في غيرِ الصَّلاةِ، وقراءةُ القرآنِ في غير الصَّلاةِ أفضلُ من التَّسبيحِ والتكبيرِ، والتسبيحُ[1] أفضلُ من الصدقةِ، والصدقةُ أفضلُ من الصَّومِ، والصومُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ»[2].

ـ رواه الدارقطني في الإفراد، والبيهقي في شعب الإيمان[3].

---

(١) كلمة «والتسبيح» غير موجودة في المخطوطة، أضفناها من الجامع الصغير.

(٢) جُنَّة من النار: وقاية من نار جهنم.

(٣) أشار السيوطي في الجامع الصغير (٦١١٢) إلى ضعفه، وقال المناوي: وفيه محمد بن سلام، قال ابن منده: له غرائب عن الفضل بن سليمان. وفيه مقال عن رجل من بني خزيمة مجهول.
وقال الشيخ الألباني في ضعيف الجامع رقم (٤٠٨٦): ضعيف.

الحديث الثلاثون

وعن أوس بن أبي أوس الثقفي مرفوعاً:

«قِراءَةُ الرجلِ القرآنَ في غيرِ المُصْحَفِ أَلْفُ درجةٍ، وقراءتُهُ في المصحفِ تضاعَفُ على ذلك إلى أَلفَيْ درجةٍ».

ـ رواه الطبراني، والبيهقي[1].

---

(١) المعجم الكبير (١/ رقم ٦٠١) وقال الهيثمي في المجمع (٧/١٦٥): وفيه أبو سعيد بن عون، وثقه ابن معين في رواية، وضعفه في أخرى، وبقية رجاله ثقات.

أقول: وقد أشار السيوطي في الجامع الصغير رقم (٦١١٣) إلى ضعفه، وذكر أن البيهقي رواه في شعب الإيمان، وقال الشيخ الألباني في ضعيف الجامع رقم (٤٠٨٥): ضعيف. ولم يعزه للبيهقي. قال المناوي: وإنما فضلت القراءة في المصحف لحظ النظر فيه، وحمله، ومسه، وتمكنه من التفكر فيه، واستنباط معانيه.

الفيض (٤/٥٣١)

الحديث الحادي والثلاثون

وعن ابن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً:

«اقْرإِ القرآنَ في كلِّ شهرٍ، اقرأْهُ في عشرينَ ليلة، اقرأهُ في عَشْرٍ، اقرأْهُ في سبعٍ، ولا تَزِدْ على ذلكَ»[1].

ـ رواه الشيخان، وأبو داود[2].

---

(١) جاء الحديث هنا مختصراً ولفظه: «اقرإ القرآن في شهر، قال: إني أجد قوة. قال: اقرأه...» الحديث، وفيه: «إني أجد قوة» بعد ذكر العدد.

(٢) فتح الباري (٩/٩٥)، ومسلم (٣/١٦٢ ـ ١٦٣) باب النهي عن صوم الدهر..، ومختصر أبي داود رقم (١٣٤٢).

أقول: وأخرجه النسائي (٤/٢١٠) باب صوم يوم، وإفطار يوم.

وابن ماجه رقم (١٣٤٦) بنحوه.

والحديث جعله السيوطي، والمناوي من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب، والصواب أنه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، والله تعالى أعلم.

في هذا الحديث دلالة على بيان أقل ما يجزىء في كل يوم وليلة، وجاء في حديث ابن عمرو عند أبي داود (١٣٤٩) والترمذي، والنسائي أن أقل ما يجزىء جزء من أربعين جزءاً، وهو منقول عن إسحاق بن راهويه والحنابلة، غير أن البخاري الذي ترجم لحديث الباب قال: «باب في كم يقرأ القرآن» أعقبه بقول الله تعالى: ﴿فاقرأوا ما تيسر منه﴾. فهو أقل

. . . .

مما قالوا، ومن ادعى التحديد فعليه البيان وفي الحديث «إنه من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه» كما فيه بيان أن أقل مدة يقرأ بها القرآن سبعة أيام، وقد ورد في حديث ابن عمرو عند أبي داود (١٣٤٨) والترمذي، وقال: حسن صحيح، والنسائي، وابن ماجه: «لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث».

الحديث الثاني والثلاثون

وعن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«إقرإِ القرآنَ ما نَهَاك، فإذا لَمْ يَنْهَكَ فلسْتَ تقرأُه».

- رواه الديلمي في مسند الفردوس[1].

---

(١) جاء في الفيض (٢/٦٢): قال الزين العراقي: وسنده ضعيف.
وظاهره أنه لم يره لأقدم من الديلمي، ولا أحق بالعزو إليه منه، وهو عجب، فقد خرجه أبو نعيم، والطبراني، وعنهما أورده الديلمي مصرحاً، فإهماله لذينك، واقتصاره على ذا غير سديد.
وقال الشيخ الألباني في ضعيف الجامع رقم (١١٦٤): ضعيف.
والمعنى: أن من لم يقبل على القرآن بكليته ظاهراً بحسن التلاوة، وباطناً بالتدبر، والتفكر، والعمل بأحكامه، والنهي عما نهى عنه، فليس بقارىء له على الحقيقة المطلوبة.
أما حديث الطبراني فلفظه: «رب حامل فقه غير فقيه، ومن لم ينفعه علمه، ضره جهله، اقرأ القرآن. . .» الحديث. قال السيوطي: ضعيف، وقال المناوي: قال المنذري: وفيه شهر بن حوشب. وقال الشيخ الألباني في ضعيف الجامع رقم (٣٠٨٩): ضعيف.

الحديث الثالث والثلاثون

وعن بُرَيْدة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«اقرأوا القرآنَ بالحَزَنِ، فإنَّه نَزَلَ بالحَزَنِ».

ـ رواه أبو يعلى، والطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الحلية[1].

(١) الجامع الصغير (١٣٣٥)، وأشار السيوطي إلى ضعفه، وقال المناوي في الفيض (٢/٦٣): وكان ينبغي للمصنف الإكثار من مخرجيه إشارة إلى جبر ضعفه، فمن خرجه: العقيلي في الضعفاء، وابن مردويه في تفسيره وغيرهم. وانظر: المجمع (٧/١٦٩ ـ ١٧٠)، وقال الهيثمي: وفيه إسماعيل بن سيف وهو ضعيف. وفي الميزان، قال ابن عدي: كان يسرق الحديث. وفي اللسان ضعفه البزار. وقال المناوي: فيه عون بن عمرو أورده الذهبي في الضعفاء، قال ابن معين: لا شيء. وانظر: حلية الأولياء (٦/١٩٦) أقول: ويشهد له حديث ابن عباس عند الطبراني: «إن أحسن الناس قراءة من إذا قرأ القرآن بتحزن». قال الهيثمي (٧/١٧٠): وفيه ابن لهيعة، وهو حسن الحديث، وفيه ضعف.

والمعنى: اقرأوا القرآن برقة صوت، وخشية، وتباكي، وجعل صوته كصوت الحزين. قال ابن حجر: روى ابن أبي داود بإسناد حسن، عن أبي هريرة «أنه قرأ سورة فحزنها شبه الرثاء». ولا شك أن ذلك أكثر تأثيراً في رقة القلب. فإنه نزل بالحزن: أي نزل ناعياً على الكافرين ما هم فيه من الضلال والبهتان فأنذرهم عاقبة غيهم، وطغيانهم. ووجه اختيار الحزن مع القراءة: أن يتأمل القارىء التهديد والوعيد والمآل، ويتأمل ما عنده من أخطاء وذنوب فيبكي على نفسه.

الحديث الرابع والثلاثون

وعن جُنْدُبَ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«اقرأوا القرآنَ ما أُتَلَفَتْ عليهِ قُلُوبُكم، فإذا اخْتَلَفْتُم فيهِ فقوموا».

- رواه أحمد، والشيخان، والنسائي[1].

(١) المسند (٤/٣١٣) وفتح الباري (٩/١٠١)، وصحيح مسلم (٨/٥٧) والدارمي (٢/٣١٨).

والمعنى: اقرأوا القرآن حال نشاطكم، واستعدادكم للفهم، والوعي والإدراك، وما دامت قلوبكم مجتمعة على ذلك. فإن أصابكم الملل، وأصبحتم تقرأون بألسنتكم، وقلوبكم منصرفة عنه، فقوموا واتركوا القراءة إلى وقت تكون قلوبكم مجتمعة عليه.

الحديث الخامس والثلاثون

وعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ:

«اقْرأُوا القرآنَ، فإنَّ اللَّهَ تعالى لا يعذبُ قلباً وعَى القرآنَ».

ـ رواه تمام[1].

---

(١) في فوائده. انظر: الجامع الصغير (١٣٤٠) وأشار السيوطي إلى أنه حديث حسن. إلا أن الشيخ الألباني قال في ضعيف الجامع الصغير رقم (١١٦٦): ضعيف. أقول: أخرج الدارمي (٢/٣١١) عن أبي أمامة موقوفاً «اقرأوا القرآن، ولا يغرنكم هذه المصاحف المعلقة، فإن الله...» الحديث.

وعي القرآن: حفظه، وتدبره، والعمل بما فيه.

قال سهل: علامة حب الله حب القرآن، وعلامة حب القرآن حب النبي ﷺ، وعلامة حب النبي ﷺ حب السنة، وعلامة حبها حب الآخرة، وعلامة حبها بغض الدنيا، وعلامة بغضها أن لا يتناول منها إلا البلغة.

الحديث السادس والثلاثون

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«القرآنُ غِنىً لا فقرَ بعدَهُ، ولا غِنىً دونَهُ».

ـ رواه أبو يعلى[1].

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٨/٧): رواه أبو يعلى، وفيه يزيد بن أبان الرقاشي، وهو ضعيف. ثم ذكره من حديث أبي هريرة وقال: رواه الطبراني، وفيه يزيد الرقاشي، وهو ضعيف.

وقال السيوطي ورواه محمد بن نصر عن أنس، وأشار إلى ضعف هذا الحديث. وكذا قال الحافظ العراقي: سنده ضعيف. انظر: فيض القدير (٥٣٥/٤). وقال الشيخ الألباني في ضعيف الجامع رقم (٤١٣٨): ضعيف. كما رواه القضاعي في مسند الشهاب (٢٧٦) وهو ضعيف.

والمعنى: أن القرآن غنى لقلب المؤمن، فمن تابعه، والتزم أحكامه استغنى عن غيره من الأحكام، واستضاء بنوره من المهلكات، وغيره لا يغني عنه.

ويحتمل أن المراد نفي الفقر المحسوس، قال النزالي: لازم رجل باب عمر، فقال: يا هذا هاجرت إلى عمر، أو إلى الله. تعلم القرآن، فإنه يغنيك عن بابي، فغاب حتى فقده عمر، فوجده يتعبد، فقال: ما شغلك عنا؟ قال: قرأت القرآن، فأغناني عن عمر، فقال: ما وجدت فيه؟ قال: ﴿وفي السماء رزقكم، وما توعدون﴾ فبكى عمر رضي الله تعالى عنه.

الحديث السابع والثلاثون

وعن عمر رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

«القرآنُ ألفُ ألفِ حرفٍ، وسبعةٌ وعشرونَ ألفَ حرفٍ، فَمَنْ قرأَهُ صَابراً مُحْتَسِباً كانَ لهُ بكلِّ حرفٍ زوجةٌ مِنَ الحُورِ العِينِ».

ـ رواه الطبراني في الأوسط[1].

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/١٦٣): رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه محمد بن عبيد بن آدم بن أبي إياس. ذكره الذهبي في الميزان لهذا الحديث، ولم أجد لغيره في ذلك كلاماً، وبقية رجاله ثقات.
أقول: وقال في الميزان: تفرد بخبر باطل، وساق هذا الخبر، وقال الطبراني، ولا يروي إلا بهذا الإسناد. وأشار السيوطي إلى ضعفه. بل قال الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (٤٣١٧): موضوع.

الحديث الثامن والثلاثون

وعن رجل، عن النبي ﷺ قال:

«القرآنُ هو النُّورُ المُبينُ، والذكرُ الحكيمُ، والصِّراطُ المستقيمُ».

ـ رواه البيهقي[1].

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان. وأشار السيوطي إلى حسنه. ولم يتكلم فيه المناوي. انظر: الفيض (٤/٥٣٦).

وقال الشيخ الألباني في ضعيف الجامع رقم (٤١٤٠): ضعيف.

النور المبين: الضياء الذي يستغنى به إلى سلوك الهدى.

والذكر الحكيم: الذي يتذكر به أي يتعظ، والحكيم: المحكم آياته.

«كتاب فصلت آياته، ثم أحكمت من لدن حكيم خبير».

الحديث التاسع والثلاثون

وعن علي رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

ـ القرآنُ هوَ الدَّواءُ».

ـ رواه القضاعي[1].

(١) قال السيوطي في الجامع (٦١٨٧): رواه السِّجْزِي في الإبانة والقضاعي عن علي. وأشار السيوطي إلى ضعفه.
وقال الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (٤١٣٩): ضعيف. وانظر: مسند الشهاب (١/٢٨) وفي إسناده: الحسن بن رشيق: أورده الذهبي في الضعفاء، وقال: ثقة تكلم فيه عبد الغني، وفيه سعاد: أورده الذهبي في ذيل الضعفاء وقال: قال أبو حاتم: شيعي، وليس بالقوي. أقول: ورواه ابن ماجه رقم (٣٥٠١ و٣٥٣٣) بلفظ «خير الدواء القرآن» وفيه الحارث الأعور ضعيف.
والمعنى: القرآن دواء شاف لكل الأمراض القلبية، من اعتقادات فاسدة، وشكوك قاتلة «ألا بذكر الله تطمئن القلوب». وكذا الأمراض البدنية بالرقية عليها بالقرآن الكريم ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء﴾.

الحديث الأربعون

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«أهلُ القرآنِ عُرفاءُ أهْلِ الجَنَّةِ».

ـ رواه الضياء[1].

قال المصنف رحمه الله تعالى:

«تم أحاديث الأربعين، والله حسبي، ونعم المعين».

---

(١) كذا في المخطوطة، والذي في الجامع الصغير رقم (٢٧٦٧): رواه الحكيم الترمذي عن أبي أمامة الباهلي، وأشار السيوطي إلى ضعفه، وكذا الشيخ الألباني في ضعيف الجامع رقم (٢١٠٦).
أهل القرآن: أي حفظته العاملون بأحكامه.
عرفاء: أي زعماء، وقادة، والعريف هو من كان تحت يد الإمام، فله شعبة من السلطان.
قال المناوي: وفيه أن في الجنة أئمة، وعرفاء، فالأئمة الأنبياء، فهم إمام القوم، وعرفاؤهم القراء.

[المقدّمة]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ[1]

/ سبحان مَن أرسل رسوله بالهدى ودينِ الحقّ، وبيَّن له مِن شعائر الشرائع كلَّ ما جلّ ودقّ، أنزل عليه أظهرَ بيّنات وأبهرَ حُجَج، قرآنًا عربيًّا غيرَ ذي عِوَج، مصدِّقًا لِما بين يديه مِن الكتاب، ليدّبّروا آياتِه وليتذكّر أولوا الألباب، ناطقًا بكلّ أمر رشيد، هاديًا[2] إلى صراط العزيز الحميد، آمرًا بعبادة الصمد المعبود، كتابًا متشابِهًا مَثانِيَ تقشعِرّ منه الجُلود، تكاد الرواسي لِهيبته تمور،[3] ويذوب منه الحديد، ويَميع[4] صُمُّ الصُّخور، حقيقًا بأن يسيَّر به الجبال، وييسَّرَ به كلّ صعب مُحال،[5] معجِزًا أفحَمَ كلَّ مِصْقَع[6] مِن مَهَرة قَحطانَ،[7] وبكَّت كلَّ مُفلِق[8] مِن سَحَرة البيان، بحيث لو اجتمعت الإنس والجنّ على معارضته ومُباراته لَعجزوا عن الإتيان بمثل آية مِن آياته. [١ظ]

نزّله عليه على فترة مِن الرُّسل، ليُرشِد الأمّة إلى أقوَمِ السُّبل، فهَداهم إلى الحقّ وهم في ضلال مبين، فاضمحلّ دُجَى الباطل، وسطَع نورُ اليقين،

---

١ س – بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ.

٢ ي: وباديا.

٣ وفي هامش س ي أ: المَوْر: الموج والاضطراب على وجه الأرض والتحرّك. قاموس. «منه». | القاموس المحيط للفيروزآبادي، «مور».

٤ وفي هامش س ي: ماع الشيء يميع: جرَى على وجه الأرض منبسطًا. قاموس.(١) «منه». | (١) هامش ي – قاموس. | القاموس المحيط للفيروزآبادي، «ميع».

٥ يعني: المتعسّر، ليس بسهل الحصول. شرح ديباجة إرشاد العقل السليم لزَيرَكْ زادَه، ٩و.

٦ المِصْقَع: البليغ. الصحاح للجوهري، «صقع».

٧ قَحطان: العرب العاربة الذين نطقوا بلسان العاربة وسكنوا ديارَهم، نسبة إلى قَحطان بن عابر بن شالَخ بن إرْفَخْشَد بن سام بن نوح. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، ٤٣/١؛ والمعجم الوسيط لمجمع اللغة العربيّة، «عرب».

٨ المُفلِق: المُجيد. وشاعر مُفلِق: الذي يَجيء بالعجائب في شِعره. تهذيب اللغة للأزهري، ١٣٣/٩ «باب القاف واللام»؛ لسان العرب لابن منظور، «فلق».

فمَن اتّبع هُداه، فقد فاز بمُناه، وأمّا مَن عانده[١] وعصاه، واتّخذ إلهه هواه، فقد هام في مَوامي[٢] الرَّدى، وتردّى في مَهاوي[٣] الزُّور، ومَن لم يجعل الله له نورًا فما له مِن نور. صلّى الله عليه وعلى آله الأخيار، وصحبه الأبرار، ما تناوبت الأنواءُ،[٤] وتعاقبت الظُّلَمُ والأضواءُ، وعلى مَن تبِعهم بإحسان مدى الدهور والأزمان.

وبعد، فيقول العبد الفقير إلى رحمة ربّه الهادي، أبو السعود بن محمّد العِمادي: إنّ الغاية القُصوى مِن تحرير نُسخة العالَم -وما كان حرف منها مسطورًا- والحكمةَ الكبرى في تخمير طِينة آدمَ -ولم يكن[٥] شيئًا مذكورًا- ليست[٦] إلّا معرفةَ الصانع المجيد،[٧] وعبادةَ البارئ المُبدئ المُعيد.[٨] ولا سبيلَ إلى ذاك[٩] المطلب الجليل، سِوى الوقوفِ على مواقف التنزيل، فإنّه عزَّ سلطانه وبهَرَ برهانه، وإن سطَّرَ[١٠] آياتِ قدرته في صحائف الأكوان، ونصَبَ راياتِ وحدته في صفائح[١١] الأعراض والأعيان، وجعَلَ كلَّ ذَرّة مِن ذَرّات العالَم، وكلَّ قَطرة مِن قَطَرات العَيْلَم،[١٢] وكلَّ نقطة جرى عليها[١٣] قلم الإبداع، وكلَّ حرف رُقم في لَوح الاختراع، مِرآةً[١٤] لمشاهدة جماله ومطالعةِ صفات كماله، حُجّةً نيّرةً واضحةَ المكنون، وآيةً بيّنةً لقوم يعقِلون، برهانًا جليًّا لاريبَ فيه،

---

١ ي: عاند.

٢ الموماة: واحدة الموامي، وهي المَفاوز. **الصحاح** للجوهري، «موم».

٣ جمعُ مَهوى ومَهواة. وهي ما بين الجَبَلين ونحو ذلك، وتهاوى القوم في المَهواة إذا سقط بعضهم في إثر بعض. **الصحاح** للجوهري، «هوي».

٤ ي: تناوبته الأنوار. | الأنواء: ثمانية وعشرون نجمًا معروفة المطالع في أزمنة السنة كلّها مِن الصيف والشتاء والربيع والخريف. واحدها: نوء. **لسان العرب** لابن منظور، «نوأ».

٥ ي + منه.

٦ ط: ليس.

٧ وفي هامش ي أ: كما يُنبئ عنه قوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم حكايةً عن ربّه:(١) «كنتُ كنزًا مخفيًّا، فأحببتُ أن أُعرَف، فخلقتُ الخلقَ لأُعرَفَ». «منه». | (١) هامش ي - حكايةً عن ربّه. | قيل فيه: لا أصل له. انظر: **كشف الخفاء** للعجلوني، ٢/١٣٢ (٢٠١٦).

٨ وفي هامش ي: كما ينطق به قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات، ٥١/٥٦]. «منه».

٩ س: ذلك.

١٠ كذا ضبطُها في الأصول الخطّيّة.

١١ ي: صحائف.

١٢ وفي هامش س ي: العَيْلَم: البحر والماء الذي عليه الأرض. قاموس. | **القاموس المحيط** للفيروزآبادي، «عيلم».

١٣ ي: عليه.

١٤ وفي هامش ي أ: مفعولٌ ثانٍ لـ"جعل". «منه».

ومِنهاجًا سَويًا لا يضِلّ مَن ينتحيه؛[١] بل ناطقًا يتلو[٢] آياتِ ربّه -فهل مِن سامعٍ واعٍ-[٣] ومُجيبًا صادقًا -فهل له مِن داعٍ- يكلّمُ الناسَ على قَدر عقولهم، ويرُدّ جوابَهم بحسَب مقولهم، يحاوِر تارةً بأوضح عبارة، ويلوّح أخرى بألطف إشارة؛ لكنّ الاستدلال بتلك الآيات والدلائل، والاستشهادَ بتيكَ[٤] الأمارات والمخائل، والتنبّهَ لتلك الإشارات السرّيّة، والتفطّنَ لمعاني تِيكَ[٥] العبارات العبقريّة،[٦] وما في تضاعيفها[٧] مِن رموز أسرار القضاء والقدر، وكنوزِ آثار التعاجيب والعِبَر، ممّا لا يُطيق به عقولُ البشر، إلّا بتوفيق خلّاق القُوَى والقُدَر.

فإذنْ مدار المراد ليس إلّا كلامَ ربّ العباد؛ إذ هو المُظهر لِتفاصيل الشعائر الدينيّة، والمفسِّرُ لِمشكلات الآيات التكوينيّة، والكاشفُ عن خفايا حظائر القُدس، والمُطلِعُ على خبايا سرائر الإنس، وبه تُكتسب الملكات الفاخرة، وبه يُتوصّل إلى سعادة الدنيا والآخرة؛ خَلَا أنّه أيضًا مِن عُلُوّ الشأن وسُمُوّ المكان، ونهايةِ الغُموض والإعضال، وصعوبةِ المأخذ وعزّةِ المنال، في غاية الغايات القاصية، ونهايةِ النهايات النائية، أعزُّ مِن بَيْضِ الأَنُوق، وأبعدُ مِن مَناط العَيُّوق،[٨] لا يَتسنّى العروجُ إلى معارجه الرفيعة، ولا يَتأتّى الرُّقِيُّ إلى مدارجه[٩] المَنيعة؛ كيف لا، وأنّه مع كونه متضمِّنًا لِدقائق العلوم النظريّة والعمليّة، ومُنطويًا على رقائق الفنون الخفيّة والجليّة، حاويًا لِتفاصيل الأحكام الشرعيّة، ومُحيطًا بمَناط الدلائل الأصليّة والفرعيّة، مُنبِئًا عن أسرار الحقائق والنعوت، مُخبِرًا بأطوار المُلك والملكوت، عليه يدور فَلَكُ الأوامر والنواهي، وإليه يَستند معرفة الأشياء كما هي،

---

١ وفي هامش س ي: الانتحاء: الاعتماد والمَيل. صحاح. | **الصحاح** للجوهري، «نحا».

٢ ي + عليه.

٣ وفي هامش ي: أي: الحافظ. «منه».

٤ ي: تينك. | تِيكَ: اسم إشارةٍ للمفردة المؤنّثة. **الصحاح** للجوهري، «تا».

٥ ي: تينك.

٦ وفي هامش س ي: العبقري: الكامل مِن كلّ شيء. ق[١] [اختصارًا مِن القاموس]. | [١] هامش ي - ق. | **القاموس المحيط** للفيروزآبادي، «عبقر».

٧ ي: تضاعيفهما.

٨ هما مَثَلان يُضرَبان لتأكيد بُعد الشيء وما لا يُنال. والأَنُوق: الرَّخَمة، تبيض في أعالي الجبال، فلا يُوصَل إلى بَيْضها. والعَيُّوق: كَوكب يطلُع مع الثُّريّا. انظر: **جمهرة الأمثال** للعسكري، ٦٤/٢؛ **مجمع الأمثال** للميداني، ١١٥/١.

٩ ي: معارجه.

قد نُسج على أغرب مِنوال وأبدعِ طِراز، واحتجبت طلعتُه بسُبُحات الإعجاز، طُويت حقائقه الأبِيّة عن العقول، وزُويت دقائقه الخفيّة عن أذهان الفُحول، يرُدّ عيونَ العقول سُبْحانُه،[١] ويخطَف أبصارَ البصائر بَرِيقُه ولَمَعانُه.

[٢و] / ولقد تصدّى لتفسير غوامض مشكلاته أساطينُ أئِمّة التفسير في كلّ عصر مِن الأعصار، وتولّى لتيسير عَويصات مُعضِلاته سلاطينُ أَسِرّة[٢] التقرير والتحرير في كلّ قُطْر مِن الأقطار، فغاصوا في لُجَجه، وخاضوا في ثَبَجه،[٣] فنظموا فرائده في سِلك التحرير، وأبرزوا فوائده في معرِض التقرير، وصنّفوا كُتُبًا جليلةَ الأقدار، وألّفوا زُبُرًا جميلةَ الآثار.

أمّا المتقدِّمون المحقِّقون، فاقتصروا على تمهيد المعاني، وتشييدِ المباني، وتبيينِ المرام، وترتيبِ الأحكام، حسبما بلَغهم مِن سيّد الأنام، عليه شرائفُ التحيّة والسلام. وأمّا المتأخِّرون المدقِّقون، فراموا مع ذلك إظهارَ مزاياه الرائقة، وإبداءَ خباياه الفائقة، لِيُعاينِ الناسُ دلائلَ إعجازه، ويشاهِدوا شواهد فضله وامتيازه عن سائر الكُتب الكريمة الربّانيّة، والزُّبُرِ العظيمة السبحانيّة، فدوّنوا أسفارًا بارعةً جامعةً لفنون المحاسن الرائعة،[٤] يتضمّن كلٌّ منها فوائدَ شريفةً تَقَرُّ بها عيونُ الأعيان، وعوائدَ لطيفةً يتشنّف[٥] بها آذانُ الأذهان؛ لا سِيّما

---

١ وفي هامش س ي: السُبْحان: مصدرٌ بمعنى التنزّه والتقدّس. «منه». | وفي هامش أ: السُبْحان ههنا مصدرٌ كما في قوله:

فمضى لينظرَ كيف لاح فلم يُطِقْ
نـظـرًا إليـه وصــدّه سُبْـحـانُـه

أورده الإمام أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني. وقبله:

وبَدَا له مِن بعد ما اندملَ الهوى
بَــرقٌ تـألّـقَ مَـوْهِـنًـا لَـمَـعانُـه
يـبـدو كـحاشيـة الـرِّداء ودونَـه
صـعـبُ الـذُّرى مـتـمـنِّعٌ أركـانُـه

فمضى البيت. «منه». | الأبيات لمحمّد بن صالح العلوي في الأغاني للأصفهاني، ٢٤٨/١٦. وفي مطبوعه:

فدنا لينظرَ كيف لاح فلم يُطِقْ
نـظـرًا إلـيـه وردّه سَـجّـانُـه.

٢ الأسِرّة: جمعُ "سرير" المَلِك. شرح ديباجة إرشاد العقل السليم لزَيرَكْ زاده، ٣٠و.

٣ وفي هامش س ي: ثَبجُ كلّ شيء: وسطه ومعظمه. «منه».

٤ وفي هامش س ي أ: مِن "راعني الشيءُ": أعجبني. «منه».

٥ وفي هامش س ي أ: التشنّف: القُرط الأعلى، وشنّفتُ المرأة تشنيفًا فتشنّف. صحاح. «منه». | الصحاح للجوهري، «شنف».

الكشّافُ[1] **وأنوار التنزيل،**[2] المتفرّدان بالشأن الجليل والنعتِ الجميل؛ فإنّ كلًا منهما قد أحرز قَصَب السَّبْق أيَّ إحرازٍ، كأنّه مِرآة لاجتلاء وجه الإعجاز؛ صحائفُهما مَرايا المَزايا الحِسان، وسطورُهما عقودُ الجُمان[3] وقلائدُ العِقيان.[4]

ولقد كان في سوابق الأيّام وسوالفِ الدهور والأعوام، أوانَ اشتغالي بمطالعتهما وممارستهما، وزمانَ انتصابي لمفاوضتهما ومدارستهما، يدور في خَلَدِي على استمرار آناءِ الليل وأطرافِ النهار، أن أنظِّم دُرَرَ فوائدهما في سِمط دقيق، وأُرتِّبَ غُرَرَ فرائدهما على ترتيب أنِيق، وأُضيفَ إليها ما ألفيْتُه في تضاعيف الكُتُب الفاخرة مِن جواهر الحقائق، وصادفتُه في أصداف العَيالم الزاخرة مِن زواهر الدقائق، وأسلُكَ خلالها بطريق الترصيع على نسق أنِيق وأسلوب بديع، حسبما يقتضيه جلالة شأن التنزيل، ويستدعيه جزالة نظمه الجليل، ما سنَحَ للفكر العليل بالعِناية الربّانيّة، وسَمَح به النظر الكليل بالهداية السبحانيّة، مِن عوارفِ معارفَ يمتدّ إليها أعناق الهِمَم مِن كلّ ماهر لَبِيب، وغرائبِ رغائبَ تَرنو إليها أحداق الأُمَم مِن كلّ نحرير أريب، وتحقيقاتٍ رصينة تُقيل عثراتِ الأفهام في مداحض الأقدام، وتدقيقاتٍ مَتينة تُزيل خطراتِ الأوهام مِن خواطر الأنام، في معارك أفكارٍ يشتبِه فيها[5] الشُّئون، ومداركِ أنظارٍ يختلِط فيها الظنون، وأُبرِزَ مِن وراء أستار الكُمون مِن دقائق السرّ المخزون في خزائن الكتاب المكنون، ما تطمئِنّ إليه النفوس وتَقَرُّ به العيون، مِن خفايا الرموز وخبايا الكنوز، وأُهديَها[6] إلى الخِزانة العامرة الغامرة

---

[1] هو **الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** لأبي القاسم محمود بن عمر بن محمّد الخوارزمي الزمخشري (ت. ٥٣٨هـ/١١٤٤م)، الإمام الحنفي المعتزلي، الملقّب بـ"جار الله".

[2] وهو **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمّد البيضاوي (ت. ٦٨٥هـ/١٢٨٦م).

[3] الجُمان، كـ"غُراب": اللؤلؤ، أو هَنَواتٌ أشكالُ اللؤلؤ مِن فضّة. الواحدة: جُمانة. **القاموس المحيط** للفيروزآبادي، «جمن».

[4] العِقيان: الذَّهَب الخالص. قيل: هو ما ينبت نباتًا، وليس ممّا يحصُل مِن الحجارة. **مختار الصحاح** للرازي، «عقا».

[5] ي: فيه.

[6] منصوب، معطوف على "أُبرِزَ". **شرح ديباجة إرشاد العقل السليم** لزَيرَكْ زادَه، ٣٧و.

للبِحار الزاخرة، لجَناب مَن خصّه الله تعالى بخلافة الأرض، واصطفاه لسَلطنتها في الطُّول والعَرْض.

ألَا وهو السلطان الأسعد الأعظم، والخاقان الأمجد الأفخم، مالكُ الإمامة العُظمى، والسلطانُ الباهر، وارثُ الخلافة الكُبرى، كابرًا عن كابرٍ،[١] رافعُ رايات الدِّين الأزهر، مُوضحُ آيات الشرع الأنوَرِ، مرغِمُ[٢] أُنوف الفراعنة والجبابرة، معفِّرُ[٣] جِبَاهِ[٤] القياصرة والأكاسرة، فاتحُ بلاد المشارق والمغارب، بنصر الله العزيز وجُندِه الغالب، الهُمامُ الذي شرَّق عزمه المُنير فانتهى إلى المشرِق الأَسْنَى، وغرَّب حتّى بلغ مغربَ الشمس أو دَنَا، بخَميسٍ عَرَمْرَمٍ[٥] متزاحِمِ الأفواج، وعسكرٍ كَخِضَمٍّ[٦] متلاطِمِ الأمواج، فأصبَحَ ما بين أُفُقَي الطلوع والغروب، وما بين نُقطتَي الشَّمال والجَنوب، منتظِمًا في سِلك وِلاياته الواسعة، ومندرِجًا تحت ظِلال راياته الرائعة، فأصبحتْ منابر الرُّبْع المسكون مشرَّفةً بذِكر[٧] اسمه الميمون؛ فيَا له مِن مَلِكٍ استوعب مُلكه البَرَّ البسيط، واستغرق فُلكه وجهَ البحر المحيط؛[٨] فكأنّه فضاءٌ ضُربت فيه خِيامه، أو[٩] نُصبت[١٠] عليه ألوِيَته وأعلامُه؛ مالكُ ممالك العالَم، ظِلّ الله الظليلُ على كافّة الأُمَم، قاصمُ القياصرة وقاهرُ القُروم،[١١]

---

[١] يُقال: ورِثوا المجدَ كابرًا عن كابرٍ، أي: ورِثوا عن آبائهم الذين ورِثوه مِن أجدادهم الذين ورِثوه مِن آبائهم، كبيرًا عن كبير في العزّ والشرف. انظر: **تهذيب اللغة للأزهري**، ٢٢/١٠ «أبواب الكاف والراء»؛ **وأساس البلاغة للزمخشري**، «كبر».

[٢] ي: مراغم.

[٣] يُقال: عفّرتُ فلانًا في التراب، إذا مرّغتَه فيه تعفيرًا. **تهذيب اللغة للأزهري**، ٢١١/٢ «باب العين والراء مع الفاء».

[٤] الجِبَاه: جمع "جَبْهة"، وهي موضِع السجود. **لسان العرب لابن منظور**، «جبه».

[٥] الخَميس: الجيش. والعَرَمْرَم: الجيش الكثير. وجبل عرمرم، أي: ضخم. **كتاب العين للخليل بن أحمد**، ١٣٧/٢ «باب العين والراء والميم معهما»؛ ٢٠٥/٤ «باب الخاء والسين والميم معهما».

[٦] الخِضَمّ، على وزن "الهِجَفّ": الكثير العطاء. والخِضَمّ أيضًا: الجمع الكثير. **الصحاح للجوهري**، «خضم».

[٧] ط ي: بتذكار.

[٨] استغراق سفائنِه البحرَ: جريان أوامره فيه وتسخيره في استخراج منافعه. **شرح ديباجة إرشاد العقل السليم لزَيرَكْ زاده**، ١٤ظ.

[٩] ي - أو.

[١٠] ي: ونسبت.

[١١] القُروم: جمع "القَرْم"، وهو البعير المُكرَم، لا يُحمَل عليه ولا يُذلَّل؛ ولكنْ يكون للفِحلة. ويُقال للسيِّد: قَرْم مُقرَم، تشبيهًا بذلك. **الصحاح للجوهري**، «قرم».

سلطانُ العرب والعَجَم والرُّوم، سلطانُ المشرقَين، وخاقانُ الخافقَين؛ الإمامُ المقتدِر بالقدرة الربّانيّة، والخليفةُ المعتزّ بالعِزّة السُّبحانيّة، المفتخِرُ بخِدمة الحرمين الجليلَين المعظَّمَين، وحِمايةِ المقامَين الجميلَين المفخَّمَين، ناشرُ القوانين السلطانيّة، عاشرُ الخواقين العُثمانيّة؛ السلطانُ ابنُ السلطان، السلطانُ سُليمان خانْ:[١] ابنُ السلطان المظفَّر المنصور، والخاقانِ الموَقَّر المشهور، صاحبِ المَغازي المشهورة في أقطار الأمصار، والفتوحاتِ المذكورة في صحائف الأسفار، السلطان سَليم خانْ:[٢] ابنِ / السلطان السعيد، والخاقانِ [٢ظ] المَجيد، السلطان بَايَزِيد خانْ؛[٣] لا زالت سلسلة سَلطنته متسلسلةً إلى انتهاء سلسلة الزمان، وأرواحُ أسلافه العظام متنزِّهةً في رَوضة الرِّضوان.

وكنتُ أتردّد في ذلك[٤] بين إقدام وإحجام، لقصور شأني وعزّةِ المرام؛

---

١ هو السلطان سليمان خانْ الأوّل القانوني (ت. ٩٧٤هـ/١٥٦٦م). عاشر سلاطين آل عثمان. كانت مُدّة حكمه ستًّا وأربعين سنةً (١٥٢٠-١٥٦٦م)، قضاها في توسيع نِطاق الدولة وإعلاءِ شأنها، حتّى بلغت في أيّامه أعلى درجات الكمال. فتحَ بلغراد، وجَزيرة رودس، وبلاد المَجر وعاصمتَها، وسكدوار. واشتهر بـ"القانوني" لِما وضعه مِن النظامات في كافّة فروع الحكومة. انظر: **تاريخ الدولة العليّة العثمانيّة** لمحمّد فريد بك، ص ١٩٨-٢٥١؛ Feridun Emecen, "Süleyman I", s. 62-75.

٢ هو السلطان سليم خانْ الأوّل الملقّب بـ"ياوز"، أي: الشجاع والقاطع (ت. ٩٢٦هـ/١٥٢٠م). تاسع سلاطين آل عثمان. بعدما تولّى الحكم أحكَمَ سلطتَه بمحاربة إخوته وأولاد إخوته. ولمّا اطمأنّ خاطره مِن جهة داخليّته اتّجه إلى بلاد الفُرس لمقاتلة شاه إسماعيل الشيعي، فحارَبَه في وادي جالدِران، فانتصر عليه، وفتح تبريز بعده مباشرةً. ثمّ فتحَ مصرَ، وصار يُدعا "خادِم الحرمَين الشريفَين". وبذلك امتدّت مملكته مِن الخليج الفارسي إلى بحر الخزر ومِن منابع الفُرات إلى ما وراء نهر أموداريا. كانت مُدّة حكمه ثمانِ سنواتٍ (١٥١٢-١٥٢٠م). انظر: **تاريخ الدولة العليّة العثمانيّة** لمحمّد فريد بك، ص ١٨٨-١٩٦؛ Feridun Emecen, "Selim I", s. 407-414.

٣ هو السلطان بَايَزِيد خانْ الثاني ابن السلطان محمّد الثاني الفاتح (ت. ٩١٨هـ/١٥١٢م). ثامن سلاطين آل عثمان. تولّى الحكمَ مُدّة واحدٍ وثلاثين سنةً (١٤٨١-١٥١٢م). تخاصَمَ على أخيه جَمْ مُدّةً، وغلب عليه. وفي عهده ابتدأت علاقات الدولة العليّة مع مملكة الروس ودُوَلِ أوروبا. بعدما عصى أولادُه عليه تنازَلَ عن الحكم لابنه سليم الأوّل. وكان ميّالًا للسِّلم أكثرَ منه إلى الحرب مُحبًّا للعلوم الأدبيّة مشتغِلًا بها؛ ولذلك سمّاه بعض المؤرِّخين "بَايَزِيد الصُّوفي". انظر: **تاريخ الدولة العليّة العثمانيّة** لمحمّد فريد بك، ص ١٧٩-١٨٧؛ Şerafettin Turan, "Bayezid II", s. 234-238.

٤ ي: فيه.

أين الحضيضُ[١] مِن الذُّرَى، شتّان بين الثُّريّا والثَّرَى، وهيهاتَ اصطيادُ العَنْقاء[٢] بالشِّباك، واقتيادُ الجَوْزاء[٣] مِن بروج الأفلاك، فمضتْ عليه[٤] الدهور والسِّنون، وتغيّرت الأطوار وتبدّلت الشُّئون، فابتُلِيتُ بتدبير مصالح العِباد بُرْهةً في قضاء البلاد، وأخرى في قضاء العساكر والأجناد، فحالَ بيني وبين ما كنتُ إخالُ[٥] تراكمُ المهمّات وتزاحم الأشغال، وجمومُ العوارض والعلائق، وهجومُ الصوارف والعوائق، والتردّدُ إلى المغازي والأسفار، والتنقّلُ مِن دار إلى دار.

وكنتُ في تضاعيف هاتِيك الأمورِ أقدِّر في نفسي أن أنتهز نُهزةً مِن الدهور، ويتسنّى لي القرار وتطمئنَّ بي الدار، وأظفِرَ حينئذ بوقت خالٍ، أتبتّلُ فيه إلى جَناب ذي العَظَمة والجلال، وأُوجِّهُ إليه وجهتي، وأُسلِمُ له[٦] سِرّي وعلانيتي، وأنظرُ إلى كلّ شيء بعين الشهود، وأتعرّفُ سرَّ الحقّ في كلّ موجود، تلافيًا لِما قد فاتَ، واستعدادًا لِما هو آتٍ، وأتصدّى لتحصيل ما عزمتُ عليه، وأتولّى لتكميل ما توجّهتُ إليه، برَفاهة واطمئنان، وحضورِ قلب وفراغِ جَنان.

فبينما أنا في هذا الخيال، إذ بَدَا لي ما لم يخطُر بالبال، تحوّلت الأحوال والدهر حُوَّل،[٧] فوقعتُ في أمرٍ أشقَّ مِن الأوّل: أُمرتُ بحَلّ مشكلات الأنام، فيما شجَرَ بينهم مِن النزاع والخصام، فلقيتُ معضِلةً طويلةَ الذيول،

---

[١] الحَضيض: القرار مِن الأرض عند منقطع الجبل. وفي الحديث أنّه أُهديَ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هديّةٌ، فلم يجد شيئًا يضعه عليه، فقال: «ضَعْه بالحَضيض، فإنّما أنا عبدٌ آكل كما يأكل العبد»، يعني: ضَعْه بالأرض. **الصحاح** للجوهري، «حضض».

[٢] العَنْقاء: طائر عظيم، معروفُ الاسم مجهولُ الجسم. **الصحاح** للجوهري، «عنق».

[٣] الجَوْزاء: نجمٌ، يُقال إنّها تعترض في وَسَط السماء. **الصحاح** للجوهري، «جوز».

[٤] ي: إليه.

[٥] خالَ الشيءَ يَخال خَيلًا وخَيلةً -ويُكسَران- وخالًا وخَيَلانًا، ومَخيلةً ومَخالةً، وخَيلولةً: ظنّه. وتقول في مستقبَله: "إخالُ"، بكسر الهمزة، وتُفتَح في لُغَيّة. **القاموس المحيط** للفيروزآبادي، «خال».

[٦] ي – له.

[٧] يقال: "رجلٌ حُوَّل" بتشديد الواو وضمّ الحاء، أي: كثير تحويلِ الأمورِ ويصير به، أو هو فعلٌ ماضٍ يتعدّى ولا يتعدّى، وههنا يحتمل كليهما؛ يعني [على الاحتمال الثاني] أنّ الحال تغيّرت والأطوارَ تبدّلت، والدهرُ حوّلها وغيّرها، والعائد إلى "الأحوال" محذوف. **شرح ديباجة إرشاد العقل السليم** لزَيرَكْ زاده، ٥٠و. | احتمال كونه "حُوَّل" هنا أقربُ، وكذا ضبطُه في الأصول الخطّيّة.

وصِرتُ كالهارب مِن المطر إلى السُّيول، فبلغ السيل الزُّبَى،[١] وغمرني أيَّ غَمْر غواربُ[٢] ما جرى بين زيد وعمرو،[٣] فأضحيتُ في ضِيق المجال وسَعَةِ الأشغال، أشهَرَ مِمَّن يُضرَب بها الأمثال، فجعلتُ أتمثّل بقول مَن قال:

لقد كنتُ أشكوك الحوادثَ بُرهةً ... وأستمرض الأيّامَ وهي صحائحُ
إلى أن تغشّتني -وُقِيتَ-[٤] حوادثٌ ... تحقِّق أنّ السالفاتِ منائحُ[٥]

فلمّا انصرمتْ عُرَى الآمال عن الفَوز بفراغ البال، ورأيتُ أنّ الفُرصة على جناح الفَوات، وشملَ الأسباب في شَرَف الشّتات، وقد مسّنِيَ الكِبَرُ، وتضاءلت القُوَى والقُدَر، ودَنَا الأجَلِ مِن الحلول، وأشرفتْ شمس الحياة على الأُفول، عزمتُ[٦] على إنشاءِ ما كنتُ أَنوِيه، وتوجّهتُ إلى إملاءِ ما ظِلتُ أبتغيه، ناويًا أن أُسمِّيَه عند تمامه، بتوفيق الله تعالى وإنعامِه:[٧] **إرشاد العَقل السَّليم إلى مَزَايَا الكتاب الكريم**.

فشرعتُ فيه مع تفاقم المكارهِ عليَّ، وتزاحم المَشادِهِ[٨] بين يديَّ، متضرِّعًا إلى ربّ العَظَمة والجبروت، خلّاقِ عالَم المُلك والملكوت، في أن يعصِمني عن الزَّيغ والزَّلَل، ويَقِيَني مصارعَ السُّوء في القول والعمل، ويوفِّقَني لتحصيل ما أرُومه وأرجوه، ويهديَني[٩] إلى تكميله على أحسن الوجوه، ويجعلَه خيرَ عُدّة وعَتادٍ أتمتّع به يومَ المعاد.

---

١ الزُّبى: جمع "الزُّبية"، وهي حُفرة يتزبّى الرجل فيها للصيد، وتُحتفَر للذِّئب فيُصطاد فيها. وقوله: "بلغ السيلُ الزُّبَى" يُضرَب مَثَلًا للأمر يتفاقَمُ ويجاوِز الحدَّ حتّى لا يتلافى. **كتاب العين** للخليل بن أحمد، ٣٩٢/٧ «باب الزاي والياء».

٢ وفي هامش س ي أ: أعالي مَوْجِهِ. قاموس. «منه». | **القاموس المحيط** للفيروزآبادي، «غرب».

٣ وزيد وعمرو ممّا يُكتب في صُور الفتاوى لتصوير الدواعي. **شرح ديباجة إرشاد العقل السليم** لزَيرَكْ زادَه، ٥١و.

٤ فعل ماضٍ على صيغة المخاطَب مِن الثلاثيّ، جملة معترِضة بين الفاعل وفعله، دعاء للسامع لتحقيق تلك الحوادث. **شرح ديباجة إرشاد العقل السليم** لزَيرَكْ زادَه، ٥٢و.

٥ البيتان لأبي الحسن عليّ بن أحمد بن روح المعروف بابن العنبري في **مرآة الزمان** لشمس الدين يوسف بن قِزْ أوغلي، ٢٢٩/٢٢؛ و**قلائد الجمان** لأبي البركات الموصلي، ٣٨١/٣، وباختلاف في البيت الأوّل في **الذيل على الروضتَين** لأبي شامة المقدسي، ص ١١٠:
وقد كنتُ أشكو مِن حوادثَ بُرهةً ... وأستمرس الأيّامَ وهي صحائحُ

٦ جواب "لمّا".

٧ ي: وانشاءه.

٨ المَشادِه: المشاغل. **القاموس المحيط** للفيروزآبادي، «شده».

٩ ي: ويؤيّدني.

فَيَا مَن توجّهتْ وجوه الذُّلّ والابتهال نحو بابه المَنيع، ورُفعتْ أيدي الضَّراعة والسؤال إلى جَنابه الرفيع؛ أَفْضِ علينا شوارق أنوار التوفيق، وأَطلِعْنا على دقائق أسرار التحقيق، وثبّتْ أقدامنا على مناهج هُداك، وأَنطِقْنا بما فيه أمرُك ورضاك، ولا تَكِلْنا إلى أنفسنا في لحظة ولا آنٍ، وخُذْ بناصيتنا إلى الخير حيث كان، جئناك على جِبَاهِ الاستكانة ضارعين، ولأبواب فيضك قارعين؛ أنت المَلاذ في كلّ أمر مُهمّ، وأنت المَعاذ في كلّ خَطْب مُلِمّ، لا ربَّ غيرُك، ولا خيرَ إلّا خيرُك، بيدك مقاليد الأمور، لك الخلق والأمر، وإليك النشور.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمداً لمن جعل روح معاني الأكوان تفسيراً لآيات قدرته، وصيَّر نقوشَ أشباحِ الأعيان بياناً لبيِّنات وحدته، وأظهرَ من غيب هُويَّته[1] قرآناً غدا فرقانُهُ كشَّافاً عن فَرْقِ الكتب الإلهيَّة الغياهب، وأبرز من سَجْف[2] أُلوهيَّتِهِ نوراً أشرق على مرايا الكائنات، بحسب مزايا الاستعدادات، فاتَّضحتْ من معالم العوالم المراتب، وصلاةً وسلاماً على أوَّل دُرَّةٍ أضاءت من الكنز المخفيِّ في ظلمةِ عماءِ القِدَم، فأبصرَتْها عينُ الوجود، وعلَّةِ إيجاد كلِّ ذرَّةٍ بَرَأتْها يدُ الحكيم؛ إذ تردَّت في هُوَّة العدم، فعادت ترفُلُ بأردية[3] كرمٍ وجود، مهبط الوحي الشَّفاهيِّ الذي ارتفع رأسُ الروح الأمين بالهبوط إلى موطئ أقدامه، ومعدن السرِّ الإلهي الذي انقطع فِكْرُ الملأ الأعلى دون ذكر الوصول إلى أدنى مَقامه، فهو النبيُّ الذي أبرزه مولاه من ظهور الكُمون إلى حواشي متون الظهور، ليكون شرحاً لكتاب صفاته وتقريراً، ورفَعَهُ بتخصيصه من بين العموم بمظهريَّة سرِّه المستور، و أنزل عليه قرآناً عربيًّا غير ذي عِوَجٍ ليكون للعالمين نذيراً:

وَ شَـقَّ لَـهُ مـن اسْـمِـهِ لِـيُـجِـلَّـه ... فَذُو العَرْشِ مَحْمُودٌ وَ هَذا مُحَمَّدُ[4]

وعلى آله وأصحابه مطالع أنوار التنزيل، ومغارب أسرار التأويل، الذين دخلوا عُكاظ الحقائق بالوساطة المحمَّدية، فما بَرِحوا حتى ربحوا، فباعوا نفوساً وشرَوا نفيساً، وقطعوا أسباب العلائق بالهِمم الحقيقية، فما عَرَّجوا حتى عَرَجوا، فلقوا

---

(١) الهوية: الحقيقة في عالم الغيب. اصطلاحات الشيخ محيي الدين بن عربي ص ٧٠.

(٢) السَّجْفُ: السِّتر. اللسان: (سجف).

(٣) ترفل: تتبختر. والأردية جمع الرداء. اللسان (رفل) و (ردي).

(٤) البيت لحسان بن ثابت في مدح الرسول ﷺ، وهو في ديوانه ص١٣٤، وخزانة الأدب ١/ ٢٢٣.

عزيزاً وألقَوا خسيساً، فَهُمُ النجوم المشرقةُ بنور الهدى، والرُّجومُ المحرقةُ لشياطين الرَّدى، رضي الله عنهم وأرضاهم، ووالى مُتَّبعيهم وأولاهم، ما سرحتْ روح المعاني في رياض القرآن، وسبحتْ أشباحُ المباني في حياض العرفان.

أما بعد: فيقول عَيبةُ[١] العيوب، وذَنوب الذُّنوب، أفقرُ العباد إليه عزَّ شأنه، مدرِّسُ دار السلطنة العليَّة، ومفتي بغدادَ المحميَّة، أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي عُفيَ عنه: إنَّ العلوم و إنْ تباينت أصولها، وغرَّبت وشرَّقت فصولها، واختلفت أحوالها، وأتهمتْ[٢] وأنجدتْ[٣] أقوالها، وتنوَّعت أبوابها، وأشأمت وأعرقت أصحابُها، وتغايرت مسائلها، وأيمنت وأيسرت وسائلُها، فهي بأسرها مُهمَّة، ومعرفتها على العلَّات نعمة، إلا أنَّ أعلاها قدْراً، وأغلاها مهراً، وأسناها مبنى، وأسماها معنى، وأدقُّها فكراً، وأرقُّها سرًّا، وأعرقها نسباً، وأعرفها أباً، وأقومها قيلاً، وأقواها قبيلاً، وأحلاها لساناً، وأجلاها بياناً، وأوضحها سبيلاً، وأصحُّها دليلاً، وأفصحها نطقاً، وأمنحها رفقاً، العلومُ الدينية، والفُهوم اللَّدنِّيَّة، فهي شمسُ ضحاها، وبدرُ دجاها، وخال وجْنَتِها، ولَعَسُ[٤] شفتها، ودَعج[٥] عيونها، وغُنْجُ[٦] جفونها، وحبب رُضابها[٧]، وتنهُّد كعابها[٨]، ورقَّة كلامها، ولين قوامها:

عَلَى نَفْسِه فَليَبكِ مَنْ ضاعَ عُمرُهُ ولَيْسَ لَهُ مِنْها نَصِيْبٌ ولا سَهْمُ[٩]

فلا ينبغي لعاقلٍ أن يستغرق النهار والليل إلا في غوص بحارها، أو يستنهض

(١) العيبة: وعاء من أدم. اللسان (عيب).

(٢) أتهم الرجل وتتهَّمَ: أتى تهامة. وتهامة: اسم مكة والنازل فيها مُتْهِم. اللسان: (تهم).

(٣) أنجد الرجل: أتى نجداً. اللسان: (نجد).

(٤) اللعس: سواد اللثة والشفة، وقيل: اللعس: سواد يعلو شفة المرأة البيضاء. اللسان (لعس).

(٥) الدَّعَجُ والدُّعْجَةُ: السواد؛ وقيل: شدة سواد العين. اللسان (دعج).

(٦) الغنج: ملاحة العينين. اللسان (غنج).

(٧) الرضاب: ما تحبَّب وانتشر من الريق. اللسان (رضب).

(٨) الكعاب: جمع الكاعب، وهي الجارية التي قد كعب ثديها، أي: نهد وارتفع. اللسان: (كعب).

(٩) البيت لابن الفارض، وهو في ديوانه ص١٤٣.

الرَّجِلَ والخيل إلا في سَبْر أغوارها، أو يصرف نفائس الأنفاس إلا في مهور أبكارها، أو ينفق بدر الأعمار إلا لِتَشوُّف بَذْرِ أسرارها.

إذا كـانَ هَـذا الـدَّمْـعُ يَـجْـرِي صَـبَـابَـةً … عَـلى غَـيْرِ سَـلْـمَـى فَـهْـوَ دَمْـعٌ مُـضَـيَّـعُ[1]

وإنَّ من ذلك علمُ التفسير الباحث عمَّا أراده الله سبحانه بكلامه المجيد، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد، فهو الحبلُ المتين، والعروةُ الوثقى، والصِّراط المبين، والوَزَر[2] الأقوى والأوقى، وإني ولله تعالى المنة مذ مِيطت عني التمائم، ونِيطت على رأسي العمائم، لم أزل متطلِّباً لاستكشاف سرِّه المكتوم، مترقِّباً لارتشاف رحيقه المختوم، طالما فرَّقْتُ نومي لجمع شوارده، وفارقتُ قومي لوِصال خرائده[3]، فلو رأيتني وأنا أصافح بالجبين صفحات الكتاب من السَّهر، وأُطالع ـ إن أعْوَزَ الشمع يوماً ـ على نور القمر، في كثير من ليالي الشهر، وأمثالي إذ ذاك يرفُلون في مطارف اللهو، ويرقُلون[4] في ميادين الزَّهْو، ويؤثرون مسرَّات الأشباحِ على لذَّات الأرواح، ويَهَبون نفائسَ الأوقات لنهب خسائس الشهوات، وأنا مع حداثة سنِّي، وضيق عَطَني[5]، لا تَغرُّني حالهم، ولا تُغيِّرني أفعالهم، كأن لُبنى لُبانتي[6]، ووصال سُعدى سعادتي، حتى وقفت على كثيرٍ من حقائقه، ووُفِّقتُ لِحلِّ وفيرٍ من دقائقه، وثقبتُ ـ والثناءُ لله تعالى ـ من درره بقلم فكري دُرًّا مثمناً، ولا بِدْعَ فأنا من فضل الله الشهابُ وأبو الثنا، وقبل أن يكمل سنِّي عشرين، جعلتُ أَصدحُ به وأصدع، وشرعتُ أدفع كثيراً من إشكالات الإشكال وأرفع، وأتجاهرُ بما ألهمنيه ربي مما لم أظفر به في كتاب من دقائق التفسير، وأُعلِّق

---

(١) البيت لابن البُديري، كما في المستطرف ٢/ ٢٥٩. الصبابة: رقة الشوق والحنين في الهوى. اللسان (صبب).

(٢) في اللسان (وزر): الوزر: الملجأ، وأصل الوزر: الجبل المنيع، وكل معقلٍ وزرٌ.

(٣) الخرائد: جمع الخريدة. والخريدة من النساء: البكر التي لم تمسس قطّ، وقيل: هي الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت الخفرة المتسترة. اللسان (خرد).

(٤) يرقلون: من الإرقال، وهو ضرب من السير في سرعة. اللسان (رقل).

(٥) في اللسان (عطن): رجل رحب العطن وواسع العطن، أي: رحب الذراع كثير المال واسع الرحل.

(٦) اللبانة: الحاجة من همة لا من فاقة. اللسان (لبن).

على ما أُغلق مما لم تَعْلَق به ظُفْر كلِّ ذي ذهنٍ خطير، ولست أنا أوَّل مَن منَّ الله تعالى عليه بذلك، ولا آخر من سلك في هاتيك المسالك، فكم وكم للزمان وُلِدَ مثلي، وكم تفضَّل الفردُ عزَّ شأنه على كثيرٍ بأضعاف فضلي:

ألا إنَّـمـا الأيَّـامُ أبـنـاءُ واحِـدٍ وهـذي الـلـيـالـي كُـلُّـهـا أخَـوَاتُ[1]

إلا أنَّ رياضَ هذه الأعصار عراها إعصار، وحياضَ تيك الأمصار اعتراها اعتصار، فصار العلم بالعَيُّوق[2]، والعلماء أعزُّ من بيض الأنوق[3]، والفضل معلَّقٌ بأجنحة النسور، وميِّتُ حيِّ الأدب لا يرجى له نشور:

كَأنْ لَم يَكُنْ بينَ الحَجُونِ إلى الصَّفا أَنِيسٌ ولَـمْ يَـسْـمُـرْ بِـمـكَّـةَ سامر[4]

ولكنَّ الملك المنَّان أبقى من فضله الكثير قليلاً من ذوي العرفان، في هذه الأزمان، دينهم اقتناص الشوارد، وديدنهم افتضاض أبكار الفوائد، يَرْوون فيَرْوون، ويقدحون فيُوْرون، لكلٍّ منهم مزيَّة لا يستتر نَوْرُها، ومرتبة لا ينتثر نُورها، طالما اقتطفتُ من أزهارهم، واقتبستُ من أنوارهم، وكم صَدْرٍ منهم أودعتُ علمَه صدري، وحِبرٍ فيهم أفنيتُ في فوائده حبري، ولم أزل مدةً على هذه الحال، لا أعبأ بما عبا لي مما قيل أو يقال، كتاب الله لي أفضل مؤانس، وسميري إذا احلولكت ظلمة الحنادس[5]:

نـعـم الـسَّـمِـيْـرُ كـتـابُ الله إنَّ لـه حَلاوةٌ هي أحلى مِنْ جَنَى الضَّرَبِ[6]

(١) البيت لأبي العلاء المعري، كما في شروح سقط الزند ١٠٣٨/٣.
(٢) العيوق: كوكب أحمر مضيء بحيال الثريا في ناحية الشمال، ويطلع قبل الجوزاء. اللسان: (عوق).
(٣) الأنوق: العقاب والرخمة، وهو أعز من بيض الأنوق؛ لأنها تحرزه فلا يكاد يُظفر به، لأن أوكارها في القلل الصعبة. القاموس (أنق).
(٤) البيت لمضاض بن عمرو الجرهمي، وهو في جمهرة أشعار العرب ٨٣/١، والأغاني ١٨/١٥، ومعجم البلدان ٢/ ٢٢٥، وفيه: الحجون: جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها. والصفا: أحد الجبلين المشهورين، وهما الصفا والمروة بين بطحاء مكة والمسجد الحرام.
(٥) الحنادس: جمع الحندس، وهي الظلمة، وفي الصحاح: الليل الشديد الظلمة. اللسان (حندس).
(٦) الضرب: العسل الأبيض. اللسان (ضرب).

بِهِ فُنونُ المعاني قَدْ جُمِعْنَ فَما ... تَفْتُر مِنْ عَجبٍ إلا إلى عَجَبِ
أمرٌ ونهيٌ و أمثالٌ ومَوْعِظةٌ ... وحِكْمَةٌ أودِعَتْ في أفْصَحِ الكُتُبِ
لَطائِفٌ[1] يَجْتَلِيها كُلُّ ذِي بَصَرٍ ... وَرَوْضَةٌ يَجْتَنِيها كُلُّ ذي أَدَبِ[2]

وكانت كثيراً ما تحدِّثني في القديم نفسي أن أحبس في قفص التحرير ما اصطاده الذهن بشبكة الفكر، أو اختطفه باز الإلهام في جوِّ حدسي، فأتعلَّل تارةً بتشويش البال بضيق الحال، وأخرى بفرط الملال لسعة المجال، إلى أن رأيت في بعض ليالي الجمعة من رجب الأصم[3] سنةَ الألف والمئتين والاثنتين والخمسين بعد هجرة النبيِّ ﷺ رؤيةً لا أعدُّها أضغاث أحلام، ولا أحسبها خيالات أوهام، أنَّ الله جل شأنه وعَظُمَ سلطانه، أمرني بطيِّ السموات والأرض، ورَتْقِ فتقهما على الطول والعرض، فرفعتُ يداً إلى السماء وخفضتُ الأخرى إلى مستقرِّ الماء، ثم انتبهت من نومتي وأنا مستعظمٌ رؤيتي، فجعلت أُفتِّش لها عن تعبير، فرأيت في بعض الكتب أنها إشارة إلى تأليف تفسير، فرددتُ حينئذٍ على النفس تعلُّلَها القديم، وشرعت مستعيناً بالله تعالى العظيم، وكأني إن شاء الله تعالى عن قريبٍ عند إتمامه بعون عالم سِرِّي ونجواي، أنادي وأقول غير مبالٍ بتشنيع جهول: هذا تأويل رؤياي.

وكان الشروع في الليلة السادسة عشرة من شعبان المبارك من السنة المذكورة، وهي السنة الرابعة والثلاثون من سنيِّ عمري جعلها الله تعالى بِسَنى لطفه معمورةً، وقد تشرَّف الذهن المشتَّتُ بتأليفه، وأُحكمتْ غرف مغاني المعاني بمحكم ترصيفه، زمنَ خلافة خليفة الله الأعظم، وظلِّه المبسوط على خليقته في العالم، مجدِّد نظام القواعد المحمدية، ومحدِّد جهات العدالة الإسلامية، سورةِ الحمد الذي أظهره الرحمن في صورة الملك، لكسر سَوْرة الكافرين، وآيةِ السيف الذي عوَّده الفاطرُ الفتحَ والنصر، وأيَّده بمرسلات الذاريات في كل عصر، فويلٌ للمنافقين من نازعات أرواحهم، إذا عبس صمصام عزمه المتين، حضرة مولانا السلطان ابن السلطان،

---

(١) اللطائف: جمع اللطيفة، وهي من الكلام ما غمض معناه وخفي. اللسان (لطف).
(٢) الأبيات في البحر المحيط ١/ ٤.
(٣) كانت العرب تسمّي رجباً: الأصم، لأنه كان لا يسمع فيه صوت مستغيث، ولا حركة قتال، ولا قعقعة سلاح، لأنه من الأشهر الحرم. اللسان (صمم).

سلطان الثقلين وخادم الحرمين، المجدِّد الغازي محمود خان العدلي ابن السلطان عبد الحميد خان، أيَّده الرحمن، وأبَّد ملكه ما دام الدوران، آمين.

وبعد أن أبرمتُ حبل النية، ونشرت مطوى الأمنية، وعرا المخاضُ قريحةَ الأذهان، وقَرُبَ ظهور طفل التفسير للعيان، جعلتُ أُفكِّر ما اسمه، وبماذا أدعوه إذا وضعته أُمُّه؟ فلم يظهر لي اسم تهتشُّ له الضمائر، وتبتشُّ من سماعه الخواطر، فعرضتُ الحال لدى حضرة وزير الزَّوراء[1]، ونَوْر حديقة البهاء، ونُور حَدَقة الوزراء، آيةِ الله التي لا تنسخها آية، وربِّ النُّهى الذي ليس له نهاية، وصاحب الأخلاق التي مَلَكَ بها القلوب، ومَعدِن الأذواق التي يكاد أن يَعلم معها الغيوب، مولانا علي رضا باشا، لا زال له الرضا غطاءً وفراشاً، فسمَّاه على الفور، وبديهةُ ذهنه تغني عن الغور: «**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**».

فيا له اسمٌ ما أسماه، نسأل الله تعالى أن يطابقه مسمَّاه، وأحمدُ الله تعالى حمداً غضًّا، وأُصلِّي وأسلِّم على نبيِّه النبيه حتى يرضى.

وقد آن وقتُ الشروع في المقصود، مقدِّماً عليه عدَّة فوائد يليق أن تُكتبَ بسواد العيون على صفحات الخدود، فأقول:

الفائدة الأولى

في معنى التفسير والتأويل وبيان الحاجة إلى هذا العلم وشرفه.

أما معناهما: فالتفسير تفعيلٌ من الفَسْر. وهو لغة: البيان والكشف. والقول بأنه مقلوب السَّفْر مما لا يُسفَرُ له وجه، ويطلق التفسير على التَّعرية للانطلاق، يقال: فسَّرتُ الفرس، إذا عرَّيته لينطلق. ولعلَّه يرجع لمعنى الكشف كما لا يخفى، بل كلُّ تصاريف حروفه لا تخلو عن ذلك كما هو ظاهر لِمن أمعن النظر، ورسموه بأنه علمٌ يُبحَثُ فيه عن كيفيَّة النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية

(١) في (م): الوزراء. والزوراء: مدينة ببغداد في الجانب الشرقي، سميت الزوراء لازورار في قبلتها؛ وقيل: الزوراء: مدينة أبي جعفر المنصور، وهي في الجانب الغربي ببغداد. معجم البلدان ٣/ ١٥٦.

والتركيبية، ومعانيها التي تُحمَلُ عليها حالةَ التركيب، وتتمّات لذلك، كمعرفة النسخ، وسبب النُّزول، وقصَّةٍ تُوضِّح ما أُبهم في القرآن، ونحو ذلك.

والتأويل: من الأَوْل وهو الرجوع، والقول بأنه من الإيالة: وهي السياسة، كأنَّ المؤوِّل للكلام ساس الكلام ووضع المعنى فيه موضعَه، ليس بشيء.

واختُلف في الفرق بين التفسير والتأويل، فقال أبو عبيدة[١]: هما بمعنى. وقال الراغب[٢]: التفسير أعمُّ، وأكثرُ استعماله في الألفاظ ومفرداتها في الكتب الإلهية وغيرها، والتأويل في المعاني والجمل في الكتب الإلهية خاصة.

وقال الماتريديّ: التفسير: القطع بأنَّ مرادَ الله تعالى كذا، والتأويل: ترجيحُ أحد المحتملات بدون قطع[٣]. وقيل: التفسير ما يتعلَّق بالرواية، والتأويل ما يتعلق بالدراية. وقيل غير ذلك.

وعندي أنه إن كان المراد الفرقَ بينهما بحسب العرف، فكلُّ الأقوال فيه ما سمعتَها وما لم تَسمَعْها مخالفةٌ للعرف اليوم، إذ قد تعارف من غير نكير أنَّ التأويل إشارةٌ قدسية ومعارفُ سبحانية، تنكشف من سُجُف العبارات للسالكين، وتنهلُّ من سُحُب الغيب على قلوب العارفين، والتفسير غيرُ ذلك.

وإن كان المراد الفرقَ بينهما بحسب ما يدل عليه اللفظ مطابقةً، فلا أظنُّك في مِريةٍ من ردِّ هذه الأقوال، أو بوجهٍ ما، فلا أراك ترضى إلا أنَّ في كلِّ كشفٍ إرجاعاً وفي كلِّ إرجاعٍ كشفاً، فافهم.

وأما بيان الحاجة إليه فلأنَّ فهمَ القرآن العظيم ـ المشتمل على الأحكام الشرعية

---

(١) هو معمر بن المثنَّى التيمي مولاهم، البصري النحوي صاحب التصانيف، له: مجاز القرآن، وغريب الحديث، ومقتل عثمان، وغيرها، توفي سنة (٢٠٩هـ). السير ٩/ ٤٤٥. وكلامه في مجاز القرآن ١/ ٨٦.

(٢) هو أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، له: جامع التفاسير، والأخلاق، ومفردات ألفاظ القرآن، وغيرها، توفي سنة (٥٠٢هـ). السير ١٨/ ١٢٠، والأعلام ٢/ ٢٥٥. والكلام بنحوه في مفردات ألفاظ القرآن له ص٦٣٦، والبرهان للزركشي ٢/ ١٤٩.

(٣) الكلام بنحوه في تأويلات أهل السنة ١/ ١ لأبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي الحنفي المتوفى سنة (٣٣٣هـ)، له: التوحيد، وأوهام المعتزلة، والجدل، وغيرها. الأعلام ٧/ ١٩.

التي هي مدارُ السعادة الأبديَّة، وهو العروةُ الوثقى والصراطُ المستقيم ـ أمرٌ عسير لا يُهتدى إليه إلا بتوفيقٍ من اللطيف الخبير، حتى إنَّ الصحابة ﷺ على علوِّ كَعْبهم في الفصاحة، واستنارة بواطنهم بما أشرقَ عليها من مشكاة النبوة، كانوا كثيراً ما يرجعون إليه ﷺ بالسؤال عن أشياء لم يُعرِّجوا عليها، ولم تصلْ أفهامهم إليها، بل ربما التبس عليهم الحال، ففهموا غيرَ ما أراده الملك المتعال، كما وقع لعَديِّ بن حاتم في الخيط الأبيض والأسود، ولا شك أنَّا محتاجون إلى ما كانوا محتاجين إليه وزيادة.

وأما بيان شرفه: فلأنَّ شرف العلم بشرف موضوعه، وشرفِ معلومه وغايته وشدَّة الاحتياج إليه، وهو حائزٌ لجميعها، فإنَّ موضوعَهُ كلامُ الله تعالى، وماذا عسى أن يقال فيه؟ ومعلومَهُ ـ مع أنه مراد الله تعالى الدالُّ عليه كلامه ـ جامعٌ للعقائد الحقَّة والأحكام الشرعية وغيرها، وغايتَهُ الاعتصامُ بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والوصولُ إلى سعادة الدارين. وشدَّةَ الاحتياج إليه ظاهرةٌ مما تقدَّم، بل هو رئيس جميع العلوم الدينية؛ لكونها مأخوذةً من الكتاب، وهي تحتاج من حيثُ الثبوتُ أو من حيث الاعتداد إلى علم التفسير، وهذا لا ينافي كونَ الكلام رئيسها أيضاً؛ لأنَّ علمَ التفسير ـ لتوقُّفه على ثبوت كونه تعالى متكلِّماً ـ يحتاج إلى الكلام، والكلامُ لتوقُّف جميع مسائله من حيث الثبوت أو الاعتداد على الكتاب، يتوقف على التفسير، فيكون كلٌّ منهما رئيساً للآخر من وجه، على أنَّ رياسة التفسير ـ بناءً على ذلك الشرف ـ مما لا ينتطح فيه كبشان.

وأما الآثار الدالة على شرفه فكثيرة: أخرج ابن أبي حاتم(١) وغيره من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ٢٦٩] قال: المعرفة بالقرآن، ناسخه و منسوخه، ومُحكَمه ومتشابهه، ومقدَّمه ومؤخَّره، وحلاله وحرامه، وأمثاله. وأخرج أبو عبيد(٢) عن الحسن قال: ما أنزل الله آية إلا وهو يحبُّ أن تُعلَم فيما أُنزلت وما أراد بها.

---

(١) في تفسيره ٢/ ٥٣١.

(٢) هو القاسم بن سلَّام الهروي الحافظ صاحب التصانيف، قرأ القرآن على الكسائي وغيره، وأخذ اللغة عن أبي عبيدة وأبي زيد وجماعة، له: الأموال، والطهور، وغريب الحديث، وغيرها، توفي سنة (٢٢٤هـ). السير ١٠/ ٤٩٠. والخبر في فضائل القرآن له ص٤٢.

وأخرج ابن أبي حاتم[(١)] عن عمرو بن مُرَّة قال: ما مررت بآيةٍ لا أعرفها إلا أحزنتني، لأني سمعت الله يقول: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣]. إلى غير ذلك.

الفائدة الثانية

فيما يحتاجه التفسير، ومعنى التفسير بالرأي، وحكمُ كلام السادة الصوفية في القرآن.

فأما ما يحتاجه التفسير فأمور:

الأول: علم اللغة؛ لأنَّ به يُعرف شرحُ مفردات الألفاظ ومدلولاتها[(٢)] بحسب الوضع، ولا يكفي اليسير؛ إذ قد يكون اللفظ مشتركاً، وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر، فمَن لم يكن عالماً بلغات العرب لا يحلُّ له التفسير كما قاله مجاهد، وينكَّل كما قاله مالك[(٣)]، وهذا مما لا شبهة فيه. نعم روي عن أحمد أنه سئل عن القرآن يمثِّلُ له الرجل ببيت من الشعر؟ فقال: ما يعجبني. وهو ليس بنصٍّ في المنع عن بيان المدلول اللغوي للعارف كما لا يخفى.

الثاني: معرفة الأحكام التي للكلم العربية من جهة أفرادها وتركيبها، ويؤخذ ذلك من علم النحو. أخرج أبو عبيدة[(٤)] عن الحسن أنه سئل عن الرجل يتعلَّم العربية يلتمس بها حُسنَ المنطق ويقيم بها قراءته. فقال: حَسَنٌ، فتعلَّمْها فإنَّ الرجل يقرأ الآية فيعيا بوجهها، فيهلك فيها. وفي قصة أبي الأسود[(٥)] ما يغني عن الإطالة.

الثالث: علم المعاني والبيان والبديع، ويُعرف بالأول خواصُّ تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى. وبالثاني خواصُّها من حيث اختلافها. وبالثالث وجوه تَحسين الكلام، وهو الركن الأَقْومُ واللازِمُ الأعظمُ في هذا الشأن، كما لا يخفى ذلك على من ذاق طعم العلوم ولو بطرف اللسان.

---

(١) في تفسيره ٩/ ٣٠٦٤.

(٢) في (م): ومعلولاتها.

(٣) أخرج قوله البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٨٧).

(٤) كذا في الأصل و (م): عبيدة، والخبر في فضائل القرآن لأبي عبيد ص٢٠٩-٢١٠.

(٥) هو أبو الأسود الدؤلي، وقصته مع ابنته مشهورة.

الرابع: تعيينُ مبهمٍ وتبيين مُجمَلٍ وسببِ نزولٍ ونسخٍ، ويؤخذ ذلك من علم الحديث.

الخامس: معرفة الإجمال والتبيين، والعموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، ودلالة الأمر والنهي، وما أشبه هذا، وأخذوه من أصول الفقه.

السادس: الكلام فيما يجوز على الله، وما يجب له، وما يستحيل عليه، والنظرُ في النبوَّة، ويؤخذ هذا من علم الكلام، ولولاه يقع المفسِّر في ورطات.

السابع: علم القراءات؛ لأنه به يُعرف كيفية النطق بالقرآن، وبالقراءات تُرجَّح بعض الوجوه المحتملة على بعض.

هذا وعدَّ السيوطيُّ مما يحتاج إليه المفسِّر علمَ التصريف وعلم الاشتقاق. وأنا أظنُّ أنَّ المهارة ببعض ما ذكرنا، يترتَّب عليها ما يترتَّب عليهما من الثمرة. وعدَّ أيضاً علمَ الفقه ولمَ يعدَّه غيرُهُ، ولكلٍّ وجهة. وعدَّ علمَ الموهبة أيضاً من ذلك، قال: وهو علم يورثه الله تعالى لِمَن عمل بما علم، وإليه الإشارة بالحديث: «من عمل بما علم أورثه الله عِلمَ ما لم يعلم»[(١)]. ثم قال: ولعلك تستشكل علمَ الموهبة، وتقول: هذا شيءٌ ليس في قدرة الإنسان تحصيله، وليس كما ظننتَ، والطريق في تحصيله ارتكابُ الأسباب الموجبة له من العمل والزهد... إلى آخر ما قال[(٢)].

وفيه أنَّ علمَ الموهبة بعد تسليم أنه كسبيٌّ، إنما يحتاج إليه في الاطلاع على الأسرار لا في أصل فهم معاني القرآن، كما يُفهمه كلام «البرهان»[(٣)]، وكثيرٌ من المفسرين بصدد الثاني.

والواقفون على الأسرار - وقليلٌ ما هم - لا يستطيعون التعبير عن كثيرٍ مما أُفيض عليهم فضلاً عن تحريره وإقامةِ البرهان عليه، على أنَّ ذلك تأويلٌ لا تفسير، فلعلَّ السيوطيَّ أراد من عبارته معنًى آخر يظهر لك بالتدبر، فتدبَّر.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠/ ١٥ من حديث أنس ﷺ، وذكر أن بعض الرواة سمع أحمد ابن حنبل يذكر هذا الكلام عن بعض التابعين عن عيسى بن مريم عليه السلام، فتوهم أنه ذكره عن النبي ﷺ، فوضع هذا الإسناد عليه لسهولته وقربه، وهو عن يزيد بن هارون، عن حميد، عن أنس. قال أبو نعيم: وهذا الحديث لا يحتمل بهذا الإسناد عن أحمد ابن حنبل.

(٢) الإتقان في علوم القرآن ٢/ ١٨٠-١٨١.

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢/ ١٨٠. وكتب في هامش الأصل في هذا الموضع: قال فيه: اعلم أن الله تعالى يجعل للعبد فهم معاني الوحي، ولا يظهر له أسراره وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى... إلخ، وهذا الكلام منقول من البرهان.

وأما التفسير بالرأي: فالشائع المنع عنه، واستُدلّ عليه بما أخرجه أبو داود والترمذيُّ والنسائيُّ من قوله ﷺ: «من تكلَّم في القرآن برأيه فأصاب، فقد أخطأ»[(١)] وفي رواية عن أبي داود: «من قال في القرآن بغير علم، فليتبوَّأ مقعده من النار[(٢)]» ولا دليل في ذلك.

أما أوّلاً: فلأنَّ في صحة الحديث الأول مقالاً، قال في «المدخل»: في صحته نظر، وإن صحَّ فإنما أراد به ـ والله تعالى أعلم ـ: فقد أخطأ الطريقَ، إذ الطريقُ الرجوع في تفسير ألفاظه إلى أهل اللغة، وفي نحو الناسخ والمنسوخ إلى الأخبار، وفي بيان المراد منه إلى صاحب الشرع، فإن لَم يجد هناك وهنا، فلا بأس بالفكرة؛ ليستدلَّ بما ورد على ما لم يرد. أو أراد: من قال بالقرآن قولاً يوافق هواه، بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسيرَ تابعاً له، فيردُّ إليه بأيِّ وجه، فقد أخطأ، فالباء على ذلك سببية. أو يقال: ذلك في المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله، أو في الجزم بأنَّ مرادَ الله تعالى كذا، على القطع من غير دليل.

وأما الحديث الثاني فله معنيان: الأول: من قال في مشكل القرآن بما لا يعلم فهو متعرِّضٌ لسخط الله تعالى، والثاني ـ وصُحِّح ـ: من قال في القرآن قولاً يعلم أنَّ الحق غيرُه فليتبوَّأ مقعده من النار.

وأما ثانياً: فلأنَّ الأدلَّة على جواز الرأي والاجتهاد في القرآن كثيرةٌ، وهي تعارض ما يُشعر بالمنع، فقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣] وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد:٢٤] وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩].

وأخرج أبو نعيم وغيره من حديث ابن عباس: «القرآن ذلولٌ ذو وجوه،

---

(١) سنن أبي داود (٣٦٥٢)، وسنن الترمذي (٢٩٥٢)، وسنن النسائي الكبرى(٨٠٣٢)، من حديث جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه برواية ابن العبد، كما في التحفة ٤/٤٢٣، وأخرجه أيضاً الترمذي (٢٩٥٠)، والنسائي في الكبرى (٨٠٣٠)، وهو من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

فاحملوه على أحسن وجوهه»[١]. وقد دعا رسول الله ﷺ لابن عباس بقوله: «اللهم فقِّهه في الدين وعلِّمْه التأويل»[٢].

وقد روي عن علي كرم الله وجهه أنه سئل: هل خصَّكم رسول الله ﷺ بشيء؟ فقال: ما عندنا غيرُ ما في هذه الصحيفة، أو فهمٌ يؤتاه الرجل في كتابه[٣]. إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة.

والعجب كل العجب ممن[٤] يزعم أنَّ علم التفسير مضطرٌّ إلى النقل في فهم معاني التراكيب، ولم ينظر إلى اختلاف التفاسير وتنوُّعها، ولم يعلم أنَّ ما ورد عنه ﷺ في ذلك كالكبريت الأحمر.

فالذي ينبغي أن يعوَّل عليه أنَّ من كان متبحِّراً في علم اللسان مترقِّياً منه إلى ذوق العرفان، وله في رياض العلوم الدينية أوفَى مرتع، وفي حياضها أصفى مَكْرَع، يدرك إعجاز القرآن بالوجدان لا بالتقليد، وقد غدا ذهنه لِمَا أُغلق من دقائق التحقيقات أحسن إقليد، فذاك يجوز له أن يرتقي من علم التفسير ذروته، ويمتطي منه صهوته، وأما من صرف عمره بوساوس أرسطاطاليس، واختار شوك القنافذ على ريش الطواويس، فهو بمعزِلٍ عن فهم غوامض الكتاب، وإدراك ما تضمَّنه من العجب العجاب.

وأما كلام السادة الصوفية في القرآن فهو من باب الإشارات إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة، وذلك من كمال الإيمان ومحض العرفان، لا أنهم اعتقدوا أنَّ الظاهرَ غيرُ مرادٍ أصلاً و إنما المراد الباطن فقط، إذ ذاك اعتقادُ الباطنية الملاحدة، توصَّلوا به إلى نفي الشريعة بالكلية، وحاشى ساداتنا من ذلك، كيف وقد حضُّوا على حفظ التفسير الظاهر، وقالوا: لا بد منه أوّلاً؛ إذ لا يُطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر، ومن ادَّعى فهمَ أسرار القرآن قبل إحكام التفسير الظاهر، فهو كمن ادَّعى البلوغَ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب.

---

(١) أخرجه الدارقطني (٤٢٧٦)، ولم نقف عليه عند أبي نعيم.

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٩٧). وأخرجه البخاري (١٤٣) دون قوله: «وعلمه التأويل»، وهو عند مسلم (٢٤٧٧) بلفظ: «اللهم فقِّهه».

(٣) أخرجه أحمد (٥٩٩)، والبخاري (٦٩٠٣).

(٤) في (م): مما.

ومما يؤيد أنَّ للقرآن ظاهراً وباطناً ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: إنَّ القرآن ذو شجونٍ وفنون، وظهورٍ وبطون، لا تنقضي عجائبه، ولا تُبلَغ غايته، فمن أوغل فيه برفقٍ نجا، ومن أوغل فيه بعنفٍ هوى، أخبارٌ وأمثال، وحلال وحرام، وناسخ ومنسوخ، ومحكَم ومتشابه، وظهر وبطن، فَظَهرُه التلاوة، وبطنه التأويل، فجالسوا به العلماء وجانبوا به السفهاء(١).

وقال ابن مسعود: من أراد علم الأوَّلين والآخرين فلْيَتْلُ القرآن(٢). ومن المعلوم أن هذا لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر.

وقد قال بعض من يوثق به: لكلِّ آية ستون ألف فهم. وروي عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «لكلِّ آية ظهر وبطن، ولكلِّ حرف حدٌّ، ولكلِّ حدٍّ مَطْلَع»(٣).

قال ابن النقيب(٤): إنَّ ظهرها ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر، وباطنها ما تضمَّنته من الأسرار التي أَطلع الله تعالى عليها أرباب الحقائق.

ومعنى قوله: «ولكل حرف حدّ»: أنَّ لكل حرف منتهى فيما أراده الله تعالى من معناه. ومعنى قوله: «ولكل حد مطلع»: أنَّ لكل غامض من المعاني والأحكام مطلعاً يتوصل به إلى معرفته ويوقف على المراد به، وقيل في رواية: «لكل آية ظهر وبطن وحد ومطلع»(٥).

---

(١) الدر المنثور ٢/ ٦، والضحاك لم يسمع من ابن عباس، وينظر ما سيأتي بعد تعليقين.

(٢) أخرجه أحمد في الزهد ص١٩٦، والطبراني في الكبير (٨٦٦٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٩٦٠) بلفظ: فلْيُثَوِّر القرآن، وتثوير القرآن: قراءته ومفاتشة العلماء به في تفسيره ومعانيه. تهذيب اللغة ١٥/ ١١٠.

(٣) أخرجه نعيم بن حماد في زوائده على الزهد لابن المبارك (٩٤). و أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥٩٦٥) عن الحسن قوله. وقد ذكر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور حديث الحسن وخبر ابن عباس في التحرير والتنوير ١/ ٣٤، ثم قال: لم يصح ما روي عن النبي ﷺ بَلْهَ المروي عن ابن عباس، على أن قول ابن عباس: فظهره التلاوة وبطنه التأويل. قد أوضح مراده ـ إن صح عنه ـ بأن الظهر هو اللفظ والبطن هو المعنى.

(٤) هو محمد بن سليمان بن الحسن، أبو عبد الله البلخي الأصل المقدسي الحنفي، وقوله في الإتقان ٢/ ١٢٢٠. وينظر طبقات المفسرين للداودي٢/ ١٤٤.

(٥) ذكره ابن عبد البر في التمهيد ٨/ ٢٨٢ عن ابن مسعود ﷺ مرفوعاً بنحوه.

والمذكور بوساطة الألفاظ وتأليفاتها وضعاً وإفادة، وجعلها طرقاً إلى استنباط الأحكام الخمسة هو الظهرُ، وروحُ الألفاظ ـ أعني الكلام المعتلي عن المدارك الآلية بجواهر الروح القدسية ـ هو البطن، وإليه الإشارة بقول الأمير السابق.

والحدُّ إما بين الظهر والبطن يرتقى منه إليه، وهو المدرك بالجمعية من الجمعية، وإما بين البطن والمطلع، فالمطلع مكان الاطلاع من الكلام النفسي إلى الاسم المتكلم المشار إليه بقول الصادق(١): لقد تجلَّى الله تعالى في كتابه لعباده ولكن لا يبصرون. والحدُّ بينهما يرتقى به من البطن إليه عند إدراك الرابطة بين الصفة والاسم، واستهلاك صفة العبد تحت تجلِّيات أنوار صفة المتكلم تعالى شأنه.

وقيل: الظهر التفسير والبطن التأويل، والحد ما تتناهى إليه الفهوم من معنى الكلام، والمطلع ما يصعد إليه منه فيطلع على شهود الملك العلام. انتهى.

فلا ينبغي لِمَن له أدنى مُسكةٍ من عقل، بل أدنى ذرَّةٍ من إيمان، أن ينكر اشتمال القرآن على بواطن يفيضها المبدأ الفياض على بواطن من شاء من عباده، ويا ليت شعري ماذا يصنع المنكِر بقوله تعالى: ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٤]، وقوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨]؟

ويالله تعالى العجب، كيف يقول باحتمال ديوان المتنبي وأبياته المعاني الكثيرة، ولا يقول باشتمال قرآن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وآياته ـ وهو كلام رب العالمين المنزل على خاتم المرسلين ـ على ما شاء الله تعالى من المعاني المحتجبة وراء سرادقات تلك المباني؟! ﴿سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٦]، بل ما من حادثةٍ تُرسَمُ بقلم القضاء في لوح الزمان، إلا وفي القرآن العظيم إشارةٌ إليها، فهو المشتمل على خفايا الملك والملكوت، وخبايا قدس الجبروت(٢).

وقد ذكر ابن خلِّكان في «تاريخه» أنَّ السلطان صلاح الدين لما فتح مدينة حلب أنشد القاضي محيي الدين قصيدةً بائية أجاد فيها كلَّ الإجادة، وكان من جملتها:

وَفَتْحُكَ القلعةَ الشَّهباءَ في صَفَرٍ   مُبشِّرٌ بفتوحِ القُدْسِ في رَجَبِ

---

(١) هو جعفر بن محمد الصادق، وقوله في تفسير ابن عربي ١/ ٢٤.
(٢) ينظر ما سلف في مقدمتنا لهذا الكتاب عند الكلام عن التفسير الإشاري.

فكان كما قال، فسئل القاضي: من أين لك هذا؟ فقال: أخذته من تفسير ابن برجان[١] في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ [الروم: ١-٤] قال المؤرِّخ: فلم أزل أتطلب التفسير المذكور حتى وجدته على هذه الصورة، وذكَر له حساباً طويلاً وطريقاً في استخراجه[٢].

وله نظائر كثيرة، ومن المشهور استنباط ابن الكمال فتحَ مصر على يد السلطان سليم من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

فالإنصاف كلُّ الإنصاف التسليمُ للسادة الصوفية ـ الذين هم مركزٌ للدائرة المحمدية ـ ما هم عليه، واتِّهام ذهنك السقيم فيما لم يصل لكثرة العوائق والعلائق إليه.

وإذا لَمْ تَرَ الهلالَ فَسلِّمْ ... لأُناسٍ رأوه بالأَبْصَارِ

وسيأتي تتمة لهذا البحث إن شاء الله تعالى، والله الهادي إلى سواء السبيل.

الفائدة الثالثة

اعلم أنَّ لكتاب الله تعالى أسماء أنهاها شَيْذَلة[٣] في البرهان[٤] إلى خمسة وخمسين اسماً، وذكر السيوطيُّ بعد عدِّها في الإتقان[٥] وجوهَ تسميته بها، ولم يذكر غير ذلك.

---

(١) هو عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال، أبو الحكم اللخمي الإفريقي، ثم الإشبيلي، الصوفي، المتوفى سنة (٥٣٦هـ). طبقات المفسرين للداودي ١/ ٣٠٠.

(٢) وفيات الأعيان ٤/ ٢٢٩-٢٣٠. ولكن ابن خلكان قد قال كلاماً يشكك فيه بقول ابن برجان، وفي كونه قد قاله أصلاً، فإنه بعد قوله: حتى وجدته على هذه الصورة، قال: لكن كان هذا الفصل مكتوباً في الحاشية بخطٍّ غير الأصل، ولا أدري هل كان من أصل الكتاب أم هو ملحق به؟ وذكر له حساباً طويلاً وطريقاً في استخراج ذلك حتى حرره من قوله: ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾. اهـ.

(٣) هو عُزيزي بن الملك بن منصور، أبو المعالي الواعظ، له تصانيف كثيرة، توفي سنة (٤٩٤هـ). طبقات الشافعية ٥/ ٢٣٥.

(٤) ١/ ٢٧٣ وما بعدها.

(٥) ١/ ١٥٩.

وعندي أنها كلُّها ترجع بعد التأمل الصادق إلى القرآن والفرقان، رجوعَ أسماء الله تعالى إلى صفتي الجمال والجلال، فهما الأصل فيها.

وقد اختلف الناس في تحقيق لفظ القرآن، فالمرويُّ عن الشافعي وبه قال جماعة: أنه اسم علم غيرُ مشتقٍّ خاصٌّ بهذا الكلام المنَزَّل على النبيِّ المرسل ﷺ، وهو معرفٌ غير مهموز عنده، كما حكاه عنه البيهقيُّ والخطيب وغيرهما.

والمنقول عن الأشعري وأقوام: أنه مشتقٌّ من قرنتُ الشيء بالشيء: إذا ضممته إليه، وسُمِّي به عندهم لِقِران السور والآيات والحروف فيه بعضها ببعض.

وقال الفرَّاء(١): هو مشتقٌّ من القرائن، لأنَّ الآيات فيه يصدِّق بعضها بعضاً، ويشبه بعضها بعضاً. وهو على هذين القولين بلا همزٍ أيضاً، ونونه أصلية.

وقال الزجَّاج(٢): هذا القول غلط، والصواب أنَّ ترك الهمزة فيه من باب التخفيف، ونقْلِ حركتها إلى ما قبلها. فهو عنده وصفٌ مهموز على فعلان، مشتقٌّ من القَرْء بمعنى الجمع، ومنه قرأتُ الماء في الحوض: إذا جمعته. وسُمِّي به لأنه جَمَع السور كما قال أبو عبيدة(٣)، أو ثمرات الكتب السالفة كما قال الراغب(٤)، أو لأنَّ القارئ يُظهره مِن فيه، أخْذاً من قولهم: ما قرأتِ الناقة سلًى قطّ(٥)، كما حكي عن قطرب.

وعند اللِّحيانيِّ(٦) وجماعة: هو مصدر، كالغفران، سُمِّي به المقروء تسمية المفعول بالمصدر.

---

(١) يحيى بن زياد بن عبد الله الأسدي مولاهم، الكوفي النحوي صاحب الكسائي، أبو زكريا، له: معاني القرآن، والبهي، وغيرهما، توفي سنة (٢٠٧هـ). السير ١٠/ ١١٨.

(٢) إبراهيم بن محمد بن السَّريِّ البغدادي، أبو إسحاق، تلميذ المبرِّد، له: معاني القرآن، والفرس، والاشتقاق، وغيرها، توفي سنة (٣١١هـ). السير ١٤/ ٣٦٠.

(٣) في مجاز القرآن ١/ ١.

(٤) في مفردات ألفاظ القرآن ص٦٦٩.

(٥) أي: ما رمَتَ بولد، أي: ما أسقطت ولداً، أي: ما حملت قط. الإتقان ١/ ١٦٢، وعنه نقل المصنف هذه الأقوال.

(٦) هو أبو الحسن علي بن المبارك، أخذ عن الكسائي وأبي زيد والأصمعي وغيرهم، وأخذ عنه القاسم بن سلام، له: النوادر المشهورة. بغية الوعاة ٢/ ١٨٥.

قال السيوطي: قلت: والمختار عندي في هذه المسألة ما نصَّ عليه الشافعي رضي الله عنه. انتهى[(١)].

وأنا متبرِّئ من حولي أقول: قولُ الزجَّاج أرقُّ من وجه؛ إذ الشائع فيه الهمز، وبه قرأ السبعة ما عدا ابن كثير، وقد وجَّه إسقاطها بما مرَّ آنفاً، ولم يوجِّه إثباتها، وكأنَّ قولَ السيوطيِّ محضُ تقليدٍ لإمام مذهبه، حيث لم يذكر الدليل ولم يوضِّح السبيل. وعندي أنه في الأصل وصفٌ أو مصدرٌ كما قال الزجَّاج واللِّحياني، لكنه نُقل وجعل علماً شخصياً، كما ذهب إليه الشافعي ومحقِّقو الأصوليين، وعليه لا يُعرَّف القرآن؛ لأنَّ التعريف لا يكون إلا للحقائق الكلية، ولعلَّ من عرَّفه بالكلام المنزَّل للإعجاز بسورةٍ منه، أراد تصوير مفهوم لفظ القرآن. وكذا من قال ـ كالغزالي ـ: أنه ما نُقل بين دُفَّتي المصحف تواتراً[(٢)]، أراد تخصيص الاسم بأحد الأقسام الثلاثة مما نقل بين الدُّفَّتين ومما لم ينقل، كالمنسوخ تلاوته نحو: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وما نقل ولم يتواتر نحو: ثلاثة أيام متتابعات، ليُعلم أنَّ ذلك هو الدليل وعليه الأحكام؛ من نحو منع التلاوة والمسِّ محدِثاً. وإلا فيَرِدُ على الأول إن أريد التمييز: أنَّ كونه للإعجاز ليس لازماً بيِّناً، إذ لا يعرفه إلا الأفراد من العلماء، فضلاً عن أن يكون ذاتيًا، فكيف يصحُّ لتعريف الحقيقة وتمييزها، وهو إنما يكون بالذَّاتيات أو باللوازم البيِّنة، وأيضاً أنَّ معرفة السورة منه متوقِّفةٌ على معرفته، فيدور.

ويَرِدُ على الثاني مثل ثاني ما ورد على الأول؛ إذ معرفة المصحف موقوفةٌ على معرفة القرآن؛ إذ ليس هو إلا ما كتب فيه القرآن، فأخذه في تعريفه دورٌ أيضاً.

هذا وقد قال ساداتنا الصوفية أفاض الله تعالى علينا من فتوحاتهم القدسية: إنَّ القرآن إشارةٌ إلى الذات التي يضمحلُّ بها جميع الصفات، فهي المجلِّي المسمَّى بالأحديَّة، أنزلها الحقُّ تعالى شأنه على نبيه محمد ﷺ ليكون مشهد الأحدية من الأكوان، ومعنى هذا الإنزال: أنَّ الحقيقة الأحدية المتعالية في ذُراها ظهرت فيه ﷺ بكمالها، وما ادُّخر عنه شيءٌ، بل أُفيض عليه الكلُّ كرماً إلهيًا ذاتيًا، ووصف القرآن في بعض الآيات بالكريم لذلك، إذ أيُّ كرمٍ يُضاهي هذا الكرم، وأنَّى تقاسُ هذه النعمة بسائر النعم.

---

(١) الإتقان ١/ ٥٠-٥١.

(٢) ينظر المستصفى ١/ ١٠١.

وأما القرآن الحكيم فهوية الحقائق الإلهية، يعرج العبد بالتحقق بها في الذات شيئاً فشيئاً على ما اقتضته الحكمة، وإلى ذلك أشار الحقُّ تعالى بقوله: ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢] وهذا الحكم لا ينقطع أبداً؛ إذ لا يزال العبد في ترقٍّ، والحقُّ في تجلٍّ، فسبحان من لا تُقيِّدهُ الأكوان، وهو كلّ يوم في شان.

وأما القرآن العظيم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧] فهو إشارةٌ إلى الجملة الذاتية، لا باعتبار النزول ولا باعتبار المكانة، بل مطلق الأحدية الذاتية التي هي في مطلق الهوية الجامعة لجميع المراتب والصفات والشؤون والاعتبارات، ولهذا قُرِنَ بالعظيم.

وأما السبع المثاني: فهو ما ظهر عليه في وجوده من التحقق بالصفات السبع. وأما قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الرحمن: ١-٢] فهو إشارة إلى أنَّ العبد إذا تجلَّى عليه الرحمن، وجد لذَّةً رحمانية تكسبه معرفةً قرآنية، فلا يعلم الحقَّ إلا من طريق أسمائه وصفاته.

وأما الفرقان عندهم؛ فإشارةٌ إلى حقيقة الأسماء والصفات على اختلاف تنوُّعاتها، فباعتباراتها تتميز كلُّ صفة واسم من غيرها، فحصل الفرق في نفس الحقِّ من حيث أسماؤه وصفاته، فإنَّ اسمه المنعم غير اسمه المنتقم، وصفة الرضا غير صفة الغضب، وإليه الإشارة بقوله: «سبقت رحمتي غضبي»[(١)]، وهي متفاوتةُ المراتب في الفضل نظراً إلى أعيانها، لا باعتبار أنَّ في شيءٍ منها نقصاً أو مفضولية، ولهذا حكمت بعضها على بعض، كما يشير إليه قوله ﷺ: «أعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك»[(٢)]. فكانت المعافاة أفضلَ من العقوبة، والرضا أفضل من السخط، فأعاذه بالفاضل مما يليه، وكذا أعاذه بذاته من ذاته، فكما أنَّ الفرق حاصلٌ في الأفعال، كذلك في الصفات، بل في نفسِ واحديَّةِ الذات التي لا فرق فيها، لكن من غريب شؤونها جمعها النقيضين.

قال أبو سعيد: عرفت الله تعالى بجمعه بين الضدَّين.

---

(١) أخرجه أحمد (٧٥٠٠)، والبخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه أحمد (٧٥١)، وأبو داود (١٤٢٧)، والترمذي (٣٥٦٦) وحسنه، وهو من حديث علي ﷺ.

ولكونه ﷺ مظهراً للقرآن والفرقان كان خاتمَ النبيين، وإمام المرسلين؛ لأنه ما ترك شيئاً يُحتاج إليه إلا وقد جاء به، فلا يجد الذي يأتي بعده من الكمال شيئاً مما ينبغي أن ينبَّه عليه؛ قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء:١٢]، إلى غير ذلك من الآيات.

وقد يقال: القرآن والفرقان إشارتان إلى مقام الجمع والفرق بأقسامهما. قالوا: ولا بدَّ للعبد الكامل منهما، فإنَّ من لا تفرقة له لا عبودية له، ومن لا جمع له لا معرفة له.

والجمع عندهم: شهود الأشياء بالله تعالى، والتبرِّي من الحول والقوة إلا بالله، وجمع الجمع: الاستهلاك بالكلية، والفناء عما سوى الله تعالى، وهو المرتبة الأحديَّة[١].

والفرق أنواع: فرق أول: وهو الاحتجاب بالخلق عن الحق وبقاء رسوم الخليقة بحالها. وفرق ثان: وهو شهود قيام الخلق بالحق، ورؤية الوحدة في الكثرة، والكثرة في الوحدة، من غير احتجاب إحداهما عن الأخرى. وفرق الوصف: وهو ظهور الذات الأحدية بأوصافها في الحضرة الواحدية. وفرق الجمع: وهو تكثُّر الواحد بظهوره في المراتب التي هي ظهور شؤون الذات الأحدية، وتلك الشؤون في الحقيقة اعتباراتٌ محضة لا تَحقُّقَ لها إلا عند بروز الواحد بصورها.

وكثيراً ما يطلقون القرآن على العلم اللَّدني الإجمالي الجامع للحقائق كلِّها، والفرقان على العلم التفصيلي الفارق بين الحق والباطل[٢]. وكتابُ الله تعالى جامع لذلك كلِّه كما لا يخفى على أهله.

وذكر الشيخ الأكبر[٣] قُدِّس سرُّه: أنَّ القرآنَ يتضمَّن الفرقان، والفرقان لا يتضمَّن القرآن؛ لأن تفاصيل المراتب والأسماء المقتضية لها، موجودةٌ في الجمع، والجمعُ لا يوجد في التفاصيل، ولهذا ما اختُصَّ بالقرآن إلا محمد ﷺ، فليفهم. ونسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا ويزيلَ بعلمه جهلنا، إنه على ما يشاء قدير.

---

(١) التعريفات ص١٠٥.
(٢) التعريفات ص٢١٣و٢٢٣.
(٣) هو محيي الدين بن عربي.

الفائدة الرابعة:

في تحقيق معنى أنَّ القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق:

اعلم أنَّ هذه المسألة من أمَّهات المسائل الدينية والمباحث الكلامية، كم زَلَّتْ فيها أقدامٌ، وضلَّتْ عن الحقِّ بها أقوام، وهي وإن كانت مشروحة في كتب المتقدِّمين، مبسوطة في زُبُر المتأخِّرين، لكنِّي بحَوْلِ مَنْ عزَّ حولُه وفضلِ من غمرنا فضلُه، أُوردها في هذا الكتاب ليتذكَّر أولو الألباب، بأسلوبٍ عجيب، وتحقيقٍ غريب، لا أظنك شَنَّفْتَ سمعك بمثل لآليه، ولا نوَّرتَ بصرك بشبه بدر لياليه، فماءٌ ولا كصدَّاء[١] ومرعًى ولا كالسَّعدان[٢]:

وَمَا كُلُّ زَهْرٍ ينبتُ الرَّوضُ طيِّبٌ ولا كُلُّ كُحْلٍ للنَّواظِرِ إثْمِدُ[٣]

فأقول: إنَّ الإنسان له كلام بمعنى التكلُّم الذي هو مصدر، وكلامٌ بمعنى المتكلَّم به، الذي هو الحاصل بالمصدر. ولفظ الكلام موضوعٌ لغةً للثاني، قليلاً كان أو كثيراً، حقيقةً كان أو حكماً. وقد يستعمل استعمال المصدر كما ذكره الرَّضي[٤]. وكلٌّ من المعنيين إما لفظيٌّ أو نفسيٌّ:

فالأول من اللفظي: فعل الإنسان باللسان وما يساعده من المخارج. والثاني منه: كيفيةٌ في الصوت المحسوس.

والأول من النفسي: فعلُ قلبِ الإنسان ونفسِه الذي لم يبرز إلى الجوارح. والثاني: كيفيةٌ في النفس، إذ لا صوت محسوساً عادة فيها، وإنما هو صوتٌ معنوي مخيَّل.

أما الكلام اللفظي بمعنييه فمحل وفاق. وأما النفسي فمعناه الأول: تكلُّم الإنسان بكلماتٍ ذهنية وألفاظ مخيَّلة يرتِّبها في الذهن على وجهٍ إذا تلفَّظ بها بصوتٍ

(١) صداء: ركيَّة لم يكن عندهم ماء أعذب منها. مجمع الأمثال ٢/ ٢٧٧.
(٢) السعدان: نبت من أفضل مراعي الإبل، ويضرب مثلاً للشيء يفضل على أقرانه وأشكاله. مجمع الأمثال ٢/ ٢٧٥-٢٧٦، والقاموس (سعد).
(٣) الإثمد: ضرب من الكحل، وقيل: هو الكحل نفسه. اللسان (ثمد).
(٤) رضي الدين محمد بن الحسن الأَسْتَراباذي، وكلامه في شرحه على الكافية ١/ ٢١.

محسوسٍ كانت عينَ كلماته اللفظية، ومعناه الثاني: هو هذه الكلمات الذهنية والألفاظ المخيلة، المرتبةُ ترتيباً ذهنياً منطبقاً عليه الترتيب الخارجي.

والدليل على أنَّ للنفس كلاماً بالمعنيين الكتابُ والسنَّة؛ فمن الآيات قوله تعالى: ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ﴾ [يوسف:٧٧] فإنَّ «قال» بدلٌ من «أسرّ» أو استئناف بيانيٌّ، كأنه قيل: فماذا قال في نفسه في ذلك الإسرار؟ فقيل: ﴿قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًاۖ﴾. وعلى التقديرين فالآية دالَّةٌ على أنَّ للنفس كلاماً بالمعنى المصدري، وقولاً بالمعنى الحاصل بالمصدر، وذلك من «أسر»والجملة بعدها.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمۚ بَلَىٰ﴾ [الزخرف:٨٠] وفسَّر النبيُّ صلى الله تعالى عليه وسلم السِّرَّ بما أسرَّه ابنُ آدم في نفسه[1]. وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ [الأعراف:٢٠٥]. وقوله تعالى: ﴿يُخْفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَاۗ﴾ [آل عمران:١٥٤]، أي: يقولون في أنفسهم، كما هو الأسرع انسياقاً إلى الذهن، والآيات في ذلك كثيرة.

ومن الأحاديث ما رواه الطبراني عن أم سلمة أنها سمعت رسول الله ﷺ وقد سأله رجل فقال: إني لُأحدِّث نفسي بالشيء، لو تكلَّمتُ به لأحبطتُ أجري. فقال: «لا يلقى ذلك الكلامَ إلا مؤمن»[2]. فسمى ﷺ ذلك الشيءَ المحدَّث به كلاماً، مع أنه كلمات ذهنية. والأصل في الإطلاق الحقيقةُ ولا صارف عنها.

وقوله تعالى في الحديث القدسي: «أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي» الحديث[3]. وفيه دليلٌ على أنَّ للعبد كلاماً نفسيًّا بالمعنيين، وللربِّ أيضاً كلاماً نفسيًّا كذلك، ولكن أين التراب من رب الأرباب.

---

(١) لم نقف عليه مرفوعاً، و أخرجه الطبري ١٦/ ١٣-١٤، والبيهقي في الأسماء والصفات (٧٣) عن ابن عباس موقوفاً، في تفسير قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه:٧].

(٢) المعجم الصغير (٣٥٦). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٣٤: في إسناده سيف بن عميرة، قال الأزدي: يتكلمون فيه.

(٣) أخرجه أحمد (٧٤٢٢)، والبخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

فالمعنى الأول للحقِّ تعالى شأنه صفة أزليَّة منافية للآفة الباطنية التي هي بمنزلة الخرس في التكلُّم الإنساني اللفظي، ليس من جنس الحروف والألفاظ أصلاً، وهي واحدةٌ بالذات تتعدَّد تعلُّقاتها بحسب تعدد المتكلَّم به. وحاصل الحديث: مَن تعلَّق تكلُّمه بذكر اسمي، تعلَّق تكلمي بذكر اسمه، والتعلُّقُ من الأمور النسبيَّة التي لا يضرُّ تجدُّدها، وحدوث المتعلِّق إنما يلزم في التعلُّق التنجيزيِّ ولا ننكره، وأما التعلُّق المعنويُّ التقديريُّ ومتعلّقه، فأزليَّان، ومنه ينكشف وجه صحة نسبة السكوت عن أشياءَ رحمةً غيرَ نسيان، كما في الحديث[1]؛ إذ معناه أنَّ تكلُّمه الأزليَّ لم يتعلَّق ببيانها مع تحقُّق اتِّصافه أزلاً بالتكلُّم النفسي، وعدم هذا التعلُّق الخاص لا يستدعي انتفاء الكلام الأزليِّ كما لا يخفى.

والمعنى الثاني له تعالى شأنه كلماتٌ غيبيةٌ، وهي ألفاظٌ حُكمية مجردةٌ عن المواد مطلقاً، نسبيةً كانت أو خيالية أو روحانية، وتلك الكلمات أزليَّة مترتبة من غير تعاقب في الوضع الغَيْبي العلمي لا في الزمان، إذ لا زمان، والتعاقب بين الأشياء من توابع كونها زمانية، ويقرِّبهُ من بعض الوجوه وقوعُ البصر على سطور الصفحة المشتمِلة على كلمات مرتَّبة في الوضع الكتابي دفعة، فهي مع كونها مترتبة لا تَعاقُبَ في ظهورها، فجميع معلومات الله الذي هو نور السماوات والأرض مكشوفة له أزلاً، كما هي مكشوفةٌ له فيما لا يزال.

ثم تلك الكلمات الغيبية المترتبة ترتُّباً وضعيًّا أزليًّا يقدَّرُ بينها التعاقبُ فيما لا يزال، والقرآن كلام الله تعالى المنزَّل بهذا المعنى، فهو كلمات غيبيةٌ مجردةٌ عن المواد، مترتِّبةٌ في علمه أزلاً، غيرُ متعاقبةٍ تحقيقاً بل تقديراً عند تلاوة الألسنة الكونية الزمانية، ومعنى تنْزيلها إظهارُ صورها في المواد الروحانية والخيالية والحسِّيَّة من الألفاظ المسموعة والذهنية والمكتوبة.

ومن هنا قال السنِّيُّون: القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق، وهو مكتوب في المصاحف، محفوظ في الصدور، مقروء بالألسن، مسموع بالآذان، غير حالٍّ في شيءٍ منها، وهو في جميع هذه المراتب قرآنٌ حقيقة شرعية، معلوم من الدين بالضرورة.

---

(١) أخرجه الدارقطني (٤٣٩٦) من حديث أبي ثعلبة الخشني ﷺ، و (٤٨١٤) من حديث أبي الدرداء ﷺ.

فقولهم: غير حالٌ، إشارةٌ إلى مرتبته النفسية الأزلية؛ فإنه من الشؤون الذاتية، ولم تفارق الذات ولا تفارقها أبداً، ولكنَّ الله تعالى أظهرَ صورها في الخيال والحسِّ، فصارت كلماتٍ مخيَّلةً، وملفوظةً مسموعةً، ومكتوبةً مرئيةً، فظهر في تلك المظاهر من غير حلول، إذ هو فرع الانفصال، وليس فليس.

فالقرآن كلامه تعالى غيرُ مخلوق وإن تنزَّل في هذه المراتب الحادثة ولم يخرج عن كونه منسوباً إليه. أما في مرتبة الخيال، فلقوله ﷺ: «أغنى الناسِ حملةُ القرآن، مَن جعله الله تعالى في جوفه»[١]. وأما في مرتبة اللفظ، فلقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف:٢٩]. وأما في مرتبة الكتابة، فلقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج:٢١-٢٢].

وقول الإمام أحمد: لم يزل الله متكلِّماً كيف شاء وإذا شاء بلا كيف[٢]. إشارةٌ إلى مرتبتين، فالأول: إلى كلامه في مرتبة التجلِّي و التنزُّل إلى مُظهِرٍ له؛ كقوله ﷺ: «إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربتِ الملائكة أجنحتها خُضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان» الحديث[٣]، والثاني: إلى مرتبة الكلام النفسي؛ إذ الكيف من توابع مراتب التنزُّلات، والكلامُ النفسيُّ في مرتبة الذات مجرَّدٌ عن المادة، فارتفع الكيف بارتفاعها.

فالحاصل: لم يزل الله تعالى متكلِّماً وموصوفاً بالكلام من حيث تجلَّى ومن حيث لا، فمن حيث تجلِّيه في مُظهِرٍ لكلامه كيف، وإذا شاء لم يتكلم بما اقتضاه مُظهِرُ تجلِّيه، فيكون متكلِّماً بلا كيف، كما كان ولم يزل.

والأشعريُّ إذا حقَّقتَ الحال وجدته قائلاً بأنَّ لله تعالى كلاماً بمعنى التكلُّم، وكلاماً بمعنى المتكلَّم به، وأنه بالمعنى الثاني لم يزل متصفاً بكونه أمراً ونهياً وخبراً، فإنها أقسامُ المتكلَّم به، وأنَّ الكلام النفسيَّ بالمعنى الثاني حروفه غيرُ عارضةٍ للصوت في الحقِّ والخلق، غيرَ أنها في الحقِّ كلماتٌ غيبية مجردة عن المواد أصلاً؛ إذ كان الله تعالى ولَم يكن شيءٌ غيرُه، وفي الخلق كلماتٌ مخيلة

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٧/ ٣٥٥ من حديث أبي ذر ﷺ.
(٢) ينظر مجموع فتاوى ابن تيمية ١٧/١٦٦.
(٣) أخرجه البخاري (٤٧٠١)، من حديث أبي هريرة ﷺ. والصفوان: الحجر الأملس.

ذهنية فهي في مادةٍ خيالية، فكلماتُ الكلام النفسي في جنابه تعالى كلماتٌ حقيقية، لكنها ألفاظٌ حُكمية، ولا يشترط اللفظ الحقيقي في كون الكلمة حقيقية؛ إذ قد أطلق الفاروق الكلمةَ على أجزاء مقالته المخيّلة في خبر يوم السقيفة[١].

والأصل في الإطلاق الحقيقة، فالأجزاء كلمات حقيقية لغوية، مع أنها ليست ألفاظاً كذلك، إذ ليست حروفها عارضة لصوت، واللفظ الحقيقيُّ: ما كانت حروفه عارضة، وهو لكونه صورة اللفظ النفسي الحكمي دالٌّ عليه، وهو دالٌّ في النفس على معناه بلا شبهة ولا انفكاك، فيصدق على اللفظ النفسي بمعناه أنه مدلولُ اللفظ الحقيقي ومعناه، فتفسير المعنى النفسي ـ المشهور عن الأشعري ـ بمدلول اللفظ وحده، كما نقله صاحب المواقف[٢] عن الجمهور، لا ينافي تفسيره بمجموع اللفظ والمعنى كما فسَّره هو أيضاً، وذلك بأن يُحمل اللفظُ في قوله على النفسي، وفي قول الجمهور على الحقيقي، ولا شكَّ حينئذٍ أنَّ مجموع النفسي ومعناه من حيث المجموع يصدق عليه أنه مدلول اللفظ الحقيقي وحده؛ لأنَّ اللفظ الحقيقيَّ لكونه صورة النفسي في مرتبة تنزُّله دالٌّ عليه. ويدلُّ على أنَّ المراد المجموع قولُ إمام الحرمين في «الإرشاد»: ذهب أهل الحقِّ إلى إثبات الكلام القائم بالنفس، وهو القول، أي: المقول الذي يدور في الخلد[٣]. وهو اللفظ النفسيُّ الدالُّ على معناه بلا انفكاك.

نعم عبارة صاحب المواقف غيرُ واضحةٍ في المقصود، وله مقالةٌ مفردة في ذلك. ومحصولها كما قال السيد قُدِّس سرُّه[٤]: أنَّ لفظَ المعنى يطلق تارةً على مدلول اللفظ، وأخرى على الأمر القائم بالغير؛ فالشيخ لَمَّا قال: الكلام النفسي[٥]

---

(١) في هامش الأصل و(م): حيث قال: ولَمّا سَكَتَ ـ أي: خطيب الأنصار ـ أردت أن أتكلم، وكنت زورت في نفسي مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر رضي الله عنه ـ إلى أن قال ـ فكان هو أعلم مني وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها، أو أفضل منها. الأثر بطوله ٠ اهـ. وهو قطعة من حديث السقيفة، أخرجه أحمد (٣٩١)، والبخاري (٦٨٣٠).

(٢) المواقف في علم الكلام للقاضي عبد الرحمن بن أحمد الإيجي ص٢٩٣-٢٩٤.

(٣) الإرشاد ص١٠٩.

(٤) هو علي بن محمد الجرجاني، وكلامه في شرح المواقف ٨/ ١٠٣.

(٥) قوله: النفسي، ليس في شرح المواقف.

هو المعنى النفسي. فَهِمَ الأصحاب منه أنَّ مراده مدلولُ اللفظ وحده، وهو القديم عنده، وأما العبارات فإنما تسمَّى كلاماً مجازاً؛ لدلالتها[١] على ما هو كلامٌ حقيقيٌّ، حتى صرَّحوا بأنَّ الألفاظ خاصةً حادثةٌ على مذهبه أيضاً، لكنها ليست كلامه حقيقة، وهذا الذي فهموه من كلام الشيخ له لوازم كثيرة فاسدة، كعدم إكفار من أنكر كلاميَّة ما بين دفَّتي المصحف، مع أنه عُلم من الدين ضرورة كونه كلام الله تعالى حقيقة، وكعدم المعارضة والتحدِّي بكلام الله الحقيقي، وكعدم كون المقروء والمحفوظ كلامَه حقيقة، إلى غير ذلك مما لا يخفى على المتفطِّن في الأحكام الدينية، فوجب حمل كلام الشيخ على أنه أراد به المعنى الثاني، فيكون الكلام النفسي عنده أمراً شاملاً للَّفظ والمعنى جميعاً، قائماً بذات الله تعالى، وهو مكتوبٌ في المصاحف مقروء بالألسن محفوظ في الصدور، وهو غيرُ الكتابة والقراءة والحفظ الحادثة.

وما يقال من أنَّ الحروف والألفاظ مترتبةٌ متعاقبة، فجوابه: أنَّ ذلك الترتُّب إنما هو في التلفظ بسبب عدم مساعدة الآلة، فالتلفُّظ حادث، والأدلة الدالة على الحدوث يجب حملها على حدوثِهِ دون حدوث الملفوظِ، جمعاً بين الأدلة، وهذا الذي ذكرناه وإن كان مخالفاً لما عليه متأخِّرو أصحابنا، إلا أنه بعد التأمل تعرف حَقِّيَّته. انتهى.

واعترضه الدواني[٢] بوجوهٍ، قال: أما أولاً: فلأنَّ مذهب الشيخ أنَّ كلامه تعالى واحد وليس بأمرٍ ولا نهي ولا خبر، وإنما يصير أحدَ هذه الأمور بحسب التعلق، وهذه الأوصاف لا تنطبق على الكلام اللفظي، وإنما يصحُّ تطبيقه على المعنى المقابل للَّفظ بضربٍ من التكلف.

وأما ثانياً: فلأنَّ كونَ الحروف والألفاظ قائمةٌ بذاته تعالى من غير ترتُّبٍ يفضي إلى كون الأصوات، مع كونها أعراضاً سيالةً، موجودةً بوجود لا تكون فيه سيالة،

(١) في الأصل و (م): لدلالته، والمثبت من شرح المواقف.

(٢) هو محمد بن أسعد، جلال الدين الصديقي الدواني ـ بفتح المهملة، وتخفيف النون، نسبة لقرية من كازرون ـ الشافعي، القاضي بإقليم فارس، توفي (٩٠٨هـ). الضوء اللامع ٧/ ١٣٣، وكشف الظنون ١/ ٣٩.

وهو سَفسطةٌ من قبيل أن يقال: الحركة توجد في بعض الموضوعات من غير ترتُّبٍ وتعاقبٍ بين أجزائها.

وأما ثالثاً: فلأنه يؤدِّي إلى أن يكون الفرق بين ما يقوم بالقارئ من الألفاظ وبين ما يقوم بذاته تعالى باجتماع الأجزاء وعدم اجتماعها، بسبب قصور الآلة. فنقول: هذا الفرق إن أوجب اختلافَ الحقيقة، فلا يكون القائم بذاته من جنس الألفاظ، وإن لم يوجب، وكان ما يقوم بالقارئ وما يقوم بذاته تعالى حقيقةً واحدة، والتفاوت بينهما إنما يكون باجتماعه وعدمه اللذين هما من عوارض الحقيقة الواحدة، كان بعض صفاته الحقيقية مجانساً لصفات المخلوقات.

وأما رابعاً: فلأنَّ لزوم ما ذكره من المفاسد وَهْمٌ، فإنَّ تكفير مَن أنكر كون ما بين الدفَّتين كلام الله تعالى، إنما هو إذا اعتقد أنه من مختَرَعات البشر، أما إذا اعتقد أنه ليس كلامَ الله، بمعنى أنه ليس بالحقيقة صفةً قائمة بذاته، بل هو دالٌّ على الصفة القائمة بذاته، لا يجوز تكفيره أصلاً، كيف وهو مذهب أكثر الأشاعرة ما خلا المصنف وموافقيه. وما عُلم من الدين من كون ما بين الدفتين كلامَ الله تعالى حقيقة، إنما هو بمعنى كونه دالًّا على ما هو كلام الله تعالى حقيقة، لا على أنه صفةٌ قائمة بذاته تعالى، وكيف يدَّعي أنه من ضروريات الدين مع أنه خلافُ ما نقله عن الأصحاب. وكيف يزعم أنَّ هذا الجمَّ الغفير من الأشاعرة أنكروا ما هو من ضروريات الدين، حتى يلزم تكفيرهم، حاشاهم عن ذلك.

وأما خامساً: فلأنَّ الأدلة الدالة على النسخ لا يمكن حملُها على التلفُّظ، بل ترجع إلى الملفوظ، كيف وبعضها مما لا يتعلَّق النسخ بالتلفُّظ به، كما نُسخ حكمه وبقي تلاوته. انتهى.

والجواب: أما عن الأول: فهو أنَّ الحقَّ عزَّ اسمه له كلام بمعنى التكلُّم، وكلام بمعنى المتكلَّم به، وما هو أمرٌ واحدٌ المعنى الأول، وهو صفةٌ واحدةٌ تتعدَّد تعلُّقاتها بحسب تعدُّد المتكلَّم به من الكتب والكلمات، وأنها ليست من جنس الحروف والألفاظ أصلاً، لا الحقيقية ولا الحكمية، وما ذُكر في الاعتراض ينطبق عليه بلا كلفة.

والدليل على أنَّ المنعوتَ بهذه الأوصاف عند الشيخ هو المعنى الأول، نقل

الإمام: أنَّ الكلام الأزليَّ لم يزل متَّصفاً بكونه أمراً، نهياً، خبراً، ولا شكَّ أنَّ هذه أقسام المتكلَّم به، وكلٌّ من كان قائلاً بانقسام الثاني، كان المنعوتُ بالوحدة ذاتاً والتعددِ تعلُّقاً المعنى الأولَ عنده، جمعاً بين الكلامين.

وأما عن الثاني: فهو أنَّ ذلك إنما يلزم إذا أُريد من اللفظ الحقيقي، وأما إذا أُريد النفسيُّ الحكميُّ، فلا ورود له؛ لأنَّ الألفاظ النفسية كلَّها مجتمعةُ الأجزاء في الوجود العلمي، مع كونها مترتبة كما ذكره هو نفسه، وكلام صاحب «المواقف» محتمل للتأويل كما تقدم، فليُحمل عليه سعياً بالإصلاح مهما أمكن.

و أما الثالث: فهو أنَّ الإيراد مبنيٌّ على ظنٍّ أنَّ المراد باللفظ الحقيقيُّ، مع أنه محتمل لأنْ يُراد النفسي، كما يقتضيه ظاهرُ تشبيهه بالقائم بنفس الحافظ.

وأما الرابع: فهو أنَّ الكلامَ النفسيَّ عند أهل الحقِّ: هو مجموع اللفظ النفسيِّ والمعنى، ولكن ظاهر كلام صاحب «المواقف» يدلُّ على أنه فَهِمَ من ظاهر كلام بعض الأصحاب أنَّ مرادَهم بالمعنى هو المقابل للَّفظ مجرَّداً عن اللفظ مطلقاً، وقد سمعهم يقولون: إنَّ الكلامَ اللفظيَّ ليس كلامَه تعالى حقيقة، بل مجازاً، فإذا انضمَّ قولهم بنفي كونه كلاماً حقيقة شرعية إلى قولهم ـ في ظنِّه ـ أنَّ النفسيَّ هو المعنى المقابل للفظ، لزم من هذا ما هو في معنى القول بكون اللفظي من مخترعات البشر، ولا يخفى استلزامه للمفاسد، ولكن لم يريدوا بالمجاز الشرعيَّ، فإنَّ إطلاق كلام الله تعالى المسموع متواترٌ، فلا يتأتَّى نفيُه لأحد، بل المراد أنَّ الكلام إنما يتبادر منه ما هو وصفٌ للمتكلِّم، وقائم به قياماً يقتضيه حقيقة الكلام وذات المتكلم في الحق والخلق على الوجه اللائق بكلٍّ، وأما ما يتلى فهو حروف عارضةٌ للصوت الحادث، ولا شك أنه ليس قائماً بذاته سبحانه من حيث هو هو، بل هو صورةٌ من صور كلامه القديم القائم به تعالى، ومظهرٌ من مظاهر تنزُّلاته، فهو دالٌّ على الحقيقي القائم، فسُمِّي كلاماً حقيقة شرعية لذلك، وفيه إطلاقٌ لاسم الحقيقة على الصورة، فيكون مجازاً من هذا الوجه، وإلى هذا يشير كلام التفتازاني[1]، فلا يلزم شيء من المفاسد، واعتراض صاحب «المواقف» مبنيٌّ على ظنِّه.

---

(١) هو مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازاني، توفي سنة (٧٩١هـ). بغية الوعاة ٢/ ٢٨٥. وينظر كلامه في كتابه شرح المقاصد ٤/ ١٤٧ وما بعدها.

وأما الخامس: فهو أنَّ كلام صاحب «المواقف» ليس نصًّا في أنَّ الضميرَ راجعٌ إلى التلفُّظ، بل يحتمل أن يكون راجعاً إلى الملفوظ، وذلك أنه قال: المعنى الذي في النفس لا ترتُّب فيه، كما هو قائم بنفس الحافظ ولا ترتُّب فيه. وقد مرَّ أنَّ المراد به مجموع اللفظ النفسي والمعنى، كما يقتضيه ظاهر التشبيه بالقائم بنفس الحافظ، ولا شك أنه لا ترتُّب فيه، أي: لا تعاقب فيه في الوجود العلمي، وحينئذٍ فقوله[1]: نعم، الترتُّب إنما يحصل في التلفظ. معناه: أنَّ الترتُّب في المعنى النفسي الذي هو مجموع اللفظ النفسي والمعنى إنما يحصل في التلفظ الخارجي؛ لضرورة عدم مساعدة الآلة، فقوله: وهو الذي هو حادث ـ أي: الملفوظ بالتلفظ الخارجي الذي هو الصورة حادث، لا اللفظ النفسي ـ وتُحمَل الأدلَّة التي تدلُّ على الحدوث على حدوثه. أي: الملفوظ بالتلفظ الخارجي، وعلى هذا لا ورود للاعتراض أصلاً.

ومنهم من اعترض أيضاً بأنهم اشترطوا في المعجزة أن تكون فِعْلَ الله تعالى، أو ما يقوم مقامه كالنزول، فلا يكون القرآن اللفظيُّ الذي هو معجزةٌ قديماً صفة له تعالى.

ولا يخفى أنَّ المعجزة هو القرآن في مرتبة تنزله إلى الألفاظ الحقيقية العربية، فكونه لفظاً حقيقيًّا عربيًّا مجعولٌ بالنص[2]، فيكون معجزة بلا شبهة، والقديم ـ على ما حُقِّق ـ هو القرآنُ اللفظيُّ النفسيُّ الذي هو مجموع اللفظ النفسيِّ والمعنى، وهذا واضح لمن ساعدته العناية.

وقد شَنَّع على الشيخ الأشعري في هذا المقام أقوام تشابهت قلوبهم، واتَّحدت أغراضهم، وإن اختلفت أساليبهم، وها أنا بحوله تعالى رادٌّ لاعتراضاتهم بعد نقلها غير هيَّابٍ ولا وَكِلٍ، وإن اتَّسع علم أهلها فالبعوضة قد تُدمي مقلة الأسد، وفضل الله تعالى ليس مقصوراً على أحد.

فأقول: قال تلميذ مولانا الدواني عفيف الدين الإيجي[3] ما حاصله: إنَّ هذا الذي تدَّعيه الأشاعرة من أنَّ للكلام معنًى آخر يسمَّى النفسي، باطل؛ فإنَّا إذا قلنا:

---

(١) يعني الجرجاني، وقد سلف قوله ص ١٢٠-١٢١ من هذا الجزء.

(٢) في هامش الأصل: قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾. اهـ منه.

(٣) محمد بن محمد بن عبد الله، أبو بكر التبريزي الشافعي، نزيل المدينة المنورة، المتوفى بها سنة (٨٥٥هـ). نظم العقيان للسيوطي ص ١٦٢، وهدية العارفين ٢/ ١٩٨.

زيدٌ قائم، فهناك أربعة أشياء: الأول: العبارة الصادرة عنه. والثاني: مدلول هذه العبارة وما وضع له هذه الألفاظ من المعاني المقصودة بها. الثالث: علمه بثبوت تلك النسبة وانتفائها. الرابع: ثبوت تلك النسبة وانتفاؤها في الواقع. والأخيران ليسا كلاماً اتفاقاً، والأول لا يمكن أن يكون كلام الله حقيقة على مذهبهم، فبقي الثاني.

وكذا نقول في الأمر والنهي هاهنا ثلاثة أمور: الأول: الإرادة والكراهة الحقيقية. الثاني: اللفظ الصادر عنه. الثالث: مفهوم لفظه ومعناه. والأول ليس كلاماً اتفاقاً، والثاني كذلك على مذهبهم، فبقي الثالث وبه صرَّح أكثر محقِّقيهم. وكونُه كلاماً نفسياً ثابتاً لله تعالى شأنه محكوماً عليه بأحكام مختلفة باطلٌ من وجوه:

الأول: أنه مخالفٌ للعرف واللغة، فإنَّ الكلام فيهما ليس إلا المركَّب من الحروف.

الثاني: أنه لا يوافق الشرع؛ إذ قد ورد فيما لا يحصى كتاباً وسنَّةً أنَّ الله تعالى ينادي عباده، ولا ريب أنَّ النداء لا يكون إلا بصوت، بل قد صرّح به في الأخبار الصحيحة[1]. وباب المجاز وإن لَم يغلق بعد إلا أنَّ حَمْلَ ما يزيد على نحو مئة ألف حديث[2] من الصرائح على خلاف معناها مما لا يقبله العقل السليم.

الثالث: أنَّ ما قالوه من كون هذا المعنى النفسي واحداً، يخالف العقل، فإنه لا شك أنَّ مدلول اللفظ في الأمر يخالف مدلوله في النهي، ومدلول الخبر يخالف مدلول الإنشاء، بل مدلول أمرٍ مخصوصٍ غيرُ مدلول أمرٍ آخر، وكذا في الخبر. ولا يرتاب عاقل أنَّ مدلول اللفظ لا يمكن أن يكون غير القرآن وسائر الكتب السماوية، فيلزم أن يكون كلُّ واحد مشتملاً على ما اشتمل عليه الآخر، وليس كذلك، وكيف يكون معنىً واحدٌ خبراً وإنشاءً، محتملاً للتصديق والتكذيب وغيرَ محتمل، وهو جمعٌ بين النفي والإثبات. انتهى.

---

(١) في هامش الأصل و(م): منها ما رواه البخاري عن أبي سعيد، قال ﷺ: «قال الله: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك. فينادى: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار». الحديث. اهـ منه. وهو في صحيح البخاري (٤٧٤١).

(٢) قوله: حديث، ساقط من (م).

ولا يخفى أنَّ مبنَى جميع اعتراضاته على فهمه أنَّ مرادهم بالمعنى النفسي: هو مدلول اللفظ وحده، أي: المعنى المجرد عن مقارنة اللفظ مطلقاً، ولو حكميًّا، وقد عرفتَ أنه ليس كذلك، بل المراد به مجموع اللفظ النفسي والمعنى، وهو الذي يدور في الخَلدِ، وتدلُّ عليه العبارات كما صرَّح به إمام الحرمين(١).

وعليه إذا قال القائل: زيد قائم. فهناك أربعة أشياء كما ذكر المعترض، وشيءٌ خامس تَركه، وهو المراد، وهي هذه الجملة بشرط وجودها في الذهن بألفاظ مخيَّلة ذهنية دالة على معانيها في النفس، وهذا يعنُونه بالكلام النفسي فلا محذور.

ونقول على سبيل التفصيل: أما الأول فجوابه: أنه إنما تتمُّ المخالفة إذا لم يكن عندهم مجموع اللفظ النفسي والمعنى، فحيث كان، لا مخالفة؛ لأنَّ الكلام حينئذٍ مركَّبٌ من الحروف، إلا أنها نفسية غيبية في الحق، خيالية في الخلق.

وأما الثاني فجوابه: أنَّ هذا الذي لا يُحصى ليس فيه سوى أنَّ الحقَّ سبحانه وتعالى متكلِّم بكلامٍ حروفُه عارضة للصوت، لا أنه لا يتكلَّم إلا به، فلا ينتهض ما ذُكر حجَّة على الشيخ، بل إذا أمعنت النظر رأيت ذلك حجةً له، حيث بيَّن أنَّ الله تعالى لا يتكلَّم بالوحي لفظاً حقيقيًّا إلا على طبقِ ما في علمه، وكلَّما كان كذلك كان الكلام اللفظي صورةً من صور الكلام النفسي، ودليلاً من أدلة ثبوتها ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].

وأما الثالث فجوابه: أنَّ المنعوت بأنه واحد بالذات تتعدَّد تعلُّقاته، هو الكلام بمعنى صفة المتكلِّم، ووحدتُه مما لا شك لعاقل فيها، وأما الكلام النفسيُّ بمعنى المتكلَّم به، فليس عنده واحداً، بل نصَّ في «الإبانة» على انقسامه إلى الخبر والأمر والنهي في الأزل(٢)، فلا اعتراض.

وقال النجم سليمان الطُّوفي(٣): إنما كان الكلام حقيقةً في العبارة، مجازاً في مدلولها لوجهين:

---

(١) في الإرشاد ص١٠٩.

(٢) ينظر الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري ص٢١ وما بعدها.

(٣) هو سليمان بن عبد القوي الطوفي الحنبلي، توفي سنة (٧١٦هـ). شذرات الذهب ٨/ ٧١. وكلامه في شرح مختصر الروضة له ٢/ ١٤.

أحدهما: أنَّ المتبادر إلى فهم أهل اللغة من إطلاق الكلام إنما هو العبارة، والمبادرة دليل الحقيقة.

الثاني: أنَّ الكلام مشتقٌّ من الكَلْم، لتأثيره في نفس السامع، والمؤثِّر فيها إنما هو العبارات لا المعاني النفسية بالفعل. نعم هي مؤثرة للفائدة بالقوة، والعبارة مؤثرة بالفعل[1]، فكانت أولى بأن تكون حقيقةً والأخرى مجازاً.

وقال المخالفون: استعمل لغة في النفسي والعبارة. قلنا: نعم، لكن بالاشتراك أو بالحقيقة فيما ذكرناه، وبالمجاز فيما ذكرتموه، والأول ممنوع.

قالوا: الأصل في الإطلاق الحقيقة. قلنا: والأصل عدم الاشتراك، ثم[2] إنَّ لفظ الكلام أكثُر ما يستعمل في العبارات، والكثرة دليل الحقيقة، وأما قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [المجادلة: ٨] فمجاز دلَّ على المعنى النفسي بقرينةِ ﴿فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ ولو أطلق لما فُهم إلا العبارة. وأما قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ﴾ الآية [الملك: ١٣] فلا حجة فيه؛ لأنَّ الإسرار خلاف الجهر، وكلاهما عبارة عن أن يكون أرفع صوتاً[3] من الآخر.

وأما بيت الأخطل[4] فالمشهور: إنَّ البيان، وبتقدير أن يكون الكلام فهو مجاز عن مادَّته، وهو التصورات المصححة له، إذ من لم يتصوَّر ما يقول، لا يوجِد كلاماً، ثم هو مبالغة من هذا الشاعر بترجيح الفؤاد على اللسان. انتهى. وفيه ما لا يخفى:

أما أوَّلاً: فلأنَّ ما ادَّعاه من التبادر إنما هو لكثرة استعماله في اللفظي، لمسيس الحاجة إليه، لا لكونه الموضوع له خاصة، بدليل استعماله لغة وعرفاً في النفسي، والأصل في الإطلاق الحقيقة.

---

(١) القوة: التهيُّؤ الموجود في الشيء، وضده الفعل، وهو بروز ذلك الشيء. معجم متن اللغة (قوي).

(٢) جاء قبلها في شرح مختصر الروضة: ثم قد تعارض المجاز والاشتراك المجرد والمجاز أولى.

(٣) في شرح مختصر الروضة: وكلاهما عبارة إحداهما أرفع صوتا...

(٤) يعني البيت:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلا

ونُسب للأخطل في الموشَّى لأبي الطيب الوشاء ص١٦، وشرح شذور الذهب ص٣٥، وتفسير الرازي ١/ ٢٠، وليس في ديوانه. وذكره الجاحظ دون نسبة في البيان والتبيين ١/ ٢١٨.

وقوله: والأصل عدم الاشتراك. قلنا: نعم إن أردت به الاشتراك اللفظي، ونحن لا ندَّعيه، وإنما ندَّعي الاشتراك المعنوي، وذلك أنَّ الكلام في اللغة بنقل النحويين: ما يتكلم به، قليلاً كان أو كثيراً، حقيقة أو حكماً.

وأما ثانياً: فلأنَّ ما ادَّعاه من أنَّ المؤثِّر في نفس السامع إنما هو العبارات لا المعاني النفسية. الأمر فيه بالعكس، بدليل أنَّ الإنسان إذا سمع كلاماً لا يفهم معناه، لا تؤثِّر ألفاظه في نفسه شيئاً، وقد يتذكَّر الإنسان في حالة سروره كلاماً يحزنه، وفي حالة حزنه كلاماً يسرُّه، فيتأثر بهما، ولا صوت ولا حرف هناك، وإنما هي حروف وكلمات مخيَّلة نفسية، وهو الذي عناه الشيخ بالكلام النفسي، وعلى هذا فالسامع في قولهم: لتأثيره في نفس السامع، ليس بقيد، والتأثير في النفس مطلقاً معتبرٌ في وجه التسمية.

وأما ثالثاً: فلأنَّ ما قاله في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [المجادلة: ٨] من أنه مجاز، دلَّ على المعنى النفسي فيه بقرينةِ ﴿فِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ ولو أطلق لما فهم إلا العبارة. يردُّه قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾ [آل عمران: ١٦٧] وفي آية ﴿بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١] إذ لو كان مجرَّد ذكر ﴿فِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ قرينة على كون القول مجازاً في النفسي، لكان ذكر «بأفواههم» و«بألسنتهم» قرينة على كونه مجازاً في العبارة، واللازم باطل، فكذا الملزوم. نعم التقييد دليلٌ على أنَّ القول مشترك معنًى بين النفسي واللفظي، وعيّن به المراد من فرديه، فهو لنا لا علينا.

وأما رابعاً: فلأنَّ ما ذكره في قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا﴾ الآية، تحكُّم بحت؛ لأنَّ السرَّ كما قال الزمخشري[1]: ما حدَّث به الرجل نفسه أو غيره في مكان خالٍ. ويساعده الكتاب والأثر واللغة كما لا يخفى على المتتبِّع.

و أما خامساً: فلأنَّ ما ذكره في بيت الأخطل خَطَلٌ[2] من وجوه:

أما أولاً: فعلى تقدير أن يكون المشهور البيان بدل الكلام، يكفينا في البيان[3]؛

(١) الكشاف ٣/ ٤٩٦-٤٩٧.

(٢) الخطل: الكلام الفاسد الكثير المضطرب. اللسان (خطل).

(٣) في هامش الأصل و(م): فيه استخدام فلا تغفل. اهـ منه.

لأنه إما اسم مصدر بمعنى ما يبين به، أو مصدر بمعنى التبيين، وعلى الأول هو بمعنى الكلام ولا فرق بينهما إلا في اللفظ، وعلى الثاني هو مستلزم للكلام النفسي بمعنى المتكلَّم به إن كان المراد به التبيين القلبي، أعني ترتيب القلب للكلمات الذهنية على وجهٍ إذا عبَّر عنها باللسان فهم غيرهُ ما قصده منها.

وأما ثانياً: فلأنَّ قوله: وبتقدير أن يكون إلخ، إقرار بالكلام النفسي من غير شعور.

وأما ثالثاً: فلأنَّ دعوى المجاز تحكُّمٌ مع كون الأصل في الإطلاق الحقيقة.

وأما رابعاً: فلأنَّ دعوى أنَّ ذلك مبالغة من هذا الشاعر، خلاف الواقع، بل هو تحقيقٌ من غير مبالغة كما يُفهم مما سلف، فما ذكره هذا الشاعر كلمة حكمةٍ، سواء نطق بها على بيِّنة من الأمر، أو كانت منه رميةً من غير رامٍ، فإنَّ معناه موجود في حديث أبي سعيد: «العينان دليلان، والأذنان قمعان، واللسان ترجمان ـ إلى أن قال ـ والقلب ملك، فإذا صلح» الحديث[١]، وفي حديث أبي هريرة: «القلب ملك وله جنود ـ إلى أن قال ـ واللسان ترجمان» الحديث[٢].

فما قيل[٣]: إنَّ هذا الشاعر نصرانيٌّ عدو الله تعالى ورسوله، فيجب[٤] اطِّراحُ كلام الله تعالى ورسوله تصحيحاً لكلامه، أو حمله على المجاز صيانةً لكلمة هذا الشاعر عنه، وأيضاً يحتاجون إلى إثبات هذا الشعر، والشهرة غيرُ كافية، فقد فتَّش ابن الخشَّاب[٥] دواوين الأخطل العتيقة، فلم يجد فيها البيت. انتهى = كلامٌ أوهنُ وأوهى من بيت العنكبوت، وإنه لأوهن البيوت:

(١) أخرجه أبو الشيخ في كتاب العظمة (١٠٨٩)، وابن عدي ٢/ ٦٣٣، وذكره الذهبي في الميزان ١/ ٥٧٨، وفي إسناده عطية العوفي، وهو واهٍ كما قال الذهبي.
(٢) أخرجه عبد الرزاق (٢٠٣٧٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٩) موقوفاً.
(٣) في هامش الأصل و(م): قائله الموفق بن قدامة. اهـ منه.
(٤) كذا في الأصل و(م)، وهو خطأ، والصواب: أفيجب، أو: فهل يجب. ينظر شرح الكوكب المنير لابن النجار ٢/ ٤١، والكلام فيه منقول عن موفق الدين بن قدامة.
(٥) عبد الله بن أحمد البغدادي اللغوي النحوي المحدث، أبو محمد بن أبي الكرم، من تصانيفه: المرتجل في شرح الجمل للزجاجي، وأغلاط الحريري في مقاماته، وشرح اللمع لابن جني، وغيرها. توفي سنة (٥٦٧هـ). ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ١/ ٣١٦.

أما أولاً: فلأنَّ كلام هذا العدو موافق لكلام هذا[1] الحبيب حتى لِكلام المنكرين للكلام النفسي، حيث اعترفوا به في عين إنكارهم.

وأما ثانياً: فلأنَّا أغنانا الله تعالى ورسوله من فضله عن إثبات هذا الشعر.

وأما ثالثاً: فلأنّ عدم وجدان ابن الخشَّاب لا يدلُّ على انتفائه بالكلية كما لا يخفى.

والحاصل أنَّ الناس أكثروا القال والقيل في حق هذا الشيخ الجليل وكلُّ ذلك من باب:

وكَـمْ مِـنْ عـائـبٍ قَـوْلاً صَـحِـيـحـاً وآفَـتُـهُ مِـنَ الـفَـهْـمِ الـسَّـقِـيْـمِ[2]

نعم البحث دقيق لا يرشد إليه إلا توفيق، كم أسهر أُناساً وأكثر وسواساً، وأثار فتنة وأورث محنة، وسجن أقواماً وأمَّ إماماً:

مَـرامٌ شَـطَّ مَـرْمَـى الـعَـقْـل فـيـهِ ودُونَ مَـدَاهُ بِـيْـدٌ لا تَـبِـيْـدُ[3]

ولكن بفضل الله تعالى قد أتينا فيه بلبِّ اللباب، وخلاصة ما ذكره الأصحاب، وقد اندفع به كثير مما أشكل على الأقوام، وخفي على أفهام ذوي الأفهام، ولا حاجة معه إلى ما قاله المولى المرحوم غني زاده[4] في التخلص عن هاتيك الشبه مما نصُّه: ثم اعلم أني بعدما حررت البحث بعثني فرط الإنصاف إلى أنه لا ينبغي لذي الفطرة السليمة أن يدَّعي قِدَمَ اللفظ، لاحتياجه إلى هذه التكلفات، وكذا كون الكلام عبارة عن المعنى القديم، لركاكة توصيف الذات به، كيف ومعنى قصة نوح مثلاً ليس بشيءٍ يمكن اتِّصاف الذات به إلا بتمحُّلٍ بعيد، فالحقُّ الذي لا محيد عنه هو أنَّ المعاني كلُّها موجودةٌ في العلم الأزلي بوجودٍ علمي قديم، لكن لما كان في ماهية بعضها

---

(١) قوله: (هذا). ساقط من (م).

(٢) البيت للمتنبي، وهو في ديوانه ص٢٣٢.

(٣) ذكره ابن الجوزي في المدهش ص١٣٧.

(٤) محمد جمال الدين بن عبد الغني الأردبيلي ثم الرومي المعروف بغني زاده وبنادري، من تصانيفه: حاشية على تفسير البيضاوي، وشرح الأنموذج للزمخشري، توفي سنة (١٠٣٦هـ). خلاصة الأثر ٤/ ٩، وهدية العارفين ٢/ ٢٧٠.

داعية البروز في الخارج بوجودٍ لفظي حادث، حسبما يستدعيه حدوث الحوادث فيما لا يزال، اقتضى الذات اقتضاءً أزليًا إبراز ذلك البعض في الخارج بذلك الوجود الحادث فيما لا يزال، فهذا الاقتضاء صفة قديمة للذات هو بها في الأزل مسماة بالكلام النفسي، وأثره الذي هو ظهوره في المعنى القديم باللفظ الحادث إنما يكون فيما لا يزال، والمغايرة بينه وبين صفة العلم ظاهرة، وهذا هو غاية الغايات في هذا الباب، والحمد لله على ما خصَّني بفهمه من بين أرباب الألباب. انتهى.

وفيه أنه غايةُ الغايات في الجسارة على ربِّ الأرباب، وإحداث صفةٍ قديمة ما أنزل الله تعالى بها من كتاب، إذ لم يرد في كتاب الله تعالى ولا في سنة نبيه ﷺ، ولا روي عن صحابيٍّ ولا تابعيٍّ تسمية ذلك الاقتضاء كلاماً، بل لا يقتضيه عقلٌ ولا نقل، على أنه لا يحتاج إليه عند من أخذت العناية بيديه، هذا وإذا سمعت ما تلوناه، ووعيت ما حققناه، فاسمع الآن تحقيق الحق في كيفية سماع موسى عليه السلام كلام الحق، فأقول:

الذي انتهى إليه كلام أئمة الدين كالماتريدي والأشعري وغيرهما من المحققين أنَّ موسى عليه الصلاة والسلام سمع كلام الله تعالى بحرفٍ وصوت كما تدلُّ عليه النصوص التي بلغت في الكثرة مبلغاً لا ينبغي معه تأويل، ولا يناسب في مقابلته قال وقيل، فقد قال تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ [مريم: ٥٢]، ﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ [الشعراء: ١٠]، ﴿نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ [القصص: ٣٠]، ﴿إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [النازعات: ١٦]، ﴿نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ [النمل: ٨]، واللائق بمقتضى اللغة والأحاديث أن يُفسَّر النداء بالصوت[1]، بل قد ورد إثبات الصوت لله تعالى شأنه في أحاديث لا تحصى، وأخبار لا تستقصى:

روى البخاري في الصحيح: «يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ: أنا الملك أنا الديَّان»[2]. ومن علم أنَّ لله تعالى الحكيم أن يتجلَّى بما شاء وكيف شاء، وأنه منزَّهٌ في تجلِّيه، قريبٌ في تعاليه، لا تقيِّده المظاهر

(١) جاء في حاشية (م): قال في القاموس: النداء بالكسر والضم: الصوت. اهـ منه.

(٢) صحيح البخاري معلقاً قبل الحديث (٧٤٨١) من حديث عبد الله بن أنيس ﷺ. و أخرجه موصولاً مطولاً في الأدب المفرد (٩٧٠)، وهو عند أحمد (١٦٠٤٢).

عند أرباب الأذواق، إذ له الإطلاق الحقيقيُّ حتى عن قيد الإطلاق، زالت عنه إشكالات واتضحت لديه متشابهات(١).

ومما يدلُّ على ثبوت التجلِّي في المظهر لله تعالى، قول ابن عباس ترجمان القرآن في قوله تعالى: ﴿أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ﴾ [النمل:٨] كما في «الدر المنثور»(٢)، يعني: تبارك وتعالى نفسَه، كان نور رب العالمين في الشجرة. وفي رواية عنه: كان الله في النور، ونودي من النور. وفي صحيح مسلم(٣): «حجابه النور»، وفي رواية له: «حجابه النار»(٤).

ودَفَع الله سبحانه توهُّمَ التقييد بما ينافي التنزيه بقوله: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ [النمل:٨]، أي: عن التقييد بالصورة والمكان والجهة وإن ناداك منها؛ لكونه موصوفاً بصفة رب العالمين، فلا يكون ظهوره مقيَّداً له، بل هو المنزَّه عن التقييد حين الظهور ﴿يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ﴾ أي: المنادي المتجلِّي ﴿أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾ فلا أتقيَّد لعزَّتي، ولكني ﴿الْحَكِيمُ﴾ [النمل:٩] فاقتضت حكمتي الظهور والتجلِّي في صورةِ مطلوبك. فالمسموعُ على هذا صوتٌ وحرف سمعهما موسى عليه الصلاة والسلام من الله تعالى المتجلِّي بنوره في مظهر النار لما اقتضته الحكمة، فهو عليه الصلاة والسلام كليم الله تعالى بلا واسطة، لكن من وراء حجابِ مظهرِ النار، وهو عينُ تجلِّي الحقِّ تعالى له.

وأما ما شاع عن الأشعريِّ من القول بسماع الكلام النفسي القائم بذات الله تعالى، فهو من باب التجويز والإمكان، لا أنَّ موسى عليه الصلاة والسلام سمع ذلك بالفعل، إذ هو خلاف البرهان، ومما يدلُّ على جواز سماع الكلام النفسيِّ بطرق خرق العادة قوله تعالى في الحديث القدسي: «ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أُحبَّه، فإذا أحببتُه كنت سمعَه الذي يسمع به» الحديث(٥).

---

(١) في هامش الأصل و(م): مثل قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾. ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾. وحديث «إذا كان يوم الجمعة نزل ربنا تبارك وتعالى من عليين على كرسيه ـ إلى أن قال ـ ثم يصعد تبارك وتعالى على كرسيه». وحديث «فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة» إلى غير ذلك. اهـ منه.

(٢) ٥/١٠٢، وأخرجه الطبري ١٨/١٠.

(٣) (١٧٩): (٢٩٣)، وأخرجه أيضاً أحمد (١٩٦٣٢)، وهو من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٤) ورد ذلك ضمن الرواية السالفة عند مسلم (١١٩): (٢٩٣).

(٥) أخرجه البخاري (٦٥٠٢)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

ومن الواضح أنَّ الله تبارك وتعالى إذا كان بتجلِّيه النوريِّ المتعلِّق بالحروف غيبيةً كانت أو خيالية أو حسِّيَّةً سَمْعَ العبدِ على الوجه اللائق المُجامع لـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١] عند من يتحقَّق معنى الإطلاق الحقيقيِّ، صحَّ أن يتعلَّق سَمْعُ العبد بكلامٍ ليس حروفه عارضة لصوت؛ لأنه بالله يسمع إذ ذاك، والله سبحانه يسمع السرَّ والنجوى.

والإمام الماتريدي أيضاً يجوِّز سماع ما ليس بصوتٍ على وجه خرق العادة، كما يدلُّ عليه كلام صاحب «التبصرة» في كتاب «التوحيد»[(١)]. فما نقله ابن الهمام[(٢)] عنه من القول بالاستحالة، فمراده الاستحالة العادية، فلا خلاف بين الشيخين عند التحقيق.

ومعنى قول الأشعري: إنَّ كلام الله تعالى القائم بذاته يُسْمعُ عند تلاوة كلِّ تال وقراءة كلِّ قارئ. أنَّ المسموع أولاً ـ وبالذات عند التلاوة ـ إنما هو الكلام اللفظيُّ الذي حروفه عارضة لصوت القارئ بلا شك، لكنَّ الكلمات اللفظية صورُ الكلمات الغيبية القائمة بذات الحقِّ، فالكلام النفسيُّ مسموعٌ بعين سماع الكلام اللفظيِّ لأنه صورته، لا من حيث الكلمات الغيبية؛ فإنَّها لا تُسمع إلا على طريق خرق العادة.

وقول الباقلاني: إنما تسمع التلاوة دون المتلوِّ، والقراءة دون المقروء. يمكن حمله على أنه أراد: إنما يسمع أولاً وبالذات التلاوة، أي: المتلوُّ اللفظيُّ الذي حروفه عارضة لصوت التالي، لا النفسيُّ الذي حروفه غيبية مجردة عن المواد الحسية والخيالية، فلا نزاع في التحقيق أيضاً.

والفرق بين سماع موسى عليه الصلاة والسلام كلام الله تعالى وسماعنا له على هذا: أنَّ موسى عليه الصلاة والسلام سمع من الله عز وجل بلا واسطة، لكن من وراء حجاب، ونحن إنما نسمعه من العبد التالي بعين سماع الكلام اللفظيِّ المتلوِّ بلسانه، العارض حروفه لصوته، لا من الله تعالى المتجلِّي من وراء حجاب العبد، فلا يكون سماعاً من الله تعالى بلا واسطة، وهذا واضحٌ عند من له قَدَمٌ راسخةٌ في

---

(١) يعني ما ساقه صاحب التبصرة من عبارة الماتريدي في كتابه التوحيد. المسامرة شرح المسايرة ص٩٥. وصاحب التبصرة هو أبو المعين ميمون بن محمد النسفي المتوفى سنة (٥٨٠هـ). كشف الظنون ١/ ٣٣٧.

(٢) في المسايرة، كما في شرحه المسامرة ص٩٤.

العرفان، وظاهر عند من قال بالمظاهر مع تنزيه الملك الديان.

وأنت إذا أمعنت النظر في قول أهل السنة: القرآن كلام الله عز وجل غيرُ مخلوق، وهو مقروءٌ بألسنتنا، مسموعٌ بآذاننا، محفوظٌ في صدورنا، مكتوبٌ في مصاحفنا، غيرُ حالٍّ في شيءٍ منها. رأيته قولاً بالمظاهر ودالًّا على أن تَنَزُّلَ القرآن القديم القائم بذات الله تعالى فيها غيرُ قادحٍ في قِدَمه؛ لكونه غيرُ حالٍّ في شيءٍ منها، مع كون كلٍّ منها قرآناً حقيقة شرعية بلا شبهة، وهذا عين الدليل على أنَّ تجلِّي القديم في مظهرٍ حادثٍ لا ينافي قِدَمه وتنزيهه، وليس من باب الحلول ولا التجسيم، ولا قيامِ الحوادث بالقديم، ولا ما يشاكل ذلك من شبهات تَعرِضُ لمن لا رسوخ له في هاتيك المسالك.

ومنه يظهر معنى ظهور القرآن في صورة الرجل الشاحب يلقى صاحبه حين ينشق عنه القبر، وظهوره خصماً لمن حمله فخالف أمره، وخصماً دون مَن حمله فحفظ الأمر.

بل من أحاط خبراً بأطراف ما ذكرناه، وطاف فِكْرُه المتجرِّدُ عن مَخْبط الهوى في كَعبةِ حَرَمِ ما حققناه، اندفع عنه كلُّ إشكالٍ في هذا الباب، ورأى أنَّ تشنيعَ ابن تيمية وابن القيم وابن قدامة وابن قاضي الجبل والطُّوفي وأبي نصر وأمثالهم صريرُ باب أو طنين ذباب، وهم و إن كانوا فضلاءَ محققين وأجلَّاء مدقِّقين، لكنهم كثيراً ما انحرفت أفكارهم، واختلطت أنظارهم، فوقعوا في علماء الأمة، وأكابر الأئمة، وبالغوا في التعنيف والتشنيع، وتجاوزوا في التسخيف والتفظيع، ولولا الخروج عن الصدد لوفَّيتهم الكيل صاعاً بصاع، ولتقدَّمتُ إليهم بما قدَّموا باعاً بباع، ولعلَّمتهم كيف يكون الهجاء بحروف الهجاء، ولعرَّفتهم إلام ينتهي المراء بلا مراء.

فَلي فَرَسٌ للحِلْمِ بالحِلْمِ مُلْجَمٌ ... ولي فَرَسٌ للجَهْلِ بالجَهْلِ مُسْرَجُ
فَمَنْ رامَ تَقْويمي فَإنِّي مُقَوَّمٌ ... ومَنْ رامَ تَعْويجي فإنِّي مُعَوَّجُ(١)

---

(١) البيتان لصالح بن جناح كما في نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص١٣٦، والحماسة البصرية ١/ ٥١، وبهجة المجالس ١/ ٦٢٠، ونسبهما ابن قتيبة في عيون الأخبار ١/ ٢٨٩ لمحمد بن وهيب، ونسبا لمحمد بن حازم الباهلي في معجم الشعراء للمرزباني ص٣٧٢، وهما دون نسبة في العقد الفريد ٣/ ١٤، والبرصان والعرجان للجاحظ ص٢٦١.

على أنَّ العفو أقرب للتقوى، والإغضاء مبنى الفُتوَّة وعليه الفتوى، والسادة الذين تكلَّم فيهم هؤلاء إذا مرُّوا باللغو مرُّوا كراماً، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً.

وحيث تحرَّر الكلام في الكلام على مذهب أهل السنة، واندفع عنه بفضل الله تعالى كلُّ محنة ومهنة، فلا بأس بأن نحكي بعض الأقوال، كما حكى الله تعالى كثيراً من أقوال ذوي الضلال، وبعد أن رسخ الحقُّ في قلبك، وتغلغل في سويدائه كلام ربك، لا أخشى عليك من سماع باطل لا يزيدك إلا حقًّا، وكاذبٍ لا يُورِثك إلا صدقاً، فنقول:

أما المعتزلة فاتفقوا كافةً على أنَّ معنى كونه تعالى متكلِّماً: أنه خالق الكلام على وجهٍ لا يعود إليه منه صفة حقيقية، كما لا يعود إليه من خلق الأجسام وغيرها صفة حقيقية، واتفقوا أيضاً على أنَّ كلام الربِّ تعالى مركَّبٌ من الحروف والأصوات، وأنه مُحدَثٌ مخلوق.

ثم اختلفوا؛ فذهب الجُبَّائي[(١)] وابنه أبو هاشم[(٢)] إلى أنه حادثٌ في محلّ، ثم زعم الجُبَّائي أنَّ الله تعالى يُحدِثُ عند قراءة كلِّ قارئٍ كلاماً لنفسه في محلِّ القراءة. وخالفه الباقون.

وذهب أبو الهُذيل العلَّاف[(٣)] وأصحابه إلى أنَّ بعضه في محلٍّ وهو قوله: كُنْ، وبعضه لا في محلٍّ كالأمر والنهي والخبر والاستخبار.

وذهب الحسين بن محمد النجار[(٤)] إلى أنَّ كلام الباري إذا قرئ فهو عَرَض، وإذا كُتب فهو جسم.

---

(١) محمد بن عبد الوهاب البصري، أبو علي، شيخ المعتزلة، له كتاب: الأصول، والنهي عن المنكر، والاجتهاد، وغيرها، توفي سنة (٣٠٣هـ). سير أعلام النبلاء ١٤/ ١٨٣.

(٢) عبد السلام بن محمد، أخذ عن والده، وله: الجامع الكبير، والمسائل العسكرية، وغيرهما، توفي سنة (٣٢١هـ). السير ١٥/ ٦٣.

(٣) محمد بن الهذيل البصري، شيخ الكلام ورأس الاعتدال، له كتاب في الرد على المجوس، وردٌّ على اليهود، وردٌّ على المشبهة، وتصانيفه كثيرة ولكنها لا توجد، توفي سنة (٢٢٦ أو ٢٣٥هـ). السير ١١/ ١٧٣.

(٤) رأس الفرقة النجارية من المعتزلة، له مع النَّظَّام مناظرات، له: إثبات الرسل، والقضاء والقدر، والإرجاء، وغيرها، توفي سنة (٢٢٠هـ). السير ١٠/ ٥٥٤، والأعلام ٢/ ٢٥٣. ووقع في الأصل و(م): الحسن، بدل: الحسين.

وذهبت الإمامية والخوارج والحشوية إلى أنَّ كلام الربِّ تعالى مركَّبٌ من الحروف والأصوات، ثم اختلف هؤلاء فذهب الحشوية إلى أنه قديم أزليٌّ قائم بذات الربِّ تعالى، لكن منهم من زعم أنه من جنس كلام البشر، وبعضهم قال: لا بل الحرف حرفان والصوت صوتان؛ قديم وحادث، والقديم منهما ليس من جنس الحادث.

وأما الكرَّامية فقالوا: إن الكلام قد يُطلق على القدرة على التكلم، وقد يطلق على الأقوال والعبارات، وعلى كلا التقديرين فهو قائم بذات الله تعالى، لكن إن كان بالاعتبار الأول فهو قديم متَّحد لا كثرة فيه، وإن كان بالاعتبار الثاني فهو حادث متكثِّر.

وأما الواقفية: فقد أجمعوا على أنَّ كلام الربِّ تعالى كائن بعد أن لم يكن، لكن منهم من توقَّف في إطلاق اسم القديم والمخلوق عليه، ومنهم من توقَّف في إطلاق اسم المخلوق وأطلق اسم الحادث، ومن القائلين بالحدوث من قال: ليس جوهراً ولا عَرَضاً. وذهب بعض المعترفين بالصانع إلى أنه لا يوصف بكونه متكلِّماً لا بكلام ولا بغير كلام.

والذي أوقع الناس في حيص بيص أنهم رأوا قياسين متعارضي النتيجة، وهما كلام الله تعالى صفة له، وكلُّ ما هو صفة له فهو قديم، فكلام الله تعالى قديم. وكلام الله تعالى مركَّبٌ من حروف مرتَّبةٍ متعاقبة في الوجود، وكلُّ ما هو كذلك فهو حادث، فكلام الله تعالى حادث.

فقوم(١) ذهبوا إلى أنَّ كلامه تعالى حروف وأصوات، وهي قديمة، ومنعوا أنَّ كل ما هو مؤلَّفٌ من حروف وأصوات فهو حادث، ونسب إليهم أشياء هم برآء منها.

وآخرون قالوا بحدوثه(٢) وأنه مؤلَّفٌ من أصوات وحروف، وهو قائم بغيره، ومعنى كونه متكلِّماً عندهم: أنه موجدٌ لتلك الحروف والأصوات في جسم كاللوح، أو ملكٍ كجبريل، أو غير ذلك، فهم منعوا أنَّ المؤلَّف من الحروف والأصوات صفةُ الله تعالى.

وأناس(٣) لما رأوا مخالفة الأولين للضرورة الظاهرة التي هي أشنع من مخالفة الدليل، ومخالفة الآخرين فيما ذهبوا إليه للعرف واللغة، ذهبوا إلى أنَّ كلامه تعالى

(١) في هامش الأصل و(م): هم الحنابلة. اهـ منه.
(٢) في (م): بحدوث كلامه تعالى. وجاء في حاشية (م): هم المعتزلة. اهـ منه.
(٣) في حاشية (م): هم الكرامية. اهـ منه.

صفة له، مؤلفة من الحروف والأصوات الحادثة القائمة بذاته تعالى، فهم منعوا أنَّ كلَّ ما هو صفة له تعالى فهو قديم.

وجَمْعٌ قالوا: كلامه تعالى معنًى واحدٌ بسيطٌ قائمٌ بذاته تعالى قديمٌ، فهم منعوا أنَّ كلامه تعالى مؤلَّفٌ من الحروف والأصوات، وكَثُرَ في حقِّهم القال والقيل والنّزاع الطويل.

وبعضهم تحيَّر فوقف، وحبس ذهنه في مسجد الدهشة واعتكف.

وعندي القياسان صحيحان، والنتيجتان صادقتان، ولكلٍّ مقام مقال ولكل كلام أحوال، ولا أظنُّك تُحوجني إلى التفصيل بعدما وعاه فكرك الجميل، بل ولا تكلِّفني ردَّ هذه الأقوال الشنيعة التي هي لديك، إذا أخذت العناية بيديك كسرابٍ بقيعة، فليَطِرْ شحرورُ القلم إلى روضة أخرى، وليُغرِّد بفائدةٍ لعلها أولى من الإطالة وأحرى، والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب لا ربَّ غيرُه.

الفائدة الخامسة

في بيان المراد بالأحرف السبعة التي نزل بها القرآن:

أقول: روى أحد وعشرون صحابيًّا(١) حديث نزول القرآن على سبعة أحرف، حتى نصَّ أبو عبيدة(٢) على تواتره، وفي مسند أبي يعلى أنَّ عثمان رضي الله عنه قال على المنبر: أُذكِّر الله رجلاً سمع النبيَّ ﷺ قال: «إن القرآن أُنزل على سبعة أحرف، كلُّها شافٍ كافٍ» لمَّا قام، فقاموا حتى لم يُحصَوا، فشهدوا بذلك، فقال: وأنا أشهد معهم(٣).

(١) في هامش الأصل و(م): وهم أبيُّ بن كعب وأنس وحذيفة وزيد بن أرقم وسمرة بن جندب وسليمان بن صرد وابن عباس وابن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وعمر بن الخطاب وعمر بن أبي سلمة وعمرو بن العاص ومعاذ بن جبل وهشام بن حكيم وأبو بكرة وأبو جهم وأبو سعيد الخدري وأبو طلحة الأنصاري وأبو هريرة وأم أيوب، رضي الله عنهم أجمعين.

(٢) كذا في الأصل و (م)، والكلام في فضائل القرآن لأبي عبيد ص٢٠٣.

(٣) أخرجه الحارث كما في بغية الباحث (٧٢٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٥٢: رواه أبو يعلى في الكبير، وفيه راوٍ لم يسم.

واختلف في معناه على أقوال:

أحدها: أنه من المشكل الذي لا يدرى؛ لاشتراك الحرف[(١)]. وفيه أنَّ مجرَّد الاشتراك لا يستدعي ذلك، اللهم إلا أن يكون بالنظر إلى هذا القائل.

ثانيها: أنَّ المراد التكثير لا حقيقة العدد، وقد جرَوا على تكثير الآحاد بالسبعة، والعشراتِ بالسبعين، والمئات بسبع مئةٍ، وسرُّ التسبيع لا يخفى، وإليه جنح عياض[(٢)].

وفيه ـ مع عدم ظهور معناه ـ أنَّ حديث أبيٍّ كما رواه النسائي[(٣)]: «أنَّ جبريل وميكائيل أتياني، فقعد جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري، فقال جبريل: اقرأ القرآن على حرف، فقال ميكائيل: استزده، حتى بلغ سبعة أحرف» ونحوه من الأحاديث لا سيَّما حديث أبي بكرة الذي في آخره: «فنظرت إلى ميكائيل فسكت، فعلمت أنه قد انتهت العدة»[(٤)] أقوى دليل على إرادة الانحصار، بل في جمع القلَّة نوعُ إشارةٍ إلى عدم الكثرة كما لا يخفى.

ثالثها: أنَّ المراد بها سبع قراءات. وفيه أنَّ ذلك لا يوجد في كلمة واحدة إلا نادراً[(٥)]، والقول أنَّ كلمةً تقرأ بوجه أو وجهين إلى سبع يُشكل عليه ما قرئ على أكثر، اللهم إلا أن يقال: ورد ذلك موردَ الغالب، وفيه ما لا يخفى، حتى قال السيوطيُّ[(٦)]: قد ظنَّ كثيرٌ من القوم أنَّ المراد بها القراءات السبعة، وهو جهل قبيح. فتدبر.

---

(١) في هامش الأصل و(م): أي: لغة بين الكلمة والمعنى والجهة. قاله ابن سعدان النحوي. اهـ منه. وقول ابن سعدان في الإتقان ١/ ١٤٥ بلفظ: لأن الحرف يصدق لغة على حرف الهجاء، وعلى الكلمة، وعلى المعنى، وعلى الجهة.

(٢) ابن موسى اليَحْصِبي الأندلسي ثم السَّبتي، المالكي القاضي الحافظ شيخ الإسلام، أبو الفضل، له: مشارق الأنوار، والتنبيهات، وإكمال المُعْلِم بفوائد مسلم، وكل تصانيفه بديعة، توفي سنة (٥٤٤هـ). السير ٢٠/ ٢١٢. وكلامه ذكره الحافظ في الفتح ٩/ ٢٣، وينظر إكمال المعلم ٣/ ١٨٧.

(٣) في الكبرى (٧٩٣٢)، وأخرجه أيضاً أحمد (٢١٠٩٢).

(٤) أخرجه أحمد (٢٠٤٢٥) دون هذه العبارة، وذكره بهذا اللفظ السيوطي في الإتقان ١/ ١٤٦.

(٥) في هامش الأصل و(م): مثل: «عبد الطاغوت»، «ولا تقل لهما أفٌ». اهـ منه.

(٦) في الإتقان ١/ ١٥٦.

رابعها: أنَّ المراد بها سبعةُ أوجه من المعاني المتَّفقة على ألفاظٍ مختلفة، نحو: أقبل، وتعال، وهلمَّ، وعجِّل، وأسرع. وإليه ذهب ابن عيينة وجمعٌ، وأُيِّد برواية: «حتى بلغ سبعة أحرف قال: كلُّها شافٍ كافٍ ما لم تختم آية عذاب برحمة أو رحمة بعذاب»(١) وبما حكي أنَّ ابن مسعودٍ أقرأ رجلاً: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ [الدخان:٤٣-٤٤] فقال الرجل: طعام اليثيم. فردَّها عليه، فلم يستقم بها لسانه، فقال: أتستطيع أن تقول: الفاجر؟ قال: نعم. قال: فافعل(٢).

وفيه أنَّ ذلك كان رخصةً لعسر تلاوته بلفظ واحد على الأُميِّين ثم نسخ، وإلا لجازت روايته بالمعنى، ولذهب التعبُّد بلفظه، ولاتَّسع الخرق، ولَفاتَ كثيرٌ من الأسرار والأحكام، وهذا يستدعي نسخَ الحديث، وفيه بُعدٌ، بل لا قائل به.

خامسها: أنَّ المراد بها كيفيةُ النطق بالتلاوة من إدغامٍ وإظهارٍ وتفخيمٍ وترقيقٍ وإشباعٍ ومدٍّ وقَصْرٍ وتشديد وتخفيف وتليين وتحقيق. وفيه أنَّ ذلك ليس من الاختلاف الذي يتنوَّع فيه اللفظ والمعنى، واللفظ الواحد بهذه الصفات باقٍ على وحدته، فليس فيه حينئذٍ جليل فائدة.

سادسها: أنَّ المراد سبعةُ أصنافٍ، وعليه كثيرون، ثم اختلفوا في تعيينها فقيل: محكَم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخصوص وعموم وقصص.

وقيل: إظهار الربوبية، وإثبات الوحدانية، وتعظيم الألوهية، والتعبُّد لله، ومجانبة الإشراك، والترغيب في الثواب، والترهيب من العقاب.

وقيل: أمرٌ ونهيٌ ووعد ووعيد وإباحة وإرشاد واعتبار. وقيل غيرُ ذلك، والكلُّ محتملٌ بل وأضعاف أمثاله، إلا أنه لا مستنَد له ولا وجه للتخصيص.

سابعها: أنَّ المراد سبعُ لغاتٍ، وإليه ذهب ثعلب وأبو عبيد والأزهريُّ

(١) أخرجه أحمد (٢٠٤٢٥) و (٢٠٥١٤) من حديث أبي بكر ﷺ.
(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص١٨٣، وينظر ما سيأتي عند تفسير الآية (٤٤) من سورة الدخان.

وآخرون، واختاره ابن عطية(١) وصححه البيهقي(٢). واعتُرض بأنَّ لغات العرب أكثر. وأجيب: بأنَّ المراد أفصحُها وهي لغة قريش وهذيل وتميم والأزد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر.

واستنكره ابن قتيبة قائلاً: لم ينزل القرآن إلا بلغة قريش بدليل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤]. وعليه يلتزم كون السبع في بطون قريش، وبه جزم أبو علي الأهوازيُّ(٣). وليس المراد أنَّ كلَّ كلمةٍ تُقْرأ على سبع لغات، بل إنها مفرقةٌ فيه، ولعلَّ بعضها أسعدُ من بعض وأكثرُ نصيباً.

وقيل: السبع في مُضَرَ خاصة؛ لقول عمر ﷺ: نزل القرآن بلغة مضر. وقال بعضهم: إنهم هذيل وكنانة وقيس وضَبَّة وتيم الرَّباب وأسد بن خزيمة وقريش.

وقيل: أُنزل أولاً بلسان قريش ومن جاورهم من الفصحاء، ثم أُبيح للعرب أن تقرأه بلغاتها؛ دفعاً للمشقة، ولما كان فيهم من الحميَّة، ولم يقع ذلك بالتشهِّي، بل المرعيُّ فيه السماع من النبي صلى الله عليه وسلم، وكيفية نزول القرآن على هذه السبع أن جبريل عليه السلام كان يأتي رسول الله ﷺ في كلِّ عَرْضةٍ بحرف، إلى أن تمَّت.

قال السيوطيُّ بعد نقل هذا القول وذكر ماله وما عليه: وبعد هذا كلِّه هو مردود بأنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهشام بن حكيم كلاهما قرشيٌّ من لغة واحدة وقبيلة واحدة وقد اختلفت قراءتهما، ومحالٌ أن ينكر عليه عمر لغته، فدلَّ على أنَّ المراد بالأحرف السبعة غير اللغات. انتهى(٤).

ويا ليت شعري أدَّعى أحد من المسلمين أنَّ معنى إنزال القرآن على هذه السبع من لغات هؤلاء العرب، أنه أنزل كيفما كان، وأنهم هم الذين هذَّبوه بلغاتهم ورشَّحوه بكلماتهم بعد الإذن لهم بذلك، فإذاً لا تختلف أهل قبيلة واحدة في كلمة،

---

(١) عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي، كان إماماً في الفقه والتفسير والعربية، توفي سنة (٥٤١هـ). السير ١٩/ ٥٨٨. وكلامه في تفسيره المسمَّى المحرر الوجيز ١/ ٤٤.

(٢) في شعب الإيمان ٢/ ٤٢١.

(٣) الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد بن هرمز، مقرئ الشام، من كتبه: الاتضاح، والوجيز، والموجز، توفي سنة (٤٤٦هـ). معرفة القراء الكبار ٢/ ٧٦٦.

(٤) الإتقان ١/ ١٥١، وحديث عمر مع هشام بن حكيم أخرجه البخاري (٤٩٩٢)، ومسلم (٨١٨).

ولا يتنازع اثنان منهم فيها أبداً، أم أنَّ الله تعالى شأنه ظهر كلامه في مرايا هذه اللغات على حسب ما فيها من المزايا والنكات، فنَزل بها وحيه، وأدَّاها نبيُّه ﷺ، ووعاها أصحابه؟ فكم صحابيٍّ هو من قبيلة وعى كلمة نزلت بلغة قبيلة أخرى، وكلاهما من السبع، وليس له أن يغيِّر ما وعى، بل كثيراً ما يختلف صحابيان من قبيلة في الرواية عن رسول الله ﷺ، وكلٌّ من روايتيهما على غير لغتهما، كلُّ ذلك اتِّباعاً لما أنزل الله تعالى وتسليماً لما جاء به رسول الله ﷺ، وقد ينفي صحابيٌّ غيرَ روايته وينكر رواية غيره، وكلُّ ذلك يدلُّ على أنَّ مرجع السبع الرواية لا الدراية.

فردُّ الإمام السيوطي لا أدري ماذا أردُّ منه، وما الذي أسكت عنه؟ فها هو بين يديك، فاعمل ما شئت فيه، وسلام الله تعالى عليك، ومما ذكرناه علمتَ أنَّ القلب يميل إلى هذا السابع، فافهم، وقد حقَّقنا بعض الكلام في هذا المقام في كتابنا: «الأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية»، فارجع إليه إن أردته، والله سبحانه وتعالى أعلم.

الفائدة السادسة

في جمع القرآن وترتيبه:

اعلم أنَّ القرآن جمع أولاً بحضرة النبيِّ ﷺ، فقد أخرج الحاكم[١] بسندٍ على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت قال: كنا عند النبيِّ صلى الله تعالى عليه وسلم نؤلِّف القرآن في الرقاع. وثانياً بحضرة أبي بكر رضي الله عنه، فقد أخرج البخاري في صحيحه[٢] عن زيد بن ثابت أيضاً قال: أرسل إليَّ أبو بكر مقتلَ أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبو بكر: إنَّ عمر أتاني فقال: إنَّ القتل قد استحرَّ بقرَّاء القرآن[٣] وإني أخشى أن يستحرَّ القتل بالقرَّاء في المواطن، فيذهبَ كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، فقلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله

(١) في المستدرك ٢/٢٢٩ و٦١١. وهو عند أحمد (٢١٦٠٧).
(٢) برقم (٤٦٧٩)، وهو عند أحمد (٧٦).
(٣) في هامش الأصل و(م): وقد روي أنه قتل يوم اليمامة سبعون من القراء، منهم سالم مولى أبي حذيفة. اهـ منه.

رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خير. فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك شابٌّ عاقل لا نتَّهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبَّع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلَّفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقلَ عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، فتتبَّعت القرآن أجمعه من العُسُب واللِّخاف[1] وصدور الرجال، ووجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة الأنصاري لم أجدها مع غيره: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ [التوبة:١٢٨] حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله تعالى، ثم عند عمر حياتَه، ثم عند حفصة بنت عمر.

وأخرج ابن أبي داود[2] بسندٍ رجاله ثقات مع انقطاع، أنَّ أبا بكر قال لعمر وزيد - مع أنه كان حافظاً -: اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيءٍ من كتاب الله فاكتباه.

ولعلَّ الغرض من الشاهدين أن يشهدا على أنَّ ذلك كتب بين يدي الرسول ﷺ، أو على أنه مما عُرض عليه ﷺ عامَ وفاته، وإنما اكتفوا في آية التوبة بشهادة خزيمة؛ لأنَّ رسول الله ﷺ جعل شهادته بشهادة رجلين[3]. والقول[4] بأن المراد بالشاهدين الحفظ والكتابة مما لا حِجَارَ له[5].

---

(١) في هامش الأصل و(م): العسب: جمع عسيب، وهو جريد النخل، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض، واللخاف، بكسر اللام وبخاء معجمة خفيفة آخره فاء: جمع لخفة، بفتح اللام وبسكون الخاء، هي الحجارة الرقاق، وقال الخطابي: صفائح الحجارة. اهـ منه.

(٢) في كتاب المصاحف ١/ ١٥٧.

(٣) أخرجه أحمد (٢١٦٤٠)، والبخاري (٢٨٠٧).

(٤) في هامش الأصل و(م): هذا القول لابن حجر، قاله على سبيل الظن، وهو من بعضه. اهـ منه. وينظر فتح الباري ٩/ ١٤-١٥.

(٥) يعرِّض المصنف رحمه الله بكلامه هذا بالقول المذكور، وهو لابن حجر كما ورد في التعليق السابق، وهذا من أساليبه رحمه الله في رد الأقوال التي لا يرتضيها، كما أشرنا لذلك في مقدمتنا لهذا الكتاب ص ١٨-١٩.

وما شاع أنَّ عليًّا كرَّم الله وجهه لَما توفي رسول الله ﷺ تخلَّف لجمعه، فبعض طرقه ضعيف[١]، وبعضها موضوع[٢]، وما صح[٣] فمحمول كما قيل على الجمع في الصدر.

وقيل: كان جمعاً بصورةٍ أخرى لغرض آخر، ويؤيِّده أنه قد كتب فيه الناسخ والمنسوخ فهو ككتابِ عِلْمٍ.

وقد أخرج ابن أبي داود بسندٍ حسن عن عبد خير قال: سمعت عليًّا يقول: أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر ﷺ، رحمةُ الله على أبي بكر، هو أول من جمع كتاب الله[٤]. أي: على الوجه الذي تقدَّم، فلا ينافي ما في مختصر القرماني أنَّ أول من جمعه عمر ﷺ.

وما روي عن ابن بريدة أنه قال: أول من جمع القرآن في مصحفٍ سالم مولى أبي حذيفة، أَقْسَمَ لا يرتدي برداء حتى يجمعه. فهو مع غرابته وانقطاعه محمول على أنه أحد الجامعين بأمر أبي بكرٍ ﷺ؛ قاله الإمام السيوطي[٥]، وهي عثرة منه لا يقال لصاحبها لعاً[٦]؛ لأنَّ سالماً هذا قتل في وقعة اليمامة كما يدلُّ عليه كلام الحافظ ابن حجر في إصابته[٧] ونصَّ عليه السيوطيُّ نفسه في إتقانه بعد هذا المبحث بأوراق[٨]، ولا شك أنَّ الأمر بالجمع وقع من الصديق بعد تلك الوقعة، وهي التي كانت سبباً له كما يدل عليه حديث البخاري الذي قدمناه، فسبحان من لا ينسى.

---

(١) في هامش الأصل و(م): وهو ما أخرجه أبو داود من طريق ابن سيرين. اهـ منه. كذا وقع: أبو داود، والصواب: ابن أبي داود، والخبر في كتاب المصاحف له ١/ ١٦٩.

(٢) في هامش الأصل و(م): وهو ما أخرجه غير واحد من رواية أبي حيان التوحيدي، أحد زنادقة الدنيا. اهـ منه.

(٣) في هامش الأصل و(م): كرواية ابن الضريس في فضائل علي ﷺ. اهـ منه.

(٤) المصاحف ١/ ١٥٤.

(٥) في الإتقان ١/ ١٨٤.

(٦) قولهم: لعاً له، نقيض قولهم: تعساً له، فلعاً دعاء له بالانتعاش، وتعساً دعاء عليه بالعثرة. عمدة القاري ٢٣/ ٤٥.

(٧) ٤/ ١٠٦.

(٨) الإتقان ١/ ٢٢٢.

وما اشتهر أنَّ جامعه عثمان فهو على ظاهره باطل؛ لأنه ﷺ إنما حمل الناس في سنة خمس وعشرين[١] على القراءة بوجه واحد، باختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار، لما خشي الفتنة من اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات.

فقد روى البخاريُّ[٢] عن أنسٍ أن حذيفة بن اليمان قَدِمَ على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية و أذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفةَ اختلافُهم في القراءة، فقال لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلافَ اليهود والنصارى، فأَرْسَلَ إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها ثم نردُّها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت[٣] وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيءٍ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنه إنما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، ردَّ عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كلِّ أفقٍ بمصحف[٤] مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.

قال زيد: ففقدت آيةً من الأحزاب حيث نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ [الأحزاب: ٢٣] ألحقناها في سورتها في المصحف[٥].

وقد ارتضى ذلك أصحابُ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، حتى إنَّ

---

(١) في هامش الأصل و(م): وقيل: في حدود سنة ثلاثين، ولا مستند له. اهـ منه.

(٢) في صحيحه (٤٩٨٧).

(٣) في هامش الأصل و(م): أخرج ابن أبي داود أنه جمع اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار. اهـ منه.

(٤) في هامش الأصل و(م): فأرسل إلى مكة وإلى الشام وإلى اليمن وإلى البحرين وإلى البصرة وإلى الكوفة، وحبس بالمدينة واحداً، كما أخرج ذلك ابن أبي داود من طريق حمزة الزيات. اهـ منه.

(٥) أخرجه البخاري (٤٩٨٨).

المرتضىَ كرَّم الله تعالى وجهه قال على ما أخرج ابن أبي داود(١) بسندٍ صحيح عن سويد بن غَفَلة عنه: لا تقولوا في عثمان إلا خيراً، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا. وفي رواية: لو وُلِّيت لعملت بالمصاحف الذي عمله عثمان.

وما نقل عن ابن مسعود أنه قال لما أحرق مصحفه: لو ملكت كما ملكوا لصنعت بمصحفهم كما صنعوا بمصحفي. كذبٌ، كسوء معاملة عثمان معه التي يزعمها الشيعة حين أخذ المصحف منه.

وهذا الذي ذكرناه من فعل عثمان هو ما ذكره غيرُ واحدٍ من المحققين، حتى صرَّحوا بأنَّ عثمان لم يصنع شيئاً فيما جمعه أبو بكر من زيادة أو نقص أو تغييرِ ترتيب، سوى أنه جمع الناس على القراءة بلغة قريش محتجًّا بأنَّ القرآن نزل بلغتهم.

ويُشْكِلُ عليه ما مرَّ آنفاً من قول زيد: ففقدت آية من الأحزاب.. إلخ، فإنه بظاهره يستدعي أنَّ في المصاحف العثمانية زيادة لم تكن في هاتيك الصحف، والأمر في ذلك هيِّنٌ إذ مثل هذه الزيادة اليسيرة لا توجب مغايرةً يُعبأ بها، ولعلها تشبه مسألة التضاريس، ولو كان هناك غيرُها لذكر، وليس فليس، ولا تقدح أيضاً في الجمع السابق؛ إذ يحتمل أن يكون سقوطها منه من باب الغفلة، وكثيراً ما تعتري السارحين في رياض حظائر قدس كلام رب العالمين، فيذكرهم سبحانه بما غفلوا فيتداركون ما أغفلوا.

وزيدٌ هذا كان في الجمعين، ولعلَّه الفرد المعوَّل عليه في البين، لكن عراه في أولهما ما عراه، وفي ثانيهما ذكّره مَنْ تكفَّل بحفظ الذكر، فتدارك ما نساه.

وبعد انتشار هذه المصاحف بين هذه الأمة المحفوظة، لا سيَّما الصدر الأول الذي حوى من الأكابر ما حوى، وتصدَّر فيه للخلافة الراشدة عليٌّ المرتضى، وهو باب مدينة العلم لكلِّ عالم، والأسد الأشدُّ الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، لا يبقى في ذهن مؤمن احتمال سقوط شيءٍ بعدُ من القرآن، وإلا لوقع الشك في كثير من ضروريات هذا الدين الواضح البرهان.

(١) في المصاحف ١/ ٢٠٥-٢٠٧.

وزعمت الشيعة أنَّ عثمان، بل أبا بكر وعمر أيضاً حرَّفوه وأسقطوا كثيراً من آياته وسوره، فقد روى الكليني[(١)] منهم عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله: أنَّ القرآن الذي جاء به جبريل إلى محمد ﷺ سبعة عشر ألف آية[(٢)].

وروى محمد بن نصر عنه أنه قال: كان في: ﴿لَمْ يَكُنِ﴾ اسمُ سبعين رجلاً من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم.

ورَوَى عن سالم بن سليمة قال: قرأ رجل على أبي عبد الله ـ وأنا أسمعه ـ حروفاً من القرآن ليس ما يقرؤها الناس، فقال أبو عبد الله: مه عن هذه القراءات، واقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم، فإذا قام القائم فاقرأ كتاب الله على حدِّه.

ورَوَى عن محمد بن جهم الهلالي وغيره عن أبي عبد الله: أن ﴿أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ [النحل: ٩٢] ليس من كلام الله بل محرَّف عن موضعه، والمنزل: أئمة هي أزكى من أئمتكم.

وذكر ابن شهراشب[(٣)] المازندراني في كتاب «المثالب» له: أن سورة الولاية أسقطت بتمامها، وكذا أكثر سورة الأحزاب؛ فإنها كانت مثل سورة الأنعام، فأسقطوا منها فضائل أهل البيت، وكذا أسقطوا لفظ: ويلك، من قبل: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، و: عن ولاية عليٍّ، من بعد ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]، و: بعلي بن أبي طالب، من بعد ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ [الأحزاب: ٢٥]، و: آل محمد، من بعد: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ [الشعراء: ٢٢٧] إلى غير ذلك.

فالقرآن الذي هو بأيدي المسلمين اليوم شرقاً وغرباً، وهو لكُرةِ الإسلام ودائرة الأحكام مركزاً وقطباً، أشدُّ تحريفاً عند هؤلاء من التوراة والإنجيل، وأضعف تأليفاً

---

(١) بضم الكاف وإمالة اللام، محمد بن يعقوب، أبو جعفر، من أهل الري، سكن بغداد إلى حين وفاته سنة (٣٢٨هـ) وكتابه «الكافي» مشهور عن الشيعة كالبخاري عند السنة. الوافي بالوفيات ٥/ ٢٢٦.

(٢) في هامش الأصل و(م): والمشهور عندنا أنه ستة آلاف وستُّ مئة وست عشرة آية. اهـ منه.

(٣) كذا في الأصل و (م)، والصواب: شهراسوب ـ الثانية سين مهملة ـ كما في الوافي بالوفيات ٤/ ١٦٤، وبغية الوعاة ١/ ١٨١ وإعلام النبلاء ٤/ ٢٨٩، واسمه محمد بن علي بن شهراسوب، رشيد الدين، أبو جعفر السروري المازندراني، أحد شيوخ الشيعة، توفي سنة (٥٨٨هـ).

منهما، وأجمع للأباطيل، وأنت تعلم أنَّ هذا القول أوهى من بيت العنكبوت، وإنه لأوهن البيوت، ولا أراك في مرية من حماقة مدَّعيه وسفاهة مفتريه، ولمَّا تفطَّن بعض علمائهم لمَا به، جعله قولاً لبعض أصحابه.

قال الطبرسي في «مجمع البيان»(١): أما الزيادة فيه ـ أي: القرآن ـ فمجمَعٌ على بطلانها، وأما النقصان فقد روي عن قوم من أصحابنا وقوم من حشوية العامة، والصحيح خلافه، وهو الذي نصره المرتضى، واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء في «جواب المسائل الطرابلسيات»، وذكر في مواضع أنَّ العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان، والحوادث الكبار والوقائع العظام، والكتب المشهورة، وأشعار العرب المسطورة، فإنَّ الغاية اشتدَّت والدواعي توفَّرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حدٍّ لم تبلغه فيما ذكرناه؛ لأنَّ القرآن معجزة النبوة، ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية، وعلماءُ المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغايةَ، حتى عرفوا كلَّ شيء اختلف فيه من إعرابه وقراءته و حروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيَّراً أو منقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد.

وقال أيضاً: إنَّ العلم بتفصيل(٢) القرآن و أبعاضه في صحة نقله كالعلم بجملته، وجرى ذلك مجرى ما عُلِم ضرورةً من الكتب المصنفة؛ ككتاب سيبويه والمزني، فإنَّ أهل العناية بهذا الشأن يعلمون من تفصيلها ما يعلمونه من جملتها، حتى لو أنّ مُدخِلاً أدخل في كتاب سيبويه باباً من النحو ليس من الكتاب، لَعُرف ومُيِّز أنه ملحوق(٣)، وأنه ليس من أصل الكتاب، وكذا القول في كتاب المزني، ومعلوم أنَّ العناية بنقل القرآن وضبطه أصدقُ من العناية بضبط كتاب سيبويه ودواوين الشعراء.

وذكر أيضاً أنَّ القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن، واستدلَّ على ذلك بأنَّ القرآن كان يُدرَّس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان، وأنه كان يعرض على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويتلى عليه، وأنَّ

---

(١) ١/ ٣٠-٣١.
(٢) في مجمع البيان: بتفسير.
(٣) في مجمع البيان: ملحق.

جماعةً من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وأبيِّ بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي ﷺ عدَّة ختمات، وكلُّ ذلك يدلُّ بأدنى تأمُّلٍ على أنه كان مجموعاً مرتَّباً غير مبتور ولا مبثوث. وذكر أنَّ من خالف ذلك من الإمامية والحشوية لا يُعتدُّ بخلافهم؛ فإنَّ الخلاف في ذلك مضافٌ إلى قومٍ من أصحاب الحديث، نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحَّتها، لا يُرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع بصحته. انتهى.

وهو كلام دعاه إليه ظهور فساد مذهب أصحابه حتى للأطفال، والحمد لله على أنْ ظهر الحق وكفى الله المؤمنين القتال، إلا أنَّ الرجل قد دسَّ في الشهد سُمًّا، وأدخل الباطلَ في حمى الحق الأحمى.

أما أولاً: فلأنَّ نسبة ذلك إلى قوم من حشوية العامة الذين يعني بهم أهل السنة والجماعة فهو كذب أو سوء فهم؛ لأنهم أجمعوا على عدم وقوع النقص فيما تواتر قرآناً، كما هو موجود بين الدفتين اليوم، نعم أُسقط زمنَ الصديق ما لم يتواتر، وما نسختْ تلاوته وكان يقرأه من لم يبلغه النسخ، وما لم يكن في العرضة الأخيرة، ولم يألُ جهداً رضي الله عنه في تحقيق ذلك، إلا أنه لم ينتشر نوره في الآفاق إلا زمن ذي النورين، فلهذا نسب إليه.

كما روي عن حميدة بنت يونس أنَّ في مصحف عائشة رضي الله عنها: «إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً وعلى الذين يَصِلون الصفوف الأول»، وأن ذلك قبل أن يغيِّر عثمان المصاحف.

فما أخرج أحمد عن أبيٍّ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إنَّ الله أمرني أن أقرأ عليك، فقرأ علي: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ١-٤] إنَّ الدين عند الله الحنيفية، غيرُ المشركة، ولا اليهودية، ولا النصرانية، ومن يفعل ذلك فلن يُكفَره»[(١)].

وفي رواية: «ومن يعمل صالحاً فلن يكفره، وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة، إنَّ الذين كفروا وصدُّوا عن سبيل الله وفارقوا الكتاب

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ عبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (٢١٢٠٣)، وبنحوه أحمد (٢١٢٠٢).

لما جاءهم أولئك عند الله شرُّ البرية، ما كان الناس إلا أمة واحدة ثم أرسل الله النبيين مبشرين ومنذرين، يأمرون الناس يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويعبدون الله وحده أولئك عند الله خير البرية، جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه، ذلك لِمن خشي ربه»(١).

وفي رواية الحاكم: فقرأ فيها: «ولو أنَّ ابن آدم سأل وادياً من مال فأُعْطِيَه، يسأل ثانياً، ولو سأل ثانياً فأعطيه، يسأل ثالثاً، ولا يملأ جوفَ ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»(٢).

وما روي عنه أيضاً أنه كتب في مصحفه سورتي الخلع والحفد: «اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يَفجُرك، اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك، إنَّ عذابك بالكفار ملحق»(٣).

فهو من ذلك القبيل، ومثله كثير. وعليه يحمل ما رواه أبو عبيد(٤) عن ابن عمر قال: لا يقولنَّ أحدكم قد أخذت القرآن كله، وما يدريه ما كلُّه؟! قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن ليقل: قد أخذتُ منه ما ظهر.

والروايات في هذا الباب أكثر من أن تحصى إلا أنها محمولة على ما ذكرناه، وأين ذلك مما يقوله الشيعي الجسور؟! ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

وأما ثانياً: فلأنَّ قوله: إنَّ القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعاً مؤلَّفاً على ما هو عليه الآن إلخ. إن أراد به أنه مرتَّبُ الآي والسور كما هو اليوم، وأنه يقرأه من حفظه في الصدر من الأصحاب كذلك، لكنه كان مفرَّقاً في العُسُب واللِّخاف، فمُسَلَّم، إلا أنه خلاف الظاهر من سياق كلامه وسباقه. وإن أراد أنه كان في العهد النبوي مقروءاً كما هو الآن لا غير، وكان مرتَّباً ومجموعاً في

---

(١) أخرج هذه الرواية ابن مردويه، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٧٨.

(٢) المستدرك ٢/ ٢٢٤، وهو عند أحمد (٢١٢٠٢).

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٢٠-٤٢١ لابن الضريس في فضائل القرآن.

(٤) في فضائل القرآن ص١٩٠.

مصحف واحد غير متفرق في العُسُب واللِّخاف، فممنوع، والدليل الذي استدلَّ به لا يدلُّ عليه كما لا يخفى، ويالله العجب! كيف ذكر في هذا المعرض ختمات ابن مسعود وأبيٍّ على النبي ﷺ وجعل ذلك من أدلة مُدَّعاه، مع أنَّ مرويَّ كلٍّ منهما يخالف مرويَّ الآخر، وكلاهما يخالفان ما في المصحف العثماني، فالسور مثلاً في مصحفنا مئةٌ وأربعة عشرة بإجماع من يعتدُّ به، وقيل: ثلاثة عشر بجعل «الأنفال» و«براءة» سورةً واحدة، وفي مصحف ابن مسعود مئة واثنتا عشرة سورة؛ لأنه لم يكتب المعوِّذتين[1]، بل صحَّ عنه[2] أنه كان يحكُّهما من المصاحف ويقول: ليستا من كتاب الله تعالى.

وإنما أُمر النبيُّ ﷺ أن يَتعوَّذ بهما، ولهذا عوَّذ بهما الحسن والحسين[3].

ولم يتابعه أحد من الصحابة على ذلك، وقد صحَّ أنه ﷺ قرأهما في الصلاة[4]. فالظاهر أنهما غير متواترتين قرآناً عنده، والقول بأنه إنما أنكر الكتابة وأراد بالكتابِ المصحف ليتم التأويل، مستبعدٌ جدًّا، بل لا يصح كما لا يخفى.

وفي مصحف أبيٍّ خمسة عشر؛ لأنه كتب في آخره بعد «العصر» سورتي الخَلْع والحَفْد، وجعل سورة «الفيل وقريش» فيه سورة واحدة.

وترتيب كلٍّ أيضاً متغاير ومغاير لترتيب مصحفنا مغايرةً لا سترة عليها، فسورة

---

(١) في هامش الأصل و(م): ولم يكتب الفاتحة أيضاً، لكن لا لاعتقاد أنها ليست من القرآن، معاذ الله، ولكن للاكتفاء بحفظها؛ لوجوب قراءتها في الصلاة، فلا يخشى ضياعها. اهـ منه.

(٢) في هامش الأصل و(م): كما أخرجه عبد الرحمن بن أحمد والطبراني عن النخعي. اهـ منه. كذا ورد، والصواب: عبد الله بن أحمد والطبراني عن عبد الرحمن بن يزيد النخعي، وهو في مسند أحمد من زيادات ابنه عبد الله (٢١١٨٨)، والمعجم الكبير (٩١٥٠)، وينظر الإتقان ١/ ٢٤٨.

(٣) قوله: وإنما أمر النبي ﷺ أن يتعوذ... إلخ، ليس من خبر ابن مسعود الأول، وقد ورد ضمن خبرين، أحدهما أخرجه أحمد (٢١١٨٩)، والآخر أخرجه البزار (١٥٨٦)، والطبراني (٩١٥٢).

(٤) أخرجه الحاكم ١/ ٢٤٠ و ٥٦٧، والبيهقي ٢/ ٣٩٤ من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه. قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. اهـ. وأخرج مسلم (٨١٤) من حديث عقبة أيضاً قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أنزل ـ أو أنزلت ـ عليَّ آياتٌ لم يُر مثلهن قط: المعوِّذتين».

«ن» في مصحف ابن مسعود بعد «الذاريات»، و«لا أقسم بيوم القيامة» بعد «عم»، و«النازعات» بعد «الطلاق»، و«الفجر» بعد «التحريم» إلى غير ذلك، وسورة «بني إسرائيل» في مصحف أبيٍّ بعد «الكهف»، و «الحجرات» بعد «ن»، و «تبارك» بعد «الحجرات»، و «النازعات» بعد «الواقعة»، و «ألم نشرح» بعد «قل هو الله أحد»، مع اختلاف كثير يظهر لِمن رجع إلى الكتب المتقنة في هذا الباب.

وكأنَّ رانَ البغضِ غطَّى على قلب هذا البعض، فقال ما قال، ولم يتفكَّر في حقيقة الحال، ولَم يبالِ بوقع النِّبال، قاصداً أن يستر بمنخلٍ مختلٍّ كذبِه نورَ ذي النورين، الساطع عليه من برج شمس الكونين، ومن بدر صحبه، مع أن نسبة هذا الجمع إليهما من أوضح الأمور بل أشهر من المشهور، وهو شائع أيضاً عند الشيعة وليس لهم إلى إنكاره ذريعة، ولكن مركب التعصُّب عثور، ومذهب التعسف محذور.

وإذا حقَّقتَ ما ذكرناه، ووعيت ما عليك تلوناه، فاعلم أنَّ ترتيب آيه وسوره بتوقيفٍ من النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم.

أما ترتيب الآي فكونه توقيفيًّا مِما لا شبهة فيه، حتى نقل جمع منهم الزركشيُّ[١] وأبو جعفر[٢] الإجماع عليه من غير خلاف بين المسلمين، والنصوص متضافرة على ذلك.

وما يدلُّ بظاهره من الآثار على أنه اجتهاديٌّ، معارَضٌ ساقطٌ عن درجة الاعتبار؛ كالخبر الذي أخرجه ابن أبي داود بسنده عن [يحيى بن عباد بن] عبد الله بن الزبير، عن أبيه قال: أتى الحارث بن خزيمة بهاتين الآيتين من آخر سورة براءة فقال: أشهد أني سمعتهما من رسول الله ﷺ ووعيتهما، فقال عمر: وأنا أشهد لقد سمعتهما، ثم قال: لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة، فانظروا آخر سورة من القرآن فألحقوهما في آخرها[٣].

---

(١) في هامش الأصل و(م): في البرهان. اهـ منه. وينظر البرهان ١/٢٥٦، والإتقان ١/١٩٠.

(٢) في هامش الأصل و(م): في المناسبات. اهـ منه. وأبو جعفر هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، توفي سنة (٧٠٨هـ). الإحاطة في أخبار غرناطة ١/١٨٨. وكلامه في الإتقان ١/١٩٠.

(٣) المصاحف ١/٢٢١، وما بين حاصرتين منه.

فإنه معارَض بِما لا يحصى مِما يدلُّ على خلافه، بل لابن أبي داود مُخرِجه خبرٌ يعارضه أيضاً، فقد أخرج أيضاً عن أبيٍّ أنَّهم جمعوا القرآن، فلما انتهوا إلى الآية التي في سورة براءة: ﴿ثُمَّ انصَرَفُواْ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة:١٢٧] ظنوا أنَّ هذا آخر ما نزل، فقال أبيٌّ: إنَّ رسول الله ﷺ أقرأني بعد هذا آيتين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ [التوبة:١٢٨] إلى آخر السورة(١).

وأما ترتيب السور ففي كونه اجتهاديًّا أو توقيفيًّا خلاف، والجمهور على الثاني؛ قال أبو بكر الأنباري(٢): أنزل الله تعالى القرآن كلَّه إلى سماء الدنيا، ثم فرَّقه في بضعٍ وعشرين، فكانت السورة تنْزل لأمرٍ يحدث، والآيةُ جواباً لمستخبرٍ، فيوقِفُ جبريل النبيَّ صلى الله تعالى عليه وسلم على موضع الآية والسورة، فمن قدَّم أو أخَّر فقد أفسد نظم القرآن(٣).

وقال الكرماني(٤): ترتيب السور هكذا هو عند الله تعالى في اللوح المحفوظ، وعليه كان رسول الله ﷺ يعرض على جبريل كلَّ سنة ما كان يجتمع عنده منه، وعرضه(٥) عليه في السنة التي تُوفِّي فيها مرتين. وقال الطيبِي مثله، وهو المرويُّ عن جمعٍ غفير.

إلا أنه يشكل على هذا ما أخرجه أحمد والترمذي وأبو داود والنسائيُّ وابن

---

(١) المصاحف ١/ ٢٢٢-٢٢٣.

(٢) في هامش الأصل و(م): وهذا آخر قوليه. اهـ منه.

(٣) في هامش الأصل و(م): وبعضهم استنبط عمر النبي ﷺ ثلاثاً وستين سنة من قوله في سورة المنافقين: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾. فإنها رأس ثلاث وستين سورة، وعقبها بالتغابن للإشارة إلى ظهور التغابن بعد فقده ﷺ. اهـ منه.

(٤) في الأصل بين الأسطر: في البرهان. اهـ والكرماني هو محمود بن حمزة بن نصر المقرئ الشافعي، أبو القاسم، المعروف بتاج القراء، مؤلف كتاب لباب التفاسير، وكتاب البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، وغيرهما، توفي بعد سنة (٥٠٠هـ). طبقات القراء لابن الجزري ٢/ ٢٩١، و كشف الظنون ١/ ٢٤١. وكلامه في البرهان للزركشي ١/ ٢٥٩، والإتقان ١/ ١٩٥ وعنه نقل المصنف.

(٥) في الأصل و (م): وعرض، والمثبت من الإتقان.

حبان والحاكم عن ابن عباس[١]، قال: قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين[٢]، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر: بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموها في السبع الطوال؟ فقال عثمان: كان رسول الله ﷺ ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب، فيقول: «ضعوا[٣] هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا»، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً، وكانت قصَّتها شبيهةً بقصتها، فظننتُ أنَّها منها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبيِّن لنا أنَّها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولَم أكتب بينهما سطرَ: بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتهما في السبع الطوال.

فهذا يدلُّ على أنَّ الاجتهاد دَخَل في ترتيب السور، ولِهذا ذهب البيهقيُّ إلى أنَّ جميع السور ترتيبها توقيفيٌّ إلا براءة والأنفال، وله انشرح صدر الإمام السيوطي لما ضاق ذرعاً عن الجواب[٤].

والذي ينشرح له صدر هذا الفقير هو ما انشرحت له صدور الجمع الغفير، من أنَّ ما بين اللوحين الآن موافقٌ لما في اللوح من القرآن، وحاشا أن يهمل ﷺ أمرَ القرآن، وهو نور نبوَّته وبرهان شريعته، فلا بدَّ إما من التصريح بمواضع الآي والسور، وإما من الرمز إليهم بذلك، وإجماعُ الصحابة في المآل على هذا الترتيب؛ وعدولهم عما كان أولاً من بعضهم على غيره من الأساليب، وهم الذين لا تلين قلوبهم[٥] لباطل، ولا يصدعهم[٦] عن اتِّباع الحق لوم لائم ولا قول قائل، أقوى دليل على أنَّهم وجدوا ما أفادهم علماً، ولم يدع عندهم خيالاً ولا وهماً.

---

(١) أحمد (٣٩٩)، وسنن الترمذي (٣٠٨٦)، وسنن أبي داود (٧٨٦)، (٧٨٧)، وسنن النسائي الكبرى (٧٩٥٣)، وصحيح ابن حبان (٤٣)، والمستدرك ٢/ ٢٢١، ٣٣٠. وهو حديث ضعيف، وينظر الكلام عليه في حاشية مسند أحمد.

(٢) في هامش الأصل و(م): المئين: ما تزيد على مئة آية، أو تقاربها. والمثاني هنا: ما ولي المئين.

(٣) في الأصل و (م): دعوا. والمثبت من مصادر التخريج.

(٤) الإتقان ١/ ١٩٨.

(٥) في (م): قناتهم.

(٦) في (م): يصدهم.

وعثمان ﷺ وإن لم يقف على ما يفيده القطع في براءة والأنفال، وفعل ما فعل بناءً على ظنه، إلا أنَّ غيرَه وقف، وقَبِلَ ما فعله ولم يتوقف، وكم لعمر ﷺ موافقات لربِّه أدَّى إليها ظنُّه، فليكن لعثمان هذه الموافقة التي ظفر غيرُه بتحقيقها من النصوص أو الرموز فسكت، على أنَّ ذلك كان قبل ما فعل عثمان عند التحقيق، ولكن لما رفعت الأقلام وجفَّت الصحف، واجتمعت الكلمة في أيامه واقتدتِ المسلمون في سائر الآفاق بإمامه، نُسب ذلك إليه، وقُصِرَ من دونهم عليه، والسؤالُ منه وجوابه ليسا قطعيين في الدلالة على الاستقلال؛ لجواز أن يكون السؤال للاستخبار عن سرِّ عدم المخالفة، والجواب لإبدائه على ما خطر في البال.

وبالجملة: بعد إجماع الأمة على هذا المصحف لا ينبغي أن يُصاخ إلى آحاد الأخبار، ولا يُشرأبَّ إلى تطلُّع غرائب الآثار، فافهم ذاك، والله سبحانه وتعالى يتولى هداك.

الفائدة السابعة

في بيان وجه إعجاز القرآن:

اعلم أنَّ إعجاز القرآن مِما لا مرية فيه ولا شبهة تعتريه، وأرى الاستدلال هنا عليه مِما لا يحتاج إليه، والشُّبهُ صرير باب أو طنين ذباب، والأهم بالنسبة إلينا بيانُ وجه الإعجاز، والكلامُ فيه على سبيل الإيجاز، فنقول: قد اختلف الناس في ذلك، فذهب بعض المعتزلة إلى أنَّ وجه إعجازه اشتمالُه على النَّظْم الغريب والوزن العجيب، والأسلوب المخالف لِما استنبطه البلغاء من العرب في مطالعه وفواصله ومفاصله، ورُدَّ بوجهين:

الأول: أنَّا لا نُسلِّم المخالفة، فإنَّ كثيراً من آياته على وزن أبيات العرب، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر:١٨] وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣] ومثله كثير.

الثاني: أنَّا لو سلَّمنا المخالفة، لكن لا نُسلِّم أنه لمجرَّدها يكون معجزاً، وإلا لكانت حماقات مسيلمةَ ـ إذ هي على وزنه ـ كذلك.

وذهب الجاحظ إلى أنه اشتمالُه على البلاغة التي تتقاصر عنها سائر ضروب البلاغات، ورُدَّ بوجوه:

الأول: أنَّا إذا نظرنا إلى أبلغ الخُطَب وأجزل الشعر، وقطعنا النظر عن الوزن وقسناه بقصار القرآن، كان الأمر في التفاوت ملتبساً، والمعجز لا بدَّ أن ينتهي إلى حدٍّ لا يبقى معه لبس ولا ريبة.

الثاني: أنَّ القرآن غيرُ خارجٍ عن كلام العرب، وما من أحدٍ من بلغائهم إلا وقد كان مقدوراً له الإتيانُ بقليلٍ من مثل ذلك، والقادر على البعض قادرٌ على الكل.

الثالث: أنَّ الصحابة اختلفوا في البعض، ولو كان منتهياً إلى الإعجاز بلاغةً لعرفوه وما اختلفوا.

الرابع: أنَّهم طلبوا البيِّنة مِمَّن أتى بشيءٍ منه، ولو كانت بلاغته منتهيةً إلى حدِّ الإعجاز ما طلبوها.

الخامس: أنَّ في كلِّ عصرٍ مَنْ تنتهي إليه البلاغة، وذلك غير موجب للإعجاز ولا للدلالة على صدق مدَّعي الرسالة؛ لجواز أن يكون هو من انتهت إليه.

وقيل: هو اشتماله على الإخبار بالغيب، ورُدَّ:

أما أولاً: فبأنَّ الإصابة في المرة والمرتين ليست من الخوارق، والحدُّ الذي يصير به الإخبار خارقاً غيرُ مضبوط، فإذاً لا يمتنع أن يقال: ما اشتمل عليه القرآن لم يصل إليه.

وأما ثانياً: فبأنه يلزم أن يكون إخبار المنجِّمين والكهنة عن الأمور المغيَّبة مع كثرة إصابتها معجزة.

وأما ثالثاً: فبأنه يلزم أن تكون التوراة كذلك؛ لاشتمالها كاشتماله.

وأما رابعاً: فبأنه يلزم أن يكون الخالي عن الإخبار بالغيب من القرآن غير معجز.

وقيل: هو كونه مع طوله وامتداده غير متناقض ولا مختلف، وأُبطل بوجهين:

الأول: أنَّا لا نسلِّم عدم التناقض والاختلاف فيه؛ أما التناقض فقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس:٦٩] والبحور كلُّها فيه، وقال

تعالى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون:١٠١] ثم قال: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات:٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾ [الكهف:٥٥] فحصر المانع في أحد السببين، وقال: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء:٩٤] فحصر المانع في غيرهما، إلى غير ذلك.

وأما الاختلاف فكقوله تعالى: «كالصوف المنفوش»[(١)] بدل ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة:٥]، وقوله تعالى: «ضربت عليهم المسكنة والذلة» بدل قوله: ﴿ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة:٦١]، وقوله تعالى: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أبٌ لهم»[(٢)]، وقوله تعالى في خلق آدم مرَّة من تراب ومرَّة من حمأ ومرَّة من طين ومرَّة من صلصال.

على أنَّ فيه تكراراً لفظياً ومعنويًّا، كما في «الرحمن» وقصة موسى مثلاً، وتعرُّضاً لإيضاح الواضحات كما في قوله تعالى: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة:١٦٩]. وقال عثمان: إنَّ في القرآن لحناً ستقيمه العرب بألسنتها[(٣)].

الثاني: أنَّا لو سلَّمنا السلامة من جميع ذلك، لكنه ليس بإعجاز إذ هو موجود في كثيرٍ من الخطب والشعر، ويظهر كلِّيًّا فيما يكون على مقدار بعض السور القصار بتقدير التحدِّي بِها.

وقيل: هو موافقته لقضية العقل ودقيق المعنى. ورُدَّ بأنه معتاد في أكثر كلام البلغاء، وينتقض أيضاً بكلام الرسول الغير المعجز وبالتوراة والإنجيل.

وقيل: إعجازه قِدمه. واعتُرض بأنه يستدعي أن يكون كلٌّ من صفاته تعالى كذلك، وأيضاً الكلام القديم مِما لا يمكن الوقوف عليه، فلا يتصور التحدِّي به.

(١) ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٧٨ عن ابن مسعود.
(٢) ذكرها الفراء في معاني القرآن ٢/ ٣٣٥ عن أبيٍّ ﷺ.
(٣) وهو خبر ضعيف وسيأتي الكلام عليه قريباً، وعند تفسير الآية (١٦٢) من سورة النساء.

وقال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني[١] والنظَّام[٢]: إعجازه بصرف دواعي بلغاء العرب عن معارضته. وقال المرتضى[٣]: بسلبهم العلوم التي لا بدَّ منها في المعارضة.

واعتُرِض بأربعة أوجه:

الأول: أنه يستلزم أن يكون المعجز الصُّرفة لا القرآن، وهو خلاف ما عليه إجماع المسلمين من قبل.

الثاني: أنَّ التحدِّي وقع بالقرآن على كلِّ العرب، فلو كان الإعجاز بالصُّرفة لكانت على خلاف المعتاد بالنسبة إلى كل واحدٍ؛ ضرورةَ تحقُّق الصُّرفة بالنسبة إليه، فيكون الإتيان بِمثل كلام القرآن معتاداً له، والمعتاد لكلٍّ ليس هو الكلام الفصيح، بل خلافه، فيلزم أن يكون القرآن كذلك، وليس كذلك.

الثالث: أنه يستلزم أن يكون مثل القرآن معتاداً من قبل؛ لتحقُّق الصُّرفة من بعد، فتجوز المعارضة بما وجد من كلامهم مثل القرآن قبلها.

الرابع: وهو خاصٌّ بمذهب المرتضى: أنه لو كان الإعجاز بفقدهم العلوم، لتناطقوا به، ولو تناطقوا لشاع؛ إذ العادة جارية بالتحدُّث بالخوارق، فحيث لم يكن، دلَّ على فساد الصُّرفة بهذا الاعتبار.

واستدلَّ بعضهم على فساد القول بِها بقوله تعالى: ﴿لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾ الآية [الإسراء:٨٨] فإنه يدلُّ على عجزهم مع بقاء قُدَرِهم، ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم؛ لأنه بِمنْزلة اجتماع الموتى، وليس عجز الموتى مِما يحتفل بذكره. ولا بأس بانضمامه إلى ما ذكرناه، وأما الاكتفاء به في الاستدلال فلا أظنك ترضاه.

---

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإسفراييني الأصولي الشافعي، توفي بنيسابور سنة (٤١٨هـ). سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٥٣-٣٥٤.

(٢) شيخ المعتزلة إبراهيم بن سيار صاحب التصانيف، توفي في خلافة المعتصم أو الواثق سنة بضع وعشرين ومئتين. سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٤١-٥٤٢.

(٣) هو الشريف، أبو القاسم، علي بن الحسين نقيب الطالبيين، كان إماماً في علم الكلام والأدب والشعر، وله تصانيف، وهو أخو الشريف الرضي، توفي سنة(٤٣٦ هـ). وفيات الأعيان ٣/ ٣١٣.

وقال الآمديُّ[(١)] وغيره: الإعجاز بِجملته[(٢)]، وبالنظر إلى نظمه وبلاغته وإخباره عن الغيب. وارتضاه الكثير.

وقولهم فيما قيل: لا نسلِّم المخالفة إلخ. يجاب عنه: بأنَّ ما ذكروه وإن كان على وزن الشعر إلا أنه لا يُعدُّ شعراً، ولا قائلُه شاعراً؛ لأنَّ الشعر ما قصد وزنه، وحيث لا قَصْدَ لا شعر، وقد يعرض للبلغاء في سرد خطبهم المنسجمة مثل ذلك، بل قد يتفق لمن لا يعرف الشعر رأساً من العوام كلمات متَّزنة، نحو قول السيد لعبده مثلاً: ادخل السوق واشتر اللحم واطبخ، ولهذا قال الوليد[(٣)] لما قرأ عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن، فكأنما رقَّ له، فاقترح عليه أبو جهل أن يقول فيه ما يبلغ قومه أنه منكرٌ له وكاره: ماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجلٌ أعلمَ بالشعر مني، ولا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إنَّ لقوله الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمُثمِرٌ أعلاه ومُغدقٌ أسفله، وإنه ليعلو ولا يُعلى، وإنه ليحطم ما تحته[(٤)].

وقولهم: إنَّا لو سلَّمنا إلخ، مسلَّمٌ، لكن لا يلزم أن لا يكون مع البلاغة والإخبار بالغيب معجزاً، ومن هنا يعلم الجواب عن الاعتراض على أنَّ وجه إعجازه بلاغتُهُ، على أنَّ الأوجُهَ الخمسةَ التي ذكروها فيه باطلة:

أما الأول: فلأنَّ التفاوت بيِّنٌ لِمن تحدَّى به من البلغاء، ولذا لم يعارض، وغيرهم عَمٍ عن ذلك لقصوره في الصناعة، فلا اعتداد به ولا مضرَّة؛ لثبوت الإعجاز

(١) في كتاب الإحكام في أصول الأحكام ١/١٣٨. والآمدي هو سيف الدين علي بن أبي عليٍّ محمد التغلبي الحنبلي ثم الشافعي، توفي سنة (٦٣١هـ). السير ٢٢/ ٣٦٤.

(٢) في هامش الأصل و(م): كون الإعجاز بالجملة نسبه الإمام السيوطي لبعض المعتزلة، وقد ورد التحدي بكل القرآن وبعشر سور وبسورة، قيل: ولو قصيرة لظاهر الإطلاق، وقيل: تبلغ مبلغاً يتبين فيه رتب ذوي البلاغة. فافهم وتدبر. اهـ منه.

(٣) في هامش الأصل و(م): والخبر طويل أخرجه الحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس. اهـ منه.

(٤) أخرجه الحاكم ٢/ ٥٠٧ من حديث ابن عباس رضي الله عنه، وقال: صحيح الإسناد على شرط البخاري، ولم يخرجاه.

بعجز أولئك، ثم قياس أقصر سورة على ما ذكروه، عدولٌ عن سواء السبيل[١].

وأما الثاني: فلأنَّ القدرة على البعض لا تستلزم القدرة على الكل، ولهذا نجد الكثير قادراً على بليغِ فقرةٍ أو فقرتين، أو بيت أو بيتين، ولا يقدر على وضع خطبة ولا نظم قصيدة.

وأما الثالث: فلأنَّ الصحابة لم يختلفوا فيما اختلفوا فيه أنه نازلٌ على النبي ﷺ من ربه، أو أنَّ بلاغته غيرُ معجزة، ولكنهم اختلفوا في أنه قرآن، وذلك لا يضرُّ فيما نحن بصدده.

وأما الرابع: فلأنَّ طلب البيِّنة لِما قدمناه في الفائدة السادسة، أو للوضع والترتيب كما قيل، أو لمزيد الاحتياط في هذا الأمر الخطير.

وأما الخامس: فلأنَّ المعجِز يظهر في كل زمان من جنس ما يغلب، ويبلغ فيه الغاية القصوى، ويوقَفُ فيه على الحدِّ المعتاد، حتى إذا شوهد ما هو خارج عن الحدِّ عُلم أنه من عند الله، وإلا لم يتحقق عند القوم معجزة النبيِّ، ولَظنُّوا أنَّهم لو كانوا من أهل تلك الصنعة أو متناهين فيها لأمكنهم أن يأتوا بِمثلها، والبلاغةُ قد بلغت في ذلك العهد حدَّها وكان فيها فَخارهم، حتى عُلِّقت السبع بباب الكعبة تحدِّياً بِمعارضتها، فلما أتى الرسول ﷺ بما عجزوا عن مثله ـ مع كثرة المنازعة والتشاجر والافتراق ـ علم أنَّ ذلك من عند الله تعالى بلا ريب.

واعتراضهم على كون الإخبار بالغيب معجزاً مكابرةٌ، فإنَّ الإخبار عن الغائبات مع التكرر والإصابة غيرُ معتادٍ، ولا معنى لكونه معجزاً غير هذا، وما ذكروه من الوجوه باطل:

أما الأول: فلأنه لا يلزم من عدم كون الإصابة في المرة والمرتين من الخوارق أن لا تكون الإصابة في الكرَّات الكثيرة منها، والضابط العرف، ولا يخفى أنَّ ما ورد من أخبار الغيب في القرآن مما يُعدُّ في نظر أهل العرف كثيراً لا يعتاد الإصابة فيه بِجملته.

---

(١) في هامش الأصل و(م): على أنه يكفينا في الغرض كون القرآن بجملته أو بسوره الطوال معجزٌ. فافهم. اهـ منه.

وأما الثاني: فلأنَّ أخبار المنجِّمين ما كان كاذباً منها لا احتجاج به، وما كان صادقاً وتكرَّرت الإصابة فيه؛ كالكسوف والخسوف غيرُ واردٍ؛ لأنه من الحساب المعتاد لِمن يتعاطى صناعة التنجيم، وأخبار القرآن بالغيوب ليست كذلك، وأما أخبار الكهنة فالقول فيها كما في السحر.

وأما الثالث: فلأنَّ ما في التوراة من الإخبار بالغيب إن كان كثيراً خارقاً للعادة ووقع التحدِّي به، فهو أيضاً معجز وآيةُ صدقٍ لمن أتى به، ولا يضرُّنا التزام ذلك.

وأما الرابع: فلأنَّه لا يَرِدُ على من يقول: وجه الإعجاز مجموعُ ما تقدَّم أصلاً. ومن يقول: وجهه مجرَّدُ الإخبار بالغيب، يقول بأنَّ الخالي من ذلك غيرُ معجزٍ، وإنَّما الإعجاز في القرآن بجملته، ويكفي ذلك في غرضه.

والاعتراض على كون وجه الإعجاز عدم التناقض والاختلاف مع الطول والامتداد بوجهيه مدفوع:

أما الأول: فلأنَّ اشتمال القرآن على الشعر قد سبق جوابه فلا يناقض ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ [يس:٦٩]. وأما الآيتان الأوليتان فقد أجاب عنهما ابن عباس حين سأله رجل عن آياتٍ من هذا القبيل: بأنَّ نفيَ المسألة قبل النفخة الثانية، وإثباتها فيما بعد(١).

والسُّدِّي: بأنَّ نفي المسألة عند تشاغلهم بالصعق والمحاسبة والجواز على الصراط، وإثباتها فيما عداها.

وابن مسعود: بأن المسألة المنفيَّة طلب بعضهم العفوَ من بعض، والمثبتة على ظاهر معناها، فلا منافاة.

وأما الآيتان الأخريتان: فمعنى الأولى منهما: وما منع الناس أن يؤمنوا إلا إرادة الله أن تأتيهم سنةُ الأولين من نحو الخسف، أو يأتيهم العذاب قُبلاً في الآخرة، ولا شك أنَّ إرادة الله تعالى مانعةٌ من وقوع ما ينافي المراد، فهذا حَصرٌ في السبب الحقيقي.

---

(١) أخرجه البخاري قبل الحديث (٤٨١٦).

ومعنى الثانية: وما منع الناس أن يؤمنوا إلا استغراب بعثة البشر رسولاً، وهو مدلول القول التزاماً، والدال لا يناسب المانعية، والمدلول ليس مانعاً حقيقيًّا بل عاديّ؛ لجواز وجود الإيمان معه، فهو حصرٌ في المانع العاديّ، فلا تناقض. وسيأتي لهذا إن شاء الله تعالى زيادة تحقيق، وكذا لأمثاله مِما يضيق عنه هذا المبحث.

وأما الاختلاف المذكور فليس هو المنفيُّ في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢] لأنَّ المراد به أحدُ أمرين؛ الأول: الاختلاف المناقض للبلاغة، والثاني: الاختلاف فيما أخبر عنه من قصص الماضين وسير الأولين مع أمِّيَّة من جاء به، وعدم دراسته للعلوم ومطالعته للكتب، ولا شك أنه لم يوجد في القرآن شيء من هذه الاختلافات. على أنَّ أمثالَ بعض ما ذُكر من الاختلاف ليس بقرآن؛ لأنه لم يتواتر، وأمثال البعض الآخر اختلاف مقالٍ لا اختلاف أحوال. والمرجع إلى جوهرٍ واحد، وهو التراب في خلق آدم مثلاً، ومنه تدرَّجت تلك الأحوال، وأيُّ ضرر في ذلك؟

وأما التكرار اللفظي والمعنوي فلا يخلو عن فائدة لا تحصل من غير تكرار؛ كبيان اتساع العبارة، وإظهار البلاغة، وزيادة التأكيد والمبالغة، إلى غير ذلك مِما قد أمعن المفسرون في تحقيقه وبيانه، وستراه بحوله تعالى.

وأما ما يتوهَّم فيه أنه من قبيل إيضاح الواضحات، فليس يخلو عن درء احتمال، ودفع خيال، فإنه لو لم يقل فيما ذكر من الآية ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة:١٩٦] لتُوهِّم ولو على بُعْدٍ أن المراد: وتمامُ سبعةٍ إذا رجعتم. بل في ذلك غير هذا أسرار ستأتيك بعون باريك.

وأما قول عثمان: إنَّ في القرآن لحناً إلخ، فهو مشكلٌ جدًّا، إذ كيف يُظَنُّ بالصحابة أولاً اللحن في الكلام، فضلاً عن القرآن، وهم هم؟! ثم كيف يُظَنُّ بهم ثانياً اجتماعهم على الخطأ وكتابته، ثم كيف يُظَنُّ بهم ثالثاً عدم التنبُّه والرجوع، ثم كيف يُظَنُّ بعثمان عدم تغييره، وكيف يتركه لِتُقيمه العرب، وإذا كان الذين تولَّوا جمعه لم يُقيموه، وهم الخيار، فكيف يقيمه غيرهم؟! فلعمري إنَّ هذا مما يستحيل عقلاً وشرعاً وعادة.

فالحقُّ أنَّ ذلك لا يصحُّ عن عثمان، والخبر ضعيفٌ مضطرب منقطع، وقد أجابوا عنه بأجوبة لا أراها تقابل مؤنةَ نقلها، والذي أراه أنَّ رواة هذا الخبر سمعوا شيئاً ولم يتقنوه فحرَّفوه، فلزم الإشكال وحلَّ الداء العضال، وهو ما روي بالسند عن عبد الله بن عبد الأعلى قال: لما فُرغ من المصحف أُتي به عثمان فنظر فيه، فقال: أحسنتم وأجملتم، أرى شيئاً سنقيمه بألسنتنا.

وهذا لا إشكال فيه؛ لأنه عُرض عليه عقيب الفراغ من كتابته، فرأى فيه ما كتب على غير لسان قريش، ثم وفَى بذلك عند العرض والتقويم ولم يترك فيه شيئاً، ولا أحسبك في مرية من ذلك.

نعم يبقى ما روي بسند صحيح على شرط الشيخين عن هشام بن عروة عن أبيه قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن لحن القرآن عن قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: ٦٣] وعن قوله: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النساء: ١٦٢] وعن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ [المائدة: ٦٩] فقالت: يا ابن أخي هذا عمل الكُتَّاب أخطؤوا في الكتاب.

وكذا ما روي عن سعيد بن جبير كان يقرأ: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ١٦٢] ويقول: هو لحنٌ من الكاتب.

ويجاب عن الأول بأنَّ معنى قولها: أخطؤوا، أي: في اختيار الأَوْلَى من الأحرف السبعة لجمع الناس عليه، لا أنَّ الذي كتبوه من ذلك خطأ لا يجوز، فإنَّ ما لا يجوز مردود وإن طالت مدة وقوعه، وهذا الذي رأته عائشة، وكم لها من رأي رضي الله عنها.

وعن الثاني: بأنَّ معنى قوله: لَحنٌ من الكاتب، لغةٌ وقراءة له، وفي الآية قراءة أخرى، وللنحويين في توجيه هذه القراءات كلام طويل ستسمعه فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وأما الوجه الثاني: فلأنَّ من ذهب إلى أنَّ وجه الإعجاز عدم التناقض والاختلاف مع الطول والامتداد، يقول: القرآن بجملته معجزٌ لذلك، فسلامةُ كثيرٍ من الخُطَب والشعر من ذلك، وظهورُ ذلك كليًّا فيما يكون على مقدار بعض السور القصار، لا يضرُّه شيئاً كما لا يخفى، فتدبر.

وقد أطال العلماء الكلامَ على وجه إعجاز القرآن، وأتوا بوجوه شتَّى الكثيرُ منها خواصُّه وفضائله، مثل الروعة التي تلحق قلوب سامعيه، وأنه لا يَملُّه تاليه بل يزداد حبًّا له بالترديد، مع أنَّ الكلام يُعادَى إذا أعيد، وكونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفُّل الله تعالى بحفظه.

والذي يخطر بقلب هذا الفقير أنَّ القرآن بجملته وأبعاضه حتى أقصر سورة منه معجزٌ بالنظر إلى نظمه وبلاغته، وإخباره عن الغيب، وموافقته لقضية العقل ودقيق المعنى، وقد يظهر كلُّها في آية، وقد يستتر البعض كالإخبار عن الغيب، ولا ضيرَ ولا عيب، فما يبقى كافٍ وفي الغرض واف.

نُجُومُ سَماءٍ كُلَّما انقضَّ كَوكَبٌ   بَدَا كَوْكَبٌ تَأْوِي إليه كَوَاكِبُهْ[1]

أما بيان كون النظم معجزاً فلأنَّ مراتب تأليف الكلام على ما قيل خمس: الأولى: ضمُّ الحروف المبسوطة بعضها إلى بعض، فتحصل الكلمات الثلاث: الاسم والفعل والحرف.

والثانية: تأليف هذه الكلمات بعضها إلى بعض، فتحصل الجمل المفيدة، وهو النوع الذي يتداوله الناس جميعاً في مخاطباتهم وقضاء حوائجهم، ويقال له: المنثور.

والثالثة: ضمُّ ذلك إلى بعضٍ ضمًّا له مَبادٍ ومقاطعُ ومداخلُ ومخارج، ويقال له: المنظوم.

والرابعة: أن يعتبر في أواخر الكلام مع ذلك تسجيع، ويقال له: المُسجَع.

والخامسة: أن يحصل له مع ذلك وزنٌ، ويقال له إن قُصِد: الشعر والمنظوم؛ إما محاورةً و يقال له: الخطابة، وإما مكاتبة، ويقال له: المراسلة[2].

فأنواع الكلام لا تخرج عن هذه الأقسام، ولكلٍّ من ذلك نظمٌ مخصوص، والقرآن جامعٌ لمحاسن الجميع بنظمٍ مكتسٍ أبهى حُلَل، و مُتعرٍّ عن كلِّ خلل،

---

(١) البيت لأبي الطمحان القيني، وهو في الكامل للمبرد ١/ ٦٨، وأمالي المرتضى ١/ ٢٥٧، وديوان المعاني ١/ ٢٢، والحماسة البصرية ١/ ١٦١.

(٢) في (م): الرسالة.

ومشتمل على خواصَّ ما شامَها سواه، ومزايا ما سامها عند أهل النقد نظمٌ إلا إياه.

مِنْ كُلِّ لَفْظٍ تكادُ الأُذْنُ تَجْعَلُه ربًّا ويَعْبُدُه القِرطاسُ والقَلَمُ

ويؤيِّد ذلك أنه لا يصح أن يقال له رسالة أو خطابة أو سجع، كما يصحُّ أن يقال هو كلام، والبليغ إذا قرع سمعه، فصل بينه وبين ما عداه من النظم بلا ترديد، وهذا مما لا خفاء فيه على الرجال حتى على الوليد.

وأما بيان ذلك في البلاغة فهو أنَّ أجناس الكلام مختلفة، ومراتبها في البيان متفاوتة؛ فمنها البليغ الرصين الجزل، ومنها الفصيح القريب السهل، ومنها الجاري الطلق المرسل، وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود؛ فالأول أعلاها، والثاني أوسطها، والثالث أدناها و أقربها، وقد حازت بلاغة القرآن من كلِّ قسم من هذه الأقسام أوفَر حصَّةٍ، وأخذت من كلِّ نوعٍ أعظمَ شعبة، فانتظم لها بانتظام هذه الأوصاف نمطٌ من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة، وهما كالمتضادَّين، فكان اجتماع الأمرين فيه مع نبوِّ كلٍّ منهما عن الآخر فضيلةً ومنزلةً جليلةً، وقد خُصَّ بذلك القرآن، كما لا يخفى على ذوي الفطر السليمة[1] ومن كان له في علم البلاغة إتقان.

وأما بيان إعجاز اشتماله على الإخبار بالغيب فلأنه تضمَّن ما يحكم العرف بكثرته، من أخبار القرون الماضية، والأمم البائدة، والشرائع الدائرة، مِما كان لا يَعلم منه القصة الواحدة إلا الفذُّ من أحبار أهل الكتاب، الذي قطع عمره في تعلُّم ذلك وتتبُّعه، فيورده القرآن على وجهه ويأتي به على نصِّه. ومن المعلوم أنَّ من أتى به أُميٌّ لا يقرأ ولا يكتب ﷺ.

مع الإعلام بما في ضمائر كثيرين من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل؛ كقوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ [آل عمران: ١٢٢] وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ﴾ [المجادلة:٨].

(١) في هامش الأصل و(م): قال السكاكي: اعلم أن إعجاز القرآن يدرك ولا يمكن وصفه، كاستقامة الوزن والملاحةِ وطيبِ النغم، ولا يدرك تفصيله لغير ذوي الفطرة السليمة إلا بإتقانِ عِلْمَي المعاني والبيان، والتمرن فيهما، فليفهم. اهـ منه.

والإعلانِ بالحوادث المستقبلة في الأعصار الآتية؛ كقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ [الروم: ١-٤]، وإخبار أقوام في قضايا أنَّهم لا يفعلونها، فما فعلوا ولا قدروا؛ كقوله تعالى خطاباً لليهود: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٩٤ وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا﴾ [البقرة: ٩٤-٩٥] فما تمنَّاه أحدٌ منهم.

إلى أضعافٍ مضاعفة من مثل ذلك قد اشتمل القرآن عليها، واختصَّ من بين الكتب بها، حتى إنَّ أقصرَ سورةٍ فيه وهي الكوثر تشير إلى أربعة أخبار عن الغيب مع أنها ثَلاث آيات:

الأول: في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١] إذا أريد به كما في بعض الروايات كثرةُ الأتباع.

والثاني: في قوله: ﴿وَٱنۡحَرۡ﴾ حيث أريد به كما هو الظاهر الأمر بالنحر، فهو إشارة إلى اليسار حتى يمكنه الإقدام عليه.

والثالث والرابع: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] حيث صرَّح ورمز بأنَّ شانئك لا أنت، أبتر لا عَقِب له، فكان كما أخبر. ولا شكَّ عند كلِّ عاقلٍ أنَّ مجموع ما ذكرنا يعجز عنه البشر.

وأما إعجاز موافقته لقضية العقل ودقيق المعنى؛ فلأنه اشتمل على توحيد الله تعالى وتنزيهه والدعاء إلى طاعته وبيان طريق عبادته، من تحليلٍ وتحريم، ووعظ وتعليم، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وإشارةٍ إلى محاسن الأخلاق وزجر عن مساويها، واضعاً كلَّ شيءٍ منها موضعه الذي لا يُرى أولى منه ولا أليق، ولا يُتصوَّر أحرى من ذلك ولا أخلق، جامعاً بين الحُجَّة والمحتجِّ له، والدليل والمدلول عليه، ليكون ذلك أوكد للزوم ما دعا إليه، وامتثال ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، مع إشارةٍ أنيقة ورموزٍ دقيقة وأسرار جزيلة وحِكَم جليلة، ستقف إن شاء الله تعالى على الكثير منها بِحيث لا تبقى في شكٍّ من ردِّ من يقول بأنَّ ذلك معتادٌ في أكثر كلام البلغاء، وأنه ينتقض بالتوراة والإنجيل، وبكلام الرسول الغير المعجز، فأين الثريا من يد المتناول:

وَمَا كُلُّ مَخْضُوبِ البَنَانِ بُثَيْنَةٌ   وَ لا كُلُّ مَصْقُولِ الحَدِيْدِ يَماني[1]

فهذه الأوجه الأربعة هي الظاهرة في وجه إعجاز القرآن، والمشهور عند الجمهور الاقتصارُ على بلاغته وفصاحته، حيث بلغت الرتبةَ العليا والغايةَ القصوى، التي لم تكدْ تخفى على أهل هذا الشأن حتى النساء، كما يحكى أنَّ الأصمعيَّ وقف متعجِّباً من امرأةٍ تنشد شعراً، فقالت: أتعجبُ من هذا؟ أين أنت من قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧] فقد جمع أمرين ونهيين وبشارتين، أي: مع ما فيه مما يدرك بالذوق.

وبعضهم جعل المدارَ النظمَ المخصوصَ والباقي تابعٌ له، قائلاً: إنَّ الإعجاز المتعلِّق بالفصاحة والبلاغة لا يتعلَّق بعنصره الذي هو اللفظ والمعنى، فإنَّ الألفاظ ألفاظهم كما قال تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ﴾ [الشعراء: ١٩٥] ولا بمعانيه فإنَّ كثيراً منها موجودٌ في الكتب المتقدِّمة كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦] وما فيه من المعارف الإلهية وبيان المبدأ والمعاد والإخبار بالغيب، فإعجازه ليس براجعٍ إلى القرآن من حيث هو قرآن، بل لكونه حاصلاً من غير سبق تعليم وتعلُّم، ولكونُ الإخبار بالغيب إخباراً بما لا يعتاد، سواء كان بِهذا النظم أو بغيره، مُورَداً بالعربية أو بلغة أخرى، بعبارة أو إشارة، فإذاً هو متعلِّقٌ بالنظم المخصوص الذي هو صورة القرآن، وباختلاف الصور يختلف حكم الشيء واسمه لا بعنصره؛ كالخاتم والقُرْط والسوار إذا كان الكلُّ من ذهب مثلاً، فإنَّ الاسم مختلفٌ والعنصرَ واحدٌ، وكالخاتم المتَّخذ من ذهب وفضة وحديد يسمَّى خاتماً، والعنصر مختلف، فظهر أنَّ الإعجاز المختصَّ بالقرآن متعلِّقٌ بنظمه المخصوص، وإعجاز نظمه قد سلف بيانه، وأنت تعلم ما فيه وإن كان قريباً إلى الحق.

وأبعدُ الأقوال عندي كونه بالصّرفة المحضة، حتى إنَّ قولَ المرتضى فيها غيرُ مرتضًى، كما لا يخفى على من أنصفه ذهنُهُ واتَّسع عَطَنه، وأبعد من ذلك كونه بالقِدم كما هو قريب مِمن هو حديث عهدٍ بما تقدم.

---

(١) البيت لبهاء الدين زهير، وهو في ديوانه ص ٢٦٤، وعجزه فيه:

ولا كـلُّ مـسـلـوب الـفـؤاد جـمـيـل

وسيأتي إن شاء الله تعالى تتمَّةٌ لِهذا الكلام من بيان اختلاف الناس أيضاً في تفاوت مراتب الفصاحة والبلاغة في آياته، ويتَّضح لك ما هو الحقُّ الحقيق بالقبول، والله تعالى المبتغى والمسؤول، ولنقتصر من الفوائد على هذا المقدار، وفي السبعة ما لا يحصى من الأسرار، وهذا أوانُ تقبيلِ شفاه الأقلام حروفَ سبحان كلام الله تعالى العلَّام.

فهرس بأسماء السُّوَرِ وبيان المكيّ والمدني منها

السُّورة	رقمها	البَيان	السُّورة	رقمها	البَيان
الفَاتِحة	١	مَكيّة	العَنكبُوت	٢٩	مَكيّة
البَقرَة	٢	مَدنيّة	الرُّوم	٣٠	مَكيّة
آل عِمرَان	٣	مَدنيّة	لُقمَان	٣١	مَكيّة
النِّسَاء	٤	مَدنيّة	السَّجدَة	٣٢	مَكيّة
المائِدَة	٥	مَدنيّة	الأحزاب	٣٣	مَدنيّة
الأنعَام	٦	مَكيّة	سَبَإ	٣٤	مَكيّة
الأعْرَاف	٧	مَكيّة	فَاطِر	٣٥	مَكيّة
الأنفَال	٨	مَدنيّة	يسٓ	٣٦	مَكيّة
التَّوبَة	٩	مَدنيّة	الصَّافّات	٣٧	مَكيّة
يُونُس	١٠	مَكيّة	صٓ	٣٨	مَكيّة
هُود	١١	مَكيّة	الزُّمَر	٣٩	مَكيّة
يُوسُف	١٢	مَكيّة	غَافِر	٤٠	مَكيّة
الرَّعْد	١٣	مَدنيّة	فُصِّلَت	٤١	مَكيّة
إبراهِيم	١٤	مَكيّة	الشّورىٰ	٤٢	مَكيّة
الحِجْر	١٥	مَكيّة	الزُّخرُف	٤٣	مَكيّة
النَّحْل	١٦	مَكيّة	الدّخَان	٤٤	مَكيّة
الإسْرَاء	١٧	مَكيّة	الجَاثِيَة	٤٥	مَكيّة
الكَهْف	١٨	مَكيّة	الأحقاف	٤٦	مَكيّة
مَريَم	١٩	مَكيّة	مُحمَّد	٤٧	مَدنيّة
طه	٢٠	مَكيّة	الفَتْح	٤٨	مَدنيّة
الأنبياء	٢١	مَكيّة	الحُجُرات	٤٩	مَدنيّة
الحَجّ	٢٢	مَدنيّة	قٓ	٥٠	مَكيّة
المؤمِنُون	٢٣	مَكيّة	الذّاريَات	٥١	مَكيّة
النُّور	٢٤	مَدنيّة	الطُّور	٥٢	مَكيّة
الفُرقَان	٢٥	مَكيّة	النَّجْم	٥٣	مَكيّة
الشّعَراء	٢٦	مَكيّة	القَمَر	٥٤	مَكيّة
النَّمل	٢٧	مَكيّة	الرَّحمٰن	٥٥	مَدنيّة
القَصَص	٢٨	مَكيّة	الواقِعَة	٥٦	مَكيّة

السُّورة	رقمها	البيان	السُّورة	رقمها	البيان
الحديد	٥٧	مَدنيّة	الطّارق	٨٦	مَكيّة
المجادلة	٥٨	مَدنيّة	الأعلى	٨٧	مَكيّة
الحشر	٥٩	مَدنيّة	الغاشِية	٨٨	مَكيّة
المُمتحنة	٦٠	مَدنيّة	الفجر	٨٩	مَكيّة
الصّفّ	٦١	مَدنيّة	البلد	٩٠	مَكيّة
الجُمعة	٦٢	مَدنيّة	الشّمس	٩١	مَكيّة
المنافِقون	٦٣	مَدنيّة	اللّيل	٩٢	مَكيّة
التّغابُن	٦٤	مَدنيّة	الضّحى	٩٣	مَكيّة
الطّلاق	٦٥	مَدنيّة	الشّرح	٩٤	مَكيّة
التّحريم	٦٦	مَدنيّة	التّين	٩٥	مَكيّة
المُلك	٦٧	مَكيّة	العلق	٩٦	مَكيّة
القلم	٦٨	مَكيّة	القدر	٩٧	مَكيّة
الحاقّة	٦٩	مَكيّة	البيّنة	٩٨	مَدنيّة
المعارج	٧٠	مَكيّة	الزّلزلة	٩٩	مَدنيّة
نُوح	٧١	مَكيّة	العاديات	١٠٠	مَكيّة
الجِنّ	٧٢	مَكيّة	القارعة	١٠١	مَكيّة
المزّمِّل	٧٣	مَكيّة	التّكاثر	١٠٢	مَكيّة
المدّثِّر	٧٤	مَكيّة	العصر	١٠٣	مَكيّة
القيامة	٧٥	مَكيّة	الهُمزة	١٠٤	مَكيّة
الإنسان	٧٦	مَدنيّة	الفِيل	١٠٥	مَكيّة
المرسلات	٧٧	مَكيّة	قُريش	١٠٦	مَكيّة
النّبإ	٧٨	مَكيّة	الماعُون	١٠٧	مَكيّة
النّازعات	٧٩	مَكيّة	الكوثر	١٠٨	مَكيّة
عبس	٨٠	مَكيّة	الكافِرون	١٠٩	مَكيّة
التّكوير	٨١	مَكيّة	النّصر	١١٠	مَدنيّة
الانفطار	٨٢	مَكيّة	المسد	١١١	مَكيّة
المطفِّفين	٨٣	مَكيّة	الإخلاص	١١٢	مَكيّة
الانشِقاق	٨٤	مَكيّة	الفلق	١١٣	مَكيّة
البُروج	٨٥	مَكيّة	النّاس	١١٤	مَكيّة

عَلَامَاتُ الوَقْفِ وَمُصْطَلَحَاتُ الضَّبْطِ :

مـ تُفِيدُ لُزُومَ الوَقْفِ

لا تُفِيدُ النَّهْيَ عَنِ الوَقْفِ

صلى تُفِيدُ بِأَنَّ الوَصْلَ أَوْلَىٰ مَعَ جَوَازِ الوَقْفِ

قلى تُفِيدُ بِأَنَّ الوَقْفَ أَوْلَىٰ

ج تُفِيدُ جَوَازَ الوَقْفِ

∴ ∴ تُفِيدُ جَوَازَ الوَقْفِ بِأَحَدِ المَوْضِعَيْنِ وَلَيْسَ فِي كِلَيْهِمَا

ه لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ زِيَادَةِ الحَرْفِ وَعَدَمِ النُّطْقِ بِهِ

ه لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ زِيَادَةِ الحَرْفِ حِينَ الوَصْلِ

ـ لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ سُكُونِ الحَرْفِ

م لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ وُجُودِ الإِقْلَابِ

ـً لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ إِظْهَارِ التَّنْوِينِ

ـً لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ الإِدْغَامِ وَالإِخْفَاءِ

ا لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ وُجُوبِ النُّطْقِ بِالحُرُوفِ المَتْرُوكَةِ

س لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ وُجُوبِ النُّطْقِ بِالسِّينِ بَدَلَ الصَّادِ

وَإِذَا وُضِعَتْ بِالأَسْفَلِ فَالنُّطْقُ بِالصَّادِ أَشْهَرُ

ـ لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ لُزُومِ المَدِّ الزَّائِدِ

۩ لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ مَوْضِعِ السُّجُودِ ، أَمَّا كَلِمَةُ وُجُوبِ السُّجُودِ

فَقَدْ وُضِعَ فَوْقَهَا خَطٌّ

۞ لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ بِدَايَةِ الأَجْزَاءِ وَالأَحْزَابِ وَأَنْصَافِهَا وَأَرْبَاعِهَا

﴿٤﴾ لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ نِهَايَةِ الآيَةِ وَرَقْمِهَا .